Süleymaniye U Kütüphanesi
Hasan Hüsnü Pş
Eski Kayıt No 27

سورة الفاتحة ٢	سورة البقرة ٥	سورة آل عمران ٦٥	سورة النساء ٩١	سورة المائدة ١١٩
سورة الانعام ١٣٧	سورة الاعراف ١٥٢	سورة الانفال ١٧٥	سورة التوبة ١٨٥	سورة يونس ٢٠١
سورة هود ٢١١	سورة يوسف ٢٢٤	سورة رعد ٢٤٠	سورة ابرهيم ٢٤٥	سورة الحجر ٢٥١
سورة النحل ٢٥٥	سورة الاسراء ٢٦٥	سورة الكهف ٢٧٧	سورة مريم ٢٨٦	سورة طه ٢٩٦
سورة الانبياء ٣٠٦	سورة الحج ٣١٥	سورة المؤمنون ٣٢٢	سورة النور ٣٣٠	سورة الفرقان ٣٤١
سورة الشعراء ٣٤٩	سورة النمل ٣٥٩	سورة القصص ٣٦٩	سورة العنكبوت ٣٧٨	سورة الروم ٣٨٣
سورة لقمان ٣٨٨	سورة السجدة ٣٩٢	سورة الاحزاب ٣٩٤	سورة السبأ ٤٠٠	سورة الملائكة ٤١١
سورة يس ٤١٧	سورة الصافات ٤٢٠	سورة ص ٤٢٨	سورة الزمر ٤٣٦	سورة المؤمن ٤٤٤
سورة فصلت ٤٥١	سورة الشورى ٤٥٦	سورة الزخرف ٤٦١	سورة الدخان ٤٦٧	سورة الجاثية ٤٧٠
سورة الاحقاف ٤٧٢	سورة محمد ٤٧٩	سورة الفتح ٤٨٠	سورة الحجرات ٤٨٣	سورة ق ٤٩٠
سورة الذاريات ٤٩٣	سورة الطور ٤٩٦	سورة النجم ٤٩٧	سورة القمر ٥٠٠	سورة الرحمن ٥٠٢

سورة الواقعة ٥٠٥	سورة الحديد ٥٠٨	سورة المجادلة ٥١١	سورة الحشر ٥١٤	سورة الممتحنة ٥١٦
سورة الصف ٥١٩	سورة الجمعة ٥٢٠	سورة المنافقون ٥٢٢	سورة التغابن ٥٢٣	سورة الطلاق ٥٢٤
سورة التحريم ٥٢٧	سورة الملك ٥٢٩	سورة ن ٥٣١	سورة الحاقة ٥٣٤	سورة المعارج ٥٣٦
سورة نوح ٥٣٧	سورة الجن ٥٣٩	سورة المزمل ٥٤١	سورة المدثر ٥٤٣	سورة القيمة ٥٤٦
سورة الدهر ٥٤٨	سورة المرسلات ٥٥٠	سورة النبأ ٥٥٢	سورة النازعات ٥٥٤	سورة عبس ٥٥٥
سورة التكوير ٥٥٧	سورة الانفطار ٥٥٨	سورة المطففين ٥٥٩	سورة الانشقاق ٥٦٠	سورة البروج ٥٦١
سورة الطارق ٥٦٢	سورة الاعلى ٥٦٣	سورة الغاشية ٥٦٤	سورة الفجر ٥٦٥	سورة البلد ٥٦٦
سورة الشمس ٥٦٧	سورة الليل ٥٦٨	سورة الضحى ٥٦٨	سورة الانشراح ٥٦٩	سورة التين ٥٧٠
سورة العلق ٥٧٠	سورة القدر ٥٧٠	سورة البينة ٥٧٢	سورة الزلزال ٥٧٣	سورة العاديات ٥٧٣
سورة القارعة ٥٧٣	سورة التكاثر ٥٧٣	سورة العصر ٥٧٤	سورة الهمزة ٥٧٤	سورة الفيل ٥٧٤
سورة قريش ٥٧٥	سورة الماعون ٥٧٥	سورة الكوثر ٥٧٦	سورة الكافرون ٥٧٦	سورة النصر ٥٧٦
سورة اللهب ٥٧٧	سورة الاخلاص ٥٧٧	سورة الفلق ٥٧٨	سورة الناس ٥٧٩	

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً ونزله بحسب المصالح منجماً وجعله بالتحميد مفتتحاً
وبالاستعاذة مختتماً وأوحاه على قسمين متشابهاً ومحكماً وفصله سوراً وسوره آيات وميز بينهن
بفصول وغايات وما هي إلا صفات مبتدئ مبتدع وسمات منشئ مخترع فسبحان من استأثر
بالأولية والقدم ووسم كل شيء سواه بالحدوث عن العدم أنشأه كتاباً ساطعاً تبيانه قاطعاً
برهانه وحياً ناطقاً ببينات وحجج قرآناً عربياً غير ذي عوج مفتاحاً للمنافع الدينية والدنيوية مصدقاً
لما بين يديه من الكتب السماوية معجزاً باقياً دون كل معجز على وجه كل زمان دائراً من بين سائر الكتب على كل
لسان في كل مكان أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وأبكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء
فلم يتصد للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من
بلغائهم على أنهم كانوا أكثر من حصى البطحاء وأوفر عدداً من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية
مع اشتهارهم بالإفراط في المضادة والمضارة وإلقائهم الشراشر على المعازة والمعارة ولقائهم دون المناضلة
عن أحسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط إن أتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر وإن رماهم بمأثرة
رموه بمآثر وقد جرد لهم الحجة أولاً والسيف آخراً فلم يعارضوا إلا السيف وحده على أن السيف القاضب
مخراق لاعب إن لم تمض الحجة حده فما أعرضوا عن معارضة الحجة إلا لعلمهم أن البحر قد زخر فطم على الكواكب
وأن الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب والصلاة على خير من أوحي إليه حبيب الله أبي القاسم محمد بن عبد الله
بن عبد المطلب بن هاشم ذي اللواء المرفوع في بني لؤي وذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي المثبت
بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل النبي الأمي المكتوب في التوراة والإنجيل وعلى
آله الأطهار وخلفائه من الأختان والأصهار وعلى جميع المهاجرين والأنصار اعلم أن متن كل علم
وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية وأقدام الصناع فيه متقاربة أو متساوية إن سبق العالم
العالم لم يسبقه إلا بخطا يسيرة أو تقدمه الصانع الصانع لم يتقدمه إلا بمسافة قصيرة وإنما الذي
تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستباق والتناضل وعظم فيه التفاوت والتفاضل حتى انتهى

قال كشاف المعتزلة المنكر ... ولقد رأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية كلما رجعوا إلى تفسير آية

الأمر إلى أمد من الوهم متباعد وترقى إلى أن عد ألف بواحد في العلوم والصناعات من محاسن النكت
والفقر ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر ومن غوامض أسرار محتجبة وراء أستار لا يكشف عنها
من الخاصة إلا أوحدهم وأخصهم وإلا واسطتهم وفصهم وعامتهم عماة عن إدراك
حقائقها بأحداقهم عناة في يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم وإطلاقهم ثم إن أملأ العلوم
بما يغمر القرائح وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات
أسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ
في كتاب نظم القرآن في علم الفتاوى والأحكام والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ
القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ
والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم أحد
لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن
وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما أزمنة وبعثته على
تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد أن يكون
آخذاً من سائر العلوم بحظ جامعاً بين أمرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات
قد رجع زماناً ورجع إليه ورد ورد عليه فارساً في علم الإعراب مقدماً في حملة الكتاب وكان مع ذلك
مسترسل الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس دراكاً للمحة وإن لطف شأنها
منتبهاً على الرمزة وإن خفي مكانها لا كزاً جاسياً ولا غليظاً جافياً متصرفاً ذا دربة بأساليب النظم
والنثر مرتاضاً غير ريض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف
طالما دفع إلى مضايقه ووقع في مداحضه ومزالقه ولقد رأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة
الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية كلما رجعوا إلي في تفسير آية فأبرزت لهم
بعض الحقائق من الحجب أفاضوا في الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقاً إلى مصنف يضم أطرافاً من ذلك
حتى اجتمعوا إلي مقترحين أن أملي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل فاستعفيت
فأبوا إلا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذي حداني على الاستعفاء
على علمي أنهم طلبوا ما الإجابة إليه علي واجبة لأن الخوض فيه كفرض العين ما أرى عليه الزمان من رثاثة أحواله
وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن أدنى عدد هذا العلم فضلاً أن تترقى إلى الكلام
المؤسس على علمي المعاني والبيان فأمليت عليهم مسألة في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق
سورة البقرة وكان كلاماً مبسوطاً كثير السؤال والجواب طويل الذيول والأذناب وإنما حاولت
به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وأن يكون لهم مناراً ينتحونه ومثالاً يحتذونه فلما
صمم العزم على معاودة جوار الله والإناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت
في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من أهلها وقليل ما هم عطشى الأكباد إلى العثور على ذلك
المملى متطلعين إلى إيناسه حراصاً على اقتباسه فهز ما رأيت من عطفي وحرك الساكن
من نشاطي فلما حططت الرحل بمكة إذا أنا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية
الأمير الشريف الإمام شرف آل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي الحسن علي بن حمزة بن وهاس أدام الله
مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم أعطش الناس
كبداً وألهبهم حشى وأوفاهم رغبة حتى ذكر أنه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع
تزاحم ما هو فيه من السيادة بقطع الفيافي وطي المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل إلى إصابة

هذا الغرض فقلت قد ضاقت علي المستقر في الحيل وعيت بي العلل ورأيتني قد أخذت مني السن و
الشن وتأهبت للعشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب فأخذت في طريقة أخصر من الأولى مع ضمان التكثير
من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة أبي بكر الصديق
رضي الله عنه وكان يقدر تمامه في أكثر من ثلاثين سنة وما هي إلا آية من آيات هذا البيت المحرم وبركة
أفيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم أسأل الله أن يجعل ما تعبت فيه منه سببا ينجيني ونورا
لي على الصراط يسعى بين يدي وبيميني ونعم المسؤول **سورة فاتحة الكتاب** مكية وقيل مكية ومدنية
لأنها نزلت بمكة مرة وبالمدينة أخرى وتسمى أم القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله
بما هو أهله ومن التعبد بالأمر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني
لأنها تثنى في كل ركعة وسورة الصلاة لأنها تكون فاضلة أو مجزئة بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية
وهي سبع آيات بالاتفاق إلا أن منهم من عد أنعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه بالعكس والله أعلم
بسم الله الرحمن الرحيم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية ليست بآية
من الفاتحة ولا من غيرها من السور وإنما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل أمر ذي
بال وهو مذهب أبي حنيفة ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما
على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي وأصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد أثبتها
السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا أنها من القرآن لما أثبتوها وعن ابن عباس
رضي الله عنهما من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله تعالى **فإن قلت** بم تعلق الباء **قلت**
بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ أو أتلو لأن الذي يتلو التسمية مقروء كما أن المسافر إذا حل أو ارتحل فقال بسم الله
والبركات كان المعنى بسم الله أحل وبسم الله أرتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله باسم الله كان مضمرا ما جعل
التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله تعالى في تسع آيات إلى فرعون وقومه أي اذهب في تسع آيات
وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الأعرابي باليمن والبركة بمعنى أعرست أو نكحت ومنه قوله
فقلت إلى الطعام فقال منهم فريق يحسد الإنس الطعاما **فإن قلت** لم قدرت المحذوف متأخرا **قلت**
لأن الأهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لأنهم كانوا يبدءون بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات
باسم العزى فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله تعالى بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل
كما فعل في قوله إياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم إرادة للاختصاص والدليل عليه قوله تعالى بسم الله
مجراها ومرساها **فإن قلت** فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل **قلت** هناك تقديم الفعل أوقع
لأنها أول سورة نزلت فكان الأمر بالقراءة أهم **فإن قلت** ما معنى تعلق اسم الله تعالى بالقراءة **قلت**
فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى أن المؤمن لما اعتقد أن
فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله عليه السلام كل أمر ذي بال
لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر إلا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني
أن يتعلق به تعلق الدهن بالإنبات في قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله أقرأ وكذلك قول الداعي
للمعرس بالرفاء والبنين معناه أعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه أعرب وأحسن **فإن قلت**
فكيف قال الله تعالى متبركا باسم الله أقرأ **قلت** هذا مقول على ألسنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان
غيره وكذلك الحمد لله رب العالمين إلى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه
وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه **فإن قلت** من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد أن تبنى
على الفتحة التي هي أخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام

الإضافة وباؤها بنيتا على الكسر **قلت** أما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء وأما الباء
فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم أحد الأسماء العشرة التي بنوا أوائلها على السكون فإذا نطقوا بها مبتدئين
زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن إذ كان دأبهم أن يبتدءوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة
لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الإحكام والرصانة وإذا وقعت في الدرج لم تفتقر إلى زيادة
شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم **قال** باسم الذي في كل سورة سمه وهو
من الأسماء المحذوفة الأعجاز كيد ودم وأصله سمو بدليل تصريفه كأسماء وسمي وسميت واشتقاقه من
السمو لأن التسمية تنويه بالمسمى وإشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت
والنبز قشر النخلة الأعلى **فإن قلت** فلم حذفت الألف في الخط وأثبتت في قوله باسم ربك **قلت**
قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء تعويضا
من طرح الألف وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال لكاتبه طول الباء وأظهر السينات ودور الميم **والله**
أصله الإله **قال** معاذ الإله أن تكون كظبية ونظيره الناس أصله الأناس **قال** إن المنايا يطلعن
على الأناس الآمنينا فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا ألله بالقطع كما يقال يا إله
من أسماء الأجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق كما أن النجم اسم لكل كوكب
غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه وأما الله بحذف الهمزة
فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله وأله واستأله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق
من الناقة والحجر **فإن قلت** اسم هو أم صفة **قلت** بل اسم غير صفة ألا تراك تصفه ولا تصف به
لا تقول شيء إله كما لا تقول شيء رجل وتقول إله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وأيضا فإن صفاته تعالى لا بد لها من
موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال **فإن قلت** هل
لهذا الاسم اشتقاق **قلت** معنى الاشتقاق أن ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم
وصيغة قولهم أله إذا تحير ومن أخواته دله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك أن الأوهام تتحير في
معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح **فإن قلت** هل تفخم
لامه **قلت** نعم قد ذكر الزجاج أن تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم وإطباقهم عليه دليل أنهم ورثوه
كابرا عن كابر **الرحمن** فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك **الرحيم** فعيل منه كمريض وسقيم
من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون
إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضبا ومما طن على أذني من ملح العرب أنهم
يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم
ما اسم هذا المحمل أردت المحمل العراقي فقال أليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى فقال فهذا اسمه الشقنداف فزاد في
بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله تعالى كما أن
الله من الأسماء الغالبة وأما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمان اليمامة وقول شاعرهم فيه وأنت غيث الورى لا
زلت رحمانا فباب من تعنتهم في كفرهم **فإن قلت** كيف تقول الله رحمان أتصرفه أم لا **قلت** أقيسه على أخواته
من بابه أعني نحو عطشان وغرثان وسكران فلا أصرفه **فإن قلت** قد شرط في امتناع صرف فعلان أن يكون
فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر أن يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف **قلت** كما حظر ذلك أن يكون له مؤنث
على فعلى كعطشى فقد حظر أن يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فإذن لا عبرة بامتناع التأنيث للاختصاص
العارض فوجب الرجوع إلى الأصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره **فإن قلت** ما معنى وصف الله
بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها **قلت** هو مجاز عن إنعامه على عباده

ساطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

لان للملك ان يعطف على رعيته ويرق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة
والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه **فان قلت** فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين على ما هو
دونه والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض **قلت**
لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها واصولها اردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق
منها ولطف **الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين**
الحمد والمدح اخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته
على حسبه وشجاعته واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح **قال**
الشاعر افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو احدى
شعب الشكر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله راس الشكر لان ذكر
النعمة باللسان والثناء على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في
عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه والحمد نقيضه الذم
والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم
باضمار فعله على انه من المصادر التي تنصبها العرب بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما
اشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة افعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها
ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدل بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره
ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع سلام الثاني للدلالة على ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم حياهم بتحية
احسن من تحيتهم لان الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك
قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك **فان قلت** ما معنى التعريف
فيه **قلت** هو نحو التعريف في ارسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان
الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرا الحسن
البصري الحمد لله باتباع الدال اللام وقرا ابراهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها الدال والذي جسرهما على ذلك والاتباع
انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة لكثرة استعمالهما مقترنتين واشف
القراءتين قراءة ابراهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن **الرب**
المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه
فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في
الله وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن
مثواي وقرا زيد بن علي رضي الله عنه رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه قيل نحمد الله رب
العالمين **العالم** اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض **فان قلت**
لم جمع **قلت** ليشمل كل جنس مما سمي به **فان قلت** فهو اسم غير صفة وانما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء او
ما في حكمها من الاعلام **قلت** ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم **قرئ** ملك يوم الدين ومالك
وملك بتخفيف اللام وقرا ابو حنيفة رحمه الله ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرا ابو هريرة رضي الله عنه مالك
بالنصب وقرا غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرا مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة اهل
الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما
تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا **فان قلت** ما هذه الاضافة **قلت**
هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار والمعنى

على الظرفية

على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم **فان قلت** فاضافة اسم الفاعل
اضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة **قلت** انما تكون
غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا فاما
اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس او زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة
حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله
ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة ابي حنيفة ملك يوم الدين وهذه الاوصاف
التي اجريت على الله تعالى من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منه شيء من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم
كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكا للامور كلها في العاقبة يوم الثواب والعقاب
بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه به حقيق في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد
والثناء عليه بما هو اهله **ايا** ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك
اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في ارايتك وليست
باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه
وايا الشواب فشيء شاذ لا يعول عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى قل افغير الله تامروني اعبد قل
اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك
بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء **قال** طفيل الغنوي فهياك والامر الذي ان تراحبت
موارده ضاقت عليك مصادره والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان
في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله تعالى لانه مولى اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية
الخضوع **فان قلت** لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب **قلت** هذا يسمى الالتفات في علم البيان
قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة
ابيات تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة
ذي العائر الارمد وذلك من نبا جاءني وخبرته عن ابي الاسود وذلك على عادة افتنانهم
في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية
لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد
ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم
بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع له والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم
المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك
ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به **فان قلت**
لم قرنت الاستعانة بالعبادة **قلت** ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه
ويحتاجون اليه من جهته **فان قلت** فلم قدمت العبادة على الاستعانة **قلت** لان تقديم
الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها **فان قلت** لم اطلقت الاستعانة
قلت ليتناول كل مستعان فيه والاحسن ان تراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون قوله
**اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
آمين** اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان
احسن لتلاؤم الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض وقرا ابن حبيش نستعين بكسر النون هدى اصله

ان يتعدى باللام او بالى لقوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم
فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه ● ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب
زيادة الهدى بمنح الالطاف لقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وعن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد طلب وانما
يتفاوتان في الرتبة ● وقرأ عبد الله ارشدنا السراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه يسترط السابلة
اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم ● والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء كقولك مصيطر في مسيطر
وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام
ويجمع سرط نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام صراط الذين
انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا
صراط الذين انعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم فان قلت ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا
صراط الذين انعمت عليهم قلت فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار بان الصراط المستقيم
بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه واكده كما تقول
هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان
الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم والافضل
فجعلته علما في الكرم والفضل فكانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين
لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع ● والذين انعمت عليهم هم المؤمنون واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من
انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه ● وعن ابن عباس هم اصحاب موسى قبل ان
يغيروا ● وقيل هم الانبياء ● وقرأ ابن مسعود صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت
عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة
المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال فان قلت كيف صح ان يقع غير صفة
للمعرفة وهو لا يتعرف وان اضيف الى المعارف قلت الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد
امر على اللئيم يسبني ● ولان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذن الابهام الذي
يابى عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضي الله
عنه ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل انعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى
من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل فان قلت ما معنى
غضب الله قلت هو ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا
غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته فان قلت اي فرق بين عليهم الاولى
والثانية قلت الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية فان قلت
لم دخلت لا في ولا الضالين قلت لما في غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول
انا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب ● وعن عمر
وعلي رضي الله عنهما انهما قرآ وغير الضالين ● وقرأ ايوب السختياني ولا الضألين بالهمزة كما قرأ عمرو بن عبيد
ولا جأن وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شأبة ودأبة آمين
صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما ان رويد وحيهل وهلم اصوات سميت بها الافعال التي هي امهل
واسرع واقبل ● وعن ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان
مد الفه وقصرها ● ويرحم الله عبدا قال آمينا ● وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا ● وعن النبي صلى الله عليه

وسلم لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل
انه لم يثبت في المصاحف ● وعن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعي ● وعن ابي حنيفة رحمه الله مثله والمشهور عنه
وعن اصحابه انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس عن النبي صلى الله عليه وسلم ● وعن الشافعي
رضي الله عنه يجهر بها ● وعن وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين
ورفع بها صوته ● عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة
والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته
وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي
من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم ذلك الكتاب لا ريب فيه اعلم ان الالفاظ التي يتهجى
بها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم يسمى به ضه من ضرب اذا
تهجيته وكذلك را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات لما كانت الفاظا
كاساميها وهي حروف وحدان والاسامي عدد حروفها مرتق الى الثلاثة اتجه لهم طريق الى ان يدلوا في التسمية
على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها
لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحولقة والحيعلة والبسملة وحكمها
ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم كما تقول واحد اثنان
ثلثة فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب كقولك هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا كل اسم عمدت
الى تادية ذاته فحسب قبل ان تحدث فيه بدخول العوامل شيئا من تاثيراتها فقد حقك ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك
اذا القيت على الحاسب اجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار
غلام جارية ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا فان قلت لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت انها حروف
كما وقع في عبارات المتقدمين قلت قد استوضحت بالبرهان النير انها اسماء غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف
الى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الاسماء التي لا يقدح اشكال في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف
مستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك ان قولك الف دلالته على اوسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص
لا فصل بينهما ... وانها تصرف فيها بالامالة والتفخيم والتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف
والاسناد والاضافة وجميع ما للاسماء المتمكنة ثم اني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك قال سيبويه قال
الخليل يوما وسأل اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول
باء كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول كه وبه وذكر ابو علي في كتاب الحجة في يس
وامالة الياء منها ان الحروف مما يمتنع فيها الامالة ... فان قلت من اي قبيل هي من الاسماء امعربة
ام مبنية قلت بل هي اسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد
مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف وليس ببناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل
صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين فان قلت فلم لفظ المتهجي بما آخره الف منها مقصورا فلما اعرب
مد فقال هذه باء وياء وهاء وذلك يخيل ان وزانها وزان قولك لا مقصورة فاذا جعلتها اسما مددت فقلت

كتبت لا **قلت** هذا التخييل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب في ان قصرت متهجاة ومدت حين مسها الاعراب ان حال التهجي خليقة بالاخف الاوجز واستعمالها فيه اكثر **فان قلت** قد تبين انها اسماء لحروف المعجم وانها من قبيل المعربة وان سكونها عند الهجاء لاجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور **قلت** فيه اوجه احدها وعليه اطباق الاكثر انها اسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف بباب اسماء السور وهي في ذلك على ضربين احدهما ما لا يتأتى فيه اعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتأتى فيه الاعراب وهو اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طسم يتأتى فيها ان يفتح نونها وتصير ميم مضمومة الى طس فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا واما النوع الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب والحكاية **قال** قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن اوفى العبسي

يذكرني حاميم والرمح شاجر ... فهلا تلا حاميم قبل التقدم

فاعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتانيث والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الاولى كقولك دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت سورة انزلناها **وقال**

وجدنا في كتاب بني تميم ... احق الخيل بالركض المعار

وقال ذو الرمة

سمعت الناس ينتجعون غيثا ... فقلت لصيدح انتجعي بلالا

وقال

تنادوا بالرحيل غدا ... وفي ترحالهم نفسي

وروي منصوبا ومجرورا ويقول اهل الحجاز في استعلام من يقول رأيت زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت من العرب من يقول لا من اين يا فتى **فان قلت** فما وجه قراءة من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات **قلت** الاوجه ان يقال ذلك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه مثل ذلك في حم وطس لو قرئ به وحكى ابو سعيد السيرافي ان بعضهم قرأ ياسين ويجوز ان يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ ولا الضالين **فان قلت** هلا زعمت انها مقسم بها وانها نصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن واي الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم **وقال** ذو الرمة

الا رب من قلبي له الله ناصح

وقال

فذاك امانة الله الثريد

قلت ان القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخريان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما اقسم بهذه الاشياء على شيء ولو كان انقضى قسمه بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاما آخر فيكون كقولك بالله لافعلن بالله لاخرجن اليوم ولا يقوى ان تقول وحقك وحق زيد لافعلن والواو الآخرة واو قسم لا يجوز الا مستكرها قال وتقول وحياتي ثم حياتك لافعلن فثم ههنا بمنزلة الواو هذا ولا سبيل فيما نحن بصدده الى ان تجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب **فان قلت** فقدرها مجرورة باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه ابوك غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة وتجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير الى نحو ما اشرت اليه **قلت** هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اقسم الله بهذه الحروف **فان قلت** فما وجه قراءة بعضهم صاد وقاف بالكسر **قلت** وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك ان الوقف لما استمر بهذه الاسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة الآن واخرى معاملة هؤلاء **فان قلت** هل تسوغ لي في المحكية مثل ما تسوغ لي في المعربة من ارادة معنى القسم **قلت** لا عليك في ذلك ان تقدر

حرف القسم مضمرا في نحو قوله تعالى حم والكتاب المبين كانه قيل اقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين انا جعلناه واما قوله صلى الله عليه وسلم حم لا ينصرون فيصلح ان يقضى له بالجر والنصب جميعا على حذف الجار واضماره **فان قلت** فما معنى تسمية السور بهذه الالفاظ خاصة **قلت** كأن المعنى في ذلك الاشعار بان الفرقان ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ كما قال تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج **فان قلت** فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف انفسها لا على صور اساميها **قلت** لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان يلفظ بالاسماء وتقع في الكتابة الحروف انفسها عمل على تلك الشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح وايضا فان شهرة امرها واقامة السن الاسود والاحمر لها وان اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل منها وان بعضها مفردا لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده امنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف اشياء خارجة عن القياسات التي بني عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه في كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض لانه يثبت فيه ما اثبته اللفظ ويسقط عنه ما اسقطه **والوجه** الثاني ان يكون ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن ان يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم امراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بزت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح اعين البصراء الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل ولناصر القول الاول ان يقول ان القرآن انما نزل بلسان العرب مصبوبا في اساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم احد منهم بمجموع ثلاثة اسماء واربعة وخمسة والقول بانها اسماء السور حقيقة يخرج الى ما ليس في لغة العرب ويؤدي ايضا الى صيرورة الاسم والمسمى واحدا فان اعترض عليه بانه منقول على وجه الاعراب وانه لا سبيل اليه اجاب بان له محملا سوى ما يذهب اليه وانه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في اولادكم والله نور السموات والارض وليست هذه الجمل باسامي هذه القصائد وهذه السور والآي وانما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة او الآية التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على اسلوب من يقصد التسمية واستفيد منه ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراض على الوجه الاول الذي يقول التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكر لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا استنكار فيها لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية كما سموا بتأبط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق او ببيت شعر ولذلك سوى سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من اسماء حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك واما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا لانها تسمية مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين مضمومين اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا **والوجه** الثالث ان ترد السور مصدرة بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاعراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الامي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس
شيئا من أهله حكم الأقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الإحاطة بها في أن ذلك حاصل
له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة أن يتكلم بالرطانة من غير أن يسمعها من أحد. واعلم أنك إذا تأملت
ما أورده الله في الفواتح من هذه الأسماء وجدتها نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سواء وهي الألف واللام والميم
والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة
على عدد حروف المعجم ثم إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف بيان ذلك
أن فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء. ومن المجهورة نصفها الألف واللام والميم
والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون. ومن الشديدة نصفها الألف والكاف والطاء والقاف. ومن
الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون. ومن المطبقة نصفها
الصاد والطاء. ومن المنفتحة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف
والياء والنون. ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء. ومن المنخفضة نصفها الألف واللام والميم
والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون. ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء. ثم
إذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي ألغى الله تعالى ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة
منها فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته. وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل
واختصاراته فكأن الله تعالى عدد على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم إشارة إلى ما ذكرت من التبكيت لهم وإلزام
الحجة إياهم. ومما يدل على أنه تعمد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعا في تراكيب الكلم أن الألف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها
جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والأعراف والرعد
ويونس وإبراهيم وهود ويوسف والحجر. فإن قلت فهلا عددت بأجمعها في أول القرآن وما لها جاءت مفرقة
قلت لأن إعادة التنبيه على أن المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد أوصل إلى الغرض وأقر له في الأسماع
والقلوب من أن يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره. فإن قلت
فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت أعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف وطه وطس ويس وحم
على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة أحرف والمص والمر على أربعة أحرف وكهيعص وحم عسق على خمسة أحرف
قلت هذا على عادة افتنانهم في أساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب وكما أن أبنية كلماتهم على
حرف وحرفين إلى خمسة أحرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك. فإن قلت فما وجه اختصاص كل
سورة بالفاتحة التي اختصت بها قلت إذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تأدية هذا الغرض
سواء لا مفاضل كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما إذا سمى الرجل بعض أولاده زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم
خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لأن الغرض هو التمييز وهو حاصل أية سلك ولذلك لا يقال لم سمي هذا
الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود. فإن قلت فما بالهم
عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض قلت هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور أما الم فآية حيث
وقعت من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في سورها الخمس وطسم آية
في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية واحدة وص
وق ون ثلاثتها لم تعد آية هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية. فإن قلت فكيف عد
ما هو في حكم كلمة واحدة آية قلت كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف. فإن قلت
ما حكمها في باب الوقف قلت يوقف على جميعها وقف التمام إذا حملت على معنى مستقل غير محتاج إلى ما بعده وذلك
إذا لم تجعل أسماء للسورة ونعق بها كما ينعق بالأصوات أو جعلت وحدها أخبار ابتداء محذوف كقوله تعالى الم الله أي

هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا إله إلا هو. فإن قلت فهل لهذه الفواتح محل من الإعراب قلت نعم لها محل فيمن جعلها
أسماء للسور لأنها عنده كسائر الأسماء الأعلام. فإن قلت ما محلها قلت يحتمل الأوجه الثلاثة أما الرفع
فعلى الابتداء وأما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها
أسماء للسور لم يتصور أن يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعددة. فإن قلت لم صحت الإشارة
بذلك إلى ما ليس ببعيد قلت وقعت الإشارة إلى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمقضي في حكم المتباعد وهذا
في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى
لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولأنه لما وصل من المرسل إلى المرسل إليه وقع في حد البعد كما تقول
لصاحبك وقد أعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به. فإن قلت لم ذكر اسم الإشارة
والمشار إليه مؤنث وهو السورة قلت لا أخلو من أن أجعل الكتاب خبره أو صفته فإن جعلته خبره كان ذلك في
معناه ومسماه مسماه فجاز إجراء حكمه عليه في التذكير كما أجري عليه في التأنيث في قولهم من كانت أمك وإن جعلته
صفته فإنما أشير به إلى الكتاب صريحا لأن اسم الإشارة مشار به إلى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الإنسان أو ذلك
الشخص فعل كذا. وقال الذبياني: نبئت نعمى على الهجران عاتبة * سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري. فإن قلت
أخبرني عن تأليف ذلك الكتاب مع الم قلت إن جعلت الم اسما للسورة ففي التأليف وجوه أن يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ
ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الأول ومعناه أن ذلك هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص
وأنه الذي يستأهل أن يسمى كتابا كما تقول هو الرجل أي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال
وكما قال: هم القوم كل القوم يا أم خالد. وأن يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود. وأن يكون الم خبر
مبتدأ محذوف أي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا أو بدلا على أن الكتاب صفة. وأن تكون هذه الم جملة وذلك الكتاب
جملة أخرى وإن جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب أي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل أو الكتاب
صفة والخبر ما بعده أو قدر مبتدأ محذوف أي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب. وقرأ عبد الله الم تنزيل
الكتاب لا ريب فيه وتأليف هذا ظاهر. والريب مصدر رابني إذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس
واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك إلى ما
لا يريبك فإن الشك ريبة وإن الصدق طمأنينة أي فإن كون الأمر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا
صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه أنه مر بظبي
حاقف فقال لا يربه أحد بشيء. فإن قلت كيف نفي الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفي أن
أحدا لا يرتاب فيه وإنما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي
لمرتاب أن يقع فيه ألا ترى إلى قوله تعالى وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله فما أبعد وجود الريب
منهم وإنما عرفهم الطريق إلى مزيل الريب وهو أن يحزروا أنفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة أم تتضاءل
دونها فيتحققوا عند عجزهم أن ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة. فإن قلت فهلا قدم الظرف على الريب
كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول قلت لأن القصد في إيلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه وإثبات
أنه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو أولي الظرف لقصد إلى ما يبعد عن المراد وهو أن كتابا آخر فيه
الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كأنه
قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة. وقرأ أبو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين القراءة
المشهورة أن المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه. والوقف على فيه هو المشهور. وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف
من أن ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا بأس وهي كثيرة في لسان أهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه
فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. الهدى مصدر

على فعل ما يسري وأبكى وبالدلالة الموصلة إلى البغية بدليل وقوع الضلال في مقابلته قال الله تعالى أولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال لعلى هدى أو في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولأن اهتدى
مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معناه ألا ترى إلى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر وأشباه
ذلك فإن قلت فإن قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون قلت هو كقولك للعزيز المكرم
أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة إلى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم
ووجه آخر وهو أنه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس إذا أراد أحدكم الحج فليعجل فإنه يمرض المريض وتضل
الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله ولا
يلدوا إلا فاجرا كفارا أي صائرا إلى الفجور والكفر فإن قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت لأن الضالين
فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم أن مصيرهم إلى الهدى فلا
يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقي أن يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل
هدى للصائرين إلى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام بإجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين
وأيضا فقد جعل ذلك سلما إلى التصدير بذكر أولياء الله في أولى الزهراوين وسنام القرآن وأول المثاني بذكر أولياء الله
والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق
وهذه الدابة تقي من وجاها إذا أصابه ظلع من غلظ الأرض ورقتها فهو يقي حافره أن يصيبه أدنى شيء
يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك واختلف في الصغائر وقيل الصحيح
أنه لا يتناولها لأنها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن بظاهر الحال والمتقي لا يطلق
إلا عن خبرة كما لا يجوز إطلاق العدل إلا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لأنه خبر مبتدأ محذوف
أو خبر مع لا ريب فيه لذلك أو مبتدأ إذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز أن ينتصب على الحال والعامل فيه
معنى الإشارة أو الظرف والذي هو أرسخ عرقا في البلاغة أن يضرب عن هذه المحال صفحا وأن يقال إن قوله الم
جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين
رابعة وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق
وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة
بيان ذلك أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة
التحدي وشدا من أعضاده ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لأنه لا كمال أكمل مما للحق
واليقين ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي
ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الأربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات
جزالة ففي الأولى الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه وأرشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة
ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وإيراده
منكرا والإيجاز في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على أسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه الذين
يؤمنون إما موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة أو مدح منصوب أو مرفوع بتقدير أعني الذين يؤمنون أو هم
الذين وإما منقطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه بأولئك على هدى فإذا كان موصولا كان الوقف على
المتقين حسنا غير تام وإذا كان منقطعا كان وقفا تاما فإن قلت ما هذه الصفة واردة بيانا وكشفا للمتقين
أم مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها أم جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيدا له تعالى

قلت يحتمل أن ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك
السيئات أما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الإيمان الذي هو أساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلاة والصدقة لأن
هاتين أما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما ألا ترى كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة
عماد الدين وجعل الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلاة وسمى الزكاة قنطرة الإسلام وقال الله تعالى وويل
للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شأنهما استجرار سائر العبادات واستتباعها
ومن ثم اختصر الكلام اختصارا بأن استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي إذا وجد لم تتوقف
أخواته أن يقترن به مع ما في ذلك من الإفصاح عن فضل هاتين العبادتين وأما الترك فكذلك ألا ترى إلى قوله تعالى
إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل أن لا يكون بيانا للمتقين ويكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد
بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل أن يكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للإيمان بالغيب وإقام الصلاة
وإيتاء الزكاة بالذكر إظهارا لإنافتهما على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والإيمان إفعال من الأمن
يقال أمنته وآمنته غيري ثم يقال آمنه إذا صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة وأما تعديته بالباء
فلتضمينه معنى أقر واعترف وأما ما حكى أبو زيد عن العرب ما آمنت أن أجد صحابة أي ما وثقت فحقيقته صرت ذا
أمن به أي ذا سكون وطمأنينة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب أي يعترفون به أو يثقون بأنه حق ويجوز أن لا
يكون بالغيب صلة للإيمان وأن يكون في موضع الحال أي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته متلبسين بالغيب كقوله
الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم أني لم أخنه بالغيب ويعضده ما روي أن أصحاب عبد الله ذكروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وإيمانهم فقال ابن مسعود إن أمر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ
هذه الآية فإن قلت فما المراد بالغيب إن جعلته صلة وإن جعلته حالا قلت إن جعلته صلة كان بمعنى الغائب
إما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي بالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي
المطمئن من الأرض غيبا وعن النضر بن شميل شربت الإبل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع
الكلية إذا بطنت الدابة انتفخت وإما أن يكون فيعلا فخفف كما قيل قيل وأصله قيّل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه
ابتداء إلا علم اللطيف الخبير وإنما نعلم منه نحن ما أعلمناه أو نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز أن يطلق فيقال فلان يعلم
الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وإن
جعلته حالا كان بمعنى الغيبة فإن قلت ما الإيمان الصحيح قلت أن يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه
بعمله فمن أخل بالاعتقاد وإن شهد وعمل فهو منافق ومن أخل بالشهادة فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق ومعنى إقامة
الصلاة تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها من أقام العود إذا قومه أو الدوام عليها
والمحافظة كما قال جل وعلا الذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت السوق إذا نفقت
وأقامها قال أقامت غزالة سوق الضراب لأهل العراقين حولا قميطا لأنها إذا حوفظ عليها كانت كالشيء
النافق الذي تتوجه إليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون وإذا عطلت وأضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب
فيه أو التجلد والتشمر لأدائها وأن لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالأمر وقامت الحرب على ساقها وفي
ضده قعد عن الأمر وتقاعد عنه إذا تقاعس وتثبط أو أداؤها فعبر عن الأداء بالإقامة لأن القيام بعض أركانها
كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا سبح إذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا أنه كان من
المسبحين والصلاة فعلة من صلى كالزكاة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لأن المصلي
يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودي إذا طأطأ رأسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لأنه ينثني على الكاذتين
وهما الكاذتان وقيل للداعي مصل تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد وإسناد الرزق إلى نفسه للإعلام بأنهم
ينفقون الحلال الطلق الذي يستأهل أن يضاف إلى الله تعالى ويسمى رزقا منه وأدخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا

الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كأنه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به وجائز ان يراد به الزكاة المفروضة لاقترانه باخت الزكاة وشقيقتها وهي الصلاة وان تراد هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح ان يتناول كل منفق وانفق الشيء وانفده اخوان وعن يعقوب نفق الشيء ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك اذا تأملت قال والذين يؤمنون هم غير الاولين واما توسيط العاطف فكما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم • وقوله ... قلت يحتمل ان يراد هؤلاء مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين آمنوا فاشتملوا على كل وحي انزل من عند الله وايقنوا بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمس انفسهم الا اياما معدودات واجتماعهم على الاقرار بالنشأة الاخرى واعادة الارواح في الاجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال يجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه آخرون وزعموا ان ذلك انما احتيج اليه في هذه الدار من اجل نماء الاجسام ولمكان التوالد والتناسل واهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور ... يكون المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل ان يراد وصف الاولين ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه • **والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون** فان قلت فاذا اريد بهؤلاء غير اولئك ... عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت صفة ... وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكأنه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما انزل اليك ... فان قلت ما المراد بما انزل اليك أيعني به القرآن باسره والشريعة عن آخرها ام المقدار الذي سبق انزاله وقت ايمانهم وهو ايمان ... قلت المراد الكل وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال انا وانت فعلنا وانت وزيد تفعلان ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم به فهو نادر ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الآتي • وقرأ يزيد بن قطيب بما انزل اليك وما انزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله • وفي تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الآخرة على خلاف حقيقته وان قولهم ليس بصادر عن ايقان وان اليقين ما عليه من آمن بما انزل اليك وما انزل من قبلك • والايقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه • **والآخرة** تأنيث الآخر الذي هو نقيض الاول وهي صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها على اللام كقوله ... الارض • وقرأ ابو حية النميري يؤقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو كأنها فيها فقلب الواو همزة كما يفعل في وجوه ووقتت ونحوه • لحب المؤقدان الى مؤسى • وجعدة اذ اضاءهما الوقود • **اولئك على هدى** الجملة في محل الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ والا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين انك اذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستئناف وذلك انه لما قيل هدى للمتقين واختص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه لسائل ان يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب الى ساقته كأنه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي

استوجبوا بها من الله ان يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم اي الذين هؤلاء عقائدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك احب رسول الله الانصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك اهل للمحبة وان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستئناف على اولئك كأنه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فاجيب بان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا • واعلم ان هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة باعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستئناف باعادة الصفة احسن وابلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه **فان قلت** هل يجوز ان يجري الموصول الاول على المتقين وان يرتفع الثاني على الابتداء واولئك خبره **قلت** نعم على ان يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالون الفلاح عند الله • وفي اسم الاشارة الذي هو اولئك ايذان بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم • ولله صعلوك • ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله • فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه • وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما • ومعنى الاستعلاء في على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى • ومعنى هدى من ربهم اي منح من عنده واوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي الى الافضل فالافضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كأنه قيل على اي هدى كما تقول لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا **وقال** الهذلي • فلا وابي الطير المربة بالضحى • على خالد لقد وقعت على لحم • والنون في من ربهم ادغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد اغنها الباقون الا ابا عمرو فقد روي عنه فيها روايتان • وفي تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبتت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها **فان قلت** لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون **قلت** قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الاولى فهي من العطف بمعزل • **وهم** فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره او هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب اي هو الذي اخبرت بتوبته او على انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله تعالى التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين اولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة • **والمفلح** الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بامرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك اخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى • ولما قدم ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي اهلتهم لاصابة الزلفى عنده وبين ان الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى

على أثره بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وإنذار الرسول وسكوته ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ فإن قلت لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة قلت ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لأن الأولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى للمتقين وسيقت الثانية لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف فإن قلت هذا إذا زعمت أن الذين يؤمنون جار على المتقين فأما إذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر في صفة أضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة قلت قد مر لي أن الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف وأنه مبني على تقدير سؤال فذلك إدراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى وإن كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في الذين كفروا يجوز أن يكون للعهد وأن يراد بهم ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم وأن يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الإنذار وتركه عليهم وسواء عليهم اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله جل وعلا تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم في أربعة أيام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على أنه خبر لأن وأنذرتهم في موضع المرتفع به على الفاعلية كأنه قيل إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه كما تقول إن زيدا مختصم أخوه وابن عمه ويكون أأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم إنذارك وعدمه والجملة خبر لأن فإن قلت الفعل أبدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الإخبار عنه في هذا الكلام قلت هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ إلى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن وإن كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة يعني أن هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما أن ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لأنه قد علم أن أحد الأمرين كائن إما الإنذار وإما عدمه ولكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف أعرب وأكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط ألف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد أفلح فإن قلت ما تقول فيمن يقلب الثانية ألفا قلت هو لاحن خارج عن كلام العرب خروجين أحدهما الإقدام على جمع الساكنين على غير حده وحده أن يكون الأول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثاني إخطاء طريق التخفيف لأن طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها أن تخرج بين بين فأما القلب ألفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة رأس والإنذار التخويف من عقاب الله تعالى بالزجر عن المعاصي فإن قلت ما موقع لا يؤمنون قلت إما أن تكون جملة مؤكدة للجملة قبلها أو خبرا لأن والجملة قبلها اعتراض ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾ الختم والكتم أخوان لأن في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل إليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه إذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة فإن قلت ما معنى الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار قلت لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وإنما هو من باب المجاز ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم لأن الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده وأسماعهم لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء

إليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم وأبصارهم لأنها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين كأنما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الإدراك وأما التمثيل فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال ختم الإله على لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر وإذا أراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر نافر فإن قلت فلم أسند الختم إلى الله تعالى وإسناده إليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل إليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما أنا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين إن الله لا يأمر بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد إلى صفة القلوب بأنها كالمختوم عليها وأما إسناد الختم إلى الله تعالى فلينبه على أن هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي ألا ترى إلى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون أنه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل إليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز أن تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي إذا هلك وطارت به العنقاء إذا أطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وإنما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الأغتام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم أو بحال قلوب البهائم أنفسها أو بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز أن يستعار الإسناد في نفسه من غير الله للختم مسندا إلى اسم الله تعالى على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا أن للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فإسناده إلى الفاعل حقيقة وقد يسند إلى هذه الأشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها للفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الأسد في جراءته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر ونهر جار وأهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الأمير المدينة وناقة ضبوث وحلوب وقال إذا رد عافي القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة أو الكافر إلا أن الله سبحانه وتعالى لما كان هو الذي أقدره ومكنه أسند إليه الختم كما يسند الفعل إلى المسبب ووجه رابع وهو أنهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولا تجدي عليهم الألطاف المحصلة ولا المقربة إن أعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بأنه لا طريق إلى أن يؤمنوا طوعا واختيارا طريق إلى إيمانهم إلا القسر والإلجاء وإذا لم يبق طريق إلا أن يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والإلجاء بالختم إشعارا بأنهم الذين ترامى أمرهم في التصميم على الكفر والإصرار عليه إلى حد لا يتناهون عنه إلا بالقسر والإلجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي ووجه خامس وهو أن يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة فإن قلت اللفظ يحتمل أن تكون الأسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى أيهما يعول قلت على دخولها في حكم الختم لقوله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم فإن قلت أي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم قلت لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والأسماع في تعدية واحدة وحين استجد للأسماع تعدية على حدة كان أدل على شدة الختم في الموضعين

ووحد السمع كما وحد البطن في قوله • كلوا في بعض بطنكم تعفوا • يفعلون ذلك اذا امن اللبس فاذا لم يؤمن
كقولك فرسهم وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل
يدل عليه جمع الاذن في قوله وفي آذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا اي وعلى حواس سمعهم وقرأ
ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم **فان قلت** هل منع ابا عمرو والكسائي من امالة ابصارهم ما فيه
من حرف الاستعلاء وهو الصاد **قلت** ان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير
وذلك لعون شيء على الامالة وان يمال له ما لا يمال • البصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك
المرئيات كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما
آلتين للابصار والاستبصار • وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة
بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والنصب والرفع وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع
من العشا • والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه
ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه
ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي
عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة • والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير
فكأن العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير
تريد جثته او خطره • ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي
عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله • اللهم اجرنا من عذابك ولا تبتلنا بسخطك
يا واسع المغفرة **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين** افتتح سبحانه بذكر الذين
اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا
الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا والسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا وهم
الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم اليه
وامقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك انزل الله فيهم ان المنافقين في
الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها
خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم
ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة • وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا
كما تعطف الجملة على الجملة **واصل** ناس اناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الالوقة وحذفها مع لام التعريف
كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان واناسي وانس وسموا لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون
كما سمي الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا • ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصل الا ترى انك تقول في وزن قه
افعل وليس معك الا العين وحدها وهو من اسماء الجمع كرخال واما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف المكبر كابيات
ورويجل • ولام التعريف فيه للجنس ويجوز ان تكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم كانه قيل ومن هؤلاء
من يقول وهم عبد الله بن ابي واصحابه ومن كان في حالهم من اهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك
نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام • ومن في من يقول موصوفة كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله
من المؤمنين رجال ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي **فان قلت**
كيف يجعلون بعض اولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم **قلت** الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا
واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة
والاستهزاء لا يخرجهم من ان يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تتنوع بمغايرات وتعقب بين بعضها وبعض وتلك

المغايرات انما تأتي بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية • **فان قلت** لم اختص بالذكر الايمان بالله واليوم الآخر
قلت اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله
ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله تعالى وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم
آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم
عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم واروهم انهم مثلهم في
الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر وايضا فقد اوهموا في هذا المقال انهم اختاروا الايمان من جانبيه
واكتنفوه من قطريه واحاطوا باوله وآخره وفي تكرير الباء انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام
فان قلت كيف طابق قوله تعالى وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والاول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل
والثاني في شأن الفاعل لا الفعل **قلت** القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق ادّى الى الغرض المطلوب
وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما
علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم بانهم في انفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت
الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل البت والقطع ونحوه قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار
وما هم بخارجين منها هو ابلغ من قولك وما يخرجون منها **فان قلت** فلم جاء الايمان مطلقا في الثاني وهو مقيد
في الاول **قلت** يحتمل ان يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق انهم ليسوا من الايمان في شيء
لا من الايمان بالله وباليوم الآخر ولا من الايمان بغيرهما **فان قلت** ما المراد باليوم الآخر **قلت** يجوز ان يراد به
الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الاوقات المنقضية وان يراد الوقت المحدود من النشور
الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة التي لا حد للوقت بعده **يخادعون الله والذين
آمنوا وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون** • والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم
ضب خادع وخدع اذا امر الحارش يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه ثم خرج من باب آخر **فان قلت** كيف ذلك
ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع ولم
وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله • فاستمطروا من قريش كل منخدع • وقول ذي الرمة • ان الحليم وذا الاسلام
يختلب • فقد جاء النعت بالانخداع ولم يأت بالخدع **قلت** فيه وجوه احدها ان يقال كانت صورة صنعهم مع الله
حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين
عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين
معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامه عليهم • والثاني ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن
يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقا بكل معلوم و
لا انه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله ان يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان
يدلس على عباده ويخدعهم • والثالث ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته في الارض والناطق عنه بالاوامر والنواهي
مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه
مصداقه قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع الله • والرابع ان يكون
من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون
من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في
كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا بنفسه لانه كان معلوما له قديما كانه قيل
علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة لتعلق العلم بفضله **فان قلت** هل لاقتصاره بخادعت على واحد وجه
صحيح **قلت** وجهه ان يقال عني به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة

والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي
اليه ويعضده قراءة من قرا يخدعون الله والذين امنوا وما يخدعون • ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون
مستانفا كانه قيل فلم يدعون الايمان كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون فان قلت عما كانوا يخادعون
قلت كانوا يخادعون عن اغراضهم ومقاصدهم منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعما يطرقون به من غيرهم
من سائر الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنون من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ
من الغنائم ونحو ذلك من الفوائد • ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها
الى منابذيهم فان قلت فلو اظهر عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها قلت لم يظهر عليهم
لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقى ابليس وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من
اغواء المنافقين وتلقيتهم النفاق اشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه الله من المصلحة فان قلت ما المراد بقوله وما
يخادعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم
لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرر راجعة اليه
وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل
ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالاماني وان يراد وما يخدعون فجيء به على
لفظ يفاعلون للمبالغة • وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون
ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله • والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا
ثم قيل للقلب نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لان قوامها بالدم
وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين يصيبت
نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسه اذا تردد في الامر واتجه له رايان وداعيان لا يدري
على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعي النفس وهاجسي النفس فسموهما نفسين لما صدرا عن النفس واما لان
الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والامرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين • والمراد بالانفس هاهنا
ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم لان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم
ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم • والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان
حواسه • والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له • واستعمال
المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة ان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض والمجاز
ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها
واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت
الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد به هاهنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من
الغل والحسد والبغضاء لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين غلا
وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله في قوله قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم
اكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد
اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاك شرق بذلك
او يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون
من ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق اياما ثم يقر فضعفت حين ملكها اليأس عند
انزال الله على رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله • واما لجراءتهم وحسبانهم في الحرب فضعف

جبنا

جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر • ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله
الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله هو الذي زادهم ما ازدادوه اسناد الفعل
الى المسبب له كما اسند الى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا • او كلما زاد رسوله نصرة وبسطا
في البلاد ونقصا من اطراف الارض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع
فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا • ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع وقرا ابو عمرو في رواية
الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء • يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله تحية
بينهم ضرب وجيع • وهذا على طريقة قولهم جد جده • والالم في الحقيقة للمؤلم كما ان الجد للجاد • والمراد
بكذبهم قولهم امنا بالله وباليوم الاخر لاحق بهم من اجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا
نارا والقوم كفرة وانما خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها • والكذب الاخبار بالشيء على
خلاف ما هو به وهو قبيح كله واما ما يروى عن ابراهيم صلوات الله عليه انه كذب ثلاث كذبات فالمراد
التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به • وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وروي مرفوعا
اياكم والكذب فانه مجانب للايمان • وروي يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه • ومن كذب الذي هو
مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدّق ونظيرهما بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلّص • او بمعنى الكثرة
كقولك موتت البهائم وبركت الابل • او من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان
المنافق متوقف متردد في امره ولذلك قيل له مذبذب • وقال صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة
العائرة بين الغنمين الى هذه مرة والى هذه اخرى • واذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على
يقول لما انك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا لكان صحيحا والاول اوجه • الفساد خروج
الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة
• والفساد في الارض تهييج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال
الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث
والنسل اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء • ومنه قيل لحرب كانت بين طيئ حرب الفساد • وكان فساد
المنافقين في الارض انهم كانوا يمالئون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم
وذلك مما يؤدي الى تهييج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول
للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما هذه عاقبته • وانما لقصر الحكم على شيء
كقولك انما ينطلق زيد او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد كاتب • ومعنى انما نحن مصلحون ان صفة
المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد • والا مركبة من همزة
الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقيق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد
تحقيقا كقوله اليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة
بنحو ما يتلقى به القسم واختها اما التي هي من مقدمات اليمين وطلائعها اما والذي لا يعلم الغيب غيره اما والذي
ابكى واضحك والذي امات واحيا والذي امره الامر • رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين
ابلغ رد وادل على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستيناف وما في كلتا الكلمتين الا وان من
التاكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون • اتوهم في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح
ما كانوا عليه لنفوره من الصواب وجره الى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوي
الاحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم ان سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم

وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة. فإن قلت كيف صح أن يسند قيل إلى لا تفسدوا وآمنوا وإسناد
الفعل إلى الفعل مما لا يصح؟ قلت: الذي لا يصح هو إسناد الفعل إلى معنى الفعل، وهذا إسناد له إلى لفظه
كأنه قيل وإذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك ألف ضرب من ثلاثة أحرف، ومنه زعموا مطية الكذب
وما في كما يجوز أن تكون كافة مثلها في ربما وأن تكون مصدرية مثلها في بما رحبت. واللام في الناس للعهد أي
كما آمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وهم ناس معهودون أو عبد الله بن سلام وأشياعه
لأنهم من جلدتهم وأبناء جنسهم أي كما آمن أصحابكم وإخوانكم، أو للجنس أي كما آمن الكاملون في الإنسانية
أو جعل المؤمنين كأنهم الناس في الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل، والاستفهام
في أنؤمن في معنى الإنكار. واللام في السفهاء مشار بها إلى الناس كما تقول لصاحبك إن زيدا قد سعى بك
فتقول أو قد فعل السفيه؟ ويجوز أن تكون للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لأنهم
عندهم أعرق الناس في السفه. فإن قلت لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح؟ قلت
لجهلهم وإخلالهم بالنظر وإنصاف أنفسهم اعتقدوا أن ما هم فيه حق وأن ما عداه باطل، ومن ركب متن
الباطل كان سفيها، ولأنهم كانوا في رياسة وسطة في قومهم ويسار وكان أكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال
كصهيب وبلال وخباب، فدعوهم سفهاء تحقيرا لشأنهم، أو أرادوا عبد الله بن سلام وأصحابه ومفارقتهم
دينهم وما غاظهم من إسلامهم وفت في أعضادهم، قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم أنهم
من السفه بمعزل. والسفه سخافة العقل وخفة الحلم. فإن قلت لم فصلت هذه الآية بلا يعلمون
والتي قبلها بلا يشعرون؟ قلت لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج
إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة، وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدي إلى الفتنة والفساد
في الأرض فأمر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان
قائما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب فهو كالمحسوس المشاهد، ولأنه قد ذكر السفه وهو جهل فكان
العلم معه أحسن طباقا. قال مساق هذه الآية بخلاف ما سيقت له أول قصة المنافقين فليس بتكرير
لأن تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه لبيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب
والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وإيهامهم أنهم معهم فإذا فارقوهم إلى شطارهم صدقوهم
ما في قلوبهم. روي أن عبد الله بن أبي وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال عبد الله انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا
بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله
ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد
علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله، ثم افترقوا
فقال لأصحابه كيف رأيتموني فعلت فأثنوا عليه خيرا فنزلت. ويقال لقيته ولاقيته إذا استقبلته قريبا
منه وهو جار ملاق. وقرأ أبو حنيفة رحمه الله وإذا لاقوا. وخلوت بفلان وإليه إذا انفردت معه
أو يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم أي عداك ومضى عنك، ومنه القرون الخالية. ومن خلوت به إذا
سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه إذا أنهوا السخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم
وحدثوهم بها كما تقول أحمد إليك فلانا وأذمه إليك. وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم
وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه أصلية وفي آخر زائدة، والدليل على أصالتها
قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن إذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط إذا بطل إذا جعلت
نونه زائدة ومن أسمائه الباطل. إنا معكم إنا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم. فإن قلت لم

كانت

كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بإن؟ قلت ليس ما خاطبوا به المؤمنين
جديرا بأقوى الكلامين وأوكدهما لأنهم في ادعاء حدوث الإيمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء أنهم أوحديون
في الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك إما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك
وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد، وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد
والمبالغة، وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والأنصار الذين مثلهم
في التوراة والإنجيل، ألا ترى إلى حكاية الله قول المؤمنين ربنا إننا آمنا، وأما مخاطبة إخوانهم فهم فيما
أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من أن يزلوا عنه على صدق
رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به، وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة
للتحقيق ومئنة للتوكيد. فإن قلت أنى تعلق قوله إنما نحن مستهزءون بقوله إنا معكم؟ قلت
هو توكيد له لأن قوله إنا معكم معناه الثبات على اليهودية، وقوله إنما نحن مستهزءون رد للإسلام ودفع
له لأن المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به، ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته، أو بدل
منه لأن من حقر الإسلام فقد عظم الكفر، أو استئناف كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم إنا معكم
قالوا ما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أهل الإسلام فقالوا إنما نحن مستهزءون، والاستهزاء السخرية والا
وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع، وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب مشيت
فلغبت فظننت لأهزأن على مكاني، وناقته تهزأ به أي تسرع وتخف. فإن قلت لا يجوز الاستهزاء
على الله تعالى لأنه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب والجهل، ألا ترى إلى قوله أتتخذنا هزوا قال
أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، فما معنى استهزائه بهم؟ قلت معناه إنزال الهوان والحقارة بهم لأن
المستهزئ غرضه الذي يرومه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وإدخال الهوان والحقارة عليه
والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك، وقد كثر التهكم في كلام الله تعالى بالكفرة، والمراد به تحقير شأنهم
وازدراء أمرهم، والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون، ويجوز
أن يراد به ما مر في يخادعون من أنه تجري عليهم أحكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بإدخار ما يراد
بهم من العذاب. وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه. فإن قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله؟ قلت
هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة، وفيه أن الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس
استهزاؤهم إليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل، وفيه
أن الله تعالى هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين، ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله. فإن قلت
هلا قيل إن الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله إنما نحن مستهزءون؟ قلت لأن يستهزئ يفيد حدوث
الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت، وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم، أولا يرون أنهم
يفتنون في كل عام مرة أو مرتين، وما كانوا يخلون في أكثر أوقاتهم من تهتك أستار وتكشف أسرار ونزول
في شأنهم واستشعار حذر من أن تنزل فيهم، يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم
قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون. ويمدهم في طغيانهم من مد الجيش وأمده إذا زاده وألحق
به ما يقويه ويكثره، وكذلك مد الدواة وأمدها زادها ما يصلحها، ومددت السراج والأرض إذا استصلحتهما
بالزيت والسماد. ومده الشيطان في الغي وأمده إذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد
انهماكا فيه. فإن قلت لم زعمت أنه من المدد دون المد في العمر والإملاء والإمهال؟ قلت كفى
دليلا على أنه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم. وقراءة نافع وإخوانهم

يمدونهم على ان الذي بمعنى امهلهم انما هو مدّ له مع اللام كأملى له فان قلت فكيف جاز
ان يولّيهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشياطين الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم في
الغي قلت اما ان يحمل على انهم لما منعهم الله ألطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب
كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في
قلوب المؤمنين فسمى ذلك التزايد مددا واسند الى الله سبحانه لانه مسبب عن فعله بسبب كفرهم
واما على منع القسر والالجاء واما على ان يسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره
والتخلية بينه وبين اغواء عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالامهال
وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على ان
يسندوا الى الله ما اسند الى الشيطان ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته والا كان
بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسري كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد في مذاهبه
بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فاذا لم يتعاهد
اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره
في ضلالتهم يتمادون وان هؤلاء من اهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو
وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه في طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان
اي نكتة في اضافته اليهم قلت ليعلم ان الطغيان والتمادي في الضلالة مما
اقترفته انفسهم واجترحته ايديهم وان الله بريء منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء
الله ما اشركنا ولا آباؤنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد اليه لو لم يضف الطغيان اليهم
ان الطغيان فعل الله فلما اسند المد اليه على الطريق الذي ذكر اضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة ويقلعها
ويدفع في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى الشياطين اطلق الغي ولم
يقيده بالاضافة في قوله واخوانهم يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى الا ان العمى عام في البصر والرأي
والعمه في الرأي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري اين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه اي الذين
لا رأي لهم ولا دراية بالطرق وسلك ارضا عمهاء لا منار بها ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى
اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر ومنه

اخذت بالجمة رأسا ازعرا * وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيدرا * كما اشترى المسلم اذ تنصرا

وعن وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به بني اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا
بعمل الآخرة فان قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا
لتمكنهم منه واعراضه لهم كأنه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به
ولان الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة
الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين
والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي الشف من قولك اشف بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا
على هذا شف والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كانها من
حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرأ ابن ابي عبلة تجاراتهم فان قلت كيف اسند الخسران
الى التجارة وهو لاربابها قلت هو من الاسناد المجازي وهو ان يسند الفعل الى شيء يتلبس
بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين فان قلت هل يصح ربحت عبيدك وخسرت

جاريتك

جاريتك على الاسناد المجازي قلت نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رأيت اسدا وانت تريد
المقدام ان لم تقم حال دالة لم يصح فان قلت هب ان شراء الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى
الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبايعة على الحقيقة قلت هذا من الصنعة
البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو ان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى باشكالها واخوات
اذا تلاحقن لم تر كلاما احسن منه ديباجة واكثر ماء ورونقا منه وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول
العرب في البليد كأن اذني قلبه خطلاوان وجعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة
فادعوا لقلبه اذنين وادعوا لها الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة
معاينة ونحوه ولما رأيت النسر عز ابن داية * وعشش في وكريه جاش له صدري فلما شبه
الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاك العرب في امه

فما ام الردين وان ادلت * بعالمة باخلاق الكرام
اذا الشيطان قصع في قفاها * تنفقناه بالحبل التؤام

اي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى المحكم يريد اذا حردت واساءت
الخلق اجتهدنا في ازالة غضبها واماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع اولا ثم ضم اليه التنفق
ثم الحبل التؤام فكذلك لما ذكر سبحانه الشراء اتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه
اليه تمثيلا لخسارتهم وتصويرا لحقيقته فان قلت ما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما
كانوا مهتدين قلت ان المعنى الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان سلامة رأس المال
والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين معا لان رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة
وحين لم يبق في ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بما ظفروا به من الاغراض
الدنيوية لان الضال خاسر دامر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين
لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب
المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس
بالخفي في ابراز خبيئات المعاني ورفع الاستار عن الحقائق حتى يريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم
في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الابي ولامر ما
اكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه امثاله وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام
الانبياء والحكماء قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل
سورة الامثال والمثل في كلامهم بمعنى المثل والنظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه
ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا رأوه اهلا للتسيير ولا جديرا
بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير
فان قلت ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه
احد المثلين بصاحبه قلت قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال او الصفة
او القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا
وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون اي وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة
ثم اخذ في بيان عجائبها ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة مثلهم في التوراة
اي صفتهم وشأنهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه
صفة للعجيب الشأن فان قلت كيف مثلت الجماعة بالواحد قلت وضع الذي موضع الذين

كقوله وخضتم كالذي خاضوا والذي يسوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع
القائمين ولا نحوه من الصفات امران احدهما ان الذي لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر
وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه
ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في اسماء الفاعلين والمفعولين والثاني ان جمعه ليس بمنزلة
جمع غيره بالواو والنون انما ذلك علامة لزيادة الدلالة الا ترى ان سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد
فيهن واحد او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد على ان المنافقين
وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة
المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله ينظرون اليك
نظر المغشي عليه من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن اخواته تنوق في الجبل اذا صعد
وعلا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوءها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة
واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها والاضاءة فرط الانارة
ومصداق ذلك قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية مسندة الى ما حوله
والتأنيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء ويعضده قراءة ابن ابي عبلة ضاءت
وفيه وجه آخر وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار بمنزلة اشراق النار نفسها
على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتأليف الحول للدوران والاطافة
وقيل للعام حول لانه يدور فان قلت اين جواب لما قلت فيه وجهان احدهما ان جوابه
ذهب الله بنورهم والثاني انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام
مع امن الالباس للدال عليه وكان الحذف اولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة
التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا
خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار فان قلت
فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم قلت يكون كلاما مستأنفا كانهم لما
شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال
هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان فان قلت قد رجع
الضمير في هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني قلت مرجعه الى الذي استوقد لانه
في معنى الجمع واما جمع هذا الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى فان قلت
فما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى في ذهب الله بنورهم قلت اذا طفئت النار بسبب سماوي ريح
او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد ووجه آخر وهو ان يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد
نار لا يرضاها الله تعالى ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام فتلك النار متقاصرة
مدة اشتعالها قليلة البقاء الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية
اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العبث فاطفاها الله
وخيب امانيهم فان قلت كيف صح في النار المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد قلت
هو خارج على سبيل المجاز المرشح فاحسن تدبره فان قلت فهلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما
اضاءت قلت ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور
عنهم راسا وطمسه اصلا الا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه
وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله

لا يبصرون

لا يبصرون فان قلت فلم وصفت بالاضاءة قلت هذا على مذهب قولهم للباطل صولة
ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل نزوة كل طماح والفرق بين اذهبه وذهب
به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان
بماله اخذه فلما ذهبوا به اذا لذهب كل اله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه
وما يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وقرأ اليماني اذهب الله نورهم وترك
بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فاذا علق بشيئين كان مضمنا
معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب كقول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه ومنه
قوله وتركهم في ظلمات اصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزئين والظلمة عدم النور وقيل
عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد البصر
وتمنع الرؤية وقرأ الحسن ظلمات بسكون اللام وقرأ اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول
الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر
المنوي كان الفعل غير متعد اصلا نحو يعمهون في قوله ويذرهم في طغيانهم يعمهون فان قلت فيم
شبهت حالهم بحال المستوقد قلت في انهم غب الاضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة فان
قلت واين الاضاءة في حال المنافق وهل هو ابدا الا حائر خابط في ظلمات الكفر قلت المراد ما استضاؤوا
به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق
التي ترمي بهم الى سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع
الله على اسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والاوجه ان يراد الطبع
لقوله صم بكم عمي وفي الآية تفسير آخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب
ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة
التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم كانت
حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا
ويتبصروا بعيونهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ... وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا
اصم عن الشيء الذي لا اريده ... واسمع خلق الله حين اريد
اصم عما ساءه سميع ... واصممت عمرا
واعميته عن الجود والفخر يوم الفخار فان قلت كيف طريقته عند علماء البيان قلت طريقة
قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا في الصفات وذاك في الاسماء وقد جاءت الاستعارة
في الاسماء والصفات والافعال جميعا تقول رأيت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الاسلام واضاء الحق
فان قلت هل يسمى ما في الآية استعارة قلت مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا
لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له
ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال او فحوى الكلام
كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين
السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال ابو تمام ويصعد حتى يظن
الجهول بان له حاجة في السماء ولبعضهم [illegible]
وليس لقائل ان يقول طوي ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدأ فاتسلق بذلك الى تسميته استعارة
لانه في حكم المنطوق به ونظيره قول من يخاطب الحجاج اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر

صيغة التنافي. ومعنى لا يرجعون انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه وعن الضلالة بعد ان اشتروها
تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا
يدرون ايتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدؤوا منه. **او كصيب من السماء فيه
ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين
يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب
بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير** ثم ثنى الله سبحانه في شانهم بتمثيل اخر ليكون كشفا لحالهم
بعد كشف وايضاحا غب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب
عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع. انشد الجاحظ: يرمون بالخطب الطوال وتارة
وحي الملاحظ خيفة الرقباء. ومما ثني من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور
ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات. الا ترى الى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته
اذاك ام نمش بالوشي اكرعه. اذاك ام خاضب بالسي مرتعه. **فان قلت** شبه المنافق في التمثيل الاول
بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بالانطفاء فماذا شبه في التمثيل الثاني
بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق. **قلت** لقائل ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب لان
القلوب تحيى به حياة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد
والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق. والمعنى او كمثل
ذوي صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا. **فان قلت** هذا تشبيه
اشياء باشياء فاين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا
الصالحات ولا المسيء. وفي قول امرئ القيس: كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف
البالي. **قلت** كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا
عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج. ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل
والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف
لواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه ان العرب تاخذ اشياء فرادى معزولا بعضها
من بعض لم ياخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القران وتشبه
كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله
تعالى مثل الذين حملوا التوراة الاية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة واياتها الباهرة
بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما
سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا
كماء انزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء هذا النبات فاما ان يراد تشبيه الافراد
بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا. فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم
وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت ناره
بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق.
فان قلت الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك او كمثل ذوي صيب
هل تقدر مثله في المركب منه. **قلت** لولا طلب الراجع في قوله يجعلون اصابعهم في اذانهم ما يرجع
اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لاني اراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي اولي حرف التشبيه
مفرد يتاتى التشبيه به ام لم يله الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء الاية كيف ولي

الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد اخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد
وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع. لم يشبه الناس بالديار وانما شبه
وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول اهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها
خلاء خاوية. **فان قلت** اي التمثيلين ابلغ. **قلت** الثاني لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر
وفظاعته ولذلك اخر وهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ. **فان قلت** لم عطف احد
التمثيلين على الاخر بحرف الشك. **قلت** او في اصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها
فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان في استصواب
ان يجالسا ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا اي الاثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما
فكذلك قوله او كصيب من السماء معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين
وان القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب وان
مثلتها بهما جميعا فكذلك. **والصيب** المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا
قال الشماخ: واسحم دان صادق الرعد صيب. وتنكير صيب لانه اريد نوع من المطر شديد
هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول. وقرئ او كصائب والصيب ابلغ. **والسماء** هذه المظلة وعن الحسن
انها موج مكفوف. **فان قلت** قوله من السماء ما الفائدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء. **قلت**
الفائدة فيه انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب من سماء اي من افق واحد من بين سائر الافاق لان
كل افق من افاقها سماء كما ان كل طبقة من الطباق سماء في قوله واوحى في كل سماء امرها والدليل عليه قوله
ومن بعد ارض بيننا وسماء. والمعنى انه غمام مطبق اخذ بافاق السماء كما جاء بصيب وفيه مبالغات
من جهة التركيب والبناء والتنكير امد ذلك بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السماء ينحدر ومنها ياخذ
ماءه لا كزعم من يزعم انه ياخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد. **فان قلت**
بم ارتفع ظلمات. **قلت** بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف. **والرعد** الصوت الذي يسمع من السحاب
كان اجرام السحاب تضطرب وتنتفض وترتعد اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد. **والبرق** الذي يلمع
من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع. **فان قلت** قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو من ان يراد به السحاب او المطر فايهما اريد فما ظلماته. **قلت** اما ظلمات السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه وتتابع القطر وظلمة اظلال الغمامة مع ظلمة الليل. **فان قلت** كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب. **قلت** اذا كانا في اعلاه ومصبه وملتبسين به في الجملة فهما فيه. **فان قلت** هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ. **قلت** الرعد والبرق مصدران في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا فروعي حكم اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع. وانما نكرت لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف. وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال او هم قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف عول على بقاء معناه في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير في يصفق لان المعنى ماء بردى. ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكان قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في اذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق

يخطف أبصارهم ✱ فإن قلت رؤوس الأصابع هي التي تجعل في الآذان فهلا قيل أناملهم قلت
هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وأيديكم فاقطعوا
أيديهما أراد البعض الذي إلى المرفق والذي إلى الرسغ وأيضا ففي ذكر الأصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل
فإن قلت فالأصبع التي تسد بها الأذن أصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص قلت لأن
السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن ألا ترى أنهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة
والسباحة والمهللة والدعاءة فإن قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت هي ألفاظ مستحدثة
لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وإنما أحدثوها بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون أي من أجل الصواعق يجعلون
أصابعهم في آذانهم كقولك سقاه من العيمة ✱ والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا
تنقدح من السحاب إذا اصطكت أجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء إلا أتت عليه إلا أنها مع حدتها
سريعة الخمود يحكى أنها سقطت على نخلة فأحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة إذا
أهلكته فصعق أي مات إما بشدة الصوت وبالإحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا ✱ وقرأ الحسن من
الصواقع وليس بقلب للصواعق لأن كلا البناءين سواء في التصرف وإذا استويا كان كل واحد بناء على حياله ألا
ترى أنك تقول صقعه على رأسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ في جذب ليس
بقلبه لاستوائهما في التصرف وبناؤها إما أن تكون صفة لقصفة الرعد أو للرعد والتاء مبالغة كما في الراوية
أو مصدرا كالكاذبة والعافية ✱ وقرأ ابن أبي ليلى حذار الموت وانتصب على أنه مفعول له ✱ كقوله وأغفر
عوراء الكريم ادخاره ✱ والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه إحساس معاقب للحيوة ✱ وإحاطة
الله بالكافرين مجاز والمعنى أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل
لها ✱ والخطف الأخذ بسرعة ✱ وقرأ مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح أفصح وأعلى ✱ وعن ابن مسعود رضي
الله عنه يختطف ✱ وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء وأصله يختطف وعنه يخطف من خطف ✱
وعن أبي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما أضاء لهم استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول كيف يصنعون
في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الأمر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من
غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون إذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف أن يخطف أبصارهم انتهزوا
تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فإذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ✱ ولو شاء
الله لزاد في قصيف الرعد فأصمهم أو في ضوء البرق فأعماهم ✱ وأضاء إما متعد بمعنى كلما نور لهم مسلكا
أخذوه والمفعول محذوف وإما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده
قراءة ابن أبي عبلة كلما ضاء لهم ✱ والمشي جنس الحركة المخصوصة فإذا اشتد فهو سعي فإذا ازداد فهو عدو
فإن قلت كيف قيل مع الإضاءة كلما ومع الإظلام إذا قلت لأنهم حراص على وجود ما همهم به معقود
من إمكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس ✱ وأظلم يحتمل أن يكون
غير متعد وهو الظاهر وأن يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة يزيد بن قطيب أظلم على ما لم يسم
فاعله وجاء في شعر حبيب بن أوس ✱ هما أظلما حالي ثمت أجليا ✱ ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب ✱ وهو وإن
كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ألا ترى إلى قول
العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه ✱ ومعنى قاموا وقفوا
وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق إذا ركدت وقام الماء جمد ومفعول شاء محذوف لأن الجواب يدل عليه والمعنى
ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء وأراد لا يكادون يبرزون
المفعول إلا في الشيء المستغرب كنحو قوله ✱ ولو شئت أن أبكي دما لبكيته ✱ وقوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا لو

أراد الله

أراد الله أن يتخذ ولدا ولو أراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق ✱ وقرأ
ابن أبي عبلة لأذهب بأسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بأيديكم ✱ والشيء ما صح أن يعلم ويخبر عنه قال
سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري أواخر الكلم من العربية وإنما يخرج التأنيث من التذكير ألا ترى
أن الشيء يقع على كل ما أخبر عنه من قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى والشيء مذكر وهو أعم العام كما أن الله تعالى
أخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالأشياء أي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى
المعدوم والمحال فإن قلت كيف قيل على كل شيء قدير وفي الأشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر
قلت مشروط في حد القادر أن لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر
على الأشياء كلها فكأنه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان أمير على الناس أي على من وراءه منهم ولم يدخل
فيهم نفسه وإن كان من جملة الناس وأما الفعل بين قادرين فمختلف فيه فإن قلت مم اشتقاق القدير
قلت من التقدير لأنه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز يا أيها الناس
اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ✱ لما عدد سبحانه فرق المكلفين من
المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها
ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها أقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله إياك نعبد وإياك
نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لك
إن فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت يا فلان
من حقك أن تلزم الطريقة الحميدة في مجاري أمورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك
نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت إصغاءه إلى إرشادك زيادة استدعاء وأوجدته
بالانتقال من الغيبة إلى المواجهة هازا من طبعه ما لا يجده إذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان
في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الأنفس للقبول وبلغنا
بإسناد صحيح عن إبراهيم عن علقمة كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فهو مكي ويا أيها الذين آمنوا فهو مدني فقوله
يا أيها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة ✱ ويا حرف وضع في أصله لنداء البعيد صوت يهتف به
الرجل بمن يناديه وأما نداء القريب فله أي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وإن قرب تنزيلا
له منزلة من بعد فإذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معني به جدا
فإن قلت فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو أقرب إليه من حبل الوريد وأسمع به وأبصر
قلت هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه إلى رضوان الله ومنازل المقربين
هضما لنفسه وإقرارا عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والإذن لندائه وابتهاله
وأي وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام كما أن ذو والذي وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس ووصف
المعارف بالجمل وهو اسم مبهم مفتقر إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري
مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء هو أي والاسم التابع له صفته
كقولك يا زيد الظريف إلا أن أيا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي هذا التدرج
من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين
معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه أي من الإضافة فإن قلت لم
كثر في كتاب الله تعالى النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره قلت لاستقلاله بأوجه من التأكيد
وأسباب من المبالغة لأن كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده
واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم وغير ذلك مما أنطق به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعان

عليهم ان يتيقظوا لها وليميلوا بقلوبهم ويصغوا باذانهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال النداء بالآكد الابلغ فان قلت لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المؤمنين والكافرين جميعا او الى الكفار خاصة على ما روي عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف امروا بما هم ملتبسون به وهل هو الا كقول القائل • فلو اني فعلت كنت ممن • تسأله وهو قائم ان يقوما • واما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط على المأمور بالصلاة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم ينفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فان قلت فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا لشيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها قلت الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا آخر فان قلت ربكم ما المراد به قلت كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فان خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والارض والآلهة التي كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذي خلقكم صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للفريقين جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة الا ان الاول اوضح واصح • والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرأ ابو عمرو خلقكم بالادغام • وقرأ ابو السميفع وخلق من قبلكم وفي قراءة زيد بن علي والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها على اشكالها ان يقال اقحم الموصول الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كما اقحم جرير في قوله • يا تيم تيم عدي لا ابا لكم • تيم الثاني بين الاول وما اضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه في لا ابا لك • ولعل للترجي والاشفاق تقول لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قوله والذين آمنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الاطماع في مواضع من القرآن ولكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجري اطماعه مجرى وعده المحتوم وفاء به قال من قال ان لعل بمعنى كي ولعل لا تكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما القيت اليك وايضا فمن ديدن الملوك وما عليه اوضاع امرهم ورسومهم ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات او يخيلوا اخالة او يظفر منهم بالرمزة او الابتسامة او النظرة الحلوة فاذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملوك ذي العزة والكبرياء • او يجيء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم فان قلت فلعل التي في الآية ما معناها وما موقعها قلت ليست مما ذكرناه في شيء لان قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان يحمل على رجاء الله تقواهم لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في ايديهم زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا ليترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وان لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار فان قلت كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم قلت لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على

الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا فان قلت فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم قلت ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا قيل اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العبادة كان ابعث على العبادة واشد الزاما لها واثبت لها في النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يميني الا لجر الاثقال ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم احياء قادرين اولا لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ثم خلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون ذلك معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو قادر عليه • والموصول مع صلته اما ان يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح وقرأ يزيد الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس انهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه وبساطه ومهاده فان قلت هل فيه دليل على ان الارض مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح او شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها واذا كان متسهلا في الجبل الذي هو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول والعرض اسهل • والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء او طرافا وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا ما معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته قلت المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان ينشئ الاجناس كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وافكارا صالحة وزيادة طمأنينة وسكون الى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في انشائها بغتة من غير تدريج وترتيب • ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فاخرجنا به من كل الثمرات وقوله فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين اعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية كانه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز ان تكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا فان قلت فبم انتصب رزقا قلت ان كانت من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا لاخرج فان قلت فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر او الثمار قلت فيه وجهان احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه

تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هي مدرة ملحق ولان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات ثلثة قروء
وقرا ابن السميفع من الثمرة على التوحيد • ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم فان قلت بم تعلق فلا تجعلوا قلت فيه ثلثة اوجه ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل له ند ولا شريك او بلعل على ان ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله عز وجل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي حفكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء • والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا • وما تيم لذي حسب نديد • وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه فان قلت كانوا يسمون اصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف الله وتناويه قلت لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شانهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه • اربا واحدا ام الف رب • ادين اذا تقسمت الامور • وقرا محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا فان قلت ما معنى وانتم تعلمون قلت معناه وحالكم وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزلة لا تدعى عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنو الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كانه قيل وانتم من اهل المعرفة والعلم والتوبيخ فيه آكد اي انتم العرافون المميزون ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل • ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل • او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى على ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة واراهم كيف يتعرفون اهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند نفسه كما يدعون بارشادهم الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته • فان قلت لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال قلت لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيئا فشيئا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسائله ضربة فلو انزله الله لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه

القرآن

القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج • فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلم نجما فردا من نجومه سورة من اصغر السور او آيات شتى مفتريات وهذه غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل • وقرئ على عبادنا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته • والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلث آيات وواوها ان كانت اصلا فاما ان تسمى بسورة المدينة وهي حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها واما ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة • ولرهط حراب وقد سورة • في المجد ليس غرابها بمطار • لاحد المعنيين لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي ايضا في انفسها مترتبة طوال واوساط وقصار او لرفعة شانها وجلالة محلها في الدين • وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من القرآن كالسورة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه • فان قلت ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا قلت ليست الفائدة في ذلك واحدة ولامر ما انزل الله التوراة والانجيل والزبور وسائر ما اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم • ومن فوائده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل وافخم من ان يكون بيانا واحدا • ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له واهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى راس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزا القراء القرآن اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا • ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرا البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثمة كانت القراءة في الصلاة بسورة تامة افضل • ومنها ان التفصيل سبب تلاحق الاشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوائد والمنافع • من مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كائنة من مثله • والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فاتوا والضمير للعبد • فان قلت وما مثله حتى ياتوا بسورة من ذلك المثل قلت معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم او فاتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرا الكتب ولم ياخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثري للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج • ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى فاتوا بسورة مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولان القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على اصح الاساليب والكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا يفك عنه برد الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن منزل من عند الله فهاتوا انتم نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولانهم اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بان ياتوا بطائفة يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليات واحد آخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم • والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة • ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدني الحقير

ودون الكتب إذا جمعها لأن جمع الأشياء إدناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها، يقال هذا دون ذاك إذا كان أحط منه قليلاً، ودونك هذا أصله خذه من دونك أي من أدنى مكان منك فاختصر، واستعير للتفاوت في الأحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم، ومنه قول من قال لعدوه وقد أثنى عليه: أنا دون هذا وفوق ما في نفسك، واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد وتخطي حكم إلى حكم، قال الله تعالى: لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، أي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين. **قال** أمية: يا نفس ما لك دون الله من واق • أي إذا تجاوزت وقاية الله ولم تنلها لم يقك غيره • ومن دون الله متعلق بادعوا أو بشهداءكم، فإن علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة أنكم على الحق، أو ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله، من قول الأعشى: تريك القذى من دونها وهي دونه • أي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها ولطافتها، وفي أمرهم أن يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم • أو ادعوا شهداءكم من دون الله أي من دون أوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم أنكم أتيتم بمثله، وهذا من المساهلة وإرخاء العنان والإشعار بأن شهداءهم وهم مدره القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تأبى عليهم الطباع وتجمح بهم الإنسانية والأنفة أن يرضوا لأنفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم إحالته، وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه جائز، وإن علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم، يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد أن ما ندعيه حق كما يقول العاجز عن إقامة البينة على صحة دعواه، وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوى عند الحكام، وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخذالهم وأن الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثاً غير قولهم الله يشهد أنا لصادقون، وقولهم هذا تسجيل منهم على أنفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة • وعن بعض العرب أنه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله، فقيل له قولك والحمد لله في هذا المقام ريبة • أو ادعوا من دون شهداءكم، يعني أن الله شاهدكم لأنه أقرب إليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين أعناق رواحلكم، والإنس والجن شاهدوكم، فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والإنس إلا الله تعالى لأنه القادر وحده على أن يأتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم، فهو في معنى قوله تعالى: قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله.

فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين • لما أرشدهم إلى الجهة التي منها يتعرفون أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه من باطله، قال لهم فإذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم أنه معجوز عنه فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق، فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب، وفيه دليلان على إثبات النبوة: صحة كون المتحدى به معجزاً، والإخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه إلا الله تعالى. **فإن قلت** انتفاء إتيانهم بالسورة واجب، فهلا جيء بإذا الذي للوجوب دون إن التي للشك؟ **قلت** فيه وجهان: أحدهما أن يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم، وأن العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام • والثاني أن يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يعاديه: إن غلبتك لم أبق عليك، وهو يعلم أنه غالبه ويتيقنه تهكماً به. **فإن قلت** لم عبر عن الإتيان بالفعل، وأي فائدة في تركه إليه؟ **قلت** لأنه فعل من الأفعال، تقول أتيت فلاناً فيقال لك نعم ما فعلت، والفائدة فيه أنه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصاراً ووجازة تغنيك عن طول المكني عنه، ألا ترى أن الرجل يقول ضربت زيداً في موضع كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات وأفعالاً فتقول بئس ما فعلت،

ولو ذكرت

ولو ذكرت ما أنبت عنه لطال عليك، وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الإتيان إلى لفظ الفعل لاستطيل أن يقال: فإن لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله. **فإن قلت** ولن تفعلوا ما محلها؟ **قلت** لا محل لها لأنها جملة اعتراضية. **فإن قلت** ما حقيقة لن في باب النفي؟ **قلت** لا ولن أختان في نفي المستقبل، إلا أن في لن توكيداً وتشديداً، تقول لصاحبك: لا أقيم غداً، فإن أنكر عليك قلت: لن أقيم غداً، كما تفعل في أنا مقيم وإني مقيم، وهي عند الخليل في إحدى الروايتين أصلها لا أن، وعند الفراء لا أبدلت ألفها نوناً، وعند سيبويه وإحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتأكيد نفي المستقبل. **فإن قلت** من أين تضمن الإخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة؟ **قلت** لأنهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع أن يتواصفه الناس ويتناقلوه، إذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال، لا سيما والطاعنون فيه أكثر عدداً من الذابين عنه، فحين لم ينقل علم أنه إخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة. **فإن قلت** ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثله؟ **قلت** أنهم إذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار، فقيل لهم إن استبنتم العجز فاتركوا العناد، فوضع فاتقوا النار موضعه لأن اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث أنه من نتائجه، لأن من اتقى النار ترك المعاندة، ونظيره أن يقول الملك لحشمه: إن أردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي، يريد فأطيعوني واتبعوا أمري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط، وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة، وفائدته الإيجاز الذي هو من حلية القرآن، وتهويل شأن العناد بإنابة اتقاء النار منابه وإبرازه في صورته مشيعاً ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع أمرها • والوقود ما ترفع به النار، وأما المصدر فمضموم، وقد جاء فيه الفتح • قال سيبويه: وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقوداً عالياً، ثم قال: والوقود أكثر، والوقود الحطب • وقرأ عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر، كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده • ويجوز أن يكون مثل قولك حياة المصباح السليط، أي ليست حياته إلا به، فكأن نفس السليط حياته. **فإن قلت** صلة الذي والتي يجب أن تكون قصة معلومة للمخاطب، فكيف علم أولئك أن نار الآخرة توقد بالناس والحجارة؟ **قلت** لا يمتنع أن يتقدم لهم بذلك سماع من أهل الكتاب أو سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم: ناراً وقودها الناس والحجارة. **فإن قلت** فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وههنا معرفة؟ **قلت** تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها ناراً موصوفة بهذه الصفة، ثم نزلت هذه بالمدينة مشاراً بها إلى ما عرفوه أولاً. **فإن قلت** ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة؟ **قلت** معناه أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة، وبأن غيرها إن أريد إحراق الناس بها أو إحماء الحجارة أوقدت أولاً بوقود ثم طرح فيها ما يراد إحراقه أو إحماؤه، وتلك أعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما يحرق ويحمى بالنار، وبأنها لإفراط حرها وشدة ذكائها إذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها. **فإن قلت** أنار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة أم هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة؟ **قلت** بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة، يدل على ذلك تنكيرها في قوله تعالى: قوا أنفسكم وأهليكم ناراً، فأنذرتكم ناراً تلظى، ولعل لكفار الجن وشياطينهم ناراً وقودها الشياطين، كما أن لكفرة الإنس ناراً وقودها هم، جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب. **فإن قلت** لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقوداً؟ **قلت** لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا حيث نحتوها أصناماً وجعلوها لله أنداداً وعبدوها من دونه، قال الله تعالى: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم، وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه، فقوله إنكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة، وحصب جهنم في معنى وقودها، ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله

انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم
فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم
وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم
وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل • اعدت
هيئت وجعلت عدة لعذابهم • وقرا عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة • وبشر الذين امنوا وعملوا
الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من
قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون • من عادته عز وعلا في كتابه ان
يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف
ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال
الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها من الاحباط بالكفر والكبائر بالثواب فان قلت من المامور
بقوله وبشر قلت يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون كل احد كما قال صلى الله عليه وسلم
بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيمة لم يامر بذلك واحدا بعينه وانما كل احد مامور به
وهذا الوجه احسن واجزل لانه يؤذن بان الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق بان يبشر به كل من قدر
على البشارة به فان قلت علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه قلت
ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو
جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد
والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا
عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم • وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنه
وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفا على اعدت • والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم
قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم زيد فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي
اظهر سروره بخبره دون الباقين • ولو قال مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه
ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه • واما فبشرهم بعذاب اليم فمن
العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزا به وتالمه واغتمامه كما يقول الرجل
لعدوه ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله • فاعتبوا بالصيلم • والصالحات نحو الحسنة
في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة • كيف الهجاء وما تنفك صالحة • من ال لام بظهر الغيب
تاتيني • والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فان قلت
اي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع قلت اذا دخلت على المفرد كان
صالحا لان يراد به جميع الجنس وان يراد به بعضه لا الى الواحد لان وزانه في تناول الجمعية في الجنس
وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه فان قلت فما المراد بهذا المجموع
مع اللام قلت الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب
التكليف • والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير •
تسقي جنة سحقا • اي نخلا طوالا والتركيبة دائرة على معنى الستر وكانها لتكاثفها وتظليلها سميت
بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة
لما فيها من الجنان فان قلت الجنة مخلوقة ام لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول انها
مخلوقة يستدل بسكنى ادم وحواء الجنة وبمجيئها في القران على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام

كالنبي والرسول والكتاب ونحوها فان قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها
وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك
الجنان فان قلت اما يشترط في استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام
على الكبائر وان لا يندم على ما اوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك قلت لما جعل
الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول ان الاحسان انما يستحق
فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا يبقى مع وجود مفسده
احسانا واعلم بقوله لنبيه عليه الصلاة والسلام وهو اكرم الناس عليه واعزهم لئن اشركت ليحبطن عملك
وقال للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم كان اشتراط حفظهما من الاحباط
والندم كالداخل تحت الذكر فان قلت كيف صورة جري الانهار من تحتها قلت كما ترى الاشجار النابتة على
شواطئ الانهار الجارية • وعن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود وانزه البساتين واكرمها
منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولا ان الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة
الكبرى وان الجنان والرياض وان كانت آنق شيء واحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا تجلب الاريحية
والنشاط حتى يجري فيها الماء والا كان الانس الاعظم فائتا والسرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح
فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله بذكر الجنات مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قران
واحد كالشيئين لا بد لاحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها • والنهر المجرى الواسع فوق الجدول
ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية نهر بفتح الهاء • ومدار التركيب على
السعة • واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي كقولهم بنو فلان يطؤهم الطريق وصيد عليه يومان
فان قلت لم نكرت الجنات وعرفت الانهار قلت اما تنكير الجنات فقد ذكر واما تعريف الانهار فان
يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في
علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله عز وجل واشتعل الراس شيبا
او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه الاية
وقوله كلما رزقوا لا يخلو من ان يكون صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة لانه لما قيل
ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه
هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله تعالى
فان قلت ما موقع من ثمرة قلت هو كقولك كلما اكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك فموقع
من ثمرة موقع قولك من الرمان كانه قيل كلما رزقوا من الجنات من اي ثمرة كانت من تفاحها او رمانها او عنبها
او غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات
والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول رزقني فلان فيقال لك من اين فتقول من بستانه
فيقال من اي ثمرة فتقول من الرمان وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتدا من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا
بالابتداء من ضمير الجنات مبتدا من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة والرمانة الفذة على هذا التفسير
وانما المراد النوع من انواع الثمار ووجه اخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رايت منك اسدا تريد
انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة فان قلت كيف قيل هذا
الذي رزقنا من قبل وكيف تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت معناه
هذا مثل الذي رزقناه من قبل وشبهه بدليل قوله تعالى واتوا به متشابها وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة
تريد انه لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله واتوا به قلت الى

المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لا أنه قول هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين
ونظيره قوله تعالى إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما أي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيا أو فقيرا على
الجنسين ولو رجع الضمير إلى المتكلم به لقيل أولى به على التوحيد فإن قلت لأي غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر
الجنة وما بال ثمر الجنة لم يكن أجناسا أخر قلت لأن الإنسان بالمألوف آنس وإلى المعهود أميل وإذا رأى ما لم
يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولأنه إذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه
ألف ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا أفرط ابتهاجه واغتباطه
وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده
وإن كان فائقا حسبان ذلك الجنس لا يكون إلا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبيين فحين أبصروا الرمانة
من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وأن الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة
تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر
امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك أبين للفضل وأظهر
للمزية وأجلب للسرور وأزيد في التعجب من أن يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما
وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الأمر وتمادي الحال في ظهور المزية
وتمام الفضيلة وعلى أن ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل أوان • عن مسروق
نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها وثمرها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى وأنهارها تجري في
غير أخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز أن يرجع الضمير في وأتوا به إلى الرزق كما أن هذا إشارة إليه
ويكون المعنى أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل
منها ثم يؤتى بالأخرى فيقول هذا الذي أتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه صلى
الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة إلى فيه حتى
يبدل الله مكانها مثلها فإذا أبصروها والهيئة هيئة الأولى قالوا ذلك والتفسير الأول هو هو فإن قلت
كيف موقع قوله وأتوا به متشابها من نظم الكلام قلت هو كقولك فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل ورأى
من الرأي كذا وكان صوابا ومنه قوله عز وجل وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وما أشبه ذلك من الجمل
التي تساق في الكلام معترضة للتقرير • والمراد بتطهير الأزواج أن طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة
وما لا يختص بهن من الأقذار والأدناس ويجوز لمجيئه مطلقا أن يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الأخلاق
الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بأنفسهن ومما يأخذنه من أعراق السوء والمناصب الرديئة والمناشئ المفسدة
ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن فإن قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة كما الموصوف
قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه
بيت الحماسة • وإذا العذارى بالدخان تقنعت • واستعجلت نصب القدور فملت • والمعنى وجماعة
أزواج مطهرة • وقرأ زيد بن علي مطهرات • وقرأ عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة • وفي كلام بعض العرب
ما أحوجني إلى بيت الله فأطهر به أطهرة أي فأتطهر به تطهرة فإن قلت فهلا قيل طاهرة قلت
في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الإشعار بأن مطهرا طهرهن وليس ذلك إلا الله عز وجل
المريد بعباده الصالحين أن يخولهم كل مزية فيما أعد لهم • والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع
قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس • ألا انعم صباحا
أيها الطلل البالي • وهل ينعمن من كان في العصر الخالي • وهل ينعمن إلا سعيد مخلد • قليل الهموم ما يبيت
بأوجال إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق

من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
وما يضل به إلا الفاسقين • سيقت هذه الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل
العناد والمراء من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع
للاستنكار والاستغراب من قبل أن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض
المطلوب وإدناء المتوهم من المشاهد فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وإن كان حقيرا
كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إذا إلا أمرا تستدعيه حال
المتمثل له وتستجره إلى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية ألا ترى إلى الحق لما كان واضحا
جليا أبلج كيف تمثل له بالضياء والنور وإلى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت
حال الآلهة التي جعلها الكفار أندادا لله لا حال أحقر منها وأقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها
في الضعف والوهن وجعلت أقل من الذباب وأخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا
لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استح من تمثيلها بالبعوضة لأنه مصيب في تمثيله محق في
قوله سائق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتذيه ويستدعيه ولبيان أن المؤمنين الذين
عادتهم الإنصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الأمور بناظر العقل إذا سمعوا بمثل هذا التمثيل
علموا أنه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله وأن الكفار الذين غلبهم
الجهل على عقولهم وغصبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون أذهانهم أو عرفوا أنه الحق إلا أن
حب الرياسة وهوى الإلف والعادة لا يخليهم أن ينصفوا فإذا سمعوا به عاندوه وكابروا وقضوا
عليه بالبطلان وقابلوه بالإنكار وأن ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم
وضلالهم والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وأحناش الأرض
والحشرات والهوام وهذه أمثال العرب بين أيديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها بأحقر
الأشياء فقالوا أجمع من ذرة وأجرأ من الذباب وأسمع من قراد وأصرد من جرادة وأضعف من فراشة
وآكل من السوس وقالوا في البعوضة أضعف من بعوضة وأعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوض ولقد
ضربت الأمثال في الإنجيل بالأشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والأرضة
والدود والزنابير والتمثيل بهذه الأشياء وبأحقر منها مما لا تخفى استقامته وصحته على من به
أدنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بأمارة ولا إقناع
أن يرمي لفرط الحيرة والعجز عن إعمال الحيلة بدفع الواضح وإنكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة
إذا لم يجد سوى ذلك معولا • وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين
به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فأنزل الله تعالى هذه الآية • والحياء تغير وانكسار
يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي
الفرس إذا اعتلت هذه الأعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحياة
كما يقال فلان هلك حياء من كذا ومات حياء ورأيت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء
وذاب في مكانه خجلا فإن قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه وتعالى به ولا يجوز عليه التغير
والخوف والذم وذلك في حديث سلمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله
حيي كريم يستحيي إذا رفع العبد إليه يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على
سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وأنه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد
المحتاج إليه حياء منه وكذلك معنى قوله سبحانه إن الله لا يستحيي أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة

فإن المستنكرين طائفتان طائفة كانوا لا يعلمون وطائفة كانوا يعلمون ولكن كانوا يعاندون ويجادلون م

انهمك الرجل في الأمر أي جد ولج م

قوله من مخ البعوض هذا مثل يضرب والشيء القليل الوجود م

الزوان حب يخالط البر قاموس

تركت من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد
ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم
بديع وطراز عجيب منه قول ابي تمام * من مبلغ افناء يعرب كلها * اني بنيت الجار قبل المنزل * وشهد
رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته
فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة
الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در امر التنزيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها
فنا الا عثرت عليه فيه على اقوم مناهجه واسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه * قال
اذا ما استحين الماء يعرض نفسه * كرعن بسبت في اناء من الورد * وقرأ ابن كثير في رواية شبل
يستحيي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته
وهما محتملتان هاهنا * وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم * وفي الحديث اصطنع
رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب * وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما
وزادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم
كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة وهذا اذا نصبت بعوضة فان رفعتها فهي موصولة صلتها
الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي احسن * ووجه آخر حسن
جميل وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي
ان يضرب للانداد ما شاء من الاشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار
ودينار ان والمعنى ان الله يمثل للانداد وحقارة شانها بما لا شيء اصغر منه واقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا
يتجزى او بما لا يدركه لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه او بالمعدوم كما تقول العرب فلان اقل من لا شيء في
العدد ولقد الم به قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى الى رؤبة بن العجاج
وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم والمشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما اظنه ذهب في هذه القراءة
الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته * وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا او مفعولة ليضرب ومثلا
حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصبا مفعولين فجرى ضرب مجرى جعل * واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع
كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وانشد * لنعم البيت بيت ابي دثار * اذا ما خاف بعض القوم بعضا *
ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه * والبعوض في اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش * فما فوقها
فيه معنيان احدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول
فلان اسفل الناس وانذلهم هو فوق ذاك تريد هو ابلغ واعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة * والثاني فما زاد عليها
في الحجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما اكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد
ذم من عرف بالشح باذنى شيء فيقال ولا يخل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي ان يخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه
ما بعد فيه وهو الدرهم كانك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم عن ابراهيم
الاسود قال دخل شباب من قريش على عائشة وهي بمنى فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت
عنقه او عينه ان تذهب فقالت اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا
كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي نحو نخبة النملة في قوله
صلى الله عليه وسلم ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة * ويحتمل ما هو اشد
من الشوكة واوجع كالخرور على طنب الفسطاط * فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية
في الصغر * قلت ليس كذلك فان جناح البعوضة اقل منها واصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم

مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوانا اصغر منها ومن جناحها ربما رأيت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد
يبصرها الحاد البصر الا بتحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها
فسبحان من يدرك صورة تلك واعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها
ولعل في خلقه ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون
وانشدت لبعضهم * يا من يرى مد البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الاليل * ويرى عروق نياطها في نحرها
والمخ في تلك العظام النحل * اغفر لعبد تاب من فرطاته * ما كان منه في الزمان الاول * واما حرف فيه معنى الشرط
ولذلك يجاب بالفاء وفائدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيده وانه لا محالة ذاهب
وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب
ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان كونه توكيدا وانه في معنى
الشرط ففي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين
واعتداد بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين اغفالهم حظهم ورميا بالكلمة الحمقاء * والحق الثابت الذي
لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج * وماذا فيه وجهان
ان تكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين وان تكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون
كلمة واحدة فهو على الوجه الاول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب
المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله والاصوب في جوابه ان يجيء على الاول مرفوعا وعلى الثاني منصوبا
ليطابق الجواب السؤال وقد يجوز عكس ذلك كما تقول في جواب من قال ما رأيت خير اي المرئي خير وفي جواب
ما الذي رأيت خيرا اي رأيت خيرا * وقرئ قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على
التقديرين * والارادة نقيض الكراهة وهي مصدر اردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وفي حدود
المتكلمين الارادة معنى يوجب للحي حالا لاجلها يقع من الفعل على وجه دون وجه * وقد اختلفوا في ارادة الله
تعالى فبعضهم على ان للباري مثل صفة المريد منا التي هي القصد وهو امر زائد على كونه عالما غير ساه وبعضهم
على ان معنى ارادته لافعاله انه فعلها وهو غير ساه ولا مكره * ومعنى ارادته لافعال غيره انه امر بها
وطالب لها * وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا استرذال واستحقار كما قالت عائشة رضي الله عنها في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا * ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديئا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية * يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا في ظلمائهم * فان قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم لقوله وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم * قلت اهل الهدى كثير في انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا * قال * ان الكرام كثير في البلاد وان * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا * واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم * وعن مالك بن دينار انه دخل على محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد فقال يا ابا يحيى اما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك رأسه فرأى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي فامر بها تنزل فاذا دجاج واخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلك * وقرأ زيد بن علي يضل به كثير ويهدي به كثير وما يضل به الا الفاسقون * والفسق الخروج

عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشريعة الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا إن أول من حد له هذا الحد أبو حذيفة واصل بن عطاء رضي الله عنه وعن أشياعه وكونه بين بين أن حكمه حكم المؤمن في أنه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وأن لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن أنس والزيدية أن الصلاة لا تجزي خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان يريد اللمز والتنابز إن المنافقين هم الفاسقون الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون النقض الفسخ وفك التركيب فإن قلت من أين ساغ استعمال النقض في إبطال العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله إن بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى إن الله أعزك وأظهرك أن ترجع إلى قومك وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس وإذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا إلا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر وعلى المرأة بأنها فراش والعهد الموثق وعهد إليه في كذا إذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه إذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله أحبار اليهود المتعنتة أو منافقوهم أو الكفار جميعا فإن قلت فما المراد بعهد الله قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى وأخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث إليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله تعالى وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وقوله في الإنجيل لعيسى عليه السلام سأنزل عليك كتابا فيه نبأ بني إسرائيل وما أريتهم من الآيات وما أنعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهدي إليهم وحسن صنيعي بالذين قاموا بميثاقي وأوفوا بعهدي ونصروا رسلي وكيف أنزلت بأسي ونقمتي بالذين غدروا ونقضوا ميثاقي ولم يوفوا بعهدي لأن اليهود فعلوا باسم عيسى عليه السلام ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليه وسلم من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا به وقيل هو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم وقيل عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود العهد الأول الذي أخذه على جميع ذرية آدم الإقرار بربوبيته وهو قوله وإذ أخذ ربك وعهد خص به النبيين أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله وإلزامه أنفسهم ويجوز أن يكون بمعنى توثقته كما أن الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله تعالى أي من بعد توثقته عليهم أو من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وإنذار رسله ومعنى قطعهم ما أمر الله به أن يوصل قطعهم الأرحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الأنبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض فإن قلت ما الأمر قلت طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور لأن الداعي الذي يدعو إليه من يتولاه شبه بآمر يأمره به فقيل له أمر تسمية للمفعول به بالمصدر كأنه مأمور به كما قيل له شأن والشأن الطلب والقصد يقال شأنت شأنه أي قصدت قصده هم الخاسرون لأنهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها كيف

كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون معنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك أتكفرون ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان وهو الإنكار والتعجب ونظيره قولك أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح فإن قلت قولك أتطير بغير جناح إنكار للطيران لأنه مستحيل بغير جناح وأما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الإماتة والإحياء قلت قد أخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف عن الكفر والداعي إلى الإيمان فإن قلت فقد تبين أمر الهمزة وأنها لإنكار الفعل والإيذان باستحالته في نفسه أو لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان إنكارا للحال التي يقع عليها كفرهم قلت حال الشيء تابعة لذاته فإذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان إنكار حال الكفر لأنها تبيع ذات الكفر ورديفها إنكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك أقوى لإنكار الكفر وأبلغ وتحريره أنه إذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم أن كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند وجوده ومحال أن يوجد بغير صفة من الصفات كان إنكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو في قوله وكنتم أمواتا للحال فإن قلت فكيف صح أن تكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الأمير ولكن وقد قام إلا أن يضمر قد قلت لم تدخل الواو على كنتم أمواتا وحده ولكن على جملة قوله تعالى كنتم أمواتا إلى ترجعون كأنه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم أنكم كنتم أمواتا نطفا في أصلاب آبائكم فجعلكم أحياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم فإن قلت بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح أن يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كأنه قيل كيف تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة بأولها وآخرها فإن قلت فقد آل المعنى إلى قولك على أي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته قلت قد ذكرنا أن معنى الاستفهام في كيف الإنكار وأن إنكار الحال متضمن لإنكار الذات على سبيل الكناية فكأنه قيل ما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فإن قلت إن اتصل علمهم بأنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم يميتهم فلم يتصل بالإحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل الموصلة إليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والأموات جمع ميت كالأقوال في جمع قيل فإن قلت كيف قيل لهم أموات في حال كونهم جمادا وإنما يقال ميت فيما تصح فيه الحياة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم الحياة كقوله تعالى بلدة ميتا وآية لهم الأرض الميتة أموات غير أحياء ويجوز أن يكون استعارة لاجتماعهما في أن لا روح ولا إحساس فإن قلت ما المراد بالإحياء الثاني قلت يجوز أن يراد به الإحياء في القبر وبالرجوع النشور وأن يراد به النشور وبالرجوع المصير إلى الجزاء فإن قلت لم كان العطف الأول بالفاء والأعقاب بثم قلت لأن الإحياء الأول قد تعقب الموت بغير تراخ وأما الموت فقد تراخى عن الإحياء والإحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت إن أريد به النشور تراخيا ظاهرا وإن أريد به إحياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع إلى الجزاء أيضا متراخ عن النشور فإن قلت من أين أنكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها ألأنها مشتملة على آيات بينات تصرف عن الكفر أم على نعم جسام حقها أن تشكر ولا تكفر قلت يحتمل الأمرين جميعا لأن ما عدده آيات وهي مع كونها آيات من أعظم النعم هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم لكم لأجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم أما الانتفاع الدنيوي فظاهر وأما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها لاشتماله على أسباب الأنس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى أسباب الوحشة والمشقة من أنواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والأحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على أن الأشياء التي يصح أن ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الأصل مباحة مطلقا لكل أحد أن يتناولها ويستنفع بها فإن قلت هل لقول من زعم أن المعنى خلق لكم الأرض وما فيها وجه صحة قلت إن أراد

بالارض الجهات السفلية دون الغبرآء كما تذكر السماء ويراد بها الجهات العلوية مجاز ذلك فان الغبرآء وما فيها
واقعة في الجهات السفلية • وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني • والاستوآء الاعتدال والاستقامة
يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان
يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيئته بعد خلق ما في الارض
من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر • والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير
في فسواهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا • وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء
في معنى الجنس • وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول • ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن
وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور واتمام خلقهن • وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا
مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم
فان قلت ما فسرت به معنى الاستوآء الى السماء يناقضه ثم لاعطائه معنى التراخي والمهلة
قلت ثم هاهنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي في
الوقت كقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا على انه لو كان لمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى
انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا آخر فان قلت اما
يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها قلت لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق
السماء واما دحوها فمتأخر • وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان
ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله
تعالى كانتا رتقا وهو الالتزاق واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدمآء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون •
واذ نصب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا • والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل في جمع شمال
والحاق التاء لتأنيث الجمع • وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدا والخبر وهما قوله في الارض
خليفة فكانا مفعولين ومعناه مصير في الارض خليفة • والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة
منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذريته فان قلت فهلا قيل خلائف او خلفاء
قلت اريد بالخليفة آدم عليه السلام واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما تستغني بذكر ابي القبيلة في
قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحد لذلك • وقرئ خليقة بالقاف • ويجوز
ان يكون خليفة بمعنى لان آدم عليه السلام كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة
في الارض فان قلت لاي غرض اخبرهم بذلك قلت ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا
حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم • وقيل ليعلم عباده
المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة
غنيا عن المشاورة • اتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا
يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب قلت
عرفوه باخبار من الله تعالى او من جهة اللوح او ثبت في علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل
خلق سواهم ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الآخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى
الملائكة • وقرئ ويسفك بضم الفاء ويسفك ويسفك من اسفك وسفك • والواو في ونحن للحال
كما تقول اتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان • والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من
سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد • وبحمدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك

وملتبسين

وملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك • اعلم ما لا تعلمون
اي اعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم فان قلت هلا بين لهم تلك المصالح قلت كفى العباد ان
يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين بعض ذلك فيما اتبعه من
قوله وعلم آدم الاسماء كلها وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء
ان كنتم صادقين • قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم • قال يا آدم
انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم
ما تبدون وما كنتم تكتمون • واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر
وكان من الكافرين • واشتقاقهم آدم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس
من الدرس وابليس من الابلاس وما آدم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كآزر وعازر وعابر
وشالخ وفالغ واشباه ذلك • الاسماء كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه
بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس فان قلت هلا زعمت
انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم آدم مسميات الاسماء قلت لان التعليم
وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم فكما علق
الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها فان قلت فما معنى
تعليمه اسماء المسميات قلت اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا
اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية • ثم عرضهم اي عرض المسميات
وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت • ان كنتم
صادقين يعني في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدمآء ارادة للرد عليهم وان فيمن يستخلفه
من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد كلها ما يستأهلون لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض
ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضار
لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه ابسط من ذلك واشرح • وقرئ وعلم آدم على البناء
للمفعول • وقرأ عبد الله عرضهن • وقرأ ابي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح
في الاسماء • وقرئ انبيهم بقلب الهمزة يآء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما • السجود لله تعالى على سبيل
العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وابو يوسف واخوته له • ويجوز ان تختلف الاحوال
والاوقات فيه • وقرأ ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية
بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله • الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف
من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا
ابى امتنع مما امر به استكبر عنه • وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر كقوله تعالى
كان من الجن ففسق عن امر ربه • وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين • فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا
بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين • السكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار
وانت تأكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه • ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها وحيث
للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة حيث لم يحظر
عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للمأكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة
من بين اشجارها الفائتة للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة • وقرئ ولا تقربا بكسر التاء

وهذه الشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن أبي عمرو أنه كرههما وقال يقرأ بها برابر مكة وسودانها
من الظالمين من الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله تعالى • فتكونا جزم عطف على تقربا أو نصب جواب للنهي • الضمير في
عنها للشجرة أي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فأصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله
تعالى وما فعلته عن أمري وقوله ينهون عن أكل وعن شرب • وقيل فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما
كما تقول زل عني ذاك إذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا • وقرئ فأزالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة
أو من الجنة إن كان الضمير للشجرة في عنها • وقرأ عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على أن الضمير للشجرة
لأن المعنى صدرت وسوسته عنها **فإن قلت** كيف توصل إلى إزلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل اخرج منها
فإنك رجيم **قلت** يجوز أن يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع أن يدخل على جهة الوسوسة
ابتلاء لآدم وحواء • وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما • وقيل قام عند الباب فنادى • وروي أنه
أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون • قيل اهبطوا خطاب
لآدم وحواء وإبليس وقيل والحية والصحيح أنه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لأنهما لما كانا أصل
الإنس ومتشعبهم جعلا كأنهما الإنس كلهم والدليل عليه قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو
ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب
النار هم فيها خالدون وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم • ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي
والتباغي وتضليل بعضهم لبعض • والهبوط النزول إلى الأرض • مستقر موضع استقرار أو استقرار • ومتاع
تمتع بالعيش إلى حين يريد إلى يوم القيمة وقيل إلى الموت • فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب
الرحيم • قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون • والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون • معنى تلقي الكلمات
استقبالها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها • وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على أنها استقبلته بأن
بلغته واتصلت به **فإن قلت** ما هن **قلت** قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية • وعن ابن مسعود
رضي الله عنه أن أحب الكلام إلى الله ما قاله أبونا آدم حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك
وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال يا رب ألم تخلقني بيدك قال بلى • قال يا رب ألم تنفخ في الروح من روحك قال بلى • قال يا رب ألم تسبق
رحمتك غضبك قال بلى • قال ألم تسكني جنتك قال بلى • قال يا رب إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة قال
نعم • واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء لأنها كانت تبعا له كما طوي ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة لذلك
وقد ذكرها في قوله تعالى قالا ربنا ظلمنا أنفسنا • فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول **فإن قلت**
لم كرر قلنا اهبطوا **قلت** للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله فإما يأتينكم مني هدى **فإن قلت**
ما جواب الشرط الأول **قلت** الشرط الثاني مع جوابه كقولك إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك والمعنى
فإما يأتينكم مني هدى برسول أبعثه إليكم وكتاب أنزله عليكم بدليل قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
في مقابلة قوله فمن تبع هداي **فإن قلت** فلم جيء بكلمة الشك وإتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه
قلت للإيذان بأن الإيمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وإنزال الكتب وأنه إن لم يبعث رسولا
ولم ينزل كتابا كان الإيمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الأدلة ومكنهم من النظر
والاستدلال **فإن قلت** الخطيئة التي أهبط بها آدم إن كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الأنبياء
وإن كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والإخراج من الجنة والإهباط من السماء
كما فعل بإبليس ونسبته إلى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة إلى التوبة **قلت**

ما كانت إلا صغيرة مغمورة بأعمال قلبه من الإخلاص والأفكار الصالحة التي هي أجل الأعمال وأعظم الطاعات
وإنما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشأنها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا
واتقاء المآثم والتنبيه على أنه أخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة • وقرئ فمن تبع هدي
على لغة هذيل فلا خوف بالفتح • يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف
بعهدكم وإياي فارهبون • وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي
ثمنا قليلا وإياي فاتقون • إسرائيل هو يعقوب عليه السلام لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله
وهو بزنة إبراهيم وإسماعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة • وقرئ إسرائل وإسرائيل • وذكرهم النعمة
أن لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها وأراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدد عليهم من
الإنجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما أنعم به عليهم من إدراك
زمن محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به في التوراة والإنجيل • والعهد يضاف إلى المعاهد والمعاهد جميعا يقال أوفيت
بعهدي أي بما عاهدت عليه كقوله تعالى ومن أوفى بعهده من الله وأوفيت بعهدك أي بما عاهدتك عليه ومعنى
وأوفوا بعهدي وأوفوا بما عاهدتموني عليه من الإيمان والطاعة كقوله تعالى ومن أوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من
عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه • أوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم • وإياي
فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو أوكد في إفادة الاختصاص من إياك نعبد • وقرئ أوف
بالتشديد أي أبالغ في الوفاء بعهدكم كقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها • ويجوز أن يريد بقوله أوفوا بعهدي
ما عاهدوا عليه ووعدوه من الإيمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله تعالى وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم
أول كافر به أول من كفر به أو أول فريق أو فوج كافر به أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به كقولك كسانا حلة أي كل واحد منا
وهذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولأنهم كانوا المبشرين بزمان من أوحي إليه والمستفتحين
على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه أول الناس كلهم فلما بعث كان أمرهم على العكس كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا
من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة إلى قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به • ويجوز أن يراد ولا تكونوا مثل أول كافر به يعني من أشرك به من أهل مكة أي ولا
تكونوا وأنتم تعرفونه مذكورا في التوراة موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له • وقيل الضمير في به لما معكم
لأنهم إذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به • والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله
كما اشترى المسلم إذ تنصرا • وقوله فإني شريت الحلم بعدك بالجهل • يعني ولا تستبدلوا بآياتي ثمنا قليلا
وإلا فالثمن هو المشترى به • والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو أصبحوا أتباعا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي كل كثير إليه قليل وكل
كبير إليه حقير فما بال القليل الحقير • وقيل كانت عامتهم يعطون أحبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون إليهم
الهدايا ويرشونهم الرشى على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الأموال
ليكتموا أو يحرفوا • ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون • وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا مع
الراكعين • أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون • الباء التي في بالباطل
إن كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط
الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم • وإن كانت باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم
كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه • وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا
أو منصوب بإضمار أن والواو بمعنى الجمع أي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن
فإن قلت لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لأنهم إذا لبسوا الحق بالباطل

نقد لكموا الحق قلت بل هما متغايران لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبتهم في التورية ما ليس منها وكتمانهم الحق
ان يقولوا لا نجد في التورية صفة محمد صلى الله عليه وسلم او حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه
وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين ● وانتم تعلمون في حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لان الجهل
بالقبيح ربما عذر راكبه ● واقيموا الصلوة يعني صلوة المسلمين وزكاتهم ● واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود
لا ركوع في صلاتهم ● وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله ● ويجوز ان يراد بالركوع الصلوة كما يعبر
عنها بالسجود وان يكون امرا بان يصلى مع المصلين يعني في الجماعة كانه قيل واقيموا الصلوة وصلوها مع المصلين
لا منفردين ● اتامرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم ● والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته
ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يامرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع
محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه ● وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا اتوا بصدقات ليفرقوها
خانوا فيها ● وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تامروننا باشياء
عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نامركم بها ونخالف الى غيرها ● وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات ● وانتم
تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون التورية وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم او فيها الوعيد على الخيانة
وترك البر ومخالفة القول العمل ● افلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه
عن ارتكابه وكانكم في ذلك مسلوبو العقول لان العقول تاباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا
تعقلون ● واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين ● الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم
اليه راجعون ● يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين ● واستعينوا
على حوائجكم الى الله بالصبر والصلوة اي بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من
اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الاداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار
العلم بانه انتصاب بين يدي جبار السموات ليسال فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وامر اهلك بالصلوة
واصطبر عليها ● او واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع
وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة ● وقيل
الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ● ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء وان يستعان
على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعه وانها الضمير للصلوة او للاستعانة ويجوز ان يكون لجميع الامور
التي امر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله تعالى اذكروا نعمتي الى واستعينوا ● لكبيرة لشاقة ثقيلة من قولك كبر على
هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فان قلت ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل قلت
لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون
ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه ● وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون ان لا بد من لقاء الجزاء فيعملون
على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون واما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة
فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال والصنائع اجرة زائدة على مقدار
عمله فتراه يزاول ذلك العمل برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كانه يستلذ مزاولته بخلاف حال
عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول يا بلال
روحنا ● والخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة ● واما الخضوع فاللين والانقياد
ومنه خضعت بقولها اذا لينته ● واني فضلتكم نصب عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين
على الجم الغفير من الناس كقوله تعالى باركنا فيها للعالمين يقال رايت عالما من الناس يراد الكثرة ● واتقوا يوما لا تجزي

نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ● يوما يريد يوم القيامة
لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في جذعة بن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا
مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزاء كقوله تعالى ولا يظلمون شيئا ● ومن قرا لا يجزي من اجزا عنه
اذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء ● وقرا ابو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه
الجملة منصوبة المحل صفة ليوما فان قلت فاين العائد منها الى الموصوف قلت هو محذوف تقديره لا تجزي
فيه ونحوه ما انشده ابو علي ● ويوما شهدناه سليما وعامرا ● اي شهدنا فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فاجري
مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله او مال اصابوا ● ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس لا تجزي
عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القطاع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل
اي فدية لانها معادلة للمفدى ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة ولا فدية ● وقرا قتادة ولا يقبل
منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة ● وقيل كانت اليهود تزعم ان اباءهم الانبياء يشفعون
لهم فاويسوا ● فان قلت هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة قلت نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس
حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان يقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة فان قلت الضمير في ولا يقبل
منها الى اي النفسين يرجع قلت الى الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ●
ومعنى لا يقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ● ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على
انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها ● ولا هم
ينصرون يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي كما تقول
ثلثة انفس ● واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم
وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي
الخطر والشان كالملوك واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام ● وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر
لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر ● وفي ملح بعضهم
قد جاءه الموسى الكلوم فزاد في اقصى تفرعنه وفرط عرامه ● وقرئ نجيتكم وانجيتكم ● يسومونكم من
سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال ● اذا ما الملك سام الناس خسفا ● ابينا ان نقر الخسف فينا
واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء
مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ● ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء
اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره ● ويذبحون بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف
كقوله تعالى يلق اثاما يضاعف له العذاب ● وقرا الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها
وقرا عبد الله يقتلون ● وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يكون على يده هلاكه
كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله ● والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع
فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء ● واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون ●
واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ● ثم عفونا عنكم من بعد ذلك
لعلكم تشكرون ● وفرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم ● وقرئ فرقنا بمعنى
فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط
فان قلت ما معنى بكم قلت فيه اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم
فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع
الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله ● تدوس بنا الجماجم والتريبا ● اي تدوسها ونحن راكبوها وروي

اربعين ليلة قالوا لموسى عليه السلام ان اصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحي اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم • وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون فلم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة • وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي • وقرئ وعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعد هو المجيء للميقات الى الطور • من بعده من بعد مضيه الى الطور • وانتم ظالمون باشراككم • ثم عفونا عنكم من بعد ذلك يعني الامر العظيم وهو اتخاذ العجل • لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم

واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا وفرقانا يعني يفرق بين الحق والباطل يعني التوراة كقولك رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة • ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا يعني الكتاب الجامع من كونه فرقانا وضياء وذكرا او التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصى واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد به يوم بدر

واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم • حمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا • وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة • وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنه المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا • فان قلت ما الفرق بين الفاءات • قلت الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب للتوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم • ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم في قول موسى لهم فيتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم • فان قلت من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ • قلت البارئ هو الخالق الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة ابرياء من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة في امثال العرب ابلد من ثور حتى عرضوا انفسهم لسخط الله ونزول امره بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها

واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون • ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون • قيل القائلون هم السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة آلاف منهم • جهرة عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كان الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة • وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على ان موسى رادهم القول وعرفهم ان رؤية ما لا يجوز عليه ان يكون في جهة محال وان من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام والاعراض فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط الله عليهم الصعقة كما سلط على اولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة • والصاعقة ما صعقهم اي اماتهم • وقيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم • وقيل صيحة جاءت من السماء • وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله تعالى وانتم تنظرون • وقرأ علي رضي الله عنه فاخذتكم الصعقة لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعدما كفرتموها اذا رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت

وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون • وظللنا وجعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه • كلوا على ارادة القول • وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه

واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين القرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه • والباب باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله تعالى وتواضعا • وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات • وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على اوراكهم • وحطة فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدأ محذوف اي مسألتنا حطة او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل فكلانا مبتلى • والاصل صبرا على اصبر صبرا • وقرأ ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل • وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها • فان قلت هل يجوز ان تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة • قلت لا يبعد والاجود ان تنصب باضمار فعلها وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا • وقرئ يغفر على البناء للمفعول بالياء والتاء • وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن

فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون • فبدل الذين ظلموا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا • فانزلنا على الذين ظلموا كرره مبالغة في تقبيح امرهم • رجزا من السماء عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم • وقرئ بضم الراء • روي انه مات منهم في ساعة اربعة وعشرون الفا

واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين • لما عطشوا في التيه • الحجر طوري حمله معه

في جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا • وقيل اهبطه آدم
من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب عليه السلام فدفعه اليه مع العصا • وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه
حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبريل عليه السلام يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان لي فيه قدرة
ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته • ويجوز ان تكون اللام للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر • وعن الحسن لم يامره ان يضرب
حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة • وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست
فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا القاه • وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا
ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون • وقيل
كان من رخام وكان ذراعا في ذراع • وقيل مثل راس الانسان • وقيل من آس الجنة طوله عشرة اذرع على طول موسى
وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار • فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت
او فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله تعالى فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ •
وقرئ عشرة بكسر الشين وبفتحها وهما لغتان • كل اناس كل سبط • مشربهم عينهم التي يشربون منها • كلوا على
ارادة القول • من رزق الله مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون • وقيل الماء ينبت منه الزروع
والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب • والعثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لانهم
كانوا متمادين فيه • واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض
من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير اهبطوا
مصرا فان لكم ما سالتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءو بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون
بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما كانوا
فيه من النعمة وطلبت انفسهم الشقاء • على طعام واحد ارادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى فان قلت هما
طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان
عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا ياكل فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز
ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والتترف ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد الا
ما الفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك • ومعنى يخرج لنا يظهر لنا ويوجد
والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي ياكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها
وقرئ وقثائها بالضم • والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اي اختبزوا • وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود
وثومها وهو للعدس والبصل اوفق • الذي هو ادنى الذي هو اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر
بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد
الهمة يريدون الرفعة والعلو • وقرا زهير الفرقبي ادنا بالهمزة من الدناءة • اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم
اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج • وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى
قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ • ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف
والتانيث لسكون وسطه كقوله نوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان يريد به البلد فما فيه الا سبب واحد
وان يريد مصرا من الامصار • وفي مصحف عبد الله وقرا به الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله تعالى ادخلوا مصر
وقيل هو مصرايم فعرب • وضربت عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة
من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون
اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية
وباءو بالغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته اي صاروا

حقيقين

بغضبه • ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء
وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره
قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم
ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم
وقرا علي رضي الله عنه ويقتلون بالتشديد • ذلك تكرار للاشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع
المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء • وقيل هو اعتداؤهم في السبت
ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا
فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الايات وقتل الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا
ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم
اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • ان الذين امنوا بالسنتهم من غير مواطاة القلوب
وهم المنافقون والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد
والجمع هود • والنصارى وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامراة نصرانة • قال نصرانة لم تحنف
والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري سموا لانهم نصروا المسيح • والصابئين هو من صبا اذا خرج
من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة • من امن من هؤلاء الكفرة ايمانا
خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا اصيلا • وعمل صالحا فلهم اجرهم الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم
فان قلت ما محل من امن قلت الرفع ان جعلته مبتدا خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان
والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط • واذ
اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم
من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين • واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في التوراة
ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فراوا ما
فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور من اصله ورفعه
فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا • خذوا على ارادة القول • ما اتيناكم من الكتاب
بقوة بجد وعزيمة • واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه • لعلكم
تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او وقلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا • ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق
والوفاء به • فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم • وقرئ خذوا ما اتيتكم وتذكروا واذكروا
ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما
بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين • السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت
وان ناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد
وذلك ان الله تعالى ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت
كما قال تعالى تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا
عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض
هو اعتداؤهم • قردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد
فجعلناها يعني المسخة • نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد • لما بين يديها لما قبلها
وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها
من بلغتهم من الاخرين او اريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم • وقيل نكالا عقوبة منكلة لما

بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها • وموعظة للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها • وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين • قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون • كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله • قالوا أتتخذنا هزوا أتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او مهزوا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء • من الجاهلين لان الهزؤ في مثل هذا من باب الجهل والسفه • وقرئ هزؤا بضمتين وهزءا بسكون الزاي نحو كفؤا وكفءا • وقرأ حفص هزوا بضمتين والواو وكذلك كفوا • والعياذ واللياذ من واد واحد • وفي قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن الخارجة عما عليه البقر • والفارض المسنة وقد فرضت فروضا قال خفاف بن ندبة • لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا • تساق اليه ما تقوم على رجل • كانها سميت فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها • والبكر الفتية • والعوان النصف • قال ابو نعيم • بين ابكار وعون • وقد عونت • فان قلت بين يقتضي شيئين فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك • قلت لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر • فان قلت كيف جاز ان يشار به الى مؤنثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر • قلت جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما احسن ذلك وقد يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت لرؤبة في قوله • فيها خطوط من سواد وبلق • كانه في الجلد توليع البهق • ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما • فقال اردت كان ذاك ويلك • والذي حسن منه ان اسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع • ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى ما تؤمرون به من قولك امرتك الخير او امركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير • قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين • الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في التوكيد اصفر فاقع ووارس كما يقال اسود حالك وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قانئ وذريحي واخضر ناضر ومدهام واورق خطباني وارمك رداني • فان قلت فاقع ههنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء • قلت لم يقع خبرا عن اللون انما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها • فان قلت فهلا قيل صفراء فاقعة واي فائدة في ذكر اللون • قلت الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون • وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها • والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه • وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين • وعن الحسن صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال الاعشى • تلك خيلي منه وتلك ركابي • هن صفر اولادها كالزبيب • قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون • ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها • وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم • وعن بعض الخلفاء انه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بايهما ابدأ فقال ان قلت لك بقطع الشجر سألتني باي نوع منها

ابدأ • وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان تعطي فلانا شاة سألتني اضائن ام ماعز وان بينت لك قلت اذكر ام انثى وان اخبرتك قلت اسوداء ام بيضاء فاذا امرتك بشيء فلا تراجعني • وفي الحديث اعظم الناس جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لاجل مسألته • ان البقر تشابه علينا اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها نذبح • وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه • وقرأ محمد ذو الشامة ان الباقر يشابه بالياء والتشديد • جاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد • لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من امر القاتل • قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون • لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث • ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية • وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك اي حيث هي وهو نفي لذلها ولان توصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيثهم • وقرئ تسقي بضم التاء من اسقى • مسلمة سلمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها منه كقوله • او معبر الظهر ينبي عن وليته • ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا • او مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شيء من الالوان • لا شية فيها لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر ومنه ثور موشى القوائم • الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال في امرها • فذبحوها اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها • وقوله وما كادوا يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم • وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها • وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل • وروي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة • فان قلت كانت البقرة التي تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الامر الاول • قلت رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل جائز على ان الخطاب كان للابهام متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص • واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون • فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون • واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم • فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شأنها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فيدفع المطروح عليه الطارح او لان الطرح في نفسه دفع او دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه • والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل لا يتركه مكتوما • فان قلت كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي • قلت قد حكي ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم وفقلنا • والضمير في اضربوه اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تأويل الشخص والانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون • ببعضها ببعض البقرة واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه

فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى • روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك • كذلك يحيي الله الموتى اما ان يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة ويريكم آياته ودلائله على انه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم وان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث • واما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم • **فان قلت** هلا احياه ابتداء ولم شرط في احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها • **قلت** في الاسباب والشروط حكم وفوائد وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر الله وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالابوين والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به وان يختاره فتي السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريئا من العيوب يونق من ينظر اليه وان يغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وان الزيادة في الخطاب نسخ له وان النسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لادائه الى البداء وليعلم بما امر من مس الميت بالميت وحصول الحياة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب لان الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حياة • **فان قلت** فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها ان يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها • **قلت** كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها ان وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى تبين انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها وانها قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة • ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون • معنى ثم قست استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون • وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ لا تؤثر فيها • ذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة • فهي كالحجارة فهي في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة منها واشد معطوف على الكاف اما على معنى او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على او هي في انفسها اشد قسوة والمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها وهو الحديد مثلا او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة • **فان قلت** لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب • **قلت** لكونه ابين وادل على فرط القسوة ووجه آخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كأنه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد

قسوة • وقرئ قساوة • وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالتباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم • وقوله وان من الحجارة بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة • وقرئ وان بالتخفيف وهي ان المخففة من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة • ومنها قوله وان كل لما جميع لدينا محضرون • والتفجر التفتح بالسعة والكثرة • وقرأ مالك بن دينار ينفجر • يشقق يتشقق وبه قرأ الاعمش • والمعنى ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الماء ايضا • يهبط يتردى من اعلى الجبل • وقرئ يهبط بضم الباء • والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به • وقرئ تعملون بالتاء والياء وهو وعيد • افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون • الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين • ان يؤمنوا لكم ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله تعالى فآمن له لوط يعني اليهود • وقد كان فريق منهم طائفة فيمن سلف منهم • يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التوراة • ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم • وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس • وقرئ كلم الله • من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهة في صحته • وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون • والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك • واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون • واذا لقوا يعني اليهود • قالوا يعني منافقيهم آمنا بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به • واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الذين نافقوا • قالوا عاتبين عليهم • اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من صفة محمد • او قال المنافقون لاعقابهم يرونهم التصلب في دينهم • اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقوا المؤمنين وينافقوا اليهود • ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد • اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون • ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم الا يظنون • يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان • ومنهم اميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها • لا يعلمون الكتاب التوراة • الا اماني الا ما هم عليه من امانيهم وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وما تمنيهم احبارهم من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة • وقيل الا اكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فقبلوها على التقليد • قال اعرابي لابن دأب في شيء حدث به اهذا شيء رويته ام تمنيته اي اختلقته • وقيل الا ما يقرؤون من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة • والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني يقدر في نفسه ويحزر ما يتمناه وكذلك المختلق والقارئ يقدر ان كلمة كذا بعد كذا • والا اماني من الاستثناء المنقطع • وقرئ اماني بالتخفيف • ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم • فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون • وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون • يكتبون الكتاب المحرف بايديهم من تلقاء انفسهم من غير ان يكون منزلا وذكر الايدي تأكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه • مما يكسبون من الرشى • اياما معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل • وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا

بسبعة الأيام سنة وإنما تعذبهم مكان كل ألف سنة يوما • فلن يخلف متعلق بمحذوف تقديره إن اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف
الله عهده • أم إما أن تكون معادلة بمعنى أي الأمرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع أحدهما ويجوز أن تكون
منقطعة • بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون • والذين آمنوا
وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون • بلى إثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا
النار أي بلى تمسكم أبدا بدليل قوله هم فيها خالدون • من كسب سيئة من السيئات أي كبيرة من الكبائر • وأحاطت به خطيئته
تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم ينفصل عنها بالتوبة • وقرئ خطاياه وخطيئاته • وقيل في الإحاطة كانت
ذنوبه أغلب من طاعته • وسأل رجل الحسن عن الخطيئة المحيطة فقال سبحان الله ألا أراك ذا لحية وما تدري
ما الخطيئة المحيطة انظر في المصحف فكل آية نهى الله عنها وأخبرك أنه من عمل بها أدخله النار فهي الخطيئة
المحيطة • وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى
والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون • لا تعبدون
إخبار في معنى النهي كما تقول تذهب إلى فلان تقول له كذا تريد الأمر وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي لأنه كأنه سورع
إلى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه ويبصره قراءة عبد الله وأبي لا تعبدوا ولا بد من إرادة القول ويدل عليه أيضا
قوله وقولوا وقوله وبالوالدين إحسانا إما أن يقدر وتحسنون بالوالدين أو وأحسنوا • وقيل هو جواب قوله وإذ أخذنا ميثاق
بني إسرائيل لإجرائه مجرى القسم كأنه قيل وإذ أقسمنا عليهم لا تعبدون • وقيل معناه أن لا تعبدوا فلما حذف أن
رفع كقوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى • ويدل عليه قراءة عبد الله أن لا تعبدوا ويحتمل أن تكون
أن فيه مفسرة وأن تكون مع الفعل بدلا عن الميثاق كأنه قيل أخذنا ميثاق بني إسرائيل توحيدهم • وقرئ بالتاء
حكاية لما خوطبوا به وبالياء لأنهم غيب • حسنا قولا هو حسن في نفسه لإفراط حسنه • وقرئ حسنا
وحسنى على المصدر كبشرى • ثم توليتم على طريقة الالتفات أي توليتم عن الميثاق ورفضتموه • إلا قليلا
منكم قيل هم الذين أسلموا منهم • وأنتم معرضون وأنتم قوم عادتكم الإعراض عن المواثيق والتولية • وإذ أخذنا
ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون • لا تسفكون
دماءكم ولا تخرجون أنفسكم لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه إذا اتصل به أصلا أو دينا
وقيل إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لأنه يقتص منه • ثم أقررتم بالميثاق واعترفتم على أنفسكم • وأنتم
تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها • وقيل وأنتم تشهدون اليوم يا معشر
اليهود على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق • ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون
عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض
الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد
العذاب وما الله بغافل عما تعملون • أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينصرون • ثم أنتم هؤلاء استبعاد لما أسند إليهم من القتل والإجلاء والعدوان
بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم • والمعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني أنكم
قوم آخرون غير أولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي
خرجت به • وقوله تقتلون بيان لقوله ثم أنتم هؤلاء • وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين • وقرئ تظاهرون
بحذف التاء وإدغامها وتتظاهرون بإثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون أي تتعاونون عليهم •
وقرئ تفدوهم وتفادوهم وأسرى وأسارى وهو ضمير الشأن ويجوز أن يكون مبهما تفسيره إخراجهم • أفتؤمنون
ببعض الكتاب أي الفداء • وتكفرون ببعض أي بالقتال والإجلاء • وذلك أن قريظة كانوا حلفاء الأوس
والنضير حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه وإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم وإذا

أسر رجل

أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل عيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون
أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي أن نذل حلفاءنا • فالخزي قتل بني قريظة وأسرهم وإجلاء
بني النضير وقيل الجزية • وإنما رد من فعل منهم ذلك إلى أشد العذاب لأن عصيانه أشد • وقرئ تردون
وتعملون بالياء والتاء • فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم وكذلك
عذاب الآخرة • ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات
وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون •
الكتاب التوراة آتاه إياها جملة • وقفينا من بعده بالرسل يقال قفاه إذا أتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به أتبعه إياه
يعني وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل كقوله ثم أرسلنا رسلنا تترى وهم يوشع وأشمويل وشمعون وداود وسليمان
وشعيا وأرميا وعزير وحزقيل وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم صلوات الله عليهم أجمعين • وقيل
عيسى بالسريانية أيشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول
رؤبة بن العجاج قلت لزير لم تصله مريمه • ووزن مريم عند النحويين مفعل إذ لم يثبت فعيل في
الأبنية كما ثبت نحو عثير وعليب • البينات المعجزات الواضحات والحجج كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص
والإخبار بالمغيبات • وقرئ وآيدناه ومنه آجد بالجيم إذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف وأوجدني
بعد فقر • بروح القدس بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه
فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة • وقيل لأنه لم تضمه الأصلاب ولا أرحام الطوامث • وقيل جبريل • وقيل الإنجيل
كما قال تعالى في القرآن روحا من أمرنا • وقيل اسم الله الأعظم الذي كان عيسى يحيي الموتى بذكره • والمعنى ولقد آتينا يا بني إسرائيل
أنبياءكم ما آتيناهم فلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الإيمان به وسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ
التعجيب من شأنهم ويحتمل أن يريد ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه
على المقدر [illegible] ثم قيل وفريقا تقتلون هو على حكاية الحال الماضية لأن الأمر فظيع
فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب أو للدلالة على أنكم بعد فيه فإنكم حولتم قتل محمد صلى الله عليه وسلم
لولا أني أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة • وقال عليه الصلاة والسلام ما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان قطعت أبهري
وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون • غلف جمع أغلف أي هي مخلوقة مجبولة مغشاة
بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا تفقهه مستعار من الأغلف الذي لم يختن كقوله وقالوا قلوبنا
في أكنة مما تدعونا إليه • فرد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لأنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بأن لعنهم
وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما أحدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الألطاف التي تكون
لتوقع إيمانهم وللمؤمنين • فقليلا ما يؤمنون فإيمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو إيمانهم ببعض الكتاب • وقيل أراد بالقلة
العدم • وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف أي قلوبنا أوعية العلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره • وروي
عن أبي عمرو قلوبنا غلف بضمتين • ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين • كتاب من عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم
من كتابهم لا يخالفه • وقرئ مصدقا على الحال • فإن قلت كيف جاز نصبها عن النكرة قلت إذا وصف النكرة
تخصص فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا
بمجيئه وما أشبه ذلك • يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين إذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي
المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة ويقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج
بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم • وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبيا
يبعث منهم قد قرب أوانه والسين للمبالغة أي يسألون أنفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر ويسأل

بعضهم بعضا ان يفتح عليهم • فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة • على الكافرين
اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس
ويدخلوا فيه دخولا اوليا • بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله
على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين • ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل
بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا به انفسهم ان يكفروا • واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة
اشتروا • ان ينزل لان ينزل او على ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء وتقتضي
حكمته ارساله فباءوا بغضب على غضب فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا
بمحمد بعد عيسى عليهما الصلوة والسلام • وقيل بعد قولهم عزير ابن الله تعالى الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من انواع
كفرهم • واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم
قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين • ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده
وانتم ظالمون • بما انزل الله مطلق فيما انزل الله من كل كتاب • قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيد بالتوراة • ويكفرون
بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التوراة • وهو الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف له وفيه
رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة
والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء • وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة في غير موضعها
وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم • واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم
بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين
وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى مع ما فيه من التوكيد • واسمعوا ما امرتم به في التوراة قالوا
سمعنا قولك وعصينا امرك فان قلت كيف طابق قوله جوابهم قلت طابقه من حيث انه قال لهم
اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة • واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل
الثوب الصبغ • وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله تعالى انما ياكلون في بطونهم نارا • بكفرهم بسبب كفرهم
بئسما يامركم به ايمانكم بالتوراة لانه ليس في التوراة عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم
شعيب اصلوتك تامرك ان نترك وكذلك اضافة الايمان اليهم • وقوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح
في صحة دعواهم • قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين • خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة
اي سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى •
والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون • فتمنوا الموت لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول
الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي كان علي رضي الله عنه يطوف بين الصفين
في غلالة فقال له ابنه الحسن رضي الله عنه ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه
الموت سقط • وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني
وقال عمار بصفين الان الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه • وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي • بما قدمت ايديهم
بما اسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد وبما جاء به وتحريف كتاب الله وساير انواع الكفر والعصيان • وقوله ولن
يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله تعالى ولن تفعلوا • فان قلت ما ادراك
انهم لم يتمنوا قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل ساير الحوادث ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم
من اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس منهم احد نقل ذلك • فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو سر

لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لم يتمنوا قلت ليس التمني من اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت
لي كذا فاذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال ان يقع التحدي بما في الضماير والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا
لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قلت لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون قلت
كم حكي عنهم من اشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه
ولا محمل له الا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا
صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمايرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا لانه
امر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه • والله عليم بالظالمين تهديد لهم • ولتجدنهم هو من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين
في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم واحرص فان قلت لم قال على حيوة بالتنكير قلت لانه اراد حيوة
مخصوصة وهي الحيوة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها اوقع من قراءة ابي على الحيوة • ومن الذين اشركوا محمول على المعنى لان
معنى احرص الناس احرص من الناس فان قلت الم يدخل الذين اشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم افردوا
بالذكر لان حرصهم شديد • ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ
عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا
زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ فان قلت لم زاد حرصهم على حرص
المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صايرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك • وقيل اراد بالذين
اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان • وعن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار سال
وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدا اي ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف كقوله تعالى وما منا الا له
مقام معلوم والذين اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو لاحدهم وان يعمر
فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره • وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر
بدل منه • ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانحاء فان قلت يود احدهم
ما موقعه قلت هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف فان قلت كيف اتصل
لو يعمر بيود احدهم قلت هو حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو اعمر الا انه جرى
على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن • قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن
الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين • من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل و
ميكال فان الله عدو للكافرين • ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون • روي
ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله عمن يهبط عليه بالوحي فقال
جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه
بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه
لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه • وقيل امره الله تعالى ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا •
وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدراس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم
فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسالكم لاني شاك في ديني وانما ادخل
عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى آثاره في كتابكم ثم سالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على
اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما فقالوا اقرب
منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين
ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا للآخر كان عدوا لله ثم رجع عمر
فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر لقد رايتني في دين

الله بن ذلك لضلت من الحجر • وقرئ جبريل بوزن قمطريل • وجبرئل بحذف الياء • وجبريل بحذف الهمزة • وجبريل
بوزن قنديل • وجبرال بالالف شذ • وجبرائيل بوزن جبراعيل • وجبرال بوزن جبرعل ومنع الصرف فيه
للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله • الضمير في نزله للقرآن ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره
فيه فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر
شيء من صفاته • على قلبك اي حفظه اياك وفهمكه • باذن الله بتيسيره وتسهيله • فان قلت
كان حق الكلام ان يقال على قلبي قلت جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم به كأنه قيل ما تكلمت به
من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك • فان قلت كيف استقام قوله فانه نزله جزاء
للشرط قلت فيه وجهان احدهما ان عادى جبريل احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته
حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح
المنزل عليهم • والثاني ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا
له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك
فلان فقد آذيته واسأت اليه • افرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر وهو مما ذكر ان التغاير
في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات • وقرئ ميكال بوزن قنطار • وميكائيل كميكاعيل • وميكائل
كميكاعل • وميكئل كميكعل • وميكئيل كميكعيل قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه •
عدو للكافرين اراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل ان الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة
كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم اشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه
اشد العقاب • الا الفاسقون الا المتمردون من الكفرة • وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي
وقع على اعظمه من ذلك النوع من كفر وغيره • وعن ابن عباس قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا
بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت • واللام في الفاسقين للجنس والاحسن ان يكون
اشارة الى اهل الكتاب اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون الواو للعطف على
محذوف معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا • وقرأ ابو السمال بسكون الواو وحمل الفاسقين بمعنى
الذين فسقوا فكأنه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة • وقرئ عوهدوا وعهدوا
واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم يفوا قال الله تعالى الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة • والنبذ الرمي بالذمام
ورفضه • وقرأ عبد الله رضي الله عنه نقضه فريق منهم وقال فريق منهم لان منهم من لم ينقض • بل اكثرهم لا يؤمنون
بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به • كتاب الله يعني التوراة لانهم بكفرهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها • وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعدما لزمهم
تلقيه بالقبول كأنهم لا يعلمون انه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا
ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات
اليه • وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرؤونه ولكنهم نبذوا العمل به • وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير
وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر
سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان
من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين
به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق
ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون • اي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني واتبعوا

كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرأ على ملك سليمان اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين
كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها
الناس وفشا ذلك في زمن سليمان صلوات الله عليه وسلامه حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا
علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه تسخر الانس والجن والريح التي تجري بامره • وما كفر سليمان تكذيب
للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا • ولكن الشياطين هم الذين كفروا
باستعمال السحر وتدوينه • يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم • وما انزل على الملكين عطف على
السحر اي ويعلمونهم ما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا اي واتبعوا ما انزل • وهاروت وماروت عطف بيان
للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن
تجنبه او تعلمه لئلا يعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا • عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه • كما ابتلى
قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني • وقرأ الحسن على الملكين بكسر اللام على ان
المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل • وما يعلمان الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة
اي ابتلاء واختبار • فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر • فيتعلمون الضمير لما دل عليه من احد اي فيتعلم الناس
من الملكين • ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة
وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه لا ان السحر له اثر
في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه ربما احدث الله عنده فعلا من افعاله وربما
لم يحدث • ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح كتعلم الفلسفة التي
لا يؤمن ان تجر الى الغواية • ولقد علموا هؤلاء اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين من كتاب الله • ما له
في الآخرة من خلاق من نصيب • ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها • وقرأ الحسن رحمه الله الشياطون • وعن بعض
العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد • وقرأ الزهري هاروت وماروت بالرفع على
هما هاروت وماروت وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لا
انصرفا • وقرأ طلحة وما يعلمان بالتخفيف من اعلم • وقرئ بين المرء بضم الميم وكسرها مع الهمزة والمر بتشديد الراء على
تقدير التخفيف والوقف كقولهم فرج واجراء الوصل مجرى الوقف • وقرأ الاعمش وما هم بضاري بطرح النون
والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف • فان قلت كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن قلت جعل
الجار جزءا من المجرور • فان قلت كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم
نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون قلت معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون
عنه ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون • ولو انهم آمنوا برسول الله والقرآن
واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين • لمثوبة من عند الله خير • وقرئ
لمثوبة كمشورة ومشورة • لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك
العمل بالعلم فان قلت كيف اوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو [illegible] لما في ذلك من الدلالة
على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام عليكم لذلك • فان قلت وهلا
قيل لمثوبة الله خير قلت لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم • ويجوز ان يكون قوله ولو انهم آمنوا تمنيا
لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله ايمانهم واختيارهم له كأنه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة
من عند الله خير يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب
اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص
برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم • كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا

التي عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت اليهود
كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها وهي راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا
به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره
اذا انتظره • وقرأ ابي رضي الله عنه انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ • وقرأ عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه راعونا على انهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير • وقرأ الحسن رحمه الله راعنا بالتنوين
من الرعن وهو الهوج • اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان
سببا في السب اتصف بالرعن • واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقي
عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا سماع
قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا
الى ما نهيتم عنه تاكيدا عليهم ترك تلك الكلمة • وروي ان سعد بن معاذ رضي الله عنه سمعها منهم فقال يا اعداء
الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه
فقالوا اولستم تقولونها فنزلت • وللكافرين ولليهود الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه
عذاب اليم • من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل
الكتاب والمشركين • والثانية مزيدة لاستغراق الخير • والثالثة لابتداء الغاية • والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله
عز وعلا اهم يقسمون رحمة ربك • والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل
عليكم شيء من الوحي • والله يختص برحمته من يشاء • ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة • والله ذو الفضل العظيم اشعار
بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله ان فضله كان عليك كبيرا ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها
او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير • الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير • ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد
ضل سواء السبيل • روي انهم طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه
ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت • وقرئ ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من انسخ اي نأمر جبريل بنسخها او ننسأها
وقرئ ننسأها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقرأ
عبد الله رضي الله عنه ما ننسك من آية او ننسخها • وقرأ حذيفة رضي الله عنه ما ننسخ من آية او ننسكها
ونسخ الآية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو ان يأمر جبريل صلوات الله عليه بان
يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تاخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها ان يذهب بحفظها
من القلوب والمعنى ان كل آية نذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها او من ازالة احدهما
الى بدل او غير بدل نأت بآية خير منها للعباد اي بآية العمل بها اكثر للثواب • او مثلها في ذلك • ان الله على كل
شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير • له ملك السموات والارض فهو يملك
اموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ لما بين لهم انه
مالك امورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله الم تعلم اراد ان
يوصيهم بالثقة به فيما هو اصلح مما يتعبدهم به وينزل عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحته
آباء اليهود على موسى من الاشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها ارنا الله جهرة وغير
ذلك • ومن يتبدل الكفر بالايمان ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها • فقد
ضل سواء السبيل • روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان
وعمار بن ياسر رضي الله عنهما بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى

ديننا فهو

ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار رضي الله عنه كيف نقض العهد فيكم قالوا
شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة رضي الله عنه
واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا
ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال عليه الصلاة والسلام اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت
فان قلت بم تعلق قوله من عند انفسهم قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بود على معنى انهم تمنوا
ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا
ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا اي حسدا بالغا
منبعثا من اصل نفوسهم • فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة
حتى يأتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم • ان الله على
كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم • من خير من حسنة صلاة او صدقة او غيرهما • تجدوه عند
الله تجدوا ثوابه عنده • ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل • الضمير في وقالوا لاهل
الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل
الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وامنا من الالتباس لما علم
من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى والهود
جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل • فان قلت كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر قلت
حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن رحمه الله الا من هو صالو الجحيم وقوله فان له
نار جهنم خالدين • وقرأ ابي بن كعب رضي الله عنه الا من كان يهوديا او نصرانيا • فان قلت لم قيل تلك
امانيهم وقولهم لن يدخل الجنة امنية واحدة قلت اشير بها الى الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان
لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك
الاماني الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وتلك امانيهم اعتراض او اريد امثال تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه والامنية افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة • هاتوا صوت بمنزلة هاء في معنى احضر • ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا اهدم شيء لمذهب المقلدين وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت • بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة • من اسلم وجهه من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره • وهو محسن في عمله • فله اجره الذي يستوجبه • فان قلت من اسلم كيف موقعه قلت يجوز ان يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما مبتدأ ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره وان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم • على شيء اي على شيء يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفى اطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم اقل من لا شيء • وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة او الانجيل او غيرهما من كتب الله وآمن به ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة على تصديق بعضها بعضا • كذلك قال الذين لا يعلمون اي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لاهل كل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم • وروي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

[illegible] حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتوراة فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيمة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون ان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا ان نرسل وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر مع ان ولك ان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فان قلت فكيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام قلت لا بأس ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين وكما قال عز وجل ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد بمن منع العموم كما اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك النصارى او المشركين اولئك المانعون ما كان لهم ان يدخلوها اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني ان الله قد حكم وكتب في اللوح انه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين روي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا انهك ضربا وابلغ اليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقول عبد الله رضي الله عنه [illegible] وهو مثل [illegible] وقد اختلف العلماء رحمهم الله في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة رضي الله عنه ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي رحمه الله بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية ولله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله هو مالكها ومتوليها فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان ان الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم فعذروا وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلوة وقال الحسن فاينما تولوا [illegible] توجهوا القبلة وقالوا وقرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له وتبعيد بل له ما في السموات والارض هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان بهذه الصفة لم

يجانس ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض من المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم فان قلت كيف جاء بما الذي لغير اولي العلم مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكانه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشانهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون يقال بدع الشيء فهو بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان السميع بمعنى المسمع في قول عمرو امن ريحانة الداعي السميع وفيه نظر كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول في قوله اذ قالت الانساع للبطن الحق وانما المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما ان المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقرئ بديع السموات مجرورا على انه بدل من الضمير في له وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا او تاتينا آية جحودا لان يكون ما اتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله اتواصوا به قد بينا الآيات لقوم يوقنون اي لقوم ينصفون فيوقنون انها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير انا ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم على الكفر ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسأل على النهي روي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره فلا تسأل وتعضد القراءة الاولى قراءة عبد الله رضي الله عنه ولن تسأل وقراءة ابي وما تسأل كانهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخولهم في الاسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال قل ان هدى الله هو الهدى على طريقة اجابتهم عن مقالتهم يعني ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى الا ترى الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم اي اقوالهم التي هي اهواء وبدع بعد الذي جاءك من العلم اي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك

للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين • الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنو أهل الكتاب يتلونه حق
تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم • أولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين
ومن يكفر به من المحرفين • فأولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى • ابتلى إبراهيم ربه بكلمات
اختبره بأوامر ونواه • واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين ما يريد الله وما يشتهيه
العبد كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك • وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه وهي قراءة ابن
عباس رضي الله عنه • إبراهيمُ ربَّه برفع إبراهيم ونصب ربه • والمعنى أنه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر
هل يجيبه إليهن أم لا • فإن قلت الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعليق الضمير به إضمار قبل الذكر
قلت الإضمار قبل الذكر أن يقال ابتلى ربه إبراهيم فأما ابتلى إبراهيم ربه أو ابتلى ربه إبراهيم فليس في واحد منهما
إضمار قبل الذكر أما الأول فقد ذكر صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا وأما الثاني فإبراهيم فيه مقدم في المعنى
وليس كذلك ابتلى ربه إبراهيم فإن الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل إلى صحته • والمستكن في فأتمهن في
إحدى القراءتين لإبراهيم بمعنى فقام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه
وإبراهيم الذي وفى • وفي الأخرى لله تعالى بمعنى فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل أنه
فسر الكلمات بما سأل إبراهيم ربه في قوله تعالى رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا
ربنا تقبل منا • فإن قلت ما العامل في إذ قلت إما مضمر نحو واذكر إذ ابتلى وإما إذ ابتلاه كان
كيت وكيت وإما قال إني جاعلك • فإن قلت ما موقع قال قلت هو على الأول استئناف كأنه قيل فماذا قال ربه
حين أتم الكلمات فقيل قال إني جاعلك للناس إماما وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز أن يكون بيانا لقوله
ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكره من الإمامة وتطهير البيت ورفع قواعده والإسلام قبل ذلك في قوله
إذ قال له ربه أسلم • وقيل في الكلمات هي خمس في الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق
وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الأظفار ونتف الإبط • وقيل ابتلاه من شرائع الإسلام
بثلاثين سهما • عشر في براءة التائبون العابدون السائحون • وعشر في الأحزاب إن المسلمين والمسلمات •
وعشر في المؤمنون وسأل سائل إلى قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون • وقيل هي مناسك الحج كالطواف
والسعي والرمي والإحرام والتعريف وغيرهن • وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه
والنار والهجرة • والإمام اسم من يؤتم به على زنة الآلة كالإزار لما يؤتزر به أي يأتمون بك في دينهم • ومن
ذريتي عطف على الكاف كأنه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا • لا ينال
عهدي الظالمين وقرئ الظالمون أي من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالإمامة
وإنما ينال من كان عادلا بريئا من الظلم وقالوا في هذا دليل على أن الفاسق لا يصلح للإمامة وكيف يصلح
لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة وكان أبو حنيفة رحمه
الله يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليهما وحمل المال إليه والخروج معه على اللص المتغلب
المتسمي بالإمام والخليفة كالدوانيقي وأشباهه وقالت له امرأة أشرت على ابني بالخروج مع إبراهيم
ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك وكان يقول في المنصور وأشياعه لو أرادوا
بناء مسجد وأرادوني على عد آجره لما فعلت • وعن ابن عيينة لا يكون الظالم إماما قط وكيف
يجوز نصب الظالم للإمامة والإمام إنما هو لكف الظلمة فإذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد
جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم • وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا
من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين
والركع السجود • وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم

بالله

بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير
والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا • مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه
ثم يثوبون إليه أي يثوب إليه أعيان الذين يزورونه أو أمثالهم • وأمنا وموضع أمن كقوله حرما آمنا
ويتخطف الناس من حولهم ولأن الجاني يأوي إليه فلا يتعرض له حتى يخرج • وقرئ مثابات لأنه مثابة
لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد • واتخذوا على إرادة القول أي وقلنا
اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب • وعن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه أخذ بيد عمر فقال هذا مقام إبراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى يريد فلا نؤثره
لفضله بالصلاة فيه تبركا وتيمنا بموطئ قدم إبراهيم فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلاثا
ومشى أربعا حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام إبراهيم
مصلى • وقيل مصلى مدعى • ومقام إبراهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه والموضع الذي فيه الحجر حين وضع
عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام إبراهيم • وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل المطلب بن أبي وداعة
هل تدري أين كان موضعه الأول قال نعم فأراه موضعه اليوم • وعن عطاء مقام إبراهيم عرفة والمزدلفة
والجمار لأنه قام في هذه المواضع ودعا فيها • وعن النخعي الحرم كله مقام إبراهيم • وقرئ واتخذوا بلفظ
الماضي عطفا على جعلنا أي واتخذ الناس من مكان إبراهيم الذي وسم به لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده
قبلة يصلون إليها • عهدنا أمرناهما أن طهرا بيتي بأن طهرا أو أي طهرا والمعنى طهراه من الأوثان و
الطواف الجنب والحائض والخبائث كلها أو أخلصاه لهؤلاء لا يغشه غيرهم • والعاكفين المجاورين الذين عكفوا
عنده أي أقاموا لا يبرحون أو المعتكفين • ويجوز أن يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلاة كما قال
للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لأن القيام والركوع والسجود هيئات المصلي
اجعل هذا بلدا أي اجعل هذا البلد أو هذا المكان بلدا آمنا ذا أمن كقوله عيشة راضية أو آمنا من فيه كقولك ليل نائم
ومن آمن منهم بدل من أهله يعني وارزق المؤمنين من أهله خاصة • ومن كفر عطف على من آمن كما عطف
ومن ذريتي على الكاف في جاعلك فإن قلت لم خص إبراهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى رد عليه
قلت قاس الرزق على الإمامة فعرف الفرق بينهما لأن الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للمرعي وأبعد
الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فإنه قد يكون استدراجا للمرزوق وإلزاما للحجة له والمعنى وأرزق
من كفر فأمتعه ويجوز أن يكون ومن كفر مبتدأ متضمنا معنى الشرط وقوله فأمتعه جوابا للشرط أي ومن كفر فأنا أمتعه
وقرئ فأمتعه فأضطره فألزه إلى عذاب النار لز المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر إليه • وقرأ
أبي رضي الله عنه فنمتعه قليلا ثم نضطره • وقرأ يحيى بن وثاب فإضطره بكسر الهمزة • وقرأ ابن
عباس رضي الله عنه فأمتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الأمر والمراد الدعاء من إبراهيم دعا ربه بذلك
فإن قلت فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة قلت في قال ضمير إبراهيم أي قال إبراهيم بعد مسألته اختصاص
المؤمنين بالرزق ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره • وقرأ ابن محيصن فأطره بإدغام الضاد في الطاء
كما قالوا اطجع وهي لغة مرذولة لأن الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم
فيما يجاورها وهي حروف ضم شفر • وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل
منا إنك أنت السميع العليم • ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا
مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم • يرفع حكاية حال ماضية • والقواعد جمع قاعدة
وهي الأساس والأصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله أي أسأل الله

والمراد بأعيانهم النفس لا أشخاصهم كأنهم هم ولهذا قال أو أمثالهم م

واتخذوا أمر على سبيل الاستحباب

حتى نزلت أي واتخذوا من مقام إبراهيم الآية م

قوله وعن جابر وصل المراد الأمر ركعتي الطواف لما روي عن جابر بن عبد الله م

وقرأ الباقون بلفظ الأمر على إرادة القول أي وقلنا اتخذوا إلى آخره وهو استحباب م

قوله والمعتكفين أي الاعتكاف الشرعي م

وعن ابن عباس رضي الله عنه يريد حرما لا يصاد طيره ولا يقطع شجره ولا يختلى خلاه م

قوله خاصة لأن الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر م

ان يبعدك اي يثبتك • ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة
الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر • ويجوز ان يكون المراد بها ساقات البناء لان كل ساق قاعدة للذي يبنى
عليه ويوضع فوقه • ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع ساقا فوق ساق فقد رفع
الساقات • ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت اي استوطأ يعني جعل هيئة القاعدة
المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء • وروي انه كان اسس قبل ابراهيم فبنى على الاساس • وروي
ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك
ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر
حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على
رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله امر ابراهيم
ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة اظلته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص
وقيل بناه من خمسة اجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاءه جبريل
بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة
فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود • وقيل كان ابراهيم صلوات الله عليه يبني واسمعيل صلى الله عليه وسلم
يناوله الحجارة • ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله رضي الله عنه في
قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا انك انت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا ونياتنا • فان قلت هلا
قيل قواعد البيت واي فرق بين العبارتين • قلت في ابهام القواعد ثم تبيينها بعد الابهام ما ليس في اسلوبها
في الايضاح بعد الابهام من تفخيم شان المبين • مسلمين لك مخلصين لك اوجهنا من قوله اسلم
وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم له وسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا
واذعانا لك • وقرئ مسلمين على الجمع كانهما ارادا انفسهما وهاجر او اجريا التثنية على حكم الجمع
لانها منه • ومن ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم
فان قلت لم خصا ذريتهما بالدعاء • قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم
نارا ولان اولاد الانبياء صلوات الله عليهم اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير الا ترى
ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم • وقيل اراد
بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم • وارنا منقول من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز
مفعولين اي وبصرنا متعبداتنا في الحج او عرفناها وقيل مذابحنا • وقرئ وارنا بسكون الراء
قياسا على فخذ في فخذ وقد استرذلت لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها
اجحاف • وقرأ ابو عمرو باشمام الكسرة • وقرأ عبد الله وارهم مناسكهم • وتب علينا
ما فرط منا من الصغائر او استتابا لذريتهما • ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك و
يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم • ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه
ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين • اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت
لرب العالمين • وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم روي انه قيل له قد استجيب لك
وهو في آخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم قال عليه الصلاة والسلام انا دعوة
ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي • يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل
وحدانيتك وصدق انبيائك • ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة الشريعة وبيان الاحكام • ويزكيهم
يطهرهم من الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث • ومن يرغب

انكارا

انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابراهيم ومن سفه في محل
الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد
سفه نفسه امتهنها واستخف بها • واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه • وقيل انتصاب
النفس على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه ويجوز ان يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله • ولا بفزارة الشعر
الرقابا • اجب الظهر ليس له سنام • وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم اي
في ظني والوجه هو الاول وكفى شاهدا له بما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا
رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة
• ولقد اصطفيناه بيان لخطأ من رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله في الدارين بان كان
صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في الآخرة لم يكن احد اولى بالرغبة
في طريقته منه • اذ قال ظرف لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت
على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله
ومعنى قال له اسلم اخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام فقال اسلمت اي فنظر وعرف
وقيل اسلم اي اذعن واطع • وروي ان عبد الله بن سلام رضي الله عنه دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا
الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن
آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة رضي الله عنه وابى مهاجر ان يسلم
فنزلت • ووصى قرئ واوصى وهي في مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير في بها لقوله اسلمت لرب العالمين
على تأويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا
الذي فطرني وقوله كلمة باقية دليل على ان التأنيث على تأويل الكلمة • ويعقوب عطف على ابراهيم داخل في
حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا • وقرئ ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى
ابراهيم بنيه ونافلته يعقوب • يا بني على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه
في معنى القول ونحوه قول القائل • رجلان من ضبة اخبرانا • انا راينا رجلا عريانا • بكسر الهمزة فهو
بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار • وفي قراءة ابي وابن مسعود رضي الله عنهما ان يا بني
اصطفى لكم الدين اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به • فلا تموتن الا
فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام
اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع في حال صلاته • فان قلت
فاي نكتة في ادخال حرف النهي على الصلاة وليس بمنهي عنها • قلت النكتة فيه اظهار ان الصلاة التي لا خشوع
فيها كلا صلاة فكانه قال انهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه السلام لا صلاة
لجار المسجد الا في المسجد فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك المعنى في الآية اظهار
ان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حق هذا الموت
ان لا يحل فيهم • وتقول في الامر ايضا مت وانت شهيد فليس مرادك الامر بالموت ولكن بالكون على صفة
الشهداء اذا مات وانما امرته بالموت اعتدادا منك بميتته واظهارا لفضلها على غيرها
وانها حقيقة بان يحث عليها • ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون
من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون •
تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون • ام كنتم شهداء ام هي ام
المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار • والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب

عليه السلام اذ حضره الموت اي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم
العلم به من طريق الوحي • وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم لو
شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية
فالاية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء ولكن الوجه ان تكون ام متصلة على ان يقدر قبلها
محذوف كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم
من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون
على الانبياء ما هم منه براء • وقرئ حضر بكسر الضاد وهي لغة • ما تعبدون اي شيء تعبدونه وما عام
في كل شيء فاذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولي
العلم وحدهم • ويجوز ان يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام
غير ذلك من الصفات • وابراهيم واسماعيل واسحاق عطف بيان لآبائك وجعل اسماعيل وهو عمه من جملة
ابائه لان العم اب والخالة ام لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه الصلاة
والسلام عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس هذا بقية ابائي
وقال ردوا علي ابي فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود • وقرئ الهك واله
ابيك [illegible] اباك وقرئ ابيك وفيه وجهان ان يكون واحدا وابراهيم وحده عطف بيان له وان يكون
جمعا بالواو والنون قال ... وفديننا بالابينا • الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله بالناصية ناصية
كاذبة او على الاختصاص اي نريد باله ابائك • الها واحدا • ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله
لرجوع الهاء اليه في له • ويجوز ان تكون جملة معطوفة على نعبد وان تكون جملة اعتراضية موكدة اي ومن حالنا
انا له مسلمون مخلصون التوحيد او مذعنون • تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابراهيم ويعقوب وبنوهما
الموحدون والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متاخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك
انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا باوائلهم ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم لا ياتيني
الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم • ولا تسالون عما كانوا يعملون ولا تواخذون بسيئاتهم كما لا تنفعكم حسناتهم

وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين • قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون • فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم •

بل ملة ابراهيم بل نكون ملة ابراهيم اي اهل ملته كقول عدي بن حاتم اني من دين اي من اهل دين • وقيل بل
نتبع ملة ابراهيم • وقرئ ملة ابراهيم بالرفع اي ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل ملته
وحنيفا حال من المضاف اليه كقولك رايت وجه هند قائمة • والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين
الحق • والحنف الميل في القدمين • وتحنف اذا مال وانشد • ولكنا خلقنا اذ خلقنا • حنيفا ديننا عن كل
دين • وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه
وهو على الشرك • قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم
على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابراهيم يجوز ان يكون على بل اتبعوا انتم ملة ابراهيم او كونوا اهل ملته •
والسبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهما • والاسباط
حفدة يعقوب صلوات الله عليه ذراري ابنائه الاثني عشر • لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض
ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى • واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه • بمثل

ما امنتم

ما امنتم به من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه فلا يوجد اذن دين اخر يماثل دين الاسلام في كونه حقا حتى ان امنوا بذلك الدين المماثل له
كانوا مهتدين فقيل فان امنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير اي فان حصلوا دينا اخر مثل دينكم
مساويا له في الصحة والسداد • فقد اهتدوا وفيه ان دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له
غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الراي
الصواب فان كان عندك راي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رايك ولكنك تريد تبكيت
صاحبك وتوقيفه على ان ما رايت لا راي وراءه • ويجوز ان لا تكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة
كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي امنتم بها وقرا
ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما بما امنتم به • وقرا ابي رضي الله عنه بالذي امنتم به • وان تولوا
عما تقولون لهم ولم ينصفوا • فانما هم في شقاق اي في مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء
او وان تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان • فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليهم وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير • ومعنى السين ان ذلك
كائن لا محالة وان تاخر الى حين • وهو السميع العليم وعيد لهم اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون
من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه او وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني يسمع ما تدعو
به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك •

صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون • قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون • ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون • تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون •

صبغة الله مصدر
موكد منتصب عن قوله امنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة
التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون
اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الان صار
نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا امنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به
تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وانما جيء بلفظ الصبغة
على طريق المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام • ومن احسن من الله
صبغة يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغته • ونحن له
عابدون عطف على امنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابراهيم او نصب على الاغراء بمعنى
عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التيامه واتساقه وانتصابها على
انها مصدر موكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام • قل اتحاجوننا اتجادلوننا في الله
في شان الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله على احد
لانزل علينا وترون انكم احق بالنبوة منا • وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في انا عباده وهو ربنا وهو يصيب
برحمته وكرامته من يشاء من عباده [illegible]
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم [illegible]
الكرامة ومنهما فنحن كذلك ثم قال • ونحن له مخلصون فجاء بما هو سبب الكرامة اي ونحن له
مخلصون الايمان فلا تستبعدوا ان يؤهل اهل اخلاصه لكرامة النبوة وكان يقول لي [illegible]

المبين فينا لانا اهل كتاب والعرب عبدة اوثان • ام تقولون يحتمل فيمن قرأ بالتاء ان تكون ام معادلة
للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة في حكمة الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على
الانبياء صلوات الله عليهم والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة بمعنى بل اتقولون والهمزة
للانكار ايضا وفيمن قرأ بالياء لا تكون الا منقطعة • قل ءانتم اعلم ام الله يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام
في قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما • ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله
اي كتم شهادة الله التي عنده انه شهد بها وهي شهادته لابراهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما ان اهل
الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها • والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد
اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته • ومن في قوله
شهادة عنده من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله •
سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم • وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة
الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم • سيقول السفهاء خفاف
الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء
وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم • فان قلت اي فائدة في الاخبار
بقولهم قبل وقوعه **قلت** فائدته ان مفاجأة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب
اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم وارد لشغبه وقبل الرمي
يراش السهم • ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم وهي بيت المقدس • قل لله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب
والارض كلها • يهدي من يشاء الى اهلها • الى صراط مستقيم وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة
الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة • وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم • امة وسطا خيارا
وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قوله عليه الصلوة
والسلام انطوا الثبجة يريد بها الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج وهو وسط الظهر الا انه
الحق تاء التانيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية
محوطة ومنه قول الطائي كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت • بها الحوادث حتى اصبحت طرفا • وقد اكتريت
بمكة جمل اعرابي للحج فقال اعطني من سطاتهنه اراد من خيار الدنانير او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف
ليس الى بعضها اقرب من بعض • لتكونوا شهداء على الناس روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب
الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم
من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم
فيسئل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك
على هؤلاء شهيدا • **فان قلت** هلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم **قلت** لما كان الشهيد كالرقيب
والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد كنت انت الرقيب عليهم وانت
على كل شيء شهيد • وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار • ويكون
الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم • **فان قلت** لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا
قلت لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الاخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم •
التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها

وهي الكعبة

وهي الكعبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى الصخرة ببيت المقدس بعد
الهجرة تألفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي تحب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا
بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء • لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على
حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية ويجوز ان يكون
بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا
عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر
من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه • وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس
الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه • **فان قلت** كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك **قلت** معناه
لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم
الصابرين • وقيل ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه
واهل الزلفى عنده • وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان
العلم يقع به التمييز • وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة او الجعلة ويجوز ان يكون لكبيرة لثقيلة شاقة • الا
على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا للطفه
• وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم
الثواب العظيم • ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم • وقيل
من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلوته غير ضائعة • وعن ابن عباس رضي الله عنه لما وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قالوا كيف بالذين ماتوا قبل التحويل من اخواننا فنزلت • لرؤف رحيم لا يضيع اجورهم ولا
يترك ما يصلحهم • ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رأيك في ابي تراب فقرأ قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي
منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم • وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول
ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان تكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت ازيد في الدار
ام عمرو • وقرأ ابن ابي اسحاق على عقبيه بسكون القاف • وقرأ اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها ان تكون كان مزيدة
كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام • الاصل وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم ولكانت كبيرة • وقرئ
ليضيّع بالتشديد قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد
الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم
وما الله بغافل عما يعملون • ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم
وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين •
الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون • الحق من ربك
فلا تكونن من الممترين • قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله •
تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه
ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم صلوات الله عليه وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم
ولمخالفة اليهود وكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل • فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقباله من قولك
وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس • ترضاها تحبها وتميل اليها
لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته • شطر المسجد الحرام نحوه **قال** وأطعن
بالقوم شطر الملوك • وقرأ ابي رضي الله عنه تلقاء المسجد الحرام • عن البراء بن عازب رضي الله عنه قدم النبي صلى

الله عليه وسلم المدينة تصلي نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في
رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة
الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد
مسجد القبلتين • وشطر المسجد نصب على الظرف اي اجعل التولية تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان
استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب رعاية الجهة
دون العين • ليعلمون انه الحق ان التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله انه يصلي الى القبلتين
يعملون قرئ بالتاء والياء • ما تبعوا قبلتك جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط • بكل آية بكل برهان قاطع ان التوجه
الى الكعبة هو الحق • ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد
مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق • وما انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا
لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم • وقرئ بتابع قبلتهم على
الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى
اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس اخبر عز وعلا
عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع
عن باطله لشدة شكيمته في عناده • وقوله ولئن اتبعت اهواءهم بعد الايضاح عن حقيقة حال المعلومة
عنده في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح
البرهان والاحاطة بحقيقة الامر • انك اذا لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة
تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق **فان قلت**
كيف قال وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة **قلت** كلتا القبلتين باطلة
مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة • يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة
جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين للشخص كما يعرفون ابناءهم لا تشتبه عليهم ابناؤهم
وعن عمر رضي الله عنه انه سأل عبد الله بن سلام رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر
رأسه • وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه
تفخيم واشعار لانه لشهرته وكونه علما معلوما بغير اعلام • وقيل الضمير للعلم او القرآن او تحويل القبلة
وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام **فان قلت** لم اختص الابناء
ولم يقل الاولاد **قلت** لان الذكور اشهر واعرف وهم لصحبة الآباء الزم وبقلوبهم الصق وقال فريقا منهم
استثناء لمن آمن منهم او لجاهلهم الذين قال فيهم ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب • الحق من ربك يحتمل ان يكون خبر
مبتدأ محذوف اي هو الحق او مبتدأ خبره من ربك وفيه وجهان ان تكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم او الى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك وان يكون
للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي
عليه اهل الكتاب فهو باطل **فان قلت** اذا جعلت الحق خبر مبتدأ فما محل من ربك **قلت** يجوز ان يكون
خبرا بعد خبر وان يكون حالا • وقرأ علي رضي الله عنه الحق من ربك على الابدال من الاول اي يكتمون الحق الحق من
ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه من ربك ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا
الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير • ومن حيث خرجت فول وجهك شطر
المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون • ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد

الحرام وحيث

الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا
تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون • كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم
آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون • فاذكروني اذكركم واشكروا لي
ولا تكفرون • ولكل من اهل الاديان المختلفة • وجهة قبلة وفي قراءة ابي رضي الله عنه ولكل قبلة • هو
موليها هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين • وقيل هو الله تعالى اي الله موليها اياه • وقرئ
ولكل وجهة على الاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد
ضربت ولزيد ابوه ضاربه • وقرأ ابن عامر هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى
لكل امة قبلة يتوجه اليها منكم ومن غيركم • فاستبقوا انتم • الخيرات واستبقوا اليها غيركم من امر
القبلة وغيره ومعنى آخر وهو ان يراد ولكل منكم يا امة محمد وجهة اي جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية
او شرقية او غربية فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه
ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة الكعبة وان اختلفت
اينما تكونوا من الجهات المختلفة • يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم
تصلون حاضري المسجد الحرام • ومن حيث خرجت ومن اي بلد خرجت للسفر • فول وجهك شطر المسجد
الحرام اذا صليت • وانه وان هذا المأمور به • وقرئ يعملون بالتاء والياء • وهذا التكرير لتأكيد امر
القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى التفصلة بينه
وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت
فوائدها • الا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم
القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء
فان قلت فاي حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين
قلت كانوا يقولون ما له لا يحول الى قبلة ابيه ابراهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة **فان قلت** كيف
اطلق اسم الحجة على قول المعاندين **قلت** لانهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب
عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابراهيم واسمعيل ابي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل
مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم • وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما الا الذين
ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استأنف منبها • فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم
فانهم لا يضرونكم • واخشوني فلا تخالفوا امري وما رأيته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه
ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم امرتكم بذلك او يعطف على علة مقدرة كانه قيل واخشوني لاوفقكم
ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون • وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة • وعن علي رضي
الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام • كما ارسلنا اما ان يتعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الآخرة
بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسل فاذكروني بالطاعة
اذكركم بالثواب • واشكروا لي ما انعمت عليكم به • ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائي • يا ايها الذين آمنوا
استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين • ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء
ولكن لا تشعرون • ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر
الصابرين • الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون • اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون • اموات بل احياء هم اموات بل هم احياء • ولكن
لا تشعرون كيف حالهم في حياتهم • وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم

فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع • وعن مجاهد يرزقون
ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها • وقالوا يجوز ان يجمع الله الجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان
كان في حجم الذرة • وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر • ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه
فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام لا • بشيء
بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه • وبشر الصابرين المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع
تسليم واذعان • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن
عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه • وروي انه صلى الله عليه وسلم طفئ سراجه فقال انا لله وانا اليه راجعون
فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة • وانما قلل في قوله بشيء ليؤذن ان كل بلاء اصاب
الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وانما
وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم • ونقص عطف على شيء او على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال
والخطاب في وبشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتأتى منه البشارة • وعن الشافعي رضي الله
عنه الخوف خوف الله • والجوع صيام شهر رمضان • والنقص من الاموال الزكوات والصدقات • ومن
الانفس الامراض • ومن الثمرات موت الاولاد • وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد
قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول
الله تبارك وتعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه
بيت الحمد • الصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة لقوله تعالى رأفة
ورحمة رؤوف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة اي رحمة • واولئك هم المهتدون للحق
والصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله • ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا
جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم • ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات
والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون • الا الذين تابوا
واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم • ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين • خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
الصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم • والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه
ومتعبداته • والحج لغة القصد • والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المعروفين وهما
في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان • واصل يطوف يتطوف فادغم • وقرئ ان يطوف من طاف
كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف بهما • كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة
وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة
عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما
لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح • واختلف في السعي فمن قائل هو تطوع
بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله عز وعلا فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك
وكقوله تعالى ومن تطوع خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم وتنصره
قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما • وعن ابي حنيفة رضي الله عنه انه واجب ليس
بركن وعلى تاركه دم • وعند الاولين لا شيء عليه • وعند مالك والشافعي رحمهما الله هو ركن لقوله عليه
الصلوة والسلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي • وقرئ ومن تطوع بمعنى يتطوع فادغم وفي قراءة عبد الله
ومن يتطوع بخير • ان الذين يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا في التوراة من البينات من الآيات الشاهدة على

على امر محمد صلى الله عليه وسلم • والهدى والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به • من بعد ما بيناه ولخصناه
للناس في الكتاب في التوراة لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه
ولبسوا على الناس • اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتأتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة ومؤمنو
من الثقلين • واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرطوا منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتموه ليتم توبتهم
ببين الناس ما احدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم
من المفسدين • ان الذين كفروا يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا
وقرأ الحسن والملائكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في التقدير كقولك اعجبني ضرب
زيد وعمرو وتريد من ان ضرب زيد وعمرو وكأنه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة
ما معنى قوله والناس اجمعين وفي الناس المسلم والكافر • اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون
وقيل يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا • خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشأنها وتهويلا
وهم لا ينظرون من الانظار اي لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة
والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم • ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك
التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف
الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون • ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة
لله جميعا وان الله شديد العذاب • اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب
وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم
وما هم بخارجين من النار • اله واحد فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها • ولا اله
الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته • الرحمن الرحيم المولي لجميع اصول النعم وفروعها ولا شيء سواه بهذه
الصفة فكل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه • وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فلما
سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت • ان في خلق السموات والارض
[illegible]

تزرفون الى غيره او يأكلونه كما اكلت باهلة الاعهاض حين عام المجاعة. الذين ظلموا اشارة الى المتخذين الانداد ولو يعلم هولاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون انداده ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو رأيت فلانا والسياط تأخذه. وقرئ ولو ترى على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم او كل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما. وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة. اذ تبرأ بدل من اذ يرون العذاب اي تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع. وقرأ مجاهد الاول على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول اي تبرأ الاتباع من الرؤساء. ورأوا العذاب الواو للحال اي تبرؤوا في حال رؤيتهم العذاب. وتقطعت عطف على تبرأ والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله عز وجل لقد تقطع بينكم. لو في معنى التمني ولذلك اجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كأنه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم. كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع. يريهم الله اعمالهم حسرات اي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل أرى ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا الحسرات مكان اعمالهم. وما هم بخارجين هم بمنزلته في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص. يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين. انما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون. واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون. حلالا مفعول كلوا او حال مما في الارض. طيبا طاهرا من كل شبهة. ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا في حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام. ومن للتبعيض لان كل ما في الارض ليس بمأكول. وقرئ خطوات بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كأنها على الواو وخطوات بفتحة وسكون. والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته. مبين ظاهر العداوة لا خفاء به. انما يأمركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يأمركم بخير قط. انما يأمركم بالسوء بالقبيح والفحشاء ما يتجاوز الحد في القبح من العظائم. وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد. وقيل وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كقولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله تعالى مما لا يجوز عليه. فان قيل كيف كان الشيطان آمرا وقد قال ليس لك عليهم سلطان. قلت شبه تزيينه وبعثه على الشر بامر الآمر كما تقول امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المأمورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان بطبعه مائلا الى ما اشتهت. لهم الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا ضال اضل من المقلد كأنه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون. قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم. والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا. اولو كان آباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب ومعناه ايتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب. ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون. يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون. انما حرم عليكم

الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم. ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم. اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار. ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد. لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجرها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يعي العقلاء. ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم الحروف. وقيل معناه ومثلهم في اتباع آبائهم وتقليدهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون اهم على حق ام باطل. وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا. والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن قال

فانعق بضأنك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا

واما نعق الغراب فبالغين المعجمة. صم بكم عمي رفع على الذم. فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال بالنظر. من طيبات ما رزقناكم مستلذاته او من حلالاته لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا. واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تختصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم. وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والجن والانس في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري. وقرئ حرم على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم. اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى. غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه. ولا عاد سد الجوعة

فان قيل في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان. قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة الا يرى ان القائل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد ...

لفي خلاف بعيد عن الحق • والكتاب الجنس او كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق كما تعلمون وان الذين اختلفوا
فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم اساطير لفي شقاق بعيد يعني ان اولئك لو لم يختلفوا
ولم يشاقوا لما جسروا على ان يكفروا ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله
واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين
في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون • البر اسم للخير ولكل فعل
مرضي • ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس
والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة
وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم • وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج
من البر ولكن البر ما بينه • وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي
ان تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة اليه بر من آمن وقام
بهذه الاعمال • وقرئ ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم • وقرأ عبد الله رضي الله عنه بان تولوا على ادخال
الباء على الخبر للتأكيد كقولك ليس المنطلق بزيد • ولكن البر من آمن بالله على تأويل حذف المضاف اي بر من آمن او
بتأويل البر بمعنى ذي البر او كما قالت فانما هي اقبال وادبار • وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء • وقرئ
ولكن البار • وقرأ نافع وابن عامر ولكن البر بالتخفيف • والكتاب جنس كتب الله او القرآن • على حبه مع حب المال والشح به كما قال
ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت
لفلان كذا • وقيل على حب الله • وقيل على الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه • وقدم ذوي القربى لان ايتاءهم احق
قال عليه الصلاة والسلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة
وقال عليه الصلاة والسلام افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح • واطلق ذوي القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم
الالتباس • والمسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير للدائم السكر • وابن السبيل المسافر المنقطع جعل
ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال اللص القاطع ابن الطريق • وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف به • والسائلين المستطعمين
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه • وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا
رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى فان قلت قد ذكر ايتاء المال في هذه الوجوه مقرونا
بايتاء الزكوة فهل دل ذلك على ان في المال حقا سوى الزكوة قلت يحتمل ذلك وعن الشعبي ان في المال حقا سوى الزكوة
وتلى هذه الآية • ويحتمل ان يكون ذلك بيان مصارف الزكوة او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت
الزكوة كل صدقة يعني وجوبها • وروي ليس في المال حق سوى الزكوة • والموفون عطف على من آمن واخرج الصابرين
منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال • وقرئ والصابرون
وقرئ والموفين والصابرين • والبأساء الفقر والشدة • والضراء المرض والزمانة • صدقوا كانوا صادقين في الدين
يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه
شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب
اليم • عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي رحمهم الله ان الحر لا يقتل
بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى بهذه الآية ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس ولان تلك واردة لحكاية
ما كتب في التوراة على اهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها • وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي
وقتادة والثوري وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله انها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص
ثابت بين العبد والحر والذكر والانثى ويستدلون بقوله عليه الصلاة والسلام المسلمون تتكافأ دماؤهم

وبان التفاضل

وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به • وروي انه كان بين حيين
من احياء العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر
بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزلت وامرهم
ان يتباوؤا • فمن عفي له من اخيه شيء معناه فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو على انه كقولك سير
بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شيء من المفعول به لان عفي لا يتعدى الى مفعول به
الا بواسطة • واخوه هو ولي المقتول وقيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه به
كما تقول للرجل قل لصاحبك لمن بينه وبينه ادنى ملابسة او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما
على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام فان قلت ان عفي يتعدى بعن لا باللام
فما وجه قوله فمن عفي له قلت يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن
ذنبه قال الله تعالى عفى الله عنك وقال عفى الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان
عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وعلى هذا ما في الآية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغني عن ذكر الجناية
فان قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به قلت لان عفى الشيء بمعنى
تركه ليس بثبت ولكن اعفاه • ومنه قوله عليه الصلاة والسلام واعفوا اللحى فان قلت فقد ثبت قولهم
عفى اثره اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه شيء قلت عبارة قلقة في مكانها
والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى
قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخريج وجه للمشكل
من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها فان
قلت لم قيل شيء من العفو قلت للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى
عن بعض الدم او عفى عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب الا الدية • فاتباع
بالمعروف فليكن اتباع او فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل
بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل بدل الدم اداء باحسان
بان لا يمطله ولا يبخسه • ذلك الحكم المذكور من العفو والدية • تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل التوراة كتب
عليهم القصاص البتة وحرم العفو واخذ الدية وعلى اهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت
هذه الامة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا • فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف
فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل
بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله • فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة • وعن قتادة العذاب
الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله صلى الله عليه وسلم لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية
ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون • كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا
الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين • فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه
ان الله سميع عليم • فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم • ولكم في
القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت للحيوة وقد جعل مكانا وظرفا للحيوة ومن
اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحيوة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حيوة
عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل بأخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل
بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التشاجر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة اي حيوة
او نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم

انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حيوة نفسين • وقرأ ابو
الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص • وقيل القصص القرآن حيوة القلوب كقوله
روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة • لعلكم تتقون اي ارينكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس
لعلكم تتقون تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة •
اذا حضر احدكم الموت اذا دنا منه وظهرت اماراته • خيرا مالا كثيرا عن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد
الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد آخر ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة
الاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك • وعن
علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير
للتمالك • والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد
ما سمعه • والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث وبقوله عليه الصلوة والسلام ان الله اعطى
كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وتلقي الامة اياه بالقبول يلحقه بالمتواتر وان كان من الاحاد لانهم لا يتلقون
بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الايتين وقيل
ما بين مخالفة لاية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين من قوله تعالى يوصيكم
الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم
بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث • حقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا •
فمن بدله فمن غير الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود • بعد ما سمعه وتحققه • فانما
اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريئان
من الحيف • ان الله سميع عليم وعيد للمبدل • فمن خاف فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون اخاف ان ترسل
السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم • من موص جنفا ميلا بالخطأ في الوصية • او اثما او تعمدا للحيف
فاصلح بينهم بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع • فلا اثم عليه حينئذ لان تبديله
تبديل باطل الى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم • يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون • اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة
من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين • فمن تطوع خيرا فهو خير له ان كنتم تعلمون •
كما كتب على الذين من قبلكم على الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم قال علي رضي الله عنه اولهم آدم يعني ان الصوم عبادة
قديمة اصلية ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم • لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها
لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصي لان الصائم اظلف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء قال عليه الصلوة والسلام
فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء • او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم • وقيل معناه انه كصومهم في عدد
الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما
وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا
عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته • وقيل الايام المعدودات عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر كتب على رسول الله
صلى الله عليه وسلم صياما حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان • وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان تتقوا المفطر بعد
صلوة العشاء وبعد النوم ثم نسخ ذلك بقوله احل لكم ليلة الصيام الاية ومعنى معدودات موقتات بعدد
معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويحثى في الكثير هيلا ويحثى
حثيا وانتصابها بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة • او على سفر او راكب سفر • فعدة فعليه عدة • وقرئ بالنصب
بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر • واختلف في المرض

للمبيح

للمبيح للفطر فمن قائل كل مرض لان الله لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر كما ان لكل مسافر ان
يفطر فكذا لكل مريض • وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه • وسئل مالك
رحمه الله عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار
وقائل هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله يريد الله بكم اليسر • وعن الشافعي رضي الله عنه
لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل • واختلف ايضا في القضاء فعامة العلماء رحمهم الله على التخيير وعن ابي
عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتره وان شئت
ففرقه • وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم رضي الله عنهم انه يقضي كما فات متتابعا • وفي قراءة ابي رضي الله عنه
فعدة من ايام اخر متتابعات • فان قلت فكيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودة
قلت لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر بان تصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤثر عددها
على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة • وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم ان
افطروا • فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك
في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية • وقرا ابن عباس رضي
الله عنه يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم صوموا و
يتطوقونه بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه
واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على انهما من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم
تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر
وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه
اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم • فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية • فهو خير له فالتطوع
خير له او الخير • وقرئ فمن يطوع • وان تصوموا ايها المطيقون وتحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم خير لكم
من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا • وفي قراءة ابي رضي الله عنه والصيام خير
لكم شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه
ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا
الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون • الرمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع
من الصرف للعلمية والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه
عليها اذا دبرت • فان قلت لم سمي شهر رمضان قلت الصوم فيه عبادة قديمة فكأنهم سموه
بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا
لشدته عليهم • وقيل لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها
فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر • فان قلت فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه
جميعا فما وجه ما جاء في الاحاديث من نحو قوله عليه الصلوة والسلام من صام رمضان ايمانا
واحتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له • قلت هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال
بما اعيى النطاسي حذيما • اراد ابن حذيم • وارتفاعه على انه مبتدأ خبره ما بعده او خبر مبتدأ اي ذلكم شهر رمضان
او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان • وقرئ بالنصب
على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من اياما معدودات • الذي انزل
فيه القرآن اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر • وقيل انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى
الارض نجوما • وقيل انزل في شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام

على كذا وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست
مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين • هدى للناس وبينات نصب على الحال اي
انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق والباطل
فان قلت ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت ذكر اولا انه هدى
ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية
الفارقة بين الهدى والضلال • فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر
في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت
الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر • يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين
وامركم بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض
ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة • وقرئ اليسر والعسر
بضمتين • الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم
تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر
فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء
والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد
يهتدي الى تبينه الا النقاب المحدث من علماء البيان وانما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى
الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم • ومعنى ولعلكم تشكرون وارادة ان تشكروا • وقرئ
ولتكملوا بالتشديد فان قلت هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعملون
ولتكملوا العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا قلت لا يبعد
ذلك والاول اوجه فان قلت ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله والثناء عليه • وقيل هو تكبير
يوم الفطر • وقيل التكبير عند الاهلال واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع
اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون • فاني قريب تمثيل لحاله في سهولة اجابته
لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه
من حبل الوريد وقوله عليه الصلاة والسلام هو بينكم وبين اعناق رواحلكم • وروي ان اعرابيا قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت • فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان
والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم • وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها احل
لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم
فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط
الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك
حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون • كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب
والجماع الى ان يصلي العشاء الآخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء
الى القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلاة العشاء فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال عليه الصلاة
والسلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت • وقرئ احل لكم
ليلة الصيام الرفث اي احل الله • وقرأ عبد الله رضي الله عنه الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ
النيك وقد ارفث الرجل وعن ابن عباس رضي الله عنه انه انشد وهو محرم • وهن يمشين بنا هميسا • ان

تصدق الطير ننك لميسا • فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء • وقال الله فلا رفث ولا
فسوق كنى به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك فان قلت لم كني عنه هاهنا بلفظ الرفث
الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لامستم النساء دخلتم
بهن فأتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن قلت استهجانا لما وجد منهم
قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم فان قلت لم عدي الرفث بالى قلت لتضمينه معنى
الافضاء لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس
المشتمل عليه قال الجعدي • اذا ما الضجيع ثنى عطفها • تثنت فكانت عليه لباسا فان قلت
ما موقع قوله هن لباس لكم قلت هو استيناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن
مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن •
تختانون انفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير • والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة
وشدة • فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظورات • وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت
في اللوح من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل
وقيل هو نهي عن العزل لانه في الحرائر • وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله وحلله دون ما لم يكتبه لكم من المحل المحرم
وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر • وقرأ ابن عباس رضي الله عنه واتبعوا • وقرأ الاعمش
واتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع
التفاسير • الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود • والخيط الاسود ما يمتد
معه من غبش الليل شبها بخيطين ابيض واسود قال ابو دواد • فلما اضاءت لنا سدفة • ولاح
من الصبح خيط انارا • وقوله من الفجر بيان ان الخيط الابيض واكتفى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما
بيان الثاني ويجوز ان تكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله فان قلت اهذا من باب الاستعارة ام من باب
التشبيه قلت قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رأيت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان
رجع تشبيها فان قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي ابلغ من التشبيه
وادخل في الفصاحة قلت لان من شرط المستعار ان تدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين
مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من ان يكون استعارة فان قلت فكيف التبس على عدي بن حاتم
مع هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادي فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا
يتبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فضحك وقال ان كان
وسادك لعريضا وروي انك لعريض القفا انما ذاك بياض النهار وسواد الليل قلت غفل عن البيان ولذلك عرض
رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته • وانشدني بعض البدويا
لبدوي • عريض القفا ميزانه في شماله • قد انحص من حسب القراريط شاربه • فان قلت فما تقول فيما روي
عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط
الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبينا له فنزلت بعد ذلك من الفجر فعلموا انما يعني بذلك الليل
والنهار وكيف جاز تأخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه الا طلبين باستعارة لفقد الدلالة او لا
بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه الا الحقيقة وهي غير مرادة قلت اما من لا يجوز تاخير البيان
وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب ابي علي وابي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث واما من يجوز فيقول ليس بعبث
لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح المراد به • ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا فيه
دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تاخير الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال • عاكفين

في المساجد معتكفون فيها • والاعتكاف ان يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه • والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم
من قوله احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم • فالآن باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع
يفسد الاعتكاف وكذلك اذا لمس او قبّل فانزل وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف خرج فباشر امرأته ثم رجع الى
المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في المسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد •
وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلاثة • وقيل في مسجد جماعة • وقرأ مجاهد في المسجد تلك الاحكام
التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها فلا تغشوها **فان قلت** كيف قال تعالى لا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود
الله **قلت** من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز
الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وان يكون في
الوسط متباعدا عن الطرف فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل ملك حمى وحمى الله محارمه
فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد • ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه
خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا
فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون • بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه • ولا تدلوا بها ولا تلقوا امرها
والحكومة فيها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس • بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح
مع العلم بان المقضي له ظالم • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للخصمين انما انا بشر مثلكم وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم
الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا يأخذن منه شيئا فانما اقضي له قطعة من
نار فبكيا وقال كل منهما حقي لصاحبي فقال عليه الصلوة والسلام اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه • وقيل
وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى الحكام الى على وجه الرشوة • وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي • او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا
الحق وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ يسئلونك عن الاهلة قل
هي مواقيت للناس والحج وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من ابوابها واتقوا
الله لعلكم تفلحون • روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري رضي الله عنهما قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو
دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ لا يكون على حالة واحدة فنزلت • مواقيت
معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وعدد نسائهم وايام حيضهم ومدد حملهن وغير ذلك
ومعالم للحج يعرف بها وقته وكان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان
كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه • وان كان من اهل الوبر خرج
خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر من اتقى ما حرم الله **فان قلت** ما وجه اتصاله
بما قبله **قلت** كانهم سألوا عن الحكمة في نقصان الاهلة وتمامها معلوم ان كل ما يفعل الله عز وجل
لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء
وانتم تحسبونها برا • ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في الحج
ويجوز ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره • فالمعنى ليس البر وما
ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم • ولكن البر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله • ثم قال وأتوا البيوت
من ابوابها اي وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس
وربط القلوب على ان جميع افعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل
عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون • وقاتلوا في سبيل الله الذين
يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين • واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث
اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم

فاقتلوهم

فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين • فان انتهوا فان الله غفور رحيم • وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين • المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لاعلاء كلمة الله تعالى
واعزاز الدين • يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا
المشركين كافة • وعن الربيع بن انس هي اول آية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل
من قاتل ويكف عمن كف • او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان
والنساء • او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا
او لم يقاتلوا • وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل
فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون ان لا يفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم
في الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت واطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في
ذلك • ولا تعتدوا بابتداء القتل او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم
عهد او بالمثلة او بالمفاجاة من غير دعوة • حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم • والثقف وجود على وجه
الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه • قال • فاما تثقفوني فاقتلوني • فمن اثقف فليس الى خلود
من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح • والفتنة اشد
من القتل اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه من القتل • وقيل لبعض الحكماء ما اشد من الموت
قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل لقتل بحد
السيف اهون موقعا على النفس من قتل بحد فراق • وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم • وقيل الشرك اعظم من القتل
في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه اشد واعظم مما
يستعظمونه • ويجوز ان يراد وفتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم في الحرم او من قتلهم اياكم ان
قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم • وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم
يقال قتلتنا بنو فلان • وقال فان تقتلونا نقتلكم • فان انتهوا عن الشرك والقتال كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد
سلف • حتى لا تكون فتنة اي شرك • ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب • فان انتهوا عن الشرك • فلا
عدوان الا على الظالمين فلا تعتدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع
على المنتهين • او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه • او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم الشهر الحرام
بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا
ان الله مع المتقين • وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين
قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال
وذلك في ذي القعدة • الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذاك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما
هتكوا حرمته عليكم • والحرمات قصاص اي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه
بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم • واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم • الباء في
بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم • وقيل
بايديكم بانفسكم • وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى
النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك • او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله • او عن
الاستقتال والاخطار بالنفس • او عن ترك الغزو الذي هو تقوية العدو • وروي ان رجلا من المهاجرين حمل على صف

الصدقة فصلح بها ألا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة • وقال أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه نحن أعلم بهذه الآية إنما أنزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على أهالينا وأموالنا وأولادنا فلما فشا الإسلام وكثر أهله ووضعت الحرب أوزارها رجعنا إلى أهالينا وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد • وحكى أبو علي في الحلبيات عن أبي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من قول أبي عبيدة على أن التهلكة مصدر ومثلها ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الأعيان التنضبة والتتفلة • ويجوز أن يقال أصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على أنها مصدر من هلّك فأبدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي • فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب • وأتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما **قال** تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم إلا به • وقيل إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم • وقيل أن تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد رحمه الله حجة كوفية وعمرة كوفية أفضل • وقيل أن تكون النفقة حلالا • وقيل أن تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والأغراض الدنيوية **فإن قلت** هل فيه دليل على وجوب العمرة **قلت** ما هو إلا أمر بإتمامها ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين أو تطوعين فقد يؤمر بإتمام الواجب والتطوع جميعا إلا أن تقول الأمر بإتمامهما أمر بأدائهما بدليل قراءة من قرأ وأقيموا الحج والعمرة والأمر للوجوب في أصله إلا أن يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفي الوجوب وهو ما روي أنه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن أن تعتمر خير لك وعنه صلى الله عليه وسلم الحج جهاد والعمرة تطوع **فإن قلت** فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال إن العمرة لقرينة الحج • وعن عمر رضي الله عنه أن رجلا قال له إني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي أهللت بهما جميعا فقال رضي الله عنه هديت لسنة نبيك • وقد نظمت مع الحج في الأمر بالإتمام فكانت واجبة مثل الحج **قلت** كونها قرينة للحج أن القارن يقرن بينهما وأنهما يقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولأنها الحج الأصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب • وأما حديث عمر رضي الله عنه فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله أهللت بهما فإذا أهل بالعمرة وجبت عليه كما إذا كبر بالتطوع من الصلاة والدليل الذي ذكرناه أخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال في أنك تأمره بفرض وتطوع • وقرأ علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع كأنهم قصدوا بذلك إخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب • فإن أحصرتم يقال أحصر فلان إذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز قال الله تعالى الذين أحصروا في سبيل الله • وقال ابن ميادة • وما هجر ليلى أن تكون تباعدت • عليك ولا أن أحصرتك شغول • وحصر إذا حبسه عدو عن المضي أو سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لأنه محجوب هذا هو الأكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شيء مثل صده وأصده وكذلك قال الفراء وأبو عمرو الشيباني وعليه قول أبي حنيفة رحمه الله كل منع عنده من عدو كان أو مرض أو غيرهما معتبر في إثبات حكم الإحصار وعند مالك والشافعي رحمهما الله منع العدو وحده • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل • فما استيسر من الهدي فما تيسر منه يقال يسر الأمر واستيسر كما يقال صعب واستصعب • والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج جدي • وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي يعني فإن منعتم من المضي إلى البيت وأنتم محرمون بحج أو عمرة فعليكم إذا أردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير أو بقرة أو شاة **فإن قلت** أين ومتى ينحر هدي المحصر **قلت** إن كان حاجا فبالحرم متى شاء عند أبي حنيفة رضي الله عنه يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم أمار فإن ذبحها في أيام النحر وإن كان معتمرا فبالحرم في كل وقت عندهم جميعا

ما استيسر رفع بالابتداء أي فعليه ما استيسر أو نصب على فاهدوا ما استيسر • ولا تحلقوا رؤوسكم الخطاب للمحصرين أي لا تحلقوا حتى تعلموا أن الهدي الذي بعثتموه إلى الحرم بلغ محله أي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه **فإن قلت** فإن النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه حيث أحصر **قلت** كان محصره طرف الحديبية الذي إلى أسفل مكة وهو من الحرم • وعن الزهري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم • وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة أميال من مكة • فمن كان منكم مريضا فمن كان به مرض يحوجه إلى الحلق أو به أذى من رأسه وهو القمل أو الجراحة فعليه إذا احتلق • فدية من صيام ثلاثة أيام • أو صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر • أو نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق رأسك وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو انسك شاة وكان كعب رضي الله عنه يقول في نزلت هذه الآية • وروي أنه مر به وقد قرح رأسه فقال كفى بهذا أذى وأمره أن يحلق ويطعم أو يصوم • والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة • وقرأ الحسن أو نسك بالتخفيف • فإذا أمنتم من الإحصار يعني فإذا لم تحصروا وكنتم في حال أمن وسعة • فمن تمتع أي استمتع • بالعمرة إلى الحج واستمتاعه بالعمرة إلى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها إلى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج • وقيل إذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه إلى أن يحرم بالحج • فما استيسر من الهدي هو هدي المتعة وهو نسك عند أبي حنيفة رحمه الله ويأكل منه • وعند الشافعي يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه • ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز نحره إذا أحرم بحجته • فمن لم يجد الهدي فعليه • صيام ثلاثة أيام في الحج أي في وقته وهو أشهره ما بين الإحرامين إحرام العمرة وإحرام الحج وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله • والأفضل أن يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وإن مضى هذا الوقت لم يجزئه إلا الدم • وعند الشافعي رحمه الله لا يصام إلا بعد الإحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله في الحج • وسبعة إذا رجعتم بمعنى إذا نفرتم وفرغتم من أفعال الحج عند أبي حنيفة رحمه الله • وعند الشافعي رحمه الله هو الرجوع إلى أهاليهم • وقرأ ابن أبي عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة أيام كأنه قيل فصيام ثلاثة أيام كقوله أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما **فإن قلت** ما فائدة الفذلكة **قلت** الواو قد تجيء للإباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين ألا ترى أنه لو جالسهما جميعا أو واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الإباحة • وأيضا ففائدة الفذلكة في كل حساب أن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم وفي أمثال العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تأكيد آخر وفيه زيادة توصية بصيامها وأن لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل إذا كان لك اهتمام بأمر تأمره به وكان منك بمنزلة الله الله لا تقصر • وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي • وفي قراءة أبي رضي الله عنه فصيام ثلاثة أيام متتابعات • ذلك إشارة إلى التمتع عند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم أو قرن كان عليه دم جناية لا يأكل منه • وأما القارن والمتمتع من أهل الآفاق فدمهما دم نسك يأكلان منه • وعند الشافعي رضي الله عنه إشارة إلى الحكم الذي هو وجوب الهدي والصيام ولم يوجب عليهم شيئا • وحاضرو المسجد الحرام أهل المواقيت فمن دونها إلى مكة عند أبي حنيفة رحمه الله وعنده أهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا يقصر فيها الصلاة • واتقوا الله في المحافظة على حدود الله وما أمركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره • واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب • أي وقت الحج أشهر كقولك البرد شهران • والأشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند أبي حنيفة رحمه الله • وعند الشافعي رحمه الله تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر • وعند مالك رحمه الله ذو الحجة كله **فإن قلت** ما فائدة توقيت الحج بهذه الأشهر

قلت فائدته ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد ايضا عند الشافعي في غيرها وعند ابي حنيفة رحمه الله ينعقد الا انه مكروه فان قلت فكيف كان الشهران وبعض الثالث اشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه اذن وانما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلاثة اشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا او على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة او اكثر وانما رآه في ساعة منها فان قلت ما وجه مذهب مالك رضي الله عنه وهو مروي عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قلت وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر رضي الله عنهما فكأنها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر رضي الله عنه انه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن ابن عمر رضي الله عنه انه قال لرجل ان اطعتني انتظرت حتى اذا اهللت المحرم خرجت الى ذات عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا العل من مذهب عمر في ان الحج يصل الزيارة الى آخر الشهر معلومات معروفات عند الناس لا يشكل عليهم وفيه ان الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا له فمن فرض فيهن الحج فمن الزم نفسه بالتلبية او بتقليد الهدي وسوقه عند ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله بالنية فلا رفث فلا جماع لانه يفسده او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرئ المنفيات الثلاث بالنصب والرفع وقرأ ابو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع والآخر بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى النهي كأنه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الآخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون نحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى واتقون وخافوا من عقابي يا اولي الالباب يعني ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكأنه لا لب له ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتأثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وابيح لهم وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فضلا من ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا في ان تبتغوا افضتم دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه صب في دقران وهو جريب لعابد بن مجيبة فقال الفاضل في الحديث وصبوا

فيه وعرفات علم للموقف سمي بجمع كاذرعات فان قلت هلا منعت الصرف وفيه السببان التعريف والتأنيث قلت لا يخلو التأنيث اما ان يكون بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست للتأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا يقدر تاء التأنيث في بنت لان التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التأنيث فأبت تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها وصفت لابراهيم صلوات الله عليه فلما ابصرها عرفها وقيل ان جبريل صلوات الله عليه وسلامه حين كان يدور به في المشاعر اراه اياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهي من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف في اسماء الاجناس الا ان تكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلاة المغرب والعشاء والمشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة جمعا لان آدم صلوات الله عليه وسلامه اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلاتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها كما هداكم ما مصدرية او كافة والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات فان قلت فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تأتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان احداهما صواب والثانية خطأ وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهو الامر بالافاضة من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث افاض الناس بكسر السين اي الناسي يريد آدم صلوات الله عليه من قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن ايامهم او اشد ذكرا في موضع جر عطف على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او في موضع نصب عطف على آباءكم بمعنى او اشد ذكرا من آبائكم على ان ذكرا من فعل المذكور فمن الناس من يقول معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اعراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من طلب خلاق وهو النصيب

وما لهذا الداعي في الآخرة من نصيب لأن همه مقصور على الدنيا • والحسنات ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب • وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار المرأة السوء • أولئك الداعون بالحسنتين • لهم نصيب مما كسبوا أي نصيب من جنس ما كسبوا من الأعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة • أو من أجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم أغرقوا أو لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة • وسمي الدعاء كسبا لأنه من الأعمال والأعمال موصوفة بالكسب بما كسبت أيديكم • ويجوز أن يكون أولئك للفريقين جميعا وأن لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا إكثار الذكر وطلب الآخرة • أو وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه • روي أنه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة • وروي في مقدار فواق ناقة • وروي في مقدار لمحة • واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون • الأيام المعدودات أيام التشريق وذكر الله فيها التكبير في أدبار الصلوات وعند الجمار • وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق • فمن تعجل فمن عجل في النفر أو استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الأمر واستعجل • ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة أوفق لقوله ومن تأخر كما هي كذلك في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل لأجل المتأني • في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو الذي يسميه أهل مكة يوم الرؤوس واليوم بعده ينفر إذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي رحمه الله • ويروى عن قتادة • وعند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله ينفر قبل طلوع الفجر • ومن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند أبي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي لا يجوز **فإن قلت** كيف قال فلا إثم عليه عند التعجل والتأخر جميعا **قلت** دلالة على أن التعجيل والتأخير مخير فيهما كأنه قيل فتعجلوا أو تأخروا **فإن قلت** أليس التأخر بأفضل **قلت** بلى ويجوز أن يقع التخيير بين الفاضل والأفضل كما خير المسافر بين الصوم والإفطار وإن كان الصوم أفضل • وقيل إن أهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما جميعا • لمن اتقى أي ذلك التخيير ونفي الإثم عن المتعجل والمتأخر لأجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب أن أحدهما يرهق صاحبه آثام في الإقدام عليه لأن ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولأنه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله ليعبأ بكم • ويجوز أن يراد ذلك الذي مر ذكره من أحكام الحج وغيره لمن اتقى لأنه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله • ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام • وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد • وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد • ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد • يعجبك قوله يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الأخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق إذا لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألان له القول وادعى أنه يحبه وأنه مسلم وقال يعلم الله أني صادق • وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلو ألسنتهم وقلوبهم أمر من الصبر **فإن قلت** بم يتعلق قوله في الحياة الدنيا **قلت** بالقول أي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لأن ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما يراد بالإيمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول صلى الله عليه وسلم فكلامه إذن في الدنيا لا في الآخرة • ويجوز أن يتعلق بيعجبك أي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة أو لأنه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه • ويشهد الله على ما في قلبه أي يحلف ويقول الله

شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الإسلام • وقرئ ويشهد الله • وفي مصحف أبي رضي الله عنه ويستشهد الله • وهو ألد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين • وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم • والخصام المخاصمة وإضافة الألد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر أو جعل الخصام ألد على المبالغة • وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو أشد الخصوم خصومة • وإذا تولى عنك وذهب بعد إلانة القول وإحلاء المنطق • سعى في الأرض ليفسد فيها كما فعل بثقيف • وقيل وإذا تولى وإذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الأرض بإهلاك الحرث والنسل • وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل • وقرئ ويهلك الحرث والنسل على أن الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى • وقرأ الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو أبى يأبى • وروي عنه ويهلك على البناء للمفعول • أخذته العزة بالإثم من قولك أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إياه أي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الإثم الذي ينهى عنه وألزمته ارتكابه وأن لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا أو على رد قول الواعظ • يشري نفسه يبيعها أي يبذلها في الجهاد • وقيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل • وقيل نزلت في صهيب بن سنان رضي الله تعالى عنه أراده المشركون على ترك الإسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم أنا شيخ كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فخلوني وما أنا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله وأتى المدينة • والله رؤوف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء • يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين • فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم • هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور • سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب • زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب • السلم بكسر السين وفتحها وقرأ الأعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة أي استسلموا لله وأطيعوه • كافة لا يخرج أحد منكم يده عن طاعته • وقيل هو الإسلام والخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم أو للمنافقين لأنهم آمنوا بألسنتهم • ويجوز أن يكون كافة حالا من السلم لأنها تؤنث كما تؤنث الحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به • والحرب يكفيك من أنفاسها جرع • على أن المؤمنين أمروا بأن يدخلوا في الطاعات كلها وأن لا يدخلوا في طاعة دون طاعة أو في شعب الإسلام وشرائعه كلها وأن لا يخلوا بشيء منها • وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم على السبت وأن يقرأ من التوراة في صلاته من الليل • وكافة من الكف كأنهم كفوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم • فإن زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات أي الحجج والشواهد على أن ما دعيتم إلى الدخول فيه هو الحق • فاعلموا أن الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم إلا بحق • وروي أن قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه أعرابي فأنكره ولم يقرأ القرآن وقال إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه • وقرأ أبو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت • أن يأتيهم الله أن يأتيهم أمره وبأسه كقوله أو يأتي أمر ربك فجاءهم بأسنا • ويجوز أن يكون المأتي به محذوفا بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته للدلالة عليه بقوله فإن الله عزيز • في ظلل جمع ظلة وهي ما أظلك • وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال أو جمع ظل • وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة • وبالجر عطفا على ظلل أو على الغمام **فإن قلت** لم يأتيهم العذاب في الغمام **قلت** لأن الغمام مظنة الرحمة فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر فكيف إذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على المتفكرين في كتاب الله قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون • وقضي الأمر وأتم أمر إهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه • وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه وقضاء الأمر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة • وقرئ ترجع وترجع على

البينات للفاعل وللمفعول بالتاء والياء ونحوه التذكير فيهما • سل بني اسرائيل امر للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد
وهذا السؤال سؤال تقريع كما يسأل الكفرة يوم القيامة كم آتيناهم من آية بينة على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم او من آية
في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام • ونعمة الله آياته وهي اجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة
وتبديلهم اياها ان الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم او
حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت كم استفهامية ام خبرية قلت تحتمل
الامرين ومعنى الاستفهام فيها التقرير فان قلت ما معنى من بعد ما جاءته قلت معناه من بعد ما تمكن من معرفتها
او عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها فكأنها غائبة عنه • وقرئ زين
بالتخفيف • المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها
ويجوز ان يكون الله قد زينها لهم بان خذلهم حتى استحسنوها واحبوها • او جعل امهال المزين تزيينا ويدل عليه قراءة
من قرأ زين للذين كفروا الحياة الدنيا على البناء للفاعل • ويسخرون من الذين آمنوا كان الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ
لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم رضي الله عنهم اي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها
او ممن يطلب غيرها • والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة لانهم في عليين من السماء وهم في سجين من الارض او حالهم عالية
لحالهم لانهم في كرامة وهم في هوان • او هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتطاولون عليهم هنا فاليوم الذين
آمنوا من الكفار يضحكون • والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعني انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه
كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان
اولياؤه المؤمنون احق بها منكم فان قلت لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا قلت ليريك انه لا يسعد عنده
الا المؤمن المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك • كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين
ومنذرين • وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم
البينات بغيا بينهم • والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم • ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين
خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان
نصر الله قريب • يسألونك ماذا ينفقون • قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن
السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم • كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون • كان الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام
فبعث الله النبيين يريد فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه • وفي قراءة
عبد الله رضي الله عنه كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله عز وجل وما كان الناس الا امة واحدة
فاختلفوا • وقيل كان الناس امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الوجه فان قلت متى
كان الناس امة واحدة متفقين على الحق قلت عن ابن عباس رضي الله عنه انه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة
من الحق فاختلفوا • وقيل هم نوح ومن معه في السفينة • وانزل معهم الكتاب يريد الجنس او مع كل واحد منهم كتابه • ليحكم الله او الكتاب
او النبي المنزل عليه • فيما اختلفوا فيه في الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق • وما اختلف فيه في الحق • الا
الذين اوتوه الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف • لما نزل عليهم الكتاب جعلوا نزول الكتاب سببا في شدة
الاختلاف واستحكامه • بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم • من الحق بيان لما اختلفوا
فيه اي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف • ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار الحسبان
فيه كاستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على
طريقة الالتفات التي هي ابلغ ام حسبتم • ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك متوقع

منتظر مثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة • ومستهم بيان للمثل وهو استيناف كأن قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل
مستهم البأساء • وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال والافزاع • حتى يقول الرسول الى
الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها • متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه
واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل على تناهي الامر في الشدة وتماديه في العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم
واصطبارهم وضبطهم لانفسهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها • الا ان نصر الله
قريب على ارادة القول يعني فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر • وقرئ حتى يقول بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال
لان ان علم له وبالرفع على انه في معنى الحال كقولك شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه الا انها حال ماضية محكية • فان قلت
كيف طابق الجواب السؤال في قوله قل ما انفقتم وهم سألوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله
ما انفقتم بيان ما ينفقون وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع
موقعها ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع • وعن ابن عباس رضي الله عنه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم
وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت • وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكاة • وعن الحسن هي في التطوع •
وهو كره لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى ان تكرهوا شيئا ثم اما ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها
فانما هي اقبال وادبار كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز • وقرئ
بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف • ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كأنهم اكرهوا عليه لشدة
كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها • وعسى ان تكرهوا شيئا جميع ما كلفوا فان
النفوس تكرهه وتنفر عنه ومن ثم خالفه • والله يعلم ما يصلحكم وما هو خير لكم • وانتم لا تعلمون ذلك • يسألونك عن الشهر
الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة
اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • ان الذين آمنوا والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم • بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش
على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا
اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل
محمد الشهر الحرام ... فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك
[illegible]

وبها احتج الشافعي رضي الله عنه على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت عليها • وعند ابي حنيفة رضي الله عنه انها تحبطها وان رجع مسلما • ان الذين آمنوا والذين هاجروا روي ان عبد الله بن جحش واصحابه رضي الله عنهم حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر فنزلت • اولئك يرجون رحمة الله عن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب • يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما • ويسألونك ماذا ينفقون • قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة • ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم • نزلت في الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة رضي الله عنهم قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها • ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب • وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم ارعه • وعن عمر رضي الله عنه لو ادخلت اصبعي فيه لم تتبعني وهذا هو الايمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته • والخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند ابي حنيفة رحمه الله • وعن بعض اصحابه لان اقول مرارا هو حلال احب الي من ان اقول مرة هو حرام ولان اخر من السماء فانقطع قطعا احب الي من ان اتناول منه قطرة • وعند اكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كل ما اسكر من كل شراب • وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكرهما اي تحجزهما وكانها سميت بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة • والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب او من اليسار لانه سبب يساره • وعن ابن عباس رضي الله عنه كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله قال • اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني • اي يفعلون بي ما يفعل الياسرون بالميسر • فان قلت كيف صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة اقدح وهي الازلام والاقلام • الفذ والتوأم • والرقيب • والحلس • والنافس • والمسبل • والمعلى • والمنيح • والسفيح والوغد • لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء • وقيل ثمانية وعشرين الا لثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد • ولبعضهم لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح • واساميهن وغد وسفيح ومنيح • للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم ياخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم • وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما • وعن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين اللعبتين المشؤومتين فانهما من ميسر العجم • وعن علي رضي الله عنه ان النرد والشطرنج من الميسر • وعن ابن سيرين

كل شيء فيه خطر فهو من الميسر • والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما بدليل قوله فيهما اثم كبير واثمهما وعقاب الاثم في تعاطيهما • اكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما الى مصادقات الفتيان ومعاشرتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم واعطياتهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الابرام • وقرئ اثم كثير بالثاء • وفي قراءة ابي رضي الله عنه واثمهما اقرب ومعنى الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة • العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع قال • خذي العفو مني تستديمي مودتي • ويقال للارض السهلة العفو وقرئ بالرفع والنصب • وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا فاخذها فخذفه بها خذفا لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجيء احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى • في الدنيا والآخرة اما ان يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتاخذون بما هو اصلح لكم كما بينت لكم ان العفو اصلح من الجهد في النفقة او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع • ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما لتتفكروا في عقاب الاثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم • واما ان يتعلق بيبين لكم الآيات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون • لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فقيل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة • والله يعلم المفسد من المصلح اي لا يخفى على الله من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح • ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم • وقرأ طاوس قل اصلاح اليهم ومعناه ايصال الصلاح اليهم • وقرئ لاعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام وكذلك فلا اثم عليه • ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم • ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون • ويسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين • ولا تنكحوا وقرئ بضم التاء اي لا تتزوجوهن او لا تزوجوهن والمشركات الحربيات والآية ثابتة وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون وهي منسوخة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم • وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا نخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فاستأمره فنزلت • ولامة مؤمنة خير من مشركة ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة

اشارة الى المشركين والمشركات يدعون الى النار اي الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة
والقتال والله يدعو الى الجنة يعني اولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين تجب
موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم باذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي يستحق به الجنة والمغفرة
وقرأ الحسن والمغفرة باذنه بالرفع اي والمغفرة حاصلة بتيسيره المحيض مصدر يقال حاضت محيضا
كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة
له فاعتزلوا النساء فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا مجامعتهن روي ان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة
لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت اخذ المسلمون
بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب
هلك سائر اهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال عليه الصلاة والسلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن
اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض
واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين فان قلت ما يجب ان يعتزل من الحائض قلت الفرج عند محمد
وما اشتمل عليه الازار عند ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله وقد روي ان عبد الله بن عمر سأل عائشة رضي الله عنها هل يباشر الرجل امرأته وهي حائض
فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها ان شاء وما روى زيد بن اسلم ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امرأتي وهي حائض
قال لتشد عليها ازارها ثم شأنك باعلاها وعن عائشة رضي الله عنها يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك وقرئ يطهرن بالتشديد
اي يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقرأ عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض
وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل
وفي اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلاة وذهب الشافعي الى انه لا يقربها حتى تطهر وتطهر فتجمع بين الامرين
وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن فأتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
فأتوهن من حيث امركم الله من المأتى الذي امركم الله به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من
ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش او ان الله يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم
بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمحل حرث او غير
ذلك نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين
ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم حرث لكم مواضع حرث
لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور فأتوا حرثكم انى
شئتم تمثيل اي فأتوهن كما تأتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة
والمعنى جامعوهن من اي شق اردتم بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو اذى فاعتزلوا النساء
من حيث امركم الله فأتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة فهذه واشباهها في كلام الله
آداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي ان اليهود
كانوا يقولون من جامع امرأته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه و
سلم فقال كذبت اليهود فنزلت وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه وقيل
هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ولا
تفتضحوا به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات فان قلت ما موقع
قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله قلت موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتى

الذي امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا او ازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصيل في الاتيان هو طلب
النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى الذي يتعلق به هذا الغرض فان قلت فما بال يسألونك جاء بغير واو
ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان
كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كأنه قيل يجمعون لك بين
السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وكذا العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه
دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة
ايضا المعرض للامر قال فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الآية على الاولى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من
صلة رحم واصلاح ذات بين واحسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر
في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما
قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن
يمينك اي على شيء مما يحلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم اي الامور المحلوف عليها التي هي
البر والتقوى والاصلاح بين الناس فان قلت بم تعلقت اللام في لايمانكم قلت بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم
برزخا وحجازا ويجوز ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني كذا ويجوز
ان تكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا ومعناها
على الاخرى ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع
المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله
غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطاتهم واصلاح ذات بينهم لا يؤاخذكم الله باللغو في
ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاءوا فان الله غفور
رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به
في الدية من اولاد الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه
ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله هو ان يحلف على
الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي رحمه الله هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم
ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان
احدهما لا يؤاخذكم اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته من اثم
القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم اي لا يلزمكم
الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اي بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن
كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم قرأ عبد الله رضي الله عنه آلوا من نسائهم
وقرأ ابن عباس رضي الله عنه يقسمون من نسائهم فان قلت كيف عدي بمن وهو معدى بعلى قلت قد ضمن في
هذا القسم المخصوص معنى البعد كأنه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين او مقسمين ويجوز ان يراد لهم من نسائهم
تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر
او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن ابراهيم النخعي رحمه الله وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في
المدة بالوطء ان امكنه او بالقول ان عجز عنه صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة
بانت بتطليقة عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعند الشافعي رحمه الله لا يصح الايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولي
فاما ان يفيء واما ان يطلق وان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاءوا وان عزموا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله رضي الله عنه
فان فاءوا فيهن فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان

نحو قوله يجوز أن يكون على رضى منهن إشفاقاً منهن على الولد من الغيل أو لبعض الأسباب لأجل الفيئة التي هي مثل التوبة. وإن عزموا الطلاق فتربصوا إلى مضي المدة فإن الله سميع عليم وعيد على إصرارهم وتركهم الفيئة. وعلى قول الشافعي رحمه الله معناه فإن فاءوا وإن عزموا بعد مضي المدة. فإن قلت كيف موقع الفاء إذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص؟ قلت موقع صحيح لأن قوله فإن فاءوا وإن عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول أنا نزيلكم هذا الشهر فإن أحمدتكم أقمت عندكم إلى آخره وإلا لم أقم إلا ريثما أتحول. فإن قلت ما تقول في قوله فإن الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع؟ قلت الغالب أن العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة، ولا بد له من أن يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه إلا الله كما يسمع وسوسة الشيطان.

والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم

والمطلقات أراد المدخول بهن من ذوات الأقراء. فإن قلت كيف جازت إرادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم؟ قلت بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في أحد ما يصلح له كالاسم المشترك. فإن قلت فما معنى الإخبار عنهن بالتربص؟ قلت هو خبر في معنى الأمر وأصل الكلام وليتربص المطلقات وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عنه موجوداً ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضاً فضل تأكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة. فإن قلت هلا قيل يتربصن ثلاثة قروء كما قيل تربص أربعة أشهر وما معنى ذكر الأنفس؟ قلت في ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لأن فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على أن يتربصن وذلك أن أنفس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص. والقروء جمع قرء أو قرء وهو الحيض بدليل قوله عليه الصلاة والسلام دعي الصلاة أيام أقرائك وقوله طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر فأقام الأشهر مقام الحيض دون الأطهار ولأن الغرض الأصلي في العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الأرحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الأمة بالحيضة ويقال أقرأت المرأة إذا حاضت وامرأة مقرئ. وقال أبو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته إلى فلانة تقرئها أي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء. فإن قلت فما تقول في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والطلاق المشروع إنما هو في الطهر؟ قلت معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلاً لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث. فإن قلت فما تقول في قول الأعشى: لما ضاع فيها من قروء نسائكا؟ قلت أراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القروء عندهم في الاعتداد بهن أي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته عن أهله كل عام لاقتحامه في الحروب والغارات وأنه يمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعهن فيها. أو أراد من أوقات نسائك فإن القرء والقارئ جاء في معنى الوقت ولم يرد لا حيضاً ولا طهراً. فإن قلت فعلام انتصب ثلاثة قروء؟ قلت على أنه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء أي يتربصن مضي ثلاثة قروء أو على الظرف أي يتربصن مدة ثلاثة قروء. فإن قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقراء؟ قلت يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية ألا ترى إلى قوله بأنفسهن وما هي إلا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت أكثر استعمالاً في جمع قرء من الأقراء فأوثر عليه تنزيلاً للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون

مثل قولهم ثلاثة شسوع. وقرأ الزهري ثلاثة قرو بغير همز. ما خلق الله في أرحامهن من الولد أو من دم الحيض وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها أو كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالاً للطلاق. ويجوز أن يراد اللاتي يبغين إسقاط ما في بطونهن من الأجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في أرحامهن كناية عن إسقاطه. إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن وأن من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم. والبعولة جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة. ويجوز أن يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني وأهل بعولتهن. أحق بردهن برجعتهن. وفي قراءة أبي رضي الله عنه بردتهن. في ذلك في مدة ذلك التربص. فإن قلت كيف جعلوا أحق بالرجعة كأن للنساء حقاً فيها؟ قلت المعنى أن الرجل إن أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب إيثار قوله على قولها وكان هو أحق منها لا أن لها حقاً في الرجعة. إن أرادوا بالرجعة إصلاحاً لما بينهم وبينهن وإحساناً إليهن ولم يريدوا مضارتهن. ولهن مثل الذي عليهن ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن. بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف أحد الزوجين صاحبه. والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال. زيادة في الحق وفضيلة. قيل المرأة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وإنفاقه في مصالحها.

الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون

الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم أي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين أي كرة بعد كرة ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك. وقوله فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان تخيير لهم بعد أن علمهم كيف يطلقون بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين أن يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم. وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لأنه لا رجعة بعد الثلاث فإمساك بمعروف أي برجعة أو تسريح بإحسان أي بأن لا يراجعها حتى تبين بالعدة أو بأن لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها. وقيل بأن يطلقها الثالثة في الطهر الثالث. وروي أن سائلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الثالثة فقال عليه الصلاة والسلام أو تسريح بإحسان. وعند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله الجمع بين التطليقتين والثلاث بدعة والسنة أن لا يوقع عليها إلا واحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له إنما السنة أن تستقبل الطهر استقبالاً فتطلقها لكل طهر تطليقة. وعند الشافعي رحمه الله لا بأس بإرسال الثلاث لحديث العجلاني الذي لاعن امرأته فطلقها ثلاثاً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه. وروي أن جميلة بنت عبد الله بن أبي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه ويحبها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما أعيب عليه في دين ولا خلق ولكني أكره الكفر في الإسلام ما أطيقه بغضاً إني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدة فإذا هو أشدهم سواداً وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً فنزلت وكان قد أصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو أول خلع كان في الإسلام. فإن قلت لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم أن تأخذوا إن قلت للأزواج لم يطابقه قوله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله وإن قلت للأئمة والحكام فهؤلاء ليسوا بآخذين منهن ولا بمؤتيهن. قلت يجوز الأمران جميعاً أن يكون أول الخطاب للأزواج

ولنحو الذهب والطعام ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره وان يكون الخطاب كله للائمة والحكام لانهم الذين يامرون
بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون والمؤتون مما آتيتموهن مما اعطيتموهن من الصدقات
الا ان يخافا الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية
لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت
فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز في الحكم
وروي ان امرأة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر رضي الله عنه فاباتها في بيت الزبل ثلاث ليال ثم دعاها
فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة
يعني بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له ان ياخذ منها شيئا وقرئ الا ان يخافا على البناء
للمفعول وابدال ان لا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه ولبس
النحو على الذين يتطلبون وتعضده قراءة عبد الله رضي الله عنه الا ان يخافوا وفي قراءة ابي رضي الله عنه الا ان يظنا
ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن يقول الرجل لصاحبه فان يكون كذا فرقها ان يكون يريدون الظن فان طلقها فلا تحل
له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود
الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون ● واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن
بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا
آيات الله هزوا واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به
واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم ● فان طلقها الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان
واستوفى نصابه او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد ذلك التطليق ● حتى تنكح زوجا
غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى الزوج كما التزوج ومنه قولهم فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق
من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذي عليه الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روى عروة
عن عائشة رضي الله عنها ان امرأة رفاعة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان رفاعة طلقني
فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك ● وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت
فقالت انه كان قد مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر رضي الله عنه فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر رضي الله عنه قالت مثله لعمر رضي الله عنه
فقال لئن اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها فان قلت فما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل قلت
ذهب سفيان والاوزاعي وابو عبيد ومالك وغيرهم الى انه غير جائز وعند ابي حنيفة رضي الله عنه مع الكراهة ● وعنه
انهما ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة ● وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل له ● وعن عمر
لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما ● وعن عثمان رضي الله عنه لا الا نكاح رغبة غير مدالسة فان طلقها الزوج الثاني
● ان يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ● ان ظنا ان كان في ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية
ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله ● ومن فسر الظن هنا بالعلم فقد وهم من طريق
اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما يظن
ظنا ● فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن وشارفن منتهاها ● والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان
اجل وللموت الذي ينتهي به اجل وكذلك الغاية والامد يقول النحويون من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية
وقال اذا انتهى اجله ● ويتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت ولم يصل وانما شارف

ولا يتمسكوا على ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة وفي غير عدة منه فلا سبيل
له عليها ● فامسكوهن بمعروف فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة ● او سرحوهن بمعروف واما ان يخليها
حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء
عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن وقيل لتلجئوهن الى الافتداء
فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله ● ولا تتخذوا آيات الله هزوا اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق
رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الامر انما انت لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا والا فلا
تلعب بالتوراة ● وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا ● وعن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن
جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة ● واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة ● وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها ● يعظكم به بما انزل عليكم
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف
ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون ● فبلغن
اجلهن فلا تعضلوهن اما ان يخاطب به الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية
الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج ● والمعنى ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن
واما ان يخاطب به الاولياء في عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان
ترجع الى الزوج الاول ● وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه ان يكون خطابا للناس اي لا
يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين ● والعضل الحبس والتضييق ومنه
عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج ● وانشد لابن هرمة ● وان قصائدي لك فاصطنعني عقائل
قد عضلن عن النكاح ● وبلوغ الاجل على الحقيقة ● وعن الشافعي رحمه الله دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين
● اذا تراضوا اذا تراضى الخطاب والنساء ● بالمعروف بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط ● وقيل بمهر المثل ومن مذهب
ابي حنيفة رحمه الله انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر المثل فللاولياء ان يعترضوا فان قلت لمن الخطاب في
قوله ذلك يوعظ به قلت يجوز ان يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل واحد كقوله ذلك خير لكم واطهر
من ادناس الآثام ● وقيل ازكى واطهر افضل واطيب ● والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر ● وانتم لا تعلمونه
او والله يعلم ما تستصلحون به من الاحكام والشرائع وانتم تجهلونه والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين
لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده
وعلى الوارث مثل ذلك فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا
اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير ●
يرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد كاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لانه مما يتسامح فيه
فتقول اقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان يكمل الرضاعة ● وقرئ الرضاعة بكسر الراء
والرضعة وان تتم الرضاعة وان يتم الرضاع برفع الفعل تشبيها لان بما لتآخيهما في التأويل فان قلت كيف
اتصل قوله لمن اراد بما قبله قلت هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله هيت لك بيان للمهيت به اي هذا الحكم لمن
اراد اتمام الرضاعة ● وعن قتادة حولين كاملين ثم انزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اراد انه
يجوز النقصان ● وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد ان لا يكون في الفطام ضرر ● وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما
تقول ارضعت فلانة لفلان ولده اي يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الآباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد
دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الام عند
ابي حنيفة رضي الله عنه ما دامت زوجة او معتدة من نكاح ● وعند الشافعي رضي الله عنه يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق

فإن قلت ما بال الوالدات مأمورات بأن يرضعن أولادهن **قلت** إما أن يكون أمراً على وجه الندب وإما على وجه
الوجوب إذا لم يقبل الصبي إلا ثدي أمه أو لم يوجد له ظئر أو كان الأب عاجزاً عن الاستئجار • وقيل أراد الوالدات المطلقات
وإيجاب النفقة والكسوة لأجل الإرضاع • وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في
غير المغضوب عليهم **فإن قلت** لم قيل المولود له دون الوالد **قلت** ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم لأن الأولاد
للآباء ولذلك ينسبون إليهم لا إلى الأمهات • وأنشد للمأمون بن الرشيد • فإنما أمهات الناس أوعية مستودعات
وللآباء أبناء • فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن إذا أرضعن ولدهم كالأظآر ألا ترى أنه ذكر باسم الوالد حيث لم يكن
هذا المعنى وهو قوله تعالى واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً • بالمعروف تفسيره ما يعقبه
وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا • وقرئ لا تكلف بفتح التاء • ولا نكلف بالنون • وقرئ لا تضار
بالرفع على الإخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وأن يكون الأصل تضارر بكسر الراء أو تضارر بفتحها •
وقرئ لا تضار بالفتح أكثر القراء • وقرأ الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل للبنائين أيضاً ويبين ذلك أنه قرئ لا تضارر
ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الأولى وكسرها • وقرأ أبو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد وعنه التخفيف وهو من ضاره
يضيره ونوى الوقف كما نواه أبو جعفر واختلس الضمة فظنه الراوي سكوناً • وعن كاتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه
لا تضرر • والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق
والكسوة وأن تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد وأن تقول بعد ما ألفها الصبي اطلب له ظئراً وما أشبه ذلك
ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئاً مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا يأخذه منها وهي تريد إرضاعه
ولا يكرهها على الإرضاع وكذلك إذا كان مبنياً للمفعول فهو نهي عن أن يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن أن يلحق الضرار
بالزوج من قبلها بسبب الولد • ويجوز أن يكون تضار بمعنى تضر وأن تكون الباء من صلته أي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء
غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه إلى الأب بعد ما ألفها ولا يضر الوالد به بأن ينتزعه من يدها
أو يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد **فإن قلت** كيف قيل بولدها وبولده **قلت** لما نهيت المرأة
عن المضارة أضيف إليها الولد استعطافاً لها عليه وأنه ليس بأجنبي منها فمن حقها أن تشفق عليه وكذلك
الوالد • وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف
والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة أي إن مات المولود له لزم من
يرثه أن يقوم مقامه في أن يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار • وقيل هو وارث الصبي
الذي لو مات الصبي ورثه • واختلفوا فعند ابن أبي ليلى رحمه الله كل من ورثه وعند أبي حنيفة رحمه الله
من كان ذا رحم محرم منه • وعند الشافعي رحمه الله لا نفقة فيما عدا الولاد • وقيل من ورثه من عصبته مثل
الجد والأخ وابن الأخ والعم وابن العم • وقيل المراد وارث الأب وهو الصبي نفسه وأنه إذا مات أبوه وورثه
وجبت عليه أجرة رضاعه في ماله إن كان له مال فإن لم يكن له مال أجبرت الأم على إرضاعه • وقيل وعلى الوارث
على الباقي من الأبوين من قوله واجعله الوارث منا • فإن أرادا فصالاً صادراً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح
عليهما في ذلك زادا على الحولين أو نقصا وهذه توسعة بعد التحديد • وقيل هو في غير الحولين لا يتجاوز وإنما
اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما أما الأب فلا كلام فيه وأما الأم فلأنها أحق بالتربية وهي أعلم بحال
الصبي • وقرئ فإن أراد • استرضع منقول من أرضع يقال أرضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي فتعديه
إلى مفعولين كما تقول أنجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى أن تسترضعوا المراضع أولادكم فحذف أحد
المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن أحدهما
عبارة عن الأول • إذا سلمتم إلى المراضع ما آتيتم ما أردتم إيتاءه كقوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة • وقرئ ما أتيتم
من أتى إليه إحساناً إذا فعله ومنه قوله تعالى إنه كان وعده مأتياً أي مفعولاً • وروى شيبان عن عاصم

ما أوتيتم أي ما آتاكم الله وأقدركم عليه من الأجرة ونحوه وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه • وليس التسليم
بشرط للجواز والصحة وإنما هو ندب إلى الأولى • ويجوز أن يكون بعثاً على أن يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من أهنى
ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك إصلاحاً لشأن الصبي واحتياطاً في أمره فأمرنا بإيتائه ناجزاً
يداً بيد كأنه قيل إذا أديتم إليهن يداً بيد ما أعطيتموهن • بالمعروف متعلق بسلمتم أمروا أن يكونوا عند تسليم
الأجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لأنفس المراضع بما أمكن حتى يؤمن تفريطهن بقطع
معاذيرهن • والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً فإذا
بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير • ولا جناح
عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن
سراً إلا أن تقولوا قولاً معروفاً • والذين يتوفون منكم على تقدير حذف المضاف أي وأزواج الذين يتوفون منكم
يتربصن • وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم • وقرئ يتوفون بفتح الياء أي يستوفون
آجالهم وهي قراءة علي رضي الله عنه والذي يحكى أن أبا الأسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي
بكسر الفاء فقال الله وكان أحد الأسباب الباعثة لعلي رضي الله عنه على أن أمره بأن يضع كتاباً في النحو تناقضه
هذه القراءة • يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً وهي أربعة أشهر وعشرة أيام • وقيل
عشراً ذهاباً إلى الليالي والأيام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين إلى الأيام تقول صمت عشراً
ولو ذكرت لخرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى إن لبثتم إلا عشراً ثم إن لبثتم إلا يوماً • فإذا بلغن أجلهن
فإذا انقضت عدتهن • فلا جناح عليكم أيها الأئمة وجماعة المسلمين • فيما فعلن في أنفسهن من التعرض للخطاب
بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع • والمعنى أنهن لو فعلن ما هو منكر كان على الأئمة أن يكفوهن وإن فرطوا كان
عليهم الجناح • فيما عرضتم به • التعريض أن تقول لها إنك لجميلة أو صالحة أو نافقة ومن غرضي أن أتزوج وعسى الله
ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه ولا يصرح
بالنكاح فلا يقول إني أريد أن أنكحك أو أتزوجك أو أخطبك • وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته
قالت دخل علي أبو جعفر محمد بن علي وأنا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي
علي وقدمي في الإسلام فقلت غفر الله لك أتخطبني في عدتي وأنت يؤخذ عنك فقال أوقد فعلت إنما أخبرتك
بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة رضي الله
عنها وكانت عند ابن عمها أبي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير في يده من شدة
تحامله عليها فما كانت تلك خطبة **فإن قلت** أي فرق بين الكناية والتعريض **قلت** الكناية أن تذكر الشيء بغير
لفظه الموضوع له والتعريض أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه جئتك لأسلم عليك ولأنظر
إلى وجهك الكريم ولذلك قالوا • وحسبك بالتسليم مني تقاضيا • وكأنه إمالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض ويسمى
التلويح لأنه يلوح منه ما تريده • أو أكننتم في أنفسكم أو سترتم وأضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معرضين
ولا مصرحين • علم الله أنكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق لرغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ
كقوله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم **فإن قلت** أين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن **قلت** هو محذوف
لدلالة ستذكرونهن عليه • علم الله أنكم ستذكرونهن فاذكروهن • ولكن لا تواعدوهن سراً • والسر وقع كناية عن
النكاح الذي هو الوطء لأنه مما يسر قال الأعشى • ولا تقربن جارة إن سرها • عليك حرام فانكحن أو تأبدا • ثم عبر به
عن النكاح الذي هو العقد لأنه سبب فيه كما فعل بالنكاح • إلا أن تقولوا قولاً معروفاً وهو أن تعرضوا ولا تصرحوا والله
أعلم **فإن قلت** بم يتعلق حرف الاستثناء **قلت** بلا تواعدوهن أي لا تواعدوهن مواعدة قط إلا مواعدة
معروفة غير منكرة أو إلا لا تواعدوهن إلا بأن تقولوا أي لا تواعدوهن إلا بالتعريض • ولا يجوز أن يكون استثناء منقطعاً

من شئ لا دابة لي فقال لا تواعدوهن الا التعريض • وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها ان نكحتك كان كيت
وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف • الا ان تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث ولا افحاش في الكلام • وقيل لا تواعدوهن
سرا في السر على ان المواعدة في السر عبارة عن الموعدة بما يستهجن لان مسارتهن في الغالب بما يستحيي من المجاهرة
به • وعن ابن عباس رضي الله عنه الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان يتواعد ان لا تتزوج غيره • ولا تعزموا عقدة النكاح
حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم •
لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى
المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين • وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة
فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل
بينكم ان الله بما تعملون بصير • ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن
عقد النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح
وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه الصلوة والسلام لا صيام لمن لم يعزم
الصيام من الليل ويروى لمن لم يبيت الصيام • حتى يبلغ الكتاب اجله يعني ما كتب وفرض من العدة • يعلم ما في
انفسكم من العزم على ما لا يجوز • فاحذروه ولا تعزموا عليه • غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة • لا جناح عليكم
لا تبعة عليكم من ايجاب مهر • ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن • او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا
لهن فريضة او حتى تفرضوا • وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول بها ان سمي لها مهر
فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان
طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمة • ومتعوهن والمتعة درع وملحفة
وخمار على حسب الحال عند ابي حنيفة رحمه الله الا ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل
ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها • على الموسع الذي له سعة
• وعلى المقتر الضيق الحال • قدره مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به • وقرئ بفتح الدال • والقدر
والقدر لغتان • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل من الانصار تزوج امراة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها
قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندي شئ قال عليه الصلوة والسلام متعها بقلنسوتك • وعند اصحابنا رحمهم الله
لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب • متاعا تاكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا • بالمعروف
بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروة • حقا صفة لمتاعا اي متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا • على المحسنين
على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه الصلوة والسلام من قتل قتيلا
فله سلبه • الا ان يعفون يريد المطلقات **فان قلت** اي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون
قلت الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا اثر في لفظه
للعامل وهو في محل النصب • او يعفو عطف على محله • الذي بيده عقدة النكاح الولي يعني الا ان تعفو المطلقات عن
ازواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المراة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا • او يعفو
الولي الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي رحمه الله • وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق اليها المهر كاملا وهو مذهب
ابي حنيفة والاول ظاهر الصحة • وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيه نظر الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر
عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها وسماه عفوا على
طريق المشاكلة • وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه انه تزوج امراة فطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال
انا احق بالعفو • وعنه انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق
كاملا فقيل له لم تزوجتها قال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل • ولا تنسوا الفضل بينكم اي ولا تنسوا

ان يتفضل بعضكم على بعض ولا تستقصوا • وقرأ الحسن او يعفو الذي بتسكين الواو واسكان الواو والياء
في موضع النصب تشبيها لهما بالالف لانهما اختاها • وقرأ ابو نهيك ان يعفو بالياء • وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو •
حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين • فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا
الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون • والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول
غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم • وللمطلقات
متاع بالمعروف حقا على المتقين • كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون • الصلوة الوسطى اي الوسطى بين
الصلوات او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوة لانفرادها بالفضل وهي صلوة العصر
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا • وقال عليه
الصلوة والسلام انها الصلوة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب • وعن حفصة رضي الله عنها انها قالت
لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الاية فلا تكتبها حتى املها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها
فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر • وروي عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما والصلوة الوسطى وصلوة العصر
بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلوتين احديهما الصلوة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب على اختلاف الروايات
فيها • والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم • وعن ابن عمر رضي الله عنه هي صلوة
الظهر لانها في وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهاجرة ولم تكن صلوة اشد على الصحابة منها • وعن مجاهد
هي الفجر لانها بين صلوتي النهار وصلوتي الليل • وعن قبيصة بن ذؤيب هي المغرب لانها وتر النهار ولا تقصر في السفر من ثلاث
وقرأ عبد الله رضي الله عنه وعلى الصلوة الوسطى • وقرأت عائشة رضي الله عنها والصلوة الوسطى بالنصب على المدح
والاختصاص وقرأ نافع الوصطى • وقوموا لله قانتين ذاكرين لله في قيامكم • والقنوت ان تذكر الله قائما • وعن عكرمة
كانوا يتكلمون في الصلوة فنهوا • وعن مجاهد هو الركود وكف الايدي والبصر • وروي انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلوة
هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يحدث نفسه بشئ من امور الدنيا • فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو
او غيره • فرجالا فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام او رجل يقال رجل رجل اي راجل • وقرئ فرجالا بضم الراء
ورجالا بالتشديد ورجلا • وعند ابي حنيفة رضي الله عنه لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف • وعند الشافعي
رحمه الله يصلون في كل حال • والراكب يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة • فاذا امنتم فاذا زال خوفكم • فاذكروا الله كما علمكم
ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم
من الشرائع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن • تقديره فيمن قرأ وصية بالرفع ووصية الذين يتوفون او وحكم
الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم • وفيمن قرأ بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية
كقولك انما انت سير البريد باضمار تسير او والزم الذين يتوفون وصية تدل عليه قراءة عبد الله رضي الله عنه كتب عليكم
الوصية لازواجكم الى الحول مكان قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول • وقرأ
ابي رضي الله عنه متاع لازواجهم متاعا • وروي عنه رضي الله عنه فمتاع لازواجهم • متاعا نصب بالوصية الا اذا
اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قراءة ابي رضي الله عنه متاعا نصب بمتاع لانه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله
حمد الشاكرين واعجبني ضرب لك زيدا ضربا شديدا • وغير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل
من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات • والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان
يمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم
نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا • وقيل نسخ ما زاد على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع
والثمن • واختلف في السكنى فعند ابي حنيفة رضي الله عنه لا سكنى لهن • فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض
للخطاب • من معروف مما ليس بمنكر شرعا • **فان قلت** كيف نسخت الاية المتقدمة المتاخرة **قلت** قد تكون الاية متقدمة

في التلاوة وهي متأخرة في التنزيل كقوله سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء • وللمطلقات
متاع عمّ المطلقات بإيجاب المتعة لهن بعدما أوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها • وقال حقا
على المتقين كما قال ثمة حقا على المحسنين • وعن سعيد بن جبير وأبي العالية والزهري أنها واجبة لكل مطلقة
وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعا • وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة • ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم
وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون
وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم • ألم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأولين وتعجيب
من شأنهم • ويجوز أن يخاطب به من لم ير ولم يسمع لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب • روي أن أهل داوردان
قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفر من حكم الله وقضائه
وقيل مرّ عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فلوى شدقه وأصابعه تعجبا مما رأى
فأوحي إليه ناد فيهم أن قوموا بإذن الله فنادى فنظر إليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت • وقيل
هم قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم • وهم ألوف
فيه دليل على الألوف الكثيرة • واختلف في ذلك فقيل عشرة • وقيل ثلاثون • وقيل سبعون • ومن بدع التفاسير ألوف
متآلفون جمع آلف كقاعد وقعود • فإن قلت ما معنى قوله فقال لهم الله موتوا • قلت معناه فأماتهم وإنما جيء
بمعنى هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة
كأنهم أمروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير إباء ولا توقف كقوله إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون • وهذا تشجيع
للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وأن الموت إذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فأولى أن يكون في سبيل الله • لذو فضل
على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصّر أولئك وكما بصّركم باقتصاص خبرهم • أو لذو فضل
على الناس حيث أحيا أولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى إلى يوم البعث • والدليل على أنه ساق هذه القصة
بعثا على الجهاد ما أتبعه من الأمر بالقتال في سبيل الله • واعلموا أن الله سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما
يضمرونه وهو من وراء الجزاء • من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط
وإليه ترجعون • ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل
الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من
ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين • وقال لهم نبيهم إن
الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال
قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم •
إقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه • والقرض الحسن إما المجاهدة في نفسها وإما النفقة في سبيل الله • أضعافا
كثيرة قيل الواحد بسبعمائة • وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها إلا الله • والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا
تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة • وإليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم • من بعد موسى من بعد موته
وهو يوشع أو شمعون أو إشمويل • ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا أميرا نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي إلى أمره • طلبوا
من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من التأمير على الجيوش التي كان يجهزها ومن أمرهم بطاعته
وامتثال أوامره • وروي أنه أمر الناس إذا سافروا أن يجعلوا أحدهم أميرا عليهم • نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب
وبالنون والرفع على أنه حال أي ابعثه لنا مقدرين القتال أو استئناف كأنه قال ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ
يقاتل بالياء والجزم على الجواب • وبالرفع على أنه صفة لملكا • وخبر عسيتم أن لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما • والمعنى
هل قاربتم أن لا تقاتلوا يعني هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون أراد أن يقول عسيتم أن لا تقاتلوا بمعنى أتوقع جبنكم عن
القتال فأدخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون وأراد بالاستفهام التقرير وثبت أن المتوقع كائن وأنه صائب في توقعه كقوله

ضعيفة • وما لنا أن لا نقاتل وأي داع لنا إلى ترك القتال وأي غرض لنا فيه • وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا
وذلك أن قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة
وأربعين • إلا قليلا منهم قيل كان القليل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر • والله عليم
بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد • طالوت اسم أعجمي كجالوت وداود وإنما
امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته • وزعموا أنه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم • ووزنه إن كان من
الطول فعلوت منه أصله طولوت إلا أن امتناع صرفه يدفع أن يكون منه إلا أن يقال هو اسم عبراني وافق
عربيا كما وافق حنطا حنطة وبشما لاها رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا
وكان أحد سببيه العجمة لكونه عبرانيا • أنى كيف ومن أين وهو إنكار لتمليكه عليهم واستبعاد له • فإن قلت
ما الفرق بين الواوين في ونحن أحق ولم يؤت • قلت الأولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة
حالا قد انتظمتهما معا في حكم واو الحال • والمعنى كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق
بالملك وأنه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به • وإنما قالوا ذلك لأن النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب
والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من أحد السبطين ولأنه كان رجلا سقاء أو دباغا فقيرا • وروي
أن نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فأتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلا طالوت • قال إن الله
اصطفاه عليكم يريد أن الله هو الذي اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر
مصلحتين أنفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة • والظاهر أن المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه
لأجله من أمر الحرب • ويجوز أن يكون عالما بالديانات وبغيرها • وقيل قد أوحي إليه ونُبّئ وذلك أن الملك لا بد
أن يكون من أهل العلم فإن الجاهل مزدرى غير منتفع به وأن يكون جسيما يملأ العين جهارة لأنه أعظم في النفوس
وأهيب في القلوب • والبسطة السعة والامتداد • وروي أن الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه
يؤتي ملكه من يشاء أي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك • والله واسع الفضل
والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر • عليم بمن يصطفيه للملك • وقال لهم نبيهم
إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة
إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين • التابوت صندوق التوراة كان موسى صلوات الله وسلامه عليه
إذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون • والسكينة السكون والطمأنينة • وقيل صورة
كانت فيه من زبرجد أو ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم
يمضون معه فإذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر • وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الإنسان وفيها
ريح هفافة • والبقية رضاض الألواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان رفعه
الله بعد موسى صلوات الله وسلامه عليه فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون إليه فكان ذلك آية لاصطفائه طالوت
وقيل كان مع موسى ومع أنبياء بني إسرائيل صلوات الله عليهم يستفتحون به فلما غيرت بنو إسرائيل غلبهم
عليه الكفار فكان في أرض جالوت فلما أراد الله أن يملك طالوت أصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فقالوا
هذا بسبب التابوت بين أظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة إلى طالوت • وقيل كان من خشب الشمشاد
مموها بالذهب نحوا من ثلاثة أذرع في ذراعين • وقرأ أبي وزيد بن ثابت رضي الله عنهما التابوه بالهاء وهي لغة الأنصار
فإن قلت ما وزن التابوت • قلت لا يخلو من أن يكون فعلوتا أو فاعولا فلا يكون فاعولا لقلته نحو سلس وقلق
ولأنه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف إليه فهو إذن فعلوت من التوب وهو الرجوع لأنه ظرف توضع فيه
الأشياء وتودع فلا يزال يرجع إليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع إليه فيما يحتاج إليه من مودعاته • وأما
من قرأ بالهاء فهو فاعول عنده إلا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس وأنهما من حروف الزيادة ولذلك

ابدلت من تابه التابوت ◦ وقرأ ابو السمال سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب ◦ وقرئ يحمله بالياء ◦
فان قلت من آل موسى وآل هارون **قلت** الانبياء من بني يعقوب بعدهما لان عمران ابو موسى وهارون ابن قاهث بن لاوي
بن يعقوب فكان اولاد يعقوب آلهما ◦ ويجوز ان يراد مما ترك موسى وهارون والآل مقحم لتفخيم شانهما ◦ فلما فصل
طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف
غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم
بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله
مع الصابرين ◦ ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على
القوم الكافرين ◦ فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ◦ تلك آيات الله نتلوها
عليك بالحق وانك لمن المرسلين ◦ فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر محذوف
المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل ◦ وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا
كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود ◦ روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا
تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره
ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله لهم نهرا ◦ فقال ان الله مبتليكم بما اقترحتموه
من النهر فمن شرب منه فمن ابتدأ شربه من النهر بان كرع فيه ◦ فليس مني فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني
كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ◦ ويجوز ان يراد فليس من جملتي واشياعي ◦ ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم
الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه قال ◦ وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا ◦ الا ترى كيف عطف عليه
البرد وهو النوم ◦ ويقال ما ذقت غماضا ونحوه من الابتلاء ما ابتلي به اهل ايلة من ترك الصيد مع اتيان الحيتان
شرعا بل هو اشد منه واصعب ◦ وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي وان كان نبيا كما روي عن بعضهم فبالوحي
◦ وقرئ بنهر بالسكون ◦ **فان قلت** مم استثني قوله الا من اغترف **قلت** من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة
الثانية في حكم المتأخرة الا انها قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى
والصابئون ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله فشربوا منه اي فكرعوا فيه الا قليلا منهم
◦ وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف ◦ وقرأ ابي والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم
مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه
حمل عليه كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق ◦ لم يدع من المال الا مسحت او مجلف ◦ كانه قال لم
يبق من المال الا مسحت او مجلف ◦ وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ◦ والذين آمنوا معه القليل ◦ قال
الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين اعينهم لقاء الله وايقنوا والذين تيقنوا انهم يستشهدون عما قريب
ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة ◦ وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير الذين
انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كانهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر به اولئك عذرهم في الانخزال
ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به ◦ ويروى ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه وداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم
وغلبهم العطش ◦ وجالوت جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلاثمائة رطل ◦ وثبت اقدامنا
وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب من قوة القلوب والقاء الرعب في قلوب العدو ونحو ذلك من الاسباب ◦ كان ايشي ابو
داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحى الله الى شمويل عليه السلام
ان داود بن ايشي هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة احجار
فنادته كل واحد منها ان احملني وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه

طالوت بنته

طالوت بنته وكان داود سايسهم ◦ وروي انه حسده واراد قتله ثم تاب ◦ وآتاه الله الملك في مشارق الارض
المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود ◦ والحكمة والنبوة ◦ وعلمه مما يشاء من صنعة
الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك ◦ ولولا دفع الله الناس ولولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم
لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض ◦
وقيل ولولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين ◦ او لو لم يدفعهم بهم لعم
الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل اهل الارض ◦ تلك آيات الله يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم
واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي ◦ بالحق باليقين
الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك ◦ وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع
اخبار ◦ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن
مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات
ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ◦ يا ايها
الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون
تلك الرسل اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم ◦ فضلنا بعضهم على بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات ◦ منهم من كلم الله منهم من فضله الله بان كلمه
من غير سفير وهو موسى صلوات الله وسلامه عليه ◦ وقرئ كلم الله بالنصب ◦ وقرأ اليماني كالم الله من المكالمة
ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه ◦ ورفع بعضهم درجات يعني ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد
تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر انه اراد محمدا صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم
حيث اوتي ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى الف آية واكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا
على سائر ما اوتي الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر
المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه
والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي تعورف واشتهر
بنحوه من الافعال فيكون افخم من التصريح به وانوه بصاحبه ◦ وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا
والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره ◦ ويجوز
ان يريد ابراهيم ومحمدا وغيرهما من اولي العزم من الرسل ◦ وعن ابن عباس كنا في المسجد نتذاكر فضل
الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابراهيم بخلته وموسى بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله افضل
منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الانبياء فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها
فان قلت فلم خص موسى وعيسى من بين الانبياء بالذكر **قلت** لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة
ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فلما كان هذان النبيان قد اوتيا ما اوتيا
من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين ان من زيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره
ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي اوتي منها ما لم يؤت احد في كثرتها وعظمها
كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل غير مدافع ◦ اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين ◦ ولو شاء الله مشيئة
الجاء وقسر ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا
ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه عنه ◦ ولو شاء الله

ما اقتتلوا كرره للتأكيد • ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة • انفقوا مما رزقناكم اراد به الانفاق
الواجب لاتصال الوعيد به • من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق • لا بيع فيه
حتى تبتاعوا ما تنفقونه • ولا خلة حتى يسامحكم اخلاؤكم به وان اردتم ان يحط عنكم ما في ذمتكم من
الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لان الشفاعة ثمه في زيادة الفضل لا غير • والكافرون
هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال في آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج وللايذان بان ترك الزكوة
من صفات الكفار في قوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة • وقرئ لا بيع ولا خلة ولا شفاعة بالرفع • الله
لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا
باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض
ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء • وهو على اصطلاح المتكلمين
الذي يصح ان يعلم ويقدر • والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه • وقرئ القيام والقيم • والسنة
ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس • قال ابن الرقاع العاملي • وسنان اقصده النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنائم • اي لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو تأكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال
ان يكون قيوما ومنه حديث موسى صلوات الله وسلامه عليه انه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب
الرؤية اينام ربنا فاوحى الله تعالى اليهم ان يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوئتين
فاخذهما والقى الله عليه النعاس فضرب احداهما على الاخرى فانكسرتا ثم اوحى اليه قل لهؤلاء اني امسك السموات
والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا • من ذا الذي يشفع عنده بيان لملكوته وكبريائه وان احدا
لا يتمالك ان يتكلم يوم القيمة الا اذا اذن له في الكلام كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن • يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم • والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من
ذا من الملائكة والانبياء • من علمه من معلوماته • الا بما شاء الا بما علم • الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل
عن مقعد القاعد • وفي قوله وسع كرسيه السموات والارض اربعة اوجه • احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض
لبسطته وسعته وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمه ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل
لعظم شانه وتمثيل حسي الا ترى الى قوله وما قدروا الله حق قدره • والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية
بمكانه الذي هو كرسي العالم • والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك • والرابع ما روي انه خلق
كرسيا هو بين يدي العرش دونه السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شيء • وعن الحسن رحمه الله الكرسي هو العرش
• ولا يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه • حفظهما حفظ السموات والارض • وهو العلي الشان • العظيم الملك
والقدرة فان قلت كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف قلت ما منها جملة الا وهي واردة
على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا
ولحائها • فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه • والثانية لكونه مالكا لما يدبره
• والثالثة لكبرياء شانه • والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة
وغير المرتضى • والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره فان قلت
لم فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله عليه الصلاة والسلام ما قرئت هذه الآية في دار
الا اهجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة • يا علي علمها ولدك
واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها • وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول
من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد

ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله • وتذاكر الصحابة
رضوان الله عليهم افضل ما في القرآن فقال لهم علي رضي الله عنه اين انتم من آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر • وسيد الفرس سلمان • وسيد الروم صهيب •
وسيد الحبشة بلال • وسيد الجبال الطور • وسيد الايام يوم الجمعة • وسيد الكلام القرآن • وسيد القرآن البقرة
وسيد البقرة آية الكرسي قلت لما فضلت سورة الاخلاص لاشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته
العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل من سائر الاذكار • وبهذا يعلم ان اشرف العلوم واعلاها
منزلة عند الله علم اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة اعدائه فان العرانين تلقاها محسدة • لا اكراه في
الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها
والله سميع عليم • الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم
من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • لا اكراه في الدين اي لم يجر الله امر الايمان على الاجبار
والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله عز وعلا ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس
حتى يكونوا مؤمنين اي لو شاء لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار • قد تبين الرشد من الغي قد
تميز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة • فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان او الاصنام والايمان بالله • فقد
استمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المأمون • انفصامها اي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال
بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به • وقيل هو اخبار في معنى
النهي اي لا تكرهوا في الدين • ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم • وقيل
هو في اهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية • وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان
فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا
فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري رضي الله عنه يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر
فنزلت فخلاهما • الله ولي الذين آمنوا اي ارادوا ان يؤمنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتأييده من الكفر الى الايمان
والذين كفروا اي صمموا على الكفر امرهم على عكس ذلك • او والله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم
بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين • والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من
نور البينات التي تظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة • الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك اذ قال
ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب
فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين • او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه
الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى
طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما
فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير • واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم
ان الله عزيز حكيم • الم تر تعجيب من محاجة نمروذ في الله وكفره به • ان آتاه الله الملك متعلق بحاج على وجهين • احدهما حاج
لان آتاه الله الملك على معنى ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج لذلك • او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب
عليه من الشكر على ان آتاه الله الملك فكانت المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب
عليه من الموالاة لاجل الاحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون • والثاني حاج وقت ان آتاه الله الملك والعلم
فان قلت كيف جاز ان يؤتي الله الملك الكافر قلت فيه قولان آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع فاما
التغليب والتسليط فلا • وقيل ملكه امتحانا لعباده • واذ قال نصب بحاج او بدل من ان آتاه اذا جعل بمعنى الوقت • انا احيي واميت

٢ قوله علم اهل العدل الشان اللطيف
ان اهل العدل والتوحيد هم الحنفية خلاف
المتكلمين بزعمهم ومن وافقهم
اهل العدل والتوحيد م

تمامه ولن ترى للئام الناس حسادا م

يريد أعفو عن القتل وأقتل فكان الاعتراض عتيداً ولكن إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه لما سمع جوابه الأحمق لم يحاجه فيه ولكن
انتقل إلى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته أول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة إلى حجة • وقرئ فبهت
الذي كفر أي فغلب إبراهيم الكافر • وقرأ أبو حيوة فبهُت بوزن قرُب • وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الأصنام وسجنه نمرود
ثم أخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو إليه فقال ربي الذي يحيي ويميت • أو كالذي معناه أو أرأيت مثل الذي
فحذف لدلالة ألم تر عليه لأن كلتيهما كلمة تعجيب • ويجوز أن يحمل على المعنى دون اللفظ كأنه قيل أرأيت كالذي حاج إبراهيم
أو كالذي مر على قرية والمار كان كافراً بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمرود في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي أنّى
وقيل هو عزير أو الخضر أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه • وقوله
أنى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريق الإحياء واستعظام لقدرة المحيي • والقرية بيت المقدس حين خربه بخت
نصر وقيل هي التي خرج منها الألوف • وهي خاوية على عروشها تفسيره فيما بعد يوماً أو بعض يوم بناء على الظن • روي
أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر إلى الشمس يوماً ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال
أو بعض يوم • وروي أن طعامه كان تيناً وعنباً وشرابه عصيراً أو لبناً فوجد التين والعنب كما جنيا
والشراب على حاله • لم يتسنه لم يتغير والهاء أصلية أو هاء السكت واشتقاقه من السنة على الوجهين
لأن لامها هاء أو واو وذلك أن الشيء يتغير بمرور الزمان • وقيل أصله يتسنن من الحمأ المسنون فقلبت نونه
حرف علة كتقضي البازي • ويجوز أن يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو
بحاله كما كان كأنه لم يلبث مائة سنة • وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه فانظر إلى طعامك وشرابك لم
يتسن • وقرأ أبي رضي الله عنه لم يسنه بإدغام التاء في السين • وانظر إلى حمارك كيف تفرقت
عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه • ويجوز أن يراد وانظر إليه سالماً في مكانه كما ربطته وذلك من
أعظم الآيات أن يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك
آية للناس فعلنا ذلك يريد إحياءه بعد الموت وحفظ ما معه • وقيل أتى قومه راكب حماره وقال أنا عزير
فكذبوه فقال هاتوا التوراة فأخذ يهذها هذاً عن ظهر قلبه وهم ينظرون
في الكتاب فما خرم حرفاً فقالوا هو ابن الله تعالى ولم يقرأ التوراة ظاهراً أحد قبل عزير صلوات الله وسلامه عليه
فذلك كونه آية • وقيل رجع إلى منزله فرأى أولاده شيوخاً وهو شاب فإذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة
سنة • وانظر إلى العظام هي عظام الحمار أو عظام الموتى الذين تعجب من إحيائهم • كيف ننشزها كيف نحييها وقرأ
الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى أنشرهم فنشروا • وقرئ بالزاي بمعنى نحركها ونرفع بعضها إلى بعض
للتركيب • وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له أن الله على كل شيء قدير قال أعلم أن الله على كل شيء قدير فحذف
الأول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيداً • ويجوز فلما تبين له ما أشكل عليه يعني أمر إحياء
الموتى • وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما فلما تُبيّن له على البناء للمفعول وقال اعلم على لفظ الأمر • وقرأ عبد الله
رضي الله عنه قيل اعلم • **فإن قلت** فإذا كان كافراً فكيف يسوغ أن يكلمه الله • **قلت** كان الكلام
بعد البعث ولم يكن إذ ذاك كافراً • أرني بصّرني • **فإن قلت** كيف قال الله تعالى له أولم تؤمن وقد علم
أنه أثبت الناس إيماناً • **قلت** ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين • وبلى إيجاب لما بعد النفي
معناه بلى آمنت • ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكوناً وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر
الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين لأن علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري
فأراد بطمأنينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك • **فإن قلت** بم تعلقت اللام في ليطمئن • **قلت**
بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك إرادة طمأنينة القلب • فخذ أربعة من الطير قيل طاووساً وديكاً وغراباً
وحمامة • فصرهن إليك بضم الصاد وكسرها بمعنى فأملهن واضممهن إليك • قال ولكن أطراف الرماح تصورها

وقال وفرع

وقال وفرع يصيد الجيد وحف كأنه • على الليت قنوان الكروم الدوالح • وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فصُرّهن
بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صرّه يصرّه ويصرّه إذا جمعه نحو ضرّه يضرّه ويضرّه • وعنه فصرّهن من
التصرية وهي الجمع أيضاً • ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً يريد ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال • والمعنى على
كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي أرضك قيل كانت أربعة أجبل وعن السدي سبعة • ثم ادعهن وقل لهن تعالين
بإذن الله • يأتينك سعياً ساعيات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن • **فإن قلت** ما معنى أمره
بضمها إلى نفسه بعد أن يأخذها • **قلت** ليتأملها ويعرف أشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد
الإحياء ولا يتوهم أنها غير تلك ولذلك قال يأتينك سعياً • وروي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها
ويفرق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وأن يمسك رؤوسها ثم أمر أن يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل
ربعاً من كل طائر ثم يصيح بها تعالين بإذن الله فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثاً ثم أقبلن فانضممن
إلى رؤوسهن كل جثة إلى رأسها • وقرئ جزُؤاً بضمتين وجزّاً بالتشديد ووجهه أنه خفف بطرح همزته ثم شدد كما
يشدد في الوقف إجراء للوصل مجرى الوقف • مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع
سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم • الذين ينفقون أموالهم في سبيل
الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • مثل الذين
لا بد من حذف مضاف أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة • والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سبباً
أسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء • ومعنى إنباتها سبع سنابل أن تخرج ساقاً يتشعب منها
سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر • **فإن قلت**
كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود • **قلت** بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق
البرة في الأراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحاً على سبيل الفرض والتقدير
فإن قلت هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات خضر • **قلت**
هذا لما قدمت عند قوله تعالى ثلاثة قروء من وقوع أمثلة الجمع متعاورة مواقعها • والله يضاعف لمن يشاء
أي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت أحوال المنفقين • أو يضاعف سبع المائة ويزيد عليها
أضعافها لمن يستوجب ذلك • المن أن يعتد على من أحسن إليه بإحسانه ويريه أنه اصطنعه وأوجب عليه حقاً
له وكانوا يقولون إذا اصطنعتم صنيعة فانسوها • ولبعضهم: وإن امرءاً أسدى إليّ صنيعة • وذكّرنيها مرة
لبخيل • وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومنّ ومن منع نائله وضنّ • وفيها طعم الآلاء أحلى من المن وهي
من الآلاء مع المن • والأذى أن يتطاول عليه بسبب ما أزل إليه • ومعنى ثم إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك
المن والأذى وأن تركهما خير من نفس الإنفاق كما جعل الاستقامة على الإيمان خيراً من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا
فإن قلت أي فرق بين قوله لهم أجرهم وقوله فيما بعد فلهم أجرهم • **قلت** الموصول لم يضمن هاهنا معنى الشرط
وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى أن الفاء فيها دلالة على أن الإنفاق استحق الأجر وطرحها عار عن تلك
الدلالة • قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم • يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه
تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين • ومثل الذين
ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن
لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير • أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار
له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله
لكم الآيات لعلكم تتفكرون • قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل إذا وجد منه ما يثقل على المسؤول

٣ قوله الذين ينفقون نزلت في عثمان وعبد الرحمن رضي الله عنهما أما عثمان فجهز جيش العسرة ... وأما عبد الرحمن فتصدق بنصف ماله ...

٣ قوله ولبعضهم ... أعطاني ...

٣ قوله من الآلاء ... الآلاء النعم ... حسن المنظر ... أمر من طعم الآلاء

٣ قوله فلهم أجرهم وهو قوله الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم

٣ قوله قول معروف رد جميل ...

او نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل • او وعفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره • خير من صدقة
يتبعها اذى • صح الاخبار عن المبتدا النكرة لاختصاصه بالصفة • والله غني لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذي • حليم
عن معاجلة بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له • ثم بالغ في ذلك بما اتبعه • كالذي ينفق ماله اي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن
والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يريد بانفاقه رضى الله ولا ثواب الآخرة • فمثله ومثل نفقته
التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب • وقرأ سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان • فاصابه وابل مطر
عظيم القطر • فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه • ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق • لا يقدرون على شيء مما
كسبوا كقوله فجعلناه هباء منثورا • ويجوز ان تكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق
فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق • قلت اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق • ولان من والذي
يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق • وتثبيتا من انفسهم وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس
على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها
وقل طمعها في اتباع شهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين • ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام
وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن
اخلاص قلبه • ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه • وعلى الثاني لابتداء الغاية
كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم • ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان
مخلصة فيه • وقرأ مجاهد وتبيينا من انفسهم • فان قلت فما معنى التبعيض • قلت معناه ان من بذل
ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه • ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل
الله باموالكم وانفسكم • والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة وهي البستان • بربوة بمكان
مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا • اصابها وابل مطر عظيم القطر • فآتت اكلها ثمرتها ضعفين
مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل • فان لم يصبها وابل فطل فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم
عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل فكما ان كل واحد من المطرين يضعف
اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله
زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده • وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلاث واكلها بضمتين • الهمزة
في أيود للانكار • وقرئ له جنات • وذرية ضعاف • والاعصار الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو
السماء كالعمود • وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر
عند ذلك حسرة من كانت له جنة من ابهى الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم
ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة • وعن عمر رضي الله عنه انه سأل عنها الصحابة رضي الله عنهم فقالوا الله
اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس رضي الله عنه في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين فقال قل
يا ابن اخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان
فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها • وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف
جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا
فان قلت كيف قال جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات • قلت النخيل والاعناب لما كانا اكرم
الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما
ثم اردفهما ذكر كل الثمرات • ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله تعالى وكان له ثمر بعد قوله
جنتين من اعناب وحففناهما بنخل • فان قلت علام عطف قوله واصابه الكبر • قلت الواو للحال
لا للعطف ومعناه ان يكون له جنة وقد اصابه الكبر • وقيل يقال وددت ان يكون كذا ووددت لو كان كذا

فحمل العطف على المعنى كانه قيل أيود احدكم لو كانت له جنة فاصابه الكبر • يا ايها الذين آمنوا انفقوا من
طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون • ولستم بآخذيه
الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد • الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم
مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم • يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب • وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما
للظالمين من انصار • ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر
عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير • من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم • ومما اخرجنا لكم
من الحب والثمر والمعادن وغيرها • فان قلت فهلا قيل وما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب
على المكسوب والمخرج من الارض • قلت معناه ومن طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات • ولا
تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال الرديء منه تنفقون تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال • وقرأ عبد الله
رضي الله عنه ولا تأمموا • وفي ابن عباس رضي الله عنه ولا تيمموا بضم التاء • ويممه وتيممه وتأممه سواء في
معنى قصده • ولستم بآخذيه وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم • الا ان تغمضوا فيه الا بان
تتسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره • ويقال للبائع اغمض اي
لا تستقص كانك لا تبصر • وقال الطرماح لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض
وقرأ الزهري تغمضوا واغمض وغمض بمعنى • وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض
وقرأ قتادة تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه • وقيل الا ان توجدوا
مغمضين • وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه • وعن ابن
عباس رضي الله عنه كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه • يعدكم الفقر في الانفاق ويقول لكم
ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا • وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين • والوعد يستعمل في الخير والشر
قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا • ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر
للمأمور • والفاحش عند العرب البخيل • والله يعدكم في الانفاق • مغفرة لذنوبكم وكفارة لها • وفضلا
وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم او وثوابا عليه في الآخرة • يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به • والحكيم عند
الله هو العالم العامل • وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة • وهكذا قرأ الاعمش • خيرا
كثيرا تنكير تعظيم كانه قال فقد اوتي اي خير كثير • وما يذكر الا اولوا الالباب يريد الحكماء العلماء العمال والمراد
الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الانفاق • وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان
او نذرتم من نذر في طاعة الله او في معصيته • فان الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه • وما
للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي او لا يفون بالنذور او ينذرون في المعاصي
من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه • ما في نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة • ومعنى فنعما
هي فنعم شيئا ابداؤها • وقرئ بكسر النون وفتحها • وان تخفوها وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع
الاخفاء • فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فان الافضل في الفرائض ان يجاهر بها
وعن ابن عباس رضي الله عنه صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا • وصدقة
الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا • وانما كانت المجاهرة افضل لنفي التهمة حتى
اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل • والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل
ونكفر قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدا محذوف اي ونحن نكفر او
على انه جملة من فعل وفاعل مبتدأة • ومجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط • وقرئ ويكفر

بالياء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات. وقرأ الحسن بالياء والنصب بإضمار أن ومعناه إن تخفوها يكن خيرا لكم وأن يكفر عنكم. **ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون. للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم**

ليس عليك هداهم لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك إلا أن تبلغهم النواهي فحسب. ولكن الله يهدي من يشاء يلطف بمن يعلم أن اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه. وما تنفقوا من خير من مال. فلأنفسكم فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم. وما تنفقون وليست نفقتكم إلا لابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله إلى الله تعالى. وما تنفقوا من خير يوف إليكم ثوابه أضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن إنفاقه وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها. وقيل حجت أسماء بنت أبي بكر فأتتها أمها تسألها وهي مشركة فأبت أن تعطيها فنزلت. وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون أن يرضخوا لقراباتهم من المشركين. وروي أن ناسا من المسلمين كانت لهم أصهار في اليهود وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الإسلام فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوا عليهم. وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك. واختلف في الواجب فجوز أبو حنيفة رضي الله عنه صرف صدقة الفطر إلى أهل الذمة وأباه غيره. الجار متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا الفقراء واجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله عز وعلا في تسع آيات. ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي صدقاتكم للفقراء. والذين أحصروا في سبيل الله هم الذين أحصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الأرض للكسب. وقيل هم أصحاب الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل أتاهم به إذا أمسى. وعن ابن عباس رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقي من أمتي على النعت الذي أنتم عليه راضيا بما فيه فإنه من رفقائي. يحسبهم الجاهل بحالهم أغنياء من التعفف مستغنين من أجل تعففهم عن المسألة. تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال. والإلحاف الإلحاح وهو اللزوم وأن لا يفارق إلا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه أي أعطاني من فضل ما عنده. وعن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يحب الحيي الحليم ويبغض البذي السآل الملحف. ومعناه أنهم إن سألوا سألوا بلطف ولم يلحوا. وقيل هو نفي السؤال والإلحاف جميعا كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به. **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال. وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية. وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية. وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله. وعن أبي هريرة رضي الله عنه كان إذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية. **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع**

وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم. إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون. وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون. واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

الربوا كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الألف بعدها تشبيها بواو الجمع. لا يقومون إذا بعثوا من قبورهم. إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان أي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع. والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون. والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا أيضا من زعماتهم وأن الجني يمسه فيختلط عقله. وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن. ورأيتهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهدات. **فإن قلت** بم يتعلق قوله من المس. **قلت** بلا يقومون أي لا يقومون من المس الذي بهم إلا كما يقوم المصروع. ويجوز أن يتعلق بيقوم أي كما يقوم المصروع من جنونه. والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف. وقيل الذين يخرجون من الأجداث يوفضون إلا أكلة الربا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لأنهم أكلوا الربا فأرباه الله في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الإيفاض. ذلك العقاب بسبب قولهم إنما البيع مثل الربا. **فإن قلت** هلا قيل إنما الربا مثل البيع لأن الكلام في الربا لا في البيع فوجب أن يقال إنهم شبهوا الربا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم أنهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي إلا درهما بدرهمين جاز فكذلك إذا باع درهما بدرهمين. **قلت** جيء به على طريق المبالغة وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه أصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع. قوله وأحل الله البيع وحرم الربا إنكار لتسويتهم بينهما ودلالة على أن القياس يهدمه النص لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه. فمن جاءه موعظة فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربا. فانتهى فتبع النهي وامتنع. فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لأنه أخذ قبل نزول التحريم. وأمره إلى الله يحكم في شأنه يوم القيامة وليس من أمره إليكم شيء فلا تطالبوه. ومن عاد إلى الربا فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. وهذا دليل بين على تخليد الفساق. وذكر فعل الموعظة لأن تأنيثها غير حقيقي ولأنها في معنى الوعظ. وقرأ أبي والحسن فمن جاءته. يمحق الله الربا يذهب الله بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه. وعن ابن مسعود رضي الله عنه الربا وإن كثر إلى قل. ويربي الصدقات ما يتصدق به بأن يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه. وفي الحديث ما نقصت زكاة من مال قط. كل كفار أثيم تغليظ في أمر الربا وإيذان بأنه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين. أخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فأمروا أن يتركوها ولا يطالبوا بها. وروي أنها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا. وقرأ الحسن ما بقا بقلب الياء ألفا على لغة طيء. وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه جنف. إن كنتم مؤمنين إن صح إيمانكم يعني أن دليل صحة الإيمان وثباته امتثال ما أمرتم به من ذلك. فأذنوا بحرب فاعلموا بها من أذن بالشيء إذا علم به. وقرئ فآذنوا فأعلموا بها غيركم وهو من الأذن وهو الاستماع لأنه من طرق العلم. وقرأ الحسن فأيقنوا وهو دليل لقراءة العامة. **فإن قلت** هلا قيل بحرب الله ورسوله. **قلت** كان هذا أبلغ لأن المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله. وإن تبتم من الارتباء فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها. **فإن قلت** هذا حكمهم إن تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا. **قلت** قالوا يكون مالهم فيئا للمسلمين. وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون.

ولذلك كان ذو عسرة وانه وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار • وفي مصحف عثمان رضي الله عنه ذا عسرة وعلى هذا
كان الغريم ذا عسرة • وقرئ ومن كان ذا عسرة فنظرة فالحكم او فالامر نظرة والانظار • وقرئ فنظرة بسكون
الظاء • وقرأ عطاء فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره اي منتظره او صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب
وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة وباسره بها • الى ميسرة الى يسار
وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة • وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة
كقوله • واخلفوك عد الامر الذي وعدوا • وقوله تعالى واقام الصلوة • وان تصدقوا خير لكم ندب الى ان
يتصدقوا برؤوس اموالهم على من اعسر من غرمائهم او ببعضها كقوله عز وعلا وان تعفوا اقرب • وقيل اريد بالتصدق
الانظار لقوله عليه الصلوة والسلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة • ان كنتم
تعلمون انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه • وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف
التاء • ترجعون قرئ على البناء للفاعل والمفعول • وقرئ يرجعون على طريقة الالتفات • وقرأ عبد الله رضي الله
عنه تردون • وقرأ ابي رضي الله عنه تصيرون • وعن ابن عباس رضي الله عنه انها آخر آية نزل بها جبريل صلوات
الله عليه وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا
وعشرين يوما • وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا
تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب
وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او
لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل
وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا
ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا
الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم
ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم • اذا
تداينتم اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا كما يقال بايعته اذا بعته
او باعك قال رؤبة • داينت اروى والديون تقضى • فمطلت بعضا وادت بعضا • والمعنى اذا تعاملتم
بدين مؤجل فاكتبوه **فان قلت** هلا قيل اذا تداينتم الى اجل مسمى واي حاجة الى ذكر الدين كما قال
تداينت اروى ولم يقل بدين **قلت** ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان
يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال **فان قلت**
ما فائدة قوله مسمى **قلت** ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام
ولو قال الى الحصاد او الدياس او الى رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية • وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق
وآمن من النسيان وابعد من الجحود والامر للندب • وعن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد به السلم
وقال لما حرم الله الربا اباح السلف • وعنه اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم في كتابه وانزل
فيه اطول آية • بالعدل متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مامون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد
على ما يجب ان يكون ولا ينقص • وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجئ مكتوبه معدلا بالشرع
وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا • ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من
الكتاب وهو معنى تنكير كاتب • ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير
وقيل هو كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك اي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها • وعن
الشعبي هي فرض كفاية • وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بان يكتب وبقوله فليكتب **فان قلت** اي فرق

بين الوجهين **قلت** ان علقته بان يكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب
يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد • وان علقته بقوله فليكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة
على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة • وليملل الذي عليه الحق ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه
هو المشهود على ثباته في ذمته واقراره به • والاملال والاملاء لغتان قد نطق بهما القرآن فهي تملى
عليه • ولا يبخس منه اي من الحق شيئا • والبخس النقص • وقرئ شيا بطرح الهمزة وشيا بالتشديد
سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف • او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا • او لا يستطيع
ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به او خرس • فليملل وليه الذي يلي امره من وصي
ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه • وقوله ان يمل
هو فيه انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه • واستشهدوا شهيدين واطلبوا
ان يشهد لكم شهيدان على الدين • من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام
عند عامة العلماء رحمهم الله • وعن علي رضي الله عنه لا تجوز شهادة العبد في شيء • وعند شريح
وابن سيرين وعثمان البتي انها جائزة • ويجوز عند ابي حنيفة رحمه الله شهادة الكفار بعضهم
على بعض على اختلاف الملل فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد
رجل وامرأتان • وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابي حنيفة رحمه الله فيما عدا الحدود
والقصاص • ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم • ان تضل احداهما ان لا تهتدي احداهما للشهادة
بان تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل **فان قلت**
كيف يكون ضلالها مرادا لله **قلت** لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم
ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب
عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت
الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجئ عدو فادفعه • وقرئ فتذكر بالتخفيف
والتشديد وهما لغتان • وقرأ حمزة ان تضل احداهما على الشرط فتذكر بالرفع كقوله تعالى ومن عاد
فينتقم الله منه • وقرئ ان تضل احداهما على البناء للمفعول والتأنيث • ومن بدع التفاسير فتذكر
فتجعل احداهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر • اذا ما دعوا ليقيموا الشهادة
وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن • وعن قتادة كان
الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت • ولا تسأموا عن الكسل لان الكسل
صفة المنافقين ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز ان يراد من كثرت مداينته فلا يخلو من ان يكتب
لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب • والضمير في تكتبوه للدين او الحق • صغيرا او كبيرا
على كل حال كان الحق من صغر او كبر • ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان تكتبوه مختصرا او مشبعا ولا تخلوا بكتابته
الى اجله الى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته • ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر
اي ذلكم الكتب • اقسط اعدل من القسط • واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة • وادنى
ان لا ترتابوا واقرب من انتفاء الريب **فان قلت** مم بني افعلا التفضيل اعني اقسط واقوم
قلت يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على
طريقة النسب بمعنى ذي قسط واقوم من قويم • وقرئ ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء فيهما **فان قلت**
ما معنى تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها
بينهم **قلت** اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا

بيد وللمعنى الا ان تتبايعوا تبايعا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في
التداين ● وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هي الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر
تديرونها ● وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله ● بني اسد هل تعلمون بلاءنا ● اذا كان
يوما ذا كواكب اشنعا ● اي اذا كان اليوم يوما ● واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا
ناجزا او كالئا لانه احوط وابعد مما عسى يقع من الاختلاف ● ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا
التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة ● وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء
لم يشهد ● وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ● ولا يضار يحتمل البناء للفاعل وللمفعول
والدليل عليه قراءة عمر رضي الله عنه ولا يضارر بالاظهار والكسر ● وقراءة ابن عباس رضي الله عنه ولا
يضارر بالاظهار والفتح فالمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة
والنقصان او النهي عن الضرار بهما بان لا يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد
مؤونة مجيئه من بلد ● وقرأ الحسن ولا يضار بالكسر ● وان تفعلوا وان تضاروا ● فانه فسوق بكم ● وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه ●

وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم ●

على سفر مسافرين ● وقرأ ابن عباس وابي رضي الله عنهما كتابا ● وقال ابن عباس رضي الله عنه ارايت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة ● وقرأ ابو العالية كتبا ● وقرأ الحسن كتابا جمع كاتب ● فرهن فالذي يستوثق به رهن ● وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف ● وفرهان ● **فان قلت** لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه في غير سفر ● **قلت** ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد ● وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الآية ● واما القبض فلا بد من اعتباره ● وعند مالك رحمه الله يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض ● فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به ● وقرأ ابي رضي الله عنه فان اومن اي امنه الناس ووصف المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله ● فليؤد الذي اؤتمن امانته حث المديون على ان يكون عند ظن الدائن به وامنه منه وائتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين امانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه ● والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال او بياء فتقول الذيتمن ● وعن عاصم انه قرأ الذتمن بادغام الياء في التاء قياسا على اتسر في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتزر عامي وكذلك ريا في رؤيا ● آثم خبر ان وقلبه رفع بآثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه ● ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان ● **فان قلت** هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده ● **قلت** كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال

سائر الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب ● وعن ابن عباس رضي الله عنه اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة ● وقرئ قلبه بالنصب كقوله سفه نفسه ● وقرأ ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله آثما ●

لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ● آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ● لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ●

وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اضمره ● ويعذب من يشاء ممن استوجب العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه ● وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه انه تلاها فقال لئن اخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس رضي الله عنه فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله نفسا ● وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب ● **فان قلت** كيف يقرأ الجازم ● **قلت** يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن ابي عمرو رضي الله عنه مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم ● والسبب في هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو ● وقرأ الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله ● متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ● تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ● ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا رأسه واحببت زيدا عقله وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان ● والمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدا كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع كقوله تعالى وكل اتوه داخرين ● وقرأ ابن عباس رضي الله عنه وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه رضي الله عنه الكتاب اكثر من الكتب ● **فان قلت** كيف يكون الواحد اكثر من الجمع ● **قلت** لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء فاما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع ● لا نفرق يقولون لا نفرق ● وعن ابي عمرو لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل ● وقرأ عبد الله رضي الله عنه لا يفرقون ● واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين ● سمعنا اجبنا ● غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك ● وقرئ وكتبه ورسله بالسكون ● الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة ● وقرأ ابن ابي عبلة وسعها بالفتح ● لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها ● **فان قلت** لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب ● **قلت** في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة

لنفسه امارة به كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم يكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال • لا تؤاخذنا بالنسيان او الخطأ ان فرطنا • فان قلت النسيان والخطأ متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما • قلت ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال الا ترى الى قوله وما انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا متقين لله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطأ فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كأنه قيل ان كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به فما منهم سبب مؤاخذة الا الخطأ والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه • الاصر العبء الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك • وقرئ آصارا على الجمع • وفي قراءة ابي رضي الله عنه ولا تحمل بالتشديد • فان قلت اي فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا تحملنا • قلت هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين • ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها • وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله لا تحمل علينا اصرا • مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا • فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر عبيده • او فان ذلك عادتك • او فان ذلك من الامور التي عليك توليها • وعن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت • وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه • وعنه عليه الصلاة والسلام اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي • وعنه صلى الله عليه وسلم انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل • فان قلت هل يجوز ان يقال قرأت سورة البقرة او قرأت البقرة • قلت لا بأس بذلك وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة • وعن عمر رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش • وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي لا اله غيره رمى الذي انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة • واذا قيل قرأت البقرة لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله عز وجل واسأل القرية • وعن بعضهم انه كره ذلك وقال يقال السورة التي تذكر فيها البقرة • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال عليه الصلاة والسلام السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان • ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام • ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف ولام وان يبدأ بما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم واما فتحها فهي حركة الهمزة القيت عليها حين اسقطت للتخفيف • فان قلت كيف جاز القاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها • قلت هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها على الساكن قبلها لتدل عليها

ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال • فان قلت هلا زعمت انها حركة لالتقاء الساكنين • قلت لان التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف وذلك قولك هذا ابراهيم وداود واسحاق ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في الف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر • فان قلت انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا • قلت الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكنين انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين الساكنين كما قالوا اصيم ومديق فلما حركوا الدال علم ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين • فان قلت فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر • قلت هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة • والتوراة والانجيل اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين • وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب • فان قلت لم قيل نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل • قلت لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة • وقرأ الاعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب • هدى للناس اي لقوم موسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهما • ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم • فان قلت ما المراد بالفرقان • قلت جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل او الكتب التي ذكرها كأنه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه او من هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر • او كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشأنه واظهارا لفضله • بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها • ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم •

ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء • هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم • هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات • فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الالباب • ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب • ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد •

لا يخفى عليه شيء في العالم فعبر عنه بالسماء والارض وهو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه • كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة • وقرأ طاووس تصوركم اي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك اثلت مالا اذا جعلته اثلة اي اصلا وتأثلته اذا اثلته لنفسك • وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا كأنه نبه بكونه مصورا في الرحم انه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله • محكمات احكمت عباراتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه • متشابهات مشتبهات محتملات • هن ام الكتاب اي اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها • فان قلت فهلا كان القرآن كله محكما • قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ولاعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن المعتقد ان لا مناقضة في كلام الله تعالى ولا اختلاف اذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره واهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة الى معتقده وقوة في ايقانه • الذين في قلوبهم زيغ هم اهل البدع • فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم

ويحملها على ما يطابقه من قول أهل الحق • ابتغاء الفتنة طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم • وابتغاء تأويله وطلب أن يؤولوه التأويل الذي يشتهونه • وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم أي لا يهتدي إلى تأويله الحق الذي يجب أن يحمل عليه إلا الله وعباده الذين رسخوا في العلم أي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع • ومنهم من يقف على قوله إلا الله ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والأول هو الوجه • ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون • آمنا به أي بالمتشابه • كل من عند ربنا أي كل واحد منه ومن المحكم من عنده أو بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه • وما يذكر إلا أولو الألباب مدح للراسخين بإلقاء الذهن وحسن التأمل • ويجوز أن يكون يقولون حالا من الراسخين • وقرأ عبد الله رضي الله عنه إن تأويله إلا عند الله • وقرأ أبي رضي الله عنه ويقول الراسخون • لا تزغ قلوبنا أي لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا • بعد إذ هديتنا وأرشدتنا لدينك أو لا تمنعنا ألطافك بعد إذ لطفت بنا • من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة • وقرئ لا تزغ قلوبنا بالياء والتاء ورفع القلوب • جامع الناس ليوم أي تجمعهم لحساب يوم أو لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع • وقرئ جامع الناس على الأصل • إن الله لا يخلف الميعاد معناه أن الإلهية تنافي خلف الميعاد كقولك إن الجواد لا يخيب سائله • والميعاد الموعد

إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب • قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد •

قرأ علي رضي الله عنه لن يغني بسكون الياء جدا من استثقال الحركة على حروف اللين • من في قوله من الله مثله في قوله إن الظن لا يغني من الحق شيئا والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله أو من طاعة الله • شيئا أي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك أي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه قوله تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى • وقرئ وقود النار بالضم بمعنى أهل وقودها • والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم • وعن ابن عباس رضي الله عنهما قريظة والنضير • الدأب مصدر دأب في العمل إذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الإنسان من شأنه وحاله • والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم • ويجوز أن ينتصب محل الكاف بلن تغني أو بالوقود أي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن أولئك أو توقد بهم النار كما توقد بهم تقول إنك لتظلم الناس كدأب أبيك تريد كظلم أبيك ومثل ما كان يظلمهم وإن فلانا لمحارف كدأب أبيه تريد كما حورف أبوه • كذبوا بآياتنا تفسير لدأبهم مما فعلوا وفعل بهم على أنه جواب سؤال مقدر عن حالهم • قل للذين كفروا هم مشركو مكة • ستغلبون يوم بدر • وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قالوا هذا والله النبي الأمي الذي بشرنا به موسى عليه الصلاة والسلام وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى تنظروا إلى وقعة أخرى فلما كان يوم أحد شكوا • وقيل جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال عليه الصلاة والسلام يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم أني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك أنك لقيت أقواما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس • وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم قل لهم قولي لك سيغلبون فإن قلت أي فرق بين القراءتين من حيث المعنى قلت معنى القراءة بالتاء الأمر بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر إلى جهنم فهو إخبار بمعنى ستغلبون وتحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ • ومعنى القراءة بالياء الأمر بأن يحكي لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه كأنه قال أد إليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون

قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله

[illegible]

والمستغفرين بالأسحار • شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم • إن الدين عند الله الإسلام • وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب •

للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل أدلك على رجل عالم عندي رجل من صفته كيت وكيت ويجوز أن يتعلق اللام بخير • واختص المتقين لأنهم هم المنتفعون • ويرتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من بخير • والله بصير بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق • أو بصير بالذين اتقوا وبأحوالهم فلذلك أعد لهم الجنات • الذين يقولون نصب على المدح أو رفع ويجوز الجر صفة للمتقين أو

للعباد والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وقد مر الكلام في ذلك • وخص الأسحار لأنهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة فيه «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» • وعن الحسن كانوا يصلون في أول الليل حتى إذا كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم • شبهت دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك إقرار الملائكة وأولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه • قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على أنه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا **فإن قلت** لم جاز إفراده بنصب الحال دون المعطوف عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز **قلت** إنما جاز هذا لعدم الإلباس كما جاز في قوله ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة إن انتصب نافلة حالا عن يعقوب فلو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة أو على المدح **فإن قلت** أليس من حق المنتصب على المدح أن يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد إنا معشر الأنبياء لا نورث • إنا بني نهشل لا ندعي لأب **قلت** قد جاء نكرة كما جاء معرفة • وأنشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي • ويأوي إلى نسوة عطل • وشعثا مراضيع مثل السعالي **فإن قلت** هل يجوز أن يكون صفة للمنفي كأنه قيل لا إله قائما بالقسط إلا هو **قلت** لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف **فإن قلت** قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح أن ينتصب حالا عن هو في لا إله إلا هو **قلت** نعم لأنها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي أن يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك أنا عبد الله شجاعا وكذا لو قلت لا رجل إلا عبد الله شجاعا وهو أوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح **فإن قلت** هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة وأولي العلم كما دخلت الوحدانية **قلت** نعم إذا جعلته حالا من هو أو نصبا على المدح منه أو صفة للمنفي كأنه قيل شهد الله والملائكة وأولو العلم أنه لا إله إلا هو وأنه قائم بالقسط • وقرأ عبد الله رضي الله عنه القائم بالقسط على أنه بدل من هو أو خبر مبتدأ محذوف • وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه قيما بالقسط • العزيز الحكيم صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني أنه العزيز الذي لا يغالبه إله • الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في أفعاله **فإن قلت** ما المراد بأولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله **قلت** هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد • وقرئ أنه بالفتح وإن الدين بالكسر على أن الفعل واقع على أنه بمعنى شهد الله على أنه أو بأنه • وقوله إن الدين عند الله الإسلام جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى **فإن قلت** ما فائدة هذا التوكيد **قلت** فائدته أن قوله لا إله إلا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فإذا أردفه قوله إن الدين عند الله الإسلام فقد آذن أن الإسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده بشيء من الدين وفيه أن من ذهب إلى التشبيه أو ما يؤدي إليه كإجازة الرؤية أو ذهب إلى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام وهذا بين جلي • وقرئا مفتوحتين على أن الثاني بدل من الأول كأنه قيل شهد الله أن الدين عند الله الإسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لأن دين الله هو التوحيد والعدل • وقرئ الأول بالكسر والثاني بالفتح على أن الفعل واقع على أن وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا أيضا شاهد على أن دين الإسلام هو العدل والتوحيد فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك • وقرأ عبد الله رضي الله عنه أن لا إله إلا هو • وقرأ أبي رضي الله عنه إن الدين عند الله للإسلام وهي مقوية لقراءة من فتح الأولى وكسر الثانية • وقرئ شهداء لله بالنصب على أنه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء لله **فإن قلت** فعلام عطف على هذه القراءة

والملائكة وأولو العلم **قلت** على الضمير في شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما **فإن قلت** لم كرر قوله لا إله إلا هو **قلت** ذكره أولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وأنه لا إله إلا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن بإثبات الوحدانية إثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالأمرين كأنه قال لا إله إلا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله تعالى العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل • الذين أوتوا الكتاب أهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم أنهم تركوا الإسلام وهو التوحيد والعدل • من بعد ما جاءهم العلم أنه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا أحق بأن تكون النبوة فينا من قريش لأنهم أميون ونحن أهل كتاب وهذا تجوير لله • بغيا بينهم وما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب إلا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطأون أعقابهم لا شبهة في الإسلام • وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث آمن به بعض وكفر بعض • وقيل هو اختلافهم في الإيمان بالأنبياء فمنهم من آمن بموسى صلوات الله عليه ومنهم من آمن بعيسى صلوات الله عليه • وقيل هم اليهود واختلافهم أن موسى عليه الصلاة والسلام حين احتضر استودع التوراة سبعين حبرا من بني إسرائيل وجعلهم أمناء عليها واستخلف يوشع عليه السلام فلما مضى قرن بعد قرن اختلف أبناء السبعين بعد ما جاءهم علم التوراة • بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة • وقيل هم النصارى واختلافهم في أمر عيسى عليه الصلاة والسلام بعد ما جاءهم العلم أنه عبد الله ورسوله • فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن • وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد • فإن حاجوك فإن جادلوك في الدين • فقل أسلمت وجهي لله أي أخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم أجعل فيها لغيره شركا بأن أعبده وأدعو إلها معه يعني أن ديني دين التوحيد وهو الدين القويم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بأن ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه • ومن اتبعن عطف على التاء في أسلمت وحسن للفاصل ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه • وقل للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى • والأميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب • أأسلمتم يعني أنه قد أتاكم من البينات ما يوجب الإسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا إلا سلكته هل فهمتها لا أم لك • ومنه قوله عز وجل فهل أنتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر • وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الإنصاف لأن المنصف إذا تجلت له الحجة لم يتوقف إذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب أسدادا بينه وبين الإذعان وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي فهل أنتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه • فإن أسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا أنفسهم حيث خرجوا من الضلال إلى الهدى ومن الظلمة إلى النور • وإن تولوا لم يضروك فإنك رسول منبه ما عليك إلا أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى • إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم • أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين • ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون • ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون • قرأ الحسن يقتّلون النبيين • وقرأ حمزة ويقاتلون الذين يأمرون • وقرأ عبد الله رضي الله عنه وقاتلوا • وقرأ أبي رضي الله عنه يقتلون النبيين والذين يأمرون وهم أهل الكتاب

قتلوهم الأنبياء، وقتلوا أتباعهم وهم راضون بما فعلوا، وكانوا حول قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لولا عصمة الله. وعن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال عليه الصلاة والسلام رجل قتل نبيا أو قتل رجلا أمر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال صلوات الله عليه وسلامه يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار. في الدنيا والآخرة لأن لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة. **فإن قلت** [illegible] **قلت** ... أوتوا نصيبا من الكتاب يريد أحبار اليهود، وأنهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة، ومن إما للتبعيض وإما للبيان، أو من اللوح التوراة وهي نصيب عظيم. يدعون إلى كتاب الله يعني التوراة. ليحكم بينهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت قال عليه الصلاة والسلام على ملة إبراهيم فقالا إن إبراهيم كان يهوديا قال صلى الله عليه وسلم فهلموا إلى التوراة فإنها بيننا وبينكم فأبيا. وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه. وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لأنهم قد علموا أنه كتاب الله ولم يشكوا فيه. ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بأن الرجوع إليه واجب. وهم معرضون وهم قوم لا يزال الإعراض ديدنهم. وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه أن يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من أسلم من أحبارهم وبين من لم يسلم وأنهم دعوا إلى كتاب الله الذي لا يختلفون في صحته وهو التوراة ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك أن قوله ليحكم بينهم يقتضي أن يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذلك التولي والإعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل. وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم كما غرتنا وأولئك شفاعة رسول الله في كبائرنا. فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون. قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير. تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب. فكيف إذا جمعناهم فكيف يصنعون فكيف يكون حالهم وهو استعظام لما أعد لهم وأنهم يقعون فيما لا حيلة لهم في دفعه والخلاص منه وأن ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تعلل وطمع ما لا يكون. وروي أن أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الأشهاد ثم يأمر بهم إلى النار. وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لأنه في معنى كل إنسان كما تقول ثلاثة أنفس. اللهم الميم في اللهم عوض عن يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم ودخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وقطع همزته في يا الله وغير ذلك. مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون. تؤتي الملك من تشاء تعطي منه ما تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك. وتنزع الملك ممن تشاء النصيب الذي أعطيته منه فالملك الأول عام شامل والآخران خاصان بعضان من الكل. روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الأحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فأخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء منها ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال عليه الصلاة والسلام أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال عليه الصلاة والسلام أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال صلى الله عليه وسلم أضاءت لي منها قصور صنعاء وأخبرني جبريل عليه الصلاة والسلام أن أمتي ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وإنما أنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا فنزلت. **فإن قلت** كيف قال بيدك الخير فذكر الخير دون الشر **قلت** لأن الكلام إنما وقع في الخير الذي يسوقه إلى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك ولأن كل أفعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كإيتاء الملك ونزعه. ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في إخراج أحدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم. وفي بعض الكتب أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وإن العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم وهو معنى قوله كما تكونوا يولى عليكم. لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير. قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير. يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد. نهوا عن أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم فإنه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله الآية والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الإيمان. من دون المؤمنين يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم. ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني أنه منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا أمر معقول فإن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان. قال تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ليس النوك عنك بعازب. إلا أن تتقوا منهم تقاة إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه. وقرئ تقية قيل للمتقي تقاة وتقية كقولهم ضرب الأمير لمضروبه رخص لهم في موالاتهم إذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصي كقول عيسى صلوات الله وسلامه عليه كن وسطا وامش جانبا. ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد. ويجوز أن يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقاة أو تقية على المصدر كقوله عز وعلا اتقوا الله حق تقاته. قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه من ولاية الكفار أو غيرها مما لا يرضي الله يعلمه الله فلم يخف عليه. وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم. والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لأن نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها أن تحذر وتتقى فلا يجسر أحد على القبيح ولا يقصر عن واجب فإن ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان أنه أراد الاطلاع على أحواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن أموره لأخذ حذره وتيقظ في أمره واتقى ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم أن العالم الذات الذي يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن. اللهم إنا نعوذ

بك من اعزازك ابشرك يوم تجد منصوب بتود والضمير في بينه لليوم اي يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين
تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا ويجوز ان ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده
ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره اي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح ان تكون ما شرطية
لارتفاع تود فان قلت فهل يصح ان تكون شرطية على قراءة عبد الله ودت قلت لا كلام
في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم واثبت لموافقة قراءة العامة
ويجوز ان يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تود حالا اي يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم او عمل
السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحف يقرؤونه ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه
والامد المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون
عنه والله رؤف بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن
من رأفته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله ان ربك
لذو مغفرة وذو عقاب اليم بالعباد يعني ان تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرافة العظيمة
بالعباد قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله
والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين
ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة
دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة
الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادته يرض عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم
قوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته
وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب
وينعر ويصعق فلا تشك في انه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته
وصعقته الا لانه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله
ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رأيت المني قد ملأ ازار ذلك المحب عند
صعقته وحمقى العامة حواليه قد ملؤوا اردانهم بالدموع لما رققهم من حاله وقرئ تحبونكم
من حبه يحبه قال احب ابا ثروان من حب تمره ولعلم ان الرفق بالجار ارفق ووالله لولا
تمره ما حببته ولا كان ادنى من عبيد ومشرق فان تولوا يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا
بمعنى فان تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم آل ابراهيم اسمعيل واسحاق واولادهما وآل عمران
موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين الف
وثمانمائة سنة وذرية بدل من آل ابراهيم وآل عمران بعضها من بعض يعني ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة
بعضها متشعب من بعض موسى وهارون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي
من يعقوب ويعقوب من اسحاق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود
ابن ايشى بن يهوذا بن يعقوب بن اسحاق وقد دخل في آل ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
بعضها من بعض في الدين كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم يعلم من يصلح
للاصطفاء او يعلم ان بعضهم من بعض في الدين او سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها اذ قالت امرأة
عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم فلما وضعتها
قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم
واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم واذ منصوب به وقيل باضمار اذكر وامرأة
عمران هي امرأة عمران بن ماثان ام مريم البتول جدة عيسى عليه الصلاة والسلام وهي حنة بنت فاقوذ

وقوله اذ قالت امرأة عمران على اثر قوله وآل عمران مما يرجح ان عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى والقول الآخر
يرجحه ان موسى يقرن بابراهيم كثيرا في الذكر فان قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من
موسى وهارون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما ادراك ان عمران هذا هو ابو مريم البتول دون عمران
ابي مريم التي هي اخت موسى وهارون قلت كفى بكفالة زكريا دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريا بن
آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته ايشاع اخت مريم فكان يحيى وعيسى
ابني خالة روي انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينا هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا
له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت
المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل محررا معتقا لخدمة بيت
المقدس لا يد لي عليه ولا استخدمه ولا اشغله بشيء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروي
انهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير بين ان يفعل وان لا يفعل وعن الشعبي محررا
مخلصا للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان وانما بنت الامر على التقدير او طلبت ان ترزق ولدا ذكرا
فلما وضعتها الضمير لما في بطني وانما انث على المعنى لان ما في بطنها كان انثى في علم الله او على تاويل
الحبلة او النفس او النسمة فان قلت كيف جاز انتصاب انثى حالا من الضمير في وضعتها وهو
كقولك وضعت الانثى انثى قلت الاصل وضعته انثى وانما انث لتانيث الحال لان الحال وذا الحال لشيء
واحد كما انث الاسم في من كانت امك لتانيث الخبر ونظيره قوله فان كانتا اثنتين واما على تاويل الحبلة او النسمة
فهو ظاهر كانه قيل اني وضعت الحبلة او النسمة انثى فان قلت فلم قالت اني وضعتها انثى وما ارادت
الى هذا القول قلت قالته تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت
ترجو وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله
تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشيء الذي
وضعت وما علق به من عظائم الامور وان يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك
تحسرت وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنه والله اعلم بما وضعت على خطاب الله تعالى لها اي انك لا تعلمين قدر هذا
الموهوب وما علم الله من عظم شانه وعلو قدره وقرئ وضعت بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه
الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها فان قلت فما معنى قوله وليس الذكر كالانثى قلت هو بيان لما في قوله
والله اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام
فيهما للعهد فان قلت علام عطف قوله واني سميتها مريم قلت هو معطوف على اني وضعتها انثى
وما بينهما جملتان معترضتان كقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم فان قلت فلم ذكرت تسميتها مريم لربها
قلت لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها حتى يكون فعلها
مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان واغوائه
وما يروى من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه
الا مريم وابنها فان صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين
وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين واستهلاله صارخا من
مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من التخييل قول
ابن الرومي لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد واما حقيقة المس والنخس كما
يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من
نخسه فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب

وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب
فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر • بقبول حسن بوجه حسن • أحدهما أن يكون القبول اسم ما يقبل
به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد به وهو اختصاصها بإقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل
قبلها أنثى في ذلك أو بأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة روي أن حنة حين
ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة
في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو
ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع
عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت أقلامهم فتكفلها
• والثاني أن يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذي قبول حسن أي بأمر ذي قبول وهو الاختصاص
ويجوز أن يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله وتقصاه بمعنى استقصاه وهو كثير في كلامهم
من استقبل الأمر إذا أخذه بأوله وعنفوانه قال وخير الأمر ما استقبلت منه • وليس بأن تتبعه
اتباعا • ومنه المثل خذ الأمر بقوابله أي فأخذها في أول أمرها حين ولدت بقبول حسن • وأنبتها نباتا
حسنا مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها • وقرئ وكفلها زكريا بوزن وصلها
وكفلها زكريا بتشديد الفاء ونصب زكريا والفاعل هو الله تعالى أي ضمها إليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها
ويؤيدها قراءة أبي رضي الله عنه وأكفلها من قوله أكفلنيها • وقرأ مجاهد فتقبلها ربها وأنبتها وكفلها على لفظ الأمر
في الأفعال الثلاثة ونصب ربها على النداء أي فاقبلها يا ربها وأنبتها واجعل زكريا كافلا لها • كلما دخل عليها زكريا صلى الله
وسلم عليه المحراب أي الغرفة التي بنيت لها أو المسجد • وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت في أشرف
موضع من بيت المقدس • وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي أنه كان لا يدخل عليها إلا هو وحده
وكان إذا خرج غلق عليها سبعة أبواب • وجد عندها رزقا أي ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط وكان يجد عندها
فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الشتاء في الصيف • أنى لك هذا من أين لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت في غير حينه
والأبواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به عليك • قالت هو من عند الله فلا تستبعده قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى صلوات
الله عليه وسلامه وهو في المهد • وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه جاع في زمن قحط فأهدت له فاطمة رضي الله عنها
رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها إليها وقال عليه الصلاة والسلام هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزا
ولحما فبهتت وعلمت أنها نزلت من عند الله فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى لك هذا فقالت هو من عند الله إن الله
يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل ثم جمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب والحسن والحسين رضي الله عنهم وجميع أهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام
كما هو فأوسعت فاطمة على جيرانها • إن الله يرزق من يشاء من جملة كلامها رضي الله عنها أو من كلام رب العزة من قائل بغير
حساب بغير تقدير لكثرته أو تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق • هنالك دعا زكريا ربه
قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء • فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب
أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين • قال رب أنى يكون لي غلام
وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء • قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم
الناس ثلاثة أيام إلا رمزا • واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار • وإذ قالت الملائكة
يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين • يا مريم اقنتي لربك واسجدي
واركعي مع الراكعين • هنالك في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب أو في ذلك الوقت فقد يستعار هنا
وثم وحيث للزمان • لما رأى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب في أن يكون له من إيشاع ولد مثل ولد أختها حنة

في النجابة والكرامة على الله وإن كانت عاقرا عجوزا فقد كانت أختها كذلك • وقيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه
على جواز ولادة العاقر • ذرية ولدا والذرية تقع على الواحد والجمع • سميع الدعاء مجيبه • فنادته الملائكة
وقيل ناداه جبريل صلوات الله وسلامه عليه • وإنما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل • أن الله يبشرك
بالفتح على أن الله وبالكسر على إرادة القول أو لأن النداء نوع من القول • وقرئ يبشرك ويبشرك من بشره
• بيحيى قال إن كان أعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وإن كان عربيا فللتعريف
ووزن الفعل كيعمر • مصدقا بكلمة من الله بعيسى مؤمنا به قيل هو أول من آمن به • وسمي عيسى صلوات الله وسلامه عليه
كلمة لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر • وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب
وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته • وسيدا يسود قومه أي يفوقهم في الشرف وكان يحيى
صلوات الله وسلامه عليه فائقا للناس كلهم في أنه لم يرتكب سيئة قط ويا لها من سيادة
• والحصور الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه أي منعا لها من الشهوات • وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في
الميسر قال الأخطل • وشارب مربح بالكأس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار • فاستعير لمن لا يدخل في
اللعب واللهو وقد روي أنه مر وهو طفل بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال صلى الله عليه وسلم ما للعب خلقت
• من الصالحين ناشئا من الصالحين لأنه كان من أصلاب الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أو كائنا من
جملة الصالحين كقوله وإنه في الآخرة لمن الصالحين • أنى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة كما قالت
مريم • وقد بلغني الكبر كقولهم أدركته السن العالية والمعنى أثر في الكبر وأضعفني وكانت له تسع وتسعون
سنة ولامرأته ثمان وتسعون • كذلك الله يفعل ما يشاء من الأفعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق
الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر أو كذلك الله مبتدأ وخبر أي الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء
بيان له أي يفعل ما يريد من الأفعال الخارقة للعادة • اجعل لي آية علامة أعرف بها الحبل لأتلقى النعمة إذا جاءت
بالشكر قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام أي أن لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا وإنما خص تكليمهم ليعلمه أنه يحبس لسانه عن
القدرة على تكليمهم خاصة مع إبقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي
والإبكار يعني في أيام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة فإن قلت لم حبس لسانه عن كلام
الناس قلت ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك
النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الآية من أجله كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له آيتك أن يحبس
لسانك إلا عن الشكر فأحسن الجواب وأوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه • إلا رمزا
الإشارة بيد أو رأس أو غيرهما وأصله التحرك يقال ارتمز إذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز • وقرأ
يحيى بن وثاب إلا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل • وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم
وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله • متى ما تلقني فردين ترجف • روانف أليتيك
وتستطارا • بمعنى إلا مترامزين كما يكلم الناس الأخرس بالإشارة ويكلمهم • والعشي من حين تزول
الشمس إلى أن تغيب • والإبكار من طلوع الفجر إلى وقت الضحى • وقرئ والأبكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر وأسحار
يقال أتيته بكرا بفتحتين • فإن قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثني منه قلت
لما أدى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما ويجوز أن يكون استثناء منقطعا • يا مريم روي أنهم
كلموها شفاها معجزة لزكريا عليه الصلاة والسلام أو إرهاصا لنبوة عيسى عليه الصلاة والسلام
• اصطفاك أولا حين تقبلك من أمك ورباك واختصك بالكرامة السنية • وطهرك مما يستقذر
من الأفعال ومما قرفتك به اليهود • واصطفاك آخرا على نساء العالمين بأن وهب لك عيسى من غير
أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء • أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلاة وأركانها

لم تؤمر بها واركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين اي في الجماعة او وانظمي نفسك في جملة
المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل ان يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلاته
ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما
كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون اذ قالت الملائكة
يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين
ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال
كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة
والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة
الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم
بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي
من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون
ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ زكريا ويحيى ومريم
وعيسى يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي **فان قلت** لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم
من غير شبهة وترك نفي استماع الانباء من حفاظها وهو موهوم **قلت** كان معلوما عندهم علما
يقينا انه ليس من اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة
فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب
الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم اقلامهم ازلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي
الاقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركا بها اذ يختصمون في شانها تنافسا في التكفل بها
فان قلت بم يتعلق ايهم يكفل **قلت** بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم كانه قيل يلقونها ينظرون ايهم
يكفل او ليعلموا او يقولون المسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية
ومعناه المبارك لقوله وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم
في الماء **فان قلت** اذ قالت بم يتعلق **قلت** هو بدل من واذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون
على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا **فان قلت** لم قيل عيسى ابن مريم
والخطاب لمريم **قلت** لان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب
فلا ينسب الا اليها وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين **فان قلت** لم ذكر ضمير الكلمة **قلت** لان
المسمى بها مذكر **فان قلت** لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة اشياء الاسم منها عيسى واما المسيح
والابن فلقب وصفة **قلت** الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكانه قيل الذي يعرف به ويتميز
ممن سواه مجموع هذه الثلاثة وجيها حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين اي يبشرك
به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم
على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه الى السماء وصحبته للملائكة
والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه بمعنى
ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حالة
الطفولة وبين حالة الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء ومن بدع التفاسير ان قولها
رب نداء لجبريل عليه الصلاة والسلام بمعنى يا سيدي ونعلمه عطف على يبشرك او وجيها او على يخلق او
هو كلام مبتدأ وقرأ عاصم ونافع ويعلمه بالياء **فان قلت** علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات

للتقدمة

للتقدمة وقوله اني قد جئتكم ولما بين يدي باي شيء يحمل عليهما **قلت** هو من المضايق وفيه وجهان احدهما
ان يضمر وارسلت على ارادة القول تقديره ونعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم ومصدقا
لما بين يدي والثاني ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا باني قد جئتكم وناطقا باني
اصدق ما بين يدي وقرأ اليزيدي ورسول عطفا على كلمة اني قد جئتكم اصله باني قد جئتكم فحذف الجار
وانتصب بالفعل واني اخلق نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من آية او رفع على هي اني اخلق لكم
وقرئ اني بالكسر على الاستئناف اي اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل
لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طيارا وقرأ عبد الله رضي الله عنه فانفخها قال
كالهبرقي تنحى ينفخ الفحما وقيل لم يخلق غير الخفاش الاكمه الذي ولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال
لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير وروي انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا
من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى صلوات الله وسلامه عليه وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده
وكرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية وروي انه احيى سام بن نوح وهم ينظرون اليه فقالوا هذا
سحر فارنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف ولاحل رد على
قوله باية من ربكم اي جئتكم باية من ربكم ولاحل لكم ويجوز ان يكون مصدقا مردودا عليه ايضا اي جئتكم لاصدق
ولاحل لكم ما حرم الله عليهم في شريعة موسى صلوات الله وسلامه عليه الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر
فاحل لهم عيسى بعض ذلك قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا في احلاله لهم السبت
وقرئ وحرم عليكم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي من التوراة او الله عز وجل او موسى صلوات الله وسلامه عليه
لان ذكر التوراة دل عليه ولانه كان معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة
رسالتي وهي قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل من
آية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض **فان قلت** كيف جعل هذا القول آية من ربه **قلت** لان الله تعالى جعله له
علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر في ادلة العقل والاستدلال ويجوز ان يكون تكريرا لقوله جئتكم
باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي
بغير اب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك وقرأ عبد الله رضي الله عنه وجئتكم بآيات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من
الآيات واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم ابتدأ فقال ان الله ربي وربكم ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله
لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم باية على ان الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض فلما احس عيسى منهم
الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا آمنا بما انزلت
واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اذ قال الله يا عيسى اني
متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم
القيامة ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا
شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله
لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم فلما احس فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه
كعلم ما يدرك بالحواس والى الله من صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى
الله ينصرونني كما ينصرني او يتعلق بمحذوف حالا من الياء اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه نحن انصار
الله اي انصار دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن
ونظافتهن قال فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا الا الكلاب النوابح وفي وزنه الحوالي وهو الكثير الحيلة
وانما طلبوا شهادته باسلامهم تاكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم مع الشاهدين

مع الانبياء الذين يشهدون لاممهم او مع الذين يشهدون لك بالوحدانية • وقيل مع امة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم شهداء على الناس • ومكروا اي الذين احس عيسى منهم الكفر من اليهود بان وكلوا به من يقتله غيلة • ومكر الله حين رفع عيسى صلوات الله عليه والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل • والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب • اذ قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر الله • اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم • ورافعك الى سمائي ومقر ملائكتي • ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم • وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته • وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن • وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها • ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في السماء آمن مقرب • فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف • ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى • فاحكم بينكم تفسير الحكم قوله فاعذبهم فنوفيهم اجورهم • وقرئ فيوفيهم بالياء • ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه ومن الآيات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف • ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر • ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه • والذكر الحكيم القرآن وصف بصفة من هو من سببه وكانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه • **ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون • الحق من ربك فلا تكن من الممترين • فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** • ان شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم • وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لما له شبه عيسى بآدم صلوات الله عليهما اي خلق آدم من تراب ولم يكن ثم اب ولا ام فكذلك حال عيسى • فان قلت كيف شبه به وقد وجد هو بغير اب ووجد آدم صلوات الله عليه بغير اب وام • قلت هو مثيله في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب وام اغرب واخرق للعادة من الوجود بغير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه • وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا حزقيل ثمانية آلاف • فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما • خلقه من تراب قدر جسدا من طين • ثم قال له كن اي انشأه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر • فيكون حكاية حال ماضية • الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس • ونهيه عن الامتراء وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة وان يكون لطفا لغيره • فمن حاجك من النصارى • فيه في عيسى • من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم • تعالوا هلموا والمراد المجيء بالرأي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسألة • ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم اي يدع كل مني ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة • ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم • والبهلة بالفتح والضم اللعنة • وبهله الله لعنه وابعده من رحمته من قولك ابهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها • واصل الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا • وروي انه لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم

فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي رضي الله عنه خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال صلى الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال صلى الله عليه وسلم فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا • وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت • فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء • قلت ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك الاستئصال ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثمة كانوا يسوقون مع انفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنها بارواحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها وفيه دليل لا شيء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم الصلاة والسلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى ذلك • **ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم • فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين • قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون • يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون • ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون** • ان هذا الذي قص عليك من نبأ عيسى هو القصص الحق • وقرئ لهو القصص بتحريك الهاء على الاصل وبالسكون لان اللام تنزل منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر ان • فان قلت لم جاز دخول اللام على الفصل • قلت اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتدأ منه واصلها ان تدخل على المبتدأ • ومن في قوله وما من اله الا الله بمنزلة البناء على الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم • فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون • يا اهل الكتاب قيل هم اهل الكتابين • وقيل وفد نجران • وقيل يهود المدينة • سواء بيننا وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعض منا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا • وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال عليه الصلاة والسلام اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال عليه الصلاة والسلام هو ذاك • وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة • وقرئ كلمة بسكون اللام • وقرأ الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت استواء • فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او غيرهما اعترف

بأني أنا الغالب وسلم لي الغلبة • ويجوز أن يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره • ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين • زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه فقيل لهم إن اليهودية إنما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الإنجيل وبين إبراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى ألفان فكيف يكون إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة • أفلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال • ها أنتم هؤلاء ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستأنفة مبينة للجملة الأولى يعني أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والإنجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابكم من دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم • وعن الأخفش ها أنتم على الاستفهام أصلها أأنتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء • ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم • وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته • والله يعلم ما حاججتم فيه وأنتم جاهلون به • ثم أعلمهم بأنه بريء من دينكم • وما كان إلا حنيفا مسلما • وما كان من المشركين • لم يكن منكم • أو أراد بالمشركين اليهود والنصارى لإشراكهم به عزيرا والمسيح • إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين • إن أولى الناس بإبراهيم أن أخصهم به وأقربهم منه من الولي وهو القرب • للذين اتبعوه في زمانه وبعده • وهذا النبي خصوصا والذين آمنوا من أمته • وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه أي واتبعوا هذا النبي • وبالجر عطفا على إبراهيم • ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون • يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون • يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون • ودت طائفة هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا رضي الله عنهم إلى اليهودية • وما يضلون إلا أنفسهم وما يعود وبال الإضلال إلا عليهم لأن العذاب يضاعف لهم بضلالهم وإضلالهم • أو وما يقدرون على إضلال المسلمين وإنما يضلون أمثالهم من أشياعهم • بآيات الله بالتوراة والإنجيل وكفرهم بها أنهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها • وتشهدون تعلمون أنها آيات الله • أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وأنتم تشهدون نعته في الكتابين • أو تكفرون بآيات الله جميعا • وأنتم تعلمون أنها حق • وقرئ تلبسون بالتشديد • وتلبسون بفتح الباء أي تلبسون الحق مع الباطل كقوله كلابس ثوبي زور • وقوله إذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا • وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون • ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم • يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم • وجه النهار أوله قال من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار • والمعنى أظهروا الإيمان بما أنزل في أول النهار واكفروا به في آخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا وهم أهل كتاب وعلم إلا لأمر قد تبين فيرجعون برجعكم • وقيل تواطأ اثنا عشر من أحبار اليهود فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد صلى الله عليه وسلم أول النهار من غير اعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم • وقيل هذا في شأن القبلة لما صرفت إلى الكعبة قال كعب بن الأشرف لأصحابه آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلوا إليها أول النهار ثم اكفروا به في آخره وصلوا إلى الصخرة لعلهم يقولون هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون • ولا تؤمنوا متعلق بقوله أن يؤتى أحد وما بينهما اعتراض أي ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم أرادوا أسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه إلا إلى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم

ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام • أو يحاجوكم عند ربكم عطف على أن يؤتى والضمير في يحاجوكم لأحد لأنه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير أتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة • فإن قلت فما معنى الاعتراض • قلت معناه أن الهدى هدى الله من شاء أن يلطف به حتى يسلم أو يزيد ثباته على الإسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق • أو يتم الكلام عند قوله إلا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر وهو إيمانهم وجه النهار إلا لمن تبع دينكم إلا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لأن رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم ولأن إسلامهم كان أغيظ لهم • وقوله أن يؤتى أحد معناه لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني أن ما بكم من الحسد والبغي أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير أأن يؤتى أحد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى ألأن يؤتى أحد • فإن قلت فما معنى قوله أو يحاجوكم على هذا • قلت معناه دبرتم ما دبرتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم • ويجوز أن يكون هدى الله بدلا من الهدى وأن يؤتى أحد خبر إن على معنى قل إن هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم • وقرئ إن يؤتى أحد على إن النافية وهو متصل بكلام أهل الكتاب أي ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم • ويجوز أن ينتصب أن يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كأنه قيل قل إن الهدى هدى الله فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم لأن قوله ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم إنكار لأن يؤتى أحد مثل ما أوتوا • ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون • بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين • عن ابن عباس رضي الله عنه من إن تأمنه بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفا ومائتي أوقية ذهبا فأداه إليه • ومنهم من إن تأمنه بدينار فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده • وقيل المأمونون على الكثير النصارى إذ الغالب فيهم الأمانة والخائنون في القليل اليهود إذ الغالب عليهم الخيانة • إلا ما دمت عليه قائما إلا مدة دوامك على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع وإقامة البينة • ذلك إشارة إلى ترك الأداء الذي دل عليه لا يؤده بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل أي لا يتطرق علينا عتاب وذم في شأن من ليس من أهل الكتاب ولم يكن على ديننا • ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون أنهم كاذبون • بلى إثبات لما نفوه أي بلى عليهم فيهم سبيل • من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين

مستأنفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع إلى من أوفى على أن كل من أوفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فإن الله يحبه فإن قلت فهذا عام يخيل أنه لو وفى أهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله قلت أجل لأنهم إذا وفوا بالعهود وفوا أول شيء بالعهد الأعظم وهو ما أخذ عليهم في كتابهم من الإيمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله تعالى على أن كل من وفى بعهد الله واتقاه فإن الله يحبه ويدخل في ذلك الإيمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء **فإن قلت** فأين الضمير الراجع من الجزاء إلى من **قلت** عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في عبد الله بن سلام [illegible] من مسلمة أهل الكتاب **إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم** يشترون يستبدلون بما عاهدوا عليه من الإيمان بالرسول المصدق لما معهم وبأيمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت في أبي رافع ولبابة بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود إلى كعب بن الأشرف في سنة أصابتهم ممتارين فقال لهم هل تعلمون أن هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد هممت أن أميركم وأكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا إليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن الأشعث بن قيس نزلت في كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك أو يمينه فقلت إذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في رجل أقام سلعته في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به ولا يكلمهم الله مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا يكلم فلانا ولا ينظر إليه تريد نفي اعتداده به وإحسانه إليه **فإن قلت** أي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه **قلت** أصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لأن من اعتد بالإنسان التفت إليه وأعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والإحسان وإن لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الإحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر ولا يزكيهم ولا يثني عليهم **وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** يلوون ألسنتهم يفتلونها بقراءته عن الصحيح إلى المحرف وقرأ أهل المدينة يلوّون بالتشديد كقوله لووا رؤوسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها **فإن قلت** إلام يرجع الضمير في لتحسبوه **قلت** إلى ما دل عليه يلوون ألسنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز أن يراد يعاونون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى ليحسبه المسلمون ويقولون هو من عند الله تأكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على أنهم لا يعرضون ولا يورون وإنما يصرحون بأنه في التوراة هكذا وقد أنزل الله على موسى كذلك لفرط جرأتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف غيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم **ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ما كان لبشر تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى عليه الصلوة والسلام

فقيل إن أبا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله أن نعبد غير الله أو نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله والحكم والحكمة وهي السنة ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية رضي الله عنه أنه قال حين مات ابن عباس رضي الله عنهما اليوم مات رباني هذه الأمة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم بما كنتم بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم كما كانت تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة إلى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ تعلمون من التعليم وتعلمون من التعلم تدرسون تقرءون وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون بمعنى تدرسون كأكرم وكرم وأنزل ونزل ويجوز أن تكون من التدريس ويجوز أن يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناها معنى تدرسون من التدريس وفيه أن من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وأن السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم يثبت النسبة إليه إلا للمتمسكين بطاعته **ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون** قرئ ولا يأمركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان أحدهما أن تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر أن يستنبئه الله وينصبه للدعاء إلى اختصاص الله بالعبادة وترك الأنداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادا له ويأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا كما تقول ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهينني ويستخف بي والثاني أن تجعل لا غير مزيدة والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا أنتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والأنبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام أظهر وينصرها قراءة عبد الله ولن يأمركم والضمير في ولا يأمركم وأيأمركم للبشر وقيل لله والهمزة في أيأمركم للإنكار بعد إذ أنتم مسلمون دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوا أن يسجدوا له **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ميثاق النبيين فيه غير وجه أحدها أن يكون على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني أن يضيف الميثاق إلى النبيين إضافته إلى الموثق لا إلى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كأنه قيل وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم والثالث أن يراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو إسرائيل على حذف المضاف والرابع أن يراد أهل الكتاب وأن يرد على زعمهم تهكما بهم لأنهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل الكتاب وكان النبيون منا وتدل عليه قراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب واللام في لما آتيتكم لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما تحتمل أن تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وأن تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على أن ما مصدرية والفعلان معها أعني آتيتكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة على معنى أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لأجل أني آتيتكم الحكمة وأن الرسول الذي آمركم بالإيمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز أن تكون ما موصولة **فإن قلت** كيف يجوز ذلك والعطف على آتيتكم وهو قوله ثم

جاءكم لا يجوز أن يدخل تحت حكم الصلة لأنك لا تقول للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم. قلت: بلى لأن ما معكم
في معنى ما آتيتكم فكأنه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له. وقرأ سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين
آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الإيمان به ونصرته. وقيل أصله لمن ما فاستثقلوا
اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بإدغامها في الميم فحذفوا إحداها فصار لما ومعناه لمن أجل
ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى. إصري عهدي. وقرئ أُصري بالضم وسمي إصرا لأنه مما يؤصر
أي يشد ويعقد. ومنه الإصار للذي يعقد به. ويجوز أن يكون المضموم لغة في إصر كعبر وعبر وأن
يكون جمع إصار. فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار. وأنا معكم وأنا على إقراركم وتشاهدكم
من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع إذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض
وقيل الخطاب للملائكة. فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون. أفغير دين الله يبغون وله أسلم
من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون. فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد. فأولئك هم
الفاسقون أي المتمردون من الكفار. دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فأولئك
هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما. ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره أيتولون فغير
دين الله يبغون. وقدم المفعول وهو غير دين الله على فعله لأنه أهم من حيث أن الإنكار الذي هو معنى الهمزة متوجه
إلى المعبود بالباطل. وروي أن أهل الكتاب اختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين
إبراهيم عليه الصلاة والسلام وكل واحد من الفريقين ادعى أنه أولى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا
الفريقين بريء من دين إبراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزلت. وقرئ يبغون بالياء
وترجعون بالتاء وهي قراءة أبي عمرو لأن الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس. وقرئ بالياء معا
وبالتاء معا. طوعا بالنظر في الأدلة والإنصاف من نفسه. وكرها بالسيف أو بمعاينة ما يلجئ إلى الإسلام
كنتق الجبل على بني إسرائيل وإدراك الغرق فرعون والإشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده. وانتصب
طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين. أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يخبر عن نفسه وعن متبعيه
بالإيمان فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في آمنا. ويجوز أن يؤمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك إجلالا من الله لقدر
نبيه. قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي
موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. فإن قلت لم عدي أنزل
في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء. قلت لوجود المعنيين جميعا لأن الوحي
ينزل من فوق وينتهي إلى الرسل فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر. ومن قال إنما قيل علينا لقوله قل وإلينا لقوله
قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لأن الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد
تعسف ألا ترى إلى قوله تعالى بما أنزل إليك وأنزلنا إليك الكتاب وإلى قوله آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا. ونحن له مسلمون
موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتها. ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو
في الآخرة من الخاسرين. ثم قال ومن يبتغ غير الإسلام يعني التوحيد وإسلام الوجه لله دينا فلن يقبل
منه وهو في الآخرة من الخاسرين من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للإشعار. وقرئ ومن يبتغ غير الإسلام
دينا بالإدغام. كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله
لا يهدي القوم الظالمين. كيف يهدي الله قوما كيف يلطف بهم وليسوا من أهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على
كفرهم ودل على تصميمهم بأنهم كفروا بعد إيمانهم وبعد ما شهدوا أن الرسول حق وبعد ما جاءهم الشواهد من القرآن
وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا مؤمنين به وذلك
حين عاينوا ما يوجب قوة إيمانهم من البينات. وقيل نزلت في رهط كانوا أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة

منهم طعمة بن أبيرق ووحوح بن الأسلت والحارث بن سويد بن الصامت. فإن قلت علام عطف قوله وشهدوا
قلت فيه وجهان أن يعطف على ما في إيمانهم من معنى الفعل لأن معناه بعد أن آمنوا كقوله فأصدق وأكن وقول
الشاعر ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب. ويجوز أن تكون الواو للحال بإضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا أن الرسول
حق. والله لا يهدي لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم أن اللطف لا ينفعهم. أولئك جزاؤهم أن
عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم. إلا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد
وأصلحوا ما أفسدوا أو دخلوا في الصلاح. قيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فأرسل إلى قومه
أن سلوا هل لي من توبة فأرسل إليه أخوه الجلاس بالآية فأقبل إلى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته
إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون. إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار
فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين. ثم ازدادوا
كفرا هم اليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة. ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن أو كفروا
برسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه. ثم ازدادوا كفرا بإصرارهم على ذلك
وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم المؤمنين وصدهم عن الإيمان به وسخريتهم بكل
آية تنزل. وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر أن قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وإن أردنا
الرجعة نافقنا بإظهار التوبة. فإن قلت قد علم أن المرتد كيفما ازداد كفرا فإنه مقبول التوبة إذا تاب فما
معنى لن تقبل توبتهم. قلت جعلت عبارة عن الموت على الكفر لأن الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر
كأنه قيل إن اليهود أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم. فإن قلت
لم قيل في إحدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الأخرى فلن يقبل. قلت قد أوذن بالفاء أن الكلام بني على الشرط
والجزاء وأن سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء أن الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما
تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم. فإن قلت فحين كان
المعنى لن تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة
القلوب وركوب الرين وجره إلى الموت على الكفر. قلت لأنه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع إلى الإسلام ولا يموت على الكفر
فإن قلت فأي فائدة في هذه الكناية أعني أن كنى عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة. قلت الفائدة فيها
جليلة وهي التغليظ في شأن أولئك الفريق من الكفار وإبراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي أغلظ الأحوال
وأشدها ألا ترى أن الموت على الكفر إنما يخاف من أجل اليأس من الرحمة. ذهبا نصب على التمييز. وقرأ الأعمش ذهب بالرفع
ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا رجال. فإن قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به. قلت هو كلام محمول على
المعنى كأنه قيل فلن تقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا. ويجوز أن يراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى
ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه. والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربت ضرب زيد تريد مثل ضربه
وأبو يوسف أبو حنيفة تريد مثله. ولا هيثم الليلة للمطي. وقضية ولا أبا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل أبي
حسن كما أنه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد أنت وذلك أن المثلين يسد أحدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء
واحد. وأن يراد فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى به أيضا لم يقبل منه. وقرئ
فلن نقبل من أحدهم ملء الأرض على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونصب ملء. وملء الأرض بتخفيف الهمزتين. لن
تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم. لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر
ولن تكونوا أبرارا. وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه. حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي
تحبونها وتؤثرونها كقوله عز وجل أنفقوا من طيبات ما كسبتم. وكان السلف رحمة الله عليهم إذا أحبوا شيئا جعلوه

لله • وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة رضي الله عنه فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه • وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد رضي الله عنه فكأن زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها منك • وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتح مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها • ونزل بابي ذر رضي الله عنه ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي • وقرأ عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على ان من في مما تحبون للتبعيض ويحتمل التبيين • ومن في من شيء لتبيين ما تنفقوا اي من اي شيء كان طيب تحبونه او خبيث تكرهونه • فان الله به عليم بكل شيء تنفقونه فيجازيكم بحسبه • كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين • فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون • كل الطعام كل المطعومات او كل انواع الطعام • والحل مصدر نعت به الحل الشيء حلالا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا • وفي حديث عائشة رضي الله عنها كنت اطيبه لحله وحرمه ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم • الا ما حرم اسرائيل وهو يعقوب عليه الصلاة والسلام على نفسه كلحوم الابل والبانها • وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم يأكل احب الطعام اليه وكان ذلك احب اليه • وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء • والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال التوراة وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود في دعوى البراءة مما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الآيتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما هي محرمة على نوح وابراهيم عليهما الصلاة والسلام ومن بعده حتى انتهى التحريم الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله واكل الربا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم • قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه • فروي انهم لم يجسروا على اخراج التوراة وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه • فمن افترى على الله الكذب ابتدع على الله الكذب بزعمه ان ذلك كان محرما على بني اسرائيل قبل انزال التوراة • من بعد ذلك من بعد ما لزمتهم الحجة القاطعة • فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات • قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين • قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله تعالى ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون • فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي عليها محمد صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله تعالى ليسوغ لكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله لابراهيم عليه الصلاة والسلام ومن تبعه • ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين • فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا • ومن كفر فان الله غني عن العالمين • وضع للناس صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل ويدل عليه قراءة من قرأ وضع بالبناء للفاعل وهو الله • ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم فكأنه قال ان اول متعبد للناس الكعبة • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس • وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة • وعن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة • واول من بناه ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبناه قريش • وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو اول بيت حج بعد الطوفان • وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض تحته • وقيل هو اول بيت بناه آدم صلوات الله وسلامه عليه قالت الملائكة طف حول هذا البيت فقد طفنا قبلك بالفي عام • وكان في موضعه قبل آدم عليه الصلاة والسلام بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات • للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام • ومكة وبكة لغتان فيه كقولهم النبيط والنبيط في اسم موضع بالدهناء ومنه من العرب وراتم وراتب • وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد • وقيل اشتقاقه من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيه • وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كأنها سميت ببكة وهي الزحمة • قال الشاعر اذا الشريب اخذته اكة فخله حتى يبك بكة • وقيل لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله • مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار • وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم • مقام ابراهيم عطف بيان لقوله تعالى آيات بينات • فان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد • قلت فيه وجهان • احدهما ان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام من تأثير قدمه في حجر صلد كقوله ان ابراهيم كان امة • والثاني اشتماله على آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانه بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام آية لابراهيم عليه الصلاة والسلام خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة آية • ويجوز ان يراد فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والاربعة • ويجوز ان تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم • من العبيد وثلث من مواليها • ومنه قوله عليه الصلاة والسلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة • وقرأ ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل على ان مقام ابراهيم واقع وحده عطف بيان • فان قلت كيف اجزت ان يكون مقام ابراهيم والامن عطف بيان للآيات وقوله ومن دخله كان آمنا جملة مستأنفة اما ابتدائية واما شرطية • قلت اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان آمنا دل على امن داخله فكأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن داخله الا ترى انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا صح لانه في معنى قولك فيه آية بينة امن من دخله • فان قلت كيف كان سبب هذا الاثر • قلت فيه قولان • احدهما انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابراهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه • وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسماعيل عليه الصلاة والسلام انزل حتى يغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى

شقه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي أثر قدميه عليه • ومعنى ومن دخله كان آمنا معنى قوله أولم يروا
أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم بدعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام رب اجعل هذا
البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يطلب • وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب
ما مسسته حتى يخرج منه • وعن أبي حنيفة رحمه الله من لزمه القتل في الحل بقصاص أو ردة أو زنى فالتجأ
إلى الحرم لم يتعرض له إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج • وقيل آمنا من النار
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا • وعنه عليه الصلاة والسلام الحجون
والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة • وعن ابن مسعود رضي الله عنهما وقف رسول الله صلى
الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين ألفا
وجوههم كالقمر ليلة البدر • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم
مسيرة مائتي عام • من استطاع إليه سبيلا • وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد

فيها الحمية فتقابلوا وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نظم بينهم وازال
الاختلاف وهي الاخوة في الله • وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بينهما العداوة وتطاولت الحروب مائة
وعشرين سنة الى ان اطفأ الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم • وكنتم على شفا حفرة من النار
وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا
وانما انث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم • وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير
والتانيث ولامها واو الا انها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة • فان قلت
كيف جعلوا على حرف حفرة من النار • قلت لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها
الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها • كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون
ارادة ان تزدادوا هدى • ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم
المفلحون • ولتكن منكم من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف
والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في ... في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه
عبث كالانكار على اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم • وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة تأمرون كقوله عز وجل
كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون • واولئك هم المفلحون هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم • وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم • وعنه صلى الله
عليه وسلم من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه • وعن علي
رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له • وعن حذيفة
رضي الله عنه يأتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر • وعن
سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن • والامر بالمعروف تابع للمأمور
به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب • واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح • فان قلت
ما طريق الوجوب • قلت قد اختلف فيه الشيخان فعند ابي علي السمع والعقل • وعند ابي هاشم السمع وحده • فان قلت
ما شرائط النهي • قلت ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يأمن ان ينكر الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه
واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على ظنه ان المنهي يزيد في منكراته وان لا يغلب
على ظنه ان نهيه لا يؤثر فيه لانه عبث • فان قلت فما شروط الوجوب • قلت ان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو ان
يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد الآلة وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مضرة عظيمة • فان قلت
كيف يباشر الانكار • قلت يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما
ثم قال فقاتلوا • فان قلت فمن يباشر • قلت كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه • وقد اجمعوا
ان من رأى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد • واما الانكار الذي بالقتال
فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها • فان قلت فمن يؤمر وينهى • قلت
كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى
لا يتعودوها كما يؤمرون بالصلاة ليمرنوا عليها • فان قلت هل يجب على مرتكب المنكر ان ينهى عما يرتكبه
قلت نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب
الآخر • وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا • وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا
افعل فقال وايّنا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر
فان قلت كيف قيل يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف • قلت الدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال
والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله

والصلوة

والصلوة الوسطى • ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم
عذاب عظيم • يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد
ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون • واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها
خالدون • كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى • من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق
على كلمة واحدة وهي كلمة الحق • وقيل هم مبتدعو هذه الامة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم
• يوم تبيض وجوه نصب بالظرف وهو لهم او باضمار اذكروا • وقرئ تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة
وتبياض وتسواد • والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره
واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه • ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم
بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة
رحمته من ظلمات الباطل واهله • اكفرتم فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل
الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه • وعن عطاء
تبيض وجوه المهاجرين والانصار • وتسود وجوه بني قريظة والنضير • وقيل هم المرتدون • وقيل اهل البدع
والاهواء • وعن ابي امامة رضي الله عنه هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب
النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله برأيك
ام شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة قال
فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم اخذ بيده فقال ان
بارض بها منهم كثير فاعاذك الله منهم • وقيل هم جميع الكفار لاعراضهم عما اوجبه الاقرار حين اشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى • ففي رحمة الله ففي نعمته وهي الثواب المخلد • فان قلت كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد
قوله ففي رحمة الله • قلت موقع الاستئناف كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا
يموتون • تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين • ولله ما في السموات وما في الارض والى الله
ترجع الامور • آيات الله الواردة في الوعد والوعيد • بالحق ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما
يستوجبانه • وما الله يريد ظلما فيأخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن • ونكر ظلما
وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه بارادة القبائح والرضى بها
كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا
لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون • لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون • كان عبارة عن
وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى وكان
الله غفورا رحيما • ومنه قوله تعالى كنتم خير امة كأنه قيل وجدتم خير امة • وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم
خير امة موصوفين به • اخرجت اظهرت • وقوله تأمرون كلام مستأنف بين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم
يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم • وتؤمنون بالله جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من آمن ببعض ما
يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب او عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكأنه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا • والدليل عليه قوله ولو آمن اهل الكتاب
مع ايمانهم بالله • لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما آثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة
واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لاجله
مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين • منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه • واكثرهم الفاسقون
المتمردون في الكفر • لن يضروكم الا اذى الا ضررا مقتصرا على اذى بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك • وان

يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ولا يضروكم بقتل او اسر • ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه
تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا
الاذى بالقول الى ضرر يبالى به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل
فان قلت هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون قلت عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء كانه قيل ثم
اخبركم انهم لا ينصرون • فان قلت فاي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى قلت لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم
كتولية الادبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كانه قال ثم شأنهم وقصتهم التي اخبركم عنها وابشركم بها بعد
التولية انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم امر وكان كما اخبر من حال
بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر • فان قلت فالذي عطف عليه هذا الخبر قلت جملة الشرط
والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم لا ينصرون • فان قلت فما معنى التراخي في ثم قلت
التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار • فان قلت فما موقع الجملتين
اعني منهم المؤمنون ولن يضروكم قلت هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول
القائل على ذكر فلان ومعلى ذكر فلان فان من شأنه كيت وكيت ولذلك جاءا من غير عطف • ضربت عليهم الذلة اين ما
ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا
يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • بحبل من الله في محل النصب
على الحال بتقدير الا معتصمين او متمسكين او ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء من اعم عام الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة
في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين اي لا عز لهم قط الا هذه
الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية • وباؤوا بغضب من الله استوجبوه • وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت
على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه • ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب
الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله اي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء • ثم قال ذلك بما عصوا اي ذلك كائن
بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله وان سخط الله يستحق بركوب
المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل • ليسوا سواء من اهل
الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون • يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين • وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم
بالمتقين • الضمير في ليسوا لاهل الكتاب اي ليس اهل الكتاب مستوين • وقوله من اهل الكتاب امة قائمة كلام مستأنف لبيان قوله
ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة • امة قائمة مستقيمة عادلة من قولك اقمت
العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لانه ابين
لما يفعلون وادل على حسن صورة امرهم • وقيل عنى صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها • وعن ابن مسعود رضي الله عنه
اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون فقال اما انه ليس من اهل الاديان
احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية • وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان لامة اي امة قائمة تالون
مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان
لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها
والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي • واولئك
الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم • ويجوز ان يريد بالصالحين
المسلمين • فلن تكفروه فلن تحرموا جزاءه • وصف الله عز وجل بالشكر في قوله والله شكور حليم بمعنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك

فان قلت لم عدي الى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها قلت ضمن معنى
الحرمان كأنه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه • وقرئ يفعلوا فلن يكفروه بالياء والتاء • والله عليم بالمتقين
بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل التقوى • ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل
ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون •
الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال لا تعدلن اتاويين تضربهم نكباء صر باصحاب المحلات • كما قال ابن كيلي
الاخيلية ولم تغلب الخصم الالد وتملأ الجفان سديفا يوم نكباء صرصر • فان قلت فما معنى قوله كمثل ريح
فيها صر قلت فيه اوجه احدها ان الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة
صر كما تقول برد بارد على المبالغة • والثاني ان يكون الصر مصدرا في الاصل بمعنى البرد فجيء به على اصله • والثالث ان
من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ومن قولك ان ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل • قال وفي الرحمن
للضعفاء كاف • شبه ما كانوا ينفقون من اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه
الله بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاما • وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله مع كفرهم • وقيل ما انفقوا في عداوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فضاع عنهم لانهم لم يبلغوا بانفاقه ما انفقوا لاجله • وشبه بحرث قوم ظلموا انفسهم فاهلك
عقوبة لهم على معاصيهم لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ • فان قلت فلم قال ظلموا انفسهم ولم يقتصر بقوله
الحرث واصابت حرث القوم قلت لان الغرض تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية حتى لا يبقى منه شيء وحرث الكافرين
هو الذي يذهب على الكلية لا منفعة لهم فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فاما حرث المسلم المؤمن
يذهب صورة فلا يذهب معنى لانه لا يبقى من حصول الاعواض لهم في الآخرة والثواب بالصبر على الذهاب • فان قلت
الغرض تشبيه ما انفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما
ينفقون ممثلا بالريح قلت هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل الذي استوقد نارا • ويجوز ان يراد
مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث • وقرئ تنفقون بالتاء • وما ظلمهم
الله الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة • وقرئ
ولكن بالتشديد بمعنى ولكن انفسهم يظلمونهم ولا يجوز ان يراد ولكنه انفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشان لانه انما
يجوز في الشعر • يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء
من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون • بطانة الرجل ووليجته خصيصه
وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الانصار شعار والناس دثار • من دونكم من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا وبطانة على الوصف
اي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالا يقال الا في الامر يألو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين
في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا • والخبال الفساد • ودوا ما عنتم وتمنوا عنتكم
على ان ما مصدرية • والعنت شدة الضرر والمشقة واصله انهياض العظم بعد جبره اي تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم
اشد الضرر وابلغه • قد بدت البغضاء من افواههم لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم
ما يعلم به بغضهم للمسلمين • وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك
وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء • قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة
اعدائه ان كنتم تعقلون ما بين لكم فعملتم به • فان قلت كيف موقع هذه الجمل قلت يجوز ان يكون لا يألونكم
صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كانه قيل بطانة غير مانعيكم خبالا بادية بغضاؤهم • واما قد بينا فكلام
مبتدأ واحسن منه وابلغ ان تكون مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة • ها انتم اولاء

تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ
قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور • ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان
تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط • ها التنبيه وانتم [illegible]
اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب • وقوله تحبونهم ولا يحبونكم [illegible]
[illegible] لاهل البغضاء • وقيل هو لا موصول تحبونهم صلته [illegible]
اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك [illegible]
لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم [illegible]
فيما لا يرجون • ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل [illegible]
فاقتل الرجل ايامها اذله • يعضون من غيظ [illegible]
حتى يهلكوا به وقيل ادم بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من [illegible]
والنادر • ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم [illegible]
بعض وهو كلام داخل في جملة المقول او خارج منها **فان قلت** [illegible]
في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل [illegible]
ونبسكم وهو مضمر في الصدور ولا تتعجب [illegible]
ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم ما هو اخفى [illegible]
يجوز ان لا يكون ثم قول وان يكون قوله قل موتوا بغيظكم امرا [illegible]
بشارة بوعد الله وان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم [illegible]
في النصرة والغنيمة ونحوهما من المنافع • والسيئة ما كان [illegible]
على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة **فان**
قلت لم ستر مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى [illegible]
لما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن [illegible]
وان تصبروا على عداوتهم فتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم [illegible]
بكم ما كنتم في كنف الله • لا يضركم كيدهم • وقرئ لا يضركم [illegible]
الضاد كقولك مد يا هذا • وروى المفضل عن عاصم لا يضركم [illegible]
على كيد العدو بالصبر والتقوى • وتقول الحكماء اذا اردت ان [illegible]
يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما • محيط فيفعل بكم ما انتم اهله [illegible]
عاقبتهم عليه • **واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم**
من اهلك بالمدينة وهي غدوة الى احد من حجرة عائشة [illegible]
فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة ودعا عبد الله [illegible]
فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم [illegible]
دخلها علينا الا اصبنا منهم فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا [illegible]
ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين [illegible]
فاولتها خيرا • وقال عليه الصلاة والسلام اني رأيت في منامي [illegible]
فاولتها هزيمة ورأيت كاني ادخلت يدي في درع حصينة [illegible]
رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم [illegible]

دخل فلبس لأمته فلما رأوا ذلك ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول
الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة واصبح بالشعب من
احد يوم السبت النصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح ان رأى صدرا خارجا
قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامّر عبد الله بن جبير رضي الله تعالى عنه على الرماة
وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا • تبوئ المؤمنين تنزلهم • وقرأ عبد الله للمؤمنين يعني تسوي لهم
وتهيئ • مقاعد للقتال مواطن ومواقف مقاعد اتسع في قعد وقام حتى اجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام بمعنى
المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك • والله سميع لاقوالكم
عليم بنياتكم وضمائركم **اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون • ولقد نصركم**
الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون • اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم
والطائفتان حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلاثة الاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس
وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله
لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم • وعن ابن
عباس رضي الله عنهم اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس وكما لا تخلو
النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الاطنابة
اقول لها اذا جشأت وجاشت • مكانك تحمدي او تستريحي • حتى قال معاوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي
في الركاب يوم صفين فما ثبتني الا قول عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول والله
وليهما • ويجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما يفشلان ولا يتوكلان على الله **فان قلت** ما معنى ما روي عن
بعضهم عند نزول الآية والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به وقد اخبرنا الله بانه وليهما **قلت** معنى ذلك
فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وانزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية وان تلك الهمة غير المأخوذ
بها لانها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها • والفشل الجبن والخور • وقرأ عبد الله والله وليهم كقوله تعالى وان
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا امرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر
من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة • والاذلة جمع قلة والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا
قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم
البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد • وقلتهم انهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة زهاء الف
مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة • وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به • فاتقوا الله في الثبات
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم • لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته • او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها
فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له **اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة**
منزلين • بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين • وما
جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم • اذ تقول
ظرف لنصركم على ان يقول لهم ذلك يوم بدر او بدل ثان من اذ غدوت على ان يقول لهم يوم احد **فان قلت** كيف يصح ان
يقول لهم يوم احد ولم تنزل فيه الملائكة **قلت** قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم
يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت • وانما قدم
لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله • ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد
بثلاثة الاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي هو لتأكيد النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته

ما لا يئسين من النصر وبلى ايجاب لما بعد لن يعني بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا
يمددكم باكثر من ذلك العدد مسومين للقتال ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من فورات قفل من غزوته وجاء
من فوره الى الغزوة الاخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول ابي حنيفة رحمه الله الامر على الفور لا على التراخي وهو مصدر
من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج
من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى انهم لو ياتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتاخر نزولهم
عن اتيانهم يريد ان الله يعجل نصركم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاي
بمعنى منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلَّمين ومعلِّمين انفسهم او خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم
صفر مرخاة على اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها وعن مجاهد مجززة
اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت
الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت وما
جعله الله الا اي وما جعل امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون ولتطمئن به قلوبكم
كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من عند المقاتلة اذا
تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط على قلوب
المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا من الذين
كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون
ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم ليقطع طرفا من الذين كفروا
ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم
او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم
لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول ابي الطيب لاكبت حاسدا واري
عدوا هو من الكبد والرية واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله او بقوله وما النصر الا من عند الله او يتوب عطف على
ما قبله وليس لك من الامر شيء اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او
يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل او يتوب منصوب باضمار ان
وان يتوب في حكم اسم معطوف باو على الامر او على شيء اي ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم او ليس لك
من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي على معنى ليس لك من امرهم
شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم وقيل انه عليه الصلاة والسلام شجه عتبة بن ابي وقاص
يوم احد وكسر رباعيته فجعل صلى الله عليه وسلم يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى حذيفة رضي الله عنه يغسل الدم
عن وجهه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل اراد ان يدعو عليهم
فنهاه الله تعالى لعلمه بان فيهم من يؤمن عن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء
ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويعذب من لقيه ظالما واتباعه قوله
او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون تفسير بان لمن يشاء وانهم المتوب عليهم او الظالمون ولكن اهل الاهواء والبدع
يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط عشواء ويطيبون انفسهم بما يفترون على ابن عباس رضي الله عنه
من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا
مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة نهي عن الربا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه
كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون واتقوا النار التي اعدت للكافرين
واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون واتقوا النار الآية كان ابو حنيفة رحمه الله يقول هي اخوف آية في القرآن حيث

او عد الله

او عد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوا في اجتناب محارمه وقد امد ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء
المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تأمل هذه الآيات واشباهها لم يحدث نفسه بالاطماع
الفارغة والتمني على الله وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف
الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضى الله وعزة التوصل الى رحمته وثوابه وسارعوا
الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء
والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين في مصاحف اهل
المدينة والشام سارعوا بلا واو وقرا الباقون بالواو ويعضده قراءة ابي وعبد الله وسابقوا
ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يستحقان به عرضها السموات والارض اي عرضها
عرض السموات والارض كقوله تعالى عرضها كعرض السماء والارض والمراد وصفها بالسعة والبسطة
فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه وخص العرض لانه في العادة ادنى من الطول للمبالغة
كقوله تعالى بطائنها من استبرق وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها
ببعض في السراء والضراء في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بان ينفقوا في كلتا
الحالتين ما قدروا عليه من كثير او قليل كما حكي عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة
رضي الله عنها انها تصدقت بحبة عنب او في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا يمنعهم حال
فرح وسرور ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس او في حبس فانه
لا يدع الاحسان وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق شيء على النفس وادله على الاخلاص ولانه كان في ذلك
الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين كظم القربة اذا ملأها
وشد فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له
اثرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وعن
عائشة رضي الله عنها ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين
عن الناس اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه وروي ينادي مناد يوم القيامة اين الذين كانت اجورهم على الله
فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه
وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصمه الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يجوز ان تكون اللام
للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وان تكون للعهد فتكون اشارة اليهم والذين اذا
فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا
على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ونعم اجر العاملين والذين عطف على المتقين اي اعدت للمتقين وللتائبين وقوله اولئك اشارة
الى الفريقين ويجوز ان يكون والذين مبتدأ خبره اولئك فاحشة فعلة بالغة في القبح او ظلموا انفسهم
باذنبوا اي ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما
وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله تذكروا وعيده او نهيه او حقه العظيم وجلاله
الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب الا
الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين
الا فضله وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا جاء في الاعتذار والتنصل باقصى ما يقدر عليه
وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط
وان الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم والمعنى انه تعالى وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة

بين المعطوف والمعطوف عليه. ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين. وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة. وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار. وهم يعلمون
حال من فعل الإصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي
عنها وبالوعيد عليها لأنه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح. وفي هذه الآيات بيان قاطع أن الذين آمنوا على ثلاث طبقات
متقون وتائبون ومصرون وأن الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله
وعاند ربه. وقال ونعم أجر العاملين بعد قوله جزاؤهم لأنهما في معنى واحد وإنما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه
على أن ذلك الجزاء واجب على عمل وأجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون. وروي أن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه الصلاة
والسلام ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف أجود برحمتي على من يبخل بطاعتي. وعن شهر بن حوشب طلب الجنة
بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة.
وعن الحسن رحمة الله عليه يقول الله يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم.
وعن رابعة البصرية رحمة الله عليها أنها كانت تنشد: ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على
اليبس. والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم أجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات. قد خلت من قبلكم سنن
فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين. هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين
ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين. قد خلت من قبلكم سنن يريد ما سنه الله في الذين
خلوا من الأمم المكذبين من وقائعه كقوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم لا يجدون وليا ولا
نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل. هذا بيان للناس إيضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر
في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم. وهدى وموعظة للمتقين يعني أنه مع كونه
بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين. ويجوز أن يكون قوله قد خلت
جملة معترضة للبعث على الإيمان وما يستحق به ما ذكر من أجر العاملين ويكون قوله هذا بيان إشارة إلى ما لخص
وبين من أمر المتقين والتائبين والمصرين. ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما أصابهم
يوم أحد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم أي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به
ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح. وأنتم الأعلون وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب لأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما
أصابوا منكم يوم أحد. أو وأنتم الأعلون شأنا لأن قتالكم لله ولإعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولإعلاء كلمة الكفر ولأن
قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار. أو هي بشارة لهم بالعلو والغلبة أي وأنتم الأعلون في العاقبة وإن جندنا لهم
الغالبون. إن كنتم مؤمنين متعلق بالنهي بمعنى ولا تهنوا إن صح إيمانكم على أن صحة الإيمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله
وقلة المبالاة بأعدائه أو بالأعلون أي إن كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة. إن يمسسكم قرح فقد
مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله
لا يحب الظالمين. وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين. قرئ قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان
كالضعف والضعف. وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها. وقرأ أبو السمال قرح بفتحتين. وقيل القرح والقرح
كالطرد والطرد. والمعنى إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن
معاودتكم بالقتال فأنتم أولى أن لا تضعفوا. ونحوه قوله تعالى فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون. وقيل
كان ذلك يوم أحد فقد نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإن قلت كيف قيل قرح
مثله وما كان قرحهم يوم أحد مثل قرح المشركين. قلت بلى كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار ألا ترى إلى
قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما
أراكم ما تحبون. وتلك الأيام تلك مبتدأ والأيام صفته ونداولها خبره ويجوز أن يكون تلك الأيام مبتدأ وخبرا

كما تقول

كما تقول هي الأيام تبلى كل جديد. والمراد بالأيام أوقات الظفر والغلبة. نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة
لهؤلاء كقوله وهو من أبيات الكتاب: فيوما علينا ويوما لنا ... ويوما نساء ويوما نسر. وفي أمثالهم الحرب سجال. وعن أبي سفيان
أنه صعد الجبل يوم أحد فمكث ساعة ثم قال أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب فقال عمر رضي الله عنه هذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبو بكر وها أنا عمر فقال أبو سفيان يوم بيوم والأيام دول والحرب سجال فقال عمر رضي الله
عنه لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال إنكم تزعمون ذلك فقد خبنا إذن وخسرنا. والمداولة مثل المعاورة
قال: يرد مياها فلا يزال مداولا ... في الناس بين تمثل وسماع. يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه. وليعلم الله الذين آمنوا
فيه وجهان أحدهما أن يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الإيمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب
التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الإيمان منكم من غير الثابت وإلا فالله عز وجل لم يزل عالما
بالأشياء قبل كونها. وقيل معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو أن يعلمهم موجودا منهم الثبات. والثاني أن تكون العلة
محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وإنما حذف للإيذان بأن المصلحة فيما
فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم أن العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر أن لله في ذلك من
المصالح ما هو غافل عنه. ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحد أو وليتخذ منكم من يصلح
للشهادة على الأمم يوم القيامة بما يبتلي به صبركم من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس. والله لا يحب الظالمين اعتراض
بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الإيمان المجاهدين في سبيل الله. والتمحيص من الذنوب
والتمحيص التطهير والتصفية. ويمحق الكافرين يعني إن كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير
ذلك مما هو أصلح لهم وإن كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم. أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ويعلم الصابرين. أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار. ولما يعلم الله بمعنى ولما تجاهدوا لأن العلم متعلق بالمعلوم
فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لأنه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه.
ولما بمعنى لم إلا أن فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل. وتقول وعدني أن يفعل كذا ولما
تريد ولم يفعل وأنا أتوقع فعله. وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم. وقيل أراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها. ويعلم الصابرين
نصب بإضمار أن والواو بمعنى الجمع كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن. وقرأ الحسن بالجزم على العطف. وروى عبد الوارث عن أبي
عمرو ويعلم بالرفع على أن الواو للحال كأنه قيل ولما تجاهدوا وأنتم صابرون. ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد
رأيتموه وأنتم تنظرون. ولقد كنتم تمنون الموت خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهدا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين ألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الخروج إلى المشركين وكان رأيه في الإقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة
مقاساته. فقد رأيتموه وأنتم تنظرون أي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل من إخوانكم
وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم
بإلحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده. فإن قلت كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة
الكافر المسلم. قلت قصد متمني الشهادة إلى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه إلى ذلك المتضمن كما أن من يشرب دواء
الطبيب النصراني قاصد إلى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة وإحسان إلى عدو الله وتنفيقا
لصناعته. ولقد قال عبد الله بن رواحة حين نهض إلى مؤتة وقيل له ردكم الله: لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة
ذات فرغ تقذف الزبدا ... أو طعنة بيدي حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا ... حتى يقولوا إذا مروا
على جدثي ... أرشدك الله من غاز وقد رشدا. وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل
انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين. لما رمى عبد الله بن قمئة
الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه أقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير

رضي الله عنه وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد حتى قتله ابن قمئة وهو يرى أنه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا إن محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشى في الناس خبر قتله
فانكفؤوا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى عباد الله حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم
فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروي أنه لما
صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان
نبيا لما قتل ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضي الله عنه يا قوم إن كان قتل محمد فإن رب محمد حي
لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال
اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين
أنه مر بأنصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل فقال إن كان قد قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم والمعنى
وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تتمسكوا
بدينه بعد خلوه لأن الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه أفإن مات الفاء معلقة للجملة
الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه
بموت أو قتل مع علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم
لا للانقلاب عنه **فإن قلت** لم ذكر القتل وقد علم أنه لا يقتل **قلت** لكونه مجوزا عند المخاطبين **فإن قلت** أما
علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس **قلت** هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة ألا ترى أنهم سمعوا بخبر
قتله فهربوا على أنه يحتمل العصمة من فتنة الناس وإذلالهم والانقلاب على الأعقاب الإدبار عما كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقوم به من أمر الجهاد وقيل الارتداد وما ارتد أحد من المسلمين ذلك اليوم إلا ما كان من قول
المنافقين ويجوز أن يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وإسلامه فلن يضر الله شيئا فما ضر إلا نفسه لأن الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي الله
الشاكرين الذين لم ينقلبوا كأنس بن النضر وأضرابه وسماهم شاكرين لأنهم شكروا نعمة الله بالإسلام فيما فعلوا
وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب
الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين المعنى أن موت الأنفس محال أن يكون إلا بمشيئة الله فأخرجه مخرج
فعل لا ينبغي لأحد أن يقوم عليه إلا أن يأذن الله له فيه تمثيلا ولأن ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له أن يقبض
نفسا إلا بإذن من الله وهو على معنيين أحدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو بإعلامهم أن الحذر
لا ينفع وأن أحدا لا يموت قبل بلوغ أجله وإن خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند
غلبة العدو والتفافهم عليه وإسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتأخير الأجل كتابا مصدر
مؤكد لأن المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض
بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد نؤته منها أي من ثوابها وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم
يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما
وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين قرئ قاتل وقتل وقتل
بالتشديد والفاعل ربيون أو ضمير النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ربيون حال عنه بمعنى قتل كائنا معه
ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الأول وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون
الربانيون وقرئ بالحركات الثلاث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب وقرئ فما وهنوا بكسر
الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما
أصابهم من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل النبي عليه الصلاة والسلام وبضعفهم عند ذلك عن

مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان
وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
وما كان قولهم إلا هذا القول وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا لها
بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم إلى ربهم عن زكاء
وطهارة وخضوع أقرب إلى الاستجابة فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين
فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه
وأنه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا
يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين إن تطيعوا الذين كفروا قال علي رضي الله
عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن إن تستنصحوا اليهود
والنصارى وتقبلوا منهم لأنهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما
أصابه وأصحابه ما أصابهم وإنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي إن تستكينوا لأبي
سفيان وأصحابه وتستأمنوهم يردوكم إلى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وأن على المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم
في شيء ولا ينزلوا على حكمهم ولا على مشورتهم حتى لا يستجروهم إلى موافقتهم بل الله مولاكم أي ناصركم لا تحتاجون معه
إلى نصرة أحد وولايته وقرئ بالنصب على بل أطيعوا الله مولاكم سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا
بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين سنلقي قرئ بالنون والياء والرعب بسكون
العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا إلى مكة من غير سبب فلما كانوا ببعض الطريق
قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله في قلوبهم
الرعب فأمسكوا بما أشركوا بسبب إشراكهم أي كان السبب في إلقاء الله الرعب في قلوبهم إشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا
آلهة لم ينزل الله بإشراكها حجة **فإن قلت** كأن هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الإشراك **قلت** لم
يعن أن هناك حجة إلا أنها لم ينزل عليهم لأن الشرك لا يستقيم أن تقوم عليه حجة وإنما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا
كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر
وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم
ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ولقد صدقكم الله وعده [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
فإن قلت [illegible] **قلت** [illegible]

[illegible] **اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون** اذ تصعدون نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكر والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال صعد في الجبل واصعد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة وقرا الحسن تصعدون يعني في الجبل وتعضد الاولى قراءة ابي اذ تصعدون في الوادي وقرا ابو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعد في السلم وقرئ تلون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتاخرة يقال جئت في آخر الناس واخراهم كما تقول في اولهم واولاهم بتاويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فاثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم بغم بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له او غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم اي فآساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فاثابكم غما اغتمه لاجلكم بسبب غم اغتممتموه لاجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لامره وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابكم من غلبة العدو **ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور** انزل الله الامن على المؤمنين وازال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم وعن ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه وما احد الا ويميل تحت حجفته وعن الزبير رضي الله عنه لقد رايتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا والامنة الامن وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن ونعاسا بدل من امنة ويجوز ان يكون هو المفعول وامنة حالا منه مقدمة عليه كقولك رايت راكبا رجلا او مفعولا له بمعنى نعستم امنة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة يغشى قرئ بالياء والتاء ردا على النعاس او على الامنة طائفة منكم هم اهل الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين او قد اوقعتهم انفسهم وما حل بهم من الهموم والاشجان فهم في التشاكي والتباث غير الحق في حكم المصدر ومعناه يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وظن الجاهلية بدل منه ويجوز ان يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق تاكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق يريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز ان يراد ظن اهل الجاهلية اي لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم يسالونه هل لنا من الامر من شيء معناه هل لنا معاشر المسلمين من امر الله نصيب قط يعنون النصر والاظهار على العدو قل ان الامر كله لله ولاوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله لاغلبن انا ورسلي وان جندنا لهم الغالبون يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الامر من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق يقولون في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر

كله لله لو كان لنا من الامر شيء اي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم هم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم يعني من علم الله منه انه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم الذين علم الله انهم يقتلون الى مضاجعهم وهي مصارعهم ليكون ما علم انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على القتال فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيء يعنون لم نملك شيئا من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى احد وكان الراي ان نقيم ولا نبرح كما كان راي عبد الله بن ابي وغيره ولو ملكنا من التدبير شيئا لما قتلنا في هذه المعركة قل ان الامر كله لله اي التدبير كله لله يريد ان الله عز وجل قد دبر الامر كما جرى ولو اقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من كتب عليه القتل وقرئ كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل ولبرز بالتشديد وضم الباء وليبتلي الله وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الاخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص **فان قلت** كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة **قلت** قد اهمتهم صفة لطائفة ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين او استئناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون **فان قلت** كيف صح ان يقع ما هو مسالة عن الامر بدلا من الاخبار بالظن **قلت** كانت مسالتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز ابداله منه ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون والاجود ان يكون استئنافا **ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم** استزلهم طلب منهم الزلل ودعاهم اليه ببعض ما كسبوا من ذنوبهم والمعنى ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التاييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولي وانما دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة وتكون لطفا فيها وقال الحسن رحمه الله استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذكرتهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا على حال مرضية **فان قلت** لم قيل ببعض ما كسبوا **قلت** هو كقوله تعالى ويعفو عن كثير ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم والله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بالعقوبة **يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير** وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى الاخوة اتفاق الجنس او النسب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى كقوله عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة **فان قلت** كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا **قلت** هو على حكاية الحال الماضية كقولك حين يضربون في الارض **فان قلت** ما متعلق ليجعل **قلت** قالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على ان اللام مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم **فان قلت** ما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى **قلت** معناه ان الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقاده فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدر فعل الله تعالى كقوله تعالى يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا

مثلهم ليجعل الله ذلك أي انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لأن مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدونه مما يغمهم ويغيظهم ● والله يحيي ويميت رد لقولهم أي الأمر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء ● وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه قال عند موته ما في موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة وها أنا ذا أموت كما يموت العير فلا نامت عين الجبناء ● والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم ● وقرئ بالياء يعني الذين كفروا ● **ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون** ● اللام جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لإلى الله تحشرون كذب الكافرين أولا فيما زعموا أن من سافر من إخوانهم أو غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لأنه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافون من الهلاك بالموت والقتل في سبيل الله فإن ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير من طلاع الأرض ذهبة حمراء ● وقرئ بالياء أي يجمع الكفار ● **ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون** ● لإلى الله تحشرون لا إلى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وإدخال اللام على الحرف المتصل به شأن ليس بالخفي ● وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات ● **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين** ● ما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى أثابهم غما بغم وآساهم بالمباثة بعدما خالف القوم وعصوا أمره وانهزموا وتركوه ● ولو كنت فظا جافيا ● غليظ القلب قاسيه ● لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك لا يبقى حولك أحد منهم ● فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله تماما للشفقة عليهم وشاورهم في الأمر يعني في أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم ولما فيه من تطييب قلوبهم والرفع من أقدارهم ● وعن الحسن رحمه الله تعالى قد علم الله أنه ما به إليهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده ● وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم ● وعن أبي هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحدا أكثر مشاورة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ● وقيل كان سادات العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم فأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأي دونهم ● وقرئ وشاورهم في بعض الأمر ● فإذا عزمت فإذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى ● فتوكل على الله في إمضاء أمرك على الأرشد الأصلح فإنما هو أصلح لك لا يعلمه إلا الله لا أنت ولا من تشاوره ● وقرئ فإذا عزمت بضم التاء بمعنى فإذا عزمت لك على شيء وأرشدتك إليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك أحدا ● **إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ● إن ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم ● وإن يخذلكم كما خذلكم يوم أحد فمن ذا الذي ينصركم وهذا تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده ● من بعد خذلانه أو هو من قولك ليس لك من يحسن إليك من بعد فلان تريد إذا جاوزته ● وقرئ يخذلكم من أخذله إذا جعله مخذولا وفيه تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب به خذلانه ● وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا أن لا ناصر سواه ولأن إيمانهم يوجب ذلك ويقتضيه ● **وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ● يقال غل شيئا من المغنم غلولا وأغل إغلالا إذا أخذه في خفية ويقال أغل الجازر إذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من غل شيئا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه ● وقوله هدايا الولاة غلول ● وقوله ليس على المستعير غير المغل ضمان ● وعنه لا إغلال ولا إسلال ويقال أغله إذا وجده غالا كقولك أبخلته إذا وجدته بخيلا ● ومعنى ما كان لنبي أن يغل وما

صح له ذلك يعني أن النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع إلى معنى الأول لأن معناه وما صح له أن يوجد غالا ولا يوجد غالا إلا إذا كان غالا وفيه وجهان أحدهما أن يبرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وينزهه على أبلغ وجه عنه وأن النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا منه ولا يستريب به أحد كما روي أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله أخذها ● وروي أنها نزلت في غنائم أحد حين تركت الرماة المركز طلب الغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أعهد إليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري فقالوا تركنا بقية إخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم ● والثاني أن يكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي أنه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي أن يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه أن يقسم بالسوية وسمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الأمر ● ولو قرئ أن يغل من أغل بمعنى غل لجاز ● يأت بما غل يوم القيامة يأت بالشيء الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيامة يحمله على عنقه ● وروي ألا لا أعرفن أحدكم يأتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك ● وعن بعض جفاة الأعراب أنه سرق نافجة مسك فتليت عليه الآية فقال إذا أحملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز أن يراد يأتي بما احتمل من وباله وتبعته وإثمه ● **فإن قلت** هلا قيل ثم يوفى ما كسب ليتصل به **قلت** جيء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو أبلغ وأثبت لأنه إذا علم أن كل كاسب خير أو شر مجزي موفى جزاءه علم أن الغال مع عظم ما اكتسب ● وهم لا يظلمون أي لا يعدل بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه ● **أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون** ● هم درجات أي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله أنصب للمنية تعتريهم رجالي أم هم درج السيول ● وقيل ذوو درجات فللمتقي تفاوت درج للمثابين منهم ومنازل للمعاقبين أو التفاوت بين الثواب والعقاب ● والله بصير بما يعملون عالم بأعمالهم ودرجاتهم فمجازيهم على حسبها ● **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ● لقد من الله على المؤمنين على من آمن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه وخص المؤمنين منهم لأنهم هم المنتفعون بمبعثه ● من أنفسهم من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام كما أنهم من ولده ● **فإن قلت** فما وجه المنة عليهم في أن كان من أنفسهم **قلت** إذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه منه وكانوا واقفين على أحواله في الصدق والأمانة فكان ذلك أقرب لهم إلى تصديقه والوثوق به وفي كونه من أنفسهم شرف لهم كقوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك ● وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقراءة فاطمة رضي الله عنها من أنفسهم أي من أشرفهم لأن عدنان ذروة ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام ● ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ● ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة ● وذروة قريش محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به أبو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل ● وقرئ لمن من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم وفيه وجهان أن يراد لمن من الله على المؤمنين منه أو بعثه إذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة عليه أو يكون إذ في محل الرفع كإذا في قولك أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه يتلو عليهم آياته بعد ما كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شيء من الوحي ● ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث ● وقيل يأخذ منهم الزكاة ● ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة بعد ما كانوا أجهل الناس وأبعدهم من دراسة العلوم ● وإن كانوا

من قبل من قبل بعث الرسول لفي ضلال إن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وإن الشأن كانوا
كانوا من قبل في ضلال مبين ظاهر لا شبهة * أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند
أنفسكم إن الله على كل شيء قدير * أصابتكم مصيبة يريد ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم * قد أصبتم مثليها يوم بدر
من قتل سبعين وأسر سبعين * قلتم أنى هذا * وأصابتكم في محل الجر بإضافة لما إليه وتقديره أقلتم حين أصابتكم
وأنى هذا نصب لأنه مقول والهمزة للتقرير والتقريع * فإن قلت علام عطفت الواو هذه الجملة * قلت على ما مضى
من قصة أحد من قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده * ويجوز أن تكون معطوفة على محذوف كأنه قيل أفعلتم كذا وقلتم حينئذ
كذا * أنى هذا من أين هذا كقوله أنى لك هذا * قل هو من عند أنفسكم وقوله من عند الله * فالمعنى أنتم السبب فيما أصابكم
لاختياركم الخروج من المدينة أو لتخليتكم المركز * وعن علي رضي الله عنه لأخذكم الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤذن لكم * إن الله
على كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى أن يصيب بكم تارة ويصيب منكم أخرى * ما أصابكم يوم أحد يوم التقى
جمعكم وجمع المشركين فهو كائن بإذن الله أي بتخليته استعار الإذن لتخلية الكفار وأنه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لأن الإذن
مخل بين المأذون ومراده * وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا
وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم
للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون * وليعلم وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون
وليظهر إيمان هؤلاء ونفاق هؤلاء * وقيل لهم جملة معطوفة على نافقوا * وإنما لم يقل فقالوا لأنه جواب لسؤال اقتضاه
دعاء المؤمنين لهم إلى القتال كأنه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم * ويجوز أن تقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل
لهم كلاما مبتدأ قسم الأمر عليهم بين أن يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون وبين أن يقاتلوا إن لم يكن بهم غم الآخرة دفعا عن
أنفسهم وأهليهم وأموالهم فأبوا القتال وجحدوا القدرة عليه من أساس النفاق مع تظاهرهم وذلك ما روي أن عبد الله بن أبي
انخزل مع حلفائه فقيل له ذلك وقيل أو ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وإن لم تقاتلوا لأن كثرة السواد
مما يروع العدو ويكسر منه * وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو أمكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور
المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله تعالى أو ادفعوا أراد كثروا سوادهم * ويحتمل
أن يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا * لاتبعناكم يعنون أن ما أنتم فيه لخطأ رأيكم وزللكم
عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال إنما هو إلقاء بالأنفس إلى التهلكة لأن رأي عبد الله كان في الإقامة بالمدينة
وما كان يستصوب الخروج * هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يعني أنهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالإيمان وما
ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا
من الكفر * وقيل هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين * يقولون
بأفواههم لا يتجاوز إيمانهم أفواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا * وذكر الأفواه مع القلوب تصوير
لنفاقهم وأن إيمانهم موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لأفواههم * والله أعلم
بما يكتمون من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة بهم
وغير ذلك لأنكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بأمارات وأنا أعلمه كله علم إحاطة بتفاصيله وكيفياتها
الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم
صادقين * الذين قالوا في إعرابه وجوه أن يكون نصبا على الذم أو على الرد على الذين نافقوا أو رفعا على هم
الذين قالوا * أو على الإبدال من واو يكتمون * ويجوز أن يكون مجرورا بدلا من الضمير في بأفواههم أو قلوبهم كقوله على جوده
ضنين بالماء حاتم * لإخوانهم لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد أو إخوانهم في النسب وفي سكنى
الدار * وقعدوا أي قالوا وقد قعدوا عن القتال * لو أطاعونا إخواننا فيما أمرناهم به من القعود ووافقونا
فيه لما قتلوا كما لم نقتل * قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين معناه إن كنتم صادقين في أنكم وجدتم

إلى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا إلى دفع الموت سبيلا يعني أن ذلك الدفع غير مغن عنكم
لأنكم إن دفعتم القتل الذي هو أحد أسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر أسبابه المبثوثة ولا بد لكم من أن يتعلق
بكم بعضها * وروي أنه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا * فإن قلت فقد كانوا صادقين
في أنهم دفعوا القتل عن أنفسهم بالقعود فما معنى قوله إن كنتم صادقين * قلت معناه أن النجاة من القتل
يجوز أن يكون سببها القعود عن القتال وأن يكون غيره لأن أسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب
نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم أن سبب نجاتكم القعود وأنكم صادقون في مقالتكم وما أنكرتم أن يكون السبب
غيره * ووجه آخر إن كنتم صادقين في قولكم لو أطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني أنهم لو أطاعوكم وقعدوا لقتلوا
قاعدين كما قتلوا مقاتلين * وقوله فادرءوا عن أنفسكم الموت استهزاء بهم أي إن كنتم رجالا دفاعين لأسباب
الموت فادرءوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا * ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند
ربهم يرزقون * ولا تحسبن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد * وقرئ بالياء على ولا يحسبن
رسول الله أو ولا يحسبن حاسب * ويجوز أن يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا أمواتا
أي ولا يحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتا * فإن قلت كيف جاز حذف المفعول الأول * قلت هو في الأصل
مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ في قوله أحياء والمعنى هم أحياء لدلالة الكلام عليهما * وقرئ ولا تحسبن الذين
قتلوا بالتشديد وأحياء بالنصب على معنى بل احسبهم أحياء * عند ربهم مقربون عنده ذوو زلفى كقوله
فالذين عند ربك * يرزقون مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف
لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله تعالى * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم
يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة
وما ساق إليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها * وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر تدور في أنهار الجنة
وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش * ويستبشرون بإخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا
بهم أي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم * وقيل لم يلحقوا
بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم * ألا خوف عليهم بدل من الذين * والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من
تركوا من خلفهم من المؤمنين وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به * وفي ذكر حال
الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل
الشهداء وإصابة فضلهم وإحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لإخوانه في الله وبشرى للمؤمنين بالفوز
في المآب * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين * وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان
لقوله أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وأن ذلك أجر لهم على إيمانهم يجب في عدل الله وحكمته أن
يحصل لهم ولا يضيع * وقرئ وأن الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل * وبالكسر على الابتداء وعلى أن الجملة اعتراض وهي
قراءة الكسائي وتعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع * الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين
أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم * الذين استجابوا مبتدأ خبره للذين أحسنوا أو صفة للمؤمنين أو نصب على المدح
وروي أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال
لا يخرجن معنا إلا من حضر يومنا بالأمس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد
وهي من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر وألقى الله الرعب في
قلوب المشركين فذهبوا فنزلت * ومن في للذين أحسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات

منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم • وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قالت
لي عائشة رضي الله عنها ان ابويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير رضي الله عنهما • الذين قال لهم الناس
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل • الذين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم • روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه
الصلوة والسلام ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه
فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر
وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ان لا اخرج ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده
ذلك تجرءا فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشرة من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا
بالراي اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا افتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله
لا يفلت منكم احد • وقيل مر بابي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب
ان ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال عليه الصلوة والسلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد
فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل • وقيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم عليه الصلوة
والسلام حين القي في النار حتى وافوا بدرا واقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا
خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق
وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون المثبطون والاخرون ابو سفيان واصحابه • فان قلت
كيف قيل الناس ان كان نعيم هو المثبط وحده • قلت قيل ذلك لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل
ويلبس البرود وماله الا فرس واحد وبرد فرد ولانه حين قال ذلك لم يخل من ناس من اهل المدينة يضامونه
ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه • فان قلت الام يرجع المستكن في فزادهم • قلت
الى المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا او الى مصدر
قالوا كقولك من صدق كان خيرا له • او الى الناس اذا اريد به نعيم وحده • فان قلت كيف زادهم
نعيم او مقوله ايمانا • قلت لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام
كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان خروجهم على اثر تثبيطه
الى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل • وعن ابن عمر
رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل
صاحبه النار • وعن عمر رضي الله عنه انه كان ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا • وعنه لو وزن
ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة لرجح • حسبنا الله محسبنا الله اي كافينا يقال احسبه الشيء اذا كفاه
والدليل على انه بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته لكونه في معنى اسم
الفاعل غير حقيقية • ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو • فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا
رضوان الله والله ذو فضل عظيم • فانقلبوا فرجعوا من بدر • بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو
منهم • وفضل وهو الربح في التجارة كقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم • لم يمسسهم سوء لم
يلقوا ما يسوؤهم من كيد عدوهم • واتبعوا رضوان الله بجراءتهم وخروجهم • والله ذو فضل عظيم قد تفضل
عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطا رايهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء • وروي
انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم • انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا
تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين • الشيطان خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط هو الشيطان • يخوف
اولياءه جملة مستانفة بيان لتثبيطه او الشيطان صفة لاسم الاشارة • ويخوف الخبر والمراد بالشيطان

نعيم او ابو سفيان • ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف يعني انما ذلكم قول الشيطان اي قول ابليس لعنه الله
يخوف اولياءه • يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه ويدل عليه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وابن
مسعود رضي الله عنه يخوفكم اولياءه • وقوله فلا تخافوهم • وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم • فان قلت فالى من يرجع الضمير في فلا تخافوهم على هذا التفسير • قلت الى الناس في قوله
ان الناس قد جمعوا لكم • فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا • وخافون فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى
ما يامركم به • ان كنتم مؤمنين يعني ان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا يخشون احدا الا
الله • ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة
ولهم عذاب عظيم • يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين
وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام • فان قلت فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول ان يحزن لنفاق من نافق
وارتداد من ارتد • قلت معناه لا يحزنوك لخوف ان يضروك ويعينوا عليك الا ترى الى قوله انهم لن يضروا الله شيئا
يعني انهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله
يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة اي نصيبا من الثواب • ولهم بدل الثواب • عذاب عظيم وذلك ابلغ ما ضر به
الانسان نفسه • فان قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الاخرة واي فائدة في ذكر الارادة • قلت
فائدته الاشعار بان الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر
تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين يريد ان لا يرحمهم • ان الذين اشتروا
الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم • ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اما ان يكون تكريرا
لذكرهم للتاكيد والتسجيل عليهم بما اضاف اليهم واما ان يكون عاما للكفار والاول خاصا فيمن نافق من المتخلفين
او ارتد من المسلمين عن الاسلام او على العكس • وشيئا نصب على المصدر لان المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر • ولا
يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين • الذين كفروا
فيمن قرا بالتاء نصب وانما نملي لهم خير لانفسهم بدل منه اي ولا تحسبن ان ما نملي للكافرين خير لهم وان مع
ما في حيزه ينوب عن المفعولين كقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن ان
املاءنا خير وكان حقها ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا يخالف وتتبع سنة
الامام في خط المصاحف • فان قلت كيف صح مجيء البدل ولم يذكر الا احد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل
الحسبان على مفعول واحد • قلت صح ذلك من حيث ان التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى الا تراك تقول
جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك • ويجوز ان يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن
الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم • او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم • وهو فيمن قرا
بالياء رفع والفعل متعلق بان وما في حيزه • والاملاء لهم تخليتهم وشانهم مستعار من املى لفرسه اذا ارخى له الطول
ليرعى كيف شاء • وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن ان الاملاء خير لهم من منعهم او قطع آجالهم • انما
نملي لهم ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستانفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم
لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما • فان قلت كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا
لله تعالى في املائه لهم • قلت هو علة للاملاء وما كل علة بغرض الا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شيء منها بغرض لك وانما هي علل واسباب فكذلك ازدياد
الاثم جعل علة للاملاء وسببا فيه • فان قلت كيف يكون ازدياد الاثم علة للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن
الحرب • قلت لما كان في علم الله المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله وبسببه على طريق المجاز
• وقرا يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد
الاثم كما يفعلون وانما هو ليتوبوا ويدخلوا في الايمان • وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه ان املاءنا

خير لانفسهم ان تعاقبه وهو من انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة فان قلت
فما معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة قلت معناه ولا تحسبوا ان املاءنا لزيادة الاثم وللتعذيب
واو الحال كانه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ٭ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه
حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا
بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم ٭ اللام لتاكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين
المخلص والمنافق ٭ حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص ٭ وقرئ يميز من ميز ٭ وفي رواية
عن ابن كثير يميز من اماز بمعنى ميز فان قلت لمن الخطاب في انتم قلت للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص
والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يترك
يخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم ٭ ثم قال وما
كان الله ليطلعكم على الغيب اي وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق
الرجل واخلاص الاخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها ٭ ولكن الله يرسل الرسول فيوحي
اليه ويخبره بان في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من
جهة اطلاعه على المغيبات ٭ ويجوز ان يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة
التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فيجعل
ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف
على ذات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما استاثر الله به ٭ وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات
القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ٭ ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات
فآمنوا بالله ورسله بان تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم
عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء
وعن السدي قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت ٭ ولا يحسبن الذين
يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث
السموات والارض والله بما تعملون خبير ٭ ولا تحسبن من قرا بالتاء قدر مضافا محذوفا اي ولا تحسبن
بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرا بالياء قدر مضافا محذوفا اي ولا يحسبن بخل الذين
يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرا بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله صلى الله عليه وسلم او ضمير احد ومن جعل
فاعله الذين يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ
حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل ٭ وقرا الاعمش بغير هو ٭ سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم اي سيلزمون
وبال ما بخلوا به الزام الطوق ٭ وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم ٭ وقيل يجعل
ما بخل به من الزكاة حية يطوقها في عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك ٭
وعن النبي صلى الله عليه وسلم في مانع الزكاة يطوق بشجاع اقرع وروي بشجاع اسود ٭ وعن النخعي سيطوقون بطوق
٭ ولله ميراث السموات والارض اي وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه
في سبيله ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ٭ وقرئ بما يعملون بالياء والتاء فالتاء على طريقة الالتفات
وهي ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر ٭ لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم
الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ٭ قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا فلا يخلو اما ان يقولوه عن اعتقاد لذلك او عن استهزاء بالقرآن وايهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمردين
في كفرهم ٭ ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب ٭ سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة او

سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فان قلت كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا
قيل ولقد كتبنا قلت ذكر وجود السماع اولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا ابدا
اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان وبان
هذا ليس باول ما ركبوه من العظائم وانهم اصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على
مثل هذا القول ٭ وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام
والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي ان الله فقير حين سال القرض فلطمه ابو
بكر رضي الله عنه في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قوله يد الله مغلولة ٭ ونقول ذوقوا وننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيامة ٭ ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم
المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه احس وذق ٭ وقال ابو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق ٭ وقرا حمزة سيكتب بالياء
على البناء للمفعول ٭ ويقول بالياء ٭ وقرا الحسن والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل ٭ وقرا ابن مسعود ويقال ذوقوا
ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد ٭ ذلك اشارة الى ما تقدم من عقابهم ٭ وذكر الايدي
لان اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب فان قلت فلم عطف قوله
وان الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات
في استحقاق التعذيب قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل ان يعاقب المسيء منهم
ويثيب المحسن ٭ الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار
قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين ٭ عهد الينا
امرنا في التوراة واوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الآية الخاصة وهو ان يرينا قربانا تنزل
نار من السماء فتاكله كما كان انبياء بني اسرائيل تلك آيتهم كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو
فتنزل نار من السماء فتاكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان للرسول
الآتي به الا لكونه آية ومعجزة فهو اذن وسائر الآيات سواء ولا يجوز ان يعينه الله تعالى من بين الآيات وقد الزمهم
الله ان انبياءهم جاءتهم بالبينات الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق وجاؤوهم ايضا بهذه الآية
التي اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا صادقين ان الايمان يلزمهم باتيانها ٭ وقرئ بقربان بضمتين ونظيره
السلطان فان قلت ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه وبمعنى الذي قلتموه من قولكم قربان
تاكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون لما قالوا ٭ فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤوا بالبينات
والزبر والكتاب المنير ٭ في مصاحف اهل الشام وبالزبر وهي الصحف ٭ والكتاب المنير التوراة والانجيل
والزبور وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه وتكذيب اليهود ٭ كل نفس ذائقة الموت
وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا
متاع الغرور ٭ قرا اليزيدي ذائقة الموت على الاصل ٭ وقرا الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين مع
النصب كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا ٭ فان قلت كيف اتصل به قوله وانما توفون اجوركم قلت اتصاله
به على ان كلكم تموتون ولا بد لكم من الموت ولا توفون اجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها
يوم قيامكم من القبور فان قلت فهذا يوهم نفي ما يروى ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة
من حفر النار قلت كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم
وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور ٭ الزحزحة التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة ٭ فقد
فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب
السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد ٭ اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب ٭ وعن النبي صلى الله

علي موسي من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي
الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد • شبه الدنيا بالمتاع الذي
يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور • وعن سعيد
ابن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ • لتبلون في اموالكم وانفسكم
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان
ذلك من عزم الامور • خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى والشدائد والصبر عليها
حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه • والبلاء
في الانفس القتل والاسر والجراح وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصائب • وفي الاموال الانفاق في سبيل الخير وما يقع فيها
من الآفات وما يسمعون من اهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف
من هجائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريض المشركين • ومن فنحاص وبني قريظة والنضير • فان ذلك فان الصبر
والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور التي يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون يعني ان ذلك عزمة من عزمات
الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا • واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون • واذكر وقت اخذ الله ميثاق
الكتاب لتبيننه العلماء في الكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن
• فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه • والنبذ وراء الظهر مثل
في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعل نصب عينيه والقاء بين عينيه وكفى به دليلا على انه مأخوذ على العلماء
ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب
لمسارهم او لجر منفعة وحطام دنيا او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم
• وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار • وعن طاوس انه قال لوهب اني ارى الله سوف يعذبك
بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت علمك كما تكتم لرأيت ان الله سيعذبك • وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت
على علمه ولا للجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل • وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ
على اهل العلم ان يعلموا • وقرئ ليبيننه ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب • وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله تعالى
وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن • لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا
تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم • لا تحسبن خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم واحد
المفعولين الذين يفرحون • والثاني بمفازة • وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين
وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين • ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء
فيهما على ان الفعل للرسول صلى الله عليه وسلم • وقرأ ابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل
للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون والمفعول الاول محذوف على لا يحسبنهم الذين
يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين وفلا يحسبنهم تأكيد • ومعنى بما اتوا بما فعلوا واتى
وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده مأتيا لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون
بما فعلوا • وقرئ آتوا بمعنى اعطوا • وعن علي رضي الله عنه بما اوتوا • ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه • روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد
صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود
الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من
العذاب • ومعنى يفرحون بما اوتوا بما اوتوه من علم التوراة • وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه

ويحبون

ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام حيث ادعوا ان ابراهيم كان على اليهودية وانهم
على دينه • وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قفل اعتذروا اليه بانهم رأوا المصلحة
في التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج • وقيل هم المنافقون يفرحون بما اتوا من اظهار الايمان للمسلمين ومنافقتهم
وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوا على الحقيقة لابطانهم الكفر • ويجوز ان يكون
شاملا لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد بما ليس فيه
ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير • فهو يملك امرهم • والله على كل
شيء قدير فهو يقدر على عقابهم • ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب
لآيات لادلة واضحة على وجود الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته • لاولي الالباب الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال
والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر • وفي النصائح الصغار امدد عينيك من
هذه الكواكب واجملها في هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا في حكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر فيحال
بينك وبين النظر • وعن ابن عمر رضي الله عنهما قلت لعائشة رضي الله عنها اخبريني باعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال لي يا
عائشة هل لك ان تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة
من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد
واثنى عليه وجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله
اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال عليه الصلاة والسلام يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال
وما لي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها • وروي
ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل فيها • وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك
ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض • وحكي ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلاثين سنة
اظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له امه لعل فرطة فرطت منك في مدتك فقال ما اذكر قالت
لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما اتيت الا من ذاك • الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار •
يذكرون الله ذكرا دائما على الحالات كلها من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في اغلب احوالهم • وعن ابن عمر وعروة
ابن الزبير رضي الله عنهم وجماعة انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون
الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله
وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال على حسب استطاعتهم • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين صل قائما
فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب توميء ايماء • فهو حجة للشافعي رضي الله عنه في اضطجاع المريض على جنبه
كما في اللحد • وعند ابي حنيفة رحمه الله انه يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد • ومحل على جنوبهم نصب على الحال عطفا
على ما قبله كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين • ويتفكرون في خلق السموات والارض وما يدل عليه اختراع
هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شان الصانع
وكبرياء سلطانه • وعن سفيان الثوري انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع رأسه الى السماء فلما رأى الكواكب غشي عليه
وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته • وعن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر
الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له • وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لا عبادة كالتفكر • وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل
الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع

له في كل يوم مثل عمل أهل الأرض قالوا وإنما كان ذلك التفكر في خلقه الذي يحمل العاقل على التوحيد لانه لا يفتر
في اليوم مثل عمل أهل الأرض ما خلقت هذا باطلا على إرادة القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال بمعنى يتفكرون
قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وادلة
لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار لانه جزاء من عصى ولم يطع
فإن قلت هذا اشارة الى ماذا **قلت** الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون في مخلوق
السموات والارض اي فيما خلق منها ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض لانها في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا
المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا
سبحانك تنزيه له من العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين
من انصار فقد اخزيته فقد ابلغت في اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد
ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق وما للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام بان من يدخل النار فلا
ناصر له بشفاعة ولا غيرها ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا
وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف
المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره ولولا الوصف والحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت
كلام فلان او قوله **فإن قلت** فاي فائدة في الجمع بين المنادي وينادي **قلت** ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا
بالايمان تفخيم لشان المنادي لانه لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدي للاسلام
وذلك ان المنادي اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب او لكفاية بعض النوازل او لبعض المنافع
وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي لسداد الراي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام
فقد رفعت من شان المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه له واليه
ونحوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو
الرسول ادعو الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القرآن ان آمنوا اي آمنوا او بان آمنوا ذنوبنا
كبائرنا سيئاتنا صغائرنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار جمع
بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك
لا تخلف الميعاد على رسلك على هذه صلة للوعد في قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا
على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر المنادي للايمان وهو الرسول وقوله آمنا وهو التصديق ويجوز ان يكون
متعلقا بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل محملون ذلك فانما علينا ما حمل
وقيل على السنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعداء **فإن قلت** كيف دعوا الله بانجاز
ما وعد والله لا يخلف الميعاد **قلت** معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او هو
باب من اللجاء الى الله والخضوع له كما كان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم
يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه واللجاء الذي هو سيما العبودية فاستجاب لهم ربهم
اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم
واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها
الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب يقال استجاب له واستجابه قال فلم يستجبه عند ذاك
مجيب اني لا اضيع قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا اضيع بالتشديد من ذكر او
انثى بيان لعامل بعضكم من بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر اي من اصله
او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة

النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر
الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال
فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا
الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشاوا بما سامهم المشركون من الخسف واوذوا في سبيلي من اجله وبسببه
يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا
على التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما
للفاعل ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى
لاثيبنهم وعنده مثل يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد
اختصاصه به وتملكه وانه لم يختص به وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من
باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وحسن الاثابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبة
تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة
وروي عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزنه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله واعطاه ما اراد وقرأ هذه
الآية وعن الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء
وما يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم ماواهم
جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند
الله وما عند الله خير للابرار وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم
خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب
يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون لا يغرنك خطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم او لكل احد اي لا تنظر الى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة
حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الارض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون
عن ابن عباس هم اهل مكة وقيل هم اليهود وروي ان ناسا كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش
فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد **فإن قلت** كيف جاز ان يغتر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك حتى ينهى عن الاغترار به **قلت** فيه وجهان احدهما ان مدره القوم ومقدمهم
يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم والثاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله تعالى ولا تكونن من الجاهلين ولا تكن من الكافرين
ولا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهي في الظاهر
وهو في المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب
وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل اي هو متاع قليل وهو التقلب في البلاد اراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم
الآخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب او اراد انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم
يرجع وبئس المهاد وساء ما مهدوا لانفسهم النزل والنزل ما يقام للنازل قال ابو السعد الضبي
وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابها اما على الحال من جنات
لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز ان يكون بمعنى مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند
الله وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرأ مسلمة بن محارب
والاعمش نزلا بالسكون وقرأ يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد وان من اهل الكتاب عن مجاهد

نزلت في عبد الله بن سلام وغيره ممن أسلم من أهل الكتاب • وقيل في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة
وثمانية من الروم وكانوا قدموا على النبي صلى الله عليه الصلوة والسلام فأسلموا • وقيل في أصحمة النجاشي ملك
الحبشة • ومعنى أصحمة عطية بالعربية وذلك أنه لما مات نعاه جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عليه الصلوة والسلام اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج إلى البقيع ونظر إلى أرض الحبشة فأبصر
سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه
فنزلت • ودخلت لام الابتداء على اسم إن لفصل الظرف بينهما كقوله تعالى وإن منكم لمن ليبطئن • وما أنزل
إليكم القرآن • وما أنزل إليهم من الكتابين • خاشعين لله حال من فاعل يؤمن لأن من يؤمن في معنى الجمع • لا
يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم • أولئك لهم أجرهم عند ربهم أي ما يختص
به من الأجر وهو ما وعدوه في قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين يؤتكم كفلين من رحمته • إن الله سريع الحساب
لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الأجر • ويجوز أن يراد أنما توعدون لآت قريب بعد
اصبروا على الدين وتكاليفه • وصابروا أعداء الله في الجهاد أي غالبوهم في الصبر على شدائد الحروب ولا تكونوا
أقل صبرا منهم وثباتا • والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته
وصعوبته • ورابطوا وأقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله تعالى
ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل
الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته إلا لحاجة • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أمانا على جسر جهنم • وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي
يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تغيب الشمس صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة النساء مائة وخمس وسبعون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق
منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم
رقيبا • يا أيها الناس يا بني آدم • خلقكم من نفس واحدة فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم فإن قلت
علام عطف قوله وخلق منها زوجها قلت فيه وجهان • أحدهما أن يعطف على محذوف كأنه قيل من نفس
واحدة أنشأها وابتدأها وخلق منها زوجها وإنما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة
هذه صفتها وهي أنه أنشأها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من أضلاعها وبث منهما نوعي جنس الإنس
وهما الذكور والإناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقكم منها • والثاني أن يعطف على خلقكم
ويكون الخطاب في يا أيها الناس للذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم • والمعنى خلقكم من نفس آدم لأنهم
من جملة الجنس المفرع منه • وخلق منها أمكم حواء • وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الأمم الفائتة
للحصر فإن قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته أن يجاء عقيب الأمر بالتقوى بما يدعو إليها (؟) التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى
وداعيا إليها قلت لأن ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات
عقاب العصاة والنظر فيه يؤدي إلى أن يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولأنه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم
أن يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها • أو أراد بالتقوى تقوى خاصة وهو أن يتقوه فيما
يتصل بحفظ الحقوق فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل
بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من أرومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا
عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة • وقرئ وخالق منها زوجها • وباث منهما بلفظ اسم الفاعل

وهو خبر

وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق • تساءلون به فأدغمت التاء في السين • وقرئ
تساءلون بطرح التاء الثانية أي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول أسألك بالله وأنشدك الله
والرحم أو تساءلون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رأيت الهلال وتراءيناه ويعضده
قراءة من قرأ تسألون به مهموزا وغير مهموز • وقرئ والأرحام بالحركات الثلاث • فالنصب على وجهين إما
على واتقوا الله واتقوا الأرحام • وأن يعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة ابن مسعود
تساءلون به وبالأرحام • والجر عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لأن الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور
كشيء واحد فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فوجب تكرير العامل كقولك مررت
به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد ألا ترى إلى صحة قولك رأيتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال
لأنه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بأنها على تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر • فما بك والأيام من عجب •
والرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل والأرحام كذلك على معنى والأرحام مما يتقى أو والأرحام مما
يتساءل به والمعنى أنهم كانوا يقرون بأن لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي
خلقكم واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الأرحام فلا تقطعوها • أو واتقوا الله الذي تتعاطفون بإذكاره
وبإذكار الرحم وقد آذن الله عز وجل إذ قرن الأرحام باسمه أن صلتها منه بمكان كما قال ألا تعبدوا إلا إياه
وبالوالدين إحسانا • وعن الحسن إذا سألك بالله فأعطه وإذا سألك بالرحم فأعطه وللرحم حجنة عند العرش
ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما الرحم معلقة بالعرش فإذا أتاها الواصل بشت به وكلمته
وإذا أتاها القاطع احتجبت عنه • وسئل ابن عيينة عن قوله عليه الصلوة والسلام تخيروا لنطفكم
فقال يقول لأولادكم وذلك أن يضع ولده في الحلال ألم تسمع قوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام
وأول صلته أن يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فإنما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب
الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله • وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا
الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا • وإن خفتم ألا تقسطوا
في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة
أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء
منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا • لليتامى الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم • واليتم الانفراد
ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة • وقيل اليتم في الأناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الأمهات
فإن قلت كيف جمع اليتيم وهو فعيل على يتامى قلت فيه وجهان أن يجمع على يتمى كأسرى لأن
اليتيم من وادي الآفات والأوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى ويجوز أن يجمع على فعائل لجري
اليتيم مجرى الأسماء نحو صاحب وفارس فيقال يتائم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار
لبقاء معنى الانفراد عن الآباء إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال فإذا استغنوا بأنفسهم عن
كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم أبي طالب إما على القياس وإما حكاية للحالة التي كان عليها صغيرا
ناشئا في حجر عمه توضيعا له • وأما قوله عليه الصلوة والسلام لا يتم بعد الحلم فما هو إلا تعليم شريعة لا لغة
يعني أنه إذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار فإن قلت فما معنى قوله وآتوا اليتامى أموالهم
قلت إما أن يراد باليتامى الصغار وبإيتائهم الأموال أن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء وولاة
السوء وقضاته ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة حتى تأتي اليتامى إذا بلغوا سالمة غير محذوفة وإما
أن يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس أو لقرب عهدهم إذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد

ووضعها على ان فيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطل ان أونس منهم الرشد
وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار • وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ
له صغير يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال
اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله اليه • وقال عليه الصلاة والسلام من يوق شح
نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر فقال
ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على والده • ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى
بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتأكلوه مكانه ولا تستبدلوا الامر
الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع عنها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز
منه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار • قال ذو الرمة • فيا كرم السكن الذين تحملوا • عن الدار
والمستخلف المتبدل • اراد يا كرم ما استخلفته الدار واستبدلته • وقيل هو ان يعطي رديئا ويأخذ جيدا
• وعن السدي ان يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبدل انما هو تبديل الا ان يكارم صديقا له
فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي • ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تنفقوها معها وحقيقته
ولا تضموها اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين
الحلال **فان قلت** قد حرم عليهم اكل مال اليتامى وحده ومع اموالهم فلم ورد النهي عن اكله معها **قلت** لانهم
اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم الله من مال الحلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ
والذم الحق ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم • والحوب الذنب العظيم
ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ان طلاق ام ايوب لحوب فكانه قيل انه كان ذنبا عظيما كبيرا • وقرأ الحسن حوبا
بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا • وقرئ حابا • ونظير الحوب والحاب القول والقال والطرد والطرد
ولما نزلت الاية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب بترك الاقساط
في حقوق اليتامى وتحرجوا من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كانت تحته العشر من الازواج والثماني
والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها
فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله
فهو غير متحرج ولا تائب لانه انما وجب ان يتحرج من الذنب ويتاب منه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب • وقيل كانوا
لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا • فانكحوا ما حل
لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات • وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها
ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط
فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم ان لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم • ويقال للاناث اليتامى
النساء كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل ايامى والاصل ايائم ويتائم • وقرأ النخعي تقسطوا بفتح التاء على ان لا
مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وان خفتم ان تجوروا • ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لان منهن ما حرم الله كاللاتي
في اية التحريم • وقيل ما ذهابا الى الصفة ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى
او ما ملكت ايمانكم • مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة وانما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها
عن صيغتها وعدلها عن تكررها وهي نكرات تعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن
النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا
واربعا اربعا **فان قلت** الذي اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع فما معنى التكرير في

وثلاث ورباع

وثلاث ورباع **قلت** الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذي اطلق
له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو افردت
لم يكن له معنى **فان قلت** فلم جاء العطف بالواو دون او **قلت** كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت
تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين او ثلاثة ثلاثة او اربعة اربعة لعلمت انه لا يسوغ لهم
ان يقتسموه الا على احد انواع هذه القسمة وليس لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية
وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة التي دلت عليه الواو وتحريره
ان الواو دلت على اطلاق ان يأخذ الناكحون من ارادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع ان شاؤا مختلفين في تلك
الاعداد وان شاؤا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك • وقرأ ابراهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث
ورباع • فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها • فواحدة فالزموا او فاختاروا
واحدة وذروا الجمع رأسا فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتم العدل فعليكم به • وقرئ فواحدة
بالرفع على فالمقنع واحدة • او ما ملكت ايمانكم سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء
من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة واقصر شغبا واخف مؤونة من المهائر لا عليك اكثرت
منهن ام اقللت عدلت بينهن في القسم ام لم تعدل عزلت عنهن ام لم تعزل • وقرأ ابن ابي عبلة من ملكت • ذلك
اشارة الى اختيار الواحدة والتسري • ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا اذا مال
وميزان فلان عائل • وعال الحاكم في حكمه اذا جار • وروي ان اعرابيا حكم عليه حاكم فقال له اتعول علي
وقد روت عائشة رضي الله عنها ان لا تعولوا ان لا تجوروا • والذي يحكى عن الشافعي رضي الله عنه انه فسر ان لا تعولوا ان لا تكثر
عيالكم فوجهه ان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه
ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام
العلم وائمة الشرع ورؤوس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا
فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من اخيك سوءا وانت تجد لها في الخير محملا وكفى بكتابنا
المترجم بشافي العي من كلام الشافعي شاهدا بانه كان اعلى كعبا واطول باعا في كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء
طرقا واساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات **فان قلت** كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري
نحو ما في المهائر **قلت** ليس كذلك لان الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن
السراري بغير اذنهن فكان التسري مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع
وقرأ طاوس ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي من حيث المعنى الذي
قصده • صدقاتهن مهورهن • وفي حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة • وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد
وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن • وصدقاتهن بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة • وقرئ
صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك في ظلمة ظلمة • نحلة من نحله كذا اذا اعطاه
اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث ابي بكر اني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية
وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكأنه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اي
اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين اي اتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء
او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن • وقيل
النحلة الملة ونحلة الاسلام خير النحل • وفلان ينتحل كذا يدين به • والمعنى اتوهن مهورهن ديانة على انها
مفعول لها ويجوز ان يكون حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه والخطاب للازواج وقيل للاولياء
لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك

فقد ظهر الضمير في منه مجرى اسم الإشارة كأنه قيل عن شيء من ذلك كما قال الله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من أفواه العرب ما روي عن رؤبة أنه قيل له في قوله: كأنه في الجلد توليع البهق. فقال أردت كأن ذاك. أو يرجع إلى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق لأنك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله تعالى فأصدق وأكن كأنه قيل أصدق. ونفسا تمييز وتوحيدها لأن الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه. والمعنى فإن وهبن لكم شيئا من الصدقات وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن إلى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه فأنفقوه. قالوا فإن وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم أنها لم تطب عنه نفسا. وعن الشعبي أن رجلا أتى مع امرأته شريحا في عطية أعطتها إياه وهي تطلب أن ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل أليس قد قال الله تعالى فإن طبن لكم فقال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه. وعنه أقيلها فيما وهبت ولا أقيله لأنهن يخدعن. وحكي أن رجلا من آل أبي معيط أعطته امرأته ألف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته إلى عبد الملك بن مروان فقال الرجل أعطتني بطيبة بها نفسها فقال عبد الملك فأين الآية التي بعدها فلا تأخذوا منه شيئا اردد عليها. وعن عمر أنه كتب إلى قضاته أن النساء يعطين رغبة ورهبة فأيما امرأة أعطت ثم أرادت أن ترجع فلها ذلك. وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال إذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة. وروي أن ناسا كانوا يتأثمون أن يرجع أحدهم في شيء مما ساق إلى امرأته فقال الله تعالى إن طابت نفس واحدة من غير إكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيئا. وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بني الشرط على طيب النفس فقيل فإن طبن ولم يقل فإن وهبن أو سمحن إعلاما بأن المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة. وقيل فإن طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فإن طبن لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب. وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها إلا باليسير. وعن الأوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد أو تقم في بيت زوجها سنة. ويجوز أن يكون تذكير الضمير لينصرف إلى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو أنث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لأن بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا. الهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ إذا كان سائغا لا تنغيص فيه. وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته. وقيل ما ينساغ في مجراه. وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم إلى فم المعدة المريء لمروء الطعام فيه وهو انسياغه. وهما وصف للمصدر أي أكلا هنيئا مريئا أو حال من الضمير أي كلوه وهو هنيء مريء. وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى أنهما صفتان أقيمتا مقام المصدرين كأنه قيل هنأ مرأ. وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الإباحة وإزالة التبعة.

ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا • وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا

السفهاء المبذرون أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم بإصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للأولياء وأضاف الأموال إليهم لأنها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال تعالى ولا تقتلوا أنفسكم فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات. والدليل على أنه خطاب للأولياء في أموال اليتامى قوله تعالى وارزقوهم فيها واكسوهم. جعل الله لكم قياما أي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكأنها في أنفسها قيامكم وانتعاشكم. وقرئ قيما أي قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا. وقرأ عبد الله بن عمر قواما بالواو وقوام الشيء ما يقام به كقولك هو ملاك الأمر لما يملك به. وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولأن أترك ما يحاسبني الله عليه خير من أن أحتاج إلى الناس. وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس. وعن غيره وقيل له إنها تدنيك من الدنيا فقال لئن أدنتني من الدنيا لقد صانتني عنها. وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فإنكم في زمان إذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه. وربما رأوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب إلى دكانك. وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم بأن تتجروا فيها وتربحوا حتى تكون

نفقتهم من

نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا يأكلها الإنفاق. وقيل هو أمر لكل أحد أن لا يخرج ماله إلى أحد من السفهاء قريب أو أجنبي رجل أو امرأة يعلم أنه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده. قولا معروفا قال ابن جريج عدة جميلة إن صلحتم ورشدتم سلمنا إليكم أموالكم. وعن عطاء إذا ربحت أعطيتك وإن غنمت في غزاتي جعلت لك حظا. وقيل إن لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله وإياك بارك الله فيك. وكل ما سكنت إليه النفس وأحبته لحسنه عقلا أو شرعا من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته ونفرت عنه لقبحه فهو منكر. وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ. حتى إذا آنستم منهم رشدا أي هداية دفعتم إليهم أموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ. وبلوغ النكاح أن يحتلم لأنه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد. والإيناس الاستيضاح فاستعير للتبيين. واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند أبي حنيفة وأصحابه أن يدفع إليه ما يتصرف فيه حتى يتبين حاله فيما يجيء منه. والرشد الهداية إلى وجوه التصرف. وعن ابن عباس الصلاح في العقل والحفظ للمال. وعند مالك والشافعي الابتلاء أن يتتبع أحواله وتصرفه في الأخذ والعطاء ويتبصر مخايله وميله إلى الدين. والرشد الصلاح في الدين لأن الفسق مفسدة للمال. **فإن قلت** فإن لم يؤنس منه رشد إلى حد البلوغ. **قلت** عند أبي حنيفة ينتظر إلى خمس وعشرين سنة لأن بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فإذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير أحوال الإنسان لقوله عليه الصلاة والسلام مروهم بالصلاة لسبع دفع إليه ماله أونس منه الرشد أو لم يؤنس. وعند أصحابه لا يدفع إليه أبدا إلا بإيناس الرشد والله أعلم. **فإن قلت** ما معنى تنكير الرشد. **قلت** معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة أو طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد. **فإن قلت** كيف نظم هذا الكلام. **قلت** ما بعد حتى إلى فادفعوا إليهم أموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله: فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل. والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لأن إذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح. وقوله فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الأول الذي هو إذا بلغوا النكاح فكأنه قيل وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم. وقرأ ابن مسعود فإن أحستم بمعنى أحسستم. قال: أحسن به فهن إليه شوس. وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين. إسرافا وبدارا أن يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم يفرطون في إنفاقها ويقولون ننفق كما نشتهي قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا. ثم قسم الأمر بين أن يكون الوصي غنيا وبين أن يكون فقيرا فالغني يستعفف من أكلها ولا يطمع ويقتنع بما رزقه الله من الغنى إشفاقا وإبقاء على مال اليتيم والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الأجرة أو استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف. ولفظ الأكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على أن للوصي حقا لقيامه عليها. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له إن في حجري يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله. فقال أفأضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك. وعن ابن عباس أن ولي يتيم قال له أفأشرب من لبن إبله قال إن كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب. وعنه يضرب بيده مع أيديهم فليأكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها. وعن إبراهيم لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة. وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الأجير فيما لا بد منه. وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه. وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي. وعن مجاهد يستسلف فإذا أيسر أدى. وعن سعيد بن جبير إن شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب وأخذ القوت ولا يجاوزه فإن أيسر قضاه وإن أعسر فهو في حل. وعن عمر بن الخطاب إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف وإذا أيسرت قضيت. استعفف

ابلغ من عفف كأنه طالب زيادة العفة • فأشهدوا عليهم بأنهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك
أبعد من التخاصم والتجاحد وأدخل في الأمانة وبراءة الساحة ألا ترى أنه إذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع
اليمين عند أبي حنيفة وأصحابه وعند مالك والشافعي لا يصدق إلا بالبينة فكان في الإشهاد الاستحراز من توجه
اليمين المفضي إلى التهمة أو من وجوب الضمان إذا لم يقم البينة • وكفى بالله حسيبا أي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع
والقبض أو محاسبا فعليكم بالتصادق وإياكم والتكاذب • للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء
نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا • وإذا حضر القسمة أولوا القربى
واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا • وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية
ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا • إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما
إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا • الأقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم
مما قل منه أو كثر بدل مما ترك بتكرير العامل • ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى أعني نصيبا مفروضا
مقطوعا واجبا لا بد لهم من أن يحوزوه ولا يستأثر به • ويجوز أن ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله
قيل قسمة مفروضة • روي أن أوس بن الصامت الأنصاري ترك امرأته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه
سويد وعرفطة أو قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال ويقولون
لا يرث إلا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت أم كحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مسجد الفضيخ فشكت إليه فقال ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت يوصيكم فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين
والباقي ابني العم • وإذا حضر القسمة أي قسمة التركة • أولوا القربى ممن لا يرث • فارزقوهم منه الضمير لما ترك
الوالدان والأقربون وهو أمر على الندب • قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك إذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء
فيرضخون لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله تعالى على ذلك تأديبا من غير أن يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة
لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق • وروي أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم قسم
ميراث أبيه وعائشة حية فلم يدع في الدار أحدا إلا أعطاه وتلا هذه الآية • وقيل هو على الوجوب • وقيل هو
منسوخ بآيات المواريث كالوصية • وعن سعيد بن جبير إن ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون
به الناس • والقول المعروف أن يلطفوا لهم القول ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا إليهم ويستقلوا ما
أعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا • وعن الحسن والنخعي أدركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى
من العين يعنيان الذهب والورق فإذا قسم الذهب والورق وصارت القسمة إلى الأرضين والرقيق وما أشبه ذلك
قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم • لو مع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الأوصياء أمروا بأن
يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم
وأن يقدروا ذلك في أنفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة • ويجوز أن يكون المعنى وليخش
على اليتامى من الضياع • وقيل هم الذين يجلسون إلى المريض فيقولون إن ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك
فيستغرقه بالوصايا فأمروا بأن يخشوا ربهم ويخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولاد أنفسهم لو
كانوا • ويجوز أن يتصل بما قبله وأن يكون أمرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء أقاربهم واليتامى
والمساكين وأن يتصوروا أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل كانوا يخافون عليهم الحرمان
والخيبة • **فإن قلت** ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين • **قلت** معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم
أنهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم
وكاسبهم كما قال القائل • لقد زاد الحياة إلي حبا • بناتي إنهن من الضعاف • أحاذر أن يرين البؤس بعدي • وأن
يشربن رنقا بعد صاف • وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى • والقول السديد من الأوصياء أن لا يؤذوا

اليتامى ويكلموهم كما يكلمون أولادهم بالأدب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي • ومن الجالسين إلى
المريض أن يقولوا له إذا أراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف بأولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لسعد إنك إن تترك ولدك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضي الله عنهم كانوا
يستحبون أن لا يبلغ بالوصية الثلث وأن الخمس أفضل من الربع والربع من الثلث • ومن المتقاسمين ميراثهم أن يلطفوا
القول ويجملوا الخطاب • ظلما ظالمين أو على وجه الظلم من أولياء السوء وقضاته • في بطونهم ملء بطونهم يقال أكل
فلان في بطنه وفي بعض بطنه • قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا • ومعنى يأكلون نارا يأكلون ما يجر إلى النار فكأنه نار
في الحقيقة • وروي أنه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينيه
فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا • وقرئ وسيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها • سعيرا نارا من
النيران مبهمة الوصف • يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما
ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له
ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم
لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما • ولكم نصف ما ترك أزواجكم
إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين •
ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية
توصون بها أو دين • يوصيكم الله يعهد إليكم ويأمركم • في أولادكم في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا إجمال
تفصيله للذكر مثل حظ الأنثيين • **فإن قلت** هلا قيل للأنثيين مثل حظ الذكر أو للأنثى نصف حظ الذكر
قلت ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولأن قوله للذكر مثل حظ الأنثيين قصد إلى بيان
فضل الذكر وقولك للأنثيين مثل حظ الذكر قصد إلى بيان نقص الأنثى وما كان قصدا إلى بيان فضله كان أدل
على فضله من القصد إلى بيان نقص غيره عنه ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث وهو السبب لورود الآية
فقيل كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الإناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع إدلائهن من القرابة بمثل ما يدلون
به • **فإن قلت** حظ الأنثيين الثلثان فكأنه قيل للذكر الثلثان • **قلت** أريد حال الاجتماع لا الانفراد أي إذا
اجتمع الذكر والأنثيان كان له سهمان كما أن لهما سهمين وأما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان يأخذان
الثلثين • والدليل على أن الغرض حكم الاجتماع أنه أتبعه حكم الانفراد وهو قوله فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن
ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم أي من أولادكم فحذف الراجع إليه لأنه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم • فإن كن نساء
فإن كانت البنات أو المولودات نساء خلصا ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن • فوق اثنتين يجوز أن يكون
خبرا ثانيا لكان وأن يكون صفة لنساء أي نساء زائدات على اثنتين • وإن كانت واحدة وإن كانت البنت أو المولودة
منفردة ليس معها أخرى فلها النصف • وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب أوفق لقوله فإن
كن نساء • وقرأ زيد بن ثابت رضي الله عنه النصف بالضم والضمير في ترك للميت لأن الآية لما كانت في الميراث علم أن
التارك هو الميت • **فإن قلت** قوله للذكر مثل حظ الأنثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الأولاد لا لبيان حظ
الإناث • **قلت** وإن كان مسوقا لبيان حظ الذكر إلا أنه لما فقه منه وتبين حظ الأنثيين مع أخيهما كان كأنه
مسوق للأمرين معا فلذلك صح أن يقال فإن كن نساء • **فإن قلت** هل يصح أن يكون الضميران في كن وكانت
مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على أن كان تامة • **قلت** لأن الغرض خلوصهن إناثا لا ذكر فيهن
ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكر في قوله للذكر مثل حظ الأنثيين وبين انفرادهن وأريد هاهنا أن يميز
بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها • **فإن قلت** قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع
الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر • **قلت**

اما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس رضي الله عنهما ابى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء فوق
اثنتين فاعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف واما سائر الصحابة رضي الله عنهم فقد اعطوهما حكم الجماعة
والذي يعلل به قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على ان حكم الانثيين حكم الذكر وذلك ان الذكر كما يحوز الثلثين مع
الواحدة فالانثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن
ثلثا ما ترك على معنى فان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للانثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن
ليعلم ان حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت ◦ وقيل ان الثنتين امس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما اوجب الله
للاختين ولم يروا ان يقصروا بهما عن حظ من هو ابعد رحما منهما ◦ وقيل ان البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث كان احرى
ان يجب لها الثلث مع اخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها ايضا مع اخيها لو انفردت معه فوجب لهما
الثلثان ◦ ولابويه الضمير للميت ◦ ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه
السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها ◦ فان قلت فهلا قيل ولكل واحد من
ابويه السدس واي فائدة في ذكر الابوين اولا ثم في الابدال منهما ◦ قلت لان في الابدال والتفصيل بعد
الاجمال تأكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير ◦ والسدس مبتدأ وخبره لابويه والبدل
متوسط بينهما للبيان ◦ وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الربع والثلث والثمن ◦ والولد
يقع على الذكر والانثى ويختلف حكم الاب في ذلك فان كان ذكرا اقتصر بالاب على السدس وان كان انثى عصب
مع اعطاء السدس ◦ فان قلت قد بين حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم
يكن له ولد فلامه الثلث واي فائدة في قوله وورثه ابواه ◦ قلت معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه
الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس مما ترك لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقي
مع احد الزوجين لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس رضي الله عنه والمعنى ان الابوين اذا خلصا اقتسما الميراث
للذكر مثل حظ الانثيين ◦ فان قلت ما العلة في ان كان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال ◦ قلت فيه وجهان احدهما
ان الزوج انما استحق ما يسهم بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية في قسمة ما وراءه ◦ والثاني ان الاب
اقوى في الارث من الام بدليل انه يضعف عليها اذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الامرين
فلو ضرب لها الثلث كله لادى الى حط نصيبه عن نصيبها الا ترى ان امرأة لو تركت زوجا وابوين فصار للزوج
النصف وللام الثلث والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى مثل
حظ الذكرين ◦ فان كان له اخوة فلامه السدس الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان كانوا لا يرثون مع الاب فيكون
لها السدس وللاب خمسة الاسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا الا عند ابن عباس رضي الله عنه وعنه انهم يأخذون
السدس الذي حجبوا عنه الام ◦ فان قلت فكيف صح ان يتناول الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية
قلت الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في افادة الكمية وهذا
موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه ◦ وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا للجرة الا ترى انها لا تكسر
في قوله وجعلنا ابن مريم وامه آية ◦ من بعد وصية يتعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده
كانه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية يوصي بها ◦ وقرئ يوصي بها بالتخفيف والتشديد ◦ ويوصى بها على
البناء للمفعول مخففا ◦ فان قلت ما معنى او ◦ قلت معناها الاباحة وانه ان كان احدهما او كلاهما قدم
على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن او ابن سيرين ◦ فان قلت لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في
الشريعة ◦ قلت لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها مأخوذة من غير عوض كان اخراجها مما يشق على الورثة
ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها فكان اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى ادائه
فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة او للتسوية بينهما

في الوجوب نزل الله ذلك ورغب فيه بقوله آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا من آبائكم وابنائكم الذين يموتون
امن اوصى منهم ام من لم يوص لان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم
نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصية ووفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا
وذهابا بالحقيقة لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد
الاقصى وثواب الآخرة وان كان آجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى ◦ وقيل ان الابن ان كان ارفع درجة
من ابيه في الجنة سال الله ان يرفع اليه اباه فيرفع وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سال الله ان يرفع اليه ابنه ◦
وانتم لا تدرون في الدنيا ◦ ايهم اقرب لكم نفعا ◦ وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم
لم تعلموا ايهم انفع لكم فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة ◦ وقيل الاب يجب له النفقة على الابن اذا احتاج وكذلك
الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى ايهما اقرب نفعا وليس شيء من هذه الاقاويل بلائح للمعنى ولا مطابق
له لان هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض ان يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم ◦ فريضة نصبت
نصب المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا ◦ ان الله كان عليما بمصالح خلقه ◦ حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها
فان كان لهن ولد منكم او من غيركم جعلت للزوج النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك حظ النساء والواحدة
والجماعة سواء في الربع والثمن ◦ وان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس
فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله
والله عليم حليم ◦ وان كان رجل يعني الميت ◦ يورث من ورث اي يورث منه وهو صفة لرجل وكلالة خبر كان
اي وان كان رجل موروث منه كلالة ◦ او يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير في يورث ◦ وقرئ يورث
ويورث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل ◦ وكلالة حال او مفعول به ◦ فان قلت ما الكلالة قلت
ينطلق على ثلاثة ◦ على من لم يخلف ولدا ولا والدا ◦ وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين ◦ وعلى القرابة من غير جهة
الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن ◦ والكلالة في الاصل مصدر
بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء ◦ قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة ◦ فاستعيرت للقرابة من غير
جهة الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة واذا جعل صفة للموروث او للوارث فبمعنى ذي كلالة
كما تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ◦ ويجوز ان تكون صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق ◦ فان قلت
فان جعلتها اسما للقرابة في الآية فعلام تنصبها ◦ قلت على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او يورث غيره
لاجلها ◦ فان قلت فان جعلت يورث على البناء للمفعول من اورث فما وجهه ◦ قلت الرجل حينئذ هو الوارث
لا الموروث ◦ فان قلت فالضمير في قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع حينئذ ◦ قلت الى الرجل والى اخيه او اخته
وعلى الاول اليهما ◦ فان قلت اذا رجع الضمير اليهما افاد استواءهما في حيازة السدسين من غير مفاضلة الذكر الانثى
فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه ◦ قلت نعم لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ والاخت على
التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى ◦ وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيها برأيي فان
كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة من عدا الولد والوالد ◦ وعن عطاء والضحاك ان
الكلالة هو الموروث ◦ وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه هو الوارث ◦ وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام وتدل عليه
قراءة ابي رضي الله عنه وله اخ او اخت من الام وقراءة سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام ◦ وقيل انما
استدل على ان الكلالة ها هنا الاخوة للام خاصة بما ذكره في آخر السورة من ان للاختين الثلثين وان للاخوة
كل المال فعلم ها هنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا شيئا على الثلث انه يعني بهم الاخوة
للام والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الاخوة ◦ الاخياف والاعيان والعلات وغيرهم ◦
غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك بان يوصي بزيادة على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه

وبينه مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله • وعن قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الممات ونهى عنه
وعن الحسن المضارة في الدين أن يوصي بدين ليس عليه ومعناه الإقرار • وصية من الله مصدر مؤكد أي يوصيكم
بذلك وصية كقوله فريضة من الله • ويجوز أن تكون منصوبة بغير مضار أي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه
بزيادة على الثلث أو وصية من الله بالأولاد وأن لا يدعهم عالة بإسرافه في الوصية • وينصر هذا الوجه قراءة
الحسن غير مضار وصيةٍ من الله بالإضافة • والله عليم بمن جار أو عدل في وصيته • حليم عن الجائر لا يعاجله
وهذا وعيد فإن قلت فيمن يوصي ضمير الرجل إذا جعلت يورث من ورث فكيف تعمل إذا جعلته للوارث قلت كما عملت في
قوله فلهن ثلثا ما ترك لأنه تعلم أن التارك والموصي هو الميت فإن قلت فأين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها على ما لم
يسم فاعله قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لأنه لما قال يوصى بها علم أن ثم موصيا كما قال يسبح
له فيها على ما لم يسم فاعله فعلم أن ثمة مسبحا فأضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح كان غير
مضار حالا عما يدل عليه يوصى بها • تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من
تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم • ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا
خالدا فيها وله عذاب مهين • واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن
أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا •
واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحيما •
تلك إشارة إلى الأحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لأن الشرائع كالحدود
المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ويتخطوها إلى ما ليس لهم بحق • يدخله قرئ بالياء
والنون وكذلك يدخله نارا • وقيل يدخله وخالدين حمل على لفظ من ومعناه • وانتصب خالدين وخالدا
على الحال فإن قلت هل يجوز أن يكونا صفتين لجنات ونارا قلت لا لأنهما جريا على غير من هما له فلا
بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها • يأتين الفاحشة يرهقنها يقال أتى الفاحشة وجاءها
وغشيها ورهقها بمعنى • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه يأتين بالفاحشة • والفاحشة الزنا
لزيادتها في القبح على كثير من القبائح • فأمسكوهن في البيوت قيل معناه فخلدوهن محبوسات في بيوتكم
وكان ذلك عقوبتهن في أول الإسلام ثم نسخ بقوله الزانية والزاني الآية • ويجوز أن تكون غير منسوخة
بأن يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة • ويوصى بإمساكهن في البيوت بعد أن يحددن صيانة
لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال • أو يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي
يستغنين به عن السفاح • وقيل السبيل هو الحد لأنه لم يكن مشروعا ذلك الوقت فإن قلت ما معنى
يتوفاهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كأنه قيل حتى يميتهن الموت قلت يجوز أن يريد حتى يتوفاهن
ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت أو حتى يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن •
واللذان يأتيانها منكم يريد الزاني والزانية • فآذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما أما استحييتما أما
خفتما الله • فإن تابا وأصلحا وغيرا الحال • فأعرضوا عنهما فاقطعوا التوبيخ والمذمة فإن التوبة تمنع
استحقاق الذم • ويحتمل أن يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالإيذاء ذمهما وتعنيفهما
وتهديدهما بالرفع إلى الإمام والحد • فإن تابا قبل الرفع إلى الإمام • فأعرضوا عنهما ولا تتعرضوا • وقيل
نزلت الأولى في السحاقات وهذه في اللواطين • وقرئ واللذان بتشديد النون • واللذأن بالهمز وتشديد
النون • إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان
الله عليما حكيما • وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت
الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما • التوبة من تاب الله عليه إذا قبل

توبته وغفر

توبته وغفر له يعني إنما القبول والغفران واجب على الله تعالى لهؤلاء • بجهالة في موضع الحال أي يعملون السوء جاهلين
سفهاء لأن ارتكاب القبيح مما يدعو إليه السفه والشهوة لا مما تدعو إليه الحكمة والعقل • وعن مجاهد من عصى الله
فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته • من قريب من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت ألا ترى إلى قوله حتى
إذا حضر أحدهم الموت فبين أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب
وعن ابن عباس رضي الله عنه قبل أن ينزل به سلطان الموت • وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب • وعن النخعي
ما لم يؤخذ بكظمه • وروى أبو أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر • وعن
عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة • وعن الحسن أن إبليس لعنه الله قال حين أهبط إلى الأرض وعزتك لا أفارق
ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال وعزتي لا أغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر فإن قلت ما معنى
من في قوله من قريب قلت معناه التبعيض أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية
وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب وإلا فهو تائب من بعيد
فإن قلت ما فائدة قوله فأولئك يتوب الله عليهم بعد قوله إنما التوبة على الله لهم قلت قوله إنما التوبة على
الله إعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات • وقوله فأولئك يتوب الله عليهم عدة بأنه يفي بما
عليه وإعلام بأن الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب • ولا الذين يموتون عطف على الذين يعملون
السيئات سوى بين الذين سوفوا توبتهم إلى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه لا توبة لهم لأن حضرة الموت أول أحوال
الآخرة فكما أن المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف إلى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما
أوان التكليف والاختيار • أولئك أعتدنا لهم في الوعيد نظير قوله فأولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين
أن الأمرين كائنان لا محالة فإن قلت من المراد بالذين يعملون السيئات أهم الفساق من أهل القبلة أم الكفار قلت
فيه وجهان أحدهما أن يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وأن يراد الفساق لأن الكلام إنما وقع في الزانيين والإعراض عنهما إن تابا وأصلحا
ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله تعالى ومن كفر فإن الله غني عن العالمين وقوله عليه الصلاة
والسلام فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر لأن من كان مصدقا ومات وهو لم يحدث
نفسه بالتوبة حالته قريبة من حال الكافر لأنه لا يجترئ على ذلك إلا قلب مصمت • يا أيها الذين آمنوا
لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة
مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا • وإن
أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا
وإثما مبينا • وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا • ولا تنكحوا ما نكح
آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا • كانوا يبلون النساء بضروب من
البلاء ويظلمونهن بأنواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل إذا مات له قريب من أب أو أخ أو حميم عن امرأة ألقى ثوبه
عليها وقال أنا أحق بها من كل أحد فقيل لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها أي أن تأخذوهن على سبيل الإرث كما تحاز المواريث
وهن كارهات لذلك أو مكرهات • وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم أن تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن
غير راضيات بإمساككم وكان الرجل إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه
بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن • والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة
بولدها إذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه • إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وشكاسة الخلق وإيذاء
الزوج وأهله بالبذاء والسلاطة أي إلا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع تدل عليه قراءة
أبي رضي الله عنه إلا أن يفحشن عليكم • وعن الحسن الفاحشة الزنا فإن فعلت حل لزوجها أن يسألها الخلع • وقيل
كان الرجل إذا أصابت امرأته فاحشة أخذ منها ما ساق إليها وأخرجها • وعن أبي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل

قوله ما لم يؤخذ بكظمه الكظم مجرى النفس ع

قوله لمجاوزة كل واحد منهما أوان التكليف ع

٧ إلى حضرة الموت ع

الخلع حتى يوجد رجل على بطنها • وعن قتادة لا يحل له أن يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وإن زنت •
وقيل نسخ ذلك بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت
والنفقة والإجمال في القول • فإن كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الأنفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو أصلح
في الدين وأحمد وأدنى إلى الخير وأحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في أسباب الصلاح وكان الرجل إذا طمحت عينه
إلى استطراف امرأة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج غيرها
فقيل وإن أردتم استبدال زوج الآية • والقنطار المال العظيم من قنطرت الشيء إذا رفعته ومنه القنطرة لأنها
بناء مشيد قال كقنطرة الرومي أقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد • وعن عمر رضي الله عنه أنه قام
خطيبا فقال أيها الناس لا تغالوا بصدق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما أصدق امرأة من نسائه أكثر من اثنتي عشرة أوقية فقامت إليه امرأة فقالت يا أمير المؤمنين لم تمنعنا
حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم إحداهن قنطارا فقال عمر رضي الله عنه كل أحد أعلم من عمر ثم قال لأصحابه تسمعونني
أقول مثل هذا فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امرأة ليست من أعلم النساء • والبهتان أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه
وهو بريء منه لأنه يبهت عند ذلك أي يتحير • وانتصب بهتانا على الحال أي باهتين وآثمين أو على أنه مفعول
له وإن لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا • والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كأنه قيل وأخذن
منكم ميثاقا غليظا بإفضاء بعضكم إلى بعض • ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة
فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج • وقيل هو قول الولي عند العقد أنكحتك على ما في كتاب الله من
إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان • وعن النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان في
أيديكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله • كانوا ينكحون روابهم وناس منهم من ذوي مروآتهم يمقتون
ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي • ومن ثم قيل ومقتا كأنه قيل هو فاحشة في دين الله
بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروءة ولا مزيد على ما يجمع القبحين • وقرئ لا تحل لكم بالتاء على أن ترثوا بمعنى
الوراثة • وكرها بالفتح والضم من الكراهة والإكراه • وقرئ بفاحشة مبيِّنة من أبانت بمعنى تبيّنت كما قرئ
مبيَّنة بكسر الياء وفتحها • ويجعل الله بالرفع على أنه في موضع الحال • وآتيتم إحداهن بوصل همزة إحداهن
كما قرئ فلاثم عليه • فإن قلت تعضلوهن ما وجه إعرابه قلت النصب عطفا على أن ترثوا ولا
لتأكيد النفي أي لا يحل لكم أن ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن فإن قلت أي فرق بين تعديتي ذهب بالباء وتعديته
بالهمزة قلت إذا عدي بالباء فمعناه الأخذ والاستصحاب كقوله فلما ذهبوا به وأما الإذهاب فكالإزالة
فإن قلت إلا أن يأتين ما هذا الاستثناء قلت هو استثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له كأنه
قيل ولا تعضلوهن في جميع الأوقات إلا وقت أن يأتين بفاحشة أو ولا تعضلوهن لعلة من العلل إلا لأن يأتين
بفاحشة مبينة • فإن قلت من أين صح قوله فعسى أن تكرهوا جزاء للشرط قلت من حيث إن المعنى فإن
كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه • فإن قلت كيف استثنى
ما قد سلف مما نكح آباؤكم قلت كما استثنى غير أن سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم • يعني إن أمكنكم أن تنكحوا
ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق إلى إباحته كما يعلق
بالمحال في التأبيد في نحو قولهم حتى يبيض القار منه • وحتى يلج الجمل في سم الخياط حرمت عليكم أمهاتكم
وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم
من الرضاعة وأمهات نسائكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا
دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا
ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما • معنى حرمت عليكم أمهاتكم تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح

آباؤكم من النساء ولأن تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير
تحريم أكله • وقرئ وبنات الأخت بتخفيف الهمزة • وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة أما للرضيع
والمراضعة أختا وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع
وبعده فهم إخوته وأخواته لأبيه وأم المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم
إخوته وأخواته لأبيه وأمه ومن ولد لها من غيره فهم إخوته وأخواته لأمه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب إلا في مسألتين إحداهما أنه لا يجوز للرجل أن
يتزوج أخت ابنه من النسب ويجوز أن يتزوج أخت ابنه من الرضاع لأن المانع في النسب وطؤه أمها وهذا المعنى
غير موجود في الرضاع • والثانية لا يجوز أن يتزوج أم أخيه من النسب ويجوز في الرضاع لأن المانع في النسب وطء الأب
إياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع • من نسائكم متعلق بربائبكم ومعناه أن الربيبة من المرأة المدخول
بها محرمة على الرجل حلال له إذا لم يدخل بها • فإن قلت هل يصح أن يتعلق بقوله وأمهات نسائكم قلت
لا يخلو إما أن يتعلق بهن وبالربائب فتكون حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا • وإما أن يتعلق بهن دون
الربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة فلا يجوز الأول لأن معنى من مع أحد المتعلقين خلاف معناه مع الآخر ألا
ترى أنك إذا قلت وأمهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهن وإذا
قلت وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإنك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خديجة وليس بصحيح أن يعني بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيين مختلفين ولا يجوز الثاني لأن الذي يليه هو الذي
يستوجب التعليق به ما لم يعرض أمر لا يرد إلا أن تقول أعلقه بالنساء والربائب وأجعل من للاتصال كقوله سبحانه
وتعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فإني لست منك ولست مني ما أنا من دد ولا الدد مني • وأمهات
النساء متصلات بالنساء لأنهن أمهاتهن كما أن الربائب متصلات بأمهاتهن لأنهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على
تحريم أمهات النساء مبهمة دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله • وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل أن يدخل بها أنه قال لا بأس أن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج أمها • وعن عمر وعمران
ابن الحصين رضي الله عنهما أن الأم تحرم بنفس العقد • وعن مسروق هي مرسلة فأرسلوا ما أرسل الله • وعن ابن عباس
رضي الله عنهما أبهموا ما أبهم الله إلا ما روي عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم أنهم قرؤوا وأمهات نسائكم
اللاتي دخلتم بهن • وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول والله ما نزل إلا هكذا • وعن جابر رضي الله عنه روايتان • وعن
سعيد بن المسيب عن زيد رضي الله عنه إذا ماتت عنده فأخذ ميراثها كره أن يخلف على أمها وإذا طلقها قبل أن يدخل بها
فإن شاء فعل أقام الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب المهر • وسمي ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة
لأنه يربهما كما يرب ولده في غالب الأمر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وإن لم يربهما • فإن قلت ما فائدة قوله في حجوركم
قلت فائدته التعليل للتحريم وأنهن لاحتضانكم لهن أو لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم إذا
دخلتم بأمهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والألفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت
الحال خليقة بأن تجروا أولادهن مجرى أولادكم كأنكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم • وعن علي رضي الله
عنه أنه شرط ذلك في التحريم وبه أخذ داود • فإن قلت ما معنى دخلتم بهن قلت هي كناية عن الجماع
كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني أدخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند
أبي حنيفة رضي الله عنه • وعن عمر رضي الله عنه أنه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال إنها لا تحل لك • وعن
مسروق أنه أمر أن تباع جاريته بعد موته وقال أما إني لم أصب منها إلا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر •
وعن عطاء وحماد بن أبي سليمان إذا نظر إلى فرج امرأة فلا ينكح أمها ولا ابنتها • وعن الأوزاعي إذا دخل بالأم فعراها
ولمسها بيده وأغلق الباب وأرخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها • وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار أن التحريم

لا يقع إلا بالجماع وحده. «الذين من أصلابكم» دون من تبنيتم، وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الأسدية بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة رضي الله عنه، وقال الله سبحانه: لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم. «وأن تجمعوا بين الأختين» في موضع الرفع عطفاً على المحرمات، أي وحرم عليكم الجمع بين الأختين، والمراد حرمة النكاح لأن التحريم في الآية تحريم النكاح. وأما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان وعلي رضي الله عنهما أنهما قالا: أحلتهما آية وحرمتهما آية، يعنيان هذه الآية وقوله «أو ما ملكت أيمانكم»، فرجح علي رضي الله عنه التحريم وعثمان رضي الله عنه التحليل. «إلا ما قد سلف» ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله «إن الله كان غفوراً رحيماً». «والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليماً حكيماً» «والمحصنات» القراءة بفتح الصاد، وعن طلحة بن مصرف أنه قرأ بكسر الصاد، وهن ذوات الأزواج لأنهن أحصن فروجهن بالتزويج فهن محصَنات ومحصِنات. «إلا ما ملكت أيمانكم» يريد ما ملكت أيمانهم من اللاتي سبين ولهن أزواج في دار الكفر، فهن حلال لغزاة المسلمين وإن كن محصنات، وفي معناه قول الفرزدق: وذات حليل أنكحتها رماحنا ... حلال لمن يبني بها لم تطلق. «كتاب الله عليكم» مصدر مؤكد، أي كتب الله ذلك عليكم كتاباً وفرضه فرضاً، وهو تحريم ما حرم. **فإن قلت** علام عطف قوله «وأحل لكم»؟ **قلت** على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله، أي كتب الله عليكم تحريم ذلك وأحل لكم ما وراء ذلكم، ويدل عليه قراءة اليماني: كتب الله عليكم وأحل لكم، وروي عن اليماني: كتب الله عليكم، على الرفع والجمع، أي هذه فرائض الله عليكم. ومن قرأ «وأُحل لكم» على البناء للمفعول فقد عطفه على «حرمت». «أن تبتغوا» مفعول له، بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم إرادة أن يكون ابتغاؤكم بأموالكم التي جعل الله لكم قياماً في حال كونكم محصنين غير مسافحين، لئلا تضيعوا أموالكم وتفقروا أنفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم، ولا مفسدة أعظم مما يجمع بين الخسرانين. والإحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام. «والأموال» المهور وما يخرج في المناكح. **فإن قلت** أين مفعول تبتغوا؟ **قلت** يجوز أن يكون مقدراً وهو النساء، والأجود أن لا يقدر، وكأنه قيل: أن تخرجوا أموالكم. ويجوز أن يكون «أن تبتغوا» بدلاً من «ما وراء ذلكم». والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني، وكان الفاجر يقول للفاجرة: سافحيني وماذيني، من المذي. «فما استمتعتم به منهن» فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع أو خلوة صحيحة أو عقد عليهن «فآتوهن أجورهن» عليه، فأسقط الراجع إلى ما لأنه لا يلبس، كقوله: إن ذلك لمن عزم الأمور، بإسقاط منه. ويجوز أن يكون ما في معنى النساء ومن للتبعيض أو للبيان، ويرجع الضمير إليه على اللفظ في به، أي فآتوهن أجورهن مهورهن لأن المهر ثواب على البضع. «فريضة» حال من الأجور بمعنى مفروضة، أو وضعت موضع إيتاء لأن الإيتاء مفروض، أو مصدر مؤكد، أي فرض ذلك فريضة. «فيما تراضيتم به من بعد الفريضة» فيما تحط عنه من المهر أو تهب له من كله، أو يزيد لها على مقداره. وقيل فيما تراضيا به من مقام أو فراق. وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم نسخت، كان الرجل ينكح المرأة وقتاً معلوماً ليلة أو ليلتين أو أسبوعاً بثوب أو غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها، سميت متعة لاستمتاعه بها أو لتمتيعه لها بما يعطيها. وعن عمر رضي الله عنه: لا أوتى برجل تزوج امرأة إلى أجل إلا رجمتهما بالحجارة. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أباحها ثم أصبح يقول: يا أيها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء، ألا إن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة. وقيل أبيح مرتين وحرم مرتين. وعن ابن عباس رضي الله عنه: هي محكمة، يعني لم تنسخ، وكان يقرأ: فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى. ويروى أنه رجع عن ذلك عند موته وقال: اللهم إني أتوب إليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف. «ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله

تعلم بايمانكم

أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم» الطول الفضل، يقال لفلان على فلان طول، أي زيادة وفضل، وقد طاله طولاً فهو طائل، قال: لقد زادني حباً لنفسي أنني ... بغيض إلى كل امرئ غير طائل. ومنه قولهم: ما خلا منه بطائل، أي بشيء يعتد به مما له فضل وخطر. ومنه الطول في الجسم لأنه زيادة فيه، كما أن القصر قصور فيه ونقصان. والمعنى: ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح أمة. قال ابن عباس رضي الله عنه: من ملك ثلاثمائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الإماء. وهو الظاهر، وعليه مذهب الشافعي رضي الله عنه. وأما أبو حنيفة رحمه الله فيقول: الغني والفقير سواء في جواز نكاح الأمة، ويفسر الآية بأن من لم يملك فراش الحرة، على أن النكاح هو الوطء، فله أن ينكح أمة. وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: ومما وسع الله على هذه الأمة نكاح الأمة واليهودية والنصرانية وإن كان موسراً. وكذلك قوله «من فتياتكم المؤمنات» الظاهر أن لا يجوز نكاح الأمة الكتابية، وهو مذهب أهل الحجاز، وعند أهل العراق يجوز نكاحها، ونكاح الأمة المؤمنة أفضل، فحملوه على الفضل لا على الوجوب، واستشهدوا على أن الإيمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا أنه ليس بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه أفضل. **فإن قلت** لم كان نكاح الأمة منحطاً عن نكاح الحرة؟ **قلت** لما فيه من إتباع الولد الأم في الرق، ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها، ولأنها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة، وذلك كله نقصان راجع إلى الناكح ومهانة، والعزة من صفات المؤمنين. وقوله «من فتياتكم» أي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين. **فإن قلت** فما معنى قوله «والله أعلم بإيمانكم»؟ **قلت** معناه أن الله أعلم بتفاضل ما بينكم وبين أرقائكم في الإيمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم، وربما كان إيمان الأمة أرجح من إيمان الحرة، والمرأة أفضل في الإيمان من الرجل، وحق المؤمنين أن لا يعتبروا إلا فضل الإيمان لا فضل الأحساب والأنساب، وهذا تأنيس بنكاح الإماء وترك الاستنكاف منه. «بعضكم من بعض» أي أنتم وأرقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الإيمان، لا يفضل حر عبداً إلا برجحان فيه. «بإذن أهلهن» اشتراط لإذن الموالي في نكاحهن، ويحتج به لقول أبي حنيفة أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن لأنه اعتبر إذن الموالي لا عقدهم. «وآتوهن أجورهن بالمعروف» وأدوا إليهن مهورهن بغير مطل وضرار وإحواج إلى الاقتضاء واللز. **فإن قلت** الموالي هم ملاك مهورهن لا هن، والواجب أداؤها إليهم لا إليهن، فلم قال «وآتوهن»؟ **قلت** لأنهن وما في أيديهن مال الموالي، فكان أداؤها إليهن أداء إلى الموالي، أو على أن أصله فآتوا مواليهن، فحذف المضاف. «محصنات» عفائف. «والأخدان» الأخلاء في السر، كأنه قيل: غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له. «فإذا أحصن» بالتزويج، وقرئ أحصن. «نصف ما على المحصنات» أي الحرائر «من العذاب» من الحد، كقوله: وليشهد عذابهما، ويدرأ عنها العذاب، ولا رجم عليهن لأن الرجم لا يتنصف. «ذلك» إشارة إلى نكاح الإماء «لمن خشي العنت منكم» لمن خاف الإثم الذي يؤدي إليه غلبة الشهوة. وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر، فاستعير لكل مشقة وضرر، ولا ضرر أعظم من مواقعة المآثم. وقيل أريد به الحد لأنه إذا هويها خشي أن يواقعها فيحد فيتزوج. «وأن تصبروا» في محل الرفع على الابتداء، أي وصبركم عن نكاح الإماء متعففين خير لكم. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: الحرائر صلاح البيت والإماء هلاك البيت. «يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم. والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً. يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً» «يريد الله ليبين لكم» أصله يريد أن يبين لكم، فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين كما زيدت في لا أبا لك لتأكيد إضافة الأب. والمعنى: يريد الله أن يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم. «ويهديكم سنن» مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم. «ويتوب عليكم» ويرشدكم إلى طاعات إن قمتم بها كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم. «والله

يريد ان يتوب عليكم ان تفعلوا ما تستوجبون به ان يتوب عليكم ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما﴾ وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات. وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخت والاخ فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم ﴿يريد الله ان يخفف عنكم﴾ باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص ﴿وخلق الانسان ضعيفا﴾ لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات. وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة النساء. وقرئ ان يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات. وقرأ ابن عباس رضي الله عنه وخلق على البناء للفاعل ونصب الانسان. وعنه ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ ﴿والله يريد ان يتوب عليكم﴾ ﴿يريد الله ان يخفف عنكم﴾ ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ ﴿ان الله لا يغفر ان يشرك به﴾ ﴿ان الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ ﴿ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه﴾ ﴿ما يفعل الله بعذابكم﴾

﴿يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما﴾

بالباطل بما لم يبحه الشرع من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا ﴿الا ان تكون تجارة﴾ الا ان تقع تجارة. وقرئ تجارة على الا ان تكون التجارة تجارة عن تراض منكم والاستثناء منقطع والمعنى ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض او ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه. وقوله عن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراض. وخص التجارة بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها والتراضي رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الايجاب والقبول وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين. ﴿ولا تقتلوا انفسكم﴾ من كان من جنسكم من المؤمنين. وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة. وعن عمرو بن العاص في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقرأ علي رضي الله عنه ولا تقتّلوا بالتشديد ﴿ان الله كان بكم رحيما﴾ اي امر ما نهاكم عنه لفرط رحمته عليكم. وقيل معناه انه امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة. ﴿ذلك﴾ اشارة الى القتل اي ومن يقدم على قتل النفس ﴿عدوانا وظلما﴾ لا خطأ ولا اقتصاصا. وقرئ عدوانا بالكسر ﴿ونصليه﴾ بتخفيف اللام وتشديدها ونَصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ﴿فيصليه﴾ والضمير لله عز وجل او لذلك لكونه سببا للصلي ﴿نارا﴾ مخصوصة شديدة العذاب ﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ لا عسر فيه ولا صارف عنه من ظلم او عفو ﴿كبائر ما تنهون عنه﴾ وقرئ كبير ما تنهون عنه اي كبائر المعاصي التي نهاكم الله عنها والرسول ﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾ نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم ونجعلها كأن لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة انما وصفتا بالكبر والصغر باضافتهما اما الى طاعة او معصية او ثواب فاعلهما والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب ازيد او بندم على الطاعة. وعن علي رضي الله عنه الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف والربا واكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب

بعد الهجرة. وزاد ابن عمر رضي الله عنه السحر واستحلال البيت الحرام. وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار. وقرئ يكفر بالياء ﴿ومُدخلا﴾ بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما ﴿ولا تتمنوا﴾ نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة صادرة من الله عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق او قبض ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض﴾ فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد اخاه على حظه ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا﴾ جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للقبض والبسط كسبا له ﴿واسألوا الله من فضله﴾ ولا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل واسألوا الله من خزائنه التي لا تنفد. وقيل لما قال الرجال ان الله فضلنا على النساء في الدنيا لنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجو ان يكون لنا اجران في الآخرة ولهن اجر واحد فقالت ام سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتب على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت. ﴿ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا﴾ مما ترك بيان لكل اي ولكل مما ترك الوالدان والاقربون من المال جعلنا ورّاثا يلونه ويحرزونه. او ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله. او ولكل احد جعلنا موالي مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون كأنه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون ﴿والذين عاقدت ايمانكم﴾ مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله ﴿فآتوهم نصيبهم﴾ ويجوز ان يكون منصوبا على قوله زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف على الوالدان ويكون الضمير في فآتوهم للموالي. والمراد بالذين عاقدت ايمانهم موالي الموالاة كان الرجل يحالف الرجل فيقول له دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ. وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام. وعند ابي حنيفة رحمه الله لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعي رضي الله عنه. وقيل المعاقدة التبني ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدته ايديكم وماسحتموهم. وقرئ عقّدت بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم.

﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا﴾

﴿قوامون على النساء﴾ يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء. وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة. وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابي حنيفة رحمه الله والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم ﴿وبما انفقوا من اموالهم﴾ وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم في المهور والنفقات. وروي

ان سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال افرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامراته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل • وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا • قانتات مطيعات قائمات بما عليهن للازواج • حافظات للغيب خلاف الشهادة اي حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال • وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا هذه الآية • وقيل للغيب لاسرارهم • بما حفظ الله بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج في كتابه ورسوله فقال استوصوا بالنساء خيرا • او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب • او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية • وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة اي حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم • وقرا ابن مسعود رضي الله عنه فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن • نشوزها ونشوصها ان تعصي زوجها ولا تطمئن اليه واصله الانزعاج • في المضاجع في المراقد اي لا تدخلوهن تحت اللحف وهي كناية عن الجماع • وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع • وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها اي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن في النشوز امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران • وقيل معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء • وقال الزجاج يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه • وعن النبي صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك • وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على احدنا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها • ويروى عن الزبير ابيات منها

ولولا بنوها حولها لخبطتها • خبطة فروج ولم اتلعثم

• فلا تبغوا عليهن سبيلا فازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز • ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم • ويروى ان ابا مسعود الانصاري رضي الله عنه رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام • او ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق ان تعفوا عمن يجني عليكم اذا رجع • وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا

شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار واصله بل مكر في الليل والنهار او على ان جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك صائم • والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء • حكما رجلا مقنعا رضيا يصلح لحكومة العدل والاصلاح بينهما • وانما كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وانما تسكن اليهم نفوس الزوجين ويبرز اليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ولا يحبان ان يطلعوا عليه • **فان قلت** فهل يليان الجمع والتفريق بينهما ان رايا ذلك **قلت** قد اختلف فيه فقيل ليس اليهما ذلك الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما وما جعل حكمين الا وليهما امضاء الامر على ما يقتضيه اجتهادهما • وعن عبيدة السلماني شهدت عليا رضي الله عنه وقد جاءته امراة وزوجها مع كل واحد منهما فئام من الناس فاخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال علي رضي الله عنه للحكمين تدريان

ما عليكما ان عليكما ان رايتما ان تفرقا فرقتما وان رايتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج اما الفرقة فلا فقال علي رضي الله عنه كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المراة رضيت بكتاب الله لي وعلي • وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبي ما قضى الحكمان جاز • والالف في ان يريدا للحكمين • وفي يوفق الله بينهما للزوجين اي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك في وساطتهما واوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة والقى في نفوسهما المودة والرحمة • وقيل الضميران للحكمين اي ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد • وقيل الضميران للزوجين اي ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلب الخير وان يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة • ان الله كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم • واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا • الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا • والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا • وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما • وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبكل من بينكم وبينه قربى من اخ او عم او غيرهما • والجار ذي القربى الذي قرب جواره • والجار الجنب الذي جواره بعيد • وقيل الجار القريب النسيب والجار الجنب الاجنبي وانشد لبلعاء بن قيس لا يجتوينا مجاور ابدا • ذو رحم او مجاور جنب • وقرئ والجار ذا القربى نصبا على الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى تنبيها على عظم حقه لادلائه بحقي الجوار والقرابة • والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا في السفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم علم او حرفة واما قاعدا الى جنبك في مجلس او غير ذلك من ادنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان • وقيل الصاحب بالجنب المراة • وابن السبيل المسافر المنقطع به • وقيل الضيف • والمختال التياه الجهول الذي يتكبر عن اكرام اقاربه [illegible]

[illegible]

عليهم في الإيمان والإنفاق في سبيل الله، والمراد الذم والتوبيخ، وإلا فكل منفعة ومصلحة في ذلك. وهذا كما يقال للمنتقم: ما ضرك لو عفوت، وللعاق: ما كان يرزؤك لو كنت باراً، وقد علم أنه لا مضرة ولا مرزأة في العفو والبر، ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة. وكان الله بهم عليماً وعيد • إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً • فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً • يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً • الذرة النملة الصغيرة، وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه: مثقال نملة. وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه أدخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال: كل واحدة من هؤلاء ذرة. وقيل: كل جزء من أجزاء الهباء في الكوة ذرة. وفيه دليل على أنه لو نقص من الأجر أدنى شيء وأصغره أو زاد في العقاب لكان ظلماً، وأنه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة. وإن تك حسنة: وإن يك مثقال الذرة حسنة، وإنما أنث ضمير المثقال لكونه مضافاً إلى مؤنث. وقرئ بالرفع على كان التامة. يضاعفها: يضاعف ثوابها لاستحقاقها عندنا الثواب في كل وقت من الأوقات المستقبلة غير المتناهية. وعن عثمان النهدي أنه قال لأبي هريرة رضي الله عنه: بلغني عنك أنك تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يعطي عبده المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة، فقال أبو هريرة رضي الله عنه: لا، بل سمعته يقول: إن الله تعالى يعطيه ألفي ألف حسنة، ثم تلا هذه الآية. والمراد الكثير لا التحديد. ويؤت من لدنه أجراً عظيماً: ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيماً، وسماه أجراً لأنه تابع للأجر لا يثبت إلا بثباته. وقرئ يضعّفها بالتشديد والتخفيف من ضعّف وأضعف. وقرأ ابن هرمز رحمه الله: نضاعفها بالنون. فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم إذا جئنا من كل أمة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم، كقوله: وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم. وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيداً. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله: وجئنا بك على هؤلاء شهيداً، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: حسبنا. لو تسوى بهم الأرض: لو يدفنون فتسوى بهم الأرض كما تسوى بالموتى. وقيل: يودون أنهم لم يبعثوا وأنهم كانوا والأرض سواء. وقيل: تصير البهائم تراباً فيودون حالها. ولا يكتمون الله حديثاً: ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم. وقيل: الواو للحال، أي يودون أن يدفنوا تحت الأرض وأنهم لا يكتمون الله حديثاً ولا يكذبون في قولهم: والله ربنا ما كنا مشركين، لأنهم إذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على أفواههم عند ذلك وتكلمت أيديهم وأرجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك، فلشدة الأمر عليهم يتمنون أن تسوى بهم الأرض. وقرئ: تسوى بحذف التاء، وتسّوى بإدغام التاء في السين كقوله: يسّمعون.

يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون • ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفواً غفوراً •

روي أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً وشراباً فدعا نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا، فلما ثملوا جاء وقت صلاة المغرب فقدموا أحدهم ليصلي بهم فقرأ: أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد، فنزلت، فكانوا لا يشربون في أوقات الصلوات، فإذا صلوا العشاء شربوها، فلا يصبحون إلا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون، ثم نزل تحريمها. ومعنى لا تقربوا الصلاة: لا تغشوها ولا تقوموا إليها واجتنبوها، كقوله: ولا تقربوا الزنا، ولا تقربوا الفواحش. وقيل معناه: ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد، لقوله عليه الصلاة والسلام: جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم. وقيل: هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله: [illegible]. وقرئ سكارى بفتح السين، وسكرى على أن يكون جمعاً نحو هلكى وجوعى لأن السكر علة تلحق العقل، أو مفرداً بمعنى وأنتم جماعة سكرى، كقولك امرأة سكرى، وسُكارى بضم السين كحُبالى على أن يكون صفة للجماعة. وحكى جناح بن حبيش: كُسالى وكَسالى بالفتح والضم. ولا جنباً عطف على قوله: وأنتم سكارى، لأن محل الجملة مع الواو النصب على الحال، كأنه قيل: لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنباً. والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجناب. إلا عابري سبيل استثناء من عامة أحوال المخاطبين وانتصابه على الحال. فإن قلت: كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها؟ قلت: كأنه قيل: لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة إلا ومعكم حال أخرى تعذرون فيها وهي حال السفر، وعبور السبيل عبارة عنه. ويجوز أن لا يكون حالاً ولكن صفة لقوله جنباً، أي: ولا تقربوا الصلاة جنباً غير عابري سبيل، أي جنباً مقيمين غير معذورين. فإن قلت: كيف تصح صلاتهم على الجنابة لعذر السفر؟ قلت: أريد بالجنب الذين لم يغتسلوا، كأنه قيل: لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين حتى تغتسلوا إلا أن تكونوا مسافرين. وقال من فسر الصلاة بالمسجد: معناه لا تقربوا المسجد جنباً إلا مجتازين فيه إذا كان الطريق فيه إلى الماء أو كان الماء فيه أو احتلمتم فيه. وقيل: إن رجالاً من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممراً إلا في المسجد فرخص لهم. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأذن لأحد أن يجلس في المسجد أو يمر فيه وهو جنب إلا لعلي رضي الله عنه لأن بيته كان في المسجد. فإن قلت: أدخل في حكم الشرط أربعة: وهم المرضى والمسافرون والمحدثون وأهل الجنابة، فبمن تعلق الجزاء الذي هو الأمر بالتيمم عند عدم الماء منهم؟ قلت: الظاهر أنه تعلق بهم جميعاً، وأن المرضى إذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول إليه فلهم أن يتيمموا، وكذلك السفر إذا عدموه لبعده، والمحدثون وأهل الجنابة كذلك إذا لم يجدوه لبعض الأسباب. وقال الزجاج: الصعيد وجه الأرض تراباً كان أو غيره، وإن كان صخراً لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره، وهو مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه. فإن قلت: فما تصنع بقوله في سورة المائدة: فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، أي بعضه، وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه؟ قلت: قالوا إن من لابتداء الغاية. فإن قلت: قولهم إنها لابتداء الغاية قول متعسف، ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل: مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب إلا معنى التبعيض. قلت: هو كما تقول، والإذعان للحق أحق من المراء. إن الله كان عفواً غفوراً كناية عن الترخيص والتيسير، لأن من كانت عادته أن يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر أن يكون ميسراً غير معسر. فإن قلت: كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين، والمرض والسفر سببان من أسباب الرخصة، والحدث سبب لوجوب الوضوء، والجنابة سبب لوجوب الغسل؟ قلت: أراد سبحانه أن يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون للماء في التيمم بالتراب، فخص أولاً من بينهم مرضاهم وسفرهم لأنهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الأسباب الموجبة للرخصة، ثم عم كل من وجب عليه التطهر وأعوزه الماء لخوف عدو أو سبع، أو عدم آلة استقاء، أو إرهاق في مكان لا ماء فيه، أو غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر. وقرئ: من الغيط، فيحتمل أن يكون تخفيف غيط كهين في هين، والغيط بمعنى الغائط.

ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل • والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً • من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لياً بألسنتهم وطعناً في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً •

ألم تر: من رؤية القلب، وعدي بإلى على معنى ألم ينته علمك إليهم، أو بمعنى ألم تنظر إليهم. أوتوا نصيباً من الكتاب: حظاً من علم التوراة، وهم أحبار اليهود. يشترون الضلالة: يستبدلونها بالهدى، وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والإنجيل. ويريدون أن تضلوا أنتم أيها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه، وتنخرطوا في سلكهم، لا يكفيهم أنهم ضلوا حتى يحبون أن يضل معهم غيرهم. وقرئ: أن يضلوا بفتح الضاد وكسرها. والله أعلم منكم بأعدائكم، وقد أخبركم بعداوة هؤلاء وأطلعكم على أحوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم

في أموركم ولا تستنصحوهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته دونهم ولا تبالوا بهم فإن الله
ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم • من الذين هادوا بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب لأنهم يهود ونصارى • وقوله والله
وقوله والله أعلم وكفى بالله وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض أو بيان لأعدائكم وما
بينهما اعتراض أو صلة لنصيرا أي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا • ويجوز أن يكون كلاما
مبتدأ على أن يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله • وما الدهر إلا تارتان فمنهما
أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح • أي فمنهما تارة أموت فيها • يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه
لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وأزالوه عنها وذلك نحو تحريفهم
أسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله فإن قلت
كيف قيل ههنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه قلت أما عن مواضعه فعلى ما فسرنا من إزالته
عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من إبدال غيره مكانه • وأما من بعد مواضعه
فالمعنى أنه كانت له مواضع هو قمن بأن يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه
ومقاره والمعنيان متقاربان • وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة • غير مسمع
حال من المخاطب أي اسمع وأنت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم أي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لأنه
لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئا • أو اسمع غير مسمع كلاما
ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا أن يكون غير مسمع مفعول اسمع أي اسمع كلاما غير مسمع إياك لأن أذنك
لا تعيه نبوا عنه • ويحتمل المدح أي اسمع غير مسمع مكروها من قولك أسمع فلان فلانا إذا سبه وكذلك قولهم راعنا يحتمل
راعنا نكلمك أي ارقبنا وانتظرنا • ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا
سخرية بالدين وهزءا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والإهانة ويظهرون
به التوقير والإكرام • ليا بألسنتهم فتلا بها وتحريفا أي يفتلون بألسنتهم الحق إلى الباطل حيث يضعون راعنا موضع
انظرنا وغير مسمع موضع لا أسمعت مكروها • أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير
نفاقا فإن قلت كيف جاؤوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا قلت جميع الكفرة
كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء • ويجوز أن يقولوه فيما بينهم • ويجوز أن لا ينطقوا
بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كأنهم نطقوا به • وقرأ أبي رضي الله عنه وأنظرنا من الإنظار وهو الإمهال فإن قلت
إلام يرجع الضمير في قوله لكان خيرا لهم قلت إليهم لأن المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا وأطعنا لكان قولهم ذلك خيرا
لهم • وأقوم وأعدل وأسد • ولكن لعنهم الله بكفرهم أي خذلهم بسبب كفرهم وأبعدهم عن ألطافه • فلا يؤمنون
إلا إيمانا • قليلا أي ضعيفا ركيكا لا يعبأ به وهو إيمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره • وأراد بالقلة العدم
كقوله • قليل التشكي للمهم يصيبه • أي عديم التشكي • أو إلا قليلا منهم قد آمنوا • يا أيها الذين أوتوا الكتاب
آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا
أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا • إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن
يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما • أن نطمس وجوها أي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم فنردها
على أدبارها فنجعلها على هيئة أدبارها وهي الأقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وإن جعلتها للتعقيب
على أنهم توعدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر ردها على أدبارها بعد طمسها فالمعنى أن نطمس وجوها فننكسها الوجوه
إلى خلف والأقفاء إلى قدام • ووجه آخر وهو أن يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة
وبالوجوه رؤوسهم ووجهاؤهم أي من قبل أن نغير أحوال وجهائهم فنسلبهم إقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم
وأدبارهم أو نردهم إلى حيث جاؤوا منه وهي أذرعات الشام يريد إجلاء بني النضير فإن قلت لمن الرجع

في قوله أو نلعنهم قلت الوجه أن يراد الوجهاء أو أصحاب الوجوه لأن المعنى من قبل أن نطمس وجوه قوم أو
يرجع إلى الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات • أو نلعنهم أو نخزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت فإن قلت
فأين وقوع الوعيد قلت هو مشروط بالإيمان وقد آمن منهم ناس • وقيل هو منتظر ولا بد من طمس
ومسخ لليهود قبل يوم القيامة ولأن الله تعالى أوعدهم بأحد الأمرين بطمس وجوه منهم أو بلعنهم
فإن كان الطمس تبديل أحوال رؤسائهم أو إجلاءهم إلى الشام فقد كان أحد الأمرين وإن كان
غيره فقد حصل اللعن فإنهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ ألا ترى إلى قوله
قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير •
وكان أمر الله مفعولا فلا بد أن يقع أحد الأمرين فإن قلت قد ثبت أن الله عز وجل يغفر الشرك
لمن تاب منه وأنه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر إلا بالتوبة فما وجه قوله إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء قلت الوجه أن يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين إلى قوله تعالى لمن يشاء
كأنه قيل إن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على أن المراد بالأول من لم يتب وبالثاني
من تاب ونظيره قولك إن الأمير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن
لا يستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله • فقد افترى إثما أي ارتكبه وهو مفتعل مما لا يصح كونه • ألم
تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا • انظر كيف يفترون على الله الكذب
وكفى به إثما مبينا • ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون
للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا • أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد
له نصيرا • أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا • أم يحسدون الناس على ما آتاهم
الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما • فمنهم
من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا • إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم
نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما
والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها
أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا • الذين يزكون أنفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه
وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى • وقيل جاء رجال من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بأطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن إلا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه
بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت • ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند
الله تعالى فإن قلت أما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأمين في السماء أمين في الأرض قلت إنما
قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل في القسمة إكذابا لهم إذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من شهد الله له
بالتزكية ومن شهد لنفسه وشهد له من لا يعلم • بل الله يزكي من يشاء إعلام بأن تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية
غيره لأنه هو العالم بمن هو أهل للتزكية • ومعنى يزكي من يشاء يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء
فوصفهم به • ولا يظلمون أي الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكيتهم أنفسهم حق جزائهم أو من يشاء يثابون على
زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى • كيف يفترون على الله في زعمهم أنهم عند الله أزكياء
وكفى بزعمهم هذا إثما مبينا من بين سائر آثامهم • الجبت الأصنام وكل ما عبد من دون الله • والطاغوت الشيطان
وذلك أن حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديين خرجا إلى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن
إليكم ففعلوا فهذا إيمانهم بالجبت والطاغوت لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا إبليس فيما فعلوا وقال أبو سفيان أنحن أهدى

سبيله أم هم فقال كعب ماذا يقول محمد قالوا يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا أفعالهم فقال أنتم أهدى سبيلا • وصفهم الله بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما أوتوا من النعمة ويتمنون أن تكون لهم نعمة غيرهم فقال أم لهم نصيب من الملك على أن أم منقطعة ومعنى الهمزة لإنكار أن يكون لهم نصيب من الملك • فإذا لا يؤتون أحدا مقدار نقير لفرط بخلهم • والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير • والمراد بالملك إما ملك أهل الدنيا وإما ملك الله كقوله تعالى قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وهذا أوصف لهم بالشح وأحسن لطباقه نظيره من القرآن • ويجوز أن يكون معنى الهمزة في أم لإنكار أنهم قد أوتوا نصيبا من الملك وكانوا أصحاب أموال وبساتين وقصور مشيدة كما يكون أحوال الملوك وأنهم لا يؤتون أحدا مما يملكون شيئا • وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فإذن لا يؤتوا على إعمال إذن عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في قراءة العامة كأنه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا إذن • أم يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله والمؤمنين على إنكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم • فقد آتينا إلزام لهم بما عرفوه من إيتاء الله الكتاب والحكمة • آل إبراهيم الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأنه ليس ببدع أن يؤتيه الله مثل ما أوتي أسلافه • عن ابن عباس رضي الله عنه الملك في آل إبراهيم ملك يوسف وداود وسليمان صلوات الله عليهم • وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود صلوات الله وسلامه عليه مائة امرأة ولسليمان ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية • فمنهم فمن اليهود من آمن به بما ذكر من حديث آل إبراهيم • ومنهم من صد عنه وأنكره مع علمه بصحته • أو من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من أنكر نبوته • أو من آل إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه من آمن بإبراهيم صلوات الله عليه ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون • بدلناهم جلودا غيرها أبدلناها إياها فإن قلت كيف تعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص قلت العذاب للجملة الحساسة وهي التي عصت لا للجلد • وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات • وعن الحسن سبعين مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس • ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله أي أدامك على عزك وزادك فيه • عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده حكيما لا يعذب إلا بعدل من يستحقه • ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل أليل ويوم أيوم وما أشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك إلا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف إليه التفيؤ تحت ذلك الظل • وفي قراءة عبد الله سيدخلهم بالياء • إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا • يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا • أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها الخطاب عام لكل أحد في كل أمانة • وقيل نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح إليه وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فلوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه يده وأخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فأمر عليا رضي الله عنه أن يرده إلى عثمان ويعتذر إليه فقال عثمان لعلي أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد أنزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان رضي الله عنه أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فهبط جبريل صلوات الله وسلامه عليه وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السدانة في أولاد عثمان أبدا • وقيل خطاب للولاة بأداء الأمانات والحكم بالعدل • وقرئ الأمانة على التوحيد

نعما يعظكم به ما إما أن تكون منصوبة موصوفة بيعظكم به وإما أن تكون مرفوعة موصولة به كأنه قيل نعم شيئا يعظكم به أو نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف أي نعما يعظكم به ذلك وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الحكم • وقرئ نعما بفتح النون • وأولي الأمر منكم المراد بهم أمراء الحق لأن أمراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وإنما يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين لهما في إيثار العدل واختيار الحق والأمر بهما والنهي عن أضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان وكان الخلفاء يقولون أطيعوني ما عدلت فيكم فإن خالفت فلا طاعة لي عليكم • وعن أبي حازم أن مسلمة بن عبد الملك قال له ألستم أمرتم بطاعتنا في قوله وأولي الأمر منكم قال أليس قد نزعت عنكم إذا خالفتم الحق بقوله فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول • وقيل هم أمراء السرايا • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من يطع أميري فقد أطاعني ومن يعص أميري فقد عصاني • وقيل هم العلماء الذين يعلمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر • فإن تنازعتم فإن اختلفتم أنتم وأولو الأمر منكم في شيء من أمور الدين فردوه إلى الله والرسول أي ارجعوا فيه إلى الكتاب والسنة • وكيف تلزم طاعة أمراء الجور وقد جنح الله الأمر بطاعة أولي الأمر بما لا يبقي معه شك وهو أن أمرهم أولا بأداء الأمانات وبالعدل في الحكم وأمرهم آخرا بالرجوع إلى الكتاب والسنة فيما أشكل وأمراء الجور لا يؤدون أمانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا إلى كتاب ولا إلى سنة إنما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم أولو الأمر عند الله ورسوله وأحق أسمائهم اللصوص المتغلبة • ذلك إشارة إلى الرد إلى الكتاب والسنة • خير لكم وأصلح وأحسن تأويلا وأحمد عاقبة • ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا • وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا • فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا • أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا • روي أن بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ثم إنهما احتكما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق أكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر رضي الله عنه فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله تعالى ورسوله فنزلت وقال جبريل صلوات الله عليه وسلامه إن عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الفاروق • والطاغوت كعب بن الأشرف سماه الله طاغوتا لإفراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه أو جعل اختيار التحاكم إلى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم إليه تحاكما إلى الشيطان بدليل قوله عز وعلا وقد أمروا أن يكفروا به • ويريد الشيطان أن يضلهم • وقرئ بما أنزل وما أنزل على البناء للفاعل • وقرأ عباس بن الفضل أن يكفروا بهن ذهابا بالطاغوت إلى الجمع كقوله أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم • وقرأ الحسن تعالوا بضم اللام على أنه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة وأصلها بالية كعافية وكما قال الكسائي في آية أصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت وقعت واو الجمع بعد اللام من تعال فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا • ومنه قول أهل مكة تعالي بكسر اللام للمرأة وفي شعر الحمداني تعالي أقاسمك الهموم تعالي • والوجه فتح اللام • فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني أنهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون أمرا ولا يوردونه • إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم من التحاكم إلى غيرك واتهامهم لك في الحكم • ثم جاؤوك حين يصابون فيعتذرون إليك • ويحلفون ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك إلا إحسانا لا إساءة • وتوفيقا بين الخصمين

ولم يرد بها التقليل ولا التغليظ للحكم فرجع عنا بمثابة وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين
لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار عند حلول بأس الله • وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره
الله فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر رضي الله عنه الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه
وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به • فاعرض عنهم لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة
والنصيحة عما هم عليه • وقل لهم في انفسهم قولا بليغا بالغ في وعظهم بالتخويف والانذار **فان قلت**
بم تعلق قوله في انفسهم **قلت** بقوله بليغا اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه
الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال ان نجم منهم النفاق واطلع قرنه واخبرهم ان ما في نفوسهم
من الدغل والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا لاظهاركم الايمان واسراركم
الكفر واضماره فان فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا السيف • او يتعلق بقوله فقل لهم اي قل لهم في معنى
انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم
ابطانه فاصلحوا انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك
من انتقامه او شرا من ذلك واغلظ • او قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة
لانها في السر انجع وفي الامحاض ادخل • قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله
ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما •
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا
تسليما • ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو انهم
فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا • واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما • ولهديناهم
صراطا مستقيما • وما ارسلنا من رسول وما ارسلنا رسولا قط الا ليطاع باذن الله بسبب اذن الله في طاعته
ولانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله
ومن يطع الرسول فقد اطاع الله • ويجوز ان يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته • ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم
الى الطاغوت • جاءوك تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا • فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص وبالغوا في
الاعتذار اليك من ايذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله • لوجدوا الله توابا لعلموه
توابا اي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول الله وتعظيما
لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان • فلا وربك معناه فوربك كقوله عز وجل
فوربك لنسألنهم اجمعين • ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتاكيد وجوب العلم ولا يؤمنون
جواب القسم **فان قلت** هلا زعمت انها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون **قلت** يابى ذلك استواء النفي
والاثبات فيه وذلك قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم • فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه
الشجر لتداخل اغصانه • حرجا ضيقا اي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لان الشاك في ضيق من امره
حتى يلوح له اليقين • ويسلموا وينقادوا ويذعنوا لما تأتي به من قضائك لا يعارضونه بشيء من قولك سلم الامر
لله واسلم له وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة • وتسليما تاكيد للفعل بمنزلة
تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شان المنافق واليهودي
وقيل في شان الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة
كانا يسقيان بها النخل فقال عليه الصلاة والسلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب
وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى
الجدر فاستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير براي فيه السعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله

صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال
الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله
ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا
انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله
ليعلم مني الصدق لو امرني محمد صلى الله عليه وسلم ان اقتل نفسي لقتلتها • وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود
وعمار بن ياسر رضي الله عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت
في قلوبهم من الجبال الرواسي • وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي
لم يفعل بنا ذلك فنزلت الآية في شان حاطب ونزلت في شان هؤلاء • ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم اي لو اوجبنا عليهم
مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم وخروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل • ما فعلوه
الا ناس منهم قليل وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو في فعلوه • وقرئ الا قليلا بالنصب على اصل الاستثناء
او على الا فعلا قليلا • ما يوعظون به من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته والانقياد لما يراه
ويحكم به لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم • واشد تثبيتا لايمانهم
وابعد من الاضطراب فيه • واذا جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم ايضا بعد التثبيت فقيل واذا لو
ثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء • من لدنا اجرا عظيما كقوله ويؤت من لدنه اجرا عظيما في ان المراد العطاء
المتفضل به من عنده وتسميته اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا باثباته • ولهديناهم ولطفنا بهم ووفقناهم
لازدياد الخيرات ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا • ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما • يا ايها الذين آمنوا
خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا • وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد
انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا • ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة
يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما • الصديقون افاضل صحابة الانبياء الذين تقدموا في تصديقهم كابي
بكر الصديق رضي الله عنه وصدقوا في اقوالهم وافعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة
اقرب عباد الله وارفعهم درجات عنده • وحسن اولئك رفيقا فيه معنى التعجب كانه قيل وما
احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب حسن الوجه
وجهك وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين • والرفيق كالصديق والخليط في استواء
الواحد والجمع فيه • ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز • وروي ان ثوبان مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورضي عنه كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه
يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة
حتى القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة
كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين
وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم • ذلك مبتدا والفضل صفته • من الله الخبر ويجوز ان
يكون ذلك مبتدا والفضل من الله خبره • والمعنى ان ما اعطي المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة
المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم تبعا لثوابهم • وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه واراد ان فضل
المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب

احوالهم • خذوا حذركم الحذر والحذر بمعنى كالإثر والأثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز
من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه • والمعنى احذروا واحترزوا من العدو
ولا تمكنوه من انفسكم • فانفروا اذا نفرتم الى العدو • ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية • او انفروا
مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة • وقرئ فانفروا بضم الفاء • اللام في
لمن للابتداء بمنزلتها في قوله ان الله لغفور رحيم • وفي ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن
اقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمبطئون منهم المنافقون لانهم كانوا يغزون معهم نفاقا • ومعنى
ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد • وبطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اذا ابطأ • وقرئ ليبطئن
بالتخفيف يقال بطأ علي فلان وابطأ علي وبطؤ نحو ثقل ويقال ما ابطأ بك فيعدى بالباء • ويجوز ان
يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد ليبطئن غيره وليثبطه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله
ابن أبي وهو الذي ثبط الناس يوم احد • فان اصابتكم مصيبة من قتل او هزيمة • فضل من الله من فتح او
غنيمة • ليقولن وقرأ الحسن ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لان قوله لمن ليبطئن في معنى
الجماعة • وقوله كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني
والمعنى كأن لم يتقدم له معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان
كانوا اعدى عدو للمؤمنين واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة الا على وجه العكس تهكما بحالهم
وقرئ فافوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز معنى التمني فيكونا متمنيين جميعا • ويجوز
ان يكون خبر مبتدأ محذوف بمعنى فانا افوز في ذلك الوقت • فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة
الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما • وما لكم لا تقاتلون
في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية
الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا • الذين آمنوا يقاتلون في سبيل
الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا
الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق
منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل
قريب • قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا • يشرون بمعنى يشترون ويبيعون
قال ابن مفرغ • وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامة • فالذين يشرون الحيوة الدنيا هم المبطئون
وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد • والذين
يبيعونه هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى ان صد الذين مرضت
قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون • ووعد المقاتل في سبيل الله ظافرا او
مظفورا به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده في اعزاز دين الله • والمستضعفين فيه وجهان ان يكون مجرورا
عطفا على سبيل الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين • ومنصوبا على الاختصاص يعني واخص من سبيل
الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من ايدي الكفار
من اعظم الخير واخصه • والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم
مستذلين يلقون منهم الاذى الشديد وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة
وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم احسن التولي
ونصرهم اقوى النصر ولما خرج استعمل على اهل مكة عتاب بن اسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا • قال ابن

عباس رضي الله عنهما كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة • فان قلت لم ذكر الولدان
قلت تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وامهاتهم ومبغضة لهم
لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا
كما فعل قوم يونس صلوات الله وسلامه عليه وكما وردت السنة باخراجهم في الاستسقاء • وعن ابن عباس رضي الله
عنهما كنت انا وامي من المستضعفين من النساء والولدان • ويجوز ان يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر وبالولدان
العبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة • وقيل الولدان والولائد الولدان لتغليب المذكر على المؤنث
كما يقال الآباء والاخوة • فان قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث • قلت هو وصف للقرية الا انه مسند
الى اهلها فاعطي اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم اهلها ولو انث
فقيل الظالمة اهلها لجاز لا لتأنيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويؤنث • فان قلت هل يجوز من هذه القرية الظالمين
اهلها • قلت نعم كما تقول التي ظلموا اهلها على لغة من يقول اكلوني البراغيث ومنه واسروا النجوى الذين ظلموا •
رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا باخبارهم انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم
يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين الى جنب كيد الله للكافرين اضعف شيء
واوهنه • كفوا ايديكم اي كفوها عن القتال وذلك ان المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا
يتمنون ان يؤذن لهم فيه • فلما كتب عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا
عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت • كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول • فان قلت ما محل كخشية
الله من الاعراب • قلت محلها النصب على الحال من الضمير في يخشون اي يخشون الناس مثل اهل خشية الله اي مشبهين
لاهل خشية الله • او اشد خشية بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله واشد معطوف على الحال • فان قلت
لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدره يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله تعالى
قلت ابى ذلك قوله او اشد خشية لانه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس اشد خشية
لم يكن الا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول خشي فلان اشد خشية فتنصب خشية
وانت تريد المصدر انما تقول اشد خشية فتجرها واذا نصبتها لم يكن اشد خشية الا عبارة عن الفاعل حالا منه
الا ان تجعل الخشية خاشية على حد قولهم جد جده فتزعم ان معناه يخشون الناس خشية مثل خشية
الله او خشية اشد خشية من خشية الله ويجوز على هذا ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد
كخشية الله او كخشية اشد خشية منها • لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت
آخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق • ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من اجوركم على مشاق القتال
فلا ترغبوا عنه • وقرئ ولا يظلمون بالياء • اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة
وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل
من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا • ما اصابك من حسنة فمن الله وما
اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا • من يطع الرسول فقد اطاع
الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا • وقرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كانه قيل فيدرككم
الموت وشبه بقول القائل من يفعل الحسنات الله يشكرها • ويجوز ان يقال حمل على ما يقع موقع اينما تكونوا وهو ولو
كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير يقول لا غائب
ولا حرم • وهو قول نحوي سيبويهي • ويجوز ان يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا اي ولا تنقصون شيئا مما كتب من
آجالكم اينما تكونوا في ملاحم حروب وغيرها • ثم ابتدأ قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا
الوجه على اينما تكونوا • والبروج الحصون • مشيدة مرفوعة • وقرئ مشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه

بالتشديد وهو الجص • وقرأ نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفاً لها بفعل فاعلها مجازاً كما قالوا قصيدة شاعرة وإنما الشاعر قارضها • السيئة تقع على البلية والمعصية • والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقال إن الحسنات يذهبن السيئات • والمعنى وإن تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها إلى الله • وإن تصبهم بلية من قحط وشدة أضافوها إليك وقالوا هي من عندك وما كانت إلا بشؤمك كما حكى الله تعالى عن قوم موسى عليه الصلاة والسلام وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه • وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك • وروي عن اليهود لعنت إنها تشأمت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها فرد الله عليهم • قل كل من عند الله يبسط الأرزاق ويقبضها على حسب المصالح • لا يكادون يفقهون حديثاً فيعلمون أن الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب • ثم قال ما أصابك يا إنسان خطاباً عاماً من حسنة أي من نعمة وإحسان فمن الله تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً وامتحاناً • وما أصابك من سيئة أي من بلية ومصيبة فمن عندك لأنك السبب فيها بما اكتسبت يداك وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير • وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب وما يعفو الله أكثر • وأرسلناك للناس رسولاً أي رسولاً للناس جميعاً لست برسول العرب وحدهم أنت رسول العرب والعجم كقوله عز وجل وما أرسلناك إلا كافة للناس قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً • وكفى بالله شهيداً على ذلك فما ينبغي لأحد أن يخرج عن طاعتك واتباعك • من يطع الرسول فقد أطاع الله لأنه لا يأمر إلا بما أمر الله به ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما أمر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله • وروي أنه قال من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون ألا تسمعون إلى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى أن يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذه رباً كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت • ومن تولى عن الطاعة فأعرض عنه فما أرسلناك إلا نذيراً لا حفيظاً ومهيمناً عليهم تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما أنت عليهم بوكيل •

ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا • أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا • وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا •

ويقولون إذا أمرتهم بشيء طاعة بالرفع أي أمرنا وشأننا طاعة ويجوز النصب بمعنى أطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعاً وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق به يقال لهم كيف أصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كأنه قال أمري وشأني حمد الله ولو نصب حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها • بيت طائفة زورت طائفة وسوت غير الذي تقول خلاف ما قلت وما أمرت به أو خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لأنهم أبطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وإنما ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت إما من البيتوتة لأنه قضاء الأمر وتدبيره بالليل يقال هذا أمر بيت بليل وإما من أبيات الشعر لأن الشاعر يدبرها ويسويها • والله يكتب ما يبيتون في صحائف أعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد • أو يكتبه في جملة ما يوحي إليك فيطلعك على أسرارهم فلا يحسبوا أن إبطانهم يغني عنهم • فأعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم • وتوكل على الله في شأنهم فإن الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم إذا قوي أمر الإسلام وعز أنصاره • وقرئ بيت طائفة بالإدغام وتذكير الفعل لأن تأنيث الطائفة غير حقيقي ولأنها في معنى الفريق والفوج • تدبر الأمر تأمله والنظر في إدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تأمل فمعنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتبصر ما فيه • لوجدوا فيه اختلافاً

كثيراً لكان الكثير منه مختلفاً متناقضاً قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغاً حد الإعجاز وبعضه قاصراً عنه يمكن معارضته وبعضه إخباراً بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه إخباراً مخالفاً للمخبر عنه وبعضه دالاً على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالاً على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق أخبار علم أنه ليس إلا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه أحد سواه

فإن قلت أليس نحو قوله فإذا هي ثعبان مبين كأنها جان فوربك لنسألنهم فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان من الاختلاف **قلت** ليس باختلاف عند المتدبرين • هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال ولا استبطان للأمور كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة أو خوف وخلل أذاعوا به وكانت إذاعتهم مفسدة • ولو ردوا ذلك الخبر إلى رسول الله وإلى أولي الأمر منهم وهم كبراء الصحابة البصراء بالأمور أو الذين كانوا يؤمرون منهم • لعلمه لعلم تدبير ما أخبروا به • الذين يستنبطونه منهم الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها • وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء أو على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الأعداء فتعود إذاعتهم مفسدة ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر وفوضوه إليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطونه منهم تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه • وقيل كانوا يسمعون من أفواه المنافقين شيئاً من الخبر عن السرايا مظنوناً غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالاً على المؤمنين • ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع أو لا يذاع • لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع أو لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر أي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال أذاع السر وأذاع به • قال أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب • ويجوز أن يكون المعنى فعلوا به الإذاعة وهو أبلغ من أذاعوه • وقرئ لعلمه بإسكان اللام كقوله فإن أهجه يضجر كما يضجر بازل • من الأدم دبر صفحتاه وغاربه • والنبط الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفر وإنباطه واستنباطه إخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم • ولولا فضل الله عليكم ورحمته وهو إرسال الرسول وإنزال الكتاب والتوفيق لاتبعتم الشيطان [illegible] إلا قليلاً منكم

فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلا • من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا • وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا

فقاتل في سبيل الله إن أفردوك وتركوك وحدك • لا تكلف إلا نفسك [illegible] وحرض المؤمنين [illegible] القتال [illegible] وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد أبا سفيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس إلى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه إلا سبعون لم يلو على أحد ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده • وحرض المؤمنين وما عليك في شأنهم إلا التحريض فحسب لا التعنيف بهم • عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا وهم قريش وقد كف بأسهم فقد بدا لأبي سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد إلا السويق ولا يلقون إلا في عام مخصب فرجع بهم • والله أشد بأساً من قريش وأشد تنكيلاً تعذيباً • الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر أو جلب إليه خير وابتغي بها وجه الله ولم تؤخذ عليها رشوة وكانت في أمر جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق • والسيئة ما كان بخلاف ذلك • وعن مسروق أنه شفع شفاعة فأهدى إليه المشفوع جارية فغضب وردها

وقال الرجل ما في قلبك مما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها • وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معنى
الشفاعة الى الله • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك
مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك • شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا واقات على الشيء قال
الزبير بن عبد المطلب • وذي ضغن كففت النفس عنه • وكنت على اساءته مقيتا • وقال السموأل • الي الفضل ام علي
اذا حوسبت اني على الحساب مقيت • واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها • باحسن منها ان تقول
وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان تزيد وبركاته اذا قال ورحمة الله • وروي ان رجلا قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله • وقال اخر السلام عليك ورحمة الله
فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته • وقال اخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل
انقصتني فاين ما قال الله وتلا الاية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله • او ردوها اجيبوها
بمثلها • ورد السلام ورجعه جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره • وجواب التسليمة واجب والتخيير انما
وقع بين الزيادة وتركها • وعن ابي يوسف رحمه الله من قال لاخر اقرأ فلانا السلام وجب عليه ان يفعل • وعن النخعي
السلام سنة والرد فريضة • وعن ابن عباس رضي الله عنه الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم
ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة • ولا يرد السلام في الخطبة
وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة • وعن ابي يوسف
رحمه الله لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر
في حمام وغيره • وعن الطحاوي رحمه الله ان المستحب رد السلام على الطهارة • وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه تيمم لرد السلام • قالوا ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته ولا يسلم على الاجنبية • ويسلم
الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر
واذا التقيا ابتدرا • وعن ابي حنيفة رحمه الله لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير • وعن النبي صلى الله عليه
وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم •
وروي لا تبتدئ اليهودي بالسلام وان بدأك فقل وعليك • وعن الحسن يجوز ان يقول للكافر وعليك
السلام ولا يقل ورحمة الله فانها استغفار • وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام
ورحمة الله فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش • وقد رخص بعض العلماء في ان يبدأ اهل الذمة بالسلام
اذا دعت الى ذلك حادثة تحوج اليهم وروي ذلك عن النخعي • وعن ابي حنيفة رحمه الله لا يبدأ به في كتاب
ولا غيره • وعن ابي يوسف رحمه الله لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع
الهدى ولا باس بالدعاء بما يصلحه في دنياه • على كل شيء حسيبا اي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها
الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا • فما لكم في المنافقين
فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا
ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله
فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا • الا الذين يصلون
الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاءوكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء
الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا
ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم
ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم
عليهم سلطانا مبينا • لا اله الا هو اما خبر للمبتدا او اعتراض والخبر ليجمعنكم ومعناه الله والله

ليجمعنكم الى يوم القيمة اي ليحشرنكم اليه • والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور
او قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين • ومن اصدق من الله حديثا لا احد اصدق [illegible]
لا يجوز عليه الكذب مستقل بصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه وهو قبح لذاته لكونه كذبا واخبارا
عن الشيء بخلاف ما هو عليه من الكذب لم يكذب الا لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني
عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما
نطق وربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء انه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت
لهواتك به ما فارقته • وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الذي
لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح • فئتين نصب على الحال
كقولك ما لك قائما • روي ان قوما من المنافقين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو
معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال
بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون • وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا • وقيل هم قوم خرجوا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا • وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا • وقيل
هم قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة • ومعناه ما لكم اختلفتم في شان قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم
فيهم فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم • والله اركسهم اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا • بما كسبوا من ارتدادهم
ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم • او اركسهم في الكفر بان خذلهم حتى اركسوا فيه لما
علم من مرض قلوبهم • اتريدون ان تهدوا ان تجعلوا من جملة المهتدين • من اضل الله من جعله من جملة الضلال وحكم
عليه بذلك او خذله حتى ضل • وقرئ ركسهم وركسوا فيها • فتكونون عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني
لجاز والمعنى ودوا كفركم وكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الاباء فلا تتولوهم
وان آمنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من اغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها
بداء ولا تعرب • فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل
والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم • الا الذين يصلون استثناء من قوله
فخذوهم • ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون بهم • وعن ابي عبيدة هو من الانتساب وانكره فقال
لقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من منهم من يصلون بالنسب • والقوم هم الاسلميون كان بينهم
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا
يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجا اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال • وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة
كانوا في الصلح • او جاءوكم لا يخلو من ان يكون معطوفا على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او
قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين كانه قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم
والوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بعد قوله
فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع
بهم • فان قلت كل واحد من الاتصالين له تاثير في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال
بالمعاهدين والاتصال بالكافين لان الاتصالين لولا هو لا دخول في حكمهم فهل يجوز ان يكون العطف على صفة
قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالكافين واختلاطهم فيهم وجريهم على سننهم • قلت هو جائز
ولكن الاول اظهر واجرى على اسلوب الكلام • وفي قراءة ابي رضي الله عنه بينكم وبينهم ميثاق جاءوكم حصرت
صدورهم بغير او ووجهه ان يكون جاءوكم بيانا ليصلون او بدلا او استئنافا او صفة بعد صفة لقوم • حصرت

صدورهم في موضع الحال باضمار قد والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرة صدورهم
وحاصرات صدورهم وجعل المبرد صفة لموصوف محذوف على او جاؤوكم قوما حصرت صدورهم • وقيل
هو بيان لجاؤوكم وهم بنو مدلج جاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين • والحصر الضيق والانقباض
ان يقاتلوكم عن ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم فان قلت كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت
ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا مسلطين
مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط • وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد • فان اعتزلوكم فلم يتعرضوا لكم
• والقوا اليكم السلم الانقياد والاستسلام • وقرئ بسكون اللام مع فتح السين • فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم
في اخذهم وقتلهم • ستجدون آخرين هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين
فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين • اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح
قلب واشنعه وكانوا شرا من كل عدو • حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم • سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم
وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام • او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم • وما كان
لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان
يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق
فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان
الله عليما حكيما • ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد
له عذابا عظيما • وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله تعالى وما كان لنبي ان يغل وما يكون
لنا ان نعود فيها • ان يقتل مؤمنا ابتداء غير قصاص الا خطأ الا على وجه الخطأ • ويجوز ان يكون حالا بمعنى
لا يقتله في حال من الاحوال الا في حال الخطأ وان يكون صفة للمصدر اي الا قتلا خطأ • والمعنى ان من شأن المؤمن ان ينتفي
عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا
على انه كافر فاذا هو مسلم • وقرئ خطاء بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة • وروي ان عياش بن ابي ربيعة وكان
اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقسمت امه لا تاكل
ولا تشرب ولا يأويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو
جهل في الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما
فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك
خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل بلسانه مطمئنا ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء
ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر
باسلامه فنزلت • فتحرير رقبة فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد
ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها • وحر الوجه اكرم موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل اي
لئيم الفعل • والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق • والمراد برقبة
مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الاسلام عند عامة العلماء • وعن الحسن لا تجزئ الا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزئ
الصغيرة وقاس عليها الشافعي كفارة الظهار فاشترط الايمان • وقيل لما اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء لزمه ان يدخل
نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار • مسلمة الى اهله
مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء فيقضى منها الدين وتنفذ
الوصية واذا لم يبق وارث فهي لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
وارث من لا وارث له • وعن عمر رضي الله عنه انه قضى بدية المقتول فجاءت امرأته تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلمك

شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يامرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم فورثها عمر رضي الله عنه • وعن ابن مسعود رضي الله عنه يرث
كل وارث من الدية غير القاتل • وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ وصية • وعن ربيعة الغرة لام الجنين
وحدها وذلك خلاف قول الجماعة فان قلت على من تجب الرقبة والدية قلت على القاتل الا ان الرقبة في ماله
والدية تتحملها عنه العاقلة فان لم تكن له عاقلة فهي في بيت المال فان لم يكن ففي ماله • الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا
عليه بالدية ومعناه العفو كقوله الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم • وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف
صدقة • وقرأ ابي رضي الله عنه الا ان يتصدقوا فان قلت بم تعلق قوله ان يصدقوا وما محله قلت تعلق
بعليه او بمسلمة كانه قيل وتجب عليه الدية او يسلمها الا حين يتصدقون عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير
حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا من اهله بمعنى الا متصدقين • من قوم عدو لكم
من قوم كفار اهل حرب وذلك نحو رجل اسلم في قوم كفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطأ
وليس على عاقلته لاهله شيء لانهم كفار محاربون • وقيل كان الرجل يسلم ثم يأتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش
المسلمين فيقتل فيهم خطأ لانهم يظنونه كافرا مثلهم • وان كان من قوم كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين هادنوا المسلمين
واهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من مسلمين • فمن لم يجد رقبة يعني لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه
صيام شهرين • توبة من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه
او نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه • هذه الآية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم
وخطب غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة • وعن سفيان كان
اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة
وناهيك بمحو الشرك دليلا • وفي الحديث لزوال الدنيا اهون عند الله من قتل امرئ مسلم • وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق
وآخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه • وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه • وفيه من اعان على قتل
مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله • والعجب من قوم يقرؤون هذه الآية ويرون
ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة
واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب
اقفالها • ثم ذكر الله سبحانه التوبة في قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم
للاطماع واي حسم ولكن لا حياة لمن تنادي فان قلت هل فيها دليل على خلود من لم
يتب من اهل الكبائر قلت ما ابين الدليل فيها وهو تناول قوله ومن يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب
الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله • يا ايها الذين آمنوا اذا
ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله
مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا • فتبينوا وقرئ فتثبتوا
وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية • وقرئ السلم
والسلام وهما الاستسلام • وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام لست مؤمنا وقرئ مؤمنا بفتح الميم
من امنه اي لا نؤمنك • واصله ان مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى
الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام
عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال
قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة

فما زال يعيدها حتى وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ ثم استغفر لي وقال أعتق رقبة • تبتغون عرض الحيوة الدنيا
تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم إلى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه
• فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الإسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله • كذلك
كنتم من قبل أول ما دخلتم في الإسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فحقنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار
الاطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم • فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالإيمان والتقدم فيه وأن صرتم
أعلاما فيه فعليكم أن تفعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل بكم وأن تعتبروا ظاهر الإسلام في الكافة ولا تقولوا
إن تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما إلى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله • وقوله
فتبينوا تكرير للأمر بالتبيين ليؤكد عليهم • إن الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين
محتاطين في ذلك لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم
وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى •
وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما • درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما
غير أولي الضرر قرئ بالحركات الثلاث • فالرفع صفة للقاعدين • والنصب استثناء منهم أو حال عنهم • والجر
صفة للمؤمنين • والضرر المرض أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها • وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه كنت
إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت أن ترضها ثم سري
عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن أم مكتوم وكان أعمى يا رسول
الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم قال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون
من المؤمنين فقال غير أولي الضرر قال زيد أنزلها الله وحدها فألحقتها والذي نفسي بيده لكأني أنظر إلى ملحقها عند صدع
في الكتف • وعن ابن عباس رضي الله عنه لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون إليها • وعن مقاتل إلى تبوك •
فإن قلت معلوم أن القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء قلت معناه الإذكار بما
بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب
فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أريد به التحريك من حمية الجاهل وأنفته
ليهاب به إلى التعلم ولينهض بنفسه عن صفة الجهل إلى شرف العلم • فضل الله المجاهدين جملة موضحة لما نفي من استواء
المجاهدين والقاعدين كأنه قيل ما لهم لا يستوون فأجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير أولي الضرر لكون الجملة
بيانا للجملة الأولى المتضمنة لهذا الوصف • وكلا وكل فريق من المجاهدين والقاعدين • وعد الله الحسنى
وهي الجنة وإن كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة • وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم
بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم
ونصحت جيوبهم وكانت أفئدتهم تهوي إلى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر أو غيره •
فإن قلت قد ذكر الله مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم قلت أما المفضلون
درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الأضراء • وأما المفضلون درجات فالذين فضلوا
على القاعدين الذين أذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لأن الغزو فرض كفاية • فإن قلت لم
نصب درجة وأجرا ودرجات قلت نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كأنه
قيل فضلهم تفضيلة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة • وأما أجرا فقد انتصب
بفضل لأنه في معنى أجرهم أجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من أجرا • ويجوز أن ينتصب درجات
نصب درجة كما تقول ضربه أسواطا بمعنى ضربات كأنه قيل وفضلهم تفضيلات ونصب أجرا
عظيما على أنه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة بإضمار

فعلهما

فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة • إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا
فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها
فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا • إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان
لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا • فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان
الله عفوا غفورا • توفاهم يجوز أن يكون ماضيا كقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة
من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى أن الله يوفي الملائكة أنفسهم فيتوفونها أي يمكنهم من استيفائها
فيستوفونها • ظالمي أنفسهم في حال ظلمهم أنفسهم • قالوا قال الملائكة للمتوفين • فيم كنتم في أي شيء
كنتم من أمر دينكم وهم ناس من أهل مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة • فإن قلت
كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الأرض جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب أن يقولوا كنا في كذا أو لم
نكن في شيء قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بأنهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا
فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وأنهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا
في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها أرادوا إنكم كنتم قادرين على الخروج
من مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من إظهار دينكم ومن الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم • كما
فعل المهاجرون إلى أرض الحبشة وهذا دليل على أن الرجل إذا كان في بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه
كما يجب لبعض الأسباب والعوائق عن إقامة الدين لا تنحصر أو علم أنه في غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة
حقت عليه المهاجرة • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا
من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد صلى الله وسلم عليهما • اللهم إن كنت تعلم
أن هجرتي إليك لم تكن إلا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك
وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة • ثم استثنى من أهل الوعيد المستضعفين
الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك • وروي أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعث بهذه الآية إلى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة أو ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فإني لست من
المستضعفين وإني لأهتدي الطريق والله لا أبيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها إلى المدينة وكان شيخا
كبيرا فمات بالتنعيم • فإن قلت كيف أدخل الولدان في جملة المستثنين من أهل الوعيد [illegible]
[illegible] مع الرجال والنساء [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
لأن الموصوف وإن كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه كقوله ولقد أمر على اللئيم يسبني • فإن قلت
[illegible] قلت
لم قيل عسى الله أن يعفو عنهم بكلمة الإطماع قلت للدلالة على أن ترك الهجرة أمر مضيق لا توسعة فيه حتى إن
المضطر البين الاضطرار من حقه أن يقول عسى الله أن يعفو عني فكيف بغيره • ومن يهاجر في سبيل الله يجد
في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره
على الله وكان الله غفورا رحيما • مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه أي يفارقهم على رغم أنوفهم
والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل إذا فارقته وهو يكره مفارقتك

لمنة تلحقه بذلك. قال النابغة الجعدي: كطود يلاذ بأركانه عزيز المراغم والمذهب. وقرئ
مَرْغَمًا. وقرئ ثم يدركُه الموتُ بالرفع على أنه خبر مبتدإ محذوف، وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كأنه أراد أن
يقف عليها ثم نقل حركة الهاء إلى الكاف كقوله: من عنزي سبني لم أضربه. وقرئ يدركَه بالنصب على إضمار أن كقوله:
وألحق بالحجاز فأستريحا. فقد وقع أجره على الله فقد وجب ثوابه. وروي في قصة جندب بن ضمرة رضي الله عنه
أنه لما أدركه الموت أخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال: اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه
رسولك، فمات حميدا، فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم فقالوا: لو توفي بالمدينة لكان أتم
أجرا، فقال المشركون وهم يضحكون: ما أدرك هذا ما طلب، فنزلت. وقالوا: كل هجرة لغرض ديني من طلب علم أو حج أو جهاد
أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة وزهدا أو ابتغاء رزق طيب فهي هجرة إلى الله ورسوله وإن أدركه الموت في
طريقه فأجره واقع على الله. وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن
يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا. وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة
فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة
أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم
وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا
أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا. الضرب في الأرض هو السفر وأدنى مدة
السفر الذي يجوز فيه القصر عند أبي حنيفة ثلاثة أيام ولياليهن بسير الإبل ومشي الأقدام على القصد ولا
اعتبار بإبطاء الضارب وإسراعه فلو سار مسيرة ثلاثة أيام في مسيرة ثلاثة أيام لم يقصر. وعند الشافعي رضي الله
عنه أدنى مدة السفر أربعة برد مسيرة يومين. وقوله عز وجل فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ظاهره
التخيير بين القصر والإتمام وأن الإتمام أفضل وإلى التخيير ذهب الشافعي. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتم
في السفر. وعن عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة حتى إذا قدمت
مكة قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي قصرت وأتممت وصمت وأفطرت فقال أحسنت يا عائشة
وما عاب علي. وكان عثمان رضي الله عنه يتم ويقصر. وعند أبي حنيفة رحمه الله القصر في السفر عزيمة غير رخصة
لا يجوز غيره. وعن عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم. وعن عائشة رضي الله عنها أول
ما فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فأقرت في السفر وزيدت في الحضر. فإن قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح
أن تقصروا؟ قلت كأنهم ألفوا الإتمام فكانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح
لتطيب أنفسهم بالقصر ويطمئنوا إليه. وقرئ تقصروا من أقصر وجاء في الحديث إقصار الخطبة بمعنى تقصيرها. وقرأ
الزهري تقصّروا بالتشديد. والقصر ثابت بنص القرآن في حال الخوف خاصة وهو قوله إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا
وأما في حال الأمن فبالسنة. وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه من الصلاة أن يفتنكم ليس فيها إن خفتم على أنه مفعول له
بمعنى كراهة أن يفتنكم. والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره. وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة تعلق بظاهره
من لا يرى صلاة الخوف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شرط كونه فيهم. وقال من رآها بعده: إن الأئمة نواب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل إمام يكون حاضرا
الجماعة في حال الخوف عليه أن يؤمهم كما أمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجماعات التي كان يحضرها. والضمير في
فيهم للخائفين. فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم إحداهما معك فصل بهم. وليأخذوا
أسلحتهم الضمير إما للمصلين وإما لغيرهم فإن كان للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة
كالسيف والخنجر ونحوهما وإن كان لغيرهم فلا كلام فيه. فإذا سجدوا فليكونوا يعني غير المصلين من ورائكم
يحرسونكم. وصفة صلاة الخوف عند أبي حنيفة رحمه الله أن يصلي الإمام بإحدى الطائفتين ركعة والأخرى

بإزاء العدو ثم تنصرف هذه إلى إزاء العدو وتأتي الأخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلاته ثم تقف بإزاء العدو وتأتي
الأولى فتؤدي الركعة بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تحرس وتأتي الأخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلاتها. و
النبي عليه السلام ظاهر عند أبي حنيفة رضي الله عنه. وعند مالك رحمه الله ينبغي الصلاة لأن الإمام عنده يصلي بطائفة
ركعة وتقف قائما حتى تتم صلاتها وتسلم وتذهب ثم يصلي بالثانية ركعة ويقف قاعدا حتى تتم
صلاتها فيسلم بهم. وبعضه: ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك. وقرئ وأمتعاتكم.
فإن قلت كيف جمع بين الأسلحة وبين الحذر في الأخذ؟ قلت جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ
آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ وجعلا مأخوذين. ونحوه قوله تعالى: والذين
تبوءوا الدار والإيمان، جعل الإيمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء.
فيميلون عليكم فيشدون عليكم شدة واحدة. ورخص لهم في وضع الأسلحة إن ثقل عليهم حملها بسبب
ما يبلهم من مطر أو يضعفهم من مرض، وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو.
فإن قلت كيف طابق الأمر بالحذر قوله إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا؟ قلت الأمر بالحذر من العدو
يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الإيهام بإخباره أن الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم
عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لذلك وإنما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة.
فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا. ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون
من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما. إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا
تكن للخائنين خصيما. واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما. ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم
إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما. فإذا قضيتم الصلاة فإذا صليتم في حال الخوف والقتال فاذكروا
الله فصلوها قياما مسايفين ومقارعين، وقعودا جاثين على الركب مرامين، وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح.
فإذا اطمأننتم حين تضع الحرب أوزارها وأمنتم فأقيموا الصلاة فاقضوا ما صليتم في تلك الأحوال التي هي
أحوال القلق والانزعاج. إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا مكتوبا محدودا بأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها
على أي حال كنتم خوف أو أمن. وهذا ظاهر على مذهب الشافعي رضي الله عنه في إيجابه الصلاة على المحارب في حال
المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة إذا حضر وقتها فإذا اطمأن فعليه القضاء. وأما عند أبي حنيفة رضي الله
عنه فهو معذور في تركها إلى أن يطمئن. وقيل معناه فإذا قضيتم صلاة الخوف فأديموا ذكر الله مهللين
مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد في كافة أحوالكم من قيام وقعود واضطجاع فإن ما أنتم فيه
من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجأ إليه. فإذا اطمأننتم فإذا أقمتم فأقيموا الصلاة فأتموها. ولا
تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم. ثم ألزمهم الحجة بقوله إن
تكونوا تألمون أي ليس ما تجدون من الألم بالجرح والقتل مختصا بكم إنما هو أمر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم
كما يصيبكم ثم إنهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم أجدر منهم بالصبر لأنكم ترجون
من الله ما لا يرجون من إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب العظيم في الآخرة. وقرأ الأعرج أن تكونوا بالفتح بمعنى
ولا تهنوا لأن تكونوا تألمون. وقوله فإنهم يألمون تعليل. وقرئ فإنهم يئلمون كما تئلمون. وروي أن
هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا. وروي أن طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة
بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع
عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي

قوله طعمة بكسر الطاء عن الصغاني وبفتحها عن المطرزي

فقال بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح
وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل وان يعاقب اليهودي وقيل هم ان يقطع يده فنزلت وروي
ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله بما اراك الله بما عرفك
واوحى به اليك وعن عمر رضي الله عنه لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه ولكن ليجتهد
رأيه لان الرأي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لان الله كان يريه اياه وهو منا الظن والتكلف ولا تكن
للخائنين خصيما ولا تكن لاجل الخائنين تخاصم البراء يعني لا تخاصم اليهودي لاجل بني ظفر واستغفر الله مما هممت
به من عقاب اليهودي يختانون انفسهم يخونونها بالمعصية كقوله عز وجل علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت
معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لان الضرر راجع اليهم فان قلت لم قيل للخائنين يختانون
انفسهم وكان السارق طعمة وحده قلت لوجهين احدهما ان بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء
له في الاثم والثاني انه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه فان قلت
لم قيل خوانا اثيما على المبالغة قلت كان الله عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب
المآثم ومن كانت تلك خالقته امره لم يشك في حاله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها
اخوات وعن عمر رضي الله عنه انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة
سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة يستخفون من الناس ولا يستخفون
من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ها انتم
هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا
ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب اثما
فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم
به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة
منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة
وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما لا خير في كثير من نجواهم الا من امر
بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه
اجرا عظيما يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا
يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية
ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين انهم في حضرته
لا سترة ولا غيبة وليس الا الكشف الصريح والافتضاح اذ يبيتون يدبرون ويزورون واصله ان يكون بالليل
ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي الدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببراءته فان قلت
كيف سمي التدبير قولا وانما هو معنى في النفس قلت لما حدث بذلك نفسه سمي قولا على المجاز ويجوز ان
يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بيته وتوركه الذنب على اليهودي ها انتم هؤلاء ها
للتنبيه في انتم واولاء مبتدأ وخبر وجادلتم جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كما تقول لبعض الاسخياء
انت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته
والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه
وقرأ عبد الله رضي الله عنه عنه اي عن طعمة وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه ومن يعمل
سوءا قبيحا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب
وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة

فتلزم الحجة مع العلم بما يكون منه او لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه فانما يكسبه على نفسه
اي لا يتعداه ضرره الى غيره فليتق نفسه من يكسب خطيئة صغيرة او اثما او كبيرة ثم يرم به بريئا
كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا بسبب الاثم الآخر ورمي البريء باهتة فهو جامع بين الامرين
وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة واصله يكتسب ولولا فضل الله عليك
ورحمته بالعصمة والطاف ما اوحى اليك من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر ان يضلوك
عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان الجاني هو صاحبهم فقد روي ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه
القصة وما يضلون الا انفسهم لان وباله عليهم وما يضرونك من شيء لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان
يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور او من امور الدين
والشرائع ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم الى الناس وقيل الآية في المنافقين لا خير
في كثير من نجواهم من تناجي الناس الا من امر بصدقة الا نجوى من امر على انه مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير
في قيامهم الا قيام زيد ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير
وقيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف وقيل هو عام في كل جميل ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب
وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبي صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له
الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وسمع سفيان رجلا يقول ما اشد هذا الحديث فقال الم
تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا بعينه اوما سمعته يقول والعصر ان الانسان لفي خسر فهو
هو بعينه وشرط في استيجاب الاجر العظيم ان ينوي فاعله عبادة الله والتقرب اليه وان يبتغي به وجهه خالصا
لان الاعمال بالنيات فان قلت كيف قال الا من امر ثم قال ومن يفعل ذلك قلت قد ذكر الامر بالخير
ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل فذكر الفاعل
وقرن به الوعد بالاجر العظيم ويجوز ان يراد ومن يأمر فعبر عن الامر بالفعل كما يعبر به عن سائر الافعال
وقرئ يؤتيه بالياء ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى
ونصله جهنم وساءت مصيرا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله
فقد ضل ضلالا بعيدا ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال
لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم
فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم
وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا والذين آمنوا وعملوا
الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله
قيلا ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو دليل على ان الاجماع حجة
لا يجوز مخالفتها كما لا يجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله عز وجل جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة
الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول عليه السلام نوله ما تولى
نجعله واليا لما تولى من الضلال بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وقرئ ونصله بفتح النون
وقيل هي في طعمة وارتداده ان الله لا يغفر ان يشرك به تكرير للتأكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروي انه مات مشركا
وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم
اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جرأة على الله
وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت
ان يدعون من دونه الا اناثا اللات والعزى ومناة

ولهم صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان • وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله تعالى الله عن
ذلك علوا كبيرا • وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله • وقرئ أُنُثًا جمع أنيث كغدير وغُدُر وأُثُنًا
جمع اُثُن بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك أسد وأُسُد وقلب الواو همزة نحو أُجوه في وجوه • وقرأت عائشة
رضي الله عنها اوثانا • وان يدعون وان يعبدون بعبادة الاصنام • الا شيطانا لانه هو الذي
اغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة • لعنه الله وقال لأتخذن صفتان بمعنى شيطانا
مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع • نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا فرضته لنفسي من قولهم
فرض له في العطاء وفرض الجند رزقه • قال الحسن من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار • ولأمنينهم الاماني الباطلة
من طول الاعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك
• ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام تبتيكهم الآذان فعلهم بالبحائر كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على
انفسهم الانتفاع • ولآمرنهم فليغيرن خلق الله فقء عين الحامي واعفاؤه عن الركوب • وقيل الخصاء وهو في قول
عامة العلماء مباح في البهائم واما في بني آدم فمحظور • وعند ابي حنيفة رحمه الله يكره شرى الخصيان وامساكهم
واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم • وقيل فطرة الله التي هي دين الاسلام • وقيل للحسن ان عكرمة
يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله • وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات
والمتنمصات والمستوشمات المغيرات خلق الله • وقيل التخنث • وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه
والثاني مؤكد لغيره • ومن اصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ **فان قلت** ما فائدة هذه التوكيدات **قلت**
معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وامانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه ترغيبا للعباد
في ايثار ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون في عاقبته غصص اخلاف مواعيد الشيطان ليس بامانيكم
ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا • ومن يعمل من الصالحات
من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا • ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو
محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا • ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله
بكل شيء محيطا • ليس في ليس ضمير وعد الله اي ليس ينال ما وعد الله من الثواب • بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب والخطاب
للمسلمين لانه لا يتمنى وعد الله الا من آمن به وكذلك ذكر اهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الايمان بوعد الله • وعن
مسروق والسدي هي في المسلمين • وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلوب وصدقه العمل ان قوما
الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن بالله
لأحسنوا العمل • وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال
المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت • ويحتمل ان يكون الخطاب
للمشركين لقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا لأوتين مالا وولدا ان لي عنده للحسنى
وكان اهل الكتاب يقولون نحن ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودة • ويعضده تقدم ذكر اهل الشرك
قبله • وعن مجاهد ان الخطاب للمشركين قوله من يعمل سوءا يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى بعد ذكر تمني
اهل الكتاب نحو قوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله
وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة فاذا ابطل الله الاماني واثبت ان الامر كله معقود بالعمل وان من اصلح
عمله فهو الفائز ومن اساء عمله فهو الهالك تبين الامر ووضح ووجب قطع الاماني وحسم المطامع والاقبال على العمل
الصالح ولكنه نصح لا تعيه الآذان ولا تلقى اليه الاذهان **فان قلت** ما الفرق بين من الاولى والثانية **قلت**
الاولى للتبعيض اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها
ما هو تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه الصلاة في بعض الاحوال • والثانية

لتبيين الابهام في من يعمل **فان قلت** كيف خص الصالحين بانهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك **قلت**
فيه وجهان احدهما ان يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا • والثاني ان يكون ذكره
عند احد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لان كلا الفريقين مجزيون باعمالهم لا تفاوت بينهم ولا يظلم المسيء بالزيادة
في عقابه وان ارحم الراحمين معلوم انه لا يزيد في عقاب المجرم وكان ذكره مستغنى عنه • واما المحسن فله ثواب
وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز ان ينقص من الفضل لانه ليس بواجب فكان نفي الظلم دلالة على انه لا
يقع نقصان في الفضل • اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ولا معبودا سواه • وهو
محسن وهو عامل للحسنات تارك للسيئات • حنيفا حال من المتبع او من ابراهيم كقوله بل ملة ابراهيم حنيفا
وما كان من المشركين وهو الذي تحنف اي مال عن الاديان كلها الى دين الاسلام • واتخذ الله ابراهيم خليلا مجاز عن
اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله • والخليل المخال وهو الذي يخالك اي
يوافقك في خلالك او يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل او يسد خللك كما تسد خلله او يداخلك
خلال منازلك وحجبك **فان قلت** ما موقع هذه الجملة **قلت** هي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب
كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والحوادث جمة • فائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى عند
الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان يتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن
لها معنى • وقيل ان ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار
منه فقال خليله لو كان ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه يريد الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها
للأضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم عليه الصلوة
والسلام ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته الى غرارة منها فاخرجت احسن حوارى واختبزت وانتبه
ابراهيم عليه الصلوة والسلام فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت امرأته من عند خليلك المصري
فقال عليه الصلوة والسلام هو من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله عز وجل خليلا • ولله ما في السموات وما في
الارض متصل بذكر العمال الصالحين ومعناه ان له ملك اهل السموات والارض فطاعته واجبة عليهم وكان الله
بكل شيء محيطا وكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم ان يختاروا لانفسهم ما هو اصلح لها • و
يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء التي لا تؤتونهن ما
كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير
فان الله كان به عليما • ما يتلى في محل الرفع اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى يعني قوله وان خفتم
ان لا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه • ويجوز ان يكون وما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره
على انها جملة معترضة • والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان العدل والنصفة في حقوق اليتامى
من عظائم الامور المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون
بما عظمه الله ونحوه في تعظيم القرآن وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم • ويجوز ان يكون مجرورا على القسم كانه قيل
قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم ايضا لمعنى التعظيم وليس بسديد ان يعطف على المجرور في فيهن
لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى **فان قلت** بم تعلق قوله في يتامى النساء **قلت** في الوجه الاول هو صلة
يتلى اي يتلى عليكم في معناهن • ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن واما في الوجهين الاخيرين فبدل
لا غير **فان قلت** الاضافة في يتامى النساء ما هي **قلت** اضافة بمعنى من كقولك عندي سحق عمامة
• وقرئ في ييامى النساء بيائين على قلب همزة ايامى ياء • لا تؤتونهن ما كتب لهن اي ما فرض لهن من الميراث
وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه وما لها فان كانت جميلة تزوجها واكل المال وان كانت دميمة عضلها
عن التزوج حتى تموت فيرثها • وترغبون ان تنكحوهن يحتمل في ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن

وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال زوجها
غيرك والتمس لها من هو خير منك وان كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فانت احق بها ۝ والمستضعفين
مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال والنساء
ويجوز ان يكون خطابا بالاوصياء كقوله وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ۝ وان تقوموا لليتامى بالقسط
بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا ۝ ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى ويأمركم ان تقوموا
وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم ولا يخلوا احدا يهتضمهم ۝ وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما
وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح
وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ۝ خافت من بعلها توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله
وامارته ۝ والنشوز التجافي عنها بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة وان يؤذيها
بسب او ضرب ۝ والاعراض ان يعرض عنها بان يقلل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الاسباب من طعن في السن او
دمامة او شيء في خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير ذلك فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما ۝ وقرئ
ان يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا فيصطلحا ونحو اصلح الصبر في اصطبر ۝ صلحا في معنى مصدر كل واحد من الافعال
الثلاثة ۝ ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب له نفسا عن القسمة او عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة
حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها ۝ وكما روي
ان امرأة اراد زوجها ان يطلقها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على ولدي وتقسم
لي في كل شهرين فقال ان كان هذا يصلح فهو احب الي فاقرها ۝ او تهب له بعض المهر او كل النفقة وان لم تفعل فليس له الا
ان يمسكها باحسان او يسرحها ۝ والصلح خير من الفرقة او النشوز والاعراض وسوء العشرة او هو خير من
الخصومة في كل شيء ۝ والصلح خير من الخير كما ان الخصومة شر من الشر وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله
واحضرت الانفس الشح ۝ ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له لا يغيب عنها ابدا ولا ينفك عنها يعني
انها مطبوعة عليه ۝ والغرض ان المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم
لها وان يمسكها اذا رغب عنها واحب غيرها ۝ وان تحسنوا بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا
على ذلك مراعاة لحق الصحبة ۝ وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة ۝ فان الله كان بما تعملون
من الاحسان والتقوى خبيرا وهو يثيبكم عليه ۝ وكانت عمران بن حطان الخارجي من ادم بني آدم وامرأته
من اجملهم فاجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد فقال ما لك فقالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة قال
كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين ۝ ولن
تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا
وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما ۝ وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ۝
ولن تستطيعوا وحال ان لا تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما
يجب لهن فرفع الله عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم
لان تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد ۝ وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة ۝ وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك
ولا املك يعني المحبة لان عائشة رضي الله عنها كانت احب اليه ۝ وقيل ان العدل بينهن امر صعب بالغ من الصعوبة
حدا يوهم انه غير مستطاع لانه يجب ان يسوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة
والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر ياتي من ورائه فهو كالخارج عن حد الاستطاعة هذا اذا كن محبوبات كلهن فكيف
اذا مال القلب مع بعضهن ۝ فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضى

منها يقتضي

منها يقتضي ان تجتنبوا كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل كله
وفيه ضرب من التوبيخ ۝ فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة ۝ قال هل هي الا
خطة او تطليق ۝ او صلف او بين ذاك تعليق ۝ وفي قراءة ابي رضي الله عنه فتذروها كالمسجونة ۝ وفي الحديث من
كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل ۝ وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث
الى ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي عنهن بمال فقالت عائشة رضي الله عنها الى كل ازواج رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع راسك فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا ۝ وكان لمعاذ
امرأتان فاذا كان عند احداهما لم يتوضأ في بيت الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد ۝ وان تصلحوا ما مضى
من ميلكم وتداركوه بالتوبة ۝ وتتقوا فيما يستقبل غفر الله لكم ۝ وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا بمعنى وان يفارق كل واحد منهما
صاحبه ۝ يغن الله كلا من سعته رزقه يرزقها زوجا خيرا منه وعيشا اهنأ من عيشه ۝ والسعة الغنى والمقدرة ۝ والواسع
الغني المقتدر ۝ ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم
ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ۝ ولله ما في
السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا ۝ ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين وكان
الله على ذلك قديرا ۝ من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا ۝
من قبلكم متعلق بوصينا او باوتوا ۝ واياكم عطف على الذين اوتوا الكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية ۝ ان
اتقوا بان اتقوا ويجوز ان تكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول ۝ وقوله وان تكفروا فان لله عطف على اتقوا لان
المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ۝ والمعنى ان لله الخلق كله وهو خالقهم
ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاوعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه
ويرجون ثوابه ۝ ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من الامم السالفة ووصيناكم ان اتقوا الله يعني انها وصية
قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة
في العاقبة ۝ وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله في سمواته وارضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه ۝
وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد منهم ۝ وتكرير
قوله لله ما في السموات وما في الارض تقريرا لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشية والتقوى اصل
الخير كله ۝ ان يشأ يذهبكم يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم وانشأكم ۝ ويأت بآخرين ويوجد انسا آخرين مكانكم
او خلقا آخرين غير الانس ۝ وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد ۝ قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده
وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره ۝ وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم
من العرب اي ان يشأ يمتكم ويأت بناس آخرين يوالونه ۝ ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ظهر سلمان فقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس ۝ من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة
فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب احدهما دون الآخر والذي يطلبه اخسهما لانه من جاهد لله خالصا لم تخطئه
الغنيمة وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة الى جنبه كلا شيء ۝ والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له ان اراده حتى
يتعلق الجزاء بالشرط ۝ يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين
ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان
بما تعملون خبيرا ۝ قوامين بالقسط مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا ۝ شهداء لله تقيمون شهاداتكم
لوجه الله كما امرتم باقامتها ۝ ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم او آبائكم واقاربكم فان قلت
الشهادة على الوالدين والاقربين ان يقول اشهد ان لفلان على والدي كذا او على اقاربي فما معنى الشهادة على نفسه

قلت هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز ان يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على آبائكم واقاربكم وذلك ان يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره ان يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه فالله اولى بالغني والفقير بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها فان قلت لم ثنى الضمير في اولى بهما وكان حقه ان يوحد لان قوله ان يكن غنيا او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين قلت قد رجع الضمير الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا او فقيرا لا الى المذكور فلذلك ثنى ولم يفرد وهو جنسا الغني والفقير كانه قيل فالله اولى بجنسي الغني والفقير اي بالاغنياء والفقراء وفي قراءة ابي فالله اولى بهم وهي شاهدة على ذلك وقرأ عبد الله ان يكن غني او فقير على كان التامة ان تعدلوا يحتمل العدل والعدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل وقرئ وان تلوا او تعرضوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها فان الله كان بما تعملون خبيرا وبمجازاتكم عليه يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين ومعنى آمنوا اثبتوا على الايمان وداوموا عليه وازدادوا منه والكتاب الذي انزل من قبل المراد به جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ نزل وانزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي انه لعبد الله بن سلام وابن اخته سلام وسلمة ابن اخيه واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه الصلوة والسلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كانه قيل يا ايها الذين آمنوا نفاقا آمنوا اخلاصا فان قلت كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذي انزل من قبل وكانوا مؤمنين بالتوراة والانجيل قلت كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما انزل الله من الكتب فامروا بان يؤمنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا به لان طريق الايمان هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان ايمانهم بما آمنوا به لاجل المعجزة لآمنوا بكله فحين آمنوا ببعضه علم انهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم ايمانا وهذا الذي اراد عز وجل في قوله ويقولون نؤمن ببعض الى قوله حقا فان قلت لم قيل نزل على رسوله وانزل من قبل قلت لان القرآن نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله ومن يكفر بالله الآية ومن يكفر بشي من ذلك فقد ضل لان الكفر ببعضه كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر بالايمان به جميعا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي تعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه يستبعد منهم ان يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب اولئك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضربت بالكفر ومرنت على الردة وكان الايمان اهون شي عندهم وادونه حيث يبدو لهم فيه كرة بعد اخرى وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وانه امر لا يكاد يكون وهكذا ترى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على شر حال واسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة

وبموسى ثم كفروا بالانجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا بشر المنافقين وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم والذين نصب على الذم او رفع بمعنى اريد الذين او هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد فتولوا اليهود فان العزة لله جميعا يريد لاوليائه الذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ان اذا سمعتم هي ان المخففة من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم اي نزل عليكم ان الشان كذا والشان ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل او في موضع النصب بنزّل فيمن قرأ به والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزئون به فنهى المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم انكم اذا مثلهم يعني في الكفر ان الله جامع المنافقين والكافرين يعني القاعدين والمقعود معهم فان قلت الضمير في قوله حتى يخوضوا الى من يرجع قلت الى من دل عليه قوله يكفر بها ويستهزأ بها كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها فان قلت لم يكونوا مثلهم بالمجالسة اليهم في وقت الخوض قلت لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر كافر فان قلت فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين قلت لانهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الانكار لرضاهم الذين يتربصون اما بدل من الذين يتخذون واما صفة للمنافقين او نصب على الذم منهم يتربصون بكم اي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق الم نكن معكم مظاهرين فاسهموا لنا في الغنيمة الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المسلمين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبنا لنا مما اصبتم وقرئ ونمنعكم بالنصب باضمار ان قال الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء فان قلت لم سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشان المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح له ابواب السماء حتى ينزل على اوليائه واما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دني ولمظة من الدنيا يصيبونها ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يخادعون الله يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والاموال في الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل من النار في الآخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة واحلال باس ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم كسالى بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في

سكارى اذ لم يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئاً على كره لا عن طيبة نفس ورغبة • يراءون
الناس يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة • ولا يذكرون الله الا قليلاً لانهم لا يصلون قط غائبين عن
عيون الناس الا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل لانهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس في
قلوبهم لم يتكلفوه • او ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الا ذكراً قليلاً في الندرة وهكذا ترى كثيراً من
المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث
الدنيا يستغرق به اوقاته لا يفتر عنه • وعن ابي زيد كالقلة العدم • فان قلت ما معنى المراءاة وهي
مفاعلة من الرؤية قلت فيها وجهان احدهما ان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني
ان يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس بمعنى رآهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه وفانقه وعيش
مفانق روى • ابو زيد رأت المرأة الرجل اذا امسكت له المرآة ليرى وجهه ويدل عليه قراءة ابن ابي اسحاق
يرؤونهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم اي يبصرونهم اعمالهم ويراءونهم كذلك • مذبذبين اما حال نحو
قوله ولا يذكرون عن واو يراءون اي يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين • او منصوب على الذم • ومعنى مذبذبين
ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون • وحقيقة المذبذب الذي
يذب عن كلا الجانبين اي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرجوان الا ان الذبذبة فيها
تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه • وقرأ ابن عباس رضي الله عنه مذبذبين بكسر الذال بمعنى
يذبذبون قلوبهم او دينهم او رأيهم • او بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى • وفي مصحف عبد
الله رضي الله عنه متذبذبين • وعن ابي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى اخذ بهم تارة في دبة
وتارة في دبة فليسوا بماضين على دبة واحدة والدبة الطريقة [illegible] ذلك اشارة الى الكفر والايمان
• لا الى هؤلاء لا منسوبين الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين • ولا الى هؤلاء فيسمون مشركين • يا ايها
الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم
سلطاناً مبيناً • ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً • الا الذين تابوا
واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين
اجراً عظيماً • ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً • لا تتخذوا
الكافرين اولياء لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء • سلطاناً حجة
بينة يعني لا تجعلوا لله حجة عليكم في عقابكم بموالاة الكافرين فانها بينة على النفاق • وعن صعصعة بن صوحان انه قال لابن اخ له خالص المؤمن
وخالق الكافر والفاجر فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وانه يحق عليك ان تخالص المؤمن • الدرك
الاسفل الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض
وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم دركات جهنم • فان قلت لم كان المنافق اشد عذاباً من الكافر
قلت لانه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله ومداجاتهم • واصلحوا ما افسدوا
من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق • واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص • واخلصوا دينهم لله
لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه • فاولئك مع المؤمنين رفقاؤهم في الدارين • وسوف يؤت الله المؤمنين
اجراً عظيماً فيشاركونهم فيه ويساهمونهم • فان قلت من المنافق قلت هو في الشريعة من اظهر الايمان
وابطن الكفر واما تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر
وقوله عليه الصلاة والسلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب
واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان • وقيل لحذيفة رضي الله عنه من المنافق فقال الذي يصف الاسلام
ولا يعمل به • وقيل لابن عمر رضي الله عنهما ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه

كنا نعده من النفاق • وعن الحسن اتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فاصبح قد عمم وقلد واعطي سيفاً
يعني الحجاج • ما يفعل الله بعذابكم اتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعاً او يستدفع به ضرراً
كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك وانما هو امر اوجبته الحكمة ان يعاقب المسيء
فان قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد ابعدتم عن انفسكم استحقاق العذاب • وكان الله شاكراً مثيباً موفياً اجوركم
عليماً بحق شكركم وايمانكم • فان قلت لم قدم الشكر على الايمان قلت لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة
العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكراً مبهماً فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكراً مفصلاً
فكان الشكر متقدماً على الايمان وكانه اصل التكليف ومداره • لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان
الله سميعاً عليماً • ان تبدوا خيراً او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفواً قديراً • ان الذين يكفرون
بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا
بين ذلك سبيلاً • اولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً • والذين آمنوا
بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفوراً رحيماً • الا من ظلم
الا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء • وقيل
هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه • وقيل ضاف رجل قوماً فلم يطعموه فاصبح شاكياً
فعوتب على الشكاية فنزلت • وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل للانقطاع اي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر
بالسوء • ويجوز ان يكون من ظلم مرفوعاً كانه قيل لا يحب الله الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو
بمعنى ما جاءني الا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله • ثم حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد
بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما اطلق الجهر به وجعل يحبه حثاً على الاحب اليه والافضل عنده والادخل
في الكرم والتخشع والعبودية وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيباً للعفو ثم عطفه عليهما اعتداداً به وتنبيهاً على منزلته
وان له مكاناً في باب الخير وسيطاً • والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله فان الله كان
عفواً قديراً اي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله • جعل الذين آمنوا بالله وكفروا
برسله او آمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله وبرسله جميعاً لما ذكرنا من العلة • ومعنى اتخاذهم بين ذلك
سبيلاً اي طريقاً وسطاً في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد اخطأوا فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك
قال اولئك هم الكافرون حقاً اي هم الكاملون في الكفر • وحقاً تأكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقاً اي حق ذلك
حقاً وهو كونهم كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفراً حقاً ثابتاً يقيناً لا شك فيه • فان قلت
كيف جاز دخول بين على احد وهو يقتضي شيئين فصاعداً قلت ان احداً عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما
تقول ما رأيت احداً فتقصد العموم الا ترى انك تقول الا بني فلان والا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين
منهم او بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن كاحد من النساء • سوف يؤتيهم اجورهم معناه ان ايتاءها
كائن لا محالة وان تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخراً • يسألك اهل الكتاب ان تنزل
عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم
ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبيناً • ورفعنا
فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم
ميثاقاً غليظاً • فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف
بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلاً • وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً • وقولهم
انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه
لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً • بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً

حكيما · روي ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه الصلاة والسلام فنزلت · وقيل كتابا الينا بأنك رسول الله · وقيل كتابا نعاينه حين ينزل فنزلت · وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن رحمه الله ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما آتاهم كفاية · فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر معناه ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر من ذلك وانما اسند السؤال اليهم وان وجد من آبائهم في ايام موسى صلوات الله وسلامه عليه وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت · جهرة عيانا اي ارناه نره جهرة · بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا امرا جائزا لما سموا ظالمين ولما اخذتهم الصاعقة كما سأل ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه بأن يريه احياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق · وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين امرهم بأن يقتلوا انفسهم حتى يتاب عليهم فأطاعوه واحتبوا بأفنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا له من سلطان مبين · بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه · وقلنا لهم والطور مظل عليهم · ادخلوا الباب سجدا · ولا تعدوا في السبت وقد اخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا واطعنا ومعاهدتهم على ان يتموا عليه ثم نقضوه بعد · وقرئ لا تعتدوا ولا تعدوا بادغام التاء في الدال · فبما نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد · فان قلت بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد · قلت اما ان يتعلق بمحذوف كأنه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا · واما ان يتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم · واما التوكيد فمعناه تحقيق ان العقاب او تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء ونحو ذلك · فان قلت هلا زعمت ان المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم · قلت لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك انهم ارادوا بقولهم قلوبنا غلف ان الله خلق قلوبنا غلفا اي في اكنة لا يتوصل اليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فكذبهم الله وقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا ان تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله · فان قلت علام عطف قوله وبكفرهم · قلت الوجه ان يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقولهم قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز ان يعطف على ما يليه من قوله بكفرهم · فان قلت فما معنى المجيء بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الاضراب او على ما بعده وهو قوله وكفرهم بآيات الله وقوله بكفرهم · قلت قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلى الله وسلم عليهم اجمعين فعطف بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كأنه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا · والبهتان العظيم هو التزنية · فان قلت كانوا كافرين بعيسى عليه الصلاة والسلام اعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله · قلت قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون · ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه الصلاة والسلام عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما ارادوا بمثل كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهادا · روي ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال عيسى عليه الصلاة والسلام لاصحابه ايكم يرضى بان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقي عليه شبهه فقتل وصلب · وقيل كان رجل ينافق

عيسى صلوات الله وسلامه عليه فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى والقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى صلوات الله وسلامه عليه ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله · وقال بعضهم انه قد قتل وصلب · وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى · وقال بعضهم رفع الى السماء · وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا · فان قلت شبه مسند الى ماذا ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وان اسندته الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر · قلت هو مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه · ويجوز ان يسند الى ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كأنه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه · الا اتباع الظن استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن · فان قلت قد وصفوا بالشك والشك ان لا يترجح احد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن ان يترجح احدهما فكيف يكونون شاكين ظانين · قلت اريد انهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك · وما قتلوه يقينا وما قتلوه قتلا يقينا او ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم انا قتلنا المسيح او يجعل يقينا تأكيدا لقوله وما قتلوه كقولك ما قتلوه حقا اي حق انتفاء قتله حقا · وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا نفى عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه علم يقين

وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها · والمعنى وما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله يعني اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف · وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن اخذتها قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت له ما اردت الى ان تقول حدثني محمد بن علي ابن الحنفية قال اردت ان اغيظه بزيادة اسم علي لانه مشهور بابن الحنفية · وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وتدل عليه قراءة ابي الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان منهم احد الا سيؤمنون به قبل موتهم لان احدا يصلح للجمع · فان قلت ما فائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم · قلت فائدته الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بد لهم من الايمان به عن قريب عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع به وليكون الزاما للحجة وكذلك قوله ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله تعالى الله · وقيل الضميران لعيسى صلوات الله وسلامه عليه بمعنى وان منهم احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله · روي انه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه · ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك

[2] قوله ويجوز عطفه من حيث المعنى على قوله وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله م

عليهم كلامه

الزمان كيعلمهم بنوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم • وقيل الضمير في به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم • فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا • واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما • لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الاخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما • فبظلم من الذين هادوا فباي ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا بظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الالبان وكانوا اذا اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها • وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا • بالباطل بالرشوة التي كانوا ياخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب • لكن الراسخون يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام واضرابه • والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون • والمؤمنون يعني المؤمنين منهم او المؤمنين من المهاجرين والانصار • وارتفع الراسخون على الابتداء ويؤمنون خبره • والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلوة وهو باب واسع قد كسره سيبويه على امثلة وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه ان السابقين الاولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم • وقيل هو عطف على بما انزل اليك اي يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين • وفي مصحف عبد الله رضي الله عنه والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي • انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان واتينا داود زبورا • ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما • رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما • لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملئكة يشهدون وكفى بالله شهيدا •

انا اوحينا اليك جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شانه في الوحي اليه كشان سائر الانبياء الذين سلفوا • وقرئ زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب • ورسلا نصب بمضمر في معنى اوحينا اليك وهو ارسلنا ونبانا وما اشبه ذلك او بما فسره قصصناهم • وفي قراءة ابي رضي الله عنه ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل • وعن ابرهيم ويحيى بن وثاب انهما قرآ وكلم الله بالنصب • ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان معناه وجرح الله موسى باظفار المحن ومخالب الفتن • رسلا مبشرين ومنذرين الاوجه ان ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على التكرير **فان قلت** كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الادلة التي النظر فيها موصل الى المعرفة والرسل في انفسهم لم يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة ولا عرف انهم رسل الله الا بالنظر فيها **قلت** الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء اهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرائع فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له • قرا السلمي لكن الله يشهد بالتشديد **فان قلت** الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد **قلت** لما سال اهل الكتاب انزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال لكن الله يشهد بمعنى انهم لا يشهدون لكن الله يشهد

وقيل لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد • ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوي بالبينات • وشهادة الملئكة شهادتهم بانه حق وصدق **فان قلت** بم يجابون لو قالوا بم يعلم ان الملئكة يشهدون بذلك **قلت** يجابون بانه يعلم بشهادة الله لانه لما علم باظهار المعجزات انه شاهد بصحته علم ان الملئكة يشهدون بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته **فان قلت** ما معنى قوله انزله بعلمه وما موقعه من الجملة التي قبله **قلت** معناه انزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تاليفه على نظم واسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان • وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وان شهادته بصحته انه انزله بالنظم المعجز الفائت للقدر • وقيل انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه • وقيل انزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه • ويحتمل انه انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملئكة والملئكة يشهدون بذلك كما قال في اخر سورة الجن وقوله واحاط بما لديهم • والاحاط بمعنى العلم • وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا فلا حاجة الى شهادة غير الله • ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا • ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا • الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا • يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله عليما حكيما • يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القيها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا • كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي وكان بعضهم كافرا وبعضهم ظالما لاصحاب الكبائر لانه لا فرق بين الفريقين في انه لا يغفر لهما الا بالتوبة • ولا ليهديهم طريقا لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل الى جهنم • او لا يهديهم يوم القيمة طريقا الا طريقها • يسيرا اي لا صارف له عنه • فآمنوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وكذلك انتهوا خيرا لكم لانه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اي اقصدوا او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد • لا تغلوا في دينكم غلت اليهود في حط المسيح عن مرتبته حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه الها • ولا تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد • وقرا جعفر بن محمد انما المسيح بوزن السكيت • وقيل لعيسى عليه الصلوة والسلام كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وامره لا غير من غير واسطة اب ولا نطفة • وقيل له روح الله وروح منه كذلك لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة • ومعنى القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها • ثلثة خبر مبتدا محذوف فان صحت الحكاية عنهم انهم يقولون هو جوهر واحد ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن العلم وباقنوم روح القدس الحيوة فتقديره الله ثلثة والا فتقديره الالهة ثلثة والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلثة الهة وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى الى قوله ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم انهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الاب والام ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى ابن مريم فاثبت انه ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد بامهاتها وان اتصاله بالله تعالى من حيث انه رسوله وانه موجود بامره وابتداعه جسدا حيا من غير اب فنفى ان يتصل به اتصال الابناء بالاباء وقوله سبحانه ان يكون له ولد حكاية لما كانوا يقولونه • ومعنى سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض بيان لتنزهه عما نسب اليه يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا يكل اليه

الخلق كلهم أمورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء إليه لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة
المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا فأما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا
أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا. لن يستنكف المسيح لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت
الدمع إذا نحيته عن خدك بإصبعك. ولا الملائكة المقربون ولا من هو أعلى منه قدرا وأعظم منه خطرا وهم
الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومن في طبقتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
فإن قلت من أين دل قوله ولا الملائكة المقربون على أن المعنى ولا من هو فوقه قلت من حيث إن علم المعاني
لا يقتضي غير ذلك وذلك أن الكلام إنما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع عيسى عليه الصلاة والسلام عن منزلة
العبودية فوجب أن يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو أرفع منه درجة كأنه قيل لن يستنكف الملائكة
المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم أرفع الملائكة درجة
وأعلاهم منزلة ومثاله قول القائل: وما مثله ممن يجاود حاتم. ولا البحر ذو الأمواج يلتج زاخره. لا شبهة في أنه
قصد بالبحر ذي الأمواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله ولن ترضى عنك اليهود
ولا النصارى حتى يعرف بالفرق البين. وقرأ علي رضي الله عنه عبيدا لله على التصغير. روي أن وفد نجران
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال عليه الصلاة والسلام ومن صاحبكم قالوا عيسى قال وأي
شيء أقول فيه قالوا تقول إنه عبد الله ورسوله قال عليه الصلاة والسلام إنه ليس بعار أن يكون عبدا لله قالوا بلى
فنزلت أي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو أولى بأن يستنكف لأن العار
ألصق به. فإن قلت علام عطف والملائكة قلت لا يخلو إما أن يعطف على المسيح أو على اسم يكون
أو على المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة وقولك مررت برجل عبد أبوه
فالعطف على المسيح هو الظاهر لأداء غيره إلى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو أن المسيح لا يأنف أن يكون هو ومن
فوقه موصوفين بالعبودية أو أن يعبد الله هو ومن فوقه. فإن قلت قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبدا
لله في هذا العطف فما وجهه قلت فيه وجهان أحدهما أن يراد ولا كل واحد من الملائكة أو ولا الملائكة
المقربون أن يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه إيجازا وأما إذا عطفتهم على الضمير في عبدا
فقد طاح هذا السؤال. وقرئ فسيحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون. فإن قلت التفصيل غير مطابق
للمفصل لأنه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الإمام الخوارج فمن لم يخرج
عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين أحدهما أن يحذف ذكر أحد الفريقين لدلالة
التفصيل عليه ولأن ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف أحدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فأما الذين آمنوا
بالله واعتصموا به والثاني وهو أن الإحسان إلى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل فكأنه قيل ومن يستنكف
عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة إذا رأى أجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله. يا أيها الناس قد
جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا. فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم
في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما. يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة
إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين
فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا
والله بكل شيء عليم. البرهان والنور المبين القرآن أو أراد بالبرهان دين الحق أو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالنور المبين ما يبينه
وصدقه من الكتاب المعجز. في رحمة منه وفضل في ثواب مستحق وتفضل. ويهديهم إليه إلى عبادته. صراطا مستقيما
وهو طريق الإسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم. روي أنه آخر ما نزل من الأحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

في طريق مكة عام حجة الوداع فأتاه جابر بن عبد الله فقال إن لي أختا فكم آخذ من ميراثها إن ماتت. وقيل كان
مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت. امرؤ هلك ارتفع
بفعل يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة لا النصب على الحال أي إن هلك امرؤ غير ذي ولد. والمراد بالولد
الابن وهو اسم مشترك يجوز إيقاعه على الذكر وعلى الأنثى لأن الابن يسقط الأخت ولا تسقطها البنت إلا في مذهب
ابن عباس رضي الله عنه وبالأخت التي هي لأب وأم دون التي لأم لأن الله فرض لها النصف وجعل أخاها عصبة وقال
للذكر مثل حظ الأنثيين وأما الأخت لأم فلها السدس في آية المواريث مسوى بينها وبين أخيها. وهو يرثها
وأخوها يرثها إن قدر الأمر على العكس من موتها وبقائه بعدها. إن لم يكن لها ولد أي ابن لأن الابن يسقط الأخ
دون البنت فإن قلت الابن لا يسقط الأخ وحده فإن الأب نظيره في الإسقاط فلم اقتصر على نفي الولد قلت
بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد إلى بيان السنة وهو قوله عليه الصلاة والسلام ألحقوا الفرائض بأهلها
فما بقي فلأولى عصبة ذكر والأب أولى من الأخ وليسا بأول حكمين بين أحدهما بالكتاب والآخر بالسنة. ويجوز أن
يدل بحكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لأن الولد أقرب إلى الميت من الوالد فإذا ورث الأخ عند انتفاء الأقرب فأولى
أن يرث عند انتفاء الأبعد ولأن الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا فكان انتفاء ذكر أحدهما دالا على انتفاء
الآخر فإن قلت إلى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله فإن كانتا اثنتين وإن كانوا إخوة قلت أصله فإن كان
من يرث بالأخوة اثنتين وإن كان من يرث بالأخوة ذكورا وإناثا. وإنما قيل فإن كانتا وإن كانوا كما قيل من كانت
أمك فكما أنث ضمير من لمكان تأنيث الخبر كذلك ثني وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه
والمراد بالإخوة الإخوة والأخوات تغليبا لحكم الذكورة. أن تضلوا مفعول له ومعناه كراهة أن تضلوا. وعن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا وأعطي من الأجر كمن
اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم. صدق الله تعالى وصدق رسوله

سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا
ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد. يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله
ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا
وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر
والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب. يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود يقال
وفى بالعهد وأوفى به ومنه والموفون بعهدهم. والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قول الحطيئة:
قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم. شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا. وهي عقود الله التي عقدها على عباده وألزمها
إياهم من مواجب التكليف. وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الأمانات ويتحالفون عليه ويتماسحون
من المبايعات ونحوها والظاهر أنها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وأنه
كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله أحلت لكم وما بعده. البهيمة كل ذات أربع في البر والبحر
وإضافتها إلى الأنعام للبيان وهي الإضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الأنعام. إلا ما
يتلى عليكم إلا محرم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة أو إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه. والأنعام
الأزواج الثمانية. وقيل بهيمة الأنعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كأنهم أرادوا ما يماثل الأنعام
المدانية الشبيهة. غير محلي الصيد نصب على الحال من الضمير في لكم أي أحلت لكم هذه الأشياء لا محلين
الصيد. وعن الأخفش أن انتصابه عن قوله أوفوا بالعقود. وأنتم حرم حال عن محلي الصيد كأنه قيل أحللنا

تكم بعض الانعام في حال احرامكم من الصيد وانتم محرمون لئلا يتحرج عليكم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام
ويعلم انه حكمة ومصلحة . والحرم جمع حرام وهو المحرم . الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا
وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام
والطواف والسعي والحلق والنحر . والشهر الحرام شهر الحج . والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك
وهو جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج . والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي
من نعل او عروة مزادة او لحاء شجر او غيره . وآمين البيت الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار . واحلال هذه
الاشياء ان يتهاون بحرمة الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصد
به الناس عن الحج وان يتعرض للهدي بالغصب او بالمنع من بلوغ محله . واما القلائد ففيها وجهان احدهما
ان يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن ويعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها
اشرف الهدي كقوله تعالى وجبريل وميكال كانه قيل والقلائد منها خصوصا . والثاني ان ينهى عن التعرض
لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين
زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها . ولا آمين ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام
يبتغون فضلا من ربهم وهو الثواب . ورضوانا وان يرضى عنهم اي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم
واستنكارا ان يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة . وعن النبي صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا
حلالها وحرموا حرامها . وقال الحسن ليس فيها منسوخ . وقيل هي منسوخة . وعن ابن عباس رضي الله عنه كان
المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما
المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله . وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله تعالى
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم . وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون
في انفسهم انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم . وقرأ عبد الله ولا آمي البيت الحرام
على الاضافة . وقرأ حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين . فاصطادوا اباحة للاصطياد
بعد حظره عليهم كانه قيل فاذا احللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا . وقرئ بكسر الفاء . وقيل هو بدل من
كسر الهمزة عند الابتداء . وقرئ واذا احللتم يقال حل المحرم واحل . جرم يجري مجرى كسب في تعديه الى
مفعول واحد واثنين جرم ذنبا كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه . ويقال اجرمته ذنبا على نقل
المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء
واول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين . والثاني ان تعتدوا وان صدوكم بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى
العلة والشنآن شدة البغض . وقرئ بسكون النون بمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه . وقرئ
ان صدوكم على الشرطية . وفي قراءة عبد الله ان يصدوكم . ومعنى صدهم اياهم عن المسجد الحرام منع اهل مكة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة . ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق
مكروه بهم . وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء . ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام
والتشفي . ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار . حرمت
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة
وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس
الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت
لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم كان اهل الجاهلية يأكلون
هذه المحرمات البهيمة التي تموت حتف انفها . والفصيد وهو الدم في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم

من فزد له . وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه . والمنخنقة
التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت بسبب . والموقوذة التي اثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت . والمتردية التي تردت
من جبل او في بئر فماتت . والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح . وما اكل السبع بعضه . الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته
وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب اوداجه . وقرأ عبد الله والمنطوحة وفي رواية عن ابي عمرو والسبع بسكون
الباء . وقرأ ابن عباس واكيل السبع . وما ذبح على النصب كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون
اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به اليها تسمى الانصاب والنصب واحد قال الاعشى وذا النصب المنصوب
لا تعبدنه . وقيل هو جمع والواحد نصاب . وقرئ النصب بسكون الصاد . وان تستقسموا بالازلام وحرم عليكم
الاستقسام بالقداح كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او غير ذلك من معاظم الامور ضرب
بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها امرني ربي وبعضها غفل فان خرج الامر مضى لطيته وان
خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اجالها عودا فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم
له بالازلام . وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة . ذلكم فسق الاشارة الى الاستقسام او الى
تناول ما حرم عليهم لان المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا **فان قلت** لم كان استقسام
المسافر وغيره بالازلام لتعرف الحال فسقا **قلت** لانه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب وقال
لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله واعتقاد ان اليه طريقا والى استنباطه وقوله امرني ربي ونهاني ربي
افتراء على الله وما يدريه انه امره او نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة . وان كان اراد بالرب الصنم
فقد روي انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم فامره ظاهر . اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر
وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابا وانت اليوم اشيب فلا تريد
بالامس اليوم الذي قبل يومك ونحوه الآن في قوله . الآن لما ابيض مسربتي . وعضضت من نابي على جذم
وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع . يئس الذين كفروا من دينكم
يئسوا منه ان يبطلوه وان ترجعوا الى محللين لهذه الخبائث بعد ما حرمت عليكم . وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه
لان الله عز وجل وفى بوعده من اظهاره على الدين كله . فلا تخشوهم بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار
وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا غالبين . واخشون واخلصوا لي الخشية . اكملت لكم دينكم كفيتكم
امر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما تقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد اذا كفوا من ينازعهم الملك
ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم . او اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف
على الشرائع وقوانين القياس واصول الاجتهاد . واتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين
وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان . او اتممت عليكم نعمتي
باكمال الدين والشرائع كانه قال اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام
ورضيت لكم الاسلام دينا يعني اخترته لكم من بين الاديان وآذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام
دينا ان هذه مسلمة متولجة **فان قلت** بم اتصل قوله فمن اضطر **قلت** بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد
به معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضى
دون غيره من الملل . ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها . في مخمصة في مجاعة . غير متجانف لاثم غير منحرف
اليه كقوله غير باغ ولا عاد . فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك . يسألونك ماذا احل لهم قل احل لكم
الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم
واتقوا الله ان الله سريع الحساب . في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا احل لهم كانه قيل يقولون ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا
حكاية لما قالوه لان يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا . وماذا

مسئلة واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من
الخبيثات المطاعم سألوا عما احل لهم منها فقيل لهم احل لكم الطيبات اي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يات تحريمه
في كتاب او سنة او قياس مجتهد ● وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات اي احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف
المضاف او تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا ● والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب
والصقر والبازي والشاهين ● والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من
الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لان التاديب اكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته
من جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد ● او
من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به ● وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم فان قلت
ما فائدة هذه الحال وقد استغنى عنها بعلمتم قلت فائدتها ان يكون من يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه
موصوفا بالتكليب ● تعلمونهن حال ثانية او استيناف وفيه فائدة جليلة وهي ان على كل آخذ علما ان لا ياخذه
من اقبل اهله علما وانحرهم دراية واغوصهم على لطائفه وحقائقه وان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم
من آخذ عن غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله ● مما علمكم الله من علم التكليب لانه الهام من الله او مكتسب
بالعقل او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه
كثيرا ● والامساك على صاحبه ان لا ياكل منه لقوله عليه الصلوة والسلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل
انما امسك على نفسه ● وعن علي رضي الله عنه اذا اكل البازي فلا تاكل ● وفرق العلماء فاشترطوا في سباع البهائم ترك
الاكل لانها تؤدب بالضرب ولم يشترطوا في سباع الطير ● ومنهم من لم يعتبر ترك الاكل اصلا ولم يفرق بين ان ياكل
او البعض وعن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله عنهم اجمعين اذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله
عليه فكل فان قلت الام يرجع الضمير في قوله واذكروا اسم الله عليه قلت اما ان يرجع الى ما امسكن على معنى
وسموا عليه اذا ادركتم ذكاته او الى ما علمتم من الجوارح اي سموا عليه عند ارساله ● اليوم احل لكم الطيبات وطعام
الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر
بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين ● اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب قيل
هو ذبائحهم وقيل جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى ● وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه استثنى نصارى بني
تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمور وبه اخذ الشافعي رحمه الله ● وعن ابن عباس انه سئل عن
ذبائح نصارى العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة واصحابه ● وحكم الصابئين حكم
اهل الكتاب عند ابي حنيفة وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن
كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب ● واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم
دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم ● وقد روي عن ابن المسيب انه قال اذا كان المسلم مريضا فامر المجوسي ان يذكر اسم الله ويذبح فلا باس
وقال ابو ثور وان امره بذلك في الصحة فلا باس وقد اساء ● وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم لانه لو كان حراما
عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم ● والمحصنات الحرائر والعفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم
والاماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف منهن ● واما الاماء الكتابيات فعند ابي حنيفة
كالمسلمات وخالفه الشافعي ● وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى ● وعن عطاء قد اكثر الله المسلمات وانما رخص لهم يومئذ محصنين اعفاء
ولا متخذي اخدان صدائق والخدن يقع على الذكر والانثى ● ومن يكفر بالايمان بشرائع الاسلام وما احل الله وحرم
يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم

الى الكعبين

الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم
النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم
من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ● اذا قمتم الى الصلوة كقوله تعالى
فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وكقولك اذا ضربت غلامك فهون عليه في ان المراد ارادة الفعل فان قلت
لم جاز ان يعبر عن ارادة الفعل بالفعل قلت لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وارادته له وهي قصده اليه
وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الانسان لا يطير والاعمى لا يبصر اي لا يقدران
على الطيران والابصار ومنه قوله تعالى نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني انا كنا قادرين على الاعادة كذلك عبر
عن ارادة الفعل بالفعل وذلك لان الفعل مسبب عن القدرة والارادة فاقيم المسبب مقام السبب كقولهم كما تدين
تدان عبر عن الفعل المبتدأ الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه ● وقيل معنى قمتم الى الصلوة قصدتموها
لان من توجه الى شيء وقام اليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام اليه ● فان قلت ظاهر الاية
يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة محدث وغير محدث فما وجهه قلت يحتمل ان يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب
للمحدثين خاصة وان يكون للندب ● وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده انهم كانوا يتوضؤن
لكل صلوة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر رضي الله عنه صنعت شيئا
لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز ● فان قلت هل يجوز ان يكون الامر شاملا للمحدثين
وغيرهم لهؤلاء على وجه الايجاب ولهؤلاء على وجه الندب قلت لا لان تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الالغاز
والتعمية ● وقيل كان الوضوء لكل صلوة واجبا اول ما فرض ثم نسخ ● الى تفيد معنى الغاية مطلقا
فاما دخولها في الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله تعالى فنظرة الى
ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا
في كلتا الحالتين معسرا وموسرا وكذلك ثم اتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل
على الدخول قولك حفظت القرآن من اوله الى آخره لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من
المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بانه لا يسرى به الى بيت المقدس من غير ان يدخله ● وقوله الى المرافق
والى الكعبين لا دليل فيه على احد الامرين فاخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل واخذ
زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها ● وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدير الماء على مرفقيه
● وامسحوا برؤسكم المراد الصاق المسح بالراس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح
براسه ● وقد اخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب او اكثره على اختلاف الرواية ● واخذ الشافعي
باليقين فاوجب اقل ما يقع عليه اسم المسح ● واخذ ابو حنيفة رحمه الله ببيان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو ما روي انه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الراس ● وقرأ جماعة وارجلكم بالنصب فدل
على ان الارجل مغسولة ● فان قلت فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح قلت الارجل من بين
الاعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المذموم المنهي عنه
فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها ● وقيل الى
الكعبين فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة ●
وعن علي رضي الله عنه انه اشرف على فتية من قريش فراى في وضوئهم تجوزا فقال ويل للاعقاب من النار
فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها دلكا ● وعن ابن عمر رضي الله عنه كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتوضأ قوم واعقابهم بيض تلوح فقال ويل للاعقاب من النار وفي رواية جابر ويل للعراقيب
عمر رضي الله عنه انه راى رجلا يتوضأ فترك باطن قدميه فامره ان يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه

وعن عائشة رضي الله عنها لأن تنقطع رجلاي أحب إلي من أن أمسح على القدمين بغير خفين • وعن عطاء
والله ما علمت أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين • وقد ذهب بعض الناس
إلى ظاهر العطف فأوجب المسح • وعن الحسن أنه جمع بين الأمرين • وروي عن الشعبي نزل القرآن بالمسح
والغسل سنة • وقرأ الحسن وأرجلكم بالرفع على وأرجلكم مغسولة أو ممسوحة إلى الكعبين • وقرئ فاطهروا أي فطهروا
أبدانكم وكذلك ليطهركم • وفي قراءة عبد الله فأموا صعيدا • ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى
لا يرخص لكم في التيمم ولكن ليطهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهير بالماء • وليتم نعمته عليكم ليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه
لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم • واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا
وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور • يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط
ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون
• وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم • والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم • واذكروا نعمة الله عليكم وهي نعمة الإسلام • وميثاقه الذي واثقكم به
أي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على السمع والطاعة في حال العسر واليسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا وأطعنا • وقيل هو الميثاق ليلة
العقبة وفي بيعة الرضوان • وقوله يجرمنكم حرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كأنه قيل
لا يحملنكم • ومن ذلك تكون قوله أن تعتدوا يعني على ألا تعتدوا فحذف مع أن حرف الجر [illegible]
من أشنع على [illegible] • وقرئ شنآن بالسكون ونظيره في المصادر ليان • والمعنى لا يحملنكم
بغضكم للمشركين على أن تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بأن تنتصروا منهم وتتشفوا مما في قلوبكم من الضغائن
بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة أو قذف أو قتل أولاد ونساء أو نقض عهد تشفيا مما [illegible] ذلك • اعدلوا هو أقرب
للتقوى نهاهم أولا أن تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيدا وتشديدا
ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله هو أقرب للتقوى ولمحل في مناسبتها أو أقرب إلى التقوى لكونه
لطفا فيها • وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة فما
الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه • لهم مغفرة وأجر عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام
قبله كأنه قال قدم لهم وعدا فقيل لهم مغفرة وأجر عظيم • أو يكون على إرادة القول بمعنى وعدهم وقال
لهم مغفرة أو على إجراء وعد مجرى قال لأنه ضرب من القول ويجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع
تركنا على قوله سلام على نوح كأنه قيل وعدهم هذا القول وإذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم
مضمونه من المغفرة والأجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيامة فيسرون ويستبشرون به ويهون
عليهم السكرات والأهوال قبل الوصول إلى الثواب • يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن
يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون • روي أن المشركين
رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا إلى صلاة الظهر يصلون معا وذلك بعسفان في غزوة ذي أنمار
فلما صلوا ندموا أن لا كانوا أكبوا عليهم فقالوا إن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم يعنون صلاة
العصر وهموا بأن يوقعوا بهم إذا قاموا إليها فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بصلاة الخوف • وروي أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية
الضمري يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه في صفة وهموا
بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبره فخرج
• وقيل نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة

قوله في العضاه العضاه كل شجر يعظم وله شوك

فجاء أعرابي فسل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني قال الله فأهاله [illegible] فشام
الأعرابي السيف فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه وأبى أن يعاقب • يقال بسط إليه لسانه إذا شتمه
وبسط إليه يده إذا بطش به • ويبسطوا إليكم ألسنتهم • ومعنى بسط اليد مدها إلى المبطوش به
ألا ترى إلى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى • فكف أيديهم عنكم منعها أن تمد إليكم • ولقد أخذ الله
ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة
وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات
تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل • فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم
وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة
منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين • ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا
حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون
لما استقر بنو إسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمسير إلى أريحاء أرض الشام وكان يسكنها الكنعانيون
الجبابرة وقال إني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها فإني ناصركم وأمر موسى عليه السلام بأن يأخذ من كل سبط
نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بني إسرائيل وتكفل
لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا
ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى أن يحدثوهم فنكثوا الميثاق إلا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن
نون من سبط أفرائيم بن يوسف وكانا من النقباء • والنقيب الذي ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لأنه
يتعرفها • إني معكم أي ناصركم ومعينكم • عزرتموهم نصرتموهم وقويتموهم بمنعهم من أيدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة
الفساد • وقرئ بالتخفيف يقال عزرت الرجل إذا حطته وكنفته • والتعزير والتأزير من واد واحد ومنه لأنصرنك
نصرا مؤزرا أي قويا • وقيل معناه ولقد أخذنا ميثاقهم بالإيمان والتوحيد • وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا يقيمون
فيهم العدل ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر • واللام في لئن أقمتم موطئة للقسم وفي لأكفرن جواب له وهو
ساد مسد جواب القسم والشرط • فمن كفر بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم • فقد ضل سواء السبيل
ضلالا لا شبهة فيه وذلك لأن الضلال بعده أظهر وأعظم لأن الكفر إنما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فإذا
زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى • لعناهم طردناهم من رحمتنا • وقيل مسخناهم • وقيل ضربنا
عليهم الجزية • وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم ومنعناهم الألطاف حتى قست قلوبهم أو أمليناهم ولم نعاجلهم
بالعقوبة حتى قست • وقرئ قسية أي رديئة مغشوشة من قولهم درهم قسي • والقسي [illegible]
في الدراهم الخالص اليبس والصلابة • يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم فإنه لا قسوة أشد
من الافتراء على الله وتغيير وحيه • ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا • مما ذكروا به من التوراة أو من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
[illegible] • وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية • وقيل تركوا نصيب أنفسهم
مما أمروا به من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته • ولا تزال تطلع أي هي عادتهم وهجيراهم وكان عليها
أسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك
وأن يسموك • على خائنة على خيانة أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة • ويقال رجل خائنة
كقولهم رجل راوية للمبالغة قال حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الإصبع
• إلا قليلا منهم وهم الذين آمنوا • فاعف عنهم واصفح [illegible] وقيل هو منسوخ بآية
السيف • وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم [illegible]

فلهم من قوم موسى اي مثل ميثاقهم بالايمان بالله والرسل وبافعال الخير واخذنا من النصارى ميثاق انفسهم بذلك
فان قلت فهلا قيل من النصارى قلت لانهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى عليه
الصلاة والسلام نحن انصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشياطين
فاغرينا فالصقنا والزمنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء الذي يلصق به
بينهم وبين فرق النصارى المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا
او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا
مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط
مستقيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك
المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء
والله على كل شيء قدير يا اهل الكتاب خطاب لليهود والنصارى مما كنتم تخفون من نحو صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن نحو الرجم ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يبينه اذا لم تضطر اليه مصلحة دينية ولم يكن فيه
فائدة الا افتضاحكم وصفته مما لا بد من بيانه وكذلك الرجم وما فيه احياء شريعة واماتة بدعة وعن
الحسن ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك
والشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق او لانه ظاهر الاعجاز من اتبع رضوانه من آمن منهم سبل
السلام طرق السلامة والنجاة من عذاب الله او سبل الله هو المسيح معناه بت القول على ان حقيقة
الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدي اليه حيث
اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت ويدبر امر العالم فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك من دعوه الها من المسيح
دلالة على ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد وان عطف من في الارض على المسيح وامه ابانة انهما من جنسهم لا تفاوت
بينهما وبينهم في البشرية يخلق ما يشاء اي يخلق من ذكر وانثى ويخلق من انثى من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر
وانثى كما خلق آدم ويخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له وكاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك
فيجب ان ينسب اليه ولا ينسب الى البشر المجرى على يده ابناء الله اشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل
الاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما يقال رهط مسيلمة وقالت اليهود والنصارى
نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير يا اهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير
ونذير والله على كل شيء قدير نحن ابناء الله يعنون اقرباؤه وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال
مؤمن آل فرعون لكم الملك اليوم فلم يعذبكم بذنوبكم ان صح انكم ابناء الله واحباؤه فلم تذنبون
وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار اياما معدودات على زعمكم ولو كنتم ابناء لكنتم من جنس
الاب غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين العقاب ولو كنتم احباءه لما عصيتموه ولما عاقبكم بل انتم
بشر من جملة من خلق من البشر يغفر لمن يشاء وهم اهل الطاعة ويعذب من يشاء وهم العصاة
يبين لكم اما ان يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحذف لظهوره لما ورد الرسول لتبيينه او يقدر
ما كنتم تخفون وحذف لتقدم ذكره او لا يقدر ويكون المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب على الحال
اي مبينا لكم على فترة متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي ان
تقولوا كراهة ان تقولوا فقد جاءكم متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم وقيل كان بين

عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة وستون سنة وقيل ستمائة وقيل اربعمائة وبضع وستون
وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى الف وسبعمائة سنة والف نبي وبين عيسى ومحمد اربعة انبياء ثلاثة
من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى الامتنان عليهم وان الرسول بعث اليهم
حين انطمست آثار الوحي احوج ما يكونون اليه ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله وفتح باب الرحمة ولزم
الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم من غفلتهم واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين
يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين
قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا
داخلون جعل فيكم انبياء لانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا
لانه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل
كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه
ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق
ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك
من الامور العظام وقيل اراد عالمي زمانهم الارض المقدسة ارض بيت المقدس وقيل الطور وما
حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الاردن وقيل سماها الله لابراهيم ميراثا
لولده حين رفع على الجبل فقيل له انظر فلك ما ادرك بصرك وكان بيت المقدس قرار الانبياء ومسكن
المؤمنين كتب الله لكم قسمها لكم وسماها او خط في اللوح المحفوظ انها لكم ولا ترتدوا على ادباركم ولا
تنكصوا على اعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا وقيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة
رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر
ويجوز ان يراد لا ترتدوا على ادباركم في دينكم بمخالفتكم امر ربكم وعصيانكم نبيكم فترجعوا خاسرين
ثواب الدنيا والآخرة الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس
على ما يريد قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه
فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا
فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق
بيننا وبين القوم الفاسقين قال رجلان هما كالب ويوشع من الذين يخافون من الذين يخافون الله
ويخشونه كانه قيل رجلان من المتقين ويجوز ان تكون الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف
تقديره من الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبارون وهما رجلان منهم انعم الله عليهما بالايمان فآمنا
قالا ان العمالقة اجسام لا قلوب فيها فلا تخافوهم وازحفوا عليهم فانكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم
وقرأ ابن عباس يخافون بالضم شاهد له وكذلك انعم الله عليهما كانه قيل من المخوفين وقيل هو من
الاخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة او يخوفهم وعيد الله بالعقاب فان قلت
ما محل انعم الله عليهما قلت ان انتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم الوصف لرجلان فمرفوع وان جعل
كلاما معترضا فلا محل له فان قلت من اين علما انهم غالبون قلت من جهة اخبار موسى عليه
الصلاة والسلام بذلك وقوله كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة الظن وما تبيناه من عادة الله في نصرة
رسله وما عهدا من صنع الله لموسى من قهر اعدائه وما عرفا من حال الجبابرة والباب باب قريتهم
لن ندخلها نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التأكيد المؤيس ابدا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول

ما داموا فيها فاذهب أنت وربك يحتمل أن لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته
فذهب يجيبني تريد معنى الإرادة والقصد للجواب كأنهم قالوا أريدا قتالهم والظاهر أنهم قالوا ذلك استهانة
بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما حقيقة تيهانهم وجفائهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسألوا بها
رؤية الله جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم ويحكى أن موسى وهارون خرا لوجوههما قدامهم
لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما ولأمر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله لتجدن أشد
الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا لما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا
من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به إلا هارون عليه الصلاة والسلام قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي
وهذا من البث والحزن والشكوى إلى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه
قول يعقوب عليه الصلاة والسلام إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وعن علي رضي الله عنه أنه كان يدعو الناس على
منبر الكوفة إلى قتال البغاة فما أجابه إلا رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال أين تقعان مما أريد وذكر في إعراب
وأخي وجوه أن يكون منصوبا عطفا على نفسي وعلى الضمير في إني بمعنى ولا أملك إلا نفسي وإن أخي لا يملك إلا نفسه
ومرفوعا عطفا على محل إن واسمها كأنه قيل أنا لا أملك إلا نفسي وهارون كذلك لا يملك إلا نفسه وعلى الضمير في لا أملك
وجاز للفصل ومجرورا عطفا على الضمير في نفسي وهو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور إلا بتكرير الجار فإن قلت
أما كان معه الرجلان المذكوران قلت كأنه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن إلى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان
واتصال الصحبة من أحوال قومه وتلونهم فلم يذكر إلا النبي المعصوم الذي لا شبهة في أمره ويجوز أن يقول ذلك
لفرط ضجره عندما سمع منهم تقليلا لمن يوافقه ويجوز أن يريد ومن يؤاخيني على ديني فافرق فافصل
بيننا وبينهم بأن تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون وهو في معنى الدعاء عليهم وكذلك فنجنا
أو فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين قال فإنها محرمة عليهم أربعين
سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين فإنها فإن الأرض المقدسة محرمة عليهم
لا يدخلونها ولا يملكونها فإن قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله التي كتب الله لكم قلت فيه وجهان
أحدهما أن يراد كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل فإنها محرمة عليهم والثاني أن يراد
فإنها محرمة عليهم أربعين سنة فإذا مضت الأربعون كان ما كان فقد روي أن موسى سار بمن بقي من بني
إسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح أريحا وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل لما مات موسى بعث يوشع
نبيا فأخبرهم بأنه نبي الله وأن الله أمره بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه وسار بهم إلى أريحا وقتل الجبابرة
وأخرجهم وصار الشام كله لبني إسرائيل وقيل لم يدخل الأرض المقدسة أحد ممن قال إنا لن ندخلها وهلكوا
في التيه ونشأت نواشئ من ذراريهم فقاتلوا الجبارين ودخلوها والعامل في الظرف إما محرمة وإما يتيهون
ومعنى يتيهون في الأرض يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي يتاه فيها روي
أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى إذا أمسوا إذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان
الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم وإذا ولد
لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله فإن قلت فلم كان ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون
قلت كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد المشفق
يضرب ولده ويؤدبه ليتأدب ولا يقطع عنه معروفه وإحسانه فإن قلت هل كان معهم في التيه
موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام قلت اختلف في ذلك فقيل لم يكونا معهم لأنه كان دعا أن يفرق
بينه وبين القوم الفاسقين وقيل كانا معهم إلا أنه كان ذلك روحا لهما وسلامة لا عقوبة كالنار لإبراهيم
وملائكة العذاب وروي أن هارون مات في التيه ومات موسى بعده بسنة ودخل يوشع أريحا بعد موته

بثلاثة أشهر ومات النقباء في التيه بغتة إلا كالب ويوشع فلا تأس فلا تحزن عليهم لأنه ندم على الدعاء
عليهم فقيل إنهم أحقاء بذلك لفسقهم بالعذاب فلا تحزن ولا تندم واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا
فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلي
يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين إني أريد أن تبوء بإثمي
وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح
من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون
مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من
قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا
ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون ابنا آدم لصلبه
قابيل وهابيل أوحى الله إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها إقليما فحسد
عليها أخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما تقبل زوجها فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد
قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من بني إسرائيل بالحق تلاوة ملتبسة بالحق والصحة أو تلاوة
ملتبسة بالصدق موافقة لما في كتب الأولين أو بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لأن المشركين وأهل الكتاب كلهم كانوا
يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبغون عليه أو اتل عليهم وأنت محق صادق إذ قربا نصب بالنبأ أي قصتهم
وحديثهم في ذلك الوقت ويجوز أن يكون بدلا من النبأ أي اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف
والقربان اسم ما يتقرب به إلى الله من نسيكة أو صدقة كما أن الحلوان اسم ما يحلى أي يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لأن
تقرب مطاوع قرب قال الأصمعي تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب فإن قلت كيف كان قوله إنما
يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لأقتلنك قلت لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده
بالقتل قال له إنما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وما لك لا تعاتب نفسك ولا
تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول فأجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على أن الله تعالى لا يقبل
طاعة إلا من مؤمن متق فما أنعاه على أكثر العاملين أعمالهم وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له
ما يبكيك فقد كنت وكنت قال إني أسمع الله يقول إنما يتقبل الله من المتقين ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك قيل كان هابيل
أقوى من القاتل وأبطش منه ولكن تحرج عن قتل أخيه واستسلم له خوفا من الله لأن الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت
قاله مجاهد وغيره إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فإن قلت كيف يحمل إثم قتله له
ولا تزر وازرة وزر أخرى قلت المراد بمثل إثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قرأت قراءة فلان وكتبت كتابته
تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ومنه قوله عليه الصلاة والسلام المستبان ما قالا
فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم على أن البادي عليه إثم سبه ومثل إثم سب صاحبه لأنه كان سببا فيه إلا أن الإثم
محطوط عن صاحبه معفو عنه لأنه مكافئ مدافع عن عرضه ألا ترى إلى قوله ما لم يعتد المظلوم لأنه إذا خرج عن حد
المكافأة واعتدى لم يسلم فإن قلت فحين كف هابيل عن قتل أخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا في
شريعته من الدفع فأين الإثم حتى يتحمل أخوه مثله فيجتمع عليه الإثمان قلت هو مقدر فهو يتحمل مثل الإثم المقدر
كأنه قال إني أريد أن تبوء بمثل إثمي لو بسطت إليك يدي وقيل بإثمي بإثم قتلي وإثمك الذي من أجله لم يتقبل قربانك
فإن قلت كيف جاز أن يريد شقاوة أخيه وتعذيبه بالنار قلت كان ظالما وجزاء الظالم حسن جائز أن يراد
ألا ترى إلى قوله وذلك جزاء الظالمين وإذا جاز أن يريده الله جاز أن يريده العبد لأنه لا يريد إلا ما هو حسن والمراد
بالإثم وبال القتل وما يجر من استحقاق العقاب فإن قلت لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل
وهو قوله لئن بسطت ما أنا بباسط قلت ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك أكده بالباء المؤكدة للنفي

النفي • فطوعت له نفسه قتل اخيه فوسعته له ويسرته من طاع له المرتع اذا اتسع • وقرأ الحسن فطاوعت وفيه
وجهان ان يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعّل وان يراد ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع • وله
لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله • وقيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء • وقيل بالبصرة
في موضع المسجد الاعظم • فبعث الله غرابا روي انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بني آدم ولما قتله تركه بالعراء ولا يدري
ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى اروح وعكفت عليه السباع • فبعث الله غرابين فاقتتلا
فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة • فقال يا ويلتى اعجزت • ويروى انه لما قتله اسود
جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك • وروي
ان آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء معصومون
من الشعر • ليريه الله او ليريه الغراب اي ليعلمه لانه لما كان سبب تعليمه فكانه قصد تعليمه على سبيل المجاز • سوءة اخيه
ما لا يجوز ان ينكشف من جسده • والسوءة الفضيحة لقبحها • قال يا لقومي للسوأة السوأى • اي الفضيحة
العظيمة فكنى بها عنها • فأواري بالنصب على جواب الاستفهام • وقرئ بالسكون على فانا اواري او على التسكين في
موضع النصب للتخفيف • من النادمين على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في امره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد
لونه وسخط ابيه ولم يندم ندم التائبين • من اجل ذلك بسبب ذلك وبعلته • وقيل اصله من اجل شرا اذا جناه
يأجله اجلا ومنه قوله • واهل خباء صالح ذات بينهم • قد احتربوا في عاجل انا آجله • كانك اذا قلت من اجلك
فعلت كذا اردت من ان جنيت فعله واوجبته ويدل عليه قولهم من جراك فعلت اي من ان جررته بمعنى جنيته
وذلك اشارة الى القتل المذكور اي من اجل ذلك القتل الكتب كتبنا على بني اسرائيل • ومن لابتداء الغاية اي ابتدأ
الكتب ونشأ من اجل ذلك ويقال فعلت كذا لاجل كذا بحذف الجار وايصال الفعل • قال [illegible]
• وقرئ من اجل ذلك بحذف الهمزة وفتح النون لالقاء حركتها عليها • وقرأ ابو جعفر من اجل ذلك بكسر الهمزة وهي لغة
فاذا خفف كسر النون ملقيا كسرة الهمزة عليها • بغير نفس بغير قتل نفس لا على وجه القصاص • او فساد عطف
على نفس بمعنى او بغير فساد في الارض وهو الشرك • وقيل قطع الطريق • ومن احياها ومن استنقذها من بعض اسباب الهلكة
قتل او غرق او حرق او هدم او غير ذلك • فان قلت كيف شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم • قلت لان
كل انسان يدلي بما يدلي به الآخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد اهين ما كرم الله وهتكت حرمته
وعلى العكس فلا فرق اذا بين الواحد والجميع في ذلك • فان قلت فما الفائدة في ذكر ذلك • قلت تعظيم قتل النفس
واحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها لان المتعرض لقتل
النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذي اراد احياءها • وعن
مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك • وعن
الحسن يا ابن آدم ارأيت لو قتلت الناس جميعا أكنت تطمع ان يكون لك عمل يوازي ذلك فيحييك هيهات كذا [illegible]
نفسك انه شيء يتسلط به الشيطان [illegible] اذا قتلت رجلا • بعد ذلك بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسل
بالآيات لمسرفون يعني في القتل لا يبالون بعظمته • انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في
الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم
خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم • الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله
غفور رحيم • يحاربون الله ورسوله يحاربون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربة المسلمين في حكم محاربته
• ويسعون في الارض فسادا مفسدين او لان سعيهم في الارض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة ويفسدون
في الارض فانتصب فسادا على المعنى • ويجوز ان يكون مفعولا له اي للفساد • ونزلت في قوم هلال بن عويمر وكان
بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فمر بهم قوم يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطعوا

على غيرهم • وقيل في العرنيين • فاما الجناة فمن جمع بين القتل واخذ المال قتل وصلب ومن افرد القتل قتل ومن
افرد الاخذ قطعت يده ورجله من خلاف ومن اخاف السبيل ولم يأخذ شيئا نفي من الارض • وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان او مسلما ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا
القتل ويصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ • قال ابو حنيفة رحمه الله ومحمد يصلب حيا ويطعن
حتى يموت • او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا المال • او ينفوا من الارض اذا لم يزيدوا
على الاخافة • وعن جماعة منهم الحسن والنخعي ان الامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع
طريق من غير تفصيل • والنفي الحبس عند ابي حنيفة • وعند الشافعي النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب
وهو هارب فزعا • وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة وناصع
وهو من بلاد الحبشة • خزي ذل وفضيحة • الا الذين تابوا استثناء من المعاقبين عقاب قطع
الطريق خاصة • واما حكم القتل والجراح واخذ المال فالى الاولياء ان شاءوا عفوا وان شاءوا
استوفوا • وعن علي رضي الله عنه ان الحارث بن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل
توبته ودرأ عنه العقوبة • يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا
في سبيله لعلكم تفلحون • ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به
من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم • الوسيلة كل ما يتوسل به الى الله عز وجل من
فعل الطاعات وترك المعاصي • وانشد للبيد • ان الناس لا يدرون ما قدر امرهم • الا كل ذي لب
الى الله واسل • اي متقرب من قرابة او صنيعة او غير ذلك فاستعير لما يتوسل به • ليفتدوا به
ليجعلوه فدية لانفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه • وعن النبي
صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيامة ارأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له
لقد سئلت ايسر من ذلك • ولو مع ما في حيز خبر ان • فان قلت لم وحد الراجع في قوله ليفتدوا
به وقد ذكر شيئان • قلت هو كقوله • فاني وقيار بها لغريب • او على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة
كانه قيل ليفتدوا بذلك • ويجوز ان تكون الواو في ومثله بمعنى مع فيتوحد المرجوع اليه • فان قلت
فبم ينصب المفعول معه • قلت بما تستدعيه لو من الفعل لان التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض • وقرأ
ابو واقد ان يخرجوا من اخرج وتشهد لقراءة العامة قوله وما هم بخارجين • ومما يروى عن عكرمة
ان نافع بن الازرق قال لابن عباس يا اعمى البصر اعمى القلب تزعم ان قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى
وما هم بخارجين منها فقال ويحك اقرأ ما فوقها هذا للكفار فمما لفقته المجبرة وليس باول تكاذيبهم
وافترائهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين اظهر
اعضاده من قريش وانضاده من بني عبد المطلب وهو حبر الامة وبحرها [illegible] الخطاب الذي لا يجترئ على مثله
احد من اهل الدنيا وبرفعه الى عكرمة دليلين ناصعين ان الحديث فرية ما فيها مرية • والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم • فمن تاب من بعد
ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم • ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب
من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير • والسارق والسارقة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف
عند سيبويه كانه قيل وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما • ووجه آخر وهو ان يرتفعا بالابتداء
والخبر فاقطعوا ايديهما ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا ايديهما
والاسم الموصول يضمن معنى الشرط • وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة العامة لاجل الامر
لان زيدا فاضربه احسن من زيد فاضربه • ايديهما يديهما ونحوه فقد صغت قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف
اليه واريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم

في الشريعة من سرقة من الحرز. والمقطع الرسغ. وعند الخوارج المنكب. والمقدار الذي يجب فيه القطع
عشرة دراهم عند أبي حنيفة وعند مالك والشافعي ربع دينار. وعند الحسن درهم. وفي مواعظه
لخير من قطع يد في درهم. جزاء ونكالا مفعول لهما. فمن تاب من السراق من بعد ظلمه من بعد
سرقته وأصلح أمره بالتفصي عن التبعات. فإن الله يتوب عليه ويسقط عنه عقاب الآخرة وأما القطع
فلا تسقطه التوبة عند أبي حنيفة وأصحابه. وعند الشافعي في أحد قوليه تسقطه. من يشاء من يجب
في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين والتائبين. وقيل يسقط عن الحربي إذا سرق بالتوبة ليكون
أدعى له إلى الإسلام وأبعد من التنفير عنه ولا يسقط عن المسلم لأن في إقامته الصلاح للمؤمنين والحياة
ولكم في القصاص حياة. **فإن قلت** لم قدم التعذيب على المغفرة **قلت** لأنه قوبل بذلك تقدم السرقة
على التوبة. يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم
ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون
الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته
فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة
عذاب عظيم. قرئ لا يحزنك بضم الياء ويسرعون. والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين
في الكفر أي في إظهار ما يلوح منهم من آثار الكيد للإسلام ومن موالاة المشركين فإني ناصرك عليهم وكافيك
شرهم يقال أسرع فيه الشيب وأسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر ووقوعهم
وتهافتهم فيه أسرع شيء إذا وجدوا فرصة لم يخطئوها. وآمنا مفعول قالوا. وبأفواههم متعلق بقالوا
لا بآمنا. ومن الذين هادوا منقطع مما قبله خبر لسماعون أي ومن اليهود قوم سماعون. ويجوز أن يعطف
على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون والضمير للفريقين أو للذين هادوا. ومعنى سماعون للكذب
قابلون لما تفتريه الأحبار ويفتعلونه من الكذب وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله
لمن حمده. سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يعني اليهود الذين لم يصلوا إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتجافوا عنه لما أفرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة أي قابلون من الأحبار ومن أولئك المفرطين في
العداوة الذين لا يقدرون أن ينظروا إليك. وقيل سماعون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأجل أن يكذبوا
عليه بأن يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون من رسول الله صلى الله عليه
وسلم لأجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه. وقيل السماعون بنو قريظة والقوم
الآخرون يهود خيبر. يحرفون الكلم يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير
مواضع بعد أن كان ذا مواضع. إن أوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا أنه الحق واعملوا
به. وإن لم تؤتوه وأفتاكم محمد بخلافه. فاحذروا وإياكم وإياه فهو الباطل والضلال. وروي أن شريفا
من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم
إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وإن
أمركم بالرجم فلا تقبلوا وأرسلوا الزانيين معهم فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل عليه
الصلاة والسلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور يسكن فدك
يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو أعلم يهودي على وجه الأرض ورضوا به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم
كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت إن كذبته أن ينزل
علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء كان يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول

الله النبي الأمي العربي الذي بشر به المرسلون وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب مسجده
ومن يرد الله فتنته تركه مفتونا وخذلانه. فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه
شيئا. أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم أن يمنحهم من ألطافه ما يطهر به قلوبهم لأنهم ليسوا من أهلها لعلمه أنها لا تنفع فيهم
ولا تنجع إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم. سماعون للكذب أكالون
للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط
إن الله يحب المقسطين. السحت كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق الله الربوا
والربوا بابي. وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته والسحت بفتحتين
والسحت بكسر السين وكانوا يأخذون الرشى على الأحكام وتحليل الحرام. وعن الحسن كان الحاكم في بني إسرائيل إذا أتاه
أحد برشوة جعلها في كمه فأراها إياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب. وحكي
أن عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدم إليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال أعرابي من القوم
نحن كما قال الله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت. وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به. قيل
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا إذا تحاكم إليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم وبين أن لا يحكم. وعن عطاء والنخعي
والشعبي أنهم إذا ارتفعوا إلى حكام المسلمين فإن شاءوا حكموا وإن شاءوا أعرضوا. وقيل هو منسوخ بقوله وأن
احكم بينهم بما أنزل الله. وعند أبي حنيفة إن احتكموا إلينا حملوا على حكم الإسلام وإن زنى منهم رجل بمسلمة أو سرق
من مسلم شيئا أقيم عليه الحد. وأما أهل الحجاز فإنهم لا يرون إقامة الحدود عليهم يذهبون إلى أنهم قد صولحوا
على شركهم وهو أعظم من الحدود ويقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية. فلن يضروك
شيئا لأنهم كانوا لا يتحاكمون إليه إلا لطلب الأيسر والأهون عليهم كالجلد مكان الرجم فإذا أعرض عنهم وأبى الحكومة
لهم شق عليهم وتكرهوا إعراضه عنهم وكانوا خلقاء بأن يعادوه ويضاروه فأمن الله سربه. بالقسط بالعدل
والاحتياط كما حكم بالرجم. وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما
أولئك بالمؤمنين إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا
والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا
بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون. وكيف يحكمونك تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون
به وبكتابه مع أن الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الإيمان به. ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن
حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به. وما أولئك بالمؤمنين بكتابهم كما يدعون أو وما أولئك بالكاملين في الإيمان
على سبيل التهكم بهم. **فإن قلت** فيها حكم الله ما موضعه من الإعراب **قلت** إما أن ينتصب حالا من التوراة وهي مبتدأ
خبره عندهم وإما أن يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله وإما أن لا يكون له محل وتكون جملة
مبينة لأن عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره. **فإن قلت**
لم أنثت التوراة **قلت** لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوهما في كلام العرب. **فإن قلت** علام عطف ثم يتولون **قلت**
على يحكمونك. فيها هدى يهدي للحق والعدل. ونور يبين ما استبهم من الأحكام. الذين أسلموا صفة
أجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح وأريد
بإجرائها التعريض باليهود وأنهم بعداء من ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث وأن اليهودية
بمعزل منها. وقوله الذين أسلموا للذين هادوا مناد على ذلك. والربانيون والأحبار والزهاد والعلماء من ولد
هارون عليه السلام الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهودية. بما استحفظوا من كتاب الله بما
سألهم أنبياؤهم حفظه من التوراة أي بسبب سؤال أنبيائهم إياهم أن يحفظوه من التغيير والتبديل. ومن في كتاب
الله للتبيين. وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا يبدل. والمعنى يحكم بأحكام التوراة النبيون بين موسى وعيسى عليهما

الصلاة والسلام ● للذين هادوا يحكمون على أحكام التوراة لا يتركونهم أن ينزعوا عنها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم وإرغام أنوفهم وإبائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون والأحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم أنبياؤهم من كتاب الله والقضاء بأحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ● ويجوز أن يكون الضمير في استحفظوا للأنبياء والربانيين والأحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله أي كلفهم الله حفظه وأن يكونوا عليه شهداء ● فلا تخشوا الناس نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وإدهانهم فيها وإمضائها على خلاف ما أمروا به من العدل لخشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد من القرباء والأصدقاء ● ولا تشتروا ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضى الناس كما حرف أحبار اليهود كتاب الله وغيروا أحكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا ● ومن لم يحكم بما أنزل الله مستهينا به ● فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بأن حكموا بغيرها ● وعن ابن عباس رضي الله عنه أن الكافرين والظالمين والفاسقين أهل الكتاب ● وعنه نعم القوم أنتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر فهو لأهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق ● وعن الشعبي هذه في أهل الإسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى ● وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو عام في اليهود وغيرهم ● وعن حذيفة أنتم أشبه الأمم سمتا ببني إسرائيل لتركبن طريقتهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا ● وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ● وفرضنا عليهم في التوراة وأنزل الله على بني إسرائيل فيها وفيها أن الجروح قصاص فالمطعون [illegible] والرفع للعطف على محل أن النفس لأن المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس إما لإجراء كتبنا مجرى قلنا وإما لأن معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة أنزلناها ولذلك قال الزجاج لو قرئ إن النفس بالكسر لكان صحيحا أو للاستئناف ● والمعنى فرضنا عليهم فيها أن النفس مأخوذة بالنفس مقتولة بها إذا قتلتها بغير حق وكذلك العين مفقوءة بالعين والأنف مجدوع بالأنف والأذن مصلومة بالأذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص وتعرف المساواة ● وعن ابن عباس رضي الله عنه كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت ● فمن تصدق من أصحاب الحق به بالقصاص وعفا عنه ● فهو كفارة له فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته ● وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به ● وقيل فهو كفارة للجاني إذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه ● وفي قراءة أبي رضي الله عنه فهو كفارته له يعني فالمتصدق كفارته له أي الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فأجره على الله وترغيب في العفو ● وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ● وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ● قفيته مثل عقبته إذا أتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه إلى الثاني بزيادة الباء ● فإن قلت فأين المفعول الأول في الآية ● قلت هو محذوف والظرف الذي هو على آثارهم كالساد مسده لأنه إذا قفي به على أثره فقد قفي به إياه ● والضمير في آثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين أسلموا ● وقرأ الحسن الأنجيل بفتح الهمزة فإن صح عنه فلأنه أعجمي خرج لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجر ● ومصدقا عطف على محل فيه هدى ومحله النصب على الحال ● وهدى وموعظة يجوز أن ينتصبا على الحال كقوله مصدقا وأن ينتصبا مفعولا لهما لقوله وليحكم كأنه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الإنجيل وليحكم بما أنزل الله فيه من الأحكام ● فإن قلت فإن نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم ● قلت أصنع به ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما فأقدر

وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله آتيناه إياه ● وقرئ وليحكم على لفظ الأمر بمعنى وقلنا ليحكم ● وروي في قراءة أبي رضي الله عنه وأن ليحكم بزيادة أن مع الأمر على أن أن موصولة بالأمر كقولك أمرتك بأن قم كأنه قيل وآتيناه الإنجيل وأمرنا بأن يحكم أهل الإنجيل ● وقيل إن عيسى صلوات الله عليه وسلامه كان متعبدا بما في التوراة من الأحكام لأن الإنجيل مواعظ وزواجر والأحكام فيه قليلة ● فظاهر قوله وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ● وإن ساغ لقائل أن يقول معناه وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة ● فإن قلت أي فرق بين التعريفين في قوله وأنزلنا إليك الكتاب وقوله لما بين يديه من الكتاب ● قلت الأول تعريف العهد لأنه عنى به القرآن والثاني تعريف الجنس لأنه عنى به جنس الكتب المنزلة ● ويحتمل أن يقال هو للعهد لأنه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق وإنما أريد نوع معلوم منه وهو ما أنزل من السماء سوى القرآن ● ومهيمنا ورقيبا على سائر الكتب لأنه يشهد لها بالصحة والثبات ● وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم أي هومن عليه بأن حفظ من التغيير والتبديل كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي هيمن عليه الله عز وجل أو الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف منه أو حركة أو سكون لتنبه عليه كل أحد ولاشمأزوا رادين ومنكرين ● ضمن ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذلك عدي بعن كأنه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم لكل جعلنا منكم أيها الناس ● شرعة شريعة ● وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين ● ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين تجرون عليه ● وقيل هذا دليل على أنا غير متعبدين بشرائع من قبلنا ● ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ● وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون ● لجعلكم أمة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة أو ذوي أمة واحدة أي دين واحد لا اختلاف فيه ● ولكن أراد ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين معتقدين أنها مصالح قد اختلفت على حسب الأحوال والأوقات معترفين بأن الله لم يقصد باختلافها إلا ما اقتضته الحكمة أم تتبعون الشبه وتفرطون في العمل ● فاستبقوا الخيرات فابتدروها وسابقوا نحوها ● إلى الله مرجعكم استئناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات ● فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم والمفرط في العمل ● فإن قلت وأن احكم بينهم معطوف على ماذا ● قلت على الكتاب في قوله وأنزلنا إليك الكتاب كأنه قيل وأنزلنا إليك الكتاب والحكم ويجوز أن يكون معطوفا على بالحق أي أنزلناه بالحق وبأن احكم ● أن يفتنوك أن يضلوك ويستنزلوك وذلك أن أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ● فإن تولوا عن الحكم بما أنزل الله إليك وأرادوا غيره ● فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني بذنب التولي عن حكم الله وإرادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك وأراد أن لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وأن هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد من جملتها وهذا الإبهام لتعظيم التولي واستسرافهم في ارتكابه ● ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد ● أو يرتبط بعض النفوس حمامها ● أراد نفسه وإنما قصد تفخيم شأنها بهذا الإبهام كأنه قال نفسا كبيرة ونفسا أي نفس فكما أن التنكير يعطي معنى التكبير وهو معنى البعضية فكذلك إذا صرح بالبعض ● لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه يعني أن التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر ● أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ● يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض

يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ۝ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون
فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا
في أنفسهم نادمين ۝ أفحكم الجاهلية يبغون فيه وجهان أحدهما أن قريظة والنضير طلبوا إليه أن يحكم
بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى • وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم
القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت • والثاني أن يكون تعييرا لليهود بأنهم أهل كتاب وعلم وهم
يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل لا تصدر عن كتاب ولا ترجع إلى وحي من الله • وعن الحسن هو عام في
كل من يبتغي غير حكم الله • والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان • وسئل طاوس عن رجل
يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية • وقرئ تبغون بالتاء والياء • وقرأ السلمي أفحكمُ الجاهلية
يبغون برفع الحكم على الابتداء وإيقاع يبغون خبرا وإسقاط الراجع عنه كإسقاطه عن الصلة في أهذا الذي بعث الله
وعن الصفة في الناس رجلان رجل أهنت ورجل أكرمت وعن الحال في مررت بهند يضرب زيد • وقرأ قتادة
أفحكم الجاهلية على أن هذا الحكم الذي يبغونه إنما يحكم به حكم كاهن ونحوه من حكام الجاهلية فأرادوا
بسفههم أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين حكما كأولئك الحكام • اللام في لقوم يوقنون
للبيان كاللام في هيت لك أي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فإنهم هم الذين يتيقنون أن لا أعدل
من الله ولا أحسن حكما منه • لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم
معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله • بعضهم أولياء بعض أي إنما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم
في الكفر فلمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم • ومن يتولهم منكم فإنه من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله
وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تراءى ناراهما ومنه
قول عمر رضي الله عنه لأبي موسى في كاتبه النصراني لا تكرموهم إذ أهانهم الله ولا تأمنوهم إذ خونهم الله ولا تدنوهم
إذ أقصاهم الله • وروي أنه قال له أبو موسى لا قوام للبصرة إلا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب أنه قد مات
فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره • إن الله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين
ظلموا أنفسهم بموالاة الكفرة يمنعهم الله ألطافه ويخذلهم مقتا لهم • يسارعون فيهم ينكمشون في موالاتهم ويرغبون
فيها ويعتذرون بأنهم لا يأمنون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان أي صرف من صروفه ودولة من دوله
فيحتاجون إلى اليهود وإلى معونتهم • وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
إن لي موالي من يهود كثيرا عددهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي
إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية يهود • فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسول الله صلى الله عليه
وسلم على أعدائه وإظهار المسلمين • أو أمر من عنده يقطع شأفة اليهود ويجليهم من بلادهم فيصبح المنافقون
نادمين على ما حدثوا به أنفسهم وذلك أنهم كانوا يشكون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون ما نظن
أن يتم له أمر وبالحري أن تكون الدولة والغلبة لهؤلاء • وقيل أو أمر من عنده أو أن يؤمر النبي صلى الله عليه
وسلم بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم • وقيل أو أمر من عند الله لا يكون للناس فيه فعل كبني
النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فأعطوا بأيديهم من غير أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب • ويقول
الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين ۝ يا أيها الذين آمنوا
من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين
يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ۝ إنما
وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ۝ ومن يتول الله ورسوله
والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ۝ ويقول الذين آمنوا بالنصب عطفا على أن يأتي وبالرفع على أنه كلام

مبتدأ أي ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت • وقرئ يقول بغير واو وهي في مصاحف مكة والمدينة والشام
كذلك على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله
فإن قلت لمن يقولون هذا القول قلت إما أن يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم
من التوفيق في الإخلاص أهؤلاء الذين أقسموا لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار وإما أن يقولوه
لليهود لأنهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم • حبطت أعمالهم من جملة قول المؤمنين
أي بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي العين وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم • ويرتد
[illegible] الأعمال [illegible] • وقرئ من يرتد ومن يرتدد وهو في الإمام بدالين وهو من
الكائنات التي أخبر الله عنها قبل كونها • وقيل كان أهل الردة إحدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الأسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج
عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن فأهلكه
الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد وأتى خبره في آخر شهر ربيع الأول • وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك
فأجاب من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه
أبو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وكان يقول قتلت خير الناس في
الجاهلية وشر الناس في الإسلام أراد في جاهليتي وإسلامي • وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه • وسبع في عهد أبي
بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري • وبنو سليم قوم الفجاءة
ابن عبد ياليل • وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة • وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة
الكذاب وفيها يقول أبو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري • أمت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في بني الدنيا
وكذابه • وكندة قوم الأشعث بن قيس • وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله أمرهم على يدي أبي
بكر رضي الله عنه • وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الأيهم نصرته اللطمة وسيرته
إلى بلاد الروم بعد إسلامه • فسوف يأتي الله بقوم قيل لما نزلت أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى
الأشعري فقال قوم هذا • وقيل هم ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس جاهدوا
يوم القادسية • وقيل هم الأنصار • وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا
وذووه ثم قال لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس • محبة العباد لربهم طاعته
وابتغاء مرضاته وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه • ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم
ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم • وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع
وأسوؤهم طريقة وإن كانت طريقتهم عند أمثاله من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة المفتعلة
المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله
بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء الله وصعقاتهم التي أين عنها صعقة موسى عند دك الطور
فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فإن الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت
والصفات ومنها الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة فإذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة • والله تعالى أعلم
فإن قلت أين الراجع من الجزاء إلى الاسم المتضمن لمعنى الشرط قلت هو محذوف معناه فسوف يأتي الله بقوم
مكانهم أو بقوم غيرهم وما أشبه ذلك • أذلة جمع ذليل وأما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذل الذي هو نقيض

القضية فقد غني عن ان تخل لا لاحيج على الذي يرتد فان قلت هلا قيل اذلة للمؤمنين اعزة على الكافرين
قلت فيه وجهان احدهما ان يضمن الذل معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل
والتواضع والثاني انهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم ومعنى اعزة
اشداء على الكفار رحماء بينهم وقرئ اذلة واعزة بالنصب على الحال ولا يخافون لومة لائم يحتمل ان يكون حالا للعاد
على انهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود لعنت فاذا خرجوا في الجهاد
في جيش المؤمنين خافوا اولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون انه يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما المؤمنون
فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط وان يكون للعطف على ان من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وانهم صلاب
في دينهم اذا شرعوا في امر من امور الدين انكار منكر او امر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعهم قول قائل ولا
اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جنبهم في انكارهم وصلابتهم في امرهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي
التنكير مبالغتان كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم احد من اللوام وذلك اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة
والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة يؤتيه من يشاء ممن يعلم ان له لطفا واسع كثير الفواضل والالطاف
عليم بمن هو من اهلها عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاته بقوله انما وليكم الله ورسوله
والذين آمنوا ومعنى انما وجوب اختصاصهم بالموالاة فان قلت قد ذكرت جماعة فهلا قيل انما اولياؤكم
قلت اصل الكلام انما وليكم الله فجعلت الولاية لله على طريق الاصالة ثم نظم في سلك اثباتها لرسول الله صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل انما اولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام اصل وتبع
وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه انما مولاكم فان قلت الذين يقيمون ما محله قلت الرفع على البدل من الذين
آمنوا او على هم الذين يقيمون او النصب على المدح وفيه تمييز للخلص من الذين آمنوا نفاقا او واطأت قلوبهم السنتهم
الا انهم مفرطون في العمل وهم راكعون الواو فيه للحال اي يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والاخبات
والتواضع لله اذا صلوا واذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكاة بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة
وانها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في الصلاة فطرح له خاتمه كانه كان مرجا في
خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته فان قلت كيف صح ان يكون لعلي رضي الله عنه واللفظ
لفظ جماعة قلت جيء به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في مثل فعله
فينالوا مثل ثوابه ولينبه على ان سجية المؤمنين يجب ان تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان وتفقد
الفقراء حتى ان لزهم امر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة لم يؤخروه الى الفراغ منها فان حزب الله من اقامة
الظاهر مقام المضمر ومعناه فانهم هم الغالبون ولكنهم بذلك جعلوا اعلاما لكونهم حزب الله واصل الحزب القوم
يجتمعون لامر حزبهم ويحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله
واعتضد بمن لا يغالب يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا
ذلك بانهم قوم لا يعقلون روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان
رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني ان اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل باتخاذكم اياهم اولياء
بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار وان كان اهل الكتاب من الكفار
اطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله رضي الله عنه ومن الذين اشركوا وقرئ
والكفار بالنصب والجر ويعضد قراءة الجر قراءة ابي رضي الله عنه ومن الكفار واتقوا الله في موالاة الكفار وغيرهم ان كنتم
مؤمنين حقا لان الايمان يأبى موالاة اعداء الدين اتخذوها الضمير للصلاة او المناداة قيل كان رجل من النصارى
بالمدينة اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو

نائم فتطايرت

نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو واهله وقيل فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب
لا بالمنام وحده لا يعقلون لان لعبهم وهزؤهم من افعال السفهاء والجهلة فكأنه لا عقل لهم قل يا اهل الكتاب هل
تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون قل هل انبئكم بشر من ذلك
مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا
واضل عن سواء السبيل قرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان
بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون فان قلت علام عطف قوله وان اكثركم فاسقون قلت فيه وجوه
منها ان يعطف على ان آمنا بمعنى وما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الايمان كانه قيل وما
تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الاسلام وانتم خارجون منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف
المضاف اي واعتقاد انكم فاسقون ومنها ان يعطف على المجرور اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان
اكثركم فاسقون ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي وما تنقمون منا الا الايمان مع ان اكثركم فاسقون ويجوز ان يكون
تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كانه قيل وما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم وفسقكم واتباعكم
الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن لفسقكم نقمتم ذلك علينا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فسألوه
عمن يؤمن به من الرسل فقال اؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ما نعلم
اهل دين اقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وان اكثركم بالكسر
ويحتمل ان ينتصب وان اكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او يرتفع على
الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لانكم علمتم انا على الحق وانكم على الباطل الا ان حب الرياسة
وكسب الاموال لا يدعكم فتنصفوا ذلك اشارة الى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر
من اهل ذلك او دين من لعنه الله ومن لعنه في محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله قل افانبئكم بشر من
ذلكم النار او في محل الجر على البدل من بشر وقرئ مثوبة ومثوبة فان قلت المثوبة مختصة
بالاحسان فكيف جاءت في الاساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم ضرب
وجيع ومنه فبشرهم بعذاب اليم فان قلت المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة
قلت كان اليهود يدعون ان المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة
واليقين من اهل الاسلام في زعمكم ودعواكم وعبد الطاغوت عطف على صلة من وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه
ومن عبدوا وقرئ وعابد الطاغوت عطفا على القردة وعابدي وعباد وعبد وعبد ومعناه الغلو في
العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال ابني لبينى ان امكم امة وان اباكم
عبد وعبد بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين جمع عبيد وعبد بوزن كفرة وعبد واصله عبدة فحذف
التاء للاضافة وهو كخدم في جمع خادم وعبد وعباد واعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف
الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم او بينهم وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك
امر اذا صار اميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله فان قلت كيف جاز ان يجعل الله منهم عباد
الطاغوت قلت فيه وجهان احدهما انه خذلهم حتى عبدوها والثاني انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به
كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل الطاغوت العجل لانهم عبدوه من دون الله والاظهر ان
العجل وان يتناول الشيطان لكانت عبادته هي عبادة الشيطان فهو الطاغوت وعن ابن عباس رضي الله عنه
الطاغوت الكهنة وكل من اطاع احدا في معصية فقد عبده وقرأ الحسن الطاغوت وقيل جعل منهم القردة
اصحاب السبت فشبابهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وروي انها لما نزلت كان المسلمون يعيرون
اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤوسهم اولئك الملعونون شر مكانا جعلت

الشوارق اللمعان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست في قوله اولئك شر واضل لدخوله في باب الكناية التي
اخت المجاز ۞ واذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا
يكتمون ۞ وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون
لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ۞ نزلت
في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فاخبره الله
بشانهم وانهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك
۞ وقوله بالكفر وبه حالان اي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قوله
وقد دخلوا وهم قد خرجوا [illegible] تقريبا الماضي من الحال وليعلم آخر وهو ان امارات النفاق
كانت لائحة عليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوقعا لاظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق
بقوله قالوا آمنا اي قالوا ذلك وهذه حالهم ۞ الاثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الاثم ۞ والعدوان الظلم
وقيل الاثم ما كان الشرك وقولهم عزير ابن الله ۞ وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم [illegible]

[illegible]

الشيء بماله من تمسه ان يعطيه بيديه جميعا [illegible] وقرئ ولعنوا بالسكون وفي مصحف
عبد الله رضي الله عنه بل يداه بسطتان يقال يد بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة سجح ۞ ينفق كيف
يشاء تاكيد لذلك [illegible] الا على مقتضى الحكمة والمصلحة ۞ نزلت في [illegible] الله تعالى كان
قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف الله تعالى
ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فاشركوا فيه ۞
وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اي بآيات الله ۞ والقينا بينهم العداوة [illegible]
فكلمتهم ابدا مختلفة وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد كلما اوقدوا نارا [illegible]
وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على احد قط وقد اتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس ۞ وقيل خالفوا حكم التوراة
فبعث الله عليهم بختنصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس
ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين ۞ وقيل لما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصر عليهم ۞ قتادة [illegible]

[illegible]

جواب الشرط ما وجه صحته قلت فيه وجهان احدها انه اذا لم يمتثل امر الله في تبليغ الرسالات وكتمها
كلها كانه لم يبعث رسولا كان امرا شنيعا لاخفا بشناعته فقيل ان لم تبلغ منها ادنى شي وان كلمة واحدة
فانت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو كتمانها كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكانما قتل الناس جميعا والثاني ان يراد
ان لم تفعل فلك ما يوجب كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله عليه الصلوة والسلام
فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك والله يعصمك عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك
العصمة من اعدائك فما عذرك في مراقبتهم فان قلت اين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم احد قلت المراد به
انه يعصمه من القتل وفيه ان عليه ان يحتمل ما دون النفس في ذات الله فما اشد تكليف الانبياء عليهم الصلوة والسلام
وقيل نزلت بعد يوم احد والناس الكفار بدليل قوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين ومعناه انه لا يمكنهم مما
يريدون انزاله بك من الهلاك وعن انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج
راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس لستم على شي اي على دين يعتد به حتى يسمى
شيئا لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشي تريد تحقيره وتصغير شانه وفي امثالهم اقل من لا شي فلا تاس فلا
تتاسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فان ضرر ذلك راجع اليهم لا اليك وفي المؤمنين غنى عنهم ان الذين امنوا
والذين هادوا والنصارى والصابئون من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان من اسمها وخبرها كانه قيل
ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وانشد سيبويه شاهدا له والا فاعلموا انا
وانتم بغاة ما بقينا في شقاق اي فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك فان قلت هلا زعمت ان ارتفاعه
للعطف على محل ان واسمها قلت لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان فان قلت
لم لا يصح والنية به التاخير فكانك قلت ان زيدا منطلق وعمرو قلت لاني اذا رفعته رفعته عطفا على محل ان واسمها
والعامل في محلهما هو الابتداء فيجب ان يكون هو العامل في الخبر لان الابتداء ينتظم الجزئين في عمله كما ينتظمهما
ان في عملها فلو رفعت الصابئون المنوي به التاخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بان لاعملت فيهما رافعين مختلفين
فان قلت فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو قلت هو مع خبره المحذوف جملة
معطوفة على جملة قوله ان الذين امنوا الخ ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها فان قلت ما التقديم
والتاخير الا لفائدة فما فائدة هذا التقديم قلت فائدته التنبيه على ان الصابئين يتاب عليهم ان صح منهم
الايمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك ان الصابئين ابين هؤلاء المعدودين ضلالا واشدهم غيا وما سموا
صابئين الا لانهم صبؤا عن الاديان كلها اي خرجوا كما ان الشاعر قدم قوله وانتم تنبيها على ان المخاطبين اوغل
في الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم اوغل
فيه منهم واثبت قدما فان قلت فلو قيل والصابئين وايا كان التقديم حاصلا قلت لو قيل هكذا
لم يكن من التقديم في شي لانه لا ازالة فيه عن موضعه وانما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ومجرى هذه
الجملة مجرى الاعتراض في الكلام فان قلت كيف قيل الذين امنوا ثم قيل من امن قلت فيه وجهان ان يراد بالذين
امنوا بالسنتهم وهم المنافقون وان يراد بمن امن من ثبت على الايمان واستمر عليه فان قلت ما محل
من امن قلت اما الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط
ثم الجملة كما هي خبر ان واما النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه او من المعطوف عليه فان قلت فاين
الراجع الى اسم ان قلت هو محذوف تقديره من امن منهم كما جاء في موضع اخرى وقرى والصابيون بياء صريحة
لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ادلة العقل والسمع وفي قراءة ابي رضي الله عنه والصابئين
بالنصب وبها قرا ابن كثير وقرا عبد الله رضي الله عنه يا ايها الذين امنوا والذين هادوا والصابئون

ولقد اخذنا

ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا
يقتلون وحسبوا الا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله
بصير بما يعملون لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وارسلنا اليهم رسلا ليقفوهم على ما ياتون وما يذرون
في دينهم كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف اي رسول منهم بما لا تهوى
انفسهم بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع فان قلت اين جواب الشرط
فان قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب عن الجواب لانه لا يكون ... الا ترى انه لا يحسن ان تقول ان
اكرمت اخي اخاك اكرمت قلت هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كانه قيل كلما جاءهم
رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستانف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم فان قلت لم جيء باحد
الفعلين ماضيا وبالاخر مضارعا قلت جيء يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا
لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها وقرى ان لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة
اصله انه لا تكون فتنة فخففت ان وحذف ضمير الشان فان قلت كيف دخل فعل الحسبان على ان التي هي للتحقيق
قلت نزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم فان قلت فاين مفعولا حسب قلت سد ما يشتمل عليه
صلة ان وان من المسند والمسند اليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من الله فتنة اي بلاء
وعذاب في الدنيا والاخرة فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم ثم عموا
وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله وهو الرؤية وقرى عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله
وصمهم اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته بركبتك كثير
منهم بدل من الضمير او على قولهم اكلوني البراغيث او هو خبر مبتدا محذوف اي اولئك كثير منهم لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله
عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا
اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله
غفور رحيم لم يفرق عيسى عليه السلام بينه وبينهم في انه عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى انه من
يشرك بالله في عبادته او فيما هو مختص به من صفاته او افعاله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين اي حرمه
دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرم من المحرم عليه وما للظالمين من انصار من كلام الله على انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل
الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا
معظمين له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى صلوات الله عليه وسلامه على معنى ولا ينصركم احد فيما
تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول او ولا ينصركم ناصر في الاخرة من عذاب الله من في قوله
وما من اله الا اله للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا اله الا الله والمعنى وما من اله قط في الوجود
الا اله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ومن في قوله ليمسن الذين كفروا منهم للبيان كالتي
في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فان قلت فهلا قيل ليمسنهم عذاب اليم قلت في اقامة الظاهر
مقام المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة اخرى وهي الاعلام في
ان الذين كفروا انما يمسهم العذاب لاجل الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب اليم اي نوع شديد الالم
من العذاب كما تقول اعطيته عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الاجناس التي يجوز ان يتناولها
عشرون ويجوز ان تكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا من النصرانية افلا
يتوبون الا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من
اصرارهم والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه

صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون ۝ قل أتعبدون من دون
الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم ۝ قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول أي ما هو
رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها إن أبرأ الله الأكمه والأبرص وأحيى
الموتى على يده فقد أحيى العصى وجعلها حية تسعى وفلق البحر وطمس على يد موسى عليه الصلاة والسلام وإن
خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم عليه الصلاة والسلام من غير ذكر ولا أنثى ۝ وأمه صديقة أي وما أمه
إلا كبعض النساء المصدقات للأنبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما إلا منزلة بشرين أحدهما نبي والآخر صحابي
فمن أين اشتبه عليكم أمرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الأنبياء وصحابتهم مع أنه لا تميز ولا
تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما نسبا إليه في قوله كانا يأكلان الطعام لأن من احتاج
إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن إلا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط
وأمزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الأجسام ۝ كيف نبين لهم الآيات
أي الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم [illegible]

[illegible]

الإسلام في شيء مع ما يتلونه من كلام الله وما فيه من مطالب المغالب في هذا الباب فإن قلت كيف وقع ترك التناهي
عن المنكر تفسيرا للمعصية والاعتداء قلت من قبل أن الله عز وجل أمر بالتناهي فكان الإخلال به معصية
وهو اعتداء لأن في التناهي حسما للفساد فكان تركه على عكسه فإن قلت ما معنى وصف المنكر
بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل قلت معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه
أو عن منكر أرادوا فعله كما ترى أمارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى وتهيأ ويجوز أن يراد لا ينتهون ولا
يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال تناهى عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع منه
وتركه ترى كثيرا منهم هم منافقو أهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم أن سخط الله عليهم هو المخصوص
بالذم ومحله الرفع كأنه قيل لبئس زادهم إلى الآخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله ولو كانوا يؤمنون
إيمانا خالصا غير نفاق ما اتخذوهم أولياء يعني أن موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم
وأن إيمانهم ليس بإيمان ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون
[illegible]

الذي هو ما عرفوه او تحتمل معنى التبعيض على انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وقرؤا القرآن واحاطوا بالسنة • وقرئ ترى اعينهم على البناء للمفعول • ربنا آمنا المراد به انشاء الايمان والدخول فيه • فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك • وما لنا لا نؤمن انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام الله بصحبة الصالحين • وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك واراد وما لنا لا نؤمن بالله وحده لانهم كانوا مثلثين وذلك ليس بايمان بالله • ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك قائما • والواو في ونطمع واو الحال فان قلت ما العامل في الحال الاولى والثانية قلت العامل في الاولى ما في اللام من معنى الفعل كانه قيل اي شيء حصل لنا غير مؤمنين وفي الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما • ويجوز ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على انهم انكروا على انفسهم انهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا الصالحين وان يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين او على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في الاسلام لان الكافر ينبغي له ان لا يطمع في صحبة الصالحين • فاثابهم الله بما قالوا عن اعتقاد واخلاص من قولك هذا قول فلان اي اعتقاده وما يذهب اليه •

يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون

طيبات ما احل الله لكم ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا • وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما فبالغ وانذرهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت • وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة • وعن ابن مسعود ان رجلا قال له اني حرمت الفراش فتلا هذه الآية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك • وعن الحسن انه دعي الى طعام ومعه فرقد السبخي واصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن اهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فريقد اترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم • وعنه انه قيل له فلان لا ياكل الفالوذ ويقول لا اؤدي شكره قال افيشرب الماء البارد قالوا نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه في الماء البارد اكثر من نعمته عليه في الفالوذ • وعنه ان الله تعالى ادب عباده فاحسن ادبهم قال الله تعالى لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا واطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه • ولا تعتدوا ولا تتعدوا حدود ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده على عقبه • وكلوا مما رزقكم الله اي من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا • حلالا حال مما رزقكم الله • واتقوا الله تاكيد للتوصية بما امر به وزاده تاكيدا بقوله الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما امر به وعما نهى عنه •

لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته

قوله بذلك اي بتحريم الطيبات يعني يكون التحريم باعتقاد هو تحريم الطيبات فقطع

طعام

اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون

اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم • واختلف فيه فعن عائشة رضي الله عنها انها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه • وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشيء يرى انه كذلك وليس كما ظن وهو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه • بما عقدتم الايمان بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها بالقصد والنية • وروي ان الحسن سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال يا ابا سعيد دعني اجب عنك فقال ولست بماخوذ بلغو تقوله اذا لم تعمد عاقدات العزائم • وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم • والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لانه كان معلوما عندهم او بنكث ما عقدتم فحذف المضاف • فكفارته فكفارة نكثه • والكفارة الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة اي تسترها • من اوسط ما تطعمون من اقصده لان منهم من يسرف في اطعام اهليه ومنهم من يقتر • وهو عند ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه نصف صاع من بر او صاع من غيره لكل مسكين • او يغديهم ويعشيهم • وعند الشافعي رضي الله تعالى عنه مد لكل مسكين • وقرأ جعفر بن محمد رحمه الله تعالى اهاليكم بسكون الياء • والاهالي اسم جمع لاهل كالليالي في جمع ليلة والاراضي في جمع ارض • وقولهم اهلون كقولهم ارضون بسكون الراء • والتسكين في حال النصب للتخفيف كما قالوا رايت معديكرب تشبيها للياء بالالف • او كسوتهم عطف على محل من اوسط • وقرئ بضم الكاف نحو قدوة في قدوة واسوة في اسوة • والكسوة ثوب يغطي العورة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت العباءة تجزئ يومئذ • وعن ابن عمر رضي الله عنهما ازار وقميص او رداء او كساء • وعن مجاهد رحمه الله ثوب جامع • وعن الحسن رحمه الله ثوبان ابيضان • وقرأ سعيد بن المسيب واليماني رحمهما الله او كاسوتهم بمعنى او مثل ما تطعمون اهليكم اسرافا كان او تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم ولكن تواسون بينهم وبينهم • فان قلت ما محل الكاف قلت الرفع تقديره او طعامهم كاسوتهم بمعنى كمثل طعامهم ان لم تطعموهم الاوسط • او تحرير رقبة شرط الشافعي رضي الله عنه الايمان قياسا على كفارة القتل • واما ابو حنيفة واصحابه رضي الله تعالى عنهم فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى كفارة القتل والله اعلم • فان قلت ما معنى او قلت التخيير وايجاب احدى الكفارات الثلاث على الاطلاق بايتها اخذ المكفر فقد اصاب • فمن لم يجد احداها فصيام ثلاثة ايام متتابعات عند ابي حنيفة رحمه الله تمسكا بقراءة ابي وابن مسعود رضي الله عنهما فصيام ثلاثة ايام متتابعات • وعن مجاهد كل صوم متتابع الا قضاء رمضان ويخير في كفارة اليمين • ذلك المذكور كفارة ايمانكم ولو قيل تلك كفارة ايمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الاشياء او لتانيث الكفارة • والمعنى اذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة انما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف • والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله وعند الشافعي رضي الله عنه يجوز بالمال اذا لم يعص بالحنث • واحفظوا ايمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا اراد الايمان التي الحنث فيها معصية لان الايمان اسم جنس يجوز اطلاقه على بعض الجنس وعلى كله • وقيل احفظوها بان تكفروها • وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها • كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته اعلام شريعته واحكامه • لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه •

يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون • انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون • واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين • ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات

جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين ▪ أكد تحريم الخمر والميسر
وجوها من التأكيد منها تصدير الجملة بانما ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله عليه الصلوة
والسلام شارب الخمر كعابد الوثن ومنها انه جعلهما رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها انه
جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا يأتي منه الا الشر البحت ومنها انه امر بالاجتناب ومنها انه جعل
الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها انه ذكر ما
ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض من اصحاب الخمر والقمر وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر
الله وعن مراعاة اوقات الصلوة ▪ وقوله فهل انتم منتهون من ابلغ ما ينهى به كأنه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من انواع
الصوارف والموانع فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا فان
قلت الام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه قلت الى المضاف المحذوف كأنه قيل انما شأن الخمر والميسر او
تعاطيهما او ما اشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام
اولا ثم افردهما آخرا قلت لان الخطاب مع المؤمنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر
وذكر الانصاب والازلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر واظهار ان ذلك جميعا من اعمال الجاهلية واهل الشرك
فوجب اجتنابه بأسره وكأنه لا مباينة بين من عبد صنما واشرك بالله في علم الغيب وبين من شرب خمرا
او قامر ثم افردهما بالذكر ليري ان المقصود بالذكر الخمر والميسر ▪ وقوله وعن الصلوة اختصاص للصلوة من بين
الذكر كأنه قيل وعن الصلوة خصوصا ▪ واحذروا وكونوا حذرين خاشيين لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر
الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ▪ ويجوز ان يراد واحذروا ما عليكم في الخمر والميسر او في ترك طاعة الله
والرسول ▪ فان توليتم فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لان الرسول ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وانما
ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتم ▪ رفع الجناح عن المؤمنين في اي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها
اذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها ▪ وآمنوا وثبتوا على الايمان والعمل الصالح وازدادوه ثم اتقوا وآمنوا ثم ثبتوا
على التقوى والايمان ▪ ثم اتقوا واحسنوا ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا اعمالهم واحسنوا الى الناس
واسوهم بما رزقهم الله من الطيبات ▪ وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يا رسول الله
كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فنزلت يعني ان المؤمنين لا جناح عليهم في اي
شيء طعموه من المباحات اذا ما اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا على معنى ان اولئك كانوا على هذه
الصفة ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان ومثاله ان يقال لك هل على زيد
فيما فعل جناح وقد علمت ان ذلك امر مباح فتقول ليس على احد جناح في المباح اذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا
تريد ان زيدا تقي مؤمن محسن وانه غير مؤاخذ فيما فعل ▪ يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد
تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ▪ يا ايها
الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به
ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما ليذوق
وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام ▪ نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله
بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده اخذا بايديهم وطعنا
برماحهم ▪ ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد ممن
لا يخافه فيقدم عليه ▪ فمن اعتدى فصاد بعد الابتلاء فله عذاب اليم ▪ فان قلت ما معنى التقليل
والتصغير في قوله بشيء من الصيد قلت قلل وصغر ليعلم انه ليس من الفتن العظام التي تدحض عندها
اقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الارواح والاموال وانما هو شبيه بما ابتلي به اهل ايلة من صيد السمك وانهم

اذا لم يثبتوا عنده فكيف يثبتون عند ما هو اشد منه ▪ وقرأ ابراهيم رحمه الله يناله بالياء ▪ حرم محرمون جمع
حرام كردح جمع رداح ▪ والتعمد ان يقتله وهو ذاكر لاحرامه او عالم ان ما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس
لاحرامه او رمى صيدا وهو يظن انه ليس بصيد فاذا هو صيد ▪ او قصد برميه غير صيد فعدل السهم
عن رميته فاصاب صيدا فهو مخطئ فان قلت فمحظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ فما
بال التعمد مشروطا في الآية قلت لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روي انه عن لهم في عمرة الحديبية
حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر رضي الله عنه فطعنه برمحه فقتله فقيل انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت
ولان الاصل فعل التعمد والخطأ لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله تعالى ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله منه
وعن الزهري رحمه الله نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ ▪ وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه لا ارى في الخطأ
شيئا اخذا باشتراط العمد في الآية ▪ وعن الحسن رحمه روايتان ▪ فجزاء مثل ما قتل برفع جزاء ومثل جميعا يعني
فعليه جزاء مماثل لما قتل وهو من الصيد وهو عند ابي حنيفة رضي الله عنه قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان
بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل
مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام
مسكين صام عنه يوما او تصدق به ▪ وعند محمد والشافعي رحمهما الله تعالى مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له
نظير من النعم عدل الى قول ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه فان قلت فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله
من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة قلت قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها
هديا او طعاما او يصوم كما خير الله تعالى في الآية فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشتري بالقيمة في احد
وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير
الذي في الآية بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام او بالصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف
اذا قوم ونظر بعد التقويم اي الثلاثة يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير
تخيير فاذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الاطعام والصوم ففيه نبو عما في الآية الا ترى
الى قوله تعالى او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى
ذلك الا بالتقويم ▪ وقرأ عبد الله رضي الله تعالى عنه فجزاؤه مثل ما قتل ▪ وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الاضافة
واصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيد
وقرأ السلمي رحمه الله على الاصل ▪ وقرأ محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل
▪ وقرأ الحسن رحمه الله من النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه ▪ يحكم به بمثل ما قتل ذوا
عدل منكم حكمان عادلان من المسلمين ▪ قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد
دون الاشياء المشاهدة ▪ وعن قبيصة انه اصاب ظبيا وهو محرم فسأل عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف رضي الله
عنهم ثم امره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم امير المؤمنين حتى سأل غيره فاقبل عليه ضربا بالدرة فقال
اتغمص الفتيا وتقتل الصيد وانت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن ▪ وقرأ محمد بن
جعفر ذو عدل منكم اراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة ▪ وقيل اراد الامام ▪ هديا حال عن جزاء فيمن وصفه
بمثل لان الصفة خصصته فقربته من المعرفة او بدل عن مثل فيمن نصبه او عن محله فيمن جره ▪ ويجوز ان
ينتصب حالا عن الضمير في به ▪ ووصف هديا ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية ▪ ومعنى بلوغه الكعبة
ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت عند ابي حنيفة رضي الله تعالى ▪ وعند الشافعي رضي الله عنه في الحرم
فان قلت بم يرفع كفارة من ينصب جزاء قلت يجعلها خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل او الواجب عليه كفارة
او يقدر فعليه ان يجزي جزاء او كفارة فيعطفها على ان يجزي ▪ وقرئ او كفارة طعام مساكين على الاضافة وهذه

الإضافة مبيّنة كأنه قيل أو كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة • وقرئ أو
كفارة طعام مسكين على أنه واحد لأنه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس • وقرئ أو عِدل
ذلك بكسر العين والفرق بينهما أن عَدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والإطعام وعِدله
ما عُدل به في المقدار ومنه عِدلا الحمل لأن كل واحد منهما عِدل بالآخر حتى اعتدلا كأن المفتوح تسمية
بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذِّبح والطِّحن ونحوهما الحِمل والحَمل • وذلك إشارة إلى الطعام • وصياما
تمييز للعدل كقولك لي مثله رجلا • والخيار في ذلك إلى قاتل الصيد عند أبي حنيفة وأبي يوسف
رضي الله تعالى عنهما • وعند محمد رحمه الله إلى الحكمين • ليذوق متعلق بقوله فجزاء أي
فعليه أن يجازى أو يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام • والوبال المكروه والضرر
الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فأخذناه أخذا وبيلا ثقيلا • والطعام
الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ • عفا الله عما سلف لكم من الصيد في حال الإحرام قبل أن تراجعوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتسألوه عن جوازه • وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لأنهم كانوا متعبدين بشرائع
من قبلهم وكان الصيد فيها محرما • ومن عاد إلى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي عنه • فينتقم الله منه خبر مبتدأ
محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف يعني ينتقم منه في الآخرة • واختلف في
وجوب الكفارة على العائد فعن عطاء وإبراهيم وسعيد بن جبير وجوبها وعليه عامة العلماء • وعن ابن عباس
وشريح أنه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر وأنه لم يذكر الكفارة أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ
وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ صيد البحر مصيدات البحر مما يؤكل وما
لا يؤكل • وطعامه وما يطعم من صيده والمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر وأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك
وحده عند أبي حنيفة رحمه الله وعند ابن أبي ليلى جميع ما يصاد فيه على أن تفسيره الآية عنده أحل لكم صيد حيوان البحر وأن تطعموه
متاعا لكم مفعول له أي أحل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة في باب
الحال لأن قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما أن نافلة حال مختصة بيعقوب يعني أحل لكم طعامه تمتيعا
لتنائكم يأكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه الصلاة والسلام الحوت في مسيره إلى
الخضر • وقرئ وطُعْمه • وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وإن كان يعيش في الماء في بعض الأوقات كطير الماء
عند أبي حنيفة رحمه الله واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن
عباس رضي الله تعالى عنهما • وعن أبي هريرة رضي الله عنه وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير رضي الله عنهم
أنهم أجازوا للمحرم أكل ما صاده الحلال وإن صاده لأجله إذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل إحرامه
وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله • وعند مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله لا يباح له ما صيد لأجله
فإن قلت ما يصنع أبو حنيفة رحمه الله بعموم قوله صيد البر **قلت** قد أخذ أبو حنيفة رحمه الله
بالمفهوم من قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما لأن ظاهره أنه صيد المحرمين دون صيد غيرهم
لأنهم هم المخاطبون فكأنه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حين
كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم • وقرأ ابن عباس
رضي الله تعالى عنه وحرم عليكم صيد البر أي الله عز وجل • وقرئ ما دِمتم بكسر الدال فيمن يقول دِمت تدام
جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء الصفة كذلك قياما للناس
انتعاشا لهم في أمر دينهم ودنياهم ونهوضا إلى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم
وتجارتهم وأنواع منافعهم • وعن عطاء بن أبي رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا • والشهر الحرام والشهر الذي

يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لأن لاختصاصه من بين الأشهر بإقامة موسم الحج فيه شأنا قد عرفه الله تعالى
وقيل عنى به جنس الأشهر الحرم • والهدي والقلائد والمقلد منه خصوصا وهي البدن لأن الثواب فيه أكثر وبهاء
الحج معه أظهر • ذلك إشارة إلى الجعل أو إلى ما ذكر من حفظ حرمة الإحرام بترك الصيد وغيره
لتعلموا أن الله يعلم كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وينعشكم مما أمركم به وكلفكم اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ • شديد العقاب لمن انتهك
محارمه غفور رحيم لمن حافظ عليها • ما على الرسول إلا البلاغ تشديد في إيجاب القيام بما أمر به وأن الرسول
قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط قُلْ لَا يَسْتَوِي
الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ • البون بين الخبيث والطيب
بعيد عند الله وإن كان قريبا عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل فإن
ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه
وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديئهم • فاتقوا الله وآثروا الطيب وإن قل على الخبيث وإن
كثر • ومن حق هذه الآية أن يكفح بها وجوه المجبرة إذا افتخروا بالكثرة • بيت الحماسة • كما قيل وتستكثر الكبيرة
ولا ترى من سعيد وفاء • ولا أنصار • بيت أبي تمام • لا يبعدنك من تحيا بهم عدد • فإن جلهم بل كلهم
بقر • وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين أراد المسلمون أن يوقعوا بهم فنهوا عن الإيقاع بهم • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ
غَفُورٌ حَلِيمٌ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ • الجملة الشرطية والمعطوفة عليها
أعني قوله إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم صفة للأشياء • والمعنى لا تكثروا مسألة
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم إن أفتاكم بها وكلفكم إياها تغمكم وتشق عليكم
وتندموا على السؤال عنها وذلك نحو ما روي أن سراقة بن مالك أو عكاشة بن محصن قال يا رسول الله الحج علينا
كل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد مسألته ثلاث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويحك وما يؤمنك أن أقول نعم ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فإنما
هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم
عن شيء فاجتنبوه • وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن وإن تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما
دام الرسول بين أظهركم يوحى إليه • تبد لكم تلك التكاليف التي تسوءكم وتؤمروا بتحملها فتعرضوا أنفسكم لغضب الله
بالتفريط فيها • عفا الله عنها عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا إلى مثلها • والله غفور حليم لا يعاجلكم
فيما يفرط منكم بعقوبته • **فإن قلت** كيف قال لا تسألوا عن أشياء ثم قال قد سألها ولم يقل قد سأل عنها
قلت الضمير في سألها ليس براجع إلى أشياء حتى يجب تعديته بعن وإنما هو راجع إلى المسألة التي دل عليها لا تسألوا
يعني قد سأل هذه المسألة قوم من الأولين • ثم أصبحوا بها أي بمرجوعها أو بسببها كافرين وذلك أن بني إسرائيل
كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ
وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ كان أهل الجاهلية إذا نتجت
الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وإذا لقيها المعيي
لم يركبها واسمها البحيرة • وكان الرجل يقول إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة
في تحريم الانتفاع بها • وقيل كان الرجل إذا أعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث • وإذا ولدت
الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكرا فهو لآلهتهم • فإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم
• وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى • ومعنى

ما جعلوا شيئا من ذلك ولا امر بالتحريم للتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا يفترون على الله الكذب
واكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم الى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم ● واذا قيل لهم تعالوا الى
ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا
يهتدون ● الواو في قوله اولو كان آباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو
كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ● والمعنى ان الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدي وانما يعرف اهتداؤه بالحجة ● يا ايها
الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون
كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الاسلام فقيل لهم عليكم انفسكم وما
كلفتم من اصلاحها والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم اذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه فلا
تذهب نفسك عليهم حسرات وكذلك من يتاسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم
فهو مخاطب به وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وانما هو بعض
الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه ● وعن ابن مسعود رضي الله عنه انها قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها
انها اليوم مقبولة ولكن يوشك ان ياتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر ولا
يقبل منه وبسط لعذره ● وعنه رضي الله عنه ليس هذا بزمان تاويلها قيل فمتى قال اذا جعل دونها السيف والسوط
والسجن ● وعن ابي ثعلبة الخشني انه سئل عن ذلك فقال للسائل سالت عنها خبيرا سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا ما رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة
واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بنفسك ودع امر العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل
منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله ● وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك ولاموه فنزلت عليكم
انفسكم [illegible] اصلاح انفسكم [illegible] ● وعن نافع عليكم انفسكم بالرفع ● وقرى
لا يضركم وفيه وجهان ان يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة ابي حيوة لا يضيركم وان يكون جوابا للامر مجزوما
وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة والاصل لا يضرركم ويجوز ان يكون نهيا ● ولا يضركم
بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره ● يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية
اثنان ذوا عدل منكم او آخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة
فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين
ارتفع اثنان على انه خبر للمبتدا الذي هو شهادة بينكم على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل شهادة بينكم
على معنى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان ● وقرا الشعبي شهادة بينكم بالتنوين ● وقرا الحسن شهادة بالنصب والتنوين
ليقم شهادة اثنان ● واذا حضر ظرف للشهادة ● وحين الوصية بدل منه وفي ابداله منه دليل على وجوب
الوصية وانها من الامور اللازمة التي ما ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها ● وحضور الموت مشارفته وظهور
امارات بلوغ الاجل ● منكم من اقاربكم ● او آخران من غيركم من الاجانب ● ان انتم ضربتم في الارض يعني ان وقع الموت في السفر
ولم يكن معكم احد من عشيرتكم فاستشهدوا اجنبيين على الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم باحوال الميت
وبما هو اصلح وهم له انصح ● وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة ● وقيل هو منسوخ لا تجوز شهادة
الذمي على المسلم وانما جازت في اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر ● وعن مكحول رضي الله عنه
نسخها قوله واشهدوا ذوي عدل منكم ● وروي انه خرج بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين
مع عدي بن زيد وتميم بن اوس وكانا نصرانيين تجارا الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه
في متاعه ولم يخبر به صاحبيه واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه فاخذا اناء من فضة
فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوهما الى رسول

الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ● تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما للحلف ● من بعد الصلاة من بعد صلاة العصر
لانه وقت اجتماع الناس ● وعن الحسن بعد العصر او الظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما ● وفي حديث
بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا
ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي ● وقيل هي صلاة اهل الذمة وهم يعظمون صلاة العصر
ان ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى ان ارتبتم في شانهما واتهمتموهما فحلفوهما ● وقيل ان اريد بهما الشاهدان
فقد نسخ تحليف الشاهدين ● وان اريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما ● وعن علي رضي الله عنه انه كان يحلف الشاهد
والراوي اذا اتهمهما ● والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا
اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم
ابدا وانهم داخلون تحت قوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ● شهادة الله
اي الشهادة التي امر الله بحفظها وتعظيمها ● وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدا آلله بالمد على طرح حرف القسم
وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام
فيقول الله لافعلن ● وقرى لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام النون فيها كقوله عادا لولى
فان قلت ما موقع تحبسونهما قلت هو استئناف كلام كانه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا
بهما فقيل تحبسونهما ● فان قلت كيف فسرت الصلاة بصلاة العصر وهي مطلقة قلت لما كانت معروفة
عندهم بالتحليف بعدها اغنى ذلك عن التقييد كما لو قلت في بعض ائمة الفقه اذا صلى اخذ في الدرس علم
انها صلاة الفجر ● ويجوز ان تكون اللام للجنس وان تقصد بالتحليف على اثر الصلاة ان تكون الصلاة لطفا في النطق بالصدق
وناهية عن الكذب والزور ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ● فان عثر على انهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما
من الذين استحق عليهما الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين
ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي
القوم الفاسقين ● [illegible]

[illegible]

فان قلت [illegible]

قلت [illegible]

يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب [illegible]

وما له انتصب انتصاب مصدره على معنى أي إجابة أجبتم ولو أريد الجواب لقيل بماذا أجبتم **فإن قلت** ما معنى سؤالهم **قلت** توبيخ قومهم كما كان سؤال الموءودة توبيخا للوائد **فإن قلت** فكيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بما أجيبوا **قلت** يعلمون أن الغرض بالسؤال توبيخ أعدائهم فيكلون الأمر إلى علمه وإحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء إجابتهم إظهارا للتشكي واللجأ إلى ربهم في الانتقام منهم وذلك أعظم على الكفرة وأفت في أعضادهم وأجلب لحسرتهم وسقوطهم في أيديهم إذا اجتمع توبيخ الله وتشكي أنبيائهم عليهم ومثاله أن ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له أنت أعلم بما فعل بي تفويضا للأمر إلى علم سلطانه واتكالا عليه وإظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه • وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما تثوب إليهم عقولهم بالشهادة على أممهم • وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لأنك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها إجابة الأمم لرسلهم فكأنه لا علم لنا إلى جنب علمك • وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وإنما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم أمرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين • وقرئ علام الغيوب بالنصب على أن الكلام قد تم بقوله إنك أنت أي إنك الموصوف بأوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص أو على النداء وهو صفة لاسم إن **إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين** • إذ قال الله بدل من يوم يجمع والمعنى أنه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن إجابتهم وبتعديد ما أظهر على أيديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة أو جاوزوا حد التصديق إلى أن اتخذوهم آلهة كما قال بعض بني إسرائيل فيما أظهر على يد عيسى عليه الصلاة والسلام من البينات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وأمه إلهين • أيدتك قويتك • وقرئ آيدتك على أفعلتك • بروح القدس بالكلام الذي يحيى به الدين وأضافه إلى القدس لأنه سبب الطهر من أوضار الآثام والدليل عليه تكلم الناس • وفي المهد في موضع الحال لأن المعنى تكلمهم طفلا وكهلا إلا أن في المهد فيه دليل على حد من الطفولة • وقيل روح القدس جبريل صلوات الله وسلامه عليه أيد به لتثبيت الحجة **فإن قلت** ما معنى قوله في المهد وكهلا **قلت** معناه تكلمهم في هاتين الحالتين من غير أن يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الأشد والحد الذي يستنبأ فيه الأنبياء • والتوراة والإنجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة • وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب • كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير بإذني بتسهيلي فتنفخ فيها الضمير للكاف لأنها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى صلوات الله عليه وسلامه وينفخ فيها ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها لأنها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء وكذلك الضمير في فتكون • تخرج الموتى تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية • وإذ كففت بني إسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله • وقيل لما قال الله لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت أينما أمسى بات **وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون** • أوحيت إلى الحواريين أمرتهم على ألسنة الرسل مسلمون مخلصون من أسلم وجهه لله **إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين** • عيسى في محل النصب على إتباع حركته حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية • ويجوز أن يكون مضموما كقولك يا زيد بن عمرو والدليل عليه

قوله أحار بن عمرو كأني خمر لأن الترخيم لا يكون إلا في المضموم **فإن قلت** كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد إيمانهم وإخلاصهم **قلت** ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص وإنما حكى ادعاءهم لهما ثم أتبعه قوله إذ قالوا فآذن أن دعواهم كانت باطلة وأنهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمن معظم لربه وكذلك قول عيسى عليه الصلاة والسلام لهم معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها • إن كنتم مؤمنين إن كانت دعواكم للإيمان صحيحة • وقرئ هل تستطيع ربك أي هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله • والمائدة الخوان الذي كان عليه الطعام وهي من ماده إذا أعطاه ورفده كأنها تميد من تقدم إليه **قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين** • ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني إسرائيل أو نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على أن عليها في موضع الحال وكانت دعواهم لإرادة ما ذكروا كدعواهم للإيمان والإخلاص وإنما سأل عيسى وأجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب إذا خالفوا • وقرئ ويعلم بالياء على البناء للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب **قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين** • اللهم أصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم • وربنا نداء ثان • تكون لنا عيدا أي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الأحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا • وقيل العيد السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا • وقرأ عبد الله تكن على جواب الأمر ونظيرهما يرثني ويرثني لأولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل أي لمن في زماننا من أهل ديننا ولمن يأتي بعدنا • وقيل يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم ويجوز للمقدمين منا والأتباع • وفي قراءة زيد لأولانا وأخرانا والتأنيث بمعنى الأمة والجماعة عذابا بمعنى تعذيبا • والضمير في لا أعذبه للمصدر ولو أريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء • روي أن عيسى عليه الصلاة والسلام لما أراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم أنزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وأخرى تحتها وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين أنت أولى بذلك فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فإذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة فقال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احيي بإذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير • وروي أنهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه قالوا لا نريد فلم تنزل • وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكانت عيدا إلى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح أنها نزلت **وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر**

فانك انت العزيز الحكيم سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي
في قلبي ولا اعلم ما في نفسك [illegible] مشاكلة وهو من فصيح الكلام [illegible]
في نفسك تقول لعلمي بنفسي انك انت علام الغيوب [illegible] الا ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب [illegible]
علام الغيوب [illegible] ان اعبدوا الله ربي وربكم [illegible]
[illegible]

[illegible]

عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الأنعام مكية وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا
بربهم يعدلون هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم انتم تمترون وهو الله في السموات وفي الارض
يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى احدث وانشأ وجعل الظلمات

والنور والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق بين الخلق
والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كانشاء شيء من شيء [illegible]
ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار [illegible]
[illegible] فان قلت لم افرد النور قلت للقصد الى الجنس [illegible]
[illegible] فان قلت [illegible] قلت [illegible]
[illegible] ثم الذين كفروا بربهم يعدلون [illegible]
[illegible] فان قلت [illegible]
[illegible] ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيامة [illegible]

[illegible]

[illegible] فسوف يأتيهم انباء [illegible]
[illegible]
الدنيا او يوم القيمة [illegible] الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن
لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم
قرنا آخرين ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا
سحر مبين وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم
ما كانوا به يستهزءون قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين مكن له في الارض جعل له مكانا
[illegible] ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض [illegible]
ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه [illegible] والمعنى
لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسط في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار

[illegible]

بأسباب الدنيا والسماء المظلة لأن الماء ينزل منها الى السحاب او المطر والمدرار المغزار فإن قلت اي فائدة في انشاء قرن آخرين قلت الدلالة على انه لا يتعاظمه ان يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر على ان ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله ولا يخاف عقباها كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق فلمسوه بايديهم ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا سكرت ابصارنا ولا تبقى لهم علة لقالوا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره لقضي الامر لقضي امر هلاكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين اما لانهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي آية لا شيء ابين منها وايقن ثم لا يؤمنون كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة لم يكن بد من اهلاكهم كما اهلك اصحاب المائدة واما لانه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملك فيجب اهلاكهم ولما لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدونه ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة اشد من نفس الشدة ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا انزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لجعلناه رجلا لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل عليه الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم وللبسنا عليهم ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ فانهم يقولون اذا رأوا الملك في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك فان قال لهم الدليل على اني ملك اني جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق باني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فاذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس الله عليهم ويجوز ان يراد وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة وقرأ ابن محيصن ولبسنا بلام واحدة وقرأ الزهري وللبسنا عليهم ما يلبسون بالتشديد ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من قومه فحاق بهم فاحاط بهم الشيء الذي كانوا به يستهزئون وهو الحق حيث اهلكوا من اجل الاستهزاء به فان قلت اي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلت جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكأنه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين واما قوله سيروا في الارض ثم انظروا فمعناه اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح

قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ۝ وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ۝ قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين ۝ قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ۝ من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين ۝

لمن ما في السموات والارض سؤال تبكيت وقل لله تقرير لهم اي هو لله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون ان تضيفوا شيئا منه الى غيره كتب على نفسه الرحمة اي اوجبها على ذاته في هدايتكم الى معرفته ونصب الادلة لكم على توحيده بما انتم مقرون به من خلق السموات والارض ثم اوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة فيجازيكم على اشراككم وقوله الذين خسروا انفسهم نصب على الذم او رفع اي اريد الذين خسروا او انتم الذين خسروا انفسهم فان قلت كيف جعل عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم والامر على العكس قلت معناه الذين خسروا انفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون به وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديه بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهو السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان

أولي غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو اتخذ لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان اولى بالتقديم ونحوه افغير الله تأمروني اعبد آلله اذن لكم وقرئ فاطر السموات والارض صفة لله وبالرفع على المدح وقرأ الزهري فطر وعن ابن عباس ما عرفت فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق كقوله ما اريد منهم من رزق والمعنى ان المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وروى ابن المأمون عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بناء الاول للمفعول والثاني للفاعل والضمير لغير الله وقرأ الاشهب العقيلي وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل وفسر بان معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الازهري اطعمت بمعنى استطعمت ونحوه افدت ويجوز ان يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطي ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر اول من اسلم لان النبي سابق امته في الاسلام كقوله وبذلك امرت وانا اول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن وقيل لي لا تكونن من المشركين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الله الرحمة العظمى وهي النجاة كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت اليه تريد فقد اتممت الاحسان اليه او فقد ادخله الجنة لان من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل اي من يصرف الله عنه في ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما او مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز ان ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به اي من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هوله فقد رحمه وتنصره هذه القراءة قراءة ابي رضي الله عنه من يصرف الله عنه

وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير ۝ وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ۝ قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون ۝ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ۝ ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون ۝

وان يمسسك الله بضر من مرض او فقر او غير ذلك من بلاياه فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على ادامته او ازالته فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله وانا فوقهم قاهرون الشيء اعم العام لوقوعه على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح ان يقال في الله تعالى شيء لا كالاشياء كأنك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولا يصح جسم لا كالاجسام واراد اي شهيد اكبر شهادة فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم قل الله شهيد بيني وبينكم يحتمل ان يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله اكبر شهادة ثم ابتدئ شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد بيني وبينكم وان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لدلالته على ان الله عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شيء شهادة شهيد له ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين من اهل مكة اي لانذركم به وانذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم ائنكم لتشهدون تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد شهادتكم الذين آتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته الثابت في الكتابين معرفة خالصة كما يعرفون ابناءهم بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لاهل

مكة بمعرفة أهل الكتاب وبصحة نبوته. ثم قال: الذين خسروا أنفسهم من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين
فهم لا يؤمنون به. جمعوا بين أمرين متناقضين فكذبوا على الله بما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة
والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله أمرنا بها وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء
شفعاؤنا عند الله ونسبوا إليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحراً ولم يؤمنوا بالرسول
ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ◦ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا
والله ربنا ما كنا مشركين ◦ انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ◦ ومنهم من يستمع
إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك
يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ◦ ويوم نحشرهم ناصبه محذوف تقديره ويوم
نحشرهم كان كيت وكيت فيترك ليبقى على الإبهام الذي هو داخل في التخويف ◦ أين شركاؤكم أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء
لله ◦ وقوله الذين كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان ◦ وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما
وإنما يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ ◦ ويجوز أن يشاهدوهم إلا أنهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة
فكأنهم غيب عنهم وأن يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها
فيروا مكان خزيهم وحسرتهم ◦ فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم وقاتلوا
عليه إلا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به
ويجوز أن يراد ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا فسمى فتنة لأنه كذب ◦ وقرئ تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب وإنما أنث
أن قالوا لوقوع الخبر مؤنثاً كقولك من كانت أمك ◦ وقرئ بالياء ونصب الفتنة ◦ وبالتاء والياء مع رفع الفتنة
وقرئ ربنا بالنصب على النداء ◦ وضل عنهم وغاب عنهم ◦ ما كانوا يفترونه أي يفترون إلهيته وشفاعته
فإن قلت كيف يصح أن يكذبوا حين يطلعون على حقائق الأمور وعلى أن الكذب والجحود لا وجه لمنفعته قلت
الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشاً ألا تراهم يقولون ربنا أخرجنا منها فإن
عدنا فإنا ظالمون وقد أيقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا أنه لا يقضي
عليهم. وأما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند أنفسنا وما علمنا أنا على خطأ في معتقدنا وحمل قوله انظر
كيف كذبوا على أنفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لأفصح الكلام إلى ما هو عي وإقحام لأن المعنى الذي
ذهبوا إليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه أشد النبو وما أدري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله
يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون
على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا ◦ ومنهم من يستمع إليك حين تتلو القرآن روي
أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا للنضر يا أبا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما أدري ما يقول إلا أنه
يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان إني لأراه حقاً فقال
أبو جهل كلا ◦ والأكنة على القلوب والوقر في الآذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته
ووجه إسناد الفعل إلى ذاته وهو قوله وجعلنا الدلالة على أنه أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم كأنهم مجبولون عليه
أو هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ◦ وقرئ وِقراً
بكسر الواو ◦ حتى إذا جاءوك يجادلونك هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله إذا جاءوك يقول الذين
كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز أن تكون الجارة ويكون إذا جاءوك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك
حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك ويناكرونك وفسر
مجادلتهم بأنهم يقولون إن هذا إلا أساطير الأولين فيجعلون كلام الله وأصدق الحديث خرافات وأكاذيب

وهي الغاية في التكذيب. وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون
وهم ينهون الناس عن القرآن أو عن الرسول واتباعه ويثبطونهم عن الإيمان به وينأون عنه بأنفسهم فيضلون
ويضلون ◦ وإن يهلكون بذلك إلا أنفسهم ولا يتعداهم الضرر وإن كانوا يظنون أنهم يضرون رسول الله صلى الله
عليه وسلم ◦ وقيل هو أبو طالب لأنه كان ينهى قريشاً عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به
وروي أنهم اجتمعوا إلى أبي طالب وأرادوا برسول الله سوءاً فقال أبو طالب ◦ والله لن يصلوا إليك بجمعهم ◦ حتى أوسد
في التراب دفينا ◦ فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ◦ وابشر بذاك وقر منه عيونا ◦ ودعوتني وزعمت أنك
ناصح ◦ ولقد صدقت وكنت ثم أمينا ◦ وعرضت ديناً لا محالة أنه ◦ من خير أديان البرية دينا ◦ لولا
الملامة أو حذاري سبة ◦ لوجدتني سمحاً بذاك مبينا ◦ فنزلت. ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد
ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ◦ ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت أمراً شنيعاً ◦ وقفوا
على النار أروها حتى يعاينوها أو اطلعوا عليها اطلاعاً هي تحتهم أو أدخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته
على كذا إذا فهمته وعرفته ◦ وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفاً ◦ يا ليتنا نرد تم تمنيهم ثم ابتدءوا
ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين الإيمان كأنهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الإثبات
وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا أعود بمعنى دعني وأنا لا أعود تركتني أو لم تتركني ويجوز أن يكون معطوفاً على نرد أو
حالاً على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمني فإن قلت يدفع ذلك قوله
وإنهم لكاذبون لأن المتمني لا يكون كاذباً قلت هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز أن يتعلق به التكذيب كما
يقول الرجل ليت الله يرزقني مالاً فأحسن إليك وأكافئك على صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالاً ولم يحسن
إلى صاحبه ولم يكافئه كذب كأنه قال إن رزقني الله مالاً كافأتك على الإحسان ◦ وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب بإضمار
أن على جواب التمني ومعناه إن رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين. بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ◦ وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ◦ بل بدا لهم ما كانوا
يخفون من الناس من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجراً لا أنهم
عازمون على أنهم لو ردوا لآمنوا ◦ وقيل هو في المنافقين وأنه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه ◦ وقيل هو في أهل
الكتاب وأنه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ◦ ولو ردوا إلى الدنيا بعد وقوفهم على
النار ◦ لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي ◦ وإنهم لكاذبون فيما وعدوا من أنفسهم لا يفون به ◦ وقالوا عطف على
لعادوا أي ولو ردوا لكفروا ولقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة ◦ ويجوز أن يعطف
على قوله وإنهم لكاذبون على معنى وإنهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وكفى به دليلاً
على كذبهم. ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما
كنتم تكفرون ◦ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه
◦ وقيل وقفوا على جزاء ربهم ◦ وقيل عرفوه حق التعريف ◦ قال مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم إذ وقفوا
عليه فقيل قال أليس هذا بالحق وهذا تعيير من الله لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء
ما هو بحق وما هو إلا باطل ◦ بما كنتم تكفرون بكفركم. قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة
بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون ◦
بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه في موضع آخر ◦ وحتى غاية لكذبوا لا لخسر لأن خسرانهم
لا غاية له أي ما زال بهم التكذيب إلى حسرتهم وقت مجيء الساعة فإن قلت أما يتحسرون عند موتهم
قلت لما كان الموت وقوعاً في أحوال الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته أو جعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة ◦ بغتة

نجاة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة او على المصدر كانه قيل بغتتهم الساعة بغتة • فرطنا فيها الضمير للحياة
الدنيا جيء بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة او للساعة على معنى قصرنا في شانها وفي الايمان بها كما تقول
فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله • يحملون اوزارهم على ظهورهم كقوله تعالى فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل
الاثقال على الظهور كما الف الكسب بالايدي • ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون كقوله تعالى ساء مثلا القوم وما الحياة
الدنيا الا لعب ولهو وللدار الاخرة خير للذين يتقون افلا يعقلون جعل اعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا
بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب اعمال الاخرة المنافع العظيمة • وقوله للذين يتقون دليل على ان ما سوى اعمال
المتقين لعب ولهو • وقرا ابن عباس ولدار الاخرة • وقرئ يعقلون بالياء والتاء • قد نعلم انه ليحزنك الذي
يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون قد في قد نعلم بمعنى ربما الذي تجيء لزيادة
الفعل وكثرته كقوله ولكنه قد يهلك المال نائله • والهاء في انه ضمير الشان ليحزنك قرئ بفتح الياء وضمها • والذي
يقولون هو قولهم ساحر كذاب • لا يكذبونك قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه اذا جعله كاذبا في زعمه واكذبه اذا
وجده كاذبا والمعنى ان تكذيبك امر راجع الى الله لانك رسول المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وانما
يكذبون الله بجحود اياته فانته عن حزنك لنفسك وانهم كذبوك وانت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو اهم
وهو استعظامك بجحود ايات الله والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك
وانما اهانوني ومن هذه الطريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله • وقيل فانهم لا يكذبونك بقلوبهم
ولكنهم يجحدون بالسنتهم • وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بايات
الله • وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا
يجحدون وكان ابو جهل يقول ما نكذبك وانك عندنا لمصدق وانما نكذب ما جئتنا به • وروي ان الاخنس بن شريق
قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق
وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقوله
ولكن الظالمين من اقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على انهم ظلموا في جحودهم ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما
كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين • ولقد كذبت تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وهذا دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك انهم لم يهينوك
ولكنهم اهانوني • على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم • ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين انهم لهم المنصورون • ولقد جاءك من نبإ المرسلين بعض انبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة
المشركين وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية ولو
شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين كان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم
عما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك انك لا تهدي من احببت • وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا
في الارض منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم اية يؤمنون بها • او سلما في السماء فتاتيهم منها باية فافعل
يعني انك لا تستطيع ذلك • والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وتهالكه عليه وانه لو استطاع ان ياتيهم باية من تحت
الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم • وقيل كانوا يقترحون الايات فكان يود ان يجابوا اليها لتمادي
حرصه على ايمانهم فقيل له ان استطعت كذا فافعل دلالة على انه بلغ من حرصه انه لو استطاع ذلك لفعله حتى ياتيهم
بما اقترحوا لعلهم يؤمنون • ويجوز ان يكون ابتغاء النفق في الارض او السلم في السماء هو الاتيان بالاية كانه قيل
لو استطعت النفوذ الى ما تحت الارض او الرقي في السماء لفعلت لعل ذلك يكون لك اية يؤمنون عندها وحذف جواب ان
كما تقول ان شئت ان تقوم بنا الى فلان نزوره • ولو شاء الله لجمعهم على الهدى بان ياتيهم باية ملجئة ولكنه لا يفعل
لخروجه عن الحكمة • فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه انما يستجيب الذين

يسمعون

يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون • انما يستجيب الذين يسمعون يعني ان الذين تحرص على ان
يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب من يسمع كقوله تعالى انك لا تسمع الموتى • والموتى يبعثهم الله
مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة بانه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيمة • ثم اليه يرجعون للجزاء
فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفر ان يحييهم بالايمان وانت لا تقدر على ذلك • وقيل معناه وهؤلاء الموتى يعني الكفرة
يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل الى استماعهم • وقرئ يرجعون بفتح الياء
وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل اية ولكن اكثرهم لا يعلمون لولا نزل عليه
اية نزل بمعنى انزل • وقرئ ان ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لان تانيث اية غير حقيقي
وحسن للفصل وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما انزل من الايات على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركهم الاعتداد بما انزل عليه
كانه لم ينزل عليه شيء من الايات عنادا منهم قل ان الله قادر على ان ينزل اية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل على بني
اسرائيل ونحوه او اية ان جحدوها جاءهم العذاب • ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على ان ينزل تلك الاية وان صارفا
من الحكمة يصرفه عن انزالها وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا
في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون • امم امثالكم مكتوبة ارزاقها واجالها واعمالها كما كتبت ارزاقكم واجالكم
واعمالكم • ما فرطنا ما تركنا وما اغفلنا • في الكتاب في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان يثبت مما
يختص به • ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض كما روي انه ياخذ
للجماء من القرناء • فان قلت كيف قيل الا امم مع افراد الدابة والطائر • قلت لما كان قوله وما من دابة ولا طائر دالا
على معنى الاستغراق ومغنيا عن ان يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله الا امم على المعنى • فان قلت هلا قيل وما
من دابة ولا طائر الا امم امثالكم وما معنى زيادة قوله في الارض ويطير بجناحيه • قلت معنى ذلك زيادة التعميم
والاحاطة كانه قيل وما من دابة قط في جميع الارضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه
الا امم امثالكم محفوظ احوالها غير مهمل امرها • فان قلت فما الغرض في ذكر ذلك • قلت الدلالة على عظم قدرته
ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لما لها وما عليها
مهيمن على احوالها لا يشغله شان عن شان وان المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان
وقرا ابن ابي عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كانه قيل وما دابة ولا طائر • وقرا علقمة ما فرطنا بالتخفيف والذين
كذبوا باياتنا صم وبكم في الظلمات من يشا الله يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم • فان قلت
كيف اتبعه قوله والذين كذبوا باياتنا • قلت لما ذكر من خلائقه واثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته
قال والمكذبون صم لا يسمعون كلام المنبه بكم لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تامل ذلك والتفكر
فيه ثم قال ايذانا بانهم من اهل الطبع • من يشا الله يضلله يخذله ويخل وضلاله لم يلطف به لانه ليس من اهل اللطف ومن
يشا يجعله على صراط مستقيم اي يلطف به لان اللطف يجدي عليه قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم
الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين • بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه
ان شاء وتنسون ما تشركون • ارايتكم اخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه
وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم
بقوله اغير الله تدعون بمعنى اتخصون الهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون
بل تخصونه بالدعاء دون الالهة • فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه • ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم ولم
يكن مفسدة • وتنسون ما تشركون وتتركون الهتكم ولا تذكرونها في ذلك الوقت لان اذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو
القادر على كشف الضر دون غيره • ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله اغير الله تدعون كانه قيل ارايتكم اغير الله
تدعون ان اتاكم عذاب الله • فان قلت ان علقت الاستخبار به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله

أتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين. قلت: هذا اشتراط في الكشف لمشيئته وهو قوله إن شاء إيذانا بأنه إن فعل كان له وجه من الحكمة إلا أنه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة أرجح منه. ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون. البأساء والضراء البؤس والضر. وقيل البأساء القحط والجوع، والضراء المرض ونقصان الأنفس والأموال. والمعنى ولقد أرسلنا إليهم الرسل فكذبوهم فأخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم. فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون. فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي التضرع كأنه قيل فلم يتضرعوا إذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد أنه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع إلا عنادهم وقسوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم. فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون. فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين. فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء أي تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم. فتحنا عليهم أبواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعمة لنزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الأب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه أخرى طلبا لصلاحه. حتى إذا فرحوا بما أوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون واجمون متحسرون آيسون. فقطع دابر القوم آخرهم ولم يترك منهم أحد قد استؤصلت شأفتهم. والحمد لله رب العالمين إيذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وأنه من أجل النعم وأجزل القسم. وقرئ فتحنا بالتشديد. قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون. إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم بأن يصمكم ويعميكم. وختم على قلوبكم بأن يغطي عليها ما يذهب عنده فهمكم وعقلكم. يأتيكم به أي يأتيكم بذاك إجراء للضمير مجرى اسم الإشارة أو بما أخذ وختم عليه. يصدفون يعرضون عن الآيات. قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون. لما كانت البغتة أن يقع الأمر من غير أن يشعر به وتظهر أماراته قيل بغتة أو جهرة. وعن الحسن ليلا أو نهارا. وقرئ بغتة أو جهرة. هل يهلك أي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط إلا الظالمون. وقرئ هل يهلك بفتح الياء. وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون. إلا مبشرين ومنذرين من آمن بهم وبما جاؤوا به وأطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم نرسلهم ليتلهى بهم ويقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة. وأصلح ما يجب إصلاحه مما كلف. جعل العذاب ماسا كأنه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام. ومنه قولهم لقيت منه الأمرين والأقورين حيث جمعوا جمع العقلاء. وقوله تعالى إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا. قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون. أي لا أدعي ما يستبعد في العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمه بين الخلق وأرزاقه وعلم الغيب وأني من الملائكة الذين هم أشرف جنس خلقه الله وأفضله وأقربه منزلة منه أي لم أدع الإلهية ولا الملكية لأنه ليس بعد الإلهية منزلة أرفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها وإنما أدعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة. هل يستوي الأعمى والبصير مثل للضال والمهتدي ويجوز أن يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى إليه ومن لم يتبع أو لمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الإلهية أو الملكية. أفلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين أشباه العميان أو فتعلموا أني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر أو فتعلموا أن اتباع ما يوحى إلي مما لا بد لي منه. فإن قلت: أعلم الغيب ما محله من الإعراب. قلت: النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن الله لأنه من جملة المقول كأنه قال لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول. وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون. وأنذر به الضمير راجع إلى قوله ما يوحى إلي. والذين يخافون أن يحشروا إما قوم داخلون

في الإسلام مقرون بالبعث إلا أنهم مفرطون في العمل فينذرهم بما أوحي إليه. لعلهم يتقون أي يدخلون في زمرة أهل التقوى من المسلمين. وإما أهل الكتاب لأنهم مقرون بالبعث. وإما ناس من المشركين علم من حالهم أنهم يخافون إذا سمعوا بحديث البعث أن يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى أن ينجع فيهم الإنذار دون المتمردين منهم فأمر أن ينذر هؤلاء. وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا بمعنى يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لأن كلا محشور فالمخوف إنما هو الحشر على هذه الحال. ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين. ذكر غير المتقين من المسلمين وأمر بإنذارهم ليتقوا ثم أردفهم ذكر المتقين منهم وأمره بتقريبهم وإكرامهم وأن لا يطيع فيهم من أراد بهم خلاف ذلك وأثنى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم أي عبادته ويواظبون عليها. والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام. وقيل معناه يصلون صلاة الصبح والعصر. ووسمهم بالإخلاص في عبادتهم بقوله يريدون وجهه والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته. وروي أن رؤوسا من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الأعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وبلال وخباب وسلمان رضي الله عنهم وأضرابهم وأرواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا إليك وحادثناك. فقال صلى الله عليه وسلم ما أنا بطارد المؤمنين. قالوا فأقمهم عنا إذا جئنا فإذا قمنا فأقعدهم معك إن شئت. قال نعم طمعا في إيمانهم. وروي أن عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر إلى ما ذا يصيرون. قالوا فاكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر رضي الله عنه من مقالته. قال سلمان رضي الله عنه وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا ويدنو منا حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا إذا أراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا إلى أن نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات. ما عليك من حسابهم من شيء كقوله إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون وذلك أنهم طعنوا في دينهم وإخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء بعد ما شهد لهم بالإخلاص وبإرادة وجه الله في أعمالهم على معنى وإن كان الأمر على ما يقولون عند الله فما يلزمك إلا اعتبار الظاهر والاتسام بسيرة المتقين وإن كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم إليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك إليهم كما قال تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى. فإن قلت: أما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شيء حتى ضم إليه وما من حسابك عليهم من شيء. قلت: قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا يستقل بهذا المعنى إلا الجملتان جميعا كأنه قيل لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه. وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا أنت بحسابهم حتى يهمك إيمانهم ويحركك الحرص عليه إلى أن تطرد المؤمنين. فتطردهم جواب النفي. فتكون من الظالمين جواب النهي. ويجوز أن يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لأن كونه ظالما مسبب عن طردهم. وقرئ بالغدوة والعشي. وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين. وكذلك فتنا ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس ببعض أي ابتليناهم بهم وذلك أن المشركين كانوا يقولون للمسلمين أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا أي أنعم عليهم بالتوفيق لإصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء إنكارا لأن يكون أمثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه أأنزل عليه الذكر من بيننا لو كان خيرا ما سبقونا إليه. ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لأنه لا يقول مثل قولهم هذا إلا مخذول مفتون. أليس الله بأعلم بالشاكرين أي الله أعلم بمن يقع منه الإيمان والشكر فيوفقه للإيمان ومن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق. وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه

غفور رحيم • وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين • فقل سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة من جملة ما يقول لهم ليسرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبول التوبة منهم وقرئ انه بالكسر الاستئناف فكان الرحمة استفسر فقيل انه من عمل منكم وبالفتح على الابدال من الرحمة انه في موضع الحال اي عمله وهو جاهل وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل الجهلة لان من عمل ما يؤدي الى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر • على انها قالت عشية زرتها • جهلت على عمد ولم تك جاهلا • والثاني انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم ان لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته وقيل انها نزلت في عمر رضي الله عنه حين اشار باجابة الكفرة الى ما سألوا ولم يعلم انها مفسدة وقرئ وليستبين بالياء والتاء مع رفع السبيل لانها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم مع نصب السبيل يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة المطبوعين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن يرى فيه امارة القبول وهو الذي يخاف اذا سمع ذكر القيامة ومن دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين • نهيت صرفت وزجرت بما ركب في من ادلة العقل وبما اوتيت من ادلة السمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة • قل لا اتبع اهواءكم اي لا اجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق ومجانبة الباطل • قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فانا ضال • وما انا من المهتدين ما انا من الهدى في شيء يعني انكم كذلك قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين • قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين • قل اني ان يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي ومعنى قوله اني على بينة من ربي وكذبتم به اي من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق • وكذبتم به انتم حيث اشركتم به غيره يقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عندك بدليل ثم عقبه بما دل على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم كذلك وانهم احقاء بان يغافصوا بالعذاب المستأصل فقال ما عندي يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فامطر علينا حجارة من السماء • ان الحكم الا لله في تأخير عذابكم • يقص الحق اي القضاء الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل في اقسامه • وهو خير الفاصلين اي القاضين وقرئ يقص الحق اي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص اثره • لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني • ما تستعجلون به من العذاب • لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وامتعاضا من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا • والله اعلم بالظالمين وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم • وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهي القرآن وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تأويل البيان والقرآن فان قلت بم انتصب الحق قلت بانه صفة لمصدر يقضي اي يقضي القضاء الحق • ويجوز ان يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويدبره • وفي قراءة عبد الله يقضي بالحق فان قلت لم اسقطت الياء في الخط قلت اتباعا للخط اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين • جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل اليها فاراد انه هو المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن • والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هي

جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن • ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كانه قيل وما يسقط من شيء من هذه الاشياء الا يعلمه • وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها • ومعنى الا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله او اللوح المحفوظ وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان ان يكون عطفا على محل من ورقة وان تكون رفعا على الابتداء وخبره الا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امرأة الا في الدار وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون • وهو الذي يتوفاكم بالليل الخطاب للكفرة اي انتم منسدحون الليل كله كالجيف • ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه • ثم يبعثكم فيه ثم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ومن اجله كقولك فيم جئت فيقول في امر كذا • ليقضى اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم • ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب • ثم ينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون • حفظة ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون • وعن ابي حاتم السجستاني انه كان يكتب عن الاصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه انت شبيه الحفظة تكتب لفظ اللفظة فقال ابو حاتم وهذا ايضا مما يكتب فان قلت الله تعالى غني بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها قلت فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم اشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها عليهم في صحائف تعرض على رؤوس الاشهاد في مواقف القيامة كان ذلك ازجر لهم عن القبيح وابعد من السوء • توفته رسلنا اي استوفت روحه وهم ملك الموت واعوانه • وعن مجاهد جعلت الارض له مثل الطست يتناول من يتناوله وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز ان يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه • ولا يفرطون بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني والتأخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد اي لا ينقصون مما امروا به ولا يزيدون فيه ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين • ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه • مولاهم مالكهم الذي يلي عليهم امورهم • الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق • الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره • وهو اسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحق قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين • قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون • ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما واهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اي اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل • ويجوز ان يراد ما يشفون عليه من الخسف في البر والغرق في البحر بذنوبهم فاذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف في البر والغرق في البحر فنجوا من ظلماتها • لئن انجيتنا على ارادة القول • من هذه من هذه الظلمة والشدة وقرئ ينجيكم بالتخفيف والتشديد وانجانا اي عرين وانجانا • وخفية بالضم والكسر قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون • هو القادر هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة • عذابا من فوقكم كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة وارسل على قوم نوح الطوفان • او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون • وقيل من فوقكم من قبل اكابركم وسلاطينكم ومن تحت ارجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم • وقيل هو حبس المطر والنبات • او يلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام • ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله • وكتيبة لبستها بكتيبة • حتى اذا التبست نفضت لها يدي • وعن النبي صلى الله عليه وسلم سألت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم ومن تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني واخبرني جبريل عليه السلام ان فناء امتي بالسيف • وعن جابر بن عبد

الله رضي الله عنهما لما نزلت من فوقكم قال النبي صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك فلما نزلت او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا
قال هاتان اهون ومعنى الآية الوعيد باحد اصناف العذاب المعدودة • وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل
لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون • والضمير في قوله وكذب به راجع الى العذاب • وهو الحق اي لا بد ان ينزل بهم
• قل لست عليكم بحفيظ وكل الي امركم انما انا منذر • لكل نبإ لكل شيء ينبأ به يعني انباءهم
بانهم يعذبون وايعادهم به • مستقر وقت استقرار وحصول لا بد منه • وقيل الضمير في به للقرآن • واذا رايت الذين
يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد
الذكرى مع القوم الظالمين • يخوضون في آياتنا في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش في انديتهم يفعلون ذلك
فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم • حتى يخوضوا في حديث غيره فلا باس ان تجالسهم حينئذ • واما ينسينك الشيطان
وان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم • فلا تقعد معهم • بعد الذكرى بعد ان تذكر النهي • وقرئ ينسينك
بالتشديد • ويجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسينك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول • فلا تقعد
بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم • وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم
يتقون • وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم من شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم
ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم • لعلهم يتقون
لعلهم يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم • ويجوز ان يكون الضمير للذين يتقون اي يذكرونهم ارادة ان يثبتوا على
تقواهم ويزدادوها • وروي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام
وان نطوف فرخص لهم • فان قلت ما محل ذكرى قلت يجوز ان يكون نصبا على ولكن يذكرونهم ذكرى اي تذكيرا
او رفعا على ولكن عليهم ذكرى • ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من شيء كقولك ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم
يابى ذلك • وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس
لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم
شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون • اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي دينهم الذي كان يجب ان يتخذوا
به لعبا ولهوا وذلك ان عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو
واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد او اتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الاصنام وغيرها دينا لهم
او اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤوا • وقيل جعل الله
لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر اسم الله تعالى والناس كلهم من المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم لعبا
ولهوا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله تعالى • ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم
ولا تشغل قلبك بهم • وذكر به اي بالقرآن • ان تبسل نفس مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها
واصل الابسال المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم • قال • وابسالي بني بغير جرم • ومنه هذا عليك بسل اي حرام
محظور • والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه او لانه شديد البسور يقال بسر الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا بسل
والعابس منقبض الوجه • وان تعدل كل عدل اي وان تفد كل فداء • والعدل الفدية لان الفادي يعدل المفدي
بمثله • وكل عدل نصب على المصدر وفاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ
واما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده اليه • اولئك اشارة الى المتخذين دينهم لعبا ولهوا
قيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان قل اندعو من دون الله ما لا
ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه
الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين • وان اقيموا الصلوة واتقوه
وهو الذي اليه تحشرون • وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون •
قل اندعوا

انعبد من دون الله الضار النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا • ونرد على اعقابنا الى الشرك • بعد اذ انقذنا الله منه
وهدانا للاسلام • كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن والغيلان • في الارض في المهمه حيران
تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع • له اي لهذا المستهوى • اصحاب رفقة • يدعونه الى الهدى يدعونه الى ان يهدوه
الطريق المستوي او سمي الطريق المستقيم بالهدى • يقولون له ائتنا وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا ياتيهم وهذا
مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده ان الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه كقوله كالذي يتخبطه
الشيطان فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم • قل ان هدى
الله وهو الاسلام هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وغي • ومن يبتغ غير الاسلام دينا فماذا بعد الحق الا الضلال • فان قلت ما محل
الكاف في قوله كالذي استهوته قلت النصب على الحال من الضمير في نرد على اعقابنا اي اننكص مشبهين
من استهوته الشياطين • فان قلت ما معنى استهوته قلت هو استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كان معناه
طلبت هويه وحرصت عليه • فان قلت ما محل وامرنا لنسلم قلت النصب
عطفا على محل قوله ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان كانه قيل قل هذا القول وقل امرنا لنسلم • فان قلت فما معنى اللام في لنسلم قلت هي
تعليل للامر بمعنى امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم • فان قلت فاذا كان هذا واردا في شان ابي بكر الصديق رضي الله
عنه فكيف قيل للرسول عليه السلام قل اندعوا • قلت للاتحاد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
خصوصا بينه وبين ابي بكر رضي الله عنه • فان قلت علام عطف قوله وان اقيموا • قلت على موقع لنسلم كانه قيل
وامرنا ان نسلم وان اقيموا • ويجوز ان يكون التقدير وامرنا لان نسلم ولان اقيموا اي للاسلام ولاقامة الصلاة • قوله الحق
وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير • قوله الحق مبتدا ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه
بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والارض قائما بالحق والحكمة وحين
يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء • قوله الحق والحكمة اي لا يكون شيئا من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة
وصواب • ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم • ويجوز ان يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله
الحق اي لقضائه الحق كن فيكون • قوله الحق • وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه قوله الحق كانه قيل وحين يكون ويقدر
يقوم بالحق • عالم الغيب والشهادة هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح • واذ قال ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة
اني اراك وقومك في ضلال مبين • آزر اسم ابي ابراهيم وفي كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية تارخ والاقرب ان يكون وزن
آزر فاعل مثل تارخ وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما اشبهها من اسمائهم وهو عطف بيان لابيه • وقرئ آزر بالضم على النداء
• وقيل آزر اسم صنم فيجوز ان ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات
وفي شعر بعض المحدثين • ادعى باسماء نبزا في قبائلها • كان اسماء اضحت بعض اسمائي • او اريد عابد آزر فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه • وقرئ ءازرا تتخذ اصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء
منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازرا على الانكار ثم قال تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل
في حكم الانكار لانه كالبيان له • وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل راى
كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين • فلما جن عليه الليل عطف على قال ابراهيم لابيه وقوله وكذلك نري ابراهيم
جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف ابراهيم ونبصره ملكوت السموات والارض
يعني الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال • وليكون
من الموقنين فعلنا ذلك • ونري حكاية حال ماضية وكان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان
ينبههم على الخطا في دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى ان شيئا منها لا يصح ان
يكون الها لقيام دليل الحدوث فيها وان وراءها محدثا احدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وافولها وانتقالها ومسيرها
وسائر احوالها • هذا ربي قول من ينصف خصمه مع علمه بانه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لان ذلك ادعى

الى الحق وانجى من الشغب ثم كر عليه بعد حكايته فيبطلها بالحجة ۝ لا احب الآفلين لا احب عبادة الارباب المتغيرين من حال الى حال المتنقلين من مكان الى مكان المحتجبين بستر فان ذلك من صفات الاجرام فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين بازغا مبتديا في الطلوع ۝ لئن لم يهدني ربي تنبيه لقومه على ان من اتخذ القمر الها وهو نظير الكواكب في الافول فهو ضال وان الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون ۝ اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ۝ هذا اكبر من باب استعمال النصفة ايضا مع خصومه ۝ اني بريء مما تشركون من الاجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها ۝ اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض اي للذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى انه مبتدئها ومبتدعها ۝ وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله تعالى والاول اظهر لقوله لئن لم يهدني ربي وقوله يا قوم اني بريء مما تشركون فان قلت لم احتج بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج بالافول اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب فان قلت ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والاشارة للشمس قلت جعل المبتدا مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت امك ولم تكن فتنتهم الا ان قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التانيث الا تراهم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وان كان العلامة ابلغ احترازا من علامة التانيث وقرئ ترى ابراهيم ملكوت السموات بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما افلا تتذكرون وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وكانوا حاجوه في توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك ۝ وقد هداني يعني الى التوحيد ۝ ولا اخاف ما تشركون به وقد خوفوه ان معبوداتهم تصيبه بسوء ۝ الا ان يشاء ربي شيئا الا وقت مشيئة ربي شيئا يخاف فحذف الوقت يعني لا اخاف معبوداتكم في وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربي ان يصيبني بمخوف من جهتها اذا اصبت ذنبا استوجب به انزال المكروه مثل ان يرجمني بكوكب او بشقة من الشمس والقمر او يجعلها قادرة على مضرتي ۝ وسع ربي كل شيء علما اي ليس بعجب ولا مستبعد ان يكون في علمه انزال المخوف بي من جهتها ۝ افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون ۝ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون ۝ وكيف اخاف لتخويفكم شيئا مامون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه وانتم لا تخافون ما يتعلق به كل خوف وهو اشراككم بالله ما لم ينزل به باشراكه ۝ سلطانا اي حجة لان الاشراك لا يصح ان تكون عليه حجة كانه قال وما لكم تنكرون علي الامن في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف ولم يقل فاينا احق بالامن انا ام انتم احترازا من تزكيته نفسه فعدل عنه الى قوله فاي الفريقين يعني فريقي المشركين والموحدين ثم استانف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم وابى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ۝ وتلك اشارة الى جميع ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون ۝ ومعنى آتيناها ارشدناه اليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء يعني في العلم والحكمة وقرئ بالتنوين ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين ۝ وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين ۝ واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ۝ ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ومن ذريته الضمير لنوح او لابراهيم وداود منصوب بفعل مضمر عطفا على نوحا اي وهدينا داود ۝ ومن آبائهم في موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض آبائهم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ۝ ولو اشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم كما

قال لئن اشركت ليحبطن عملك اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ۝ آتيناهم الكتاب يريد الجنس فان يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة هؤلاء يعني اهل مكة ۝ قوما هم الانبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وبدليل وصل قوله فان يكفر بها هؤلاء بما قبله ۝ وقيل هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من آمن به ۝ وقيل كل مؤمن من بني آدم ۝ وقيل الملائكة وادعى الانصار انها لهم ۝ وعن مجاهد هم الفرس ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه ۝ والباء في بها صلة كافرين وفي بكافرين تاكيد النفي اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا اسألكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين ۝ فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول ۝ والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله وتوحيده واصول الدين دون الشرائع فانها مختلفة وهي هدى ما لم تنسخ فاذا نسخت لم تبق هدى بخلاف اصول الدين فانها هدى ابدا ۝ والهاء في اقتده للوقف تسقط في الدرج واستحسن ايثار الوقف لثبات الهاء في المصحف وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ۝ وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين انكروا بعثة الرسل والوحي اليهم وذلك من اعظم رحمته واجل نعمته وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ۝ او ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من انكار النبوة ۝ والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من قرأ تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وانما قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى عليه السلام وادرج تحت الالزام توبيخهم وان نعى عليهم سوء حملهم لكتابهم وتحريفهم وابداء بعض واخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء وروي ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك بالذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف ۝ وقيل القائلون قريش وقد الزموا انزال التوراة لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة وكانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم ۝ وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم الخطاب لليهود اي علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم مما اوحي اليه ما لم تعلموا انتم وانتم حملة التوراة ولم يعلمه آباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون ۝ وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله تعالى لتنذر قوما ما انذر آباؤهم ۝ قل الله اي انزله الله فانهم لا يقدرون ان يناكروك ۝ ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد التزام الحجة ويقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما انت لاعب ۝ ويلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ۝ ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة لهم او للذر وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ۝ مبارك كثير المنافع والفوائد ۝ ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كانه قيل انزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب وللانذار وقرئ لينذر بالياء بالياء اي الكتاب ۝ وسميت مكة ام القرى لانها مكان اول بيت وضع للناس ولانها قبلة اهل القرى كلها ومحجهم ولانها اعظم القرى شانا ولبعض المجاورين

فمن يلق في بعض القريات رحله ۝ فام القرى ملقى رحالي ومنتابي

والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون بالعاقبة ويخافونها يؤمنون بهذا الكتاب وذلك ان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وخص الصلاة لانها عماد الدين ومن

حافظة لينها كانت لطفاء في المحافظة على حوالها ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ افترى على الله كذبا فزعم أن الله تعالى بعثه نبيا • أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء وهو مسيلمة الحنفي الكذاب أو كذاب صنعاء الأسود العنسي • وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم كأن في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي وأهماني فأوحى الله تعالى إلي أن انفخهما فنفختهما فطارا عني فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الأسود العنسي • ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان إذا أملى عليه سميعا عليما كتب عليما حكيما وإذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين إلى آخر الآية عجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان فقال فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحي إلي كما أوحي إليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الإسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة • وقيل هو النضر بن الحارث والمستهزئون • ولو ترى جوابه محذوف أي لرأيت أمرا عظيما • إذ الظالمون يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فتكون اللام للعهد ويجوز أن تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله • وغمرات الموت شدائده وسكراته وأصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة • باسطوا أيديهم يبسطون إليهم أيديهم يقولون هاتوا أرواحكم أخرجوها إلينا من أجسادكم وهذه عبارة عن العنف في السياق والإلحاح والتشديد في الإزهاق من غير تنفيس وإمهال وأنهم يفعلون بهم فعل الغريم الملازم يبسط يده إلى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول أخرج ما لي عليك الآن لا أريم مكاني حتى أنزعه من أحداقك • وقيل معناه باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب • أخرجوا أنفسكم خلصوها من أيدينا أي لا تقدرون على الخلاص • اليوم تجزون يجوز أن يريدوا وقت الإماتة وما يعذبون به من شدة النزع • وأن يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة • والهون الهوان الشديد وإضافة العذاب إليه كقولك رجل سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه • عن آياته تستكبرون فلا تؤمنون بها ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ • فرادى منفردين عن أموالكم وأولادكم وما حرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم وعن أوثانكم الذين زعمتم أنها شفعاؤكم وشركاؤكم • كما خلقناكم أول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد • وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة • وراء ظهوركم لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لأنفسكم • فيكم شركاء في استعبادكم لأنهم حين دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفي استعبادهم • وقرئ فرادا بالتنوين وفراد مثل ثلاث وفردى نحو سكرى • فإن قلت كما خلقناكم في أي محل هو • قلت في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا أي مجيئا مثل ما خلقناكم • لقد تقطع بينكم وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد أوقع الجمع بينهما على إسناد الفعل إلى مصدره بهذا التأويل ومن رفع فقد أسند الفعل إلى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وأمامكم • وفي قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم ﴿إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون﴾ • فالق الحب والنوى بالنبات والشجر • وعن مجاهد أراد الشقين اللذين في النواة والحنطة • يخرج الحي من الميت الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب والنوى • ومخرج هذه الأشياء الميتة من الحيوان والنامي • فإن قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت • قلت عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحي من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله تعالى فالق الحب والنوى لأن فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس إخراج الحي من الميت لأن النامي في حكم الحيوان ألا ترى إلى قوله يحيي الأرض بعد موتها • ذلكم الله ذلكم المحيي المميت هو الله الذي تحق له الربوبية • فأنى تؤفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه إلى غيره ﴿فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ الإصباح مصدر سمي به الصبح • وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح • وأنشد قوله:

أفنى رياحا وبني رياح ... تناسخ الإمساء والإصباح

بالكسر والفتح مصدرين وجمع مسي وصبح • فإن قلت فما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال:

تفرى ليل عن بياض نهار

قلت فيه وجهان أحدهما أن يراد فالق ظلمة الإصباح وهي الغبش في آخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح • والثاني أن يراد فالق الإصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار وإسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق وقال الطائي • وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه • وقرئ فالق الإصباح وجاعل الليل بالنصب على المدح • وقرأ النخعي فلق الإصباح وجعل الليل • السكن ما يسكن إليه الرجل ويطمئن إليه استئناسا به واسترواحا إليه من زوج أو حبيب ومنه قيل للنار سكن لأنه يستأنس بها ألا تراهم سموها المؤنسة والليل يطمئن إليه المتعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه • ويجوز أن يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه • والشمس والقمر قرئا بالحركات الثلاث فالنصب على إضمار فعل دل عليه جاعل الليل أي وجعل الشمس والقمر حسبانا أو يعطفان على محل الليل • فإن قلت كيف يكون لليل محل والإضافة حقيقية لأن اسم الفاعل المضاف إليه في معنى المضي ولا تقول زيد ضارب عمرا أمس • قلت ما هو في معنى المضي وإنما هو دال على جعل مستمر في الأزمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق الإصباح كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان • والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا أو محسوبان حسبانا • ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لأن حساب الأوقات يعلم بدورهما وسيرهما • والحسبان بالضم مصدر حسب كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران • ذلك إشارة إلى جعلهما حسبانا أي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما • العليم بتدبيرهما وتدويرهما ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل بالبر والبحر وأضافها إليهما لملابستها لهما أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ • من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم مكان مثله أو مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب أو مستقر فوق الأرض ومستودع تحتها • أو فمنكم مستقر ومنكم مستودع • فإن قلت لم قيل يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر إنشاء بني آدم • قلت كان إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾ • فأخرجنا به بالماء • نبات كل شيء نبت كل صنف من أصناف النامي يعني أن السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مفتنة كما قال يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل • فأخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا أخضر يقال أخضر وخضر كأعور وعور وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة • نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل • وقنوان رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كأنه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان • ويجوز أن يكون الخبر محذوفا لدلالة أخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان • ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب • والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان • وقرئ بضم القاف وبفتحها على أنه اسم جمع كركب لأن فعلان ليس من زنات التكسير • دانية سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولأن النخلة وإن كانت صغيرة ينالها القاعد فإنها تأتي بالثمر لا تنتظر الطول • وقال الحسن رحمه الله دانية قريب بعضها من بعض • وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لأن

النعم تحريرا لظهر او دل بذكر القريب على ذكر البعيد كقوله عز وعلا سرابيل تقيكم الحر • قوله وجنات من اعناب
اي مع النخل • والثاني ان يعطف على قنوان على معنى وحاصلة او ومخرجة من النخل قنوان وجنات • من اعناب اي
من نبات اعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات من اعناب وكذلك
قوله والزيتون والرمان والاحسن ان ينتصبا على الاختصاص كقوله تعالى والمقيمين الصلوة لفضل هذين الصنفين
مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان
كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه • والرمان كذلك كقوله
رماني بامر كنت منه ووالدي بريا • والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم
وذلك دليل على التعمد دون الاهمال • انظروا الى ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع
به • وانظروا الى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئا جامعا لمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على
قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا • وقرأ ابن
محيصن ويانعه • وقرئ وثمره وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم
سبحانه وتعالى عما يصفون • ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء • وان جعلت لله لغوا كان
شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول فان قلت فما فائدة التقديم قلت فائدته استعظام ان يتخذ لله
شريك من كان ملكا او جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من
هم فقيل الجن • وبالجر على الاضافة التي للتبيين والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم كما يطاع الله تعالى • وقيل
هم الذين زعموا ان الله خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار • وخلقهم وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه
وعلموا ان الله تعالى خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن • وقرئ
وخلقهم اي اختلاقهم للافك يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله امرنا بها • وخرقوا
له وخلقوا له اي افتعلوا له • بنين وبنات وهو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة يقال خلق الافك
وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب
كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله • ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات
وقرئ وخرقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات • وقرأ ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما وحرفوا له بمعنى وزوروا
له اولادا لان المزور محرف مغير للحق الى الباطل • بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطأ او صواب ولكن رميا بقول
عن عمى وجهالة من غير فكر وروية بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء
وهو بكل شيء عليم • بديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اي بديع شعره وهو
بديع في السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير والمثل فيهما • وقيل البديع بمعنى المبدع
وارتفاعه على انه خبر مبتدأ محذوف او هو مبتدأ وخبره انى يكون له ولد او فاعل تعالى وقرئ بالجر ردا على
قوله وجعلوا لله او على سبحانه وبالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلاثة اوجه • احدها ان مبتدع السموات
والارض وهي اجسام عظيمة لا يستقيم ان يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون
جسما حتى يكون والدا • والثاني ان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان تكون
له صاحبة فلم تصح الولادة • والثالث انه ما من شيء الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا
عن كل شيء • والولد انما يطلبه المحتاج وقرئ لم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل كقوله لقد ولد
الاخيطل ام سوء ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ذلكم اشارة
الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اي
ذلكم الجامع لهذه الصفات • فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت له هذه الصفات كان

هو الحقيق

هو الحقيق بالعبادة • فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه • ثم قال وهو على كل شيء وكيل يعني
هو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال • لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
وهو اللطيف الخبير • البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله تعالى في حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى ان
الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصرا في ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان في جهة اصلا او تابعا
كالاجسام والهيئات • وهو يدرك الابصار وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها
مدرك • وهو اللطيف يلطف عن ان تدركه الابصار • الخبير بكل لطيف فهو يدرك الابصار لا تلطف عن ادراكه وهذا
من باب اللف قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ •
قد جاءكم بصائر من ربكم هو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله وما انا عليكم بحفيظ • والبصيرة
نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا
يجوز ما هو للقلوب كالبصائر • فمن ابصر الحق وآمن فلنفسه ابصر واياها نفع • ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها
ضر بالعمى • وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم • وكذلك نصرف
الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون • وليقولوا جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها
ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي دارست العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات
وعفت كما قالوا اساطير الاولين • ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد دروسها • ودرست على البناء
للمفعول بمعنى قرئت او عفيت • ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لان
الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم • ويجوز ان يكون الفعل للآيات وهو لاهلها اي دارس اهل الآيات وحملتها
محمدا عليه السلام وهم اهل الكتاب • ودرس اي درس محمد عليه السلام • ودارسات على هي دارسات اي قديمات
او ذات دروس كعيشة راضية فان قلت اي فرق بين اللامين في قوله وليقولوا ولنبينه قلت الفرق بينهما
ان الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك ان الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه حصل هذا
القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه • وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه فان قلت الام يرجع
الضمير في قوله ولنبينه قلت الى الآيات لانها في معنى القرآن كانه قيل وكذلك نصرف القرآن او الى القرآن وان لم
يجر له ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا • ويجوز ان يراد فيمن قرأ درست
ودارست درست الكتاب ودارست فيرجع الى الكتاب المقدر اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن
المشركين • ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل • لا اله الا هو
اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي لا محل له من الاعراب • ويجوز ان يكون حالا من ربك وهي حال مؤكدة كقوله وهو
الحق مصدقا • ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل
امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون • ولا تسبوا الآلهة الذين يدعون من دون الله
فيسبوا الله وذلك انهم قالوا عند نزول قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا
او لنهجون الهك • وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله تعالى فان قلت
سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهي عنه وانما يصح النهي عن المعاصي قلت رب طاعة علم انها تكون مفسدة
فتخرج عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهي عن المنكر هو من اجل الطاعات فاذا
علم انه يؤدي الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عن ذلك النهي كما يجب النهي عن المنكر فان قلت فقد روي عن
الحسن ومحمد بن سيرين رحمهما الله انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل
المعصية لاسرع ذلك في ديننا قلت ليس هذا مما نحن بصدده لان حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور
النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال او لم يحضروا بخلاف سب الآلهة وانما خيل الى محمد رحمه الله انه مثله حتى نبه

عليه الحسن رحمة الله عليه عَدْوًا عُدُوًّا وقرئ عُدُوًّا بضم العين وتشديد الواو بمعناه يقال عدى
فلان عَدْوًا وعُدُوًّا وعُدْوانًا وعَداءً • وعن ابن كثير عَدُوًّا بفتح العين بمعنى أعداء • بغير علم على جهالة بالله
وبما يجب أن يذكر به • كذلك زينا لكل أمة مثل ذلك التزيين زينا لكل أمة من أمم الكفار سوء عملهم أو خليناهم
وشأنهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم أو أمهلنا الشيطان حتى زين لهم أو زيناه في زعمهم وقولهم
إن الله أمرنا بهذا وزينه لنا • فينبئهم فيوبخهم عليه ويعاقبهم عليه • وأقسموا بالله جهد أيمانهم
لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون •
لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم • ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله هو قادر عليها ولكن لا ينزلها إلا على مقتضى
الحكمة أو إنما الآيات عند الله لا عندي فكيف أجيبكم إليها وآتيكم بها • وما يشعركم وما يدريكم • أنها أي الآية التي
تقترحونها • إذا جاءت لا يؤمنون بها يعني أنا أعلم أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تدرون بذلك وكأن
المؤمنين كانوا يطمعون في إيمانهم إذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال تعالى وما يدريكم أنهم لا يؤمنون على
معنى أنكم لا تدرون ما سبق علمي به من أنهم لا يؤمنون ألا ترى إلى قوله كما لم يؤمنوا به أول مرة • وقيل أنها بمعنى لعلها من
قول العرب ائت السوق أنك تشتري لحما • وقال امرؤ القيس عوجا على الطلل المحيل لأننا نبكي الديار كما بكى ابن خذام
ويقويها قراءة أبي لعلها إذا جاءتهم لا يؤمنون • وقرئ إنها بالكسر على أن الكلام قد تم قبله يعني وما يشعركم
ما يكون منهم ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال إنها إذا جاءت لا يؤمنون البتة • ومنهم من جعل لا مزيدة في قراءة
الفتح • وقرئ وما يشعرهم أنها إذا جاءتهم لا يؤمنون أي يحلفون بأنهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم أن
تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنون بها • ونقلب
أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون • ونقلب أفئدتهم ونذرهم
عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم أنهم لا يؤمنون وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم
وأبصارهم أي نطبع على قلوبهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا أولا لا يؤمنون
بها لكونها مطبوعا على قلوبهم • وما يشعركم أنا نذرهم في طغيانهم أي نخليهم وشأنهم لا نكفهم عن الطغيان
حتى يتيهوا فيه • وقرئ ويقلب ويذرهم أي الله عز وجل • وقرأ الأعمش وتقلب أفئدتهم وأبصارهم على البناء
للمفعول • ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا
ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون • ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة كما قالوا لولا أنزل
علينا الملائكة • وكلمهم الموتى كما قالوا فأتوا بآبائنا • وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما قالوا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا
قبلا كفلاء بصحة ما بشرنا به وأنذرنا أو جماعات • وقيل قبلا مقابلة • وقرئ قبلا أي عيانا • إلا أن يشاء الله
مشيئة إكراه واضطرار • ولكن أكثرهم يجهلون فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند
نزول الآيات • أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أنهم لا يؤمنون إلا أن يضطرهم فيطمعون في إيمانهم إذا جاءت الآية
المقترحة • وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف
القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون • وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا أي كما خلينا
بينك وبين أعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الأنبياء وأعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي
هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والأجر • وانتصب شياطين على البدل من عدوا أو على أنهما مفعولان كقوله
وجعلوا لله شركاء الجن • يوحي بعضهم إلى بعض يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس أو بعض الجن إلى بعض
وبعض الإنس إلى بعض • وعن مالك بن دينار أن شياطين الإنس أشد علي من شياطين الجن لأني إذا تعوذت بالله
ذهب شيطان الجن عني وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانا • زخرف القول ما زينه من القول
والوسوسة والإغراء على المعاصي ويموهه • غرورا خدعا وأخذا على غرة • ولو شاء ربك ما فعلوه ما فعلوا

ذلك أي ما عادوك أو ما أوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا بأن يكفهم ولا يخليهم وشأنهم ولتصغى
إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون • ولتصغى جواب محذوف
تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا وعلى أن اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير في إليه يرجع إلى ما
يرجع إليه الضمير في فعلوه أي ولتميل إلى ما ذكر من عداوة الأنبياء ووسوسة الشياطين • أفئدة الكفار • وليرضوه
لأنفسهم • وليقترفوا ما هم مقترفون من الآثام • أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا
والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين • أفغير الله أبتغي حكما على إرادة
القول أي قل لهم يا محمد أفغير الله أطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل • وهو الذي أنزل إليكم الكتاب
المعجز مفصلا مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على أن
القرآن حق بعلم أهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم وموافقته له • فلا تكونن من الممترين من باب التهييج والإلهاب
كقوله تعالى فلا تكونن من المشركين أو فلا تكونن من الممترين في أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق ولا يريبك جحود أكثرهم وكفرهم
به • ويجوز أن يكون فلا تكونن خطابا لكل أحد على معنى أنه إذا تعاضدت الأدلة على صحته وصدقه فما ينبغي أن يمترى
فيه أحد • وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والخطاب لأمته • وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا
مبدل لكلماته وهو السميع العليم • وتمت كلمات ربك أي تم كل ما أخبر به وأمر ونهى ووعد وأوعد
صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته لا أحد يبدل شيئا من ذلك مما هو أصدق وأعدل • وصدقا وعدلا نصب على الحال
وقرئ كلمت ربك أي ما تكلم به وقيل هي القرآن • وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن
وإن هم إلا يخرصون • إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين • وإن تطع أكثر الناس أي الضلال
لأن الأكثر في غالب الأمر يتبعون أهواءهم ثم قال إن يتبعون إلا الظن وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم
وإن هم إلا يخرصون يقدرون أنهم على شيء أو يكذبون في أن الله حرم كذا وأحل كذا • وقرئ من يضل بضم الياء أي يضله الله
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين • فكلوا مسبب عن إنكار اتباع المضلين الذين يحلون
الحرام ويحرمون الحلال وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله فما قتل الله أحق أن تأكلوا
مما قتلتم أنتم فقيل للمسلمين إن كنتم متحققين بالإيمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره
من آلهتهم أو مات حتف أنفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى ببسم الله • وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد
فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو
أعلم بالمعتدين • وما لكم ألا تأكلوا وأي غرض لكم في أن لا تأكلوا وقد فصل لكم وقد بين لكم • ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله
تعالى حرمت عليكم الميتة • وقرئ فصل لكم ما حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو الله عز وجل • إلا ما اضطررتم إليه
مما حرم عليكم فإنه حلال لكم في حال الضرورة • وإن كثيرا ليضلون قرئ بفتح الياء وضمها أي يضلون فيحرمون ويحللون
بأهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة • وذروا ظاهر الإثم وباطنه إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون
ظاهر الإثم وباطنه ما أعلنتم منه وما أسررتم • وقيل ما عملتم وما نويتم • وقيل ظاهر الزنا في الحوانيت وباطنه الصديقة
في السر • ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن
أطعتموهم إنكم لمشركون • وإنه لفسق الضمير راجع إلى المصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني وإن الأكل منه
لفسق أو إلى الموصول على أن أكله فسق أو جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا • فقد ذهب جماعة من المجتهدين إلى
أكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان أو عمد • وقد تأول هؤلاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله أو فسقا أهل
لغير الله به • ليوحون ليوسوسون إلى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم ولا تأكلون مما قتله الله وبهذا ترجح تأويل من تأوله
بالميتة • إنكم لمشركون لأن من اتبع غير الله في دينه فقد أشرك به ومن حق ذي البصيرة في دينه ألا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيف
ما كان لما يرى في الآية من التشديد العظيم ولكن أبا حنيفة رحمه الله مرخصا في النسيان دون العمد والمالك والشافعي رحمهما الله

فيها أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك
زين للكافرين ما كانوا يعملون • وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما
يشعرون • مثل الذي هداه الله تعالى بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي
والضال بمن كان ميتا فأحياه الله تعالى وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلاهم
ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله تعالى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها
كمن صفته هذه وهي قوله في الظلمات ليس بخارج منها بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون
فيها أنهار • زين للكافرين أي زينه الشيطان أو الله عز وعلا على قوله زينا لهم أعمالهم ويدل عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية
أكابر مجرميها يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا وما كففناهم
عن المكر • وخص الأكابر لأنهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله عز وجل أمرنا مترفيها وقرئ أكبر مجرميها
على قولك هم أكبر قومهم وأكابر قومهم • وما يمكرون إلا بأنفسهم لأن مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتقديم موعد بالنصر عليهم • وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل
رسالاته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون • روي أن الوليد بن المغيرة
قال لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك لأني أكبر منك سنا وأكثر مالا • وروي أن أبا جهل لعنه الله قال زاحمنا بني عبد مناف
في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى إليه والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت
ونحوها قوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة • الله أعلم كلام مستأنف للإنكار عليهم وأن الله لا يصطفي للنبوة
إلا من علم أنه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذي يضع فيه رسالته منهم • سيصيب الذين أجرموا من أكابرها صغار وقماءة بعد
كبرهم وعظمتهم • وعذاب شديد في الدارين من الأسر والقتل وعذاب النار • فمن يرد الله أن يهديه يشرح
صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس
على الذين لا يؤمنون • فمن يرد الله أن يهديه أن يلطف به ولا يريد أن يلطف إلا بمن له لطف • يشرح صدره للإسلام
يلطف به حتى يرغب في الإسلام وتسكن إليه نفسه ويحب الدخول فيه • ومن يرد أن يضله أن يخذله ويخليه وشأنه وهو
الذي لا لطف له • يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه ألطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله
الإيمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد • حرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر • كأنما يصعد في السماء
كأنما يزاول أمرا غير ممكن لأن صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة ويضيق عنه المقدرة وقرئ يصعد
وأصله يتصعد • وقرأ عبد الله يتصعد ويصاعد وأصله يتصاعد ويصعد من صعد ويصعد من أصعد • يجعل
الله الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب أو أراد الفعل المؤدي إلى الرجس وهو
العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب • وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون
لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون • وهذا صراط ربك وهذا طريقه الذي اقتضته
الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان • مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على أنه حال مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا
لهم لقوم يذكرون • دار السلام دار الله يعني الجنة أضافها إلى نفسه تعظيما لها أو دار السلامة من كل آفة وكدر عند
ربهم في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى أو ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من
قرة أعين • وهو وليهم مواليهم ومحبهم أو ناصرهم على أعدائهم • بما كانوا يعملون بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزاء
ما كانوا يعملون • ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا
استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله
إن ربك حكيم عليم • ويوم يحشرهم منصوب بمحذوف أي واذكر يوم نحشرهم أو ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن
أو ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم

والجن هم الشياطين • قد استكثرتم من الإنس أضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم أتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير
كما تقول استكثر الأمير من الجنود واستكثر فلان من الأتباع • وقال أولياؤهم من الإنس الذين أطاعوهم واستمعوا
إلى وسوستهم • ربنا استمتع بعضنا ببعض أي انتفع الإنس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى أسباب
التوصل إليها وانتفع الجن بالإنس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في إغوائهم • وقيل
استمتاع الإنس بالجن ما في قوله تعالى وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن وأن الرجل كان إذا نزل واديا
وخاف قال أعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع الجن بالإنس اعتراف الإنس لهم بأنهم يقدرون على الدفع
عنه وإجارتهم • وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من
طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم • خالدين فيها
إلا ما شاء الله أي يخلدون في عذاب النار الأبد كله إلا ما شاء الله إلا الأوقات التي ينقلون فيها من عذاب
النار إلى عذاب الزمهرير فقد روي أنهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من بعض
فيتعاوون ويطلبون الرد إلى الجحيم أو يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه أنيابه وقد طلب
إليه أن ينفس عن خناقه أهلكني الله إن نفست عنك إلا إذا شئت وقد علم أنه لا يشاء إلا التشفي منه بأقصى
ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله إلا إذا شئت من أشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة
الاستثناء الذي فيه إطماع • إن ربك حكيم لا يفعل شيئا إلا بموجب الحكمة • عليم بأن الكفار يستوجبون
عذاب الأبد • وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون • نولي بعض الظالمين بعضا نخليهم
حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الإنس أو نجعل بعضهم أولياء بعض يوم القيامة وقرناءهم
كما كانوا في الدنيا • بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي • يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم
رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة
الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين • يقال لهم يوم القيامة على وجه التوبيخ ألم يأتكم
رسل منكم • ويختلف في أن الجن هل بعث إليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الآية ولم يفرق بين مكلفين
ومكلفين أن يبعث إليهم رسول من جنسهم لأنهم به آنس وله آلف • وقال الآخرون الرسل من الإنس خاصة
وإنما قيل رسل منكم لأنه لما جمع الثقلين في الخطاب صح ذلك وإن كان من أحدهما كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان • وقيل أراد رسل الرسل من الجن إليهم كقوله ولوا إلى قومهم منذرين • وعن الكلبي كانت الرسل
قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يبعثون إلى الإنس ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجن والإنس قالوا
شهدنا على أنفسنا حكاية لتصديقهم وإيجابهم قوله تعالى ألم يأتكم لأن الهمزة الداخلة على نفي إتيان الرسل
للإنكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا على أنفسنا إقرار منهم بأن حجة الله لازمة لهم وأنهم محجوجون بها
فإن قلت ما لهم مقرين في هذه الآية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت تتفاوت
الأحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في البعض أو أريد شهادة أيديهم وأرجلهم
وجلودهم حين يختم على أفواههم • فإن قلت لم كرر ذكر شهادتهم على أنفسهم قلت الأولى حكاية
لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة نظرهم لأنفسهم وأنهم
قوم غرتهم الحياة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة أمرهم أن اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر
والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وإنما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم • ذلك أن لم يكن
ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون • ذلك إشارة إلى ما تقدم من بعثة الرسل إليهم وإنذارهم
سوء العاقبة وهو خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك • أن لم يكن ربك مهلك القرى تعليل أي الأمر ما قصصنا
عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على أنه مما ينبغي أن يكون تخفيفا من

التفعيلة على معنى لان الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ولك ان تجعله بدلا من ذلك كقوله
تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع • بظلم بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه
لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظالما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح • ولكل درجات
مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون • ولكل من المكلفين • درجات منازل • مما عملوا من جزاء
اعمالهم • وما ربك بغافل عما يعملون بساه عنه يخفى عليه مقاديره واحواله وما يستحق عليه من الاجر
وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية
قوم آخرين • انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين • وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم • ذو
الرحمة يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة • ان يشأ يذهبكم ايها العصاة • ويستخلف من بعدكم
ما يشاء من الخلق المطيع • كما انشأكم من ذرية قوم آخرين من اولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم
اهل سفينة نوح عليه السلام • قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون • المكانة تكون
مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة • وقوله
اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم او اعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم
عليها يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حالة على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه
اني عامل اي عامل على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى
مصابرتكم • فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم
وهي التخلية والتسجيل على المأمور بانه لا يأتي منه الا الشر فكأنه مأمور به وهو واجب عليه حتم ليس له ان
يتفصى عنه ويعمل بخلافه • من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون • فان قلت ما موضع من
قلت الرفع اذا كان بمعنى اي وعلق عنه فعل العلم او النصب اذا كان بمعنى الذي • وعاقبة الدار
العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال
وادب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق وان المنذر مبطل • وجعلوا لله مما ذرأ
من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل
الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون • كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج
لله تعالى واشياء منها لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للآلهة
واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه لها واعتلوا بان الله غني وانما ذاك لحب آلهتهم وايثارهم لها • وقوله
مما ذرأ فيه ان الله كان اولى بان تجعل له الزاكي لانه هو الذي ذرأه وزكاه ولا يرد الى ما لا يقدر على ذرء
ولا تزكية • بزعمهم وقرئ بالضم اي قد زعموا انه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة
التي هي من الشرك لانهم اشركوا بين الله وبين اصنامهم في القربة • فلا يصل الى الله اي لا يصل الى الوجوه التي كانوا
يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين • فهو يصل الى شركائهم من انفاق عليها وذبح نسائك
عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك • ساء ما يحكمون في ايثار آلهتهم على الله وعملهم ما لم يشرع لهم
وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء
الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون • وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربات
بين الله والآلهة او ومثل ذلك التزيين البليغ الذي هو علم من الشياطين والمعنى ان شركاءهم من الشياطين او
من سدنة الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم بالوأد او بنحرهم للآلهة وكان الرجل يحلف في الجاهلية لئن
ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب • وقرئ زين على البناء للفاعل الذي هو القتل
ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كأنه قيل لما قيل زين لهم قتل اولادهم من زينه فقيل زينه لهم

شركاؤهم • واما قراءة ابن عامر قتل اولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة
القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا
كما سمج ورد زج القلوص ابي مزاده • فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي
حمله على ذلك ان رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء لان الاولاد شركاؤهم في
اموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب • ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء • وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوه
عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام حتى زلوا عنه الى الشرك • وقيل دينهم الذي
وجب ان يكونوا عليه • وقيل معناه ان يوقعوهم في دين ملتبس • فان قلت ما معنى اللام • قلت ان كان
التزيين من الشياطين فهي على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة • ولو شاء الله
مشيئة قسر • ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او لما فعل الشياطين او السدنة التزيين او الارداء
او اللبس او جميع ذلك ان جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة • وما يفترون وما يفترونه من الافك او وافتراءهم
وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام
لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون • حجر فعل بمعنى مفعول
كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات
وقرأ الحسن وقتادة حجر بضم الحاء • وعن ابن عباس رضي الله عنه حرج وهو من التضييق وكانوا
اذا عينوا اشياء من حرثهم وانعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون
النساء • وانعام حرمت ظهورها هي البحائر والسوائب والحوامي • وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح
وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام • وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى انهم قسموا انعامهم
فقالوا هذه انعام حجر وهذه انعام محرمة الظهور وهذه انعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها اجناسا بهواهم
ونسبوا ذلك التجنيس الى الله تعالى • افتراء عليه اي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء وانتصابه على انه مفعول له او حال
او مصدر مؤكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء • وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم
على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم • قد خسر الذين قتلوا
اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين • كانوا يقولون
في اجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا تأكل منه الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث
وانث خالصة للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر ومحرم للحمل على اللفظ ونظيره قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى
اذا خرجوا من عندك • ويجوز ان تكون التاء للمبالغة مثلها في راوية الشعر وان تكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعافية
اي ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على ان قوله لذكورنا هو الخبر • وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز ان
تكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله • وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما خالصه على الاضافة وفي
مصحف عبد الله خالص • وان يكن ميتة وان يكن ما في بطونها ميتة • وقرئ وان تكن بالتأنيث على وان تكن الاجنة
ميتة • وقرأ اهل مكة وان تكن ميتة بالتأنيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير في قوله فهم فيه شركاء لان الميتة
لكل ميت ذكر او انثى فكأنه قيل وان يكن ميت فهم فيه شركاء • سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم
من قوله تعالى وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام نزلت في
ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر • سفها بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم بان
الله هو رازق اولادهم لا هم • وقرئ قتلوا بالتشديد • ما رزقهم الله من البحائر والسوائب وغيرها • وهو الذي
انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها
وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين •

انشاخات من الكروم ❁ معروشات مسموكات ❁ وغير معروشات متروكات على وجه الارض لم تعرش وقيل المعروشات ما في الارياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما انبته الله وحشيا في البراري والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه ❁ مختلفا اكله في اللون والطعم والحجم والرائحة وقرئ اكله بالضم والسكون وهو ثمره الذي يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه ❁ ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك كقوله تعالى فادخلوها خالدين وقرئ ثمره بضمتين فان قلت ما فائدة قوله اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يؤكل منه قلت لما ابيح الاكل من ثمره قيل اذا اثمر ليعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع ❁ وآتوا حقه يوم حصاده لان الاية مكية وانما فرضت الزكاة بالمدينة فاريد ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر ❁ وقيل مدنية والحق هو الزكاة المفروضة ومعناه واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء ❁ ولا تسرفوا في الصدقة كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئا الى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ❁ حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشا من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش ❁ وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها ❁ ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية ❁ ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ❁ ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا ❁ اثنين زوجين اثنين يريد الذكر والانثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد اذا كان وحده فهو فرد فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله تعالى خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله تعالى ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون معه آخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كاسا بشرط ان يكون فيها خمر ❁ والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر ❁ وقرئا بفتح العين ❁ وقرأ ابي ومن المعزى وقرئ اثنان على الابتداء ❁ الهمزة في آلذكرين للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضأن والانثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الابل والبقر والانثيان منهما وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيفما كانت ذكورا او اناثا او مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله تعالى فانكر ذلك عليهم ❁ نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله تعالى يدل على تحريم ما حرمتم ❁ ان كنتم صادقين في ان الله تعالى حرمه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ❁ ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين ❁ ام كنتم شهداء بل اكنتم شهداء ومعنى الهمزة للانكار يعني ام شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لانهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله ام كنتم شهداء على معنى اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل ❁ فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم ❁ ليضل الناس وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحائر وسيب السوائب فان قلت كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه قلت قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير اجنبي من المعدود

وذلك ان الله عز وجل من على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تاكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم فيما اوحي الي تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الانفس محرما طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها ❁ الا ان يكون ميتة الا ان يكون الشيء المحرم ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح ❁ او فسقا عطف على المنصوب قبله سمي ما اهل به لغير الله فسقا ❁ فسقا لتوغله في باب الفسق ومنه قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق واهل صفة له منصوبة المحل ❁ ويجوز ان يكون مفعولا له من اهل اي اهل لغير الله به فسقا فان قلت فعلام تعطف اهل وعلام يرجع الضمير في به على هذا القول قلت يعطف على يكون ويرجع الضمير الى ما يرجع اليه المستكن في يكون ❁ فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى اكل شيء من هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله تارك لمواساته ❁ ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله ❁ فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون ذو الظفر ما له اصبع من دابة او طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما كقولك من زيد اخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما الا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلى وقوله الا ما حملت ظهورهما يعني الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء او ما اختلط بعظم وهو شحم الالية ❁ وقيل الحوايا عطف على شحومهما واو بمنزلتها في قولهم جالس الحسن او ابن سيرين ❁ ذلك الجزاء جزيناهم وهو تحريم الطيبات ❁ ببغيهم بسبب ظلمهم ❁ وانا لصادقون فيما اوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه اهل الطاعة فلما عصوا وبغوا الحقنا بهم الوعيد واحللنا بهم العقاب فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد باسه عن القوم المجرمين ❁ فان كذبوك في ذلك وزعموا ان الله تعالى واسع الرحمة وانه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لاهل طاعته ❁ ولا يرد باسه مع سعة رحمته ❁ عن القوم المجرمين فلا تغتروا برجاء رحمته عن خوف نقمته سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون سيقول الذين اشركوا اخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يعنون بكفرهم وتمردهم ان شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما احل الله بمشيئة الله وارادته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك كمذهب المجبرة بعينه ❁ كذلك كذب الذين من قبلهم اي جاؤوا بالتكذيب المطلق لان الله عز وجل ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة القبائح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وارادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ ادلة العقل والسمع وراء ظهره ❁ حتى ذاقوا باسنا حتى انزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم ❁ قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم ❁ فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بان مثل قولهم محال ان يكون له حجة ❁ ان تتبعون الا الظن في قولكم هذا ❁ وان انتم الا تخرصون تقدرون ان الامر كما تزعمون او تكذبون وقرئ كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين قل فلله الحجة البالغة يعني فان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة البالغة عليكم على

قوم منهجكم فلو شاء لهداكم اجمعين منكم ومن مخالفكم في الدين فان تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي ان تعلقوا
دين من يخالفكم ايضا بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لان المشيئة تجمع بين ما انتم
عليه وبين ما هم عليه قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد
معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا والذين لا يؤمنون بالاخرة وهم بربهم يعدلون
هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم
وقربوهم فان قلت كيف امره باستحضار شهدائهم الذين يشهدون ان الله حرم ما زعموه محرما ثم امره
بان لا يشهد معهم قلت امره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر
للمشهود لهم بانقطاع الشهداء انهم ليسوا على شيء لتساوي اقدام الشاهدين والمشهود لهم في انهم لا يرجعون الى ما يصح
التمسك به وقوله فلا تشهد معهم يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا سلم لهم فكانه شهد معهم
مثل شهادتهم فكان واحدا منهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على ان من كذب بايات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لانه لو تبع الدليل لم يكن الا مصدقا بالايات موحدا
لله تعالى فان قلت هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون ان الله حرم هذا واي فرق بينه وبين المنزل قلت
المراد ان يحضروا شهداءهم الذين علم انهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم
ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فاضيفت الشهداء اليهم للدلالة على انهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله فان شهدوا فلا تشهد
معهم ولو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا اناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء
بالحق وذلك ليس بالغرض ويناقضه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا
به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر
منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال
اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا
قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون تعال من
الخاص الذي صار عاما واصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وما حرم
منصوب بفعل التلاوة بمعنى اتل الذي حرمه ربكم او بحرم بمعنى اتل اي شيء حرم ربكم لان التلاوة من القول وان
في الا تشركوا مفسرة ولا للنهي فان قلت هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت لا تشركوا بدلا من ما حرم
وجب ان يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الاوامر عليها وهي قوله تعالى وبالوالدين
احسانا لان التقدير واحسنوا بالوالدين احسانا واوفوا واذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله اوفوا فان قلت فما
تصنع بقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وانما يستقيم عطفه على ان لا تشركوا اذا جعلت ان هي
الناصبة للفعل حتى يكون المعنى اتل عليكم نفي الاشراك والتوحيد واتل عليكم ان هذا صراطي مستقيما قلت
اجعل قوله وان هذا صراطي مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا
بمعنى ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر كانه قيل واتبعوا صراطي لانه مستقيم او
واتبعوا صراطي انه مستقيم فان قلت اذا جعلت ان مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب ان
يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالاوامر قلت لما
وردت هذه الاوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم ان التحريم راجع
الى اضدادها وهي الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله من املاق من اجل

فقر ومن خشيته كقوله تعالى خشية املاق ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه الا بالحق
كالقصاص والقتل على الردة والرجم الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه
وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ اشده فادفعوه اليه بالقسط بالسوية والعدل لا نكلف نفسا الا
وسعها الا ما يسعها ولا تعجز عنه وانما اتبع الامر بايفاء الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد من القسط
الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فامر ببلوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه ولو كان
ذا قربى ولو كان المقول له او عليه في شهادة او غيرها من اهل قرابة القائل فما ينبغي ان يزيد في القول او ينقص كقوله
تعالى ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وقرئ وان هذا صراطي بتخفيف ان واصله وانه هذا صراطي على ان
الهاء ضمير الشان والحديث وقرأ الاعمش وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله وهذا صراط ربكم وفي
مصحف ابي وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية
وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم فتفرقكم ايادي سبا عن سبيله عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام
وقرئ فتفرق بكم بادغام التاء وروى ابو وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها
شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الاية وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الايات
محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل انهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب
الاحبار رضي الله عنه والذي نفس كعب بيده ان هذه الايات لاول شيء في التوراة ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذي
احسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب انزلناه مبارك
فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون فان قلت علام عطف قوله ثم اتينا موسى الكتاب قلت على وصاكم به
فان قلت كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل قلت هذه التوصية قديمة لم تزل
توصاها كل امة على لسان نبيها كما قال ابن عباس رضي الله عنهما محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكانه قيل ذلكم
وصاكم به يا بني ادم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسى الكتاب وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو
معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحاق ويعقوب تماما على الذي احسن تماما للكرامة والنعمة
على الذي احسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين وتدل عليه قراءة عبد الله على الذين احسنوا او اراد
به موسى عليه السلام اي تتمة للكرامة على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما امر به او تماما على الذي
احسن موسى من العلم والشرائع من احسن الشيء اذا اجاد معرفته اي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرأ
يحيى بن يعمر على الذي احسن اي على الذي هو احسن بحذف المبتدأ كقراءة من قرأ مثلا ما بعوضة بالرفع اي على الدين الذي
هو احسن دين وارضاه او اتينا موسى الكتاب تماما اي تاما كاملا على احسن ما تكون عليه الكتب اي على الوجه والطريق الذي
هو احسن وهو معنى قول الكلبي اتم له الكتاب على احسنه ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا
وان كنا عن دراستهم لغافلين ان تقولوا كراهة ان تقولوا على طائفتين يريدون اهل التوراة واهل الانجيل
وان كنا ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم غافلين
على ان الهاء ضمير الشان عن دراستهم عن قراءتهم اي لم نعرف مثل دراستهم او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب
لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بايات الله وصدف عنها سنجزي
الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا
وغزارة حفظنا لايام العرب ووقائعها وخطبها واشعارها واسجاعها وامثالها على انا اميون وقرئ ان يقولوا
او يقولوا بالياء فقد جاءكم بينة من ربكم تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا على لفظ الغيبة احسن لما فيه
من الالتفات والمعنى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من احسن

الحذوف. فمن أظلم ممن كذب بآيات الله بعد ما عرف صحتها أو تمكن من معرفتها وصدف عنها الناس فضل وأضل. سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب. هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون الملائكة ملائكة الموت أو العذاب. أو يأتي ربك أو يأتي كل آيات ربك بدليل قوله أو يأتي بعض آيات ربك يريد آيات القيامة والهلاك الكلي. وبعض الآيات أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك. وعن البراء بن عازب رضي الله عنه كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الأرض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن. لم تكن آمنت من قبل صفة لقوله نفسا وقوله أو كسبت في إيمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى أن أشراط الساعة إذا جاءت وهي آيات ملجئة مضطرة ذهب أوان التكليف عندها فلم ينفع الإيمان حينئذ نفسا غير مقدمة إيمانها من قبل ظهور الآيات أو مقدمة إيمانها غير كاسبة خيرا في إيمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت في غير وقت الإيمان وبين النفس التي آمنت في وقتها ولم تكسب خيرا ليعلم أن قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي أن تنفك إحداهما عن الأخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد وإلا فالشقوة والهلاك. قل انتظروا إنا منتظرون وعيد. وقرئ أن تأتيهم الملائكة بالياء وقرأ ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الإيمان مضافا إلى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولك ذهبت بعض أصابعه. إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون. فرقوا دينهم اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة. وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض. وقرئ فارقوا دينهم أي تركوه. وكانوا شيعا فرقا تشيع كل فرقة إماما. لست منهم في شيء أي من السؤال عنهم وعن تفرقهم أو من عقابهم. وقيل هي منسوخة بآية السيف. من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون. عشر أمثالها إقامة لصفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات أمثالها. وقرئ عشر أمثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا أقل ما وعد من الأضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافأة السيئات عدل. وهم لا يظلمون لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم. قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين. دينا نصب على البدل من محل إلى صراط إذ المعنى هداني صراطا بدليل قوله تعالى ويهديكم صراطا مستقيما. والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من القائم. وقرئ قيما والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به. وملة إبراهيم عطف بيان. وحنيفا حال من إبراهيم. قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين. قل إن صلاتي ونسكي عبادتي وتقربي كله. وقيل وذبحي جمع بين الصلاة والذبح كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر. وقيل صلاتي وحجي من مناسك الحج. ومحياي ومماتي وما آتيه في حياتي وأموت عليه من الإيمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه. وبذلك من الإخلاص أمرت وأنا أول المسلمين لأن إسلام كل نبي متقدم على إسلام أمته. قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون. قل أغير الله أبغي ربا فأشركه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم والهمزة للإنكار أي منكر أن أبغي ربا غيره. وهو رب كل شيء فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبد. ولا تكسب كل نفس إلا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم. وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم.

جعلكم

جعلهم خلائف الأرض لأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فخلفت أمته سائر الأمم أو جعل بعضهم يخلف بعضا أو هم خلفاء الله في أرضه يتملكونها ويتصرفون فيها. ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والرزق. ليبلوكم فيما آتاكم من نعمة المال والجاه كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغني بالفقير. إن ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته. وإنه لغفور رحيم لمن قام بشكرها. ووصف العقاب بالسرعة لأن ما هو آت قريب. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ سورة الأنعام صلى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من هذه السورة يوما وليلة

سورة الأعراف مكية وهي مائتان وست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأعراف مكية غير ثماني آيات واسألهم عن القرية إلى قوله وإذ نتقنا الجبل وهي مائتان وخمس آيات وقيل ست آيات. المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين. كتاب خبر مبتدأ محذوف أي هو كتاب وأنزل إليك صفته والمراد بالكتاب السورة. فلا يكن في صدرك حرج منه أي شك فيه كقوله تعالى فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك. وسمي الشك حرجا لأن الشاك ضيق الصدر حرجه كما أن المتيقن منشرح الصدر منفسحه ومنبسطه أي لا تشك في أنه منزل من الله تعالى أو حرج من تبليغه لأنه كان يخاف قومه وتكذيبهم له وإعراضهم عنه وأذاهم فكان يضيق صدره من الأداء ولا ينبسط له فأمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم. فإن قلت بم تعلق قوله لتنذر قلت بأنزل أي أنزل إليك لإنذارك به أو بالنهي لأنه إذا لم يخفهم أنذرهم وكذا إذا أيقن أنه من عند الله شجعه اليقين على الإنذار لأن صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته. فإن قلت فما محل ذكرى قلت يحتمل الحركات الثلاث النصب بإضمار فعلها كأنه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لأن الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب أو بأنه خبر مبتدأ محذوف والجر للعطف على محل أن تنذر أي للإنذار وللذكرى. فإن قلت النهي في قوله فلا يكن متوجه إلى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا أرينك هاهنا. اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون. وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون. اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم من القرآن والسنة. ولا تتبعوا من دونه من دون الله أولياء أي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والإنس فيحملوكم على عبادة الأوثان والأهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما أنزل إليكم وأمركم باتباعه. وعن الحسن يا ابن آدم أمرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما نزلت آية إلا وهو يحب أن تعلم فيم أنزلت وما معناها. وقرأ مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الإسلام دينا. ويجوز أن يكون الضمير في من دونه لما أنزل أي ولا تتبعوا من دون دين الله دين أولياء. قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره. وقرئ يذكرون بالياء وتتذكرون بالتاء. وقليلا نصب بتذكرون أي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة. فجاءها فجاء أهلها. بياتا مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله هم قائلون حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءهم بأسنا بائتين أو قائلين. فإن قلت هل يقدر حذف المضاف الذي هو الأهل قبل قرية أو قبل الضمير في أهلكناها قلت إنما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فإن القرية تهلك كما يهلك أهلها وإنما قدرناه قبل الضمير في فجاءها لقوله أو هم قائلون. فإن قلت لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله أو هم قائلون قلت قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلا أو هو فارس أو جاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه إلى واو لأن الذكر قد عاد على الأول والصحيح أنها إذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لأن واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءني زيد راجلا أو هو فارس كلام فصيح وارد على حده وأما جاءني زيد هو فارس فخبيث. فإن قلت فما معنى قوله أهلكناها فجاءها بأسنا والإهلاك إنما هو بعد مجيء البأس قلت معناه أردنا إهلاكها كقوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة. وإنما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لأنهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع وقوم

لوطا اهلكها بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين
فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين • فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين • فما كان دعواهم ما كا
نوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده • وقولهم انا كنا ظالمين فيما كنا عليه
ويجوز فما كان استغاثتهم الا قولهم هذا لانه لا مستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب • ويجوز فما كان دعاؤهم
ربهم الا اعترافهم لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم وان لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما كان منهم • ونصب
خبر كان وان قالوا رفع اسم له ويجوز العكس • فلنسألن الذين ارسل اليهم اسند الى الجار والمجرور وهو اليهم ومعناه فلنسألن
المرسل اليهم وهم الامم يسألهم عما اجابوا به رسلهم كما قال تعالى ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ويسأل المرسلين عما
اجيبوا به كما قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم • فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم • بعلم عالمين
باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم • وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فان قلت فاذا كان عالما بذلك وكان يقصه
عليهم فما معنى سؤالهم قلت معناه التوبيخ والتقريع اذا فاهوا به بألسنتهم وشهد عليهم انبياؤهم • والوزن يومئذ الحق
فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون • ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا
يظلمون • والوزن يومئذ الحق يعني وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ
والحق صفته • او والوزن يومئذ يوم يسأل الله الامم ورسلهم • الوزن الحق اي العدل وقرئ القسط • واختلف في
كيفية الوزن فقيل توزن صحائف الاعمال بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق تأكيدا للحجة واظهارا للنصفة
وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترفون بها بألسنتهم وتشهد عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم وتشهد عليهم
الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤونها في موقف الحساب • وقيل هي عبارة عن القضاء السوي والحكم
العادل • فمن ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون اي فمن رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما توزن
به حسناتهم • وعن الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف • بآياتنا
يظلمون يكذبون بها ظلما كقوله تعالى فظلموا بها • ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون
ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين • مكناكم
في الارض جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او ملكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها • معايش جمع معيشة وهي
ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح الياء • وعن ابن عامر انه همز تشبيها بصحائف
ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك الا ترى الى قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم • من الساجدين ممن سجد لآدم • الا تسجد لا في ان لا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا
يعلم اهل الكتاب بمعنى ليعلم فان قلت ما فائدة زيادتها قلت توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه
كأنه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته
من طين • قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين • وما منعك ان تحقق السجود
وتلزمه نفسك • اذ امرتك لان امري لك بالسجود اوجبه عليك ايجابا وحتمه حتما لا بد لك منه فان قلت لم
سأله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه قلت للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وافتخاره باصله وازدرائه
اصل آدم وانه خالف امر ربه معتقدا انه غير واجب عليه لما رأى ان سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب
فان قلت كيف يكون قوله انا خير منه جوابا لما منعك وانما الجواب ان يقول منعني كذا قلت قد استأنف
قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو ان اصله من نار واصل آدم من
طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهو انكار الامر واستبعاد ان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه
يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعدا ان يؤمر بما امر به • فاهبط منها من السماء التي هي مكان المطيعين
المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين • فما يكون لك فما يصح لك

ان تتكبر

ان تتكبر فيها وتعصي • فاخرج انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان على الله وعلى اوليائه لتكبرك كما
تقول للرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه لما اظهر الاستكبار البس الصغار • وعن عمر رضي الله
عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض • قال
انظرني الى يوم يبعثون • قال انك من المنظرين • قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم
فان قلت لم اجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده ويغويهم قلت لما في ذلك من ابتلاء العباد
وفي مخالفته من اعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي وما ركب في
الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده • فبما اغويتني فبسبب اغوائك اياي لاقعدن لهم وهو تكليفه اياه
ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم افضل منه ومن آدم انفسا ومناصب • وعن الاصم رحمه الله
امرتني بالسجود فحملني الانف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لاجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي
كما فسدت بسببهم فان قلت بم تعلقت الباء فان تعليقها بلاقعدن تصد عنه لام القسم لا تقول والله بزيد
لامرن قلت تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتني اقسم بالله لاقعدن اي بسبب اغوائك اقسم
ويجوز ان تكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن وانما اقسم بالاغواء لانه كان تكليفا والتكليف من احسن افعال
الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به • ومن تكاذيب المجبرة ما حكي عن طاوس انه كان في
المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس تقوم او تقام فقام الرجل فقيل
له اتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس لعنه الله افقه منه قال رب بما اغويتني وهذا يقول انا اغوي نفسي وما ذاك
بقوم بلغ من تهالكهم على اضافة القبائح الى الله تعالى ان لفقوا الاكاذيب على رسول الله والصحابة والتابعين • وقيل
ما للاستفهام كأنه قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدأ لاقعدن واثبات الالف اذا دخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل
شاذ • واصل الغي الفساد ومنه قيل غوي الفصيل اذا بشم والبشم فساد • لاقعدن لهم صراطك المستقيم اعترض لهم
على طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله كما عسل الطريق
الثعلب وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق
الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه ثم هاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك
فعصاه فقاتل • ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين
قال اخرج منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين • ثم لآتينهم من الجهات الاربع التي
يأتي منها العدو في الغالب وهذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه كقوله تعالى واستفزز من استطعت
منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك فان قلت كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن
ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قلت المفعول فيه عدي اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت
حروف التعدية في ذاك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما
سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن
المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى
استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرنا في تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد
عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدئ الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان
للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل • وعن شقيق
رحمه الله ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي
فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا • واما من خلفي فيخوفني الضيعة على

مخلفين فيها قوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها • واما من قبل ايمانهم فياتيهم من قبل الشبهات او العاقبة للمتقين
واما من قبل شمائلهم فياتيهم من قبل الشهوات فاقوا وقيل بينهم وبين ما يشتهون • ولا تجد اكثرهم شاكرين قاله تظنيا
بدليل قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه • وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله لهم • مذؤوما من ذأمه اذا ذمه
وقرا الزهري مذوما بالتخفيف مثل مسول في مسئول • واللام في لمن تبعك موطئة للقسم • ولأملأن جوابه
وهو ساد مسد جواب الشرط • منكم منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون • وروى عصمة عن عاصم
لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملأن جهنم منكم اجمعين على ان لاملأن في محل الابتدا
ولمن تبعك خبره • ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان
تكونا ملكين او تكونا من الخالدين • ويا آدم وقلنا يا آدم وقرئ هذي الشجرة وهو الاصل اليا والها بدل منها
ويقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسوس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب • ورجل
موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي تلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس
له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القاها اليه • ليبدي جعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رأيا ما يؤثران ستره
وان لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا
في العقول فان قلت ما للواو المضمومة في ووري لم تقلب همزة كما في اويصل قلت لان الثانية مدة كالف وارى
وقد جاء في قراءة عبد الله اوري بالقلب • الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على تفضيل الملائكة بالنظر
الاعلى وان البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام كقوله وملك لا يبلى • من الخالدين من الذين لا يموتون
ويبقون في الجنة ساكنين وقرئ من سوتهما بالتوحيد وسواتهما بالواو والتشديد • وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين
فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما
الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين • وقاسمهما واقسم لهما اني لكما لمن الناصحين •
فان قلت المقاسمة ان تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا
بالله لنبيتنه قلت كانه قال لهما اقسم لكما اني لمن الناصحين وقالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة
بينهم او اقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم • فدلاهما
فنزلهما الى الاكل من الشجرة بغرور بما غرهما به من القسم بالله • وعن قتادة وانما يخدع المؤمن بالله • وعن ابن عمر رضي الله عنهما
انه كان اذا رأى من عبده طاعة وحسن صلاة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال
من خدعنا بالله انخدعنا له • فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين في الاكل منها • وقيل الشجرة هي السنبلة • وقيل شجرة الكرم
بدت لهما سوآتهما ظهرت لهما عوراتهما لتهافت عنهما اللباس وظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الاخر • وعن ام المؤمنين
عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني • وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه كان لباسهما من جنس الاظفار • وعن وهب
كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر • ويقال طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل وقرأ ابو السمال وطفقا بالفتح • يخصفان
ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما تخصف النعل بان تجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرأ الحسن يخصفان
بكسر الخاء وتشديد الصاد واصله يختصفان • وقرأ الزهري يخصفان من اخصف وهو منقول من خصف اي يخصفان
انفسهما وقرئ يخصفان من خصف بالتشديد • من ورق الجنة قيل كان ورق التين • الم انهكما عتاب من الله وتوبيخ
وتنبيه على الخطأ حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله تعالى من عداوة ابليس لعنه الله • وروي انه قال لآدم الم يكن لك فيما
منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا
قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد
وداس وذرى وعجن وخبز • قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين • قال اهبطوا

بعضكم

بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين • وسميا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما لانفسهما
وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم العظيم من
الحسنات • اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وابليس • بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه
مستقر استقرار او موضع استقرار • ومتاع وتمتع بعيش • الى حين الى انقضاء آجالكم • وعن ثابت البناني لما اهبط آدم وحضرته
الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فانما اصابني ما اصابني فيك فلما توفي غسلته
الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا
لبنيه هذه سنتكم بعده • قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون • يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري
سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون • جعل ما في الارض منزلا من السماء لانه
قضي ثم وكتب ومنه وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج • والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته
اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة
ولكم فيها جمال • وقرأ عثمان رضي الله عنه ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب • ولباس التقوى ولباس الورع والخشية من الله تعالى
وارتفاعه على الابتداء وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة تقرب من الضمائر
فيما يرجع الى عود الذكر • واما المفرد الذي هو خير وذلك صفة للمبتدا كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير ولا تخلو الاشارة
من ان يراد بها تعظيم لباس التقوى او ان تكون اشارة الى اللباس المواري للسوءة لان مواراة السوءة من التقوى تفضيلا له على
لباس الزينة • وقيل لباس التقوى خبر مبتدا محذوف اي وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفي قراءة عبد الله وابي
ولباس التقوى خير • وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب
وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا وريشا • ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال
اللباس • لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف
الورق عليها اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بان التستر باب
عظيم من ابواب التقوى • يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما
سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون • لا يفتننكم الشيطان
لا يمحننكم بان لا تدخلوا الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها • ينزع عنهما لباسهما حال اي اخرجهما نازعا لباسهما بان كان
سببا في ان نزع عنهما • انه يراكم تعليل للنهي وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون
وعن مالك بن دينار رحمه الله ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤونة الا من عصم الله • وقبيله وجنوده من الشياطين وفيه
دليل بين ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم انفسهم ليس في استطاعتهم وان زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة
انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم واطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر
والمعاصي وهذا تحذير آخر ابلغ من الاول • فان قلت علام عطف وقبيله قلت على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في انه
ضمير الشان والحديث وقرأ اليزيدي وقبيله بالنصب وفيه وجهان ان يعطف على اسم ان وان تكون الواو بمعنى مع واذا
عطف على اسم ان وهو الضمير في انه كان راجعا الى ابليس عليه اللعنة • واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا
والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون • الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب اي اذا
فعلوها اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لان احدهما
تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني افتراء على الله تعالى والحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله
لنقلنا عنه • وعن الحسن رحمه الله ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله
وتصديقه قول الله عز وجل واذا فعلوا فاحشة قل ان الله لا يأمر بالفحشاء لان فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود
الصارف فكيف يأمر بفعله • اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار لاضافتهم القبيح اليه وشهادة على ان مبنى امرهم على الجهل

المجرم. وقيل الى الفاحشة طوافهم بالبيت عراة قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه
مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين
اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون بالقسط بالعدل وبما قام في النفوس انه مستقيم حسن
عند كل مميز وقيل بالتوحيد واقيموا وجوهكم اي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها عند
كل مسجد في كل وقت سجود او في كل مكان سجود وهو الصلوة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة مبتغين بها
وجهه خالصا كما بدأكم تعودون كما انشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم
فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة فريقا هدى وهم الذين اسلموا اي وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة
اي كلمة الضلالة وعلم الله انهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله وفريقا بفعل يفسره ما بعده كانه قيل وخذل فريقا
حق عليهم الضلالة انهم ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين اولياء اي تولوهم بالطاعة فيما امروهم
به وهذا دليل على ان علم الله لا اثر له في ضلالهم وانهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين دون الله يا بني آدم
خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين خذوا زينتكم اي ريشكم ولباس
زينتكم عند كل مسجد كلما صليتم او طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يامرهم بالحرير والديباج وانما كان
كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في
ثياب اذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة
ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وكان بنو عامر في ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك
حجهم فقال المسلمون فانا احق ان نفعل فقيل لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وعن ابن عباس رضي الله عنه كل ما شئت والبس
ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وحكي ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد
ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابنا فقال وما
هي قال قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا عليه السلام الطب
في الفاظ يسيرة فقال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك
كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين
آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون زينة الله من الثياب وكل
ما يتجمل به والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام فيه انكار تحريم
هذه الاشياء وقيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هي
للذين آمنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيمة لا يشركهم
فيها احد فان قلت هلا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم قلت لينبه على انها خلقت للذين
آمنوا على طريق الاصالة وان الكفرة تبع لهم كقوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار
وقرئ خالصة بالنصب على الحال والعامل في الحال ... على انها خبر بعد خبر قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر
منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا
تعلمون الفواحش ما تفاحش قبحه اي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج والاثم عام لكل ذنب وقيل
شرب الخمر والبغي الظلم والكبر افرده بالذكر كما قال تعالى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ما لم ينزل به سلطانا
فيه تهكم لانه لا يجوز ان ينزل برهانا بان يشركوا به غيره وان تقولوا على الله وان تتقولوا عليه وتفتروا
الكذب من التحريم وغيره ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
يا بني آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
ولكل امة اجل وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم وقرئ فاذا جاء

آجالهم

آجالهم وقال ساعة لانها اقل الاوقات في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد اقصر وقت
واقربه اما ياتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون
الثقيلة او الخفيفة فان قلت ما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من الشرط والجزاء
والمعنى فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تاتينكم بالتاء والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا
عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته اولئك ينالهم
نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله
قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين فمن اظلم فمن اشنع ظلما ممن تقول على الله ما
لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار حتى اذا جاءتهم رسلنا
حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له اي الى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام ههنا
الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا ويتوفونهم حال من الرسل اي متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه
وقعت موصولة باين في خط المصحف وكان حقها ان تفصل لانها موصولة بمعنى اين الآلهة الذين تدعون ضلوا
غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وانهم لم يجدوهم في العاقبة
قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها
جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون قال
ادخلوا اي يقول الله تعالى يوم القيمة لاولئك الذين قال فيهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته وهم كفار
العرب في امم في موضع الحال اي كائنين في جملة امم وفي غمارهم مصاحبين لهم اي ادخلوا في النار مع امم قد خلت من
قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها اي تداركوا بمعنى تلاحقوا
واجتمعوا في النار قالت اخراهم منزلة وهي الاتباع والسفلة لاولاهم منزلة وهي القادة والرؤوس ومعنى لاولاهم
لاجل اولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم عذابا ضعفا مضاعفا لكل ضعف لان كلا من القادة والاتباع كانوا ضالين
مضلين ولكن لا تعلمون قرئ بالياء والتاء وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب
بما كنتم تكسبون ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة
حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين
فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا
متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب من قول القادة او من قول الله لهم جميعا لا تفتح لهم ابواب السماء لا يصعد
لهم عمل صالح اليه يصعد الكلم الطيب كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقيل ان الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم في
صعود السماء ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح المؤمنين وقيل
لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون ففتحنا ابواب السماء وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء وبالياء على البناء
للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله تعالى وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما الجمل بوزن القمل
وسعيد بن جبير الجمل بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها القلس
الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى احسن تشبيها من ان يشبه
بالجمل يعني ان الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الابرة والبعير لا يناسبه الا ان قراءة العامة اوقع لان سم الابرة
مثل في ضيق المسلك يقال اضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت للاهتداء به في المضايق المشبهة باخرات الابر
والجمل مثل في عظم الجرم قال جسم الجمال واحلام العصافير اي [illegible]
لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج الا في باب واسع في ثقب الابرة وعن ابن مسعود رضي
عنه انه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب معنى آخر تكلف وقرئ في سم بالحركات الثلاث

وقرئ عند الشيء في سم الخياط والخيط كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو الإبرة ● وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي
المجرمين ليدل على أن الإجرام هو السبب الموصل إلى العقاب وأن كل من أجرم عوقب وقد كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين لأن
كل مجرم ظالم لنفسه ● مهاد فراش ● ومن فوقهم غواش أغطية ● وقرئ غواش بالرفع كقوله تعالى وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار
وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم
الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ● لا نكلف نفسا إلا وسعها جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه
وصفا الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الإمكان الواسع غير الضيق من الإيمان والعمل الصالح ● وقرأ
الأعمش لا تكلف نفس ● ونزعنا ما في صدورهم من غل من كان في قلبه غل على أخيه في الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت
فلم يكن بينهم إلا التواد والتعاطف ● وعن علي رضي الله عنه إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم ●
هدانا لهذا أي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الإيمان والعمل الصالح ● وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي
يعني وما كان يستقيم أن نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه ● وفي مصاحف أهل الشام ما كنا لنهتدي بغير
واو على أنها جملة موضحة للأولى ● لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون
ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك
أن لا يقوله للفرح لا للقربة ● أن تلكم الجنة أن مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بأنه تلكم الجنة أورثتموها والضمير
ضمير الشأن والحديث أو مفسرة بمعنى أي لأن المناداة من القول كأنه قيل لهم تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون بسبب
أعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة ● ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل
وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ● الذين يصدون عن سبيل الله
ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون ● أن قد وجدنا يحتمل أن تكون مخففة من الثقيلة وأن تكون مفسرة
كالتي سبقت وكذلك أن لعنة الله على الظالمين وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة بأصحاب النار وزيادة في
غمهم وليكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يأمره الله فينادي
بينهم نداء يسمع أهل الجنة وأهل النار ● وقرئ أن لعنة الله بالتشديد والنصب ● وقرأ الأعمش إن لعنة الله بكسر إن
على إرادة القول أو على إجراء أذن مجرى قال ● فإن قلت هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا قلت
حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه ● ولقائل أن يقول أطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب
والعقاب وسائر أحوال القيامة لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع ولأن الموعود كله مما ساءهم وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب
لهم فأطلق لذلك ● وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام
عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون ● وبينهما حجاب يعني بين الجنة والنار أو بين الفريقين وهو السور المذكور
في قوله تعالى فضرب بينهم بسور ● وعلى الأعراف وعلى أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي أعاليه
جمع عرف مستعار من عرف الفرس وعرف الديك ● رجال من المسلمين من آخرهم دخولا في الجنة لقصور أعمالهم كأنهم
المرجون لأمر الله يحبسون بين الجنة والنار إلى أن يأذن الله لهم في دخول الجنة ● يعرفون كلا من زمر السعداء
والأشقياء ● بسيماهم بعلامتهم التي أعلمهم الله بها إلهامهم الله تعالى ذلك أو تعرفهم الملائكة إذا نظروا إلى أصحاب
الجنة نادوهم بالتسليم عليهم وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين
ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون ●
أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ● وإذا صرفت أبصارهم تلقاء
أصحاب النار بعدما رأوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا إلى رحمته أن لا يجعلهم معهم ● ونادى رجال من رؤساء
الكفرة يقولون لهم أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة إشارة لهم إلى أهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهزئون

بهم و

بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون أن الله لا يدخلهم الجنة ● ادخلوا الجنة فقال لأصحاب
الأعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد أن يحبسوا على الأعراف وينظروا إلى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون
وفائدته بيان أن الجزاء على قدر الأعمال وأن التقدم والتأخر على حسبها وأن أحدا لا يسبق عند الله إلا
بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده إلا بتخلفه فيه وليرغب السامعون في حال السابقين ويحرصوا على إحراز قصبتهم
وليتصوروا أن كل أحد يعرف ذلك اليوم بسيماه الذي استوجب أن يوسم بها من أهل الخير والشر فيرتدع المسيء عن إساءته
ويزيد المحسن في إحسانه وليعلم أن العصاة يوبخهم كل أحد حتى أقصر الناس عملا ● وقوله تعالى وإذا صرفت
أبصارهم فيه أن صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا ويخافوا ● وقرأ الأعمش وإذا قلبت أبصارهم
وقرئ أدخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرئ دخلوا الجنة ● فإن قلت كيف لاءم هاتين القراءتين قوله
لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ● قلت تأويله أدخلوا الجنة أو دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا أنتم
تحزنون ● فإن قلت ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون ● قلت لا محل له لأنه استئناف كأن سائلا سأل عن حال
أصحاب الأعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون يعني حالهم أن دخولهم الجنة استأخر عن دخول أهل الجنة فلم يدخلوها
لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا ● ويجوز أن يكون له محل بأن يقع صفة لرجال ● ما أغنى عنكم جمعكم المال
أو كثرتكم واجتماعكم ● وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس ● وقرئ تستكثرون من الكثرة ● ونادى أصحاب
النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين ● الذين اتخذوا
دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون ●
أفيضوا علينا فيه دليل على أن الجنة فوق النار ● أو مما رزقكم الله من غيره من الأشربة لدخوله في حكم الإفاضة ● ويجوز أن
يراد أو ألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا ● وإنما يطلبون ذلك مع يأسهم من
الإجابة إليه حيرة في أمرهم كما يفعل المضطر الممتحن ● حرمهما على الكافرين منعهما منهم منع المحرم عن المكلف
ما يحرم عليه ويحظر كقوله حرام على عيني أن تطعما الكرى ● فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون
عبيدهم من الخير لا يذكرونهم ● كما نسوا لقاء يومهم هذا كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا
[illegible] ● ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون ● هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله
يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل
قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ● فصلناه بينا معانيه من العقائد والأحكام والمواعظ مفصلة ● على علم عالمين بوجه تفصيله [illegible]
[illegible]
إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين
[illegible]

والنجوم مسخرات بالرفع فلما ذكر أنه خلقهن مسخرات بأمره قال ألا له الخلق والأمر أي هو الذي خلق الأشياء كلها وهو الذي صرفها على حسب إرادته ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين • ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمت الله قريب من المحسنين • تضرعا وخفية نصب على الحال أي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا • والتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل أي تذللا وتملقا • وقرئ خفية • وعن الحسن رحمه الله إن الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير ولا يشعر الناس به • وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة وعنده الزور وما يشعرون به ولقد أدركنا أقواما ما كان على الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في السر فيكون علانية أبدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم وذلك أن الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد أثنى على زكريا عليه الصلاة والسلام فقال إذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا • إنه لا يحب المعتدين أي المجاوزين ما أمروا به في كل شيء من الدعاء وغيره • وعن ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة • وقيل هو الإسهاب في الدعاء • وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ثم قرأ إنه لا يحب المعتدين إن رحمت الله قريب من المحسنين كقوله تعالى وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا • وإنما ذكر قريب على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم أو لأنه صفة موصوف محذوف أي شيء قريب أو على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء وأسراء أو على أنه بزنة المصدر الذي هو النقيض والضغيب ولأن تأنيث الرحمة غير حقيقي وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون • قرئ نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه إما لأن أرسل ونشر متقاربان فكأنه قيل نشرها نشرا وإما على الحال بمعنى منتشرات ونشرا جمع نشور ونشرا بالتخفيف كرسل ورسل • وقرأ مسروق نشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كنقض وحسب وقرئ بشرا جمع بشير وبشرا بالتخفيف وبشرى بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره أي باشرات وبشرى بين يدي رحمته أمام نعمته وهو الغيث الذي هو من أجل النعم وأحسنها أثرا • أقلت حملت ورفعت واشتقاق الإقلال من القلة لأن الرافع المطيق يرى الذي يرفعه قليلا • سحابا ثقالا سحائب ثقالا بالماء جمع سحابة • سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لأنث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا • لبلد ميت لأجل بلد ليس فيه حياة ولسقيه • وقرئ ميت • فأنزلنا به بالبلد أو بالسحاب أو بالسوق وكذلك فأخرجنا به • كذلك نخرج الموتى مثل ذلك الإخراج وهو إخراج الثمرات نخرج الموتى لعلكم تذكرون • فيؤديكم التذكر إلى أنه لا فرق بين الإخراجين إذ كل منهما إعادة الشيء بعد إنشائه والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون • البلد الطيب الأرض الكريمة التربة والذي خبث الأرض السبخة التي لا تنبت ما ينتفع به • بإذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كأنه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لأنه واقع في مقابلة نكدا والنكد الذي لا خير فيه • وقرئ يخرج نباته أي يخرجه البلد وينبته وقوله تعالى والذي خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته إلا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات وأقيم المضاف إليه الذي هو الراجع إلى البلد مقامه إلا أنه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل أو يقدر ونبات الذي خبث • وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر أي ذا نكد ونكدا بإسكانها للتخفيف كقوله نزر بمعنى نزر وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك • وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب • وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله فوعاه وانتفع به كالأرض الطيبة أصابها الغيث فأنبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على أثر ذكر المطر وإنزاله بالبلد الميت وإخراج الثمرات به على طريق الاستطراد • كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم المؤمنون ليفكروا فيها ويعتبروا بها • وقرئ يصرف بالياء أي يصرفها الله لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم • لقد أرسلنا جواب قسم محذوف

فإن قلت ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام إلا مع قد وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا

قلت إنما كان ذلك لأن الجملة القسمية لا تساق إلا تأكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم • قيل أرسل نوح وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن ملك بن متوشلخ بن أخنوخ وأخنوخ اسم إدريس النبي عليه الصلاة والسلام • وقرئ غيره بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كأنه قيل ما لكم إله غيره والجر على اللفظ • والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من إله إلا إياه كقولك ما في الدار من أحد إلا زيدا أو غير زيد فإن قلت ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الأولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعي إلى عبادته لأنه هو المحذور عقابه دون ما كانوا يعبدونه من دون الله • واليوم العظيم يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين • قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين • الملأ الأشراف والسادة • وقيل الرجال ليس معهم نساء • في ضلال في ذهاب عن طريق الصواب والحق ومعنى الرؤية رؤية القلب فإن قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا قلت الضلالة أخص من الضلال فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه كأنه قال ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل لك ألك تمر فقلت ما لي تمرة

فإن قلت كيف وقع قوله ولكني رسول استدراكا للانتفاء عن الضلالة قلت كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته

[illegible]

العرب للواحد منهم وإنما جعل واحدا منهم لأنهم أفهم عن رجل منهم وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وهو هود بن شالخ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح • وأخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان له • فإن قلت لم حذف العاطف في قوله قال يا قوم ولم يقل فقال كما في قصة نوح • قلت هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال الملأ • فإن قلت لم وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح • قلت كان في أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي أسلم وكان يكتم إسلامه فأريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في أشراف قوم نوح مؤمن ونحوه قوله تعالى وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة • ويجوز أن يكون وصفا واردا للذم لا غير • في سفاهة في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك إلى دين آخر • وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز أرادوا أنه متمكن فيها غير منفك عنها قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين • أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين • أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون • وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام من نسبهم إلى الضلال والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم • ناصح أمين أي عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة فما حقي أن أتهم • أو أنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه • خلفاء من بعد قوم نوح أي خلفتموهم في الأرض أو جعلكم ملوكا في الأرض قد استخلفكم فيها بعدهم • في الخلق بسطة فيما خلق من أجرامكم ذهابا في الطول والبدانة قيل كان أقصرهم ستين ذراعا وأطولهم مائة ذراع • فاذكروا آلاء الله في استخلافكم وبسطة أجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء إلى نحو إني وآناء وضلع وأضلاع وعنب وأعناب • فإن قلت إذ في قوله إذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه • قلت هو مفعول به وليس بظرف أي اذكروا وقت استخلافكم • قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين • أجئتنا لنعبد الله وحده أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الأصنام شركاء معه حبا لما نشأوا عليه وإلفا لما صادفوا آباءهم يتدينون به • فإن قلت ما معنى المجيء في قوله أجئتنا • قلت فيه أوجه أن يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحي إليه جاء قومه يدعوهم وأن يريدوا به الاستهزاء لأنهم كانوا يعتقدون أن الله تعالى لا يرسل إلا الملائكة فكأنهم قالوا أجئتنا من السماء كما يجيء الملك وأن لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك للقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا أقصدت لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك • فأتنا بما تعدنا استعجال منهم للعذاب قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين • قد وقع عليكم أي حق عليكم ووجب أو قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب إليك بعض المطالب قد كان ذلك • وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له يا بني ما لك فقال لسعني طوير كأنه ملتف في بردي حبرة فضمه إلى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر • والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب • في أسماء سميتموها في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات لأنكم تسمونها آلهة ومعنى الإلهية فيها معدوم محال وجوده وهذا كقوله تعالى ما تعبدون من دونه من شيء • ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته زيدا فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين • وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم وقصتهم أن عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء • وصمود • والهباء فبعث الله تعالى إليهم هودا نبيا وكان من أوسطهم وأفضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فأمسك الله تعالى عليهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله الفرج

عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم وأهل مكة إذ ذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد إلى مكة من أماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم إسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وصهره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له أهمه ذلك وقال قد هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي أن يكلمهم خيفة أن يظنوا به ثقل مقامهم فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية • ألا يا قيل ويحك قم فهينم • لعل الله يسقينا غماما • فيسقي أرض عاد إن عادا • قد امسوا ما يبينون الكلاما • فلما غنتا به قالوا إن قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وتبتم إلى الله سقيتم وأظهر إسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله سحابا ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فإنها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا • فإن قلت ما فائدة نفي الإيمان عنهم في قوله تعالى وما كانوا مؤمنين مع إثبات التكذيب بآياته • قلت هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه الصلاة والسلام كأنه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن أن الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين • وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم • قرئ وإلى ثمود بمنع الصرف بتأويل القبيلة وإلى ثمود بالصرف بتأويل الحي أو باعتبار الأصل لأنه اسم أبيهم الأكبر وهو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام • وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الشام والحجاز إلى وادي القرى • قد جاءتكم بينة آية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي فكأنه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية • وآية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل كأنه قيل أشير إليها آية ولكم بيان لمن هي له آية موجبة عليه الإيمان خاصة وهم ثمود لأنهم عاينوها وسائر الناس أخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة • وإضافتها إلى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشأنها وأنها جاءت من عند الله مكونة من غير فحل وطروقة • وروي أن عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الأرض وكثروا وعمروا أعمارا طوالا حتى إن الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأوثان فبعث الله إليهم صالحا من أشرافهم فأنذرهم فسألوه آية فقال أية آية تريدون قالوا تخرج معنا إلى عيدنا فتدعو إلهك وندعو آلهتنا فإن استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو وأشار إلى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فإن فعلت صدقناك وأجبناك فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع أعقابهم ناس من رءوسهم أن يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها [illegible]

الأشعري رضي الله عنه أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا. وكانت الناقة إذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم فتهبط إلى بطنه، وإذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق ذلك عليهم، وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار لما أضرت به من مواشيهما، وكانتا كثيرتي المواشي، فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه، فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا، وكان صالح قال لهم: أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب، فلم يقدروا عليه، وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها، فقال لهم صالح عليه الصلاة والسلام: تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة، وبعد غد وجوهكم محمرة، واليوم الثالث ووجوهكم مسودة، ثم يصبحكم العذاب. فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله إلى أرض فلسطين، ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا. تأكل في أرض الله أي الأرض أرض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في أرض ربها فليست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات من إنباتكم. ولا تمسوها بسوء ولا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من الأذى إكراما لآية الله. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه: لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا علي أتدري من أشقى الأولين؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: عاقر ناقة صالح، أتدري من أشقى الآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: قاتلك. وقرأ أبو جعفر في رواية تأكل في أرض الله، وهو في موضع الحال بمعنى آكلة. واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين. وبوأكم ونزلكم والمباءة المنزل في الأرض في أرض الحجر بين الحجاز والشام. من سهولها قصورا أي تبنونها من سهولة الأرض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر. وقرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء، وتنحاتون بإشباع الفتحة كقوله: ينباع من ذفرى غضوب جسرة. فإن قلت: علام انتصب بيوتا؟ قلت: على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا، وابر هذه القصبة قلما، وهي من الحال المقدرة لأن الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب ولا القصبة قميصا وقلما في حال الخياطة والبري. وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء. قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون. للذين استضعفوا للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم. ولمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا. فإن قلت: الضمير في منهم راجع إلى ماذا؟ قلت: إلى قومه، أو إلى الذين استضعفوا. فإن قلت: هل لاختلاف المرجعين أثر في اختلاف المعنى؟ قلت: نعم، وذلك أن الراجع إذا رجع إلى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن استضعف منهم فدل أن استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين، وإذا رجع إلى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين. أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة: أتعلمون أن الله فوق العرش. فإن قلت: كيف صح قولهم إنا بما أرسل به مؤمنون جوابا عنه؟ قلت: سألوهم عن العلم بإرساله فجعلوا إرساله أمرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كأنهم قالوا العلم بإرساله وبما أرسل به ما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وإنارته وإنما الكلام في وجوب الإيمان به فنخبركم أنا به مؤمنون، ولذلك كان جواب الكفرة: إنا بالذي آمنتم به كافرون، فوضعوا آمنتم به موضع أرسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما وأخذوه مسلما. قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون. فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين. فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين. فعقروا الناقة أسند العقر إلى جميعهم لأنه كان برضاهم وإن لم يباشره إلا بعضهم، وقد يقال للقبيلة الضخمة أنتم فعلتم كذا وما فعله إلا واحد منهم. وعتوا عن أمر ربهم وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله، وأمر ربهم ما أمر به على لسان صالح عليه الصلاة والسلام من قوله تعالى: فذروها تأكل في أرض الله، أو شأن ربهم وهو دينه. ويجوز أن يكون المعنى وصدر عتوهم عن أمر ربهم كأن أمر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم، ونحو عن هذه ما في قوله: وما فعلته عن

امري ائتنا

أمري. ائتنا بما تعدنا أرادوا من العذاب، وإنما جاز الإطلاق لأنه كان معلوما، واستعجالهم له لتكذيبهم به، ولذلك علقوه بما هو به كافرون وهو كونه من المرسلين. الرجفة الصيحة التي زلزلت لها الأرض واضطربوا لها. في دارهم في بلادهم أو في مساكنهم. جاثمين هامدين لا يتحركون موتى، يقال الناس جثم أي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة، ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة التي تربط وتجمع قوائمها لترمى. وعن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال: لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فأخذتهم الصيحة فلم يبق منهم إلا رجل واحد كان في حرم الله، قالوا: من هو؟ قال: أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه. وروي أن صالحا كان بعث إلى قوم فخالفوه. وروي أنه عليه الصلاة والسلام مر بقبر أبي رغال فقال: أتدرون من هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فذكر قصة أبي رغال وأنه دفن هاهنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه بأسيافهم فاستخرجوا الغصن. فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين. فتولى عنهم ظاهره أنه كان مشاهدا لما جرى عليهم وأنه تولى عنهم بعدما أبصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من إيمانهم يتحزن لهم فيقول: يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي ولم آل جهدا في إبلاغكم والنصيحة لكم ولكنكم لا تحبون الناصحين. ويجوز أن يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لإصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب. وروي أن عقرهم الناقة كان يوم الأربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت. وروي أنه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفا وخمسمائة دار. وروي أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم. فإن قلت: كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين؟ قلت: قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يسمع منه حتى ألقى بنفسه في التهلكة: يا أخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني. وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية. ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين. إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون. وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون. فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين. وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين. ولوطا وأرسلنا لوطا، وإذ ظرف لأرسلنا، أو اذكر لوطا وإذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه. أتأتون الفاحشة أتفعلون السيئة المتمادية في القبح. ما سبقكم بها ما عملها قبلكم، والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة إذا ضربتها قبله، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: سبقك بها عكاشة. من أحد من العالمين من الأولى زائدة لتوكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق، والثانية للتبعيض. فإن قلت: ما موقع هذه الجملة؟ قلت: هي جملة مستأنفة أنكر عليهم أولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال: أنتم أول من عملها، أو على جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا: لم لا نأتيها؟ فقال: ما سبقكم بها أحد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به. إنكم لتأتون الرجال بيان لقوله أتأتون الفاحشة، والهمزة مثلها في أتأتون للإنكار والتعظيم. وقرئ إنكم على الإخبار المستأنف. لتأتون الرجال من أتى المرأة إذا غشيها. شهوة مفعول له أي للاشتهاء لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة من غير داع آخر، ولا ذم أعظم منه لأنه وصف لهم بالبهيمية وأنه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه، أو حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين إلى السماجة. بل أنتم قوم مسرفون أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو إلى اتباع الشهوات، وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثم أسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد، ونحوه: بل أنتم قوم عادون. وما كان جواب قومه إلا أن قالوا يعني ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه الصلاة والسلام من إنكار الفاحشة وتعظيم أمرها ووسمهم بسمة الإسراف الذي هو أصل الشر كله، ولكنهم جاءوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الأمر بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم، وقولهم إنهم أناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا

بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف
وأريحونا من هذا المتزهد ● الا امرأته من يختص به من ذريته او من المؤمنين ● من الغابرين من الذين غبروا
في ديارهم اي بقوا فهلكوا ● والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم ●
وروي انها التفتت فاصابها حجر فماتت ● وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن ● وقيل كانوا اربعة
الاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار ● وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت
الحجارة على مسافريهم وشذاذهم ● وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم ● وروي ان تاجرا منهم كان في
الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه ● فان قلت اي فرق
بين مطر وامطر قلت يقال مطرتهم السماء وواد ممطور وفي نوابغ الكلم حرى غير مطور حرى ان يكون
غير ممطور ● ومعنى مطرتهم اصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال امطرت
عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم ارسال المطر فامطر علينا حجارة من السماء وامطرنا عليهم حجارة من سجيل
ومعنى وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة الا ترى الى قوله فساء مطر المنذرين

وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل
والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم
مؤمنين ● ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا ● واذكروا
إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ● وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به
وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ●

كان يقال لشعيب خطيب الانبياء
صلوات الله وسلامه عليهم لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين ● قد جاءتكم بينة من ربكم
معجزة شاهدة بصحة نبوتي اوجبت عليكم الايمان بي والاخذ بما امركم به والانتهاء عما انهاكم عنه فاوفوا ولا
تبخسوا فان قلت ما كانت معجزته قلت قد وقع العلم بانه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة
من ربكم ولانه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبئا لا نبيا غير ان معجزته
لم تذكر في القرآن كما لم تذكر اكثر معجزات نبينا فيه ومن معجزات شعيب عليه الصلوة والسلام ما روي من محاربة
عصى موسى صلوات الله وسلامه عليه التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده
ان يكون له الدرع من اولادها ووقوع عصى آدم على يده صلوات الله عليهما وسلامه في المرات السبع وغير ذلك من
الآيات لان هذه كلها كانت قبل ان يستنبأ موسى عليه الصلوة والسلام فكانت معجزة لشعيب صلوات الله وسلامه عليه
فان قلت كيف قيل الكيل والميزان وهلا قيل المكيال والميزان كما في سورة هود قلت اريد بالكيل آلة الكيل
وهو المكيال او سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به ● او اريد فاوفوا الكيل ووزن الميزان ● ويجوز ان يكون الميزان
كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ● ويقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس ● وفي امثالهم تحسبها
حمقاء وهي باخس ● وقيل اشياءهم لانهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم وكانوا مكاسين لا يدعون شيئا
الا مكسوه كما يفعل امراء الحرمين ● وروي انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف
فقطعوها قطعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر او اعطوه بدلها زيوفا ● بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها
اي لا تفسدوا فيها بعد ما اصلح فيها الصالحون من الانبياء واتباعهم العاملين بشرائعهم واضافته كاضافة
قوله بل مكر الليل والنهار بل مكركم في الليل والنهار او بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف ● ذلكم اشارة
الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الارض او الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ● ومعنى
خير لكم يعني في الانسانية وحسن الاحدوثة وما تطلبونه من التكسب والتربح لان الناس ارغب في متاجرتكم
اذا عرفوا منكم الامانة والسوية ● ان كنتم مؤمنين ان كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم ● ولا تقعدوا بكل

صراط ولا تقتدوا بالشيطان في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط اي بكل منهاج من
مناهج الدين والدليل على ان المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله من آمن به ● ومحل توعدون
وما عطف عليه النصب على الحال اي ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين عوجا ● فان قلت
صراط الحق واحد وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط ●
قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام كثيرة مختلفة فكانوا اذا راوا احدا
يشرع في شيء منها اوعدوه وصدوه فان قلت الام يرجع الضمير في من آمن به قلت الى كل صراط تقديره
توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح امرهم ودلالة
على عظم ما يصدون عنه ● وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن مر بها ان شعيبا كذاب فلا
يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة ● وقيل كانوا يقطعون الطرق ● وقيل كانوا عشارين ● وتبغونها
عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا اي تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها
والدخول فيها او يكون تهكما بهم وانهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج ● واذكروا اذ كنتم قليلا اذ مفعول
به غير ظرف اي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم ● قيل ان مدين بن ابراهيم
تزوج بنت لوط صلوات الله وسلامه عليه فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ● ويجوز اذ كنتم
مقلين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين ● او كنتم اقلة اذلة فاعزكم بكثرة العدد والعدد ● عاقبة المفسدين آخر
امر من افسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط صلوات الله وسلامه عليهم وكانوا قريبي العهد بما اصاب
المؤتفكة ● فاصبروا فتربصوا وانتظروا ● حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم
عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون او هو عظة للمؤمنين وحث على
الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ● ويجوز ان يكون خطابا للفريقين اي
ليصبر المؤمنون على اذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب
● وهو خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف

قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال
أولو كنا كارهين ● قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود
فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير
الفاتحين

فان قلت كيف خاطبوا شعيبا عليه الصلوة والسلام بالعود في الكفر في قولهم او لتعودن في ملتنا
وكيف اجابهم بقوله ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها والانبياء عليهم الصلوة والسلام
لا يجوز عليهم من الصغائر الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر قلت لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين
آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الايمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد
فجعلوهم عائدين جميعا اجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك اجرى شعيب عليه الصلوة والسلام جوابه فقال ان عدنا
في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريئا من ذلك اجراء لكلامه على
حكم التغليب ● فان قلت فما معنى قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله والله تعالى متعال ان يشاء ردة
المؤمنين وعودهم في الكفر قلت معناه الا ان يشاء الله خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع فينا
وتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شيء علما اي هو عالم بكل شيء مما كان وما
يكون فهو يعلم احوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى
الكفر بعد الايمان ● على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ● ويجوز ان يكون قوله الا ان يشاء
الله حسما لطمعهم في العود لان مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج عن الحكمة ● اولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو

وادخال التقدير انعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين • وما يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح • ربنا
افتح بيننا احكم بيننا والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بان تنزل عليهم
عذابا يتبين معه انهم على الباطل وانت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين فان قلت كيف اسلوب
قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم قلت هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون
كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب كأنهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر بعد الاسلام لان المرتد ابلغ في الافتراء
من الكافر لان الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم ان لله ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزائد عليه حيث يزعم
انه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى
والله لقد افترينا على الله كذبا • قال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون •
فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين • الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا
شعيبا كانوا هم الخاسرين • فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على
قوم كافرين • وقال الملأ الذين كفروا من قومه اي اشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن الايمان • لئن اتبعتم شعيبا انكم
اذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم
وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية فان قلت
ما جواب القسم الذي وطأته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط قلت قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد
الجوابين • الذين كذبوا شعيبا مبتدأ وخبره كأن لم يغنوا فيها وكذلك الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتداء
معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بأن اهلكوا واستؤصلوا كأن لم يقيموا في دارهم
لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله • الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم
الرابحون وفي هذا الاستئناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملأ لاشياعهم وتسفيه لرأيهم
واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم • الاسى شدة الحزن قال وانحلبت عيناه
من فرط الاسى اشتد حزنه على قومه ثم انكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزني على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم
لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم • ويجوز ان يريد لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم
فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف آسى عليكم يعني انه لا يأسى عليهم لانهم ليسوا احقاء بالاسى • وقرأ يحيى
ابن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة • وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم
يضرعون • ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فاخذناهم
بغتة وهم لا يشعرون • الا اخذنا اهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع
نبيهم وتعززهم عليه • لعلهم يضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة • ثم بدلنا
مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة كقوله
وبلوناهم بالحسنات والسيئات • حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم
والوبر اذا كثرت ومنه قوله عليه الصلاة والسلام واعفوا اللحى • وقال الحطيئة • بمستأسد القريان
عاف نباته • وقال • ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات الشحم كوم • وقالوا قد مس آباءنا الضراء
والسراء يعني وابطرتهم النعمة واشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء
وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بعقوبة من الله لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم بالحسنات والسيئات الا
ان ناخذهم بالعذاب فاخذناهم اشد الاخذ وافظعه وهو اخذهم فجأة من غير شعور منهم • ولو ان
اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون • أفأمن
اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون • او امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون

أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون • اللام في القرى اشارة الى القرى التي دل عليها
قوله وما ارسلنا في قرية من نبي كأنه قال ولو ان اهل تلك القرى الذين كذبوا واهلكوا • آمنوا بدل كفرهم
واتقوا المعاصي مكان ارتكابها • لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لآتيناهم بالخير من كل وجه •
وقيل اراد المطر والنبات • ولكن كذبوا فاخذناهم بسوء كسبهم ويجوز ان تكون اللام في القرى للجنس فان
قلت ما معنى فتح البركات عليهم قلت تيسيرها عليهم كما ييسر امر الابواب المستغلقة بفتحها
ومنه قولهم فتحت على القارئ اذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين • البيات يكون بمعنى البيتوتة
يقال بات بياتا ومنه قوله فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون • ويكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى
التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز ان يراد ان يأتيهم بأسنا بائتين او وقت بيات او مبيتا او مبيتين
او يكون بمعنى تبييتا كأنه قيل ان يبيتهم بأسنا بياتا • وضحى نصب على الظرف يقال اتانا ضحى وضحيا وضحاء
والضحى في الاصل اسم لضوء الشمس اذا اشرقت وارتفعت والفاء والواو في أفأمن وأوأمن حرفا عطف دخلت عليهما
همزة الانكار فان قلت ما المعطوف عليه ولم عطفت الاولى بالفاء والثانية بالواو قلت المعطوف
عليه قوله فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل القرى الى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه
وانما عطفت بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة أبعد ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وامنوا
ان يأتيهم بأسنا ضحى • وقرئ او امن على العطف باو وهم يلعبون يشتغلون بما لا يجدي عليهم كأنهم يلعبون
فان قلت فلم رجع فعطف بالفاء في قوله افأمنوا مكر الله قلت هو تكرير لقوله أفأمن اهل القرى • ومكر الله
استعارة لاخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل ان يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي
يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة • وعن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس ينامون ولا اراك
تنام قال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات اراد قوله ان يأتيهم بأسنا بياتا • اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد
اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون • تلك القرى نقص عليك من انبائها
ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين • وما
وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين •
[illegible]

ولا للذين تبكيتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات ومعنى اللام تأكيد النفي وان الايمان كان منافيا لحالهم في التصميم على الكفر. وعن مجاهد لقولهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه. كذلك مثل ذلك الطبع نطبع على قلوب الكافرين. وما وجدنا لأكثرهم من عهد الضمير للناس على الاطلاق اي وما وجدنا لاكثر الناس من عهد يعني ان اكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الايمان والتقوى. وان وجدنا وان الشأن والحديث وجدنا اكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين. والآية اعتراض ويجوز ان يرجع الضمير الى الامم المذكورين وانهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنؤمنن ثم انجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه الصلاة والسلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى قوله اذا هم ينكثون. والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك الا في المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما.

ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين. وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين. حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل. قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين. فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين. ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين.

من بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات او للامم. فظلموا بها فكفروا بآياتنا اجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم. او فظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها ولانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها اي كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان. يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة فكأنه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان. حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق فيه اربع قراءات المشهورة. وحقيق علي ان لا اقول وهي قراءة نافع. وحقيق ان لا اقول وهي قراءة عبد الله رضي الله عنه. وحقيق بان لا اقول وهي قراءة ابي رضي الله عنه. وفي المشهورة اشكال ولا تخلو من وجوه احدها ان يكون مما يقلب من الكلام لأمن الالباس كقوله ،، وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ،، ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح. وحقيق ان لا اقول وهي قراءة نافع. والثاني ان ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق اي لازما له. والثالث ان يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب. والرابع وهو الاوجه الادخل في نكت القرآن ان يغرق موسى عليه الصلاة والسلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روي ان عدو الله فرعون قال له لما قال اني رسول رب العالمين كذبت فيقول انا حقيق على قول الحق اي واجب علي قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به. فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما توفي وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فانقذهم الله بموسى عليه الصلاة والسلام. وكان بين اليوم الذي دخل يوسف عليه الصلاة والسلام وبين اليوم الذي دخل موسى عليه الصلاة والسلام اربعمائة عام. **فان قلت** كيف قال له فأت بها بعد قوله ان كنت جئت بآية. **قلت** معناه ان كنت جئت من عند من ارسلك بآية فأتني بها واحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك. ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان. وروي انه كان ثعبانا ذكرا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا ومات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى صلوات الله عليه فعاد عصا. **فان قلت** بم يتعلق للناظرين. **قلت** يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمع النظارة للعجائب وذلك ما يروى

انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه الصلاة والسلام آدم شديد الادمة. ان هذا لساحر عليم اي عالم بالسحر ماهر فيه قد اخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصا حية والآدم ابيض. **فان قلت** قد عزي هذا الكلام الى فرعون في سورة الشعراء وانه قاله للملأ وعزي ههنا اليهم. **قلت** قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثم وقولهم ههنا او قاله ابتداء فتلقنه منه الملأ فقالوه لاعقابهم او قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم تبلغه الخاصة العامة. والدليل عليه انهم اجابوه في قولهم ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم. وقرئ بكل سحار اي يأتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة او خير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقولهم فماذا تأمرون من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم كأنه قيل فماذا تأمرون.

قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين. يأتوك بكل ساحر عليم. وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين. قال نعم وانكم لمن المقربين.

قالوا ارجئه واخاه ومعنى ارجه واخاه اخرهما واصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وقيل احبسهما. وقرئ ارجئه. **فان قلت** هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا. **قلت** هو على تقدير سائل سأل ما قالوا اذ جاءوا فاجيب بقوله قالوا ائن لنا لأجرا اي جعلا على الغلبة. وقرئ ان لنا لأجرا على الاخبار واثبات الاجر العظيم وايجابه كأنهم قالوا لا بد لنا من اجر. والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة. **فان قلت** وانكم لمن المقربين ما الذي عطف عليه. **قلت** هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كأنه قال ايجابا لقولهم ان لنا لأجرا نعم ان لكم لأجرا وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر بكم على الثواب وحده وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لان المثاب انما يتهنأ بما يصل اليه ويغتبط به اذا نال معه الكرامة والرفعة. وروي انه قال لهم تكونون اول من يدخل وآخر من يخرج. وروي انه دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم فقالوا قد علمنا سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به. وروي انهم كانوا ثمانين الفا وقيل سبعين الفا وقيل بضعة وثلاثين الفا. واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر. [illegible]

قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين. قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم.

[illegible]

من الخشب والحبال ثم فرقها موسى عليه الصلاة والسلام فرجعت عصى كما كانت واعدم الله تعالى بقدرته
تلك الاجرام العظام او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا
فوقع الحق فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم اي فأثر فيها من قولهم فاس وقيع وانقلبوا صاغرين
صاروا اذلاء مبهوتين والقي السحرة ساجدين خروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا
مما راوا فكأنهم القوا عن قتادة كانوا اول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد
في الاسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر بذلوا انفسهم لله
قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف
تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون
وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال
الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل ابناءهم
ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض
لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين آمنتم به على الاخبار اي فعلتم هذا الفعل الشنيع
توبيخا لهم وتقريعا وقرئ أآمنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد ان هذا لمكر مكرتموه في
المدينة ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا منها الى هذه الصحراء تواطأتم
على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا بني اسرائيل وكان هذا الكلام تمويها على الناس لئلا
يتبعوا السحرة في الايمان وروي ان موسى صلوات الله عليه وسلامه قال للساحر الاكبر اتؤمن بي ان غلبتك فقال
لآتين بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لاومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعيد اجمله
ثم فصله بقوله لاقطعن وقرئ لاقطعن بالتخفيف وكذلك ثم لاصلبنكم من خلاف من كل شق طرفا
وقيل ان اول من قطع من خلاف وصلب لفرعون انا الى ربنا منقلبون فلا نبالي بوعيدك او انا الى ربنا ننقلب
بالموت لا محالة فلا نبالي بلقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا
على شدائد القطع والصلب او انا جميعا ننقلب الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة
ميتون منقلبون الى الله فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا الا ان آمنا وما تعيب منا
الا الايمان بآيات الله اذ ادعوا وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر وهو الايمان ومنه قوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا
كما يفرغ الماء افراغا وعن بعض السلف ان احدكم ليفرغ على اخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك اي يغمره
بالحياء والخجل وصب علينا ما يطهرنا من اوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانه اذا
استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرا لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام ويذرك عطف على
ليفسدوا لانه اذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا الى ما دعوه فسادا او الى تركه وترك آلهته فكأنه
تركهم لذلك او هو جواب الاستفهام بالواو كقول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني
وبينكم المودة والاخاء والنصب باضمار ان تقديره ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وآلهتك وقرئ
ويذرك وآلهتك بالرفع عطفا على اتذر او استئنافا او حالا وقرئ ويذرك بالسكون كأنه قيل يفسدوا
على انه وهو يذرك وآلهتك وقرأ الحسن ويذرك بالجزم كأنه قيل يفسدوا ويذرك وآلهتك
كأنه قيل يصدق وقرأ انس رضي الله عنه ونذرك بالنون والنصب اي يصرفنا عن عبادتك فيذرها
وقرئ ويذرك والاهتك اي عبادتك وروي انه كان يعبد الكواكب وقيل كان يعبد البقر ثم لما صار
الف نفس فاراد وا بالفساد في الارض تغيير الناس عليك حتى لا يطيعوك وقيل صنع لقومه اصناما

وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك
قال انا ربكم الاعلى سنقتل ابناءهم يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا انا
على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها في
ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يديه
فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر بعد قال موسى لقومه استعينوا بالله قال لهم ذلك
حين قال لهم فرعون سنقتل ابناءهم تسلية لهم وتطييبا لانفسهم ووعد لهم بالنصر عليهم وذكر
لهم ما وعد الله بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم فان قلت لم اخليت هذه الجملة عن الواو
وادخلت على التي قبلها قلت هي جملة مبتدأة مستأنفة واما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من
قوله قال الملأ من قوم فرعون واللام في الارض للعهد والمراد ارض مصر خاصة كقوله
واورثنا الارض ويجوز ان تكون للجنس فيتناول ارض مصر لانها من جنس الارض كما قال ضمرة انما المرء باصغريه
واراد بالمرء الجنس وغرضه ان يتناوله تناولا اوليا والعاقبة للمتقين بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين
منهم ومن القبط وان المشيئة متناولة لهم وقرأ العاقبة بالنصب ابي وابن مسعود رضي الله عنهما عطفا على
الارض قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض
فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا
جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله
ولكن اكثرهم لا يعلمون وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اوذينا من قبل ان تأتينا
ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه الصلاة والسلام الى ان استنبئ واعادته عليهم بعد
ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن ويمسونه من العذاب عسى ربكم ان
يهلك عدوكم تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في
ارض مصر فينظر كيف تعملون فيرى ما كان منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على
ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان وطلب زيادة
لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون
بالسنين بسني القحط والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم وقد اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم اذا قحطوا
وقال ابن عباس رضي الله عنهما اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان في
امصارهم وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة لعلهم يذكرون فينتبهوا على ان ذلك لاصرارهم
على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولان الناس في حال الشدة اضرع خدودا والين اعطافا وارق افئدة وقيل عاش
فرعون اربعمائة سنة ولم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى
لما ادعى الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه اي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها
ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك الجل للفرس وان تصبهم سيئة من ضيقة وجدب
يطيروا بموسى ومن معه يتطيروا بهم ويتشاءموا بهم ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما اصابتنا كما قالت الكفرة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك فان قلت كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف
الحسنة وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة قلت لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه
واما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع الا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت ايام البلاء فهل عددت ايام
الرخاء الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذي شاء ما يصيبهم من
الحسنة والسيئة وليس شؤم احد ولا يمنه بسبب فيه كقوله قل كل من عند الله ويجوز ان يكون معناه

قوله ... يريد بهذه العبارة قلتها التقابل ... والتقاسم وقوله الا في الندرة مقابل لقوله كالواجب ع

الا انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا الاية ولا طائر اشأم من هذا • وقرأ الحسن انما طيرهم عند الله وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند ابي الحسن هو تكسير • مهما هي ما المضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج اخرج اينما تكونوا يدرككم الموت فاما نذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري ومن الناس من زعم ان مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء كأنه قيل كف ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فان قلت ما محل مهما قلت الرفع بمعنى اي ما شيء تأتنا به • او النصب بمعنى اي ما شيء تحضرنا تأتنا به • ومن آية تبيين لمهما والضميران في به وبها راجعان الى مهما الا ان احدهما ذكر على اللفظ والآخر انث على المعنى لانه في معنى الآية ونحوه قول زهير • ومهما تكن عند امرئ من خليقة • وان خالها تخفى على الناس تعلم • وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني اعطيتك وهذا من وضعه ليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب فيفسر مهما تأتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر به وهذا وامثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه فان قلت كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها قلت ما سموها آية لاعتقادهم انها آية وانما سموها اعتبارا لتسمية موسى عليه الصلوة والسلام وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهي فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين والطوفان ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل • قيل طفى الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج من داره • وقيل ارسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة ايام • وعن ابي قلابة الطوفان الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون وقالوا لموسى صلوات الله وسلامه عليه ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله فاقاموا شهرا • فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم حتى اكلت كل شيء حتى الابواب وسقوف الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا الى موسى صلوات الله وسلامه عليه ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة ايام خرج موسى صلوات الله وسلامه عليه الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا • فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان في قول ابي عبيدة كبار القردان • وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان ياكل احدهم طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحى فلا يرد منها الا اليسير • وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذت في ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى عليه الصلوة والسلام فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم واطعمتهم فلا يكشف احد شيئا من ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل اذا اراد ان يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا

الي موسى

الى موسى صلوات الله وسلامه عليه وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد • فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم فكان يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان المرأة القبطية تقول للجارية الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما • وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك فكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا • وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما • وقيل سلط الله عليهم الرعاف • وروي ان موسى عليه الصلوة والسلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات • وروي انه لما اراهم اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في الارض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي آية فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم • وقرأ الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف • آيات مفصلات نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل انها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض بزمان يمتحن فيه احوالهم وينظر ايستقيمون على ما وعدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم • ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون • فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين • واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون • بما عهد عندك ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء اما ان تتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة او ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك واما ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن • الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله • اذا هم ينكثون جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث وبادروه ولم يؤخروه ولكن لما كشف عنهم نكثوا • فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم • فاغرقناهم • واليم البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه • بانهم كذبوا بآياتنا اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها • القوم الذين كانوا يستضعفون هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه • والارض ارض مصر والشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤوا في اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية • باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق • كلمة ربك الحسنى قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا الى قوله ما كانوا يحذرون • والحسنى تأنيث الاحسن صفة للكلمة • ومعنى تمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه • بما صبروا بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج • وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا الآية • ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة اولي الصبر • وقرأ عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من آيات ربه الكبرى • ما كان يصنع فرعون وقومه ما كانوا يعملون ويسوونه من العمارات وبناء القصور • وما كانوا يعرشون من الجنات وهو الذي يشبه جنات معروشات • او وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره • وقرئ

يعرشون بالكسر والضم وذكر اليزيدي ان الكسر افصح وبلغني انه قرأ بعض الناس يغرسون من غرس الاشجار وما
احسبه الا تصحيفا منه • وهذا آخر ما اقتص الله من نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم
ثم اتبعه اقتصاص نبأ بني اسرائيل وما احدثوه بعد انقاذهم من مملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات
العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال
الانسان وانه كما وصف ظلوم كفار جهول كنود الا من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور وليسلي رسول الله
صلى الله عليه وسلم مما رأى من بني اسرائيل بالمدينة • وروي انه عبر بهم موسى عليه الصلاة والسلام
يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله تعالى • فاتوا على قوم يعكفون على اصنام
لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل
ما كانوا يعملون قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم
سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم • فاتوا عليهم فمروا
عليهم • يعكفون على اصنام يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن
العجل • وقيل كانوا قوما من لخم • وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم • وقرئ وجوزنا بمعنى اجزنا
يقال اجاز المكان وجوزه وجاوزه بمعنى جازه كقولك اعلاه وعلاه وعالاه • وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها
• اجعل لنا الها صنما نعكف عليه • كما لهم آلهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها
• وعن علي رضي الله عنه ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الها ولم تجف
اقدامكم • تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق واكده
لانه لا جهل اعظم مما رأى منهم ولا اشنع • ان هؤلاء يعني عبدة تلك التماثيل • متبر ما هم فيه مدمر مكسر ما هم فيه
من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا ويقال لكسار الذهب التبر اي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي
ويحطم اصنامهم هذه ويتركها رضاضا • وباطل ما كانوا يعملون اي ما عملوا شيئا من عبادتها فيما سلف الا وهو باطل
مضمحل لا ينتفعون به وان كان في زعمهم تقربا الى الله كما قال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
• وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاوثان بانهم هم المعرضون
للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا • اغير الله
ابغيكم الها اغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فعل بكم ما فعل دون غيركم من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها
لاحد غيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره • ومعنى الهمزة الانكار والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله
عبادة غير الله • يسومونكم سوء العذاب يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها • فان قلت ما محل
يسومونكم • قلت هو استئناف لا محل له ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين او من آل فرعون • وذلكم اشارة الى
الانجاء او الى العذاب • والبلاء النعمة او المحنة • وقرئ يقتلون بالتخفيف • وواعدنا موسى ثلاثين ليلة
واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي واصلح
ولا تتبع سبيل المفسدين • روي ان موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله
عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما اهلك فرعون سأل موسى صلوات الله وسلامه
عليه ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين يوما وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت
الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك • وقيل اوحى الله اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب
عندي من ريح المسك فامره الله عز وجل ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك • وقيل امره الله بان يصوم
ثلاثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه من الله ثم انزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها • ولقد اجمل ذكر الاربعين
في سورة البقرة وفصلها هاهنا • وميقات ربه ما وقت له من الوقت وضربه له • واربعين ليلة نصب على

الحال اي تم بالغا هذا العدد • وهارون عطف بيان لاخيه • وقرئ بالضم على النداء • اخلفني في قومي
كن خليفتي فيهم • واصلح وكن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل ومن دعاك منهم الى الافساد
فلا تتبعه ولا تطعه • ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر
الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال
سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين • لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا ومعنى اللام الاختصاص
فكأنه قيل واختص مجيئه بميقاتنا كما تقول اتيته لعشر خلون من الشهر • وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم
الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح • وروي ان موسى صلوات الله
عليه وسلامه كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة • وعن ابن عباس رضي الله عنه كلمه اربعين يوما واربعين ليلة
وكتب له الالواح • وقيل انما كلمه في اول الاربعين • ارني انظر اليك ثاني مفعولي ارني محذوف اي ارني نفسك
انظر اليك • فان قلت الرؤية عين النظر فكيف قيل ارني انظر اليك • قلت معنى ارني نفسك اجعلني
متمكنا من رؤيتك بان تتجلى لي فانظر اليك واراك • فان قلت فكيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي
لقوله انظر اليك • قلت لما قال ارني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الادراك علم ان الطلب هو
الرؤية لا النظر الذي لا ادراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر الي • فان قلت كيف طلب موسى
عليه الصلاة والسلام ذلك وهو من اعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية
التي هي ادراك ببعض الحواس وذلك انما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون في جهة
ومنع المجبرة احالته في العقول غير لازم لانه ليس باول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال
حين اخذت الرجفة الذين قالوا ارنا الله جهرة اتهلكنا بما فعل السفهاء منا الى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ
من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا • قلت ما كان طلبه الرؤية الا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا
وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم واعلمهم الخطأ ونبههم على الحق
فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نراه فاراد ان يسمعوا النص من عند الله باستحالة
ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب ارني انظر اليك •
فان قلت فهلا قال ارهم ينظروا اليك • قلت لان الله انما كلم موسى وهم يسمعون فلما سمعوا كلام
رب العزة ارادوا ان يرى موسى ذاته فيبصروه معه كما اسمعه كلامه فسمعوه معه ارادة مبنية على قياس
فاسد فلذلك قال موسى ارني انظر اليك ولانه اذا زجر عما طلب وانكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله
وقيل له لن يكون ذلك كان غيره اولى بالانكار ولان الرسول امام امته فكان ما يخاطب به او ما يخاطب راجعا اليهم
وقوله انظر اليك وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على انه ترجمة عن مقترحهم وحكاية
لقولهم وجل صاحب الجمل ان يجعل الله منظورا اليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو اعرق في معرفة الله من واصل
ابن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وابي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين • فان قلت ما معنى لن • قلت
تأكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك ان لا تنفي المستقبل تقول لا افعل غدا فاذا اكدت نفيها قلت لن افعل غدا
والمعنى ان فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الابصار نفي للرؤية فيما يستقبل
ولن تراني تأكيد وبيان لان المنفي مناف لصفاته • فان قلت كيف اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر الى الجبل
بما قبله • قلت اتصل به على معنى ان النظر الي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو ان تنظر الى الجبل
الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لاجلهم كيف افعل به وكيف اجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم
ما اقدمت عليه بما اريك من عظم اثره كانه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد اليه في
قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا • فان استقر مكانه كما كان مستقرا ثابتا

ذاهباً في جهاته. فسوف تراني تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكاً ويسويه
بالأرض وهذا الكلام مدمج بعضه في بعض وارد على أسلوب عجيب ونمط بديع ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة
الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية أعني قوله فإن استقر مكانه فسوف تراني. فلما
تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له أمره وإرادته. جعله دكاً أي مدكوكاً مصدر بمعنى مفعول
كضرب الأمير. والدك والدق أخوان كالشك والشق. وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة من الأرض
كالدكة أو أرضاً دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام. وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم
ابسط يدك دكاء أي مدها مستوية. وقرأ يحيى بن وثاب دكاً أي قطعاً جمع دكاء. وخر موسى صعقاً من هول ما رأى
وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقه فصعق وأصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه
إذا ضربه على رأسه ومعناه مغشياً عليه غشية كالموت. وروي أن الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه
فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة. فلما أفاق من صعقته قال
سبحانك أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها. تبت إليك من طلب الرؤية. وأنا أول المؤمنين بأنك لست
بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس. فإن قلت فإن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب. قلت من
إجرائه تلك المقالة العظيمة وإن كان لغرض صحيح على لسانه من غير إذن فيه من الله فانظر إلى إعظام الله أمر
الرؤية في هذه الآية وكيف أرجف الجبل بطالبيها وجعله دكاً وكيف أصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك
مبالغة في إعظام الأمر وكيف سبح ربه ملتجئاً إليه وتاب من إجراء تلك الكلمة على لسانه وقال أنا أول المؤمنين
ثم تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهباً ولا يغرنك
تستّرهم بالبلكفة فإنه من منصوبات أشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم. لجماعة سموا هواهم
سنة. وجماعة حمر لعمري موكفة. قد شبهوه بخلقه وتخوفوا. شنع الورى فتستروا بالبلكفة. وتفسير
آخر وهو أن يريد بقوله أرني أنظر إليك عرفني نفسك تعريفاً واضحاً جلياً كأنها إراءة في جلائها بآية مثل آيات
القيامة التي تضطر الخلق إلى معرفتك. أنظر إليك أعرفك معرفة اضطرار كأني أنظر إليك كما جاء في الحديث
سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كإبصاركم القمر إذا
امتلأ واستوى. قال لن تراني أي لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة ولكن
انظر إلى الجبل فإني أورد عليه وأظهر له آية من تلك الآيات فإن ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع
فسوف تثبت لها وتطيقها. فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكاً وخر
موسى صعقاً لعظم ما رأى. فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك مما اقترحت وتجاسرت. وأنا أول المؤمنين بعظمتك
وجلالك وأن شيئاً لا يقوم لبطشك وبأسك. قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي
فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين. وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها
بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين. اصطفيتك على الناس اخترتك على أهل
زمانك وآثرتك عليهم برسالاتي وهي أسفار التوراة. وبكلامي وبتكليمي إياك. فخذ ما آتيتك ما أعطيتك
من شرف النبوة والحكمة. وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي من أجل النعم. وقيل خر موسى صعقاً يوم عرفة
وأعطي التوراة يوم النحر. فإن قلت كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هارون عليه الصلاة والسلام
مصطفى مثله نبياً. قلت أجل ولكنه كان تابعاً له ورداً ووزيراً والكليم هو موسى عليه الصلاة والسلام
والأصيل في حمل الرسالة. وذكروا في عدد الألواح وفي جوهرها وطولها أنها كانت عشرة ألواح وقيل سبعة وقيل
لوحين وأنها كانت من زمرد جاء بها جبريل صلوات الله وسلامه عليه. وقيل من زبرجد خضراء
وياقوتة حمراء. وقيل أمر الله موسى عليه الصلاة والسلام بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده

وشققها

وشققها بأصابعه. وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وأن طولها كان عشرة أذرع
وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا. وموعظة وتفصيلاً بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان
بنو إسرائيل محتاجين إليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام. وقيل أنزلت التوراة وهي سبعون وقر
بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم. وعن
مقاتل كتب في الألواح إني أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئاً ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذباً
فإن من حلف باسمي كاذباً فلا أزكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين. فخذها فقلنا له خذها عطفاً على كتبنا ويجوز أن يكون بدلاً
من قوله فخذ ما آتيتك والضمير في فخذها للألواح أو لكل شيء لأنه في معنى الأشياء أو للرسالات أو للتوراة ومعنى
بقوة بجد وعزيمة فعل أولي العزم من الرسل. يأخذوا بأحسنها أي فيها ما هو حسن وأحسن كالاقتصاص
والعفو والانتصار والصبر فمرهم أن يحملوا على أنفسهم في الأخذ بما هو أدخل في الحسن وأكثر للثواب كقوله
واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم. وقيل يأخذوا بما هو واجب أو ندب لأنه أحسن من المباح. ويجوز أن
يراد يأخذوا بما أمروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف أحر من الشتاء. سأريكم دار الفاسقين
يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف أقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا
مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم. وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكهم الله لفسقهم في ممركم
عليها في أسفاركم. وقيل دار الفاسقين نار جهنم. وقرأ الحسن سأوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز
يقال أورني كذا وأوريته ووجهه أن يكون من أوريت الزند كأن المعنى بينه لي وأنره لأستبينه
وقرئ سأورثكم وهي قراءة حسنة يصححها قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون.
سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا
سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا
وكانوا عنها غافلين. والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا
يعملون. سأصرف عن آياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها
غفلة وانهماكاً فيما يشغلهم عنها من شهواتهم. وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا عظمت أمتي الدنيا نزع عنها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت
بركة الوحي. وقيل سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما اجتهد فرعون أن يبطل آية موسى بأن جمع لها
السحرة فأبى الله إلا علو الحق وانتكاس الباطل. ويجوز سأصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها
وتسميتها سحراً بإهلاكهم. وفيه إنذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم
بها لئلا يكونوا أمثالهم فيسلك بهم سبيلهم. بغير الحق فيه وجهان أن يكون حالاً بمعنى يتكبرون غير
محقين لأن التكبر بالحق لله وحده. وأن يكون صلة لفعل التكبر أي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم
وإن يروا كل آية من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها. وقرأ مالك بن دينار وإن يُروا بضم الياء. وقرئ
سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولهم السقم والسقم والسقام وما أسفه من ركب المفازة فإن أدرك طريقاً
مستقيماً أعرض عنه وتركه وإن رأى معتسفاً مردياً أخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك في دينه أسفه.
ذلك في محل الرفع أو النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم أو صرفهم الله ذلك الصرف بسببه. ولقاء
الآخرة يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به أي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها ومن إضافة
المصدر إلى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الآخرة. واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً
جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين. ولما سقط
في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين.

من بعده

من بعد فراقه اياهم الى الطور فان قلت لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامري قلت
فيه وجهان احدهما ان ينسب الفعل اليهم لان رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم
قالوا كذا وفعلوا كذا والقائل والفاعل واحد ولانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكانهم اجمعوا عليه
والثاني ان يراد واتخذوه الها وعبدوه • وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد جمع حلي كثدي وثدي
ومن حليهم بالكسر للاتباع كدلي • ومن حليهم على التوحيد • والحلي اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة
فان قلت لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم وانما كانت عواري في ايديهم قلت الاضافة
تكون بادنى ملابسة وكونها عواري في ايديهم كفى به ملابسة على انهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها
من املاكهم الا ترى الى قوله عز وجل فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين
كذلك واورثناها بني اسرائيل • جسدا بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد • والخوار صوت البقر قال الحسن
ان السامري قبض قبضة من تراب من اثر فرس جبريل عليه الصلوة والسلام يوم قطع البحر فقذفه في فم العجل فكان
عجلا له خوار • وقرأ علي رضي الله عنه جؤار بالجيم والهمزة من جأر اذا صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا
• الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا
لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبيل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الادلة
وبما انزل في كتبه ثم ابتدأ فقال اتخذوه اي اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر • وكانوا ظالمين واضعين
كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم • ولما سقط في ايديهم ولما اشتد
ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من شان من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده غما فتصير يده
مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند الى في ايديهم وهو من باب الكناية • وقرأ ابو السميفع سقط في
ايديهم على تسمية الفاعل اي وقع العض فيها • وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم
كما يقال حصل في يده مكروه وان كان محالا ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد
ويرى بالعين • ورأوا انهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم كانهم ابصروه بعيونهم • وقرئ لئن لم ترحمنا ربنا
وتغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال ادم وحواء عليهما الصلوة والسلام
وان لم تغفر لنا وترحمنا • ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي
اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا
يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين • قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا
في رحمتك وانت ارحم الراحمين • ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا
وكذلك نجزي المفترين • والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها
لغفور رحيم • الاسف الشديد الغضب ومنه قوله فلما اسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين • خلفتموني قمتم مقامي
وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل من السامري واشياعه او لوجوه بني اسرائيل
وهم هرون والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان
عبادة الله او حيث لم تكفوا من عبد غير الله فان قلت اين ما تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم
قلت الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من
بعدي خلافتكم فان قلت اي معنى لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني قلت معناه من بعد ما رأيتم
مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم
عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة
المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم خلف اي من بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة

يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته
فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى صلوات الله وسلامه عليه حافظين
لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ اخره ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم
كما غيرت الامم بعد انبيائهم • وروي ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم قال له
موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات • وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا
ما احدثوا • والقى الالواح وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبا لله
وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون عليه الصلوة والسلام الين منه
جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى صلوات الله وسلامه عليه • وروي ان التوراة كانت
سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل
كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة واخذ براس اخيه اي بشعر راسه يجره اليه بذوائبه وذلك لشدة
ما ورد عليه من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا باخيه انه فرط في الكف • يا ابن ام قرئ بالفتح
تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الاضافة وابن امي بالياء وابن ام بكسر الهمزة والميم • وقيل
كان اخاه لابيه وامه فان صح فانما اضافه الى الام اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف
والرقة واعظم للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد
فذكره بحقها • ان القوم استضعفوني يعني انني لم اتال جهدا في كفهم بالوعظ والانذار وبما بلغته طاقتي
من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروني واستضعفوني ولم يبق الا ان يقتلوني • فلا تشمت بي الاعداء فلا
تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي • وقرئ فلا تشمت بي الاعداء على نهي الاعداء عن
الشماتة والمراد ان لا يحل به ما يشمتون به لاجله • ولا تجعلني مع القوم الظالمين ولا تجعلني في موجدتك
علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا او ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم لما
اعتذر اليه اخوه وذكر له شماتة الاعداء • قال رب اغفر لي ولاخي ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه
فلا يتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه الى اخيه ولاخيه ان عسى فرط في حسن الخلافة وطلب ان
لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والاخرة • غضب من ربهم وذلة • الغضب ما امروا
به من قتل انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب • وقيل هو ما نال ابناءهم
وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية • المفترين المكذبين على
الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى • ويجوز ان يتعلق في الحياة الدنيا بالذلة وحدها ويراد
سينالهم غضب في الاخرة وذلة في الحياة الدنيا وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله •
والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي كلها • ثم تابوا ثم رجعوا من بعدها الى الله واعتذروا اليه وامنوا
واخلصوا الايمان • ان ربك من بعدها من بعد تلك العظائم • لغفور لستور عليهم محاء لما كان منهم
• رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل ومن عداهم عظم جنايتهم اولا ثم
اردفها بعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اعظم واجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة
وهي وجوب التوبة والانابة وما وراءه طمع فارغ واشعبية باردة لا يلتفت اليها حازم • ولما سكت
عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون • ولما سكت عن موسى
الغضب هذا مثل كان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح وجر براس اخيك
اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق
صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب

لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة • وقرئ سكت واسكت اي اسكت الله او اخوه
باعتذاره اليه وتنصله والمعنى ولما طفئ غضبه • اخذ الالواح التي القاها • وفي نسختها وفيما نسخ منها اي
كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة • لربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول لان تاخر الفعل
عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت • واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا
فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا
ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين
واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي
وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون • الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم
عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم
فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون • قل يا ايها الناس
اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فامنوا بالله ورسوله النبي
الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون • واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل
الفعل كقوله • منا الذي اختير الرجال سماحة • قيل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تتاموا اثنين
وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع • وروي
انه لم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشباب عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا • وقيل كانوا ابناء
ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبى فامرهم موسى ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا
ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات ربه وكان امره ربه ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما دنا موسى من
الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا
في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا الرؤية
فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب ارني انظر اليك يريد ان
يسمعوا الرد والانكار من جهته فاجيب بلن تراني ورجف بهم الجبل فصعقوا فلما كانت الرجفة قال موسى رب لو
شئت اهلكتهم من قبل واياي وهذا تمن منه ان يكون قبل ان يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم
على الامر اذا رأى سوء المغبة لو شاء الله لاهلكني • اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني اتهلكنا جميعا يعني نفسه
واياهم لانه انما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوها سفها وجهلا • ان هي الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك
حين كلمتني وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا • تضل بها
من تشاء وتهدي من تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين
بالقول الثابت وجعل ذلك اضلالا من الله وهدى منه لان محنته لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا فكانه اضلهم
بها وهداهم على الاتساع في الكلام • انت ولينا مولانا القائم بامورنا • واكتب لنا واثبت لنا واقسم لنا
في هذه الدنيا حسنة عافية وحيوة طيبة او توفيقا في الطاعة • وفي الآخرة الجنة • هدنا اليك تبنا
اليك وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب • والهود جمع هائد وهو التائب • ولبعضهم • يا راكب الذنب
هد هد • واسجد كانك هدهد • وقرأ ابو وجزة السعدي هدنا بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه وامله
ويحتمل ان يكونا مبنيين للفاعل وللمفعول بمعنى حركنا اليك انفسنا وامِلْنا او حُرِّكنا اليك وأُمِلْنا
على تقدير فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة ويجوز عدت بالاشمام وعدت باخلاص
الضمة فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة ان يكون هدنا فعلنا من هاده يهيده

عذابي

عذابي من حاله وصفته اني • اصيب به من اشاء اي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه
مساغ لكونه مفسدة واما رحمتي فمن حالها وصفتها انها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا
مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمتي • وقرأ الحسن من اساء من الاساءة • فساكتبها هذه الرحمة كتبة
خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يكونون في آخر الزمان من امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم بجميع
كتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها • الذين يتبعون الرسول الذي نوحي اليه كتابا مختصا به وهو القرآن
النبي صاحب المعجزات • يجدونه يجدون نعته اولئك الذين يتبعونه من بني اسرائيل مكتوبا عندهم في التوراة
والانجيل ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها او ما طاب في الشريعة
والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث من نحو الدم
والميتة ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به او ما خبث في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة
• الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط
قتل الانفس في صحة توبتهم وكذلك الاغلال مثل لما كان في شرائعهم من الاشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص
عمدا كان او خطأ من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق
الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت • وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح
وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس
نفسه على العبادة • وقرئ آصارهم على الجمع • وعزروه ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو • وقرئ بالتخفيف
واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع عن معاودة القبيح الا ترى الى تسميته الحد والحد
المنع • والنور القرآن • فان قلت ما معنى قوله انزل معه وانما انزل مع جبريل صلوات الله وسلامه
عليه • قلت معناه انزل مع نبوته لان استنباءه كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به
ويجوز ان يتعلق باتبعوا اي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته وبما امر به ونهى
عنه او واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه • فان قلت كيف انطبق هذا الجواب
على قول موسى عليه الصلاة والسلام ودعائه • قلت لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو
على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله تعالى وعلى كفرهم بآيات الله العظام التي اجراها على يد
موسى عليه الصلاة والسلام وعرض بذلك في قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون واريد ان يكون استماع
اوصاف اعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره
من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح وفي ان يحشروا معهم ولا يفرق بينهم
وبين اعقابهم • قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا • بعث كل رسول الى قومه خاصة
وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن • جميعا نصب على الحال من اليكم • فان قلت
الذي له ملك السموات والارض ما محله • قلت الاحسن ان يكون منتصبا باضمار اعني وهو الذي يسمى
النصب على المدح ويجوز ان يكون جرا على الوصف وان حيل بين الصفة والموصوف بقوله اليكم جميعا • وقوله
لا اله الا هو بدل من الصلة التي هي له ملك السموات والارض وكذلك يحيي ويميت وفي لا اله الا هو بيان
للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهية
لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره • وكلماته وما انزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه
ووحيه • وقرئ وكلمته على الافراد وهي القرآن او اراد جنس ما كلم به • وعن مجاهد اراد عيسى ابن
مريم • وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن • وانما قيل لعيسى عليه الصلاة والسلام
كلمة فخص بهذا الاسم لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى

إن تهتدوا. فإن قلت هلا قيل فآمنوا بالله وبي بعد قوله إني رسول الله إليكم قلت عدل عن المضمر إلى
الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم أن
الذي وجب الإيمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا
أو غيري إظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه. ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون
وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك
الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم
المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. وإذ قيل لهم اسكنوا
هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين
فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون. ومن قوم
أمة يعني المؤمنين التائبين من بني إسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى أقدموا على العظيمتين عبادة
العجل واستجازة رؤية الله ذكر أن منهم أمة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة
ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون أو أراد الذين وصفهم ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم
وآمن به من أعقابهم. وقيل إن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما
صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين إخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الأرض فساروا فيه سنة ونصفا
حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا. وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم
أن جبريل عليه الصلاة والسلام ذهب به ليلة الإسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل عليه الصلاة والسلام هل
تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد النبي الأمي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله إن موسى صلوات الله وسلامه عليه
أوصانا من أدرك منكم أحمد صلى الله عليه وسلم فليقرأ مني عليه السلام فرد محمد على موسى عليهما الصلاة والسلام
السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم
وكانوا يسبتون فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت. وعن مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل إني منهم
فقال عبد الله لمن كان في مجلسه من المؤمنين وهل يزيد صلحاؤكم عليهم شيئا من يهدي بالحق وبه يعدل. وقيل لو كان
في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير وإلا فقد طار
الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم إلى كل أفق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله أهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل
ولا بر ولا بحر في مشارق الأرض ومغاربها إلا وقد ألقاه إليهم وملأ به أسماعهم وألزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه
يوم القيامة. وقطعناهم وصيرناهم قطعا أي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الألفة بينهم. وقرئ وقطعناهم
بالتخفيف. اثنتي عشرة أسباطا كقولك اثنتي عشرة قبيلة. والأسباط أولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي
عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب عليه الصلاة والسلام. فإن قلت مميز ما عدا العشرة
مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا. قلت لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لأن المراد وقطعناهم
اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع أسباطا موضع قبيلة. ونظيره بين رماحي مالك
ونهشل. وأمما بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم أمما لأن كل أسباط كانت أمة عظيمة وجماعة كثيفة
العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الأخرى لا تكاد تأتلف. وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين. فانبجست
فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة. قال العجاج وكيف غربي دالج تبجسا. فإن قلت هلا قيل
فضرب فانبجست. قلت لعدم الإلباس وليجعل الانبجاس مسببا عن الإيحاء بضرب الحجر للدلالة على أن الموحى
إليه لم يتوقف عن اتباع الأمر وأنه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة إلى الإفصاح به. وقد أشكل [illegible]
قوله اثنتي عشرة أسباطا يريد كل أمة من تلك الأمم اثنتي عشرة. ولا إن تجمع غير تكسير نحو جمال وتثنية

وقوله

قلوام وأخواتها. ويجوز أن يقال إن الأصل الكسر والتكسير وإنما الضم بدل من الكسر كما أبدلت في نحو سكارى وغيارى
من الفتحة. وظللنا عليهم الغمام وجعلنا الغمام ظلة عليهم في التيه على زيادة القول وما ظلمونا وما رجع إلينا
ضرر ظلمهم بأن كفروا هذه النعم ولكن كانوا يضرون أنفسهم ويرجع وبال الظلم إليهم. وإذ قيل لهم واذكروا إذ قيل
لهم. والقرية بيت المقدس. فإن قلت كيف اختلفت العبارة ههنا وفي سورة البقرة قلت لا بأس
باختلاف العبارتين إذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها وبين قوله
فكلوا لأنهم إذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للأكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والأكل منها وسواء
قدموا الحطة على دخول الباب أو أخروها فهم جامعون في الإيجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض إثباته. وقوله
نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لأنه استئناف مرتب
على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وأرسلنا
وأنزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد. وقرئ يغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطيئاتكم
وخطيتكم على البناء للمفعول. واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ
تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون.
وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة
إلى ربكم ولعلهم يتقون. واسألهم واسأل اليهود. وقرئ وسلهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم
كفرهم وتجاوزهم حدود الله والإعلام بأن هذا من علومهم التي لا تعلم إلا بكتاب أو وحي فإذا أعلمهم به من لم يقرأ
كتابهم علم أنه من جهة الوحي. ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك أعدوت في السبت. والقرية
أيلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية. وعن أبي عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين أفصح من
الحسن والحجاج يعني رجلين من أهل المدن. حاضرة البحر قريبة منه راكبة لشاطئه. إذ يعدون في السبت إذ
يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه. وقرئ يعدون بمعنى يعتدون
فأدغمت التاء في الدال ونقلت حركتها إلى العين. ويعدون من الإعداد وكانوا يعدون آلات الصيد يوم
السبت وهم مأمورون بأن لا يشتغلوا فيه بغير العبادة. والسبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت
سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم
معناه يوم تعظيمهم أمر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون. وقراءة عمر بن عبد العزيز يوم
إسباتهم. وقرئ لا يسبتون بضم الياء. وعن علي رضي الله عنه لا يسبتون بضم الياء من أسبتوا. وعن الحسن
لا يسبتون على البناء للمفعول أي لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بأن يسبتوا. فإن قلت إذ يعدون
وإذ تأتيهم ما محلهما من الإعراب قلت أما الأول فمجرور بدل من القرية والمراد من القرية أهلها
كأنه قيل واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال. ويجوز أن يكون منصوبا
بكانت أو بحاضرة وأما الثاني فمنصوب بيعدون ويجوز أن يكون بدلا بعد بدل. والحيتان السمك وأكثر ما تستعمل
العرب الحوت في معنى السمكة. شرعا ظاهرة على وجه الماء. وعن الحسن تشرع على أبوابهم كأنها الكباش البيض
يقال شرع علينا فلان إذا دنا منا وأشرف علينا. وشرعت على فلان في بيته فرأيته يفعل كذا. كذلك
مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم. وإذ قالت أمة معطوف على إذ يعدون وحكمه حكمه في الإعراب
أمة منهم جماعة من أهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى أيسوا من قبولهم
لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أي مخترمهم ومطهر الأرض منهم. أو معذبهم
عذابا شديدا لتماديهم في الشر وإنما قالوا ذلك لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم. قالوا معذرة إلى ربكم أي موعظتنا
إبلاء عذر إلى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر إلى بعض التفريط. ولعلهم يتقون ولطمعنا في أن ينتفع بعض

الانتقام. وقرئ معذرةً بالنصب اي وعظناهم معذرة الى ربكم او اعتذرنا معذرة **فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون** فلما نسوا يعني اهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الظالمين الراكبين للمنكر **فان قلت** الامة الذين قالوا لم تعظون من اي الفريقين هم امن فريق الناجين ام المعذبين **قلت** من فريق الناجين لانهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا الا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي حال المنهي وان النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتلهي بك واما الآخرون فانما لم يعرضوا عنهم اما لان ياسهم لم يستحكم كما استحكم ياس الاولين ولم يخبروهم كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم في امرهم كما وصف الله تعالى رسوله صلوات الله عليه في قوله فلعلك باخع نفسك. وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم. وعن ابن عباس رضي الله عنه ليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا. وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان. وروي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كانها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تاتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها فتاخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر الفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم اصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه الصلوة والسلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان للناس شانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود انسباءها من الانس والانس لا يعرفون انسباءهم من القرود فجعل القرد ياتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول له الم ننهكم فيقول براسه بلى. وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير. وعن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الآخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل الساعة موعدا والساعة ادهى وامر. بئيس شديد يقال بؤس يبؤس باسا اذا اشتد فهو بئيس. وقرئ بئس بوزن حذر وبيس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء كما يقال كبد في كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيئس على وزن فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيس بوزن ريس على قلب همزة بيئس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين في هين وبائس على فاعل. **فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ۞ واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم ۞ وقطعناهم في الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ۞ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الم يؤخذ عليهم**

قوله عرض العرض بالفتح متاع الدنيا

قوله ياخذون هذا ... حلال وحرام

ميثاق

ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون ۞ والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين فلما عتوا عما نهوا عنه فلما تكبروا وابوا ان يتركوا ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم. قلنا لهم كونوا قردة عبارة عن مسخهم قردة كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون. والمعنى ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم. وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا. والعذاب البئيس هو المسخ. تاذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن والمعنى واذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى آخر الدهر. ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد. وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم. منهم الصالحون الذين آمنوا منهم بالمدينة او الذين وراء الصين. ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة **فان قلت** ما محل دون ذلك **قلت** الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا الا له مقام معلوم بمعنى وما منا احد الا له مقام. وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم. لعلهم يرجعون فينيبون. فخلف من بعدهم خلف من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ورثوا الكتاب التوراة بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها. ياخذون عرض هذا الادنى اي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير. والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب واما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشى في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة. ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما اخذنا والفعل مسند الى الجار والمجرور وهو لنا. ويجوز ان يكون الاخذ الذي هو مصدر ياخذون. وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر لا غفران له. الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التوراة من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر له الا بالتوبة. ودرسوا ما فيه من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى. وعن مالك بن دينار ياتي على الناس زمان ان قصروا عما امروا به قالوا سيغفر لنا لانا لم نشرك بالله شيئا كل امرهم الى الطمع خيارهم فيه المداهنة فهؤلاء من هذه الامة اشباه الذين ذكرهم الله وتلا الآية. والدار الآخرة خير من تلك الرشى الخبيثة للذين يتقون الرشى ومحارم الله. وقرئ ورّثوا الكتاب والا تقولوا بالتاء وادّارسوا بمعنى تدارسوا. وافلا تعقلون بالياء والتاء **فان قلت** ما موقع قوله ان لا يقولوا على الله الا الحق **قلت** هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق. وان فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان ان لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا. ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا تقولوا نهيا كانه قيل الم يقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق **فان قلت** علام عطف قوله ودرسوا ما فيه **قلت** على الم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكانه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه. والذين يمسكون بالكتاب فيه وجهان احدهما ان يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون ويكون قوله انا لا نضيع اعتراضا. والثاني ان يكون مرفوعا بالابتداء وخبره انا لا نضيع اجر المصلحين كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا. وقرئ يمسكون بالتشديد ويعضده قراءة ابي رضي الله عنه والذين مسكوا بالكتاب **فان قلت** التمسك بالكتاب يشتمل

قرأ ابو بكر عن عاصم يمسكون بالتخفيف والباقون بالتشديد

علي كل عبادة ومنها اقامة الصلوة فكيف افردت **قلت** اظهارا لمزية الصلوة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والايمان **وقرا** ابن مسعود رضي الله عنه والذين استمسكوا بالكتاب • وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون • وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين • أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون • وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون • وإذ نتقنا الجبل فوقهم قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء اذا نفضه ليقتلع الزبدة منه • والظلة كل ما اظلك من سقيفة او سحاب • وقرئ بالطاء من اطل عليه اذا اشرف • وظنوا انه واقع بهم وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الي الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمني الي الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة • ولما نشر موسي صلوات الله وسلامه عليه الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا تقرا عليه التوراة الا اهتز وانغض لها راسه • خذوا ما آتيناكم على ارادة القول اي وقلنا خذوا ما آتيناكم او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه • واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي ولا تنسوه او اذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه • ويجوز ان يراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الادلة على القدرة الباهرة والانذار • لعلكم تتقون ما انتم عليه • وقرا ابن مسعود رضي الله عنه وتذكروا • وقرئ واذكروا بمعنى وتذكروا • من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل • ومعنى اخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من اصلابهم نسلا بعد نسل • واشهدهم على انفسهم • وقوله الست بربكم • وقالوا بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكأنه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال لهم الست بربكم وكأنهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله عز وعلا انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين • وقوله اذا قالت الانساع للبطن الحقي • قالت له ريح الصبا قرقار • ومعلوم انه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى • ان تقولوا مفعول له اي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه او كراهة ان تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم في الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم **فان قلت** بنو آدم وذرياتهم من هم **قلت** عنى ببني آدم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخلافهم المقتدين بآبائهم • والدليل على انها في المشركين واولادهم قوله او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل والدليل على انها في اليهود الآيات التي عطفت عليها هي والتي عطفت عليها وهي على نمطها واسلوبها وذلك قوله واسألهم عن القرية واذ قالت امة منهم واذ تأذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا • افتهلكنا بما فعل المبطلون اي كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا • وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ • نفصل الآيات لهم • ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا عن شركهم نفصلها • وقرئ ذريتهم

على التوحيد وان يقولوا بالياء • واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين • ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون • ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون • من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون • واتل عليهم على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا هو عالم من علماء بني اسرائيل • وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء اوتي علم بعض كتب الله • فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره • فأتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وادركه وصار قرينا له او فأتبعه خطواته • وقيل فأتبعه بمعنى فتبعه • فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين • روي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسي عليه الصلوة والسلام ومن معه فابى وقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل • ولو شئنا لرفعناه بها لعظمناه ورفعناه الي منازل الابرار من العلماء بتلك الآيات • ولكنه اخلد الي الارض مال الي الدنيا ورغب فيها • وقيل مال الي السفالة **فان قلت** كيف علق رفعه بمشيئة الله ولم يعلقه بفعله الذي يستحق به الرفع **قلت** المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشيئة الله رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الي قوله ولكنه اخلد الي الارض فاستدرك المشيئة باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ • فمثله كمثل الكلب فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في اخس احواله واذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه اي شد عليه وهيج فطرد او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا وكان حق الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الي الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في اخس احواله واذلها في معنى ذلك • وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل • وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته لهث وان تركته على حاله لهث **فان قلت** ما محل الجملة الشرطية **قلت** النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين • وقيل لما دعا بلعم على موسي صلوات الله عليه وسلامه خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب • ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من اليهود بعد ما قرؤوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به • فاقصص القصص قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلموا انك علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم • ساء مثلا القوم اي مثل القوم او ساء اصحاب مثل القوم • وقرا الجحدري ساء مثل القوم • وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كأنه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدها الي غيرها • فهو المهتدي حمل على اللفظ • فأولئك هم الخاسرون حمل على المعنى • ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون • كثيرا من الجن والانس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف لهم وجعلهم في انهم لا يلقون اذهانهم الي معرفة الحق ولا ينظرون باعينهم الي ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كأنهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واستماع الآذان وجعلهم لاعراقهم في الكفر وشدة

سجاياهم فيعلم انهم لا ياتي منهم الا افعال اهل النار مخلوقين للنار لا لانه على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما
يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه الى خالد بن الوليد بلغني ان اهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر
واني لاظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الامور انه ما خلق فلان الا لكذا والمراد وصف حال اليهود
في عظم ما اقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم انه النبي الموعود وانهم من جملة الكثير
الذين لا يكاد الايمان يتاتى منهم كانهم خلقوا للنار اولئك كالانعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع
للتدبر بل هم اضل من الانعام من الفقه والاعتبار والتدبر اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل الانعام
تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار ولله الاسماء
الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون وممن خلقنا امة يهدون
بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ولله الاسماء الحسنى التي
هي احسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة من تحميد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء و
ذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك
بان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي او ان يابوا تسميته
ببعض اسمائه الحسنى نحو ان يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا
فله الاسماء الحسنى ويجوز ان يكون لله الاوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير والاحسان وانتفاء شبه
الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في اوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل
التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى
من العزيز لما قال ولقد ذرانا لجهنم كثيرا اخبر ان كثيرا من الثقلين عاملون باعمال اهل النار اتبعه قوله وممن
خلقنا امة يهدون بالحق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قراها هذه لكم وقد اعطي القوم
بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وعنه صلى الله عليه وسلم ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل
عيسى عليه الصلوة والسلام وعن الكلبي هم الذين اسلموا من اهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين والاستدراج
استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة قال الاعشى فلو كنت في جب
ثمانين قامة ورقيت اسباب السماء بسلم ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم اني عنكم غير مفحم ومنه
درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم مات بعضهم في اثر بعض ومعنى
سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا الى الهلاك من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك
ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون
في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان مواترة النعم اثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج
الله نعوذ بالله منه واملي لهم ان كيدي متين اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين
اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فباي
حديث بعده يؤمنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون واملي لهم عطف
على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين ان كيدي متين سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر
احسان وفي الحقيقة خذلان ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة من جنون كانوا يقولون
شاعر مجنون وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس الله
فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات
والارض فيما تدلان عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه
اسم الشيء من اجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وان عسى ان مخففة من الثقيلة والاصل انه

عسى على ان الضمير ضمير الشان والمعنى اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون قد اقترب اجلهم
ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعون الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مفاجاة الاجل وحلول العقاب
ويجوز ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشان فان قلت
بم تعلق قوله فباي حديث بعده يؤمنون قلت بقوله عسى ان يكون قد اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم
قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث احق
منه يريدون ان يؤمنوا وقرئ ونذرهم ويذرهم بالياء والنون والرفع على الاستئناف ويذرهم بالياء
والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم يسألونك عن الساعة
ايان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تاتيكم
الا بغتة يسألونك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون يسألونك
قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع
علمهم ان الله قد استاثر بعلمها وقيل السائل قريش فنزلت والساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا
وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على العكس لطولها او لانها عند الله على طولها
كساعة من الساعات عند الخلق ايان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي وقت
واي فعل من اويت اليه لان البعض آو الى الكل متساند اليه قاله ابن جني وابى ان يكون من اين لانه زمان
واين مكان وقرأ السلمي ايان بكسر الهمزة مرساها ارساؤها او وقت ارسائها اي اثباتها واقرارها
وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسي الجبل وارسى السفينة والمرسى الانجر الذي ترسى به ولا
اثقل من الساعة بدليل قوله تعالى ثقلت في السموات والارض والمعنى متى يرسيها الله قل انما علمها اي علم
ارسائها عند ربي استاثر به لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل لتجيئهم من نفسه ليكون ذلك
ادعى وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك لا يجليها لوقتها الا هو لا تزال خفية
لا يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو حين اذا جاء بها في وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل
مجيئها احد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها ثقلت في السموات والارض اي كل من اهلها
من الملائكة والثقلين اهمه شان الساعة ويتمنى ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او
ثقلت فيها لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها واهوالها او لان كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي
ثقيلة فيها لا تاتيكم الا بغتة الا فجأة على غفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس
والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه
كانك حفي عنها كانك عالم بها حقيقته كانك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في السؤال عن الشيء والتنقير عنه
استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل استئصاله والحفي
في المسالة اذا الحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت
وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه كانك حفي بها اي عالم بها بليغ في العلم بها وقيل عنها متعلق بيسألونك اي
يسألونك عنها كانك حفي اي عالم بها وقيل ان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة
فقيل يسألونك عنها كانك حفي تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم
ولو اخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله في اخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر
ما اوحي اليك وقيل كانك حفي بالسؤال عنها تحبه من حفي بالشيء اذا فرح به تعني انك تكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذي
استاثر الله به ولم يؤته احدا من خلقه فان قلت لم كرر يسألونك وانما علمها عند الله قلت
للتاكيد ولما جاء به من زيادة قوله كانك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من

فاتخذ زنادقة منهم محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة رضي الله عنهما • ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها • قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون • قل لا املك هو اظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب اي انا عبد ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك والعبيد الا ما شاء ربي ومالكي من النفع لي والدفع عني • ولو كنت اعلم الغيب لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير • ان انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شاني ان اعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز ان يتعلق بالنذير والبشير جميعا لان النذارة والبشارة انما ينفعان فيهم او يتعلق بالبشير ويكون المتعلق بالنذير محذوفا اي الا نذير للكافرين وبشير للمؤمنين • هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين • فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون • ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون • ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون • من نفس واحدة وهي نفس آدم عليه الصلاة والسلام • وجعل منها زوجها وهي حوا خلقها من جسد آدم من ضلع من اضلاعه او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا • ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل ولا ينفر لان الجنس الى الجنس اميل وبه آنس واذا كان بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعدما انث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد بها آدم عليه الصلاة والسلام ولكون الذكر الذي يسكن الى الانثى ويتغشاها فكان التذكير احسن طباقا للمعنى • والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان • حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كان اخف علي ولا ارزن حين حملته • فمرت به فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق • وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرا ابن عباس رضي الله عنه فاستمرت به • وقرا يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف • وقرا غيره فمارت به من المرية كقوله افتمارونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل فارتابت به • فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها كقولك اقربت • وقرئ اثقلت على البنا للمفعول اي اثقلها الحمل • دعوا الله ربهما دعا آدم وحوا ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجا اليه فقالا • لئن آتيتنا لئن وهبت لنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه وبري • وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة • والضمير في آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما • فلما آتاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء اي جعل اولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك فيما آتاهما اي آتى اولادهما وقد دل على ذلك بقوله • فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وآدم وحوا بريئان من الشرك • ومعنى اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس وما اشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم • ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي الا ترى الى قوله • فبال قصي ما زوى الله عنكم به من فخار لا يباري وسودد • والمراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية • ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه • وقرئ شركا اي ذوي شرك وهم الشركاء او احدثا

شركا

لله اشراكا في الولد اجريت الاصنام مجرى اولي العلم في قوله • وهم يخلقون بنا على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة • والمعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم يخلقون لان الله خالقهم او لا يقدر على اختلاق شيء لانه جماد وهم يخلقون لان عبدتهم يختلقونهم فهم اعجز من عبدتهم • ولا يستطيعون لهم لعبدتهم • نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم • وان تدعوهم وان تدعوا هذه الاصنام • الى الهدى الى ما هو هدى ورشاد والى ان يهدوكم والمعنى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى • لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين • سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون عن دعائهم في انه لا فلاح معهم • فان قلت هلا قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية • قلت لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون اصنامهم كقوله واذا مس الناس ضر فكانت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل ان دعوتموهم لم تفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم • ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون • ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين • والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون • وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون • خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين • ان الذين تدعون اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله • عباد امثالكم اي مخلوقون مملوكون امثالكم • فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عباد امثالهم فقال الهم ارجل يمشون بها • وقيل عباد امثالكم مملوكون امثالكم • وقرا سعيد بن جبير رضي الله عنه ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا امثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية • قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي • ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم جميعا • فلا تنظرون فاني لا ابالي بكم ولا يقول هذا الا واثق بعصمة الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون • ان وليي الله الناصر لي عليكم الله الذي نزل الكتاب الذي اوحي الي واعزني برسالته • وهو يتولى الصالحين ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده وانبيائه ولا يخذلهم • والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون • وتراهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم لا يبصرون • خذ العفو هو ضد الجهد اي ما عفا لك من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا • قال الشاعر خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب • وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكاة فلما نزلت امر ان ياخذهم بها طوعا او كرها • وامر بالعرف بالمعروف والجميل من الافعال • واعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على ما يسوءك منهم • وقيل لما نزلت الآية سال جبريل فقال لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك • وعن جعفر الصادق امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق منها • واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم • ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون • واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون

وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون • وإما ينزغنك من الشيطان نزغ وإما ينخسنك نخس بأن يحملك
بوسوسته على خلاف ما أمرت به • فاستعذ بالله ولا تطعه • والنزغ والنسغ الغرز والنخس كأنه ينخس
الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغاً كما قيل جد جده • وروي أنه لما نزلت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل وإما ينزغنك • ويجوز أن يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول
أبي بكر رضي الله عنه إن لي شيطاناً يعتريني • طيف من الشيطان لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفاً
قال أنى ألم بك الخيال يطيف • وهو تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف كلين من لان أو من طاف يطوف كهين
• وقرئ طائف وهو يحتمل الأمرين أيضاً وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ
الشيطان وأن المتقين هذه عادتهم إذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان وإلمام بوسوسته • تذكروا ما أمر الله
به ونهى عنه فأبصروا السداد ودفعوا ما وسوس به إليهم ولم يتبعوه أنفسهم • وأما إخوان الشياطين الذين
ليسوا بمتقين فإن الشياطين يمدونهم في الغي أي يكونون مدداً لهم فيه ويعضدونهم • وقرئ يمدونهم
من الإمداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم • ثم لا يقصرون لا يمسكون عن إغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا
[illegible] وإخوانهم يمدونهم كقوله • وقوم إذا الخيل جالوا في كرائها • فإن الخبر جار على غير ما هو له
ويجوز أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به إلى الجاهلين فيكون الخبر جارياً على ما هو له
والأول أوجه لأن إخوانهم في مقابلة الذين اتقوا فإن قلت لم جمع الضمير في إخوانهم والشيطان مفرد
قلت المراد به الجنس كقوله أولياؤهم الطاغوت • لولا اجتبيتها اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه أي جمعه كقولك
اجتمعه أو جبي إليه فاجتباه أي أخذه كقولك جليت إليه العروس فاجتلاها ومعنى لولا اجتبيتها هلا
اجتمعتها افتعالاً من عند نفسك لأنهم كانوا يقولون إن هذا إلا إفك مفترى أو هلا أخذتها منزلة عليك
مقترحة • قل إنما أتبع ما يوحى إلي ولست بمفتعل للآيات أو لست بمقترح لها • هذا بصائر هذا القرآن بصائر
من ربكم أي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى أو هو بمنزلة بصائر القلوب • وإذا قرئ القرآن
فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون • واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول
ولا تكن من الغافلين • إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون
وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ظاهره وجوب الاستماع والإنصات وقت قراءة القرآن في صلاة وغير
صلاة • وقيل كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلاة أن ينصت القوم إذا كانوا في مجلس يقرأ فيه
القرآن • وقيل معناه وإذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له • وقيل معنى فاستمعوا له اعملوا
بما فيه ولا تجاوزوه • واذكر ربك في نفسك هو عام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل
وغير ذلك • تضرعاً وخيفة متضرعاً وخائفاً • ودون الجهر ومتكلماً كلاماً دون الجهر لأن الإخفاء
أدخل في الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكر • بالغدو والآصال لفضل هذين الوقتين أو أراد الدوام
ومعنى بالغدو بأوقات الغدو وهي الغدوات • وقرئ والإيصال من آصل إذا دخل في الأصيل كأقصر وأعتم
وهو مطابق للغدو • ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه • إن الذين عند ربك
هم الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم • ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من رحمة الله وفضله لتوفرهم
على طاعته وابتغاء مرضاته • وله يسجدون ويختصونه بالعبادة ولا يشركون به غيره وهو تعريض
بمن سواهم من المكلفين • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة
بينه وبين إبليس ستراً وكان آدم شفيعاً له يوم القيامة • صدق الله وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم

سورة الأنفال مدنية وهي ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا
ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين • إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم
وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون • الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم
ينفقون • أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم • النفل الغنيمة
والنفل ما ينفله الغازي أي يعطاه زائداً على سهمه من المغنم وهو أن يقول الإمام تحريضاً على البلاء في الحرب
من قتل قتيلاً فله سلبه أو قال للسرية ما أصبتم فهو لكم أو فلكم نصفه أو ربعه ولا يخمس النفل ويلزم
الإمام الوفاء بما وعد منه • وعند الشافعي رحمه الله في أحد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين
المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها
للمهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعاً فقيل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها
ما يشاء فليس لأحد فيه حكم • وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم أن ينفله فتسارع شبانهم
حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان
نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءاً لكم وفئة تنحازون إليها إن
انهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم المغنم قليل والناس كثير وإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم
حرمت أصحابك فنزلت • وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قتل أخي عمير يوم بدر فقتلت به
سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأعجبني فجئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن الله
قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته
وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت إلا قليلاً حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد أنزلت سورة الأنفال فقال يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي وإنه قد صار لي فاذهب فخذه
وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه
أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء
وذلك في تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين • وقرأ ابن محيصن يسألونك علنفال بحذف
[illegible]

هم المؤمنون حقا • وجلت قلوبهم فزعت • وعن أم الدرداء الوجل في القلب كاحتراق السعفة أما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فان الدعاء يذهب بذلك يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لأن ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه • وقيل هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع • وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق • وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه فرقت • زادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لأن تظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل • وعن أبي هريرة رضي الله عنه الايمان سبع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان • وعن عمر بن عبد العزيز أن للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان • وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون أمورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه جمع بين أعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلوة والصدقة • حقا صفة للمصدر المحذوف أي أولئك هم المؤمنون ايمانا حقا أو مصدر مؤكد للجملة التي هي أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا أي حق ذلك حقا • وعن الحسن أن رجلا سأله أمؤمن أنت قال الايمان ايمانان فان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا أدري أمنهم أنا أم لا • وعن الثوري من زعم أنه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بأنه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الايمان وكان أبو حنيفة رحمه الله ممن لا يستثني فيه وحكي عنه أنه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابراهيم عليه الصلوة والسلام في قوله والذي أطمع أن يغفر لي فقال له هلا اقتديت به في قوله أولم تؤمن قال بلى • درجات شرف وكرامة وعلو منزلة • ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم • ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب

كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون • يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون

• كما أخرجك ربك فيه وجهان أحدهما أن يرتفع محل الكاف على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني أن حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني أن ينتصب على أنه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الأنفال لله والرسول أي الأنفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون • من بيتك يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها لأنها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه • بالحق اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه • وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال أي أخرجك في حال كراهتهم وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم ان أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت أخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لأخيها اني رأيت عجبا كأن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا أصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال أبو جهل ما يرضى رجالهم أن [illegible] حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك أبدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وأنا قد أعضضناه فمضى بهم الى

بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة • ونزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب اليكم أم النفير قالوا بل العير أحب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت الى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال المقداد بن عمرو رضي الله عنه يا رسول الله امض لما أمرك الله فانا معك حيثما أحببت لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى صلى الله وسلم عليه اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا علي أيها الناس وهو يريد الأنصار لأنهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فأنت في ذممنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر الى مصارع القوم • وروي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لأن الله وعدك احدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك • وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين • والحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير • بعد ما تبين بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم ينصرون • وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد لأسبابه ناظر اليها لا يشك فيها • وقيل كان خوفهم لقلة العدد وأنهم كانوا رجالة • وروي أنه ما كان فيهم الا فارسان

واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين • ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون

• أنها لكم بدل من احدى الطائفتين • والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة العير لأنه لم يكن فيها الا أربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك أي تتمنون أن تكون لكم العير لأنها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الأخرى • أن يحق الحق أن يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر • دابر الكافرين آخرهم والدابر الآخر فاعل من دبر اذا أدبر ومنه دابرة الطائر وقطع

الدابر عبارة عن الاستيصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الامور وان لا تلقوا ما يرزؤكم
في ابدانكم واحوالكم والله عز وجل يريد معالي الامور وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين
وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم
واذلهم وحصل لكم ما لا تعارض ادناه العير وما فيها • وقرئ بكلمته على التوحيد فان قلت بم يتعلق
قوله ليحق الحق قلت بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام
واظهاره وابطال الكفر ومحقه فان قلت اليس هذا تكريرا قلت لا لان المعنيين متباينان وذلك
لان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم
عليها وانه ما نصرهم ولا خذل اولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف متاخرا
حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع فان قلت بم يتعلق اذ تستغيثون
قلت هو بدل من اذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال
طفقوا يدعون الله يقولون اي ربنا انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا • وعن عمر رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه
يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه
ابو بكر رضي الله عنه فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك
ما وعدك • اني ممدكم اصله باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله • وعن ابي عمرو انه
قرا اني ممدكم بالكسر على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول فان قلت
هل قاتلت الملائكة يوم بدر قلت اختلف فيه فقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها
ابو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب رضي الله عنه في صور الرجال عليهم ثياب
بيض وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت • وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم
حنين • وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة
فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم • وروي ان رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع
صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال صدقت ذاك من مدد السماء • وعن ابي داود المازني رضي الله عنه تبعت رجلا من المشركين
لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي • وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون
السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل صلوات الله وسلامه
عليه اهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة • وقرئ
مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض الذي تستعجلون بمعنى
ردفكم واردفته اياه اذا اتبعته ويقال اردفته كقولك اتبعته اذا جئت بعده
فلا يخلو المكسور الدال من ان يكون بمعنى متبعين او متبعين فان كان بمعنى متبعين فلا يخلو من ان يكون
بمعنى متبعين بعضهم بعضا او متبعين بعضهم لبعض او بمعنى متبعين اياهم المؤمنين اي يتقدمونهم
فيتبعونهم انفسهم او متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على
اعينهم وحفظهم او بمعنى متبعين انفسهم ملائكة اخرين او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا
الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران بثلثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين
ومن قرا مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين او متبعين • وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد
الدال واصله مرتدفين اي مترادفين او متبعين من ارتدف فادغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان

فحركت الراء

ثم حركت الراء بالكسر على الاصل او على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم • وعن السدي بآلاف من الملائكة
على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران فان قلت فبم يعتذر لمن قرا على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف
الملائكة ملائكة آخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم قلت بان المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه منهم
الذين من سواهم اتباع لهم فان قلت الام يرجع الضمير في وما جعله قلت الى قوله اني ممدكم لان المعنى
فاستجاب لكم بامدادكم فان قلت ففيمن قرأ بالكسر قلت الى قوله اني ممدكم لانه مفعول القول
المضمر فهو في معنى القول • ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي يدل عليه ممدكم • الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة
لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا
منكم وربطا على قلوبكم • وما النصر الا من عند الله يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة
او وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله • اذ يغشيكم النعاس امنة
منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت
به الاقدام • اذ يغشيكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بما
جعله الله او باضمار اذكر • وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل وامنة
مفعول له فان قلت اما وجب ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا قلت بلى ولكن لما كان
معنى يغشاكم النعاس تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون امنة بمعنى
امنا اي لامنكم • ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من الله فان قلت فعلى غير هذه القراءة قلت
يجوز ان يكون امنة بمعنى الايمان اي ينعسكم امنا او على يغشيكم النعاس فتنعسون امنا فان قلت
هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اي يغشاكم النعاس لامنه على ان اسناد
الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على انه انامكم في وقت كان من حق
النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة له من الله لولاها لم
يغشكم على طريقة التخييل والتمثيل قلت لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر ولقد الم
به من قال • يهاب النوم ان يغشى عيونا • تهابك فهو نفار شرود • وقرئ امنة بسكون الميم ونظير امن امنة
حيي حياة ونحو امن امنة رحم رحمة والمعنى ان ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلو
بهم امنهم رقدوا • وعن ابن عباس رضي الله عنه النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلوة وسوسة من الشيطان
وينزل قرئ بالتخفيف والتثقيل • وقرأ الشعبي ما ليطهركم به • قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف
الجر بما جره فكانه قال ما للطهور • ورجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش • وقيل الجنابة
لانها من تخييله • وقرئ رجس الشيطان وذلك ان ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المسلمون
في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم
تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان
يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا
واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الحياض
على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت
عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز ان يكون للربط لان القلب
اذا تمكن فيه الصبر والجراءة ثبتت الاقدام في مواطن القتال • اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين
امنوا سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان • ذلك بانهم
شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب • ذلكم وان للكافرين

اذ يوحي يجوز ان يكون بدلا ثالثا من اذ يعدكم وان ينتصب بيثبت • اني معكم مفعول يوحي • وقرئ اني بالكسر على
ارادة القول وعلى اجراء يوحي مجرى يقول كقوله اني معكم والمعنى اني معينكم على التثبيت فثبتوهم • وقوله سالقي
ولضعفها يجوز ان يكون تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ
من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة • ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم
ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وان يظهروا ما يتيقنون به انهم ممدون بالملائكة •
وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فياتي فيقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا
لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه • وقرئ الرعب بالتثقيل فوق
الاعناق اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤس • وقيل
اراد الرؤس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام **قال** واضرب هامة البطل المشيح **وقال** غشيته
وهو في جأواء باسلة عضبا اصاب سواء الراس فانفلقا • والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا
المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامرهم ان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون
قوله سالقي الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين امنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قال قولوا لهم قولي
سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب وكانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل لهم قولوا لهم قولي سالقي والضاربون على هذا
هم المؤمنون • ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء وبانهم
خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم • والمشاقة مشتقة من الشق لان كل واحد من المتعاديين في
شق خلاف شق صاحبه • وسئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة
والمشاقة لان هذا في خصم اي في جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق • والكاف في ذلك لخطاب
الرسول صلى الله عليه وسلم او لخطاب كل واحد منكم • وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع
على ذلكم على طريقة الالتفات • ومحل ذلك الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم فذوقوه • ويجوز ان يكون
نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه • وان للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه او نصب على
ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الاجل الذي لكم في الاخرة فوضع الظاهر موضع الضمير
وقرأ الحسن وان للكافرين بالكسر • يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار
ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم
وبئس المصير • فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا
ان الله سميع عليم • ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين • ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير
لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين • يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون • ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون •
زحفا حال من الذين كفروا • والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا من زحف
الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير
جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم في العدد او تساووهم او حال من الفريقين اي اذا لقيتموهم
متزاحفين هم وانتم او حال من المؤمنين كانهم اشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين
وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ • وفي قوله ومن يولهم يومئذ امارة
عليه • الا متحرفا للقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها
او متحيزا او منحازا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها • وعن ابن عباس رضي الله
عنه خرجت سرية انا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن

الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم • وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله
عنه فقال يا امير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر انا فئتك • وعن ابن عباس رضي الله عنه ان
الفرار من الزحف من اكبر الكبائر **فان قلت** بم انتصب الا متحرفا **قلت** على الحال والا لغو
او على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا • وقرأ الحسن دبره
بالسكون • ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز • لما كسروا
اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت واسرت • ولما طلعت قريش قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني
فاتاه جبريل صلوات الله وسلامه عليه فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال
شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم وياسرونهم فقيل
لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع
والجزع • وما رميت انت يا محمد • اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي رميتها لم ترمها انت على
الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا الى ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت
ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه
لان اثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وعلا فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من
الرسول صلى الله عليه وسلم اصلا • وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده • وليبلي
المؤمنين وليعطيهم • بلاء حسنا عطاء جميلا **قال** زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو • والمعنى
وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله الا لذلك • ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم • ذلكم اشارة
الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم • وان الله موهن معطوف على ذلكم يعني ان الغرض ابلاء المؤمنين
وتوهين كيد الكافرين • وقرئ موهن بالتشديد • وقرئ على الاضافة وعلى الاصل الذي هو التنوين والاعمال
• ان تستفتحوا خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة
وقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف واوصلنا للرحم وافكنا للعاني ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا
وروي انهم قالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين **وروي** ان ابا جهل قال يوم
بدر اللهم ايّنا كان افجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه • وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين • وان تنتهوا
خطاب للكافرين يعني وان تنتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم واسلم • وان تعودوا
لمحاربته نعد لنصرته عليكم • وان الله قرئ بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك • وقرئ بالكسر
وهذه احسن لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه والله مع المؤمنين • وقرئ ولن يغني عنكم بالياء
للفصل • ولا تولوا قرئ بطرح احدى التاءين وادغامها والضمير في عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان
المعنى واطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من
يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان
ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اي ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعونه او ولا تتولوا عن رسول الله
ولا تخالفوه وانتم تسمعون اي تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة • ولا تكونوا كالذين
قالوا سمعنا ادعوا السماع • وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون
بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق

فاثبت سماعا علم سماع من لا يوفي بتم قال ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون • ولو علم الله
فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون • يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا
دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون • واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب • واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض
تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون • ان شر الدواب
اي ان شر من يدب على وجه الارض او البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم
ثم جعلهم شرها • ولو علم الله فيهم اي في هؤلاء الصم البكم خيرا اي انتفاعا باللطف لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا
سماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف
بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا • وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان
مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا
جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء • وعن ابن جريج هم المنافقون • وعن الحسن اهل الكتاب • اذا دعاكم وحد الضمير
كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته وانما يذكر احدهما مع الاخر للتوكيد
والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض • وروي ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن
اجابتي فقال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وفيه قولان
احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التاخير واذا
وقع مثله للمصلي فله ان يقطع صلوته • لما يحييكم من علوم الديانات والشرائع لان العلم حيوة كما ان الجهل موت
ولبعضهم لا تعجبن الجهول حلته • فذاك ميت وثوبه كفن • وقيل مجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم
كقوله ولكم في القصاص حيوة • وقيل الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم • واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه
يعني انه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه وعلله ورده
سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله • وانه اليه
تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة • وقيل معناه ان الله قد يملك على العبد قلبه
فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف امنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا
وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله عز وجل فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا والمجبرة
على انه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا امن تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا • وقيل
معناه انه مطلع على كل ما يخطر المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكانه بينه وبين قلبه • وقرئ بين المر
بتشديد الراء ووجهه انه قصد تخفيف الهمزة والقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت
بعمر • فتنة ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين اظهرهم • وقيل افتراق الكلمة • وقيل فتنة عذابا • وقوله لا تصيبن
لا يخلو من ان يكون جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة لفتنة فاذا كان جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين
منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب
واذا كانت نهيا بعد الامر فكانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر
الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا
تصيبن ونظيره قوله حتى اذا جن الظلام واختلط • جاءوا بمذق هل رايت الذيب قط • لما فيه من
هذا القول فيه لانه سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذيب • ويعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود رضي الله
عنه لتصيبن على جواب القسم المحذوف • وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير رضي الله عنهم وهو يوم

الجمل خاصة

الجمل خاصة قال الزبير رضي الله عنه نزلت فينا وقرأناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها
وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل • وروي ان الزبير رضي الله عنه كان يسامر النبي صلى الله
عليه وسلم يوما اذ اقبل علي رضي الله عنه فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك
لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله • **فان قلت**
كيف جاز ان تدخل النون المؤكدة في جواب الامر **قلت** لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك
فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم • **فان قلت** فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم
قلت التبعيض على الوجه الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم اقبح
منكم من سائر الناس • اذ انتم نصب على انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة مستضعفين
في الارض ارض مكة قبل الهجرة يستضعفكم قريش • تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا لهم اعداء
منافين مضادين • فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر • ورزقكم
من الطيبات من الغنائم • لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه النعم • وعن قتادة كان هذا الحي من العرب اذل
الناس واشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يؤكلون ولا ياكلون فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم في
الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا • يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون
واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم • يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم
فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم • معنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء
التمام ومنه تخونه اذا انتقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت عليه
النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكانه لم يف له
ومنه قوله وتخونوا اماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به وامانتكم
فيما بينكم بان لا تحفظوها • وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله • وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة
توجد منكم عن تعمد لا عن سهو • وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن • وروي ان النبي صلى
الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوه الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير
على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحاء من ارض الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا
وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم
فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد بن معاذ فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي
حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما
ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك
فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده
فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال صلى الله عليه وسلم
يجزئك الثلث ان تتصدق به • وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه • وقيل اموالكم واولادكم فتنة
لانهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم او العذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده • وان الله
عنده اجر عظيم فعليكم ان تنوطوا بطلبه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وما فرطت لاجل مال وولد • فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام
باعزاز اهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان او بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم وآثاركم في اقطار الارض
من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي طلع الفجر او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة
بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والآخرة • واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك
او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين • واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد
سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين • واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو
الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم • وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون • وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما
كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون • لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان
بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذ يمكرون
بك وذلك ان قريشا لما اسلمت الانصار فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره
فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان
احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا
بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم
من قومه ويخلصه من ايديكم • فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع
واسترحتم فقال ابليس بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم • فقال ابو جهل لعنه الله انا ارى ان تأخذوا من
كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب
قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رأيا فتفرقوا على رأي ابي جهل
مجتمعين على قتله فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن الله له
في الهجرة فامر عليا رضي الله عنه فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين
فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا رضي الله عنه فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل الله مكرهم
ليثبتوك ليسجنوك او يوثقوك ويثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى اثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان
مثبت وجعا • وقرئ ليثبتوك بالتشديد • وقرأ النخعي ليبيتوك من البيات • وعن ابن عباس رضي الله عنه
ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالايثاق • ويمكرون ويخفون المكايد له • ويمكر الله ويخفي الله ما اعد لهم حتى
ياتيهم بغتة • والله خير الماكرين اي مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تأثيرا او لانه لا ينزل الا ما هو حق وعدل ولا يصيب
الا بما هو مستوجب • لو نشاء لقلنا مثل هذا نفاج منهم وصلف تحت العجز فانهم لم يتوانوا في مشيئتهم
لو ساعدتهم الاستطاعة والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين ان يشاءوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى
يفوزوا بالقدح المعلى دونه مع فرط انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا في باب البيان خاصة وان يماتنهم واحد فيتعالوا
بامتناع المشيئة ومع ما علم من ظهور الشيء من حرصهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهالكهم على
ان يغمروه • وقيل قائله النضر بن الحارث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله احاديث القرون لو شئت لقلت مثل
هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم ان هذا مثل ذلك وانه من جملة تلك
الاساطير وهو القائل ان كان هذا هو الحق وهذا اسلوب من الجحود بليغ يعني ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا
على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بعذاب آخر ومراده نفي كونه حقا واذا انتفى كونه حقا لم يستوجب
منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد انه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك ان كان الباطل حقا
فامطر علينا الحجارة • وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق • وقرأ الاعمش

هو الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وهو في القراءة الاولى فصل ويقال امطرت السماء كقولك انجمت واسبلت
ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الامطار في معنى العذاب فان قلت ما فائدة قوله من السماء
والامطار لا يكون الا منها قلت كانه اريد ان يقال فامطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب
فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا • بعذاب اليم اي بنوع
آخر من جنس العذاب الاليم يعني ان امطار السجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا به او بنوع آخر من انواعه • وعن
معاوية انه قال لرجل من سبأ ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق
فاهدنا له • اللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم في الحكمة لان عادة الله
وقضية حكمته ان لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون
بالعذاب اذا هاجر عنهم والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم الا يعذبهم [illegible]
كانه قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم • وما لهم الا يعذبهم وهم
يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم اي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما
عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون
ولا يتوقع ذلك منهم • وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين اظهرهم
ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين • وما لهم ان لا يعذبهم الله واي شيء لهم
في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم انهم
يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية واخراجهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل
من نشاء • وما كانوا اولياءه وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة امره وارباب
ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح لان يلي امره انما يستأهل ولايته من كان برا
تقيا فكيف بالكفرة عبدة الاصنام • ولكن اكثرهم لا يعلمون كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة
او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم • وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون • ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم
حسرة ثم يغلبون • المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كانه سمي بذلك لكثرة
مكائه واصل المصفر نحو الوضاء والقراء • وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكاء والبكا • والتصدية التصفيق تفعلة
من الصدى او من صد يصد اذا ضج • وقرأ الاعمش وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه
فان قلت ما وجه هذا الكلام قلت هو من قوله • وما كنت اخشى ان يكون عطاؤه • اداهم سودا او
محدرجة سمرا • والمعنى انه وضع القوم المكاء والتصدية موضع الصلاة وذلك انهم كانوا
يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى
الله عليه وسلم يخلطون عليه • فذوقوا العذاب عذاب القتل والاسر يوم بدر بسبب كفركم واعمالكم التي لا يقدم عليها الا
الكفرة • قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر • وقيل قالوا لكل من كانت له تجارة في
العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا بما اصيب منا ببدر • وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استأجر
ليوم احد الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون
مثقالا • ليصدوا عن سبيل الله اي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم
كذلك • ثم تكون عليهم حسرة اي يكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكأن ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة • ثم

بقلبون الى الامر لما كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين بعد الانفاق فانت عليهم حسرة لما تقابل اوقتل انا ورسلي لغلبه
كفروا الى جهنم يحشرون ● ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في
جهنم ليميز الله الخبيث من الطيب فيجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اولئك هم
الخاسرون ● قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير ● وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم
نعم المولى ونعم النصير ● والذين كفروا والكافرين منهم الى جهنم يحشرون لانهم من اسلم وحسن اسلامه ● ليميز الله
الخبيث الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب من المؤمنين فيجعل الفريق الخبيث ● بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة
عن الجمع والضم حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم ● اولئك اشارة الى الفريق الخبيث
وقيل ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال الطيب الذي انفقه
المسلمون كابي بكر وعثمان في نصرته ● فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباههم الآية
واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة ومعنى الاول بيحشرون ● واولئك اشارة الى الذين كفروا ● وقرئ
ليميز من التمييز ● قل للذين كفروا اي قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم
لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ونحوه وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا
به غيرهم ليسمعوا ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الاسلام ●
يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة وان يعودوا لقتاله ● فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم
يوم بدر او فقد مضت سنة الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا ● وقيل
معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما قد سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين
ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الاسلام يجب ما قبله وقال اهل الحرب اذا اسلم لم تبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا
يلزمه قضاء حقوق الله وتبقى عليه حقوق الآدميين وبه احتج ابو حنيفة رضي الله عنه في ان المرتد اذا اسلم لم
يلزمه قضاء العبادات المتروكة في الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالارتداد ● وقرئ يغفر لهم على ان الضمير لله
عز وجل ● وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان لا يوجد فيهم شرك قط ● ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل
ويبقى فيهم دين الاسلام وحده ● فان انتهوا عن الكفر واسلموا ● فان الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم ● وقرئ
تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام
بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء ● وان تولوا ولم ينتهوا ● فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته
ونصرته ● واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير ● اذ انتم بالعدوة
الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان
مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم ● ما غنمتم ما موصولة ومن شيء بيانه
قيل من شيء حتى الخيط والمخيط ● فان لله مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق او فواجب ان لله خمسه ● وروى الجعفي
عن ابي عمرو فان لله بالكسر وتقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهورة آكد واثبت للايجاب كأنه قيل فلا بد من ثبات
الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه وذلك انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت
حق لازم وما اشبه ذلك كان اقوى لايجابه من النص على واحد ● وقرئ خمسه بالسكون ● فان قلت كيف قسمة الخمس
قلت عند ابي حنيفة رضي الله عنه انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ● وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ
بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

هؤلاء اخوانك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا
وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه الصلاة والسلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم
وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه ● وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا
يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل ● واما عند الشافعي رحمه الله فيقسم على خمسة اسهم
سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح
ونحو ذلك ● وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث
وان رأى الامام اعطاه بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم اولى واهم فغيرهم ● فان قلت ما معنى ذكر الله عز وجل وعطف
الرسول وغيره عليه ● قلت يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ● وان
يراد بكر ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب ● وان يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان
يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكال
فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامين وعلى الثاني ما قال ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم الله تعالى يصرف
الى رتاج الكعبة ● وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها
للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة ● وقيل ان سهم الله لبيت المال ● وعلى الثالث مذهب مالك بن انس ● وعن
ابن عباس رضي الله عنه انه كان على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على ثلاثة
وكذا روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء رضوان الله عليهم ● وروي ان ابا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس وقال
انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني فلا
يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر ● وعن زيد بن علي رضي الله عنهما كذلك قال ليس لنا ان نبني منه قصورا
ولا ان نركب منه البراذين ● وقيل الخمس من القرابة ● وعن علي رضي الله عنه انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين
فقال ايتامنا ومساكيننا ● وعن الحسن في سهم ذوي القربى لولي الامر من بعده ● وعن الكلبي ان الآية نزلت ببدر
وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا
من الهجرة ● فان قلت بم تعلق قوله ان كنتم آمنتم بالله ● قلت بمحذوف يدل عليه واعلموا والمعنى ان كنتم آمنتم
بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم
المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله تعالى لان العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر ● وما انزلنا معطوف
[illegible]

شأن المسلمين وانتياث أمرهم وأن غلبتهم في مثل هذه الحال ليست إلا صنعا من الله وحيلة دالة على أن ذلك أمر لم يتيسر إلا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك أن العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى فيها إلا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب بظعنهم وأموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وأن لا يتركوا وراءهم ما يحدثون أنفسهم بالانحياز إليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على أن لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من أمر وقعة بدر ● ليقضي الله أمرا كان مفعولا من إعزاز دينه وإعلاء كلمته حين وعد المسلمين إحدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لأموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الأسباب حتى أناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان ● ولو تواعدتم أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له ● ليقضي متعلق بمحذوف أي ليقضي أمرا كان واجبا أن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك ● وقوله ليهلك بدل منه واستعير الهلاك والحياة للكفر والإسلام أي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر إسلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بأنه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك أن ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها ● وقرئ ليهلك بفتح اللام ومن حيي بإظهار التضعيف ● لسميع عليم يعلم كيف يدبر أموركم ويسوي مصالحكم ● أو لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبإيمان من آمن وثوابه ● إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور ● وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور ● إذ يريكهم الله نصب بإضمار اذكر أو هو بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بقوله لسميع عليم أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك في منامك في رؤياك وذلك أن الله عز وجل أراهم إياه في رؤياه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ● وعن الحسن في منامك في عينك لأنها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لأنه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما أحسب الرواية صحيحة عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته ● لفشلتم لجبنتم وهبتم الإقدام ● ولتنازعتم في الرأي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار ● ولكن الله سلم أي عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف ● إنه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع ● وإذ يريكموهم الضميران مفعولان يعني وإذ يبصركم إياهم ● وقليلا نصب على الحال ● وإنما قللهم في أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين قال أراهم مائة فأسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال ألفا ● ويقللكم في أعينهم حتى قال قائل منهم إنما هم أكلة جزور **فإن قلت** الغرض في تقليل الكفار في أعين المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في أعينهم **قلت** قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعد ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون

ما لم يكن في حسابهم فتنكسر قلوبهم وذلك قوله يرونهم مثليهم رأي العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم أولا وكثرتهم آخرا **فإن قلت** بأي طريق يبصرون الكثير قليلا **قلت** بأن يستر الله عنهم بعضه بساتر أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم إن الأحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا أرى هذين الديكين أربعة ● يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ● وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ● ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ● إذا لقيتم فئة إذا حاربتم جماعة من الكفار وترك أن يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء اسم للقتال غالبا فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا ● واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم ● لعلكم تفلحون لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا وأكثر ما يكون هما وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك وإن كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب أمير المؤمنين في أيام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البدائع وتوابع لطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على أنهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وإن تفاقم الأمر ● ولا تنازعوا قرئ بتشديد التاء ● فتفشلوا منصوب بإضمار أن ويجوز أن يكون مجزوما لدخوله في حكم النهي ويعضد النصب قراءة من قرأ وتذهب ريحكم بالتاء والنصب وقراءة من قرأ ويذهب ريحكم بالياء والجزم ● والريح الدولة شبهت في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره ومنه قوله ● أتنظران قليلا ريث غفلتهم ● أم تعدوان فإن الريح للعادي ● وقيل لم يكن قط نصر إلا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور حتى ذهب بالنهي عن التنازع والاختلاف الذي يقع بينهم لمخالفتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فشلهم وذهاب ريحهم ● كالذين خرجوا من ديارهم هم أهل مكة حين نفروا لحماية العير فأتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا ونشرب فيها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس بإطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين بأعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله عز وجل مخلصين أعمالهم لله ● وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب ● إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم ● وإذ زين واذكر إذ زين لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم أي بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم ● وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت الذي بينها وبين كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني وكان من أشرافهم في جند من الشياطين معه راية ● وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص ● وقيل كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص قال له الحارث إلى أين أتخذلنا في هذه الحال فقال إني أرى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان ● وفي الحديث ما رئي إبليس يوما أصغر ولا أحقر ولا أدحر

لعظيم يوم عرفة مما يرى من نزول الرحمة الا ما روي يوم بدر فإن قلت هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال
لا ضاربا زيدا عندنا قلت لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا اياكم لكان الامر كما قلت لكنه خبر تقديره
لا غالب كائن لكم • اذ يقول المنافقون بالمدينة • والذين في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين
وان يراد الذين هم على حرف لم يطمئنوا بعد الاقدام في الاسلام • وعن الحسن هم المشركون • غر هؤلاء
دينهم يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم وانهم يتقوون به او ينصرون من اجله فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة
عشر الى زهاء الف ثم قال جوابا لهم • ومن يتوكل على الله فان الله عزيز غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير
القوي • ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك
بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد • كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله
قوي شديد العقاب • ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله
سميع عليم • كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين •
ولو ترى ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال • واذ
نصب على الظرف • وقرئ يتوفى بالياء والتاء • والملائكة رفع بالفعل • ويضربون حال منهم • ويجوز ان
يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء • ويضربون خبر • وعن مجاهد ادبارهم استاههم
ولكن الله كريم يكني • وانما خصوها بالضرب لان الخزي والنكال في ضربهما اشد • وبلغني عن اهل الصين ان عقوبة
الزاني عندهم ان يصبر ثم يعطي الرجل القوي البطش شيئا عمل من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض فيضرب
على دبره ضربة واحدة بقوته فيموت في مكانه • وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر • وذوقوا معطوف على
يضربون على ارادة القول اي ويقولون ذوقوا عذاب الحريق اي مقدمة عذاب النار او ذوقوا عذاب الآخرة بشارة
لهم به • وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار • او ويقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب
لو محذوف اي لرأيت امرا فظيعا منكرا • ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل ان يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة
وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره • وان الله عطف عليه اي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم
ومعاصيكم وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المؤمنين • وقيل ظلام للتكثير
لاجل العبيد او لان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه •
الكاف في محل الرفع اي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه اي داموا عليه
وواظبوا • وكفروا تفسير لدأب آل فرعون • ذلك اشارة الى ما حل بهم يعني ذلك العذاب او الانتقام بسبب ان الله
لم ينبغ له ولم يصح في حكمته ان يغير نعمته على قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال فان قلت فما كان من تغيير
آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة قلت
كما تغير الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها واولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة
عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في اراقة دمه غيروا
حالهم الى اسوأ مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب • وان الله سميع لما يقول مكذبو
الرسول عليم بما يفعلون • كدأب آل فرعون تكرير للتأكيد وللمبالغة • وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران
النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب • وكل كانوا ظالمين وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش
كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي • ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون • الذين عاهدت
منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون • فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم
لعلهم يذكرون • الذين كفروا فهم لا يؤمنون اي اصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنو قريظة
عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا

واخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم • الذين عاهدت
منهم بدل من الذين كفروا اي الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار
المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود • وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار
والنار • فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم • فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك
بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا
بحالهم • وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر
مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه • وقرأ ابو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم
لانه اذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء واوقعه فيه لان الوراء جهة المشردين فاذا
جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين • لعلهم يذكرون لعل المشردين
من ورائهم يتعظون • واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين • ولا
يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون • واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون
به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله
يوف اليكم وانتم لا تظلمون • وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم • وان
يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين • والف بين قلوبهم لو انفقت
ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم • واما تخافن من قوم معاهدين • خيانة
نكثا بامارات تلوح لك • فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد • على سواء على طريق مستو قصد وذلك ان
تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم
بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك • ان الله لا يحب الخائنين فلا يكن منك اخفاء نكث العهد والخداع
وقيل على سواء في العلم بنقض العهد • وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال كأنه
قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوي او حاصلين على استواء في العلم او العداوة على انها حال
من النابذ والمنبوذ اليهم معا • سبقوا فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم • انهم لا يعجزون انهم لا يفوتون
ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم • وقرئ انهم بالفتح بمعنى لانهم وكل واحدة من المكسورة والمفتوحة
تعليل الا ان المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح • وقرئ يعجزون بالتشديد • وقرأ
ابن محيصن يعجزون بكسر النون • وقرأ الاعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر الياء وفتحها على حذف النون
الخفيفة • وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على ان الفعل للذين كفروا وقيل فيه اصله ان سبقوا فحذفت ان
كقوله ومن آياته يريكم البرق واستشهد عليه بقراءة ابن مسعود انهم سبقوا • وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون
على ان لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين • وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا
سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما • وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وليست هذه الاقاويل
كلها بمتلخصة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة • وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت من فل
المشركين • من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها • وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا • ومات عقبة رضي الله عنه عن سبعين
قوسا في سبيل الله • وعن عكرمة هي الحصون • والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز ان تسمى بالرباط
الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال • وقرأ الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء
وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كقوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل
وميكائيل • وعن ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل فترابط في سبيل

الشئ يغير عليها فقيل له انها حصى في الحصون فقال ابو تميم قول الشاعر ان الحصون الخيل لا مدر القرى * ترهبون
بالتخفيف والتشديد وقراءة ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما تخزون به والضمير في به راجع الى ما استطعتم عدو
الله وعدوكم هم اهل مكة * وآخرين من دونهم هم اليهود وقيل المنافقون * وعن السدي هم اهل فارس وقيل
كفرة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق * وروي ان صهيل الخيل يرهب
الجن * جنح له واليه اذا مال * والسلم تؤنث تانيث نقيضها وهي الحرب * قال السلم تاخذ منها ما رضيت
به * والحرب يكفيك من انفاسها جرع * وقرئ بفتح السين وكسرها * وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان
الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله * وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
والصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب او سلم وليس بحتم ان
يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا * وقرأ الاشهب العقيلي فاجنح بضم النون * وتوكل على الله ولا تخف
من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد يريد بني
قريظة * فان حسبك الله قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم * ان تلبسوا حر الثياب وتشبعوا
* والف بين قلوبهم التاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة
لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى شيء والقائه بين اعينهم الى ان ينتقموا
لا يكاد يأتلف فيهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتحدوا وانشأوا يرمون
عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع من كلمتهم واحدث بينهم من التحاب والتواد واماط عنهم
من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما شاء ويصنع
فيها ما اراد * وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما اهلك ساداتهم ورؤساءهم ودق
جماجمهم ولم يكن لبغضائهم امد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس وعادة
كل طائفتين كانتا بهذه المثابة ان تتجنب هذه ما آثرته اختها وتكرهه وتنفر عنه فانساهم الله ذلك كله
حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا وعادوا اعوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته

يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين * يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن
منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون
الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف
يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين * ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض
تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب
عظيم

* ومن اتبعك الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لان عطف الظاهر المجرور على
المكنى ممتنع قال فحسبك والضحاك عضب مهند * والمعنى كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا او يكون
في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال * وعن ابن عباس
رضي الله عنه نزلت في اسلام عمر وعن سعيد بن جبير اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون
رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنهم فنزلت * التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه
المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت او ان تسميه حرضا وتقول له ما اراك الا حرضا في هذا الامر ومحرضا فيه
ليهيجه ويحرك منه * وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص وهذه الحركة وحرضه وحرصه
بمعنى وهذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون
الله وتاييده ثم قال * بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب
كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة

ويعدمون ما يستوجب النصر والاظهار من الله * وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة رضي الله عنه في ثلاثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلاثمائة راكب فقيل ثم ثقل عليهم
ذلك وضجوا منه بعد مدة طويلة فخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين * وقيل كان فيهم قلة في الابتداء
ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف * وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفا جمع ضعيف
وقرئ الفعل المسند الى المائة بالياء والتاء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة
والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك * فان قلت لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة
لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده * قلت للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لان
الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين
والالف الالفين * وقرئ للنبي على التعريف * واسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة
فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى تثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التي
هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء
والقهر ثم الاسر بعد ذلك * ومعنى ما كان ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل
فاما منا بعد واما فداء * وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه
وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم
فدية تقوي بها اصحابك * وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله
اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه
الصلاة والسلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من
الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر
مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب
عنق * وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء
فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين وفداء العباس اربعين اوقية * وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم
مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وستة دنانير * وروي انهم لما اخذوا الفداء نزلت الآية فدخل
عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت
وان لم اجد تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة
قريبة منه * وروي انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان
في القتل احب الي * عرض الدنيا حطامها سمي عرضا لانه حدث قليل اللبث يريد الفداء * والله يريد الآخرة
يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل * وقرئ يريدون بالياء * وقرأ بعضهم والله يريد
الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على حاله كقوله * ونار توقد بالليل نارا * ومعناه
والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعني ثوابها * والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه ويمكنهم منهم
قتلا واسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم يؤخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا وهم يعجلون * لولا كتاب من الله سبق
لولا حكم منه سبق اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب احدا بخطأ وكان هذا خطأ في الاجتهاد لانهم نظروا
في ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم
ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم واقل لشوكتهم * وقيل كتابه انه سيحل لهم الفدية التي اخذوها * وقيل ان اهل
بدر مغفور لهم * وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تاكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك * فكلوا مما
غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم * يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله

في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم • وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم • فكلوا مما غنمتم روي أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم إليها فنزلت • وقيل هو إباحة للفداء لأنه من جملة الغنائم • واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد إليكم فيه • فإن قلت ما معنى الفاء قلت التسبيب والسبب محذوف معناه قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم • حلالا نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أي أكلا حلالا • وقوله إن الله غفور رحيم معناه أنكم إذا اتقيتموه بعدما فرط منكم من استباحة الفداء قبل أن يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم • في أيديكم في ملكتكم كأن أيديكم قابضة عليهم • وقرئ من الأسرى • في قلوبكم خيرا خلوص إيمان وصحة نية • يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء إما أن يخلفكم في الدنيا أضعافه أو يثيبكم في الآخرة • وفي قراءة الأعمش يثبكم خيرا • وعن العباس أنه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يكن ما تذكره حقا فالله يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا وكان أحد الذين ضمنوا الطعام أهل بدر وخرج بالذهب لذلك • وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس افد ابني أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني أتكفف قريشا ما بقيت فقال له فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال أخبرني به ربي قال العباس فأنا أشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد ولقد دفعته إليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في أمرك فأما إذ أخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فأبدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفا وأعطاني زمزم وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربي • وروي أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ منه ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني وأرجو المغفرة • وقرأ الحسن وشيبة مما أخذ منكم على البناء للفاعل • وإن يريدوا خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الإسلام والردة واستحباب دين آبائهم فقد خانوا الله من قبل في كفرهم ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه • فأمكن منهم كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم إن عادوا إلى الخيانة • وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء • إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير • والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير • الذين هاجروا أي فارقوا أوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله هم المهاجرون • والذين آووهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم هم الأنصار • بعضهم أولياء بعض أي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض • وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر أي من توليهم في الميراث • ووجه الكسر أن تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كأنه بتوليه صاحبه يزاول أمرا ويباشر عملا • فعليكم النصر فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين • إلا على قوم منهم بينكم وبينهم عهد فإنه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لأنهم لا يبتدئون بالقتال إذ الميثاق مانع من ذلك • والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ظاهره إثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين أولئك بعضهم أولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وإيجاب مباعدتهم ومصارمتهم وإن كانوا أقارب وأن يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال • إلا تفعلوه أي إلا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الإسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل

فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة لأن المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا • وقرئ كثير بالثاء • والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم • والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم • أولئك هم المؤمنون حقا لأنهم صدقوا إيمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الأهل والانسلاخ من المال لأجل الدين وليس بتكرار لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والأولى للأمر بالتواصل • والذين آمنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة كقوله والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ألحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا • وأولوا الأرحام أولوا القرابات • أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة • في كتاب الله في حكمه وقسمته وقيل في اللوح وقيل في القرآن وهو آية المواريث وقد استدل به أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله على توريث ذوي الأرحام • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه بريء من النفاق وأعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته في الدنيا • صدق الله سبحانه وتعالى وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلاثون آية

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين

لها عدة أسماء • براءة • والتوبة • والمقشقشة • والمبعثرة • والمشردة • والمخزية • والفاضحة • والمثيرة • والحافرة • والمنكلة • والمدمدمة • وسورة العذاب لأن فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق أي تبرئ منه وتبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكل بهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم • وعن حذيفة رضي الله عنه إنكم تسمونها سورة التوبة وإنما هي سورة العذاب والله ما تركت أحدا إلا نالت منه • فإن قلت هلا صدرت بآية التسمية كما في سائر السور قلت سأل عن ذلك ابن عباس عثمان رضي الله عنهما فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزلت عليه السورة أو الآية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصة الأنفال فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين • وعن أبي بن كعب إنما توهموا ذلك لأن في الأنفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود • وسئل ابن عيينة فقال اسم الله سلام وأمان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام قيل فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد كتب إلى أهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال إنما ذلك ابتداء منه يدعوهم ولم ينبذ إليهم ألا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي إلى الله فأجاب ودعي إلى الجزية فأجاب فقد اتبع الهدى وأما النبذ فإنما هو البراءة واللعنة • وقيل سورة الأنفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطوال وهي سبع وما بعدها المئون • وقد اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الأنفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال إنهما سورتان وتركت بسم الله الرحمن الرحيم لقول من قال هما سورة واحدة • براءة خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة • ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الذنب والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان إلى فلان • ويجوز أن يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر إلى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار • وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة • وقرأ أهل نجران من الله بكسر النون

تكون به والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم **فان قلت** لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين **قلت** قد اذن الله في معاهدة المشركين اولا فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما انتقض العهد اوجب الله النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين ۝ واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم ۝ الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين **روي** انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر آمنين اين شاؤوا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور **وروي** ان ابا بكر رضي الله عنه لما كان ببعض الطريق هبط جبريل صلوات الله وسلامه عليه فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر رضي الله عنه فقال يا رسول الله اشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية وعن مجاهد ثلاث عشرة ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف ۝ وقيل انما امر ان لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض عهودها ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود فازيحت علتهم بتولية ذلك عليا رضي الله عنه **فان قلت** الاشهر الاربعة ما هي **قلت** عن الزهري ان براءة نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ۝ وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها ۝ وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة **فان قلت** ما وجه اتفاق اكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الاشهر الحرم وقد صانها الله عن ذلك **قلت** قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وابيح قتال المشركين فيها ۝ وغير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب ۝ واذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد ۝ والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء **فان قلت** اي فرق بين الجملة الاولى والثانية **قلت** تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت **فان قلت** لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس **قلت** لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث ۝ يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي ۝ وعن

علي رضي الله عنه ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر قال يومك هذا خل عن دابتي ۝ وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان اريد يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر ۝ وعن الحسن سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا ۝ وقرئ ان الله بالكسر لان الاذان في معنى القول ۝ ورسوله عطف على المنوي في بريء او على محل ان المكسورة واسمها ۝ وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم ۝ وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ۝ ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال ان كان الله بريئا من رسوله فانا منه بريء فلببه الرجل الى عمر رضي الله عنه فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر رضي الله عنه بتعلم العربية ۝ فان تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم ۝ وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي والاعراض عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير سابقين الله ولا فائتين اخذه وعقابه **فان قلت** مم استثني قوله الا الذين عاهدتم **قلت** وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ۝ ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين الفريقين فاتقوا الله في ذلك ۝ لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط ۝ ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشد ۝ لاهم اني ناشد محمدا ۝ حلف ابينا وابيه الاتلدا ۝ ان قريشا اخلفوك الموعدا ۝ ونقضوا ذمامك المؤكدا ۝ هم بيتونا بالحطيم هجدا ۝ وقتلونا ركعا وسجدا ۝ فقال عليه الصلاة والسلام لا نصرت ان لم انصركم ۝ وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة اي لم ينقضوا عهدكم ۝ ومعنى فاتموا اليهم عهدهم فادوه اليهم تاما كاملا ۝ قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ۝ فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم ۝ وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون ۝ انسلخ الشهر كقولك انجرد الشهر وسنة جرداء ۝ والاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا ۝ فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم ۝ حيث وجدتموهم من حل او حرم ۝ وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير ۝ واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد ۝ وعن ابن عباس رضي الله عنه حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام ۝ كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم ۝ فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله ۝ خل السبيل لمن يبني المنار به ۝ وعن ابن عباس رضي الله عنه دعوهم واتيان المسجد الحرام ۝ ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف منهم من الكفر والغدر ۝ احد مرتفع بفعل الشرط مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا يدخل على غيره ۝ والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن ويتبين ما بعثت له فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك داره التي يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت ۝ وعن الحسن هي محكمة الى يوم القيامة ۝ وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه جاء رجل من المشركين الى

على رضي الله عنه فقال الرجل منا ان يأتي محمدا صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او يأتيه بحاجة قتل قال لا لان الله يقول وان احد من المشركين استجارك الآية وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك اي ذلك الامر يعني الامر بالاجارة في قوله فاجره بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق **كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتأبى قلوبهم واكثرهم فاسقون** كيف استفهام في معنى الاستنكار او الاستبعاد لان يكون للمشركين عهد عند رسول الله وهم اضداد وغر صدورهم يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين عاهدتم اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين يعني ان التربص بهم من اعمال المتقين كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب يريد فكيف مات اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا فيكم الا لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وانشد لحسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رأل النعام وقيل الا الها وقرئ ايلا وقيل جبرئيل وجبرئل من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه ان اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه من الال وهو الجؤار وله اليل اي انين يرفع به صوته ودعت ألليها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابة لان القرابة تعقد بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد ثباتهم على العهد وإباء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون متخلعون لا مروءة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر احدوثة السوء **اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون** اشتروا استبدلوا بآيات الله بالقرآن والاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر ونقض العهد فاخوانكم فهم اخوانكم على حذف المبتدأ كقوله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم ونفصل الآيات ونبينها وهذا اعتراض كأنه قيل وان من تأمل تفصيلها فهو العالم تحريضا على تأمل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم آمنوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد صلى الله عليه وسلم بشيء فهم ائمة الكفر وذوو الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة

ايمانهم لا ايمان

انهم لا ايمان لهم جمع يمين وقرئ لا ايمان لهم اي لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه **فان قلت** كيف اثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم **قلت** اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعي رحمه الله يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم ان تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد **فان قلت** كيف لفظ ائمة **قلت** همزة بعدها همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن مقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان تكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف **الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم** الا تقاتلون دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدؤكم اول مرة اي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون بالقتال والبادئ اظلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بان لا تترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها فالله احق ان تخشوه فتقاتلوا اعداءه ان كنتم مؤمنين يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون احدا الا الله ولما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم انه يعذبهم بايديكم قتلا ويخزيهم اسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم ويشف صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبكم لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله وصحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة **ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين** ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة اي بطانة من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك والمخلص متوقع كائن وان الذين

قوله وبطانة كناية عن المجتمع

قوله ولما اي في لما معنى التوقع

لم يخلصوا دينهم يميز بينهم وبين المخلصين. وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله. والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل. والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك مني. ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام. أن يعمروا مساجد الله يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام. وأما القراءة بالجمع ففيها وجهان أحدهما أن يراد المسجد الحرام وإنما قيل مساجد لأنه قبلة المساجد كلها وإمامها فعامره كعامر جميع المساجد ولأن كل بقعة منه مسجد. والثاني أن يراد جنس المساجد وإذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لأن طريقه طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك. شاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته. ومعنى شهادتهم على أنفسهم بالكفر ظهور كفرهم وأنهم نصبوا أصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد أصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا بها شوطا سجدوا لها. وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك. وقيل أقبل المهاجرون والأنصار على أسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم وأغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال أولكم محاسن قالوا نعم ونحن أفضل منكم أجرا إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت. حبطت أعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة وإذا هدم الكفر أو الكبيرة الأعمال الثابتة الصحيحة إذا تعقبها فما ظنك بالمقارن وإلى ذلك أشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على أنهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم. إنما يعمر مساجد الله وقرئ بالتوحيد أي إنما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها. والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو أجله وأعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث. وعن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة. وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش. وقال عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره. وعنه عليه الصلاة والسلام من ألف المسجد ألفه الله. وقال صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان. وعن أنس رضي الله عنه من أسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه. **فإن قلت** هلا ذكر الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم **قلت** لما علم وشهر أن الإيمان بالله قرينته الإيمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والأذان والإقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كأنهما شيء واحد غير منفك أحدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الإيمان بالله الإيمان بالرسول. وقيل دل عليه بذكر إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. **فإن قلت** كيف قيل ولم يخش إلا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها **قلت** هي الخشية والتقوى في أبواب الدين وأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف وإذا اعترضه أمران أحدهما حق الله والآخر حق نفسه خاف الله فآثر حق الله على حق نفسه. وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم. فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لأطماعهم في الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها وأملوا عاقبتها بأن الذين آمنوا وضموا إلى إيمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون أنهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله. أجعلتم

سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين. الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون. يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم.

السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وأبي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام. والمعنى إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر. وروي أن المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت لهم اليهود أنتم أفضل. وقيل إن عليا قال للعباس يا عم ألا تهاجرون ألا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألست في أفضل من الهجرة أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما أراني إلا تارك سقايتنا فقال عليه الصلاة والسلام أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها خيرا. هم أعظم درجة عند الله من أهل السقاية والعمارة عندكم. وأولئك هم الفائزون لا أنتم والمختصون بالفوز دونكم. قرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف. وعن ابن عباس رضي الله عنه هي في المهاجرين خاصة. **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون. قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين.** كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم إيمانه إلا بأن يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك. وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم. وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم أحدكم طعم الإيمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله أبعد الناس ويبغض في الله أقرب الناس إليه. وقرئ وعشيراتكم وقرأ الحسن عشائركم. وهذه آية شديدة لا ترى أشد منها كأنها تنعي على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف أورع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والإخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله أم يزوي الله عنه أحقر شيء منها لمصلحته فلا يدري أي طرفيه أطول ويغويه الشيطان عن أجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كأنما وقع على أنفه ذباب فطيره. **لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين. ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين. ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم.** مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال:

وكم موطن لولاي طحت كما هوى ... بأجرامه من قلة النيق منهوي

وامتناعه من الصرف لأنه جمع على صيغة لم يأت عليها واحد. والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة. **فإن قلت** كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على المواطن **قلت** معناه وموطن يوم حنين أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على أن الواجب أن يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك

ان قلت اذ اعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك
المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي ان يكون ناصبه فعلا خاصا به الا اذا نصبت اذ باضمار اذكر • وحنين واد
بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا الذين حضروا فتح مكة منضما اليهم الفان
من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وعددهم اربعة الاف فيمن ضامهم من امداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا
قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقيل قائلها رسول الله وقيل ابو بكر
وذلك قوله اعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالا شديدا وادركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر
لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل
ليس معه الا عمه العباس اخذ بلجام دابته وابو سفيان بن الحارث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق
على تناهي شجاعته ورباطة جاشه وما هي الا من ايات النبوة وقال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا
صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون
لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلق فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال
هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس لكاني انظر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته • بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع اي مع رحبها وحقيقته
ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر اي ملتبسا بها لم احلها
يعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكانها ضاقت
عليكم • ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم • سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا • وعلى المؤمنين الذين انهزموا
وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب • وانزل جنودا يعني الملائكة وكانوا ثمانية
الاف وقيل خمسة الاف • وقيل ستة عشر الفا • وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري
• ثم يتوب الله اي يسلم بعد ذلك ناس منهم • وروي ان ناسا منهم جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه على
الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا • قيل
سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه
اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان هؤلاء جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده
سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا
رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء بان قد
رضوا • يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة
فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم • قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا
يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد
وهم صاغرون • النجس مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذوو نجس لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة
النجو ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها
مبالغة في وصفهم بها • وعن ابن عباس رضي الله عنه اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير • وعن الحسن من صافح
مشركا توضا واهل المذاهب على خلاف هذين القولين • وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف
الموصوف كانه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد في
كبد • فلا يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية • بعد عامهم بعد حج عامهم
هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله

ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون
من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم • وعند الشافعي رحمه الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة
• وعند مالك رحمه الله يمنعون منه ومن غيره من المساجد • وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين
ان لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه • وقيل المراد ان يمنعوا من
تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك • وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما
كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب • فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه
اخر فارسل السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام
وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفوته • وعن ابن عباس رضي الله عنه القى الشيطان في قلوبهم الخوف
وقال من اين تاكلون فامرهم الله بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية • وقيل بفتح البلاد والغنائم • وقرئ
عائلة بمعنى المصدر كالعافية او حالا عائلة • ومعنى قوله ان شاء ان اوجبت الحكمة اغناءكم وكان مصلحة
لكم في دينكم • ان الله عليم باحوالكم • حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب • من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين
مع ما في حيزه نفي عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة • وايمانهم باليوم الاخر لانهم فيه
على خلاف ما يجب • ويحرمون ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة • وعن ابي روق لا يعملون
بما في التوراة والانجيل • ولا يدينون دين الحق ولا يعتقدون دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل
دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده • سميت جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة
ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل • عن يد اما ان يراد يد المعطي او
الاخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد مواتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط
يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة
كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد احد
ولكن عن يد المعطي الى يد الاخذ • واما على ارادة يد الاخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية
او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم • وهم صاغرون اي تؤخذ
منهم على الصغار والذل وهو ان ياتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان
يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام
عند ابي حنيفة رحمه الله • وعند الشافعي لا تسقط • واختلف فيمن تضرب عليه الجزية فعند ابي حنيفة تضرب على
كل احد الا على مشركي العرب وحدهم • روى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على
الجزية الا من كان من العرب • وعند الشافعي لا تؤخذ من مشركي العجم • والماخوذ عند ابي حنيفة من الفقير
الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنى اربعة وعشرون ومن المكثر ثمانية واربعون ولا تؤخذ من
فقير لا كسب له • وعند الشافعي رحمه الله يؤخذ في اخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان او غنيا كان له كسب او لم يكن
• وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا
من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون • اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا
ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون • يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره
ولو كره الكافرون • هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
• عزير ابن الله مبتدا وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمي ...

قول من يقال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو
معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم • عن ابن عباس رضي الله
عنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا
ذلك • وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى صلوات الله وسلامه عليهم فرفع الله
عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل صلوات الله وسلامه عليه
فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التوراة فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله
التوراة في صدره وهو غلام الا لانه ابنه • والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية تليت عليهم فما انكروا ولا
كذبوا مع تهالكهم على التكذيب **فان قلت** كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم بافواههم **قلت**
فيه وجهان احدهما ان يراد انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ
المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب
وما لا معنى له مقول بالفم لا غير • والثاني ان يراد بالقول المذهب كقولهم قول ابي حنيفة رحمه الله يريدون مذهبه
وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في
القلوب وذلك انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد • يضاهون لا بد فيه من حذف
مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى
ان الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر
قديم فيهم غير مستحدث • او يضاهي قول المشركين الملائكة بنات الله • وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح
ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم • وقرئ يضاهئون بالهمزة من قولهم امرأة ضهيأ على فعيل وهي التي
ضاهأت الرجال في انها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما في غرقئ • قاتلهم الله اي هم احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا
من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما اعجب فعلهم • انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق اتخذوا
اربابا بان اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما احل الله كما تطاع الارباب في اوامرهم ونحوه تسمية
اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن يا ابت لا تعبد الشيطان • وعن عدي بن حاتم انتهيت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه
قلت بلى قال فتلك عبادتهم • وعن فضيل ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة • واما
المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين • وما
امروا الا ليعبدوا الها واحدا امرتهم بذلك ادلة العقل والنصوص في الانجيل والمسيح عليه الصلاة والسلام
انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة • سبحانه تنزيه له عن الاشراك به واستبعاد له • ويجوز ان يكون
الضمير في وما امروا لهؤلاء الذين هم عندهم ارباب اي لا يعبدوا الا الله ويوحدونه فكيف يصح ان يكونوا
اربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم • مثل حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق
والاضاءة • ليطفئه بنفخه ويطمسه • ليظهره ليظهر الرسول على الدين كله على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين
الحق على كل دين **فان قلت** كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا **قلت** قد اجري
ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفئوا بقوله ويابى الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره

يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم • يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون

معنى اكل الاموال على وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله واما على ان الاموال
يؤكل بها فهي سبب الاكل ومنه قوله يا كل كل ليلة اكافا • يريد علفا يشترى بثمن اكاف • ومعنى اكلهم بالباطل
انهم كانوا ياخذون الرشى في الاحكام والتخفيف والمسامحة في الشرائع • والذين يكنزون يجوز ان يكون اشارة الى
الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ البراطيل وكنز الاموال والضن
بها عن الانفاق في سبيل الخير • ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود
والنصارى تغليظا ودلالة على ان من ياخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم من طيب ماله سواء في استحقاق البشارة
بالعذاب الاليم • وقيل نسخت الزكاة اية الكنز • وقيل هي ثابتة وانما عنى بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكاة • وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ما ادي زكاته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا
وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا سأله عن ارض له باعها فقال احرز مالك الذي اخذت احفر له تحت فراش امراتك
قال اليس بكنز قال ما ادي زكاته فليس بكنز • وعن ابن عمر رضي الله عنهما كل ما اديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع
ارضين وما لم تؤد زكاته فهو الذي ذكره الله وان كان على ظهر الارض **فان قلت** فما تصنع بما روى سالم بن الجعد
انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا له اي مال نتخذ قال
لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة صالحة تعين احدكم على دينه • وبقوله صلى الله عليه وسلم من ترك صفراء
او بيضاء كوي بها • وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية • وتوفي اخر فوجد في
مئزره ديناران فقال كيتان **قلت** كان هذا قبل ان تفرض الزكاة فاما بعد فرض الزكاة فالله اعدل واكرم من
ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له ويؤدي عنه ما اوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن
بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار
للافضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء حد وما روي عن علي
رضي الله عنه اربعة الاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام في الافضل **فان قلت** لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان
قلت ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو
كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا • وقيل ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال • وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب
كما ان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب • وقيار كذلك **فان قلت** لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال **قلت**
لانهما قانون التمول واثمان الاشياء ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر اجناس
المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما **فان قلت** ما معنى قوله يحمى عليها وهلا قيل تحمى من قولك حمي الميسم
واحميته ولا تقول احميت على الحديد **قلت** معناه ان النار تحمى عليها اي توقد ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية
ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى **فان قلت** فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل **قلت** لانه مسند الى
الجار والمجرور اصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما
تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير • وعن ابن عامر انه قرأ تحمى بالتاء • وقرأ ابو حيوة فيكوى
بالياء **فان قلت** لم خصت هذه الاعضاء **قلت** لانهم لم يطلبوا باموالهم حين لم ينفقوها في سبيل الله
الا الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وان يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل
ويحيون بالاكرام ويحتشمون ومن ملاذ طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها
على ظهورهم كما ترى اغنياء زماننا هذه اغراضهم وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم قط قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور • وقيل لانهم كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه
مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم • وقيل معناه يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم
وجنوبهم • هذا ما كنزتم على ارادة القول • وقوله لانفسكم اي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل

لها الاغراض التي حامت حولها وما علمتم انكم كنزتموها لتستضروا به انفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم • فذوقوا ما كنتم
تكنزون • وقرئ تكنزون بضم النون اي وبال المال الذي كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين • ان عدة الشهور
عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم
فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين • في كتاب
الله فيما اثبته واوجبه من حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقيل في اللوح • اربعة حرم ثلاثة سرد ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه الصلوة والسلام في خطبته في حجة الوداع الا
ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه
وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة
ابي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة • ذلك الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم
دين ابراهيم واسمعيل عليهما الصلوة والسلام وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما فكانوا يعظمون الاشهر
الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه • وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة
حتى احدثت النسيء فغيروا • فلا تظلموا فيهن في الحرم انفسكم اي لا تجعلوا حرامها حلالا • وعن عطاء بالله
ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراساني احلت القتال
في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله • وقيل معناه لا تاثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم اشهر الحج بقوله فمن
فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال وان كان ذلك محرما في سائر الشهور • كافة حال من الفاعل او المفعول
به • مع المتقين ناصرهم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها • انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين
كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم
والله لا يهدي القوم الكافرين • النسيء تاخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات
فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا
تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم وكانوا يحرمون من بين شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله • ليواطئوا عدة ما حرم
الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو احد الواجبين وربما زادوا
في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر او اربعة عشر يعني من غير زيادة زادوها • والضمير في يحلونه ويحرمونه
للنسيء اي اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل وروي انه حدث ذلك في كنانة لانهم
كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول
باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم
فحرموه • جعل النسيء زيادة في الكفر لان الكافر كلما احدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما
ان المؤمن اذا احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون • وقرئ يضل على البناء للمفعول
ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على اسناد الفعل لله عز وجل • وقرا الزهري ليوطئوا بالتشديد • والنسيء
مصدر نسأه اذا اخره نسأ ونساء ونسيئا كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا • وقرئ بهن جميعا • وقرئ
النسي بوزن الندي • والنسي بوزن النهي وهما بوزن النسيء والنسي • فان قلت ما معنى قوله فيحلوا ما حرم
الله • قلت معناه فيحلوا بمواطاة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال او من ترك
الاختصاص للشهر بعينها • زين لهم سوء اعمالهم خذلهم الله فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة • والله لا يهدي
اي لا يلطف بهم بل يخذلهم • وقرئ زين لهم سوء اعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل • يا ايها الذين
آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فما متاع

الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل • الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا
والله على كل شيء قدير • اثاقلتم تثاقلتم وبه قرأ الاعمش اي تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد
فعدي بالى والمعنى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه اخلد الى الارض واتبع هواه • وقيل
ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم • وقرئ اثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الانكار والتوبيخ فان قلت
فما العامل في اذا وحرف الاستفهام مانع ان يعمل فيه • قلت ما دل عليه او ما في ما لكم من معنى الفعل كانه
قيل ما تصنعون اذا قيل لكم كما تعمل في الحال اذا قلت ما لك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من
الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم • وقيل ما خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة الا ورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة • من الاخرة
بدل الاخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة • في الاخرة في جنب الاخرة • الا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين حيث
اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم
في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا • وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه لان الله وعد له ان يعصمه من الناس •
الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا
فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله
عزيز حكيم • [illegible] • وقيل يريد بقوله قوما غيركم اهل اليمن • وقيل ابناء فارس والظاهر
مستغن عن التخصيص • فان قلت كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا للشرط • قلت فيه وجهان احدهما
ان لا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا اقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله
على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت • والثاني انه اوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل
من بعده • واسند الاخراج الى الكفار كما اسند اليهم في قوله من قريتك التي اخرجتك لانهم حين هموا باخراجه
اذن الله له في الخروج فكانهم اخرجوه • ثاني اثنين كقوله ثالث ثلاثة • وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي
الله عنه • يروى ان جبريل صلوات الله وسلامه عليه لما امره بالخروج قال من يخرج معي قال ابو بكر وانتصابه على الحال
• وقرئ ثاني اثنين بالسكون • واذ هما بدل من اذ اخرجه • والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة
ساعة مكثا فيه ثلاثا • اذ يقول بدل ثان • قيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه الصلوة والسلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما • وقيل لما دخلا الغار
بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم
ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه • وقالوا من انكر صحبة ابي
بكر رضي الله عنه فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة • سكينته ما القى في قلبه من الامنة التي سكن
عندها وعلم انهم لا يصلون اليه • والجنود الملائكة يوم بدر ويوم الاحزاب وحنين • كلمة الذين كفروا دعوتهم الى الكفر
• وكلمة الله دعوته الى الاسلام • وقرئ وكلمة الله بالنصب والرفع اوجه وهي فصل او مبتدا وفيها تاكيد فضل
كلمة الله في العلو وانها المختصة به دون سائر الكلم • انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل
الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون • عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين
• لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين •
خفافا وثقالا خفافا في النفور لنشاطكم له • وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم واذيالكم وثقالا
لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا • او مهازيل وسمانا او صحاحا
ومراضا • وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على
الاعمى حرج • وعن ابن عباس رضي الله عنه نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى • وعن صفوان بن

عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد أعذر الله إليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا ألا إنه من يحبه يبتليه • وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له إنك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فإن لم يمكنني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع • وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم إيجاب للجهاد بهما إن أمكن أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة • العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر أي لو كان ما دعوا إليه غنما قريبا سهل المنال • وسفرا قاصدا وسطا مقاربا • الشقة المسافة الشاطة الشاقة • وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين والشين ومنه قوله • يقولون لا تبعد وهم يدفنونني • وأين مكان البعد إلا مكانيا • بالله متعلق بسيحلفون أو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين أي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا • وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا والإخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات • ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الأبدان كأنهم تمارضوا • وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت • يهلكون أنفسهم إما أن يكون بدلا من سيحلفون أو حالا بمعنى مهلكين والمعنى أنهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل أن يكون حالا من قوله لخرجنا أي لخرجنا معكم وإن أهلكنا أنفسنا وألقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لأنه مخبر عنهم ألا ترى أنه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولأفعلن فالغيبة على حكم الإخبار والتكلم على الحكاية • عفا الله عنك كناية عن الجناية لأن العفو رادف لها ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت • ولم أذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالإذن • حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه • وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما إذنه للمنافقين وأخذه من الأسارى فعاتبه الله • لا يستأذنك ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والأنصار يقولون لا نستأذن النبي صلى الله عليه وسلم أبدا ولنجاهدن معه أبدا بأموالنا وأنفسنا • ومعنى أن يجاهدوا في أن يجاهدوا أو كراهة أن يجاهدوا • والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم بأجزل الثواب • إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون • ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين • لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين • لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون • ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين • إنما يستأذنك يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا • يترددون عبارة عن التحير لأن التردد ديدن المتحير كما أن الثبات والاستقرار ديدن المستبصر • وقرئ عُدَّه بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال • واخلفوك عد الأمر الذي وعدوا من حذف تاء التأنيث وتعويض المضاف إليه منها • وقرئ عِدَّه بكسر العين بغير إضافة وعدة بإضافة • فإن قلت كيف موقع حرف الاستدراك • قلت لما كان قوله ولو أرادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل • ولكن كره الله انبعاثهم كأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما أحسن إلي زيد ولكن أساء إلي • فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث • وقيل اقعدوا جعل إلقاء الله في قلوبهم كراهة الخروج أمرا بالقعود • وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة

وقيل هو قولهم لأنفسهم • وقيل هو إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم في القعود • فإن قلت كيف جاز أن يوقع الله في نفوسهم كراهة الخروج إلى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن إلهام القبيح • قلت خروجهم مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا فكان إيقاع كراهة الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة • فإن قلت فلم خطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإذن لهم فيما هو مصلحة • قلت لأن إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم لم يكن للنظر في تحري المصلحة ولا لعلمه بها إلا بعد القفول بإعلام الله ولكن لأنهم استأذنوه واعتذروا إليه فكان عليه أن يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم أتاه العتاب • ويجوز أن يكون في تزيين رسول الله صلى الله عليه وسلم الإذن لهم مع تثبيط الله إياهم مصلحة أخرى فبإذنهم فقدت تلك المصلحة وذلك أنهم إذا ثبطهم الله ولم ينبعثوا وكان قعودهم بغير إذن رسول الله قامت عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك أستارهم وكشف أسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر • فإن قلت ما معنى قوله مع القاعدين • قلت هو ذم لهم وتعجيز وإلحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف • الإخبال ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون لأن الاستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا إلا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من أعم العام الذي هو الشيء وكان الاستثناء متصلا لأن الخبال بعض أعم العام كأنه قيل ما زادوكم شيئا إلا خبالا والخبال الفساد والشر • ولأوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وإفساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا إذا أسرع وأوضعته أنا والمعنى ولأوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الإسراع بالنمائم لأن الراكب أسرع من الماشي • وقرأ ابن الزبير ولأرقصوا من رقصت الناقة رقصا إذا أسرعت وأرقصتها • قال • [illegible] • وقرئ ولأوفضوا • فإن قلت كيف خط في المصحف ولا أوضعوا بزيادة الألف • قلت كانت الفتحة تكتب ألفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الألف أثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفا وفتحتها ألفا أخرى ونحوه أو لأذبحنه • يبغونكم الفتنة يطلبون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم • وفيكم سماعون لهم أي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم • والله عليم بالظالمين • لقد ابتغوا الفتنة من قبل • وقلبوا لك الأمور ودبروا لك الحيل والمكايد • حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون • ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة • ألا في الفتنة سقطوا • وإن جهنم لمحيطة بالكافرين • إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون • قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون • قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا • في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة • تسؤهم وإن تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم أحد

تُحِد * يفرحوا بحالهم في الانصراف عنك ويقولوا قد اخذنا امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم * من قبل من قبل ما وقع * ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى اهاليهم * وهم فرحون مسرورون * وقيل تولوا اعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * قرا ابن مسعود رضي الله عنه هل يصيبنا * وقرا طلحة هل يصيّبنا بتشديد الياء ووجهه ان يكون يفيعل لا يفعّل لانه من بنات الواو كقولهم الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب في جمع مصيبة فحق يفعّل منه يصوّب الا ترى الى قولهم صوّب رايه الا ان يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومنه قوله * اسهمي الصائبات والصيب * واللام في قوله الا ما كتب الله لنا مفيدة معنى الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من النصرة عليكم او الشهادة الا ترى الى قوله هو مولانا اي الذي يتولانا ونتولاه ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم * وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم * الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة * ونحن نتربص بكم احدى السوأيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود * او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر * فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا * انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد ان يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه * قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين * وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون * انفقوا يعني في سبيل الله ووجوه البر طوعا او كرها نصب على الحال اي طائعين او مكرهين **فان قلت** كيف امرهم بالانفاق ثم قال لن يتقبل منكم **قلت** هو امر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم * وقوله اسيئي بنا او احسني لا ملومة * اي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم او لم تستغفر لهم ولا نلومك اسات الينا او احسنت **فان قلت** متى يجوز نحو هذا **قلت** اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا وغفر له **فان قلت** لم فعل ذلك **قلت** لنكتة فيه وهي ان كثيرا كانه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت او محسنة * وفي معناه قول القائل اخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا * لتضربه لم يستغشك في الود * وكذلك المعنى انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه **فان قلت** ما الغرض في نفي التقبل اهو كون رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل منهم ويرده عليهم ام هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا هباء لا ثواب له **قلت** يحتمل الامرين جميعا وقوله طوعا او كرها معناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله او ملزمين وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه او طائعين من غير اكراه من رؤسائكم لان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون فيه من المصلحة او مكرهين من جهتهم * وروي انها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالي اعينك به فاتركني * انكم تعليل لرد انفاقهم * والمراد بالفسق التمرد والعتو * انهم فاعل منع وهم وان تقبل مفعولاه * وقرئ يتقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد * وقرا السلمي ان يقبل منهم نفقاتهم على ان الفعل لله عز وجل * كسالى بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وحيارى في سكران وحيران وكسلهم لانهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين * وقرات في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الاية وان الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي ان يسنده المؤمن الى نفسه **فان قلت** الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله طائعين في قوله طوعا ثم وصفهم بانهم لا ينفقون الا وهم كارهون **قلت** المراد

يطوعهم

بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم او من رؤسائهم وما طوعهم ذاك الا عن كراهية واضطرار لا عن رغبة واختيار * فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون * ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون * لو يجدون ملجا او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون * ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون * ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون * الاعجاب بالشيء ان تسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما اوتوا من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن عينيك فان الله انما اعطاهم ما اعطاهم للعذاب بان عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالافات والمصائب وكلفهم الانفاق منه في ابواب الخير وهم كارهون له على رغم انوفهم واذاقهم انواع الكلف والمجاشم في جمعه واكتسابه وفي تربية اولادهم **فان قلت** ان صح تعليق التعذيب بارادة الله فما بال زهوق انفسهم وهم كافرون **قلت** المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد الله ان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة * لمنكم لمن جملة المسلمين * يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية * ملجا مكانا يلجؤون اليه متحصنين به من راس جبل او قلعة او جزيرة * او مغارات او غيرانا * وقرئ بضم الميم من اغار الرجل وغار اذا دخل الغور * وقيل هو تعدية غار الشيء وغرته انا يعني امكنة يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومغار * او مدخلا او نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول * وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا من ادخل مكانا يدخلون فيه انفسهم * وقرا ابي بن كعب رضي الله عنه متدخلا * وقرئ لوالوا اليه لالتجؤوا اليه * يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام * وقرا انس رضي الله عنه يجمزون * فسئل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد * يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك * قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل * وقيل هو ابو الجواظ من المنافقين قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال عليه الصلوة والسلام احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون * وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك بالتثقيل والبناء على المفاعلة من اللمز * ثم وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه * واذا للمفاجاة اي وان لم يعطوا منها فاجؤوا السخط * جواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى فيؤتينا رسول الله اكثر مما اتانا اليوم * انا الى الله في ان يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون * انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم * انما الصدقات للفقراء قصر جنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها وعليه مذهب ابي حنيفة رحمه الله وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم انهم قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزاك * وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الي * وعند الشافعي رحمه الله لا بد من صرفها الى الاصناف * وعن عكرمة انها تفرق في الاصناف الثمانية * وعن الزهري انه كتب لعمر بن عبد العزيز

تفريق الصدقات على الأصناف الثمانية • والعاملين عليها السعاة الذين يقبضونها • والمؤلفة قلوبهم أشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم على أن يسلموا فيرضخ لهم شيئاً منها حين كان في المسلمين قلة • وفي الرقاب للمكاتبين يعاونون منها • وقيل الأسارى • وقيل تبتاع الرقاب فتعتق • والغارمين الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب • وقيل الذين يتحملون الحمالات فتداينوا فيها وغرموا • وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم • وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله • فريضة في معنى المصدر المؤكد لأن قوله إنما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم • وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة • فإن قلت لم عدل عن اللام إلى في في الأربعة الأخيرة • قلت للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لأن في للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصباً وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والإنقاذ ولجمع الغازي الفقير أو المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين • فإن قلت فكيف وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم • قلت دل بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسماً لأطماعهم وإشعاراً باستيجابهم الحرمان وأنهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها •

ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم • يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين •

الأذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته أذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين • وإيذاؤهم له هو قولهم فيه هو أذن • وأذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الأذن • ويجوز أن يريد هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن في غير ذلك ودل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفاً عليه أي هو أذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه أذن خير بأنه يصدق بالله لما قام عنده من الأدلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والأنصار وهو رحمة لمن آمن منكم أي أظهر الإيمان أيها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل إيمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما رأى من المصلحة في الإبقاء عليكم فهو أذن كما قلتم إلا أنه أذن خير لكم لا أذن سوء فسلم لهم قولهم فيه إلا أنه فسره بما هو مدح له وثناء عليه وإن كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وأنه من أهل سلامة القلوب والغرة • وقيل إن جماعة منهم ذموه وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فإنما هو أذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فإذا جئناه ونحن نأتيه واعتذرنا إليه ويسمع عذرنا أيضاً فيرضى فقيل هو أذن خير لكم • وقرئ أذن خير لكم على أن أذن خبر مبتدأ محذوف وخير كذلك أي هو أذن هو خير لكم يعني إن كان كما تقولون فهو خير لكم لأنه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم • وقرأ نافع بتخفيف أذن • فإن قلت لم عدي فعل الإيمان بالباء إلى الله وإلى المؤمنين باللام • قلت قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به فعدي بالباء وقصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدي باللام ألا ترى إلى قوله وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما أنباه عن الباء ونحوه فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه أنؤمن لك واتبعك الأرذلون آمنتم له قبل أن آذن لكم • فإن قلت ما وجه قراءة ابن أبي عبلة ورحمة بالنصب • قلت هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم يأذن لكم فحذف لأن قوله أذن خير لكم يدل عليه • ليرضوكم الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم إن كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وإنما وحد الضمير

لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضي واحد كقولك إحسان زيد وإجماله نعشني وجبر مني أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك • ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم • يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤوا إن الله مخرج ما تحذرون • ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون • لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين •

المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق • فأن له على حذف الخبر أي فحق أن له نار جهنم • وقيل معناه فله وأن تكرير لأن في قوله أنه توكيداً ويجوز أن يكون فأن له معطوفاً على أنه على أن جواب من محذوف تقديره ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فأن له نار جهنم • وقرئ ألم تعلموا بالتاء • كانوا يستهزئون بالإسلام وأهله وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا أرانا إلا شر خلق الله لوددت أني قدمت فجلدت مائة جلدة وأن لا ينزل فينا شيء يفضحنا • والضمير في عليهم وتنبئهم وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لأن المعنى يقود إليه ويجوز أن يكون الضمائر للمنافقين لأن السورة إذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم • ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كأنها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت يعني أنها تذيع أسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنها تخبرهم بها • وقيل معنى يحذر الأمر بالحذر أي ليحذر المنافقون • فإن قلت الحذر واقع على إنزال السورة في قوله يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة فما معنى قوله مخرج ما تحذرون • قلت معناه محصل مبرز إنزال السورة • أو إن الله مخرج لما ظهر ما كنتم تحذرون أي تحذرون إظهاره من نفاقكم • بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا علي الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكنا كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر • أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لم يعبأ باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجود منهم حتى وبخوا بأخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير وذلك إنما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته • لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فإنها لا تنفعكم بعد ظهور سركم • قد كفرتم قد أظهرتم كفركم باستهزائكم • بعد إيمانكم بعد إظهاركم الإيمان • إن نعف عن طائفة منكم بإحداثهم التوبة وإحداث الإيمان بعد النفاق • نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه • أو إن يعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ولم يستهزئوا فلم نعذبهم في العاجل نعذب في العاجل طائفة بأنهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله صلى الله عليه وسلم مستهزئين • وقرأ مجاهد تعف عن طائفة على البناء للمفعول مع التأنيث والوجه التذكير لأن المسند إليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب إلى المعنى كأنه قيل إن ترحم طائفة فأنث لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة إن يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة بالتأنيث • وقرئ إن يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله عز وجل •

المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون • وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم •

بعضهم من بعض أريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله إنهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين • يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي • وينهون عن المعروف عن الإيمان والطاعات • ويقبضون أيديهم شحاً بالمبار والصدقات والإنفاق في سبيل الله • نسوا الله أغفلوا ذكره • فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله • هم الفاسقون هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجراً أن يلم بما يكتسب هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين

بالغ في ذمهم واذا ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلم ان يقول كسلت لان المنافقين وصفوا بالكسل في قوله
كسالى فلعله ظنك بالفسق • خالدين فيها مقدرين الخلود • هي حسبهم دلالة على عظم عذابها وانه لا شيء ابلغ منه
وانه بحيث لا يزاد عليه • ولعنهم الله واهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين
ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم اهل الجنة والحقهم بالملائكة المكرمين • ولهم عذاب مقيم ولهم نوع
من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار • ويجوز ان يريد ولهم عذاب معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو
ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة
ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم • كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا
فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم
كالذي خاضوا اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك هم الخاسرون • الم يأتهم
نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين والمؤتفكات اتتهم رسلهم
بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون • الكاف محلها رفع على انتم مثل الذين من
قبلكم او نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا ونحوه
قول النمر كاليوم مطلوبا ولا طلبا • باضمار لا ارى • وقوله كانوا اشد منكم تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم
والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان اي قدر من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب اي اثبت
والخوض الدخول في الباطل واللهو • كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوا • فان قلت
اي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما اغنى قوله
كالذي خاضوا عن ان يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا • قلت فائدته ان يذم الاولين بالاستمتاع
بما اوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة
وان يخسس امر الاستمتاع ويهجن امر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد ان تنبه
بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وانت تفعل مثل
فعله واما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة
حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة نقيض قوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين •
واصحاب مدين وهم قوم شعيب • والمؤتفكات مدائن قوم لوط عليهم الصلوة والسلام • وقيل قريات قوم لوط
وهود وصالح وائتفاكهن انقلاب احوالهن عن الخير الى الشر • فما كان الله ليظلمهم فما صح منه ان يظلمهم وهو
حكيم لا يجوز عليه القبيح وان يعاقبهم بغير جرم • ولكن ظلموا انفسهم حيث كفروا فاستحقوا عقابه • والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم • وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو
الفوز العظيم • بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض • سيرحمهم الله السين
مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سأنتقم منك يوما تعني انك لا تفوتني وان تباطأ
ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك سوف نؤتيهم اجورهم • عزيز غالب على كل شيء قادر
عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب • حكيم واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق • ومساكن طيبة عن
الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد • وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن
ويدل عليه ما روى ابو الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها
عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك

وقيل هي مدينة في الجنة • وقيل نهر جناته على حافاته • ورضوان من الله اكبر وشيء من رضوان الله اكبر من ذلك كله لان
رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة اكبر اصناف الثواب ولان
العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر في نفسه مما وراءه من النعم وانما تتهنأ له برضاه كما اذا علم بسخطه تنغصت
عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت • وسمعت بعض اولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني
ولا تنازع نفسي الى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع الى رضاه عني وان احشر في زمرة المهديين
المرضيين عنده • ذلك اشارة الى ما وعد او الى الرضوان اي هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا
وروي ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا
من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم
ابدا • يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير • يحلفون
بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله
ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة وما لهم في
الارض من ولي ولا نصير • جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة • واغلظ عليهم في الجهادين جميعا ولا تحابهم
وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما امكن • عن ابن
مسعود رضي الله عنه ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه يريد
الكراهة والبغضاء والتبري منه • وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها
اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين
فيسمع من معه منهم منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم
وهم ساداتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا لصادق وانت
شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر رضي الله عنه يده
فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق • يحلفون بالله ما قالوا فقال الجلاس يا رسول
الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته • وكفروا بعد اسلامهم
واظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام • وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك
عند مرجعه من تبوك توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ
عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف
الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا • وقيل هم المنافقون
بقتل عامر لرده على الجلاس • وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما نقموا وما انكروا وعابوا • الا ان اغناهم الله وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في
ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بديته اثني عشر الفا فاستغنى • فان يتوبوا هي الآية التي تاب عندها الجلاس • في الدنيا والآخرة
بالقتل والنار • ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين • فلما آتاهم من فضله
بخلوا به وتولوا وهم معرضون • فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما
كانوا يكذبون • الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب • وروي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله
ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه الصلوة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه
وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود
حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل

كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال عليه الصلاة والسلام يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية وقال
ارجعا حتى أرى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين
فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه الصلاة والسلام إن الله منعني أن أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها
إلى أبي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها إلى عمر فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان ۞ وقرئ لنصدقن ولنكونن
بالنون الخفيفة فيهما ۞ من الصالحين قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الحج ۞ فأعقبهم عن الحسن وقتادة أن
الضمير للبخل يعني فأورثهم البخل ۞ نفاقاً متمكناً ۞ في قلوبهم لأنه كان سبباً فيه وداعياً إليه والظاهر أن الضمير
لله عز وجل والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها إلى أن يموتوا بسبب إخلافهم
ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومن جعل خلف الوعد ثلث النفاق ۞ وقرئ يكذبون
بالتشديد ۞ ألم تعلموا بالتاء عن علي رضي الله عنه سرهم ونجواهم ما أسروه من النفاق والعزم على إخلاف ما وعدوه
وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها ۞ الذين يلمزون المطوعين
من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم
استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله
والله لا يهدي القوم الفاسقين ۞ الذين يلمزون نصب أو رفع على الذم ويجوز أن يكون في محل الجر بدلاً
من الضمير في سرهم ونجواهم ۞ وقرئ يلمزون بالضم ۞ المطوعين المتطوعين روي أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بأربعين أوقية من ذهب ۞ وقيل بأربعة آلاف درهم
وقال كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت أربعة لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك
الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين ألفاً ۞ وتصدق
عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين
فتركت صاعاً لعيالي وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات فلمزهم
المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب
أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت ۞ إلا جهدهم إلا طاقتهم قرئ بالفتح والضم ۞ سخر الله منهم كقوله الله
يستهزئ بهم في أنه خبر غير دعاء ألا ترى إلى قوله ولهم عذاب أليم ۞ سأل عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان رجلاً صالحاً أن يستغفر لأبيه في مرضه ففعل فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام إن الله قد
رخص لي فسأزيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وقد ذكرنا أن هذا الأمر في معنى
الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم ولن تفيد معنى الشرط وذكرنا النكتة في مجيئه على لفظ الأمر ۞ والسبعون جار مجرى
المثل في كلامهم للتكثير قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصبحن العاص وابن العاص ۞ سبعين ألفاً عاقدي النواصي
فإن قلت كيف خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته
والذي يفهم من هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بأنهم كفروا الآية فبين الصارف عن المغفرة
لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسأزيد على السبعين قلت لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال إظهاراً لغاية رحمته
ورأفته على من بعث إليه كقول إبراهيم ومن عصاني فإنك غفور رحيم وفي إظهار النبي الرحمة والرأفة لطف لأمته
ودعاء لهم إلى ترحم بعضهم على بعض فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم
وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون ۞ المخلفون الذين استأذنوا

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين فخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم
والشيطان ۞ بمقعدهم بقعودهم عن الغزو ۞ خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه يقال أقام خلاف الحي بمعنى
بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة أبي حيوة خلف رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة لأنهم خالفوه
حيث قعد ونهض وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أي قعدوا لمخالفته أو مخالفين له ۞ وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم
وأنفسهم تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا من بذل أموالهم وأرواحهم في سبيل
الله وإيثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث
الإيمان وداعي الإيقان ۞ قل نار جهنم أشد حراً استجهال لهم لأن من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك
التصون في مشقة الأبد كان أجهل من كل جاهل ۞ ولبعضهم ۞ مسرة أحقاب تلقيت بعدها ۞ مساءة يوم أريها
شبه الصاب ۞ فكيف بأن تلقى مسرة ساعة ۞ وراء تقضيها مساءة أحقاب ۞ فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً
جزاء بما كانوا يكسبون ۞ معناه فسيضحكون قليلاً ويبكون كثيراً جزاء إلا أنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على
أنه حتم واجب لا يكون غيره ۞ روي أن أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ۞ فإن
رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً إنكم
رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ۞ وإنما قال إلى طائفة لأن منهم من تاب عن النفاق وندم
على التخلف أو اعتذر بعذر صحيح ۞ وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فأراد بالطائفة المنافقين منهم
فاستأذنوك للخروج يعني إلى غزوة بعد غزوة تبوك ۞ أول مرة هي الخرجة إلى غزوة تبوك وكان إسقاطهم عن ديوان
الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله أنه لم يدعهم إليه إلا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين ۞ مع الخالفين
قد مر تفسيره ۞ وقرأ مالك بن دينار رحمة الله عليه مع الخلفين على قصر الخالفين ۞ فإن قلت مرة نكرة
وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف إليها وهو دال على واحدة من المرات ۞ قلت أكثر
اللغتين هند أكبر النساء وهي أكبرهن ثم إن قولك هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي أكبر امرأة وأول امرأة وآخر
امرأة ۞ وعن قتادة ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلاً قيل فيهم ما قيل ۞ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً
ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ۞ روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم
على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن أبي بعث إليه ليأتيه فلما دخل عليه قال أهلكك
حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت إليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله أن يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه
فلما مات دعاه ابنه حباب إلى جنازته فسأله عن اسمه فقال أنت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم
بالصلاة عليه قال له عمر رضي الله عنه أتصلي على عدو الله فنزلت ۞ وقيل أراد أن يصلي عليه فجذبه جبريل عليه
السلام ۞ فإن قلت كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه ۞ قلت كان ذلك مكافأة له على صنيع
سبق له وذلك أن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخذ أسيراً ببدر لم يجدوا له قميصاً وكان رجلاً
طوالاً فكساه عبد الله قميصه وقال المشركون يوم الحديبية إنا لا نأذن لمحمد ولكنا نأذن لك فقال لا إن لي في رسول الله
أسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك وإجابة له إلى مسألته إياه فقد كان عليه الصلاة والسلام
لا يرد سائلاً وكان يتوفر على دواعي المروءة ويعمل بعادات الكرام وإكراماً لابنه الرجل الصالح فقد روي أنه قال له أسألك أن تكفنه
في بعض قمصانك وأن تقوم على قبره لا يشمت به الأعداء وعلماً بأن تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه
وبين غيره من الأكفان وليكون إلباسه إياه لطفاً لغيره فقد روي أنه قيل له لم وجهت إليه بقميصك وهو كافر
فقال إن قميصي لن يغني عنه من الله شيئاً وإني أؤمل من الله أن يدخل في الإسلام كثير بهذا السبب فيروى أنه أسلم
ألف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء
إلى التراحم والتعاطف لأنهم إذا رأوه يترحم على من يظهر الإيمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم إلى أن يتعطف على

قوله وكره ذلك إشارة إلى ما فعله المؤمنون م

رقأ الدمع يرقأ رقأً ورقوءاً سكن ع

يقال فلان نخالفة أهل بيته ومخالف أهل بيته إذا كان لا خير فيه م

من فظاظة قلبه بلسانه ورآه مختماً عليه فان قلت فكيف جازت الصلاة عليه قلت لم يتقدم نهي
عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ما ادري ما هذه الصلاة الا اني اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخادع • مات صفة لاحد وانما قيل مات
وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة • انهم كفروا تعليل
للنهي • ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون •
واذا انزلت سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين
رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون • وقد اعيد قوله ولا تعجبك لان تجدد النزول
له شأن في تقرير ما نزل له وتأكيده وارادة ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل
به مهم يفتقر الى فضل عناية به لا سيما اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه الشيء الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه في اثناء
حديثه ويتخلص اليه وقلما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه • واذا انزلت سورة يجوز ان تراد السورة
بتمامها وان يراد بعضها في قوله واذا انزلت سورة كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه • وقيل هي براءة لان
فيها الامر بالايمان والجهاد • ان آمنوا بان آمنوا • اولوا الطول ذوو الفضل والسعة من طال عليه طولاً • مع
القاعدين مع الذين لهم علة وعذر في التخلف • فهم لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف
من الشقاء والهلاك • لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك
هم المفلحون • اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم • لكن الرسول اي ان
تخلف هؤلاء فقد نهد الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية ومعتقداً كقوله عز وجل فان يكفر بها هؤلاء
فقد وكلنا بها قوماً فان استكبروا فالذين عند ربك • الخيرات تتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ
وقيل الحور لقوله تعالى فيهن خيرات • وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله
ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم • المعذرون من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى
ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذراً فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل
حركتها الى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع للميم ولكن لم يثبت بهما قراءة
وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم • وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو
الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه • وقيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالاً وان بنا جهداً فائذن
لنا في التخلف • وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طي على اهالينا ومواشينا
فقال صلى الله عليه وسلم سيغنيني الله عنكم • وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله • وعن
قتادة اعتذروا بالكذب • وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير
صحيح لان التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين وازكى واصدق • وقيل
اريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراءة ابن عباس الذين لم يفرطوا في العذر
• وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم منافقو الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله
في ادعائهم الايمان • وقرئ كذبوا بالتشديد • سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب اليم في الدنيا
بالقتل وفي الآخرة بالنار • ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم • الضعفاء كالهرمى والزمنى
والذين لا يجدون الفقراء وقيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة • والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما
في السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه • ما على المحسنين على المعذورين
الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم • ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم

قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزناً الا يجدوا ما ينفقون • قلت حال من الكاف
في اتوك وقد قبله مضمرة كما قيل في قوله او جاؤكم حصرت صدورهم اي اذا ما اتوك قائلاً لا اجد تولوا ولقد
حصر الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في ابدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة
فلم يجدوها • وقيل المستحملون ابو موسى الاشعري واصحابه • وقيل البكاؤون وهم ستة نفر من الانصار • تفيض من
الدمع كقولك تفيض دمعاً وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كأنها كلها دمع فائض • ومن للبيان كقولك
افديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز • الا يجدوا لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له
وناصبه المفعول له الذي هو حزناً • انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع
الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون • فان قلت رضوا ما موقعه قلت هو استئناف كأنه قيل
ما بالهم استأذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف • وطبع الله على قلوبهم
يعني ان السبب في استئذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله اياهم • فان قلت فهل يجوز ان يكون قوله
قلت لا اجد استئنافاً مثله كأنه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه
الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت نعم ويحسن • يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل
لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون • لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم
انه مكذب وجب عليه الاخلال به • وقوله قد نبأنا الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لان الله عز وجل اذا اوحى الى رسوله
الاعلام باخبارهم واحوالهم وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم • وسيرى
الله عملكم اتتوبون ام تثبتون على كفركم • ثم تردون اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على
حسب ذلك • سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم
جهنم جزاء بما كانوا يكسبون • لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم • فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم • انهم
رجس تعليل لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة
تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم • ومأواهم جهنم
يعني وكفتهم النار عتاباً وتوبيخاً فلا تتكلفوا عتابهم • يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى
عن القوم الفاسقين • اي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم • فان ترضوا عنهم فان رضاكم وحدكم
لا ينفعهم اذا كان الله ساخطاً عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها • وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضا المؤمنين
يقتضي رضا الله عنهم • الاعراب اشد كفراً ونفاقاً واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم
• الاعراب اهل البدو اشد كفراً ونفاقاً من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشأتهم في بعد من مشاهدة العلماء
ومعرفة الكتاب والسنة • واجدر الا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله من الشرائع فرائضها وسننها • والله عليم
يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر • حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه • ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق
مغرماً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم • مغرماً غرامة وخسراناً • والغرامة ما ينفقه
الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله عز وجل وابتغاء المثوبة عنده • ويتربص بكم
الدوائر دوائر الزمان وتقلباته ليتخلص من الانفاق • عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه
عليهم او بالاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم • وقرئ السوء بالضم وهو العذاب

كما قيل له سبّة ۞ والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق لأن من دارت عليه ذام لها ۞ والله سميع لما يقولون إذا توجهت عليهم الصدقة ۞ عليم بما يضمرون ۞ وقيل هم أعراب أسد وغطفان وتميم

ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم

قربات مفعول ثان والمعنى أن ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله ۞ وصلوات الرسول لأن الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله عليه الصلاة والسلام اللهم صل على آل أبي أوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات ألا إنها شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الأمر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في السين من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا الله تعالى عن المتصدقين وأن الصدقة منه بمكان إذا خلصت النية من صاحبها ۞ وقرئ قربة بضم الراء ۞ وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم

السابقون الأولون من المهاجرين هم الذين صلوا إلى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا ۞ وعن الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ومن الأنصار أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة نفر وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرأ عمر رضي الله عنه والأنصار بالرفع عطفا على السابقون ۞ وعن عمر كان يرى أن قوله والذين اتبعوهم بإحسان بغير واو صفة للأنصار حتى قال له زيد إنه بالواو فقال ائتوني بأبي فقال تصديق ذلك في أول الجمعة وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وأوسط الحشر والذين جاؤوا من بعدهم وآخر الأنفال والذين آمنوا من بعد ۞ وروي أنه سمع رجلا يقرؤه بالواو فقال من أقرأك قال أبي فدعاه فقال أقرأنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنك لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وإن شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر رضي الله عنه لقد كنت أرانا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا ۞ وارتفع السابقون بالابتداء وخبره رضي الله عنهم ومعناه رضي عنهم بأعمالهم ورضوا عنه لما أفاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية ۞ وفي مصاحف أهل مكة تجري من تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير من

وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم

وممن حولكم يعني حول بلدتكم وهي المدينة ۞ منافقون وهم جهينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها ۞ ومن أهل المدينة عطف على خبر المبتدأ الذي هو ممن حولكم ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق على أن مردوا صفة موصوف محذوف كقوله ۞ أنا ابن جلا ۞ وعلى الوجه الأول لا يخلو من أن يكون كلاما مبتدأ أو صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره ۞ مردوا على النفاق تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه إذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله تعالى لا تعلمهم أي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشكك في أمرهم ثم قال نحن نعلمهم أي لا يعلمهم إلا الله ولا يطلع على سرهم غيره لأنهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم إبطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في إيمانهم وذلك أنهم مردوا على النفاق وضروا به ولهم فيه اليد الطولى ۞ سنعذبهم مرتين قيل هما القتل وعذاب القبر ۞ وقيل الفضيحة وعذاب القبر ۞ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فإنك منافق ۞ اخرج يا فلان فإنك منافق فأخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الأول ۞ والثاني عذاب القبر ۞ وعن الحسن رحمه الله أخذ الزكاة من أموالهم ونهك أبدانهم ۞ إلى عذاب عظيم إلى عذاب النار ۞ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا

عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ۞ اعترفوا بذنوبهم أي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنهم بئس ما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلاثة ۞ أبو لبابة مروان بن عبد المنذر ۞ وأوس بن ثعلبة ۞ ووديعة بن حزام ۞ وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم أوثقوا أنفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم فنزلت فأطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت خذ من أموالهم ۞ عملا صالحا خروجا إلى الجهاد ۞ وآخر سيئا تخلفا عنه ۞ عن الحسن وعن الكلبي التوبة والإثم ۞ **فإن قلت** قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به ۞ **قلت** كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لأن المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لأنك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به وإذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كأنك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ۞ ويجوز أن يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم ۞ **فإن قلت** كيف قيل عسى الله أن يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم ۞ **قلت** قد ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم

خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم

تطهرهم صفة لصدقة ۞ وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره ۞ وتطهرهم بالجزم جوابا للأمر ولم يقرأ وتزكيهم إلا بإثبات الياء ۞ والتاء في تطهرهم للخطاب أو لغيبة المؤنث ۞ والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الإنماء والبركة في المال ۞ وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة أن يدعو المصدق لصاحب الصدقة إذا أخذها ۞ وعن الشافعي رحمه الله أحب أن يقول الوالي عند أخذ الصدقة آجرك الله فيما أعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما أبقيت ۞ وقرئ إن صلواتك على الجمع ۞ سكن لهم يسكنون إليها وتطمئن قلوبهم بأن الله قد تاب عليهم ۞ والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم

ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم ۞ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون

قرئ ألم تعلموا بالتاء وفيه وجهان ۞ أن يراد بهم المتوب عليهم يعني ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم أن الله يقبل التوبة الصحيحة ويقبل الصدقات إذا صدرت عن خلوص النية ۞ وقيل هو تخصيص ۞ وقيل معنى التخصيص في هو أن ذلك ليس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها إليه ۞ وقل اعملوا وعيد لهم وتحذير من عاقبة الإصرار والذهول عن التوبة

وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم

مرجون قرئ مرجئون ومرجون من أرجيته وأرجأته إذا أخرته ومنه المرجئة ۞ يعني وآخرون من المتخلفين موقوفون إلى أن يظهر أمر الله فيهم إما يعذبهم إن بقوا على الإصرار ولم يتوبوا وإما يتوب عليهم إن تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل أبو لبابة وأصحابه من شد أنفسهم على السواري وإظهار الجزع والغم فلما علموا أن أحدا لا ينظر إليهم فوضوا أمرهم إلى الله وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله ۞ والله عليم حليم ۞ وقرئ والذين

غفور رحيم • واما العباد فيخافون عليهم العقاب ويرجى لهم الرحمة • والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون • في مصاحف اهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لانها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي احدثه المنافقون على سائر قصصهم • روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام فارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك ابن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين • ضرارا مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قباء ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق • وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم • وارصادا واعدادا لاجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقيل كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق رحمه الله انه لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه فانه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار او رياء او سمعة فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارا • وعن عطاء لما فتح الله الامصار على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه امر المسلمين ان يبنوا المساجد وامرهم ان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه • فان قلت والذين اتخذوا ما محله قلت محله النصب على الاختصاص كقوله تعالى والمقيمين الصلاة • وقيل هو مبتدا خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة • فان قلت بم يتصل قوله تعالى من قبل قلت باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف • ان اردنا ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين • لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين • لمسجد اسس على التقوى قيل هو مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهو يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة بين مسجدي قباء اوقع • وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة • وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة • من اول يوم من اول يوم من ايام وجوده • فيه رجال يحبون ان يتطهروا قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم فاعادها فقال عمر رضي الله عنه يا نبي الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال صلى الله عليه وسلم اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم

فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا • وقرئ ان يطهروا بالادغام • وقيل هو عام في التطهر من النجاسات كلها • وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول • وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة • وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم • فان قلت ما معنى المحبتين قلت محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء المشتهى له على ايثاره ومحبة الله تعالى اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه • افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين • قرئ اسس بنيانه واسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول واسس بنيانه جمع اساس على الاضافة واساس بنيانه بالفتح والكسر جمع اس • والمعنى افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسسه على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك • وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى • فان قلت فما معنى قوله فانهار به في نار جهنم قلت لما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم الا انه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور ان المبطل كانه اسس بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها • والشفا الحرف والشفير • وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا • والهار الهائر وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات في شائك وصائت والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله هور وشوك وصوت ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكنه امره • وقرئ جرف بالتخفيف • فان قلت فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر رضي الله عنه على تقوى من الله بالتنوين قلت قد جعل الالف للالحاق لا للتانيث كتترى فيمن نون الحقها بجعفر • وفي مصحف ابي فانهارت به قواعده • وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فرؤي الدخان يخرج منه • وروي ان مجمع بن حارثة كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف اصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ان ياذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين اليس بامام مسجد الضرار فقال يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت ما صليت بهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤون من القرآن شيئا فعذره وصدقه وامره بالصلاة • لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم • ريبة شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال الله تعالى ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا للاسلام فمعنى قوله تعالى لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل اثره • الا ان تقطع قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء فحينئذ يسلون عنه وما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة • فيجوز ان يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها • ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور او في النار • وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع على بناء الفاعل بمعنى تقطع وتقطع قلوبهم على الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الا ان تقطع انت قلوبهم بقتلهم • وقرأ الحسن الى ان تقطع • وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم • وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم او كل مخاطب • وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم • ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم • مثل الله تعالى اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم في سبيله بالشروى • وقيل تاجرهم فاغلى لهم الثمن • وعن عمر رضي الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا • وعن الحسن انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها • وروي ان الانصار حين بايعوه على العقبة

قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي
ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل • ومر برسول الله صلى
الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرأها فقال كلام من قال كلام الله تعالى قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو فاستشهد
يقاتلون فيه معنى الامر كقوله عز وجل تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم • وقرئ فيقتلون ويقتلون على بناء الاول للفاعل
والثاني للمفعول وعلى العكس • وعدا مصدر مؤكد والخبر بان هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد اثبته في
التوراة والانجيل كما اثبته في القرآن ثم قال ومن اوفى بعهده من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه
عليهم لحاجتهم اليه فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد احسن منه وابلغ • **التائبون
العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون
لحدود الله وبشر المؤمنين** • التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين وتدل عليه قراءة عبد الله
وابي رضي الله عنهما التائبين بالياء الى قوله والحافظين نصبا على المدح • ويجوز ان يكون جرا صفة للمؤمنين • ويجوز ان
يكون مبتدأ خبره محذوف اي التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى • وقيل
هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون • ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على
الحقيقة الجامعون لهذه الخصال • وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا من النفاق • والعابدون الذين عبدوا الله
وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها • والسائحون الصائمون شبهوا بذوي السياحة في الارض في امتناعهم من شهواتهم
وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض يطلبونه في مظانه • **ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا
اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم** • قيل قال النبي لابي طالب انت اعظم الناس علي حقا واحسنهم عندي يدا
فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت • وقيل لما افتتح مكة سأل اي ابويه احدث به
عهدا فقيل امك آمنة فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستأذنته في
الاستغفار لها فلم يأذن لي فنزلت وهذا اصح لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة • وقيل استغفر
لابيه • وقيل قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لآبائنا وذوي قرابتنا وقد استغفر ابراهيم لابيه وهذا محمد صلى الله عليه وسلم
يستغفر لعمه • ما كان للنبي ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته • من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك
**وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه
حليم** • قرأ طلحة وما استغفر ابراهيم لابيه • وعنه وما يستغفر ابراهيم على حكاية الحال الماضية • الا عن موعدة وعدها
اياه وهو قوله لاستغفرن لك • وتدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية وعدها اباه • فان قلت كيف خفي على ابراهيم
ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده • قلت يجوز ان يظن انه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على ان امتناع
جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحي لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم لعمه لاستغفرن لك
ما لم انه عنه • وعن الحسن قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت
وعن علي رضي الله عنه رأيت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له فقال اليس قد استغفر ابراهيم • فان قلت فما معنى قوله
فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه • قلت معناه فلما تبين له من جهة الوحي انه لن يؤمن وانه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع
استغفاره فهو كقوله تعالى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم • اواه فعال من اوه كلأال من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التأوه ومعناه
انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك • **وما كان الله
ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم • ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** • يعني ما امر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهي عنه وبين انه محظور
لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا اقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بانه
واجب الاتقاء والاجتناب واما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم

وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه • وفي هذه الآية شديدة ما ينبغي ان يغفل عنها
وهي ان المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات الله تعالى داخل في حكم الاضلال • والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي
فاما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف • **لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم** • تاب الله على النبي
كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر • وقوله تعالى واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وانه
ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله
وان صفة التوابين الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح • وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه
للمنافقين في التخلف عنه كقوله تعالى عفا الله عنك • في ساعة العسرة في وقتها والساعة تستعمل في معنى الزمان المطلق كما استعملت
الغداة والعشية • واليوم غداة طفت علماء بكر بن وائل • عشية قارعنا جذام وحميرا • اذا جاء يوما وارثي يبتغي الغنى
والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد • وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود
والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء
وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها • وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة
كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه • وفي كاد ضمير الشأن وشبهه
سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله • وقرئ يزيغ بالياء • وفي قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من
المؤمنين كابي لبابة وامثاله • ثم تاب عليهم تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم • الثلاثة كعب بن
مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية • **وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت
عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم** • ومعنى خلفوا خلفوا عن الغزو
وقيل عن ابي لبابة واصحابه حيث تيب عليهم • وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف
الفم • وقرأ جعفر الصادق رضي الله عنه خالفوا • وقرأ الاعمش وعلى الثلاثة المخلفين • بما رحبت برحبها اي مع سعتها
وهو مثل للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه • وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا
يسعها انس ولا سرور لانها حرجت من فرط الوحشة والغم • وظنوا ان لا ملجأ من سخط الله الا الى استغفاره • ثم تاب عليهم ثم
رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا او ليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما
منهم ان الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة • روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به • عن الحسن بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم
فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله
فقال يا اهلاه ما بطأني ولا خلفني الا الضن بك لا جرم والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله
صلى الله عليه وسلم فركب ولحق به • ولم يكن لآخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب
الحياة لك والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فتأبط زاده ولحق برسول الله
صلى الله عليه وسلم • قال الحسن رحمه الله كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها • وعن ابي ذر
الغفاري رضي الله عنه ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله ابا ذر يمشي وحده
ويموت وحده ويبعث وحده • وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت
له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول
الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكان ففرح به النبي صلى

الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلاثة. قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت
عليه فرد علي كالمغضب بعدما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه
فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا
بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة
سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم
وتتابعت علي البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون
فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية.
وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن
مالك وصاحبيه. يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين مع الصادقين وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا
في دين الله نية وقولا وعملا او الذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم لله ورسوله على الطاعة من قوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه. وقيل هم الثلاثة اي كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم. وعن ابن عباس الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع
المهاجرين والانصار وافقوهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم. وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك.
وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجزه اقرؤوا ان شئتم وكونوا
مع الصادقين فهل فيها من رخصة. ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا
يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ
الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين. ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه
امروا بان يصحبوه على البأساء والضراء وان يكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد
ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على
سائر الانفس ان تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها اصحابها ولا يقيمون لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم واهونه فضلا عن ان يربئوا
بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج
لمتابعته بانفة وحمية. ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب متابعته كانه قيل ذلك الوجوب
بسبب انهم لا يصيبهم شيء من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف
رواحلهم وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم. ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزؤنهم شيئا
بقتل واسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك. الا كتب لهم به عمل صالح فاستوجبوا به الثواب ونيل الزلفى عند الله
وذلك مما يوجب المشايعة. ويجوز ان يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام والحوافر كقوله صلى الله عليه وسلم
آخر وطأة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه
والنيل يحتمل ان يكون مصدرا مؤكدا وان يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم
وينكيهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك
الشيء وبهذه الاية استشهد اصحاب ابي حنيفة رحمه الله ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان
وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد اسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد
ابو بكر الصديق رضي الله عنه المهاجرين ابي امية وزياد بن ابي لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعد ما فتح
فاسهم لهم وعند الشافعي رضي الله عنه لا يشارك المدد الغانمين. وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماءة وظماء.
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون. ولا ينفقون
نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط. ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة. ولا يقطعون واديا

اي ارضا

اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم. فالوادي كل منعرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودى اذا سال
ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي غيرك. الا كتب لهم الا اثبت لهم ذلك من الانفاق وقطع
الوادي. ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح. وقوله تعالى ليجزيهم متعلق بكتب اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء. وما كان المؤمنون
لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون
اللام لتأكيد النفي ومعناه ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم يؤد الى مفسدة
لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. فلولا نفر فهلا نفر اذ لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة
فهلا نفر من كل فرقة طائفة اي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير. ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه
ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها. ولينذروا قومهم وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم
والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس
والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق
احدهم اذا لمح ببصره مدرسة لآخر او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من
قوله عز وجل لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا. لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عقاب الله فيعملوا عملا صالحا. ووجه
آخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعدما انزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق
المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى
الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاعظم اثرا من الجلاد بالسيف
وقوله تعالى ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم. ولينذروا قومهم الفرق الباقية قومهم النافرين
اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم. وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه. يا ايها
الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين. يلونكم يقربون منكم والقتال
واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره وانذر عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام. وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر. وقيل الروم
فانهم كانوا يسكنون الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر
اليهم اهل ناحية اخرى. وعن ابن عمر رضي الله عنه انه سئل عن قتال الديلم فقال عليكم بالروم. وقرئ غلظة بالحركات الثلاث
فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة وهي تجمع الجرأة والصبر على القتال
وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ومنه قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله. مع المتقين ينصر من اتقاه فلم يتوان على
عدوه. واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون
فمنهم من يقول من المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة
الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به. وايكم مرفوع بالابتداء. وقرأ عبيد بن عمير ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته
تقديره ايكم زادت زادته هذه ايمانا. فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا لانها اريد لليقين والثبات وثلج الصدر. او فزادتهم عملا فان زيادة
العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل. واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم
وماتوا وهم كافرون. فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى الكفر الاول بها لانهم كلما جدد الله الوحي كفروا ونفاقا
ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم. اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون
قرئ ولا ترون بالياء والتاء. يفتنون يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا يتوبون ولا يتوبون من نفاقهم
ولا يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم او يبتلون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعاينون امره
وما ينزل الله عليه من نصره وتأييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون. واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا

صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون ● نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يراكم
من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او ترامقوا يتشاورون
في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد ● وقيل معناه واذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين
صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح ● بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون
لا يتدبرون حتى يفقهوا ● لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف
رحيم ● من انفسكم من جنسكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله عزيز
عليه ما عنتم اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب
حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به ● بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم
وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم وافضلكم ● وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعائشة رضي الله عنهما
وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى رؤوف رحيم ● فان تولوا فقل حسبي الله
لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ● فان تولوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم
ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم ● وقرئ العظيم بالرفع ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما العرش لا يقدر احد قدره ● وعن ابي
ابن كعب رضي الله عنه ان اخر اية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم ● عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل علي القرآن الا اية
اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة صلوات الله عليهم

سورة يونس عليه السلام مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب الحكيم ● الر تعديد للحروف على طريق التحدي ● وتلك
اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات ● والكتاب السورة ● والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها
او وصف بصفة محدثه ● قال الاعشى ● وغريبة تاتي الملوك حكيمة ● قد قلتها ليقال من ذا قالها ● اكان للناس عجبا
ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر
الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه ● وان اوحينا اسم كان ● وعجبا خبره ● وقرأ ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة ● وان اوحينا
خبرا وهو معرفة كقوله يكون مزاجها عسل وماء ● والاجود ان تكون كان تامة ● وان اوحينا بدلا من عجب ● فان قلت فما معنى
اللام في قوله اكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك اكان عند الناس عجبا ● قلت معناه انهم جعلوه لهم اعجوبة
يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى ● والذي تعجبوا منه ان يوحى
الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله
الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين
الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم قال الله سبحانه وتعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء
ملكا رسولا وارسال الفقير او اليتيم ليس بعجب ايضا لان الله تعالى انما يختار من استحق الاختيار لجمعه اسباب الاستقلال بما اختير له
من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الاسباب في شيء وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء
على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء ● ان انذر الناس ان هي المفسرة
لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز ان تكون المخففة من الثقيلة واصله انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر
الناس ● وان لهم الباء معه محذوفة ● قدم صدق عند ربهم اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة ● فان قلت لم سميت
السابقة قدما ● قلت لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا
لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى صدق دلالة على زيادة فضل وانه
من السوابق العظيمة ● وقيل مقام صدق ● ان هذا ان هذا الكتاب وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لسحر ومن قرأ

لساحر

لساحر فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا
وفي قراءة ابي ما هذا الا سحر ● ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من
شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون ● يدبر ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل
المتحري للصواب الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخرا ● والامر امر الخلق كله وامر ملكوت السموات
والارض والعرش ● فان قلت ما موقع هذه الجملة ● قلت قد دل بالجملة قبلها على عظمة شانه وملكه بخلق السموات
والارض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه
لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله تعالى ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل على العزة والكبرياء كقوله تعالى
يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن ● وذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم
الموصوف بما وصف به ● هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة منكم ● فاعبدوه وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك او انسان فضلا
عن جماد لا يبصر ولا يسمع ● افلا تذكرون فانه ادنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ فيما انتم عليه ● اليه مرجعكم جميعا
وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب
من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ● اليه مرجعكم جميعا اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه
وعد الله مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم جميعا ● وحقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله ● انه يبدأ الخلق ثم يعيده استئناف
معناه التعليل لوجوب المرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم
وقرئ انه يبدأ الخلق بمعنى لانه وهو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله او بوعد الله كقوله لحقا عباد الله ان
لست جائيا ● ولا ذاهبا الا علي رقيب ● وقرئ حق انه يبدأ الخلق كقولك حق ان زيدا منطلق ● بالقسط بالعدل وهو متعلق
بيجزي والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم بما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا
صالحا لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام لانفسهم وهذا اوجه لمقابلة قوله بما كانوا
يكفرون ● هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق
الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ● الياء في ضياء منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها ● وقرئ
ضئاء بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في عاق عقا والضياء اقوى من النور ● وقدره وقدر القمر
والمعنى وقدر مسيره منازل او قدره ذا منازل كقوله تعالى والقمر قدرناه منازل ● والحساب وحساب الاوقات من الاشهر
والايام والليالي ● ذلك اشارة الى المذكور اي ما خلقه الا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا ● وقرئ
يفصل بالياء ● ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ● ان الذين
لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ● اولئك مأواهم النار
بما كانوا يكسبون ● لقوم يتقون خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر ● لا يرجون
لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن
للحقائق او لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف ● ورضوا بالحياة الدنيا
من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي كقوله تعالى ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ● واطمأنوا بها وسكنوا فيها
سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا ● ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من
تحتهم الانهار في جنات النعيم ● يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي
الى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها ● ويجوز ان يريد
يهديهم في الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة
والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار ● فان قلت

فلقد دلت هذه الآية على ان الايمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو ايمان مقيد وهو الايمان
المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت الامر كذلك الا ترى
كيف اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ● ثم قال بايمانهم اي بايمانهم هذا
المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه ● دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر
دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ● دعواهم دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت في
دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد ● ويجوز ان يراد بالدعاء العبادة واعتزلكم وما تدعون من دون الله
على معنى ان لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه
فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية ● وآخر دعواهم وخاتمة
دعائهم الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد لله رب العالمين ● ومعنى وتحيتهم فيها سلام ان بعضهم يحيي بعضا بالسلام
وقيل هي تحية الملائكة اياهم اضافة المصدر الى المفعول ● وقيل تحية الله لهم ● وان هي المخففة من الثقيلة واصله
انه الحمد لله على ان الضمير للشان كقوله ان هالك كل من يحفى وينتعل ● وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ●
ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون
اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم
واسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد اهل مكة ● وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا
لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا ● وقرئ لقضى اليهم اجلهم على البناء
للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الاجل وقرأ عبد الله لقضينا اليهم اجلهم ● فان قلت فكيف اتصل به قوله فنذر
الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم وما معناه ● قلت قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا
نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم اي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما
للحجة عليهم ● واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم
يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ● لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه اي دعانا
مضطجعا او قاعدا او قائما ● فان قلت فما فائدة ذكر هذه الاحوال ● قلت معناه ان المضرور لا يزال داعيا
لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها ان كان مضطجعا عاجزا عن النهوض متخاذل النوء ● او كان قاعدا
لا يقدر على القيام ● او كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز
ان يراد ان من المضرورين من هو اشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ● ومنهم المستطيع
للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لان الانسان للجنس ● مر اي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر
ونسي حال الجهد ● او مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به كان لم يدعنا كانه لم يدعنا
فخفف وحذف ضمير الشان ● قال كان ثدياه حقان ● كذلك مثل ذلك التزيين ● زين للمسرفين زين الشيطان بوسوسته
او الله عز وجل بالخذلان والتخلية ● ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات ● ولقد اهلكنا القرون
من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ● لما ظرف لاهلكنا
والواو في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله تعالى وما كانوا
ليؤمنوا يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا واللام لتأكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقا تأكيد النفي ايمانهم وان الله
قد علم منهم انهم يصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه
لا فائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي كل مجرم وهو وعيد
لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ● وقرئ يجزي بالياء ● ثم جعلناكم خلائف في الارض
من بعدهم لننظر كيف تعملون ● ثم جعلناكم الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم اي استخلفناكم في الارض بعد

القرون

القرون التي اهلكناها لننظر اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على حسب عملكم ● وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى
الاستفهام فيه يحجب ان يتقدم عليه عامله ● فان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة
قلت هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله
من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ● غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة
الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان آية عذاب
آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان
آية عذاب آية رحمة مما انزل وان يسقط ذكر الآلهة ● واما الاتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للانسان ● ما يكون
لي ما ينبغي لي وما يحل لي كقوله تعالى ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ● ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي ● وقرئ تلقاء بفتح التاء من غير
انباء من قبل نفسي ● ان اتبع الا ما يوحى الي لا آتي ولا اذر شيئا من نحو ذلك الا متبعا لوحي الله واوامره ان نسخت آية تبعت
النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس الي تبديل ولا نسخ ● اني اخاف ان عصيت بالتبديل والنسخ من عند
نفسي عذاب يوم عظيم ● فان قلت اما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا
قلت بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه
الى التقول ويزعمون انه قادر على مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز
فان قلت لعلهم ارادوا بقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقرآن من جهته واراد بقوله ما يكون لي
لي ما يمكنني ان ابدله ● قلت يرده قوله اني اخاف ان عصيت ربي ● فان قلت فما كان غرضهم وهم ادهى الناس
وانكرهم في هذا الاقتراح ● قلت الكيد والمكر اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عند الله وانه قادر على مثله فابدل
مكانه آخر ● واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا منه او
لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله تعالى ● قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم
به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون ● لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله واحداثه
امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلد
فيه علماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع
والاخبار بما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله
ولا يخفى عليكم شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من اقرب الناس منه والصقهم به ● ولا ادراكم
به ولا اعلمكم به على لساني ● وقرأ الحسن ولا ادرأتكم به على لغة من يقول اعطأته وارضأته في معنى اعطيته وارضيته
وتعضده قراءة ابن عباس رضي الله عنه ولا انذرتكم به ورواه الفراء ولا ادرأتكم بالهمز وفيه وجهان احدهما ان تقلب الالف همزة
كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وحلأت السويق وذلك لان الالف والهمزة من واد واحد الا ترى ان الالف اذا مستها الحركة انقلبت همزة
والثاني ان يكون من درأته اذا دفعته وادرأته اذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال ●
فتكذبونني ● وعن ابن كثير ولادراكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم به
على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني لها اهلا دون سائر الناس ● فقد لبثت
فيكم عمرا ● وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا
كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه ● افلا تعقلون فتعلموا انه ليس الا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه
تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه ● فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح
المجرمون ● من افترى على الله كذبا يحتمل ان يريد افتراء المشركين على الله في قولهم انه ذو شريك وذو ولد تعالى الله وان يكون تنزيها
مما اضافوه اليه من الافتراء ● ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل

أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون • ما لا يضرهم ولا ينفعهم الأوثان التي هي جماد لا تقدر على ضر ولا نفع • وقيل إن عبدوها لم تنفعهم وإن تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود أن يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة العزى ومناة وهبل وإسافا ونائلة وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله • وعن النضر بن الحارث إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى • أتنبئون الله بما لا يعلم أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو إنباء بما ليس بمعلوم لله وإذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لأن الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه • فإن قلت كيف أنبؤوا الله بذلك قلت هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الأصنام وإعلام بأن الذي أنبؤوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه • وقرئ أتنبئون بالتخفيف • وقوله في السموات ولا في الأرض تأكيد لنفيه لأن ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم • يشركون قرئ بالياء والتاء وما موصولة أو مصدرية أي عن الشركاء الذين يشركونهم به أو عن إشراكهم • وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون • وما كان الناس إلا أمة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم عليه الصلاة والسلام إلى أن قتل قابيل هابيل • وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا • ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون وليتميز المحق من المبطل • وسبق كلمته بالتأخير لحكمة أوجبت أن تكون هذه الدار دار تكليف وتلك الدار دار ثواب وعقاب • ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين • وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه أي آية من الآيات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على أحد من الأنبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول فكأنه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا أنزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي • فقل إنما الغيب لله أي هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا لأحد به يعني أن الصارف عن إنزال الآيات المقترحة أمر مغيب لا يعلمه إلا هو • فانتظروا نزول ما اقترحتموه • إني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات • وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكرا إن رسلنا يكتبون ما تمكرون • سلط الله القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه • وإذا الأولى للشرط والثانية جوابها وهي إذا المفاجأة [illegible] • فإن قلت ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله أسرع مكرا قلت [illegible] فاذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤوا وقوع المكر منهم وسارعوا إليه قبل أن يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى أن الله دبر عقابكم [illegible] • إن رسلنا يكتبون ما تمكرون إعلام بأن ما تظنونه خافيا [illegible] لا يخفى على الله وهو منتقم منكم • وقرئ يمكرون بالياء والتاء • وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا • [illegible] • هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين • [illegible] وقرأ زيد بن ثابت ينشركم [illegible] ثم إذا أنتم بشر تنتشرون • فإن قلت كيف جعل الكون في

الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر إنما هو بعد الكون في الفلك قلت لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كأنه قيل يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن للهلاك والدعاء بالإنجاء • فإن قلت ما جواب إذا قلت جاءتها • فإن قلت فدعوا قلت بدل من ظنوا لأن دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به • فإن قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة قلت المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح • فإن قلت ما وجه قراءة أم الدرداء رضي الله عنها في الفلكي بزيادة ياء النسب قلت قيل هما زائدتان كما في الخارجي والأحمري • ويجوز أن يراد به اللج والماء الغمر الذي لا تجري الفلك إلا فيه • والضمير في جرين للفلك لأنه جمع فلك كالأسد في فعل أخي فعل وفي قراءة أم الدرداء للفلك أيضا لأن الفلكي يدل عليه • جاءتها جاءت الريح الطيبة التي تلقتها • وقيل الضمير للفلك • من كل مكان من جميع أمكنة الموج • أحيط بهم جعل إحاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك • مخلصين له الدين من غير إشراك لأنهم لا يدعون حينئذ غيره معه • لئن أنجيتنا على إرادة القول أو لأن دعوا من جملة القول • فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون • يبغون في الأرض يفسدون فيها ويعبثون متراقين في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح إذا ترامى إلى الفساد • فإن قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم وإحراق زروعهم وقطع أشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة • وقرئ متاع الحياة الدنيا بالنصب • فإن قلت ما الفرق بين القراءتين قلت إذا رفعت كان المتاع خبرا عن المبتدأ الذي هو بغيكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه إنما بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا لا بقاء لها • وإذا نصبت فعلى أنفسكم خبر غير صلة معناه إنما بغيكم وبال على أنفسكم • ومتاع الحياة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كأنه قيل تتمتعون متاع الحياة الدنيا • ويجوز أن يكون الرفع على هو متاع الحياة الدنيا بعد تمام الكلام • وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها • وعنه صلى الله عليه وسلم أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة • وروي ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين • وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغي • وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في أخيه • يا صاحب البغي إن البغي مصرعة • فاربع فخير فعال المرء أعدله • فلو بغى جبل يوما على جبل • لاندك منه أعاليه وأسفله • وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم • إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون • هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الأرض بخضرته ورفيفه • فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا • أخذت الأرض زخرفها وازينت كلام فصيح جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين • وأصل ازينت تزينت فأدغم وبالأصل قرأ عبد الله • وقرئ وأزينت على أفعلت من غير إعلال كأغيلت أي صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت • قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها • أتاها أمرنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم • فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله • كأن لم تغن كأن لم يغن زرعها أي لم يلبث على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه وإلا لم يستقم المعنى • وقرأ الحسن رحمه الله كأن لم يغن بالياء على أن الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع • وعن مروان أنه قرأ على المنبر كأن لم تغن بالأمس وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها • والمغاني المنازل التي يغنى بها أهلها أي يقيمون ولا يظعنون والأمس مثل في الوقت القريب كأنه قيل كأن لم تغن آنفا • والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط

مستقيم • دار السلام الجنة أضافها الى اسمه تعظيماً لها • وقيل السلام السلامة لأن أهلها سالمون من كل مكروه • وقيل
لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم إلا قيلاً سلاماً سلاماً • ويهدي ويوفق من يشاء وهم الذين علم أن اللطف يجدي عليهم
لأن مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها إلا المهديون • للذين أحسنوا الحسنى
وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون • الحسنى المثوبة الحسنى
وزيادة وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله تعالى ويزيدهم من فضله • وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الزيادة
غرفة من لؤلؤة واحدة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحسنى الجنة والزيادة عشر أمثالها • وعن الحسن عشر
أمثالها الى سبعمائة ضعف • وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان • وعن يزيد بن شجرة الزيادة أن تمر السحابة
بأهل الجنة فتقول ما تريدون أن أمطركم فلا يريدون شيئاً إلا أمطرتهم • وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر
الى وجه الله تعالى وجاءت بحديث مرفوع إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن يا أهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون
إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئاً هو أحب إليهم منه • ولا يرهق وجوههم ولا يغشاها • قتر غبرة فيها سواد • ولا ذلة ولا
أثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار تذكيراً بما ينقذهم منه برحمته ألا ترى الى قوله ترهقها قترة
وترهقهم ذلة • والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت
وجوههم قطعاً من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون • فإن قلت ما وجه قوله والذين
كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها • وأما أن يقدر وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم
أن تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا أوجه من الأول لأن في الأول عطفاً على عاملين وإن كان
الأخفش يجيزه وفي هذا دليل على أن المراد بالزيادة الفضل لأنه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله
ودل ثمة بإثبات الزيادة على المثوبة على فضله • وقرئ يرهقهم ذلة بالياء • من الله من عاصم أي لا يعصمهم
أحد من سخط الله وعذابه • ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين • مظلماً
حال من الليل • ومن قرأ قطعاً بالسكون جعل مظلماً صفة له ويعضده قراءة أبي بن كعب
كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم • فإن قلت إذا جعلت مظلماً حالاً من الليل فما العامل فيه
قلت لا يخلو إما أن يكون أغشيت من قبل أن من الليل صفة لقوله قطعاً فكان إفضاؤه الى الموصوف
كإفضائه الى الصفة • وإما أن يكون معنى الفعل في من الليل • ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا
مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون • مكانكم الزموا مكانكم
لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وأنتم أكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا • وشركاؤكم عطف
عليه • وقرئ وشركاءكم على أن الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل • فزيلنا بينهم ففرقنا
بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا أو باعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وبين شركائهم
منهم ومن عبادتهم كقوله تعالى أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا • وقرئ فزايلنا بينهم كقوله صاعر خده
وصعره وكالمته وكلمته • ما كنتم إيانا تعبدون إنما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتخذوا • فكفى بالله
شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين • إن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين
النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من أولي العقل • وقيل الأصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم
بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها أطماعهم • هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا الى الله مولاهم
الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون • هنالك في ذلك المقام وفي ذلك الموقف أو في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان
تبلو كل نفس تختبر وتذوق • ما أسلفت من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن أنافع أم ضار أمقبول أم مردود
كما يختبر الرجل الشيء ويتعرفه ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر • وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل
أي نختبرها باختبار ما أسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها إن كان حسناً فهي سعيدة وإن كان سيئاً •

في شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملاً • ويجوز أن يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس
عاصية بسبب ما أسلفت من الشر • وقرئ تتلو أي تتبع ما أسلفت لأن عملها هو الذي يهديها الى طريق الجنة أو الى طريق
النار أو تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير أو شر • مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لأنهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته
حقيقة أو الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم أحداً • وقرئ الحق بالفتح على تأكيد قوله ردوا الى الله
كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل أو على المدح كقولك الحمد لله أهل الحمد • وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا
يدعون أنهم شركاء لله أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة • قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن
يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون
من السماء والأرض أي يرزقكم منهما جميعاً لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته • أمن يملك السمع
والأبصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة أو من يحميهما ويحصنهما من الآفات
مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شيء بكلاءته وحفظه • ومن يدبر الأمر ومن يلي تدبير أمر العالم كله
جاء بالعموم بعد الخصوص • أفلا تتقون أفلا تقون أنفسكم ولا تتخذون عليها عقابكم فيما أنتم بصدده من الضلال • فذلكم
الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون • فذلكم إشارة الى من هذه قدرته وأفعاله • ربكم الحق الثابت ربوبيته
ثباتاً لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق إلا الضلال يعني أن الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع في
الضلال فأنى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء • كذلك حقت كلمة ربك على
الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون • كذلك مثل ذلك الحق • حقت كلمة ربك أي كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال أو كما حق أنهم
مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أي تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الأقصى فيه • وأنهم لا يؤمنون
بدل من الكلمة أي حق عليهم انتفاء الإيمان وعلم الله منهم ذلك أو حق عليهم كلمة الله أنهم من أهل الخذلان وأن إيمانهم غير كائن
أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لأنهم لا يؤمنون • قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده
قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون • فإن قلت كيف قيل لهم هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالإعادة • قلت
قد وضعت إعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما إن دفعه دافع كان مكابراً رادّاً للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة
فيه دلالة على أنهم في إنكارهم لها منكرون أمراً مسلماً معترفاً بصحته عند العقلاء • وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده
فأمره بأن ينوب عنهم في الجواب يعني أنه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم • قل هل من شركائكم
من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون •
يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى • وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والأصل يهتدي فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين • والمعنى أن الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول وأعطاهم من التمكين للنظر في الأدلة التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم وألهمهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم أنداداً لله أحد يهدي الى الحق مثل هداية الله ثم قال أفمن يهدي الى الحق أحق بالاتباع أم الذي لا يهدي أي لا يهتدي بنفسه أو لا يهدي غيره إلا أن يهديه الله • وقيل معناه أم من لا يهتدي من الأوثان الى مكان فينتقل إليه إلا أن يهدى إلا أن ينقل • فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون أنهم أنداد لله • وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً إن الله عليم بما يفعلون • وما يتبع أكثرهم في إقرارهم بالله إلا ظناً لأنه قول غير مستند الى برهان عندهم إن الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو العلم شيئاً

تقليد الآباء. وقرئ تفعلون بالتاء. وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين. وما كان هذا القرآن افتراء من دون الله ولكن كان تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لأنه معجز دونها فهو عيار عليها شاهد لصحتها كقوله تعالى مصدقا لما بين يديه. وقرئ ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل. ومعنى وما كان أن يفترى وما صح وما استقام وكان محالا أن يكون مثله في علو أمره وإعجازه مفترى. وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الأحكام والشرائع من قوله تعالى كتاب الله عليكم. فإن قلت بم اتصل قوله تعالى لا ريب فيه من رب العالمين قلت هو داخل في حيز الاستدراك كأنه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين. ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم. أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين. أم يقولون افتراه بل أيقولون اختلقه على أن الهمزة تقرير لإلزام الحجة عليهم أو إنكار لقولهم واستبعاد والمعنى أنه مستبعد. قل إن كان الأمر كما تزعمون فأتوا أنتم على وجه الافتراء بسورة مثله فأنتم مثلي في العربية والفصاحة. ومعنى بسورة مثله أي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم. وقرئ بسورة مثله على الإضافة أي بسورة كتاب مثله. وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الإتيان بمثله يعني أن الله وحده هو القادر على أن يأتي بمثله لا يقدر على ذلك أحد غيره فلا تستعينوا به وحده ثم استعينوا بكل من دونه إن كنتم صادقين أنه افتراه. بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين. بل كذبوا بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن وفاجؤوه في بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية إذا أحس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه وألفه وإن كانت أضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة أنكرها في أول وهلة واشمأز منها قبل أن يحس إدراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحة أو فساد لأنه لم يشعر قلبه إلا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب. فإن قلت ما معنى التوقع في قوله ولما يأتهم تأويله قلت معناه أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع إلى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه وإعجازه لما كرر عليهم التحدي وذاقوا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا. كذلك أي مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الأنبياء وقبل تدبرها من غير إنصاف ولكن قلدوا الآباء وعاندوا. وقيل هو في الذين كذبوا وهم شاكون. ويجوز أن يكون معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب أي عاقبته حتى يتبين لهم أكذب هو أم صدق يعني أنه كتاب معجز من جهتين من جهة إعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب فتسرعوا إلى التكذيب به قبل أن ينظروا في نظمه وبلوغه حد الإعجاز وقبل أن يخبروا إخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه. ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين. ومنهم من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من يشك فيه لا يصدق به أو يكون للاستقبال أي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر. وربك أعلم بالمفسدين بالمعاندين أو المصرين. وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون. وإن كذبوك وإن تموا على تكذيبك ويئست من إجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد أعذرت كقوله تعالى فإن عصوك فقل إني بريء. وقيل هي منسوخة بآية السيف. ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون. من يستمعون إليك معناه ومنهم ناس يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون. وناس ينظرون إليك ويعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون. ثم قال أتطمع أنك تقدر على إسماع الصم ولو انضم إلى صممهم عدم عقولهم لأن الأصم العاقل ربما تفرس واستدل إذا وقع في صماخه دوي الصوت فإذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الأمر. وتحسب أنك تقدر على هداية العمي ولو انضم إلى العمى وهو فقد البصر فقد البصيرة

لأن الأعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن. وأما العمى مع الحمق فجهد البلاء. يعني أنهم في اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر. وقوله أفأنت دلالة على أنه لا يقدر على إسماعهم وهدايتهم إلا الله عز وجل بالقسر والإلجاء كما لا يقدر على رد الأصم والأعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر راجحي العقل إلا هو وحده. إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون. إن الله لا يظلم الناس شيئا أي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وإنزال الكتب ولكنهم يظلمون أنفسهم بالكفر والتكذيب. ويجوز أن يكون وعيدا للمكذبين يعني أن ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل لاستيجابهم ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا أنفسهم باقترافهم ما كان سببا فيه. ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين. كأن لم يلبثوا إلا ساعة يستقربون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون. يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الأمر عليهم. فإن قلت كأن لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما قلت أما الأولى فحال من هم أي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة وأما الثانية فإما أن تتعلق بالظرف وإما أن تكون مبينة لقوله تعالى كأن لم يلبثوا إلا ساعة لأن التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا. قد خسر على إرادة القول أي يتعارفون بينهم قائلين ذلك أو هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم. والمعنى أنهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الإيمان بالكفر. وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم. وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون. فإلينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كأنه قيل وإما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريكه في الآخرة. فإن قلت الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كأنه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون. وقرأ ابن أبي عبلة ثَمَّ بالفتح أي هنالك. ويجوز أن يراد أن الله مؤد شهادته على أفعالهم يوم القيامة حين ينطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم. ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون. ولكل أمة رسول يبعث إليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم إلى دين الحق. فإذا جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم أي بين النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فأنجي الرسول وعذب المكذبون كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا. أو ولكل أمة من الأمم يوم القيامة رسول تنسب إليه وتدعى به. فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان كقوله تعالى وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم. ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له. لا أملك لنفسي ضرا من مرض أو فقر ولا نفعا من صحة أو غنى. إلا ما شاء الله استثناء منقطع أي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب. لكل أمة أجل يعني أن عذابكم له أجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان. إذا جاء ذلك الوقت أنجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا. وقرأ ابن سيرين فإذا جاء آجالهم. قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون. بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات. فإن قلت هلا قيل ليلا أو نهارا قلت لأنه أريد إن أتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت. والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله تعالى نهارا معناه في وقت أنتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون. والضمير في منه للعذاب والمعنى أن العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فأي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال. ويجوز أن يكون معناه التعجب كأنه قيل أي شيء هول شديد يستعجلون منه. ويجوز أن تكون من للبيان في هذا الوجه. وقيل الضمير في منه لله تعالى. فإن قلت بم يتعلق الاستفهام وأين

جواب الشرط قلت تعلق بأرأيتم لأن المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو
تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه فإن قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه قلت أريدت الدلالة
على موجب ترك الاستعجال وهو الإجرام لأن من حق المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وإن
أبطأ فضلا أن يستعجله • ويجوز أن يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك إن أتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق
الجملة بأرأيتم وأن يكون أثم إذا ما وقع آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى إن أتاكم عذابه
أثم إذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون • آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان ودخول حرف
الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله تعالى أفأمن أهل القرى أوأمن أهل القرى • آلآن على إرادة القول أي
قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به • وقد كنتم به تستعجلون يعني وقد كنتم به تكذبون لأن استعجالكم كان على جهة
التكذيب والإنكار وقرئ آلان بحذف الهمزة التي بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام • ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب
الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون • ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المضمر قبل آلآن • ويستنبئونك أحق
هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين • ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون أحق هو وهو استفهام على جهة
الاستنكار والاستهزاء • وقرأ الأعمش آلحق هو وهو أدخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بأنه باطل وذلك أن اللام
للجنس فكأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو هو الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود • وإي بمعنى نعم في القسم خاصة
كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون في التصديق إيو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده
وما أنتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة • ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسروا
الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون • ألا إن لله ما في السموات والأرض ألا إن
وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون • هو يحيي ويميت وإليه ترجعون • ظلمت صفة لنفس على ولو أن
لكل نفس ظالمة • ما في الأرض أي ما في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها وجميع منافعها على كثرتها • لافتدت به لجعلته
فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه • وأسروا الندامة لما رأوا العذاب لأنهم بهتوا لرؤيتهم
ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الأمر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا
ولا ما يفعله الجازع سوى إسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب
حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا • وقيل أسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين أضلوهم حياء منهم وخوفا
من توبيخهم • وقيل أسروها أخلصوها إما لأن إخفاءها إخلاصها وإما من قولهم سر الشيء لخالصه وفيه تهكم بهم
وبإخلاصهم وقت إخلاص الندامة • وقيل أسروا الندامة أظهروها من قولهم أسر الشيء وأشره إذا أظهره وليس هناك
تجلد • وقضي بينهم بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم أتبع ذلك الإعلام بأن له الملك كله وأنه المثيب
المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الإحياء والإماتة لا يقدر عليهما غيره وإلى حسابه وجزائه
المرجع ليعلم أن الأمر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون • يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم
وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين • قد جاءتكم موعظة أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد
من موعظة وتنبيه على التوحيد وهو شفاء أي دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء إلى الحق • ورحمة لمن
آمن منكم • قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون • أصل الكلام بفضل الله وبرحمته
فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد
الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح
فإنه لا مفروح به أحق منهما • ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا • ويجوز أن يراد قد جاءتكم
موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئها فليفرحوا • وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الأصل والقياس وهي قراءة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيما روي وعنه لتأخذوا مصافكم قالها في بعض الغزوات وفي قراءة أبي فافرحوا هو خير

إلى ذلك • وقرئ مما تجمعون بالتاء والياء • وعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل
الله وبرحمته فقال بكتاب الله والإسلام • وقيل فضله الإسلام ورحمته ما وعد عليه • قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق
فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون • أرأيتم أخبروني وما أنزل الله ما في موضع النصب
بأنزل أو بأرأيتم في معنى أخبروني • فجعلتم منه حراما وحلالا أي أنزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم
هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه أنعام وحرث حجر وما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا
آلله أذن لكم متعلق بأرأيتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى أخبروني آلله أذن لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون
ذلك بإذنه أم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه • ويجوز أن تكون الهمزة للإنكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون
على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسأل عنه من الأحكام وباعثة على وجوب الاحتياط
فيه وأن لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان وإتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت وإلا فهو مفتر على الله
وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون • يوم
القيامة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني أي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالإحسان
والإساءة وهو يوم عظيم حيث يهوله • وقرأ عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه وأي ظن ظنوا يوم القيامة
وجيء به على لفظ الماضي لأنه كائن فكأن قد كان • إن الله لذو فضل على الناس حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم
الحلال والحرام • ولكن أكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا إليه • وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن
ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا
أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين • وما تكون في شأن ما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم • والشأن
الأمر وأصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه إذا قصدت قصده والضمير في منه للشأن لأن تلاوة القرآن شأن
من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شأنه أو للتنزيل كأنه قيل وما تتلو من التنزيل من قرآن لأن كل
جزء منه قرآن والإضمار قبل الذكر تفخيم له أو لله عز وجل • ولا تعملون أنتم جميعا • من عمل أي عمل كان • إلا كنا عليكم شهودا
شاهدين رقباء نحصي عليكم • إذ تفيضون فيه من أفاض في الأمر إذا اندفع فيه • وما يعزب وقرئ بالضم والكسر وما يبعد
وما يغيب ومنه الروض العازب • ولا أصغر من ذلك ولا أكبر القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على
الابتداء ليكون كلاما برأسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة أو على لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف إشكال
لأن قولك لا يعزب عنه شيء إلا في كتاب مشكل • فإن قلت لم قدمت الأرض على السماء بخلاف قوله في سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب
عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض • قلت حق السماء أن تقدم على الأرض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون أهل الأرض
وأحوالهم وأعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك أن تقدم الأرض على السماء على أن العطف بالواو حكمه حكم التثنية • ألا إن
أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون • أولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله تعالى
الذين آمنوا وكانوا يتقون فهو توليهم إياه لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فهو توليه إياهم • وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من أولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة • وعن ابن عباس رضي الله
عنهما الإخبات والسكينة • وقيل هم المتحابون في الله • وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن من عباد الله
عبادا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما أعمالهم
فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور
لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس • الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل
لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم • الذين آمنوا نصب أو رفع على المدح أو على وصف الأولياء أو على الابتداء والخبر لهم البشرى
والبشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه • وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها
المسلم أو ترى له • وعنه عليه الصلاة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات • وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن • وعن علي

ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن •
وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا
بالجنة • وأما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم
وإعطاء الصحائف بأيمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات • لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لأقواله ولا إخلاف
لمواعيده كقوله تعالى ما يبدل القول لدي • ذلك إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض • ولا يحزنك
قولهم إن العزة لله جميعا هو السميع العليم • ولا يحزنك وقرئ لا يحزنك من أحزنه قولهم تكذيبهم لك وتهديدهم وتشاورهم
في تدبير هلاكك وإبطال أمرك وسائر ما يتكلمون به في شأنك • إن العزة استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل ما لي لا أحزن
فقيل إن العزة لله جميعا بمعنى أن الغلبة والقهر في مملكة الله جميعا لا يملك أحد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك
عليهم كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إنا لننصر رسلنا • وقرأ أبو حيوة أن العزة بالفتح بمعنى لأن العزة على صريح التعليل • ومن جعله
بدلا من قولهم ثم أنكره فالمنكر هو تخريجه لا ما أنكر من القراءة به • هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون
عليه وهو مكافئهم بذلك • ألا إن لله من في السماوات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون
إلا الظن وإن هم إلا يخرصون • من في السماوات والأرض يعني العقلاء من الملائكة والثقلين وإنما خصهم ليؤذن أن هؤلاء إذا
كانوا له في ملكه فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولا أن يكون شريكا له فيها فما وراءهم
مما لا يعقل أحق أن لا يكون له ندا أو شريكا وليدل على أن من اتخذ غيره ربا من ملك أو إنسي فضلا عن صنم أو غير ذلك فهو مبطل إذ تبع ما
أدى إليه التقليد وترك النظر • ومعنى وما يتبع شركاء أي وما يتبعون حقيقة الشركاء وإن كانوا يسمونها شركاء لأن شركة
الله في الربوبية محال • إن يتبعون إلا ظنهم أنها شركاء • وإن هم إلا يخرصون يكذبون فيما ينسبون إليه أو يحزرون ويقدرون أنها تكون شركاء تقديرا باطلا
ويجوز أن يكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني وأي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الأول بيتبع وكان حقه
وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على أحدهما للدلالة • ويجوز أن تكون ما موصولة معطوفة على من كأنه قيل
ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاؤهم • وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه تدعون بالتاء ووجهه أن يحمل وما
يتبع على الاستفهام أي وأي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين حتى أنهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم
لا تفعلون مثل فعلهم كقوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة فقال إن يتبع
هؤلاء المشركون إلا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق • هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون • ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق بها أن يتفرد بالعبادة
بأن جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش • والنهار مضيئا يبصرون فيه مطالب أرزاقهم
ومكاسبهم • لقوم يسمعون سماع معتبر مدكر • قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض
إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون • سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم
الحمقاء • هو الغني علة لنفي الولد لأنه إنما يطلب الولد من يطلبه ليتقوى به أو ما يطلبه له والسبب في كل ذلك الحاجة فمن الحاجة منتفية
عنه كان الولد عنه منتفيا • له ما في السماوات وما في الأرض فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ أحد منهم ولدا • إن عندكم
من سلطان بهذا ما عندكم من حجة بهذا القول والباء متعلقة بقوله تعالى إن عندكم على أن يجعل القول مكانا للسلطان
كقولك ما عندكم بأرضكم موز كأنه قيل إن عندكم فيما تقولون سلطان • أتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم
غير عالمين فدل على أن كل قول لا برهان عليه لقائله فذلك جهل وليس بعلم • قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون
متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون • يفترون على الله الكذب بإضافة
الولد إليه • متاع في الدنيا أي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حين يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبتهم النبي
صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده • واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان
كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم
اقضوا إلي ولا تنظرون • كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين

الأمر مقامي

الأمر • مقامي مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه
أو قيامي ومكثي بين أظهركم مدة طويلة ألف سنة إلا خمسين عاما • أو مقامي وتذكيري لأنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة
قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى صلوات الله وسلامه عليه أنه
كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود • فأجمعوا أمركم وشركاءكم من أجمع الأمر وأزمعه إذا نواه وعزم عليه قال
هل أغدون يوما وأمري مجمع • والواو بمعنى مع يعني فأجمعوا أمركم مع شركائكم • وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير
المتصل وجاز من غير تأكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو • وقرئ فاجمعوا من الجمع
وشركاءكم نصب بالعطف على المفعول ولأن الواو بمعنى مع • وفي قراءة أبي فاجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم • فإن قلت
كيف جاز إسناد الإجماع إلى الشركاء • قلت على وجه التهكم كقوله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدوني • فإن قلت ما
معنى الأمرين أمرهم الذي يجمعونه وأمرهم الذي لا يكون عليهم غمة • قلت أما الأمر الأول فالقصد إلى إهلاكه يعني
فأجمعوا ما تريدون من إهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وإنما قال ذلك إظهارا لقلة مبالاته وثقته
بما وعده ربه من كلاءته وعصمته وأنهم لن يجدوا إليه سبيلا • وأما الثاني ففيه وجهان • أحدهما أن يراد مصاحبتهم له
وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم أهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم
أي غمة • والغم والغمة كالكرب والكربة • والثاني أن يراد به ما أريد بالأمر الأول والغمة السترة من غمه إذا ستره
ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله أي ولا تستر ولكن يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم إلى إهلاكي مستورا
عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به • ثم اقضوا إلي ذلك الأمر الذي تريدون بي أي أدوا إلي قطعه وتصحيحه
كقوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أو أدوا إلي ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه • ولا تنظرون ولا
تمهلون • وقرئ ثم أفضوا إلي بالفاء يعني ثم انتهوا إلي بشركم • وقيل هو من أفضى الرجل إذا خرج إلى الفضاء أي أصحروا به إلي وأبرزوه
لي • فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين • فإن توليتم فإن أعرضتم عن تذكيري
ونصيحتي فما سألتكم من أجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لأجله من طمع في أموالكم وطلب أجر على عظتكم إن أجري
إلا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة أي ما نصحتكم إلا لوجه الله لا لغرض من أغراض الدنيا • وأمرت أن أكون من المسلمين
الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد أن ذلك مقتضى الإسلام والذي كل مسلم مأمور به والمراد أن يجعل
الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر أن توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق الأمر معهم على الطريق الذي يجب أن يساق عليه وإنما
ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير • فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين • فكذبوه فحقوا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في أولها وذلك
عند مشارفة الهلاك بالطوفان • وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالغرق • كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم
وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له • ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات
فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين • من بعده من بعد نوح • رسلا إلى قومهم يعني هودا وصالحا
وإبراهيم ولوطا وشعيبا فجاءوهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان إيمانهم إلا ممتنعا كالمحال
لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه • بما كذبوا به من قبل يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق
فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث إليهم أحد • كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب
المعتدين • والطبع جار مجرى عنادهم ولجاجهم لأن الخذلان يتبعه ألا ترى كيف أسند إليهم الاعتداء ووصفهم به • ثم بعثنا
من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين • من بعدهم من بعد الرسل بآياتنا
بالآيات التسع • فاستكبروا عن قبولها وهو أعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها • وكانوا قوما
مجرمين كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترءوا على ردها • فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر
مبين • فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله لا من قبل موسى وهارون • قالوا لحبهم الشهوات إن

هذا السحر مبين وهو يعلم ان الحق ابعد شيء من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا
ولا يفلح الساحرون فان قلت هم قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم اتقولون اسحر هذا قلت فيه
اوجه ان يكون معنى قوله اتقولون للحق انعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة
وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم ثم قال اسحر هذا فانكر
ما قالوه في عيبه والطعن عليه وان يحذف مفعول اتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين ثم قيل اسحر هذا
وان يكون جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون
كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا وتكون لكما
الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا
ما انتم ملقون لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه اباءنا
يعنون عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد
والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله ملكه ملك رافة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء ينفي ما عليه الملوك من
ذلك ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى عليه الصلوة والسلام ان تريد الا ان
تكون جبارا في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اي مصدقين لكما فيما جئتما به وقرئ ويكون لكما الكبرياء بالياء فلما القوا قال
موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون
ما جئتم به ما موصولة واقعة مبتدأ والسحر خبر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله وقرئ
آلسحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية اي اي شيء جئتم به اهو السحر وقرا عبد الله ما جئتم به سحر وقرا
ابي ما اتيتم به سحر والمعنى لا ما اتيت به ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة لا يصلح عمل
المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته
بامره ومشيئته فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم وان فرعون لعال في الارض
وانه لمن المسرفين فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا
اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الاباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل الضمير
في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته فان قلت الام يرجع
الضمير في قوله وملائهم قلت الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب ياتمرون له ويجوز
ان يرجع الى الذرية اي على خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم
ويدل عليه قوله تعالى ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد
وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين ان كنتم
آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا
نفوسهم لله اي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه
ان كانت بك قوة فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فقالوا على الله توكلنا انما قالوا ذلك
لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله سبحانه قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء
في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص لا تجعلنا فتنة موضع فتنة لهم اي
عذاب يعذبوننا ويفتنوننا عن ديننا او فتنة لهم يفتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا ونجنا برحمتك
من القوم الكافرين واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة
وبشر المؤمنين تبوأ المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة
لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلوة فيه واجعلوا بيوتكم تلك قبلة اي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة

وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول الامر مامورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا
عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام فان قلت كيف نوع الخطاب
فثنى اولا ثم جمع ثم وحد آخرا قلت خوطب موسى وهرون عليهما السلام ان يتبوءا لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة
وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلوة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص
موسى عليه الصلوة والسلام بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاه
زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى
يروا العذاب الاليم الزينة ما يتزين به من لباس او حلي او فرش او اثاث وغير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فان قلت
ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك قلت هو دعاء بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك انه لما
عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم من عذاب الله وانتقامه
وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا
استكبارا وعن النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال
وان ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة وعلم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم
فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم
بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لا يستاهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كانه قال ليثبتوا على
ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي منهم هم احقاء بذلك واحق كما يقول الاب
المشفق لولده الشاطر اذا لم يقبل منه حسرة على ما فاته من قبول نصيحته وحردا عليه لا ابالي بك فاخلع عنك واتبع هواك
ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد او دعاء بلفظ
النهي وقد حاول بعضهم في ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا وقوله تعالى
فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه
وقرا الفضل الرقاشي أئنك آتيت على الاستفهام والطمس التغيير قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا
تتبعان سبيل الذين لا يعلمون قرئ دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان
والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزيادة
في الزام الحجة فقد لبث نوح في قومه الف عام الا قليلا ولا تستعجلا قال ابن جريج مكث موسى عليه الصلوة والسلام
بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي لا تتبعان طريق الجهلة بعادة الله في تعليق الامور
بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه الصلوة والسلام اني اعظك ان تكون من
الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع وجاوزنا
ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي
آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرا الحسن وجوزنا من اجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذي في
بيت الاعشى واذا تجوزها حبال قبيلة لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال وجوزنا بني اسرائيل في البحر كما قال
كما جوز السكي في الباب فيتق فاتبعهم فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته وقرا الحسن وعدوا وقرئ انه بالفتح على
حذف الباء التي هي صلة الايمان وانه بالكسر على الاستئناف بدلا من آمنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات
في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطا وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة
كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين آلآن اتؤمن الساعة في وقت
الاضطرار حين ادركك الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين الجمه الغرق يعني حين اوشك ان يغرق وقيل

قاله بعد أن غرق في نفسه والذي يحكي أنه حين قال آمنت أخذ جبريل من حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم أن إيمانه لا ينفعه وأما ما يضم إليه من قوله خشية أن تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان إحداهما أن الإيمان يصح بالقلب كإيمان الأخرس فحال البحر لا يمنعه والأخرى أن من كره إيمان الكافر وأحب بقاءه على الكفر فهو كافر لأن الرضا بالكفر كفر من المفسدين من الضالين المضلين عن الإيمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون روي أن جبريل عليه السلام أتاه بفتيا ما قول الأمير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه أن يغرق في البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه **فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون** ننجيك بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الأرض وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك أنه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء إلى الساحل كأنه ثور ببدنك في موضع الحال أي في الحال التي لا روح فيك وإنما أنت بدن أو ببدنك كاملاً سوياً لم ينقص منه شيء ولم يتغير أو عرياناً لست إلا بدناً من غير لباس أو بدرعك قال عمرو بن معدي كرب أعاذل شكتي بدني وسيفي وكل مقلص سلس القياد وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ أبو حنيفة رحمه الله بأبدانك وهو على وجهين إما أن يكون مثل قولهم هوى بأجرامه يعني ببدنك كله وافياً بأجزائه أو يريد بدروعك كأنه كان مظاهراً بينها لمن خلفك آية لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو إسرائيل وكان في أنفسهم أن فرعون أعظم شأناً من أن يغرق وروي أنهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت أبداً وقيل أخبرهم موسى عليه الصلاة والسلام بهلاكه فلم يصدقوه فألقاه الله تعالى على الساحل حتى عاينوه وكأن مطرحه كان على ممر من بني إسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن يأتي بعدك من القرون ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديته ومهانته وأن ما كان يدعيه من الربوبية محال باطل وأنه مع ما كان فيه من عظم الشأن وكبرياء الملك آل أمره إلى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره أو لتكون عبرة تعتبر بها الأمم بعدك فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه إذا سمعوا بحالك وهوانك على الله وقرئ لمن خلقك بالقاف أي لتكون لخالقك آية كسائر آياته ويجوز أن يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس أمرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة إن مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا أن ذلك تعمد منه لإماطة الشبهة في أمرك **ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** مبوأ صدق منزلاً صالحاً مرضياً وهو مصر والشام فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعباً إلا من بعد ما قرأوا التوراة وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلى أن الاختلاف فيه لا يتفرق عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بني إسرائيل وهم أهل الكتاب اختلافهم في صفته أنه هو أم ليس به بعد ما جاءهم العلم والبيان أنه هو أو اختلافهم في أمره بعد ما جاءهم العلم كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم **فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين** فإن قلت كيف قال لرسوله صلى الله عليه وسلم فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك مع قوله في الكفرة وإنهم لفي شك منه مريب قلت فرق عظيم بين قوله وإنهم لفي شك منه مريب بإثبات الشك لهم على سبيل التأكيد والتحقيق وبين قوله تعالى فإن كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كأنه قيل فإن وقع لك شك مثلاً وخيل لك الشيطان خيالاً تقديراً فاسأل الذين يقرؤون الكتاب والمعنى أن الله عز وجل قدم ذكر بني إسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويبالغ في ذلك فقال فإن وقع لك شك فرضاً وتقديراً

وسبيل من خالجته شبهة في الدين أن يسارع إلى حلها وإماطتها إما بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلته وإما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق فسل علماء أهل الكتاب يعني أنهم من الإحاطة بصحة ما أنزل إليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسألتهم فضلاً عن غيرك فالغرض وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك أي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة أن ما أتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله أي فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز أن يكون على طريقة التهييج والإلهاب كقوله تعالى فلا تكونن ظهيراً للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل أحداً منهم وقيل خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد خطاب أمته ومعناه فإن كنتم في شك مما أنزلنا إليكم كقوله تعالى وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب إذا عز أخوك فهن وقيل إن للنفي أي فما كنت في شك فاسأل يعني لا نأمرك بالسؤال لأنك شاك ولكن لتزداد يقيناً كما ازداد إبراهيم عليه الصلاة والسلام بمعاينة إحياء الموتى وقرئ فسل الذين يقرؤون الكتب **إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم** حقت عليهم كلمت ربك ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفاراً فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك **فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين** فلولا كانت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي أهلكناها تابت عن الكفر وأخلصت الإيمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما أخر فرعون إلى أن أخذ بمخنقه فنفعها إيمانها بأن يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرأ أبي وعبد الله فهلا كانت إلا قوم يونس استثناء من القرى لأن المراد أهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز أن يكون متصلاً والجملة في معنى النفي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس وانتصابه على أصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل هكذا روي عن الجرمي والكسائي روي أن يونس عليه الصلاة والسلام بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضباً فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة وقيل قال لهم يونس إن أجلكم أربعون ليلة فقالوا إن رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيماً أسود هائلاً يدخن دخاناً شديداً ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها فحن بعضها إلى بعض وعلت الأصوات والعجيج وأظهروا الإيمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم الله وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى إن الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيرده وقيل خرجوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا إله إلا أنت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى قالوا اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ولو شاء ربك مشيئة القسر والإلجاء لآمن من في الأرض كلهم على وجه الإحاطة والشمول جميعاً مجتمعين على الإيمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه ألا ترى إلى قوله تعالى أفأنت تكره الناس يعني إنما يقدر على إكراههم واضطرارهم إلى الإيمان هو لا أنت وإيلاء الاسم حرف الاستفهام للإعلام بأن الإكراه ممكن مقدور عليه وإنما الشأن في المكره من هو وما هو إلا هو وحده لا يشارك فيه لأنه هو القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده إلى الإيمان وذلك غير مستطاع للبشر **وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون** وما كان لنفس يعني من النفوس التي علم الله أنها تؤمن إلا بإذن الله أي بتسهيله وهو منح الألطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قابل الإذن بالرجس وهو الخذلان والنفس

المعلوم ايمانهما الذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمي الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاي وقرئ ونجعل بالنون • قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون • ماذا في السموات والارض من الآيات والعبر وما تغني الآيات والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون • وقرئ وما يغني بالياء وما نافية او استفهامية • فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين • ايام الذين خلوا من قبلهم وقائع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقائعها • ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين • ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله تعالى الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية • والذين آمنوا ومن آمن معهم • كذلك ننجي المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين • وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا • وقرئ ننجي بالتشديد • قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين • يا ايها الناس يا اهل مكة • ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاستمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون الله من هو الهكم وخالقكم • ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف فيتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء • وامرت ان اكون من المؤمنين يعني ان الله امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحى الي في كتابه • وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني وما انا عليه اثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله تعالى قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون • وامرت ان اكون اصله بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان وان وان يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر • وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين • فان قلت عطف قوله تعالى وان اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان لا تخلو اما ان تكون التي للعبارة او التي تكون مع الفعل في تأويل المصدر فلا يصح ان تكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يأبى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب • قلت قد سوغ سيبويه ان توصل ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال • اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا • وحنيفا حال من الدين او من الوجه • ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين • فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذا جزاء الشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم • وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم • اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله عز وجل هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان اراد بك خيرا لم يرد احد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذن بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله تعالى ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته • فان قلت لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني • قلت كأنه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله تعالى يصيب به من يشاء من عباده

والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة • قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل • قد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك • وما انا عليكم بحفيظ موكول الي امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير • واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين • واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم واعراضهم • حتى يحكم الله لك بالنصر عليهم والغلبة • وروي انها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه الآية بالصبر على ما سيغشاني الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة • قال انس رضي الله عنه فلم نصبر • وروي ان ابا قتادة رضي الله عنه تخلف عن تلقي معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا قال لم تكن عندنا دواب قال فاين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدي اثرة قال معاوية فماذا قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر قال اذن نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان • الا ابلغ معاوية بن حرب • امير الظالمين نثا كلامي • فانا صابرون ومنظروكم • الى يوم التغابن والخصام

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير • احكمت آياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف • ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة كقوله تعالى آيات الكتاب الحكيم • وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال • ابني حنيفة احكموا سفهاءكم • اني اخاف عليكم ان اغضبا • وعن قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة سورة وآية آية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص • وقرئ احكمت آياته ثم فصلت اي احكمتها انا ثم فصلتها • وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل • فان قلت ما معنى ثم • قلت ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل • وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل • وكتاب خبر مبتدأ محذوف • واحكمت صفة له وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون صلة لاحكمت وفصلت اي من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور • الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير • الا تعبدوا مفعول له على معنى لان لا تعبدوا او تكون ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل قال لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله • وان استغفروا اي امركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم اغراء منه على اختصاص الله تعالى بالعبادة ويدل عليه قوله انني لكم نذير وبشير كأنه قال ترك عبادة غير الله انني لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب • والضمير في منه لله تعالى اي انني لكم نذير وبشير من جهته كقوله تعالى رسول من الله او هي صلة لنذير اي انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان آمنتم • وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير • فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا • قلت معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا

اليه بالطاعة او استغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله تعالى ثم استقاموا
يمتعكم يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى الى ان يتوفاكم
كقوله فلنحيينه حيوة طيبة ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة
فيه جزاء فضله لا يبخس منه او فضله في الثواب والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات وان تولوا
وان تتولوا عذاب يوم كبير هو يوم القيمة وصف بالكبير كما وصف بالعظم والثقل وبين عذاب اليوم الكبير بان مرجعهم
الى من هو قادر على كل شيء فكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ وان تولوا من ولّى الا انهم
يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم
بذات الصدور يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن
ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع
رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار في قوله تعالى اضرب البحر فانفلق
معناه فضرب فانفلق ومعنى الا حين يستغشون ثيابهم يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم ايضا
كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه الصلوة والسلام جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم
ما يسرون وما يعلنون يعني انه لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من
الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روي انها نزلت
في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة وله منطق حلو وحسن سياق الحديث يعجب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين وقرئ تثنوني صدورهم واثنوني
افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وقرئ بالياء والتاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما لتثنوني وقرئ
تثنون صدورهم واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلأ يريد مطاوعة صدورهم للثني كما
ينثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابيأضت
وادهامّت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها
ومستودعها كل في كتاب مبين فان قلت كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل قلت هو
تفضل الا انه لما ضمن ان يتفضل به عليهم رجع التفضيل واجبا كنذور العباد والمستقر مكانه من الارض ومسكنه
والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة كل كل من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها
في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء
ليبلوكم ايكم احسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين
وكان عرشه على الماء اي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على ان العرش
والماء كانا مخلوقين قبل السماء والارض وقيل وكان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك وكيف ما كان فالله ممسك كل
ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام كانت احوج الى امساك الله اياه ليبلوكم متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة بالغة وهي
ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر
وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان قلت
كيف جاز تعليق فعل البلوى قلت لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن
وجها واسمع ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم فان قلت كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال
المؤمنين هي التي تتفاوت الى حسن واحسن فاما اعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح قلت الذين هم
احسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم
تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم وعن النبي صلى الله عليه

ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقرئ ولئن قلت انكم مبعوثون
بفتح الهمزة ووجهه ان يكون من قولهم ائت السوق انك تشتري لحما وان تشتري بمعنى علّك اي ولئن قلت
لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تثبتوا القول بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر مبين
ويجوز ان يضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر ان هذا القول باطل لان بطلان السحر مما يشبه
به فاشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره
وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن
ما يحبسه الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ولئن اذقنا الانسان
منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور العذاب عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله
عنه قتل جبريل المستهزئين الى امة الى جماعة من الاوقات ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه
التكذيب والاستهزاء ويوم ياتيهم منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك انه اذا
جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث
يقع العامل وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا به يستهزؤن العذاب الذي كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزؤن موضع
يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله في اخباره
الانسان للجنس رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها ثم سلبناه تلك النعمة انه ليؤس شديد
الياس من ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم ولا استرجاع
كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نسّاء له ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب
السيئات عني انه لفرح فخور ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس
بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر
كبير الا الذين آمنوا فان عادتهم ان نالتهم رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا فلعلك تارك
بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير والله
على كل شيء وكيل كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة
مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن
ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون
منه فحرّكه الله وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اي
لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم ان يقولوا
لولا انزل عليه كنز اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال انما
انت نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردّوا او تهاونوا او اقترحوا
والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي
بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم فان قلت لم عدل عن ضيق الى ضائق
قلت ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان افسح الناس صدرا ومثله قولك
زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستمرين فاذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما
عامين في بعض القراءات وقول السمهري العكلي بمنزلة اما اللئيم فسامن بها وكرام الناس باد شحوبها
ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين
ام منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى اليك تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاطر في الخط لصاحبه
اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله

ذهابا الى حائط مكل فاحرق بنياله • مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتراه يعني القرآن واختلقته من عند نفسك
وليس من عند الله فاوحده على دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي
وان الامر كما قلتم فاتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما قدرت
عليه من الكلام **فان قلت** كيف يكون ما ياتون به مثله وما ياتون به مفترى وهذا غير مفترى **قلت** معناه
مثله في حسن النظم والبيان وان كان مفترى • فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل
انتم مسلمون • **فان قلت** ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل **قلت** معناه
فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع
آخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم • ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله فان شئت حرمت
النساء سواكم • ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين والضمير في فان لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم
من تدعون من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه • فاعلموا انما انزل
بعلم الله اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه • واعلموا عند ذلك ان
لا اله الا هو وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم • فهل انتم مسلمون متابعون بالاسلام بعد هذه
الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد • ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا
يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد • ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون • من كان
يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون • نوف اليهم نوصل اليهم اجور اعمالهم
وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم
اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت
حتى يقال فلان جرئ فقد قيل • وعن انس بن مالك هي في اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا
رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن • وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم في الغنائم • وقرئ يوف بالياء على ان الفعل لله عز وجل وتوف اليهم اعمالهم على البناء
للمفعول • وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله يقول لا غائب مالي ولا
حرم • اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون • وحبط
ما صنعوا فيها وحبط في الآخرة ما صنعوا وصنيعهم يعني لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما ارادوا به
الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا • وباطل ما كانوا يعملون اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل
الباطل لا ثواب له • وقرئ وبطل على الفعل • وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان تكون ما ابهامية وينتصب
بيعملون ومعناه وباطلا اي باطل ما كانوا يعملون • وان تكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون • افمن كان
على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به
من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون • افمن كان على بينة معناه
امن كان يريد الحيوة الدنيا كمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا
بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وغيره كان على بينة من ربه اي على
برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل • ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد
يشهد بصحته وهو القرآن • منه من الله او شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا • ومن قبله ومن قبل القرآن
كتاب موسى • وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن
شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
ومن عنده ام الكتاب • ومن قبله كتاب موسى يعني ومن قبل القرآن التوراة • اماما كتابا موتما به في الدين قدوة فيه

ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم • اولئك من كان على بينة يؤمنون به يؤمنون بالقرآن • ومن يكفر به من الاحزاب
يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم • فالنار موعده • فلا تك في مرية
وقرئ مرية بالضم وهي الشك • منه من القرآن او من الموعد • ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك
يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين • يعرضون على
ربهم يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم ويشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه
اتخذ ولدا وشريكا ويقال الا لعنة الله على الظالمين فيا خزياه ويا فضيحتاه • والاشهاد جمع شاهد او شهيد
كاصحاب واشراف • الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون • ويبغونها عوجا
يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد • وهم الثانية لتاكيد كفرهم بالآخرة
واختصاصهم به • اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب
ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون • اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله
في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم
وتاخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد • يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعف • ما كانوا يستطيعون
اراد انهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون • ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر
عليه فيوعوع به على اهل العدل كانه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه
سمعي • ويحتمل ان يريد بقوله وما كان لهم من اولياء انهم جعلوا آلهتهم اولياء من دون الله وولاية هذه ليست بشيء فما كان
لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون
للولاية • وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد • اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون • خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما
كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها • لا جرم فسر في مكان آخر • هم الاخسرون لا ترى احدا ابين خسرى منهم
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون • واخبتوا الى ربهم
واطمأنوا اليه وانقطعوا اليه بالعبادة من الخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء
الدنيء الخبيت • قال ينفع الطيب القليل من الرزق • ولا ينفع الكثير الخبيت • مثل الفريقين كالاعمى والاصم
والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون • شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع
وهو من اللف والطباق وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب
وان يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم او الذي جمع بين البصر والسمع على ان تكون الواو في الاصم وفي السميع
لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب • هل يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها • ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم
نذير مبين • ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم • اني لكم قرئ بالكسر على ارادة القول وبالفتح على اضمار الجار
اي ارسلناه باني لكم نذير ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار
فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد • ان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير او تكون ان مفسرة
متعلقة بارسلنا او بنذير • اليم • **فان قلت** فاذا وصف به العذاب **قلت** مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما
قولك نهارك صائم • فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا
بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين • الملأ الاشراف من قولهم فلان مليء بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملؤ بالامر لانهم ملؤا بكفايات الامور

بها وبتدبيرها • او لانهم متمالئون اي يتظاهرون ويتساندون • او لانهم يملؤن القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملئوا بالاحلام والاراء الصائبة • ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم احق منه بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملأ وموازيهم في المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل او ارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا • والاراذل جمع الارذل كقوله تعالى اكابر مجرميها • احاسنكم اخلاقا • بادي الرأي بالهمز وغير الهمز يعني اتبعوك اول الرأي او ظاهر الرأي وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث اول رأيهم او وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه • ارادوا ان اتباعهم لك انما هو شيء عنّ لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا ان يجعل سببا في الاختيار للنبوة والتأهيل لها على ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام بعثوا مرغبين في طلب الاخرة ورفض الدنيا متزهدين فيها مصغرين لشأنها وشأن من اخلد اليها فما ابعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله • من فضل من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة • بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه • قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون • ارأيتم اخبروني • ان كنت على بينة على برهان من ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواي • وآتاني رحمة من عنده • بايتاء البينة على ان البينة في نفسها هي الرحمة • ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة • فان قلت فقوله فعميت ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه ان يقال فعميتا • قلت الوجه ان يقدر فعميت بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت • وقرئ فعميت بمعنى اخفيت • وفي قراءة ابي فعماها عليكم • فان قلت فما حقيقته • قلت حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد • فان قلت فما معنى قراءة ابي • قلت المعنى انهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله انلزمكموها وانتم لها كارهون يعني انكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه في الدين وقد جيء بضميري المفعولين متصلين جميعا • ويجوز ان يكون الثاني منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم الله ويجوز فسيكفيك اياهم • وحكي عن ابي عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر • ويا قوم لا اسألكم عليه مالا ان اجري الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني اراكم قوما تجهلون • والضمير في قوله لا اسألكم عليه يرجع الى قوله اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله • وقرئ وما انا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الاصل • فان قلت ما معنى قوله انهم ملاقوا ربهم • قلت معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم او يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما اعرف غيره منهم او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية • او هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة • تجهلون تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا • او تجهلون لقاء ربكم او تجهلون انهم خير منكم • ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم افلا تذكرون • من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه ان طردتهم وكانوا يسألونه ان يطردهم ليؤمنوا به انفة من ان يكونوا معهم على سوا • ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله

خيرا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين • اعلم الغيب معطوف على عندي خزائن الله اي لا اقول عندي خزائن الله ولا اقول انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندي خزائن الله فادعي فضلي عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل • ولا ادعي علم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب والافتراء • او حتى اطلع على ما في نفس اتباعي وضمائر قلوبهم • ولا اقول اني ملك حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا • ولا احكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم • ان الله لن يؤتيهم خيرا في الدنيا والاخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم • اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك • والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى به قصر به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه • قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين • قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين • جادلتنا فاكثرت جدالنا معناه اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر واطاب • فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل • انما يأتيكم به الله اي ليس الاتيان بالعذاب الي انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه • ان شاء يعني ان اقتضت حكمته ان يعجله لكم • وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما فاكثرت جدلنا • ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون • فان قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين • قلت قوله ان كان الله يريد ان يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله ولا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت اليك ان امكنني • فان قلت ما معنى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم • قلت اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه وشأنه ولم يلجئه سمي ذلك اغواء واضلالا كما انه اذا عرف منه انه يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك • ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا تنفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر الطافه فكيف ينفعكم نصحي • ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون • فعلي اجرامي • وقرئ اجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله عز وجل والله يعلم اسرارهم واسرارهم ونحو جرم واجرام قفل واقفال ويعضد الجمع ان فسره الاولون بآثامي والمعنى ان صح وثبت اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي لافترائي وكان حقي حينئذ ان تعرضوا عني وتتألبوا علي • وانا بريء يعني ولم يثبت ذلك وانا بريء منه • ومعنى مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم • واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون • لن يؤمن من قومك الا من قد آمن اقناط من ايمانهم وانه كالمحال الذي لا يتوقع • الا من قد آمن الا من قد وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه • فلا تبتئس فلا تحزن حزن بائس مستكين • قال وكم من خليل او حميم رزئته فلم نبتئس والرزء فيه جليل • والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام منهم • واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون • باعيننا في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كأن لله معه اعينا تكلؤه ان يزيغ في صنعته عن الصواب وان لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدائه • ووحينا وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع • عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر • ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك • انهم مغرقون انهم محكوم عليهم بالاغراق وقد وجب ذلك وقضي به القلم فلا سبيل الى كفه • ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون • ويصنع الفلك حكاية حال ماضية • سخروا منه ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية في ابعد موضع من الماء في وقت عزته وكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا • فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم • اذا وقع عليهم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة

لسخط الله وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا
عن جهل بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق • وروي ان نوحا عليه الصلوة
والسلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون
ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام • وفي البطن الاوسط
الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه الصلوة
والسلام وجعله معترضا بين الرجال والنساء • وعن الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة
وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه الصلوة والسلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا
عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا
فقالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا
هو قائم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى عليه الصلوة والسلام اهكذا هلكت قال
لا مت وانا شاب ولكنني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان
طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلث طبقات طبقة للدواب
والوحش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا • من ياتيه
عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم • من ياتيه في محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي
ياتيه عذاب يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق • ويحل عليه يحل عليه حلول الدين
والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه • عذاب مقيم وهو عذاب الآخرة • حتى اذا جاء امرنا وفار
التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه
الا قليل • حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء فان قلت وقعت
غاية لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك اي كان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد فان قلت فاذا
اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت هو حال من يصنع كانه قال يصنعها والحال انه كلما
مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فان قلت فما جواب كلما قلت انت بين امرين اما ان تجعل سخروا
جوابا وقال استئنافا على تقدير سؤال سائل او تجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملأ وقال جوابا • واهلك عطف على
اثنين وكذلك ومن آمن يعني واحمل اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من اهله • من سبق عليه القول انه من
اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته به تعالى الله عن ذلك
قال الضحاك اراد ابنه وامرأته • الا قليل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانوا ثمانية نوح واهله
وبنوه الثلاثة ونساؤهم • وعن محمد بن اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة • وقيل كانوا اثنين وسبعين
رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء
وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم • يجوز ان يكون كلاما واحدا وكلامين
فالكلام الواحد ان يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها
ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف
كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج • ويجوز ان يكونا مكانين للاجراء والارساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى
الفعل او بما فيه من ارادة القول والكلامان ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة من مبتدأ وخبر مقتضبة
اي بسم الله اجراؤها وارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله
فرست • ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما • ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره
وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسى اما مصدرين او وقتين او مكانين • وقرأ مجاهد مجريها

ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل صفتين لله • فان قلت ما معنى قولك جملة مقتضبة قلت
معناه ان نوحا عليه الصلوة والسلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله او بامره وقدرته
ويحتمل ان تكون غير مقتضبة بان تكون في موضع الحال كقوله • جاؤوا بهم سكر علينا • فلا تكون كلاما براسه
ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة بسم الله
بمعنى التقدير كقوله فادخلوها خالدين • ان ربي لغفور رحيم اي لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم • وهي تجري
بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين • فان قلت
بم اتصل قوله وهي تجري بهم قلت بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله
وهي تجري بهم اي تجري وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها
فان قلت الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض وكانت
الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج قلت كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يغمر
الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه ساوي الى جبل يعصمني من الماء • وقيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام
وقرأ علي رضي الله عنه ابنها والضمير لامرأته • وقرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير رضي الله عنه ابنه بفتح الهاء يريدان
ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن • قال قتادة رضي الله عنه سألته فقال والله ما كان ابنه
فقلت ان الله تعالى حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن ياخذ
دينه من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني ولنسبته الى امه وجهان احدهما ان يكون ربيبا له كعمر بن ابي
سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم الصلوة والسلام
وقرأ السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي اي قال يا ابناه • والمعزل مفعل من عزله اذا نحاه وابعده يعني
في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المؤمنين • وقيل كان في معزل من دين ابيه • يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا
عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف
لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة • قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله
الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين • قوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم لا يعصم اليوم من الطوفان الا الراحم وهو الله
او لا عاصم اليوم من الطوفان الا مكان من رحم الله من المؤمنين ونجاهم يعني السفينة • وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة
الا من رحمه الله كقوله ماء دافق وعيشة راضية • وقيل الا من رحم استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم
كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن • وقرئ الا من رحم على البناء للمفعول • وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي
وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين • نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز
على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز والعقل

على الجلال والكبرياء وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد
لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي مثل ذلك الامر الهائل غيره
ولا ان تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان
هذه الاية ورقصوا لها رؤسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو
كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور ● وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون
من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم ● وروي ان نوحا عليه الصلوة والسلام صام يوم الهبوط وامر من
معه فصاموا شكرا لله تعالى ● وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ
نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله ● فان قلت فاذا كان
النداء هو قوله رب فكيف عطف فقال على نادى بالفاء ● قلت اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء
نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء ● ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان
ابنه من صلبه او ربيبا له فهو بعض اهله ● وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك
في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي ● وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل
لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة
ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ● ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل
دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل رحمه الله عليه ● قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا
تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ● انه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه
ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا
وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك ● وجعلت
ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار ● وقيل الضمير لنداء نوح عليه الصلوة والسلام اي
ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك ● فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد ● قلت لما نفاه عن اهله نفى
عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي وآذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم
اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم ينفعه انه ابنك كقوله تعالى كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين
فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا ● وقرئ عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح ● وقرئ فلا تسألن بغير ياء
الاضافة وبالنون بالتثقيل بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى
تقف على كنهه وذكر المسألة دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خاف عليه ● فان قلت لم سمي نداؤه سؤالا ولا
سؤال فيه ● قلت قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة اهله في وقت مشارفة ولده
الغرق فقد استنجز وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين والله اعلم
● فان قلت قد وعده ان ينجي اهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان
العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة
الشبهة واجب فلم زجر وسمي سؤاله جهلا ● قلت ان الله عز وجل قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق
عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب العذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين
وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب
ان لا يشتبه ● ان اسألك من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بادبك واتعاظا بموعظتك ● قَالَ رَبِّ
إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ● والا تغفر لي ما فرط مني من ذلك
وترحمني بالتوبة علي اكن من الخاسرين اعمالا ● قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ

وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ● وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء ● بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا
او مسلما عليك مكرما ● وبركات عليك ومباركا عليك ● والبركات الخيرات النامية ● وقرئ وبركة عليك على التوحيد
● وعلى امم ممن معك يحتمل ان تكون من للبيان فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او
قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم ● وان تكون لابتداء الغاية اي على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى اخر الدهر
وهو الوجه ● وقوله تعالى وامم رفع بالابتداء ● وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم
وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه ● والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين بالدنيا
منقلبون الى النار ● وكان نوح عليه الصلوة والسلام ابا الانبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة
وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر
● وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب ● وقيل المراد بالامم
الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب صلوات الله عليهم اجمعين ● تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ
تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ● تلك اشارة الى قصة نوح عليه الصلوة والسلام
ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها اخبار اي تلك القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك
● من قبل هذا من قبل ايحائي اليك واخبارك بها ● او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوحي ● فاصبر على
تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه ● ان العاقبة في الفوز
والنصر والغلبة للمتقين ● قوله ولا قومك معناه ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك
شانهم لا يسمعونه ولا يعرفونه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده ● وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ
يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ● اخاهم واحدا منهم وانتصابه بالعطف على ارسلنا نوحا وهودا
عطف بيان ● وغيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور ● وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ ● ان انتم الا مفترون على
الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء ● ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شانهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها
ولا يمحضها الا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم ينجع ولم ينفع ● افلا تعقلون اذ تردون نصيحة من
لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب الاخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك ● يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ
إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ● وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا
وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ● قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ
وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ● استغفروا ربكم امنوا به ● ثم توبوا اليه من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد
الايمان ● والمدرار الكثير الدرور كالمغزار وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر
وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شيء
الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل
ناحية ● وقيل اراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت ارحامهم
● وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا
يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في
اليوم سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة
اخرى فسأله الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ● ولا تتولوا
ولا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه وارغبكم فيه ● مجرمين مصرين على اجرامكم واثامكم ● ما جئتنا ببينة
كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه اية من ربه مع فوت آيات الحصر
● عن قولك حال من الضمير في تاركي الهتنا كانه قيل وما نترك الهتنا صادرين عن قولك ● وما نحن لك بمؤمنين

وما يصح من أمثالنا أن يصدقوا مثلك فيما تدعوهم إليه اتفاقا لما بين الإجابة • إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا
بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون • من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون •
إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم • اعتراك
مفعول نقول وإلا لغو والمعنى ما نقول إلا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أي خبلك ومسك بجنون لأنك سببتها
وصددت عنها وعاديتها فكافأتك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي
بهذيان المبرسمين وليس بعجب من أولئك أن يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم عاد أعلام الكفر وأوتاد
الشرك وإنما العجب من قوم من المتظاهرين بالإسلام سمعناهم يسمون التائب عن ذنوبه مجنونا والمنيب إلى ربه مخبلا
ولم نجدهم نعتوه على عيش مما كانوا عليه في أيام جاهليته من الوقاحة وما ذاك إلا لأن الرقة من الإلحاد إلى الأرذلين
وضيق من الزندقة إذ كان يطلع برأسه وقد دلت أجوبتهم المتقدمة على أن القوم كانوا جفاة غلاظ الأكباد
لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون إلى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الأخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث
اعتقدوا في حجارة أنها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين أجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب من أعظم الآيات أن
يواجه بهذا الكلام رجل واحد أمة عطاشا إلى إراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وأنه
يعصمه منهم فلا ينشبون فيه مخالبهم ومثله قال نوح عليه الصلاة والسلام لقومه • ثم اقضوا إلي ولا تنظرون
أكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الأمور بشهادة الله وشهادة العباد
فيقول الرجل الله شهيد على أني لا أفعل كذا ليوثق العقد ويقول اشهدوا على أني لا أفعله فإن قلت هلا قيل إني أشهد
الله وأشهدكم قلت لأن إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده
وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما
وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على أني لا أحبك تهكما به واستهانة
بحاله • مما تشركون من دونه من إشراككم آلهة من دونه أو مما تشركونه من آلهة من دونه أي أنتم تجعلونها شركاء له ولم
يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا • فكيدوني جميعا أنتم وآلهتكم أعجل ما تفعلون من غير إنظار فإني لا أبالي
بكم وبكيدكم ولا أخاف معرتكم وإن تعاونتم علي وأنتم الأقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي إلا جماد لا تضر ولا
تنفع وكيف تنتقم مني إذا نلت منها وصددت عن عبادتها بأن تخبلني وتذهب بعقلي • ولما ذكر توكله على الله وثقته
بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة
في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والأخذ بناصيتها تمثيل لذلك • إن ربي على صراط مستقيم يريد أنه على
طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به • فإن قلت الإبلاغ كان قبل التولي فكيف وقع
جزاء للشرط قلت معناه فإن تتولوا لم أعاتب على تفريط في الإبلاغ وكنتم محجوجين بأن ما أرسلت به إليكم
قد بلغكم فأبيتم إلا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول • ويستخلف كلام مستأنف يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم
آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم • ولا تضرونه بتوليكم • شيئا من ضرر قط لأنه لا يجوز عليه المضار والمنافع
وإنما تضرون أنفسكم • وفي قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد أبلغتكم والمعنى
إن تتولوا يعذرني ويستخلف • قوما غيركم ولا تضروا إلا أنفسكم • على كل شيء حفيظ أي رقيب عليه مهيمن فما
تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم أو من كان رقيبا على الأشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة إلى حفظه
من المضار لم يضر مثلكم • ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب
غليظ • وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد • وأتبعوا في هذه
الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود • والذين آمنوا معه قيل كانوا
أربعة آلاف • فإن قلت ما معنى تكرير التنجية قلت ذكر أولا أنه حين أهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم

من عذاب

من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك أن الله عز وعلا بعث عليهم السموم
فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم عضوا عضوا • وقيل أراد بالثانية التنجية من عذاب
الآخرة ولا عذاب أغلظ منه وأشد • وقوله برحمة منا يريد بسبب الإيمان الذي أنعمنا عليهم بالتوفيق له • وتلك
عاد إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا • ثم استأنف وصف أحوالهم
فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لأنهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين أحد
من رسله • قيل لم يرسل إليهم إلا هود عليه الصلاة والسلام وحده • كل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم
ودعاتهم إلى تكذيب الرسل ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم فلما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة
لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله • وألا وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم
وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم • فإن قلت بعدا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء
به عليهم بعد هلاكهم قلت معناه الدلالة على أنهم كانوا مستأهلين له ألا ترى إلى قوله • إخوتي لا تبعدوا
أبدا • وبلى والله قد بعدوا • قوم هود عطف بيان لعاد فإن قلت ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل
بدونه قلت الفائدة فيه أن يوسموا بهذه الدعوة وسما ويجعل فيهم أمر محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه
ولأن عادا عادان الأولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والأخرى إرم • وإلى ثمود أخاهم صالحا
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا
إليه إن ربي قريب مجيب • قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا
وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب • هو أنشأكم من الأرض لم ينشئكم منها إلا هو ولم يستعمركم فيها غيره
وإنشاؤهم منها خلق آدم من التراب • واستعمركم وأمركم بالعمارة والعمارة متنوعة إلى واجب وندب ومباح
ومكروه وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الأنهار وغرس الأشجار وعمروا الأعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف
الرعايا فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فأوحى الله إليه أنهم عمروا بلادي فعاش فيها
عبادي • وعن معاوية بن أبي سفيان أنه أخذ في إحياء أرض في آخر عمره فقيل له فقال ما حملني عليه إلا قول
القائل • ليس الفتى بفتى لا يستضاء به • ولا يكون له في الأرض آثار • وقيل استعمركم من العمر
[illegible]
قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير • ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب • فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب • فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز • وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين • كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود •
[illegible]

وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني من عذاب الله • فما تزيدونني اذن حينئذ غير تخسير يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها
او فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون • آية نصب على
الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل • فان قلت فبم يتعلق لكم • قلت بآية حالا منها
متقدمة لانها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال • عذاب قريب عاجل لا يستأخر عن
مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلاثة ايام ثم يقع عليكم • تمتعوا استمتعوا بالعيش • في داركم في بلدكم وتسمى البلاد
الديار لانه يدار فيها اي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب
البلد • وقيل في دار الدنيا • وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت • غير مكذوب غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف
بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله • ويوم شهدناه • او على المجاز كانه قيل للوعد
نفي بك فاذا اوفي به فقد صدق ولم يكذب • او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة
بمعنى الصدق • ومن خزي يومئذ قرئ مفتوح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله • على حين عاتبت
فان قلت علام عطف • قلت على نجينا لان تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ
على ونجيناهم من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله
وانتقامه • ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيمة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة • وقرئ الا ان ثمودا لثمود
كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحي او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتانيث بمعنى القبيلة
ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فلما
رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامرأته
قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب • رسلنا يريد الملائكة عن ابن عباس جاءه جبريل
وميكائيل واسرافيل • وقيل كانوا تسعة • وعن السدي احد عشر • بالبشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم
لوط والظاهر الولد • سلاما سلمنا عليك سلاما • سلام امركم سلام • وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام
وقيل سلم وسلام كحرم وحرام • وانشد مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح •
فما لبث ان جاء فما لبث في المجيء به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه • والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والخبش بلغة
اهل السراة • وكان مال ابراهيم البقر • حنيذ مشوي بالرضف في اخدود • وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت
الفرس اذا القيت عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين • نكره وانكره واستنكره ومنكور قليل
في كلامهم وكذلك انا انكرتك ولكن منكر ومستنكر وانكرت وقال الاعشى وانكرتني وما كان الذي نكرت
من الحوادث الا الشيب والصلعا • قيل كان ينزل في طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها • وقيل كانت
عادتهم انه اذا مس من يطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه • والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف
ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال
هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا • فاوجس فاضمر وانما قالوا لا تخف لانهم رأوا اثر الخوف والتغير في
وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب •
وامرأته قائمة قيل كانت قائمة تسمع تحاورهم • وقيل كانت قائمة على رؤوسهم تخدمهم • وفي مصحف
عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد • فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث او كان
ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب • وقيل كانت تقول لابراهيم اضمم لوطا ابن اخيك
اليك فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت • وقيل
فضحكت فحاضت • وقرأ محمد بن زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحاء • يعقوب رفع كانه قيل
ومن وراء اسحاق يعقوب مولود او موجود اي من بعده • وقيل الوراء ولد الولد • وعن الشعبي

انه قيل

انه قيل له اهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده • وقرئ يعقوب بالنصب كانه قيل ووهبنا
لها اسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب على طريقة قوله • ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب • قالت يا
ويلتى أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب • قالوا أتعجبين من امر الله رحمة
الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد • فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى
يجادلنا في قوم لوط ان ابراهيم لحليم اواه منيب • يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب
غير مردود • الالف في يا ويلتا مبدلة من ياء الاضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا • وقرأ الحسن
يا ويلتي بالياء على الاصل • وشيخا نصب بما دل عليه اسم الاشارة • وقرئ شيخ على انه خبر مبتدأ
محذوف اي هذا بعلي هو شيخ او بعلي بدل من المبتدأ وشيخ خبر او يكونا معا خبرين • قيل بشرت
ولها ثمان وتسعون سنة ولابراهيم مائة وعشرون • ان هذا لشيء عجيب ان يولد ولد من هرمين وهو استبعاد
من حيث العادة التي اجراها الله • وانما انكرت عليها الملائكة تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت
في بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي
سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت الملائكة
صلوات الله عليهم في قولهم رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة
ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان تعجب • وامر الله قدرته وحكمته • وقوله رحمت الله وبركاته
عليكم كلام مستأنف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم
وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم • حميد فاعل
ما يستوجب به الحمد من عباده • مجيد كريم كثير الاحسان اليهم • واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص لان
اهل البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن • الروع ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه والمعنى انه
لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة • فان قلت اين جواب لما
قلت هو محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به واجمعوا • وقوله يجادلنا كلام مستأنف دال على الجواب
تقديره اجترأ على خطابنا او فطن لمجادلتنا او قال كيت وكيت ثم ابتدأ فقال يجادلنا في قوم لوط • وقيل في يجادلنا
هو جواب لما وانما جيء به مضارعا لحكاية الحال • وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى
الاستقبال • وقيل معناه اخذ يجادلنا واقبل يجادلنا • ومجادلته اياهم انهم قالوا
انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال
فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك
قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله • في قوم لوط في معناهم [illegible]
[illegible] • لحليم غير عجول على الانتقام من المسيء اليه • اواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس • منيب تائب راجع الى الله
[illegible] فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب [illegible]
يا ابراهيم على ارادة القول اي قالت الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه • انه قد جاء امر ربك
وهو قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا
دعاء ولا غيره • ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب • وجاءه
قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا
تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد • قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد

قالوا لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد • قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك
بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح
بقريب • فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل • منضود
مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد • كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لأنه حسبهم
أناسا فخاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي أن الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم
حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم إلى منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية
قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله إنها لشر قرية في الأرض عملا يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم
بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها • يقال يوم عصيب وعصوصب إذا كان شديدا من قولك عصبه
إذا شده • يهرعون يسرعون كأنما يدفعون دفعا • ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا
يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤوا يهرعون
مجاهرين لا يكفهم حياء • وقيل معناه وقد عرف لوط عليه الصلاة والسلام عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك
هؤلاء بناتي أراد أن يقي أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم • وأراد هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج
المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من ابن أبي لهب وأبي العاص بن وائل قبل الوحي
وهما كافران • وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه • وقرأ ابن مروان هن أطهر لكم
بالنصب فقد ضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان في لحنه • وعن أبي عمرو بن العلاء من قرأ هن أطهر بالنصب فقد
تربع في لحنه وذلك أن انتصابه على أن يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلي شيخا
أو ينصب هؤلاء بفعل مضمر كأنه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز
لأن الفصل يختص بالوقوع بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا
وذلك أن يكون هؤلاء مبتدأ • وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدأ كقولك هذا أخي هو ويكون أطهر حالا
فاتقوا الله بإيثارهن عليهم • ولا تخزون ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي أو ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء
في ضيفي في حق ضيوفي فإنه إذا خزي ضيف الرجل أو جاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم وأصالة
المروءة • أليس منكم رجل رشيد رجل واحد يهتدي إلى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء • وقرئ ولا تخزون
بطرح الياء ويجوز أن يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم وإظهارا لشدة امتعاضه مما أوردوا
عليه طمعا في أن يستحيوا منه ويرقوا له إذا سمعوا ذلك فيتركوا الضيوف مع ظهور الأمر واستقرار العلم عنده
وعندهم أن لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت مستشهدين بعلمه • ما لنا في بناتك من حق لأنك
لا ترى مناكحتنا وما هو إلا عرض سابري • وقيل لما اتخذوا إتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم
أنه هو الحق وأن نكاح الإناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لأن نكاح الإناث أمر خارج من
مذهبنا الذي نحن عليه • ويجوز أن يقولوا على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة • لتعلم ما نريد عنوا إتيان الذكور
وما لهم فيه من الشهوة جواب لو محذوف كقوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال المعنى لو أن لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت
يقال ما لي به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لكم بها وما لي به يدان لأنه في معنى لا أضطلع به ولا أستقل به والمعنى
لو قويت عليكم بنفسي أو أويت إلى قوي أستند إليه وأتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل
في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه إن ركنك لشديد • وقال النبي صلى الله عليه
وسلم رحم الله أخي لوطا كان يأوي إلى ركن شديد • وقرئ أو آوي بالنصب بإضمار أن كأنه قيل لو أن لي قوة أو
أويا كقولها للبس عباءة وتقر عيني • وقرئ إلى ركن بضمتين وروي أنه أغلق بابه حين جاؤوا
وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط

إن ركنك

قال أمير كاتب الحاج الله في حاشية كتابه
الضمير في قولها للبس يعود به بتشكل لام يريد بشفاعته

إن ركنك لشديد • إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن
جبريل ربه في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح
من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال فطمسنا
أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فإن في بيت لوط قوما سحرة • لن يصلوا إليك
جملة موضحة للتي قبلها لأنهم إذا كانوا رسل الله لم يصلوا إليه ولم يقدروا على ضرره • قرئ فاسر بالقطع
والوصل وإلا امرأتك بالرفع والنصب • وروي أنه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال أريد أسرع من ذلك
فقالوا أليس الصبح بقريب • وقرئ الصبح بضمتين فإن قلت ما وجه قراءة من قرأ إلا امرأتك بالنصب
قلت استثناها من قوله فأسر بأهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا
امرأتك • ويجوز أن ينتصب عن لا يلتفت على أصل الاستثناء وإن كان الفصيح هو البدل على أصل الاستثناء
وإنه كان الفصيح هو البدل أعني قراءة من قرأ بالرفع فأبدلها عن أحد • وفي إخراجها مع أهلها روايتان
روي أنه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه
فأدركها حجر فقتلها • وروي أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فإن هواها إليهم فلم يسر بها واختلاف
القراءتين لاختلاف الروايتين • جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل جناحه في أسفلها ثم رفعها إلى السماء
حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم • من سجيل قيل
هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين • وقيل هي من أسجله إذا أرسله لأنها ترسل على الظالمين
ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة • وقيل مما كتب الله أن يعذب به من السجل وسجل لفلان • منضود
نضد في السماء نضدا معدا للعذاب • وقيل يرسل بعضه في إثر بعض متتابعا • مسومة معلمة
للعذاب • وعن الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة • وقيل عليها سيما تعلم بها أنها ليست من حجارة
الأرض • وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به • وما هي من الظالمين من كل ظالم • ببعيد وفيه وعيد
لأهل مكة • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام فقال يعني ظالمي أمتك ما من
ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة • وقيل الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي
مكة يمرون بها في مسايرهم • ببعيد بشيء بعيد • ويجوز أن يريد وما هي بمكان بعيد لأنها وإن كانت في
السماء وهي مكان بعيد إلا أنها إذا هوت منها فهي أسرع شيء لحوقا بالمرمي فكأنها بمكان قريب منه • وإلى مدين
أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف
عليكم عذاب يوم محيط • ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم
ولا تعثوا في الأرض مفسدين • بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين • وما أنا عليكم بحفيظ • إني أراكم
بخير يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون • أو أراكم
بخير فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس
الله إن جاءنا • يوم محيط مهلك من قوله وأحيط بثمره وأصله من إحاطة العدو فإن قلت وصف العذاب بالإحاطة
أبلغ أم وصف اليوم بها قلت بل وصف اليوم لأن اليوم زمان يشتمل على الحوادث فإذا أحاط بعذابه فقد
اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه فإن قلت النهي عن النقصان أمر بالإيفاء فما فائدة
قوله أوفوا قلت نهوا أولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لأن في التصريح بالقبيح نعيا على
ونعيا لما كانوا عليه ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء
به مقيدا بالقسط أي ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان أمرا بما هو الواجب فيه
توقيف على أن الموفي عليه أن ينوي بالزيادة القسط لأن الإيفاء وجب بحسب أنه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد

البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير: وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم. وروي انهم
كانوا ياخذون من كل شيء يباع كما يفعل السماسرة وكانوا يمكسون الناس وكانوا ينقصون من اثمان ما يشترون
من الاشياء فنهوا عن ذلك. والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس
عثيا منهم في الارض. بقيت الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم. خير لكم ان كنتم مؤمنين بشرط
ان تؤمنوا فان قلت بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان قلت
لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات
الكفر وفي ذلك تعظيم للايمان وتنبيه على جلالة شانه. ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به
اياكم. ويجوز ان يريد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك. واضاف
البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا. واذا اريد بها
الطاعة فكما تقول طاعة الله. وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح. وما
انا عليكم بحفيظ وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد
اعذرت حين انذرت. قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا
ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد. قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا
حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله
عليه توكلت واليه انيب. كان شعيب كثير الصلوات وكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا
بقولهم اصلواتك تامرك السخرية والهزء والصلوة وان جاز ان تكون امرة على طريق المجاز كما كانت ناهية
في قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر. ولانه يقال ان الصلوة تامر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث
عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلوة امرة على سبيل التهكم بصلوته. وارادوا ان هذا الذي
تامر به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يامرك به امر
فطنة فلم يبق الا ان يامرك به امر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك
وعندهم انها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال والافعال. ومعنى تامرك ان نترك
تامرك بتكليف ان نترك ما يعبد اباؤنا فحذف المضاف الذي هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره. وقرئ
اصلاتك بالتوحيد. وقرا ابن ابي عبلة او ان تفعل في اموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يامرهم به
من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير. وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير
وتقطيعهما. وارادوا بقولهم انك لانت الحليم الرشيد نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم
بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك. وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم والرشد في
قومك يعنون ان ما تامر به لا يطابق حالك وما شهرت به. ورزقني منه اي من لدنه رزقا حسنا وهو ما رزقه
من النبوة والحكمة. وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف. فان قلت اين جواب ارايتم
وما له لم يثبت كما اثبت في قصة نوح ولوط عليهما الصلوة والسلام. قلت جوابه محذوف وانما لم يثبت
لان اثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة
ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء
لا يبعثون الا لذلك. يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده
ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتساله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا
ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها
لاستبد بها دونكم. ان اريد الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي

عن المنكر

عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه. ويجوز ان يكون بدلا من الاصلاح على تقدير حذف
المضاف على قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعولا له كقوله ضعيف النكاية اعداءه
اي ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم. وما توفيقي الا بالله وما كوني موفقا
لاصابة الحق فيما اتي واذر ووقوعه موافقا لرضا الله الا بمعونته وتاييده والمعنى انه استوفق
ربه في امضاء الامر على سننه وطلب منه التاييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد
للكفار وحسم لاطماعهم فيه. ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او
قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد. واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي
رحيم ودود. قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا
بعزيز. قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط.
جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته
اياه. قال: جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا. ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اي لا
يكسبنكم شقاقي اصابة العذاب. وقرا ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما
له اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال. وكما لا فرق
بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه في القراءتين الا ان المشهور افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته. والمراد بالفصاحة
انه على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم اورد وهو لهم اكثر استعمالا. وقرا ابو حيوة ورويت
عن نافع مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت. وما
قوم لوط منكم ببعيد يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم او لا يبعدون منكم
في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك. فان قلت ما لبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على
لفظه او معناه. قلت اما ان يراد وما اهلاكهم ببعيد او وما هم بشيء بعيد او بزمان او مكان بعيد
ويجوز ان يسوى في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي
الصهيل والنهيق ونحوهما. رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن
يوده من الاحسان والاجمال. ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم
لم يفقهوه. او قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبا بحديثه ما ادري ما تقول
او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا ينفهم كلامه وهو خطيب الانبياء. وقيل كان
الثغ. فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها. وعن الحسن
ضعيفا مهينا. وقيل ضعيفا اعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لان
فينا ياباه الا ترى انه لو قيل انا لنراك فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم. ولذلك
قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسعة وانما قالوا ولولا رهطك احتراما
لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم. لرجمناك لقتلناك شر قتلة. وما
انت علينا بعزيز اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك
لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا. وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام
واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم
ارهطي اعز عليكم من الله. ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب. فان قلت فالكلام واقع فيه

لا الفعل جهتنا او بدلا من الاصلاح ح اي للقدر الذي استطعته منه بجز

هو وانا لنراك فينا ضعيفا م

وفي رهطي منا انهم الا اعز عليهم منه دونه فكيف صح قوله ارهطي اعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبي
الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله من يطع الرسول فقد
اطاع الله • واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به • والظهري
منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسي • بما تعملون محيط قد احاط
باعمالكم فلا يخفى عليه شيء منها • ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب • ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا
معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها الا بعدا
لمدين كما بعدت ثمود • على مكانتكم لا تخلو المكانة من ان تكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة
او تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قادرين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي
او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها • اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني
• من يأتيه يجوز ان تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه
عذاب يخزيه واينا هو كاذب وان تكون موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب
يخزيه والذي هو كاذب فان قلت اي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون قلت ادخال
الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر
كأنهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال • سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة
بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستئناف وهو باب من
ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه • وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم • اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب
بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى
المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته
ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس ان يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى
ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم قلت القياس ما ذكرت
ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم فان قلت ما بال ساقتي
قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان
بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته
فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت • واما الاخريان فلم تقعا بتلك المثابة وانما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان تعطفا
بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة • الجاثم اللازم لمكانه لا يريم كاللابد يعني ان جبريل عليه الصلاة
والسلام صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا • كأن لم يغنوا كأن لم يقيموا في ديارهم احياء
متصرفين مترددين • البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشاد الا ترى الى قوله كما بعدت ثمود وقرأ
السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفرقة بين معنى البعد من
جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد واوعد • وقراءة السلمي
جاءت على الاصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه
بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها • ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون
وملئه فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد • يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم
النار وبئس الورد المورود • واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود • باياتنا
وسلطان مبين فيه وجهان ان يراد ان هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته • وان

يراد بالسلطان

يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها • وما امر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على امره
وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم
وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الالهية ذاتا وافعالا فاتبعوه
وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته • والامر الرشيد الذي فيه رشد اي وما في امره رشد انما هو غي محض
وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا
الآيات والسلطان المبين في امر موسى عليه السلام وعلموا ان معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى
اتباع من ليس في امره رشد قط • يقدم قومه اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار
وهم يتبعونه • ويجوز ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله
يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد مستعمل في كل ما يحمد ويرتضى
كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط • ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى
تقدمه ومنه مقدمة الجيش • واقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين فان قلت هلا قيل يقدم
قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ الماضي قلت لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم
فيوردهم النار لا محالة • والورد المورد • والمورود الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة
الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش
وتبريد الاكباد والنار ضده • واتبعوا في هذه الدنيا لعنة اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة • بئس الرفد
المرفود رفدهم اي بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت
باللعنة في الآخرة • وقيل بئس العطاء المعطى • ذلك مبتدأ • من انباء القرى • نقصه عليك خبر
بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك • منها الضمير للقرى اي بعضها باق وبعضها
عافي الاثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد فان قلت ما محل هذه الجملة قلت هي
مستأنفة لا محل لها • وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله
من شيء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب • وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة
ان اخذه اليم شديد • ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم
مشهود • وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم • ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا • فما اغنت عنهم فما قدرت
ان ترد عنهم بأس الله • يدعون يعبدون وهي حكاية حال ماضية • لما منصوب بما اغنت • امر ربك عذابه و
نقمته • تتبيب تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اوقعه في الخسران • وكذلك محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك
الاخذ اخذ ربك • والنصب فيمن قرأ وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ اذ اخذ القرى • وهي ظالمة
حال من القرى • اليم شديد وجيع صعب على المأخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية
ظالمة من كفار مكة وغيرها فعلى كل من ظلم غيره او نفسه بذنب يقترفه ان يبادر التوبة ولا يغتر بالامهال
الشديد فيما تلاه • ذلك اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة بذنوبهم
لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة لانه ينظر الى ما احل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو الا انموذج مما اعد لهم في الآخرة
فاذا رأى عظمه وشدته اعتبر به من عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى
والخشية من الله ونحوه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى • ذلك اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه
والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس فان قلت لاي فائدة
اوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من
ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وانه الموصوف بذلك صفة لازمة

ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد

وانهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب • يوم مشهود مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله • ويوم شهدناه سليما وعامرا • اي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد • والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال • في محفل من نواصي الناس مشهود •
فان قلت ما منعك ان تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون ان تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الايام فان جعلته مشهودا في نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز ان يكون مشهودا في نفسه لان سائر ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني فمن كان منكم مقيما حاضرا لوطنه في شهر رمضان فليصم فيه فلو نصبته مفعولا به فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر •
وما نؤخره الا لاجل معدود • يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد • فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد • واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ • فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص •
الاجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل آخره ويقولون حل الاجل فاذا جاء اجلهم يراد آخر مدة التأجيل والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها • فمعنى قوله وما نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف • وقرئ وما يؤخره بالياء • وقرئ يوم يأت بغير ياء ونحوه قولهم لا ادر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل •
فان قلت فاعل يأتي ما هو قلت الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله او يأتي ربك وجاء ربك ويعضده قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء • وقوله باذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى ان تأتيهم الساعة • فان قلت بم انتصب الظرف قلت اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتهاء المحذوف في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم يأتي • فان قلت فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وحددت الشيء بنفسه • قلت المراد اتيان هوله وشدائده • لا تكلم لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن • فان قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون • قلت ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم • فمنهم الضمير لاهل الموقف ولم يذكروا لان ذلك اليوم معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس • والشقي الذي وجبت له النار لاساءته والسعيد الذي وجبت له الجنة لاحسانه • قراءة العامة بفتح الشين • وعن الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا • والزفير اخراج النفس والشهيق رده • قال الشماخ بعيد مدى التطريب اول صوته • زفير ويتلوه شهيق محشرج • ما دامت السموات والارض فيه وجهان • احدهما ان تراد سموات الآخرة وارضها وهي دائمة مخلوقة للابد والدليل على ان لها سموات وارضا قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولانه لا بد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء يخلقها الله او يظلهم العرش وكل ما اظلك فهو سماء • والثاني

ان يكون

ان يكون عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد • فان قلت فما معنى الاستثناء في قوله الا ما شاء ربك وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار في الابد من غير استثناء • قلت هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسأه لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء • والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتأمله فان القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وقد بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان نعقل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها • واقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن ابي طالب رضوان الله عليه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث • غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم اجر غير ممنون • لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء اي فلا تشك بعد ما انزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم يريد ان حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزل بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المرية • وما في مما وكما يجوز ان تكون مصدرية وموصولة اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها • وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم انصباءهم •
فان قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى • قلت يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا •
ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب • وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير • فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير • ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون •
فاختلف فيه آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن • وكلمة سبقت من ربك كلمة الانظار الى يوم القيامة • لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك وهو من جملة التسلية ايضا • وان كلا التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المختلفين فيه • ليوفينهم جواب قسم محذوف • واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة • والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود • وقرئ وان كلا بالتخفيف على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل • وقرأ ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا • وقرأ عبد الله وان كل الا ليوفينهم • وقرأ الزهري وسليمان بن ارقم وان كلا لما بالتنوين كقوله اكلا لما والمعنى وان كلا ملمومين بمعنى مجموعين كأنه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون

فاستقم كما امرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ● ومن
تاب معك معطوف على المستتر في استقم وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه
والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك ● ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله ● انه بما
تعملون بصير عالم فهو مجازيكم به فاتقوه ● وعن ابن عباس رضي الله عنه ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم في جميع القرآن آية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتني هود والواقعة واخواتها
● وروي ان اصحابه قالوا له لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود ● وعن بعضهم رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم في النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك
منها اقصص الانبياء قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت ● وعن جعفر الصادق فاستقم كما امرت قال افتقر الى
الله بصحة العزم ● قرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء ● وعن ابي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم
في كسرهم حروف المضارعة الا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء
وقرأ ابن ابي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من اركنه اذا اماله والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع
اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد
العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير ● وقوله الى
الذين ظلموا اي الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين ● وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرأ بهذه
الآية فغشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم ● وعن الحسن رحمه الله جعل الله
الدين بين لاءين ● ولا تطغوا ولا تركنوا ● وقال الزهري للسلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا
الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا
وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليس كذلك اخذ الله
الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه ● واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت
انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك
اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون
فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك
في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن
قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل
من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر
البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام ● وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه
الا القراء الزائرون للملوك ● وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا ● وعن محمد بن مسلمة
الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء ● وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم
بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه ● ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل
يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت قال دعه يموت ● وما لكم من دون الله من اولياء حال من قوله فتمسكم
النار اي فتمسكم النار وانتم على هذه الحال ومعناه وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم من عذابه
لا يقدر على منعكم منه غيره ● ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لانه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم
فان قلت فما معنى ثم قلت معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب
واقتضاء حكمته له ● واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك
ذكرى للذاكرين ● واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين ● طرفي النهار غدوة وعشية ● وزلفا من الليل

وساعات

وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من ازلفه اذا قربه وازلف اليه ● وصلوة الغدوة
الفجر ● وصلوة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي ● وصلوة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي
النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف النهار واوله وآخره تنصب
هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحوه واطراف النهار ● وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا باسكان اللام
وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو بسر
في بسر والزلفى بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من
الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير ان تعطف على الصلوة اي اقم الصلوة طرفي النهار واقم زلفا من الليل
على معنى واقم صلوات تتقرب بها الى الله عز وجل في بعض الليل ● ان الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان
احدهما ان يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر
والثاني ان الحسنات يذهبن السيئات بان يكن لطفا في تركها كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل
نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امرأة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود من هذا
التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت ●
وروي انه اتى ابا بكر فاخبره فقال استر على نفسك وتب الى الله فاتى عمر فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال عمر أهذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة ● وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات ● ذلك اشارة الى قوله
فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين ثم كر الى التذكير بالصبر فالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة
للتذكير وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية وتنبيها على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليك بما هو اهم
مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به
● فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون
الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات ● فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد
في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين ● فلولا كان فهلا كان وقد حكوا عن الخليل
كل لولا في القرآن فمعناها هلا الا التي في الصافات ... لولا ان تداركه نعمة من ربه ... ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم ● اولوا بقية اولوا فضل وخير وسمي
الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال
فلان من بقية القوم اي من خيارهم ... ومنه قولهم في الزوايا خبايا
وفي الرجال بقايا ● ويجوز ان تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذوو
بقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه ● وقرئ اولوا بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه
وانتظره والبقية المرة من مصدره والمعنى فهلا كان منهم اولوا مراقبة وخشية من انتقام
الله كأنهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم ● الا قليلا استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا من القرون
نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ● ومن في ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما
كانت للناهين وحدهم بدليل قوله انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا ● فان قلت هل لوقوع هذا
الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه قلت ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا
لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن
الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن ● وان قلت في تحضيضهم على النهي

معنى نفيه عنهم كأنه قيل ما كان من القرون أولو بقية إلا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على أصل الاستثناء وإن كان الأفصح أن يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا أي التاركون للنهي عن المنكر أي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفه من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهني ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ أبو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين ظلموا يعني واتبعوا جزاء ما أترفوا فيه ويجوز أن يكون المعنى في القراءة المشهورة أنهم اتبعوا جزاء إترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الإنجاء كأنه قيل إلا قليلا ممن أنجينا منهم وهلك السائر **فإن قلت** علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا **قلت** إن كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لأن المعنى إلا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف عليه وإن كان معناه واتبعوا جزاء الإتراف فالواو للحال كأنه قيل أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم **فإن قلت** فقوله وكانوا مجرمين **قلت** على أترفوا أي اتبعوا الإتراف وكونهم مجرمين لأن تابع الشهوات مغمور بالآثام أو أريد بالإجرام إغفالهم للشكر أو على اتبعوا أي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز أن يكون اعتراضا وحكما عليهم بأنهم قوم مجرمون وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين كان بمعنى صح واستقام واللام لتأكيد النفي وبظلم حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة أن يهلك الله القرى ظالما لها وأهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وإيذانا بأن إهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه أنه لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون إلى شركهم فسادا آخر ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة يعني لاضطرهم إلى أن يكونوا أهل أمة واحدة أي ملة واحدة وهي ملة الإسلام كقوله إن هذه أمتكم أمة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وأنه لم يضطرهم إلى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو أساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك إلا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم إشارة إلى ما دل عليه الكلام الأول وتضمنه يعني ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره وتمت كلمة ربك وهي قوله للملائكة لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون وكلا التنوين فيه عوض من المضاف إليه كأنه قيل وكل نبأ نقص عليك ومن أنباء الرسل بيان لكل وما نثبت به فؤادك بدل من كلا ويجوز أن يكون المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك يعني على الأساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب وأرسخ للعلم وجاءك في هذه الحق أي في هذه السورة أو في هذه الأنباء المقتصة فيها ما هو حق وموعظة وذكرى وقل للذين لا يؤمنون من أهل مكة وغيرهم اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي أنتم عليها إنا عاملون وانتظروا بنا الدوائر إنا منتظرون أن ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة بأشباهكم ولله غيب السماوات والأرض لا يخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا تخفى عليه أعمالكم وإليه يرجع الأمر كله فلا بد أن يرجع إليه أمرهم وأمرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل

عليه فإنه كافيك وكافلك وما ربك بغافل عما تعملون وقرئ تعملون بالتاء أي أنت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء إن شاء الله تعالى صدق الله ورسوله

سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين تلك إشارة إلى آيات السورة والكتاب المبين السورة أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في إعجاز العرب وتبكيتهم والتي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر والواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم وقد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف عليه الصلاة والسلام فقد روي أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف إنا أنزلناه أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرآنا عربيا وسمي بعض القرآن قرآنا لأن القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون إرادة أن تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته القصص على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا إذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبأ والخبر في معنى المنبأ به والمخبر به ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد فإن أريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص بما أوحينا إليك هذا القرآن بإيحائنا إليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوب نصب المصدر لإضافته إليه ويكون المقصوص محذوفا لأن قوله بما أوحينا إليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز أن ينتصب هذا القرآن بنقص كأنه قيل نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص هذا القرآن بإيحائنا إليك والمراد بأحسن الاقتصاص أنه اقتص على أبدع طريقة وأعجب أسلوب ألا ترى أن هذا الحديث مقتص في كتب الأولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في القرآن وإن أريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك أحسن ما يقتص من الأحاديث وإنما كان أحسن لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر أنه أحسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل هو أعلم الناس وأفضلهم يراد في فنه **فإن قلت** مم اشتقاق القصص **قلت** من قص أثره إذا اتبعه لأن الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن إذا قرأه لأنه يتلو أي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية وإن كنت من قبله الضمير لما أوحينا وإن مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية والمعنى وإن الشأن والحديث كنت من قبل إيحائنا إليك من الغافلين عنه أي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين إذ قال يوسف بدل من أحسن القصص وهو بدل الاشتمال لأن الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فإذا قص وقته فقد قص أو بإضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لأنه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف **فإن قلت** فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين أو يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته أن يقال هو عربي لأنه على وزن المضارع المبني للفاعل أو المفعول من آسف وإنما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل **قلت** لا لأن القراءة المشهورة قامت بالشهادة على أن الكلمة أعجمية فلا تكون عربية تارة وأعجمية أخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربي لأنه في لغتين منها بوزن المضارع من آنس وأونس وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قيل من الكريم فقولوا الكريم

ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابرهيم ❊ يا ابت قرئ بالحركات الثلاث ❊ فان قلت ما هذه التاء
قلت تاء تانيث وقعت عوضا من ياء الاضافة والدليل على انها تاء تانيث قلبها هاء في الوقف فان قلت كيف جاز
الحاق تاء التانيث بالمذكر قلت كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة فان قلت
فلم ساغ تعويض تاء التانيث من ياء الاضافة قلت لان التانيث والاضافة يتناسبان في ان كل واحد منهما زيادة
مضمومة الى الاسم في آخره فان قلت فما هذه الكسرة قلت هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك يا ابي قد
زحلقت الى التاء لاقتضاء تاء التانيث ان يكون ما قبلها مفتوحا فان قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي
اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة قلت امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها في الاعراب وانما
جاز تسكين الياء واصلها ان تحرك تخفيفا لانها حرف لين واما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها
فان قلت يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها في حكم الياء اذا قلت
يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي فلا يجوز يا ابت قلت الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من احد
الشيئين وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين التاء والياء لا غير الا
ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا من الياء كيف جاز الجمع بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض
منه والكسرة ابعد من ذلك فان قلت فقد دلت الكسرة في يا غلام على الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها
فان دلت على مثل ذلك في يا ابت فالتاء المعوضة لغو ووجودها كعدمها قلت بل حالها مع التاء كحالها مع
الياء اذا قلت يا ابي فان قلت فما وجه من قرا بفتح التاء وضمها قلت اما من فتح فقد حذف الالف
من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام ❊ ويجوز ان يقال حركها بحركة الياء المعوض
منها في قولك يا ابي ❊ واما من ضم فقد رآى اسما في آخره تاء تانيث فاجراه مجرى الاسماء المونثة بالتاء فقال
يا ابة كما تقول يا نبعة من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الاضافة ❊ وقرئ اني رايت بتحريك الياء ❊ واحد عشر
بسكون العين تخفيفا لتوالي المتحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذلك الى تسعة عشر الا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان
❊ ورايت من الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكره معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف
في حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه الصلوة والسلام فما خفيت عليه وعلى الناس ❊ والله اعلم
فان قلت ما اسماء تلك الكواكب قلت روى جابر ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل فاخبره
بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان ❊ والطارق
والذيال ❊ وقابس ❊ وعمودان ❊ والفليق ❊ والمصبح ❊ والضروح ❊ والفرغ ❊ ووثاب ❊ وذو
الكتفين ❊ رآها يوسف عليه الصلوة والسلام والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي
اي والله انها لاسماؤها ❊ وقيل الشمس والقمر ابواه ❊ وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته ❊ وعن وهب ان
يوسف رآى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدائرة
واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر
هذا لاخوتك ثم رآى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا
تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل ❊ وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل
ثمانون فان قلت لم اخر الشمس والقمر قلت اخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا
لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها
لذلك ❊ ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر فان قلت ما معنى تكرار رايت
قلت ليس بتكرار انما هو كلام مستانف على تقدير سؤال وقع جوابا له كان يعقوب عليه الصلوة والسلام قال

له عند قوله اني رايت احد عشر كوكبا كيف رايتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رايتهم لي ساجدين فان قلت
فلم اجريت مجرى العقلاء في رايتهم لي ساجدين قلت لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود
اجرى عليها حكمهم كانها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم ان يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما من
احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة ❊ عرف يعقوب عليه الصلوة والسلام دلالة الرؤيا على ان يوسف عليه
السلام يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد
الاخوة وبغيهم ❊ والرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي
التانيث كما قيل القربة والقربى ❊ وقرئ رياك بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائي ريك بالادغام
وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة لان الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام في قولهم اتزر
من الازار واتجر من الاجر ❊ فيكيدوا منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك فان قلت
هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني قلت ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة
معنى الفعل المضمن فيكون آكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى تاكيده بالمصدر ❊ عدو مبين
ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء عليهما الصلوة والسلام ولقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على
الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يومن ان يحملهم على مثله ❊ وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل
الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحاق ان ربك
عليم حكيم ❊ لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين ❊ وكذلك ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك
يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شان كذلك يجتبيك لامور عظام
❊ وقوله ويعلمك كلام مبتدا غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك ❊ والاجتباء
الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك ❊ وجبيت الماء في الحوض جمعته ❊ والاحاديث الرؤى
لان الرؤيا اما حديث نفس او ملك او شيطان ❊ وتاويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف اعبر الناس للرؤيا
واصحهم عبارة لها ❊ ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث معاني كتب الله وسنن الانبياء وما غمض واشتبه على
الناس من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت احاديث لانه يحدث
بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله تعالى فباي حديث بعده يومنون الله نزل
احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة ❊ ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة
الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم انبياء في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة ❊ وقيل اتمها
على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد ❊ وعلى اسحاق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج
يعقوب والاسباط من صلبه ❊ وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك
قال وعلى آل يعقوب ❊ وقيل لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه
وقيل كان يعقوب مؤثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه
فلما رآى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد ❊ وقيل لما
قص رؤياه على يعقوب قال هذا امر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل ❊ وآل يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم
واصل آل اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل
الحائك ولا آل الحجام ولكن اهلهما ❊ واراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما في حكم الاب في الاصالة ومن ثم يقولون
ابن فلان وان كان بينه وبينه عدة ❊ وابرهيم واسحاق عطف بيان لابويك ❊ ان ربك عليم يعلم من يحق
له الاجتباء حكيم لا يتم نعمته الا على من يستحقها ❊ في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم آيات علامات
ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شيء ❊ للسائلين لمن سال عن قصتهم وعرفها ❊ وقيل آيات على نبوة محمد صلى

الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم بالصحة من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب • وقرئ آية وفي
بعض المصاحف عبرة • وقيل إنما قص الله على النبي صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبغي إخوته عليه لما
رأى من بغي قومه عليه ليتأسى به • وقيل أسماؤهم يهوذا • وروبيل • وشمعون • ولاوي • وربالون
ويشجر • ودينة • ودان • ونفتالي • وجاد • وآشر السبعة الأولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب
والأربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف
ليوسف اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة
فيه • وأخوه هو بنيامين وإنما قالوا أخوه وهم جميعا إخوته لأن أمهما كانت واحدة • وقيل أحب في الاثنين لأن
أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث إذا كان معه من ولا بد من فرق مع لام التعريف وإذا
أضيف جاز الأمران • والواو في ونحن عصبة واو الحال يعني أنه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران
لا كفاية فيهما ولا منفعة • ونحن عصبة جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن أحق بزيادة المحبة
منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما • إن أبانا لفي ضلال مبين أي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك • والعصبة
والعصابة العشرة فصاعدا • وقيل إلى الأربعين سموا بذلك لأنهم جماعة تعصب بهم الأمور ويستكفون النوائب
وروى النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب • وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة
وعن ابن الأنباري هذا كما تقول العرب إنما العامري عمته أي يتعهد عمته • اقتلوا يوسف أو اطرحوه
أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين • قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه
في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين • اقتلوا يوسف من جملة ما حكى بعد قوله إذ قالوا
كأنهم أطبقوا على ذلك إلا من قال لا تقتلوا يوسف • وقيل الآمر بالقتل شمعون • وقيل دان والباقون كانوا راضين
فجعلوا آمرين • أرضا أرضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف ولإبهامها
من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة • يخل لكم وجه أبيكم يقبل عليكم إقبالة واحدة لا يلتفت عنكم
إلى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم إياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله
عليهم لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه • ويجوز أن يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك • وقيل
يخل يفرغ لكم من الشغل بيوسف • من بعده من بعد يوسف أي من بعد كفايته بالقتل أو التغريب أو يرجع الضمير إلى
مصدر اقتلوا أو اطرحوا • قوما صالحين تائبين إلى الله مما جنيتم عليه أو يصلح ما بينكم وبين أبيكم بعذر تمهدونه
أو تصلح دنياكم وتنتظم أموركم بعده بخلو وجه أبيكم • وتكونوا إما مجزوم عطفا على يخل لكم وإما منصوب بإضمار
أن والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق • قائل منهم هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن أبرح الأرض
قال لهم القتل عظيم • ألقوه في غيابت الجب وهو غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله • قال
المتنخل • إن أنا يوما غيبتني غيابتي • فسيروا بسيري في العشيرة والأهل • أراد غيابة حفرته التي يدفن فيها
وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد • وقرأ الجحدري غيبة • والجب البئر لم تطو لأن الأرض تجب جبا
لا غير • يلتقطه يأخذه • بعض السيارة بعض الأقوام الذين يسيرون في الطريق • وقرئ تلتقطه على المعنى لأن
بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم • ومنه ذهبت بعض أصابعه • إن كنتم فاعلين إن
كنتم على أن تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الرأي • قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له
لناصحون • أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون • قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف
أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون • قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون •
فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون
ما لك لا تأمنا قرئ بإظهار النونين وبالإدغام بإشمام وبغير إشمام • وتيمنا بكسر التاء مع الإدغام

وللمعنى

وللمعنى لم تخافنا ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد منا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة
والمقة • وأراد أخوة بذلك العزم على كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل
على أنه أحس منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه • نرتع نتسع في أكل الفواكه وغيرها وأصل الرتعة الخصب والسعة
وقرئ نرتع من ارتعى يرتعي • وقرئ يرتع ويلعب بالياء • ويرتع من أرتع ماشيته • وقرأ العلاء بن سيابة يرتع
بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء • فإن قلت كيف استجاز لهم يعقوب عليه الصلاة والسلام اللعب
قلت كان لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا أنفسهم بما يحتاج إليه لقتال العدو لا للهو بدليل
قوله إنا ذهبنا نستبق وإنما سموه لعبا لأنه في صورته • ليحزنني اللام لام الابتداء كقوله إن ربك ليحكم بينهم
ودخولها أحد ما ذكره سيبويه من سببي المضارعة • اعتذر إليهم بشيئين أحدهما أن ذهابهم به ومفارقته
إياه مما يحزنه لأنه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم
ولعبهم أو قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم • وقيل رأى في النوم أن الذئب قد شد على يوسف وكان
يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي أمثالهم البلاء موكل بالمنطق • وقرئ الذئب بالهمز على الأصل وبالتخفيف
وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح إذا أتت من كل جانب وجهة • القسم محذوف تقديره والله لئن أكله الذئب
واللام موطئة للقسم • وقوله إنا إذا لخاسرون جواب للقسم مجزئ عن جواب الشرط • والواو في ونحن عصبة
واو الحال حلفوا لئن كان ما خافه من خطفة الذئب أخاهم من بينهم وحالهم أنهم عشرة رجال بمثلهم تعصب
الأمور وتكفى الخطوب إنهم إذا لقوم خاسرون أي هالكون ضعفا وخورا وعجزا أو مستحقون لأن يهلكوا
لأنه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم أو مستحقون لأن يدعى عليهم بالخسار والدمار وأن يقال أخسرهم الله ودمرهم
حين أكل الذئب بعضهم وهم حاضرون • وقيل إن لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا إذا وخسرنا
فإن قلت قد اعتذر إليهم بعذرين فلم أجابوا عن أحدهما دون الآخر قلت هو الذي كان يغيظهم
ويذيقهم الأمرين فأعاروه آذانا صما ولم يعبأوا به • أن يجعلوه مفعول أجمعوا من قولك أجمع الأمر وأزمعه
فأجمعوا الأمر • وقرئ في غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس • وقيل بأرض الأردن • وقيل بين مصر ومدين

وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب • وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الأذى فقد روي أنهم لما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة وأخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه إلا بالإهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا أبتاه لو تعلم ما يصنع بابنك بنو الإماء فقال يهوذا أما أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه فلما أرادوا إلقاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من أن يلطخوه بالدم فيحتالوا به على أبيهم فقال يا إخوتاه ردوا علي القميص أتوارى به فقالوا ادع الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فدلوه في البئر فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فيها فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام • ويروى أن إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحاق وإسحاق إلى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاءه جبريل فأخرجه وألبسه إياه • وأوحينا إليه قيل أوحي إليه في الصغر كما أوحي إلى يحيى وعيسى عليهما السلام • وقيل كان إذ ذاك مدركا • وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة • ... ليؤنس في الظلمة والوحشة ويبشر بما يؤول إليه أمره ومعناه لتتخلصن مما أنت فيه ولتحدثن إخوتك بما فعلوا بك • وهم لا يشعرون أنك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن أوهامهم وطول العهد المبدل للهيئات والأشكال وذلك أنهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال إنه ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ

يقال له يوسف وكان يرتاب دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابت الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس
ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بقوله واوحينا على انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون بذلك
ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له • وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم • وقوله وهم لا يشعرون
متعلق باوحينا لا غير • وجاءوا اباهم عشاء يبكون • قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند
متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين • وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت
لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون • وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى
دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون • وعن الحسن عشيا على تصغير عشي
يقال لقيته عشيا وعشيانا واصيلا واصيلانا • وقرأ ابن جني عُشى بضم العين والقصر • وقال عشوا من البكاء
وروي ان امرأة حاكمت الى شريح فبكت فقال الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي فقال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم
ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية • وروي انه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني
هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق والافتعال والتفاعل
يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك • والمعنى نتسابق في العدو او في الرمي وجاء في
التفسير ننتضل • بمؤمن لنا بمصدق لنا • ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك
ليوسف فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا • بدم كذب ذي كذب او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب
وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته • ونحوه فهن به جود وانتم به بخل • وقرئ كذبا نصبا على الحال
بمعنى جاءوا به كاذبين • ويجوز ان يكون مفعولا له • وقرأت عائشة رضي الله عنها كدب بالدال غير المعجمة اي كدر
وقيل طري • وقال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في
قميصه • روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه • وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف
صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت
كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه • وقيل كان في قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا
ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر • فان قلت
على قميصه ما محله • قلت محله النصب على الظرف كانه قيل وجاءوا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله
باحمال • فان قلت هل يجوز ان يكون حالا متقدمة • قلت لا لان حال المجرور لا يتقدم عليه • سولت سهلت من
السول وهو الاسترخاء اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته في اعينكم استدل على
فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص او اوحي اليه بانهم قصدوه • فصبر جميل خبر او مبتدأ
لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل • وفي قراءة ابي فصبرا جميلا • والصبر الجميل جاء
في الحديث المرفوع انه الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكو بثي وحزني
الى الله • وقيل لا اعايشكم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت • وقيل سقط حاجبا يعقوب عليه السلام
على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه اتشكوني
قال يا رب خطيئة فاغفرها لي • والله المستعان على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء
فيه • وجاءت سيارة رفقة تسير من قبل مدين وذلك بعد ثلاثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطأوا
الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة • وقيل كان ماؤه ملحا فعذب
حين القي فيه يوسف • فارسلوا رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء • والوارد الذي يرد الماء
ليستقي للقوم • يا بشرى نادى البشرى كانه يقول تعالي فهذا من آونتك • وقرئ يا بشراي على اضافتها
الى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشريّ بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي

لغة العرب مشهورة سمعت اهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي وموليّ • وعن نافع يا بشرايْ بالسكون
وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا ان يقصد الوقف • قيل لما ادلى دلوه اي ارسلها في الجب
تعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام • وقيل ذهب به فلما دنا من
اصحابه صاح بذلك يبشرهم به • واسروه بضاعة الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة • وقيل اخفوا
امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان
يقتلوه • وبضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة • والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع
والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم • او والله عليم بما يعمل
اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع • وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين
وشروه وباعوه • بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا او زيف ناقص العيار • دراهم لا دنانير
• معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون
ما دونها • وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها • وعن ابن عباس كانت عشرين درهما
وعن السدي اثنين وعشرين • وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن لانهم
التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بم باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق ينتزعه من يده
فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن • ويجوز ان يكون معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا
فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه آبق فخافوا ان يخطروا بمالهم فيه • ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا
منه لا يأبق • وفيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول الا ترى انك لا تقول وكانوا زيدا
من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه • وقال الذي اشتراه من مصر
لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا • الذي اشتراه قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز
الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف
فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى • واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في
منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث
وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة • وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش اربعمائة سنة
بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات • وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف • وقيل اشتراه
العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين • وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ
ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ • اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا
كريما اي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي احسن مثواي والمراد تفقديه بالاحسان وتعهديه بحسن الملكة
حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا • ويقال للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل به من
رجل او امرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك به • واللام في لامرأته متعلقة
بقال لا باشتراه • عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله
فينفعنا فيه بكفايته وامانته او نتبناه ونقيمه مقام الولد • وكان قطفير عقيما لا يولد له وقد تفرس فيه الرشد
فقال ذلك • وقيل افرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال عسى ان ينفعنا
والمرأة التي اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر • وروي انه سأله
عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه • وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله
غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون • ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين

وكذلك الإشارة إلى ما تقدم من إنجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الإنجاء والعطف
مكنا له أي كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في أرض مصر وجعلناه ملكاً يتصرف فيها بأمره ونهيه
ولنعلمه من تأويل الأحاديث كان ذلك الإنجاء والتمكين لأن غرضنا ليس إلا ما تحمد عاقبته من علم وعمل ● والله
غالب على أمره أي على أمر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضي أو على أمر يوسف يريد بين الإخوة الخير
فأراد إخوته به ما أرادوا ولم يكن إلا ما أراد الله ودبر ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الأمر كله بيد الله
● قيل في الأشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلاث وثلاثون وأربعون ● وقيل أقصاه ثنتان وستون ● حكماً
وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه ● وقيل حكماً بين الناس وفقهاً ● وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على أنه كان
محسناً في عمله متقياً في عنفوان أمره وأن الله آتاه الحكم والعلم جزاء على إحسانه ● وعن الحسن من أحسن عبادة
ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله ● وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت
هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ● ولقد همت به وهم بها لولا أن
رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ● المراودة مفاعلة من راد
يرود إذا جاء وذهب كأن المعنى خادعته عن نفسه أي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد
أن يخرجه من يده يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته إياها ● وغلقت الأبواب قيل
كانت سبعة ● وقرئ هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء أين وعيط ● وهيت كجير وهئت
● وهيت بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء إذا تهيأ ● وهيت لك واللام من صلة الفعل وأما في الأصوات
فللبيان كأنه قيل لك أقول هذا كما تقول هلم لك ● معاذ الله أعوذ بالله معاذاً ● إنه إن الشأن والحديث ربي سيدي
ومالكي يريد قطفير أحسن مثواي حين قال لك أكرمي مثواه فما جزاؤه أن أخلفه في أهله سوء الخلافة وأخونه
فيهم ● إنه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيء ● وقيل أراد الزناة لأنهم ظالمون لأنفسهم ● وقيل أراد الله تعالى
لأنه مسبب الأسباب ● هم بالأمر إذا قصده وعزم عليه قال ● هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على
عثمان تبكي حلائله ● ومنه قولك لا فعلت ذلك ولا كيداً ولا هماً أي ولا أكاد أن أفعله كيداً ولا أهم بفعله هماً حكاه سيبويه
ومنه الهمام وهو الذي إذا هم بأمر أمضاه ولم ينكل عنه ● وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها
وهم بمخالطتها ● لولا أن رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لخالطها فحذف لأن قوله
وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا أني خفت الله لقتلته ● فإن قلت كيف جاز على نبي الله أن يكون منه
هم بالمعصية وقصد إليها ● قلت المراد أن نفسه مالت إلى المخالطة ونازعت إليها عن شهوة الشباب وقرمه
ميلاً يشبه الهم به والقصد إليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده
بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هماً لشدته لما
كان صاحبه ممدوحاً عند الله تعالى بالامتناع لأن استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته
ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله تعالى بأنه من عباده المخلصين ● ويجوز أن يريد بقوله وهم بها وشارف
أن يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم أخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته كأنه شرع فيه ● فإن قلت قوله
وهم بها داخل تحت حكم القسم في قوله ولقد همت به أم هو خارج منه ● قلت الأمران جائزان ومن حق القارئ إذا
قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاماً برأسه أن يقف على قوله ولقد همت به ويبتدئ قوله وهم بها لولا أن رأى برهان
ربه وفيه أيضاً إشعار بالفرق بين الهمين ● فإن قلت لم جعلت جواب لولا محذوفاً يدل عليه وهم بها وهلا
جعلت هو الجواب مقدماً ● قلت لأن لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل أنه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام
وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض وأما حذف بعضها إذا دل الدليل عليه
فجائز ● فإن قلت فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها

لأن الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون إلا من اثنين معاً كأنه قيل
ولقد هما بالمخالطة لولا أن منع مانع أحدهما ● قلت نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل
التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها وكان ناعت أفعال الفاعل فوجب أن يكون التقدير ولقد همت بمخالطته
وهم بمخالطتها على أن المراد بالمخالطتين توصلها إلى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله إليها ما هو حظه من
قضاء شهوته منها لولا أن رأى برهان ربه فترك التوصل إلى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بأن
تعلق بهم بها وحده وقد فسر هم يوسف بأنه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبأنه حل تكة سراويله وقعد
بين شعبها الأربع وهي مستلقية على قفاها ● وفسر البرهان بأنه سمع صوتاً إياك وإياها فلم يكترث له فسمعه
ثانياً فلم يعمل به فسمع ثالثاً أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضاً على أنملته ● وقيل ضرب بيده في صدره
فخرجت شهوته من أنامله ● وقيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولداً إلا يوسف فإنه ولد له أحد عشر ولداً من أجل ما نقص
من شهوته حين هم ● وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له ● وقيل بدت
كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب عليها وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها
ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله فلم ينجع فيه فقال
الله تعالى لجبريل أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب
في ديوان الأنبياء ● وقيل رأى تمثال العزيز ● وقيل قامت المرأة إلى صنم كان هناك فسترته وقالت أستحيي أن يرانا
فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا أستحيي من السميع البصير العليم بذات الصدور ● وهذا ونحوه مما يورده
أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله تعالى وأنبيائه وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل
ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم زلته وعلى
داود وعلى نوح وعلى أيوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد أثني عليه وسمي مخلصاً فعلم
بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدحض وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم ناظراً في دليل التحريم ووجه
القبح حتى استحق من الله الثناء فيما أنزل من كتب الأولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر
إلا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين كما جعل لجده الخليل إبراهيم
وليقتدي به الصالحون إلى آخر الدهر في العفة وطيب الإزار والتثبت في مواقف العثار فأخزى الله أولئك في
إيرادهم ما يؤدي إلى أن يكون إنزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدي بنبي من أنبياء الله
في القعود بين شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها وفي أن ينهاه ربه ثلاث كرات ويصاح به من عنده ثلاث
صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد
غير أنثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وبإجباره ولو أن أوقح الزناة
وأشطرهم وأحدهم حدقة وأجلحهم وجهاً لقي بأدنى ما لقي به مما ذكر لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك
فيا له من مذهب ما أفحشه ومن ضلال ما أبينه ● كذلك الكاف منصوب المحل أي مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو مرفوعه
أي الأمر مثل ذلك ● لنصرف عنه السوء من خيانة السيد ● والفحشاء من الزنى ● إنه من عبادنا المخلصين الذين
أخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم ● ويجوز أن يريد بالسوء مقدمات الفاحشة
من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك ● وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا أي هو مخلص من جملة المخلصين أو هو ناشئ
منهم لأنه من ذرية إبراهيم الذين قال فيهم إنا أخلصناهم بخالصة ● واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر
وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم ● قال هي
راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين
وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ● فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من

قوله وعيط قال في المفصل وعيطوا الفتيان إذا تصايحوا في اللعب

ذا الأشد [illegible] والأشد من ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين [illegible]

كيدكن ان كيدكن عظيم • واستبقا الباب وتسابقا الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى
قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج •
فان قلت كيف وحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الابواب قلت اراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار
والمخلص فقد روي كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب • وقدت قميصه
من دبر اجتذبته من خلفه فانقد اي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه • والفيا سيدها وصادفا
بعلها وهو قطفير تقول المراة لبعلها سيدي وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا
له على الحقيقة • قيل الفياه مقبلا يريد ان يدخل • وقيل جالسا مع ابن عم المراة لما اطلع منها زوجها على تلك
الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف اذ لم يؤاتها جاءت بحيلة جمعت فيها لغرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها
من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما ايست من مواتاته
طوعا الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن • وما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن ويجوز ان تكون استفهامية
بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن كما تقول من في الدار الا زيد فان قلت كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف وانه اراد
بها سوءا قلت قصدت العموم وان كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدته
من تخويف يوسف • وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط ولما اغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه
الدفع عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها • وشهد شاهد من اهلها قيل كان ابن عم
لها وانما القى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها ليكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة
عنه • وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب • وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره • ويجوز ان
يكون بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق • وقيل
كان ابن خال لها صبيا في المهد • وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف
وصاحب جريج وعيسى فان قلت لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة قلت لما ادى مؤدى الشهادة
في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة فان قلت الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة
قلت لانها قول من القول او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه فان قلت ان دل قد
قميصه من دبر على انها كاذبة لانها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه اليها فقدته فمن اين دل قده من قبل على انها
صادقة وانه كان تابعها قلت من وجهين احدهما انه اذا تابعها وهي دافعة عن نفسها قدت قميصه من
قدامه بالدفع والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه • وقرئ من قبل ومن دبر
بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره واما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة
يقال لها دبر • وعن ابن ابي اسحاق انه قرأ من قبل ومن دبر بالفتح كانه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية
والتانيث • وقرئ بسكون العين فان قلت كيف جاز الجمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان قلت لان
المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه
تريد ان تمتن علي امتن عليك • فلما رأى يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها
قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر وهو طمعها في يوسف من كيدكن الخطاب لها ولامتها
وانما استعظم كيد النساء لانه وان كان في الرجال الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة ورفق
وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله ومن شر النفاثات في العقد والقصريات من بينهن معهن ما ليس مع غيرهن من
البوائق • وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان
ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم • يوسف حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث
وفيه تقريب له وتلطيف لمحله • اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به • واستغفري لذنبك انك

من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب • يقال خطئ اذا اذنب متعمدا • وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير
تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما • وروي انه كان قليل الغيرة • وقال نسوة في المدينة
امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين • فلما سمعت بمكرهن
ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه
وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم • وقال نسوة وقال جماعة من النساء
وكن خمسا • امرأة الساقي وامرأة الخباز • وامرأة صاحب الدواب • وامرأة صاحب السجن • وامرأة الحاجب •
والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتانيثه غير حقيقي كتانيث اللمة ولذلك لم يلحق فعله تاء التانيث وفيه لغتان
كسر النون وضمها • في المدينة في مصر امرأة العزيز يريد قطفير • والعزيز الملك بلسان العرب • فتاها غلامها
يقال فتاي وفتاتي اي غلامي وجاريتي • شغفها خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد • والشغاف حجاب
القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة • وقد حال هم دون ذلك والج • مكان الشغاف
تبتغيه الاصابع • وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران قال • كما شعف
المهنوءة الرجل الطالي • وحبا نصب على التمييز • في ضلال مبين في خطأ وبعد عن طريق الصواب بمكرهن
باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمي الاغتياب مكرا لانه
في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره • وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها • ارسلت اليهن
دعتهن قيل دعت اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات • واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من نمارق قصدت
بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن
نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد ان
تقصد الجمع بين المكر بهن وبين فضح الخناجر في ايديهن ان يقطعن ايديهن فتبكتهن بالحجة وتهول
يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن الخناجر توهمهن انهن يثبن عليه
• وقيل متكأ مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين قال
جميل فظللنا بنعمة واتكأنا • وشربنا الحلال من قلله • وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كان
المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين • وقرئ متكا بغير همز وعن الحسن
متكاء بالمد كانه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح • ينباع
بمعنى ينبع • وقرئ متكا وهو الاترج • وانشد • فاهدت متكة لبني ابيها • تخب بها العثمثمة
الوقاح • وكانت اهدت اترجة على ناقة وكانها الاترجة التي ذكرها ابو داود في سننه ان نصفها حمل
بنصفين وحمل كالعدلين على جمل • وقيل الزماورد • وعن وهب اترجا وموزا وبطيخا • وقيل العسل
عن هذا يقطع تلك الشيء يبتك اي يقطعه • وقرئ الاعرج متكا مفعلا من تكئ يتكأ اذا اتكأ • اكبرنه
اعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق • وكان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر
ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت
لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر • وقيل كان يوسف اذا
سار في ازقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها • وقيل ما كان احد
يستطيع وصف يوسف • وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه • وقيل ورث الجمال من جدته سارة
وقيل اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها

بالجيش فخيم من حيث الصفو الى حيث الكدر وكان ابا الطيب اخذ من هذا التقسيم قوله حفظ الله واشتدت ذا
الجمال بمقنع فارتك حاشتي في الخدود العواتق • فطعن ابيه من جرحها كما تقول كنت قطعت اللحم فقطعت
يدي من جرحتها • حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشا زيد قال
حاشا ابي ثوبان ان به • ضنا عن الملحاة والشتم • وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه
والبراءة فمعنى حاشا لله براءة الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه على اضافة حاشا
الى الله اضافة البراءة • ومن قرأ حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كانه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرئ
وينزه • والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة ابي السمال حاشا لله بالتنوين وقراءة ابي عمرو
حاش لله بحذف الالف الاخيرة • وقراءة الاعمش حشا لله بحذف الالف الاولى • وقرئ حاش
لله بسكون الشين على ان الفتحة اتبعت الالف في الاسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على
غير حده • وقرئ حاشا الاله • فان قلت فلم جاز في حاشا لله ان لا ينون بعد اجرائه مجرى براءة الله
قلت مراعاة لاصله الذي هو الحرفية الا ترى الى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على
اصله وعلى في قوله غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير • والمعنى تنزيه الله من صفات العجز
والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله • واما قوله حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته
على خلق عفيف مثله • ما هذا بشرا نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن
الصور واثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لان الله عز وجل ركز في الطباع ان لا احسن من الملك
كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها الا
لان الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع ان لا ادخل في الشر من الشياطين ولا اجمع للخير من الملائكة الا
ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم الحقائق وجحودهم
العلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب واعمال ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن
ومنها قوله ما هن امهاتهم ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ بشر بالرفع وهي قراءة
ابن مسعود وقرئ ما هذا بشرى اي ما هو بعبد مملوك لئيم • ان هذا الا ملك كريم تقول هذا
بشرى اي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى ام بكرا والقراءة هي الاولى لموافقتها
المصحف ومطابقة بشر لملك • قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه
فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين • قال رب السجن احب الي مما
يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين • فاستجاب له ربه فصرف
عنه كيدهن انه هو السميع العليم • ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين •
قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به وربا بحاله
واستبعادا لمحله • ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد
الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه تعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما
عاينتن لعذرتنني في الافتتان به • الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ
الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأي
واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شيء انور منه على انه
بريء مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان • فان قلت الضمير في آمره راجع الى الموصول
ام الى يوسف قلت بل الى الموصول والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما في قوله امرتك الخير • ويجوز ان
يجعل ما مصدرية فيرجع الى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل امري اياه اي موجب امري ومقتضاه • وقرئ

وليكونن بالتشديد والتخفيف والتخفيف اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة
• وقرئ السجن بالفتح على المصدر • وقال يدعونني على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن له وزين
له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن والصغار فالتجأ الى ربه عند ذلك وقال رب نزول
السجن احب الي من ركوب المعصية • فان قلت نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه
اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة احب اليه من اللذة قلت كانت احب اليه وآثر عنده نظرا في
حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا في مشتهى النفس
ومكروهها • والا تصرف عني كيدهن فزع منه الى الطاف الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين
فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار على التعفف والالجاء اليه
• اصب اليهن اميل اليهن • والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها
وروحها • وقرئ اصب اليهن من الصبابة • من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى
لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء • او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح • وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء
لان قوله والا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف • السميع لدعوات الملتجئين اليه • العليم
باحوالهم وما يصلحهم • بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء اي ظهر لهم
رأي ليسجننه • والضمير في لهم للعزيز واهله • من بعد ما رأوا الآيات وهي الشواهد على براءته وما كان ذلك
الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعا لها وجملا ذلولا زمامه في
يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك
لما ايست من طاعته لها او لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها • وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب
خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم • حتى حين الى زمان كانها اقترحت
ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه عتى حين وهي لغة هذيل وعن
عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرأ عتى حين فقال من اقرأك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله انزل هذا القرآن
فجعله عربيا وانزله بلغة قريش فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام • ودخل معه
السجن فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الآخر اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير
منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين • قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان
يأتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون • واتبعت ملة
آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس
ولكن اكثر الناس لا يشكرون • مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له
فيجب ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له • فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه رقي اليه انهما يسمانه فامر
بهما الى السجن فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف • اني اراني يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية
• اعصر خمرا يعني عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه • وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب • وفي
قراءة ابن مسعود اعصر عنبا • من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرؤيا اي يجيدونها
رأياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك او من العلماء لانهما سمعاه يذكر
للناس ما علما به انه عالم • او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بان تفرج عنا الغمة بتأويل
ما رأينا ان كانت لك يد في تأويل الرؤيا • روي انه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه واذا ضاق عليه
اوسع له واذا احتاج جمع له • وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل
يقول ابشروا واصبروا تؤجروا ان لهذا لاجرا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك

لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحاق بن خليل
الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن
شئت • وروي ان الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رايناك فقال انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله
ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم احبني
ابي فدخل علي من حبه بلاء ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني بارك الله
فيكما • وعن الشعبي انهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابي اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة
عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته • وقال الخباز اني اراني وفوق راسي
سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها فان قلت الام يرجع الضمير في قوله نبئنا
بتاويله قلت الى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الاشارة في نحوه كانه قيل نبئنا بتاويل
ذلك • لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء
وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول
اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد
ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال
والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة اولا ويدعوه الى
ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف
نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية • بتاويله ببيان
ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه • ذلكما اشارة لهما الى التاويل اي ذلك
التاويل والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي واوحى به الي ولم اقله عن تكهن وتنجم • اني تركت يجوز ان يكون كلاما
مبتدا وان يكون تعليلا لما قبله اي علمني ذلك واوحى به الي لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبياء
المذكورين وهي الملة الحنيفية • واراد باولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكرير هم
للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالاخرة وان غيرهم قوم مؤمنون بها وهم الذين على ملة ابراهيم ولتوكيد
كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء • ويجوز ان يكون
فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين اودعوه السجن بعد ما رأوا الآيات الشاهدة على براءته وان ذلك
ما لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء • وذكر اباءه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي يوحى اليه
بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله • ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء • ان
نشرك بالله اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد
من فضل الله علينا وعلى الناس اي على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم اليه • ولكن اكثر
الناس المبعوث اليهم • لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا ينتبهون • وقيل ان ذلك من فضل الله علينا لانه
نصب لنا الادلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن
اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين • يا صاحبي السجن ءارباب
متفرقون خير ام الله الواحد القهار • ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم
ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس
لا يعلمون • يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الاخر فيصلب فتاكل الطير
من راسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان • وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند
ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين • يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي

في السجن

في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة مسروق فيها غير مسروق فكذلك السجن
مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبي الصدق
فتضيفهما الى الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجل صدق وسميتهما صاحبين لانهما صحباك
ويجوز ان يريد يا ساكني السجن كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة • ءارباب متفرقون يريد التفرق في العدد
والتكاثر يقول أان تكون لكما ارباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما ام ان يكون لكما رب واحد
قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام
ما تعبدون الخطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر • الا اسماء يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم
تعبدونها فكانكم لا تعبدون الا اسماء فارغة لا مسميات تحتها • ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته بزيد
وسميته زيدا • ما انزل الله بها اي بتسميتها من سلطان من حجة • ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله
ثم بين ما حكم به فقال امر الا تعبدوا الا اياه • ذلك الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين • اما احدكما
يريد الشرابي • فيسقي ربه سيده • وقرا عكرمة فيسقي ربه اي يسقي ما يروى به على البناء للمفعول •
روي انه قال للاول ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلاثة
فانها ثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رايت من السلال ثلاثة ايام
ثم تخرج فتقتل • قضي الامر قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وشانكما فان قلت ما استفتيا
في امر واحد بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد قلت المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك
وما سجنا من اجله وظنا ان ما رايا في معنى ما نزل بهما فكانهما كانا يستفتيانه في الامر الذي نزل بهما أعاقبته
نجاة ام هلاك فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي ما يجر اليه من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة
الاخر وقيل جحدا وقالا ما راينا شيئا على ما روي انهما تحالما فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما
• ظن انه ناج الظان هو يوسف عليه الصلوة والسلام ان كان تاويله بطريقة الاجتهاد وان كان بطريق
الوحي فالظان هو الشرابي • او يكون الظن بمعنى اليقين • اذكرني عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص
عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة • فانساه الشيطان فانسى الشرابي ذكر ربه ان
يذكره لربه • وقيل فانسى يوسف ذكر الله حين وكل امره الى غيره • بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى
التسع واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين فان قلت كيف يقدر الشيطان على الانساء قلت
يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشيء من اسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزول عن قلبه ذكره واما الانساء
ابتداء فلا يقدر عليه الا الله عز وجل ما ننسخ من آية او ننسها فان قلت ما وجه اضافة الذكر الى
ربه اذا اريد به الملك وما هو باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول قلت قد لابسه في قولك فانساه
الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الاخبار فان قلت لم انكر على يوسف عليه الصلوة
والسلام الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية
عن عيسى عليه الصلوة والسلام من انصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه
المسلم • من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الاخرة • وعن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله
عليه وسلم لم ياخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك
الا مثل التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف
في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار قلت كما اصطفى الله الانبياء
على خليقته فقد اصطفى لهم احسن الامور وافضلها واولاها والاحسن والاولى بالنبي ان لا يكل امره
اذا ابتلي ببلاء الا الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار

ويقول لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه مما استغاثنا • وعن الحسن انه كان يبكي اذا قرأها ويقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس • وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين • لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها • سمان جمع سمين وسمينة ومثله رجال ونسوة كرام • فان قلت هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع بان يقال سبع بقرات سمانا • قلت اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى ان تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن • فان قلت هلا قيل سبع عجاف على الاضافة • قلت التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده • فان قلت فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة اصحاب • قلت الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها الا تراك لا تقول عندي ثلاثة ضخام واربعة غلاظ • فان قلت ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه الا ترى انه لم يقل بقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات • قلت ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف • والعجف الهزال الذي ليس بعده • والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وافعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن دابهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض • فان قلت هل في الآية دليل على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر • قلت الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله واخر يابسات بمعنى وسبعا اخر • فان قلت هل يجوز ان يعطف قوله واخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل • قلت يؤدي الى تدافع وهو ان عطفها على سنبلات خضر يقتضي ان يدخل في حكمها فيكون معها مميزا للسبع المذكور ولفظ الاخر يقتضي ان يكون غير السبع بيانه انك تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام واخرين قعود تدافع ففسد • يا ايها الملأ كانه اراد الاعيان من العلماء والحكماء • واللام في قوله للرؤيا اما ان تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين واما ان تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا تأخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة • ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا اخر او حالا وان يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها • وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت انشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الاعراب رأيت رؤيا ثم عبرتها • وكنت للاحلام عبارا • اضغاث احلام تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان • واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والمعنى هي اضغاث احلام • فان قلت ما

هي الاحلام وانما هو حلم واحد • قلت هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا عمامة فردة تزيدا في الوصف فهؤلاء ايضا تزيدوا في وصف الحلم با[لبطلان] فجعلوه اضغاث احلام • ويجوز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها • وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين اما ان يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها عندنا تأويل فان التأويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة • واما ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تأويل الاحلام بنحارير • وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فارسلون • وقرئ واذكر بالذال وهو الفصيح • وعن الحسن واذكر بالذال اي تذكر الذي نجا من القتل من الفتيين يوسف وما شاهد منه • بعد امة بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملأ تاويلها تذكر الناجي يوسف وتاويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك • وقرأ الاشهب العقيلي بعد امة بكسر الهمزة والامة النعمة قال عدي • ثم بعد الفلاح والملك والامة • واراهم هناك القبور • اي بعد ما انعم عليه بالنجاة • وقرئ بعد امه اي بعد نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ • انا انبئكم بتأويله انا اخبركم به عن عند علمه • وفي قراءة الحسن انا اتيكم بتأويله فارسلون اليه لاسأله ومروني باستعباره • وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة • المعنى فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال • يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون • قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون • ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون • ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون • المعنى فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اول ولذلك كلمه كلام محترز فقال لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون لانه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا • ومعنى لعلهم يعلمون لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك • تزرعون خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المأمور به فيجعل كانه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله • دأبا بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا دأب في العمل وهو حال من المأمورين اي دائبين اما على تدأبون دأبا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوي دأب • فذروه في سنبله لئلا يتسوس • ويأكلن ما قدمتم لهن من المجاز جعل اكل اهلهن مسندا اليهن • تحصنون تحرزون وتخبئون • يغاث الناس من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت • يعصرون بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم • وقيل يحلبون الضروع • وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة • ويجوز ان يكون المبني للفاعل بمعنى ينجون كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون انفسهم اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا • وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة وفيه وجهان اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته • واما ان يقال الاصل اعصرت عليهم فحذف الجار واوصل الفعل • تأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بان العام الثامن يجيء مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي • وعن قتادة زاده الله علم سنة • فان قلت معلوم ان السنين المجدبات اذا انتهت كان ما بعدها خصيبا والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك من جهة الوحي • قلت ذلك معلوم علما مطلقا

لا مفصلا • دون ان فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحي • وقال الملك
ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن
عليم • قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت
امرأة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين • ذلك ليعلم اني لم اخنه
بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين • انما تأنى وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة
ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط
منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويستكف
شره وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقعها قال عليه الصلاة والسلام
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمارين
به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة • وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد عجبت
من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم
حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت
في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة • وانما
قال سل الملك عن شان النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن شانهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه
للبحث عما سئل عنه فاراد ان يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وفص الحديث
حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل • وقرئ النسوة بضم النون • ومن كرمه
وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على
ذكر المقطعات ايديهن • ان ربي بكيدهن عليم اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد
بعلم الله على انهن كدنه وانه بريء مما قرف به او اراد الوعيد لهن اي هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه
• ما خطبكن ما شانكن • اذ راودتن يوسف هل وجدتن فيه ميلا اليكن • قلن حاش لله تعجبا من
عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها • قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق
اي ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير اذا القى ثفناته للمناخ قال
فحصحص في صم الصفا ثفناته • وناء بسلمى نوءة ثم صمما • ولا مزيد على شهادتهن له
بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به لانهن خصومه واذا اعترف
الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال • وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا
مقال ولا بد لنا ان ندق في فروة من ثبتت نزاهته • ذلك ليعلم من كلام يوسف اي ذلك التثبت والتشمر لظهور
البراءة ليعلم العزيز اني لم اخنه بظهر الغيب في حرمته • ومحل بالغيب الحال من الفاعل او المفعول على معنى
وانا غائب عنه خفي عن عينه او وهو غائب عني خفي عن عيني • ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب وهو الخفاء
والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة • وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده
وكانه تعريض بامرأته في خيانتها امانة زوجها وبه في خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات
على حبسه • ويجوز ان يكون تأكيدا لامانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده • وما
ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم • وقال الملك ائتوني به
استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين • قال اجعلني على خزائن
الارض اني حفيظ عليم • ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة
معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة

ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال • وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة
الكلية ولا ازكيها ولا يخلو اما ان يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية
لا عن طريق القصد والعزم • واما ان يريد عموم الاحوال • ان النفس لامارة بالسوء اراد الجنس اي ان هذا الجنس
يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات • الا ما رحم ربي الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة • ويجوز
ان يكون ما رحم في معنى الزمان اي الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت العصمة
ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة • وقيل
معناه ذلك ليعلم الله اني لم اخنه لان المعصية خيانة • وقيل هو من كلام امرأة العزيز اي ذلك الذي قلت
ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه • وما ابرئ
نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن
واودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء • الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها الله بالعصمة
كنفس يوسف • ان ربي غفور رحيم • استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت • فان قلت كيف صح ان يجعل
من كلام يوسف ولا دليل على ذلك • قلت كفى بالمعنى دليلا قائدا الى ان يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملأ
من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ثم قال فماذا تأمرون وهو من كلام فرعون
يخاطبهم ويستشيرهم • وعن ابن جريج هذا من تقديم القرآن وتأخيره ذهب الى ان ذلك ليعلم متصل بقوله
فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن • ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا ان يوسف حين
قال اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها وقالت له امرأة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك
يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله • يقال استخلصه واستخصه اذا جعله خالصا لنفسه وخاصا
به • فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب • قال ايها الصديق • انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة
امين مؤتمن على كل شيء • روي ان الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم
قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل
البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء • ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا
جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم
عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان فقال لسان آبائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه
بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رأيت بقرات فوصفهن ووصف
الوانهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك لا يخرم منها حرفا
وقال له من حقك ان تجمع الطعام في الاهراء فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز
ما لم يجتمع لاحد قبلك • اجعلني على خزائن الارض ولني خزائن ارضك • اني حفيظ عليم امين احفظ
ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن
يولونه • وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله تبعث
الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب
الملك والدنيا • وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض
لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة • فان قلت كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا
له وتحت امره وطاعته • قلت روى مجاهد انه كان قد اسلم • وعن قتادة هو دليل على انه يجوز ان يتولى
الانسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم
النبي او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به

وقيل كان للملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى وكان في حكم التابع له والمطيع • وكذلك
مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين
ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون • وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له
منكرون • وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر • مكنا ليوسف في أرض مصر روي أنها كانت أربعين فرسخا في
أربعين • يتبوأ منها حيث يشاء قرئ بالنون والياء أي كل مكان أراد أن يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع
منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت ملكه وسلطانه • روي أن الملك توجه وختمه بخاتمه
ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت • وروي أنه قال له أما السرير فأشد
به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال فقد وضعته
إجلالا لك وإقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك إليه أمره وعزل قطفير ثم
مات بعد فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء
فولدت له ولدين افرائيم وميشا وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك
وكثير من الناس وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الأولى حتى لم
يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا
والله ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم منه فقال للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الرأي
رأيك قال فإني أشهد الله وأشهدك أني قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وكان
لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام نحو ما أصاب
فأرسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين • برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما
من النعم • من نشاء من اقتضت الحكمة أن نشاء لذلك • ولا نضيع أجر المحسنين بأن نجرهم في الدنيا • ولأجر
الآخرة خير لهم • قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له
الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق • لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته إياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم
أنه قد هلك وذهابه عن أوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشأنه ولبعد حاله التي بلغها من الملك
والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحا في البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم أنه هو لكذبوا
أنفسهم وظنونهم ولأن الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف
• وقيل رأوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج
فما خطر ببالهم أنه هو • وقيل ما رأوه لأنه بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا إلا حيث يقف
طلاب الحوائج وإنما عرفهم لأنه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريبا من زيهم إذ ذاك ولأن همته كانت
معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتأمل ويتفطن • وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له • ولما جهزهم بجهازهم
قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين • فإن لم تأتوني به فلا كيل
لكم عندي ولا تقربون • قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون • وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم
في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون • فلما رجعوا إلى أبيهم
قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون • قال هل آمنكم عليه
إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين • ولما فتحوا متاعهم وجدوا
بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ
أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير • ولما جهزهم بجهازهم أصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر
من الزاد وما يحتاج إليه المسافرون وأوقر ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة • وقرئ بجهازهم بكسر الجيم • قال

ائتوني بأخ لكم من أبيكم لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر القول هذه المسألة روي أنهم لما
رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما شأنكم فإني أنكركم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة
أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن إخوة
بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا
واحد قال فكم أنتم هاهنا قالوا عشرة قال فأين الأخ الحادي عشر قالوا هو عند أبيه يتسلى به من الهالك قال
فمن يشهد لكم أنكم لستم بعيون وأن الذي تقولون حق قالوا إنا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد فيشهد لنا قال
فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني بأخيكم من أبيكم وهو يحمل رسالة من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا
بينهم فأصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد أحسن إنزالهم وضيافتهم
• ولا تقربون فيه وجهان أحدهما أن يكون نهيا داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل فلا كيل لكم كأنه
قيل فإن لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا وأن يكون بمعنى النهي • سنراود عنه أباه سنخادعه عنه ونجتهد
ونحتال حتى ننتزعه من يده • وإنا لفاعلون وإنا لقادرون على ذلك لا نتعايا به • أو وإنا لفاعلون ذلك
لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى • لفتيانه وقرئ لفتيته وهما جمع فتى كالإخوة والإخوان في أخ وفعلة للقلة
وفعلان للكثرة أي لغلمانه الكيالين • لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم بإعطاء البدلين
إذا انقلبوا إلى أهلهم وفرغوا ظروفهم • لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا
وكانت بضاعتهم النعال والأدم • وقيل تخوف أن لا يكون عند أبيه من المتاع ما يرجعون به • وقيل لم ير من
الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمنا • وقيل علم أن ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون إمساكها
فيرجعون لأجلها • وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها • منع منا الكيل يريدون قول يوسف
فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي لأنهم إذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل • نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام
ما نحتاج إليه • وقرئ يكتل بالياء على إسناده إلى الأخ أي يكتل لنفسه فينضم اكتياله إلى اكتيالنا أو يكون سببا للاكتيال فإنه امتنع
بسببه • هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وإنا له لحافظون كما تقولونه في أخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني
من مثل ذلك • ثم قال فالله خير حافظا فتوكل على الله فيه ودفعه إليهم • وحافظا تمييز كقولك هو خيرهم
رجلا ولله دره فارسا • ويجوز أن يكون حالا • وقرئ حفظا • وقرأ الأعمش فالله خير حافظ • وقرأ أبو هريرة
خير الحافظين • وهو أرحم الراحمين فأرجو أن ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين • وقرئ ردت إلينا
بالكسر على أن كسرة الدال المدغمة نقلت إلى الراء كما في قيل وبيع • وحكى قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء
فيمن سكنها إلى الضاد • ما نبغي ماذا نبغي أي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من إحسان الملك وإكرامه
وكانوا قالوا له إنا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته •
أو ما نبغي شيئا وراء ما فعل بنا من الإحسان • أو على الاستفهام بمعنى أي شيء نطلب وراء هذا • وفي قراءة
ابن مسعود ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه أي شيء تطلب وراء هذا من الإحسان أو من الشاهد
على صدقنا • وقيل معناه ما نريد منك بضاعة أخرى • وقوله هذه بضاعتنا ردت إلينا جملة
مستأنفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى أن بضاعتنا ردت إلينا فنستظهر
بها ونمير أهلنا في رجوعنا إلى الملك • ونحفظ أخانا فما يصيبه شيء مما تخافه • ونزداد باستصحاب
أخينا وسق بعير زائد على أوساق أباعرنا فأي شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها أحوالنا
ونوسع ذات أيدينا • وإنما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا أنه كان لا يزيد الرجل على حمل بعير للتقسيط
فإن قلت هذا إذا فسرت البغي بالطلب فأما إذا فسرته بالكذب والتزيد في القول كانت الجملة الأولى وهي
قوله هذه بضاعتنا ردت إلينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن قيلهم فما تصنع بالجمل البواقي قلت

اعطفها على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت • ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ
كقولك وينبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب ان اسعى وينبغي ان لا
اقصر • ويجوز ان يراد ما نبغي وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع اخينا ثم قالوا
هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون في رأيهم وانهم مصيبون
فيه وهو وجه حسن واضح • ذلك كيل يسير اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فارادوا ان
يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا اليه الملك
ولا يضايقنا فيه او سهل عليه متيسر لا يتعاظمه • ويجوز ان يكون من كلام يعقوب عليه الصلاة والسلام
ولا يحمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم • قال لن ارسله معكم حتى تؤتون
موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل • وقال
يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا
لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون • لن ارسله معكم منافي حالي وقد رأيت منكم ما رأيت
ارساله معكم • حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اراد ان يحلفوا له بالله وانما
جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد وقد اذن الله في ذلك فهو اذن منه
• لتأتنني به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به • الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا
الاتيان به او الا ان تهلكوا • فان قلت اخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال • قلت ان
يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتأتنني به في تأويل النفي معناه لا تمتنعون من الاتيان
به الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم
العام في المفعول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي وحده فلا بد من تأويله بالنفي ونظيره
من الاثبات المتأول بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت تريد ما اطلب منك الا الفعل • على ما نقول
من طلب الموثق واعطائه • وكيل رقيب مطلع • وانما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا ذوي بهاء
وشارة حسنة وقد اشتهروا في اهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا
مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء اضياف الملك انظروا
اليهم ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف
لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور ويصيبهم ما يسوؤهم ولذلك لم
يوصهم بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس • فان قلت هل للاصابة بالعين
وجه تصح عليه • قلت يجوز ان يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشيء والاعجاب به نقصانا فيه وخللا
من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليتميز المحققون من اهل الحشو فيقول المحقق هذا
فعل الله ويقول الحشوي هو اثر العين كما قال وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية • وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة •
وما اغني عنكم من الله من شيء يعني ان اراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق
وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله • ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من
شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون • ولما
دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون • فلما جهزهم
بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون • قالوا واقبلوا
عليهم ماذا تفقدون • قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم • ثم

قالوا

قال فلما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي متفرقين • ما كان يغني عنهم رأي يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا
قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان
الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم • الا حاجة استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة
في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها بما قال لهم ووصاهم به • وانه لذو علم يعني قوله وما
اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر • آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين • وروي انهم قالوا له هذا
اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل
اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي
اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يواكله • وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا
لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى اصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت
اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب
ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك يوسف • فلا تبتئس فلا تحزن • بما كانوا يعملون
بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك • وعن ابن عباس تعرف اليه • وعن
وهب لم يقل له انا اخوك بدل اخيك المفقود • فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم
وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك
الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي قال فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك
بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل • السقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع • قيل
كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به • وقيل كانت الدواب تسقى بها • وقيل كانت اناء مستطيلا
يشبه المكوك • وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب به الاعاجم • وقيل كانت من فضة مموهة
بالذهب • وقيل كانت من ذهب • وقيل كانت مرصعة بالجواهر • ثم اذن مؤذن ثم نادى مناد يقال آذنه اعلمه
واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه • روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم
فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك • والعير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء • وقيل هي قافلة
الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كأنها جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد
والمراد اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي • وقرأ ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كأنه قيل
فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن • وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي
تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا • وقرئ صواع وصاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة
وغير معجمة • وانا به زعيم يقوله المؤذن يريد وانا بحمل البعير كفيل اؤديه الى من جاء به واراد وسق بعير من طعام جعلا
لمن حصله • قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين • قالوا فما جزاؤه
ان كنتم كاذبين • قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين • فبدأ باوعيتهم
قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين
الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم • قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف
في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون • تالله قسم فيه معنى التعجب مما
اضيف اليهم • وانما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وامانتهم في
كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما
لاحد من اهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم • وما كنا سارقين وما كنا نوصف
بالسرقة وهي منافية لحالنا • فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته • ان كنتم كاذبين في جحودكم

وقرئت صوغ الملك بالغين معجمة كذا في معالم

٢ نرفع درجات من نشاء ع

وادعائكم البراءة منه • قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله وكان حكم
السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه • وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ السارق
نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه او فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه
وتلزمه • ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر
والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول لك
اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه مقيما للمظهر مقام
المضمر • ويحتمل ان يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف اي المسئول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله
فهو جزاؤه كما يقول من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما
قتل من النعم • فبدأ باوعيتهم قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ
بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله
لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه • وقرأ الحسن وعاء بضم
الواو وهي لغة • وقرأ سعيد بن جبير اعاء بقلب الواو همزة • فان قلت لم ذكر ضمير الصواع مرات
ثم انثه • قلت قالوا رجع بالتأنيث على السقاية او انث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه
سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعا • كذلك
كدنا مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه واوحينا به اليه • ما كان ليأخذ اخاه في دين
الملك تفسير للكيد وبيان له لانه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق ان يغرم مثلي ما اخذ
لا ان يلزم ويستعبد • الا ان يشاء الله اي ما كان يأخذه الا بمشيئة الله واذنه فيه • نرفع درجات من نشاء في العلم
كما رفعنا درجات يوسف فيه • وقرئ يرفع بالياء • درجات بالتنوين • وفوق كل ذي علم عليم فوقه ارفع
درجة منه في علمه او فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وعلا • فان قلت ما اذن الله
فيه يجب ان يكون حسنا فمن اي وجه حسن هذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم
يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم كاذبين • قلت هو في صورة البهتان وليس ببهتان في
الحقيقة لان قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف • وقيل كان ذلك القول من
المؤذن لا من يوسف • وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح
لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله
الذئب • هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله لايوب عليه
الصلاة والسلام وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول ابراهيم هي اختي لتسلم من يد
الكافر وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله في هذه الحيلة التي لقنها
يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا • اخ
له ارادوا يوسف • روي انهم لما استخرج الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم حياء واقبلوا عليه
وقالوا له ماذا الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا
الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي
الذي وضع البضاعة في رحالكم • واختلف فيما اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان اخذ في صباه صنما لجده
ابي امه فكسره والقاه بين الجيف في الطريق • وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه
فدفنه • وقيل كانت في المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السائل • وقيل كانت لابراهيم عليه السلام
منطقة يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحاق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت يوسف وهي عمته

بعد وفاة

بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها
على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحاق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف
فقالت انه لي سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت • فاسرها اضمار على شريطة التفسير
تفسيره انتم شر مكانا وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام
كلمة كأنه قيل فاسر الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا لان قوله
قال انتم شر مكانا بدل من اسرها • وفي قراءة ابن مسعود فاسره على التذكير يريد القول او الكلام • ومعنى
انتم شر مكانا انتم شر منزلة في السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم • والله اعلم
بما تصفون يعلم انه لم يصح لي ولا لاخي سرقة وليس الامر كما تصفون • قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا
كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين • قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا
عنده انا اذا لظالمون • فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ
عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح الارض حتى يأذن لي ابي او يحكم الله لي
وهو خير الحاكمين • استعطفوه باذكارهم اياه حق ابيهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر
وان بنيامين احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستأنس
باخيه • فخذ احدنا مكانه فخذه بدله على وجه الاسترهان او الاستعباد • انا نراك من المحسنين الينا فاتمم
احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها • معاذ الله هو كلام موجه ظاهره
انه وجب على قضية فتواكم اخذ من وجد الصاع في رحله واستعباده فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم
فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح
جمة علمها في ذلك فلو اخذت غير من امرني باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي • ومعنى معاذ
الله ان نأخذ نعوذ بالله معاذا من ان نأخذ فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من • واذا جواب لهم
وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا • استيأسوا يئسوا وزيادة السين والتاء في المبالغة نحو ما مر في استعصم
والنجي على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه
نجيا • وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة
المصادر وجمع انجية • قال اني اذا ما القوم كانوا انجيه • ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم • نجيا ذوي
نجوى او فوجا نجيا اي مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا لاستجماع امرهم
لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كأنهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير امرهم
على اي صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شأن اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور
كبيرهم في السن وهو روبيل • وقيل رئيسهم وهو شمعون • وقيل كبيرهم في العقل والرأي وهو يهوذا • وما
فرطتم في يوسف فيه وجوه ان تكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شأن يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم
وان تكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل والمعنى ووقع من قبل
تفريطكم في يوسف او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كأنه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا
وتفريطكم من قبل في يوسف • وان تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في حق يوسف من الجناية
ومحله الرفع او النصب على الوجهين • فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لي ابي في الانصراف اليه
او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب • وهو خير
الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق • ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا

الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين • واسال القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون
قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا انه هو العليم
الحكيم • وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم • وقرئ سُرِّق
اي نسب الى السرقة • وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من سرقته وتيقناه لان الصواع استخرج من
وعائه ولا شيء ابين من هذا • وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق • او وما
علمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف • ومن قرا سُرِّق فمعناه وما شهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق
وما كنا للغيب للامر الخفي حافظين اسرق بالصحة ام دس الصاع في رحله ولم يشعر • القرية التي كانوا فيها
هي مصر اي ارسل الى اهلها فاسالهم عن كنه القصة • والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما من
كنعان من جيران يعقوب • وقيل من اهل صنعاء معناه فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فقال بل سولت
لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم • بهم جميعا
بيوسف واخيه وروبيل او غيره • انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف • الحكيم الذي لم يبتلني بذلك
الا لحكمة ومصلحة • وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاؤوا به • يا اسفى اضاف الاسف وهو اشد الحزن
والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظتي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير
متعمل ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون
من سبإ بنبإ • وعن النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة
الا امة محمد الا ترى الى يعقوب عليه الصلاة والسلام حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفى
فان قلت كيف تاسف على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس واشد
اثرا **قلت** هو دليل على تمادي اسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم
عهده كان غضا عنده طريا ولم تنسني اوفى المصيبات بعدهم ولان الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته
التي ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان الاسف عليه اسفا على من لحق به • وابيضت عيناه اذا كثر الاستعبار
محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر • قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا
• قرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن • قيل
ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من
يعقوب • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد
سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط **فان قلت**
كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ **قلت** الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد
من الحزن ولذلك حمد صبره وان يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون •
وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب • وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على بعض ولده او بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا
عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح
• وعن الحسن رحمه الله انه بكى على ولد او غيره فقيل له في ذلك فقال ما رايت الله جعل الحزن عارا على يعقوب
• فهو كظيم فهو مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من
كظم السقاء اذا شده على ملئه • والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال اخذ باكظامه • قالوا تالله تفتؤ
تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين • تفتؤ اراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس

بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه • فقلت يمين الله ابرح قاعدا • ومعنى لا تفتؤ لا تزال
وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتوء والفتور اخوين يقال ما فتئ يفعل • قال اوس فما فتئت خيل تثوب
وتدعي • ويلحق منها لاحق وتقطع • حرضا مشفيا على الهلاك مرضا واحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعا
• وقرا الحسن حرضا بضمتين ونحوه في الصفات رجل جنب وغرب • قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم
من الله ما لا تعلمون • البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره ومنه باثه
امره وابثه اياه • ومعنى انما اشكو اني لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم انما اشكو الى ربي داعيا له وملتجئا اليه
فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه عنهم اي فتولى عنهم الى الله والشكاية اليه • وقيل دخل على يعقوب جار له
فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم
يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى الخلق فقال يا رب خطيئة اخطاتها فاغفر لي فغفر له فكان بعد ذلك
اذا سئل يقول انما اشكو بثي وحزني الى الله • وروي انه اوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام
ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع اليه المساكين • وقيل
اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت • واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم من صنعه ورحمته
وحسن ظني به انه ياتيني بالفرج من حيث لا احتسب • وروي انه راى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت
روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه • وقرا الحسن وحزني بفتحتين • وحزني بضمتين قتادة • يا بني
اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تياسوا من روح الله انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون
فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما • وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما تفعل من الاحساس
وهو المعرفة وتجسس المخبر عنه بالتعرف ومن الجس وهو الطلب ومنه قيل للشاعر الجاسة الحواس • من روح الله
من فرجه وتنفيسه • وقرا الحسن وقتادة من روح الله بالضم اي من رحمته التي يحيي بها العباد • فلما دخلوا عليه
قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا
ان الله يجزي المتصدقين • الضر الهزال من الشدة والجوع • مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة
عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب • قيل كانت من متاع الاعراب صوفا
وسمنا • وقيل الصنوبر وحبة الخضراء • وقيل سويق المقل والاقط • وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة
فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا • وتصدق علينا وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا
على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لان الصدقات محظورة على الانبياء • وقيل كانت تحل لغير
نبينا صلى الله عليه وسلم • وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال الم تسمع وتصدق علينا اراد انها كانت حلالا لهم والظاهر
انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم نفسه
وقوله ان الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله وجزائه • والصدقة العطية التي يبتغى بها المثوبة من الله
ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي ان الله لا يتصدق انما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل اللهم اعطني
او تفضل علي او ارحمني • قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون • قال هل علمتم اتاهم
من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب ان يراعيه التائب فقال هل علمتم
قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم
الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في
الدين لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور
ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبياء ما اوطاها واسجحها ولله حصى عقولهم ما ازرنها

وان حجنا ● وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يعملوا بما يقتضيه العلم ولا يقدم
عليه الا جاهل سماهم جاهلين ● وقيل معناه اذ انتم صبيان في حد السفه والطيش قبل ان تبلغوا اوان
الحلم والرزانة ● روي انهم لما قالوا مسنا واهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول ●
وقيل ادوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز
مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء ● اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق
فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما ● واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله ● واما
انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا
قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا
به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته
علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك
وعيل صبره فقال لهم ذلك ● وروي انه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا فان قلت
ما فعلوا باخيه قلت تعريضهم اياه للغم بافراده عن اخيه لابيه وامه وجفاؤهم به
حتى كان لا يستطيع ان يكلم احدا منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاؤهم له بانواع الاذى ● قالوا أئنك
انت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر
المحسنين ● قرئ أئنك على الاستفهام وانك على الايجاب ● وفي قراءة ابي أئنك او انت يوسف على معنى
أئنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر
الاستثبات فان قلت كيف عرفوه قلت رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا
به انه هو مع علمهم بان ما خاطبهم به لا يصدر مثله الا عن حنيف مسلم من سنخ ابراهيم لا عن بعض اعزاء مصر
وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم ● وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن راسه
فنظروا الى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء فان قلت قد سألوه
عن نفسه فلم اجابهم عنها وعن اخيه قلت لانه كان في ذكر اخيه بيان
لما سألوه عنه ● من يتق من يخف الله وعقابه ● ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات ● فان الله لا يضيع
اجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين ● قالوا تالله لقد آثرك الله علينا
وان كنا لخاطئين ● قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ● اذهبوا بقميصي هذا
فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا وأتوني باهلكم اجمعين ● ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد
ريح يوسف لولا ان تفندون ● قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم ● لقد آثرك الله علينا اي فضلك علينا
بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وان شأننا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لا جرم ان
الله اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك ● لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم ولا عتب ● واصل التثريب
من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع
لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الاعراض ويذهب
بماء الوجوه فان قلت بم تعلق اليوم قلت بالتثريب او بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار او بيغفر
والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال يغفر الله
لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول
المشمت ● يهديكم الله ويصلح بالكم ● او اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لتجدد يومئذ من
توبتهم وندمهم على خطيئتهم ● وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بعضادتي باب الكعبة

يوم الفتح

يوم الفتح فقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول
ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم ● وروي ان ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا اتيت رسول الله
فاتل عليه قال لا تثريب عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك ● ويروى
ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك
فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا
بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة
ابراهيم ● اذهبوا بقميصي هذا قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة امره
جبريل عليه الصلاة والسلام ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي ● يأت
بصيرا يصر بصيرا كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا ● او يأت الي وهو بصير وينصره
قوله وأتوني باهلكم اي يأت ابي وياتني آله جميعا ● وقيل يهوذا هو الحامل قال انا احزنته بحمل القميص
ملطخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته ● وقيل حمله يهوذا وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة
ثمانين فرسخا ● فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه
● وقرأ ابن عباس فلما انفصل العير قال ابوهم لمن حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح القميص حين
اقبل من مسيرة ثمان ● والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال
عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها ● والمعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني
● لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه
وكان عندهم انه قد مات ● فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل لكم اني اعلم
من الله ما لا تعلمون ● قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ● قال سوف استغفر لكم ربي
انه هو الغفور الرحيم ● القاه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او القاه يعقوب ● فارتد
فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده اذا ارتجعه ● الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف او
قوله ولا تيأسوا من روح الله ● وقوله اني اعلم كلام مبتدأ لم يقع عليه القول ولك ان توقعه عليه وتريد قوله
انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون ● وروي انه سأل البشير كيف يوسف فقال هو
ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة ● سوف
استغفر لكم ربي اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الاجابة وقيل
ليتعرف حالهم في صدق التوبة واخلاصها ● وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي انه كان
يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة ● وقيل قام الى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه
وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لاولادي ما اتوا الى اخيهم فاوحى اليه ان الله
قد غفر لك ولهم اجمعين ● وروي انهم قالوا له وقد غلبتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا
ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف
خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة
نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك
على النبوة وقد اختلف في استنبائهم ● فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر
ان شاء الله آمنين ● ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي
من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد
ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم ● فلما دخلوا

علي يوسف قيل وجّه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك
في اربعة الاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهوذا فنظر
الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك
يا مذهب الاحزان • وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة
تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك • وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر
وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى والمقاتلون ستمائة الف وخمسمائة
وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف • اوى اليه ابويه
ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن اسحاق كانت امه قد ماتت • وقيل هما ابوه وخالته ماتت امه فتزوجها
وجعلها احد الابوين لان الرابة تدعى اما لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب ومنه
قوله تعالى وآله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحاق **فان قلت** ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر
قلت كانه حين استقبلهم نزل بهم في مضرب او بيت ثم فدخلوا عليه وضم ابويه اليه ثم قال لهم
ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين فلما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه
فرفعهما على السرير وخروا له يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا • ويجوز ان يكون قد خرج في
قباب من الملوك التي تحمل على البغال فامر ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه القبة فاواهما اليه بالضم
والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر **فان قلت** بم تعلقت المشيئة **قلت** بالدخول
مكيفا بالامن لان القصد الى اتصافهم بالامن في دخولهم فكانه قيل اسلموا وامنوا في دخولكم ان شاء الله
ونظيره قولك للغازي ارجع سالما غانما ان شاء الله فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة
والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام ثم
اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال • ومن بدع التفاسير ان قوله ان شاء الله من باب التقديم والتأخير
وان موضعها ما بعد قوله سوف استغفر لكم ربي في كلام يعقوب عليه الصلاة والسلام وما ادري ما اقول فيه
وفي نظائره **فان قلت** كيف جاز لهم ان يسجدوا لغير الله **قلت** كانت السجدة عندهم جارية مجرى
التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من افعال شهرت
في التعظيم والتوقير • وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يأباه • وقيل معناه وخروا
لاجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا ايضا فيه نبوة • يقال احسن اليه وبه وكذلك اساء اليه وبه قال
اسيئي بنا او احسني لا ملومة • من البدو من البادية لانهم كانوا اهل عمد واصحاب مواش يتنقلون
في المياه والمناجع • نزغ افسد بيننا واغرى واصله من نخس الرائض الدابة وحملها على الجري • يقال نزغه
ونسغه اذا نخسه • لطيف لما يشاء لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب • روي
ان يوسف اخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فادخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب
وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزانة القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما
كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال او ما تسأله قال انت ابسط اليه مني فسأله فقال
جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتني • وروي ان يعقوب اقام
معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحاق فمضى بنفسه ودفنه
ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له طلبت
نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه
الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا

من الراي

من الرأي ان عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر
ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارث
الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وآبائه الى ان بعث
الله موسى صلى الله عليه وسلم • رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات
والارض انت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين • ذلك من انباء
الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون • من في من الملك ومن تأويل
الاحاديث للتبعيض لانه لم يؤت الا بعض ملك الدنيا او بعض ملك مصر وبعض التأويل • انت وليي
انت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي • توفني مسلما طلب للوفاة على حال
الاسلام ولان يختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون • ويجوز ان يكون
تمنيا للموت على ما قيل والحقني بالصالحين من آبائي او على العموم • وعن عمر بن عبد العزيز ان ميمون بن مهران
بات عنده فرآه كثير البكاء والمسألة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا احييت سننا وامت بدعا
وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال افلا اكون كالعبد الصالح لما اقر الله عينه وجمع له امره قال توفني مسلما
والحقني بالصالحين **فان قلت** علام انتصب فاطر السموات **قلت** على انه وصف لقوله رب
كقولك اخا زيد حسن الوجه او على النداء • ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ومحله الابتداء • وقوله من انباء الغيب نوحيه اليك خبران ويجوز ان يكون اسما موصولا بمعنى الذي
ومن انباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى ان هذا النبأ غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر
بني يعقوب حين اجمعوا امرهم وهو القاؤهم اخاهم في البئر كقوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب وهذا تهكم
بقريش وبمن كذبه لانه لم يخف على احد من المكذبين انه لم يكن من حملة هذا الحديث واشباهه ولا لقي فيها احدا
ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا اخبر به وقصه هذا القصص العجيب الذي اعجز حملته ورواته لم تقع
شبهة في انه ليس منه وانه من جهة الوحي فاذا انكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرة انه لم يكن مشاهدا
لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر • وهم يمكرون بيوسف ويبغون
له الغوائل • وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين • وما تسألهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين
وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون • وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله او تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون • قل هذه سبيلي
ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين • وما اكثر الناس يريد العموم
كقوله ولكن اكثر الناس لا يؤمنون • وعن ابن عباس اراد اهل مكة اي وما هم بمؤمنين ولو حرصت وتهالكت عليه
لتصميمهم على الكفر وعنادهم • وما تسألهم على ما تحدثهم به وتذكرهم ان ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطي
حملة الاحاديث والاخبار • ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول
من رسله • من آية من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده • يمرون عليها ويشاهدونها
وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها • وقرئ والارض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره • وقرأ السدي
والارض بالنصب على ويطؤون الارض يمرون عليها • وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها برفع
الارض والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر • وما يؤمن اكثرهم في اقراره بالله وبانه
خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادة الوثن • وعن الحسن هم اهل الكتاب معهم شرك
وايمان • وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه • غاشية نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب
ويجللهم وقيل الصواعق • هذه سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي • والسبيل الطريق

بكذا ان يدعو ثم فسر سبيله بقوله ادعو الى الله • على بصيرة اي ادعو الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء • وانا تاكيد للمستتر في ادعو • ومن اتبعني عطف عليه يريد ادعو اليها انا ويدعو اليها من اتبعني • ويجوز ان يكون انا مبتدأ وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على انا اخبارا مبتدأ بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى • ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو عاملة الرفع في انا ومن اتبعني • وسبحان الله وانزهه من الشركاء • وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون • حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين • لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون • الا رجالا لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة • وعن ابن عباس يريد ليست فيهم امراة • وقيل في سجاح المتنبية ولم تزل انبياء الله ذكرانا • وقرئ نوحي اليهم بالنون • من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة • ولدار الآخرة ولدار الساعة او الحال الآخرة • خير للذين اتقوا للذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه • وقرئ افلا يعقلون بالتاء والياء • حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استيأسوا عن النصر وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او رجاؤهم لقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتاميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجاة من غير احتساب • وعن ابن عباس رضي الله عنه وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس بالقلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجح احد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله صلى الله عليهم وسلم الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح • وقيل وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا اي اخلفوا او وظن المرسل اليهم انهم كذبوا من جهة الرسل اي كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه • وقرئ كذبوا بالتشديد على وظن الرسل انهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم • وقرا مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة اما على تاويل ابن عباس واما على ان قومهم اذا لم يروا لموعدهم اثرا قالوا لهم انكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم او وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا ولو قرئ بهذا مشددا لكان معناه وظن الرسل ان قومهم كذبوهم في موعدهم • وقرئ فنجي بالتخفيف والتشديد من انجاه ونجاه وفنجي على لفظ الماضي المبني للمفعول • وقرا ابن محيصن فنجا والمراد بمن نشاء المؤمنون لانهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم وقد بين ذلك بقوله ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين • الضمير في قصصهم للرسل وينصره قراءة من قرا في قصصهم بكسر القاف • وقيل هو راجع الى يوسف واخوته • **فان قلت** فالام يرجع الضمير في ما كان حديثا يفترى فيمن قرا بالكسر • **قلت** الى القرآن اي ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه قبله من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي تستند اليه السنة والاجماع والقياس بعد ادلة العقل • وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان • وقرئ ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت

وأعطاه القوة ان لا يحسد مسلما • صدق الله تعالى وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

سورة الرعد مختلف فيها وهي ثلاث واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم المر تلك آيات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون • الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون • وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون • وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون • وان تعجب فعجب قولهم ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • تلك اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال والذي انزل اليك من القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي اسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها تريد الكملة • الله مبتدأ والذي رفع السموات خبره بدليل قوله وهو الذي مد الارض • ويجوز ان يكون صفة وقوله يدبر الامر يفصل الآيات خبرا بعد خبر • رفع السموات بغير عمد ترونها كلام مستانف استشهاد برؤيتهم لها كذلك • وقيل هي صفة لعمد ويعضده قراءة ابي ترونه • وقرئ عمد بضمتين • يدبر الامر امر ملكوته وربوبيته • يفصل الآيات في كتبه المنزلة • لعلكم توقنون بالجزاء وبان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه • وقال الحسن مد الارض بسطها وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت • ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ذكرها في خلق الزوجين اثنين • وقيل الزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة • يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعدما كان ابيض منيرا • وقرئ يغشي بالتشديد • قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه وكذلك الكروم والزروع والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الاجناس والانواع وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات على وجعل • وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين اثنين او بالجر على كل الثمرات • وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب • والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان واصلها واحد • وقرئ بالضم والكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة بني تميم وقيس • تسقى بالتاء والياء • ونفضل بالنون وبالياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا • في الاكل بضم الكاف وسكونها • وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة اهون شيء عليه وايسره فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب • ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله ائنا لفي خلق جديد • اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم • واولئك الاغلال في اعناقهم وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ونحوه لهم عن الرشد اغلال واقياد • او هو من جملة الوعيد • ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب • ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد • بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية

والاحسان اليهم بالامهال وقد علمنا انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره
وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا والمثلة
العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال
امثلت الرجل من صاحبه واقصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بضمتين لاتباع الفاء
العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف
المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم
انفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين لانفسهم وفيه اوجه ان يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر
او الكبائر بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر والامهال وروي انها لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم
لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد لولا انزل عليه اية من ربه
لم يعتدوا بالايات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو ايات موسى وعيسى من انقلاب
العصى حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت رجل ارسلت منذرا مخوفا لهم من سوء
العاقبة كما ارسل غيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة
باية اية كانت والايات كلها سواء في حصول صحة الدعوى لا تفاوت بينها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل
نبي اية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم
الى الله بوجه من الهداية وباية خص بها ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا في ايات مخصوصة ووجه اخر وهو
ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك ايات ويعاندون ولا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك
الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى فلقد دل
بما اردفه من ذكر ايات علمه وتقديره الاشياء على قضايا حكمته ان اعطاءه كل منذر ايات خلاف غيره
امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى مقترحهم خيرا ومصلحة لاجابهم
اليه واما على الوجه الثاني فقد دل به على ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم
العالم باي طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره **الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما
تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من اسر القول ومن جهر
به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من
امر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما
لهم من دونه من وال** الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مستانفا وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه
الاخير ثم ابتدئ فقيل يعلم ما تحمل كل انثى وما في ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة واما مصدرية
فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول
وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الارحام اي تنقصه يقال غاض الماء وغضته
انا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداد اي تاخذه زائدا تقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله
تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته الشيء فازداد بنفسه وازداد مما تنقصه الرحم وتزداد عدد الولد فانها
تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه
جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى
سنتين عند ابي حنيفة رضي الله عنه والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين
وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية
فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن اوقاته واحواله

ويجوزان

ويجوز ان يراد غيض ما في الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين
غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيضوضة ان تضع لثمانية اشهر او اقل من ذلك والازدياد
ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض الذي يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام بمقدار
بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر الكبير العظيم الشان الذي كل شيء
دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها سارب
ذاهب في سربه بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى
اي طلب الخفاء في مختبا بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد
فان قلت كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى
الاستواء المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب قلت فيه وجهان
احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني انه عطف على مستخف الا ان
من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل
وسارب بالنهار والضمير في له مردود على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات
جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله وجاء
المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرا به او هو مفعلات من عقبه اذا
جاء على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه يحفظونه من امر
الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه قيل معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر
الله اي من اجل ان الله امرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة
يحفظونه بامر الله او يحفظونه من باس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسالتهم ربهم ان يمهله رجاء ان
يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول
السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من امر الله اي من قضاياه ونوازله او على التهكم به وقرئ له معاقيب
جمع معقب ومعقبة والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير ان الله لا يغير ما بقوم من العافية
والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي من وال ممن يلي امرهم ويدفع عنهم **هو الذي
يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل
الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال له دعوة الحق والذين يدعون
من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء
الكافرين الا في ضلال ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال**
خوفا وطمعا لا يصح ان يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف اي ارادة
خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع
او على ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق
يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب فتى كالسحاب الجون تخشى وترتجى يرجى الحيا منها وتخشى
الصواعق وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن
البلاد ما لا ينتفع بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيى به السحاب اسم الجنس والواحدة
سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امراة كريمة ونساء كرام وهي
الثقال بالماء ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له اي يضجون
بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي

سبحان من يسبح له * واذا اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك
وعافنا قبل ذلك * وعن ابن عباس ان اليهود سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة
موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب * وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك * ومن بدع المتصوفة
الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم * والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من هيبته
واجلاله * ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته
ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله وانكروا آياته * يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه
به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ
الشركاء والانداد ويجعلونه بعض الاجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا
بالباطل ليدحضوا به الحق * وقيل الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن
ربيعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى
الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتلته * اخبرني عن ربنا
امن نحاس ام من حديد * المحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد
فيه * ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا * وقال
الاعشى فرع نبع يهتز في غصن المجد غزير الندى شديد المحال * والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه
ياتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون * وقرا الاعرج بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه
احول من ذئب اي شديد الحيلة * ويجوز ان يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد
الله اشد وموساه احد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره
الا ترى الى قولهم فقرته الفواقر وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوامه * دعوة الحق فيه وجهان احدهما ان تضاف
الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة
به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤاله ان كان مصلحة له فكانت
دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي
دعاؤه * والثاني ان يضاف الى الحق الذي هو الله عز وعلا على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب *
وعن الحسن رحمه الله الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق * **فان قلت** ما وجه اتصال هذين الوصفين
بما قبله * **قلت** اما على قصة اربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لا يشعر
وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فاجيب فيهما
فكانت الدعوة دعوة حق * واما على الاول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول
محاله بهم واجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دعا عليهم فيهم * والذين يدعون والآلهة الذين يدعوهم
الكفار من دون الله * لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم * الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة باسط كفيه
اي كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته
اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على
نفعهم * وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه
فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه * وقرئ تدعون بالتاء * كباسط كفيه بالتنوين * الا في ضلال
الا في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الآلهة لم تستطع اجابتهم * ولله يسجد لهي
ينقادون لاحداث ما اراده فيهم من افعاله شاؤوا او ابوا لا يقدرون ان يمتنعوا عليه وتنقاد له ظلالهم
ايضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال * وقرئ بالغدو والايصال من آصلوا

اذا دخلوا

اذا دخلوا في الاصيل * **قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم
نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء
خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار * انزل من السماء ماء
فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع
زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل * فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في
الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في
الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب * وماواهم جهنم وبئس المهاد ***
قل الله حكاية لاعترافهم وتاكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله
كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه اهذا قولك
فاذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على
هذا القول كيت وكيت * ويجوز ان يكون تلقينا اي ان كعوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقنونه ولا يقدرون
ان ينكروه * افاتخذتم من دونه اولياء فجعلتم ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب
الاشراك * لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضررا فكيف
يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما ابين ضلالتكم * ام جعلوا بل اجعلوا
ومعنى الهمزة الانكار * خلقوا كخلقه صفة لشركاء يعني انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله
فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم
له شركاء ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه
الخلق فضلا ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق * قل الله خالق كل شيء لا خالق غير الله ولا يستقيم ان يكون له
شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة * وهو الواحد المتوحد بالربوبية القهار الذي لا يغالب وما عداه مربوب
ومقهور * هذا مثل ضربه الله للحق واهله والباطل وحزبه كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما
فمثل الحق واهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به اودية الناس فيحيون به وينفعهم انواع المنافع وبالفلز
الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والآلات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذي فيه البأس الشديد
لكفى به وان ذلك ماكث في الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه وتبقى آثاره في العيون والبئار والحبوب والثمار
التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجوهر يبقى ازمنة متطاولة * وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك
زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا اذيب * **فان قلت**
لم نكرت الاودية * **قلت** لان المطر لا ياتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض دون
بعض * **فان قلت** فما معنى قوله بقدرها * **قلت** بمقدارها الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار
الا ترى الى قوله واما ما ينفع الناس لانه ضرب المطر مثلا للحق فوجب ان يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة
ولا يكون كبعض الامطار والسيول الجواحف * **فان قلت** فما فائدة قوله ابتغاء حلية او متاع * **قلت**
الغاية فيه كالفائدة في قوله بقدرها لانه جمع الماء والفلز في النفع في قوله واما ما ينفع الناس لان المعنى واما
ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقدون عليه منه وهو الحلية والمتاع * وقوله ومما
توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع عبارة جامعة لانواع الفلز مع اظهار الكبرياء في ذكره على
وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك نحو ما جاء في ذكر الآجر وقد جاء فاوقد لي يا هامان على الطين * ومن لابتداء الغاية
اي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء * او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد * رابيا منتفخا عاليا على وجه السيل
جفاء يجفاه السيل اي يرمي به وجفأت القدر بزبدها * واجفأ السيل واجفل * وفي قراءة رؤبة

ابن العجاج جفأ الأو عن ابي حاتم لا يقرأ بقراءة رؤبة لانه كان يأكل الفار • وقرئ يوقدون بالياء اي يوقد
الناس • للذين استجابوا اللام متعلقة بيضرب اي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين
الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا اي استجابوا الاستجابة
الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدأ في ذكر ما اعد لغير المستجيبين • وقيل قد تم الكلام عند قوله
كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى
لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة • والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما في حيزه • وسوء الحساب
المناقشة فيه • وعن النخعي ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء • أفمن يعلم انما انزل اليك
من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب • الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق
والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب • والذين صبروا
ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة
السيئة اولئك لهم عقبى الدار • والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله
به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار • دخلت همزة الانكار على الفاء
في قوله أفمن يعلم لانكار ان تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في ان حال من علم انما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب
بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز انما يتذكر اولوا
الالباب اي الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا • والذين يوفون بعهد الله مبتدأ • واولئك
لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة • ويجوز ان يكون صفة لاولي الالباب
والاول اوجه • وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته واشهدهم على انفسهم الست بربكم
قالوا بلى • ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق
بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص • ما امر الله به ان يوصل من الارحام والقرابات ويدخل فيه
وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان
اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين انفسهم وبينهم
وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران
والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة • وعن الفضيل بن عياض ان جماعة دخلوا
عليه بمكة فقال من اين انتم قالوا من اهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد لو احسن
الاحسان كله وكانت له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين • ويخشون ربهم اي يخشون وعيده كله • ويخافون
خصوصا • سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا • صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في
النفوس والاموال ومشاق التكليف • ابتغاء وجه الله لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل واوقره عند الزلازل
ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا تشمت به الاعداء كقوله • وتجلدي للشامتين • ولا لانه لا طائل تحت
الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله • ما ان جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاي زندا • وكل عمل له وجوه يعمل عليها
فعلى المؤمن ان ينوي منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل • مما رزقناهم
من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله • سرا وعلانية يتناول النوافل لانها في السر افضل
والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة • ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها • عن ابن عباس يدفعون
بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم • وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا
وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا رأوا منكرا امروا بتغييره • عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة
لانها التي اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها • وجنات عدن بدل من عقبى الدار • وقرئ فنعم

النون والاصل نعم فمن كسر النون فلانه نقل كسرة العين اليها ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل • وقرئ يدخلون
على البناء للمفعول • وقرأ ابن ابي عبلة صلح بضم اللام والفتح افصح • اعلم ان الانساب لا تنفع اذا تجردت من الاعمال
الصالحة • واباؤهم جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من ابائهم وامهاتهم • سلام عليكم في موضع الحال لان المعنى قائلين
سلام عليكم او مسلمين • فان قلت بم تعلق قوله بما صبرتم • قلت بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون
هذا الثواب بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد
استرحتم الساعة كقوله • بما قد اري فيها اوابد غربا • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأتي قبور الشهداء
على رأس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار • ويجوز ان يتعلق بسلام اي نسلم عليكم ونكرمكم
بصبركم • من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول • سوء الدار يحتمل ان يراد سوء عاقبة الدنيا
لانه في مقابلة عقبى الدار • ويجوز ان يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها • الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع • ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية
من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب • الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله
تطمئن القلوب • الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب • كذلك ارسلناك في امة قد
خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه
توكلت واليه متاب • الله يبسط الرزق اي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره وهو الذي بسط رزق
اهل مكة ووسعه عليهم • وفرحوا بما بسط من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم
ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الاخرة وخفي عليهم ان نعيم الدنيا في جنب نعيم الاخرة ليس الا شيئا نزرا يتمتع
به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات او شربة سويق او نحو ذلك • فان قلت كيف طابق قولهم لولا انزل عليه آية من ربه
قوله قل ان الله يضل من يشاء • قلت هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك ان الآيات الباهرة المتكاثرة التي اوتيها
رسول الله لم يؤتها نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوها كأن آية لم
تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم على كفركم ان الله يضل
من يشاء من كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية • ويهدي
من كان على خلاف صفتكم • اناب اقبل الى الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير • الذين آمنوا بدل من اناب • وتطمئن قلوبهم
بذكر الله بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او
بذكر دلائله الدالة على وحدانيته او تطمئن بالقرآن لانه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها • الذين آمنوا
مبتدأ وطوبى لهم خبره • ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف اي تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا
وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك
وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب تدلك على محليها واللام في لك للبيان مثلها
في سقيا لك • والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر • وقرأ مكوزة الاعرابي طيبى لهم فكسر الطاء
لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة • كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسلناك ارسالا له شأن وفضل
على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال • في امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك في امة قد تقدمتها امم كثيرة
فهي آخر الامم وانت خاتم الانبياء • لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك • وهم
يكفرون وحال هؤلاء انهم يكفرون • بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته
في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم • قل هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء • عليه
توكلت في نصرتي عليكم • واليه متاب فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم • ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت
به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعا • افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا • ولا

بل الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى ياتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب • ولو ان

قرانا جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو اني قمت اليك وتنزل الجواب والمعنى ولو ان قرانا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها • او قطعت به الارض حتى تتصدع وتتزايل قطعا • او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف كما قال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا يعضده ما افترت به قوله لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك من ارادة تعظيم ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن وقيل معناه ولو ان قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية • وقيل ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود ان كنت نبيا كما تزعم فلست باهون على الله من داود او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان او ابعث لنا به رجلا او رجلين او ثلاثة ممن مات من آبائنا منهم قصي ابن كلاب فنزلت • ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير ومجاوزتها • وعن الفراء هو متعلق بما قبله وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد • وقيل قطعت به الارض شققت فجعلت انهارا وعيونا • بل لله الامر جميعا على معنيين احدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه • والثاني بل لله ان يلجئهم الى الايمان وهو قادر على الالجاء لولا انه بني امر التكليف على الاختيار ويعضده قوله افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله يعني مشيئة الالجاء والقسر لهدى الناس جميعا • ومعنى افلم ييأس افلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع • وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشيء عالم بانه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي • اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني • الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم • ويدل عليه ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم قرؤوا افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس • وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله تعالى الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في ايدي اولئك الاعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء هذه والله فرية ما فيها مرية • ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء بآمنوا على ولم يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم • تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم • قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم واولادهم واموالهم • او تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها • حتى ياتي وعد الله وهو موتهم او القيامة • وقيل ولا يزال الكفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية • حتى ياتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك • الاملاء الامهال وان يترك ملاوة من الزمان في خفض وامن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به وتسلية له •

افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض ام بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اشق وما لهم من الله من واق • مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار اكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار • والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب

افمن هو قائم احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني فالله الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة او طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك • ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف عليه وجعلوا تمثيله افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده شركاء • قل سموهم اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه باسمائهم • ثم قال ام تنبئونه على ام المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان يعرف ومعناه بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي ان يكون له شركاء ونحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض • ام بظاهر من القول بل انسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه فتبارك الله احسن الخالقين • وقرئ اتنبئونه بالتخفيف • مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم • وصدوا قرئ بالحركات الثلاث • وقرا ابن ابي اسحاق وصد بالتنوين • ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه انه لا يهتدي • فما له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته • لهم عذاب في الحيوة الدنيا وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر المحن ولا يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا • وما لهم من الله من واق وما لهم من حافظ من عذابه او ما لهم من جهته واق من رحمته • مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري من تحتها الانهار كما تقول صفة زيد اسمر • وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد • وقرا علي رضي الله عنه امثال الجنة على الجمع اي صفاتها • اكلها دائم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة • وظلها دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس • والذين آتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلاثون بارض الحبشة وثمانية من الشام • يفرحون بما انزل اليك • ومن الاحزاب يعني ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفي نجران واشياعهما • من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم مما حرفوه وبدلوه من الشرائع • **فان قلت** كيف اتصل قوله قل انما امرت ان اعبد الله بما قبله **قلت** هو جواب للمنكرين معناه قل انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وان لا يشرك به • وقرا ابو خليد ولا اشرك به بالرفع على الاستئناف اي وانا لا اشرك به • اليه ادعو خصوصا لا ادعو الى غيره • واليه مآب وإليه مرجعي

وكذلك انزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق • ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله لكل اجل كتاب • وكذلك

انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مامورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء • حكما عربيا حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله

عليه وسلم الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لئن تابعتهم
على دين ما هو الا اهوآء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك
ناصر واهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين
والتصلب فيه وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من
شدة الشكيمة بمكان ● كانوا يعيبونه بالزواج والاولاد كما كانوا يقولون مال هذا الرسول ياكل الطعام وكانوا يقترحون
عليه الايات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان ياتوا
بايات برايهم ولا ياتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم
يكتب على العباد اي يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم ● يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ● ويثبت
بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ ● وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة
لانهم مامورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره ● وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم
وطاعاتهم ● وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الاناسي وسائر الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها
واحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال ● وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب
فيه ● وقرئ ويثبت ● واما نرينك وكيفما دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب
عليهم او توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب ● وعلينا حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم
فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم ● اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها والله يحكم
لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ● وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس و
سيعلم الكافر لمن عقبى الدار ● ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده
علم الكتاب ● اولم يروا انا ناتي الارض ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين من بلادهم فننقص
دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من ايات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من
اطرافها افهم الغالبون سنريهم اياتنا في الافاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراءه
فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تاخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها
ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر ● وقرئ ننقصها بالتشديد ● لا معقب لحكمه لا راد
لحكمه ● والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل
لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد طلب المعقب حقه المظلوم ● والمعنى
انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس ● وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الاخرة
بعد عذاب الدنيا فان قلت ما محل قوله لا معقب لحكمه قلت هو جملة محلها النصب على الحال كانه قيل
والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على راسه ولا قلنسوة تريد حاسرا ● وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم
بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله ● يعلم ما تكسب كل نفس
وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه ياتيهم من حيث لا يعلمون
وهم في غفلة عما يراد بهم ● وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله وقرئ وسيعلم الكافر من اجنح
ابن جني ● وسيعلم الكافر من اعلمه اي سيخبر ● كفى بالله شهيدا لما اظهر من الادلة على رسالتي ● ومن عنده
علم الكتاب والذي عنده علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر ● وقيل ومن هو من علماء اهل
الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم ● وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ ● وعن الحسن
لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم ●
وتعضده قراءة من قرا ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه

وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول ● وقرئ ومن عنده علم الكتاب والله
اعلم فان قلت بم ارتفع علم الكتاب قلت في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في
الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك
مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة
يرتفع العلم بالابتداء ● عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل
سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله صدق الله العظيم ونبيه الكريم

سورة ابرهيم مكية وهي احدى وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم
الى صراط العزيز الحميد ● الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد ● الذين
يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد ● وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ●
كتاب هو كتاب يعني السورة ● وقرئ ليخرج الناس ● والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى ● باذن ربهم
بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق ● الى صراط
العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن امن منهم ● ويجوز ان يكون على وجه الاستئناف
كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد ● وقرئ الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام
لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا ● وقرئ بالرفع على هو الله ● الويل نقيض
الوال وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع
رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل لك كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان
توعد الكافرين بالويل فان قلت ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل قلت لان المعنى انهم يولولون
من عذاب ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا ● الذين يستحبون مبتدا خبره اولئك
في ضلال بعيد ● ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون
او هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره
كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من الاخر ● وقرا الحسن ويصدون بضم الياء
وكسر الصاد يقال صده عن كذا واصده قال اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم ● والهمزة فيه داخلة
على صد صدودا لتنقله من غير التعدي الى التعدي واما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة
كاوقفه لان الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة ● ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل
الله زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف
الجار واوصل الفعل ● في ضلال بعيد اي ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل فان قلت فما معنى
وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي
يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ● ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او فيه بعد لان
الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا ● الا بلسان قومه ليبين لهم اي ليفقهوا عنه ما يدعوهم
اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا
فصلت اياته فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس
جميعا قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة

فلعيّرهم الحجة والا لم يكن لغيرهم حجة ولو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع
الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل
بلسان واحد فكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم
وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم العجم
مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب
واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في اتعاب
النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم
من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة
الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا
لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء • ويعني بلسان قومه بلغة قومه • وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان
كالريش والرياش بمعنى اللغة • وقرئ بلسن بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان
كعماد وعمد وعمد على التخفيف • وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه عن الضحاك وان الكتب
كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب
فيؤدي الى ان الله تعالى انزل التوراة من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد • فيضل الله من
يشاء كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا من يعلم انه لن يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه يؤمن
والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان
• وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته • الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف
ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك
لايات لكل صبار شكور • واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم
سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم • واذ تاذن ربكم
لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد • ان اخرج بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول
كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان تكون ان الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض
وصلها بما تكون معه في تاويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء في الفعلية والدليل على جواز ان تكون
الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك • وذكرهم
بايام الله وانذرهم بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها
وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر • وعن ابن عباس نعماؤه وبلاؤه فاما
نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر • واما بلاؤه فاهلاك القرون • لكل
صبار شكور يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم وافاض عليهم من النعمة
تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر • وقيل اراد لكل مؤمن لان الشكر والصبر من سجاياهم تنبيها
عليهم • اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت فان قلت هل يجوز ان ينتصب
بعليكم قلت لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام او غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا
كانت صلة لم يعمل فيه واذا كانت غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق
بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فاشية او نحوها
والا كان كلاما • ويجوز ان يكون اذ بدلا من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال فان قلت
في سورة البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون وههنا ويذبحون مع الواو فما الفرق قلت الفرق ان التذبيح

حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد
عليه زيادة ظاهرة كانه جنس آخر • فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم قلت
تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله • ووجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو
بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال
زهير • فابلاهما خير البلاء الذي يبلو • واذ تاذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف
على قوله نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم
ومعنى تاذن ربكم آذن ربكم ونظير تاذن واذن توعد واوعد وتفضل وافضل ولا بد في تفعل من زيادة
معنى ليس في افعل كانه قيل واذ آذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه • والمعنى واذ
تاذن ربكم فقال لئن شكرتم او اجرى تاذن مجرى قال لانه ضرب من القول • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله
عنه واذ قال ربك لئن شكرتم اي لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم
بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم • ولئن كفرتم وغمطتم النعمة
عليكم • ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي • وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني
حميد • الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم
رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه
مريب • قالت رسلهم افي الله شك فاطر السماوات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى
اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاتونا بسلطان مبين •
قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان
الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون • وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما
آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون • وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل والناس كلهم فانما ضررتم انفسكم
حيث حرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وانتم اليه محاويج • والله غني عن شكركم • حميد مستوجب للحمد بكثرة انعمه
وان لم يحمده الحامدون • والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا
او عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم
عددهم الا الله • وعن ابن عباس بين عدنان واسماعيل ثلاثون ابا لا يعرفون • وكان ابن مسعود اذا قرأ
هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد • فردوا ايديهم
في افواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او ضحكا واستهزاء
كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه • او اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم
به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا ايديهم في افواههم
وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وهذا قول قوي • او وضعوها على افواههم يقولون للانبياء اطبقوا افواهكم
واسكتوا او ردوها في افواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت او وضعوها على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم
يتكلمون • وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي اي ردوا نعم الانبياء التي هي اجل النعم من مواعظهم
ونصائحهم وما اوحي اليهم من الشرائع والآيات في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها في
افواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل • مما تدعوننا اليه من الايمان بالله • وقرئ تدعونا
بادغام النون • مريب موقع في الريبة او ذي ريبة من ارابه واراب الرجل وهي قلق النفس وان لا تطمئن
الى الامر • افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه
وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه • يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم اي يدعوكم الى الايمان

ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني ودعوته ليأكل معي • وقال دعوت لما نابني مسورا
فلبى فلبي يدي مسور فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته جاء هكذا
الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم
من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقف عليه
الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين في الميعاد • وقيل اريد انه يغفر
لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها • ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت قد
سماه وبين مقداره يبلغكموه ان آمنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت • ان انتم ما انتم • الا بشر
مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا
لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملائكة • بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات
والحجج وانما ارادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا • ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم
وانهم بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم في البشرية وحدها فاما ما وراء ذلك فما كانوا امثالهم ولكنهم لم يذكروا
فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم • ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة لانه قد علم انه
لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها على ابناء جنسهم
• الا باذن الله اراد ان الاتيان بالآية التي قد اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وما هو الا
امر يتعلق بمشيئة الله تعالى • وعلى الله فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا
به انفسهم قصدا اوليا وامروها به كأنهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم
ومعاداتكم وما يجري علينا منكم الا ترى الى قوله وما لنا الا نتوكل على الله ومعناه واي عذر لنا في ان
لا نتوكل عليه • وقد هدانا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا
سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل قلت الاول لاستحداث
التوكل • وقوله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى انفسهم على
ما تقدم • وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن
الظالمين • ليخرجنكم او لتعودن ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم حالفين على ذلك
فان قلت كأنهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة
وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عدت اراه عاد لا
يكلمني ما عاد لفلان مال او خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد • لنهلكن
الظالمين حكاية تقتضي اضمار القول او اجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه • وقرأ ابو حيوة ليهلكن وليسكننكم
بالياء اعتبارا لاوحى وان لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك اقسم زيد ليخرجن ولاخرجن • ولنسكننكم الارض ارض
الظالمين وديارهم نحوه واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها واورثكم ارضهم
وديارهم • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت في مدة قريبة
كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي انا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت
يوما الى ابناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله • ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي
وخاف وعيد • ذلك اشارة الى ما قضى الله به من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر
حق • لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة او على اقحام
المقام • وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله تعالى والعاقبة للمتقين

كقوله تعالى والعاقبة للمتقين • واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد • من ورائه جهنم ويسقى من ماء
صديد • يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ
واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا الله وسألوه القضاء
بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى اليهم
ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا • وخاب كل جبار عنيد معناه فنصروا وظفروا وافلحوا • وخاب كل جبار
عنيد وهم قومهم • وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل • وخاب كل
جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه • من ورائه جهنم من بين يديه قال عسى الكرب الذي امسيت فيه
يكون وراءه فرج قريب • وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على
شفيرها • او وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف فان قلت علام عطف ويسقى قلت على
محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى • ويسقى من ماء صديد كأنه اشد عذابها فخصص بالذكر
مع قوله تعالى ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت فان قلت ما وجه قوله من ماء صديد قلت صديد
عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله تعالى صديد وهو ما يسيل من جلود اهل النار
• يتجرعه ولا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله تعالى
لم يكد يراها اي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها • ويأتيه الموت من كل مكان كأن اسباب الموت واصناف عواقبها
قد تألبت عليه واحاطت من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام • وقيل من كل مكان من جسده حتى
من ابهام رجليه وقيل من اصل كل شعرة • ومن ورائه ومن بين يديه • عذاب غليظ اي في كل وقت يستقبله
يتلقى عذابا اشد مما قبله واغلظ • وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد • ويحتمل ان يكون
اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم يسقوا فذكر سبحانه وتعالى ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل
سقياه ماء آخر وهو صديد اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث
الرسل واممهم • مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما
كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد • هو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليكم مثل
الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل
يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد • ويجوز ان يكون المعنى مثل اعمال الذين كفروا بربهم او هذه الجملة خبر للمبتدا
اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول • او يكون اعمالهم بدلا من مثل
الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر • وقرئ الرياح في يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو
الريح او الرياح كقولك يوم ماطر وليل ساكر وانما السكور لريحها • وقرئ في يوم عاصف بالاضافة واعمال الكفرة
المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين
والاجارة وغير ذلك من صنائعهم شبهها في سقوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة
الله تعالى والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف • لا يقدرون يوم القيامة • مما كسبوا من اعمالهم
على شيء اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء • ذلك هو الضلال البعيد اشارة
الى بعد ضلالهم عن طريق الحق وعن الثواب • الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت
بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز • بالحق بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا
شهوة • وقرئ خالق السموات والارض • ان يشأ يذهبكم اي هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر
على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلاما منه باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر على الشيء وجنس ضده

وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر بل هو هين عليه يسير لأنه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور
فإذا خلص له الداعي إلى شيء وانتفى الصارف تكوّن من غير توقف كتحريك أصبعك إذا دعاك إليه داع ولم يعترض دونه
صارف وهذه الآية بيان لإبعادهم في الضلال وعظيم خطئهم في الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة
على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وأنه هو الحقيق بأن يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء ﴿وبرزوا
لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو
هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص﴾ وبرزوا لله ويبرزون يوم القيمة
وإنما جيء بلفظ الماضي لأن ما أخبر به عز وعلا لصدقه كأنه قد كان ووجد ونحوه ونادى أصحاب الجنة
ونادى أصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له أنهم كانوا يستترون
من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله فإذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند أنفسهم
وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه فإن قلت لم كتب
الضعفؤا بواو قبل الهمزة قلت كتب على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو ونظيره علمؤا بني إسرائيل
والضعفاء الأتباع والعوام والذين استكبروا ساداتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم
عن الاستماع إلى الأنبياء وأتباعهم تبعا تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغيب أو
ذوي تبع والتبع الأتباع يقال تبعه تبعا فإن قلت أي فرق بين من في من عذاب الله وبينه في من شيء
قلت الأولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله
ويجوز أن يكونا للتبعيض معا بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله أي بعض بعض عذاب الله
فإن قلت فما معنى قوله تعالى قالوا لو هدانا الله لهديناكم قلت الذين قال لهم الضعفاء كانوا تبعا
وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل أنتم مغنون عنا من باب التبكيت لأنهم قد علموا أنهم لا يقدرون
فأجابوهم معتذرين عما كان منهم إليهم بأن الله لو هداهم إلى الإيمان لهدوهم ولم يضلوهم إما موركين الذنب في ضلالهم
وإضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء
يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله تعالى حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ويجوز أن يكون المعنى لو كنا من أهل اللطف فلطف بنا
ربنا فاهتدينا لهديناكم إلى الإيمان وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أي لأغنينا
عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مستويان علينا الجزع
والصبر والهمزة وأم للتسوية ونحوه اصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم وروي أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون
خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا فإن قلت كيف
اتصل قوله تعالى سواء علينا بما قبله قلت اتصاله به من حيث إن عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء
علينا أجزعنا أم صبرنا يريدون أنفسهم وإياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون
ما هذا الجزع والتوبيخ لا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والأمر من ذلك أطم أو لما قالوا لو هدانا الله طريق
النجاة لأغنيناه عنكم وأنجيناكم أتبعوه الإقناط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص أي منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا
ويجوز أن يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كأنه قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله تعالى ذلك ليعلم
أني لم أخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ويقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد ﴿وقال
الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من
سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم
بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ لما قضي الأمر لما قطع الأمر

وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول أحدهما الجنة ودخول الآخر النار وروي أن الشيطان
يقوم عند ذلك خطيبا في الأشقياء من الجن والإنس فيقول ذلك إن الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء
على الأعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط
وقهر فأقسركم على الكفر والمعاصي وألجئكم إليها إلا أن دعوتكم إلا دعائي إياكم إلى الضلالة بوسوستي
وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم إلا الضرب فلا تلوموني ولوموا أنفسكم
حيث اغتررتم بي وأطعتموني إذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم إذ دعاكم وهذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار
الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله إلا التمكين ولا من الشيطان إلا التزيين ولو كان الأمر كما
تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا أنفسكم فإن الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه فإن قلت قول الشيطان
باطل لا يصح التعلق به قلت لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه وأظهر إنكاره على أنه لا طائل
له في النطق بالباطل في ذلك المقام ألا ترى إلى قوله إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم كيف أتى فيه بالحق
والصدق وفي قوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا
من اتبعك من الغاوين ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والإصراخ
الإغاثة وقرئ بمصرخي بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول قال لها هل لك يا تا في قالت
له ما أنت بالمرضي وكأنه قدر ياء الإضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه أصل التقاء
الساكنين ولكنه غير صحيح لأن ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة حيث قبلها ألف في نحو عصاي فما بالها
وقبلها ياء فإن قلت جرت الياء الأولى مجرى الحرف الصحيح لأجل الإدغام فكأنها ياء وقعت ساكنة
بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الأصل قلت هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض
الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل إليه القياسات ما في بما أشركتمون مصدرية ومن قبل متعلق بأشركتموني
يعني كفرت اليوم بإشراككم إياي من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم ومعنى
كفره بإشراكهم إياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله تعالى إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل
من قبل متعلق بكفرت وما موصولة أي كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي أشركتمونيه وهو الله عز
وجل تقول شركت زيدا فإذا نقلت بالهمزة قلت أشركنيه فلان أي جعلني له شريكا ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان
ما سخركن لنا ومعنى إشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الأوثان وغيرها وهذا
آخر قول إبليس وقوله إن الظالمين قول الله عز وعلا ويحتمل أن يكون من جملة قول إبليس وإنما حكى الله عز وجل ما سيقوله
في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول إليه وأن يتصوروا
في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم وقرئ فلا
يلوموني بالياء على طريقة الالتفات كقوله تعالى حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم ﴿وأدخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام﴾
وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله وأدخل الذين آمنوا على فعل المتكلم بمعنى وأدخلهم أنا وهذا دليل على أنه
من قول الله لا من قول إبليس بإذن ربهم متعلق بأدخل أي أدخلتهم الملائكة الجنة بإذن الله وأمره فإن
قلت فبم يتعلق في القراءة الأخرى وقولك وأدخلهم أنا بإذن ربهم كلام غير ملتئم قلت الوجه في
هذه القراءة أن يتعلق قوله بإذن ربهم بما بعده أي تحييهم فيها سلام بإذن ربهم يعني أن الملائكة يحيونهم
بإذن ربهم ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء
تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة
كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ وقرئ ألم تر ساكنة الراء كما قرئ من يتق وفيه ضعف

ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه • كلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة • كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله
تعالى ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس • ويجوز ان ينتصب مثلا وكلمة بضرب
اي ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انها خبر مبتدأ محذوف • وقرئ كلمة
طيبة • اصلها ثابت يعني في الارض ضارب بعروقه فيها • وفرعها واعلاها ورأسها في السماء • ويجوز ان
يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس • وقرأ انس بن مالك رضي الله عنه كشجرة طيبة ثابت اصلها • فان
قلت اي فرق بين القراءتين قلت قراءة الجماعة اقوى معنى لان في قراءة انس بن مالك رضي الله عنه اجريت
الصفة على الشجرة واذا قلت مررت برجل ابوه قائم فهو اقوى معنى من مررت برجل قائم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب
لا رجل • والكلمة الطيبة كلمة التوحيد • وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما شهادة ان لا اله الا الله • واما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب
والرمان وغير ذلك • وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله ضرب مثلا
للمؤمن شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اقولها وانا اصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر واستحييت فقال لي عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت
احب الي من حمر النعم ثم قال صلى الله عليه وسلم الا انها النخلة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما شجرة في الجنة • وقوله
تعالى في السماء معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه وشموخه
• تؤتي اكلها • كل حين تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها • باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه • لعلهم
يتذكرون لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني • كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اي صفتها كصفتها
• وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة • والكلمة الخبيثة كلمة الشرك • وقيل كل كلمة قبيحة • واما
الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك • وقوله تعالى اجتثت من فوق الارض في مقابلة
قوله تعالى اصلها ثابت • ومعنى اجتثت استوصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها • ما لها من قرار
اي استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت
والذي لا يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج • وعن قتادة انه قيل لبعض العلماء ما تقول
في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها
القيامة • يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله
ما يشاء • القول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه واعتقده واطمأنت اليه نفسه وتثبيتهم
في الدنيا انهم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت
لحومهم بامشاط الحديد كما ثبت جرجيس وشمعون وغيرهما • وتثبيتهم في الآخرة انهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد
عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر • وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر • وعن البراء
بن عازب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه
ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي
مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت • ويضل الله الظالمين الذين لم يتمسكوا
بحجة في دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون آباءهم فقالوا انا وجدنا آباءنا على امة
واضلالهم في الدنيا انهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شيء وهم في الآخرة اضل واذل • ويفعل الله
ما يشاء اي ما توجبه الحكمة لان مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم عند ثباتهم
وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شأنهم عند زللهم • ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله
كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار • بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله كفرا لان شكرها الذي وجب عليهم

موضع شكر الله كفرا كأنهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم حيث
وضعتم التكذيب موضعه • ووجه آخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة
موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله
عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم واصابهم الله بالنعمة في الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين
فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر قد ذهبت
عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في اعناقهم • وعن عمر رضي الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية • فاما
المغيرة فكفيتموهم يوم بدر • واما بنو امية فمتعوا حتى حين • وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه
• واحلوا قومهم ممن تابعهم على الكفر • دار البوار دار الهلاك • وعطف جهنم على دار البوار عطف بيان • وجعلوا
لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار • قرئ ليضلوا بفتح الياء وضمها • فان قلت الضلال
والاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الانداد فما معنى اللام قلت لما كان الضلال او الاضلال نتيجة اتخاذ
الانداد كما كان الاكرام في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجيء دخلت اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب
• تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مأمورون به قد امرهم آمر مطاع
لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة
فان مصيركم الى النار • ويجوز ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار • قل لعبادي
الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال •
المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه وتقديره قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلاة وانفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا
ويجوز ان يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي
هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز • فان قلت علام انتصب سرا وعلانية
قلت على الحال اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اي وقتي سر وعلانية او على المصدر
اي انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب • والخلال المخالة • فان قلت
كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل ان الناس يخرجون اموالهم في عقود المعاوضات
فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستجروا بهدايا امثالها او خيرا منها
واما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا
المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالة ولا بما ينفقون به
اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى • وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالرفع •
الله الذي خلق السماوات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر
بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار • من الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو الثمرات ويجوز
ان يكون من الثمرات مفعولا به ورزقا حالا من المفعول او نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق • بامره بقوله كن
• دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات
• وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم • وآتاكم من كل ما سألتموه من للتبعيض اي آتاكم بعض جميع
ما سألتموه نظرا في مصالحكم • وقرئ من كل بالتنوين وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال اي آتاكم من جميع ذلك
غير سائليه • ويجوز ان تكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به
فكأنكم سألتموه او طلبتموه بلسان الحال • لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عد بلوغها وبلوغ آخرها هذا اذا ارادوا
ان يعدوها على الاجمال واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله • لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها
كفار شديد الكفران لها • وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع • والانسان للجنس
فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه • واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني

وبني ان نعبد الاصنام • رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم • ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع **عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون •** هذا البلد يعني البلد الحرام زاده الله امنا وكفاه كل باغ ظالم واجاب فيه دعوة خليله ابراهيم آمنا ذا امن فان قلت اي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله تعالى اجعل هذا البلد آمنا قلت قد سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يأمن اهلها ولا يخافون وفي الثاني ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا • واجنبني وقرئ واجنبني وفيه ثلث لغات جنبه الشر وجنّبه واجنبه فاهل الحجاز يقولون جنّبني شره بالتشديد واهل نجد جنبني شره واجنبني والمعنى ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها • وبني اراد بنيه من صلبه • وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام انما كانت انصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت • انهن اضللن كثيرا من الناس فاعوذ بك ان تعصمني وبني من ذلك • وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكأنهن اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اي افتتنوا بها واغتروا بسببها • فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فانه مني اي هو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي وكذلك قوله من غشنا فليس منا اي ليس بعض المؤمنين على ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم • ومن عصاني فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصيانه اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي • وقيل معناه ومن عصاني فيما دون الشرك • من ذريتي بعض اولادي وهم اسمعيل ومن ولد منه • بواد هو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير • وقيل البيت المحرم لان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه او لانه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب او لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه • ليقيموا الصلوة اللام متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك • افئدة من الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليها حتى الروم والترك والهند • ويجوز ان تكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكأنه قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها في الآية نكرة ليتناول بعض الافئدة • وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان احدهما ان يكون من القلب كقولهم آدر في ادؤر والثاني ان يكون اسم فاعلة من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة او جماعات يرحلون اليهم ويعجلون نحوهم • وقرئ افدة وفيه وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان تخفف باخراجها بين بين وان يكون من افد • تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله يهوي مخارمها هوي الاجدل • وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره • وتهوى اليهم من هوي يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدي تعديته • وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم من البلاد • لعلهم يشكرون النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله عز وجل اجاب دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها

ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير الفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابراهيم ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم • **ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء • رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء • ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب • ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون • انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء** النداء المكرر دليل التضرع واللجاء الى الله • انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا ويفسدنا منا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك واستعجالا لنيل اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة • وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطأ عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها • وقيل ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة • وما نعلن من البكاء والدعاء • وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق • وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى تركتنا الى كاف • وما يخفى على الله من شيء من كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم عليه الصلوة والسلام كقوله وكذلك يفعلون • او من كلام ابراهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان • ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى عليه شيء ما • على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله اني على ما ترين من كبري اعلم من حيث تكل الكتف • وهو في موضع الحال معناه وهب لي وانا كبير وفي حال الكبر • روي ان اسمعيل عليه الصلوة والسلام ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق عليه الصلوة والسلام وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة • وقد روي انه ولد له اسمعيل لاربع وستين سنة واسحق لتسعين • وعن سعيد بن جبير لم يولد لابراهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة • وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث ان الكبر مظنة اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب اليأس من اجل النعم واحلاها في نفس الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابراهيم عليه الصلوة والسلام • ان ربي لسميع الدعاء اي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به • فان قلت الله تعالى يسمع كل دعاء اجاب او لم يجب قلت هو من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده • فان قلت ما هذه الاضافة اضافة فعيل الى مفعوله ام الى فاعله قلت اضافة الى مفعوله والاصل لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا رحيم اباه • ويجوز ان يكون من اضافته الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله تعالى • ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين • وتقبل دعاء اي عبادتي قال واعتزلكم وما تدعون من دون الله • وقيل دعائي • ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ ولوالدي • وقيل قال ذلك قبل ان يتبين له انه عدو لله • فان قلت كيف جاز ان يستغفر لابويه وهما كافران قلت [illegible] • وقيل شرط الاسلام وبابه [illegible]

بواد غير ذي زرع

قوله يبابا اي خرابا م

ثمارا وفي

فيه وكيف يستثني الاستغفار الصحيح من جملة ما تأسى فيه بابراهيم • يوم يقوم الحساب اي يثبت وهو مستعار من قيام القائم
على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوؤها كأنها قامت على
رجل • ويجوز ان يسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا • او يكون مثل واسأل القرية • وعن مجاهد قد استجاب الله
له فيما سأل فلم يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق اهله وجعلهم ائمة وجعل في ذريته
من يقيم الصلاة واراه مناسكه وتاب عليه • وعن ابن عباس انه قال كانت الطائف من ارض فلسطين فلما قال ابراهيم
ربنا اني اسكنت الآية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم **فان قلت** تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف
يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اعلم الناس به غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا **قلت** ان كان
خطابا لرسول الله ففيه وجهان • احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن
من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر كما جاء في الامر يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله • والثاني ان المراد بالنهي
عن حسبانه غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره
على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد • ويجوز ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم
معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن يجوز
ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه • وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال
هذا فغضب وقال انما قاله من علمه • وقرئ يؤخرهم بالنون والياء • تشخص فيه الابصار اي ابصارهم لا تقر في اماكنها
من هول ما ترى • مهطعين مسرعين الى الداعي • وقيل الاهطاع ان تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف
• مقنعي رؤوسهم رافعيها • لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم اي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة
ممدودة من غير تحريك للاجفان • او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم • والهواء الخلاء الذي لم تشغله
الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جراءة ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء
قال زهير • من الظلمان جؤجؤه هواء • لان النعام مثل في الجبن والحمق **وقال** فانت مجوف
نخب هواء • وعن ابن جريج افئدتهم هواء صفر من الخير خاوية منه • وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم
وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم
تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال • وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا
لكم الامثال • فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام • يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان
لانذر وهو يوم القيمة • ومعنى اخرنا الى اجل قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب نتدارك
ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك • او اريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل • او يوم موتهم
معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وانهم يسألون يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله
لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق • اولم تكونوا اقسمتم على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم من عادة
الجهل والسفه وان يقولوا بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا • وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب
لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال • والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء
وقيل لا تنتقلون الى دار اخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت • يقال سكن
الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم لان السكنى من السكون الذي هو اللبث والاصل
تعديه بفي كقولك قر في الدار وغنى فيها واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل
تبوأها واوطنها ويجوز ان يكون من السكون اي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد
لا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا • وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة
كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم • وقرئ ونبين لكم بالنون • وضربنا لكم الامثال اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي

في الغرابة

في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم • وقد مكروا مكرهم اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم • وعند الله
مكرهم لا يخلو اما ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على ان المعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو
اعظم منه • او يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم
به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون • وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة
فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته اي وان كان مكرهم مسوى لازالة الجبال معدا لذلك • وقد جعلت
ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم • والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال
مثل لآيات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم
• وقرئ لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن اماكنها
• وقرأ علي وعمر رضي الله عنهما وان كاد مكرهم • مخلف وعده رسله يعني قوله انا لننصر رسلنا كتب الله
لاغلبن انا ورسلي **فان قلت** هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول
قلت قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه
اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شأنه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته
• وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرأ قتل اولادهم شركائهم
• عزيز غالب لا يماكر • ذو انتقام لاوليائه من اعدائه • يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وبرزوا لله الواحد القهار • وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد • سرابيلهم من قطران
وتغشى وجوههم النار • ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب • هذا بلاغ للناس
ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب • يوم تبدل الارض انتصابه على البدل
من يوم يأتيهم او على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه
المعروفة وكذلك السموات • والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه
بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها
وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات • واختلف
في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها عوجا
ولا امتا • وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير • وانشد • وما الناس بالناس الذين عهدتهم • ولا الدار
بالدار التي كنت تعلم • وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا
وقيل يخلق بدلها ارض وسموات اخر • وعن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ
عليها احد خطيئة • وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب • وعن الضحاك ارضا من فضة
بيضاء كالصحائف • وقرئ يوم نبدل الارض بالنون • **فان قلت** كيف قال وبرزوا لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد
غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة والشدة • مقرنين قرن
بعضهم مع بعض او مع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين • وقوله في الاصفاد اما ان يتعلق بمقرنين اي يقرنون
في الاصفاد واما ان لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين • والاصفاد القيود وقيل الاغلال • وانشد
لسلامة بن جندل • وزيد الخيل قد لاقى صفادا • يعض بساعد وبعظم ساق • القطران فيه ثلاث لغات
قطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به
الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شأنه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد
يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص ليجتمع
عليهم لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرين

كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله او وعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره
وكأنه بما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثم تحكم به الواسع بغموره برحمته ونسأل الله التوفيق فيما ينجينا من عذابه
● وقرئ من قطرآن ● والقطر النحاس او الصفر المذاب ● والآني المتناهي حره ● وتغشى وجوههم النار كقوله أفمن
يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في
باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة ● وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى اي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس
مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم
● هذا بلاغ للناس كفاية لهم في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب ●
ولينذروا معطوف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا ● به بهذا البلاغ ● وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به
اذا علمه واستعد له ● وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا
الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله ● عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم صلى الله عليه وسلم
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد صدق الله تعالى وصدق رسوله الكريم

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ● ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ●
ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ● وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ● ما تسبق من
أمة أجلها وما يستأخرون ● تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات ● والقرآن المبين السورة ● وتنكير القرآن
للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان ●
وقرئ ربما وربتما بالتشديد ● وربما وربتما بالضم والفتح مع التخفيف فإن قلت لم دخلت على المضارع وقد ابوا
دخولها الا على الماضي قلت لان المترقب في اخبار الله عز وجل بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود
فإن قلت متى تكون ودادتهم قلت عند الموت او يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين ● وقيل اذا رأوا المسلمين
يخرجون من النار وهذا ايضا باب من الودادة فإن قلت فما معنى التقليل قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم
لعلك ستندم على فعلك وربما يندم الانسان على ما فعل ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو
كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون
من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه
فكيف وهم يودونه في كل ساعة ● لو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم
كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا ● وقيل يدهشهم اهوال ذلك اليوم
فيبقون مبهوتين فإن كانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا ذلك ● ذرهم يعني اقطع طمعك من ارعوائهم
ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم
ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة الا خيرا ● فسوف يعلمون سوء
صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان وانهم لا يجيء منهم الا ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة
ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله بان يخليهم وشأنهم ولا يشتغل بما
لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار واعذار
فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل ليس من اخلاق المؤمنين ●
وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين ● ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا تتوسط الواو بينهما
كما في قوله عز وجل وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني

زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب ● كتاب معلوم مكتوب وهو اجلها الذي كتب في اللوح وبين الا ترى الى قوله ما تسبق
من امة اجلها في موضع كتابها وانث الامة اولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال وما يستأخرون بحذف عنه لانه
معلوم ● وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ● لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ●
ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين ● قرأ الاعمش يا ايها الذي القي اليه الذكر وكان هذا النداء منهم
على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه
الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب
انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر
● لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض
قال ابن مقبل ● لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ● ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري ● والمعنى هلا تأتينا بالملائكة
للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تأتي الامم المكذبة برسلها ● وقرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول
من نزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة ● الا بالحق الا تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان تأتيكم عيانا
تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله تعالى
وتعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق ● وقيل الحق الوحي او العذاب ● واذا جواب وجزاء لانه جواب لهم
وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم ● انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين ● وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون ● انا نحن نزلنا
الذكر رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فأكد عليهم انه هو المنزل على القطع
والبتات وانه هو الذي بعث به جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم ومن بين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين
وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها
الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه فإن قلت فحين كان قوله
تعالى انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله تعالى وانا له لحافظون قلت قد جعل ذلك
دليلا على انه منزل من عنده لانه لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام
سواه ● وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك ● في شيع الاولين في فرقهم وطوائفهم
والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ● ومعنى ارسلنا فيهم نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم ● وما
يأتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال يقال
سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته ● كذلك نسلكه في قلوب المجرمين ● لا يؤمنون به وقد
خلت سنة الاولين ● ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ● لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن
قوم مسحورون ● ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين ● وحفظناها من كل شيطان رجيم ● الا
من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين ● والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب
المجرمين على معنى انه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزءا به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك
انزلها باللئام يعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية ● ومحل قوله لا يؤمنون به النصب على الحال اي غير مؤمن
به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه ● سنة الاولين طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل
عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم ● وقرئ يعرجون بالضم والكسر ● وسكرت حيرت او حبست عن الابصار من السكر
او السكر ● وقرئ سكرت بالتخفيف اي حبست كما يحبس النهر من الجري ● وقرئ سكرت من السكر اي حارت كما يحار السكران
والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان
ما رأوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك ● وقيل الضمير للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون

قوله على القطع حال من الضمير في اكد اي اكد تاكيدا مستعليا على القطع والبتات اي اكد قاطعا باتا او مفعول مطلق من المنزل لجعله على القطع

الى السماء وعما نالقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون • وقال انما يقل على انهم يشكون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار • من استرق في محل النصب على الاستثناء • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه الصلوة والسلام منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها • شهاب مبين ظاهر للمبصرين • والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون • وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين • وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم
موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وقع وقدر في ابواب النعمة والمنفعة • وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرهما • معايش بياء صريحة تتعلق بالشمائل والحبائل ونحوهما فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة او اخراج الياء بين بين • وقد قرئ معائش بالهمز على التشبيه • ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين او جعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور • ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور • وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين • وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون • لواقح فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تاتي بخير عقيم • والثاني ان اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة • وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس • فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا • وما انتم له بخازنين نفي عنهم ما اثبته لنفسه في قوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهار لعجزهم • ونحن الوارثون الباقون بعد هلاك الخلق كلهم • وقيل الباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعله الوارث منا • ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين • وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم • ولقد علمنا من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والاخرين او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تاخر • وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة والمستاخرين • وروي ان امراة حسناء كانت تصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعضهم يستاخر ليبصرها فنزلت • هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتخصيصهم مع الافراط الكثير بعد بلوغهم الى غاية عدمهم • انه حكيم عليم باهر الحكمة متقن العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط علمه بكل شيء • ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون • والجان خلقناه من قبل من نار السموم • واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون • الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة • وقيل هو تضعيف صل اذا انتن • والحما الطين الاسود المتغير • والمسنون المصور من سنة الوجه • وقيل المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في امثلتها • وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته فالذي يسيل بينهما يكون منتنا • من حما صفة لصلصال اي خلقه من صلصال كائن من حما وحق مسنون بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال لكانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر اخر • والجان الجن كادم للناس • وقيل هو ابليس • وقرا الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله والجان بالهمز • من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام • قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان • فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين

فسجد الملائكة كلهم اجمعون • الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين • قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين • قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون • واذ قال ربك واذكر وقت قوله • سويته عدلت خلقته وهياته لنفخ الروح فيها • ومعنى ونفخت فيه من روحي وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه • واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مامورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثني بعد التغليب كقولك رايتهم الا هندا • وابى استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر عنه • وقيل معناه ولكن ابليس ابى • ان لا تكون حرف الجر مع ان محذوف فتقديره ما لك في ان لا تكون مع الساجدين بمعنى اي غرض لك في اباءك السجود واي داع لك اليه • اللام في لاسجد لتاكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر جسماني مخلوق من الشر • قال فاخرج منها فانك رجيم • وان عليك اللعنة الى يوم الدين • قال رب فانظرني الى يوم يبعثون • قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم • رجيم من الشيطان الذين يرجمون بالشهب او مطرود من رحمة الله تعالى فان من يطرد يرجم بالحجارة او مشتوم لان اللعن والطرد من الرحمة والضمير في منها للجنة او السماء او الجملة للملائكة • وضرب يوم الدين حدا للعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله تعالى ما دامت السموات والارض في التابيد واما لانه اريد انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسي اللعن معه • ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم بمعنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة • وقيل انما سال الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى اخر ايام التكليف • قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين • الا عبادك منهم المخلصين • قال هذا صراط علي مستقيم • ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين • بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم • ومعنى اغوائه اياه تسبيبه لغيه بان امره بالسجود لادم عليه الصلوة والسلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامره ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى بريء من غيه ومن ارادته والرضا به ونحوه قوله تعالى فبما اغويتني لاقعدن لهم وقوله تعالى فبعزتك لاغوينهم اجمعين في انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفة سلطانه والاخر اقسام بفعل يعود فرق الفرق بينهما وجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بان ازين لهم المعاصي واوسوس اليهم ما يكون سبب هلاكهم • في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه • اراد اني اقدر على الاحتيال لادم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين لاولاده في الارض اقدر • او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني فيها اي لازيننها في اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الاخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه • يجرح في عراقيبها نصلي • استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه • اي هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته • وقرئ علي وهو من علو الشرف والفضل • وان جهنم لموعدهم اجمعين • لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم • ان المتقين في جنات وعيون • ادخلوها بسلام امنين • لموعدهم الضمير للغاوين • وقيل ابوابها اطباقها واذكرها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين • وقرئ جزء بالتخفيف والتثقيل • وقرا الزهري جز بالتشديد كانه حذف الهمزة والقى حركتها على الزاي كقولك خب في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم اجري الوصل مجرى الوقف • المتقي على الاطلاق من يتقي الله بحسب اتقائه • وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها • ادخلوها على ارادة القول • وقرا الحسن ادخلوها بسلام سالمين او مسلما عليكم يسلم عليكم الملائكة • ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين • لا يمسهم فيها

نصب وما هم منها بمخرجين • الغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان لاحدهم في الدنيا
غل على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم • وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة
والزبير منهم • وعن الحارث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال له علي رضي الله عنه مرحبا بك
يا ابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك ممن قال الله تعالى فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل
كلا الله اعدل من ان يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الآية لا ام لك • وقيل معناه طهر الله قلوبهم من
ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التواد • واخوانا نصب على الحال وعلى سرر متقابلين
كذلك • وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين • نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم
وان عذابي هو العذاب الاليم • ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون
قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم • قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون • قالوا بشرناك بالحق فلا
تكن من القانطين • قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون • لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي تقريرا
لما ذكر وتمكينا له في النفوس • وعن ابن عباس رضي الله عنهما غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب • وعطف ونبئهم على نبئ عبادي
ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب
الاليم • سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما • وجلون خائفون وكان خوفهم لامتناعهم من الاكل • وقيل لانهم
دخلوا بغير اذن وبغير وقت • وقرأ الحسن رحمه الله لا توجل بضم التاء من اوجل يوجله اذا اخافه • وقرئ لا تاجل ولا
تواجل من واجله بمعنى اوجله • وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف • انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل
ارادوا انك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل • يعني البشرى مع مس الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في
العادة مع الكبر • فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قال فباي اعجوبة تبشروني او اراد انكم تبشرونني
بما هو غير متصور في العادة فباي شيء تبشرون يعني لا تبشروني في الحقيقة بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء
• ويجوز ان لا تكون صلة للبشرى ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني باي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة به لا طريقة
لها في العادة • وقوله تعالى بشرناك بالحق يحتمل ان تكون الباء فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك
بطريقة هي حق وهي قول الله ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر • وقرئ
تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونني وتبشروني بادغام نون الجمع في نون العماد • وقرئ
من القنطين من قنط يقنط • وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلاث في النون اراد ومن يقنط من رحمة ربه الا المخطئون
طريق الصواب او الا الكافرون كقوله تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن
استبعادا له في العادة التي اجراها الله تعالى • قال فما خطبكم ايها المرسلون • قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين
الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين • الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين • فان قلت قوله تعالى الا آل لوط استثناء
متصل ام منقطع قلت لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف
لذلك الجنسان وان يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كأنه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط
وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين • فان قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين قلت
نعم وذلك ان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط
اصلا • ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر او السهم الى المرمى في انه في معنى التعذيب والاهلاك كأنه قيل
انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط انجيناهم • واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم
جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا بمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول • فان قلت فقوله
انا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين قلت اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى
لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كأن ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه قال لهم فما حال آل لوط فقالوا

انا لمنجوهم • فان قلت فقوله تعالى الا امرأته مم استثني وهل هو استثناء من استثناء قلت استثني من الضمير
المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط
الا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا
ثلاثة الا درهما فاما في الآية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم
فانى يكون استثناء من استثناء • وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل • فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله
قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق من خصائص افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء
تقدير الله اعمال العباد بالعلم • فان قلت فلم اسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا
قدر الله قلت لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا
والمدبر والآمر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه • وقرئ قدرنا بالتخفيف • فلما
جاء آل لوط المرسلون • قال انكم قوم منكرون • قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون • وآتيناك بالحق وانا
لصادقون • فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون •
وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين • منكرون اي تنكركم نفسي وتنفر منكم فاخاف ان تطرقوني
بشر بدليل قوله بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك
من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك • بالحق باليقين من عذابهم • وانا لصادقون
في الاخبار بنزوله بهم • وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى • وروى صاحب الاقليد فسر من السير • والقطع
في آخر الليل قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع الليل البهيم • وقيل هو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل
فان قلت ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه واهله
اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم
لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات
في تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه
ويفوت به • ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها
عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه اخادعه كما قال
تلفت نحو الحي حتى وجدتني • وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا • او جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف
لان من يتلفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة • حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدي وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف
لانه مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرون وعدي وقضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا كأنه قيل واوحينا اليه
مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له • وقرأ الاعمش
ان بالكسر على الاستيناف كأن قائلا قال اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء • وفي قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر
هؤلاء ودابرهم آخرهم يعني يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد • وجاء اهل المدينة يستبشرون • قال ان هؤلاء
ضيفي فلا تفضحون • واتقوا الله ولا تخزون • قالوا اولم ننهك عن العالمين • قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين • لعمرك
انهم لفي سكرتهم يعمهون • اهل المدينة اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور • مستبشرين بالملائكة • لا تفضحون بفضيحة
ضيفي لان من اساء الى ضيفه او جاره فقد اساء اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرمه • ولا تخزون ولا تذلوني باذلال ضيفي من
الخزي وهو الهوان او ولا تشوروا بي من الخزاية وهي الحياء • عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا
وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان عليه السلام يقوم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه
وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين • وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف احدا قط • هؤلاء
بناتي اشارة الى النساء لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكأنه يقول لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا

بمعنى فلا تتعرضوا لهم، إن كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كأنه قال إن فعلتم ما أقول لكم وما أظنكم تفعلون. وقيل إن كنتم
تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم. لعمرك على إرادة القول أي قالت الملائكة للوط عليه الصلاة والسلام
لعمرك إنهم لفي سكرتهم أي في غوايتهم التي أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من
ترك البنين إلى البنات. يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون. وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وأنه أقسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط كرامة له. والعمر والعمر واحد إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لإيثار الأخف
فيه وذلك أن الحلف كثير الدور على ألسنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما أقسم به كما حذفوا الفعل في قولك
بالله. وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم. **فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة
من سجيل إن في ذلك لآيات للمتوسمين وإنها لبسبيل مقيم إن في ذلك لآية للمؤمنين.** الصيحة صيحة جبريل
مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس. من سجيل قيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله حجارة من طين
مسومة عند ربك أي معلمة بكتاب. للمتوسمين للمتفرسين المتأملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتين في نظرهم
حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسمت في فلان كذا أي عرفت وسمه فيه. والضمير في عاليها سافلها لقرى قوم لوط
وإنها وإن هذه القرى يعني آثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو
تنبيه لقريش كقوله تعالى وإنكم لتمرون عليهم مصبحين. **وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين فانتقمنا منهم وإنهما
لبإمام مبين ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال
بيوتا آمنين فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون.** أصحاب الأيكة قوم شعيب وإنهما يعني قرى
الأيكة. وقيل الضمير للأيكة ومدين لأن شعيبا عليه الصلاة والسلام كان مبعوثا إليهما فلما ذكر الأيكة دل بذكرها على مدين فجاء ب
ضميرهما. لبإمام مبين لبطريق واضح. والإمام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لأنها مما يؤتم
به. أصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام. المرسلين يعني بتكذيبهم صالحا لأن من كذب واحدا منهم فكأنما
كذبهم جميعا. أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير وأصحابه. وعن جابر رضي الله عنه مررنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم
مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فأسرع حتى خلفها. آمنين لوثاقة البيوت واستحكامها
من أن تتهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الأعداء وحوادث الدهر أو آمنين من عذاب الله يحسبون أن الجبال تحميهم
منه. ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والأموال والعدد. **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق
وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل إن ربك هو الخلاق العليم ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن
العظيم.** إلا بالحق إلا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا أو بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال
وإن الساعة لآتية وإن الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك وإياهم على حسناتك وسيئاتهم فإنه ما خلق
السموات والأرض وما بينهما إلا لذلك. فاصفح فأعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم إعراضا جميلا بحلم وإغضاء. وقيل
هو منسوخ بآية السيف. ويجوز أن يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا. إن ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم
وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم. أو إن ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الأصلح
لكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح إلى أن يكون السيف أصلح. وفي مصحف أبي وعثمان رضي الله عنهما إن ربك هو الخالق وهو يصلح
للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب. سبعا سبع آيات وهي الفاتحة أو سبع
سور وهي الطول. واختلف في السابعة فقيل الأنفال وبراءة لأنهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية
وقيل هي آل حم أو سبع صحائف وهي الأسباع. والمثاني من التثنية وهي التكرير لأن الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة
وغيرها. أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة أو مثنية صفة للآية. وأما السور أو الأسباع
فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كأنها تثني على الله بأفعاله

العظمى وصفاته الحسنى. ومن إما للبيان أو للتبعيض إذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطول وللبيان إذا أردت
الأسباع. ويجوز أن تكون كتب الله كلها مثاني لأنها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها.
فإن قلت كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو إلا عطف الشيء على نفسه. **قلت** إذا عني
بالسبع الفاتحة أو الطول فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل ألا ترى إلى
قوله بما أوحينا إليك هذا القرآن يعني سورة يوسف وإذا عنيت الأسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني
والقرآن العظيم أي الجامع لهذين النعتين وهما الثناء أو التثنية والعظم. لا تمدن عينيك أي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن
له إلى ما متعنا به أزواجا منهم أصنافا من الكفار. **فإن قلت** كيف وصل هذا بما قبله. **قلت** يقول لرسوله قد أوتيت
النعمة العظمى التي كل نعمة وإن عظمت فهي إليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك أن تستغني به ولا تمدن عينيك
إلى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث أبي بكر رضي الله عنه من أوتي القرآن فرأى أن أحدا
أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا. وقيل وافت من بصرى وأذرعات سبع قوافل ليهود بني
قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجوهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا
بها ولأنفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وجل لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع.
**لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل إني أنا
النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين.** ولا تحزن عليهم يعني لا تتمن أموالهم
ولا تحزن عليهم أنهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الإسلام وينتعش بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين
وضعفائهم وطب نفسا عن إيمان الأغنياء والأقوياء. وقل لهم إني أنا النذير المبين أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب
الله نازل بكم. **فإن قلت** بم تعلق قوله كما أنزلنا. **قلت** فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بقوله ولقد آتيناك أي أنزلنا
عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون. الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وعداوتهم بعضه
حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه إلى حق وباطل وعضوه. وقيل كانوا يستهزئون به
فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي. ويجوز أن يراد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم
وبأن اليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر وأساطير بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب
نحو فعلهم. والثاني أن يتعلق بقوله وقل إني أنا النذير أي وأنذر قريشا مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود
وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الإعجاز لأنه إخبار بما سيكون وقد كان. ويجوز أن
يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير أي أنذر المعضين الذين يجزئون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا
على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الإيمان
برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فإنه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فأهلكهم الله
يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وغيرهم أو مثل ما أنزل على الرهط الذين
تقاسموا أن يبيتوا صالحا عليه الصلاة والسلام. والاقتسام بمعنى التقاسم. **فإن قلت** إذا علقت قوله كما أنزلنا
بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن إلى آخره بينهما. **قلت** لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات إلى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الأمر
بأن يقبل بمجامعه على المؤمنين. عضين أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء
قال: وليس دين الله بالمعضى. وقيل هي فعلة من عضهته إذا بهته. وعن عكرمة العضه السحر بلسان
قريش يقولون للساحرة عاضهة. ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة ونقصانها على الأول
الواو وعلى الثاني الهاء. **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك**

لمن يشاء ۞ الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون ۞ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ۞ فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ۞ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ۞ إنا كفيناك المستهزئين ...

هم خمسة نفر ذوو أسنان وشرف ۞ الوليد بن المغيرة ۞ والعاص بن وائل ۞ والأسود بن عبد يغوث ۞ والأسود بن المطلب ۞ والحارث بن الطلاطلة ۞ وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل يوم بدر قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أكفيكهم فأومأ إلى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لأخذه فأصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات ۞ وأومأ إلى أخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات ۞ وأشار إلى عيني الأسود بن المطلب فعمي ۞ وأشار إلى أنف الحارث بن قيس فامتخط قيحا فمات ۞ وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ۞ بما يقولون من أقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن ۞ فسبح فافزع فيما نابك إلى الله والفزع إلى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفيك ويكشف عنك الغم ودم على عبادة ربك ۞ حتى يأتيك اليقين أي الموت أي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة ۞ وعن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ۞ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم ۞ صدق الله تعالى وصدق رسوله الكريم

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ۞ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ۞ كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم أتى أمر الله الذي هو بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه ۞ روي أنه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فأشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت أتى أمر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا ۞ وقرئ تستعجلوه بالتاء والياء ۞ سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن أن يكون له شريك وأن تكون آلهتهم له شركاء أو عن إشراكهم على أن ما موصولة أو مصدرية **فإن قلت** كيف اتصل هذا باستعجالهم **قلت** لأن استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك ۞ وقرئ يشركون بالياء والتاء ۞ ينزل قرئ بالتخفيف والتشديد ۞ وقرئ تنزل الملائكة أي تتنزل بالروح من أمره بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد ۞ وأن أنذروا بدل من الروح أي ينزلهم بأن أنذروا وأن بمعنى الشأن أي بأن الشأن أقول لكم أنذروا أو تكون مفسرة لأن تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ۞ ومعنى أنذروا أنه لا إله إلا أنا أعلموا بأن الأمر ذلك من نذرت بكذا إذا علمته والمعنى يقول لهم أعلموا الناس قولي لا إله إلا أنا فاتقون ۞ خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون ۞ خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ۞ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ۞ ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ۞ ثم دل على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره ۞ وقرئ يشركون بالياء والتاء ۞ فإذا هو خصيم مبين فيه معنيان أحدهما فإذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعدما كان نطفة من مني جمادا لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته ۞ والثاني فإذا هو خصيم لربه

شكر على خالقه فإنكار من يحيي العظام وهي رميم وصفا للإنسان بالإفراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة ۞ قيل نزلت في أبي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أترى أن الله يحيي هذا بعدما قد رم ۞ الأنعام الأزواج الثمانية وأكثر ما يقع على الإبل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله تعالى والقمر قدرناه ويجوز أن يعطف على الإنسان أي خلق الإنسان والأنعام ثم قال خلقها لكم أي ما خلقها إلا لكم ولمصالحكم يا جنس الإنسان ۞ والدفء اسم ما يدفأ به كما أن الملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر ۞ وقرئ دف بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الفاء ۞ ومنافع هي نسلها ودرها وغير ذلك **فإن قلت** تقديم الظرف في قوله تعالى ومنها تأكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها **قلت** الأكل منها هو الأصل الذي يعتمده الناس في معايشهم وأما الأكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ۞ ويحتمل أن طعمتكم منها لأنكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تأكلونها منها وتكتسبون بإكراء الإبل وتبيعون نتاجها وألبانها وجلودها ۞ من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لأنه من أغراض أصحاب المواشي بل هو من معاظمها لأن الرعيان إذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة تزينت بإراحتها وتسريحها الأفنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء آنست أهلها وفرحت أربابها وأجلتهم في عيون الناظرين إليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يواري سوآتكم وريشا **فإن قلت** لم قدمت الإراحة على التسريح **قلت** لأن الجمال في الإراحة أظهر إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم أوت إلى الحظائر حاضرة لأهلها ۞ وقرأ عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على أن تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله عز وجل يوما لا تجزي ۞ وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم ۞ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ۞ وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين ۞ وقرئ بشق الأنفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو أن المفتوح مصدر شق الأمر عليه شقا وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو الصدع ۞ وأما الشق فالنصف كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد **فإن قلت** ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كأنهم كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الإبل أثقالهم **قلت** معناه وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الإبل إلا بجهد أنفسكم لا بجهد الحمول ۞ أو لم تكونوا بالغيه بها في الحقيقة **فإن قلت** كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل أثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها إليه **قلت** طابقه من حيث أن معناه وتحمل أثقالكم إلى بلد بعيد قد علمتم أنكم لا تبلغونه بأنفسكم إلا بجهد ومشقة فضلا أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم ۞ ويجوز أن يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها إلا بشق الأنفس ۞ وقيل أثقالكم أجرامكم ۞ وعن عكرمة البلد مكة ۞ لرءوف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح ۞ والخيل والبغال والحمير عطف على الأنعام أي وخلق هذه للركوب والزينة ۞ وقد احتج على حرمة أكل لحومهن بأن علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الأكل بعدما ذكره في الأنعام **فإن قلت** لم انتصب وزينة **قلت** لأنه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها **فإن قلت** فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد **قلت** لأن الركوب فعل المخاطبين وأما الزينة فعل الزائن وهو الخالق ۞ وقرئ لتركبوها زينة بغير واو أي وخلقها زينة لتركبوها أو يجعل زينة حالا من ها أي وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال ۞ ويخلق ما لا تعلمون يجوز أن يريد به ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالأشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ۞ ويجوز أن يخبرنا بأن له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالإخبار بذلك وإن طوى عنا علمه لحكمة له في طيه ۞ وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم أحد ولا خطر على قلبه ۞ المراد بالسبيل الجنس ولذلك أضاف إليها القصد ۞ وقال ومنها جائر ۞ والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ۞ ومعنى قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل أن هداية الطريق الموصل إلى الحق واجبة عليه كقوله تعالى إن علينا للهدى **فإن قلت** لم غير أسلوب الكلام في قوله تعالى ومنها جائر **قلت** ليعلم ما يجوز إضافته إليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها أو وعليه الجائر ۞ وقرأ عبد الله ومنكم جائر يعني ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره والله بريء منه

ولو شاء لهداكم أجمعين قسرا وإلجاء. هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون
ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون
وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ
لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون. لكم متعلق بأنزل أو بشراب خبرا له والشراب
ما يشرب. شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي. وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فإنه سحت يعني الكلأ
تسيمون من سامت الماشية إذا رعت فهي سائمة وأسامها صاحبها وهي من السومة وهي العلامة لأنها تؤثر بالرعي
علامات في الأرض. وقرئ نبنت بالنون. فإن قلت لم قيل ومن كل الثمرات. قلت لأن كل الثمرات لا يكون
إلا في الجنة وإنما أنبت في الأرض بعض من كلها للتذكرة. يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته
والآية الدلالة الواضحة. وعن بعضهم ينبت بالتشديد. وقرأ أبي بن كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل
والأعناب بالرفع وقرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات أو على أن معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة
لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون
بالنجوم فكأنه قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بأمره. ويجوز أن يكون المعنى أنه سخرها أنواعا من
التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كأنه قيل وسخرها لكم تسخيرات بأمره
وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر. وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله
بالنصب وقال إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون فجمع الآية وذكر العقل لأن الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة
الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة. وما ذرأ لكم معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر
وغير ذلك مختلف الهيئات والمناظر. وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها
وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون. وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا
وسبلا لعلكم تهتدون. لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لأن الفساد يسرع إليه فيسارع إلى أكله خيفة
الفساد عليه. فإن قلت ما بال الفقهاء قالوا إذا حلف الرجل لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه لحما
كما ترى. قلت مبنى الأيمان على العادة وعادة الناس إذا ذكر اللحم على الإطلاق أن لا يفهم منه السمك. وإذا قال الرجل لغلامه
اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالإنكار عليه. ومثاله أن الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله تعالى إن شر
الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث. حلية هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم
لبس نسائهم لأنهن من جملتهم ولأنهن إنما يتزين بها من أجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم. المخر شق الماء بحيزومها. وعن الفراء
هو صوت جري الفلك بالرياح. وابتغاء الفضل التجارة. أن تميد بكم كراهة أن تميل بكم وتضطرب. والمائد الذي يدار به
إذا ركب البحر. قيل خلق الله الأرض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر
الملائكة مم خلقت. وأنهارا وجعل فيها أنهارا لأن ألقى فيه معنى جعل ألا ترى إلى قوله ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا
وعلامات وبالنجم هم يهتدون. أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون. وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله
لغفور رحيم. والله يعلم ما تسرون وما تعلنون. وعلامات هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل
وغير ذلك. والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في أيدي الناس. وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي
وقرأ الحسن وبالنجم بضمتين وضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف. وقيل حذف الواو من النجوم
تخفيفا. فإن قلت قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كأنه قيل وبالنجم
خصوصا هؤلاء يهتدون فمن المراد بهم. قلت كأنه أراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم
لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا. فإن قلت من لا يخلق أريد به الأصنام فلم جيء بمن الذي
هو لأولي العلم. قلت فيه أوجه أحدها أنهم سموها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولي العلم ألا ترى إلى قوله

على أثره. والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون. والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق. والثالث أن يكون
المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله ألهم أرجل يمشون بها يعني أن الآلهة حالهم منحطة عن
حال من لهم أرجل وأيد وآذان وقلوب لأن هؤلاء أحياء وهم أموات فكيف تصح لهم العبادة لا أنها لو صحت لهم هذه الأعضاء
لصح أن يعبدوا. فإن قلت هو إلزام للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق
مثل الخالق فكان حق الإلزام أن يقال لهم أفمن لا يخلق كمن يخلق. قلت حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة
له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فأنكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق.
لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر أتبع ذلك ما عدد من نعمه
تنبيها على أن وراءها ما لا ينحصر ولا ينعد. إن الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة ولا يقطعها
عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها. والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من أعمالكم وهو وعيد. والذين يدعون
من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون. أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون. إلهكم إله واحد
فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون. لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
إنه لا يحب المستكبرين. والذين يدعون والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله. وقرئ بالتاء. وقرئ يدعون
على البناء للمفعول نفى عنهم خصائص الإلهية بنفي كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم
صفات الخلق بأنهم مخلوقون وأنهم أموات وأنهم جاهلون بالغيب. ومعنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة
لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وأمرهم على العكس من ذلك. والضمير في يبعثون للداعين
أي لا يشعرون متى يبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء
منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث وأنه من لوازم التكليف. ووجه آخر وهو أن يكون المعنى أن
الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم أعجز من عبدتهم. أموات جمادات لا حياة فيها غير أحياء
يعني أن من الأموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا وأجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها
وأما الحجارة فأموات لا يعقب موتها حياة وذلك أعرق في موتها. وما يشعرون أيان يبعثون أي وما يعلم هؤلاء الآلهة متى
تبعث الأحياء تهكما بحالها لأن شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي إلا الحي القيوم سبحانه وتعالى. ووجه ثالث
وهو أن يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وأنهم أموات أي لا بد لهم من الموت غير باقية
حياتهم. وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم. وقرئ إيان بكسر الهمزة. إلهكم إله واحد يعني أنه قد ثبت بما تقدم
من إبطال أن تكون الإلهية لغيره وأنه واحد لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها
استمرارهم على شركهم وأن قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الإقرار بها. لا جرم حقا أن الله يعلم
سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد. إنه لا يحب المستكبرين. ويجوز أن يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين
ويجوز أن يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه. وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ليحملوا
أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون. ماذا منصوب بأنزل
بمعنى أي شيء أنزل ربكم أو مرفوع بالابتداء بمعنى أي شيء أنزله ربكم فإذا نصبت فمعنى أساطير الأولين ما يدعون نزوله
أساطير الأولين وإذا رفعته فالمعنى المنزل أساطير الأولين كقوله تعالى ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع. فإن قلت
هو كلام متناقض لأنه لا يكون منزلا ربهم وأساطير. قلت هو على السخرية كقوله تعالى إن رسولكم وهو كلام بعضهم
لبعض أو قول المسلمين لهم. وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أحاديث الأولين وأباطيلهم. ليحملوا أوزارهم أي قالوا
ذلك إضلالا للناس وصدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم
وهو وزر الإضلال لأن المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على إضلاله فيتحاملان الوزر. ومعنى اللام

التعليل من غير ان يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر. بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم
ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل
قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول اين شركاءي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على
الكافرين. القواعد اساطين البناء التي تعمده. وقيل الاساس. وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسوله
فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتي البنيان من الاساطين بان ضعضعت
فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا. وقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل
طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا. ومعنى اتيان الله اتيان امره. من
القواعد من جهة القواعد. من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون. وقرئ فاتى الله بيتهم فخر عليهم السقف
بضمتين. يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الآخرة
شركاءي على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم. تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون
المؤمنين في شأنهم ومعناهم. وقرئ تشاقون بمعنى تشاقونني لان مشاقة المؤمنين كانها مشاقة الله. قال الذين
اوتوا العلم هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم
ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه. وقيل هم الملائكة. الذين تتوفاهم
الملائكة ظالمي انفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون. فادخلوا ابواب جهنم خالدين
فيها فلبئس مثوى المتكبرين. وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار
الآخرة خير ولنعم دار المتقين. جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزي الله
المتقين. وقرئ تتوفاهم بالتاء والياء. وقرئ الذين توفاهم بادغام التاء في التاء. فالقوا السلم فسالموا واخبتوا وجاءوا
بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر. وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم
اولوا العلم ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم. خيرا انزل
خيرا. فان قلت لم نصب هذا ورفع الاول قلت فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان هؤلاء لما سئلوا لم
يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اي انزل خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا
اساطير الاولين وليس من الانزال في شيء. وروي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم
فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون
ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا
وقوله للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا اي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه
ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ عدة للقائلين ويجعل قولهم من جملة احسانهم ويحمدوا عليه حسنة مكافاة في الدنيا باحسانهم ولهم
في الآخرة ما هو خير منها كقوله عز وجل فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة. ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص
بالمدح لتقدم ذكره. وجنات عدن خبر مبتدأ محذوف. ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح. طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي
لانه في مقابلة ظالمي انفسهم. الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون
فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون. وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه
من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين. ولقد
بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة
فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين. ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين

يقولون سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك السلام وبشره
بالجنة. تأتيهم الملائكة تقرأ بالتاء والياء يعني لتأتيهم لقبض الارواح. او يأتي امر ربك العذاب المستأصل او القيامة. كذلك اي
ذلك الفعل من الشرك والتكذيب. فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون لانهم فعلوا ما
استوجبوا به التدمير. سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم او هو كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها. هذا من جملة ما عدد
من اصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزاء منهم به وتكذيبهم الرسول
وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعني انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى
الله فقالوا لو شاء لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه. كذلك فعل الذين من قبلهم اي اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على
قبح فعلهم وركوه على ربهم. فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان ويطلعوا على
بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله عز وجل باعثهم
على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه. ولقد امددنا ابطال قدر السوء ومشيئة الشر بانه ما من امة
الا وقد بعث فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذي هو الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت. فمنهم
من هدى الله اي لطف به لانه عرفه من اهل اللطف. ومنهم من حقت عليه الضلالة اي ثبت عليه الخذلان والترك
من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا يأتي منه خير. فسيروا في الارض فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا تبقى
لكم شبهة في اني لا اقدر الشر ولا اشاؤه حيث افعل ما افعل بالاشرار. ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليهم الضلالة وانه لا يهدي من يضل اي لا يلطف بمن يخذل لانه
عبث والله متعال عن العبث لانه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه. وقرئ لا يهدى اي لا يقدر احد على هدايته وقد
خذله الله. وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذي هو نقيض النصرة. ويجوز ان يكون لا يهدي
بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى. وفي قراءة ابي فان الله لا هادي لمن يضل ولمن اضل وهي معاضدة لمن قرأ لا يهدي
على البناء للمفعول. وفي قراءة عبد الله يهدي بادغام تاء يهتدي وهي معاضدة للاولى. وقرئ يضل بالفتح وقرأ النخعي
ان تحرص بفتح الراء وهي لغة. واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس
لا يعلمون. ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين. انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون. واقسموا معطوف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا
وتدونا توبيخا لمن يشاهد تلك بهم على مشيئة الله وانكارهم البعث مقسمين عليه. بلى اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم. ووعدا
مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا الوعد حق واجب عليه في الحكمة. ولكن اكثر الناس
لا يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله لانهم يقولون لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة. ليبين
لهم متعلق بما دل عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذي اختلفوا فيه هو
الحق. وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث الله من يموت. وقيل يجوز ان
يتعلق بقوله تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين
على الله الكذب. قولنا مبتدأ وان نقول خبره. كن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اردنا وجود شيء
فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته
غير متوقف كوجود المأمور به عند امر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور
على الله عز وعلا بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات. وقرئ فيكون عطفا على نقول
والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون
الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون. وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون. والذين هاجروا هم رسول الله

صلى الله عليه وسلم واصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله ❁ منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة ❁ وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار رضوان الله عليهم ❁ وعن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر رضي الله عنه قال له ربح البيع يا صهيب وقال عمر رضي الله عنه نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لاطاعه فكيف ظنك به وهو يخافها ❁ حسنة صفة للمصدر اي لنبوئنهم تبوئة حسنة ❁ وفي قراءة علي رضي الله عنه لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة ❁ وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب ❁ وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة اكبر ❁ وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم اهلها ونصروهم ❁ لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في ايديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم ❁ ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم ❁ الذين صبروا على هم الذين صبروا او اعني الذين صبروا وكلاهما مدح اي صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله ❁ قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل ❁ وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم على السنة الملائكة ❁ فسألوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا **فان قلت** بم تعلق قوله بالبينات **قلت** له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اي رجالا ملتبسين بالبينات واما بارسلنا مضمرا كانما قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والاول على كلام واحد واما بيوحى اي يوحى اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على ان الشرط في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي ❁ وقوله تعالى فسألوا اهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة ❁ واهل الذكر اهل الكتاب ❁ وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين ❁ ما نزل اليهم يعني ما نزل الله اليهم في الذكر مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا ❁ ولعلهم يتفكرون وارادة ان يصغوا الى تنبيهاته فيتنبهوا ويتاملوا ❁ افأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ❁ او يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين ❁ او يأخذهم على تخوف فان ربكم لرءوف رحيم ❁ مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ❁ في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم واسباب دنياهم ❁ على تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون ❁ وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته اذا تنقصته ❁ قال زهير تخوف الرحل منها تامكا قردا ❁ كما تخوف عود النبعة السفن ❁ اي يأخذهم على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا ❁ وعن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ❁ فان ربكم لرءوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم ❁ اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ❁ ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ❁ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ❁ قرئ اولم يروا وتتفيؤ بالتاء والياء وما موصول بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيؤ ظلاله ❁ واليمين بمعنى الايمان ❁ وسجدا حال من الظلال ❁ وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لان الدخور من اوصاف العقلاء او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى اولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء اي ترجع الظلال من جانب الى جانب

منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع ❁ من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح ❁ وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ❁ ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم **فان قلت** سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد **قلت** المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله وانها غير ممتنعة عليها الارادة وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد **فان قلت** فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم **قلت** لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم ❁ يخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين ❁ وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتأكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ❁ من فوقهم ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجاء ❁ وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون ❁ وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون ❁ وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ❁ ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ❁ ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ❁ **فان قلت** انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله تعالى الهين اثنين **قلت** الاسم الحامل لمعنى الافراد او التثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعني به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية ❁ فاياي فارهبون نقل للكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغالب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله واياه فارهبوه ومن ان يجيء ما قبله على لفظ المتكلم ❁ الدين الطاعة ❁ واصبا حال عمل فيه الظرف ❁ والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ❁ ويجوز ان يكون من الوصب اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء دائما ثابتا سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب ❁ وما بكم من نعمة واي شيء حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله ❁ فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه ❁ والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا ❁ وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم ❁ وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة **فان قلت** فما معنى قوله اذا فريق منكم بربهم يشركون **قلت** يجوز ان يكون الخطاب في قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ❁ ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة ❁ فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ❁ ويجوز ان يكون ليكفروا فيمتعوا من الامر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر ❁ ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون ❁ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ❁ واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ❁ يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون ❁ للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل

الاعلى وهو العزيز الحكيم • لما لا يعلمون اي لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع و
تشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا يبصر ولا يسمع فهم اذا جاهلون بها • وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة اي لاشياء
غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم • لتسئلن وعيد
عما كنتم تفترون من الافك في زعمكم انها آلهة وانها اهل للتقرب اليها كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه
تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم • ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز في ما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على
ان يكون معطوفا على البنات اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور • ظل بمعنى صار كما يستعمل بات واصبح وامسى بمعنى الصيرورة
ويجوز ان يجيء ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكآبة والحياء من الناس • وهو كظيم مملوء
حنقا على المرأة • يتوارى من القوم يستخفي منهم من اجل سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم فيحدث نفسه وينظر ايمسك ما بشر به
على هون على هوان وذل • ام يدسه في التراب ام يئده • وقرئ ايمسكها على هون ام يدسها على التانيث • وقرئ على هوان
الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف • مثل السوء صفة
السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ • ولله
المثل الاعلى وهو الغني عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجود والكرم • ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم
ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون • ويجعلون
لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون • تالله لقد ارسلنا الى
امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم • وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم
الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون • والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان
في ذلك لآية لقوم يسمعون • بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم • ما ترك عليها على الارض من دابة قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم
الظالمين • وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت
في وكرها بظلم الظالم • وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم • وعن ابن عباس رضي
الله عنهما من دابة من مشرك يدب عليها • وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء • ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من
البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له ارذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها
وتصف السنتهم مع ذلك • ان لهم الحسنى عند الله كقوله تعالى ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى • وعن بعضهم انه
قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيمة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب
وانواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الي فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له اما تستحي من ذلك الموقف وقرا هذه
الآية • وعن مجاهد ان لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون • وان لهم الحسنى بدل من الكذب • وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة
• مفرطون قرئ مفتوح الراء ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى متقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت
فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته • وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته • والمكسور
المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات وما يلزمهم • فهو وليهم اليوم حكاية للحال الماضية
التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها • او هو قرينهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا • ومعنى وليهم
قرينهم وبئس القرين او يجعل فهو وليهم اليوم حكاية للحال الآتية وهي حال كونهم معذبين اي فلا ناصر لهم اليوم لا ناصر لهم
غيره نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه • ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء
لانهم منهم • ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم • وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين الا
انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعل الذي انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما
ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل • والذي اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب
واشياء من التحريم والتحليل والانكار والاقرار • لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه لا يسمع

وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين •
ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لآية لقوم يعقلون •
ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع
الضمير اليه مفردا • واما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع • ويجوز ان يقال في الانعام وجهان
احدهما ان يكون تكسير نعم كالاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في
قوله في كل عام نعم تحوونه • يلقحه قوم وتنتجونه • واذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع • وقرئ
نسقيكم بالفتح والضم وهو استيناف كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث ودم اي يخلق الله اللبن وسيطا
بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من
ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد
مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع وتبقي الفرث في الكرش فسبحان الله
ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتامل • وسئل شقيق رحمه الله عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز
اللبن من بين فرث ودم • سائغا سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص احد باللبن قط • وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا
بالتخفيف كهين ولين • فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض لان اللبن بعض
ما في بطونها كقولك اخذت من مال زيد ثوبا • والثانية لابتداء الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقاء الذي منه
يبتدئ فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض • ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف
اي كائنا من بين فرث ودم الا ترى انه لو تاخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة
فهو قمن بالتقديم • وقد احتج بعض من يرى ان المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك البول بهذه الآية وانه ليس
بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا • فان قلت بم تعلق قوله ومن
ثمرات النخيل والاعناب قلت بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف لدلالة
نسقيكم قبله عليه وقوله تعالى تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقاء او تعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف
للتوكيد كقولك زيد في الدار فيها • ويجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفي كان من ارمى البشر تقديره
ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر •
فان قلت فالام رجع الضمير في منه اذا جعلت ظرفا مكررا قلت الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع
في قوله تعالى او هم قائلون الى الاهل المحذوف • والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا
قال • وجاؤونا بهم سكر علينا • فاجلى اليوم والسكران صاحي • وفيه وجهان احدهما ان تكون منسوخة وممن قال
به الشعبي والنخعي والثاني ان يجمع بين العتاب والمنة • وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى
يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة رحمه الله الى حد السكر ويحتج بهذه الآية وبقوله صلى الله عليه وسلم
والسكر الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار جمة ولقد صنف شيخنا ابو علي الجبائي قدس الله روحه غير كتاب
في تحليل النبيذ فلما شاخ واخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له فقد صنفت في تحليله
فقال تناولته الدعاة فيشيع بالمروة • وقيل السكر الطعم • وانشد جعلت اعراض الكرام سكرا • اي تنقلت باعراضهم
وقيل هو من الخمر وانه اذا ابترك في اعراض الناس فكانه تخمر بها • والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك
ويجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن • واوحى ربك الى النحل ان اتخذي
من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون • ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف
الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون • والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا
يعلم بعد علم شيئا ان الله عليم قدير • الايحاء الى النحل الهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو اعلم به لا

لاحد على الوقوف عليه وعلى الاحاطة بدقائقها في صنعتها ولطفها في تدبير امرها واصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة
على ان الله اودعها علما بذلك وفطنها كما اولى اولي العقول عقولهم ● وقرأ يحيى بن وثاب الى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل
وتانيثه على المعنى ● ان اتخذي ان مفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ● وقرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء ● ومما يعرشون بكسر الراء
وضمها يرفعون من سقوف البيوت ● وقيل ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التي تتعسل فيها ● والضمير في يعرشون
للناس **فان قلت** ما معنى من في قوله ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال وفي الشجر
قلت اريد معنى البعضية وان لا تبني بيوتها في كل جبل وفي كل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها ● من كل الثمرات
احاطة بالثمرات التي تجرسها النحل وتعتاد اكلها اي ابني البيوت ثم كلي من كل ثمرة تشتهيها فاذا اكلتها ● فاسلكي سبل
ربك اي الطرق التي الهمك وافهمك في عمل العسل او فاسلكي ما اكلت في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته
النور المر عسلا من اجوافك ومنافيها او فاذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة فاسلكي الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر
عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد في طلب النجعة او اراد بقوله
تعالى ثم كلي ثم اقصدي اكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مكانها سبل ربك ● ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله ذللها
لها ووطأها وسهلها كقوله عز وعلا هو الذي جعل لكم الارض ذلولا او من الضمير في فاسلكي اي وانت ذلل منقادة
لما امرت به غير ممتنعة ● شراب يريد العسل لانه مما يشرب ● مختلف الوانه منه ابيض واحمر واصفر واسود ● فيه شفاء
للناس لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض
انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره لتعظيم الشفاء الذي فيه او لانه فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته
فما نفع قال فاذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كانما انشط من عقال
وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل
ومن بدع التاويلات ما قال ان المراد بالنحل علي وقومه ● وعن بعضهم انه قال عند المهدي انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم
العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه اضحوكة
من اضاحيكهم ● ارذل العمر الخسيس الحقير وهو خمس وسبعون سنة عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة عن قتادة
لانه لا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم ● لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحالة الطفولية في النسيان وان يعلم
شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه ● وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيئا ● وقيل لئلا يعلم زيادة علم
على علمه ● والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء
افبنعمة الله يجحدون ● والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات
افبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون ● اي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم افضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم
واخوانكم فكان ينبغي ان تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن ابي ذر الغفاري انه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رؤي عبده بعد ذلك الا ورداؤه
رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت ● افبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك من جملة جحود النعمة ● وقيل هو مثل ضربه الله للذين
جعلوا له شركاء فقال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم
فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء ● وقيل المعنى ان الموالي والمماليك انا رازقهم جميعا فهم في رزقي سواء فلا يحسبن
الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق فانما ذلك رزقي اجريه اليهم على ايديهم ● وقرئ تجحدون
بالتاء والياء ● من انفسكم من جنسكم ● وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم عليه الصلاة والسلام ● والحفدة جمع حافد وهو الذي
يحفد اي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد ● **وقال** حفد الولائد بينهن واسلمت
باكفهن ازمة الاجمال ● واختلف فيهم فقيل هم الاختان على البنات ● وقيل اولاد الاولاد ● وقيل اولاد المرأة من الزوج

الاول ● وقيل المعنى وجعل لكم حفدة اي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ● ويجوز ان يراد بالحفدة البنون انفسهم
كقوله تعالى سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا هم بنون وهم حافدون اي جامعون بين الامرين
الطيبات يريد بعضها لان كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا الا انموذج منها ● افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون
من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا بشيء هو عندهم
معلوم مستيقن ● ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر
المحال الذي لا تتصوره العقول ● وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرها ● ونعمة الله ما احل لهم
ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون ● فلا تضربوا لله الامثال
ان الله يعلم وانتم لا تعلمون ● ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا
فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ● وضرب الله مثلا رجلين احدهما
ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل
وهو على صراط مستقيم ● ولله غيب السموات والارض وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب
ان الله على كل شيء قدير ● الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت المصدر نصبت به شيئا
كقوله او اطعام يتيما او مسكينا على لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى
قليلا ● ويجوز ان يكون تاكيدا للا يملك اي لا يملك شيئا من الملك ● ومن السموات والارض صلة للرزق
ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا ● او صفة ان كان اسما لما يرزق والضمير في
ولا يستطيعون لما لان ما في معنى الالهة بعدما قيل لا يملك على اللفظ ● ويجوز ان يكون للكفار يعني ولا يستطيع
هؤلاء مع انهم احياء متصرفون اولو الالباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به **فان قلت** ما معنى
قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما الا شيء واحد **قلت** ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وانما
المعنى لا يملكون ان يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم لانهم موات لا انه يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي
الملك والاستطاعة التوكيد او يراد انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتأتى ذلك فيهم ولا يستقيم
● فلا تضربوا لله الامثال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة
ان الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم لان العقاب على مقدار الاثم وانتم لا تعلمون
كنهه وكنه عقابه فذلك هو الذي جركم اليه وجرأكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك ● ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال
ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فقال مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى
بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء **فان قلت** لم قال عبدا
مملوكا **قلت** اما ذكر المملوك فليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله ● واما لا يقدر على شيء
فليجعله غير مكاتب ولا ماذون له لانهما يقدران على التصرف ● واختلفوا في العبد هل يصح له ملك
فان قلت من في قوله ومن رزقناه ما هي **قلت** الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان تكون موصولة
فان قلت لم جمع الضمير في يستوون **قلت** معناه هل يستوي الاحرار والعبيد ● الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم
● وهو كل على مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله ● اينما يوجهه حيثما يرسله ويصرفه في طلب حاجة او كفاية مهم
لم ينفع ولم يأت بنجح ● هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير
وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه
لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته والطافه ونعمه الدينية والدنيوية والاصنام التي هي

اموات لا تضر ولا تنفع • وقرئ اينما يوجه بمعنى اينما يتوجه من قولهم وجهه الى جهة فوجه • وقرأ ابن مسعود
اينما يوجه على البناء للمفعول • ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه
او اراد بغيب السموات والارض يوم القيمة على ان علمه غائب عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد
منهم • الا كلمح البصر او هو اقرب اي هو عند الله وان تراخى كما تقولون انتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر
او هو اقرب اذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك
كالف سنة مما تعدون اي هو عنده دان وهو عندكم بعيد • وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحياء
واحياء الاموات من الاولين والآخرين يكون في اقرب وقت واوحاه • ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على ان
يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده • والله اخرجكم من بطون امهاتكم
لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون • الم يروا الى الطير مسخرات في جو
السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون • والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود
الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا
ومتاعا الى حين • والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم
الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون • فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين •
يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون • قرئ امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في امهات كما
زيدت في اراق فقيل اهراق وشذت زيادتها في الواحدة قال امهتي خندف والياس ابي • لا تعلمون شيئا
في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق
الى السعة • وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم
والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم • والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب
وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذ لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع
شسع لا غير فجرت ذلك المجرى • قرئ الم يروا بالياء والتاء • مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها
من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك • في جو السماء الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو والسكاك والبعد
واللوح مثله • ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن • الا الله بقدرته • من بيوتكم التي تسكنونها من
الحجر والمدر والاخبية وغيرها • والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف
• بيوتا هي القباب والابنية من الادم والانطاع • تستخفونها ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض
والنقل • يوم ظعنكم ويوم اقامتكم اي يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان
لم يثقل عليكم ضربها وهي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت • ومتاعا الى حين
وشيئا ينتفع به الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان تبلى وتفنى او الى ان تموتوا • وقرئ يوم ظعنكم بالسكون • مما
خلق من الشجر وسائر المستظلات • اكنانا جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران
والكهوف • سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها • تقيكم الحر لم يذكر البرد لان الوقاية
من الحر اهم عندهم وقل ما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا • وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على
البرد • وسرابيل تقيكم بأسكم يريد الدروع والجواشن • والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره • لعلكم
تسلمون اي تنظرون في نعمه الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له • وقرئ تسلمون من السلامة اي
فتسلمون من العذاب او تسلم قلوبكم من الشرك • وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع • فان تولوا فلم يقبلوا
منك فقد تمهد عذرك بعدما اديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب
• يعرفون نعمت الله التي عددناها حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم

هي من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا • وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا • وقيل قولهم لولا فلان ما اصبت
كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد انها من الله وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا
في نيلها • واكثرهم الكافرون اي الجاحدون غير المعترفين • وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم • فان قلت ما معنى ثم قلت
الدلالة على ان انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر • ويوم
نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون • واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا
يخفف عنهم ولا هم ينظرون • واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا
ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون • والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا
يفترون • الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون •
ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب
تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين • ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي
القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون • شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم
بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب • ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك
الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن رحمه الله • ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اي لا يقال
لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل • فان قلت ما معنى ثم هذه قلت معناها انهم يمنون بعد
شهادة الانبياء عليهم الصلوة والسلام بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام ولا يؤذن لهم في القاء معذرة
ولا ادلاء بحجة • وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك
رأوا العذاب بغتتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تأتيهم بغتة فتبهتهم الآية
ان ارادوا بالشركاء آلهتهم فمعنى شركاؤنا آلهتنا التي جعلناها شركاء وان ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم
في الكفر وقرناؤهم في الغي • وندعوا بمعنى نعبد • فان قلت لم قالوا انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الحقيقة
قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة بل كانوا يعبدون
الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لهم لا نحن او كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها
لله من الشريك • وان اريد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان
اني كفرت بما اشركتمون من قبل • والقوا يعني الذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء
والاستكبار في الدنيا • وضل عنهم وبطل عنهم • ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون
لهم حين كذبوهم وتبرءوا منهم • الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا
كفرهم • وقيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد
صاحبها حمتها اربعين خريفا • وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار
• بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله • شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم
لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم • وجئنا بك يا محمد شهيدا على امتك • تبيانا بليغا ونظيره تلقاء
في كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن • فان قلت كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء قلت المعنى
انه بين كل شيء من امور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله صلى
الله عليه وسلم وطاعته • وقيل وما ينطق عن الهوى • وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين
وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اتباع اصحابه والاقتداء بآثارهم في قوله اصحابي كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع

والقياس والاجتهاد مستندة الى الكتاب وتبيانه فمن ثم كان تبيانا لكل شيء • العدل بالواجب لان الله
عز وجل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم • والاحسان الندب وانما علق امره
بهما جميعا لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن
علمه الفرائض فقال والله لا ازيد فيها ولا انقصت افلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من
التفريط • وقال عليه الصلوة والسلام استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل •
والفحشاء ما جاوز حدود الله • والمنكر ما تنكره العقول • والبغي طلب التطاول بالظلم وحين اسقطت من الخطب
لعنة الملاعين على امير المؤمنين رضوان الله عليه اقيمت هذه الآية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا
وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه • وكانت سبب اسلام
عثمان بن مظعون • واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله
عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون • ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم
دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون
ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون • ولا
تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم • عهد الله هي البيعة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله • ولا تنقضوا ايمان البيعة بعد
توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله • واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل • كفيلا شاهدا
ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه • ولا تكونوا في نقض الايمان كالمرأة التي انحت على غزلها
بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله • قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت
خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى
الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن • تتخذون حال • ودخلا احد مفعولي تتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها
دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا • ان تكون امة بسبب ان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى ازيد
عددا واوفر مالا من امة من جماعة المسلمين • انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر
اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم •
وليبينن لكم انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام • ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة حنيفة مسلمة على
طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من علم انه يختار
الكفر ويصمم عليه • ويهدي من يشاء وهو ان يلطف بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار
وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق عليه شيء من ذلك وحققه
بقوله • ولتسئلن عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر الى الضلال والاهتداء لما اثبت لهم عملا يسألون عنه • ثم كرر
النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تاكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يركب منه • فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل اقدامكم
عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها • وتذوقوا السوء في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين او
بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها • ولكم عذاب
عظيم في الآخرة • كان قوم ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما راوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين
وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فثبتهم الله • ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون • ما عندكم ينفد
وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون • فاذا قرأت القرآن فاستعذ

بالله من الشيطان الرجيم • انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون • انما سلطانه
على الذين يتولونه والذين هم به مشركون • ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمنا
قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا • انما عند الله
من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة خير لكم • ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن
رحمته باق لا ينفد • وقرئ لنجزين بالنون والياء • الذين صبروا على اذى المشركين ومشاق الاسلام
فان قلت لم وحدت القدم ونكرت **قلت** لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق
بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة • **فان قلت** من متناول في نفسه للذكر والانثى فما معنى
تبيينه بهما **قلت** هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكر
فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الوعد النوعين جميعا • حيوة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم
وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن
مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه
ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضى بقسمة الله • واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا فلا
اشكال فيه وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنأ بعيشه • وعن ابن عباس رضي الله عنه الحياة الطيبة
الرزق الحلال • وعن الحسن القناعة • وعن قتادة يعني في الجنة • وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق
في قلبه • لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ايذانا بان الاستعاذة
من جملة الاعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله
اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وكقوله اذا اكلت فسم الله • **فان قلت** لم عبر عن ارادة
الفعل بلفظ الفعل **قلت** لان الفعل يوجد عند القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان
منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة • وعن عبد الله بن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا
اقرانيه جبرئيل عن القلم عن اللوح المحفوظ • انه ليس له سلطان اي تسلط وولاية على اولياء الله يعني
انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته • انما سلطانه على من يتولاه ويطيعه
به مشركون • الضمير يرجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى الشيطان على معنى بسببه • واذا بدلنا آية مكان آية
والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون • قل نزله روح القدس من ربك
بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين • تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ
الشرائع بالشرائع لانها مصالح وما كان مصلحة امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله تعالى
عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله اعلم
بما ينزل • قالوا انما انت مفتر وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ
والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا يسخر باصحابه يأمرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو اهون
ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة • والله
اعلم **فان قلت** هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على ان القرآن انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة
والاجماع والقياس **قلت** فيه ان قرآنا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره بل قيام الدليل في السنة المتواترة
مثل القرآن في ايجاب العلم فجاز نسخه بها • واما الاجماع والقياس فلا ينسخ بهما فلا يجوز
نسخ القرآن بهما • فتنزل او نزل وما بينهما من التنزيل يكون على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل
من باب المصالح كالتنزيل وان ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة • وروح القدس

جبريل عليه الصلاة والسلام اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير • والمقدس المطهر
من المآثم • وقرئ بضم الدال وسكونها • بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا بالحكمة يعني ان النسخ من جملة
الحق • ليثبت الذين آمنوا ليثبتهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة
اليقين وطمانينة القلوب على ان الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب • وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان
على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم • وقرئ
ليثبت بالتخفيف • ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا
لسان عربي مبين • ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم • انما يفتري
الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون • من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه
مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم • ذلك بانهم
استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين • اولئك الذين طبع الله على
قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون • لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون • ارادوا
بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عايش او يعيش وكان صاحب كتب
وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي • وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن
التوراة والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل
لاحدهما فقال بل هو يعلمني • وقيل هو سلمان الفارسي • واللسان اللغة • ويقال الحد القبر ولحده وهو ملحد
وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا الحد فلان في قوله
والحد في دينه لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين • والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم
عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين • وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا
لطعنهم • وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء • وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف اللسان والله اعلم
فان قلت الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها قلت لا محل لها لانها مستانفة
جواب لقولهم ومثله قوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما
اوتي رسل الله • ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اي يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون لا يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم من
اهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لا من اهل اللطف والثواب • انما يفتري الكذب رد لقولهم انما انت مفتر
يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه • واولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون اي هم
الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون او الى الذين لا يؤمنون اي اولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان
تكذيب آيات الله اعظم الكذب • او اولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا تحجبهم عنه مروءة ولا
دين • او اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر • من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على ان يجعل واولئك هم
الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم
يدخل تحت حكم الافتراء • ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب به نفسا واعتقده • فعليهم غضب من الله ويجوز
ان يكون بدلا من المبتدا الذي هو اولئك على ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون او من الخبر الذي هو الكاذبون على
واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز ان ينتصب على الذم • وقد جوزوا ان يكون من كفر بالله شرطا مبتدا ويحذف
جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب
• روي ان ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو
معتقد للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فاما سمية فقد ربطت
بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام

واما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا
من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت • ومنهم جبر مولى الحضرمي
اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا • فان قلت اي الامرين افضل
افعل عمار ام فعل ابويه • قلت بل فعل ابويه لان في ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام • وقد روي ان
مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه ثم قال
للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد كما قال فقتله
فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق
فهنيئا له • ذلك اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم
خذلان الله بكفرهم • اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب
هي غاية الغفلة ومنتهاها • ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك
من بعدها لغفور رحيم • يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون •
وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها
الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون • ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون
ثم ان ربك دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك وهم عمار واصحابه • ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم
بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور
• من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر • وقرئ فتنوا على البناء للفاعل اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي
واشباهه • من بعدها من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر • يوم تاتي منصوب برحيم او باضمار اذكر
فان قلت ما معنى النفس المضافة الى النفس قلت يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره
والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم ياتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه
شان غيره كل يقول نفسي نفسي • ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك
• وضرب الله مثلا قرية اي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا
وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه
حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها • مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمانينة مع الامن والانزعاج
والقلق مع الخوف • رغدا واسعا • والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس
• وفي الحديث نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموسم بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا • فان
قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه
صحة ايقاعها عليه قلت اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما
يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم
المر والبشع • واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث • واما ايقاع
الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع
والخوف ولهم في هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستكثار لا يتبع الا من تعهدها • احدهما ان ينظروا فيه
الى المستعار له كما نظر اليه هاهنا ونحوه قول كثير • غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا • غلقت لضحكته رقاب المال
استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف
والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له • والثاني ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله • ينازعني ردائي عبد عمرو • رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر

الذي ملكت يميني • ودونك فاعتجر منه بشطر اذا دبر د ابن سيفه ثم فاعتجر من بشطر فنظر الى المستعار لفظ الاعتجار ولو نظر اليه لم يقل فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا • وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجأة النقمة والموت على الغفلة • وقرئ والخوف عطفا على اللباس او على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اصله ولباس الخوف • وقرئ لباس الخوف والجوع • فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون • انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم • لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما اتاها من كفرها وسوء صنيعها وصل ذلك بالفاء في قوله فكلوا صدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال ان كنتم اياه تعبدون تعني تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون الله بعبادة الالهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم جهالا دون اتباع ما شرع الله على لسان انبيائه • وانتصاب الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله والى قياس مستند اليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحلوا لاجل قول تنطق به السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى باطلة • فان قلت ما معنى وصف السنتهم الكذب • قلت هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر • وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب • والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة • وبالنصب على الشتم • او بمعنى الكلم الكواذب • او هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا ذكره ابن جني • واللام في لتفتروا من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض • متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم • ما قصصنا عليك يعني في سورة الانعام بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم • من بعدها من بعد التوبة • ان ابرهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين • شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم • وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين • ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين • كان امة فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير كقوله • وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد • وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار • والثاني ان يكون امة بمعنى مأموم اي يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله تعالى اني جاعلك للناس اماما • وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت غلطت انما هو ابراهيم صلى الله عليه وسلم فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك • وعن عمر رضي الله عنه انه قال حين قيل له الا تستخلف فقال لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة قانت ليس بينه وبين الله يوم القيمة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك للمعنى اي كان اماما في الدين لان الائمة معلم الخير

والقانت القائم بما امره الله • والحنيف المائل الى ملة الاسلام غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم ابراهيم • شاكرا لانعمه روي انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم • اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة • وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام • حسنة عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه • وقيل الاموال والاولاد • وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم • لمن الصالحين لمن اهل الجنة • ثم اوحينا اليك في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله ابراهيم عليه الصلوة والسلام من الكرامة واجل ما اولي من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله عليه بها • انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون • ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين

السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لاوامره والخالعين ربقة طاعته • فان قلت فما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين او محرمين • قلت معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى • ووجه آخر وهو ان موسى عليه الصلوة والسلام امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا عليه الجمعة فاذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امره الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيمة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه • ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه • الى سبيل ربك الى الاسلام • بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة • والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها • ويجوز ان يريد القرآن اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة • وجادلهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف • ان ربك هو اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكانك تضرب منه في حديد بارد • وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين • واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون • ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون • سمى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه • وروي ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده • ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور

لصبركم خير لكم فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون على الشدائد او وصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا على المعاقبة • وان يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه بصبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله عز وعلا فمن عفى واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصبر انت فعزم عليه بالصبر • وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته وربط على قلبه • ولا تحزن عليهم اي على الكافرين كقوله فلا تأس على القوم الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون • ولا تك في ضيق • وقرئ ولا تكن في ضيق اي ولا يضيقن صدرك • مما يمكرون • والضيق تخفيف الضيق اي في امر ضيق ويحتمل ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول • ان الله مع الذين اتقوا اي مع الذين اجتنبوا المعاصي والذين هم محسنون في اعمالهم وعن هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي واوصيكم بخواتيم سورة النحل • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بالنعم التي انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية • صدق الله تعالى ورسوله

سورة بني اسرائيل وهي مائة وعشرة آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير • وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلا • ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا •

سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها اليه اعداء الله • واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف • فان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل • قلت اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به يعني الامر بالقيام في بعض الليل • واختلف في المكان الذي اسرى منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر • وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق • وقيل اسرى به من دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به • وعن ابن عباس رضي الله عنه الحرم كله مسجد • وروي انه كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هانئ وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هانئ بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وفيهم من سافر اليها فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال آخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها الجمل الاورق كما قال محمد صلى الله عليه وسلم ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين • وقد عرج به في تلك الليلة الى السماء وكان العروج به من بيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما رأى في السماء من العجائب وانه لقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى • واختلف في وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعث • واختلف في انه كان في اليقظة ام في المنام فعن عائشة رضي الله عنها

انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه • وعن معاوية انما عرج بروحه وعن الحسن كان في المنام رؤيا رآها واكثر الاقاويل بخلاف ذلك • والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد • باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى عليه الصلاة والسلام ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة • وقرأ الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم انه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة • انه هو السميع لاقوال محمد • البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك • ان لا تتخذوا قرئ بالياء على ليلا يتخذوا وبالتاء على اي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا • وكيلا ربا تكلون اليه اموركم • ذرية من حملنا نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرأ لا تتخذوا بالتاء على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح • وقد يجعل وكيلا وذرية من حملنا مفعولي تتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير • وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو يتخذوا • وقرأ زيد بن ثابت ذرية بالكسر وروي عنه انه فسرها بولد الولد ذكرهم الله النعمة في انجاء آبائهم من الغرق انه ان نوحا عليه الصلاة والسلام كان عبدا شكورا قيل كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء لاجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء لاظماني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء لاعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء لاحفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني الاذى في عافية ولو شاء حبسه • وروي انه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا آثره به • فان قلت قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملائمته لما قبله • قلت كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لان نوحا عليه الصلاة والسلام كان عبدا شكورا وانتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم • ويجوز ان يكون تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستأهلوا لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد • وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا • فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا • ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا • ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا • وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة ويعلون اي يتعظمون ويبغون • في الكتاب في التوراة • ولتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز ان يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن • وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول • مرتين اولاهما قتل زكريا عليه الصلاة والسلام وحبس ارمياء حين انذرهم سخط الله • والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام • عبادا لنا • وقرئ عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده وقيل بخت نصر • وعن ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا • فان قلت كيف جاز ان يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه • قلت معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله عز وعلا اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمتهم واسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التوراة من جملة الجوس المسند اليهم • وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ خلل الديار • فان قلت ما معنى وعد اولاهما • قلت معناه وعد عقاب اولاهما • وكان وعدا مفعولا يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل • ثم رددنا لكم الكرة عليهم اي الدولة والغلبة على الذين

بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسراهم واموالهم
ورجوع الملك اليهم وقيل هي قتل داود جالوت اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه
وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز اي الاحسان والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم
وعن علي رضي الله عنه ما احسنت الى احد ولا اسات اليه وتلاها فاذا جاء وعد المرة الآخرة بعثناهم
ليسوءوا وجوهكم فحذف لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة
فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله عز وجل او للوعد او للبعث
ولنسوء بالنون وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن وليسوءن وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة واللام
في لنسوءن على هذا جواب اذا جاء ما علوا مفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم

عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير
وكان الانسان عجولا وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة
لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا

عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم وقد
عادوا فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا
صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك ان بعث الله عليهم هذا
الحي من العرب فهم منهم في عذاب الى يوم القيامة حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن
بساطا كما يبسط الحصير المرموم للتي هي اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات واشدها او للملة او للطريقة
واينما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في ابهام الموصوف بحذفه من فخامة
تفقد مع ايضاحه وقرئ ويبشر بالتخفيف **فان قلت** كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة
قلت كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك
فان قلت علام عطف وان الذين لا يؤمنون **قلت** على ان لهم اجرا كبيرا على معنى انه بشر المؤمنين
ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم ويجوز ان يراد ويخبر بان الذين لا يؤمنون معذبون اي ويدعو
الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير
لقضي اليهم اجلهم وكان الانسان عجولا يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتانى فيه تاني المتبصر
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن
فشكا الم القد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فاعلم بشانه
فقال عليه الصلوة والسلام اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني سالت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر
اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء
ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال
وعن ابن عباس رضي الله عنه هو النضر بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا الآية
فاجيب له فضربت عنقه صبرا فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار آيتان في انفسهما فتكون الاضافة
في آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي
هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل وجعلنا

الليل

الليل يمحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرة
اي تبصر فيه الاشياء وتستبان او فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم نخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى
به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم
لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين
عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات وتعطلت
الامور

وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرا
كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل
عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا واذا اردنا ان نهلك قرية
امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكم اهلكنا من القرون من بعد
نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد
ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان
سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف
فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما
مخذولا

وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم
وما تركنا لكم حجة علينا طائره عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولك طار
له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار من عمله والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل لا يفك عنه ومنه
مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في عنقه وعن الحسن رحمه الله يا ابن آدم
بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك وقرئ في عنقه بسكون النون وقرئ ويخرج بالياء
والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر اي يخرج الطائر كتابا
وانتصابه على الحال وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول ويلقاه ومنشورا صفتان للكتاب او
يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه اقرا على ارادة القول وعن قتادة يقرا ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا
قارئا وبنفسك فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم
بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي ووضع موضع
الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه **فان قلت** لم ذكر حسيبا **قلت** لانه بمنزلة
الشهيد والقاضي والامين لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا
ويجوز ان تتاول النفس بالشخص كما يقال ثلاثة انفس وعن الحسن يا ابن آدم انصفك والله من جعلك
حسيب نفسك اي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين وما صح منا
صحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة **فان قلت** الحجة لازمة
لهم قبل بعثة الرسول لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم
العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح
الا بعد الايمان **قلت** بعثة الرسول من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا
غافلين فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر في ادلة العقل واذا اردنا واذا دنا وقت اهلاك قوم
ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرناهم ففسقوا اي امرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة
امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا
فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم مامورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم

اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب
منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم فان قلت
هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف يحذف
ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المأمور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته
فقام وامرته فقرأ لا يفهم منه الا ان المأمور به قيام او قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب
ولا يلزم هذا قولهم امرته فعصاني او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر
مأمورا به فكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المأمور به فهذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي
لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مأمورا به لانه كأنه يقول كان مني امر فلم تكن منه طاعة كما ان من يقول
فلان يعطي ويمنع ويأمر وينهى غير قاصد الى مفعول فان قلت هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يأمر
بالفحشاء وانما يأمر بالقسط والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا قلت لا يصح ذلك لان قوله
ففسقوا يدافعه فكأنك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظيره
امر شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء
اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت
اليه المشيئة انه من اهل الاحسان او من اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال صاحب
المشيئة لم تكن على سداد • وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فامر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر
وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج • وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اني ارى امرك هذا حقيرا فقال صلى الله عليه وسلم انه سيأمر اي سيكثر • وقرئ آمرنا
من امر وامره غيره وامرنا بمعنى امرنا او من امر امارة وامره الله اي جعلناهم امراء وسلطناهم • كم مفعول اهلكنا
ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا • ونبه بقوله
وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب هي اسباب الهلكة لا غير وانه عالم بها معاقب عليها • من كانت
العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة والفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الامر تقييدين
احدهما تقييد المعجل بمشيئته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ولا يعطون الا بعضا
منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة • واما المؤمن التقي فقد اختار مراده
وهو غنى الآخرة فما يبالي اوتي حظا من الدنيا او لم يؤت فان اوتي فبها ونعمت والا فربما كان الفقر خيرا له واعون على مراده
لمن نريد بدل من له وهو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة • وقرئ ما يشاء وقيل الضمير في يشاء
فيحل فلا حق فاذن بين القراءتين في المعنى وهو ان لا يكون للعبد على الله ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد ممن
يريد به الله ذلك • وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر
كما قال عليه الصلاة والسلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها
او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه • مدحورا مطرودا من رحمة الله • سعيها حقها من السعي وكفاءها
من الاعمال الصالحة • اشترط ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة بان يعقد بها همه ويتجافى عن دار
الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت • وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث
لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية • كلا كل واحد من الفريقين والتنوين
عوض من المضاف اليه • نمد هؤلاء وهؤلاء نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع
والعاصي جميعا على وجه التفضل • وما كان عطاء ربك وفضله محظورا اي ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه
• انظر بعين الاعتبار كيف جعلناهم متفاوتين في التفضل وفي الآخرة التفاوت اكثر لانها ثواب واعواض وتفضل

كلها متفاوتة

كلها متفاوتة • وروي ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال
وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا
وابطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر • وقرئ
واكثر تفضيلا بالثاء • وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهاة بالرفع في
مجالس الآخرة وهي اكبر وافضل • فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة بمعنى صارت يعني فتصير
جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من الله والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له • وقضى
ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا
تنهرهما وقل لهما قولا كريما • واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا • ربكم
اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا • وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل
ولا تبذر تبذيرا • ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا • واما تعرضن عنهم
ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا • ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
فتقعد ملوما محسورا • ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا • وقضى
ربك وامر امرا مقطوعا به • ان لا تعبدوا ان مفسرة ولا تعبدوا نهي او بان لا تعبدوا • وبالوالدين احسانا واحسنوا
بالوالدين احسانا او بان تحسنوا بالوالدين احسانا • وقرئ ووصى وعن ابن عباس ووصى • وعن بعض ولد معاذ
ابن جبل وقضاء ربك ولا يجوز ان تتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر لا يتقدم عليه صلته اما هي ان
زيدت عليها ما تأكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا
يكرمك ولكن اما تكرمنه • واحدهما فاعل يبلغن وهو فيمن قرأ يبلغان بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين • وكلاهما
عطف على احدهما فاعلا او بدلا فان قلت لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت انه بدل
قلت لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان يكون مثله فان قلت ما ضرك
لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل قلت لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما
فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول • اف صوت يدل على تضجر • وقرئ اف بالحركات
الثلاث منونا وغير منون الكسر على اصل البناء والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم اتباع كمنذ • فان قلت
ما معنى عندك قلت هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك
اشق عليه واشد احتمالا واصبر وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولية فهو مأمور بان يستعمل معهما
وطاءة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما اذا اضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مؤنتهما اف فضلا عما
يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء
بهما معا وضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته
ومع احوال لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة • ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك
والنهر والنهي والنهم اخوات • وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا كما يقتضيه حسن الادب والنزول على
المروءة • وقيل هو ان يقول لهما يا ابتاه يا اماه كما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام يا ابت مع كفره ولا يدعوهما باسمائهما لانه
من الجفاء وسوء الادب وعادة الدعار قالوا ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني ابو بكر كذا
• وقرئ جناح الذل والذل بالضم والكسر • فان قلت ما معنى جناح الذل قلت فيه وجهان احدهما
ان يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل او الذل كما اضيف حاتم
الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل او الذلول • والثاني ان تجعل لذله او لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد
للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما • من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما

وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك ❊ فان قلت الاسترحام لهما لا يجوز اذا كانا كافرين ❊ قلت اذا كانا كافرين فله ان يسترحمهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ ❊ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شيء انفع له من الاستغفار ولو كان شيء افضل منه لامركم به في الابوين ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما ❊ وروي يفعل البار ما شاء ان يفعل فلن يدخل النار ❊ ويفعل العاق ما شاء ان يفعل فلن يدخل الجنة ❊ وروى سعيد بن المسيب البار لا يموت ميتة سوء ❊ وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي قد بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما ❊ وشكى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا هو شيخ يتوكا على عصى فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي واليوم انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى عليه الصلوة والسلام وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك انت ومالك لابيك قالها مرتين ❊ وشكى اليه آخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جزيتها ولو طلقة ❊ وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه رأى رجلا في الطواف يحمل امه ويقول ❊ ان لها مطية لا تذعر ❊ اذا الركاب نفرت لا تنفر ❊ ما حملت وارضعتني اكثر ❊ والله ربي ذو الجلال الاكبر ❊ تظنني جزيتها يا ابن عمر ❊ قال لا ولو زفرة واحدة ❊ وعنه عليه الصلوة والسلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة توجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين ❊ وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر وياخذ الاناء منه اذا شربها ❊ وعن ابي يوسف اذا امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير اوقد ❊ وعن حذيفة انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل ابيه وهو في صف المشركين فقال دعه يليه غيرك ❊ وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل ❊ وسئل بعضهم فقال ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اودائهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه ❊ بما في نفوسكم بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير ❊ ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر او لحمية الاسلام هنة تؤدي الى اذاهما ثم انبتم الى الله واستغفرتم منها فان الله غفور للاوابين اي التوابين ❊ وعن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير ❊ وعن سعيد بن المسيب الاواب الرجل كلما اذنب بادر بالتوبة ❊ ويجوز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره ❊ وآت ذا القربى حقه وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهما ان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ابي حنيفة رحمه الله والشافعي رحمه الله لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين فحسب فان كانوا مياسير او لم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك ❊ والمسكين وابن السبيل يعني وآت هؤلاء حقهم من الزكوة وهذا دليل

على ان المراد بما يؤتى ذوي القرابة من الحق هو تعهدهم بالمال ❊ وقيل اراد بذي القربى اقرباء رسول الله صلى الله عليه وسلم التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها فامر الله بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف ❊ وعن عبد الله هو انفاق المال في غير حقه ❊ وعن مجاهد لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا ❊ وقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقيل له لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير ❊ وعن عبد الله بن عمر مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على سعد وهو يتوضا فقال ما هذا السرف يا سعد قال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ❊ اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لانه لا اشر من الشيطان او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الاسراف او هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد ❊ وكان الشيطان لربه كفورا فما ينبغي ان يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله ❊ وقرأ الحسن اخوان الشيطان ❊ وان اعرض عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ❊ فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين اذا سالوك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء ❊ وقوله ابتغاء رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة عليهم وتطييبا لقلوبهم ❊ ابتغاء رحمة من ربك اي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم واما ان يتعلق بالشرط اي وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ❊ ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه ❊ يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول ❊ وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر اي دعاء فيه يسر ❊ هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف وامر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير ❊ فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت ❊ محسورا منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسألة ❊ وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا فاذن بلال وانتظروا فلم يخرج الى الصلوة ❊ وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصين فجاء عباس بن مرداس وانشأ يقول ❊ اتجعل نهبي ونهب العبيد ❊ بين عيينة والاقرع ❊ وما كان حصن ولا حابس ❊ يفوقان مرداس في مجمع ❊ وما كنت دون امرئ منهما ❊ ومن تضع اليوم لا يرفع ❊ فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلت ❊ سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الضيقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيئته في بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ❊ ويجوز ان يريد ان القبض والبسط انما هما من امر الله الذي الخزائن في يده فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا ❊ ويحتمل انه عز وعلا يبسط لعباده او يقبض فانه يراعي اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط عليه غاية مراده ولا بالمقبوض عليه غاية مكروهه فاستنوا بسنته

ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ❊ ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ❊ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا ❊ ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا ❊ واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تاويلا

ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا • ولا تمش في الارض مرحا
انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا • كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها • ذلك مما اوحى اليك
ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا • افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ
من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما • قتلهم اولادهم وادهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة
وهي الاملاق فنهاهم الله وضمن لهم ارزاقهم • وقرئ خشية بكسر الخاء • وقرئ خطأ وهو الاثم يقال خطئ خطأ
كاثم اثما وخطأ وهو ضد الصواب اسم من اخطأ وقيل هو والخطء كالحذر والحذر • وخطاء بالكسر والمد •
وخطاء بالفتح والمد • وخطا بالفتح والسكون • وعن الحسن بالفتح وحذف الهمزة كالخب • وعن ابي رجاء بكسر الخاء
غير مهموز • فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح • وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو ان يغصب على غيره
امرأته او اخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله • الا بالحق الا باحدى ثلاث
الا بان تكفر او تقتل مؤمنا عمدا او تزني بعد احصان • مظلوما غير راكب واحدة منهن • لوليه للذي بينه وبينه
قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه • سلطانا تسلطا على القاتل في الاقتصاص
منه او حجة يثبت بها عليه • فلا يسرف الضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة
الجاهلية كانوا اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن عباد • بؤ
بشسع نعل كليب • وقال كل قتيل في كليب غرة • حتى ينال القتل آل مرة • وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن
بواء • وقيل الاسراف المثلة • وقرأ ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى الامر
وفيه مبالغة ليست في الامر • وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول • وقرئ فلا تسرف على خطاب الولي او قاتل
المظلوم • وفي قراءة ابي فلا تسرفوا رده على ولا تقتلوا • انه كان منصورا الضمير اما للولي يعني حسبه ان الله
قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبان الله نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على
استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه • واما للمظلوم لان الله تعالى ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره في
الآخرة بالثواب • واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف • بالتي هي
احسن بالخصلة او بالطريقة التي هي احسن وهي حفظه عليه وتثميره • ان العهد كان مسؤولا مطلوبا يطلب
من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به • ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث
كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت • ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤولا • وقرئ بالقسطاس بالضم والكسر
وهو القرسطون • وقيل كل ميزان صغر او كبر من موازين الدراهم وغيرها • واحسن تأويلا واحسن عاقبة
وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه • ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا اثره وقافه ومنه القافة
يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو ضال
والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع
لما لا يعلم صحته من فساده • وعن ابن الحنفية شهادة الزور • وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك
فتقول هذا يفعل كذا ورأيته يفعل وسمعته ولم تر ولم تسمع • وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث
من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج • وانشد • ومثل الدمى شم العرانين
ساكن • بهن الحياء لا يشعن التقافيا • اي التقاذف • وقال الكميت • ولا ارمي البريء بغير ذنب • ولا
اقفو الحواصن ان قفينا • وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع
غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل به • اولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد كقوله • والعيش بعد اولئك
الايام • وعنه في موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد منها كان مسؤولا عنه فمسؤول مسند الى الجار والمجرور
كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لا يحل

لك النظر اليه ولم عزمت على ما لا يحل لك العزم عليه • وقرئ والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة
في الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتح • مرحا حال اي ذا مرح • وقرئ مرحا • وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل
لما فيه من التأكيد • لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك • وقرئ لن تخرق بضم الراء
ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال • قرئ سيئة وسيئه على اضافة سيء الى ضمير كل • وسيئا
في بعض المصاحف وسيئات • وفي قراءة ابي بكر الصديق رضي الله عنه كان شأنه • فان قلت كيف قيل سيئة
مع قوله مكروها • قلت السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه
ولا فرق بين من قرأ سيئة ومن قرأ سيئا الا ترى انك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها
الى مذكر ومؤنث • فان قلت فما ذكر من الخصال بعضها سيئ وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالاضافة
اي ما كان من سيئه • قلت كل ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة • ذلك اشارة
الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى هذه الغاية وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه
وعن ابن عباس رضي الله عنه هذه الثماني عشرة آية كانت في الواح موسى عليه الصلوة والسلام • اولها لا تجعل مع
الله الها آخر قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التوراة ولقد جعل الله عز وعلا
فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمة وعلومه وان
بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء • وما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم • افاصفاكم
خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله تعالى والهمزة للانكار يعني افخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بافضل الاولاد
وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ ادونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم
وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون باجود الاشياء واصفاها من الشوب ويكون اردأها وادونها للسادات
• انكم لتقولون قولا عظيما باضافتكم اليه الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم
حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بان تجعلوا الملائكة وهم اعلى خلق الله واشرفهم ادون خلق الله وهم الاناث
ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا • قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا
لابتغوا الى ذي العرش سبيلا • سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا • تسبح له السموات السبع
والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا •
ولقد صرفنا في هذا القرآن يجوز ان يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره
والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى واوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز ان يشير
بهذا القرآن الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم
• وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا • وقرئ ليذكروا اي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا
الى ما يحتج به عليهم • وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة اليه • وعن سفيان كان اذا قرأها قال
زادني لك خضوعا ما زاد اعداءك نفورا • اذا لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو • ومعنى لابتغوا
الى ذي العرش سبيلا لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
وقيل لتقربوا اليه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة • علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة
من ذلك والنزاهة • ومعنى وصفه بالعلو الكبير المبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به
والمراد انها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكأنها تنطق بذلك وكأنها تنزه الله
عز وجل مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها • فان قلت فما تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح
مفهوم • قلت الخطاب للمشركين وهم وان كانوا اذا سئلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم لما جعلوا

معه آلهة مع إقرارهم فكأنهم لم ينظروا ولم يقروا لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت خلاف ما كانوا
عليه فإذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق • فإن قلت من فيهن يسبحون على الحقيقة
وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والأرض فما وجهه • قلت التسبيح المجازي حاصل في الجميع
فوجب الحمل عليه لئلا يكون اللفظة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز • إنه كان حليما غفورا حين
لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم • وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك
وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا • وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم
وقرا • وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا • نحن أعلم بما يستمعون به إذ
يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا • انظر كيف ضربوا لك
الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا • وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا
قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة
فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا • يوم يدعوكم فتستجيبون
بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا • حجابا مستورا ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو إفعام • وقيل هو حجاب
لا يرى فهو مستور • ويجوز أن يراد أنه حجاب من دونه حجاب أو حجب فهو مستور بغيره أو حجاب يستر أن يبصر المحجوب به وهذه
حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كأنه قال
وإذا قرأت القرآن جعلنا على زعمهم • أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه أو لأن قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة فيه معنى
المنع من الفقه فكأنه قيل ومنعناهم أن يفقهوه • يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة
ووحده من باب رجع عوده على بدئه وافعل جهدك وطاقتك في أنه مصدر ساد مسد الحال أصله يحد
وحده بمعنى واحدا وحده • والنفور مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعد وقعود أي يحبون أن تذكر
آلهتهم لأنهم مشركون فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا • بما يستمعون به من الهزء بك وبالقرآن ومن اللغو كان يقوم
عن يمينه إذا قرأ رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه
بالأشعار • وبه في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء أي هازئين • وإذ يستمعون نصب بأعلم أي أعلم وقت
استماعهم بما به يستمعون • وإذ هم نجوى وبما يتناجون به إذ هم ذوو نجوى • إذ يقول بدل من إذ هم مسحورا
سحر فجن • وقيل هو من السحر وهو الرئة أي هو بشر مثلكم • ضربوا لك الأمثال مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون
فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في أمره لا يدري ما يصنع
• لما قالوا أإذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة أو حديدا فرد قوله كونوا على قولهم كنا كأنه قيل كونوا حجارة أو
حديدا ولا تكونوا عظاما فإنه يقدر على إحيائكم والمعنى أنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ويرده إلى
حال الحياة وإلى رطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع أن العظام بعض أجزاء الحي بل هي عمود
خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع أن يردها الله بقدرته إلى الحالة الأولى ولكن لو كنتم أبعد شيء من
الحياة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو أن تكونوا حجارة يابسة أو حديدا مع أن طباعها الجساوة
والصلابة لكان قادرا على أن يردكم إلى حال الحياة • أو خلقا مما يكبر في صدوركم يعني أو خلقا مما يكبر عندكم عن
قبول الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق إحياؤه فإنه يحييه • وقيل ما يكبر في صدوركم الموت • وقيل السموات
والأرض • فسينغضون فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء • والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم
فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون • وقوله بحمده حال منهم أي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم
للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه وأنت حامد شاكر يعني أنك تحمل وتقسر عليه
حتى إنك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه • وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون

سبحانك

سبحانك اللهم وبحمدك • وتظنون وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما
أو بعض يوم • وعن قتادة تحاقرت الدنيا في أنفسهم حين عاينوا الآخرة • وقل لعبادي يقولوا التي هي
أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا • ربكم أعلم بكم إن يشأ
يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا • وربك أعلم بمن في السموات والأرض ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا • قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون
كشف الضر عنكم ولا تحويلا • أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويخافون
عذابه إن عذاب ربك كان محذورا • وقل لعبادي وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي أحسن وألين
ولا يخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتي هي أحسن وفسر التي هي أحسن بقوله ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ
يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم إنكم من أهل النار وإنكم معذبون وما أشبه ذلك مما
يغيظهم ويهيجهم على الشر • وقوله إن الشيطان ينزغ بينهم اعتراض يعني يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على
بعض ليقع بينهم المشادة والمشاقة • وما أرسلناك عليهم وكيلا أي ربا موكولا إليك أمرهم تقسرهم على
الإسلام وتجبرهم عليه وإنما أرسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر أصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة
والمكاشفة وذلك قبل نزول آية السيف • وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فأمره الله بالعفو
ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون • وقيل أفرط إيذاء المشركين للمسلمين فشكوا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت • وقيل الكلمة التي هي أحسن أن يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله • وربك أعلم رد على أهل مكة
في إنكارهم واستبعادهم أن يكون يتيم أبي طالب نبيا وأن يكون العراة الجوع أصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم
دون أن يكون ذلك في بعض أكابرهم وصناديدهم يعني وربك أعلم بمن في السموات والأرض وبأحوالهم وبما
يستأهل كل واحد منهم • وقوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض إشارة إلى تفضيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم • وقوله وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وأنه خاتم الأنبياء وأن أمته خير الأمم
لأن ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون
وهم محمد وأمته • فإن قلت هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور • قلت يجوز أن
يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وأن يريد وآتينا داود بعض الزبر وهي الكتب وأن يريد
ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزبور فسمي ذلك زبورا لأنه بعض الزبور كما سمي بعض القرآن قرآنا • هم
الملائكة وقيل عيسى ومريم وعزير • وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا أي ادعوهم
فهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب ولا أن يحولوه من واحد إلى آخر أو يبدلوه
وأولئك مبتدأ والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعني أن آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة إلى
الله عز وجل • وأيهم بدل من واو يبتغون وأي موصولة أي يبتغي من هو أقرب منهم وأزلف • الوسيلة إلى الله
فكيف بغير الأقرب أو ضمن يبتغون معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله وذلك بالطاعة
وازدياد الخير والصلاح • ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة • إن عذاب ربك
كان حقيقا بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم • وإن من قرية إلا نحن مهلكوها
قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا • وما منعنا أن نرسل
بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات
إلا تخويفا • وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة
للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا • نحن مهلكوها بالموت والاستئصال
أو معذبوها بالقتل وأنواع العذاب • وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة • وعن مقاتل وجدت

في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها أما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف وأما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا • في الكتاب في اللوح المحفوظ • استعير المنع لترك إرسال الآيات من أجل صارف الحكمة وأن الثانية منصوبة وتقديره وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين والمراد الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن إحياء الموتى وغير ذلك وعادة الله في الأمم أن من اقترح منهم آية فأجيب إليها ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال فالمعنى وما صرفنا عن إرسال ما يقترحونه من الآيات إلا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا العذاب المستأصل وقد عزمنا أن نؤخر أمر من بعثت إليهم إلى يوم القيمة • ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الأولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لأن آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم • مبصرة بينة • وقرئ مبصرة بفتح الميم • فظلموا بها فكفروا بها • وما نرسل بالآيات إن أراد بها الآيات المقترحة فالمعنى ما نرسلها إلا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فإن لم يخافوا وقع عليهم • وإن أراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها • إلا تخويفا وإنذارا بعذاب الآخرة • وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس واذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كأن قد كان ووجد فقال أحاط بالناس على عادته في إخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش مع أبي بكر رضي الله عنه كان يدعو ويقول اللهم إني أسألك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى أراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم وهو يومئ إلى الأرض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر بدر وما أري في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويستسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله إن شجرة الزقوم طعام الأثيم جعلوها سخرية وقالوا إن محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما أنكروا أن يجعل الله الشجر من جنس لا تأكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل إذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحمى كالجمر بإحماء النار فلا تضرها • ثم أقرب من ذلك أنه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما أنكروا أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها • والمعنى أن الآيات إنما نرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما أريناك في منامك بعد الوحي إليك إلا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا • وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما أثر فيهم • ثم قال ونخوفهم أي نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة فما يزيدهم التخويف إلا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بإرسال ما يقترحون من الآيات • وقيل الرؤيا في الإسراء وبه تعلق من يقول كان الإسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية • وقيل إنما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل إليك استبعادا منهم كما سمى أشياء بأساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ إلى آلهتهم انظر إلى إلهك ذق إنك أنت العزيز الكريم • وقيل هي رؤياه أنه سيدخل مكة • وقيل رأى في المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة • **فإن قلت** أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن • **قلت** لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لأن الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وإنما وصفت بلعن أصحابها على المجاز • وقيل وصفها الله باللعن لأن اللعن الإبعاد من الرحمة وهي في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة • وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون • وسألت بعضهم فقال نعم الطعام

الملعون

الملعون القتب المحرق • وعن ابن عباس رضي الله عنه هي الكشوث التي تلتوي بالشجر تجعل في الشراب • وقيل هي الشيطان • وقيل أبو جهل • وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على أنها مبتدأ محذوف الخبر كأنه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك • وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا • قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيمة لأحتنكن ذريته إلا قليلا • قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا • واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا • إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا • طينا حال إما من الموصول والعامل فيه أسجد على أأسجد له وهو طين أي أصله طين أو من الراجع إليه من الصلة على أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينا • أرأيتك الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته علي أي فضلته لم كرمته علي وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال • لئن أخرتن واللام موطئة للقسم المحذوف • لأحتنكن ذريته لأستأصلنهم بالإغواء من احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم أحنك الشاتين أي آكلهما • **فإن قلت** من أين علم أن ذلك يتسهل له وهو من الغيب • **قلت** إما أن سمعه من الملائكة صلوات الله عليهم وقد أخبرهم الله به أو خرج ذلك من قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها أو نظر إليه فتوسم في مخايله أنه خلق شهواني • وقيل قال ذلك لما علمت وسوسته في آدم صلى الله عليه وسلم والظاهر أنه قال ذلك قبل أكل آدم من الشجرة • اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء وإنما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره في قوله فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم كما قال موسى صلى الله عليه وسلم للسامري اذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس • **فإن قلت** أما كان من حق الضمير في الجزاء أن يكون على لفظ الغيبة ليرجع إلى من تبعك • **قلت** بلى ولكن التقدير فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز أن يكون للتابعين على طريقة الالتفات وانتصب جزاء موفورا بما في فإن جهنم جزاؤكم من معنى تجازون أو بإضمار تجازون أو على الحال لأن الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة • استفزه استخفه والفز الخفيف • وأجلب عليهم من الجلبة وهي الصياح • والخيل الخيالة ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي • والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب • وقرئ ورجلك على أن فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه أيضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس وأخوات لهما يقال رجل رجل • وقرئ ورجالك ورجالك بتشديد الجيم • **فإن قلت** ما معنى استفزاز إبليس بصوته وإجلابه بخيله ورجله • **قلت** هو كلام وارد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار وقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من أماكنهم ويقلقلهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم • وقيل بصوتك بدعائك إلى الشر • وخيله ورجله كل راكب وماش من أهل العبث • وقيل يجوز أن يكون لإبليس خيل ورجال • وأما المشاركة في الأموال والأولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والإنفاق في الفسوق والإسراف ومنع الزكاة والتوصل إلى الأولاد بالسبب الحرام ودعوى الولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحارث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والأعمال المحظورة وغير ذلك • وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالأنساب الشريفة والتسويف بالتوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من النار بعد أن يصيروا حمما وإيثار العاجل على الآجل • إن عبادي يريد الصالحين • ليس لك عليهم سلطان أي لا تقدر أن تغويهم • وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك ونحوه قوله إلا عبادك منهم المخلصين

القتب هو القتد والقتب الذي خالطه قتدر متن الغائق م

فلما كان ربما مكتوبا بخط المصنف كما في المتن بغير واو ع

فان قلت كيف جاز ان يأمر الله تعالى ابليس ان يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير قلت هو من الاوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم • ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما • واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا • افأمنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا • ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا • يزجي يجري ويسير والضر خوف الغرق • ضل من تدعون الا اياه ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في هذا الوقت ولا تعتمدون برحمته رجاءكم ولا تخطرون ببالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم • او لم يهتد للانقاذ كل واحد غيره من سائر المدعوين • ويجوز ان يراد ضل من تدعون من الآلهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحمل على الاستثناء المنقطع • افأمنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان قلت بم انتصب جانب البر قلت بيخسف مفعولا به كالارض في قوله فخسفنا به وبداره الارض • وبكم حال والمعنى ان يخسف جانب البر اي يقلبه وانتم عليه فان قلت فما معنى ذكر الجانب قلت معناه ان الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان او بحرا سبب مرصد من اسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت الثرى كما ان الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان • او يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء يعني او ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون اشد عليكم من الغرق في البحر • وكيلا يصرف ذلك عنكم • ام امنتم ان يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ان ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر وقيل التي لا تمر بشيء الا قصفته • فيغرقكم وقرئ بالياء اي الريح وبالنون وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم قرئت بالياء والنون • التبيع المطالب من قوله تعالى فاتباع بالمعروف اي مطالبة قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع • يقال فلان على فلان تبيع بحقه اي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجدوا لكم احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها • بما كفرتم بكفرانكم النعمة يريد اعراضهم حين نجاهم • ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا • قيل في تكرمة بني آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم • وقيل كل شيء يأكل بفيه الا ابن آدم • وعن الرشيد انه احضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس في قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم اصابع يأكلون بها فاحضرت الملاعق فردها واكل باصابعه • على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة صلوات الله عليهم وحسب بني آدم تفضيلا ان ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله امرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا اين اسكنهم وانى قربهم وكيف نزلهم من انبيائه منزلة انبيائه من اممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى ان

لفقوا

لفقوا اقوالا واخبارا منها قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان • ورووا عن ابي هريرة انه قال المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده • ومن ارتكابهم انهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على ان معنى قولهم على جميع ممن خلقنا اشجى لحلوقهم واقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تمحلهم وتشبثهم بالتأويلات البعيدة في عداوة الملأ الاعلى كان جبريل غاظهم حين اهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم • يوم ندعوا كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا • ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا • قرئ يدعوا بالياء والنون ويدعى كل اناس على البناء للمفعول • وقرأ الحسن يدعو على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو والظرف نصب باضمار اذكر • ويجوز ان يقال انها علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لانها غير ضمير ليست الا علامة • بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا وكتاب كذا • وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر • وفي قراءة الحسن بكتابهم • ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيامة بامهاتهم وان الحكمة في الدعاء بالامهات دون الآباء رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه ام بهاء حكمته • فمن اوتي من هؤلاء المدعوين كتابه بيمينه فاولئك يقرءون كتابهم قيل اولئك لان من اوتي في معنى الجمع فان قلت لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم كان اصحاب الشمال لا يقرءون كتابهم قلت بلى ولكن اذا اطلعوا على ما في كتابهم اخذهم ما يأخذ المطالب الذي على جناياتهم والاعتراف بمساويه امام التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل والانخزال وتحبسه اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكان قراءتهم كلا قراءة • واما اصحاب اليمين فامرهم على عكس ذلك لا جرم انهم يقرءون كتابهم احسن قراءة وابينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم اقرءوا كتابيه • ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شيء • ومن كان في هذه الدنيا اعمى فهو في الآخرة اعمى كذلك لا يهتدي الى طريق النجاة • واضل سبيلا من الاعمى • وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا • ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا • اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا • روي ان ثقيفا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا ... فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله صلى الله عليه

فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه وقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا
نكلمك انما نكلم محمدا فنزلت ○ وروي ان قريشا قالوا اجعل آية رحمة مكان آية عذاب وآية عذاب
مكان آية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت ○ وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام هي
الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن الذي
اوحينا اليك من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد ○ لتفتري علينا لتتقول علينا ما لم نقل يعني
ما اقترحوه عليك من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من ان يضيف الي ما لم
ننزل عليه ○ واذا لاتخذوك خليلا اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي
○ ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك وعصمتنا ○ لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل الى خدعهم
ومكرهم وهذا تهييج من الله تعالى له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين ○ اذن لقاربت تركن اليهم
ادنى ركنة فاقلها ○ لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي لاذقناك عذاب الاخرة وعذاب القبر
مضاعفين فان قلت كيف حقيقة هذا الكلام قلت اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب
الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حيوة الآخرة وهو عذاب النار
والضعف يوصف به نحو قوله تعالى فآتهم عذابا ضعفا من النار يعني مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك
عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم
اضيف الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات
ويجوز ان يراد بضعف الحيوة عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار
والمعنى اذن لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت ○ وفي ذكر الكيدودة
وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على ان القبيح يعظم قبحه
بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد رضوان الله عليهم نسبة
المجبرة الى الله القبائح تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على ان ادنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن
ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا هذه الآية ان يجثو عندها ويتدبرها وهي جديرة
بالتدبر وبان يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله ○ وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ○ وان كادوا وان كاد اهل مكة ○ ليستفزونك ليزعجونك
بعداوتهم ومكرهم ○ من الارض من ارض مكة ○ واذا لا يلبثون لا يبقون بعد خروجك ○ الا قليلا الا زمانا قليلا فان الله
مهلكهم وكان كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو اخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة ابيهم ولم
يخرجوه بل هاجر بامر ربه ○ وقيل من ارض العرب وقيل من ارض المدينة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء انما بعثوا
بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابراهيم فلو خرجت الى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد
علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى
الله عليه وسلم على اميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على
الخروج الى الشام حرصا على دخول الناس في دين الله فنزلت فرجع ○ وقرئ لا يلبثون وفي قراءة ابي لا
يلبثوا على اعمال اذا ○ فان قلت ما وجه القراءتين قلت اما الشائعة فقد عطف فيها الفعل
على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابي ففيها الجملة
برأسها التي هي اذن لا يلبثوا عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك ○ وقرئ خلافك قال الشاعر عفت
الديار خلافهم فكانما ○ بسط الشواطب بينهن حصيرا ○ اي بعدهم سنة من قد ارسلنا قبلك من

رسلنا

رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا ○ اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان
مشهودا ○ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ○ وقل رب ادخلني مدخل
صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ○ وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل
كان زهوقا ○ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ○
واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا ○ قل كل يعمل على شاكلته
فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا ○ سنة من قد ارسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة
الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة ○ لدلوك الشمس غروبها وقيل زوالها ○ وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان الانسان
يدلك عينه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرجت
منها الظهر والعصر ○ والغسق الظلمة وهو وقت صلاة العشاء ○ وقرآن الفجر صلاة الفجر سميت قرآنا وهي القراءة لانها
ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا ويحتج به على ابن علية والاصم في زعمهما
ان القراءة ليست بركن ○ مشهودا تشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل واول ديوان النهار
او يشهده الكثير من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ○ ويجوز ان يكون وقرآن
الفجر حثا على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت
الفجر اطول الصلوات قراءة ○ ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلوة ونحو التاثم
والتحرج يقال تهجد في النوم وتهجد ○ نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا
لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة
فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم ○ مقاما محمودا نصب على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيمة
فيقيمك مقاما محمودا ○ او ضمن يبعثك معنى يقيمك ○ ويجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود
ومعنى المقام الذي يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات ○ وقيل
المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله ○ وعن ابن عباس رضي الله عنه مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون
وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك ○ وعن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ○ وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد فلا تتكلم نفس فاول
مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين
يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا ○ وقرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح ادخلني فادخل مدخل صدق
اي ادخلني القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجا
مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث ○ وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة
والاخراج من مكة ○ وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين ○ وقيل ادخاله
الغار واخراجه منه سالما ○ وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه
من غير تفريط ○ وقيل الطاعة ○ وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر ومكان ○ سلطانا حجة
تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فاجيبت دعوته بقوله والله يعصمك
من الناس فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس
والروم فيجعله له ○ وعنه صلى الله عليه وسلم انه استعمل عتاب بن اسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك
على اهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلوة في جماعة الا ضربت عنقه

فانه لا يتخلف عن الصلوة الا منافق فقال اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا
فقال صلى الله عليه وسلم اني رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها
قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام لنصرته للمسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير
كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت لقبائل العرب يحجون اليها
وينحرون لها فشكى البيت الى الله فقال اي رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله الى البيت اني ساحدث
لك توبة جديدة فاملؤك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك
بالتلبية ولما نزلت يوم الفتح قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتي صنما صنما وهو ينكت
بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة
وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل
مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا اسحر من محمد هذا وحكاية البيت والوحي اليه تمثيل وتخييل وزهق الباطل
وذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت والحق الاسلام والباطل الشرك كان زهوقا كان مضمحلا غير ثابت
في كل وقت وننزل قرئ بالتخفيف والتشديد من القرآن من للتبيين كقوله من الاوثان او للتبعيض اي كل شيء
ننزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزيد الظالمين الا خسارا
اي نقصانا لتكذيبهم وكفرهم به كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة
اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه مستبد بنفسه ونأى بجانبه تاكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء ان
يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المتكبرين
واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل كان يؤوسا شديد اليأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء في رأى ويجوز ان يكون من ناء بمعنى نهض
قل كل يعمل على شاكلته اي على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو
شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل عليه قوله فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اسد مذهبا وطريقة
ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ولئن شئنا لنذهبن بالذي
اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولقد صرفنا للناس في هذا
القرآن من كل مثل فابى اكثر الناس الا كفورا الاكثر على انه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله
اي مما استأثر بعلمه وعن ابن بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحاني
اعظم من الملك وقيل جبريل وقيل القرآن ومن امر ربي اي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود الى
قريش ان سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض
وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم وما
اوتيتم الخطاب عام وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب
ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة
تدوران مع الاضافة فيوصف الشيء بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها العبد
خير كثير في نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهي قليلة وقيل الخطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم قد اوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة

قليل في

قليل في جنب علم الله لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جواب الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم
والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدري
ما الكتاب ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من تتوكل عليه باسترداده واعادته محفوظا مسطورا
الا رحمة من ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليك بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع
بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا
بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام
بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنته عليه ببقاء المحفوظ وعن ابن
مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا
دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا و
اثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس
منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب لا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز
ان يكون جوابا للشرط كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا اي لو تظاهروا على ان
يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه وفيهم العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان
بمثله والعجب من النوابت ومن يزعم ان القرآن قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون العجز حيث تكون القدرة
فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه واما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل
لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف
بالقدرة على المحال الا ان راس مالهم المكابرة وقلب الحقائق ولقد صرفنا رددنا وكررنا من كل مثل من كل معنى
هو كالمثل في غرابته وحسنه والكفور الجحود فان قلت كيف جاز فابى اكثر الناس الا كفورا ولم
يجز ضربت الا زيدا قلت لان ابى متأول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا ولما تبين اعجاز القرآن وانضمت
اليه المعجزات الاخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج
المتحير في امره فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل
وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتي بالله والملائكة
قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان
ربي هل كنت الا بشرا رسولا تفجر تفتح وقرئ تفجر بالتخفيف من الارض يعنون ارض مكة ينبوعا عينا
غزيرة من شأنها ان تنبع بالماء لا تنقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء كما زعمت يعنون قول الله تعالى
ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء وقرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر
وقطعة وقطع قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى او تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله كنت منه
ووالدي بريا فاني وقيار بها لغريب او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او
نرى ربنا او جماعة حالا من الملائكة من زخرف من ذهب في السماء في معارج السماء فحذف المضاف يقال
رقي في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك ولن نؤمن لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه
تصديقك عن ابن عباس رضي الله عنه قال عبد الله بن ابي امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه
وانا انظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون لك ان الامر كما تقول وما
كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وجل ولو نزلنا
عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ولجحدوا الآية الباقية التي هي
القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن الى نقضها سبيل قل سبحان ربي وقرئ

قال سبحان ربي اي قال الرسول • وسبحان ربي تعجب من اقتراحهم عليه • هل كنت الا بشرا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم
وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس امر الآيات الي انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها

وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا • قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا • قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا • ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا • ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا •

ان الاولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له • والهدى الوحي اي وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر والهمزة في ابعث الله للانكار وما انكروه فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله او الى الانبياء ثم قرر ذلك بانه لو كان في الارض ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين ساكنين في الارض قارين • لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم •
فان قلت هل يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت وجه حسن والمعنى له اجوب • شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم • انه كان بعباده وللمنذرين خبيرا عالما باحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفرة • وشهيدا تمييز او حال • ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف به • فهو المهتدي لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه • ومن يضلل ومن يخذل • فلن تجد لهم اولياء انصارا • على وجوههم كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم • وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال الذي امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم • عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى • ويجوز ان يحشروا مؤوفي الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم في موضع آخر انهم يقرؤون ويتكلمون • كلما خبت كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك في تحسيرهم على تكذيبهم بالبعث ولانه ادخل في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى قوله ائنا لمبعوثون خلقا جديدا •

اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا • قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا • ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا • قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر واني لاظنك يا فرعون مثبورا •

فان قلت علام عطف قوله وجعل لهم اجلا قلت على قوله اولم يروا لان المعنى قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما قال ءانتم اشد خلقا ام السماء • وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت او القيامة فابوا مع وضوح الدليل الا جحودا • لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها في لو انتم تملكون وتقديره لو تملكون تملكون فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل

الذي

الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم • لو ذات سوار لطمتني • وقول المتلمس • ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي • وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه • ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم • وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والانهار وغيرها يعني لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها • قتورا بخيلا •
فان قلت هل يقدر لامسكتم مفعول قلت لا لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك • عن ابن عباس رضي الله عنه هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرائيل • وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سأل محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور نصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة • وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبني اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت • فسأل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم معك ويدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش • وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام واصحابه عن الآيات لتزداد يقينا وطمأنينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي •
فان قلت بم تعلق اذ جاءهم قلت اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم حين جاءهم او بسال في القراءة الثانية واما على الاخير فبآتينا او باضمار اذكر او يخبروك • ومعنى اذ جاءهم اذ جاء آباءهم • مسحورا سحرت فخولط عقلك • لقد علمت يا فرعون • ما انزل هؤلاء الآيات الا الله عز وجل • بصائر بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا • وقرئ علمت بالضم على معنى اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا وظني اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة امري اني لاظنك مسحورا قول كذاب • وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولك ما ثبرك عن هذا الامر اي ما منعك وصرفك • وقرأ ابي بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة •

فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا • وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا • وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا • وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا • قل آمنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا • ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا •

فاراد فرعون ان يستخف موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه • اسكنوا الارض التي اراد فرعون ان يستفزكم منها • فاذا جاء وعد الآخرة يعني قيام الساعة • جئنا بكم لفيفا جميعا مختلطين

اياكم واياهم ثم يحكم بينكم ويميز بين سعدايكم واشقيايكم • واللفيف الجماعات من قبايل شتى • وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير او وما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين • وما ارسلناك الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين ونحو ذلك • وقرآنا منصوب بفعل يفسره فرقناه • وقرا ابي فرقناه بالتشديد اي جعلنا نزوله مفرقا منجما • وعن ابن عباس انه قراه مشددا وقال لم ينزل في يومين او ثلاثة بل كان بين اوله وآخره عشرون سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب • على مكث بالفتح والضم على تمهل وتؤدة وتثبت • ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث • قل آمنوا به او لا تؤمنوا امر بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشانهم وان لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه وانهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين قرءوا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا • ويزيدهم خشوعا اي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين • **فان قلت** الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا **قلت** يجوز ان يكون تعليلا لقوله آمنوا به او لا تؤمنوا وان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب نفسه كانه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء • وعلى الاول ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم • **فان قلت** ما معنى الخرور للاذقان **قلت** السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد اول ما يلقى به الارض من وجهه الذقن • **فان قلت** حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه • قال الشاعر فخر صريعا لليدين وللفم **قلت** معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص • **فان قلت** لم كرر يخرون للاذقان **قلت** لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين •

قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا • وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا •

عن ابن عباس رضي الله عنه سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو اله آخر • وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت • والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم تترك احدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا • والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى واو للتخيير فمعنى ادعوا الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا واما هذا • والتنوين في ايا عوض من المضاف اليه • وما صلة للابهام المؤكد في اي اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم • فله الاسماء الحسنى والضمير في فله لا يرجع الى احد هذين الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته عز وعلا لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها • ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم • بصلاتك بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة افعال واذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته • والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين • ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك • وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا • وروي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ويقول انا اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان

عمر رضي

عمر رضي الله عنه يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا • وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار • وقيل بصلاتك بدعائك • وذهب قوم الى ان الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية • وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجهة الوسطى في القراءة • ولي من الذل ناصر ومانع له من الذل لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته • **فان قلت** كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد **قلت** لان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد • وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما • لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا • وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا • فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا •

لقن الله عباده ووفقهم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم • ولم يجعل له عوجا ولم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة فيه • **فان قلت** بم انتصب قيما **قلت** الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة • **فان قلت** ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي احدهما غنى عن الآخر **قلت** فائدته التاكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من ادنى عوج عند السبر والتصفح • وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها • وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع • وقرئ قيما • انذر متعد الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا بأسا شديدا • والبأس من قوله بعذاب بئيس • من لدنه صادرا من عنده • وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون • ويبشر بالتخفيف والتثقيل • **فان قلت** لم اقتصر على احد مفعولي انذر **قلت** قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار في قوله وينذر الذين قالوا متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره • والاجر الحسن الجنة • ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء • **فان قلت** ما معنى ولا لآبائهم **قلت** معناه ولا لآبائهم الذين قلدوهم • كبرت كلمة ... وقرئ كبرت كلمة بالرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة • شبههم واياه صلى الله عليه وسلم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم

به انفسهم من المنكرات لانما لكون ان تشفقوا به وبطالعوا الشقة بهم بل يكفيهم تغلب منشوة من الظهارة فكيف
بمثل هذا المنكر • وقرئ كبرت بتسكين الباء مع اشمام الضمة • فان قلت الام رجع الضمير في كبرت قلت
الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة كلمة • شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما
تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع
نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم • وقرئ باخع نفسك على الاصل وباخع نفسك على الاضافة اي قاتلها
ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرأ ان لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرأ أن لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا • بهذا الحديث
بالقرآن اسفا مفعول له اي لفرط الحزن • ويجوز ان يكون حالا • والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال
رجل اسيف واسف • انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا •
ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا • اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا
من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا • ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف
الدنيا وما يستحسن منها • لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل
اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة • صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان
كانت خضراء معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات
والاشجار ونحو ذلك • ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة
ذلك كله كأن لم يكن • ثم قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة
• والكهف الغار الواسع في الجبل • والرقيم اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت • وليس بها الا الرقيم مجاورا •
وصيدهم والقوم في الكهف همد • وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف • وقيل ان
الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل • وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف • وقيل الجبل • وقيل قريتهم • وقيل
مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين • كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا بالمصدر او على ذات عجب • من
لدنك رحمة اي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء • وهيئ لنا من امرنا الذي نحن
عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه • راشدين مهتدين • او اجعل امرنا رشدا كله كقولك
رأيت منك اسدا • فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا • ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما
لبثوا امدا • نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى • وربطنا على قلوبهم
اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا • هؤلاء قومنا
اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا • فضربنا على آذانهم
اي ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى المستثقل في نومه
يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة •
سنين عددا ذوات عدد فيحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من
نهار • وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج ان يعد واذا كثر احتاج الى ان يعد اي يتعين تعني الاشياء
فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه • وقرئ ليعلم وهو معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل
يعلم مضمون الجملة كما انه مفعول نعلم • اي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك
وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما
لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اي الحزبين المختلفين من غيرهم • واحصى فعل ماض اي ايهم ضبط امدا
لاوقات لبثهم • فان قلت فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل قلت ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه
من غير الثلاثي ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن

ممتنع فكيف

ممتنع فكيف به ولان امدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل فافعل لا يعمل واما ان ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى
فان زعمت اني انصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر في قوله • واضرب منا بالسيوف القوانسا • على نحو
القوانس فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره •
فان قلت كيف جعل الله تعالى العلم باحصائهم المدة غرضا في الضرب على آذانهم قلت الله عز وجل
لم يزل عالما بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون لطفا لمؤمني
زمانهم وآية بينة لكفاره • وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت • وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على
هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام •
اذ قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم • فقالوا ربنا
رب السموات والارض • شططا قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه اشط
في السوم وفي غيره • هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان واتخذوا خبر وهو اخبار في معنى انكار • لولا يأتون عليهم
هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف • بسلطان بين وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان
محال وهو دليل على فساد التقليد وانه لا بد في الدين من حجة حتى يصح ويثبت • افترى على الله كذبا بنسبة الشريك
اليه • واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم
مرفقا • وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم
في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا • واذ
اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم • وما يعبدون نصب عطف على الضمير
يعني واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبودهم • الا الله يجوز ان يكون استثناء متصلا على ما روي انهم كانوا
يقرون بالخالق ويشركون معه كما اهل مكة وان يكون منقطعا • وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن
الفتية انهم لم يعبدوا غير الله • مرفقا قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به اي ينتفع انما قالوا
ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان يخبرهم به نبي في عصرهم
واما ان يكون بعضهم نبيا • اصل تزاور تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاي او حذفها وقد قرئ بهما • وقرئ
تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه • والزور الميل عن
الصدق • ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين • تقرضهم تقطعهم لا تقربهم من معنى
القطيعة والصرم • قال ذو الرمة • الى ظعن يقرضن اقواز مشرف • شمالا وعن ايمانهن الفوارس
وهم في فجوة منه وهم في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها
ولا غروبها مع انهم في مكان منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله تعالى يحجبها عنهم • وقيل في
متسع من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار • ذلك من آيات الله اي ما صنعه
الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعني ان ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس
ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة • وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة ابدا ومعنى
ذلك من آيات الله ان شأنهم وحديثهم من آيات الله • من يهد الله ثناء عليهم بانهم جاهدوا
في الله واسلموا له وجوههم فلطف بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية
العظيمة وان كل من سلك طريقتهم فهو المهتدي الرشيد فهو الذي اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن تعرض
للخذلان فلن تجد له من يليه ويرشده بعد خذلان الله له • وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات
اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت
منهم رعبا • وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب لكل احد • والايقاظ جمع يقظ كانكاد في نكد • قيل عيونهم

متفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا • وقيل لكثرة تقلبهم • وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل
تقلبة واحدة في يوم عاشوراء • وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله عز وجل • وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا
وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم • وقرأ جعفر الصادق
رضي الله عنه وكالبهم اي صاحب كلبهم • باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في
معنى المضي واضافته اذا اضيف حقيقة معرفة ككلام زيد الا اذا نوي حكاية الحال الماضية • بالوصيد
بالفناء وقيل العتبة وقيل الباب • وانشد بارض فضاء لا يسد وصيدها • علي ومعروفي بها
غير منكر • وقرئ تملئت بتشديد اللام للمبالغة • وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء • ورعبا بالتخفيف
والتثقيل وهو الخوف الذي يرعب الصدر اي يملأه وذلك لما البسهم الله تعالى من الهيبة • وقيل لطول اظفارهم
وشعورهم وعظم اجرامهم • وقيل لوحشة مكانهم • وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف
لنا عنهم لنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا
ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى عليهم ريحا فاحرقتهم • وقرئ لو اطلعت بضم الواو • وكذلك بعثناهم
ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا
احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم
احدا • وكذلك بعثناهم وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا بقدرته على الاماتة والبعث جميعا ليسأل
بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا
ما انعم به عليهم وكرموا به • قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد
والقول بالظن الغالب وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطأ • قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم من بعضهم وان الله
اعلم بمدة لبثهم كان هؤلاء قد علموا بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله
• روي انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم
وشعورهم قالوا ذلك • فان قلت كيف وصلوا قولهم فابعثوا بتذكر حديث المدة قلت كانهم قالوا
ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم • والورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة
ومنه الحديث ان عرفجة اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فانتن فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يتخذ انفا من ذهب • وقرئ بورقكم بسكون الراء وقالوا مفتوحة او مكسورة • وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف
في الكاف • وعن ابن محيصن انه كسر الواو واسكن الراء وادغم وهذا اجابة لالتقاء الساكنين لا على حده • وقيل
المدينة طرسوس قال وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم فيه دليل على ان حمل النفقة وما يصلح
للمسافر هو راي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في اوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة
رضي الله عنها لمن سأل عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك نفقتك • وما حكي عن بعض صعاليك العلماء
انه كان شديد الحنين الى ان يرزق حج بيت الله ويقول من ذلك كانت مياسير اهل بلده كلما عزم منهم فوج على
الحج اتوه فقالوا له ان يحج بهم والحوا عليه فيقبض اليهم ويمد اليهم يده فاذا انفضوا عنه قال ان عندنا لهذا
السفر لا اشد الهميان والتوكل على الرحمن • ايها اي اهلها فحذف الاهل كما في قوله واسأل القرية • ازكى طعاما احل
واطيب او اكثر وارخص • وليتلطف وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن او في
التخفي حتى لا يعرف • ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمى ذلك
اشعارا منه بهم لانه سبب فيه • انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا
ابدا • وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم

فقالوا

فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا • الضمير في
انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها • يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكان عادتهم • او يعيدوكم في
ملتهم بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها والعود في معنى الصيرورة كثير في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا
يريدون ابتداء الفعل • ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في دينهم • وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما
في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم • ليعلموا الذين اطلعناهم على حالهم • ان وعد الله حق وهو البعث لان حالهم في نومهم
وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث • واذ يتنازعون متعلق باعثرنا اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون
بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد • وبعضهم
تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها
كما كانت قبل الموت • فقالوا حين توفى الله اصحاب الكهف • ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم بنيانا لئلا يتطرق اليهم
الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة • قال الذين
غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم • لنتخذن عليهم مسجدا على باب الكهف يصلي
فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم • وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر الناس بينهم امر اصحاب الكهف
ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله من الآية فيهم • او يتنازعون بينهم امرهم اي تدبيرهم حين توفوا كيف
يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا • روي ان اهل الانجيل عظمت
فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس واراد
فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف
ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال ما تريدون مني اني احب احباء الله فناموا وانا احرسكم •
وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب الله على آذانهم
وقبل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين
فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل
من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام
واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليهم القصة فانطلق
الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله تعالى على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك
نستودعك الله ونعيذك من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم
ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب
الكهف مسجدا • ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم
واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم بهم • او هو من كلام الله عز وجل
رد لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم من اهل الكتاب • سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم
رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل • سيقولون
الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنهم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في
عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس رضي الله عنه انا من اولئك القليل
• وروي ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف
فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم

كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله تعالى قول المسلمين ❁ وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه الصلوة والسلام ❁ وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ❁ ومكشلينيا ❁ ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره ❁ والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس ❁ واسم كلبهم قطمير **فان قلت** لم جاء بسين الاستقبال في الاول دون الآخرين **قلت** فيه وجهان ان يدخل الآخرين في حكم السين كما تقول قد اكرم وانعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وان يريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له ❁ رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب اي ياتون به ❁ او وضع الرجم موضع الظن كانه قيل ظنا بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين الا ترى الى قول زهير ❁ وما هو عنها بالحديث المرجم ❁ اي المظنون ❁ وقرئ ثلاث رابعهم بادغام الثاء في تاء التانيث ❁ وثلاثة خبر مبتدا محذوف اي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ❁ ورابعهم كلبهم جملة من مبتدا وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم **فان قلت** فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاوليين **قلت** هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله عز وجل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي آذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن كما رجم غيرهم ❁ والدليل عليه ان الله سبحانه اتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل ❁ وقال ابن عباس رضي الله عنه حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات ❁ وقيل الا قليل من اهل الكتاب ❁ والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين ❁ فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا ❁ ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا ❁ فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي احسن ❁ ولا تستفت ولا تسال احدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لان الله قد ارشدك بان اوحى اليك قصتهم ❁ ولا تقولن لشيء لاجل شيء تعزم عليه ❁ اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة ❁ الا ان يشاء الله متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قيل اني فاعل كذا الا ان يشاء الله كان معناه الا ان تعترض مشيئة الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين احدهما ولا تقولن ذلك القول الا ان يشاء الله ان تقوله بان ياذن لك فيه ❁ والثاني ولا تقولنه الا بان يشاء الله اي الا بمشيئته وهو في موضع الحال يعني الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله ❁ وفيه وجه ثالث وهو ان يكون ان شاء الله في معنى كلمة تابيد كانه قيل ولا تقولنه ابدا ونحوه قوله وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم في ملتهم مما لن يشاء وهذا نهي تاديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين فسالوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش ❁ واذكر ربك

بمشيئة ربك وقل ان شاء الله اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا انت نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر ❁ وعن ابن عباس رضي الله عنه ولو بعد سنة ما لم تحنث ❁ وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة ❁ وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه ❁ وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة ❁ وعند عامة الفقهاء انه لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا ويحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ❁ ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها ❁ وقيل واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها وهذا اشارة الى نبا اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من نبا اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث اتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل ❁ والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي ❁ اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله او ننسها نات بخير منها ❁ ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدا ❁ واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا ❁ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا ❁ ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين يريد لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم هذه المدة وهو بيان لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ❁ ومعنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا انه اعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به ❁ وعن قتادة انه حكاية لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله وقالوا لبثوا ❁ وقرئ ثلاث مائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا ❁ وفي قراءة ابي ثلاث مائة سنة ❁ تسعا تسع سنين لان ما قبله يدل عليه ❁ ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والارض وخفي فيها من احوال اهلها ومن غيرها وانه هو وحده العالم به ❁ وجاء بما دل على التعجب من ادراكه المسموعات والمبصرات للدلالة على ان امره في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك الطف الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر ❁ ما لهم الضمير لاهل السموات والارض ❁ من ولي من متول لامورهم ❁ ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم ❁ وقرا الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي ❁ كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا او بدله فقيل له واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك ❁ لا مبدل لكلماته لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده ❁ ولن تجد من دونه ملتحدا ملجا تعدل اليه ان هممت بذلك ❁ واصبر نفسك واحبسها وثبتها ❁ قال ابو ذؤيب ❁ فصبرت عارفة لذلك حرة ❁ ترسو اذا نفس الجبان تطلع ❁ نزلت في المؤلفة قلوبهم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس وذويهم وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان نحيت هؤلاء الذين كان ريحهم ريح الضان وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون

بالغداة والعشي دائبين على الدعاء في كل وقت • وقيل المراد صلاة الفجر والعصر • وقرئ بالغدوة وبالغداة أجود لأن غدوة علم في أكثر الاستعمال وإدخال اللام على تأويل التنكير كما قال • والزيد زيد المعارك • ونحوه قليل في كلامهم • يقال عداه إذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاء القوم عدا زيداً • وإنما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه إذا اقتحمته ولم تعلق به • فإن قلت أي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك أو ولا تعل عيناك عنهم • قلت الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم • ونحوه قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم أي ولا تضموها إليها آكلين لها • وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من أعداه وعداه نقلاً بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله • فعد عما ترى إذ لا ارتجاع له • لأن معناه فعد همك عما ترى • نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزدري بفقراء المسلمين وأن تنبو عيناه عن رثاثة زيهم طموحاً إلى زي الأغنياء وحسن شارتهم • تريد زينة الحياة الدنيا في موضع الحال • من أغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلاً عن الذكر بالخذلان أو وجدناه غافلاً عنه كقولك أجبنته وأفحمته وأبخلته إذا وجدته كذلك أو من أغفل إبله إذا تركها غير سمة أي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه • وقرئ أغفلنا قلبه بإسناد الفعل إلى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين من أغفلته إذا وجدته غافلاً • فرطاً متقدماً للحق والصواب نابذاً له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل •

وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً • إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً • أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً •

وقل الحق من ربكم الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك • وجيء بلفظ الأمر والتخيير لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ما شاء من النجدين • شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهي الحجرة التي تكون حول الفسطاط • وبيت مسردق ذو سرادق • وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار • وقيل حائط من نار تطيف بهم • يغاثوا بماء كالمهل كقوله فأعتبوا بالصيلم • وفيه تهكم • والمهل ما أذيب من جواهر الأرض • وقيل دردي الزيت • يشوي الوجوه إذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته • عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت إذا قرب إليه سقطت فروة وجهه • بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقاً متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقاً وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ولا اتكاء إلا أن يكون من قوله • إني أرقت فبت الليل مرتفقاً • كأن عيني فيها الصاب مذبوح • أولئك خبر إن • وإنا لا نضيع اعتراض ولك أن تجعل إنا لا نضيع وأولئك خبرين معاً أو تجعل أولئك كلاماً مستأنفاً بياناً للأجر المبهم • فإن قلت إذا جعلت إنا لا نضيع خبراً فأين الضمير الراجع منه إلى المبتدأ • قلت من أحسن عملاً والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من أحسن عملاً مقام الضمير أو أردت من أحسن عملاً منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم • من الأولى للابتداء والثانية للتبيين • وتنكير أساور لإبهام أمرها في الحسن • وجمع بين السندس وهو ما رق من الديباج وبين الإستبرق وهو الغليظ منه جمعاً بين النوعين • وخص الاتكاء لأنه هيئة المتنعمين والملوك على أسرتهم •

واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب

وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً • كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً • وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً • ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً • وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً •

واضرب لهم مثلاً رجلين أي ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين في بني إسرائيل أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا • وقيل هما المذكوران في سورة الصافات في قوله تعالى قال قائل منهم إني كان لي قرين • ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر أرضاً بألف فقال المؤمن اللهم إن أخي اشترى أرضاً بألف وأنا أشتري منك أرضاً في الجنة بألف فتصدق به • ثم بنى أخوه داراً بألف فقال اللهم إني أشتري منك داراً في الجنة بألف فتصدق به • ثم تزوج أخوه امرأة بألف فقال اللهم إني جعلت ألفاً صداقاً للحور • ثم اشترى أخوه خدماً ومتاعاً بألف فقال اللهم إني اشتريت منك الولدان المخلدين بألف فتصدق به • ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله • وقيل هما مثل لأخوين من بني مخزوم مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد وكان زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم • وكافر وهو الأسود بن عبد الأسد • جنتين من أعناب بساتين من كروم • وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطاً بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة • يقال حفوه إذا طافوا به وحففته بهم إذا جعلتهم حافين حوله وهو متعد إلى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولاً ثانياً كقولك غشيته وغشيته به • وجعلنا بينهما زرعاً جعلناها أرضاً جامعة للأقوات والفواكه • ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق • ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الأكل من غير نقص • ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري • والأكل الثمر • وقرئ بضم الكاف • ولم تظلم ولم تنقص • وآتت حمل على اللفظ لأن كلتا لفظه مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز • وقرئ وفجرنا على التخفيف • وفي قراءة عبد الله كل الجنتين آتى أكله برد الضمير على كل • وكان له ثمر أي أنواع من المال من ثمر ماله إذا كثره • وعن مجاهد الذهب والفضة أي كانت له إلى الجنتين الموصوفتين الأموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من كل وجه متمكناً من عمارة الأرض كيف شاء • وأعز نفراً يعني أنصاراً وحشماً • وقيل أولاداً ذكوراً لأنهم ينفرون معه دون الإناث • يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع وساءلته فأحاكله يعني قطروس أخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه • فإن قلت لم أفرد الجنة بعد التثنية • قلت معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما • وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما أوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو أفحش الظلم • إخباره عن نفسه بالشك في بيدودة جنته لطول أمله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب أمثاله • وترى أكثر الأغنياء من المسلمين وإن لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم فإن ألسنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه • ولئن رددت إلى ربي إقسام منه على أنه إن رد إلى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيراً من جنته في الدنيا تطمعاً وتمنياً على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وأنه ما أولاه الجنتين إلا لاستحقاقه واستئهاله وأن معه هذا الاستحقاق أين توجه كقوله إن لي عنده للحسنى لأوتين مالاً وولداً • وقرئ خيراً منهما رداً على الجنتين • منقلباً مرجعاً وعاقبة

وانتصابه على التمييز اي منقلبا ثم لتلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية • قال له صاحبه
وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا • لكنا هو الله ربي ولا اشرك
بربي احدا • ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا
فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا • او
يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا • خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه فكان
خلقه خلقا له • سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه
لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا • لكنا هو الله ربي اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون
لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القائل • وترمينني بالطرف اي انت مذنب • وتقلينني لكن اياك
لا اقلي • اي لكن انا لا اقليك وهو ضمير الشان والشان الله ربي والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير
وقراءة ابن عامر باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا حسن ذلك وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة وغيره
لا يثبتها الا في الوقف • وعن ابي عمرو رواية انه وقف بالهاء لكنه • وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح انا
وقرا ابي بن كعب لكن انا على الاصل • وفي قراءة عبد الله لكن انا لا اله الا هو ربي • فان قلت هو استدراك لماذا
قلت لقوله اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرو حاضر
• ما شاء الله يجوز ان تكون ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ما شاء الله
او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى اي شيء شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله ولو ان
قرانا سيرت به الجبال • والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا
بانها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها • وقلت لا قوة
الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها انما هو بمعونته وتاييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك
يده الا بالله • وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد هذه
الاية حتى يخرج • من قرا اقل بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدا واقل خبره والجملة مفعولا
ثانيا لترن • وفي قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا • والمعنى ان ترن افقر منك فانا
اتوقع من صنع الله ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك
نعمته ويخرب بستانك • والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب اي مقدارا قدره الله وحسبه
وهو الحكم بتخريبها • وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك • وقيل حسبانا
مرامي الواحد حسبانة وهي الصواعق • صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقا وغورا كلاهما
وصف بالمصدر • واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول
ياليتني لم اشرك بربي احدا • ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا • هنالك الولاية
لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا • واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا • المال والبنون زينة الحيوة الدنيا
والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا • واحيط به عبارة عن اهلاكه واصله من احاط
به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك ومنه قوله تعالى الا ان يحاط
بكم ومثله قولهم اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليه العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم • وتقليب الكفين كناية عن الندم
والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كني عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدي
تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي انفق في عمارتها • وهي خاوية على عروشها يعني ان
كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم • قيل ارسل الله عليها نارا

فاكلتها

فاكلتها • ياليتني تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله
بستانه • ويجوز ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان • وقرئ ولم يكن بالياء والتاء و
وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة • فان قلت ما معنى
قوله ينصرونه من دون الله • قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله اي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر
احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لصارف وهو استيجابه ان يخذل • وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته
عن انتقام الله • الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما • والمعنى هنالك اي في
ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة
ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن
به كل مضطر يعني ان قوله ياليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجي اليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك
لم يقلها • ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم
من اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها
حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه • وقيل هنالك اشارة الى الاخرة اي في
تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم • وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية • وقرا عمرو بن عبيد رحمه الله
بالنصب على التاكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس
وانصحهم • وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها • وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة • فاختلط به نبات
الارض فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا • وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي
ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف
كل واحد منهما بصفة صاحبه • والهشيم ما تهشم وتحطم الواحد هشيمة • وقرئ تذروه الريح • وعن ابن
عباس تذريه الرياح من اذرى • شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال
النبات يكون اخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن • وكان الله على كل شيء مقتدرا من الانشاء والافناء
• الباقيات الصالحات اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان وتفنى عنه كل ما تطمح اليه نفسه
من حظوظ الدنيا • وقيل هي الصلوات الخمس • وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله • خير ثوابا اي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل
لان صاحبها يامل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الاخرة • ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة
وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا • وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم
اول مرة بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا • ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه
ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا
حاضرا ولا يظلم ربك احدا • قرئ نسير من سيرت ونسير من سيرنا ونسير من سارت الجبال تسير
في الجو او يذهب بها بان تجعل هباء منبثا • وقرئ وترى الارض على البناء للمفعول • بارزة ليس عليها
ما يسترها مما كان عليها • وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف • وقرئ فلم نغادر بالنون والياء
يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء • والغدير ما غادره السيل وشبهت حالهم بحال
الجند المعروضين على السلطان مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما ترى كل واحد لا يحجب احد
احدا • لقد جئتمونا اي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر يجوز ان يكون عامل النصب في يوم نسير ويجوز ان
ينتصب باضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما انشاناكم اول مرة • وقيل جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم
اولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى • فان قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى • قلت

للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال والعظائم كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك • موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث والنشور • الكتاب للجنس وهو صحف الاعمال • يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات • صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة يعني لا يترك شيئا من المعاصي الا احصاه بل احصاها كلها كما تقول ما اعطاني قليلا ولا كثيرا لان الاشياء اما صغار واما كبار • ويجوز ان يريد ما كان عندهم صغائر وكبائر • وقيل لو يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة • وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة • وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا • وعن الفضيل كان اذا قرأها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر • الا احصاها الا ضبطها وحصرها • ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا • ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه المستحق او يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله في تعذيب اطفال المشركين بذنوب آبائهم • واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا • ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا • كان من الجن كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كان قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه والفاء للتسبيب ايضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني انه لو كان ملكا كسائر من سجد لادم لم يفسق عن امر ربه لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله عز وعلا لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده فزعم انه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس رضي الله عنه • ومعنى فسق عن امر ربه خرج عما امره به ربه من السجود قال الشاعر فواسقا عن قصدها جوائرا • او صار فاسقا كافرا بسبب امر ربه الذي هو قوله اسجدوا لادم • افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجيب كانه قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته اولياء من دوني وتستبدلونهم بي بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته • ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم يعني انكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها • ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم • وما كنت متخذ المضلين يعني وما كنت متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة • وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم • وقرأ علي رضي الله عنه وما كنت متخذا المضلين بالتنوين على الاصل • وقرأ الحسن عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها الى العين • وقرئ عضدا بالفتح وسكون الضاد وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده اذا قواه واعانه • ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا • ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا • يقول بالياء كوفي واضافة الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم واراد الجن • والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه غيره • ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا • وعن الحسن موبقا عداوة

هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا • وقال الفراء البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة • ويجوز ان يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي جعلنا بينهم امدا بعيدا تهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان • فظنوا فايقنوا • مواقعوها مخالطوها واقعون فيها • مصرفا معدلا قال زهير هل عن شيبة من مصرف • ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا • وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين او يأتيهم العذاب قبلا • وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما انذروا هزوا • ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا • وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا • وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا • اكثر شيء جدلا اكثر الاشياء التي يتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل • وانتصاب جدلا على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين • ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار ان تأتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك او انتظار ان يأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة • قبلا عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا • ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها عن موطئها • وما انذروا يجوز ان تكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا اي وما انذروه من العذاب • او مصدرية بمعنى وانذارهم • وقرئ هزؤا اي اتخذوها موضع استهزاء وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك • بآيات ربه بالقرآن ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه • فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر • ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم • وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه • فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء البتة كان محالا منهم لشدة تصميمهم • ابدا مدة التكليف كلها • واذا جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يجب ان يكون سببا في وجود الاهتداء سببا في انتفائه وعلى انه جواب للرسول عن تقدير قوله ما لي لا ادعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا • الغفور البليغ المغفرة • ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة اهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم • بل لهم موعد وهو يوم بدر • لن يجدوا من دونه موئلا منجى ولا ملجأ • يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه • وتلك القرى يريد قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا • وتلك مبتدا والقرى صفة لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس • واهلكناهم خبر • ويجوز ان تكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم • لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة • وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر • والمهلك الاهلاك ووقته • وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة اي لهلاكهم او وقت هلاكهم • والموعد وقت او مصدر • واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا • فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا • فلما جاوزا

قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا • قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا

لفتاه لعبده وفي الحديث ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي • وقيل هو يوشع بن نون وإنما قيل فتاه لأنه كان يخدمه ويتبعه • وقيل كان يأخذ العلم منه • فإن قلت لا أبرح إن كان بمعنى لا أزول من برح المكان فقد دل على الإقامة لا على السفر وإن كان بمعنى لا أزال فلا بد من الخبر قلت هو بمعنى لا أزال وقد حذف الخبر لأن الحال والكلام معا يدلان عليه أما الحال فلأنها كانت حال سفر وأما الكلام فلأن قوله حتى أبلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد أن يكون المعنى لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين • ووجه آخر وهو أن يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر فلما حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب إلى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف • ويجوز أن يكون المعنى لا أبرح ما أنا عليه بمعنى ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى أبلغ كما تقول لا أبرح المكان • ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما الصلاة والسلام وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق • وقيل طنجة • وقيل إفريقية • ومن بدع التفاسير أن البحرين موسى والخضر لأنهما كانا بحرين في العلم • وقرئ مجمع بكسر الميم وهو في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل • أو أمضي حقبا أو أسير زمانا طويلا • والحقب ثمانون سنة • وروي أنه لما ظهر موسى على مصر مع بني إسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط أمره الله أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال إن الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فأي الناس أعلم قال أنا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إلى الله تعالى فأوحى إليه بل أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في أيام أفريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى • وقيل إن موسى سأل ربه أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال إن كان في عبادك من هو أعلم مني فادللني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه إذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في الماء فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه في البحر فأتيا الصخرة فإذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وأنى بأرضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر • نسيا حوتهما أي نسيا تفقد أمره وما يكون منه مما جعل أمارة على الظفر بالطلبة • وقيل نسي يوشع أن يقدمه ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء • قيل كان الحوت سمكة مملوحة • وقيل إن يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت • وروي أنهما أكلا منها • وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء • سربا أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى أو للخضر • فلما جاوزا الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد أمر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع أن يذكر لموسى ما رأى من حياته ووقوعه في البحر • وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد إلى الظهر وألقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه • وقوله من سفرنا هذا إشارة إلى مسيرهما وراء الصخرة • فإن قلت كيف نسي يوشع

ذلك وشبه

ذلك ومثله لا ينسى لكونه أمارة لهما على الطلبة التي تناهضا من أجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها • وقيل ما كانت إلا شق سمكة • وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة إلى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه الصلاة والسلام الحوت • قلت قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم إلى ذلك أنه ضري بمشاهدة أمثاله عند موسى من العجائب واستأنس بإخوانه فأعان الإلف على قلة الاهتمام • أرأيت بمعنى أخبرني • فإن قلت ما وجه التئام هذا الكلام فإن كل واحد من أرأيت وإذ أوينا وفإني نسيت الحوت لا متعلق له • قلت لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك كأنه قال أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت فحذف ذلك • وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت • وأن أذكره بدل من الهاء في أنسانيه أي وما أنساني ذكره إلا الشيطان • وفي قراءة عبد الله أن أذكركه • وعجبا ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب • أو قال عجبا في آخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك الحال العجيبة ونسيانه لها • أو مما رأى من المعجزتين وقوله وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه • وقيل إن عجبا حكاية لتعجب موسى عليه السلام وليس بذلك

قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا • فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما • قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا • قال إنك لن تستطيع معي صبرا • وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا • قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا • قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا •

ذلك إشارة إلى اتخاذه سبيلا أي ذلك الذي كنا نطلب لأنه أمارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر • وقرئ نبغ بغير ياء في الوصل وإثباتها أحسن وهي قراءة أبي عمرو وأما الوقف فالأكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف • فارتدا فرجعا في أدراجهما • قصصا يقصان قصصا أي يتبعان آثارهما اتباعا أو فارتدا مقتصين • رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة • من لدنا مما يختص بنا من العلم وهو الإخبار بالغيوب • رشدا قرئ بفتحتين وبضمة وسكون أي علما ذا رشد أرشد به في ديني • فإن قلت ما دلت حاجته إلى التعلم من آخر في عهده أنه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لأن النبي يجب أن يكون أعلم أهل زمانه وإمامهم المرجوع إليه في أبواب الدين • قلت لا غضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله وإنما يغض منه أن يأخذه ممن دونه • وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس إن نوفا ابن امرأة كعب يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى وأن موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله • نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بأنه يتولى أمورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف إذا كان نبيا لا يتمالك أن يشمئز وينقبض ويجمح إذا رأى ذلك ويأخذ في الإنكار • وخبرا تمييز أي لم يحط به خبرك أو لأن لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر • ولا أعصي في محل النصب عطف على صابرا أي ستجدني صابرا وغير عاص أو لا في محل عطفا على ستجدني • رجا موسى عليه الصلاة والسلام لحرصه على العلم وازدياده أن يستطيع معه صبرا بعد إفصاح الخضر عليه السلام عن حقيقة الأمر فوعد الصبر معلقا بمشيئة الله علما منه بشدة الأمر وصعوبته وأن الحمية التي تأخذ الصالح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علمه أن النبي المعصوم الذي أمره الله بالمسافرة إليه واتباعه واقتباس العلم منه بريء من أن يباشر ما فيه غميزة في الدين وأنه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف إذا لم يعلم • وقرئ فلا تسألني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت

مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحييت وانكرت في نفسك ان لا تفاتحني بالسؤال
ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع • فانطلقا
حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا • قال الم اقل انك لن
تستطيع معي صبرا • قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا • فانطلقا حتى اذا لقيا
غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا • قال الم اقل لك انك لن تستطيع
معي صبرا • قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا • فانطلقا على ساحل البحر
يطلبان السفينة فلما ركبا قال اهلها هما من اللصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة اري وجوه الانبياء
وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء
فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها • وقرئ ليغرق بالتشديد وليغرق اهلها من غرق
واهلها مرفوع • جئت شيئا امرا اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم قال داهية دهيا اذا
امرا • بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته او بنسياني اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة
على الناسي او اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهم انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار
وهو من معاريض الكلام التي يتقي بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابرهيم عليه الصلوة والسلام هذه
اختي واني سقيم • او اراد بالنسيان الترك لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة • يقال رهقه
اذا غشيه وارهقه اياه اي ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك
ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة • وقرئ عسرا بضمتين • فقتله قيل كان قتل فتل عنقه
وقيل ضرب براسه الحائط • وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين • فان قلت لم قيل
حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفاء قلت جعل خرقها
جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال اقتلت فان قلت فلم خولف
بينهما قلت لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام • وقرئ زاكية وزكية
وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث
بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها • وعن ابن عباس ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله
وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم
موسى فلك ان تقتل • نكرا وقرئ بضمتين وهو المنكر • وقيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة
اهون من اغراق اهل السفينة • وقيل معناه جئت شيئا انكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه
بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه فان قلت ما معنى زيادة لك قلت زيادة المكافحة
بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية • بعدها بعد هذه المرة او المسألة
• فلا تصاحبني فلا تقاربني وان طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك • وقرئ فلا تصحبني اي لا تكن
ولا تجعلني صاحبك • من لدني عذرا • وقرئ من لدني بتخفيف النون • وقرئ لدني بسكون الدال وكسر
النون كقولهم في عضد عضد • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال
ذلك • وقال رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب العجائب • فانطلقا حتى اذا
اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه
قال لو شئت لتخذت عليه اجرا • قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع
عليه صبرا • اهل قرية اهل انطاكية • وقيل الابلة وهي ابعد ارض الله من السماء • ان يضيفوهما
وقرئ يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره

زاغ عن الازورار • واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه • وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل
قرية لئاما • وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه • يريد ان ينقض استعيرت
الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي في مهمه فلقت به هاماتها
فلق الفؤوس اذا اردن نصولا • وقال آخر يريد الرمح صدر ابي براء • ويعدل عن دماء بني عقيل
وقال حسان ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان • وسمعت من يقول عزم السراج
ان يطفأ وطلب ان يطفأ واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والاباء
والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الارادة قال الشاعر اذا
قالت الانساع للبطن الحق • يقول سيفي الثواة طيقي • لا ينطق اللهو حتى ينطق العود • وتشكي الي بعبرة
وتحمحم • ولبعضهم ان يك ظني صادقا وهو صادق في تمرد مارد وعز الابلق • ولبعضهم يابى على
اجفانه اغفاءه • هم اذا انقاد الهموم تمردا • ولآخر ابت الروادف والثدي لقمصها مس
البطون وان تمس ظهورا • فلما سكت عن موسى الغضب • ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله ممن
لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه
منزلة فتمحل ليرده الى ما هو عنده اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز كان ادخل في الاعجاز •
وانقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته • وقيل افعل من النقض
وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة • منقاص ومنكثب • بالصاد غير
معجمة • فاقامه قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام • وقيل نقضه وبناه • وقيل كان طول
الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لجأتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو
المسألة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو شئت لاتخذت
عليه اجرا وطلبت على عملك جعلا حتى تنتعش به وتستدفع به الضرورة • وقرئ لتخذت والتاء في
تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ في شيء فان قلت هذا اشارة الى
ماذا قلت قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه الصلوة والسلام ان سألتك عن شيء
بعدها فلا تصاحبني فجعله مبتدأ واخبر عنه كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ
ويجوز ان يكون اشارة الى السؤال الثالث اي هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد
قرأ به ابن ابي عبلة فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به • اما السفينة فكانت لمساكين يعملون
في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا • واما الغلام فكان ابواه
مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما •
واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك
ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا
لمساكين قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر • وراءهم امامهم
كقوله ومن ورائهم برزخ • وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم
خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندي • فان قلت قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف
الغصب عليها فكان حقه ان يتاخر عن السبب فلم قدم عليه قلت النية به التأخير وانما
قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد
ظني مقيم • وقيل في قراءة ابي وعبد الله كل سفينة صالحة • وقرأ الجحدري فكان ابواه مؤمنان
على ان كان فيه ضمير الشان • فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فخفنا ان يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا

عليهما وكفر لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء، أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر، أو يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه طغيانا وكفرا بعد الإيمان. وإنما خشي الخضر منه ذلك لأن الله عز وعلا أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره وأمره إياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته. وفي قراءة أبي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره. ويجوز أن يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا كقوله لأهب لك. وقرئ يبدلهما بالتشديد. والزكوة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة والعطف. روي أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه أمة من الأمم. وقيل ولدت سبعين نبيا. وقيل أبدلهما ابنا مؤمنا مثلهما. قيل اسم الغلامين أصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين. واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة. وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله. وقيل صحف فيها علم والظاهر لإطلاقه الأول. وعن قتادة أحل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا أراد قوله تعالى والذين يكنزون الآية. وكان أبوهما صالحا اعتداد بصلاح أبيهما وحفظ لحقه فيهما. وعن جعفر بن محمد رضي الله عنهما كان بين الغلامين وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء. وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح أبيهما قال فأبي وجدي خير منه فقال قد أنبأنا الله أنكم قوم خصمون. رحمة مفعول له أو مصدر منصوب بأراد ربك لأنه في معنى رحمهما. وما فعلته عن أمري عن رأيي وإنما فعلته بأمر الله. ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا. إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا. فأتبع سببا حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما. قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا. قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا. وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا. ذو القرنين هو الإسكندر الذي ملك الدنيا. قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، وكافران نمرود وبختنصر، وكان بعد نمرود. واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه. وقيل نبيا. وقيل ملكا من الملائكة. وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا أما رضيتم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة. وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له النور. وسئل عنه فقال أحب الله فأحبه. وسأله ابن الكوا ما ذو القرنين أملك أم نبي فقال ليس ملكا ولا نبيا ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله. وقيل كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله. وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها. وقيل كان له قرنان أي ضفيرتان. وقيل لانقراض في وقته قرنان من الناس. وعن وهب لأنه ملك الروم وفارس. وروي الروم والترك. وعنه كانت صفحتا رأسه من النحاس. وقيل كان لتاجه قرنان. وقيل كان على رأسه ما يشبه القرنين. ويحتمل أنه لقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كأنه ينطح أقرانه. وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره. والسائلون هم اليهود سألوه على جهة الامتحان. وقيل سأله أبو جهل وأشياعه والخطاب في عليكم لأحد الفريقين. من كل شيء أي من أسباب كل شيء أراده من أغراضه ومقاصده في ملكه. سببا طريقا موصلا إليه والسبب ما يتوصل

به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة فأراد بلوغ المغرب فأتبع سببا يوصله إليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فأتبع سببا وأراد بلوغ السدين فأتبع سببا. وقرئ فاتبع. حمئة من حمئت البئر إذا صارت فيها الحمأة وحامية بمعنى حارة. وعن أبي ذر رضي الله عنه كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدري يا أبا ذر أين تغرب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عامر وأبي بكر والحسن. وقرأ ابن عباس حمئة وكان ابن عباس رضي الله عنه عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ فقال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه إلى كعب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة. وروي في ثأط فوافق قول ابن عباس وكان ثم رجل فأنشد قول تبع. فرأى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثأط حرمد. أي في عين ماء ذي طين وحمأ أسود. ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجاز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعا. كانوا كفرة فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى الإسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال أما من دعوته فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذلك هو المعذب في الدارين. وأما من آمن وعمل ما يقتضيه الإيمان. فله جزاء الحسنى. وقيل خيره بين القتل والأسر وسماه إحسانا في مقابلة القتل. فله جزاء الحسنى فعلة أن يجازى المثوبة الحسنى أو فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة. وقرئ فله جزاء الحسنى أي فله الفعلة الحسنى. وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن أعطاه وكساه. من أمرنا يسرا أي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك فتقديره ذا يسر كقوله ميسورا. وقرئ يسرا بضمتين. ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا. كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا. ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا. قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا. وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله كما تجيء الإياب تأويلها يريد كان آثار مجيء الإياب. على قوم قيل هم الزنج. والستر الأبنية وعن كعب أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوها فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء إذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم. وقيل الستر اللباس. وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض. كذلك أي أمر ذي القرنين كذلك أي كما وصفناه في تعظيم الأمر. وقد أحطنا بما لديه من الجنود والآلات وأسباب الملك. خبرا تكثيرا لذلك. وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأكنان من كل جنس والثياب من كل صنف. وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أي كما بلغ مغربها. وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم. بين السدين بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما. وقرئ بالضم والفتح. وقيل ما كان من خلق الله فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لأن السد بالضم فعل بمعنى مفعول أي هو مما فعله الله وخلقه. والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس. وانتصب بين على المفعول به مبلوغ كما انجر على الإضافة في قوله

قوله الزنج قال في الصحاح الزنج جيل من السودان قال أبو عمرو زَنج وزِنج وزنجي وزِنجي ع

التضمير الجلد الأبيض يكتب عليه ع

السد والسد الجبل والحاجز صحاح

هذا فراق بيني وبينك وكذا النصب في قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التي تستعمل اسماء وظروفا • وهذا المكان
في منقطع ارض الترك مما يلي المشرق • من دونهما قوما هم الترك • لا يكادون يفقهون قولا اي لا يكادون يفهمونه الا
بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم • وقرئ يُفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان
لغتهم غريبة مجهولة • يأجوج ومأجوج اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين • وقرأ رؤبة آجوج
ومأجوج وهما من ولد يافث • وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم • مفسدون في الارض قيل كانوا
ياكلون الناس • وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون
منهم قتلا واذى شديدا • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفتهم لا يموت احد منهم حتى ينظر الى الف ذكر
من صلبه كلهم قد حمل السلاح • وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر • وقرئ خراجا
اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال • وقرئ سدا وسُدا • قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني
بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما • آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى
اذا جعله نارا قال آتوني افرغ عليه قطرا • فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا • قال
هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقا • وتركنا بعضهم يومئذ
يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا • وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا • الذين كانت
اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا • افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني
اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا • ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال والملك
خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه كما قال سليمان عليه الصلاة والسلام فما آتاني الله خير
مما آتاكم • وقرئ بالادغام وبفكه • فاعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل بالآلات • ردما
حاجزا حصينا موثقا • والردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع • قيل حفر الاساس حتى
بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين
الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط
والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا • وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ • وقرئ سوى وسووي
• وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اخبره به فقال كيف رأيته فقال كالبرد المحبر طريقة سوداء
وطريقة حمراء قال قد رأيته • والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين لانهما يتصادفان اي يتقابلان • وقرئ
الصُّدُفين بضمتين والصُّدْفين بضمة وسكون والصَّدُفين بفتح وضمة • والقطر النحاس المذاب لانه يقطر
وقطرا منصوب بافرغ وتقديره آتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه • وقرئ قال
ايتوني اي جيئوني • فما اسطاعوا ان يظهروه بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء • وقرئ
فما اصطاعوا بقلب السين صادا • واما من قرأ بادغام التاء في الطاء فملاق بين ساكنين على غير الحد
• ان يظهروه ان يعلوه اي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه ولملاسته • ولا نقب لصلابته
وثخانته • هذا اشارة الى السد اي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده • او هذا الاقدار
والتمكين من تسويته • فاذا جاء وعد ربي يعني فاذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف ان يأتي جعل السد
دكا اي مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك
المنبسط السنام • وقرئ دكاء بالمد اي ارضا مستوية • وكان وعد ربي حقا آخر حكاية قول ذي القرنين
• وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق • يموج في بعض اي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى
ويجوز ان يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد
• وروي يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم

من الناس

من الناس ولا يقدرون ان يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا في اقفائهم فيدخل
اذانهم فيموتون • وعرضنا جهنم وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها • عن ذكري عن آياتي التي ينظر
اليها فاذكر بالتعظيم او عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمي • وكانوا لا يستطيعون
سمعا يعني وكانوا صما عنه الا انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم اصميت اسماعهم
فلا استطاعة بهم للسمع • عبادي من دوني اولياء هم الملائكة يعني انهم لا يكونون لهم اولياء كما حكى عنهم سبحانك
انت ولينا من دونهم • وقرأ ابن مسعود افظن الذين كفروا • وقراءة علي رضي الله عنه افحسب الذين كفروا
اي افكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا
اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك اقائم الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله
كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة • النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم • قل
هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا • اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا •
ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات
الفردوس نزلا • خالدين فيها لا يبغون عنها حولا • ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان عن علي رضي الله
عنه كقوله عاملة ناصبة • وعن مجاهد اهل الكتاب • وعن علي كرم الله وجهه ان ابن الكواء سأله عنهم
فقال منهم اهل حروراء • وعن ابي سعيد الخدري يأتي ناس باعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال
تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا • فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن
ومقدار • وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين • وقرئ
فلا يقيم بالياء • فان قلت الذين ضل سعيهم في اي محل هو قلت الاوجه ان يكون في محل الرفع
على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال • ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل • جهنم عطف
بيان لقوله جزاؤهم • الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقولك عاد في حبها عودا يعني لا مزيد عليها حتى
تنازعهم انفسهم الى اجمع منها اغراضهم وامانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان
فهو طامح الطرف الى ارفع منه • ويجوز ان يراد نفي التحول وتأكيد الخلود • قل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا • قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما
الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا • المداد
اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد الارض والمعنى لو كتبت
علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس • لنفد قبل ان تنفد الكلمات • ولو جئنا بمثل البحر
لنفد ايضا والكلمات غير نافدة • ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا • والمدد مثل المداد وهو ما يمد
به • وعن ابن عباس بمثله مدادا • وقرأ الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب
به • وقرئ ينفد بالياء • وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم
تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر علم الله وبحر
كلماته • فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان يؤمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضى وقبول وقد فسرنا
اللقاء • او فمن كان يخاف سوء لقاء ربه والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به
الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره • وقيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه • وروي انه قال لك اجران
اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به • وعنه عليه الصلاة والسلام اتقوا الشرك

النغف دود يسقط من انوف الغنم والابل كذا في الديوان ح

قوله الذين ضل الذين يصلح ان يكون خفضا ورفعا فالخفض نعت للاخسرين والرفع على الاستئناف المعنى هم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ح معاني الزجاج ح

الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الريا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكهف من آخرها
كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه الصلوة
والسلام من قرا عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه نورا يتلألأ الى الكعبة حشو ذلك النور
ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور
حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ صدق الله تعالى وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم

سورة مريم مكية وهي تسعون وثمان او تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا
قال رب اني وهن العظم مني ولم اكن بدعائك رب شقيا فخم الها وكسر اليا حمزة وكسرهما عاصم
وضمهما الحسن وقرئ ذكر رحمة ربك اي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ ذكر على الامر اي
شبه الله في اخفاء صوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان فكان الاخفاء اولى لانه ابعد من الريا وادخل
في الاخلاص وعن الحسن نداء لا رياء فيه او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبرة والشيخوخة
او اسره من مواليه الذين خافهم او خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات
وسمعه تارات واختلف في سن زكريا عليه الصلوة والسلام فقيل ستون وقيل خمس وستون وقيل سبعون
وخمس وثمانون وقرئ وهن بالحركات الثلاث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه
فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحده
لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد ما تركب منه
الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى آخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها ادغما
السين في الشين ابو عمرو شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه
واخذه منه كل ماخذ كاشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته
وهو الرأس واخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا فمن ثم فصحت الجملة وشهد لها
بالبلاغة توسل الى الله بما سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم ان محتاجا سأله وقال انا الذي احسنت
الي في وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته وانى خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي
عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا يا زكريا انا
نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد
بلغت من الكبر عتيا كان مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بني اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه
ويبدلوه وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في احياء الدين ويرتجي
توسله من ورائي بعد موتي وقرا ابن كثير من وراي بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى
ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي او خفت
الذين يلون الامر من ورائي وقرا عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم خفت الموالي من ورائي وهو
على معنيين احدهما ان يكون وراي بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي اي قلوا وعجزوا عن اقامة امر
الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه والثاني ان يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفت ويريد انهم
خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد من لدنك تاكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا
الى الله وصادرا من عنده او لانه لا يهب لي وليا الا من عندك او انه لا يحتاج لما انك بلا سبب لاني وامرأتي
لا نصلح للولادة يرثني ويرث الجزم جواب الدعاء والرفع صفة وقرئ ردءا يصدقني وعن ابن عباس

٣ واشتعل الرأس شيبا

والجحدري يرثني وارث آل يعقوب وعن الجحدري او يرث على التصغير وارث وقال غليّم صغير وعن علي رضي الله
عنه وجماعة وارث من آل يعقوب اي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع والعلم
لان الانبياء عليهم الصلوة والسلام لا يورثون المال وقيل يرثني الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال
ورثته وورثت منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبياء ولا علماء وكان زكريا عليه الصلوة
والسلام من نسل يعقوب بن اسحق وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران ابو موسى عم
اخوان من نسل سليمان بن داود سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهذا شاهد على ان الاسامي السنع جديرة
بالاثرة واياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه وانوه وانزه عن النبز حتى قال القائل في مدح
قوم شنع الاسامي مسبلي ازر حمر تمس الارض بالهدب وقال رؤبة للنسابة البكري وقد سأله
عن نسبه انا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا
وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل
واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى في اسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت
ايضا وهو يموت بن المزرع قالوا لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان
وعجوز عاقر وانه كان حصورا اي كانت على صفة العقر حين انا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال
احد السببين افحين اختل السببان جميعا ارزقه فان قلت لم طلب اولا وهو وامرأته على صفة
العتي والعقر فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب قلت ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون
ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا وآخرا كان على منهاج واحد في ان الله غني عن الاسباب
اي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من اجل
الكبر والطعن في السن العالية او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرأ ابن وثاب
وحمزة والكسائي بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرأ ابي ومجاهد عسيا قال
كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا قال رب اجعل لي آية قال
آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا
يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا
وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا
[illegible]

تحكم عقله في صباه وأوحى إليه. وحنانا رحمة لأبويه وغيرهما وتعطفا وشفقة. أنشد سيبويه وقالت
وما الحنان ما أتى بك هاهنا أذو نسب أم أنت بالحي عارف. وقيل حنانا من الله عليه. وحنّ في
الأصل بمعنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرأفة. وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة. والزكوة
الطهارة. وقيل الصدقة أي نتعطف على الناس ونتصدق عليهم. سلام الله عليه في هذه الأحوال. قال
ابن عيينة إنها أوحش المواطن. واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا. فاتخذت
من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا. قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن
كنت تقيا. قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا. قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني
بشر ولم أك بغيا. قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا
مقضيا. فحملته فانتبذت به مكانا قصيا. إذ بدل من مريم بدل الاشتمال لأن الأحيان مشتملة
على ما فيها وفيه أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه. والانتباذ الاعتزال
والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس. وقيل قعدت
في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط أو بشيء يسترها وكان موضعها المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت
خالتها فإذا طهرت عادت إلى المسجد فبينا هي في مغتسلها أتاها الملك في صورة آدمي شاب أمرد وضيء
الوجه جعد الشعر. سويا سوي الخلق لم ينتقص من الصورة الآدمية شيئا أو حسن الصورة مستوي
الخلق. وإنما مثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية
لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه. ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة
الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها. وقيل كانت في
منزل زوج أختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا إذا خرج أغلق عليها فتمنت أن تجد خلوة
في الجبل لتفلي رأسها فانفرج السقف لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء الجبل فأتاها الملك. وقيل قام
بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس. وقيل إن النصارى اتخذت المشرق قبلة
لانتباذ مريم مكانا شرقيا. الروح جبريل لأن الدين يحيى به وبوحيه أو سماه الله روحه على المجاز محبة
له وتقريبا كما تقول لحبيبك أنت روحي. وقرأ أبو حيوة روحنا بالفتح لأنه سبب لما فيه روح العباد وإصابة
الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله فأما إن كان من المقربين فروح وريحان أو لأنه من المقربين وهم
الموعودون بالروح أي مقربنا وذا روحنا. إن كنت تقيا أي إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة
فإني عائذة منك كقوله تعالى بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين. أي إنما أنا رسول من استعذت به. لأهب لك
لأكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع. وفي بعض المصاحف إنما أنا رسول ربك أمرني أن أهب لك أو هي
حكاية لقول الله عز وجل. جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لأنه كناية عنه كقوله من قبل أن تمسوهن أو لامستم
النساء والزنى ليس كذلك إنما يقال فجر بها وخبث بها وما أشبه ذلك وليس بقمن أن يراعى فيه الكنايات
والآداب. والبغي الفاجرة التي تبغي الرجال وهي فعول عند المبرد بغوي فأدغمت الواو في الياء. وقال
ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر. ولنجعله آية تعليل
معلل محذوف أي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك أو هو معطوف على تعليل مضمر أي لنبين به قدرتنا
ولنجعله آية. ونحوه وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك مكنا ليوسف في
الأرض ولنعلمه. مقضيا مقدرا مسطورا في اللوح لا بد لك من جريه عليك أو كان أمرا حقيقا بأن يكون
ويقضى لكونه آية ورحمة. والمراد بالآية العبرة والبرهان على قدرة الله. وبالرحمة الشرائع والألطاف
وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل إلى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين. عن ابن عباس

رضي الله

رضي الله عنهما فاطمأنت إليه فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت. وقيل كانت
مدة الحمل ستة أشهر. وعن عطاء وأبي العالية والضحاك سبعة أشهر. وقيل ثمانية ولم يعش مولود
وضع لثمانية إلا عيسى عليه الصلاة والسلام. وقيل ثلاث ساعات. وقيل حملته في ساعة وصور
في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها. وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت مدة الحمل ساعة واحدة
كما حملته نبذته. وقيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة. وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت
حيضتين قبل أن تحمل. وقالوا ما من مولود إلا يستهل غيره. فانتبذت به أي اعتزلت وهو في بطنها
كقوله: تدوس بنا الجماجم والتريبا. أي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها. ونحوه قوله تعالى تنبت
بالدهن أي تنبت ودهنها فيها. والجار والمجرور في موضع الحال. مكانا قصيا بعيدا من أهلها وراء الجبل
وقيل أقصى الدار. وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها
قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه أن يقتلها فأتاه جبريل عليه الصلاة
والسلام فقال إنه من روح القدس فلا تقتلها فتركها. فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة
قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا. فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل
ربك تحتك سريا. وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا. فكلي
واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن
أكلم اليوم إنسيا. فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا. أجاءها منقول
من جاء إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء ألا ترى أنك لا تقول جئت المكان وأجاءنيه
زيد كما تقول بلغته وأبلغنيه. ونظيره آتى حيث لم يستعمل إلا في الإعطاء ولم تقل أتيت المكان وآتانيه
فلان. وقرأ ابن كثير في رواية المخاض بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض
الولد في بطنها. طالبة الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة
في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء. والتعريف إما أن يكون من
تعريف الأسماء الغالبة كتعريف النجم وابن الصعق كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند
الناس فإذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل. وإما أن يكون تعريف الجنس
أي جذع هذه الشجرة خاصة كأن الله تعالى لما أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو
خرسة النفساء الموافقة لها ولأن النخلة أقل شيء صبرا على البرد وثمارها إنما هي من جمارها فلموافقتها
لها مع جمع الآيات فيها اختارها لها وألجأها إليها. قرئ مت بالضم والكسر يقال مات يموت ومات
يمات. النسي ما من حقه أن يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شأنه أن يذبح
في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم. وعن يونس العرب إذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا أنساءكم أي
الشيء اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ. منسيا لو كانت شيئا تافها لا يؤبه له من شأنه ونحوه
أن ينسى في العادة وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك لما لحقها من فرط الحياء
والتشور من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله أو لشدة التكليف عليها إذا بهتوها وهي
عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت من اختصاص الله تعالى إياها بغاية الإجلال والإكرام
لأنه مقام دحض قلما تثبت عليه الأقدام إلا أن تعرف اغتباطك بأمر عظيم وفضل باهر تستحق
به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا يعاب به ويعنف بسببه أو لخوفها
على الناس أن يعصوا الله بسببها. وقرأ ابن وثاب والأعمش وحمزة نسيا بالفتح. قال الفراء هما لغتان
كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز أن يكون تسمية بالمصدر كالحمل. وقرأ محمد بن كعب القرظي نسئا

بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه أهله لقلته ونزارته ● وقرأ الأعمش منسيا على الاتباع كالمغي ● من تحتها هو جبريل عليه الصلاة والسلام قيل كان يقبل الولد كالقابلة ● وقيل هو عيسى وهي قراءة عاصم وأبي عمرو ● وقيل تحتها أسفل من مكانها كقوله تجري من تحتها الأنهار ● وقيل كان أسفل منها تحت الأكمة فصاح بها لا تحزني ● وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها ● وفي ناداها ضمير الملك أو عيسى ● وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة ● وقرأ زر وعلقمة فخاطبها من تحتها ● سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال هو الجدول ● قال لبيد فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا قلامها ● وقيل هو من السرو والمراد عيسى ● وعن الحسن كان والله عبدا سريا ● فإن قلت ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب قلت لم تقع التسلية بهما من حيث إنهما طعام وشراب ولكن من حيث إنهما معجزتان تريان الناس أنها من أهل العصمة والبعد من الريبة وأن مثلها مما قرفوها به بمعزل وأن لها أمورا إلهية خارجة عن العادة خارقة لما ألفوا واعتادوا حتى يتبين لهم أن ولادها من غير فحل ليس ببدع من شأنها ● تساقط فيه تسع قراءات ● تساقط بإدغام التاء ● وتتساقط بإظهار التاءين ● وتساقط بطرح الثانية ● ويساقط بالياء وإدغام التاء ● وتساقط ● وتسقط ● ويسقط ● التاء للنخلة والياء للجذع ● ورطبا تمييز أو مفعول على حسب القراءة ● وعن المبرد جواز انتصابه بهزي وليس بذاك ● والباء في بجذع النخلة صلة للتأكيد كقوله ولا تلقوا بأيديكم ● أو على معنى افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي ● قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك ● وقالوا كان من العجوة ● وقالوا ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل ● وقيل إذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب ● عن طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع ● أي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين إحداهما الأكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي واشربي وقري عينا أي وطيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك ما أحزنك وأهمك وقرئ وقري بالكسر لغة نجد ● ترئن بالهمز ابن الرومي عن أبي عمرو وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق وذلك لتآخ بين الهمزة وحروف اللين في الإبدال ● صوما صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا ● وعن أنس بن مالك مثله ● وقيل صياما إلا أنهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت لأنه نسخ في أمته ● أمرها الله أن تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام لمعنيين أحدهما أن عيسى صلوات الله وسلامه عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه أن السكوت عن السفيه واجب ومن أذل الناس سفيه لم يجد مسافها ● قيل أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالإشارة ● وقيل سوغ لها ذلك بالنطق ● إنسيا أي أكلم الملائكة دون الإنس ● فريا الفري البديع وهو من فري الجلد ● يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا ● هارون كان أخاها من أبيها من أمثل بني إسرائيل ● وقيل هو أخو موسى صلوات الله وسلامه عليهما ● وعن النبي صلى الله عليه وسلم إنما عنوا هارون النبي عليه الصلاة والسلام وكانت من أعقاب من كان معه في طبقة الأخوة وبينها وبينه ألف سنة وأكثر ● وعن السدي كانت من أولاده ● وإنما قيل يا أخت هارون كما يقال يا أخا همدان أي يا واحدا منهم ● وقيل رجل صالح أو طالح في زمانها شبهوها به أي كنت عندنا مثله في الصلاح ● أو شتموها به ولم ترد إخوة النسب ● ذكر أن هارون الصالح تبع جنازته أربعون ألفا كلهم يسمى هارون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهارون هذا ● وقرأ عمر بن لجأة التيمي ما كان أباك امرؤ سوء ● وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها إلى غار فلبثوا فيه أربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى عليه الصلاة والسلام في الطريق فقال يا أماه

ابشري فإني عبد الله ومسيحه ● فلما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك ● وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها ● فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ● وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ● والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ● ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ● ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ● وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ● فأشارت إليه أي هو الذي يجيبكم إذا ناطقتموه ● وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليه الصلاة والسلام ● وعن السدي لما أشارت إليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا أشد علينا من زناها ● وروي أنه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابته ● وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان ● كان لإيقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة والدال عليه مبنى الكلام وأنه مسوق للتعجب ● ووجه آخر أن يكون نكلم حكاية حال ماضية أي كيف عهد قبل عيسى أن يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا ● أنطقه الله أولا بأنه عبد الله ردا لقول النصارى ● والكتاب هو الإنجيل ● واختلفوا في نبوته فقيل أعطيها في طفوليته أكمل الله عقله واستنبأه طفلا نظرا في ظاهر الآية ● وقيل معناه أن ذلك سبق في قضائه أو جعل الآتي لا محالة كأنه قد وجد ● مباركا أينما كنت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير ● قرئ وبرا عن أبي نهيك جعل ذاته برا لفرط بره أو نصبه بفعل في معنى أوصاني وهو كلفني لأن أوصاني بالصلاة وكلفنيها واحد ● والسلام علي قيل أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا والمعنى ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاث موجه إلي والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام وأعدائها من اليهود وتحقيقه أن اللام للجنس فإذا قال وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بأن ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعني أن العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض ● قرأ عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب ● وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله ● وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك في الأنعام قوله الحق ● والقول والقال في معنى واحد كالرهب والرهب والرهب ● وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر أو بدل أو خبر مبتدأ محذوف ● وأما انتصابه فعلى المدح إن فسر بكلمة الله وعلى أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة إن أريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله الحق لا الباطل ● وإنما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لأنه لم يولد إلا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير واسطة أب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسماء والشحم بالندى ويحتمل إذا أريد بقول الحق عيسى أن يكون الحق اسم الله عز وجل وأن يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذي فيه يمترون أي أمره حق يقين وهم فيه يمترون يشكون ● والمرية الشك أو يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة تعالى الله ● وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه تمترون على الخطاب ● وعن أبي بن كعب قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وأنه مما لا يتأتى ولا يتصور في العقول وليس بمقدور عليه إذ من المحال غير المستقيم أن تكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد ثم بين إحالة ذلك بأن من إذا أراد شيئا من الأجناس كلها أوجده بكن كان منزها عن شبه الحيوان الوالد والقول ههنا مجاز ومعناه أن إرادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بأمر الآمر المطاع إذا ورد على المأمور الممتثل ● قرأ المدنيون وأبو عمرو بفتح أن ومعناه ولأنه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وفي الإسناد أبو عبيدة بالكسر على الابتداء وفي حرف أبي إن الله بالكسر بغير واو أي بسبب ذلك فاعبدوه

فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم • اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا
لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين • وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا
يؤمنون • انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون • الاحزاب اليهود والنصارى عن الكلبي
وقيل النصارى لتحزبهم ثلاث فرق نسطوريه ويعقوبيه وملكانيه • وعن الحسن تحزبوا على الانبياء لما قص
عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس • من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هول الحساب والجزاء
في يوم القيمة او من مكان الشهود فيه وهو الموقف او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم عليهم وان تشهد
عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر وسوء الاعمال او من مكان الشهادة او وقتها
وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه عليهما الصلوة والسلام • لا يوصف الله بالتعجب وانما المراد
ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا • وقيل معناه التهديد
بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم • اوقع الظاهر اعني الظالمين موقع الضمير
اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم •
والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع • قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى
الجنة والنار • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عنه فقال حين يذبح الكبش والفريقان
ينظران • واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة • وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين
عن الحسن وانذرهم اعتراض او هو متعلق بانذرهم اي وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين • يحتمل
انه يميتهم ويخرب ديارهم وانه يفني اجسادهم ويفني الارض ويذهب بها • واذكر في الكتاب ابراهيم
انه كان صديقا نبيا • اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا • يا ابت اني
قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا • يا ابت لا تعبد الشيطان ان
الشيطان كان للرحمن عصيا • يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان
وليا • قال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا • قال سلام
عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا • واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا • فلما اعتزلهم وما يعبدون
من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا • ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم
لسان صدق عليا • الصديق من ابنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة
ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل
اي كان مصدقا لجميع الانبياء وكتبهم • وكان نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين او كان
بليغا في الصدق لان ملاك امر النبوة الصدق ومصدق الله باياته ومعجزاته حري ان يكون كذلك وهذه
الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله اعني ابراهيم • واذ قال ونحوه قولك رايت زيدا ونعم الرجل اخاك
ويجوز ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب
اباه تلك المخاطبات • والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم
كقوله واتل عليهم نبا ابراهيم والا فالله عز وعلا هو ذاكره ومورده في تنزيله • التاء في يا ابت عوض
من ياء الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه • وقيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء
وشبه ذلك سيبويه باينق وتعويض الياء فيه عن الواو الساقطة • انظر حين اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما
كان متورطا فيه من الخطا العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه امر العقل وانسلخ عن قضية التمييز
ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة كيف رتب الكلام معه في احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال
المجاملة واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه جل وعلا

حدث

حدث ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله الى ابراهيم عليه الصلوة
والسلام انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن
خلقه ان اظله تحت عرشي وان اسكنه حظيرة القدس وان ادنيه من جواري • فقد الاب ثم طلب منه اولا العلة
في خطاه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا
بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا ضارا الا انه بعض الخلق لاستخف عقل من اهله
للعبادة ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وان كان اشرف الخلق واعلاهم
منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تعالى ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم
بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وذلك ان العبادة هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له غاية الانعام وهو
الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه اصول النعم وفروعها فاذا وجهت الى غيره
وتعالى علوا كبيرا ان تكون هذه الصفة لغيره لم تكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا
عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته الى جماد ليس به حس ولا شعور فلا
يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيئات خضوعك له فضلا ان يغني عنك بان
تستدفعه بلاء فيدفعه وتسنح لك حاجة فيكفيها ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا
فلم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك
وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب انا واياك في مسير وعندي معرفة بالهداية
دونك فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه • ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بان الشيطان
الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك الا كل
هلاك وخزي ونكال وعدو ابيك آدم وابناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة
وامرك بها وزينها لك فانت ان حققت النظر عابد الشيطان الا ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام لا
في الاخلاص ولا ارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان الا التي تختص منهما برب العزة
من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لآدم وذريته كان النظر في عظم ما ارتكب من ذلك
غمر فكره واطبق على ذهنه • ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وبما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل
ذلك من حسن الادب حيث لم يصرح بان العقاب لاحق له وان العذاب لاصق به ولكنه قال اخاف ان يمسك
عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة اشياعه واوليائه اكبر من
العذاب وذلك ان رضوان الله اكبر من الثواب نفسه وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من
الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله اكبر من العذاب نفسه
واعظم وصدر كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا • ما في لا يسمع وما
لم يات يجوز ان تكون موصولة وموصوفة والمفعول في لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك ليس به
استماع ولا ابصار • وشيئا يحتمل وجهين احدهما ان يكون في موضع المصدر اي شيئا من الغنى ويجوز
ان يقدر نحوه مع الفعلين السابقين • والثاني ان يكون مفعولا به من قولهم اغن عني وجهك • قد جاءني
فيه تجدد العلم عندي • لما اطلعه على سماجة صورة امره وهدم مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه
المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات اقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه
ولم يقابل يا ابت بيا بني وقدم الخبر على المبتدا في قوله اراغب انت عن الهتي لانه كان اهم عنده وهو عنده
اعني وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن آلهته وان آلهته ما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوان
وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه • لارجمنك لارمينك

بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن • او لاقتلنك من رجم الزاني • او لاطردنك رميا بالحجارة واصل الرجم الرمي بالرجام • مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح • فعيل من ملي بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به **فان قلت** علام عطف واهجرني **قلت** على معطوف عليه محذوف يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لان لارجمنك تهديد وتقريع • سلام عليك سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين • وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال هذه • ويجوز ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له الا ترى انه وعده الاستغفار **فان قلت** كيف جاز له ان يستغفر للكافر وان يعده **قلت** قالوا اراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الاوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الايمان وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلاة والزكاة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب • وقالوا انما استغفر له بقوله واغفر لابي انه كان من الضالين لانه وعده ان يؤمن واستشهدوا بقوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه • ولقائل ان يقول الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما القضية العقلية فلا تاباه فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه الاسوة واما عن موعدة وعدها اياه فالواعد هو ابراهيم لا آزر اي ما قال واغفر لابي الا عن قوله لاستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها اباه والله اعلم • الحفي البليغ في البر والالطاف حفي به وتحفى به • اراد بالاعتزال المهاجرة الى الشام • المراد بالدعاء العبادة لانه منها ومن وسائطها ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون • ويجوز ان يراد الدعاء الذي حكاه في سورة الشعراء • عرض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع لله في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس • ما خسر على الله احد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه اولادا مؤمنين انبياء • من رحمتنا هي النبوة عن الحسن وعن الكلبي المال والولد وتكون عامة في كل خير ديني ودنيوي اوتوه • لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية قال اني اتتني لسان لا اسر بها • يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين فصيره قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم وقال عز وجل ملة ابيكم ابراهيم وملة ابراهيم حنيفا ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته فاعلى ذكرهم واثنى عليهم كما اعلى ذكره واثنى عليه • **واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا • وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا • ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا** • المخلص بالكسر الذي اخلص العبادة عن الشرك والرياء او اخلص نفسه واسلم وجهه وبالفتح الذي اخلصه الله • الرسول الذي معه كتاب من الانبياء • والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع • الايمن من اليمين اي من ناحيته اليمنى او من اليمن صفة للطور او للجانب شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك • وعن ابي العالية قربه حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التوراة • من رحمتنا من اجل رحمتنا له وترؤفنا عليه وهبنا له هرون • او بعض رحمتنا كما في قوله ووهبنا لهم من رحمتنا • واخاه على هذا الوجه بدل وهرون عطف بيان كقولك رايت رجلا اخاك زيدا • وكان هرون اكبر من موسى عليهما الصلاة والسلام فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته كذا عن ابن عباس رضي الله عنهما • **واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا • وكان**

يأمر

يأمر اهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا • ذكر اسمعيل عليه الصلاة والسلام بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب بنحو الحليم والاواه والصديق ولانه المشهور المتواصف من خصاله • عن ابن عباس رضي الله عنهما انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين • كان يبدأ باهله في الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولانهم اولى من سائر الناس وانذر عشيرتك الاقربين • وامر اهلك بالصلوة • قوا انفسكم واهليكم نارا • الا ترى انهم احق بالتصدق عليهم فالاحسان الديني اولى • وقيل اهله امته كلهم من القرابة وغيرهم لان امم النبيين في عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصالح ان لا يالو نصحا للاجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين به وان يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك • **واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا • ورفعناه مكانا عليا • اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا** • قيل سمي ادريس لكثرة دراسته كتاب الله وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس اعجمي وليس من الابلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه امثال هذه الهنات • ويجوز ان يكون معنى ادريس في تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا من الدرس • المكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله وقد انزل الله عليه ثلاثين صحيفة • وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب • واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود • عن انس بن مالك يرفعه انه رفع الى السماء الرابعة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما الى السماء السادسة • وعن الحسن الى الجنة لا شيء اعلى من الجنة • وعن النابغة الجعدي انه لما انشد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر الذي آخره • بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا • قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة • اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من لدن زكريا الى ادريس • ومن في من النبيين للبيان مثلها في قوله تعالى في آخر سورة الفتح وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما لان جميع الانبياء منعم عليهم • ومن الثانية للتبعيض • وكان ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه جد ابي نوح وابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام بن نوح واسمعيل من ذرية ابراهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية اسرائيل وكذلك عيسى لان مريم من ذريته • وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية • ان جعلت الذين خبرا لاولئك كان اذا تتلى كلاما مستانفا وان جعلته صفة له كان خبرا • قرأ شبل بن عباد المكي يتلى بالتذكير لان التانيث غير حقيقي مع وجود الفاصل • البكي جمع باك كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا • وعن صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء • وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا • وقالوا يدعو في سجدة التلاوة بما يليق بآيتها فان قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك • وان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك • وان قرأ هذه قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة

حسان

ربا ذلك فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب
وآمن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا جنات عدن التي وعد الرحمن
عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا خلفه اذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب
الشر خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشر عن ابن عباس رضي الله عنهما هم
اليهود تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابرهيم ومجاهد اضاعوها
بالتأخير وينصر الاول قوله الا من تاب وآمن يعني الكفار وعن علي رضي الله عنه في قوله واتبعوا
الشهوات من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة هو في هذه الامة وقرأ ابن
مسعود والحسن والضحاك الصلوات بالجمع كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد قال فمن
يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وعن الزجاج جزاء غي كقوله يلق اثاما
اي مجازاة آثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها وقرئ
يلقون وقرئ يدخلون ويدخلون اي لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم
بيانا لان تقدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا من ذلك من قولك ما ظلمك ان تفعل كذا بمعنى ما منعك او لا يظلمون البتة
اي شيئا من الظلم لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن ابدلت منها كقولك ابصرت دارك القاعة
والعلالي وعدن معرفة علم بمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفه
اعلاما لمعاني الفينة والسحر والامس فجرى العدن لذلك مجرى وهو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا
ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي وقرئ جنات
عدن بالرفع على الابتداء اي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة وهم غائبون عنها لا يشاهدونها او
بتصديق الغيب والايمان به قيل في مأتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم يأتونها
او هو من قولك اتى اليه احسانا اي كان وعده مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم
رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا اللغو فضول الكلام
وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف
فيها وما احسن قوله واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم
اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا اي ان كان تسليم بعضهم
على بعض او تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو من وادي قوله ولا عيب فيهم غير ان
سيوفهم بهن فلول او لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع او لان
معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة واهلها عن الدعاء بالسلامة اغنياء فكان
ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام من الناس من يأكل الوجبة
ومنهم من يأكل متى وجد وهي عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي العادة الوسطى المحمودة
ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولان المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء وقيل اراد
دوام الرزق ودروره كما تقول انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين
المعلومين نورث وقرئ نورث استعارة اي نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال المورث ولان
الاتقياء يلقون ربهم يوم القيمة قد انقضت اعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فاذا ادخلهم الجنة فقد
اورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى وقيل اورثوا من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو
اطاعوا وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك
نسيا رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا

وما نتنزل

وما نتنزل حكاية قول جبريل صلوات الله عليه وسلامه حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم
روي انه احتبس اربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما حين سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح
فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما
نزل جبريل صلوات الله عليه قال له النبي صلى الله عليه وسلم ابطأت حتى ساء ظني واشتقت اليك فقال
اني كنت اشوق ولكني عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست وانزل الله هذه الآية وسورة الضحى
والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق كقوله فلست لانسي ولكن لملاك
تنزل من جو السماء يصوب لانه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى انزل وبمعنى التدريج واللائق بهذا الموضع هو
النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله وعلى ما يراه صوابا
وحكمة وله ما قدامنا وما خلفنا من الجهات والاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة
ومكان الى مكان الا بامر المليك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الاحوال
لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فانى لنا ان نتقلب في ملكوته الا اذا رأى ذلك مصلحة وحكمة واطلق لنا
الاذن فيه وقيل ما سلف من امر الدنيا وما يستقبل من امر الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وهو
اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها وقيل ما قبل وجودنا
وما بعد فنائنا وقيل الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء والارض
والمعنى انه المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل تحدثه الا
صادرا عما توجبه حكمته ويأمرنا به ويأذن لنا فيه وقيل المعنى وما كان ربك نسيا لك وما كان تاركا لك
كقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به واما احتباس الوحي فلم
يكن عن ترك الله لك وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هي حكاية قول المتقين حين يدخلون
الجنة اي وما ننزل الجنة الا بامر من الله علينا بثواب اعمالنا وامرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الامور كلها
السالفة والمترقبة والحاضرة واللاطف في اعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال الله تعالى تقريرا
لقولهم وما كان ربك نسيا لاعمال العاملين وغافلا عما يجب ان يثابوا عليه وكيف يجوز النسيان والغفلة
على ذي ملكوت السموات والارض وما بينهما ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم حين عرفه على هذه الصفة
فاقبل على العمل واعبده يثبك كما اثاب غيرك من المتقين وقرأ الاعرج وما يتنزل بالياء على الحكاية عن
جبريل والضمير للوحي وعن ابن مسعود رضي الله عنه الا بقول ربك ويحتمل ان يكون للخلاف في النسي مثله في
النبي رب السموات والارض بدل من ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو رب السموات والارض
فاعبده كقوله وقائلة خولان فانكح فتاتهم وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون وما كان ربك نسيا من
كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة فان قلت هلا عدي اصطبر بعلى التي هي صلته كقوله
واصطبر عليها قلت لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت
له فيما يورد عليك من شداته اريد ان العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا يضق
صدرك عن القاء عداتك من اهل الكتاب اليك الاغاليط وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك لم
يسم شيء بالله قط وكانوا يقولون لاصنامهم آلهة والعزى اله واما الذي عوض فيه الالف واللام من الهمزة
فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يسمى احد الرحمن غيره
ووجه آخر هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل في كونها غير معتد
بها كلا تسمية وقيل مثلا وشبيها اي اذا صح ان لا معبود يوجه اليه العباد بالعبادة الا هو وحده
لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها ويقول الانسان ائذا ما مت لسوف

أخرج حياً ۝ أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ۝ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً ۝ ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً ۝ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً ۝ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ۝ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً ۝

يجوز أن يريد بالإنسان الجنس بأسره وأن يريد بعض الجنس وهم الكفرة. **فإن قلت** لم جازت إرادة الأناسي كلهم وكلهم غير قائلين ذلك **قلت** لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح إسناده إلى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلاناً وإنما القاتل رجل منهم. وقال الفرزدق: فسيف بني عبس وقد ضربوا به ❊ نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد. فقد أسند الضرب إلى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي. **فإن قلت** بم انتصب إذا وانتصابه بأخرج ممتنع لأجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم **قلت** بفعل مضمر يدل عليه المذكور. **فإن قلت** لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال **قلت** لم تجامعها إلا مخلصة للتوكيد كما أخلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف. وما في إذا ما للتوكيد أيضاً فكأنهم قالوا أحقاً أنا سنخرج أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد. والمراد الخروج من الأرض أو من حال الفناء أو هو من قولهم خرج فلان عالماً وخرج شجاعاً إذا كان نادراً في ذلك يريد سأخرج حياً نادراً على سبيل الهزء. وقرأ الحسن وأبو حيوة لسوف أخرج. وعن طلحة بن مصرف لسأخرج كقراءة ابن مسعود ولسيعطيك. وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار من قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء إنكارهم فهو كقولك للمسيء إلى المحسن أحين تمت عليك نعمة فلان أسأت إليه. الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر الأخرى فإن تلك أعجب وأغرب وأدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والأعراض من العدم إلى الوجود ثم أوقع التأليف مشحوناً بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعاً وإبداعاً من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته. وأما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها إلى ما كانت عليه بعد التفكيك والتفريق. وقوله ولم يك شيئاً دليل على هذا المعنى وكذلك قوله وهو أهون عليه على أن رب العزة سواء عليه النشأتان لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج إلى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعاً في نحر معاندته وكشفاً عن صفحة جهله. القراء كلهم على لا يذكر بالتشديد إلا نافعاً وابن عامر وعاصماً فقد خففوا. وفي حرف أبي يتذكر. من قبل من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه. في إقسام الله تعالى باسمه تقدست أسماؤه مضافاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه كما رفع من شأن السماء والأرض في قوله فورب السماء والأرض إنه لحق. والواو في والشياطين يجوز أن تكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع أوقع والمعنى أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة. **فإن قلت** هذا إذا أريد بالإنسان الكفرة خاصة فإن أريد الأناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين **قلت** إذا حشر جميع الناس حشراً واحداً وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة. **فإن قلت** هلا عزل السعداء عن الأشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء **قلت** لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر وأحضروا حيث تجاثوا حول جهنم وأوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الأحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة إلى غبطة وسروراً إلى سرور ويشمتوا بأعداء الله

ولعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم. **فإن قلت** ما معنى إحضارهم جثياً **قلت** أما إذا فسر الإنسان بالخصوص فالمعنى أنهم يقبلون من المحشر إلى شاطئ جهنم عتلاً على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم. فذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل أمة جاثية على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي أهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق وإطلاق الحبا خلاف الطمأنينة أو لما يدهمهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيجثون على ركبهم جثواً. وإن فسر بالعموم فالمعنى أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على أن جثياً حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل إلى الثواب والعقاب. المراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفئة الطائفة التي شاعت أي تبعت غاوياً من الغواة قال الله تعالى إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً. يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم. أو أراد بالذين هم أولى بها صلياً المنتزعين كما هم كأنه قال ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء وهم أولى بالصلي من بين سائر الصالين ودركاتهم أسفل وعذابهم أشد. ويجوز أن يريد بأشدهم عتياً رؤساء الشيع وأئمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالاً ومضلين قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون. وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم. واختلف في إعراب أيهم أشد فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد. وسيبويه على أنه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لأعرب. وقيل أيهم هو أشد. ويجوز أن يكون النزع واقعاً على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا أي لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلاً قال من هم فقيل أيهم أشد عتياً. وأيهم أشد بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء. **فإن قلت** بم يتعلق على والباء فإن تعلقهما بالمصدر لا سبيل إليه **قلت** هما للبيان لا للصلة أو يتعلقان بأفعل أي عتوهم أشد على الرحمن وصليهم أولى بالنار كقولهم هو أشد على خصمه وهو أولى بكذا. وإن منكم التفات إلى الإنسان يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة رضي الله عنهما وإن منهم. أو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور فإن أريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي خامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم. عن ابن عباس رضي الله عنهما يردونها كأنها إهالة وروي دواية. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة. وعنه رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجاً من بردها. وأما قوله أولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها. وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد وإن لم تدخله ولكن قربت منه. وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم. وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار. ويجوز أن يراد بالورود جثوهم حولها وإن أريد الكفار خاصة فالمعنى بين. الحتم مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الأمير أي كان ورودهم واجباً على الله أوجبه على نفسه وقضى به وعزم على أن لا يكون غيره. قرئ ننجي وننجي وينجى على ما لم يسم فاعله. إن أريد الجنس بأسره فهو ظاهر وإن أريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي الذين اتقوا أن المتقين يساقون إلى الجنة عقيب ورود الكفار لا أنهم يواردونهم ثم يتخلصون. وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن أبي ليلى ثم ننجي بفتح الثاء أي هناك. وقوله ونذر الظالمين فيها جثياً

دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها وأن المؤمنين يفارقون الكفرة إلى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى في مكانهم جاثين

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ●

بينات مرتلات الألفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد إما محكمات أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكم أو بتبيين الرسول صلى الله عليه وسلم قولا أو فعلا أو ظاهرات الإعجاز تحدي بها فلم يقدر على معارضتها أو حججا وبراهين والوجه أن يكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لأن آيات الله لا تكون إلا واضحة وحججا ● الذين آمنوا يحتمل أنهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به وأنهم يفوهون به لأجلهم وفي معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه ● قرأ ابن كثير مقاما بالضم وهو موضع الإقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع ● والندي المجلس ومجتمع القوم وحيث ينتدون والمعنى أنهم إذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا أي الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها أوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ● ويروى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين أنهم أكرم على الله منهم ●

وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا ● قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ● حتى إذا رأوا ما يوعدون ● إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا ●

كم مفعول أهلكنا ومن تبيين لإبهامها أي كثيرا من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم ● وهم أحسن في محل النصب صفة لكم ألا ترى أنك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب أحسن على الوصفية ● الأثاث متاع البيت ● وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها ● وأنشد الحسن بن علي الطوسي ● تقادم العهد من أم الوليد بنا ● دهرا وصار أثاث البيت خرثيا ● قرئ على خمسة أوجه ● رئيا وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت ● ورئيا على القلب كقولهم راء في رأى ● وريا على قلب الهمزة ياء والإدغام أو من الري الذي هو النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم ● وريا على حذف الهمزة رأسا ووجهه أن يخفف المقلوب وهو رئيا بحذف همزته وإلقاء حركتها على الياء الساكنة قبلها ● وزيا واشتقاقه من الزي وهو الجمع لأن الزي محاسن مجموعة والمعنى أحسن من هؤلاء ● أي مد له الرحمن يعني أمهله وأملى له في العمر فأخرج على لفظ الأمر إيذانا بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل ليقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر أو كقوله إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ● أو من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن في معنى الدعاء بأن يمهله الله وينفس في مدة حياته في هذه الآية وجهان أحدهما أن تكون متصلة بالآية التي هي رابعتها والآيتان اعتراض بينهما ● أي قالوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ● حتى إذا رأوا ما يوعدون أي لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه إلى أن يشاهدوا الموعود رأي عين ● إما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم إياهم قتلا وأسرا وإظهار الله دينه على الدين كله على أيديهم ● وإما يوم القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة أن الأمر على عكس ما قدروه وأنهم شر مكانا وأضعف جندا لا خير مقاما وأحسن نديا وأن المؤمنين على خلاف صفتهم ● والثاني أن تتصل بما يليها فالمعنى أن الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم والخذلان لاحق بهم لعلم الله بهم وبأن الألطاف لا تنفع فيهم وليسوا من أهلها ● والمراد بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم إلى القول الذي قالوه لا ينفكون عن ضلالتهم إلى أن يعاينوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة ومقدماتها ● فإن قلت حتى هذه ما هي ● قلت هي التي يحكى بعدها

الجمل ألا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا في مقابلة خير مقاما وأحسن نديا لأن مقامهم هو مكانهم ومسكنهم ● والندي المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم ● والجند هم الأنصار والأعوان ●

ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا ● أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا ● أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا ● كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ● ونرثه ما يقول ويأتينا فردا ● واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ● كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ●

يزيد معطوف على موضع فليمدد لأنه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مد أو يمد له الرحمن ويزيد أي يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه ● والباقيات الصالحات أعمال الآخرة كلها ● وقيل الصلوات ● وقيل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أي هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار ● وخير مردا أي مرجعا وعاقبة ومنفعة من قولهم ليس لهذا الأمر مرد وهل يرد بكائي زندا ● فإن قلت كيف قيل خير ثوابا كأن لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه ● قلت كأنه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فأعتبوا بالصيلم وقوله شجعاء جرتها الذميل تلوكه أصلا إذا راح المطي غراثا ● وقوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم بني عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذي هو أغيظ للمتهدد من أن يقال له عقابك النار ● فإن قلت فما وجه التفضيل في الخير كأن لمفاخرهم شركة فيه ● قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف أحر من الشتاء أي أبلغ في حره من الشتاء في برده ● لما كانت مشاهدة الأشياء ورؤيتها طريقا إلى الإحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت في معنى أخبر والفاء جاءت لإفادة معناها الذي هو التعقيب كأنه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك ● اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه وطلع الثنية ● قال جرير ● لاقيت مطلع الجبال وعورا ● ويقول مر مطلعا لذلك الأمر أي عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شأن يقول أوقد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار والمعنى أن ما ادعى أن يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل إليه إلا بأحد هذين الطريقين إما علم الغيب وإما عهد من عالم الغيب فبأيهما توصل إلى ذلك ● والعهد قيل كلمة الشهادة ● وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول ● وعن الكلبي هل عهد الله إليه أن يؤتيه ذلك ● وعن الحسن رحمه الله نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور أنها في العاص بن وائل ● قال خباب بن الأرت كان لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم قلت لا والله لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فإني إذا مت بعثت قال نعم قال إذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فأعطيك ● وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الأجر فقال إنكم تزعمون أنكم تبعثون وأن في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فأنا أقضيك ثم فإني أوتى مالا وولدا حينئذ ● كلا ردع وتنبيه على الخطأ أي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه ● فإن قلت كيف قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ● قلت فيه وجهان ● أحدهما سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله على طريقة قوله ● إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ● أي تبين وعلم بالانتساب أني لست بابن لئيمة ● والثاني أن المتوعد يقول للجاني سوف أنتقم منك يعني أنه لا يخل بالانتصار وإن تطاول به الزمان واستأخر فجرد ها هنا لمعنى الوعيد ● ونمد له من العذاب مدا أي نطول له من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزئون أو نزيده من العذاب

ونضاعف له من المدد يقال مدّه وامدّه بمعنى ويدل عليه قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه ونمد له بالمدد وأكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ به من التعرض لما نستوجب به غضبه • ونرثه ما يقول اي نزوي عنه ما زعم انه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول ومعنى ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل انا املك كذا فتقول له ولي فوق ما تقول • ويحتمل انه قد تمنى وطمع ان يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به اشعبيته ان تألى على ذلك في قوله لأوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتأل على الله يكذبه فيقول ان سلمنا اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه في العاقبة • ويأتينا فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدي عليه تمنيه وتأليه • ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له او لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نول سؤله ولم نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه • فردا على الوجه الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء في اتيانه فردا حين يأتي ثم يتفاوتون بعد ذلك • ليكونوا لهم عزا اي ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وانصارا ينقذونهم من العذاب • كلا ردع لهم وانكار لتعززهم بالآلهة • وقرأ ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه • وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلا • ولقائل ان يقول ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي هي للردع قلب الواقف عليها الفها نونا كما في قواريرا • والضمير في سيكفرون للآلهة اي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون قال الله تعالى واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون او للمشركين اي ينكرون لسوء العاقبة ان يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين • عليهم ضدا في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان اي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وارادوه كأنه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا او يكونون عليهم عونا والضد العون يقال من اضدادكم اي اعوانكم • وكأن العون سمي ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه • **فان قلت** لم وحد • **قلت** وحد توحيد قوله عليه الصلاة والسلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامنهم وتوافقهم • ومعنى كون الآلهة عونا عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها • وان رجعت الواو في سيكفرون ويكونون الى المشركين فان المعنى ويكونون عليهم اي اعدائهم ضدا اي كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها •

ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا • فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا • يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا • ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا • لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا •

الأز والهز والاستفزاز اخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة المردة من الكفار واقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم للرسل واستهزائهم بالدين من تماديهم في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم • عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه اي لا تعجل عليهم بان يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح انت والمسلمون من شرورهم وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة كأنها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد

فيها لو عدّت ونحوه قوله تعالى ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار • وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخول قبرك • وعن ابن السماك انه كان عند المأمون فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد • نصب يوم بمضمر اي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف او اذكر يوم نحشر • ويجوز ان ينتصب بلا يملكون • ذكر المتقين بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم • وعن علي رضي الله عنه ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت • وذكر الكافرين بانهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء • والورد العطاش لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء قال ردي ردي ورد قطاة صما كدرية اعجبها برد الماء فسمي به الواردون • وقرأ الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون • الواو في لا يملكون ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة • ويجوز ان تكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل او على الفاعلية ويجوز ان ينتصب على تقدير حذف المضاف اي الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم • واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل • وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك بأني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الذين لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة • وقيل كلمة الشهادة • وقيل من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا المأذون له في الشفاعة المأمور بها كقوله لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له ولا يشفعون الا لمن ارتضى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا •

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا • لقد جئتم شيئا إدا • تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا • أن دعوا للرحمن ولدا • وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا • إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا •

قرئ إدا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الإد والأد العجب وقيل العظيم المنكر والإدة الشدة وأدني الأمر وآدني اثقلني وعظم علي إدا • وقرأ الكسائي ونافع بالياء • وقرئ ينفطرن الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه وكرر الفعل فيه • وقرأ ابن مسعود ينصدعن • اي تهد هدا او مهدودة او مفعول له اي لانها تهد • **فان قلت** ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات • **قلت** فيه وجهان احدهما ان الله سبحانه يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري واني لا اعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا • والثاني ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده وان مثال ذلك الاثر في المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر • وفي قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا • في ان دعوا ثلاثة اوجه ان يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه كقوله • على حالة لو ان في القوم حاتما • على جوده لضن بالماء حاتم •

حانم ● ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اي هذا لان دعوا على الجزو بالمجرد بدعاء الولد للرحمن ومرفوعا بانه فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن ● وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن ● هو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين فاقتصر على احدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه الصلاة والسلام من ادعى الى غير مواليه ● وقول الشاعر انا بني نهشل لا ندعي لاب عنه ● انبغى مطاوع بغى اذا طلب اي ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثله لانه محال غير داخل تحت الصحة اما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها واما التبني فلا يكون الا فيما هو من جنس المتبنى وليس للقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ● من موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب في قوله رب من انضجت غيظا صدره ● وقرأ ابن مسعود وابو حيوة آت الرحمن على اصله قبل الاضافة

لقد احصاهم وعدهم عدا ● وكلهم آتيه يوم القيمة فردا ● ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ● فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا ● وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا ●

الاحصاء الحصر والضبط يعني حصرهم بعلمه واحاط بهم وعدهم عدا الذين اعتقدوا في الملائكة وعيسى وعزير انهم اولاد الله كانوا بين كفرين احدهما القول بان الرحمن يصح ان يكون والدا والثاني اشراك الذين زعموهم لله اولادا في عبادته كما يخدم الناس ابناء الملوك خدمتهم لآبائهم فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم من الآيات ثم عقبه بهدم الكفر الآخر والمعنى ما من معبود لهم في السموات والارض من الملائكة ومن الناس الا وهو يأتي الرحمن اي يأوي اليه ويلتجئ الى ربوبيته ● عبدا منقادا مطيعا خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شيء من احوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيمة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين احد وهم برآء منهم ● قرأ جناح بن حبيش ودا بالكسر والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التي يكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة او صداقة او اصطناع معروف او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء تخصيصا منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم ● والسين اما لان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا دجا الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيمة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس يعني يحبهم الله ويحببهم الى خلقه ● وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا جبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له المحبة في الارض وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه ● هذه خاتمة السورة ومقطعها فكانه قال بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما انزلناه بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر ● واللد الشداد الخصومة بالباطل الآخذون في كل لديد اي في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد اهل مكة ● وقوله وكم اهلكنا تخويف لهم وانذار ● وقرئ

نحس من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات ● وقرأ حنظلة تسمع مضارع اسمعت ● والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون ● عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابراهيم واسحاق ويعقوب وموسى وهارون واسمعيل وادريس وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله

سورة طه مائة وخمس وثلثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم طه ● ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ● الا تذكرة لمن يخشى ● تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى ● الرحمن على العرش استوى ●

ابو عمرو فخم الطا لاستعلائها وامال الهاء وفخمها ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون امالوها ● وعن الحسن طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر بان يطأ الارض بقدميه معا وان الاصل طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بنى عليه الامر والهاء للسكت ● ويجوز ان يكتفى بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين والله اعلم بصحة ما يقال ان طاها في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها واثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به ان السفاهة طاها في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين ● والاقوال الثلاثة في الفواتح اعني التي قدمتها في اول الكاشف عن حقائق التنزيل هي التي يعول عليها الالباء المتقنون ● ما انزلنا ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام ● وان جعلتها اسما للسورة احتملت ان تكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدا والقرآن ظاهر اوقع موقع الضمير لانها قرآن وان يكون جوابا لها وهي قسم ● وقرئ ما نزل عليك القرآن ● لتشقى لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يؤمنوا كقوله فلعلك باخع نفسك ● والشقاء يجيء في معنى التعب ومنه المثل اشقى من رائض مهر اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يؤمنوا لا محالة بعد ان لم تفرط في اداء الرسالة والموعظة الحسنة ● وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا له انك شقي لانك تركت دين آبائك فاريد رد ذلك بان دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها ● وروي انه عليه الصلاة والسلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة ● كل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط ● فان قلت اما يجوز ان تقول ما انزلنا عليك القرآن ان تشقى كقوله ان تحبط اعمالكم ● قلت بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة في واختار موسى قومه واما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لانه احد المفاعيل الخمسة التي هي اصول وقوانين لغيرها ● فان قلت هل يجوز ان تكون تذكرة بدلا من محل لتشقى ● قلت لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن ● ويحتمل ان يكون المعنى انا انزلنا عليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون تذكرة حالا ومفعولا له ● لمن يخشى لمن يؤول امره الى الخشية ● وان ينتصب بيخشى مفعولا به اي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين ● وقرئ

تنزيلا بالرفع على خبر مبتدأ محذوف • ما بعد تنزيلا الى قوله له الاسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشأن المنزل لنسبته
الى من هذه افعاله وصفاته ولا يخلو من ان يكون متعلقه اما تنزيلا نفسه فيقع صفة له واما المحذوف فيقع صفة
له • فان قلت ما فائدة النقلة من لفظ التكلم الى لفظ الغائب • قلت غير واحدة منها عادة الافتنان في
الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها ان هذه الصفات انما تسردت مع لفظ الغيبة • ومنها انه قال
ولا انزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت
الفخامة من طريقين • ويجوز ان يكون انزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه • ووصف السموات
بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها • قرئ الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع
احسن لانه اما ان يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن • واما ان يكون مبتدأ مشارا بلامه الى من خلق • فان قلت
الجملة التي هي على العرش استوى ما محلها اذا جررت الرحمن او رفعته على المدح • قلت اذا جررت فهو خبر مبتدأ
محذوف لا غير وان رفعت جاز ان يكون كذلك وان تكون مع الرحمن خبرين للمبتدأ • لما كان الاستواء على العرش وهو سرير
الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة
قالوه ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وان كان اشرح وابسط وادل على صورة الامر ونحوه
قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى انه جواد او بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من
لم يبسط يده قط بالنوال او لم تكن له يد رأسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم هو جواد ومنه قول الله عز
وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط
والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة اعوام • له ما في السموات وما
في الارض وما بينهما وما تحت الثرى • وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى • الله لا اله الا هو له الاسماء
الحسنى • وهل اتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس او اجد
على النار هدى • ما تحت الثرى ما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب • وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة
اي يعلم ما اسررته الى غيرك واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته في نفسك واخفى منه وهو ما ستسره
فيها • وعن بعضهم ان اخفى فعل يعني انه يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذاك • فان قلت كيف طابق الجزاء الشرط • قلت معناه وان تجهر بذكر الله من
دعاء او غيره فاعلم انه غني عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر
من القول • واما تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض آخر • الحسنى تأنيث الاحسن وصف بها الاسماء لان
حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة الحسنى ومثلها مآرب اخرى ومن آياتنا الكبرى والذي فضلت به اسماؤه في الحسن سائر
الاسماء دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن • قفاه بقصة
موسى عليه الصلوة والسلام ليأتسي به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال
عند الله الفوز والمقام المحمود • يجوز ان ينتصب اذ ظرفا للحديث لانه حدث او لمضمر اي حين رأى نارا كان كيت وكيت او مفعولا
لاذكر • استأذن موسى شعيبا عليهما الصلوة والسلام في الخروج الى امه وخرج بأهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة
مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى النار عند ذلك • قيل كانت ليلة
جمعة • امكثوا اقيموا في مكانكم • الايناس الابصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به
الشيء والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم • وقيل هو ابصار ما يؤنس به • لما وجد منه الايناس فكان مقطوعا
متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم • ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى
الامر فيهما على الرجاء والطمع وقال لعلي ولم يقطع فيقول اني آتيكم لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به
• القبس النار المقتبسة في رأس عود او فتيلة او غيرهما ومنه قيل المقبسة لما يقتبس فيه من شعلة

او نحوها • هدى اي قوما يهدونني الطريق او ينفعونني بهداهم في ابواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك
لان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية في جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوي هدى او اذا وجد
الهداة فقد وجد الهدى • ومعنى الاستعلاء على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال
سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين بها والمستمتعين اذا تكنفوها
قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى • وبات على النار الندى والمحلق • قرأ ابو عمرو
وابن كثير اني بالفتح اي نودي باني انا ربك وكسر الباقون اي نودي فقيل يا موسى او لان النداء ضرب
من القول فعومل معاملته • تكرير الضمير في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة
الشبهة • روي انه لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل اني انا ربك وان ابليس وسوس اليه
لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع جهاتي الست واسمعه بجميع
اعضائي • وروي انه حين انتهى رأى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كأنها نار بيضاء تتقد وسمع
تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وبهت فالقيت عليه السكينة ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة •
وروي كلما دنا او بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت • وعن ابن اسحاق لما دنا استأخرت عنه فلما رأى
ذلك رجع واوجس في نفسه خيفة فلما اراد الرجعة دنت منه ثم كلم • قيل امر بخلع النعلين لانهما
كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدي وقتادة • وقيل ليباشر الوادي بقدميه متبركا به
• وقيل لان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه
وكان اذا ندر منه الدخول منتعلا تصدق والقرآن يدل على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف
لقدسها • وروي انه خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي • طوى بالضم والكسر منصرف وغير منصرف
بتأويل المكان والبقعة • وقيل مرتين نحو ثنى اي نودي نداءين وقدس الوادي كرة بعد كرة • وانا اخترتك
فاستمع لما يوحى • انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري • ان الساعة آتية
اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى • اخترتك اصطفيتك للنبوة • وقرأ حمزة وانا اخترناك
لما يوحى للذي يوحى او للوحي • تعلق اللام باستمع او باخترتك • لذكري لتذكرني فان ذكري ان اعبد ويصلى
لي او لتذكرني فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار عن مجاهد • او لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها • او لان اذكرك
بالمدح والثناء واجعل لك لسان صدق • او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري • او لاخلاص ذكري وطلب
وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا آخر • او لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم
على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله • او لاوقات ذكري وهي
مواقيت الصلوة كقوله ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واللام مثلها في قولك جئتك لوقت كذا
وكان ذلك لست ليال خلون وقوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقد حمل على ذكر الصلوة بعد نسيانها من قوله
عليه الصلوة والسلام من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها وكان حق العبارة ان يقال لذكرها • كما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول اذا ذكر الصلوة فقد ذكر الله • او بتقدير حذف
المضاف اي لذكر صلوتي • او لان الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة • وقرأ رسول الله صلى الله عليه
وسلم للذكرى • اي اكاد اخفيها فلا اقول هي آتية لفرط ارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها
مع تعمية وقتها من اللطف لما اخبرت به • وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على
هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف ابي اكاد اخفيها
من نفسي • وفي بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها • وعن ابي الدرداء وسعيد بن جبير
اخفيها بالفتح من خفاه اذا اظهره اي قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة • وقد جاء في بعض اللغات

لخفاه بمعنى خناه وقيه فستى بثيابا من • فان تدفنوا الداء لا نخفه • وان تبعثوا الحرب لا نقعد • فأكاد
اخفيها يحتمل للمعنيين • لتجزى متعلق بآتية • بما تسعى بسعيها • اي لا يصدنك عن تصديقها او الضمير
للصلاة • من لا يؤمن بها • فان قلت العبارة لنهي من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهي موسى
عن التكذيب بالبعث وامره بالتصديق فكيف صلحت هذه العبارة لاداء هذا المقصود • قلت فيه وجهان
احدهما ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب • والثاني ان صد الكافر
مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا ارينك هاهنا
المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته اياه فكان ذكر المسبب دليلا على
السبب كأنه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث ان يطمع في صدك
عما انت عليه يعني ان من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير اذ لا شيء اطم على الكفرة ولا هم اشد له نكيرا من البعث
فلا يهولنك وفور دهمائهم وعظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم انهم وان كثروا تلك
الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل
وزجر بليغ عن التقليد وانذار بان الهلاك والردى مع التقليد واهله • وما تلك بيمينك
يا موسى • قال هي عصاي اتوكأ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى • قال القها يا موسى
فالقاها فاذا هي حية تسعى • قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى • تلك بيمينك
كقوله وهذا بعلي شيخا في انتصاب الحال بمعنى الاشارة • ويجوز ان يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك
انما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة وليقرر
في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وتنبيهه على قدرته الباهرة ونظيره ان
يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد ايام لبوسا مسردا فيقول
هي تلك الزبرة صيرتها الى ما ترى من عجيب الصنعة وانيق السرد • وقرأ ابن ابي اسحاق عصي على لغة هذيل
ومثله يا بشري ارادوا كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الالف الى الكسرة • وقرأ الحسن
عصاي بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخي • وعن ابن ابي اسحاق • اتوكأ عليها
اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة • هش الورق خبطه اي اخبط على
رؤوس غنمي تأكله • وعن لقمان بن عاد اكلت حقا وابن لبون وجذع • وهش ثم فقع وسيل دفع
والحمد لله من غير شبع • سمعته من غير واحد من العرب • ونخب واد قريب من الطائف كثير السدر
• وفي قراءة النخعي اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان ينكسر لهشاشته • وعن عكرمة اهس
بالسين اي انحي عليها زاجرا لها • والهس زجر الغنم • ذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا
كأنه احس بما يعقب هذا السؤال من امر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هي الا عصا لا تنفع الا منافع بنات جنسها
وكما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه • ويجوز ان يريد عز وجل ان
يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة
كأنه يقول له اين انت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت
تعتد بها وتحتفل بشأنها • وقالوا انما سأله ليبسطه ويقلل هيبته • وقالوا انما اجمل موسى ليسأله
عن تلك المآرب فيزيد في اكرامه • وقالوا انطلق لسانه بالهيبة فاجمل • وقالوا اسم العصا نبعة • وقيل
في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين
واذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها • واذا كان في البرية
ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل • واذا قصر رشاؤه وصله بها • وكان

يقاتل بها السباع عن غنمه • وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير
شعبتاه دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت
واثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت
تقيه الهوام • تسعى تمشي بسرعة وخفة حركة • فان قلت كيف ذكرت بالفاظ مختلفة بالحية
والجان والثعبان • قلت اما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير • واما
الثعبان والجان فبينهما تناف لان الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفي ذلك وجهان احدهما انها كانت
وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد
بالجان اول حالها وبالثعبان مآلها • والثاني انها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل
عليه فلما رآها تهتز كأنها جان • وقيل كان لها عرف كعرف الفرس • وقيل كان بين لحييها اربعون
ذراعا • لما رأى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف وفي
وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر • وعن بعضهم انما خاف
لانه عرف ما لقي آدم عليه السلام منها • وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه ان
ادخل يده في فمها واخذ بلحييها • السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة
ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة • وقيل سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف اي سنعيدها
في طريقتها الاولى اي في حال ما كانت عصا وان يكون اعاد منقولا من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير
وعادك ان تلاقيها عداء • فيتعدى الى مفعولين • ووجه ثالث حسن وهو ان يكون سنعيدها مستقلا
بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى انها انشئت اول ما انشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية
فسنعيدها بعد الذهاب كما انشأناها اولا • ونصب سيرتها بفعل مضمر اي تسير سيرتها الاولى يعني سنعيدها
سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها • واضمم يدك الى جناحك
تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى • لنريك من آياتنا الكبرى • اذهب الى فرعون انه طغى • قال رب
اشرح لي صدري • ويسر لي امري • واحلل عقدة من لساني • يفقهوا قولي • واجعل لي وزيرا من
اهلي • هارون اخي • اشدد به ازري • واشركه في امري • كي نسبحك كثيرا • ونذكرك كثيرا • انك
كنت بنا بصيرا • قيل لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لمجنبتيه • وجناحا الانسان جنباه • والاصل المستعار
منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران • والمراد الى جنبك تحت العضد • دل على ذلك قوله تخرج
• السوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوأة • وكان جذيمة صاحب الزباء ابرص
فكنوا عنه بالابرش • والبرص ابغض شيء الى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بان
يكنى عنه ولا ترى احسن ولا الطف ولا احز للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه • يروى انه كان آدم فاخرج يده
من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس تغشي البصر • بيضاء وآية حالان معا • ومن غير سوء من صلة
البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء • وفي نصب آية وجه آخر وهو ان يكون باضمار نحو خذ ودونك وما اشبه
ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف • لنريك اي خذ هذه الآية ايضا بعد قلب العصا حية
لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى او لنريك بها الكبرى من آياتنا • او لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا
ذلك • اذهب الى فرعون لما امره بالذهاب الى فرعون عرف انه كلف امرا عظيما لا يحتمله الا ذو جاش رابط
وصدر فسيح فاستوهب ربه ان يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من
الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات ولا يضيق قلبه في الجهاد امره الذي هو خلافة
الله في ارضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب • فان قلت لي في قوله

اشرح لي صدري ويسر لي امري ما جدواه والكلام بدونه مستتب قلت قد ابهم الكلام اولا فقيل اشرح لي
ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وامره
من ان يقول اشرح صدري ويسر امري على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الاجمال والتفصيل
عن ابن عباس كان في لسانه رتة لما روي من حديث الجمرة ويروى ان يده احترقت وان فرعون اجتهد في
علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم انما لم تبرأ
يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف في زوال العقدة بكمالها فقيل
بقي بعضها لقوله واخي هرون هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله
عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى وقيل زالت لقوله قد اوتيت سؤلك
وفي تنكير العقدة وان لم يقل واحلل عقدة لساني انه طلب حل بعضها ارادة ان يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب
الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة العقدة كانه قيل عقدة من عقد لساني الوزير من الوزر
لانه يتحمل عن الملك اوزاره ومؤنه او من الوزر لان الملك يعتصم برأيه ويلجئ اليه اموره او من الموازرة
وهي المعاونة عن الاصمعي قال وكان القياس ازيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جاء في معنى
مفاعل مجيئا صالحا كقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت في اخيه قلبت فيه
وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى ان مواخاته والحلول وازرة وزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل
قدم ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة او لي وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير واخي في الوجهين
بدل من هرون وان جعل عطف بيان آخر جاز وحسن قرءوا جميعا اشدد واشركه على الدعاء وابن عامر
اشدد واشركه على الجواب وفي مصحف ابن مسعود اخي واشدد وعن ابي بن كعب اشركه في امري واشدد
به ازري ويجوز فيمن قرا على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدد به خبره ويوقف على هرون
الازر القوة وآزره قواه اي اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فان التعاون
لانه مهيج الرغبات يتزايد به الخير ويتكاثر انك كنت بنا بصيرا اي عالما باحوالنا وبان التعاضد مما يصلحنا
وان هرون نعم المعين والشاد لعضدي بانه اكبر مني سنا وافصح لسانا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى
ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه
في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له والقيت عليك محبة مني ولتصنع على
عيني السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز واكل بمعنى مأكول الوحي الى ام موسى اما ان يكون
على لسان نبي في وقتها كقوله واذ اوحيت الى الحواريين او يبعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث الى مريم او
يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه او يلهمها كقوله واوحى ربك الى النحل اي اوحينا اليها امرا لا سبيل الى التوصل
اليه ولا الى العلم به الا بالوحي وفيه مصلحة دينية فوجب ان يوحى ولا يخل به ما يوحى مبهم يوحى ابهاما للحالة
وهو امر عظيم مثله يحق بان يوحى ان هي المفسرة لان الوحي بمعنى القول القذف مستعمل في معنى الالقاء والوضع
ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي قال غلام رماه الله بالحسن يافعا اي حصل
فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه
هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم فان قلت المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل
قلت ما ضرك لو قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك
النظم الذي هو ام اعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته اهم ما يجب على المفسر لما كانت
مشيئة الله وارادته ان لا تخطى جرية ماء اليم الوصول به الى الساحل والقاءه اليه سلك في ذلك سبيل المجاز
وجعل اليم كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل روي

انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته في اليم وكان يشرع
منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على راس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج
ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه
وظاهر اللفظ ان البحر القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله اي يقشره وقذف به فالتقط
من الساحل الا ان يكون قد القاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه النهر الى حيث البركة
مني لا يخلو اما ان يتعلق بالقيت فيكون المعنى على اني احببتك ومن احبه الله احبته القلوب واما ان
يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة اي محبة حاصلة او واقعة مني قد ركزتها انا في القلوب وزرعتها
فيها فلذلك احبك فرعون وكل من ابصرك روي انه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه
ملاحة لا يكاد يصبر عنه من راه على عيني لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك وراقبك كما
يراعي الرجل الشيء بعينيه اذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عيني انظر اليك لئلا تخالف
عن مرادي وبغيتي ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وترأم ونحوه او حذف
معلله اي ولتصنع فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه
امر وقرئ ولتصنع بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك وتصرفك على عين مني اذ تمشي اختك
فتقول هل ادلكم على من يكفله فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك
من الغم وفتناك فتونا العامل في اذ تمشي القيت او تصنع ويجوز ان يكون بدلا من اذ اوحينا فان قلت
كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان قلت كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه
ان يقول الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في اولها وانت في آخرها
يروى ان اخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وذلك
انه كان لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل ادلكم فجاءت بالام فقبل ثديها ويروى ان آسية استوهبته
من فرعون وتبنته وهي التي اشفقت عليه وطلبت له المراضع هي نفس القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي قتله
وهو ابن ثنتي عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره
حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون ان ذهب به مهاجرا الى مدين
فتونا يجوز ان يكون مصدرا على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد
بتاء التأنيث كحجوز وبدور في حجزة وبدرة اي فتناك ضروبا من الفتن سأل سعيد بن جبير ابن عباس رضي الله
عنهما عنه فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته
امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة
وكان يقول لكل واحدة وهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده
فتنة قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك
لنفسي اذهب انت واخوك باياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا
لعله يتذكر او يخشى مدين على ثمان مراحل من مصر وعن وهب لبث عند شعيب ثماني وعشرين سنة
منها مهر ابنته وقضى اوفى الاجلين اي سبق في قضائي وقدري ان اكلمك واستنبئك في وقت بعينه قد
وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان
يوحى فيه الى الانبياء وهو راس اربعين سنة هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكليم مثل حاله
بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص اهلا لئن يكون اقرب منزلة منه اليه ولا الطف محلا
فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع الا بعينه واذنه ولا يأتمن

فيما يكون الاستواء ضميره • الوني الفتور والتقصير • وقرئ تِنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع
أي لا تنسياني ولا تزالا على ذكري حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين بذلك
العون والتأييد مني معتقدين أن أمرا من الأمور لا يتأتى لأحد إلا بذكري • ويجوز أن يريد بالذكر تبليغ
الرسالة فإن الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أجلها وأعظمها فكان جديرا بأن يطلق
عليه اسم الذكر • روي أن الله أوحى إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى • وقيل سمع بمقبله • وقيل ألهم
ذلك • وقرئ لينا بالتخفيف • في القول اللين نحو قوله تعالى هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى لأن
ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه الفوز العظيم • وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا
لا ينزع منه إلا بالموت وأن يبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته • وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا
له في القول لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الأبوة • وقيل كنياه وهو من ذوي الكنى
الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة • والترجي لهما أي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الأمر
مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد بأقصى وسعه
وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بأنه لن يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة ولو أنا أهلكناهم بعذاب من
قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك • أي يتذكر ويتأمل فيبذل النصفة من نفسه
والإذعان للحق • أو يخشى أن يكون الأمر كما تصفان فيجره إنكاره إلى الهلكة • قالا ربنا إننا نخاف
أن يفرط علينا أو أن يطغى • قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى • فأتياه فقولا إنا رسولا
ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على
من اتبع الهدى • إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى • قال فمن ربكما يا موسى •
قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى • فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة
وفرس فرط يسبق الخيل أي نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة ويبادر بها • وقرئ يُفرط من أفرطه
غيره إذا حمله على العجلة أي نخاف أن يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان أو من جبروته واستيلائه
وادعائه الربوبية أو من حب الرياسة أو من قومه القبط المتمردين الذين حكى عنهم رب العزة قال الملأ
من قوم فرعون • وقرئ يُفرط من الإفراط في الأذية • أو أن يطغى بيننا وبين تبليغ الرسالة
بالمعاجلة أو يجاوز الحد في معاقبتنا إن لم يعاجل بناء على ما عرف وجرب من شرارته وعتوه • أو أن
يطغى بالتخطي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته عليك وقسوة قلبه • وفي المجيء به هكذا على الإطلاق على سبيل
الرمز باب من حسن الأدب وتحاش عن التفوه بالعظيمة • معكما أي حافظكما وناصركما • أسمع وأرى
ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فأفعل ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما ويجوز أن لا يقدر شيء وكأنه قيل
أنا حافظكما وناصركما سامعا مبصرا وإذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ
وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو • كانت بنو إسرائيل في ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف
الأعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء
• قد جئناك بآية من ربك جملة جارية من الجملة الأولى وهي إنا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لأن
دعوى الرسالة لا تثبت إلا ببينتها التي هي المجيء بالآية • إنما وحد قوله بآية وكان معه آيتان
لأن المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكأنه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على
ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم • فأت بآية إن كنت من الصادقين • أو لو جئتك
بشيء مبين • يريد وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب
على المكذبين • خاطب الاثنين ووجه النداء إلى أحدهما وهو موسى لأنه الأصل في النبوة وهارون وزيره

وتابعه • ويحتمل أن يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من
فصاحة هارون والرتة في لسان موسى عليه الصلاة والسلام • ويدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذي
هو مهين ولا يكاد يبين • خلقه أول مفعولي أعطى أي أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به أو
ثانيهما أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق
الإبصار والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق
لما علق به من المنفعة غير ناب عنه • أو أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر
زوجين والبعير والناقة والرجل والمرأة فلم يزاوج منها شيئا غير جنسه وما هو على خلاف خلقه
وقرئ خلقه صفة للمضاف أو المضاف إليه أي كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وإنعامه • ثم هدى
أي عرف كيف يرتفق بما أعطي وكيف يتوصل إليه • ولله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه
لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالبا للحق • قال فما بال القرون الأولى • قال علمها
عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى • الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا
وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى • كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك
لآيات لأولي النهى • سأل عن حال من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد
فأجابه بأن هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم منه إلا
ما أخبرني به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله أن يخطئ شيئا أو
ينساه • يقال ضللت الشيء إذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل • وقرئ
يُضل من أضله إذا ضيعه • وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه
ويجوز أن يكون فرعون قد نازعه في إحاطة الله بكل شيء وتبينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول في سوالف
القرون وتمادي كثرتهم وتباعد أطراف عددهم كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم فأجاب بأن كل كائن
محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوزان عليك أيها العبد الذليل والبشر
الضئيل أي لا يضل كما تضل أنت ولا ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة • الذي جعل رفع
صفة لربي أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب على المدح وهذا من مظانه ومكانه • مهدا قراءة أهل الكوفة
أي مهدها مهدا أو يتمهدونها فهي لهم كالمهد وهو ما يمهد للصبي • سلك من قوله تعالى ما سلككم في سقر
سلكناه تسلكه في قلوب المجرمين أي حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والأودية والبراري •
فأخرجنا به عدل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ التكلم للتطاع عما ذكر من الافتنان والإيذان بأنه مطاع
تنقاد الأشياء المختلفة لأمره وتذعن الأجناس المتفاوتة لمشيئته لا يمتنع شيء على إرادته ومثله قوله
تعالى وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء • ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات
مختلفا ألوانها • أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق • وفيه تخصيص أيضا بأنا
نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة أحد • أزواجا أصنافا سميت بذلك لأنها مزدوجة ومقترنة
بعضها مع بعض • شتى صفة للأزواج جمع شتيت كمريض ومرضى • ويجوز أن يكون صفة للنبات
والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني أنها شتى مختلفة
النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم • قالوا من نعمة عز وعلا أن
أرزاق العباد إنما يحصل بعمل الأنعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على
أكله أي قائلين كلوا وارعوا حال من الضمير في فأخرجنا والمعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع
بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها • منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة

ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى • قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى • فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى • قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى • فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى •

أراد بخلقهم من الأرض خلق أصلهم وهو آدم عليه الصلاة والسلام منها • وقيل إن الملك لينطلق فيأخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معاً • وأراد بإخراجهم منها أنه يؤلف أجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا أحياء ويخرجهم إلى المحشر يوم يخرجون من الأجداث سراعاً عدد الله عليهم ما علق بالأرض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشاً ومهاداً يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤوا وأنبت فيها أصناف النبات التي منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي أصلهم الذي منه تفرعوا وأمهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم إذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالأرض فإنها بكم برة • أريناه بصرناه أو عرفناه صحتها ويقناه بها وإنما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً وقوله لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر • وفي قوله آياتنا كلها وجهان أحدهما أن يحذى بهذا التعريف الإضافي حذو التعريف باللام لو قيل الآيات كلها أعني أنها كانت لا تعطي إلا تعريف العهد والإشارة إلى الآيات المعلومة التي هي تسع الآيات المختصة بموسى عليه الصلاة والسلام العصا واليد • وفلق البحر • والحجر • والجراد • والقمل • والضفادع • والدم • ونتق الجبل • والثاني أن يكون موسى قد أراه آياته وعدد عليه ما أوتيه غيره من الأنبياء من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذبها جميعاً • وأبى أن يقبل شيئاً منها • وقيل فكذب الآيات وأبى قبول الحق • يلوح من جيب قوله أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك أن فرائصه كانت ترعد خوفاً مما جاء به موسى عليه الصلاة والسلام لعلمه وإيقانه أنه على الحق وأن المحق لو أراد قود الجبال لانقادت وأن مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وأنه غالبه على ملكه لا محالة • وقوله بسحرك تعلل وتحير وإلا فكيف يخفى عليه أن ساحراً لا يقدر أن يخرج ملكاً مثله من أرضه ويغلبه على ملكه بالسحر • لا يخلو الموعد في قوله فاجعل بيننا وبينك موعداً من أن يجعل زماناً أو مكاناً أو مصدراً فإن جعلته زماناً نظراً إلى أن قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيئان أن تجعل الزمان مخلفاً وأن يعضل عليك ناصب مكاناً وإن جعلته مكاناً لقوله مكاناً سوى لزمك أيضاً أن توقع الإخلاف على المكان وأن لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكاناً وزماناً جميعاً لأنه قرأ يوم الزينة بالنصب فبقي أن يجعل مصدراً بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف أي مكان موعد ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكاناً بدل من المكان المحذوف **فإن قلت** فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من أن تجعله زماناً والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان **قلت** هو مطابق معنى وإن لم يطابق لفظاً لأنهم لا بد لهم من أن يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان • وأما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى إنجاز وعدكم يوم الزينة وطباق هذا أيضاً من طريق المعنى • ويجوز أن لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعداً لا نخلفه • **فإن قلت** فبم ينتصب مكاناً **قلت** بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر **فإن قلت** فكيف يطابقه الجواب **قلت** أما على قراءة الحسن فظاهر وأما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة • ويجوز على قراءة الحسن أن يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لأنه ضحى ذلك اليوم بعينه • وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء • ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام • ويوم كانوا يتخذون فيه سوقاً ويتزينون ذلك اليوم • قرئ نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الأمر • وقرئ سوى وسوى بالكسر والضم منوناً وغير منون ومعناه

منصفاً

منصفاً بيننا وبينك عن مجاهد وهو من الاستواء لأن المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه أن يجري الوصل مجرى الوقف • قرئ وأن تحشر الناس بالتاء والياء يريد وأن تحشر يا فرعون وأن يحشر اليوم • ويجوز أن يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة إما على العادة التي يخاطب بها الملوك أو خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون • ومحل وأن يحشر الرفع أو الجر عطفاً على اليوم أو الزينة • وإنما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل حد المبطلين وأشياعهم ويكثر المحدث بذلك الأمر العلم في كل بدو وحضر ويشيع في أهل الوبر والمدر قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى • فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى • قالوا إن هذين لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى • فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفاً وقد أفلح اليوم من استعلى • لا تفتروا على الله كذباً أي لا تدعوا آياته ومعجزاته سحراً • قرئ فيسحتكم والسحت لغة أهل الحجاز والإسحات لغة أهل نجد وبني تميم • ومنه قول الفرزدق إلا مسحتاً أو مجلف • في بيت لا تزال الركب تصطك في تسوية إعرابه • عن ابن عباس إن نجواهم إن غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة إن كان ساحراً فسنغلبه وإن كان من السماء فله أمر • وعن وهب لما قال ويلكم الآية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر أنهم تشاوروا في السر وتجاذبوا أهداب القول ثم قالوا إن هذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفاً من غلبتهما وتثبيطاً للناس عن اتباعهما • قرأ أبو عمرو إن هذين لساحرين على الجهة الظاهرة المكشوفة • وابن كثير وحفص إن هذان لساحران على قولك إن زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين إن النافية والمخففة من الثقيلة • وقرأ أبي إن ذان إلا ساحران • وابن مسعود أن هذان ساحران بفتح أن وبغير لام بدل من النجوى • وقيل في القراءة المشهورة إن هذان لساحران هي لغة بلحارث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الأسماء التي آخرها ألف كعصا وسعدى فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب • وقال بعضهم إن بمعنى نعم ولساحران خبر مبتدأ محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره لهما ساحران وقد أعجب به أبو إسحاق سموا مذهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون • وقيل أرادوا أهل طريقتكم المثلى وهم بنو إسرائيل لقول موسى عليه الصلاة والسلام أرسل معنا بني إسرائيل • وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس وأشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد أيضاً هو طريقة قومه • فأجمعوا كيدكم يعضده قوله فجمع كيده • وقرئ فأجمعوا كيدكم أي أزمعوه واجعلوه مجمعاً عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف عنه واحد منكم كالمسألة المجمع عليها • ثم ائتوا صفاً أمروا بأن يأتوا صفاً لأنه أهيب في صدور الرائين • وروي أنهم كانوا سبعين ألفاً مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد أقبلوا إقبالة واحدة • وعن أبي عبيدة أنه فسر الصف بالمصلى لأن الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم مصطفين ووجه صحته أن يقع علماً لمصلى بعينه فأمروا بأن يأتوه أو يراد ائتوا مصلى من المصليات • وقد أفلح اليوم من استعلى اعتراض يعني وقد فاز من غلب قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى • قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى • فأوجس في نفسه خيفة موسى • قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى • أن مع ما بعده إما منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر أحد الأمرين أو الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على إعطائهم النصفة من أنفسهم وكأن الله عز وعلا ألهمهم ذلك وعلم موسى عليه الصلاة والسلام اختيار إلقائهم أولاً مع ما فيه من مقابلة أدب بأدب حتى يبرزوا ما معهم من مكائد السحر ويستنفدوا أقصى طوقهم ومجهودهم فإذا فعلوا أظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين • فإذا يقال في إذا هذه إذا المفاجأة والتحقيق فيها أنها إذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصباً لها وجملة تضاف إليها خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلاً مخصوصاً وهو فعل

للمفاجأة والجملة ابتدائية لا غير والتقدير ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة إليه السعي • وقرئ عُصيهم بالضم وهو الأصل والكسر إتباع ونحوه دُلي ودِلي وقُسي وقِسي • وقرئ تُخيّل على إسناده إلى ضمير الحبال والعصي وإبدال قوله أنها تسعى من الضمير بدل الاشتمال كقولك يعجبني زيد كرمه • وقرئ على كون الحبال والعصي مخيلة سعيها • وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تجيء • ويخيل على إسناده إلى الله على معنى الابتلاء • روي أنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك • فأوجس إيجاس الخوف إضمار شيء منه وكذلك توجس الصوت تسمع نبأة يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وأنه لا يكاد يمكن الخلو من مثله • وقيل خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه • إنك أنت الأعلى فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستئناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل • **وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى** • وقوله ما في يمينك ولم يقل عصاك جائز أن يكون تصغيراً لها أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فإنه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها • وجائز أن يكون تعظيماً لها أي لا تحتفل بهذه الأجرام الكثيرة فإن في يمينك شيئاً أعظم منها كلها وهذه على كثرتها أقل شيء وأنزره عندها فألقه يتلقفها بإذن الله ويمحقها • وقرئ بالرفع على الاستئناف أو على الحال أي ألقها متلقفة • وقرئ تلقف بالتخفيف • صنعوا هاهنا بمعنى زوّروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يأفكون • قرئ كيد ساحر بالرفع والنصب فمن رفع فعلى أن ما موصولة ومن نصب فعلى أنها كافة • وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر أو ذوي سحر أو هم لتوغلهم في سحرهم كأنهم السحر بعينه وبذاته أو بيّن الكيد لأنه يكون سحراً وغير سحر كما تبيّن المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو • **فإن قلت** لم وحّد ساحر ولم يجمع **قلت** لأن القصد في هذا الكلام إلى معنى الجنسية لا إلى معنى العدد فلو جمع تخيل أن المقصود هو العدد ألا ترى إلى قوله ولا يفلح الساحر أي هذا الجنس **فإن قلت** فلم نكّر أولاً وعرّف ثانياً **قلت** إنما نكّر من أجل تنكير المضاف لا من أجل تنكيره في نفسه كقول العجاج • في سعي دنيا طالما قد مدت • وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في أمر دنيا ولا في أمر آخرة المراد تنكير الأمر كأنه قيل إنما صنعوا كيداً سحرياً وفي سعي دنيوي وأمر دنيوي وأخروي • حيث أتى كقولهم حيث سير وأية سلك وأينما كان • **فألقي السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى • قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى** • سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الإلقاءين • وروي أنهم لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها • وعن عكرمة لما خروا سجداً أراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون إليها في الجنة • لكبيركم لعظيمكم يريد أنه أسحرهم وأعلاهم درجة في صناعتهم أو لمعلمكم من قول أهل مكة للمعلم أمرني كبيري وقال لي كبيري كذا يريدون معلمهم وأستاذهم في القرآن وفي كل شيء • قرئ فلأقطعن ولأصلبن بالتخفيف • والقطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين يخالف الآخر بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال • ومن لابتداء الغاية لأن القطع مبتدئ وناشئ من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه إياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال أي لأقطعنها مختلفات لأنها إذا خالف بعضها بعضاً فقد اتصفت بالاختلاف • شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل • أينا يريد نفسه لعنه الله وموسى صلى الله عليه وسلم بدليل قوله آمنتم له واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله تعالى كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين

كل سورة الفاتحة تحمل أسفارها سبعون جملاً • العهد الزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال طال عهدي بك أي طال زماني بسبب مفارقتك • وعدوه أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الإيمان فأخلفوا موعده بعبادتهم العجل بملكنا قرئ بالحركات الثلاث أي ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا أي لو ملكنا أمرنا وخلينا وذلك لما أخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده • حمّلنا أحمالاً من حلي القبط التي استعرناها منهم أو أرادوا بالأوزار أنها آثام وتبعات لأنهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي على أن الغنائم لم تكن تحل حينئذ • فقذفناها في نار السامري التي أوقدها في الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلي • وقرئ حَمَلنا فكذلك ألقى السامري أراهم أنه يلقي حلياً في يده مثل ما ألقوا وإنما ألقى التربة التي أخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل أوحى إليه وليه الشيطان أنها إذا خالطت مواتاً صار حيواناً **فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي • أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً • ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري • قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى • قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري** • فأخرج لهم السامري من الحفرة عجلاً خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل **فإن قلت** كيف أثرت تلك التربة في إحياء الموات **قلت** أما يصح أن يؤثر الله سبحانه روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما آثره بغيرها من الكرامات وهي أن يباشر فرسه بحافره تربة إذا لاقت تلك التربة جماداً أنشأه الله إن شاء عند مباشرته حيواناً ألا ترى كيف أنشأ المسيح من غير أب عند نفخه في الدرع **فإن قلت** فلم خلق الله العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني إسرائيل وضلالاً **قلت** ليس بأول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين • ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق إبليس أعجب • والمراد بقوله إنا قد فتنا قومك خلق العجل للامتحان أي امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري على الضلال وأوقعهم فيه حين قال لهم هذا إلهكم وإله موسى • فنسي أي فنسي موسى أن يطلبه هاهنا وذهب يطلبه عند الطور أو فنسي السامري أي ترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر • يرجع من رفعه فعلى أن أن مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى أنها الناصبة للأفعال • من قبل من قبل أن يقول لهم السامري ما قال كأنهم أول ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل أن ينطق السامري بادرهم هارون عليه الصلاة والسلام بقوله إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن • لا مزيدة والمعنى ما منعك أن تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر عن الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن آمن وما لك لم تباشر الأمر كما كنت أباشره أنا لو كنت شاهداً أو ما لك لم تلحقني • قرئ بلحيتي بفتح اللام وهي لغة أهل الحجاز كان موسى صلوات الله عليه رجلاً حديداً مجبولاً على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلاً من دون الله بعد ما رأوا من الآيات العظام أن ألقى ألواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضباً لله واستنكافاً وحمية وعنف بأخيه وخليفته على قومه فأقبل عليه إقبال العدو المكاشف قابضاً على شعر رأسه وكان أفرع وعلى شعر وجهه يجره إليه أي لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستأنيتك أن تكون أنت المتدارك بنفسك المتلافي برأيك وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتني به من ضم النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها • الخطب مصدر خطب الأمر إذا طلبه فإذا قيل لمن يفعل شيئاً ما خطبك فمعناه ما طلبك له • قرئ بصرت بما لم يبصروا به بالكسر والمعنى علمت ما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له • قرأ الحسن قُبضة بضم القاف وهي اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وأما القبضة فالمرة من القبض وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير • وقرأ أيضاً فقبصت قبصة بالصاد

الضاد بجميع الكف والصاد بأطراف الأصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه •
قرأ ابن مسعود من أثر فرس الرسول **فإن قلت** لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس **قلت**
حين حل ميعاد الذهاب إلى الطور أرسل الله إلى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به فأبصره السامري
فقال إن لهذا لشأنا فقبض القبضة من تربة موطئه فلما سأله موسى عن قصته قال قبضت من أثر فرس المرسل
إليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف أنه جبريل • قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس
وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في
اليم نسفا • إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما • عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء
أطم منها وأوحش وذلك أنه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته
ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا وإذا اتفق أن يماس أحدا رجلا أو امرأة حُمّ
الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس أوحش من القاتل اللاجئ إلى
الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال إن قومه باق فيهم ذلك إلى اليوم • وقرئ لا مساس بوزن فجار ونحوه
قولهم في الظباء إن وردت الماء قالت حباب وإن فقدته فلا أباب وهي أعلام للمسة والعبة والأبة وهي
المرة من الأب وهو الطلب • لن تخلفه أي لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الأرض ينجزه
لك في الآخرة بعدما عاقبك بذلك في الدنيا فأنت ممن خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين • وقرئ
لن تُخلِفه وهذا من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفا قال الأعشى أثوى وقصّر ليله ليزوّدا
فمضى وأخلف من قتيلة موعدا • وعن ابن مسعود نخلفه بالنون أي لن يخلفه الله كأنه حكى قوله عز وجل
كما مر في لأهب لك • ظلت وظِلت والأصل ظللت فحذفوا اللام الأولى ونقلوا حركتها إلى الظاء
ومنهم من لم ينقل • لنُحرِقنه ولنَحرُقنّه • وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ثم لنحرقنه ولنحرقنه القراءتان
من الإحراق وذكر أبو علي الفارسي في لنحرقنه أنه يجوز أن يكون حرّق مبالغة في حرق إذا برد بالمبرد وعليه القراءة
الثالثة وهي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لننسفنه بكسر السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة
وهي إبطال ما افتتن به وفتن والإهدار لسعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين • وقرأ طلحة
الذي لا إله إلا هو الرحمن رب العرش وسع كل شيء علما • وعن مجاهد وقتادة وسّع ووجهه أن وسّع متعدٍ إلى
مفعول واحد وهو كل شيء وأما علما فانتصابه على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما نقل إلى التعدية إلى مفعولين
نصبهما معا على المفعولية لأن المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا وخوفت زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا
كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا • من أعرض عنه فإنه يحمل يوم
القيمة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيمة حملا • الكاف في كذلك منصوب المحل وهذا موعد من الله
عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم أي مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون
نقص عليك من سائر أخبار الأمم وقصصهم وأحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك وليعتبر
السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتتأكد الحجة على من عاند وكابر • وإن هذا الذكر الذي آتيناك يعني
القرآن مشتملا على هذه الأقاصيص والأخبار الحقيقية بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة
والسعادة لمن أقبل عليه • ومن أعرض عنه فقد هلك وشقي يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها
وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره ويلقي عليه بهره
أو لأنها جزاء الوزر وهو الإثم • وقرئ يُحمَّل • جمع خالدين على المعنى لأن من مطلق تتناول الغير معرض واحد
وتوحيد الضمير في أعرض وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم
خالدين فيها • فيه أي في ذلك الوزر أو في احتماله • ساء في حكم بئس والضمير الذي فيه يجب أن يكون مبهما يفسره

حملا والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف في قوله
تعالى نعم العبد إنه أواب أي أيوب الذي هو المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا أي وساءت
مصيرا جهنم **فإن قلت** اللام في لهم ما هي وبم تتعلق **قلت** هي للبيان كما في هيت لك **فإن قلت**
ما أنكرت أن يكون في ساء ضمير الوزر **قلت** لا يصح أن يكون في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شيء بعينه غير مبهم
فإن قلت فلا يكن ساء الذي حكمه حكم بئس وليكن ساء الذي منه قوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى
أهم وأحزن **قلت** كفاك صادا عنه أن يؤول كلام الله إلى قولك وأحزن الوزر لهم يوم القيمة حملا وذلك
بعد أن تخرج عن عهدة هذه اللام وعن عهدة هذا المنصوب • يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا
يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا • نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما
أسند النفخ إلى الآمر به فيمن قرأ ننفخ بالنون أو لأن الملائكة المقربين وإسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها من رب العزة
فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه أن يسند ما يتولونه إلى ذاته • وقرأ أبو عمرو ننفخ بلفظ ما لم يسم فاعله • وينفخ
ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله تعالى أو لإسرافيل عليه السلام • وأما يحشر المجرمون فلم يقرأ به
أحد إلا الحسن • وقرئ في الصور بفتح الواو جمع صورة وفي الصور قولان أحدهما أنه بمعنى الصور وهذه القراءة
تدل عليه • والثاني أنه القرن • قيل في الزرق قولان أحدهما أن الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب لأن
الروم أعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو أسود الكبد أصهب السبال أزرق العين
والثاني أن المراد العمى لأن حدقة من يذهب نور بصره تزراق • يتخافتون يتسارون بينهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول
يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا إما لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون
عليها ويصفونها بالقصر لأن أيام السرور قصار وإما لأنها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وإن طالت
مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت أطال الله بقاءك كفى بالانتهاء قصرا وإما لاستطالتهم
الآخرة وأنها أبد سرمد يستقصر إليها عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم في الآخرة وقد
استرجح الله قول من يكون أشد تقالا منهم في قوله إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما ونحوه قوله تعالى قال
كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين • وقيل المراد لبثهم في القبور ويعضده
قوله عز وجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم
والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث • ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا • فيذرها
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا • يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات
للرحمن فلا تسمع إلا همسا • يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا • يعلم ما بين أيديهم
وما خلفهم ولا يحيطون به علما • ينسفها يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذري الطعام
فيذرها أي فيذر مقارها ومراكزها أو يجعل الضمير للأرض وإن لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة
فإن قلت قد فرقوا بين العِوج والعَوج فقالوا العِوج بالكسر في المعاني والعَوج بالفتح في الأعيان والأرض
عين فكيف صح فيها المكسور العين **قلت** اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الأرض بالاستواء والملاسة
ونفي الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون
البصراء من الفلاحة واتفقتم على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت رأي المهندس فيها أمرته أن يعرض
استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس
الهندسي فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذي دق ولطف عن الإدراك اللهم إلا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير
والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك إلا بالقياس دون الإحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عِوج بالكسر • الأمت
النتوء اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه أمت • أضاف اليوم إلى وقت نسف الجبال في قوله يومئذ أي يوم إذ نسفت ويجوز

أي يكون بدلاً بعد بدل من يوم القيامة. والمراد الداعي إلى المحشر، قالوا هو إسرافيل قائماً على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل أوب إلى صوبه لا يعدلون. لا عوج له أي لا يعوج له مدعو بل يستوون إليه من غير انحراف متبعين لصوته. أي خفضت الأصوات من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع إلا همساً وهو الركز الخفي ومنه الحروف المهموسة. وقيل هو من همس الإبل وهو صوت أخفافها إذا مشت، أي لا تسمع إلا خفق الأقدام ونقلها إلى المحشر. من يصلح أن يكون مرفوعاً ومنصوباً، فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف أي لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من أذن له الرحمن. والنصب على المفعولية. ومعنى أذن له ورضي له لأجله أي أذن للشافع ورضي قوله لأجله ونحو هذه اللام اللام في قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه. أي يعلم ما تقدمهم من الأحوال وما يستقبلونه. ولا يحيطون به بمعلوماته علماً.

وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علماً

المراد بالوجوه وجوه العصاة وأنهم إذا عاينوا يوم القيامة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية أي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الأسارى ونحوه قوله تعالى فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة. وقوله وقد خاب وما بعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر. الظلم أن يأخذ من صاحبه فوق حقه. والهضم أن يكسر من حق أخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ويبخسون من حقوق وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون. أي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لأنه لم يظلم ولم يهضم. وقرئ فلا يخف على النهي. وكذلك عطف على كذلك نقص أي ومثل ذلك الإنزال وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيات المضمنة للوعيد أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة مكررين فيه آيات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي وفعل الخير والطاعة. والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة. وقرئ نحدث وتحدث بالنون والتاء أي تحدث أنت وسكن بعضهم الثاء للتخفيف كما في: فاليوم أشرب غير مستحقب. فتعالى الله الملك الحق استعظام له ولما يصرف عليه عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده والإدارة بين ثوابه وعقابه على حسب أعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه أمر ملكوته. ولما ذكر القرآن وإنزاله قال على سبيل الاستطراد وإذا لقنك جبريل ما يوحى إليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهمك ثم أقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به. وقيل معناه لا تبلغ ما كان منه مجملاً حتى يأتيك البيان. وقرئ حتى نقضي إليك وحيه. وقوله رب زدني علماً متضمن للتواضع لله والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم أي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وأدباً جميلاً ما كان عندي فزدني علماً إلى علم فإن لك في كل شيء حكمة وعلماً. وقيل ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم.

ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى

يقال في أوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك إلى فلان وأوعز إليه وعزم عليه وعهد إليه. عطف الله سبحانه قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى وأقسم قسماً لقد أمرنا أباهم آدم ووصيناه أن لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين إن قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل أن نتوعدهم فخالف إلى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت إلى الوعيد كما لا يلتفتون كأنه يقول إن أساس أمر بني آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه. **فإن قلت** ما المراد بالنسيان؟ **قلت** يجوز أن يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وأنه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان. وأن يراد الترك وأنه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة وأكل ثمرتها. وقرئ فنسي أي نساه الشيطان. والعزم

التصميم

التصميم والمضي على ترك الأكل وأن يتصلب في ذلك تصلباً يؤيس الشيطان من التسويل له. والوجود يجوز أن يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزماً وأن يكون نقيض العدم كأنه قال وعدمنا له عزماً. إذ منصوب بمضمر أي اذكر وقت ما جرى عليه من معاداة إبليس ووسوسته إليه وتزيينه له الأكل من الشجرة وطاعته له بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين لك أنه لم يكن من أولي العزم والثبات. **فإن قلت** إبليس كان جنياً بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق عن أمر ربه فمن أين تناوله الأمر وهو للملائكة خاصة؟ **قلت** كان في صحبتهم وكان يعبد الله تعالى عبادتهم فلما أمروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له كان الجني الذي معهم أجدر بأن يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس علية أهله وسراتهم كان القيام على واحد منهم هو دونهم في المنزلة أوجب حتى إن لم يقم عنف وقيل له قد قام فلان وفلان فمن أنت حتى تترفع عن القيام. **فإن قلت** فكيف صح استثناؤه وهو جني عن الملائكة؟ **قلت** عمل على حكم التغليب في إطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فأخرج الاستثناء على ذلك كقولك خرجوا إلا فلانة لامرأة بين الرجال. أبى جملة مستأنفة كأنه جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه أن لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وأن يكون معناه أظهر الإباء وتوقف وتثبط. فلا يخرجنكما فلا يكونن سبباً لإخراجكما. وإنما أسند إلى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد إشراكهما في الخروج لأن في ضمن شقاء الرجل وهو قيم أهله وأميرهم شقاءهم كما أن في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على الفاصلة. أو أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك معصوب برأس الرجل وهو راجع إليه. وروي أنه أهبط إلى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه.

إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى

قرئ وإنك بالكسر والفتح، ووجه الفتح العطف على أن لا تجوع. **فإن قلت** إن لا تدخل على أن فلا يقال إن أن زيداً منطلق والواو نائبة عن إن وقائمة مقامها فلم دخلت عليها؟ **قلت** الواو لم توضع لتكون أبداً نائبة عن إن إنما هي نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفاً موضوعاً للتحقيق خاصة كإن لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع إن وأن. الشبع والري والكسوة والكن هي الأقطاب التي يدور عليها كفاف الإنسان فذكره استجماعها له في الجنة وأنه مكفي لا يحتاج إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج إلى ذلك أهل الدنيا وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظمأ والضحى ليطرق سمعه بأسامي أصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها. **فإن قلت** كيف عدى وسوس تارة باللام في قوله فوسوس لهما الشيطان وأخرى بإلى؟ **قلت** وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب ووقوقة الدجاجة في أنها حكايات للأصوات وحكمها حكم صوت وأجرس ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وأنشد ابن الأعرابي: وسوس يدعو مخلصاً رب الفلق. فإذا قلت وسوس له فمعناه لأجله كقوله: أجرس لها يا ابن أبي كباش. ومعنى وسوس إليه أنهى إليه الوسوسة كقولك حدث إليه وأسر إليه. أضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلود لأن من أكل منها خلد بزعمه كما قيل حيزوم فرس الحياة لأن من باشر أثره حيي. وملك لا يبلى دليل على قراءة الحسن بن علي وابن عباس رضي الله عنهم إلا أن تكونا ملكين بالكسر. طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وأخذ وأنشأ وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلاً مضارعاً وبينها وبينه مسافة قصيرة هي للشروع في أول الأمر وكاد لمشارفته والدنو منه. وقرئ يخصفان للتكثير من خصف النعل وهو أن يخرز عليها الخصاف أي يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين. وقيل كان مدوراً فصار على هذا الشكل من

تحت لباسهما • وقيل كان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع منهما وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع
عن ابن عباس رضي الله عنه لا شبهة في ان آدم صلوات الله عليه وسلامه لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه
ساحة الطاعة وذلك هو العصيان فلما عصى خرج فعله من ان يكون رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة
لان الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى آدم ربه فغوى بهذا الاطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل
وزل آدم واخطا وما اشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة
كافة وكانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه الا اقتراف
الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلا
ان تجسروا على التورط في الكبائر • وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من
يقلب الياء المكسور ما قبلها الفا فيقول في فني وبقي فنا وبقا وهم بنو طي تفسير خبيث • **فان قلت** ما
معنى ثم اجتباه ربه • **قلت** ثم قبله بعد التوبة وقربه اليه من جبى الي كذا فاجتبيته ونظيره جليت
على العروس فاجتليتها ومنه قوله عز وجل واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها اي هلا جبيت اليك فاجتبيتها
واصل الكلمة الجمع ويقولون اجتبت الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار • وهدى اي وفقه لحفظ التوبة
وغيره من اسباب العصمة والتقوى • قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما ياتينكم مني هدى
فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى • ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا • ونحشره يوم
القيامة اعمى • قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا • لما كان آدم وحوى عليهما الصلوة والسلام
اصلي البشر والسببين اللذين منهما نشؤا وتفرعوا جعلا كانهما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل
فاما ياتينكم على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب وهو في الحقيقة للمسبب • هدى كتاب وشريعة
• وعن ابن عباس رضي الله عنه ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله فمن اتبع
هداي فلا يضل ولا يشقى • والمعنى ان الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب
الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه • الضنك مصدر يستوي في الوصف به المذكر
والمؤنث • وقرئ ضنكى على فعلى ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه
ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال عز وجل فلنحيينه حيوة طيبة • والمعرض عن الدين مستول
عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك
وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة
من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤ بغضب من الله ذلك بانهم
كانوا يكفرون بآيات الله وقال الله تعالى ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت
ارجلهم وقال الله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال استغفروا ربكم انه كان
غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقال وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا • وعن الحسن
الضريع والزقوم في النار • وعن ابي سعيد الخدري عذاب القبر • وقرئ ونحشره بالجزم عطفا على محل فان له
معيشة ضنكا • وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمى • قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى • وكذلك
نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى • كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم
فسر بان آياتنا اتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها • فكذلك
اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك • لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا
وحشره اعمى في الآخرة ختم آيات الوعيد بقوله • ولعذاب الآخرة اشد وابقى كانه قال وللحشر على العمى الذي لا يزول

ابدا اشد من ضيق العيش المنقضي او اراد ولتركنا اياه في العمى اشد من تركه لآياتنا • افلم يهد لهم كم اهلكنا
قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى • ولولا كلمة سبقت من ربك
لكان لزاما واجل مسمى • فاعل لم يهد الجملة بعده يريد الم يهدهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله
تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين اي تركنا عليه هذا الكلام • ويجوز ان يكون فيه ضمير الله
او الرسول ويدل عليه القراءة بالنون • وقرئ يمشون يريد ان قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في
مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم • الكلمة السابقة هي العدة بتاخير جزائهم الى الآخرة يقول لولا هذه العدة
لكان مثل اهلاك عاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة • واللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى
مفعل اي ملزم كانه آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم • ولاجل مسمى لا يخلو من ان يكون معطوفا
على كلمة او على الضمير في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم
ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل • فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل
غروبها ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى • بحمد ربك في موضع الحال اي وانت حامد لربك
على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه • المراد بالتسبيح الصلوة او على ظاهره وقدم الفعل على الاوقات
اولا والاوقات على الفعل آخرا فكانه قال صل لله • قبل طلوع الشمس يعني الفجر • وقبل غروبها يعني الظهر
والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها • وتعمد آناء الليل واطراف النهار مختصا
لهما بصلاتك وذلك ان افضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب وقال الله عز وجل
ان ناشئة الليل هي اشد وطئا واقوم قيلا • وقال امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولان الليل وقت
السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على النفس اشد واشق وللبدن اتعب وانصب فكانت ادخل في
معنى التكليف وافضل عند الله • وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلوة العتمة وفي اطراف النهار صلوة
المغرب وصلوة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختص في قوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى
عند بعض المفسرين • **فان قلت** ما وجه قوله واطراف النهار على الجمع وانما هما طرفان كما قال اقم الصلوة
طرفي النهار • **قلت** الوجه امن الالباس وفي التثنية زيادة بيان وتظاهر مجيء الامرين في الآية يجمعهما
في قولهم ظهور الترسين • وقرئ واطراف النهار عطفا على آناء الليل • ولعل للمخاطب اي فكر الله في
[illegible]

ذوي زهرة **فان قلت** ما معنى الزهرة فيمن حرك **قلت** معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة
كما جاء في الجهرة والجهرة • وقرئ ارنا الله جهرة • وان يكون جمع زاهر وصفا لهم بانهم زاهروا هذه الدنيا لصفاء
الوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء
من شحوب الالوان والتقشف في الثياب • لنفتنهم فيه لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم او
لنعذبهم في الآخرة بسببه • ورزق ربك هو ما ادخر له من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وادوم
او ما رزقه من نعمة الاسلام والنبوة • او لان اموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه
والحلال خير وابقى لان الله لا ينسب الى نفسه الا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى رزقا
وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهودي وقال قل له يقول لك
رسول الله اقرضني الى رجب فقال والله لا اقرضته الا برهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لامين في السماء
واني لامين في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك • وامر اهلك بالصلوة واصطبر
عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى • وقالوا لولا ياتينا باية من ربه
اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى • ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى • قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب
الصراط السوي ومن اهتدى • وامر اهلك بالصلوة اي واقبل انت مع اهلك على عبادة الله والصلوة
واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بامر الرزق والمعيشة فان رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك
ولا نسالك ان ترزق نفسك ولا اهلك ففرغ بالك لامر الآخرة وفي معناه قول الناس من كان في
عمل الله كان الله في عمله • وعن عروة بن الزبير انه كان اذا راى ما عند السلاطين قرا ولا تمدن
عينيك الاية ثم ينادي الصلوة الصلوة رحمكم الله • وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا اصاب اهله خصاصة
قال قوموا فصلوا بهذا امر الله ورسوله ثم يتلو هذه الاية • اقترحوا على عادتهم في التعنت اية على النبوة فقيل لهم اولم
تاتكم اية هي ام الايات واعظمها في باب الاعجاز يعني القرآن من قبل ان القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل
صحته لانه معجز وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى شهادة الحجة
• وقرئ الصحف بالتخفيف ذكر الضمير الراجع الى البينة لانها في معنى البرهان والدليل • وقرئ نذل ونخزى على لفظ
ما لم يسم فاعله • كل اي كل واحد منا ومنكم • متربص للعاقبة ولما يؤول اليه امرنا وامركم • وقرئ السوآء
بمعنى الوسط والجيد او المستوي • والسوء والسوأى والسوى تصغير السوء • وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون
قال ابو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرا اهل الجنة من القرآن الا طه ويس صدق رسول الله

سورة الانبياء وهي مائة واثنتا عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون • ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا
استمعوه وهم يلعبون • هذه اللام لا تخلو من ان تكون صلة لاقترب او تاكيدا لاضافة الحساب اليهم كما تقول
ازف للحي رحيلهم الاصل ازف رحيل الحي ثم ازف للحي الرحيل ثم ازف للحي رحيلهم ونحوه ما اورده سيبويه
في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا اباك لان
اللام مؤكدة لمعنى الاضافة وهذا الوجه اغرب من الاول والمراد اقتراب الساعة واذا اقتربت الساعة فقد
اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق **فان قلت** كيف وصف
بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول اكثر من خمسمائة عام **قلت** هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله عز وجل

ويستعجلونك بالعذاب وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ولان كل آت وان طالت اوقات استقباله وترقبه
قريب انما البعيد الذي وجد وانقرض ولان ما بقي من الدنيا اقصر واقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين
الموعود مبعثه في آخر الزمان وقال عليه الصلوة والسلام بعثت في نسم الساعة • وفي خطبة بعض المتقدمين
ولت الدنيا حذاء ولم يبق الا صبابة كصبابة الاناء • واذا كانت بقية الشيء وان كثرت في نفسها قليلة
بالاضافة الى معظمه كانت خليقة بان توصف بالقلة وقصر الذرع • وعن ابن عباس ان المراد بالناس
المشركون وهذا من اطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وصفهم بالغفلة
مع الاعراض على معنى انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما ترجع اليه
خاتمة امرهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء للمحسن والمسيء واذا قرعت لهم العصا ونبهوا عن سنة الغفلة
وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الايات والنذر اعرضوا وسدوا اسماعهم ونفروا • وقرر اعراضهم عن تنبيه
المنبه وايقاظ الموقظ بان الله يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم الاية بعد الاية والسورة بعد السورة
ليكرر على اسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الاي والسور وما فيها من فنون المواعظ
والبصائر التي هي احق الحق واجد الجد الا لعبا وتلهيا واستسخارا • والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن
وقرا ابن ابي عبلة محدث بالرفع صفة على المحل • قوله وهم يلعبون لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين
ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون • قال ربي يعلم القول في السماء والارض وهو
السميع العليم • لاهية قلوبهم حالان مترادفتان او متداخلتان • ومن قرا لاهية بالرفع فالحال واحدة
لان لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم • واللاهية من لها عنه اذا ذهل وغفل يعني انهم وان فطنوا
فهم في قلة جدوى فطنتهم كانهم لم يفطنوا اصلا وثبات الذهول والغفلة فيهم وفي حين التامل والتبصر
لقلوبهم **فان قلت** النجوى وهي اسم من التناجي لا تكون الا خفية فما معنى قوله واسروا **قلت**
معناه وبالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث لا يفطن احد لتناجيهم ولا يعلم انهم متناجون • ابدل الذين ظلموا
من واو اسروا اشعارا بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به او جاء على لغة من قال اكلوني البراغيث
[illegible]

ها هنا أنهم أسروا النجوى فكأنه أراد أن يقول إن ربي يعلم ما أسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة ثم قصد وصف ذاته بأن أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة • وقرئ قال ربي حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم • بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون • ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون • وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون • وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين • ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين • أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده ثم إلى أنه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد • ويجوز أن يكون تنزيلا من الله تعالى لأقوالهم في درج الفساد وأن قولهم الثاني أفسد من الأول والثالث أفسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث • صحة التشبيه في قوله كما أرسل الأولون من حيث إنه في معنى كما أتى الأولون بالآيات لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات ألا ترى أنه لا فرق بين أن تقول أرسل محمد وبين قولك أتى محمد بالمعجزة • أفهم يؤمنون فيه أنهم أعتى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطيناهم ما يقترحون لكانوا أنكث وأنكث • أمرهم أن يستعلموا أهل الذكر وهم أهل الكتاب حتى يعلموهم أن رسل الله الموحى إليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وإنما أحالهم على أولئك لأنهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا فلا يكاذبونهم فيما هم فيه ردء لرسول الله صلى الله عليه وسلم • لا يأكلون الطعام صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا الأنبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد لإرادة الجنس كأنه قال ذوي ضرب من الأجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام • فإن قلت نعم قد رد إنكارهم أن يكون الرسول بشرا يأكل ويشرب بما ذكرت فماذا رد من قولهم بقوله وما كانوا خالدين • قلت يحتمل أن يقولوا إنه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت أو يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد إما معتقدين أن الملائكة لا يموتون أو مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا • صدقناهم الوعد مثل واختار موسى قومه والأصل في الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره • ومن نشاء هم المؤمنون ومن في بقائه مصلحة • لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون • وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين • ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وإنه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو فيه مكارم الأخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث وأداء الأمانة والسخاء وما أشبه ذلك • وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لأن القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم • وأراد بالقرية أهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما آخرين لأن المعنى أهلكنا قوما وأنشأنا قوما آخرين • وعن ابن عباس أنها حضور وهي وسحول قريتان باليمن تنسب إليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين وروي حضوريين بعث الله إليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم • وروي أنه لما أخذتهم السيوف نادى مناد من السماء يا لثارات الأنبياء فندموا واعترفوا بالخطأ وذلك حين لم ينفعهم الندم • وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس رضي الله عنه ذكر حضور بأنها إحدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية • فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون • لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون • قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين • فما زالت تلك دعواهم حتى

جعلناهم حصيدا خامدين • فلما علموا شدة عذابنا وبطشتنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله اركض برجلك فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب • ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف • فإن قلت من القائل • قلت يحتمل أن يكون بعض الملائكة أو من ثم من المؤمنين أو يجعلوا خلقاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم أو يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم • وارجعوا إلى ما أترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة • والإتراف إبطار النعمة وهي الترفه • لعلكم تسألون تهكم بهم وتوبيخ أي ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة • أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وماذا ترسمون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين • أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم • أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحائب أكفكم ويمترون أخلاف معروفكم وأياديكم إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم وتوبيخا إلى توبيخ • تلك إشارة إلى يا ويلنا لأنها دعوى كأنه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم • والدعوى بمعنى الدعوة قال الله تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين • فإن قلت لم سميت دعوى • قلت لأن المولول كأنه يدعو الويل فيقول تعال يا ويل فهذا وقتك • وتلك مرفوع أو منصوب اسما أو خبرا وكذلك دعواهم • الحصيد الزرع المحصود أي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا أي مثل الرماد • والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية • فإن قلت كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل • قلت حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لأن معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود • وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين • لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين • بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون • أي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وإنما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى • ثم بين أن السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن أفعالي هو أن الحكمة صارفة عنه وإلا فأنا قادر على اتخاذه إن كنت فاعلا لأني على كل شيء قدير • وقوله لاتخذناه من لدنا كقوله رزقا من لدنا أي من جهة قدرتنا • وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المرأة • وقيل من لدنا أي من الملائكة لا من الإنس ردا لولادة المسيح وعزير • بل إضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كأنه قال سبحاننا أن نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغناء ذاتنا أن نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لإبطاله به وإهداره ومحقه فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه • ثم قال ولكم الويل مما تصفون به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته • وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله سأترك منزلي لبني تميم • وألحق بالحجاز فأستريحا • وقرئ فيدمغه • وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون • يسبحون الليل والنهار لا يفترون

أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون * لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون * لا يسأل عما يفعل وهم يسألون *

ومن عنده هم الملائكة. والمراد أنهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه. فإن قلت: الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الأبلغ في وصفهم أن ينفي عنهم أدنى الحسور. قلت: في الاستحسار بيان أن ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه، وأنهم أحقاء لتلك العبادات الباهظة بأن يستحسروا فيما يفعلون. أي تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ أو بشغل آخر. هذه أم المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد آذنت بالإضراب عما قبلها والإنكار لما بعدها، والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الأرض ينشرون الموتى. ولعمري أن من أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات. فإن قلت: كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم، وكيف وهم أبعد شيء عن هذه الدعوى، وذلك أنهم كانوا مع إقرارهم لله عز وجل بأنه خالق السماوات والأرض ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله، وبأنه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الأولى، منكرين البعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم، وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كثاني القديم، فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة رأسا. قلت: الأمر كما ذكرت، ولكنهم بادعائهم لها الإلهية يلزمهم أن يدعوا لها الإنشار، لأنه لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور، والإنشار من جملة المقدورات، وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل، وإشعار بأن ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده، لأن الإلهية لما صحت صح معها الاقتدار على الإبداء والإعادة. ونحو قوله من الأرض قولك: فلان من مكة أو من المدينة، تريد مكي أو مدني. ومعنى نسبتها إلى الأرض الإيذان بأنها الأصنام التي تعبد في الأرض، لأن الآلهة على ضربين أرضية وسماوية، ومن ذلك حديث الأمة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين ربك؟ فأشارت إلى السماء، فقال: إنها مؤمنة، لأنه فهم منها أن مرادها نفي الآلهة الأرضية التي هي الأصنام، لا إثبات السماء مكانا لله عز وجل. ويجوز أن يراد آلهة من جنس الأرض، لأنها إما أن تنحت من بعض الحجارة أو تعمل من بعض جواهر الأرض. فإن قلت: لا بد من نكتة في قوله هم. قلت: النكتة فيه إفادة معنى الخصوصية، كأنه قيل: أم اتخذوا آلهة لا يقدر على الإنشار إلا هم وحدهم. وقرأ الحسن ينشرون، وهما لغتان: أنشر الله الموتى ونشرها. وصفت آلهة بإلا كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله. فإن قلت: ما منعك من الرفع على البدل؟ قلت: لأن لو بمنزلة إن في أن الكلام معه موجب، والبدل لا يسوغ إلا في الكلام غير الموجب، كقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك، وذلك لأن أعم العام يصح نفيه ولا يصح إيجابه. والمعنى: لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا. وفيه دلالة على أمرين: أحدهما وجوب أن لا يكون مدبرهما إلا واحدا، والثاني أن لا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده لقوله إلا الله. فإن قلت: لم وجب الأمران؟ قلت: لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف. وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق: كان والله أعز علي من دم ناظري، ولكن لا يجتمع فحلان في شول. وهذا ظاهر. وأما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد، ولأن هذه الأفعال محتاجة إلى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر. إذ كانت عادة الملوك والجبابرة أن لا يسألهم من في مملكتهم عن أفعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا وإجلالا، مع جواز الخطأ والزلل وأنواع الفساد عليهم، كان ملك الملوك ورب الأرباب خالقهم ورازقهم أولى بأن لا يسأل عن أفعاله، مع ما علم واستقر في العقول من أن ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة، ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح. وهم يسألون، أي هم مملوكون مستعبدون خطاؤون، فما أخلقهم بأن يقال لهم: لم فعلتم؟ في كل شيء فعلوه.

أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون * وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون * وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون * ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين *

كرر أم اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لشأنهم واستعظاما لكفرهم، أي وصفتم الله تعالى بأن يكون له شركاء فهاتوا برهانكم على ذلك، إما من جهة العقل وإما من جهة الوحي، فإنكم لا تجدون كتابا من كتب الأولين إلا وتوحيد الله وتنزيهه عن الأنداد مدعو إليه، والإشراك به منهي عنه متوعد عليه. أي هذا الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الأنبياء، فهو ذكر أي عظة للذين معي يعني أمته، وذكر للذين من قبلي يريد أمم الأنبياء عليهم السلام. وقرئ ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين، ومن مفعول منصوب بالذكر، كقوله أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما، وهو الأصل، والإضافة من إضافة المصدر إلى المفعول كقوله غلبهم وهم من بعد غلبهم سيغلبون. وقرئ من معي ومن قبلي على من الإضافية، وفي هذه القراءة إدخال الجار على مع وهو غريب، والعذر فيه أنه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما أشبه ذلك، فدخل عليه من كما يدخل على أخواته. وقرئ ذكر معي وذكر قبلي، كأنه قيل: بل عندهم ما هو أصل الشر والفساد كله، وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل، فمن ثم جاء هذا الإعراض، ومن هناك ورد هذا الإنكار. وقرئ الحق بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب، والمعنى أن إعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل. ويجوز أن يكون المنصوب أيضا على هذا المعنى، كما تقول: هذا عبد الله الحق لا الباطل. يوحي ونوحي مشهورتان، وهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد. نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله، فنزه ذاته عن ذلك، ثم أخبر عنهم بأنهم عباد، والعبودية تنافي الولادة، إلا أنهم مكرمون مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من أحوال وصفات ليست لغيرهم، فذلك هو الذي غر منهم من زعم أنهم أولادي، تعاليت عن ذلك علوا كبيرا. وقرئ مكرمون. ولا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته أسبقه، والمعنى أنهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله، فلا يسبق قولهم قوله، والمراد بقولهم، فأنيبت اللام مناب الإضافة، أي لا يتقدمون قوله بقولهم، كما تقول سبقت بفرسي فرسه. وكما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا كذلك مبني على أمره، لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به. وجميع ما يأتون ويذرون مما قدموا وأخروا بعين الله وهو مجازيهم عليه، فلإحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراعون أحوالهم ويعمرون أوقاتهم. ومن تحفظهم أنهم لا يجسرون أن يشفعوا إلا لمن ارتضاه الله وأهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم، ثم إنهم مع هذا كله من خشية الله مشفقون، أي متوقعون من إمارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله. وبعد أن وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده وأثنى عليهم وأضاف إليهم تلك الأفعال السنية والأعمال المرضية، فاجأ بالوعيد الشديد، وأنذر بعذاب جهنم من أشرك منهم إن كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل، مع إحاطة علمه بأنه لا يكون، كما قال ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون، قصد بذلك تفظيع أمر الشرك وتعظيم شأن التوحيد.

أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون * وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون * وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون *

قرئ ألم ير بغير واو. ورتقا بفتح التاء، وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنقض، أي كانتا مرتوقتين. فإن قلت

قوله كرر أم اتخذوا ... الخ استفظاعا ... من الأرض

أي بفتح التاء وسكونها

الرتق صالح ان يقع موقع مرتوقين لانه مصدر فما بال الرتق قلت هو على تقدير موصوف اي كانتا شيئا
رتقا ومعنى ذلك ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما • او كانت السموات متلاصقة وكذلك الارضون
لا فرج بينها ففتقها الله وفرج بينها • وقيل ففتقناها بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة • وانما قيل كانتا
دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان اي جماعتان فعل في المضمر
نحو ما فعل في المظهر فان قلت متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلت فيه
وجهان احدهما انه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد • والثاني
ان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص
وهو القديم سبحانه • وجعلنا لا يخلو ان يتعدى الى واحد او اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى
خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه
اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل • وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا
كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو قوله عليه الصلاة والسلام ما انا من دد ولا
الدد مني • وقرئ حيا وهو المفعول الثاني والظرف لغو اي كراهة ان تميد بهم وتضطرب او لان لا تميد
بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك في نحو قوله لئلا يعلم اهل الكتاب
وهذا مذهب الكوفيين • الفج الطريق الواسع فان قلت في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت
على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت لم تقدم وهي صفة
ولكن جعلت حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم فان قلت ما الفرق بينهما من جهة المعنى قلت
احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان
لما ابهم ثمة • محفوظا حفظه بالامساك بقدرته من ان يقع على الارض ويتزلزل او بالشهب عن تسمع الشياطين
على سكانه من الملائكة • عن آياتها اي عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات
ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة
الباهرة واي جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال
على عظمة شأن من اوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها ما اودعها مما لا يعرف
كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه • وقرئ عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة في الدلالة على الجنس
اي هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها
وحياة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها آية بينة على الخالق معرضون • وهو الذي خلق الليل
والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون • وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افإن مت
فهم الخالدون • كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون • كل
التنوين فيه عوض من المضاف اليه اي كلهم في فلك يسبحون • والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس
الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعهما بالشموس والاقمار والا
فالشمس واحدة والقمر واحد • وانما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة فان قلت
الجملة ما محلها قلت محلها النصب على الحال من الشمس والقمر فان قلت كيف استبد بهما
دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما قلت كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك
اذا جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة ووهبنا له اسحاق
ويعقوب نافلة او لا محل لها لاستئنافها فان قلت لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف
قيل جميعهم يسبحون في فلك قلت هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا اي كل واحد

منهم [illegible]
كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا اي قضى الله ان لا يخلد في الدنيا
بشرا فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان مت انت ايبقى هؤلاء • وفي معناه قول
القائل • فقل للشامتين بنا افيقوا • سيلقى الشامتون كما لقينا • اي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا
وبما يجب فيه الشكر من النعم • والينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر او الشكر
وانما سمي ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم لانه في صورة الاختبار
• وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه • واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا
اهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون • خلق الانسان من عجل سأوريكم آياتي
فلا تستعجلون • الذكر يكون بخير وبخلافه فاذا دلت الحال على احدهما اطلق ولم يقيد كقولك للرجل
سمعت فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى
يذكرهم وقوله اهذا الذي يذكر آلهتكم • والمعنى انهم عاكفون على ذكر آلهتهم بهممهم وما يجب ان لا تذكر به من كونهم
شفعاء وشهداء ويسوءهم ان يذكرها ذاكر بخلاف ذلك واما ذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية
فهم به كافرون لا يصدقون به اصلا فهم احق بان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون • وقيل معنى
بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة وقولهم وما الرحمن انسجد لما تأمرنا • وقيل بذكر الرحمن بما
انزل عليك من القرآن • والجملة في موضع الحال اي يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهزء والسخرية وهي
الكفر بالله • كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة الى العلم والاقرار ويقولون متى هذا الوعد
فاراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها
ثم نهاهم وزجرهم كأنه قال ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم
• وعن ابن عباس انه اراد بالانسان آدم وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم
وروي انه لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام • وقيل خلقه الله في
آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل مغيبها • وعن ابن عباس ان النضر بن الحارث نزلت فيه
والظاهر ان المراد الجنس • وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم • والنخل ينبت بين الماء والعجل
والله اعلم بصحته • فان قلت لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله
وكان الانسان عجولا اليس هذا من تكليف ما لا يطاق قلت هذا كما ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها
لانه اعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة • وقرئ خلق الانسان • جواب لو محذوف
وحين مفعول به ليعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب
شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم ولا يجدون
ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم
ويجوز ان يكون يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين • وحين
منصوب بمضمر اي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم
اي لا يكفونها بل تفجؤهم الساعة بغتة فتغلبهم تقول للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذي كفر اي غلب ابراهيم
الكافر • ولا هم ينظرون تذكير بانظاره اياهم وامهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم فان قلت
الام يرجع الضمير في قوله بل تأتيهم قلت الى النار او الى الوعد لانه في معنى النار [illegible]
او الى الحين لانه في معنى الساعة او الى الساعة • وقرأ الاعمش بل يأتيهم بغتة فيبهتهم على التذكير [illegible]
[illegible]

ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون • قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون • ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون • بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون • سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بان له في الانبياء عليهم الصلاة والسلام اسوة وان ما يفعلونه يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا • من الرحمن اي من باسه وعذابه بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا رزقوا الكلاءة عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد انه امر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم اضرب عن ذلك بما في ام من معنى بل وقال الهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا • ثم استأنف فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره • ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم الامد وامتدت بهم ايام الروح والطمأنينة فحسبوا ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب امنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وامل كاذب • افلا يرون انا ننقص ارض الكفرة ودار الحرب ونحذف اطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها وردها دار اسلام • **فان قلت** اي فائدة في قوله نأتي الارض • **قلت** الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على ايدي المسلمين وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو ارض المشركين فتأتيها غالبة عليها ناقصة من اطرافها • قل انما انذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون • ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين • ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين • قرئ ولا يسمع الصم ولا تسمع الصم بالتاء والياء اي لا تسمع انت ولا يسمع رسول الله ولا يسمع الصم من اسمع • **فان قلت** الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل اذا ما ينذرون • **قلت** اللام في الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم اسماعهم اذا انذروا اي هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام من آيات الانذار • ولئن مستهم من هذا الذي ينذرون به ادنى شيء لاذعنوا وذلوا واقروا بانهم ظلموا انفسهم حين تصاموا واعرضوا • وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لان النفح في معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة • وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كانها في انفسها قسط او على حذف المضاف اي ذوات القسط • واللام في ليوم القيامة مثلها في قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة • ترسمت آيات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع • وقيل لاهل يوم القيامة اي لاجلهم • **فان قلت** ما المراد بوضع الموازين • **قلت** فيه قولان احدهما ارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات • والثاني انه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال • عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان • ويروى ان داود عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان فلما رآه غشي عليه ثم افاق فقال يا الهي من الذي يقدر ان يملأ كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة • **فان قلت** كيف توزن الاعمال وانما هي اعراض • **قلت** فيه قولان احدهما توزن صحائف الاعمال • والثاني تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة • وقرئ مثقال حبة على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة • وقرا ابن عباس ومجاهد آتينا بها وهي مفاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال وآتاهم بالجزاء • وقرا حميد اثبنا بها من الثواب • وفي حرف ابي

جئنا بها

جئنا بها • وانث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه • ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين • الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون • وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم له منكرون • ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين • اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون • قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين • قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين • قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين • اي آتيناهما الفرقان وهو التوراة وآتينا به ضياء وذكرا للمتقين والمعنى انه في نفسه ضياء وذكر او وآتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا • وعن ابن عباس الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان • وعن الضحاك فلق البحر • وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات • وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال من الفرقان • والذكر الموعظة او ذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم او الشرف • محل الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه • ذكر مبارك هو القرآن • وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره • الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم • وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم • ومعنى اضافته اليه انه رشد مثله وانه رشد له شأن • من قبل من قبل موسى وهرون • ومعنى علمه به انه علم منه احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات قد رضيها واحمدها حتى اهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك في خير من الناس انا عالم بفلان فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الاوصاف بمنزل • اذ اما ان يتعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده هذا الوقت • قوله ما هذه التماثيل تجاهل لهم وتغاب ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها • لم ينو للعاكفين مفعولا واجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها • **فان قلت** هلا قيل عليها عاكفون كقوله يعكفون على اصنام لهم • **قلت** لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على • ما اقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم الى ان قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون انهم على شيء وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم وكفى اهل التقليد سبة ان عبدة الاصنام منهم • انتم من التأكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن انت وزوجك الجنة • اراد ان المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به ادنى مسكة لاستناد الفريقين الى غير دليل بل الى هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم ان يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم وحسبوا ان ما قاله انما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي جئتنا به اهو جد وحق ام لعب وهزل • قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين • وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين • فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون • الضمير في فطرهن للسموات والارض او للتماثيل وكونه للتماثيل ادخل في تضليلهم واثبت للاحتجاج عليهم • وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى بالشهادة كأنه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات لاني لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه آباءكم • وقرأ معاذ بن جبل بالله • وقرئ تولوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين • **فان قلت** ما الفرق بين الباء والتاء • **قلت** ان الباء هي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمروذ مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن • اذا الله سنى عقد شيء تيسرا • روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم [illegible] عيدهم فيه وبدؤوا ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع

بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابراهيم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفاس في يده حتى لم يبق الا الكبير علق الفاس في عنقه • عن قتادة قال ذلك سرا من قومه وروي سمعه رجل واحد • جذاذا قطاعا من الجذ وهو القطع • وقرئ بالكسر والفتح • وقرئ جذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة • وانما استبقى الكبير لانه غلب في ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بما اجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون • وعن الكلبي اليه الى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة ومالك صحيحا والفاس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها او قاله مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا وان قياس حال من يسجد له ويؤهل للعبادة ان يرجع اليه في حل المشكل **فان قلت** فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك في اعراقهم فاي فائدة دينية في رجوعهم اليه حتى يجعله ابراهيم صلوات الله عليه غرضا **قلت** اذا رجعوا اليه تبين انه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر انهم في عبادته على جهل عظيم

قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين • قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم • قالوا فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون • قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم • قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون • فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون

اي ان من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة اما لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والاعظام واما لانهم رأوا افراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة بها • **فان قلت** ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى واي فرق بينهما **قلت** هما صفتان لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع واما الثاني فليس كذلك **فان قلت** ابراهيم ما هو **قلت** قيل هو خبر مبتدأ محذوف او منادى والصحيح انه فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى • على اعين الناس في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا اي بمرأى منهم ومنظر **فان قلت** ما معنى الاستعلاء في على **قلت** هو وارد على طريق المثل اي يثبت اتيانه في الاعين ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه • لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه وبما فعله او يحضرون عقوبتنا له • وروي ان الخبر بلغ نمرود واشراف قومه فامروا باحضاره • هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها الا اذهان الراضة من علماء المعاني والقول فيه ان قصد ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط أأنت كتبت هذا وصاحبك امي لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامي او المخرمش لان اثباته للامي والامر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به واثبات للقادر ولقائل ان يقول غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها اكبر واشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو الذي تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه • ويجوز ان يكون حكاية لما يقود اليه تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد منه • ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها • فرجعوا

محمد بن السميفع فعله كبيرهم يعني فلعله اي فلعل الفاعل كبيرهم فلما القمهم الحجر واخذ بمخانقهم رجعوا الى انفسهم فقالوا انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين

ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون • قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم • اف لكم ولما تعبدون • قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين • قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم • وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين • ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين

نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه وانتكس انقلب اي استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤوا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وان هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة مضارة منهم • او انتكسوا عن كونهم مجادلين لابراهيم مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق • او قلبوا على رؤوسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به ابراهيم فما احاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم • وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ما سمي فاعله اي نكسوا انفسهم على رؤوسهم قرأ به رضوان ابن عبد المعبود • اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر اضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به اي لكم ولآلهتكم هذا التأفف • اجمعوا رأيهم لما غلبوا باهلاكه وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احد ابغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة والذي اشار باحراقه نمرود • وعن ابن عمر رضي الله عنهما رجل من اعراب العجم يريد الاكراد • وروي انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا شهرا اصناف الخشب الصلاب حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول لئن عافاني الله لاجمعن حطبا لابراهيم ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل عليه الصلاة والسلام يا نار كوني بردا وسلاما • ويروى ما احرقت منه الا وثاقه وقال له جبريل حين رمي به هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي • وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل • واطلع عليه نمرود من الصرح فاذا هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان ابراهيم اذ ذاك ابن ست عشرة سنة • المعاقبة بالنار لانها اهول ما يعاقب به وافظعه • ولذلك جاء لا يعاقب بالنار الا خالقها ومن ثم قالوا ان كنتم فاعلين اي ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات وهو الاحراق بالنار والا فرطتم في نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير امرها وتفخيم شأنها ولم يألوا جهدا في ذلك • جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وارادته كمأمور امر بشيء فامتثله والمعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كأن ذاتها برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك ابراهيم او ابردي بردا غير ضار • وعن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته ببردها • **فان قلت** كيف بردت النار وهي نار **قلت** نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير • ويجوز ان يدفع بقدرته عن جسم ابراهيم اذى حرها ويذيقه عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله على ابراهيم • وارادوا ان يكيدوه ويمكروا به فما كانوا الا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه المبكت وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقواه • نجيا من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية • وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغني والفقير • وعن سفيان الثوري انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم • وقيل ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت

الصخرة التي ببيت المقدس • روي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة • ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين • وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين • ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين • وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين • ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم • ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين • وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين • ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين • النافلة ولد الولد وقيل سأل اسحاق فاعطيه واعطي يعقوب نافلة اي زيادة وفضلا من غير سؤال . يهدون بامرنا فيه ان من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مأمور بها من جهة الله ليس له ان يخل بها ويتثاقل عنها واول ذلك ان يهتدي بنفسه لان الانتفاع بهداه اعم والنفوس الى الاقتداء بالمهدي اميل • فعل الخيرات اصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك اقام الصلوة وايتاء الزكوة • حكما حكمة وهو ما يجب فعله او فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة • والقرية سدوم اي في اهل رحمتنا او في الجنة ومنه الحديث هذه رحمتي ارحم بها من اشاء • من قبل من قبل هؤلاء المذكورين • هو نصر الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين منه • والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه اي واذكرهما واذ بدل منهما • والنفش الانتشار بالليل وجمع الضمير لانه ارادهما والمتحاكمين اليهما • وقرئ لحكمهما • والضمير في ففهمناها للحكومة او الفتوى • وقرئ فافهمناها • حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى رب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك • فان قلت أحكما بوحي ام باجتهاد • قلت حكما جميعا بالوحي الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمان • وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمان اشبه بالصواب • فان قلت ما وجه كل واحدة من الحكومتين • قلت اما وجه حكومة داود فلان الضرر وقع بالغنم فسلمت بجنايتها الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة رضي الله في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي رحمه الله يبيعه في ذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث • ووجه حكومة سليمان انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال اصحاب الشافعي رحمهم الله فيمن غصب عبدا فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا • فان قلت فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها • قلت ابو حنيفة واصحابه رضوان الله عليهم لا يرون فيه ضمانا بالليل او بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سائق او قائد والشافعي رحمه الله يوجب الضمان بالليل • وفي قوله ففهمناها سليمان دليل على ان الاصوب كان مع سليمان • وفي قوله وكلا آتينا حكما وعلما دليل على انهما جميعا كانا على الصواب • يسبحن حال بمعنى مسبحات او استئناف كأن قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن • والطير اما معطوف على الجبال واما مفعول معه • فان قلت لم قدمت الجبال على الطير • قلت لان تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق • روي انه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه • وقيل كانت تسير معه حيث سار • فان قلت كيف تنطق الجبال وتسبح • قلت بان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى • وجواب اخر وهو ان

يسبح من رآها تسير بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به • وكنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم • وقيل وكنا نفعل مثل ذلك بالانبياء • وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون • ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين • ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين • اللبوس اللباس قال الشاعر • البس لكل حالة لبوسها • والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فاول من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين • لتحصنكم قرئ بالنون والتاء والياء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله والتاء للصنعة او للبوس على تأويل الدرع والياء لداود او اللبوس • وقرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء والنصب للعطف على الجبال • فان قلت وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة اخرى فما التوفيق بينهما • قلت كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه ابعدت به في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الامرين ان تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم آية الى آية ومعجزة مع معجزة • وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته • وقد احاط علمنا بكل شيء فنجري الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا • اي يغوصون له في البحار فيستخرجون اللآلئ والجواهر ويتجاوزون ذلك الى الاعمال والمهن وبناء المدائن والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل والله حافظهم ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يغيروا او يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه • وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين • فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين • واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين • وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين • اي نادى بأني مسني • وقرئ اني بالكسر على اضمار القول او لتضمن النداء معناه • والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البناءين لافتراق المعنيين • الطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب • ويحكى ان عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا امير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي فقال لها الطفت في السؤال لا جرم لاردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا • كان ايوب عليه الصلوة والسلام روميا من ولد اسحاق بن ابرهيم عليهما الصلوة والسلام وقد استنبأه الله عز وجل وبسط عليه الدنيا وكثر اهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة • وعن قتادة ثلاث عشرة • وعن مقاتل سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات • وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه احيى ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم • وروي ان امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا • اي لرحمتنا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان لا ننساهم • او رحمة منا لايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اثيب في الدنيا والآخرة • قيل في ذي الكفل هو الياس وقيل زكرياء وقيل يوشع بن نون وكأنه سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله والمجدود على الحقيقة • وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم • وقيل خمسة من الانبياء ذوو اسمين اسرائيل ويعقوب • الياس وذو الكفل • عيسى والمسيح • يونس وذو النون • محمد واحمد صلوات الله عليهم اجمعين • وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين • فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين • النون

الحوت فاصبحا ليه بوم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يتذكروا واقاموا على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث
لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله
في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت • ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول
العقاب عليهم عندها • وقرا ابو شرف مغضبا • وقرئ نقدر ونقدر بالنون مخففا ومثقلا ويقدر ويقدر
بالياء مخففا • ويقدر ويقدر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله
عليه عقوبة • وعن ابن عباس انه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني امواج القرآن البارحة فغرقت فيها
فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معاوية فقرا هذه الآية وقال او يظن نبي الله ان لا يقدر عليه
فقال هذا من القدر لا من القدرة • والمخفف يصح ان يفسر بالقدرة على معنى ان لن نعمل فيه قدرتنا • وان يكون
من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر
الله • ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق
بنزغات الشيطان وما يوسوس اليه في كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمؤمنين •
في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم
من النور الى الظلمات • وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل • وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي
بطني الحوتين وظلمة البحر • اي بانه لا اله الا انت • او بمعنى اي • عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب
يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له • وعن الحسن ما نجاه الله الا اقراره على نفسه بالظلم • ننجي وننجي ونجي
والنون لا تدغم في الجيم • ومن تمحل لصحته فجعله فعل وقال نجي النجاء المؤمنين فارسل الياء واسنده
الى المصدر ونصب المؤمنين بالنجاء فمتعسف بارد التعسف • وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني
فردا وانت خير الوارثين • فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا
يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين • سال ربه ان يرزقه ولدا
يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد امره الى الله مستسلما فقال وانت خير الوارثين اي ان لم ترزقني
من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث • اصلحنا زوجه جعلناها صالحة للولادة بعد عقرها • وقيل تحسين
خلقها وكانت سيئة الخلق • الضمير للمذكورين من الانبياء يريد انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا
لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الامور الجادون • وقرئ رغبا
ورهبا بالاسكان وهو كقوله يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه • خاشعين قال الحسن ذللا لامر الله • وعن
مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب • وقيل متواضعين • وسئل الاعمش فقال اما اني سالت ابراهيم فقال
الا تدري قلت افدني قال بينه وبين الله اذا ارخى ستره واغلق بابه فليرى الله منه خيرا لعلك ترى انه
ان ياكل خشنا ويلبس خشنا ويطاطئ راسه • والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها
وابنها آية للعالمين • ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون • وتقطعوا امرهم بينهم
كل الينا راجعون • فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون • احصنت
فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا **فان قلت** نفخ
الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا ثبت
ذلك كان قوله فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم **قلت** معناه نفخنا الروح في عيسى فيها
اي احييناه في جوفها ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت في المزمار في بيته • ويجوز
ان يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل عليه الصلاة والسلام لانه نفخ في جيب درعها
فوصل النفخ الى جوفها **فان قلت** هلا قيل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين **قلت** لان

حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل • الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام
اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة
غير مختلفة وانا الهكم اله واحد فاعبدون ونصب الحسن امتكم على البدل من هذه ورفع امة
خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه او نوى للثاني مبتدا والخطاب للناس كافة • والاصل
وتقطعتم الا ان الكلام حرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كانه ينعي عليهم ما افسدوه الى آخرين
ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا امر دينهم
فيما بينهم قطعا كما تتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا
لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى • ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة اليه
يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم • الكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه اذا قيل
لله شكور وقد نفى نفي الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر سعيه • وانا له كاتبون اي نحن كاتبو ذلك
السعي ومثبتوه في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه • وحرام على قرية
اهلكناها انهم لا يرجعون • حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون •
واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا
بل كنا ظالمين • استعير الحرام للممتنع وجوده ومنه قوله عز وجل ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم
وابى ان يكونا لهم • وقرئ وحرم وحرم بالفتح والكسر • وحرم وحرم • ومعنى اهلكناها عزمنا
على اهلاكها او قدرنا اهلاكها • ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة ومجاز الآية
ان قوما عزم الله على اهلاكهم غير متصور ان يرجعوا وينيبوا الى ان تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون
يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعني انهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم
ويموتون عليه حتى يروا العذاب • وقرئ انهم بالكسر وحق هذا ان يتم الكلام قبله فلا بد من
تقدير محذوف كانه قيل وحرام على قرية اهلكناها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل
الصالح والسعي المشكور غير المكفور • ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة
بالفتح يصح حملها على هذا اي لانهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الاول **فان قلت** بم تعلقت
حتى واقعة غاية له وايتها هي **قلت** هي متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول
حتى تقوم القيامة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا وما في حيزها
• حذف المضاف الى ياجوج وماجوج وهو سدها كما حذف المضاف الى القرية وهو اهلها • وقيل فتحت
كما قيل اهلكناها • وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج
وماجوج • وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر • وقيل هم ياجوج وماجوج يخرجون حين
يفتح السد • الحدب النشز من الارض • وقرا ابن عباس رضي الله عنه من كل جدث وهو القبر الثاء حجازية
والفاء تميمية • وقرئ ينسلون بضم السين • نسل وعسل اسرع • واذا هي اذا المفاجاة وهي تقع
في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل
الجزاء بالشرط فيتاكد • ولو قيل اذ هي شاخصة او فهي شاخصة كان سديدا • هي ضمير مبهم توضحه
الابصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا واسروا • يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون
في موضع الحال من الذين كفروا • انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون • لو كان
هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون • لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون • ما تعبدون
من دون الله يحتمل الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم

امتكم الرفع على انه خبر ان والنصب على انه بدل وعطف بيان وامة بالنصب حال وبالرفع بدل من امتكم او خبر مبتدا محذوف م

حطبا

ويصدقه ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة
وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم
تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الآية فاقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون
فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله اما والله
لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى ءانت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة اليس
اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية يعني
عزيرا والمسيح والملائكة **فان قلت** لم قرنوا بآلهتهم **قلت** لانهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم
وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب ولانهم قدروا انهم
يستشفعون بهم في الآخرة ويستنفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس ما قدروا لم يكن شيء
ابغض اليهم منهم **فان قلت** اذا عنيت بما تعبدون الاصنام فما معنى لهم فيها زفير **قلت**
اذا كانوا هم واصنامهم في قرن واحد جاز ان يقال لهم فيها زفير وان لم يكن الزافرين الا هم دون الاصنام للتغليب
ولعدم الالتباس • والحصب المحصوب به اي يحصب بهم في النار والحصب الرمي • وقرئ بسكون الصاد
وصفا بالمصدر • وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا • وعن ابن مسعود يجعلون في توابيت
من نار فلا يسمعون • ويجوز ان يصمهم الله كما يعميهم • ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك
عنها مبعدون • لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت انفسهم خالدون • لا يحزنهم الفزع
الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون • يوم نطوي السماء كطي السجل
للكتاب كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين • الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن
تأنيث الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة • يروى ان عليا رضي الله عنه قرأ
هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ثم اقيمت
الصلوة فقام يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها • والحسيس الصوت الذي يحس • والشهوة طلب
النفس اللذة • وقرئ لا يُحزنهم من احزن • والفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة لقوله يوم ينفخ في الصور ففزع
من في السموات ومن في الارض • وعن الحسن الانصراف الى النار • وعن الضحاك حين يطبق على النار • وقيل حين
يذبح الموت على صورة كبش املح • اي تستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم
الذي وعدكم ربكم فيحل • العامل في يوم نطوي لا يحزنهم او الفزع او تتلقاهم • وقرئ تُطوى السماء على
البناء للمفعول • والسجل بوزن العتل والسجل بلفظ الدلو وروي فيهما الكسر وهو الصحيفة اي كما يطوي
الطومار للكتابة اي ليكتب فيه او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع
فمعناه للمكتوبات اي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة • وقيل السجل ملك يطوي كتب بني آدم اذا رفعت اليه
وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها • اول خلق مفعول
نعيد الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد اول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابداء
في تناول القدرة لهما على السواء **فان قلت** وما اول الخلق حتى نعيده كما بدأناه **قلت** اوله ايجاده
عن العدم فكما اوجده اولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم **فان قلت** ما بال خلق منكرا **قلت** هو
كقولك هو اول رجل جاءني تريد اول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى
اول خلق اول الخلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع • ووجه آخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل
مضمر يفسره نعيده وما موصولة اي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده • واول خلق ظرف لبدأناه اي اول ما خلق

او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى • وعدا مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة
للاعادة • انا كنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل ذلك • ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض
يرثها عبادي الصالحون • ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين • وما ارسلناك الا رحمة للعالمين •
قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون • عن الشعبي رحمه الله زبور داود والذكر
التوراة • وقيل اسم لجنس ما انزل على الانبياء من الكتب • والذكر ام الكتاب يعني اللوح اي يرثها المؤمنون بعد اجلاء
الكفار كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا
بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هي ارض الجنة • وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم • الاشارة الى المذكور في هذه
السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة • والبلاغ الكفاية وما تبلغ به البغية •
ارسل محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فانما
اتي من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله ان يفجر الله عينا غديقة فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم
بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا فالعين المفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين
ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها • وقيل كونه رحمة للفجار من حيث ان عقوبتهم اخرت
بسببه وامنوا به عذاب الاستيصال • انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد قائم
وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الآية لان انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد
بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استيثار
الله بالوحدانية وفي قوله فهل انتم مسلمون ان الوحي الوارد على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد له وان
تخلعوا الانداد وفيه ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع • ويجوز ان يكون المعنى ان الذي يوحى الي
فتكون ما موصولة • فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون • انه يعلم
الجهر من القول ويعلم ما تكتمون • وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين • قل رب احكم بالحق
وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون • آذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله في الجري مجرى
الانذار ومنه قوله تعالى فاذنوا بحرب من الله ورسوله • وقول ابن حلزة • آذنتنا ببينها اسماء • والمعنى اني
بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين اعدائه هدنة فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ واشاعه وآذنهم جميعا بذلك واستووا في علمه لم يطوه عن احد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها • وما ادري متى يكون يوم القيامة لان الله لم يطلعني عليه ولكني اعلم بانه كائن لا محالة او لا ادري متى يحل بكم العذاب ان لم تؤمنوا • انه عالم بكل شيء يعلم ما تجاهرونني به من الطعن في الاسلام وما تكتمونه في صدوركم من الاحقاد والاحن للمسلمين وهو مجازيكم عليه • وما ادري لعل تأخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون او تمتيع لكم الى حين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة • قرئ قل رب احكم وقال رب احكم على الاكتفاء بالكسرة • ورب احكم على الضم • وربي احكم على افعل التفضيل • وربي احكم من الاحكام امر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر • ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم • وقرئ على ما يصفون بالياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون ان تكون الشوكة لهم والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

حاسبه الله حساباً يسيراً وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن • صدق رسول الله

سورة الحج مكية غير ست آيات وهي هذان خصمان ... ثمان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم • يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد • الزلزلة شدة التحريك والإزعاج وأن يضاعف زليل الأشياء عن مقارها ومراكزها ولا تخلو الساعة من أن تكون على تقدير الفاعل لها كأنها هي التي تزلزل الأشياء على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة مصدراً مضافاً إلى فاعله أو على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف وإجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله إذا زلزلت الأرض زلزالها واختلف في وقتها فعن الحسن أنها تكون يوم القيامة • وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها • أمر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الأفزاع إلا أن يتردوا به • وروي أن هاتين الآيتين نزلتا بالليل في غزوة بني المصطلق فقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير أكثر باكياً من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدراً وكانوا من بين حزين وباك ومفكر • يوم ترونها منصوب بتذهل والضمير للزلزلة • وقرئ تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة أي تذهلها الزلزلة • والذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة • فإن قلت لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التي هي في حال الإرضاع تلقم ثديها الصبي والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة • عما أرضعت عن إرضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل • وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام • وقرئ وترى بالضم من أريتك قائماً ورؤيتك قائماً • والناس منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وأنث على تأويل الجماعة • وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى وبسكارى نحو كسالى وعجالى • وعن الأعمش سكرى وبسكرى بالضم وهو غريب • والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق • ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه • وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب • فإن قلت لم قيل أولاً ترون ثم قيل ترى على الإفراد قلت لأن الرؤية أولاً علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعاً رائين لها وهي معلقة أخيراً بكون الناس على حال السكر فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائياً لسائرهم • ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد • كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير • قيل نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلاً يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين والله غير قادر على إحياء من بلي وصار تراباً وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز عليه من الصفات والأفعال ولا يرجع إلى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل • ويتبع في ذلك خطوات كل شيطان عات علم من حاله وظهر وتبين أنه من جعله ولياً له لم تثمر له ولايته إلا الإضلال عن طريق

الجنة والهداية إلى النار وما أرى رؤساء أهل الأهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالإمامة في دين الله إلا داخلين تحت كل هذا دخولاً أولياً بل هم أشد الشياطين إضلالاً وأقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدويناً ولقنوه أشياعهم تلقيناً وكأنهم ساطوه بلحومهم ودمائهم وإياهم عنى من قال • ويا رب مقفو الخطى بين قومه • طريق نجاة عندهم مستوبح • ولو قرؤوا في اللوح ما خط فيه من • بيان اعوجاج في طريقته عجوا • اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك في سماواتك وأنبيائك في أرضك وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين • والكتبة عليه مثل أي كأنما كتب إضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله • وقرئ أنه فأنه بالكسر والفتح فمن فتح فلأن الأول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كأنما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت إن الله هو الغني الحميد أو على تقدير قيل أو على أن كتب فيه معنى القول الحسن رحمه الله من البعث بالتحريك ونظيره الحلب والطرد في الحلب والطرد كأنه قيل إن ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم • والعلقة قطعة الدم الجامدة • والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ • والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود إذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء إذا كانت ملساء كأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم • وإنما نقلناكم من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة • لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولاً ثم من نطفة ثانياً ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاماً قدر على إعادة ما أبداه بل هذا أدخل في القدرة من تلك وأهون في القياس • وورود الفعل غير معدى إلى المبين إعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف • وقرأ ابن أبي عبلة ليبين لكم ويقر بالياء • وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون والنصب • ويقر ويخرجكم • ويقر ويخرجكم بالنصب والرفع • وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر الماء إذا صبه فالقراءة بالرفع إخبار بأنه يقر في الأرحام ما يشاء أن يقره من ذلك • إلى أجل مسمى وهو وقت الوضع آخر ستة أشهر أو تسعة أو سنتين أو أربع أو كما شاء وقدر وما لم يشأ إقراره مجته الأرحام أو أسقطته • والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين أحدهما أن نبين قدرتنا والثاني أن نقر في الأرحام من نقر حتى يولدوا وينشؤوا ويبلغوا حد التكليف فأكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا أشدكم • وحده لأن الغرض الدلالة على الجنس • ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلاً • الأشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالأسدة والقتود والأباطيل وغير ذلك وكأنها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع • وقرئ ومنكم من يتوفى أي يتوفاه الله • أرذل العمر الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الأولى في أوان طفولته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين أنه كما قدر على أن يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على أن يحطه إلى الحالة السفلى • لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً أي ليصير نساءً بحيث إذا كسب علماً في شيء لم ينشب أن ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة إلا سألك عنه • وقرأ أبو عمرو في رواية العمر بسكون الميم • الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة كررها الله تعالى في كتابه

اهتزت وربت تحركت بالنبات وانتفخت • وقرئ ربأت أي ارتفعت • والبهيج الحسن السار للناظر •
ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير • وأن الساعة آتية لا ريب فيها
وأن الله يبعث من في القبور • ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير • ثاني
عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق • ذلك بما
قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد • أي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وإحياء الأرض مع
ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور
كونه • وهو أن الله هو الحق أي الثابت الموجود وأنه قادر على إحياء الموتى وعلى كل مقدور • وأنه
حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد • عن ابن عباس رضي الله عنهما
أنه أبو جهل بن هشام • وقيل كرر كما كررت سائر الأقاصيص • وقيل الأول في المقلدين وهذا في المقلَّدين
والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لأنه يهدي إلى المعرفة • وبالكتاب المنير
الوحي أي يجادل بظن وتخمين لا بأحد هذه الثلاثة • وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير
الخد ولي الجيد • وقيل عن الإعراض عن الذكر • وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين أي مانع تعطفه
• ليضل علة للجدال • وقرئ بضم الياء • وفتحها فإن قلت ما كان غرضه في جداله الضلال
عن سبيل الله فكيف علل به وما كان أيضا مهتديا حتى إذا جادل خرج بالجدال عن الهدى إلى الضلال
قلت لما أدى جداله إلى الضلال جعل كأنه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه وأعرض عنه
وأقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى إلى الضلال • خزي وهو ما أصابه يوم بدر من
الصغار والقتل • والسبب فيما مني به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت يداه وعدل
الله في معاقبة الفجار وإثابة الصالحين • ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير
اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران
المبين • يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد • يدعو لمن ضره
أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير • إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد • من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة
فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ • على حرف على طرف من الدين
لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذي
يكون على طرف من العسكر فإن أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن وإلا فر وطار على وجهه • قالوا نزلت
في أعاريب قدموا المدينة فكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا
وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيرا واطمأن وإن كان الأمر بخلافه
قال ما أصبت إلا شرا وانقلب • وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلا من اليهود أسلم فأصابته
مصائب فتشاءم بالإسلام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقلني فقال إن الإسلام لا يقال فنزلت
• للمصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله والخروج إلى ما يغيظ الاستجماع على نفسه بمحنتين أحدهما ذهاب ما
أصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين • وقرئ خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع
فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن أو على أنه خبر مبتدأ
محذوف • استعير الضلال البعيد من ضلال من أبعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلاله
فإن قلت الضر والنفع منفيان عن الأصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض قلت إذا حصل
للمعنى ذهب هذا الوهم وهو أن الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه

بجهل وضلال أنه ينتفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره
بالأصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاها لها • لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى
ولبئس العشير • أو كرر يدعو كأنه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه
معبوده أقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى • وفي حرف عبد الله رضي الله عنه من ضره بغير لام • المولى الناصر
والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين • هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى أن الله تعالى ناصر رسوله في
الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه وأعاديه أن الله تعالى يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه أنه لا يظفر
بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في إزالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ
حتى مد حبلا إلى سماء بيته فاختنق • فلينظر وليصور في نفسه أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه •
وسمي الاختناق قطعا لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمي فعله كيدا لأنه وضعه
موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره أو على سبيل الاستهزاء لأنه لم يكد به محسوده إنما كاد به نفسه • والمراد
فيه أنه ليس بمذهب لما يغيظ • وقيل فليمدد بحبل إلى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي أن
ينزل عليه • وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله
من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون أن لا يثبت أمره فنزلت • وقد فسر النصر بالرزق
وقيل معناه أن الأرزاق بيد الله تعالى لا تنال إلا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضى بقسمته فمن ظن أن الله غير
رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فإن ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا
وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد • إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين
والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد • ألم تر أن
الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس
وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء • أي ومثل ذلك الإنزال
أنزلنا القرآن كله آيات بينات • ولأن الله يهدي به الذين يعلم أنهم يؤمنون أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى
أنزله كذلك مبينا • الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الأحوال والأماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا
بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد • وقيل الأديان خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمن • جعل
الصابئون مع النصارى لأنهم نوع منهم • وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم أي بين المؤمنين والكافرين وأدخلت
إن على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التأكيد ونحوه قول جرير إن الخليفة إن الله سربله • سربال ملك به ترجى
الخواتيم • سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من أفعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا تشبيها
لطاعتها بإدخال أفعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه فإن قلت
فما تصنع بقوله وكثير من الناس وبما فيه من الاعتراضين أحدهما أن السجود على المعنى الذي فسرته به لا يسعده
بعض الناس دون بعض والثاني أن السجود قد أسند على سبيل العموم إلى من في الأرض من الإنس والجن أولا
فإسناده إلى كثير منهم آخرا مناقضة قلت لا أنظم كثيرا في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل
وإنما أرفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم أقل أفسر
يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حقهم لأن اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة
على معنيين مختلفين أو أرفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لأن خبر مقابله يدل عليه وهو قوله
حق عليه العذاب • ويجوز أن يجعل من الناس خبرا له أي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون
والمتقون • ويجوز أن يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب
كأنه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب • وقرئ حق بالضم • وقرئ حقا أي حق عليه العذاب حقا

وهن اهانه الله بان كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره او فسقه فقد بقي مهانا لن يجد له مكرما • وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام • انه يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين • هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم • يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق • الخصم صفة وصف بها الفوج او الفريق فكأنه قيل هذان فوجان او فريقان يختصمان • وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل هؤلاء خصمان او اختصما جاز يراد المؤمنون والكافرون قال ابن عباس رضي الله عنهما رجع الى اهل الاديان الستة • في ربهم في دينه وصفاته • وروي ان اهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم • وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم • فالذين كفروا هو فصل الخصومة المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة • وفي رواية عن الكسائي خصمان بالكسر • وقرئ قطعت بالتخفيف كأن الله يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة • ويجوز ان يظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب الظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران • الحميم الماء الحار عن ابن عباس رضي الله عنه لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها • يصهر يذاب وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة اذا صب الحميم على رؤوسهم كان تاثيره في الباطن نحو تاثيره في الظاهر فيذيب احشاءهم وامعاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم • والمقامع السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها • وقرأ الاعمش ردوا فيها • والاعادة والرد لا يكون الا بعد الخروج فالمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم فخرجوا اعيدوا فيها • ومعنى الخروج ما روي عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا • وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك • ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير • وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد • ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم • يحلون عن ابن عباس رضي الله عنهما من حليت المرأة فهي حال • ولؤلؤا بالنصب على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا • ولولؤا بقلب الهمزة الثانية واوا • ولوليا بقلبهما واوين ثم بقلب الثانية ياء كادل • ولول كادل فيمن جر • ولولؤ وليليا بقلبهما ياءين عن ابن عباس رضي الله عنهما • وهداهم الله والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده • وهداهم الى طريق الجنة • يقال فلان يحسن الى الفقراء وينعش المضطهدين لا يراد حالا ولا استقبالا وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه والنعشة في جميع ازمنته واوقاته ومنه قوله ويصدون عن سبيل الله اي الصدود منهم مستمر دائم • للناس اي الذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتاء وطارئ ومكي وآفاقي وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة رضي الله عنهم قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها • وعند الشافعي رضي الله عنه لا يمتنع ذلك وقد حاور اسحاق بن راهويه

فاحتج بقوله

فاحتج بقوله الذين اخرجوا من ديارهم وقال انسب الديار الى مالكيها او غير مالكيها اشترى عمر بن الخطاب دار السجن من مالكيه او غير مالكيه • سواء بالنصب حفص والباقون على الرفع • ووجه النصب انه ثاني مفعولي جعلناه اي جعلناه مستويا • العاكف فيه والباد وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان • الالحاد العدول عن القصد واصله الحاد الحافر • وقوله بالحاد بظلم حالان مترادفتان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم يعني ان الواجب على كل من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده • وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته • وعن سعيد بن جبير الاحتكار • وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله • وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا نحدث ان من الالحاد ان يقول الرجل لا والله وبلى والله • وقرئ يرد بفتح الياء من الورود ومعناه من اتى فيه بالحاد ظالما • وعن الحسن ومن يرد الحاده بظلم اراد الحادا فيه فاضافه على الاتساع في الظرف كمكر الليل ومعناه ومن يرد ان يلحد فيه ظالما • وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك • واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود • واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق • ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير • واذكر حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله ابراهيم مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم • وان هي المفسرة

فان قلت كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة **قلت** كانت التبوئة مقصودة من اجل العبادة فكأنه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام والاوثان والاقذار ان تطرح حوله • وقرئ يشرك بالياء على الغيبة • واذن في الناس ناد فيهم وقرأ ابن محيصن وآذن • والنداء بالحج ان يقول حجوا او عليكم بالحج • وروي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم • وعن الحسن انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع • رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام • وقرئ رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى عن ابن عباس • وعلى كل ضامر حال معطوفة على حال كأنه قال رجالا وركبانا • يأتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع • وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان • والعميق البعيد وقرأ ابن مسعود معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق • نكر المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات • وعن ابي حنيفة رحمه الله انه كان يفاضل بين العبادات قبل ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص • وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله ان يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا ان جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في ايام معلومات بهيمة الانعام لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة • الايام المعلومات ايام العشر عند ابي حنيفة وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه هي ايام النحر • البهيمة مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضأن والمعز

والأمر بالأكل منها أمر إباحة لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائكهم • ويجوز أن يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثم استحب الفقهاء أن يأكل الموسع من أضحيته مقدار الثلث • وعن ابن مسعود أنه بعث بهدي وقال فيه إذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه إلى عتبة يعني ابنه • وفي الحديث كلوا وادخروا وائتجروا • البائس الذي أصابه بؤس أي شدة • والفقير الذي أضعفه الإعسار • قضاء التفث قص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد • والتفث الوسخ فالمراد قضاء إزالة التفث • وقرئ وليوفوا بتشديد الفاء • نذورهم مواجب حجهم وما عسى ينذرونه من أعمال البر في حجهم • وليطوفوا طواف الإفاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من أركان الحج ويقع به تمام التحلل • وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع • العتيق القديم لأنه أول بيت وضع للناس عن الحسن • وعن قتادة أعتق من الجبابرة كم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله • وعن مجاهد لم يملك قط • وعن مجاهد أعتق من الغرق • وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير **فإن قلت** قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع **قلت** ما قصد التسلط على البيت وإنما تحصن به ابن الزبير رحمه الله فاحتال لإخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه أبرهة فعل به ما فعل • ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور • حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق • ذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر والشأن ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا • والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن أسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل • فهو خير له أي فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها • المتلو لا يستثنى من الأنعام ولكن المعنى إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والمعنى أن الله تعالى قد أحل لكم الأنعام كلها إلا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده وإياكم أن تحرموا مما أحل شيئا كتحريم عبدة الأوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وأن تحلوا مما حرم كإحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغير ذلك • لما حث على تعظيم حرماته أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور لأن توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول أعظم الحرمات وأسبقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد وذلك أن الشرك من باب الزور لأن المشرك زاعم أن الوثن تحق له العبادة فكأنه قال فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيئا منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الأوثان وسمى الأوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والأزلام على طريق التشبيه يعني أنكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم أن تنفروا عن هذه الأشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه أنه رجس والرجس مجتنب • من الأوثان بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لأن الرجس مبهم يتناول غير شيء كأنه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان • والزور من الزور والازورار وهو الانحراف كما أن الإفك من أفكه إذا صرفه • وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما أشبه ذلك من افترائهم • وقيل شهادة الزور • عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الإشراك بالله عدلت شهادة الزور الإشراك بالله عدلت شهادة الزور الإشراك بالله

وتلا هذه

وتلا هذه الآية • وقيل الكذب والبهتان • وقيل قول أهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك • ويجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق فإن كان تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة • وقرئ فتخطفه وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن وأصلها تختطفه • وقرئ الرياح • ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب • لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق • ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام • فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين • الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون • تعظيم الشعائر وهي الهدايا لأنها من معالم الحج أن يختارها عظام الأجرام حسانا سمانا غالية الأثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والأضحية والرقبة • وروى ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهما أنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها • وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب • وكان ابن عمر يسوق الهدي مجللا بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد أن طاعة الله في التقرب بها وإهدائها إلى بيته المعظم أمر عظيم لا بد أن يقام به ويسارع فيه • فإنها من تقوى القلوب أي فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها لأنه لا بد من راجع من الجزاء إلى من ليرتبط به • وإنما ذكرت القلوب لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء • إلى أجل مسمى إلى أن تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها • وثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الأحوال والمعنى أن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وإنما يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة وأعظم هذه المنافع وأبعدها شوطا في النفع محلها إلى البيت أي وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها في الحرم منتهية إلى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لأن الحرم هو حريم البيت ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وإنما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده • وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها إلى البيت العتيق يأباه • ولكل أمة جعلنا منسكا شرع الله لكل أمة أن ينسكوا له أي يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه على النسائك • فله أسلموا أي أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما أي خالصا لا تشوبوه بإشراك • المخبتين المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الأرض • وقيل هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا • وقرأ الحسن والمقيمي الصلاة بالنصب على تقدير النون • وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلاة على الأصل • والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون • البدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الإبل خاصة ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحق البقر بالإبل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة

عن سبعة وجعل البقر في حكم الابل صارت البدنة في الشريعة متناولة للجنسين عند ابي حنيفة رضي الله عنه
رضوان الله عليه واما الاشتقاق فالبدن هي الابل وعليه تدل الآية • وقرأ الحسن والبدن بضمتين كثمر في جمع ثمرة
وعن ابن ابي اسحاق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف • وقرئ بالرفع والنصب كقوله والقمر قدرناه
• من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله واضافتها الى اسمه تعظيم لها • لكم فيها خير كقوله لكم
فيها منافع ومن شأن الحاج ان يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله • عن بعض السلف انه لم يملك الا
تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير • وعن ابن عباس رضي
الله عنه دنيا وآخرة • وعن ابراهيم من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب • وذكر اسم الله
ان يقول عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك • صواف قائمات قد صففن
ايديهن وارجلهن • وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو ان تقوم على ثلاث وتنصب الرابعة
على طرف سنبكه لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث • وقرئ صوافي اي خوالص لوجه
الله • وعن عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين عوضا من حرف الاطلاق عند الوقف • وعن بعضهم صوافي
نحو مثل العرب اعط القوس باريها بسكون الياء • وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط
وجبة اذا سقط ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت نسائسها حل
لكم الاكل منها والاطعام • القانع السائل من قنعت اليه وكنعت اذا خضعت له وسألته قنوعا • والمعتر
المتعرض بغير سؤال • او القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة • والمعتر
المتعرض بالسؤال • وقرأ الحسن والمعتري وعره وعراه واعتره واعتراه بمعنى • وقرأ ابو رجاء القنع
وهو الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع • منّ الله على عباده واستحمد اليهم بان سخر لهم البدن مثل التسخير
الذي ترى وعلموا لياخذوها منقادة للآخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة قوائمها ثم
يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن باعجز من بعض الوحوش التي هي اصغر منها اجرما
واقل قوة وكفى بما يتأبد من الابل شاهدا وعبرة • لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى
منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين • ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله
لا يحب كل خوان كفور • اي لن يصيب رضى الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد
اصحاب اللحوم والدماء • والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ
بشروط التقوى في حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية واوامر الورع فاذا لم يراعوا
ذلك لم يغن عنهم التضحية والتقريب وان كثر ذلك منهم • وقرئ لن تنال ولكن تناله بالتاء والياء
وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون
ارادوا مثل ذلك فنزلت • كرر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال لتشكروا الله على هدايته اياكم لاعلام
دينه ومناسك حجه بان تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدي تعديته
• خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقال انهم لهم
المنصورون واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة في ذلك انه لا يحب اضدادهم وهم
الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها • ومن قرأ
يدافع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يجيء اقوى وابلغ • اذن للذين
يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير • الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا
ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله
كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز • الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة

وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور • وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم
قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين
ثم اخذتهم فكيف كان نكير • اذن ويقاتلون قرئا على لفظ المبني للفاعل والمفعول جميعا والمعنى
اذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه • بانهم ظلموا اي بسبب كونهم مظلومين
وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم اذى شديدا وكانوا يأتون رسول
الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اؤمر بالقتال
حتى هاجر فانزلت هذه الآية وهي اول آية اذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية •
وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فاذن لهم في مقاتلتهم • والاخبار بكونه
قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين آمنوا
مؤذن بمثل هذه العدة ايضا • ان يقولوا في محل الجر على الابدال من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي
ينبغي ان يكون موجبا للاقرار والتمكين لا موجبا للاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله •
دفع الله بعض الناس ببعض اظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى
المشركون على اهل الملل المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم
صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد • او لغلب المشركون في امة محمد صلى الله عليه وسلم
على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين • وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف
وسميت الكنيسة صلاة لانه يصلى فيها • وقيل هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوثا • من ينصره اي
ينصر دينه واولياءه هو اخبار من الله عز وجل بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضي الله
عنهم ان مكنهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بامر الدين • وعن عثمان رضي الله عنه هذا
والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا وقالوا فيه دليل على
صحة امر الخلفاء الراشدين لان الله لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين
[illegible]
[illegible]

على اهلها ... وهذا الفعل ليس له محل . والحسن معطلة من اعطله بمعنى عطله . ومعنى المعطلة انها عامرة
فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا انها عطلت اي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها . والمشيد المجصص او
المرفوع البنيان والمعنى كم من قرية اهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه عن ساكنيه
فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على ان على عروشها بمعنى مع اي مع ابنيتها . وروي ان هذه بئر نزل عليها
صالح عليه الصلوة والسلام مع اربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت وانما سميت
بذلك لان صالحا حين حضرها مات وثم بلدة عند البئر اسمها حاضورا بناها قوم صالح وامروا عليهم جلهس
ابن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم
الله تعالى وعطل بئرهم وخرب قصورهم . افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها
او آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور . ويستعجلونك بالعذاب
ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون . وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة
ثم اخذتها والي المصير . قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين . فالذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة ورزق كريم . والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك اصحاب الجحيم . يحتمل انهم لم يسافروا
فحثوا على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا . وان يكونوا قد سافروا
وراوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كان لم يسافروا ولم يروا . وقرئ فيكون لهم قلوب بالياء اي يعقلون
ما يجب ان يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي . فانها الضمير ضمير الشان والقصة يجي مذكرا
ومؤنثا . وفي قراءة ابن مسعود فانه . ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه والمعنى
ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم او لا يعتد بعمى الابصار فكانه ليس بعمى بالاضافة
الى عمى القلوب . فان قلت اي فائدة في ذكر الصدور . قلت الذي قد تعورف واعتقد ان العمى
على الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل
فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج
هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء
للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانك وتثبيت لان محل المضاء هو
هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضاء عن السيف واثبته للسانك فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت
به اياه بعينه تعمدا . انكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل او الآجل كانه قال ولم يستعجلون
به كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد
وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد
الطوال ان يوما واحدا عنده كالف سنة عندكم . وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد
من ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد مستطالة . او كان ذلك اليوم الواحد
لشدة عذابه كالف سنة من سني العذاب . وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والامهال
وقرئ تعدون بالتاء والياء . ثم قال وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم
اخذتهم بالعذاب والمرجع الي والي حكمي . فان قلت لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو
قلت الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين
بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة . يقال سعيت في امر فلان اذا اصلحته
او افسدته بسعيك . وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل
اعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير ومن تثبيط

الناس عنها

٢ قوله على عروشها اي مع ابنيتها [illegible]

٢ يقال فلتة [illegible] اذا لم يكن عن تروية [illegible]

٢ قوله وهذه اي وكاين من قرية امليت لها [illegible]

الناس عنها . سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم
فان قلت كان القياس ان يقال انما انا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده قلت الحديث
مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما
اقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا . وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقي
الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد .
وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي
الذين آمنوا الى صراط مستقيم . من رسول ولا نبي دليل بين على تغاير الرسول والنبي وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم
قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا . والفرق بينهما ان الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل
عليه . والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو الى شريعة من قبله . والسبب في نزول
هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه
على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم ولحرصه وتهالكه على اسلامهم ان لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله
يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه
سورة والنجم وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فاخذ يقرؤها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة
الاخرى القى الشيطان في امنيته التي تمناها اي وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل
السهو والغلط الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى . وروي الغرانقة ولم يفطن له حتى
ادركته العصمة فتنبه عليه . وقيل نبهه جبريل عليه الصلوة والسلام او تكلم الشيطان بذلك
فاسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من
ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون نورا وايقانا . والمعنى ان الرسل
والانبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيته مكن الله الشيطان ليلقي في اماناتهم
مثل ما القى في امنيتك ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له ان يمتحن عباده بما شاء من صنوف
المحن وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين . وقيل تمنى قرا وانشد
تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل . وامنيته قراءته . وقيل تلك الغرانيق
اشارة الى الملائكة اي هم الشفعاء لا الاصنام . فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب به ويبطله
ثم يحكم الله آياته اي يثبتها . والذين في قلوبهم مرض المنافقون والشاكون . والقاسية قلوبهم
المشركون المكذبون . وان الظالمين يريد وان هؤلاء المنافقين والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر موضع
المضمر قضاء عليهم بالظلم . انه الحق من ربك اي ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق من ربك
والحكمة . وان الله لهادي الذين آمنوا الى ان يتاولوا ما يتشابه في الدين بالتاويلات الصحيحة ويطلبوا
لما اشكل منه المحمل الذي تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم
شبهة ولا تزل اقدامهم . وقرئ لهاد الذين آمنوا بالتنوين . ولا يزال الذين كفروا في مرية منه
حتى تاتيهم الساعة بغتة او ياتيهم عذاب يوم عقيم . الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين
آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم . والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين
والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين
ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم . ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه

٢ الفرق والفريق طائفة من الناس [illegible] وقيل الفريق [illegible]

٢ ولانشد [illegible] تمنى كتاب الله اول ليلة وآخره لاقى حمام المقادر ع

لينصرنه الله إن الله لعفو غفور ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير الضمير في مرية من القرآن أو الرسول . اليوم العقيم يوم بدر وإنما وصف يوم الحرب بالعقيم لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن أو لأن المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فإذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز . وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم إذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا . وقيل لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه . وعن الضحاك أنه يوم القيامة وأن المراد بالساعة مقدماته . ويجوز أن يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيامة كأنه قيل حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير . **فإن قلت** التنوين في يومئذ عن أي جملة ينوب **قلت** تقديره الملك يوم يؤمنون أو يوم تزول مريتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة . لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وأن يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل تفضلا منه وإحسانا . والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه . وروي أن طوائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إن متنا معك فأنزل الله تعالى هاتين الآيتين . تسمية الابتداء بالجزاء لملابسته له من حيث إنه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة **فإن قلت** كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع **قلت** المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الإخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب إليه ومستوجب عند الله المدح إن آثر ما ندب إليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله فمن عفا وأصلح فأجره على الله وأن تعفوا أقرب للتقوى ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور فإن الله لعفو غفور أي لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من إخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه . ويجوز أن يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين أو دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة لأنه لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده . ذلك أي ذلك النصر بسبب أنه قادر ومن آيات قدرته البالغة أنه يولج الليل في النهار والنهار في الليل أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والبغي والإنصاف . وأنه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون **فإن قلت** ما معنى إيلاج أحد الملوين في الآخر **قلت** تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذلك بغيبوبة الشمس وضياء ذلك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء السرب بالسراج ويظلم بفقده . وقيل هو زيادته في أحدهما ما ينقص من الآخر من الساعات . ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير . ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير . له ما في السموات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد . وقرئ تدعون بالتاء والياء وقرأ اليماني وأن ما يدعون بلفظ المبني للمفعول والواو راجعة إلى ما لأنه في معنى الآلهة أي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والإحاطة بما يجري فيهما وإدراك كل قول وفعل بسبب أنه الله الحق الثابت إلاهيته وأن كل ما يدعى إلها دونه باطل الدعوة وأنه لا شيء أعلى منه شأنا وأكبر سلطانا . وقرئ مخضرة أي ذات خضر على مفعلة كمبقلة ومسبعة **فإن قلت** هلا قيل فأصبحت ولم صرف إلى لفظ المضارع **قلت** لنكتة فيه وهي إفادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول أنعم علي فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع **فإن قلت** فما له رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام **قلت** لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض لأن معناه إثبات الاخضرار فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار مثاله أن تقول لصاحبك ألم تر أني

أنعمت عليك فتشكر إن نصبته فأنت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وإن رفعته فأنت مثبت للشكر وهذا وأمثاله مما يجب أن يرغب له من اتسم بالعلم في علم الإعراب وتوقير أهله . لطيف واصل علمه أو فضله إلى كل شيء . خبير بمصالح الخلق ومنافعهم . ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم . وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور . لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم . ما في الأرض من البهائم مذللة للركوب في البر ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك من سائر المسخرات . وقرئ والفلك بالرفع على الابتداء . أن تقع كراهة أن تقع إلا بمشيئته . أحياكم بعد أن كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة لكفور لجحود لما أفاض عليه من ضروب النعم . هو نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي لا تلتفت إلى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك أو هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة . وروي أن بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعنون الميتة . وقال الزجاج هو نهي له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان أي لا تضاربه وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون إلا بين اثنين . في الأمر في أمر الذبائح . وقيل في أمر المناسك . وقرئ فلا ينزعنك أي اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون أن يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما يهيج حمية ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله ولا يصدنك عن آيات الله ولا تكونن من المشركين ولا تكونن ظهيرا للكافرين . وهيهات أن ترتع همة رسول الله صلى الله عليه وسلم حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما قلت لك من إرادة التهييج والإلهاب . وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته أنزعه أي غلبته أي لا يغلبنك في المنازعة **فإن قلت** لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه **قلت** لأن تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في أمر النسائك فعطفت على أخواتها وأما هذه فواقعة مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفا . وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون . الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون . ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير . ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير أي وإن أبوا للجاجهم إلا المجادلة بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال فادفعهم بأن الله أعلم بأعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وإنذار ولكن برفق ولين . الله يحكم بينكم خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أي يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم كيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل ما يحدث في السموات والأرض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه والإحاطة بذلك وإثباته وحفظه عليه يسير لأن العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم . ويعبدون ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا ألجأهم إليها علم ضروري ولا حملهم عليها دليل عقلي وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم . وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير . يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز . المنكر الفظيع من التجهم والبسور أو الإنكار كالمكرم بمعنى الإكرام . وقرئ يعرف والمنكر . والسطو الوثب والبطش . وقرئ النار بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف كأن قائلا قال ما هو فقيل النار وبالنصب على الاختصاص

وبالحج على البدل من شيء من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي
عليكم • وعدها الله استئناف كلام • ويحتمل ان يكون النار مبتدأ ووعدها خبرا وان تكون حالا عنها اذا نصبتها
او جررتها باضمار قد • فان قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا • قلت قد سميت الصفة او القصة
الرائعة الملتقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة
عندهم • قرئ تدعون بالتاء والياء ويدعون مبنيا للمفعول • لن اخت لا في نفي المستقبل الا ان لن تنفيه نفيا
مؤكدا وتأكيده هاهنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم كانه قال محال ان يخلقوا • فان قلت
ما محل ولو اجتمعوا • قلت النصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا
لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما انزل الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على ان
الشيطان قد خزمهم بخزامته حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة
بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله تعالى واذله واصغره
واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا • وادل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم ان هذا الخلق الاقل
الاذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا • وقوله ضعف الطالب والمطلوب
كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف واضعف لان الذباب
حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا يطلونها
بالزعفران ورؤوسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله • ما قدروا
الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته باسرها ولا يؤهلوه للعبادة
ولا يتخذوه شريكا له • ان الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به • الله يصطفي من الملائكة
رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير • يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور • يا ايها
الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون • هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول من البشر
وبيان ان رسل الله على ضربين ملائكة وبشر ثم ذكر انه عز وجل دراك للمدركات عالم باحوال المكلفين
ما مضى منها وما غبر لا تخفى عليه منهم خافية واليه مرجع الامور كلها والذي هو بهذه الصفات
لا يسئل عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله • للذكر شان ليس لغيره
من الطاعات وفي هذه السورة دلالة على ذلك فمن ثم دعى المؤمنين اولا الى الصلاة التي هي ذكر خالص
ثم الى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو ثم عم بالحث على سائر الخيرات • وقيل كان الناس اول
ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فامروا ان تكون صلاتهم بركوع وسجود • وقيل معنى
واعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله تعالى • وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله
وافعلوا الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق • لعلكم تفلحون اي افعلوا هذا كله وانتم راجون
للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم • وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه
قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقراهما • وعن عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي رحمه الله فرأى سجدتين في سورة
الحج • وابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل على
انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة • وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين
من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا
شهداء على الناس فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير •
وجاهدوا امر بالغزو او بمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه

رجع من

رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر • في الله اي في ذات الله ومن اجله يقال هو
حق عالم وجد عالم اي عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده • فان قلت ما وجه هذه الاضافة وكان
القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله • قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة
واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع
في الظرف كقوله • ويوم شهدناه سليما وعامرا • اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته • وما جعل عليكم في الدين
من حرج فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بانواع الرخص والكفارات والديات في الاروش ونحوه قوله يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر وامة محمد صلى الله عليه وسلم هي الامة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة
• ملة ابيكم نصب الملة بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقام المضاف
اليه مقامه او على الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم ابراهيم كقولك الحمد لله الحميد • فان قلت لم يكن
ابراهيم ابا للامة كلها • قلت هو ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ابا لامته لان امة الرسول في حكم
اولاده • هو يرجع الى الله تعالى وقيل الى ابراهيم ويشهد للقول الاول قراءة ابي بن كعب الله سماكم من قبل وفي هذا اي من
قبل القرآن في سائر الكتب وفي القرآن اي فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم • ليكون الرسول شهيدا عليكم
انه قد بلغكم • وتكونوا شهداء على الناس بان الرسل قد بلغتهم واذ قد خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه
وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي صدق الله ورسوله

سورة المؤمنون مكية وهي مائة وثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون • الذين هم في صلاتهم خاشعون
والذين هم عن اللغو معرضون • قد نقيضة لما هي تثبت ما تنفيه ولا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين
لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه • والفلاح الظفر بالمراد
وقيل البقاء في الخير • وافلح دخل في الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال افلحه صار الى الفلاح وعليه قراءة
طلحة بن مصرف افلح على البناء للمفعول • وعنه افلحوا على اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير • وعنه افلح
بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله • فلو ان الاطبا كان حولي • فان قلت ما المؤمن • قلت هو في
اللغة المصدق واما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين احدهما ان كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه
لسانه فهو مؤمن • والآخر انه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفاسق • الخشوع في الصلاة خشية
القلب والباد البصر عن قتادة وهو الزام موضع السجود • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يصلي رافعا
بصره الى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلاة هاب الرحمن
ان يشد بصره الى شيء او يحدث نفسه بشأن من الدنيا • وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها • ومن
الخشوع ان يستعمل الآداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاؤب والتغميض
وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى • روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه • ونظر الحسن الى رجل
يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث • فان قلت
لم اضيفت الصلاة اليهم • قلت لان الصلاة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي
عدته وذخيرته فهي صلاته واما المصلى له فغني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها • اللغو ما لا
يعنيك من قول او فعل كاللعب والهزل وما توجب المروءة الغاؤه واطراحه يعني ان بهم من الجد ما شغلهم عن

الحق • لما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف • والذين هم للزكوة فاعلون • والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين • فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون • الزكوة اسم مشترك بين عين ومعنى • فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير • والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي اراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله • والتحقيق فيه انك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولم يمتنع الزكوة الدالة على العين ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد انشد لامية بن ابي الصلت • المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات • ويجوز ان يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة • على ازواجهم في موضع الحال اي الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المرأة فراشا • والمعنى انهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم • او تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اي يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه • او تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ علي عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت معنى ما طلبت منك الا فعلك • فان قلت هلا قيل من ملكت • قلت لانه اريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الاناث • جعل المستثنى حدا اوجب الوقوف عنده ثم قال فمن احدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة اربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت • فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه • فان قلت هل فيه دليل على تحريم المتعة • قلت لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح • والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون • والذين هم على صلواتهم يحافظون • اولئك هم الوارثون • الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون • وقرئ لامانتهم سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعاني ويخان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها • والراعي القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشيء اي متوليه وصاحبه • ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات الناس وعهودهم • وقرئ على صلوتهم • فان قلت كيف تكرر ذكر الصلوة اولا وآخرا • قلت هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في صلوتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهوا عنها ويؤدوها في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي ان تتم به اوصافها • وايضا فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلوة اي صلوة كانت وجمعت آخرا لتفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلوة وصلوة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلوة الضحى والتهجد وصلوة التسبيح وصلوة الحاجة وغيرها من النوافل • اي اولئك الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم • ثم ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى على الناظر • ومعنى الارث ما مر في سورة مريم • انث الفردوس على تأويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر • روي ان الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها

المسك الاذفر • وفي رواية ولبنة من مسك مذري وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان • ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين • ثم جعلناه نطفة في قرار مكين • ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين • ثم انكم بعد ذلك لميتون • ثم انكم يوم القيمة تبعثون • السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة • وعن الحسن ماء بين ظهراني الطين • فان قلت ما الفرق بين من ومن • قلت الاول للابتداء والثاني للبيان كقوله من الاوثان • فان قلت ما معنى جعلنا الانسان نطفة • قلت معناه انه خلق جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة • القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر او بمكانتها في نفسها لانها مكنت بحيث هي واحرزت • وقرئ عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظم وعظما فكسونا العظام • وضع الواحد موضع الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة • خلقا آخر اي خلقا مباينا للخلق الاول مباينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل عضو من اعضائه وكل جزء من اجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به ابو حنيفة فيمن غصب بيضة فافرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة • فتبارك الله فتعالى امره في قدرته وعلمه • احسن الخالقين احسن المقدرين تقديرا فترك المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة • وروي عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله خلقا آخر قال فتبارك الله احسن الخالقين • وروي ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح • قرأ ابن ابي عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين الميت والمائت ان الميت كالحي صفة ثابتة واما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الآن ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق في قوله وضائق به صدرك • جعل الاماتة التي هي اعدام الحيوة والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين ايضا على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع • فان قلت فاذن لا حيوة الا حيوة الانشاء وحيوة البعث • قلت ليس في ذكر الحيوتين نفي الثالثة وهي حيوة القبر كما لو ذكرت ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على ان الثلث ليس عندك وايضا فالغرض ذكر هذه الاجناس الثلاثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطوي ذكرها من جنس الاعادة • ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين • وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون • فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون • وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين • الطرائق السموات لانه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شيء فوق مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم • وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها • اراد بالخلق السموات كانه قال خلقناها فوقهم وما كنا عنها غافلين وعن حفظها وامساكها ان تقع فوقهم بقدرتنا • او اراد به الناس وانما خلقناها فوقهم لينزل عليهم الارزاق والبركات منها وينفعهم بانواع منافعها وما كنا غافلين عنهم وعما يصلحهم • بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة • او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم • فاسكناه في الارض كقوله فسلكه ينابيع في الارض • وقيل جعلناه ثابتا في الارض • وقيل انها خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق

وقيل هي خمسة أنهار أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها
منافع للناس في أصناف معايشهم وكما قدر على إنزاله فهو قادر على رفعه وإزالته • وقوله على ذهاب به
من أوقع النكرات وأحزها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه
إيذان باقتدار المذهب وأنه لا يتعايى عليه إذا أراده وهو أبلغ في الإيعاد من قوله قل أرأيتم
إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فعلى العباد أن يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها
بالشكر الدائم ويخافوا نفارها إذا لم تشكر • خص هذه الأنواع الثلاثة لأنها أكرم الشجر وأفضلها
وأجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بأن ثمرهما جامع بين أمرين بأنه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل
رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بأن دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ
جميعا • ويجوز أن يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن ضيعة يغتلها
ومن تجارة يتربح بها يعنون أنها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كأنه قال وهذه الجنات وجوه
أرزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون • وشجرة عطف على جنات وقرئت مرفوعة على الابتداء
أي ومما أنشئ لكم شجرة • طور سيناء • وطور سينين لا يخلو إما أن يضاف فيه الطور إلى بقعة
اسمها سيناء وسينون • وإما أن يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف إليه كامرئ القيس
وكبعلبك فيمن أضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة أو التأنيث لأنها بقعة
وفعلاء لا يكون ألفه للتأنيث كعلباء وحرباء ومن فتح فلم يصرف لأن الألف للتأنيث كصحراء • وقيل
هو جبل فلسطين • وقيل بين مصر وأيلة ومنه نودي موسى عليه الصلاة والسلام • وقرأ
الأعمش سينا على القصر • بالدهن في موضع الحال أي تنبت وفيها الدهن • وقرئ تُنبت وفيه
وجهان • أحدهما أن أنبت بمعنى نبت وأنشد لزهير • رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم • قطينا
لهم حتى إذا أنبت البقل • والثاني أن مفعوله محذوف أي تنبت زيتونها وفيه الزيت • وقرئ
تُنبَت بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم تنبت • وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه تخرج الدهن وصبغ
الآكلين • وغير مخرج بالدهن • وفي حرف أبي تثمر بالدهن • وعن بعضهم تنبت بالدهان • وقرأ
الأعمش وصبغا • وقرئ وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ • والصبغ الغمس للائتدام • وقيل هي أول شجرة
نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله توقد من شجرة مباركة • وإن لكم في الأنعام لعبرة
نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون • وعليها وعلى الفلك تحملون •
ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون • فقال
الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة
ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين • إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين • قرئ تسقيكم
بتاء مفتوحة أي تسقيكم الأنعام • ومنها تأكلون أي يتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما يتعلق
بما لا يؤكل لحمه من البغال والحمير والخيل وفيها منفعة زائدة وهي الأكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالأنعام
إلى الإبل لأنها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفائن لأنها سفائن البر • قال ذو الرمة
سفينة بر تحت خدي زمامها • يريد صيدحه • غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة
استئناف تجري مجرى التعليل للأمر بالعبادة • أفلا تتقون أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله
الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره
مما ليس من استحقاق العبادة في شيء • أن يتفضل عليكم أن يطلب الفضل عليكم ويترأسكم كقوله تعالى وتكون
لكما الكبرياء في الأرض • بهذا إشارة إلى نوح عليه الصلاة والسلام أو إلى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله

أي ما سمعنا بمثل هذا الكلام من مدع وهو بشر أنه رسول الله وما أعجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد
رضوا للإلهية بحجر • وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على أنهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة أو تكذبوا في ذلك
لانهماكهم في الغي وتشمرهم لأن يدفعوا الحق بما أمكنهم وبما عنّ لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب ألا
تراهم كيف جننوه وقد علموا أنه أرجح الناس عقلا وأوزنهم قولا • والجنة الجنون أو الجن أي به جن
يخبلونه • حتى حين أي احتملوه واصبروا عليه إلى زمان حتى ينجلي أمره عن عاقبة فإن أفاق
من جنونه وإلا قتلتموه • قال رب انصرني بما كذبون • فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا
فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول
منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون • فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك
فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين • وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين
إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين • في نصرته إهلاكهم فكأنه قال أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي
أو انصرني بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذاك أي بدل ذاك ومكانه والمعنى أبدلني من غم تكذيبهم سلوة
النصرة عليهم • أو انصرني بإنجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم إني أخاف
عليكم عذاب يوم عظيم • بأعيننا بحفظنا وكلاءتنا كأن معه من الله حفاظا يكلؤونه بعيونهم
لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله • ومنه قولهم عليه من الله عين كالئة • ووحينا أي
نأمرك كيف تصنع ونعلمك • روي أنه أوحي إليه أن يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر • روي أنه
قيل لنوح عليه الصلاة والسلام إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن معك في السفينة فلما
نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب • وقيل كان تنور آدم وكان من حجارة فصار إلى نوح واختلف
في مكانه فعن الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط
المسجد • وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة • وقيل بالهند • وعن ابن عباس رضي الله عنهما التنور
وجه الأرض • وعن قتادة أشرف موضع في الأرض أي أعلاه • وعن علي رضي الله عنه فار التنور
طلع الفجر • وقيل معناه أن فوران التنور كان عند تنوير الفجر • وقيل هو مثل كقولهم حمي الوطيس والقول هو
الأول • يقال سلك فيه دخله وسلك غيره وأسلكه • قال • حتى إذا أسلكوهم في قتائدة • من كل
زوجين من كل أمتي زوجين وهما أمة الذكر وأمة الأنثى كالجمال والنوق والحصن والرماك • اثنين
واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة • روي أنه لم يحمل إلا ما يلد ويبيض • وقرئ
من كل بالتنوين أي من كل أمة زوجين واثنين تأكيد وزيادة بيان • جيء بعلى مع سبق الضار كما جيء
باللام مع سبق النافع قال الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
ونحوه قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضي الله عنه ليتها كانت كفافا لا علي ولا لي
فإن قلت لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة قلت لما تضمنته الآية من كونهم ظالمين وإيجاب
الحكمة أن يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة في إغراقهم والمفسدة في استبقائهم وبعد أن أملي لهم الدهر
المتطاول فلم يزيدوا إلا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق إلا أن يجعلوا عبرة للمعتبرين • ولقد بالغ في ذلك
حيث أتبع النهي عنه الأمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله
رب العالمين • ثم أمره أن يدعو بدعاء هو أهم وأنفع له وهو طلب أن ينزله في السفينة أو في الأرض عند
خروجه منها منزلا مباركا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وأن يشفع الدعاء بالثناء عليه
المطابق لمسألته وهو قوله وأنت خير المنزلين • فإن قلت هلا قيل فقولوا لقوله فإذا استويت
أنت ومن معك لأنه في معنى فإذا استويتم • قلت لأنه نبيهم وإمامهم فكان قوله قولهم مع ما …

الاستعباد لفضل النبوة ولطلها كبرياء الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبي • وقرئ
منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه • ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي
الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان الشأن والقصة كنا مبتلين اي مصيبين قوم نوح ببلاء
عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها
آية فهل من مدكر • ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين • فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره افلا تتقون • وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة واترفناهم في
الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون • ولئن اطعتم بشرا
مثلكم انكم اذا لخاسرون • ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون • هيهات
هيهات لما توعدون • ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما نحن بمبعوثين • ان هو الا
رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين • قال رب انصرني بما كذبون • قال عما قليل ليصبحن
نادمين • قرنا آخرين هم عاد قوم هود عن ابن عباس رضي الله عنهما وتشهد له حكاية الله تعالى قول هود
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة هود على اثر قصة نوح في سورة الاعراف وسورة
هود والشعراء **فان قلت** حق ارسل ان يتعدى بالى كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث فما باله
عدي في القرآن بالى تارة وبفي اخرى كقوله كذلك ارسلناك في امة وما ارسلنا في قرية من نذير فارسلنا
فيهم رسولا اي في عاد وفي موضع آخر والى عاد اخاهم هودا **قلت** لم يعد بفي كما عدي بالى ولم
يجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال كما قال رؤبة • ارسلت فيها مصعبا
ذا اقحام • وقد جاء بعث على ذلك في قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا • ان مفسرة لارسلنا
اي قلنا لهم على لسان الرسول ان اعبدوا الله **فان قلت** ذكر مقالة قوم هود في جوابه في سورة الاعراف وسورة
هود بغير واو قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة قالوا ما نراك الا بشرا مثلنا
وهاهنا مع الواو فاي فرق بينهما **قلت** الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل
له قالوا كيت وكيت واما الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا
الباطل وشتان ما بينهما • بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الحساب والعقاب كقوله يا حبذا جوار مكة
اي جوار الله في مكة تحذف الضمير والمعنى من مشربكم وحذف منه لدلالة ما قبله عليه • اذن
واقع في جواب الشرط وجواب الذين قاولوهم من قومهم اي تخسرون عقولكم وتغبنون في آرائكم • ثنى انكم
للتوكيد وحسن ذلك الفصل ما بين الاول والثاني بالظرف • ومخرجون خبر عن الاول وجعل انكم مخرجون
مبتدأ واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم • او رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء
للشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم • وفي قراءة ابن مسعود رضي
الله عنه ايعدكم اذا متم • قرئ هيهات بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على
لفظ الوقف **فان قلت** ما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله فهيهات
هيهات العقيق واهله • فما هذه اللام **قلت** قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون او بعد ما توعدون
فيمن نون فنزله منزلة المصدر • وفيه وجه آخر وهو ان تكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت
بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في قوله هيت لك لبيان المهيت به • هذا ضمير لا يعلم ما يعني به الا بما يتلوه
من بيانه واصله ان هي الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحيوة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه
هي النفس تحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت • والمعنى لا حياة الا هذه الحياة لان ان النافية دخلت على
هي التي في معنى الحيوة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس • نموت ونحيى اي

يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن آخر • ثم قالوا ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه
له وفيما يعدنا من البعث وما نحن بمصدقين • قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رايت
قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب • وما توكيد لمعنى قلة المدة وقصرها • فاخذتهم الصيحة
بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين • ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين • ما
تسبق من امة اجلها وما يستأخرون • ثم ارسلنا رسلنا تترى كل ما جاء امة رسولها كذبوه
فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون • ثم ارسلنا موسى واخاه
هرون باياتنا وسلطان مبين • الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين • فقالوا
انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون • فكذبوهما فكانوا من المهلكين • الصيحة صيحة جبريل
صاح عليهم فدمرهم بالحق بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك او بالعدل من الله من قولك فلان يقضي بالحق
اذا كان عادلا في قضاياه • شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان
ومنه قوله فجعله غثاء احوى وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس • من السيل والغثاء فلكة مغزل • بعدا
وسحقا ونحوها مصادر موضوعة مواضع افعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت
بافعال لا يستعمل اظهارها • ومعنى بعدا بعدوا اي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا
ورشدا • وللقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك • ولما توعدون • قرونا قوم صالح
ولوط وشعيب وغيرهم • وعن ابن عباس رضي الله عنهما بني اسرائيل • اجلها الوقت الذي حد لهلاكها
وكتب • تترى فعلى الالف للتانيث لان الرسل جماعة • وقرئ تترى بالتنوين والتاء بدل من الواو
كما في تولج وتيقور اي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد • اضاف الرسل اليه والى امتهم
ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول
يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا • فاتبعنا الامم والقرون بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم
اخبارا يسمر بها ويتعجب منها • والاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتكون جمعا للاحدوثة التي هي مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا
وتعجبا وهو المراد هاهنا • **فان قلت** ما المراد بالسلطان المبين **قلت** يجوز ان تراد
العصا لانها كانت ام آيات موسى عليه الصلوة والسلام واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى
من انقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها
حارسا وشمعة وشجرة مثمرة ودلوا ورشاء فجعلت كانها ليست بعضها لما استبدت
به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكال • ويجوز ان يراد الآيات انفسها
اي هي آيات وحجة بينة • عالين متكبرين • ان فرعون علا في الارض ولا يريدون علوا في الارض • او
متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم • البشر يكون واحدا وجمعا بشرا سويا لبشرين فاما
ترين من البشر • ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم ومن الارض
مثلهن ويقال ايضا هما مثلاه وهم امثاله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم • وقومهما يعني
بني اسرائيل كانهم يعبدوننا خضوعا وتذللا او لانه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة
وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة • ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون • وجعلنا
ابن مريم وامه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين • يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم • وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون •
فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون • موسى الكتاب اي قوم موسى التوراة • لعلهم

قوله لانه اي فرعون

يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال على الخصوص من فرعون وملئهم يريد آل فرعون كما يقولون هاشم و
ثقيف ويراد قومهم • ولا يجوز أن يرجع الضمير في لعلهم إلى فرعون وملئه لأن التوراة إنما أوتيها بنو
إسرائيل بعد إغراق فرعون وملئه لقوله ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى **فإن قلت**
لو قيل آيتين هل كان له وجه **قلت** نعم لأن مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله ألقي
إليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات أخر فكان آية من غير وجه واللفظ يحتمل التثنية على
تقدير وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية ثم حذفت الأولى لدلالة الثانية عليها • الربوة والرباوة
في رائهما الحركات • وقرئ بربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر وهي الأرض المرتفعة قيل هي إيلياء أرض
بيت المقدس وأنها كبد الأرض وأقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب • وقيل دمشق وغوطتها
وعن الحسن فلسطين والرملة • وعن أبي هريرة رضي الله عنه الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فإنها
الربوة التي ذكرها الله تعالى • وقيل مصر • والقرار المستقر من أرض مستوية منبسطة • وعن قتادة
ذات ثمار وماء يعني أنه لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها • والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه
الأرض • وقد اختلف في زيادة ميمه وأصالته • فوجه من جعله مفعولا أنه مدرك بالعين لظهوره
من عانه إذا أدركه بعينه نحو ركبه إذا ضربه بركبته • ووجه من جعله فعيلا أنه نفاع بظهوره
وجريه من الماعون وهو المنفعة • هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل إنما أرسلوا
متفرقين في أزمنة مختلفة وإنما المعنى الإعلام بأن كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به ليعتقد
السامع أن أمرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه • والمراد بالطيبات
ما حل وطاب • وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام • فالحلال الذي لا يعصى الله فيه • والصافي الذي
لا ينسى الله فيه • والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل • أو أريد ما يستطاب ويستلذ من المأكل والفواكه
ويشهد له مجيئه على عقب قوله وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين • ويجوز أن يقع هذا الإعلام
عند إيواء عيسى ومريم عليهما الصلاة والسلام إلى الربوة فذكر على سبيل الحكاية أي آويناهما وقلنا لهما
هذا أي أعلمناهما أن الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل • وقرئ
وإن بالكسر على الاستئناف • وأن بمعنى ولأن • وأن مخففة من الثقيلة • وأمتكم مرفوعة معها • وقرئ
زبرا جمع زبور أي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم أديانا • وزبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة
والحديد • وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل • أي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم
فرح بباطله مطمئن النفس معتقد أنه على الحق • فذرهم في غمرتهم حتى حين • أيحسبون أنما
نمدهم به من مال وبنين • نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون • إن الذين هم من خشية
ربهم مشفقون • والذين هم بآيات ربهم يؤمنون • والذين هم بربهم لا يشركون • الغمرة الماء الذي يغمر
القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم أو شبهوا باللاعبين في غمرة الماء
لما هم عليه من الباطل • قال كأنني ضارب في غمرة لعب • وعن علي رضي الله عنه في غمراتهم • حتى حين
إلى أن يقتلوا أو يموتوا • سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهاه عن الاستعجال بعذابهم والجزع من
تأخيره • وقرئ يمدهم • ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله سبحانه • ويجوز في يسارع ويسرع
أن يتضمن ضمير الممد به • ويسارع مبنيا للمفعول • والمعنى أن هذا الإمداد ليس إلا استدراجا لهم إلى
المعاصي واستجرارا إلى زيادة الإثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع وإكرام
ومعاجلة بالثواب قبل وقته • ويجوز أن يراد في جزاء الخيرات كما يفعل بأهل الخير من المسلمين • وبل استدراك
لقوله أيحسبون يعني بل هم أشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك أهو

استدراج

استدراج أم مسارعة في الخير • **فإن قلت** أين الراجع من خبر أن إلى اسمها إذا لم يستكن فيه ضميره
قلت هو محذوف تقديره نسارع به ويسارع الله به كقوله عز وجل إن ذلك لمن عزم الأمور
أي إن ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس • والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة
أنهم إلى ربهم راجعون • أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون • ولا نكلف نفسا إلا
وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون • يؤتون ما آتوا أي يعطون ما أعطوا • وفي قراءة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رضي الله عنها يأتون ما أتوا أي يفعلون ما فعلوا • وعن
عائشة رضي الله عنها أنها قالت قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف
الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله أن لا
يقبل منه • يسارعون في الخيرات يحتمل معنيين أحدهما أن يراد يرغبون في الطاعات أشد الرغبة
فيبادرونها • والثاني أنهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الإكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الآخرة وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين لأنهم إذا سورع بها لهم
فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه أحسن طباقا للآية المتقدمة لأن فيه إثبات
ما نفي عن الكفار للمؤمنين • وقرئ يسرعون في الخيرات • لها سابقون أي فاعلون السبق لأجلها
أو سابقون الناس لأجلها أو إياها سابقون أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا • ويجوز
أن يكون لها سابقون خبرا بعد خبر • ومعنى وهم لها كمعنى قوله أنت لها أحمد من بين البشر يعني
أن هذا الذي وصف به الصالحون غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما
عملوه من الأعمال فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح أو صحيفة الأعمال • ناطق بالحق
لا يقرؤون منه يوم القيامة إلا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم أحد • أو
أراد أن الله لا يكلف إلا الوسع فإن لم يبلغ المكلف أن يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد أن يستفرغ
وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا نظلم أحدا من حقه
ولا نحطه دون درجته • بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون
حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون • لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون
قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون • مستكبرين به سامرا تهجرون • بل قلوب
الكفرة في غفلة غامرة لها مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين • ولهم أعمال خبيثة متجاوزة
متخطية لذلك أي لما وصف به المؤمنون هم لها معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها حتى
يأخذهم الله بالعذاب • وحتى هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية • والعذاب
قتلهم يوم بدر • أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك
على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف عليه الصلاة والسلام فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا
الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والأولاد • الجؤار الصراخ باستغاثة • قال جأر ساعات
النيام لربه • أي يقال لهم حينئذ لا تجأروا فإن الجؤار غير نافع لكم إنكم منا لا تنصرون أي لا تغاثون
ولا تمنعون منا أو من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة • قالوا الضمير في به للبيت العتيق أو للحرم
كانوا يقولون لا يظهر علينا أحد لأنا أهل الحرم • والذي سوغ هذا الإضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وأنه لم تكن لهم مفخرة إلا أنهم ولاته
والقائمون به • ويجوز أن يرجع إلى آياتي إلا أنه ذكر لأنها في معنى كتابي • ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم
به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته • أو يحدث لكم استماعه استكبارا وعتوا
فأنتم مستكبرون بسببه • أو تتعلق الباء بسامرا أي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون

حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا او سب رسول الله صلى الله عليه وسلم ● او تهجرون ● والسامر الحاضر في الاطلاق على الجمع ● وقرئ سُمّرا وسُمّارا ● وتُهجِرون من اهجر في منطقه اذا افحش ● والهُجر بالضم الفحش ومن هجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى والهَجر بالفتح الهذيان ● افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين ● ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ● ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون ● القول القرآن يقول افلم يتدبروه ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به ● بل اجاءهم ما لم يأت اباءهم فلذلك انكروه واستبدعوه كقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون ● او لجاءهم ما اعتد تدبر اياته واقاصيصه بمثل ما نزل على من قبلهم من المكذبين ● ام جاءهم من الامن ما لم يأت اباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه واباؤهم اسماعيل واعقابه من عدنان وقحطان وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شيء فلا تشكوا في ان تبعا كان مسلما وروي في ان ضبة كان مسلما وكان على شرطة سليمان بن داود عليهما الصلوة والسلام ● ام لم يعرفوا محمدا بصحة نسبه وحلوله في سبط هاشم وامانته وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التي خطبها ابو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد رضي الله عنها كفى برغائها منادياً ● الجنة الجنون وكانوا يعلمون انه بريء منها واتم عقلا وانقبهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم واهواءهم ولم يوافق ما نشأوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا لانه الحق الابلج والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر **فان قلت** قوله واكثرهم فيه ان اقلهم كانوا لا يكرهون الحق **قلت** كان فيهم من يترك الايمان به انفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبأ وترك دين ابائه لا كراهة للحق كما يحكى عن ابي طالب **فان قلت** يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه **قلت** يا سبحان الله كان ابا طالب كان اخمل اعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس رضي الله عنهما ويخفى اسلام ابي طالب ● ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ● ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين ● وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم ● وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ● دل بهذا على عظم شأن الحق وان السموات والارض ما قامت ولا من فيهن الا به ● فلو اتبع الحق اهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام او اراد ان الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام لو اتبع اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر ● وعن قتادة ان الحق هو الله ومعناه ولو كان الله الها يتبع اهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصي لما كان الها ولكان شيطانا فلما قدر ان يمسك السموات والارض ● بذكرهم اي بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم وفخرهم ● او بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين ● وقرئ بذكراهم ● قرئ خرجا فخراج وخرجا فخرج وخراجا فخراج وهو ما تخرجه الى الامام من زكوة ارضك والى كل عامل من اجرته وجعله ● وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه والوجه ان الخرج اخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ خرجا فخراج ربك يعني ام تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق والكثير من عطاء الخالق خير ● قد الزمهم الحجة في هذه الايات وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذي ارسل اليهم

رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بان يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء اموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الاباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والايات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر ويجوز ان يكون في قوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة ● لناكبون اي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله الى صراط مستقيم ● وان كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب ● ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ● ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ● حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون ● لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي اصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وافراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمونه واستشهد على ذلك بانا اخذناهم اولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع ● حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اشد من الاسر والقتل وهو اطم العذاب فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك ● او محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون ● والابلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير **فان قلت** ما وزن استكان **قلت** استفعل من الكون اي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال ويجوز ان يكون افتعل من السكون اشبعت فتحة عينه كما جاءت بمنتزاح **فان قلت** هلا قيل وما تضرعوا او فما يستكينون **قلت** لان المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد ● وقرئ فتّحنا ● وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون ● وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون ● وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون ● بل قالوا مثل ما قال الاولون ● قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ● لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين ● انما خص السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها ان يعملوا اسماعهم وابصارهم في آيات الله وافعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال عز وجل فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعم فيها الاقرار بالمنعم بها وان لا يجعل له ند وشريك ● اي تشكرون شكرا قليلا ● وما مزيدة للتأكيد بمعنى حقا ● ذرأكم خلقكم وبثكم بالتناسل ● واليه تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم ● وله اختلاف الليل والنهار اي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره ● وقرئ يعقلون بالياء عن ابي عمرو ● اي قال اهل مكة كما قال الكفار قبلهم ● الاساطير جمع اسطار جمع سطر قال رؤبة اني وأسطار سطرن سطرا ● وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع اسطورة اوفق ● قل لمن الارض ومن فيها

إن كنتم تعلمون • سيقولون لله قل أفلا تذكرون • قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون لله قل أفلا تتقون • قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم
تعلمون • سيقولون لله قل فأنى تسحرون • بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون • ما اتخذ الله من ولد
وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون • عالم
الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون • أي أجيبوني عما استعلمتكم منه إن كان عندكم فيه علم وفيه
استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات أن يجهلوا مثل هذا الظاهر البين • وقرئ تذكرون بحذف
التاء الثانية ومعناه أفلا تتذكرون فتعلمون أن من فطر الأرض ومن فيها اختراعا كان قادرا على إعادة الخلق
وكان حقيقا بأن لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية • قرئ الأول باللام لا غير والأخيران باللام وهو هكذا
في مصاحف أهل الحرمين والكوفة والشام وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف أهل البصرة فباللام على المعنى لأن قولك
من ربه ولمن هو في معنى واحد وبغير اللام على اللفظ ويجوز قراءة الأول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية
• أفلا تتقون أفلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله • أجرت فلانا على فلان إذا أغثته منه ومنعته
يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحدا • تسحرون تخدعون عن توحيده وطاعته
والخادع هو الشيطان والهوى • وقرئ أتيتهم وأتيناهم بالفتح والضم • بالحق بأن نسبة الولد إليه محال
والشرك باطل • وإنهم لكاذبون حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا • لذهب كل إله بما خلق لانفرد كل واحد
من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الآخرين ولغلب بعضهم
بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متميزة وهم متغالبون وحين لم تروا أثر التمايز للممالك والتغالب
فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء **فإن قلت** إذن لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب
فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل **قلت** الشرط محذوف تقديره
ولو كان معه آلهة وإنما حذف لدلالة قوله وما كان معه من إله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين
• عما يصفون من الأنداد والأولاد • عالم الغيب بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدأ محذوف • قل رب إما تريني
ما يوعدون • رب فلا تجعلني في القوم الظالمين • وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون •
ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون • ما والنون مؤكدتان أي إن كان لا بد من أن تريني ما
تعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة • فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم • عن الحسن أخبره الله
أن له في أمته نقمة ولم يخبره أفي حياته أم بعد موته فأمره أن يدعو بهذا الدعاء **فإن قلت** كيف يجوز أن
يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب أن لا يجعله معهم **قلت** يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم
أنه يفعله وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله إظهارا للعبودية وتواضعا لربه وإخباتا له واستغفاره
صلى الله عليه وسلم إذا قام من مجلسه سبعين مرة أو مائة مرة لذلك وما أحسن قول الحسن
في قول أبي بكر الصديق وليتكم ولست بخيركم كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه • وقرئ ترئنهم
بالهمز وهو ضعيف • وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث
على فضل تضرع وجؤار • كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون واستعجالهم له لذلك فقيل لهم إن الله قادر
على إنجاز ما وعد إن تأملتم فما وجه هذا الإنكار فهو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل
كأنه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان حتى إذا
اجتمع الصفح والإحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئة وهذه قضية
قوله بالتي هي أحسن • وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي شهادة أن لا إله إلا الله والسيئة الشرك • وعن
مجاهد السلام يسلم عليه إذا لقيه • وعن الحسن الإغضاء والصفح • وقيل هي منسوخة بآية السيف

وقيل محكمة

وقيل محكمة لأن المداراة محثوث عليها ما لم تؤد إلى ثلم دين وإزراء بمروءة • بما يصفون بما يذكرونه من أحوالك
بخلاف صفتها • أو بوصفهم لك وسوء ذكرهم والله أعلم بذلك منك وأقدر على جزائهم • وقل رب أعوذ
بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون • حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب
ارجعون • لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون
فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون • فمن ثقلت موازينه فأولئك هم
المفلحون • ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون • تلفح
وجوههم النار وهم فيها كالحون • قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين • ربنا
أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون • قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون • إنه كان فريق من عبادي
يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين • فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري
وكنتم منهم تضحكون • إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون • الهمز النخس والهمزات جمع المرة
منه ومنه مهماز الرائض والمعنى أن الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة
الدواب حثا لها على المشي ونحو الهمز الأز في قوله تؤزهم أزا • أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل
إلى ربه المكرر لندائه • وبالتعوذ من أن يحضروه أصلا ويحوموا حوله • وعن ابن عباس رضي الله عنه عند
تلاوة القرآن • وعن عكرمة رضي الله عنه عند النزع • حتى يتعلق بيصفون أي لا يزالون على سوء الذكر
إلى هذا الوقت والآية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد للإغضاء عنهم مستعينا بالله على
الشيطان أن يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم أو على قوله وإنهم لكاذبون • خطاب الله بلفظ الجمع
للتعظيم كقوله • فإن شئت حرمت النساء سواكم • وقوله • ألا فارحموني يا إله محمد • إذا أيقن بالموت واطلع
على حقيقة الأمر أدركته الحسرة على ما فرط فيه من الإيمان والعمل الصالح فيه فسأل ربه الرجعة وقال
لعلي أعمل صالحا في الإيمان الذي تركته والمعنى لعلي آتي بما تركته من الإيمان وأعمل فيه صالحا كما تقول لعلي
أبني على أس تريد أؤسس أسا وأبني عليه • وقيل فيما تركت من المال • وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا
عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان بل قدوما إلى الله وأما الكافر فيقول
رب ارجعون • كلا ردع عن طلب الرجعة وإنكار واستبعاد • والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم
بعضها مع بعض وهي قوله لعلي أعمل صالحا فيما تركت • هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة
عليه وتسلط الندم • أو هو قائلها وحده لا يجاب إليها ولا تسمع منه • ومن ورائهم برزخ والضمير للجماعة
أي أمامهم حائل بينهم وبين الرجعة إلى يوم البعث وليس المعنى أنهم يرجعون يوم البعث وإنما هو إقناط كلي
لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلا إلى الآخرة • الصور بفتح الواو عن الحسن • والصور بالفتح والكسر عن أبي
رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة • ونفي الأنساب يحتمل أن التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون
معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتألف إلا بالأعمال فتلغو الأنساب وتبطل وأنه لا يعتد
بالأنساب لزوال التعاطف والتراحم بين الأقارب إذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه
• وعن ابن مسعود رضي الله عنه ولا يساءلون بإدغام التاء في السين **فإن قلت** قد ناقض
هذا ونحوه قوله ولا يسأل حميم حميما قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم
فكيف التوفيق بينهما **قلت** فيه جوابان أحدهما أن يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة ففيه
أزمنة وأحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها لا يفطنون لذلك لشدة الهول
والفزع • والثاني أن التناكر يكون عند النفخة الأولى فإذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا
عن ابن عباس رضي الله عنهما • الموازين جمع موزون وهي الموزونات من الأعمال أي الصالحات التي لها

وزنا وقدر عند الله من قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا • في جهنم خالدون بدل من خسروا
انفسهم ولا محل للمبدل فالبدل فيه لان الصلة لا محل لها او خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدا
محذوف • تلفح تحرق • وقال الزجاج اللفح والنفح واحد الا ان اللفح اشد تاثيرا • والكالح ان تتقلص
الشفتان وتتشمر عن الاسنان كما ترى الرؤوس المشوية • وعن مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة
الغلام انه مر في السوق براس اخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة ايام ولياليهن • وروي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته
السفلى حتى تبلغ سرته • وقرئ كلحون • غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه
منك وامتلكه • والشقاوة سوء العاقبة التي علم الله انهم يستحقونها بسوء اعمالهم • وقرئ شقوتنا
وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها • اخسئوا فيها ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت
يقال خسات الكلب وخسا بنفسه • ولا تكلمون في رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف • قيل هو آخر كلام
يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون • وعن ابن
عباس رضي الله عنهما ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق
القول مني • فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله • فينادون الفا يا مالك
ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون • فينادون الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا • فينادون
الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم • فينادون الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها
• في حرف ابي انه كان فريق بالفتح بمعنى لانه • سخريا بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان في
ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص • وعن الكسائي والفراء ان المكسور
من الهزء والمضموم من السخرة والعبودية اي تسخروهم واستعبدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه
قيل هم الصحابة رضي الله عنهم • وقيل اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزوا وتشاغلتم بهم
ساخرين • حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة • ذكري فتركتموه اي تركتم ان تذكروني فتخافوني في
اوليائي • وقرئ انهم بالفتح والكسر استيناف اي قد فازوا حيث صبروا فجوزوا بصبرهم احسن
الجزاء • والفتح على انه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم • قال كم لبثتم في الارض عدد سنين
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسأل العادين • قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون •
وقرئ قل في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام ففي قال ضمير الله او المامور بسؤالهم من الملائكة • وفي
قل ضمير للملك او لبعض رؤساء اهل النار • استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم
والى ما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة
اليها • او لانهم كانوا في سرور وايام السرور قصار • او لان المنقضي في حكم ما لم يكن • وصدقهم الله
في مقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها • وقرئ فسل العادين
والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقله ونحسبه يوما او بعض يوم لما نحن فيه من العذاب
وما فينا ان نعدها فسل من فيه ان يعدها ومن يبلغ اليه فكره • وقيل فسل الملائكة الذين
يعدون اعمار العباد ويحصون اعمالهم • وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون كما نقول
• وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم • وعن ابن عباس رضي
الله عنه انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين • افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم
الينا لا ترجعون • فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم • ومن يدع مع الله
الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون • وقل رب اغفر وارحم

وانت خير

وانت خير الراحمين • عبثا حال اي عابثين كقوله لاعبين او مفعول له اي ما خلقناكم للعبث ولم
يكن لنا حكمة او تعلمكم الى الحكمة اقتضت خلقكم وهي ان نتعبدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصي
ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسيء • وانكم الينا لا ترجعون معطوف على
انما خلقناكم • ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولترككم غير مرجوعين • وقرئ ترجعون
بفتح التاء • الحق الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول
ملكه • وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين كما
يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما • وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد • لا برهان له
به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة لازمة تجيء للتوكيد كقوله يطير بجناحيه جيء بها للتاكيد لا ان
يكون في الالهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان • ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك
من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه • وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه
حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع
في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون • جعل فاتحة السورة
قد افلح المؤمنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة
• عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان
وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت • ويروى ان اول سورة قد افلح وآخرها من كنوز العرش
من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع آيات من آخرها فقد نجا وافلح • وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي
النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا
واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزل الله علي عشر
آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر • صدق الله ورسوله

سورة النور [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آيات
بينات لعلكم تذكرون • الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا
تاخذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة
من المؤمنين • الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على
المؤمنين • سورة خبر مبتدا محذوف • وانزلناها صفة او مبتدا موصوف والخبر محذوف
اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها • وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره ولا محل لانزلناها لانها
مفسرة للمضمر فكانت في حكمه او على ذلك سورة وانزلناها صفة • ومعنى فرضناها فرضنا الاحكام
التي فيها • واصل الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها • والتشديد للمبالغة في الايجاب
وتوكيده او لان فيها فرائض شتى وانك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض او لكثرة المفروض عليهم
من السلف ومن بعدهم • تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها • رفعهما على الابتداء والخبر محذوف
عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي جلدهما • ويجوز ان يكون الخبر
فاجلدوا وانما دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت
والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء

فالجلد بوهم • وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل
الامر • وقرئ والزان بلا ياء • والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه ورأسه
فان قلت اهذا حكم جميع الزناة والزواني ام حكم بعضهم قلت بل هو حكم من ليس بمحصن منهم
فان المحصن حكمه الرجم • وشرائط الاحصان عند ابي حنيفة رحمه الله ست الاسلام والحرية والعقل
والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول اذا فقدت واحدة منها فلا احصان • وعند الشافعي
رحمه الله الاسلام ليس بشرط لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين • وحجة ابي
حنيفة قوله عليه الصلوة والسلام من اشرك بالله فليس بمحصن فان قلت اللفظ يقتضي تعلق
الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن قلت
الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية
قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك • وقرئ ولا يأخذكم
بالياء ورأفة بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى ان الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله
ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلى الله
عليه وسلم اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها • وقوله ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الآخر من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه • وقيل لا تترحموا عليهما حتى لا تعطلوا
الحدود او حتى لا توجعوهما ضربا • وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك
فيقال له انت ارحم بهم مني فيؤمر به الى النار • وعن ابي هريرة رضي الله عنه اقامة حد بارض خير
لاهلها من مطر اربعين ليلة • وعلى الامام ان ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف
يضرب • والرجل يجلد قائما على مجرده ليس عليه الا ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على
الاعضاء كلها لا يستثنى منها الا ثلثة الوجه والرأس والفرج • وفي لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغي ان
يتجاوز الالم الى اللحم • والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو • وبهذه الآية استشهد
ابو حنيفة على ان الجلد حد غير المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعي على وجوب التغريب من قوله عليه
الصلوة والسلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما روي عن الصحابة انهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند
اصحابه بالآية او محمول على وجه التعزير والتاديب من غير وجوب • وقول الشافعي في تغريب الحر واحد وله
في العبد ثلثة اقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال ابو
حنيفة وبهذه الآية نسخ الحبس والاذى في قوله تعالى فامسكوهن في البيوت وقوله تعالى فآذوهما • قيل
تسميته عذابا دليل على انه عقوبة ويجوز ان يسمى عذابا لانه يمنع من المعاودة كما يسمى نكالا • الطائفة
الفرقة التي يمكن ان تكون حلقة واقلها ثلثة او اربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول
الشيء • وعن ابن عباس في تفسيرها اربعة الى اربعين رجلا من المصدقين بالله • وعن الحسن عشرة • وعن
قتادة ثلثة فصاعدا • وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لان الاربعة هي الجماعة
التي يثبت بها هذا الحد والصحيح ان هذه الكبيرة من امهات الكبائر ولهذا قرنها الله بالشرك وقتل
النفس في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وقال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء
سبيلا • وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معاشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلث
في الدنيا وثلث في الآخرة • فاما اللواتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما
اللواتي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في النار ولذلك عقد الله فيه المائة بكمالها
بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتلة الهولة وهي الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة على

المحدود

المحدود فيه وامر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب ان تكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد
والاثنان ليسوا بتلك المثابة • واختصاص المؤمنين لان ذلك افضح والفاسق بين صلحاء قومه
اخجل ويشهد له قول ابن عباس الى اربعين رجلا من المصدقين بالله • الفاسق الخبيث الذي من شأنه
الزنا والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة
خبيثة من شكله او في مشركة • والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء
من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة او المشركين ونكاح المؤمن الممدوح
عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنى محرم عليه لما فيه من
التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وانواع المفاسد ومجالسة الخطائين
كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله وانكحوا الايامى منكم
والصالحين من عبادكم وامائكم • وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين في نكا
حهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت • وعن عائشة رضي الله عنها ان الرجل اذا زنى بامرأة
ليس له ان يتزوجها لهذه الآية واذا باشرها كان زانيا وقد اجازه ابن عباس وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال • وقيل
المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لامرين احدهما ان هذه الكلمة اينما وردت في القرآن لم ترد الا في معنى العقد والثاني
فساد المعنى وادائه الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان • وقيل كان نكاح الزانية
محرما في اول الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله وانكحوا الايامى منكم • وقيل الاجماع وروي ذلك عن سعيد بن المسيب
فان قلت اي فرق بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية قلت معنى الاولى صفة الزاني بكونه غير
راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة
فهما معنيان مختلفان فان قلت كيف قدمت الزانية على الزاني اولا ثم قدم عليها ثانيا قلت
سيقت تلك الآية لعقوبتهما على ما جنيا والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجناية لانها لو لم تطمع الرجل
ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا في ذلك بدئ بذكرها • واما الثانية
فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه يبدأ الطلب • وعن عمرو بن عبيد
لا ينكح بالجزم على النهي والمرفوع ايضا فيه معنى النهي ولكن ابلغ واكد كما ان رحمك الله ويرحمك ابلغ
من ليرحمك ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن ان لا يدخل نفسه
تحت هذه العادة ويتصون عنها • وقرئ وحرم بفتح الحاء • والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا
باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون
الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم • والذين يرمون ازواجهم ولم
يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين • والخامسة
ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين • ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن
الكاذبين • والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين • ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وان الله تواب حكيم • القذف يكون بالزنا وبغيره والذي دل على ان المراد قذفهن بالزنا شيئان
احدهما ذكر المحصنات عقيب الزواني والثاني اشتراط اربعة شهداء لان القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان
والقذف بالزنا ان يقول الحر العاقل البالغ لمحصنة يا زانية او لمحصن يا زاني يا ابن الزاني يا ابن الزانية
يا ولد الزنا لست لابيك لست لرشدة • والقذف بغير الزنا ان يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودي
يا مجوسي يا فاسق يا خبيث يا ماص بظر امه فعليه التعزير ولا يبلغ به ادنى حد العبيد وهو اربعون

بل ينقص منه. وقال أبو يوسف: يجوز أن يبلغ به تسعة وسبعين، وقال: للإمام أن يعزر إلى المائة. وشروط إحصان القذف خمسة: الحرية والبلوغ والعقل والإسلام والعفة. وقرئ: بأربعة شهداء بالتنوين، وشهداء صفة. **فإن قلت**: كيف يشهدون مجتمعين أو متفرقين؟ **قلت**: الواجب عند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله أن يحضروا في مجلس واحد، وإن جاؤوا متفرقين كانوا قذفة. وعند الشافعي رحمه الله يجوز أن يحضروا متفرقين. **فإن قلت**: هل يجوز أن يكون زوج المقذوفة واحدا منهم؟ **قلت**: يجوز عند أبي حنيفة خلافا للشافعي رحمه الله. **فإن قلت**: كيف يجلد القاذف؟ **قلت**: كما جلد الزاني، إلا أنه لا ينزع عنه من ثيابه إلا ما ينزع عن المرأة من الحشو والفرو. والقاذفة أيضا كالزانية. وأشد الضرب ضرب التعزير، ثم ضرب الزنا، ثم ضرب شرب الخمر، ثم ضرب القاذف، قالوا: لأن سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب، إلا أنه عوقب صيانة للأعراض وردعا عن هتكها. **فإن قلت**: فإذا لم يكن المقذوف محصنا؟ **قلت**: يعزر القاذف ولا يحد، إلا أن يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير. رد شهادة القاذف معلق عند أبي حنيفة رحمه الله باستيفاء الحد، فإذا شهد قبل الحد أو قبل تمام استيفائه قبلت شهادته، فإذا استوفي لم تقبل شهادته أبدا وإن تاب وكان من الأبرار الأتقياء. وعند الشافعي رحمه الله يتعلق رد شهادته بنفس القذف، فإذا تاب عن القذف بأن رجع عنه عاد مقبول الشهادة، وكلاهما متمسك بالآية، فأبو حنيفة رحمه الله جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التأبيد، فكانوا مردودي الشهادة عنده في أبدهم وهو مدة حياتهم، وجعل قوله: وأولئك هم الفاسقون كلاما مستأنفا غير داخل في حيز جزاء الشرط، كأنه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية، وإلا الذين تابوا استثناء من الفاسقين، ويدل عليه قوله: فإن الله غفور رحيم. والشافعي رحمه الله جعل جزاء الشرط الجملتين أيضا، غير أنه صرف الأبد إلى مدة كونه قاذفا، وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف، وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية، وحق المستثنى عنده أن يكون مجرورا بدلا من هم في لهم، وحقه عند أبي حنيفة رحمه الله أن يكون منصوبا لأنه عن موجب، والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظمها أن تكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط، كأنه قيل: ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم، أي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق، إلا الذين تابوا عن القذف وأصلحوا فإن الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين. **فإن قلت**: الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالإجماع، والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند أبي حنيفة رحمه الله، كأن القذف مع الكفر أهون من القذف مع الإسلام. **قلت**: المسلمون لا يعبؤون بسب الكفار، لأنهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل، فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله، فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن إلحاق الشنار. **فإن قلت**: هل للمقذوف أو للإمام أن يعفو عن حد القاذف؟ **قلت**: لهما ذلك قبل أن يشهد الشهود ويثبت الحد، والمقذوف مندوب إلى أن لا يرافع القاذف ولا يطالبه بالحد، ويحسن من الإمام أن يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له: أعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحد، فإذا ثبت لم يكن لواحد منهما أن يعفو، لأنه خالص حق الله، ولهذا لم يصح أن يصالح عنه بمال. **فإن قلت**: هل يورث الحد؟ **قلت**: عند أبي حنيفة رحمه الله لا يورث، لقوله عليه الصلاة والسلام: الحد لا يورث. وعند الشافعي رحمه الله يورث. وإذا تاب القاذف قبل أن يثبت الحد سقط. وقيل: نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت حين تاب مما قال في عائشة رضي الله عنها. قاذف امرأته إذا كان مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان

بينهما إذا

بينهما إذا قذفها بصريح الزنا، وهو أن يقول لها: يا زانية، أو زنيت، أو رأيتك تزنين. وإذا كان الزوج عبدا أو محدودا في قذف والمرأة محصنة حد كما في قذف الأجنبيات، وما لم ترافعه إلى الإمام لم يجب اللعان. واللعان أن يبدأ الرجل فيشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا، ويقول في الخامسة: أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا. وتقول المرأة أربع مرات: أشهد بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا، ثم تقول في الخامسة: أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا. وعند الشافعي رحمه الله: يقام الرجل قائما حتى يشهد والمرأة قاعدة، وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد، ويأمر الإمام من يضع يده على فيه ويقول له: إني أخاف إن لم تكن صادقا أن تبوء بلعنة الله. وقال: اللعان بمكة بين المقام والبيت، وبالمدينة على المنبر، وببيت المقدس في مسجده، ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم، وإذا لم يكن له دين ففي مساجدنا إلا في المسجد الحرام، لقوله تعالى: إنما المشركون نجس. ثم يفرق القاضي بينهما، ولا تقع الفرقة بينهما إلا بتفريقه عند أبي حنيفة وأصحابه إلا عند زفر، فإن الفرقة تقع باللعان. وعن عثمان البتي: لا فرقة أصلا. وعند الشافعي رحمه الله: تقع بلعان الزوج، وتكون هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند أبي حنيفة ومحمد، ولا يتأبد حكمها، فإذا أكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز أن يتزوجها. وعند أبي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي: هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا، ليس لهما أن يجتمعا بعد ذلك بوجه. وروي أن آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، فقام عاصم بن عدي الأنصاري فقال: جعلني الله فداك، إن وجد رجل مع امرأته رجلا فأخبر جلد ثمانين وردت شهادته أبدا وفسق، وإن ضربه بالسيف قتل، وإن سكت سكت على غيظ، وإلى أن يجيء بأربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى، اللهم افتح. وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويمر، فقال: ما وراءك؟ قال: شر، وجدت على بطن امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء، فقال: هذا والله سؤالي، ما أسرع ما ابتليت به. فرجعا، فأخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلم خولة فقالت: لا أدري، ألغيرة أدركته أم بخلا على الطعام، وكان شريك نزيلهم. وقال هلال: لقد رأيته على بطنها، فنزلت، ولاعن بينهما. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله وقولها: أن لعنة الله عليه، أن غضب الله عليها: آمين، وقال القوم: آمين. وقال لها: إن كنت ألممت بذنب فاعترفي به، فالرجم أهون عليك من غضب الله، إن غضبه هو النار. وقال: تحينوا بها الولادة، فإن جاءت به أصيهب أثيبج يضرب إلى السواد فهو لشريك، وإن جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به. قال ابن عباس: فجاءت بأشبه خلق الله لشريك، فقال عليه الصلاة والسلام: لولا الأيمان لكان لي ولها شأن. وقرئ: ولم تكن بالتاء، لأن الشهداء جماعة، أو لأنهم في معنى الأنفس التي هي بدل. ووجه من قرأ أربع أن ينتصب لأنه في حكم المصدر، والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة أحدهم، وهي مبتدأ محذوف الخبر، تقديره: فواجب شهادة أحدهم أربع شهادات. وقرئ: أن لعنة الله وأن غضب الله على تخفيف أن ورفع ما بعدها. وقرئ: أن غضب الله على فعل الغضب. وقرئ بنصب الخامستين على معنى: وتشهد الخامسة. **فإن قلت**: لم خصت الملاعنة بأن تخمس بغضب الله؟ **قلت**: تغليظا عليها، لأنها هي أصل الفجور ومنبعه بخلابتها وإطماعها، ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد، ويشهد لذلك قوله عليه الصلاة والسلام لخولة: فالرجم أهون عليك من غضب الله. الفضل: التفضل، وجواب لولا متروك، وتركه دال على أمر عظيم لا يكتنه، ورب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به.

إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم • لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين • لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون • ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم •

الإفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وقيل: هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك، وأصله الأفك وهو القلب، لأنه قول مأفوك عن وجهه. والمراد ما أفك به على عائشة رضي الله

منها • والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة • واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن ابي
راس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم • وقرئ كبره بالضم
والكسر وهو عظمه • والذي تولاه عبد الله لامعانه في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهازه الفرص
وطلبه سبيلا الى الغميزة اي يصيب كل خائض في حديث الافك من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار
خوضه • والعذاب العظيم لعبد الله لان معظم الشر كان منه • يحكى ان صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملاء
من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة رضي الله عنها فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امراة نبيكم
باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها • والخطاب في قوله خير لكم لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعائشة وصفوان بن المعطل • ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا
فيه الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وانه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة
منها مستقلة بما هو تعظيم لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتنزيه لام المؤمنين
رضي الله عنها وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه وعدة الطاف للسامعين
والتالين الى يوم القيامة وفوائد دينية واحكام وآداب لا تخفى على متاملها • بانفسهم اي بالذين منهم من
المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وذلك ان ابا ايوب الانصاري قال لام ايوب الا ترين
ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا قال لا قالت ولو
كنت انا بدل عائشة رضي الله عنها ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني وصفوان
خير منك • **فان قلت** هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى
الغيبة وعن الضمير الى الظاهر • **قلت** ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان
دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق مؤمن على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول عائب ولا طاعن وفيه
تنبيه على ان حق المؤمن اذا سمع قالة في اخيه ان يبني الامر فيها على الظن لا على الشك وان يقول بملء فيه
بناء على ظنه بالمؤمن الخير هذا افك مبين هكذا باللفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على
حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع
ما سمعه باخوات • جعل الله التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاءها
والذين رموا عائشة لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله اي في حكمه وشريعته كاذبين
وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك فلم يجدوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف
في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امراة محصنة من عرض نساء المسلمين
فكيف بام المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبة حبيب الله •
لولا الاولى للتحضيض وهذه لامتناع الشيء لوجود غيره • والمعنى ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا
بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على
ما خضتم فيه من حديث الافك يقال افاض في الحديث واندفع وهضب وخاض • اذ تلقونه بالسنتكم
وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم • ولولا اذ سمعتموه
قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم • يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا
ان كنتم مؤمنين • ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم • ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة
في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون • ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وان الله رؤوف رحيم • اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه ياخذه بعضكم من بعض يقال تلقى
القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات • وقرئ على الاصل تتلقونه • واذ تلقونه

بادغام الذال

بادغام الذال في التاء • وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه • وتلقونه من القائه بعضهم على بعض • وتلقونه
وتألقونه من الالق والالق وهو الكذب • وتلقونه محكية عن عائشة رضي الله عنها • وعن سفيان سمعت
امي تقرأ اذ تثقفونه وكان ابوها يقرأ بحرف عبد الله بن مسعود • **فان قلت** ما معنى قوله بافواهكم
والقول لا يكون الا بالفم • **قلت** معناه ان الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا
الافك ليس الا قولا يجري على السنتكم ويدور في افواهكم من غير ترجمة عن علم في القلب كقوله تعالى يقولون بافواههم
ما ليس في قلوبهم اي تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة وموجبة • وعن بعضهم انه جزع عند الموت فقيل
له فقال اخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم • وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك حقير
فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير • وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها
تلقي الافك بالسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع
وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه • والثاني التكلم بما لا علم لهم به • والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة
من العظائم • **فان قلت** كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم • **قلت** للظروف شان وهو تنزلها من الاشياء
منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها • **فان قلت** فاي فائدة
في تقديم الظرف حتى اوقع فاصلا • **قلت** الفائدة فيه بيان انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا
بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم • **فان قلت** ما معنى يكون والكلام بدونه متلئب
لو قيل ما لنا ان نتكلم بهذا • **قلت** معناه ما ينبغي ويصح اي ما ينبغي لنا ان نتكلم بهذا ونحوه ما يكون لي ان اقول ما ليس لي
بحق • وسبحانك للتعجب من عظم الامر • **فان قلت** ما معنى التعجب في كلمة التسبيح • **قلت** الاصل في ذلك
ان يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه • او لتنزيه الله من ان تكون حرمة
نبيه فاجرة • **فان قلت** كيف جاز ان تكون امراة النبي كافرة كامراة نوح ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة
قلت لان الانبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب ان لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم
مما ينفرون واما الكشخنة فمن اعظم المنفرات • كراهة ان تعودوا او في ان تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه • وابدا ما دام
حيا مكلفين • وان كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالايمان
الصاد عن كل مقبح • ويبين الله لكم الآيات الدالة على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب
الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية • والله عالم بكل شيء فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة • المعنى يشيعون الفاحشة
عن قصد الى الاشاعة وارادة ومحبة لها • وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره • وقيل هو المراد بقوله والذي
تولى كبره منهم • والله يعلم ما في القلوب من الاسرار والضمائر وانتم لا تعلمون يعني انه قد علم محبة من احب الاشاعة وهو
معاقبه عليها • وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمة وفي هذا التكرير مع حذف
الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في التواب والرؤوف والرحيم • يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن
يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا
ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم • الفحشاء والفاحشة ما افرط قبحه قال ابو ذؤيب ضرائر حرمي
تفاحش غارها • اي افرطت غيرتها • والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه • وقرئ خطوات بفتح الطاء
وسكونها • وزكى بالتشديد والضمير لله عز وجل • ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم احد
آخر الدهر من دنس اثم الافك • ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم اذا محضوها وهو سميع لقولهم عليم
بضمائرهم واخلاصهم • ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين
في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم • هو من ائتلى اذا حلف

افضل من الالية • وقيل لهن من قولهم ما الوت جهدا اذا لم تدخر منه شيئا ويشهد للاول قراءة الحسن ولا يتال والمعنى
لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان او لا يقصروا في ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء
لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم
وذنوبهم نزلت في شان مسطح وكان ابن خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان ابو
بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى ان لا ينفق عليه وكفى به داعيا الى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافاة للمسيء
ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها على ابي بكر فقال بلى احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته وقال
والله لا انزعها ابدا • وقرأ ابو حيوة وابن قطيب ان تؤتوا بالتاء على الالتفات ويعضده قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم
الغافلات السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال
فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات • قال: ولقد لهوت بطفلة ميالة • بلهاء تطلعني على اسرارها
وكذلك البله من الرجال في قوله اكثر اهل الجنة البله • وقرئ يشهد بالياء • والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء
وبالرفع صفة لله • ولو فليت القرآن كله وفتشت عما اوعد به العصاة لم تر الله عز وجل قد غلظ في شيء تغليظه في افك عائشة
رضي الله عنها ولا انزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام
ما ركب من ذلك واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة واساليب مفتنة كل واحد منها
كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم
بالعذاب العظيم في الآخرة وبان السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا وانه يوفيهم جزاءهم
الحق الواجب الذي هم اهله حتى يعلموا عند ذلك ان الله هو الحق المبين فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد
وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك الا لامر • وعن ابن
عباس رضي الله عنه انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسئل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات
فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة رضي الله عنها وهذه منه مبالغة
وتعظيم لامر الافك • ولقد برأ الله اربعة باربعة • برأ يوسف عليه الصلوة والسلام بلسان الشاهد وشهد
شاهد من اهلها • وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه • وبرأ مريم عليها السلام بانطاق
ولدها حتى نادى من حجرها اني عبد الله • وبرأ عائشة رضي الله عنها بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز
المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة اولئك وما ذاك الا
لاظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنبيه على اناقة محل سيد ولد آدم وخيرة الاولين
والآخرين وحجة الله على العالمين • ومن اراد ان يتحقق عظمة شانه وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق
دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الافك وليتأمل كيف غضب الله له في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة
عن حجابه • **فان قلت** ان كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات • **قلت** فيه وجهان
احدهما ان يراد بالمحصنات ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يخصصن بان من قذفهن فهذا
الوعيد لاحق به واذا اردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت
المرادة اولا • والثاني انها ام المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان
والغفلة والايمان كما قال • قدني من نصر الخبيبين قدي • اراد عبد الله بن الزبير واشياعه وكان
اعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة ابو بكر الا ان هذا في الاسم وذاك في الصفة •
فان قلت ما معنى قوله هو الحق المبين • **قلت** معناه ذو الحق البين اي العادل الظاهر العدل
الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده اساءة مسيء ولا احسان
محسن فحق مثله ان يتقى وتجتنب محارمه • الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين

والطيبون للطيبات اولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم • الخبيثات من القول تقال
او تعد للخبيثين من الرجال والنساء • والخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات من القول وكذلك الطيبات والطيبون
• واولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرءون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى
المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب • ويجوز ان يكون اولئك اشارة
الى اهل البيت وانهم مبرءون مما يقول اهل الافك • وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء اي الخبائث يتزوجن
الخباث والخباث الخبائث وكذلك اهل الطيب • وذكر الرزق الكريم هاهنا مثله في قوله واعتدنا لها
رزقا كريما • وعن عائشة رضي الله عنها لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه
الصلوة والسلام بصورتي في راحته حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوجني • ولقد تزوجني
بكرا وما تزوج بكرا غيري • ولقد توفي وان رأسه لفي حجري • ولقد قبر في بيتي • ولقد حفته الملائكة
في بيتي • وان الوحي لينزل عليه في اهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وانا معه في لحافه • واني
لابنة خليفته وصديقه • ولقد نزل عذري من السماء • ولقد خلقت طيبة عند طيب • ولقد
وعدت مغفرة ورزقا كريما • يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا
على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون • فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن
لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم • ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا
غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون • تستأنسوا فيه وجهان احدهما
انه من الاستئناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري ايؤذن له ام لا فهو
كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا اذن له استأنس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا
ان يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستئناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن
والثاني ان يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من آنس الشيء اذا ابصره ظاهرا
مكشوفا • والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم ام لا ومنه قولهم استأنس هل ترى احدا
واستأنست فلم ار احدا اي تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة: على مستأنس وحد • ويجوز ان يكون من
الانس وهو ان يتعرف هل ثم انسان • وعن ابي ايوب الانصاري قلنا يا رسول الله ما الاستئناس قال يتكلم
الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة يتنحنح يؤذن اهل البيت • والتسليم ان يقول السلام عليكم أادخل ثلاث مرات
فان اذن له والا رجع • وعن ابي موسى الاشعري انه اتى باب عمر فقال السلام عليكم أادخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاث • واستأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال أألج فقال عليه الصلوة والسلام لامرأة يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستأذن
قولي له يقول السلام عليكم أادخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان اهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا
دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد فصد الله
عن ذلك وعلم الاحسن والاجمل وكم من باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب
الاستئذان من ذلك بينا انت في بيتك اذ رعف عليك الباب بواحد من غير استئذان ولا تحية من تحايا اسلام
ولا جاهلية وهو ممن سمع ما انزل الله فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اين الاذن الواعية • وفي
قراءة عبد الله حتى تسلموا على اهلها وتستأذنوا • وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انما هو حتى تستأذنوا فاخطا
الكاتب ولا يعول على هذه الرواية • وفي قراءة ابي حتى تستأذنوا • ذلكم الاستئذان والتسليم خير لكم من
تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن • واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كان صاحبه دامر لعظم
ما ارتكب • وفي الحديث من سبقت عينه استئذانه فقد دمر • وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم

أأستأذن على أمي؟ قال: نعم. قال: إنها ليس لها خادم غيري، أأستأذن عليها كلما دخلت؟ قال: أتحب أن تراها عريانة؟
قال الرجل: لا. قال: فاستأذن. «لعلكم تذكرون» أي أنزل عليكم، أو قيل لكم هذا إرادة أن تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما
أمرتم به في باب الاستئذان. «فإن لم تجدوا فيها أحدا» من الآذنين «فلا تدخلوها» واصبروا حتى تجدوا
من يأذن لكم. ويحتمل: فإن لم تجدوا فيها أحدا من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها، وذلك
أن الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر على عورة، ولا تسبق عينه إلى ما لا يحل النظر إليه فقط، وإنما شرع
لئلا يوقف على الأحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع أحد عليها، ولأنه تصرف
في ملك غيرك فلا بد من أن يكون برضاه، وإلا أشبه الغصب والتغلب. «فارجعوا» أي لا تلحوا في إطلاق الإذن
ولا تلجوا في تسهيل الحجاب، ولا تقفوا على الأبواب منتظرين؛ لأن هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس
خصوصا إذا كانوا ذوي مروءة ومرتاضين بالآداب الحسنة، وإذا نهي عن ذلك لأدائه إلى الكراهة
وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات
من لم يتهذب من أكثر الناس. وعن أبي عبيد رحمه الله: ما قرعت بابا على عالم قط. وكفى بقصة بني أسد زاجرة وما
نزل فيها من قوله تعالى «إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون». **فإن قلت** هل يصح أن يكون
المعنى: وإن لم يؤذن لكم وأمرتم بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم؟ **قلت** بعد أن جزم النهي عن
الدخول مع فقد الإذن وحده من أهل الدار حاضرين وغائبين لم يبق شبهة في كونه منهيا عنه مع انضمام
الأمر بالرجوع إلى فقد الإذن. **فإن قلت** فإذا عرض أمر في دار من حريق أو هجوم سارق أو ظهور
منكر يجب إنكاره؟ **قلت** ذلك مستثنى بالدليل. «هو أزكى لكم» أي الرجوع أطيب لكم وأطهر لما فيه من سلامة الصدور
والبعد من الريبة، أو أنفع وأنمى خيرا. ثم أوعد المخاطبين بذلك بأنه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا
به فموف جزاءه عليه. استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها، وذلك نحو
الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين. والمتاع: المنفعة، كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء
الرحال والسلع والشرى والبيع. ويروى أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، إن الله قد أنزل عليك آية في
الاستئذان، وإنا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات، أفلا ندخلها إلا بإذن؟ فنزلت. وقيل: الخربات يتبرز
فيها، والمتاع: التبرز. «يعلم ما تبدون وما تكتمون» وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة.
قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون * وقل
للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن
بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء
بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين
غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم
ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون * «من» للتبعيض، والمراد غض البصر
عما يحرم والاقتصار به على ما يحل. وجوز الأخفش أن تكون مزيدة، وأباه سيبويه. **فإن قلت** كيف
دخلت في غض البصر دون حفظ الفروج؟ **قلت** دلالة على أن أمر النظر أوسع، ألا ترى أن المحارم لا بأس
بالنظر إلى شعورهن وصدورهن وثديهن وأعضادهن وأسوقهن وأقدامهن، وكذلك الجواري المستعرضات،
والأجنبية ينظر إلى وجهها وكفيها وقدميها في إحدى الروايتين. وأما أمر الفرج فمضيق، وكفاك
فرقا أن أبيح النظر إلا ما استثني منه، وحظر الجماع إلا ما استثني منه. ويجوز أن يراد مع حفظها عن الإفضاء
إلى ما لا يحل حفظها عن الإبداء. وعن ابن زيد: كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا هذا فإنه أراد به
الاستتار. ثم أخبر أنه خبير بأحوالهم وأفعالهم، وكيف يجيلون أبصارهم، وكيف يصنعون بسائر حواسهم

وجوارحهم فعليهم إذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون. النساء مأمورات
أيضا بغض الأبصار، ولا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سرته إلى ركبته، وإن اشتهت غضت بصرها
رأسا، ولا تنظر من المرأة إلا إلى مثل ذلك، وغضها بصرها من الأجانب أصلا أولى بها وأحسن. ومنه حديث
ابن أم مكتوم عن أم سلمة قالت: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم
وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب، فدخل علينا، فقال: احتجبا. فقلنا: يا رسول الله، أليس أعمى لا يبصرنا؟ فقال: أفعمياوان
أنتما، ألستما تبصرانه؟ **فإن قلت** لم قدم غض الأبصار على حفظ الفروج؟ **قلت** لأن النظر
بريد الزنا ورائد الفجور، والبلوى فيه أشد وأكثر، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه. الزينة: ما تزينت به
المرأة من حلي أو كحل أو خضاب، فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا بأس بإبدائه
للأجانب، وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والإكليل والوشاح والقرط فلا تبديه
إلا لهؤلاء المذكورين. وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الأمر بالتصون والتستر؛ لأن هذه الزين
واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها لغير هؤلاء، وهي الذراع والساق والعضد والعنق
والرأس والصدر والأذن، فنهى عن إبداء الزين نفسها ليعلم أن النظر إذا لم يحل إليها لملابستها تلك المواضع بدليل
أن النظر إليها غير ملابسة لها لا مقال في حله، كان النظر إلى المواقع أنفسها متمكنا في الحظر، ثابت القدم
في الحرمة، شاهدا على أن النساء حقهن أن يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها. **فإن قلت**
ما تقول في القراريط والقلائد هل يحل النظر إليها؟ **قلت** نعم. **فإن قلت** أليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر إلى
ظهرها وبطنها، وربما ورد الشعر فوقعت القراريط على ما يحاذي ما تحت السرة؟ **قلت** الأمر كما قلت، ولكن أمر القراريط
خارج عن سائر الحلي؛ لأنه لا يقع إلا فوق اللباس، ويجوز النظر إلى الثوب الواقع على الظهر والبطن للأجانب فضلا
عن هؤلاء، إلا إذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر إليه، فلا يحل النظر إلى القراريط واقعة عليه. **فإن قلت** ما
المراد بموقع الزينة: ذلك العضو كله، أم المقدار الذي تلابسه الزينة منه؟ **قلت** الصحيح أنه العضو كله، كما فسرت
مواقع الزينة الخفية، وكذلك مواقع الزينة الظاهرة: الوجه موقع الكحل في عينيه، والخضاب بالوسمة في حاجبيه
وشاربيه، والغمرة في خديه، والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء. **فإن قلت**
لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة؟ **قلت** لأن سترها فيه حرج، فإن المرأة لا تجد بدا من مزاولة
الأشياء بيديها، ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح، وتضطر إلى المشي في
الطرقات وظهور قدميها، وخاصة الفقيرات منهن، وهذا معنى قوله «إلا ما ظهر منها» يعني إلا ما جرت
العادة والجبلة على ظهوره والأصل فيه الظهور، وإنما سومح في الزينة الخفية أولئك المذكورون لما
كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة إلى مداخلتهم ومخالطتهم، ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم، ولما في
الطباع من النفرة عن مماسة القرائب، وتحتاج المرأة إلى صحبتهم في الأسفار للنزول والركوب وغير ذلك.
كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها، وكن يسدلن الخمر من ورائهن
فتبقى مكشوفة، فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى تغطيها. ويجوز أن يراد بالجيوب الصدور
تسمية بما يليها ويلابسها، ومنه قولهم: ناصح الجيب. وقولك: ضربت بخمارها على جيبها، كقولك: ضربت
بيدي على الحائط، إذا وضعتها عليه. وعن عائشة رضي الله عنها: ما رأيت نساء خيرا من نساء
الأنصار، لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن إلى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن،
فأصبحن كأن على رؤوسهن الغربان. وقرئ: «جيوبهن» بكسر الجيم لأجل الياء، وكذلك «بيوتا غير بيوتكم». قيل
في نسائهن: هن المؤمنات؛ لأنه ليس للمؤمنة أن تتجرد بين يدي مشركة أو كتابية. عن ابن عباس، والظاهر أنه
عنى بنسائهن وما ملكت أيمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والإماء، والنساء كلهن سواء في حل نظر

بعضهن الى بعض • وقيل ما ملكت ايمانهن هم الذكور والاناث جميعا • وعن عائشة رضي الله عنها انها اباحت
النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر • وعن سعيد بن المسيب
مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم آية النور فان المراد بها الاماء • وهذا هو الصحيح لان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي
منها خصيا كان او فحلا • وعن ميسون بنت بحدل الكلابية ان معاوية دخل عليها ومعه خصي
فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت يا معاوية اترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله • وعن ابي حنيفة
رحمه الله لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم • والله
اعلم **فان قلت** روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصي فقبله **قلت** لا يقبل
فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف فان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب من الاسباب • الاربة الحاجة
قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من امرهن
او شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن غضوا ابصارهم او بهم عنانة • وقرئ غير بالنصب على الاستثناء
او الحال والجر على الوصفية • وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده انه يريد به الجمع
ونحوه نخرجكم طفلا • لم يظهروا اما من ظهر على الشيء اذا اطلع عليه اي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون
بينها وبين غيرها • واما من ظهر على فلان اذا قوي عليه • وظهر على القرآن اخذه واطاقه اي لم يبلغوا
اوان القدرة على الوطء • وقرئ عورات وهي لغة هذيل **فان قلت** لم لم يذكر الله الاعمام والاخوال
قلت سئل الشعبي عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه ان سائر القرابات
تشترك الاب والابن في المحرمية الا العم والخال وابناءهما فاذا رآها الاب فربما وصفها لابنه وليس
بمحرم فيداني تصوره لها بالوصف نظره اليها وهذا ايضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط
عليهن في التستر • كانت المرأة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال • وقيل
كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخالين واذا نهين عن اظهار صوت الحلي بعد
ما نهين عن اظهار الحلي علم بذلك ان النهي عن اظهار مواضع الحلي ابلغ وابلغ • اوامر الله ونواهيه في كل
باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك
وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار وبتأميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا • وعن ابن عباس توبوا مما
كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة **فان قلت** قد صحت التوبة بالاسلام
والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة **قلت** اراد بها ما يقوله العلماء ان من اذنب ذنبا
ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر على ندمه وعزمه الى ان يلقى ربه
• وقرئ ايه المؤمنون بضم الهاء ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف
لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها • وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم واماءكم
ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم • الايامى واليتامى اصلهما ايايم ويتايم فقلبا
• والايم للرجل والمرأة وقد آم وآمت وتأيما اذا لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين قال فان تنكحي
انكح وان تتأيمي وان كنت افتى منكم اتأيم • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك من
العيمة والغيمة والايمة والكزم والقرم • والمراد انكحوا من تأيم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه
صلاح من غلمانكم وجواريكم • وقرئ من عبيدكم وهذا الامر للندب لما علم من ان النكاح امر مندوب
اليه وقد يكون للوجوب في حق الاولياء عند طلب المرأة ذلك • وعند اصحاب الظواهر النكاح واجب ومما
يدل على كونه مندوبا اليه قوله عليه الصلاة والسلام من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح •
وعنه من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا • وعنه اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله

عصم ابن

بحدل بالحاء المهملة

قوله صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك من العيمة ...

عصم ابن آدم مني ثلثي دينه • وعن ابن عباس لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر • والاحاديث فيه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار كثيرة وربما كان واجبا للترك اذا ادى الى معصية او مفسدة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتى على امتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب
على رؤوس الجبال • وفي الحديث يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك
الزمان حلت العزوبة **فان قلت** لم خص الصالحين **قلت** ليحصن دينهم ويحفظ
عليهم صلاحهم ولان الصالحين من الارقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد
في الاثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم واما المفسدون
منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك • او اريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح • ينبغي ان تكون شريطة
الله غير منسية في هذا الموعد ونظائره وهي مشيئته ولا يشاء الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان
مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة منصوصة
في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة
لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فافقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء ففني واصبح مسكينا
• وعن النبي صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح • وشكى اليه رجل الحاجة فقال عليك بالباءة
• وعن عمر رضي الله عنه عجب لمن لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل رث الحال ثم رأيته بعد
سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال كنت في اول امري على ما علمت وقد قيل الاول ارزق
فلما رزقت بكرا ورأيتني تراخيت عن الفقر فلما ولد لي الثاني زدت خيرا فلما تتابعوا ثلاثة صب الله
علي الخير صبا فاصبحت كما ترى • والله واسع اي غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق ولكنه
عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر • وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله
من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله
الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله
من بعد اكراههن غفور رحيم • وليستعفف وليجتهد في العفة وظلف النفس كأن المستعفف طالب من نفسه
العفاف وحاملها عليه • لا يجدون نكاحا اي استطاعة تزوج ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من المال
• حتى يغنيهم الله ترجية للمستعففين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفا لهم
في استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك ان فضله اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء وما احسن ما رتب
هذه الاوامر حيث امر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي
يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح
الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة عليه • والذين يبتغون مرفوع على الابتداء او منصوب
بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط • والكتاب والمكاتبة
كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداها عتق ومعناه كتبت لك على
نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت علي
العتق • ويجوز عند ابي حنيفة حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله تعالى لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر
العقود • وعند الشافعي لا يجوز الا مؤجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك شيئا فعقده حالا
منع من حصول الغرض لانه لا يقدر على اداء البدل عاجلا • ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة في مدة
معلومة وعلى عمل معلوم موقت مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد اراه آجرها وجصها
وما يبنى به • وان كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها عتق • وان كاتبه على وصيف جاز ... الوسط وجب

رث الحال اي ضعيفه ح

ولم يعترض ... المعترض ...

الوسط. وليس له أن يبطل المكاتبة فإذا أدى عتق وكان ولاؤه لمولاه لأنه جاد عليه بالكسب الذي هو في الأصل له
وهذا الأمر للندب عند عامة العلماء. وعن الحسن: ليس ذلك بعزم إن شاء كاتب وإن شاء لم يكاتب. وعن عمر رضي الله
عنه: هي عزمة من عزمات الله تعالى. وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود. خيرا: قدرة على أداء ما يفارقون
عليه. وقيل أمانة وكسبا. وعن سلمان أن مملوكا له ابتغى أن يكاتبه فقال: أعندك مال؟ قال: لا، قال: أفتأمرني أن آكل
غسالة أيدي الناس. وآتوهم: أمر للمسلمين على وجه الوجوب بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم الذي جعل الله
لهم من بيت المال كقوله: وفي الرقاب عند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله. فإن قلت: هل يحل للمولى إذا كان غنيا
أن يأخذ ما تصدق به عليه؟ قلت: نعم وكذلك إذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن أداء الباقي طاب للمولى ما أخذ
لأنه لم يأخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير أو ورثها أو وهبت له ومنه
قوله عليه الصلاة والسلام في حديث بريرة: هو لها صدقة ولنا هدية. وعند الشافعي رحمه الله: هو إيجاب على الموالي
أن يحطوا لهم من مال الكتابة وإن لم يفعلوا أجبروا. وعن علي رضي الله عنه: يحط له الربع. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: يرضخ له
من كتابته شيئا. وعن عمر أنه كاتب عبدا له يكنى أبا أمية وهو أول عبد كوتب في الإسلام فأتاه بأول نجم فدفعه إليه
عمر وقال: استعن به على مكاتبتك، فقال: لو أخرته إلى آخر نجم، فقال: أخاف أن لا أدرك ذلك. وهذا عند أبي حنيفة على
وجه الندب وقال: إن عقد مهما وضرا فاحبسه على الحطيطة كالبيع. وقيل معنى وآتوهم: أسلفوهم. وقيل أنفقوا
عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا. وهذا كله مستحب. وروي أنه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح
سأل مولاه أن يكاتبه فأبى فنزلت. كانت لأهل الجاهلية إماء يساعين على مواليهن. وكان لعبد الله بن أبي رأس
النفاق ست جوار: معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان
منهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت. ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والأمة. وفي الحديث: ليقل أحدكم
فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي. والبغاء مصدر البغي. فإن قلت: لم أقحم قوله إن أردن تحصنا؟ قلت:
لأن الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن وآمر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا أمره إكراها. وكلمة إن
وإيثارها على إذا إيذان بأن المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وأن ما وجد من معاذة ومسيكة
من حيز الشاذ النادر. غفور رحيم لهم أو لهن أو لهم ولهن إن تابوا وأصلحوا. وفي قراءة ابن عباس: لهن غفور رحيم.
فإن قلت: لا حاجة إلى تعليق المغفرة بهن لأن المكرهة على الزنا بخلاف المكره عليه في أنها غير آثمة. قلت:
لعل الإكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من إكراه بقتل أو بما يخاف منه التلف أو ذهاب العضو من ضرب عنيف أو غيره
حتى تسلم من الإثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة. ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلا من الذين
خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين • الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في
زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء
ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم
مبينات هي الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت في معاني الأحكام والحدود. ويجوز أن يكون الأصل مبينا فيها
فاتسع في الظرف. وقرئ بالكسر أي بينت هي الأحكام والحدود جعل الفعل لها على المجاز أو من بين بمعنى تبين ومنه
المثل: قد بين الصبح لذي عينين. ومثلا من أمثال من قبلكم أي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم
يعني قصة عائشة رضي الله عنها. وموعظة ما وعظ به في الآيات والمثل من نحو قوله: ولا تأخذكم بهما رأفة
في دين الله، لولا إذ سمعتموه، ولولا إذ سمعتموه، يعظكم الله أن تعودوا. ونظير قوله: الله نور السموات والأرض مع قوله
مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك: زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده. والمعنى ذو نور السموات وصاحب
نور السموات. ونور السموات والأرض الحق، شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله: الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات
إلى النور أي من الباطل إلى الحق. وأضاف النور إلى السموات والأرض لأحد معنيين: إما للدلالة على سعة إشراقه وفشو

إضاءته

إضاءته حتى تضيء له السموات والأرض. وإما أن يراد أهل السموات والأرض وأنهم يستضيئون به. مثل نوره
أي صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة كمشكاة: كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة. فيها مصباح
سراج ضخم ثاقب. في زجاجة: أراد قنديلا من زجاج شامي أزهر. شبهه في زهرته بأحد الدراري من الكواكب وهي
المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها. توقد هذا المصباح من شجرة أي ابتدأ ثقوبه من شجرة الزيتون يعني
رويت ذبالته بزيتها. مباركة: كثيرة المنافع أو لأنها نبتت في الأرض التي بارك فيها للعالمين. وقيل بارك فيها
سبعون نبيا منهم إبراهيم. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فإنه
مصحة من الباسور. لا شرقية ولا غربية أي منبتها الشام وأجود الزيتون زيتون الشام. وقيل لا في مضحى ولا
مقناة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى. وقيل ليس يقطع عليها الشمس في وقت شروقها
أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية غربية. ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وأنه
لتلألئه يكاد يضيء من غير نار. نور على نور أي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه
المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق مما يقوي النور ويزيده إشراقا ويمده بإضاءة بقية وذلك
أن المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ له وأجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فإن الضوء
ينبث فيه وينتشر والقنديل أعون شيء على زيادة الإنارة وكذلك الزيت وصفاؤه. يهدي الله لهذا
النور الثاقب من يشاء من عباده أي يوفق لإصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والإنصاف من نفسه
ولم يذهب عن الجادة الموصلة إليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالأعمى الذي سواء عليه جنح الليل
الدامس وضحوة النهار الشامس. وعن علي رضي الله عنه: الله نور السموات والأرض أي نشر فيهما الحق وبثه فأضاءتا
بنوره أو نور قلوب أهلها به. وعن أبي بن كعب: مثل نور من آمن به. وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر
ودري منسوب إلى الدر أي أبيض متلألئ. ودريء بوزن سكيت يدرأ الظلام بضوئه. ودرئ كمريق
ودري كالسكينة عن أبي زيد. وتوقد بمعنى تتوقد والفعل للزجاجة. ويوقد وتوقد بالتخفيف
وتوقد بالتشديد. ويوقد بحذف التاء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب. ويمسسه
بالياء لأن التأنيث ليس بحقيقي والضمير فاصل. في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها
بالغدو والآصال • رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون
يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار • ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب • في بيوت
يتعلق بما قبله أي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كأنه قيل: مثل نوره كما ترى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها
كيت وكيت، أو بما بعده وهو يسبح أي يسبح له رجال في بيوت، وفيها تكرير كقولك: زيد في الدار جالس فيها، أو بمحذوف
كقوله: في تسع آيات أي سبحوا في بيوت. والمراد بالإذن الأمر. ورفعها بناؤها كقوله: بناها رفع سمكها فسواها، وإذ
يرفع إبراهيم القواعد. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هي المساجد أمر الله أن تبنى أو تعظيمها والرفع من قدرها. وعن
الحسن: ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم. ويذكر فيها اسمه أوفق له وهو عام في كل ذكر. وعن ابن عباس: وأن يتلى
فيها كتابه. وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند إلى أحد الظروف الثلاثة أعني له فيها بالغدو. ورجال مرفوع
بما دل عليه يسبح وهو يسبح له. وتسبح بالتاء وكسر الباء. وعن أبي جعفر بالتاء وفتح الباء، ووجهها أن تسند إلى
أوقات الغدو والآصال على زيادة الباء وتجعل الأوقات مسبحة، والمراد ربها كصيد عليه يومان، والمراد وحشهما.
والآصال جمع أصل وهو العشي. والمعنى بأوقات الغدو أي بالغدوات. وقرئ والإيصال وهو الدخول في الأصيل،
يقال آصل كأظهر وأعتم. التجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح، فإما أن يريد لا يشغلهم نوع من هذه
الصناعة، ثم خص البيع لأنه في الإلهاء أدخل من قبل أن التاجر إذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته

الهيئة الأبلهية نزعاتي يتوقع فيها الربح في الوقت الثاني لأن هذا يقين وذاك مظنون • وإما أن يسمى الشراء
تجارة إطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة رابحة إذا اتجه له بيع صالح أو شراء • وقيل
التجارة لأهل الجلب تجر فلان في كذا إذا جلبه • التاء في إقامة عوض من العين الساقطة للإعلال والأصل
إقوام فلما أضيفت أقيمت الإضافة مقام حرف التعويض فأسقطت ونحوه • وأخلفوك عد الأمر الذي
وعدوا • وتقلب القلوب والأبصار إما أن تتقلب وتتغير في أنفسها وهو أن تضطرب من الهول والفزع
وتشخص كقوله وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر • وإما أن تتقلب أحوالها وتتغير فتفقه
القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها لا تفقه • وتبصر الأبصار بعد أن كانت عميا لا تبصر • أحسن
ما عملوا أي أحسن جزاء أعمالهم كقوله للذين أحسنوا الحسنى • والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا
على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء الله
عز وجل إما تفضل وإما ثواب وإما عوض • والله يرزق ما يتفضل به بغير حساب فأما الثواب فله
حساب يكون على حسب الاستحقاق • والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى
إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب • أو كظلمات في بحر
لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور • ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات
كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون • ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير
السراب ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري والقيعة
بمعنى القاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الأرض كجيرة في جار • وقرئ بقيعات بتاء مطولة
كديمات وقيمات في ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة كرجل عزهاة • شبه ما يعمله من لا
يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب في
العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه
ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه إلى جهنم فيسقونه الحميم
والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة ويحسبون أنهم يحسنون صنعا وقدمنا إلى ما عملوا من
عمل فجعلناه هباء منثورا • وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين
في الجاهلية ثم كفر في الإسلام • اللجي العميق الكثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر • وفي أخرج ضمير الواقع
فيه لم يكد يراها مبالغة في لم يرها أي لم يقرب أن يراها فضلا عن أن يراها ومثله قول ذي الرمة • إذا غير النأي
المحبين لم يكد • رسيس الهوى من حب مية يبرح • أي لم يقرب من البراح فما باله يبرح • شبه أعمالهم أولا
في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا أن لم يجد
شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله إلى النار ولا يقتل ظمأه بالماء • وشبهها ثانيا في
ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب •
ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه
مجرى الكنايات لأن الألطاف إنما تردف الإيمان والعمل أو كونهما مترقبين ألا ترى إلى قوله والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين • وقرئ سحاب ظلمات على الإضافة • وسحاب
ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الأولى • صافات يصففن أجنحتهن في
الهواء • والضمير في علم لكل أو لله وكذلك في صلاته وتسبيحه • والصلاة الدعاء • ولا يبعد أن يلهم
الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها

ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من
جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار • يقلب
الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار • يزجي يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها
كل أحد لا يرضاها • والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب • ومعنى تأليف الواحد أنه يكون قزعا
فيضم بعضه إلى بعض وجاز بينه وهو واحد لأن المعنى بين أجزائه كما قيل في قوله • بين الدخول فحومل
والركام المتراكم بعضه فوق بعض • والودق المطر من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال
في جبل • وقرئ من خلله • وينزل بالتشديد • ويكاد سنا على الإدغام • وبرقه جمع برقة وهي المقدار
من البرق كالغرفة واللقمة • وبرقه بضمتين للإتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات •
وسناء برقه على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك سني للمرتفع
ويذهب بالأبصار على زيادة الباء كقوله ولا تلقوا بأيديكم عن أبي جعفر المدني • وهذا من تعديد الدلائل
على ربوبيته وظهور أمره حيث ذكر تسبيح من في السموات والأرض وكل ما يطير بين السماء والأرض ودعاءهم
له وابتهالهم إليه وأنه سخر السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من أفعاله حتى ينزل المطر منه
وأنه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد
يخطف أبصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه
إلا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر
فإن قلت متى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسبيح من في السموات ودعاءهم وتسبيح الطير
ودعاءه وتنزيل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له ألم تر قلت علمه من جهة إخبار الله إياه
بذلك على طريق الوحي فإن قلت ما الفرق بين من الأولى والثانية والثالثة في قوله من السماء من
جبال فيها من برد قلت الأولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان أو الأوليان
للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الأول مفعول ينزل من جبال فإن قلت
ما معنى من جبال فيها من برد قلت فيه معنيان أحدهما أن يخلق الله في السماء جبال
برد كما خلق في الأرض جبال حجر • والثاني أن يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب • والله خلق كل
دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء
إن الله على كل شيء قدير • ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك
بالمؤمنين • وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون • وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين
أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون • إنما كان قول المؤمنين
إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون • ومن يطع الله ورسوله ويخش
الله ويتقه فأولئك هم الفائزون • وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز غلب
المميز فأعطى ما وراءه حكمه كأن الدواب كلهم عقلاء فمن ثم قيل فمنهم وقيل من يمشي في الماشي على بطن والماشي على
أربع قوائم فإن قلت لم نكر الماء في قوله من ماء قلت لأن المعنى أنه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك
الدابة أو خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس
ونحوه قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل فإن قلت فما باله معرفا في قوله وجعلنا من الماء
كل شيء حي قلت قصد ثم معنى آخر وهو أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك
أنه هو الأصل وإن تخللت بينها وبينه وسائط قالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه
وآدم من تراب خلقه منه فإن قلت لم جاءت الأجناس الثلاثة على هذا الترتيب قلت قدم ما هو أعرق

لعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من رجل او قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع **فان قلت** لم سمي الزحف على البطن مشيا **قلت** على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له امر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك او على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين • وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين آمنا واطعنا او الى الفريق المتولي منهم فمعناه على الاول اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق المتولي وحده • وعلى الثاني اعلام بان الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطاة القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمانينة نفس لم يتعقبه التولي والاعراض • والتعريف في قوله بالمؤمنين دلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوفون في قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا • معنى الى الله ورسوله الى رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله • غلست قبل القطا وفرطه • اراد قبل فرط القطا • روي انها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل المنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا • وروي ان المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن ابي طالب رضي الله عنه خصومة في ماء وارض فقال المغيرة اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي • اليه صلة ياتوا لان اتى وجاء قد جاءا معديين بالى او يتصل بمذعنين لانه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا احسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص • والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من احداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتاخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم • ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته او خائفين الحيف في قضائه ثم ابطل خوفهم حيفه بقوله بل اولئك هم الظالمون اي لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثم ياتون المحاكمة اليه • وعن الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب اقوى لان اولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف وان يقولوا اوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل وما كان لنا ان نتكلم بهذا • ما كان حجتهم الا ان قالوا • وقرئ ليحكم على البناء للمفعول **فان قلت** الام اسند يحكم ولا بد له من فاعل **قلت** هو مسند الى مصدره لان معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما والف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرا بينكم منصوبا اي وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا • وقرئ ويتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبه تقه بكتف فخفف كقوله • قالت سليمى اشتر لنا سويقا • ولقد جمع الله سبحانه في هذه الآية اسباب الفوز • وعن ابن عباس رضي الله عنه في تفسيرها ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل • وعن بعض الملوك انه سال عن آية كافية فتليت له هذه الآية • وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ • قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ • جهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها • وعن ابن عباس رضي الله عنه من قال بالله فقد جهد يمينه • واصل اقسم جهد اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم • وطاعة معروفة خبر مبتدا محذوف او مبتدا محذوف الخبر اي امركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين الذين طابق باطن امرهم ظاهره لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها • او طاعتكم طاعة

معروفة بانها بالقول دون الفعل • او طاعة معروفة امثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة • وقرا اليزيدي طاعة معروفة بالنصب على معنى اطيعوا طاعة • ان الله خبير يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم • صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو ابلغ في تبكيتهم يريد فان تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم انفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله وكلفه من اداء الرسالة فاذا ادى فقد خرج عن عهدة تكليفه واما انتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وان اطعتموه فقد احرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة الى الهدى فالنفع والضرر عائدان اليكم وما الرسول الا ناصح وهاد وما عليه الا ان يبلغ ما له نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم • والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التادية • ومعنى المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات • وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا • يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ • وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ • لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ • الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن معه • ومنكم للبيان كالتي في آخر سورة الفتح وعدهم الله ان ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وان يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام • وتمكينه تثبيته وتوطيده وان يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين فلما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فقال عليه الصلاة والسلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الانعم وفسقوا وذلك قوله عليه الصلاة والسلام الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بزيزي قطع سبيل وسفك دماء واخذ اموال بغير حقها • وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول • وليبدلنهم بالتشديد **فان قلت** اين القسم الملتقى باللام والنون في ليستخلفنهم **قلت** هو محذوف تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كانه قيل اقسم الله ليستخلفنهم **فان قلت** ما محل يعبدونني **قلت** ان جعلته استئنافا لم يكن له محل كان قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني وان جعلته حالا عن وعدهم اي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب • ومن كفر يريد كفران النعمة كقوله فكفرت بانعم الله • فاولئك هم الفاسقون اي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها **فان قلت** هل في هذه الآية دليل على امر الخلفاء الراشدين **قلت** اوضح دليل وابينه لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم • واقيموا الصلوة معطوف على اطيعوا الله واطيعوا الرسول وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه • وكررت طاعة الرسول تاكيدا لوجوبها • وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه اوجه ان يكون معجزين في الارض هما المفعولان • والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد • وان يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله واطيعوا الرسول • وان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء

ليستخلفنهم في الارض اي ليجعلنهم خلفاء الارض يتحكمون فيها كالسلاطين

واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله ومأواهم النار على لا تحسبن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد أيمانهم يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم • أمر بأن يستأذن العبيد وقيل العبيد والإماء والأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار ثلاث مرات في اليوم والليلة • قبل صلاة الفجر لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة • وبالظهيرة لأنها وقت وضع الثياب للقائلة • وبعد صلاة العشاء لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم • وسمى كل واحدة من هذه الأحوال عورة لأن الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها • والعورة الخلل ومنها أعور الفارس وأعور المكان • والأعور المختل العين • ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله طوافون عليكم يعني أن بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم بالخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الأمر بالاستئذان في كل وقت لأدى إلى الحرج • وروي أن مدلج بن عمرو وكان غلاما أنصاريا أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهر إلى عمر ليدعوه فدخل فرآه عمر بحالة كره عمر رؤيته ذلك فقال يا رسول الله وددت لو أن الله أمرنا ونهانا في حال الاستئذان فنزلت • وقيل نزلت في أسماء بنت أبي مرثد قالت إنا لندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان في لحاف واحد • وقيل دخل على أسماء غلام كبير لها في وقت كرهت دخوله فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها فنزلت • وعن أبي عمرو الحلم بالسكون • وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا عن ثلاث مرات أي أوقات ثلاث عورات • وعن الأعمش عورات على لغة هذيل • فإن قلت ما محل ليس عليكم قلت إذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان وإذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للأمر بالاستئذان في تلك الأحوال خاصة • فإن قلت بم ارتفع بعضكم قلت بالابتداء وخبره على بعض على معنى طائف على بعض وحذف لأن طوافون يدل عليه • ويجوز أن يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة • وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم • يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية • والمعنى أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاث فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بأن يحتلموا أو يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كما الرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن • وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة • وعن ابن عباس آية لا يؤمن بها أكثر الناس آية الإذن وإني لآمر جاريتي أن تستأذن علي • وسأله عطاء أأستأذن على أختي قال نعم وإن كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الآية • وعنه ثلاث آيات جحدهن الناس الإذن كله وقوله إن أكرمكم عند الله أتقاكم فقال ناس أعظمكم بيتا وقوله وإذا حضر القسمة • وعن ابن مسعود عليكم أن تستأذنوا على آبائكم وأمهاتكم وأخواتكم • وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له إن الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان • وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة لا والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها • فإن قلت ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ قلت قال أبو حنيفة ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في الجارية • وعامة العلماء على خمس عشرة سنة فيهما • وعن علي رضي الله عنه أنه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة أشبار وبه

اخذ الفرزدق

أخذ الفرزدق في قوله • ما زال مذ عقدت يداه إزاره • فسما فأدرك خمسة الأشبار • واعتبر غيره الإنبات • وعن عثمان رضي الله عنه أنه سئل عن غلام فقال هل اخضر إزاره والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم القاعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها • لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه • والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار • غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي أرادها في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن • أو غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف إذا احتجن إليه • والاستعفاف من الوضع خير لهن • لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار أفضل الأعمال وأحسنها كقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى وأن تصدقوا خير لكم فإن قلت ما حقيقة التبرج قلت تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها • والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء إلا أنه اختص بأن تتكشف المرأة للرجال بإبداء زينتها وإظهار محاسنها وبدا وبرز بمعنى ظهر من أخوات تبرج وتبلج كذلك ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات إلى بيوت أزواجهم وأولادهم وإلى بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة في ذلك وخافوا أن يلحقهم فيه حرج وكرهوا أن يكون أكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على أنفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك • وعن عكرمة كانت الأنصار في أنفسها قزازة فكانت لا تأكل من هذه البيوت إذا استغنوا • وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس ومؤاكلتهم لما عسى يؤدي إلى الكراهة من قبلهم ولأن الأعمى ربما سبقت يده إلى ما سبقت عين أكيله إليه وهو لا يشعر • والأعرج يتفسح في مجلسه فيأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جليسه • والمريض لا يخلو من رائحة تؤذي أو جرح يبض أو أنف يذن ونحو ذلك • وقيل كانوا يخرجون إلى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون إليهم المفاتيح ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون • وحكي عن الحارث بن عمرو أنه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع رآه مجهودا فقال ما أصابك قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي أن آكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت • وهذا الكلام صحيح وكذلك إذا فسر بأن هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم أن تأكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين في أن كل واحدة منهما منفي عنها الحرج • ومثال هذا أن يستفتيك مسافر عن الإفطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج أن يفطر ولا عليك يا حاج أن تقدم الحلق على النحر فإن قلت هلا ذكر الأولاد قلت دخل ذكرهم تحت قوله من بيوتكم لأن ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه • وفي الحديث إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه وإن ولده من كسبه • ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم ولأن الولد أقرب ممن عدد من القرابات فإذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو أقرب منهم أولى فإن قلت ما معنى أو ما ملكتم مفاتحه قلت أموال الرجل إذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له أن يأكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته • وملك المفاتح كونها في يده وحفظه • وقيل بيوت المماليك لأن مال العبد لمولاه • وقرئ مفتاحه فإن قلت فما معنى أو صديقكم قلت معناه أو بيوت أصدقائكم • والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو • يحكى عن الحسن رحمه الله أنه دخل داره وإذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص وأطايب الأطعمة وهم مكبون عليها يأكلون فتهللت أسارير وجهه سرورا وضحك وقال

هكذا وجدناهم فكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ما شاء فإذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها سروراً بذلك • وعن جعفر بن محمد رحمه الله من عظم حرمة الصديق أن جعله الله من الأنس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والأب والأخ والابن • وعن ابن عباس رضي الله عنهما الصديق أكبر من الوالدين إن الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأمهات فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم • وقالوا إذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الإذن الصريح وربما سمج الاستئذان وثقل كمن قدم إليه طعام فاستأذن صاحبه في الأكل منه ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون • جميعاً أو أشتاتاً أي مجتمعين أو متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظراً نهاره إلى الليل فإن لم يجد من يؤاكله أكل ضرورة • وقيل في قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا مع ضيفهم • وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأكل وزيادة بعضهم على بعض • فإذا دخلتم بيوتاً من هذه البيوت فابدءوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم ديناً وقرابة تحية من عند الله أي ثابتة بأمره مشروعة من لدنه • أو لأن التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والتحية من عند الله • ووصفها بالبركة والطيب لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق • وعن أنس رضي الله عنه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين • وروي تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لي لشيء كسرته لم كسرته وكنت واقفاً على رأسه أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بأبي وأمي يا رسول الله قال متى لقيت من أمتي أحداً فسلم عليه يطل عمرك • وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك • وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأوابين • وقالوا إن لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين والسلام على أهل البيت ورحمة الله • وعن ابن عباس رضي الله عنهما إذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله • وانتصب تحية بسلموا لأنها في معنى تسليماً كقولك قعدت جلوساً • إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم • أراد عز وجل أن يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إذنه إذا كانوا معه على أمر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بإنما وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبراً عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الإيمانين ثم عقبه بما يزيده توكيداً وتشديداً حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله تعالى إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئاً آخر وهو أنه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الإيمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذاً • ومعنى قوله تعالى لم يذهبوا حتى يستأذنوه لم يذهبوا حتى يستأذنوه ويأذن لهم ألا تراه كيف علق الأمر بعد وجود استئذانهم بمشيئته لمن استصوب أن يأذن • والأمر الجامع الذي يجمع له الناس فوصف الأمر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو وتشاور في خطب مهم وتضام لإرهاب مخالف وتقاسم في حلف وغير ذلك • أو الأمر الذي يعم بضرره أو بنفعه • وقرئ أمر جميع • وفي قوله تعالى إذا كانوا معه على أمر جامع أنه خطب جليل لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ذوي رأي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة أحدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رأيه فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الأمر في الاستئذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة إليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله تعالى لبعض شأنهم وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على أن الأحسن الأفضل أن لا يحدثوا أنفسهم بالذهاب

والاستئذان فيه • وقيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير إذن • وقالوا كذلك ينبغي أن يكون الناس مع أئمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم • والأمر في الإذن مفوض إلى الإمام إن شاء أذن وإن شاء لم يأذن • لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم • إذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اجتماعكم عنده لأمر فدعاكم فلا تفرقوا عنه إلا بإذنه ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضاً ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعي • أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضاً ويناديه باسمه الذي سماه به أبواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع • ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده أخرى فإن دعوات رسول الله مسموعة مستجابة • يتسللون ينسلون قليلاً قليلاً • ونظير تسلل تدرج وتدخل • واللواذ الملاوذة وهو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض • ولواذاً حال أي ملاوذين • وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل إذا استأذن فيأذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه • وقرئ لواذاً بالفتح • يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه • وخالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه • ومعنى الذين يخالفون عن أمره الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول لأن الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه والضمير في أمره لله سبحانه أو للرسول عليه الصلاة والسلام والمعنى عن طاعته ودينه • فتنة محنة في الدنيا • أو يصيبهم عذاب أليم في الآخرة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما فتنة قتل • وعن عطاء زلازل وأهوال • وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر • ألا إن لله ما في السماوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم • أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ويرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد وذلك أن قد إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها إلى معنى التكثير في نحو قوله • فإن تمس مهجور الفناء فربما أقام به بعد الوفود وفود • ونحو قول زهير • أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله • ولكنه قد يهلك المال نائله • والمعنى أن جميع ما في السماوات والأرض مختصة به خلقاً وملكاً وعلماً فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجتهدون في سترها عن العيون وإخفائها • وسينبئهم يوم القيامة بما أبطنوا من سوء أعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه يجوز أن يكونا جميعاً للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاماً ويرجعون للمنافقين • والله أعلم • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي • صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً • البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله • والفرقان مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل أو لأنه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقاً مفصولاً بين بعضه وبعض في الإنزال ألا ترى إلى قوله وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً • وقد جاء الفرق بمعناه • قال • ومشركي كافر بالفرق • وعن ابن الزبير على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته كما قال تعالى لقد أنزلنا إليكم وقوله آمنا بالله وما أنزل إلينا • والضمير في ليكون لعبده أو للفرقان ويعضده رجوعه إلى الفرقان قراءة ابن الزبير للعالمين للجن والإنس نذيراً منذراً أو إنذاراً كالنكير بمعنى الإنكار

وبه قوله عز وجل فكيف كان عذابي ونذر • الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك
في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا • الذي له رفع على الإبدال من الذي نزل أو رفع على المدح أو نصب عليه
فإن قلت كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه قلت ما فصل بينهما بشيء لأن المبدل منه صلته نزل
وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم إلا به • فإن قلت في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله وخلق كل شيء
فقدره تقديرا كأنه قال وقدر كل شيء فقدره قلت المعنى أنه أحدث كل شيء إحداثا مراعى فيه التقدير والتسوية
فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله أنه خلق الإنسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح
المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بأمثلة الحكمة والتدبير
فقدره لأمر ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير متجاف عنه • أو سمى إحداث الله تعالى خلقا لأنه لا يحدث شيئا
لحكمته إلا على وجه التقدير من غير تفاوت فإذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك أحدث وأوجد من غير نظر إلى وجه
الاشتقاق فكأنه قيل وأوجد كل شيء فقدره في إيجاده لم يوجده متفاوتا • وقيل فجعل له غاية ومنتهى • ومعناه
فقدره للبقاء إلى أمد معلوم • واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم
ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا • الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله تعالى إنما تعبدون من دون الله أوثانا
وتخلقون إفكا • والمعنى أنهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز أبين من عجزهم لا يقدرون على شيء من أفعال
الله تعالى ولا من أفعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون لأن عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير • ولا يملكون أي
لا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها أو جلب نفع إليها وهم يستطيعون وإذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر
عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور التي لا يقدر عليها إلا الله أعجز • وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه
وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا • قوم آخرون قيل هم اليهود • وقيل عداس مولى حويطب بن عبد
العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وأبو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار • جاء وأتى يستعملان في معنى
فعل فيعديان تعديته وقد يكون على معنى ورد فلا يعدى كما تقول جئت المكان • ويجوز أن يحذف الجار ويوصل الفعل
ظلمهم أن جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاما عربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب • والزور أن بهتوه بنسبة
ما هو بريء منه إليه • وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا • أساطير الأولين ما سطره
المتقدمون من نحو أحاديث رستم واسفنديار جمع أسطار أو أسطورة كأحدوثة • اكتتبها كتبها لنفسه وأخذها كما تقول استكب
الماء واصطبه إذا سكبه وصبه لنفسه وأخذه • وقرئ اكتتبها على البناء للمفعول • والمعنى اكتتبها كاتب له لأنه كان
أميا لا يكتب بيده وذلك من تمام إعجازه ثم حذفت اللام فأفضى الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها إياه كاتب كقوله تعالى واختار موسى
قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو إياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد أن كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الأساطير على حاله فصار
اكتتبها كما ترى • فإن قلت كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه وإنما يقال أمليت عليه فهو يكتتبها قلت فيه وجهان أحدهما أراد
اكتتابها وطلبه فهي تملى عليه أي تلقى عليه من كتاب يتحفظها لأن صورة الإلقاء على الحافظ كصورة الإلقاء على الكاتب •
وعن الحسن أنه قول الله سبحانه يكذبهم وإنما يستقيم أن لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى الإنكار ووجهه أن يكون نحو قوله أفترى
أن أتى الكلام • وحق الحسن أن يقف على الأولين • بكرة وأصيلا أي دائما أو في الخفية قبل أن ينتشر الناس وحين يأوون
إلى مساكنهم • قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما • أي يعلم كل سر خفي في السموات والأرض
ومن جملته ما تسرونه أنتم من الكيد لرسوله مع علمكم أن ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبراءته مما تتهمونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه • فإن قلت كيف طابق قوله إنه كان غفورا
رحيما هذا المعنى قلت لما كان ما تقدم في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة
إلا القادر على العقوبة أو هو تنبيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم أنه غفور
رحيم يمهل ولا يعاجل • وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون

معه نذيرا • أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا • وقعت اللام
في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربي وخط المصحف سنة لا تغير • وفي هذا استهانة وتصغير
لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنزا كأنهم قالوا ما لهذا الزاعم أنه رسول ونحوه قول فرعون إن رسولكم الذي
أرسل إليكم لمجنون أي إن صح أنه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الأسواق لطلب
المعاش كما نتردد يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل والتعيش • ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون
ملكا إلى اقتراح أن يكون إنسانا معه ملك حتى يتساندا في الإنذار والتخويف • ثم نزلوا أيضا فقالوا وإن لم
يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش • ثم نزلوا
فاقتنعوا بأن يكون رجلا له بستان يأكل منه ويرتزق كما الدهاقين والمياسير أو يأكلون هم من ذلك البستان
فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم • وأراد بالظالمين إياهم بأعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم
بالظلم فيما قالوا • وقرئ فيكون بالرفع ويكون له جنة بالياء ونأكل بالنون • فإن قلت ما وجه الرفع
والنصب في فيكون قلت النصب لأنه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام • والرفع على أنه معطوف
على أنزل ومحله الرفع ألا ترى أنك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى ويكون مرفوعين ولا يجوز النصب
فيهما لأنهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون إلا مرفوعا • والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحارث وعبد الله بن أبي
أمية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم • مسحورا سحر فغلب على عقله • أو ذا سحر وهو الرئة عنوا أنه بشر لا ملك
انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا • ضربوا لك الأمثال أي قالوا فيك تلك الأقوال
واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال النادرة من نبوة مشتركة بين إنسان وملك وإلقاء كنز عليك من السماء
وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه • أو فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا إليه
تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا • تكاثر
خير الذي إن شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو أن يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور
• وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لأن الشرط إذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله وإن أتاه
خليل يوم مسألة • يقول لا غائب مالي ولا حرم • ويجوز في ويجعل لك إذا أدغمت أن تكون اللام في تقدير الجزم
والرفع جميعا • وقرئ بالنصب على أنه جواب الشرط بالواو • بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا
بل كذبوا عطف على ما حكي عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة • ويجوز أن يتصل بما يليه كأنه قال
بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة
السعير النار الشديدة الاستعار • وعن الحسن أنه اسم من أسماء جهنم • إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها
تغيظا وزفيرا • إذا رأتهم إذا كانت بمرأى منهم كقوله صلى الله عليه وسلم لا تتراءى ناراهما أي لا تتقاربان بحيث تكون إحداهما بمرأى من الأخرى
على المجاز • والمعنى إذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت
المتغيظ والزافر • ويجوز أن يراد إذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم
وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا • الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذلك
وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والأرض • وجاء في الأحاديث أن لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا ولقد
جمع الله على أهل النار أنواع التضييق والإرهاق حيث ألقاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما في تفسيره أنه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح • وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل
قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع • وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الأصفاد • والثبور الهلاك
ودعاؤه أن يقال واثبوراه أي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك • لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا

انما قيل ثبورا كثيرا اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته واما لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم ﴿قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا﴾ الراجع الى الموصولين محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاؤونه • وانما قيل كانت لان ما وعده الله وحده فهو في تحققه كانه قد كان او كان مكتوبا في اللوح قبل ان براهم بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم **فان قلت** ما معنى قوله كانت لهم جزاء ومصيرا **قلت** هو كقوله تعالى نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال تعالى بئس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة والا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاجتواء ولكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء ﴿لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا﴾ • والضمير في كان لما يشاؤن • والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا ان يسأل ويطلب لانه جزاء واجر مستحق • وقيل قد سأله الناس والملائكة في صلواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك • آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة • ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل﴾ • نحشرهم فنقول كلاهما بالنون والياء • وقرئ يحشرهم بكسر الشين • وما يعبدون يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير • وعن الكلبي الاصنام ينطقها الله تعالى • ويجوز ان يكون عاما لهم جميعا **فان قلت** كيف صح استعمال ما في العقلاء **قلت** هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم من لما يعقل او اريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم الا تراك تقول اذا اردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني اطويل ام قصير افقيه ام طبيب **فان قلت** ما فائدة انتم وهم وهلا قيل اضللتم عبادي هؤلاء ام ضلوا السبيل **قلت** ليس السؤال عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وايلائه حرف الاستفهام حتى يعلم انه المسؤل عنه **فان قلت** فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسؤل عنه فما فائدة هذا السؤال **قلت** فائدته ان يجيبوا بما اجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيبهتوا وينخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله تعالى وعذابه ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة اولئك وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفا للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم ان الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه ءانتم اضللتموهم ام هم ضلوا بانفسهم فيتبرؤن من اضلالهم ويستعيذون به ان يكونوا مضلين ويقولون بل انت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها ان تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برأت الملائكة والرسل انفسهم من نسبة الاضلال الذي هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغني العدل اشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين اضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها واسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازي الذي اسنده الله تعالى الى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد ان يقولوا بل انت اضللتهم • والمعنى ءانتم اوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق ام هم ضلوا عنه بانفسهم وضل مطاوع اضله وكان القياس ضل عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق • وقولهم اضل البعير في معنى جعله ضالا اي ضايعا لما كان اكثر ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط في حفظه قيل اضل سواء كان منه فعل او لم يكن ﴿قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا﴾ • سبحانك تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لانهم ملائكة وانبياء معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه • او نطقوا بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عباده • او قصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له نبي او ملك او غيرهما

ندا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون ان نتولى احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك او ما كان ينبغي لنا ان نكون امثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان يريد الكفرة وقال الذين كفروا اولياؤهم الطاغوت • وقرأ ابو جعفر المدني نتخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل اعني اتخذ يتعدى الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى ام اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدي الى واحد وهو من اولياء والاصل ان نتخذ اولياء فزيدت من لتاكيد معنى النفي والثانية من المتعدي الى مفعولين فالاول ما بني له الفعل والثاني من اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء • وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام • والذكر ذكر الله والايمان به والقرآن والشرائع • والبور الهلاك يوصف به الواحد والجمع ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ ﴿فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا﴾ • هذه المفاجاة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله عز وعلا يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير • وقول القائل قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا • وقرئ يقولون بالتاء والياء • فمعنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة • ومعنى من قرأ بالياء فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء والباء على **فان قلت** هو يختلف حكم الباء مع التاء والياء **قلت** اي والله هي مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون وهي مع الياء كقولك كتبت بالقلم • وقرئ يستطيعون بالتاء والياء ايضا يعني فما تستطيعون انتم يا كفار صرف العذاب عنكم • وقيل الصرف التوبة • وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال • او فما يستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او ان يحتالوا لكم والخطاب على العموم للمكلفين والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم • والفاسق ظالم لقوله تعالى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون • وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله تعالى او ضمير مصدر يظلم ﴿وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا﴾ • الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اعني من المرسلين ونحوه قوله عز وعلا وما منا الا له مقام معلوم على معنى وما منا احد • وقرئ ويمشون على البناء للمفعول اي تمشيهم حوائجهم او الناس ولو قرئ يمشون لكان اوجه لولا الرواية • وقيل هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق • فتنة اي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه واستبدعوه من اكله الطعام ومشيه في الاسواق بعدما احتج عليهم بسائر الرسل يقول وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض • والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وانواع اذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور • وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا • بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك اقاويلهم فان في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين • وقيل هو تسلية له عما عيروه به من الفقر حين قالوا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة وانه جعل الاغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وانها حكمته ومشيئته يغني من يشاء ويفقر من يشاء • وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنياوي

وقيل كان أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل ومن في طبقتهم يقولون إن أسلمنا وقد أسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا إدلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض • وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا • يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا • أي لا يأملون لقاءنا بالخير لأنهم كفرة • أو لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله عز وجل لا ترجون لله وقارا جعلت الصيرورة إلى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا • اقترحوا من الآيات أن ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بأن محمدا صادق حتى يصدقوه أو يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلو إما أن يكونوا عالمين بأن الله لا يرسل الملائكة إلى غير الأنبياء وأن الله لا يصح أن يرى وإنما علقوا إيمانهم بما لا يكون • وإما أن لا يكونوا عالمين بذلك وإنما أرادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فإن قلت ما معنى في أنفسهم قلت معناه أنهم أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه • وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا علينا فلان وقد وصف العتو بالكبر فبالغ في إفراطه يعني أنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم إلا لأنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية وفي أسلوبها قول القائل: وجارة جساس أبأنا بنابها • كليبا غلت ناب كليب بواؤها • وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب ألا ترى أن المعنى ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم وما أغلى نابا بواؤها كليب • يوم يرون منصوب بأحد شيئين إما بما دل عليه لا بشرى أي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى أو يعدمونها • ويومئذ للتكرير وإما بإضمار اذكر أي اذكر يوم يرون الملائكة • ثم قال لا بشرى يومئذ للمجرمين وقوله للمجرمين إما ظاهر في موضع ضمير وإما لأنه عام فقد تناولهم بعمومه • وحجرا محجورا ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بأفعال متروك إظهارها نحو معاذ الله وقعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور أو هجوم نازلة أو نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة • قال سيبويه ويقول الرجل للرجل أتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره إذا منعه لأن المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى أسأل الله أن يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فعل أو فعل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك • وأنشدت لبعض الرجاز: قالت وفيها حيدة وذعر • عوذ بربي منكم وحجر • فإن قلت فإذ قد ثبت أنه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجورا قلت جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت مائت والمعنى في الآية أنهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم إذا رأوهم عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لأنهم لا يلقونهم إلا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور والشدة النازلة • وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران أو الجنة أو البشرى أي جعل الله ذلك حراما عليكم • وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا • ليس هاهنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم إلى أشيائهم وقصد إلى ما تحت أيديهم فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثرا ولا عثيرا • والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي أمثالهم أقل من الهباء • منثورا صفة للهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده تعالى وأنه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لأنك تراه منتظما مع الضوء فإذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله تعالى كعصف مأكول لم يكف أن شبههم بالعصف حتى جعله ممروفا بالأكال ولأن شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا • أو مفعول ثالث لجعلناه أي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء

والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين أي جامعين للمسخ والخسء • ولام الهباء واو بدليل الهبوة • أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا • المستقر المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون • والمقيل المكان الذي يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما أن المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب • وروي أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وفي معناه قوله عز وجل إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون • قيل في تفسير الشغل افتضاض الأبكار ولا نوم في الجنة وإنما سمي مكان دعتهم واسترواحهم إلى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفي لفظ الأحسن رمز إلى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور إلى غير ذلك من التحاسين والزين • ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا • وقرئ تشقق والأصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيره أدغمها • ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كأنه الذي تشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله عز وجل السماء منفطر به • فإن قلت أي فرق بين قولك انشقت الأرض بالنبات وبين قولك عن النبات قلت معنى انشقت به أن الله تعالى شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه أن التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى أن السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف الأعمال • وروي تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة إلى الأرض • وقيل هو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم وفي معناه قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة • وقرئ ونزل الملائكة وننزل ونزل الملائكة ونزلت الملائكة وأنزل الملائكة ونزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من تنزل قراءة أهل مكة • الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا • الحق الثابت لأن كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى إلا ملكه • ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا • عض اليدين والأنامل والسقوط في اليد وأكل البنان وحرق الأسنان والأرم وقرعها كنايات عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفهما فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكني عنه • وقيل نزلت في عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقيل اتخذ ضيافة فدعا إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن أبى أن يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر عليا فقتله • وقيل قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري وطعن أبيا بأحد في المبارزة فرجع إلى مكة ومات • واللام في الظالم يجوز أن يكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز أن يكون للجنس فيتناول عقبة وغيره • تمنى أن لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق • يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا • وقرئ يا ويلتي بالياء وهو الأصل لأن الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا أوانك وإنما قلبت الياء ألفا كما في صحارى ومدارى • فلان كناية عن الأعلام كما أن الهن كناية عن الأجناس فإن أريد بالظالم عقبة فالمعنى

إياه خليلاً فكنى عن اسمه • وإن أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلاً كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه • عن الذكر عن ذكر الله أو القرآن أو موعظة الرسول • ويجوز أن يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على الإسلام والشيطان إشارة إلى خليله سماه شيطاناً لأنه أضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة أو أراد إبليس وأنه هو الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله • أو أراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والإنس • ويحتمل أن يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وأن يكون كلام الله • اتخذت قرئ على الإدغام والإظهار والإدغام أكثر • **وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً** • الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقومه قريش حكى الله تعالى عنه شكواه قومه إليه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لأن الأنبياء كانوا إذا التجأوا إليه وشكوا إليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا • **وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً** • ثم أقبل عليه مسلياً ومواسياً وواعداً النصر عليهم فقال كذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بي هادياً إلى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصراً لك عليهم • مهجوراً تركوه وصدوا عنه وعن الإيمان به • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلق مصحفاً لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقاً به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجوراً اقض بيني وبينه • وقيل هو من هجر إذا هذى أي جعلوه مهجوراً فيه فحذف الجار وهو على وجهين أحدهما زعمهم أنه هذيان وباطل وأساطير الأولين والثاني أنهم كانوا إذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه • ويجوز أن يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجراً • والعدو يجوز أن يكون واحداً وجمعاً كقوله تعالى فإنهم عدو لي إلا رب العالمين • وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيامة • **وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً** • نزل ههنا بمعنى أنزل لا غير كخبر بمعنى أخبر وإلا كان متدافعاً وهذا أيضاً من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة وما له أنزل على التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لأن أمر الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرقاً وقوله تعالى كذلك جواب لهم أي كذلك أنزل مفرقاً والحكمة فيه أن نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لأن المتلقن إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئاً بعد شيء وجزءاً عقيب جزء ولو ألقي عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا بحفظه والرسول عليه الصلاة والسلام فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى عليهم الصلاة والسلام حيث كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فأنزل عليه منجماً في عشرين سنة وقيل في ثلاث وعشرين وأيضاً فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقاً • **فإن قلت** ذلك في كذلك يجب أن يكون إشارة إلى شيء تقدمه والذي تقدم هو إنزاله جملة فكيف فسرته بكذلك أنزلناه مفرقاً **قلت** لأن قولهم لولا أنزل عليه جملة معناه لم أنزل مفرقاً • والدليل على فساد هذا الاعتراض أنهم عجزوا عن أن يأتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من أصغر السور فأبرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على أنفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا إلى المحاربة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كأنهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته • ورتلناه معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كأنه قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله أن قدره آية بعد آية ووقفة عقيب وقفة • ويجوز أن يكون المعنى وأمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلاً أي اقرأه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة رضي الله عنها في صفة قراءته لا كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها • وأصل الترتيل في الأسنان وهو تفليجها يقال ثغر مرتل ورتل ويشبه بنور الأقحوان في تفليجه • وقيل هو أن نزله مع كونه متفرقاً على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة • **ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً**

ولا يأتونك بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل في البطلان • إلا أتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو أحسن معنى ومؤدى من سؤالهم ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا • أو ولا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو أن يقرن بك ملك ينذر معك أو يلقى إليك كنز أو تكون لك جنة أو ينزل عليك القرآن جملة إلا أعطيناك نحن من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا أن نعطاه وما هو أحسن تكشيفاً لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني أن تنزيله مفرقاً وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها أدخل في الإعجاز وأنور للحجة من أن ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه **الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً** • كأنه قيل لهم إن حاملكم على هذه السؤالات أنكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الإنصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم إلى جهنم لعلمتم أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله • وفي طريقته قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية • ويجوز أن يراد بالمكان الشرف والمنزلة • وأن يراد الدار والمسكن كقوله تعالى أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً • ووصف السبيل بالضلال من الإسناد المجازي • وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب • وثلث على وجوههم • وثلث على أقدامهم ينسلون نسلاً • **ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً** • الوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضاً • **فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً** • والمعنى فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله تعالى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق أي فضرب فانفلق أراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها أولها وآخرها لأنهما المقصود من القصة بطولها أعني إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم • وعن علي رضي الله عنه فدمرتهم وعنه فدمراهم وقرئ فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة • **وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذاباً أليماً** • **وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً** • كأنهم كذبوا نوحاً ومن قبله من الرسل صريحاً أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيباً للجميع أو لم يروا بعثة الرسل أصلاً كالبراهمة • وجعلناهم وجعلنا إغراقهم أو قصتهم • للظالمين إما أن يعني بهم قوم نوح وأصله وأعتدنا لهم إلا أنه قصد تظليمهم فأظهر وإما أن يتناولهم بعمومه • عطف عاداً على هم في جعلناهم وعلى الظالمين لأن المعنى ووعدنا الظالمين • وقرئ وثموداً على تأويل القبيلة وأما المنصرف فعلى تأويل الحي أو لأنه اسم الأب الأكبر قيل في أصحاب الرس كانوا قوماً من عبدة الأصنام أصحاب آبار ومواش فبعث الله إليهم شعيباً عليه الصلاة والسلام فدعاهم إلى الإسلام فتمادوا في طغيانهم وفي إيذائه فبينما هم حول الرس وهو البئر غير المطوية عن أبي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم • وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية قوم صالح • وقيل هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي أعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم إن أعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوا حنظلة فأهلكوا • وقيل هم أصحاب الأخدود والرس هو الأخدود • وقيل الرس بأنطاكية قتلوا فيها حبيباً النجار • وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بئر أي دسوه فيها • بين ذلك أي بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك ويحسب الحاسب أعداداً متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب والمعدود • **وكلاً ضربنا له الأمثال وكلاً تبرنا تتبيراً** • **ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشوراً** • ضربنا له الأمثال بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين ووصفنا لهم ما أجروا إليه من تكذيب

الانبياء فجرى عليهم من عذاب الله وتدميره • والتتبير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب
والفضة والزجاج وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا وحذرنا والثاني بتبرنا لانه
فارغ له • اراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا اهلك الله اربعا باهلها وبقيت واحدة • ومطر
السوء الحجارة يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكت بالحجارة من السماء
• افلم يكونوا في مرار مرورهم ينظرون الى اثار عذاب الله تعالى ونكاله ويذكرون • بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون
نشورا وعاقبة فوضع الرجاء موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها
كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول الى ثواب اعمالهم او لا يخافون على اللغة
التهامية • واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا • ان كاد ليضلنا عن الهتنا
لولا ان صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا • ان الاولى نافية والثانية مخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما • ويتخذونك في معنى يستهزئون بك لان الاصل اتخذه موضع هزء او ذا هزء وابه
اهذا محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار وبعث الله رسولا واخراجه في معرض التسليم والاقرار وهم على غاية
الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزئوا لقالوا اهذا الذي زعم او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا
• وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة
في استعطافهم مع عرض الايات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم
واستمساكهم بعبادة الهتهم • ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق
• وسوف يعلمون وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال ولا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التأخير
• وقوله تعالى من اضل سبيلا كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال من حيث
لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه • ويروى انه من قول ابي جهل لعنه الله • ارايت من اتخذ الهه هواه افانت
تكون عليه وكيلا • ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا • من كان
في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغي الى برهان فهو عابد هواه وجاعله الهه
فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى • افتتوكل عليه وتجبره على الاسلام
وتقول لا بد ان تسلم شئت او ابيت ولا اكراه في الدين وهذا كقوله عز وجل وما انت عليهم بجبار لست عليهم بمسيطر • ويروى
ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا راى احسن منه رمى به واخذ اخر ومنهم الحارث بن قيس السهمي • ام هذه منقطعة معناه
بل تحسب كأن هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم
لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلال ثم ارجح ضلالة
منها • فان قلت لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها • قلت ما هو الا تقديم المفعول الثاني على الاول
للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق • فان قلت ما معنى ذكر الاكثر • قلت كان
فيهم من لم يصد عن الاسلام الا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا • فان قلت كيف جعلوا اضل
من الانعام • قلت لان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب
ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة
الشيطان الذي هو عدو لهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا
يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي • الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا
ثم جعلنا الشمس عليه دليلا • ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا • الم تر الى ربك الم تنظر الى صنع ربك وقدرته ومعنى
مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس • ولو شاء لجعله ساكنا اي لاصقا باصل كل مظل من جبل وبناء
وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به احد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا • ومعنى كون الشمس

دليلا ان

دليلا ان الناس يستدلون بالشمس وباحوالها في مسيرها على احوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزائلا ومتسعا
ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك • وقبضه الينا انه ينسخه بضح الشمس يسيرا
اي على مهل وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت
اكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا • فان قلت ثم في هذين الموضعين كيف موقعها • قلت موقعها
لبيان تفاضل الامور الثلاثة كأن الثاني اعظم من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينها في الفضل
بتباعد ما بين الحوادث في الوقت • ووجه اخر وهو انه مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض
تحتها فالقت القبة ظلها على الارض فيناء لما في اديمها جوب لعدم النير • ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك
الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطرق
فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير • ويحتمل ان يريد قبضه
عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاءه
بانشاء اسبابه • وقوله تعالى قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال تعالى ذلك حشر علينا يسير • وهو
الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا • شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر
والسبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وهذا كقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل • فان قلت هلا
فسره بالراحة • قلت النشور في مقابلته يأباه اباء العيوف وهو نحوي • وهذه الاية مع دلالتها على قدرة الخالق
فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنيوية • والنوم
واليقظة وتشبيههما بالموت والحياة اي عبرة لمن اعتبر • وعن لقمان انه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت
فتنشر • وهو الذي ارسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا • لنحيي به بلدة ميتا
ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا • وقرئ الريح والرياح نشرا احياء ونشرا جمع نشور وهي المحيية • ونشرا
تخفيف نشر وبشرا تخفيف بشر جمع بشور وبشرى • وبين يدي رحمته استعارة مليحة اي قدام المطر طهورا
بليغا في طهارته • وعن احمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فان كان ما قاله شرحا لبلاغته في
الطهارة كان سديدا ويعضده قوله عز وجل وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل في
شيء • والطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة • فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم
قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا
حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة الا بطهور اي بطهارة • فان قلت ما الذي يزيل
عن الماء اسم الطهور • قلت تيقن مخالطة النجاسة او غلبتها على الظن تغير احد اوصافه الثلاثة او لم يتغير او
استعماله في البدن لاداء عبادة عند ابي حنيفة • وعند مالك بن انس رحمه الله ما لم يتغير احد اوصافه فهو طهور
• فان قلت فما تقول في قوله عليه الصلاة والسلام حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شيء
الا ما غير لونه او طعمه او ريحه • قلت قال الواقدي كان بئر بضاعة طريقا للماء الى البساتين • وانما قال ميتا لان
البلدة في معنى البلد في قوله تعالى فسقناه الى بلد ميت وانه غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل • وقرئ نسقيه
بالفتح وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا • الاناسي جمع انسي او انسان ونحوه ظرابي في ظربان على قلب
النون ياء والاصل اناسين وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كقولك اناعم في اناعيم • فان قلت انزال
الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقي يؤذن بان الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملني الامير على فرس
جواد لاصيد عليه الوحش • قلت لما كان سقي الاناسي من جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة
عليهم وبيانا ان من حقهم حين اراد الله لهم الطهارة وارادهم عليها ان يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وان يربأوا
بانفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم • فان قلت لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان

الشارب قلت لأن الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الأنعام ولأنها قنية الأناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكأن الإنعام عليهم بسقي أنعامهم كالإنعام بسقيهم فإن قلت فما معنى تنكير الأنعام والأناسي ووصفها بالكثرة قلت معنى ذلك أن علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الأودية والأنهار ومنابع الماء ففيهم غنية عن سقي السماء وأعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم إلا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء فإن قلت لم قدم إحياء الأرض وسقي الأنعام على سقي الأناسي قلت لأن حياة الأناسي بحياة أرضهم وحياة أنعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولأنهم إذا ظفروا بما يكون سقيا أرضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم • ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا • يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي أنزلت على الرسل وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر ليفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فأبى أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها • وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام • فأبوا إلا الكفور وأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية • وروي أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لأنه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد • وينتزع من هاهنا جواب في تنكير البلدة والأنعام والأناسي كأنه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الأنعام والأناسي وذلك البعض كثير • فإن قلت هل يكفر من ينسب الأمطار إلى الأنواء قلت إن كان لا يراها إلا من الأنواء ويجحد أن تكون هي والأنواء من خلق الله فهو كافر وإن كان يرى أن الله خالقها وقد نصب الأنواء دلائل وأمارات عليها لم يكفر • ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا • يعني ولو شئنا لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها وإنما قصرنا الأمر عليك وعظمناك وأجللناك وفضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر • فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وإنما أراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم • والضمير للقرآن أو لترك الطاعة الذي يدل عليه فلا تطع والمراد أن الكفار يجدون ويجتهدون في توهين أمرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام • ويجوز أن يرجع الضمير في به إلى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لأنه لو بعث في كل قرية نذير لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة • سمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين • والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة • والأجاج نقيضه • ومرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره • وفي كلام بعضهم وبحران أحدهما مع الآخر ممروج وماء العذب منهما بالأجاج ممزوج • وبرزخا حائلا من قدرته كقوله تعالى بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته • وقرئ ملح على فعل وقيل كأنه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا بردا يريد باردا • فإن قلت وحجرا محجورا ما معناه قلت هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي هاهنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين

يتعوذ من

يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان أي لا يبغي أحدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي
ثم كالتعوذ هاهنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من أحسن الاستعارات
وأشهدها على البلاغة • أراد تقسيم البشر قسمين ذوي نسب أي ذكورا ينسب إليهم فيقال فلان بن فلان
وفلانة بنت فلان • وذوات صهر أي إناثا يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى
وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وأنثى • الظهير والمظاهر كالعوين
والمعاون • وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى أن الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة
والشرك • روي أنها نزلت في أبي جهل • ويجوز أن يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير
كما جاء الصديق والخليط • ويريد بالكافر الجنس وأن بعضهم مظاهر لبعض على إطفاء نور دين الله • وقيل
معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت
به إذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت إليه وهذا نحو قوله أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر
إليهم • وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا • قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا
مثال إلا من شاء والمراد إلا فعل من شاء واستثناؤه عن الأجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل
مال ما أطلب منك ثوابا على ما سعيت إلا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس
الثواب ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه فأفاد فائدتين إحداهما قلع شبهة الطمع في الثواب من أصله
كأنه يقول لك إن كان حفظك لمالك ثوابا فإني أطلب الثواب • والثانية إظهار الشفقة البالغة وأنك إن
حفظت مالك اعتد بحفظك ثوابا ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمري إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان مع المبعوث إليهم بهذا الصدد وفوقه • ومعنى اتخاذهم إلى الله سبيلا تقربهم إليه وطلبهم عنده الزلفى
بالإيمان والطاعة • وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل الله • وتوكل على الحي الذي لا يموت
وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا • أمره بأن يثق به ويسند أمره إليه في استكفاء شرورهم مع
التمسك بقاعدة التوكل وأساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه أن الحي الذي لا يموت
حقيق بأن يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الأحياء الذين يموتون • عن بعض السلف أنه قرأها فقال لا يصح لذي
عقل أن يثق بعدها بمخلوق • ثم أراه أن ليس إليه من أمر عباده شيء آمنوا أم كفروا وأنه خبير بأحوالهم كاف في جزاء أعمالهم
الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا • في ستة
أيام يعني في مدة مقدارها هذه المدة لأنه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل • وقيل ستة أيام من أيام الآخرة وكل يوم ألف
سنة • والظاهر أنها من أيام الدنيا • وعن مجاهد أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة ووجهه أن يسمي الله لها
لملائكته تلك الأيام المقدرة بهذه الأسماء فلما خلق الشمس وأدارها وترتب أمر العالم على ما هو عليه جرت التسمية
على هذه الأيام • وأما الداعي إلى هذا العدد أعني الستة دون سائر الأعداد فلا نشك أنه داعي حكمة لعلمنا أنه لا
يقدر تقديرا إلا بداعي حكمة وإن كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي إلى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم أصحاب
النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثني عشر والسماوات سبعا والأرض كذلك والصلوات خمسا وأعداد
النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والإقرار بدواعي الحكمة في جميع أفعاله وبأن ما قدره حق وصواب هو الإيمان
وقد نص عليه في قوله عز وعلا وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن
الذين أوتوا الكتاب وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ثم قال وما
يعلم جنود ربك إلا هو وهو الجواب أيضا في أن لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك • وعن سعيد بن جبير رضي الله
عنه إنما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت • وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة
فجعله الله عيدا للمسلمين • الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره أو صفة للحي والرحمن خبر مبتدأ محذوف أو بدل عن المستتر

في استوى • وقرئ الرحمن بالجر صفة للحي • وقرئ فسل والباء في به صلة سل كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته في نحو قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسأل به كقوله اهتم به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه او صلة خبيرا او يجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته او فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به اسدا اي برؤيته والمعنى ان سألته وجدته خبيرا او تجعله حالا عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شيء • وقيل الرحمن اسم من اسماء الله تعالى مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة • وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا • وما الرحمن يجوز ان يكون سؤالا عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما • ويجوز ان يكون سؤالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم او لانهم انكروا اطلاقه على الله تعالى لما تأمرنا اي للذي تأمرناه بمعنى تأمرنا سجوده على قوله امرتك الخير او لامرك لنا وقرئ يأمرنا بالياء كأن بعضهم قال لبعض انسجد لما يأمرنا محمد او يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو • وفي زادهم ضمير اسجدوا للرحمن لانه هو المقول • تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا • البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها • واشتقاق البرج من التبرج لظهوره • والسراج الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا • وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار معها • وقرأ الحسن والاعمش وقمرا منيرا وهي جمع ليلة قمراء كأنه قال وذا قمر منيرا لان الليالي تكون قمرا بالقمر فأضافه اليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان • بردى يصفق بالرحيق السلسل • يريد ماء بردى ولا يبعد ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب • وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا • الخلفة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله تعالى واختلاف الليل والنهار • ويقال بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه • وقرئ يذكر ويذكر • وعن ابي بن كعب يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم ان لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته في احدهما ورده من العبادة قام به في الآخر • وعن الحسن رحمه الله من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب • وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما • وعباد الرحمن مبتدأ خبره في آخر السورة كأنه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم اولئك يجزون الغرفة • ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون واضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا • وقرئ وعباد الرحمن • وقرئ يمشون هونا حال او صفة للمشي بمعنى هينين او مشيا هينا الا ان في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة • والهون الرفق واللين ومنه الحديث احبب حبيبك هونا ما • وقوله صلى الله عليه وسلم المؤمنون هينون لينون • والمثل اذا عز اخوك فهن • ومعناه اذا عاسر فياسر • والمعنى انهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق • سلاما تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر اي نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسلم • وقيل قالوا سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم • والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قوله • الا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا • وعن ابي العالية نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروءة والشريعة واسلم للعرض والورع • والذين

يبيتون لربهم سجدا وقياما • البيتوتة خلاف الظلول وهو ان يدركك الليل نمت او لم تنم • وقالوا من قرأ شيئا من القرآن في صلوة وان قل فقد بات ساجدا وقائما • وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء • والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل او اكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما • والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما • انها ساءت مستقرا ومقاما • غراما هلاكا وخسرانا ملحا لازما قال • ويوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما • وقال • ان يعاقب يكن غراما • وان يعط جزيلا فانه لا يبالي • ومنه الغريم لالحاحه ولزومه • وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله تعالى في صرف العذاب عنهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة • ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها • ويجوز ان تكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان • ومستقرا حال او تمييز والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم • والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما • قرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء وتشديدها • والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد في النفقة ووصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط • وقيل الاسراف انما هو الانفاق في المعاصي فاما في القرب فلا اسراف • وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير • وعن عمر بن عبد العزيز انه شكر عبد الملك بن عمر حين زوجه ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته واحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه الآية فقال لابنه يا بني اهذا ايضا مما اعده • وقيل اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر • وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهي رجل شيئا الا اشتراه فاكله • والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما • ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء • وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال انت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص • والمنصوبان اعني بين ذلك قواما جائز ان يكونا خبرين معا وان يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة • واجاز الفراء ان يكون بين ذلك اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن كقوله • لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت • وهو من جهة الاعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة • والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما • ونفى هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين للتعريض بما كان عليه اعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما انتم عليه • والقتل بغير حق يدخل فيه الوأد وغيره • وعن ابن مسعود رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يأكل معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقه • وقرئ يلق فيه اثاما • والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما قال • جزى الله ابن عروة حيث امسى • عقوقا والعقوق له اثام • وقيل هو الاثم ومعناه يلق جزاء اثام • وقرأ ابن مسعود اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام لليوم الصعب • يضاعف له العذاب ويخلد فيه مهانا • الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما • يضاعف بدل من يلق لانهما في معنى واحد كقوله • متى تأتنا تلمم بنا

في دنيا ربنا نجد حطبا جزلا ونارا تأججا • وقرئ يضعف له ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب
وقرئ بالرفع على الاستئناف او على الحال وكذلك يخلد • وقرئ ويخلد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا
من الاخلاد والتخليد • وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات • يبدل مخفف ومثقل وكذلك سيئاتهم
فان قلت ما معنى مضاعفة العذاب وابدال السيئات حسنات قلت اذا ارتكب المشرك معاصي
مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه • وابدال السيئات حسنات
انه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى • وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين
قتل المشركين وبالزنى عفة واحصانا • ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا • يريد ومن يترك
المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا
للثواب ومفاده تائب متابا الى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين ويحب
المتطهرين وفي كلام بعض العرب الله افرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن الوارد والعقيم الوالد • او فانه
يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا واي مرجع • والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا
كراما • يحتمل انهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة
الشر واهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهد الباطل شركة فيه ولذلك قيل في النظارة الى كل ما لم
تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة
فيه لان الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه • وفي مواعظ عيسى بن مريم
عليهما الصلوة والسلام اياكم ومجالسة الخطائين • ويحتمل انهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه • وعن قتادة مجالس الباطل • وعن ابن الحنفية رضي الله عنه اللهو والغناء
وعن مجاهد اعياد المشركين • اللغو كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به
مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله عز وجل واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه
وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين • وعن الحسن لم تسفههم المعاصي • وقيل اذا سمعوا
من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا • وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه • والذين اذا ذكروا بآيات ربهم
لم يخروا عليها صما وعميانا • لا يخرون ليس بنفي للخرور وانما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا
يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا
على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون باذان واعية مبصرون باعين راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم
مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها
ولا يتبصرون ما فيها كالمنافقين واشباههم • والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا
قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما • قرئ ذريتنا وذرياتنا • وقرة اعين وقرات اعين سألوا ربهم
ان يرزقهم ازواجا واعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم • وعن محمد بن كعب ليس شيء اقر لعين
المؤمن من ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله تعالى • وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الولد اذا رآه يكتب الفقه
وقيل سألوا ان يلحق الله بهم ازواجهم وذريتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم • اراد ائمة فاكتفى بالواحد لدلالته
على الجنس ولعدم اللبس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا او اراد واجعل كل واحد منا اماما او اراد جمع آم كصائم وصيام
او اراد واجعلنا اماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا • وعن بعضهم في الآية ما يدل على ان الرياسة في الدين
يجب ان تطلب ويرغب فيها • وقيل نزلت هذه الآيات في العشرة المبشرين بالجنة فان قلت من في قوله من
ازواجنا ما هي قلت يحتمل ان تكون بيانية كأنه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من
ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله لهم قرة اعين وهو من قولهم رأيت منك اسدا اي انت اسد وان تكون

ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح فان قلت لم قال قرة اعين
فنكر وقلل قلت اما التنكير فلاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كانه قال
هب لنا منهم سرورا وفرحا • وانما قيل اعين دون عيون لانه اراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى
عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور • ويجوز ان يقال في تنكير اعين انها اعين خاصة وهي اعين
المتقين • اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا
ومقاما • اي يجزون بالغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم
في الغرفات آمنون وقراءة من قرأ في الغرفة بما صبروا بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم
وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه لاجل الشياع في كل مصبور عليه • وقرئ يلقون كقوله ولقاهم نضرة • ويلقى كقوله
ويلق اثاما • التحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعني ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم او
يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة • اللهم وفقنا لطاعتك
واجعلنا من اهل رحمتك وارزقنا مما ترزقهم في دار رضوانك • قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد
كذبتم فسوف يكون لزاما • لما وصف عباده العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم واثنى عليهم من اجلها
ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة اتبع ذلك بيان انه انما اكترث لاولئك وعبأ بهم واعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم
لاجل عبادتهم فامر رسوله ان يصرح للناس ويجزم لهم القول بان الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعبادة وحدها
لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالى به • والدعاء العبادة
وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كانه قيل واي عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم
يعني انكم لا تستاهلون شيئا من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون عبأ
علي كما تقول ما اكترثت له اي ما اعتددت به من كوارثي ومما يهمني • وقال الزجاج في تأويل ما يعبأ بكم ربي اي
وزن يكون لكم عنده • ويجوز ان تكون ما نافية • فقد كذبتم يقول اذا اعلمتكم ان حكمي اني لا اعتد بعبادي
الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام
ان يقول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتي ان احسن الى من يطيعني ويتبع امري فقد عصيت فسوف
ترى ما احل بك بسبب عصيانك • وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام • وقيل
ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة فان قلت الى من يتوجه هذا الخطاب قلت الى الناس
على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب
وقرئ فقد كذب الكافرون • وقيل يكون العذاب لزاما • وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين
القتلى لزاما • وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت • والوجه ان ترك اسم كان غير منطوق
به بعدما علم انه مما توعد به لاجل الابهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف • والله اعلم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله يوم القيمة وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير حساب

سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى آخر السورة وهي مائتان وسبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين • طسم بتفخيم الالف وامالتها
واظهار النون وادغامها • الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة او القرآن
والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين • لعلك باخع نفسك الا يكونوا
مؤمنين • البخع ان يبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذابح • ولعل
للاشفاق يعني اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك • ان لا يكونوا مؤمنين

لئلا يؤمنوا أو لامتناع إيمانهم وحقيقته أن لا يؤمنوا • وعن قتادة باخع نفسك على الإضافة إن
نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين • وما يأتيهم من ذكر من الرحمن
محدث إلا كانوا عنه معرضين • فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون • أراد آية
ملجئة إلى الإيمان قاسرة عليه • فظلت معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لأنه لو قيل أنزلنا لكان صحيحا
ونظيره فأصدق وأكن كأنه قيل أصدق • وقد قرئ لو شئنا لأنزلنا • وقرئ فتظل أعناقهم فإن قلت
كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الأعناق قلت أصل الكلام فظلوا لها خاضعين فأقحمت الأعناق
لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله كقوله ذهبت أهل اليمامة كأن الأهل غير مذكور أو لما وصفت
بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله تعالى لي ساجدين • وقيل أعناق الناس رؤساؤهم
ومقدموهم كما قيل لهم هم الرؤوس والنواصي والصدور • قال في محفل من نواصي الناس مشهود • وقيل
جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم • وقرئ فظلت أعناقهم لها خاضعة • وعن ابن عباس
رضي الله عنهما نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد
صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة • وما يأتيهم أي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا إلا جددوا
إعراضا عنه وكفرا به فإن قلت كيف خولف بين الألفاظ والغرض واحد وهو الإعراض والتكذيب
والاستهزاء قلت إنما خولف بينها لاختلاف الأغراض كأنه قيل حين أعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به
وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لأن من كان قابلا للحق مقبلا عليه
كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له • فسيأتيهم وعيد لهم
وإنذار بأنهم سيعلمون إذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة ما الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو
القرآن وسيأتيهم أنباؤه وأحواله التي كانت خافية عليهم أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج
كريم • إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين • وإن ربك لهو العزيز الرحيم • وصف الزوج وهو
الصنف من النبات بالكرم • والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم إذا رضي في حسنه وجماله
وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده • وقال حتى يشق الصفوف من كرمه أي من كونه مرضيا في شجاعته
وبأسه • والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع • إن في إنبات تلك الأصناف لآية على أن منبتها
قادر على إحياء الموتى وقد علم الله أن أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو إيمانهم • وإن ربك لهو العزيز
في انتقامه من الكفرة • الرحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحا فإن قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم
أنبتنا فيها من زوج كريم قلت قد دل كل على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم على
أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته فإن قلت فما معنى
وصف الزوج بالكريم قلت يحتمل معنيين أحدهما أن النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما أنبت
في الأرض من جميع أصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار • والثاني أن يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما
جميعا بالكرم وينبه على أنه ما أنبت شيئا إلا وفيه فائدة لأن الحكيم لا يفعل فعلا إلا لغرض صحيح ولحكمة
بالغة وإن غفل عنها الغافلون فإن قلت فحين ذكر الأزواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والإحاطة
وكانت بحيث لا يحصيها إلا عالم الغيب كيف قال إن في ذلك لآية وهلا قال لآيات قلت فيه وجهان
أن يكون ذلك مشارا به إلى مصدر أنبتنا فكأنه قال إن في الإنبات لآية أي آية وأن يراد أن في كل واحد
من تلك الأزواج لآية وقد سبقت هذا الوجه نظائر وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين
قوم فرعون ألا يتقون • سجل عليهم بالظلم بأن قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كأن
معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد إن شاء ذاكرهم عبر

بقوم فرعون

بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم أنفسهم بالكفر وشرارتهم ومن جهة
ظلمهم لبني إسرائيل باستعبادهم لهم • وقرئ ألا يتقون بكسر النون بمعنى ألا يتقونني فحذفت النون
لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة فإن قلت بم تعلق قوله ألا يتقون قلت هو كلام مستأنف
أتبعه عز وجل إرساله إليهم للإنذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه الصلاة والسلام من حالهم
التي شنعت في الظلم والعسف ومن أمنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من أيام الله • ويحتمل أن يكون لا
يتقون حالا من الضمير في الظالمين أي يظلمون غير متقين الله وعقابه فأدخلت همزة الإنكار على الحال وأما
من قرأ ألا تتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات إليهم وجبههم وضرب وجوههم بالإنكار والغضب
عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية إلى بعض أخصائه والجاني حاضر فإذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه
وحمي غضبه قطع مباثة صاحبه وأقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له ألم تتق الله ألا تستحي
من الناس فإن قلت فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه الصلاة والسلام في وقت
المناجاة والملتفت إليهم غيب لا يشعرون قلت إجراء ذلك في تكليم المرسل إليهم في معنى إجرائه
بحضرتهم وإلقائه إلى مسامعهم لأنه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث
على زيادة التقوى وكم من آية نزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا
بموردها • وفي ألا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو أن يكون المعنى ألا يا ناس اتقون كقوله تعالى
ألا يسجدوا قال رب إني أخاف أن يكذبون • ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون
ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون • ويضيق وينطلق بالرفع لأنهما معطوفان على خبر أن وبالنصب
لعطفهما على صلة أن والفرق بينهما في المعنى أن الرفع يفيد أن فيه ثلاث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع
انطلاق اللسان والنصب على أن خوفه متعلق بهذه الثلاث فإن قلت في النصب تعليق الخوف بالأمور
الثلاثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف إنما هي غم يلحق الإنسان لأمر سيقع وذلك كان
واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به قلت قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر
والحبسة في اللسان زائدة على ما كان به على أن تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته • وقيل بقيت منها
بقية يسيرة فإن قلت اعتذارك هذا يرده الرفع لأن المعنى إني خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان
قلت يجوز أن يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز أن يريد القدر اليسير الذي بقي به ويجوز أن لا يكون مع حل
العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين أوتوا سلاطة الألسنة وبسطة المقال وهارون كان بتلك
الصفة فأراد أن يقرن به ويدل عليه قوله عز وجل وأخي هارون هو أفصح مني لسانا • ومعنى فأرسل إلى
هارون أرسل إليه جبريل واجعله نبيا وآزرني به واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر وقد بسطه في
غير هذا الموضع وقد أحسن في الاختصار حيث قال فأرسل إلى هارون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله في
تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر
على ذكر طرفي القصة أولها وآخرها وهما الإنذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها
وهو أنهم قوم كذبوا بآيات الله فأراد الله إلزام الحجة عليهم فبعث إليهم رسولين فكذبوهما فأهلكهم فإن قلت
كيف ساغ لموسى عليه الصلاة والسلام أن يأمره الله تعالى بأمر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد
علم أن الله من ورائه قلت قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه أن يعضده بأخيه حتى يتعاونا على تنفيذ
أمره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس المعين على
تنفيذ الأمر ليس بتوقف في امتثال الأمر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل أراد بالذنب
قتله القبطي وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل فأخاف أن

يقتلوني بسبب ذنب فحذف المضاف أو سمي تبعة الذنب ذنبا كما سمي جزاء السيئة سيئة. فإن قلت قد أبيت
أن تكون تلك الثلاث عللا وجعلتها تمهيد العذر فيما التمسه فما قولك في هذه الرابعة. قلت هذه استدفاع
للبلية المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع
والموعد بالكلاءة والدفع. قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون. جمع الله له الاستجابتين معا في قوله
تعالى كلا فاذهبا لأنه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة بأخيه فأجابه
بقوله تعالى اذهبا أي اذهب أنت والذي طلبته وهو هارون. فإن قلت علام عطف قوله فاذهبا. قلت
على الفعل الذي يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت وهارون. وقوله تعالى معكم مستمعون
من مجاز الكلام يريد أنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه إذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فأظهركما وأغلبكما
وأكسر شوكته عنكما وأنكسه. ويجوز أن يكونا خبرين لأن أو يكون مستمعون مستقرا ومعكم لغوا. فإن قلت
لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بأنه سامع وسميع. قلت
ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لأن الاستماع جار مجرى الإصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية
ومنه قوله تعالى قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ويقال استمع إلى حديثه أي أصغى
إليه وأدرك بحاسة السمع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه البرم.
فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين. فإن قلت هلا ثنى الرسول كما ثني في قوله تعالى إنا رسولا ربك.
قلت الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعل ثمة بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل ههنا
بمعنى الرسالة فجاز التسوية فيه إذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو صوم
وزور. قال ألكني إليها وخير الرسول أعلمهم بنواحي الخبر فجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة
قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول. ويجوز أن يوحد لأن حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة
واحدة واتحادهما لذلك وللأخوة كان حكما واحدا فكأنهما رسول واحد أو أريد أن كل واحد منا. أن أرسل معنا
بني إسرائيل أن أرسل بمعنى أي أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال وتقول أرسلت إليك أن افعل كذا لما في الإرسال
من معنى القول كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك. ومعنى هذا الإرسال التخلية والإطلاق كقولك أرسل البازي يريد
خلهم يذهبوا معنا إلى فلسطين وكانت مسكنهما. ويروى أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب
إن ههنا إنسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأديا إليه الرسالة فعرف موسى عليه
الصلاة والسلام فقال له ألم نربك فينا وليدا فحذف فأتيا فرعون فقالا له ذلك لأنه معلوم لا يشتبه وهذا النوع
من الاختصار كثير في التنزيل. قال ألم نربك فينا وليدا وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين.
الوليد الصبي لقرب عهده من الولادة وفي رواية عن أبي عمرو من عمرك بسكون الميم سنين قيل مكث عندهم ثلاثين
سنة. وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على أثرها والله أعلم بصحيح ذلك. وعن الشعبي فعلتك
بالكسر وهي قتلة القبطي لأنه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل. وأما الفعلة فلأنها كانت وكزة واحدة عدد عليه
نعمه من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت
فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين يجوز أن يكون حالا أي قتلته وأنت لذاك من الكافرين لنعمتي أو وأنت إذ ذاك
ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه أو جهل أمره لأنه كان يعايشهم بالتقية فإن الله عز وجل عاصم من يريد أن
يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر. ويجوز أن يكون قوله وأنت من الكافرين حكما عليه بأنه من الكافرين
بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه أو بأنه من الكافرين لفرعون وإلهيته أو من الذين
كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله عز وجل ويذرك وآلهتك وقرئ وإلاهتك.
قال فعلتها إذا وأنا من الضالين. ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين. فلما

موسى عليه الصلاة والسلام بأن تلك الفعلة إنما فرطت منه وهو من الضالين أي الجاهلين. وقرأ ابن مسعود
رضي الله عنه من الجاهلين تفسيره. والمعنى من الفاعلين فعل أولي الجهل والسفه كما قال يوسف عليه الصلاة
والسلام لإخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون. أو المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد
للقتل أو الذاهبين عن الصواب أو الناسين من قوله تعالى أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى وكذب فرعون
ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بأن وضع الضالين موضع الكافرين ربأ بمحل من رشح للنبوة عن تلك
الصفة. وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل. كر على امتنانه عليه بالتربية فأبطله من أصله
واستأصله من سنخه وأبى أن يسمي نعمته إلا نقمة حيث بين أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد بني إسرائيل
لأن تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكأنه امتن عليه بتعبيد قومه
إذا حققت. وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل وأعبدته إذا اتخذته عبدا. قال
علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم أباعر ما شاءوا وعبدان. فإن قلت إذ جوابا وجزاء معا
والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء. قلت قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى إنك جازيت
نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لأن نعمته كانت عنده جديرة
بأن تجازى بنحو ذلك الجزاء. فإن قلت لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع إفراده في تمنها وعبدت.
قلت الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله إن
الملأ يأتمرون بك ليقتلوك. وأما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد. فإن قلت تلك
إشارة إلى ماذا وأن عبدت ما محلها من الإعراب. قلت تلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة
لا يدرى ما هي إلا بتفسيرها ومحل أن عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا
إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع. والمعنى تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها علي. وقال الزجاج
ويجوز أن تكون أن في موضع نصب المعنى إنما صارت نعمة علي لأن عبدت بني إسرائيل أي لو لم تفعل
ذلك لكفلني أهلي ولم يلقوني في اليم. قال فرعون وما رب العالمين. قال رب السموات والأرض
وما بينهما إن كنتم موقنين. لما قال له بوابه إن ههنا من يزعم أنه رسول رب العالمين قال له عند
دخوله وما رب العالمين يريد أي شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو إما أن يريد به أي شيء هو من الأشياء
التي شوهدت وعرفت أجناسها فأجاب بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة ليعرفه أنه تعالى ليس بشيء
مما شوهد وعرف من الأجرام والأعراض وأنه تعالى شيء مخالف لجميع الأشياء ليس كمثله شيء وإما أن يريد به أي
شيء هو على الإطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي فأجابه بأن الذي إليه سبيل وهو الكافي في معرفته
معرفة ثباته بصفاته استدلالا بأفعاله الخاصة على ذلك وأما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي
فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل إليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل
عليه الكلام أن يكون سؤاله هذا إنكارا لأن يكون للعالمين رب سواه لادعائه الإلهية. قال لمن حوله ألا
تستمعون. قال ربكم ورب آبائكم الأولين. قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون. فلما أجاب
موسى بما أجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية إلى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه إلى قومه وطنز
به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير آخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت إلها غيري وهذا يدل على
صحة هذا الوجه الأخير. فإن قلت كيف قيل وما بينهما على التثنية والمرجوع إليه مجموع. قلت
أريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال في الهيجا جمالين. فإن قلت ما معنى
قوله إن كنتم موقنين وإن لم يوقن فرعون وملؤه. قلت معناه إن كان يرجى منكم الإيقان الذي يؤدي
إليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب وإلا لم ينفع. أو إن كنتم موقنين بشيء قط فهذا أولى ما توقنون به

ولظهوره وإنارة دليله. فإن قلت: ومن كان حوله؟ قلت: أشراف قومه، قيل: كانوا خمسمائة
رجل عليهم الأساور، وكانت للملوك خاصة. فإن قلت: ذكر السموات والأرض وما بينهما قد استوعب
به الخلائق كلهم، فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك، وذكر المشرق والمغرب؟ قلت: قد عمم أولاً وخصص
من العام للبيان أنفسهم وآباءهم؛ لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه، وما شاهد وعاين
من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة إلى هيئة وحال إلى حال من وقت ميلاده إلى وقت وفاته. قال رب
المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون. قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين.
ثم خصص المشرق والمغرب؛ لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول
السنة وحساب مستو من أظهر ما استدل به، ولظهوره انتقل إلى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالإحياء
والإماتة على نمرود بن كنعان فبهت الذي كفر. وقرئ: رب المشارق والمغارب. الذي أرسل إليكم، بفتح الهمزة. فإن قلت:
كيف قال أولاً إن كنتم موقنين، وآخراً إن كنتم تعقلون؟ قلت: لاين أولاً، فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد
وقلة الإصغاء إلى عرض الحجج خاشن وعارض إن رسولكم لمجنون بقوله إن كنتم تعقلون. فإن قلت: ألم يكن لأجعلنك
مسجوناً أخصر من لأجعلنك من المسجونين ومؤدياً مؤداه؟ قلت: أما أخصر فنعم، وأما مؤد مؤداه فلا؛ لأن معناه
لأجعلنك واحداً ممن عرفت حالهم في سجوني، وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة
في الأرض بعيدة العمق فرداً لا يبصر فيها ولا يسمع، فكان ذلك أشد من القتل وأشد. قال أولو جئتك بشيء مبين
قال فأت به إن كنت من الصادقين. فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين. ونزع يده فإذا هي بيضاء
للناظرين. الواو في قوله أولو جئتك بشيء مبين واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام، معناه أتفعل بي ذلك
ولو جئتك بشيء مبين، أي جائياً بالمعجزة. وفي قوله تعالى إن كنت من الصادقين أن لا يأتي بالمعجزة إلا الصادق في دعواه
لأن المعجزة تصديق من الله تعالى لمدعي النبوة، والحكيم لا يصدق الكاذب. ومن العجب أن مثل فرعون لم يخف عليه هذا
وخفي على ناس من أهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات، وتقديره
إن كنت من الصادقين في دعواك أتيت به، فحذف الجزاء؛ لأن الأمر بالإتيان به يدل عليه. ثعبان مبين ظاهر
الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الأشياء المزورة بالشعوذة والسحر. وروي أنها انقلبت حية ارتفعت
في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة إلى فرعون وجعلت تقول: يا موسى مرني بما شئت، ويقول فرعون: أسألك بالذي
أرسلك إلا أخذتها، فأخذها فعادت عصا. للناظرين دليل على أن بياضها كان شيئاً يجتمع النظارة على النظر إليه
لخروجه عن العادة، وكان بياضاً نورانياً. روي أن فرعون لما أبصر الآية الأولى قال: فهل غيرها؟ فأخرج يده فقال
له: ما هذه؟ قال: يدك، فما فيها؟ فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد الأفق. قال
للملإ حوله إن هذا لساحر عليم. فإن قلت: ما العامل في حوله؟ قلت: هو منصوب نصبين: نصب في اللفظ ونصب في
المحل، فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف، والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال قال. ولقد تحير فرعون
لما أبصر الآيتين وبقي لا يدري أي طرفيه أطول حتى زل عنه ذكر دعوى الإلهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت
فرائصه وانتفخ سحره خوفاً وفرقاً، وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو إلههم أن طفق يؤامرهم ويعترف
لهم بما حذره منه وتوقعه وأحس به من جهة موسى وغلبته على ملكه وأرضه. وقوله إن هذا لساحر عليم قول باهت
إذا غلب ومتمحل إذا لزم. يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون. تأمرون من المؤامرة وهي المشاورة
أو من الأمر الذي هو ضد النهي، جعل العبيد آمرين وربهم مأموراً لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة. وماذا منصوب
إما لكونه في معنى المصدر وإما لأنه مفعول به من قوله أمرتك الخير. قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين
يأتوك بكل سحار عليم. قرئ أرجئه وأرجه بالهمز والتخفيف، وهما لغتان، يقال: أرجأته وأرجيته إذا أخرته،
ومنه المرجئة، وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون لأمر الله. والمعنى: أخره ومناظرته لوقت

لاجتماع

لاجتماع السحرة. وقيل: احبسه. حاشرين: شرطاً يحشرون السحرة. وعارضوا قوله إن هذا لساحر بقولهم بكل سحار، فجاؤوا
بكلمة الإحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه. وقرأ الأعمش: بكل ساحر. فجمع السحرة لميقات
يوم معلوم: اليوم المعلوم يوم الزينة، وميقاته وقت الضحى؛ لأنه الوقت الذي وقته موسى عليه السلام لهم من يوم
الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى. والميقات ما وقت به، أي حدد من زمان أو مكان، ومنه
مواقيت الإحرام. وقيل للناس هل أنتم مجتمعون. لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين. هل أنتم مجتمعون
استبطاء لهم في الاجتماع، والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم، كما يقول الرجل لغلامه: هل أنت منطلق، إذا أراد أن يحرك
منه ويحثه على الانطلاق، كأنما يخيل له أن الناس قد انطلقوا وهو واقف، ومنه قول تأبط شراً: هل أنت باعث دينار
لحاجتنا أو عبد رب أخا عون بن مخراق، يريد: ابعث إلينا سريعاً ولا تبطئ به. لعلنا نتبع السحرة، أي في دينهم إن
غلبوا موسى، ولا نتبع موسى في دينه، وليس غرضهم باتباع السحرة، وإنما الغرض الكلي أن لا يتبعوا موسى، فساقوا الكلام مساق
الكناية؛ لأنهم إذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى. فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين
قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين. وقرئ نعم بالكسر، وهما لغتان. ولما كان قوله أئن لنا لأجراً في معنى جزاء الشرط لدلالته
عليه، وكان قوله وإنكم إذا لمن المقربين معطوفاً عليه ومدخلاً في حكمه، دخلت إذاً قارة في مكانها الذي تقتضيه
من الجواب والجزاء. وعدهم أن يجمع لهم إلى الثواب على سحرهم الذي قدروا أنهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى.
قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون. فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون. أقسموا
بعزة فرعون، وهي من أيمان الجاهلية، وهكذا كل حلف بغير الله، ولا يصح في الإسلام إلا الحلف بالله معلقاً ببعض أسمائه
أو صفاته، كقولك: بالله، والرحمن، وربي، ورب العرش، وعزة الله، وقدرة الله، وجلال الله، وعظمة الله. قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالطواغيت، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقين.
ولقد استحدث الناس في هذا الباب في إسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الأولى، وذلك أن الواحد منهم
لو أقسم بأسماء الله تعالى كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس سلطانه، فإذا أقسم بها
فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف. فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون. فألقي
السحرة ساجدين. قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون. ما يأفكون: ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته
بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين، أو إفكهم، سمي تلك الأشياء
إفكاً مبالغة. روي أنهم قالوا: إن يك ما جاء به موسى سحراً فلن يغلب، وإن كان من عند الله فلن يخفى علينا، فلما
قذف عصاه فتلقفت ما أتوا به علموا أنه من الله فآمنوا. وعن عكرمة: أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء. وإنما
عبر عن الخرور بالإلقاء؛ لأنه ذكر مع الإلقاءات فسلك به طريق المشاكلة، وفيه أيضاً مع مراعاة المشاكلة
أنهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين كأنهم أخذوا فطرحوا طرحاً. فإن قلت:
فاعل الإلقاء ما هو لو صرح به؟ قلت: هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق، أو إيمانهم،
أو ما عاينوا من المعجزة، ولك أن لا تقدر فاعلاً؛ لأن ألقوا بمعنى خروا وسقطوا. قال آمنتم له قبل أن آذن لكم
إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين
قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين. فلسوف
تعلمون: وبال ما فعلتم. الضر والضير والضور واحد، أراد: لا ضير علينا في ذلك، بل لنا فيه أعظم النفع
لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الأعواض الكثيرة. أو لا ضير
علينا فيما تتوعدنا به من القتل، أنه لا بد لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من الأسباب، والموت والقتل أهون
أسبابه وأرجاها. أو لا ضير علينا في قتلك أنك إن قتلتنا انقلبنا إلى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته
ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق إلى الإيمان. وخبر لا محذوف، والمعنى: لا ضير في ذلك أو علينا. إن كنا: معناه

لأنهما كانوا أول جماعة مؤمنين من أهل زمانهم أو من رعية فرعون أو من أهل المشهد • وقرئ إن كنا بالكسر وهو من الشرط الذي يجيء به المدل بأمره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين أنهم أول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله إن كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله عز وجل إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه أنهم لم يخرجوا إلا لذلك • وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون • قرئ أسر بقطع الهمزة ووصلها • وسر أنكم متبعون علل الأمر بالإسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم والمعنى أني بنيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فأطبقه عليهم فأهلكهم • وروي أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه • وروي أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه الصلاة والسلام أن اجمع بني إسرائيل كل أربعة أبيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فإني سآمر الملائكة أن لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فإنه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي إلى البحر فيأتيك أمري • فأرسل فرعون في المدائن حاشرين • إن هؤلاء لشرذمة قليلون • وإنهم لنا لغائظون • وإنا لجميع حاذرون • فأرسل فرعون في أثره ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث فلذلك استقل قوم موسى وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا • وسماهم شرذمة قليلين • إن هؤلاء محكي بعد قول مضمر • والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا • واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على أقلة وقلل • ويجوز أن يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى أنهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور فإذا خرج علينا خارج سارعنا إلى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه • وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة • فالحذر اليقظ • والحاذر الذي يجدد حذره وقيل المؤدي في السلاح وإنما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه • والحادر السمين القوي • قال أحب الصبي السمين من أجل أمه • وابغضه من بغضها وهو حادر • أراد أنهم أقوياء أشداء • وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في أجسامهم • فأخرجناهم من جنات وعيون • وكنوز ومقام كريم • وعن مجاهد سماها كنوزا لأنهم لم ينفقوا منها في طاعة الله • والمقام المكان يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية • وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال • كذلك وأورثناها بني إسرائيل • فأتبعوهم مشرقين • فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون • قال كلا إن معي ربي سيهدين • سيهديني طريق النجاة من إدراكهم وإضرارهم • وقرئ فلما تراءت الفئتان • إنا لمدّركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادّرك الشيء إذا تتابع ففني ومنه قوله عز وجل بل ادّرك علمهم في الآخرة قال الحسن رحمه الله جهلوا علم الآخرة وفي معناه بيت الحماسة • أبعد بني أمي الذين تتابعوا • أرجي الحياة أم من الموت أجزع • والمعنى إنا لمتتابعون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى منا أحد • فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم • وأزلفنا ثم الآخرين • وأنجينا موسى ومن معه أجمعين • ثم أغرقنا الآخرين • الفرق الجزء المتفرق منه • وقرئ كل فلق والمعنى واحد • والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء • وأزلفنا ثم حيث انفلق البحر • الآخرين قوم فرعون أي قربناهم من بني إسرائيل أو أدنينا بعضهم من بعض وجمعناهم

حتى لا

حتى لا ينجو منهم أحد أو قدمناهم إلى البحر • وقرئ وأزلقنا بالقاف أي أذللنا أقدامهم والمعنى أذهبنا عزهم كقوله • تداركتما عبسا وقد ثل عرشها • وذبيان إذ زلت بأقدامها النعل • ويحتمل أن يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني إسرائيل يبسا فيزلقهم فيه • عن عطاء بن السائب أن جبريل كان بين بني إسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني إسرائيل ليلحق آخركم بأولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم ليلحق آخركم • فلما انتهى موسى عليه الصلاة والسلام إلى البحر قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدي موسى أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال أمرت بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق • وروي أن يوشع قال يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا قال موسى عليه الصلاة والسلام ها هنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا • وروي أن موسى عليه الصلاة والسلام قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء • ويقال هذا البحر هو بحر القلزم • وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له إساف • إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين • وإن ربك لهو العزيز الرحيم • إن في ذلك لآية أية آية وآية لا توصف قد عاينها الناس وشاع أمرها فيهم وما تنبه عليها أكثرهم ولا آمن بالله • وبنو إسرائيل الذين كانوا أصحاب موسى عليه الصلاة والسلام المخصوصين بالإنجاء قد سألوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة • وإن ربك لهو العزيز المنتقم من أعدائه • الرحيم بأوليائه • واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون • قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين • قال هل يسمعونكم إذ تدعون • أو ينفعونكم أو يضرون • قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون • قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون • أنتم وآباؤكم الأقدمون • فإنهم عدو لي إلا رب العالمين • كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يعلم أنهم عبدة أصنام ولكنه سألهم ليريهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وأنت تعلم أن ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال • فإن قلت ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس أن يقولوا أصناما كقوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا • قلت هؤلاء قد جاؤوا بقصة أمرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب إبراهيم وعلى ما قصدوه من إظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار ألا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده • ومثاله أن تقول لبعض الشطار ما تلبس في بلادك فيقول ألبس البرد الأتحمي فأجر ذيله بين جواري الحي • وإنما قالوا نظل لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل • هل يسمعونكم لا بد فيه من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم • وقرأ قتادة هل يسمعونكم أي هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك • وجاء مضارعا مع إيقاعه في إذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الأحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا أو أسمعوا قط وهذا أبلغ في التبكيت • لما أجابوه بأجوبة المقلدين لآبائهم قال لهم رقوا أمر تقليدكم هذا إلى أقصى غاياته وهي عبادة الأقدمين الأولين من آبائكم فإن التقدم والأولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم • وما عبادة من عبد هذه الأصنام إلا عبادة يعدها • ومعنى العداوة قوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا • ولأن المغري على عبادتها أعدى أعداء الإنسان وهو الشيطان • قال عدو لي تصويرا للمسألة في نفسه على معنى أني فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه وأراهم بذلك أنها نصيحة ينصح بها نفسه أولا وبنى عليها تدبير أمره لينظروا فيقولوا ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه وما أراد لنا إلا ما أراد لروحه ليكون أدعى لهم إلى القبول وأبعث على الاستماع منه ولو قال فإنه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة

لا تمنيتنا مما فيه فربما قاده التأمل الى التقبل ومن ثم يحكى عن الشافعي رحمه الله ان رجلا واجهه بشيء فقال
لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب وسمع رجل ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيتي ولا بيتكم والعدو
والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة قال وقوم على ذوي مرة اراهم عدوا وكانوا صديقا ومنه
قوله تعالى فهم عدو لي تشبيها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل الا رب العالمين استثناء
منقطع كانه قال لكن رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت
فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين فهو يهدين يريد انه حين اتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك
هدايته المتصلة التي لا تنقطع الى كل ما يصلحه ويعنيه والا فمن هداه الى ان يتغذى بالدم في البطن امتصاصا
ومن هداه الى الثدي عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من هدايات المعاش
والمعاد وانما قال مرضت دون امرضني لان كثيرا من اسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه
وغير ذلك ومن ثم قال الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين وقرئ خطاياي والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لان الانبياء معصومون مختارون على العالمين
وقيل هي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي وما هي الا معاريض كلام وتخييلات للكفرة
ليست بخطايا يطلب لها الاستغفار فان قلت اذا لم يندر منهم الا الصغائر وهي تقع مكفرة فما باله
لنفسه خطيئة او خطايا وطمع ان تغفر له قلت الجواب ما سبق لي ان استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم
لانفسهم ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم في اجتناب المعاصي والحذر
منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم فان قلت لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما تغفر في الدنيا قلت لان
اثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم رب هب لي حكما والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في
الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم الحكم الحكمة او الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لان النبي ذو حكمة
وذو حكم بين عباد الله والالحاق بالصالحين ان يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد اجابه
حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين واغفر لابي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون والاخزاء
من الخزي وهو الهوان ومن الخزاية وهي الحياء وهذا ايضا من نحو استغفارهم مما علموا انه مغفور وفي يبعثون ضمير العباد
لانه معلوم او ضمير الضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه يعني ولا تخزني يوم يبعث الضالون وابي فيهم يوم
لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم الا حال من اتى الله بقلب سليم وهو من قولهم
تحية بينهم ضرب وجيع وما ثوابه الا السيف وبيانه ان يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة
قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت
المال والبنين في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة
قلبه كما ان غناه في الدنيا بماله وبنيه ولك ان تجعل الاستثناء منقطعا ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال
قلنا حالها سلامة القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال والبنين لا ينفعان
وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا لينفع اي لا ينفع مال
ولا بنون الا رجلا سليم القلب مع ماله حيث انفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع
ويجوز على هذا الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصي
ومما اكرم الله تعالى به خليله ونبه على جلالة محله في الاخلاص حين استثناه حاكيا لاستثنائه هذا حكاية من باينه بخيره
ثم جعله صفة له في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم
السليم باللديغ من خشية الله وقول آخر هو الذي سلم وسلم واسلم وسالم واستسلم وما احسن ما رتب ابراهيم
عليه الصلوة والسلام كلامه مع المشركين حين سألهم اولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم انحى على آلهتهم

فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الاقدمين فكسره واخرجه من ان يكون
شبهة فضلا ان يكون حجة ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله عز وعلا فعظم
شانه وعدد نعمته من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ثم اتبع ذلك
ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما
يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا
وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم
او ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها
ويغتبطون بانهم المحشورون اليها والنار تكون بارزة مكشوفة للاشقياء بمرأى منهم يتحسرون على انهم
المسوقون اليها قال الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال تعالى فلما رأوه زلفة سيئت وجوه
الذين كفروا يجمع عليهم الغموم كلها والحسرات فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غما في كل لحظة ويوبخون على
اشراكهم فيقال لهم اين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم لانهم وآلهتهم
وقود النار وهو قوله تعالى فكبكبوا فيها اي الآلهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم
والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كانه اذا القي في جهنم
ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وجنود ابليس اجمعون
قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما
اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وجنود ابليس شياطينه اي
متبعوه من عصاة الانس والجن ويجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز ان
يجري ذلك بين العصاة والشياطين والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله
تعالى ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدي الاولون الذين اقتدينا
بهم وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين
كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين ولا صديق كما نرى لهم اصدقاء لانه لا يتصادق
في الآخرة الا المؤمنون واما اهل النار فبينهم التعادي والتباغض قال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء لانهم
كانوا يعتقدون في اصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس او ارادوا
انهم وقعوا في مهلكة علموا ان الشفعاء والاصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفي
ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي
يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص فان قلت لم جمع الشافع
ووحد الصديق قلت لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق الا ترى ان الرجل اذا امتحن بارهاق
ظالم نهضت جماعة وافرة من اهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم يسبق له باكثرهم معرفة
واما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما اهمك فاعز من بيض الانوق وعن بعض الحكماء
انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق الجمع فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين
ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم الكرة الرجعة الى الدنيا ولو
في مثل هذا الموضع في معنى التمني كانه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقي في
التقدير ويجوز ان يكون على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت كذبت قوم نوح المرسلين
اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون القوم مؤنثة وتصغيرها

فوقيه ونظيره قوله المرسلين • والمراد نوح عليه الصلوة والسلام كقولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود
وما له الا دابة وبرد • وقيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم
ومنه بيت الحماسة • لا يسألون اخاهم حين يندبهم • في النائبات على ما قال برهانا • كان امينا فيهم
مشهورا بالامانة كمحمد صلى الله عليه وسلم في قريش • واطيعون في نصحي لكم وفيما ادعوكم اليه من الحق
وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين • فاتقوا الله واطيعون • عليه على هذا
الامر وعلى ما انا فيه يعني دعاءه ونصحه • ومعنى فاتقوا الله واطيعون فاتقوا الله في طاعتي
وكرره ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الاول كونه امينا فيما
بينهم وفي الثاني حسم طمعه عنهم • قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون • قال وما علمي بما كانوا
يعملون • ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون • وما انا بطارد المؤمنين • ان انا الا نذير مبين
قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين • قال رب ان قومي كذبون • فافتح بيني وبينهم
فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين • وقرئ واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل
وابطال والواو للحال وحقها ان يضمر بعدها قد في واتبعك وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير في
قوله عز وجل الذين هم اراذلنا • والرذالة والنذالة الخسة والدناءة • وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم
وقلة نصيبهم من الدنيا • وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري
بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما زالت اتباع الانبياء كذلك حتى
صارت من سماتهم واماراتهم الا ترى الى هرقل حين سأل ابا سفيان عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما قال ضعفاء الناس واراذلهم قال ما زالت اتباع الانبياء كذلك • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هم الغاغة • وعن عكرمة الحاكة والاساكفة • وعن مقاتل السفلة • وما علمي واي شيء علمي والمراد انتفاء
علمه باخلاص اعمالهم لله واطلاعه على سر امرهم وباطنه • وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم
في ايمانهم وانهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله تعالى عنهم في قوله سبحانه
وتعالى الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي • ويجوز ان يتغابى لهم نوح عليه الصلوة والسلام فيفسر قولهم الارذلين
بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه
على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم
شيء فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما انا الا منذر لا محاسب ولا مجاز • لو تشعرون ذلك ولكنكم
تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمى المؤمن رذلا وان
كان افقر الناس واوضعهم نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى • وما انا بطارد المؤمنين
يريد ليس من شأني ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح ايمانهم طمعا في ايمانكم وما علي
الا ان انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم انتم اعلم بشأنكم ليس هذا
باخبار بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة اعلم ولكنه اراد اني لا ادعوك عليهم لما غاظوني وآذوني وانما
ادعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك فاحكم بيني وبينهم • والفتاحة الحكومة
لانه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات • فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون
ثم اغرقنا بعد الباقين • ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين • وان ربك لهو العزيز الرحيم
الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن
اسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا على فعل لانهما اخوان في قولك العرب والعرب والرشد والرشد
فقالوا اسد واسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان ونوق هجان لان فعالا وفعالا يشتركان في الواحد

برذون كان

برذون كان والجمع براذين كرام • والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا • كذبت عاد المرسلين
اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون • اني لكم رسول امين • فاتقوا الله واطيعون • وما اسألكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين • اتبنون بكل ريع آية تعبثون • وتتخذون مصانع
لعلكم تخلدون • وقرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس في الآل يرفعها ويخفضها
ريع يلوح كانه سحل • ومنه قولهم كم ريع ارضك وهو ارتفاعها • والآية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في
اسفارهم فاتخذوا في طرقهم اعلاما طوالا فعبثوا بذلك لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم • وعن مجاهد بنوا
بكل ريع بروج الحمام • والمصانع مآخذ الماء • وقيل القصور المشيدة والحصون • لعلكم تخلدون ترجون الخلود
في الدنيا او تشبه حالكم حال من يخلد • وفي حرف ابي كانكم • وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا •
واذا بطشتم بطشتم جبارين • فاتقوا الله واطيعون • واتقوا الذي امدكم بما تعلمون • واذا بطشتم
بسوط او سيف كان ذلك ظلما وعلوا • وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب • وعن الحسن تبادرون
تعجيل العذاب لا تتثبتون متفكرين في العواقب • امدكم بانعام وبنين • وجنات وعيون • اني اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم • بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث اجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك
انه ايقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال امدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون
من نعمته وانه كما قدر ان يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله عز وجل
ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد • فان قلت كيف قرن البنين بالانعام • قلت هم الذين
يعينونهم على حفظها والقيام عليها • قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين • فان قلت لو قيل
اوعظت ام لم تعظ كان اخصر والمعنى واحد • قلت ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لان المراد سواء علينا افعلت
هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشريه فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك
ام لم تعظ • ان هذا الا خلق الاولين • وما نحن بمعذبين • فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لآية
وما كان اكثرهم مؤمنين • وان ربك لهو العزيز الرحيم • من قرأ خلق الاولين بالفتح فمعناه ان ما جئت
به اختلاق الاولين وتخرصهم هذا الا خلق القرون الخالية نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب
ومن قرأ خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم كانوا
يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون وما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الا عادة لم يزل عليها
الناس في قديم الدهر او ما هذا الذي جئت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه •
كذبت ثمود المرسلين • اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون • اني لكم رسول امين • فاتقوا الله واطيعون • وما
اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين • اتتركون في ما ههنا آمنين • في جنات وعيون
وزروع ونخل طلعها هضيم • اتتركون يجوز ان يكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وان يكون
تذكيرا بالنعمة في تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة • في ما ههنا في الذي
استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله تعالى في جنات وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل • فان قلت
لم قال ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل اول شيء كما يتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى
انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل • قال زهير تسقي جنة سحقا •
قلت فيه وجهان ان يخص النخل بافراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها
وان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل • الطلعة هي التي تطلع من النخلة
كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه • والهضيم اللطيف الضامر
من قولهم كشح هضيم • وطلع اناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفاء • وكذلك طلع البرني الطف من طلع اللون

فذكرهم نعم الله في ان وهب لهم اجود النخل وانفعه لان الاناث ولادة التمر والبرني اجود التمر واطيبه • ويجوز
ان يريد ان نخيلهم اصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم
واذا قل جاء فاخرا • وقيل الهضيم اللين النضيج كانه قال ونخل قد ارطب ثمره • وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين
فاتقوا الله واطيعون • ولا تطيعوا امر المسرفين • وقرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء • وقرئ فرهين وفارهين
والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة استعير لامتثال الامر وارتسامه طاعة الامر المطاع وجعل
الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الآمر ومنه قولهم لك علي امرة مطاعة وقوله تعالى واطيعوا امري • الذين
يفسدون في الارض ولا يصلحون • قالوا انما انت من المسحرين • ما انت الا بشر مثلنا فات باية ان كنت
من الصادقين • فان قلت ما فائدة قوله ولا يصلحون قلت فائدته ان فسادهم فساد مصمت ليس
معه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطا ببعض الصلاح • المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على
عقله • وقيل هو من السحر الرئة وانه بشر • قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم • ولا تمسوها
بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم • الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ
بالضم • روي انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل
ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم • وعن ابي
موسى رايت مصدرها فاذا هو ستون ذراعا • وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب
يوم لا تشرب فيه الماء • بسوء بضرب او عقر او غير ذلك عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ
من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد • فعقروها فاصبحوا نادمين •
فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين • وان ربك لهو العزيز الرحيم • روي
ان مسطعا الجاها الى مضيق في شعب فرماها بسهم فاصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار • وروي ان
عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين فكانوا يدخلون على المراة في خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم
وكذلك صبيانهم • فان قلت لم اخذهم العذاب وقد ندموا قلت لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن
ندم خائفين ان يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض الامور رايا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر
كندامة الكسعي • او ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال عز وعلا وليست
التوبة للذين يعملون السيئات الاية • وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد • واللام في العذاب اشارة الى عذاب يوم
عظيم • كذبت قوم لوط المرسلين • اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون • اني لكم رسول امين • فاتقوا الله
واطيعون • وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين • اتاتون الذكران من العالمين • وتذرون
ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون • اراد بالعالمين الناس اي اتاتون من بين اولاد ادم على
فرط كثرتهم وتفاوت اجناسهم وغلبة اناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كان الاناث قد اعوزتكم
او اتاتون انتم من بين من عداكم من العالمين الذكران يعني انكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه
الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان • من ازواجكم يصلح ان يكون تبيينا لما
خلق وان يكون للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح منهن • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله
عنه ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم وكانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم • العادي المتعدي في
ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه اتركبون هذه المعصية على عظمها بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي
فهذا من جملة ذاك • او بل انتم قوم احقاء ان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة • قالوا
لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين • لئن لم تنته عن نهينا وتقبيح امرنا لتكونن من جملة من
اخرجناه وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على اسوأ حال من تعنيف به واحتباس

لاملاكه كما يكون حال الظلمة اذا اجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل اهل مكة بمن يريد
المهاجرة • قال اني لعملكم من القالين • من القالين ابلغ من ان تقول اني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء
فيكون ابلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم
في العلم • ويجوز ان يريد من الكاملين في قلاكم • والقلى البغض الشديد كانه بغض يقلي الفؤاد والكبد • وفي هذا
دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همة الدين في دين الله حتى تقرب كراهته
للمعاصي من الكراهة الجبلية • رب نجني واهلي مما يعملون • فنجيناه واهله اجمعين • الا عجوزا في
الغابرين • ثم دمرنا الاخرين • مما يعملون من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل ان يريد بالتنجية العصمة
فان قلت فما معنى قوله فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا قلت معناه انا عصمناه واهله من ذلك
الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرشة والراضي بالمعصية
في حكم العاصي • فان قلت كان اهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت
الكافرة منهم قلت الاستثناء انما وقع من الاهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وان لم
تشاركهم في الايمان • فان قلت في الغابرين صفة لها كانه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها
وقت تنجيتهم قلت معناه الا عجوزا مقدرا غبورها • ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك
غير الناجين • وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين • ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين •
وان ربك لهو العزيز الرحيم • قيل انما اهلكت مع من خرج من القرية بما امطر عليهم من الحجارة • والمراد
تدميرهم الائتفاك بهم واما الامطار فعن قتادة امطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم
• وعن ابن زيد لم يرض بالائتفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة • وفاعل ساء مطر المنذرين ولم يرد
بالمنذرين قوما باعيانهم انما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم • كذب اصحاب الايكة
المرسلين • اذ قال لهم شعيب الا تتقون • اني لكم رسول امين • فاتقوا الله واطيعون •
وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين • قرئ اصحاب الايكة بالهمزة وبتخفيفها
وبالجر على الاضافة وهو الوجه • ومن قرأ بالنصب وزعم ان ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه
خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير الف وفي المصحف اشياء كتبت على
خلاف قياس الخط المصطلح عليه وانما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب اصحاب
النحو لان ولولا على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القران على الاصل والقصة واحدة
على ان ليكة اسم لا يعرف • وروي ان اصحاب الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم • فان قلت
هلا قيل اخوهم شعيب كما في سائر المواضع قلت قالوا ان شعيبا لم يكن من اصحاب الايكة وفي الحديث
ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة • اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين • وزنوا بالقسطاس
المستقيم • ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين • واتقوا الذي خلقكم والجبلة
الاولين • الكيل على ثلاثة اضرب • واف وطفيف • وزائد فامر بالواجب الذي هو الايفاء ونهى عن
المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان تركه عن النهي والامر دليلا على انه ان فعله فقد احسن
وان لم يفعله فلا عليه • قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان • وقيل القرسطون فان كان
من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي • وقيل هو بالرومية
العدل • يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لاحد
ان لا يهضم وفي كل ملك ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه الا باذنه تصرفا
شرعيا • يقال عثى في الارض وعثي وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا

يفسدون ذلك مع توليهم ان الولع بالفساد فهو لا يعن ذلك • وقرئ الجبلة بوزن الابلة • والجبلة بوزن الخلقة
ومعناهن واحد اي ذوي الجبلة وهو كقولك والخلق الاولين • قالوا انما انت من المسحرين • وما انت
الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين • فان قلت هل اختلف المعنى بادخال الواو ههنا
وتركها في قصة ثمود قلت اذا دخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير
والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ولا يجوز ان يكون بشرا • واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد
وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم • فان قلت ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا
على فعل الظن وثاني مفعوليه قلت اصلهما ان تتفرقا على المبتدأ والخبر كقولك ان زيدا لمنطلق فلما كان
البابان اعني باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا
وان ظننته لمنطلقا • فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين • قال ربي اعلم بما
تعملون • وقرئ كسفا بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر • وقيل الكسف والكسفة كالريع
والريعة وهي القطعة وكسفه قطعه • والسماء السحاب او المظلة وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم
على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه • والمعنى ان كنت
صادقا انك نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السماء • ربي اعلم بما تعملون يريد ان الله اعلم باعمالكم وبما
تستوجبون عليها من العقاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان اراد عقابا باخر فاليه الحكم
والمشية • فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم • ان في ذلك لاية وما
كان اكثرهم مؤمنين • وان ربك لهو العزيز الرحيم • فاخذهم الله بنحو ما اقترحوا • بعذاب الظلة
ان ارادوا بالسماء السحاب وان ارادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم • يروى انه حبس عنهم الريح
سبعا وسلط عليهم الومد فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية
فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا • وروي ان
شعيبا عليه الصلوة والسلام بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبريل وا
واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة • فان قلت كيف كرر في هذه السورة في اول كل قصة وآخرها ما كرر
قلت كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في
ان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به ولان في التكرير تقريرا للمعاني في الانفس وتثبيتا لها
في الصدور الا ترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان امكن له
في القلب وارسخ في الفهم واثبت للذكر وابعد من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الانصات
للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح اذنا او يفتق
ذهنا او يصقل عقلا طال عهده بالصقل او يجلو فهما قد غطي عليه بتراكم الصداء • وانه لتنزيل رب العالمين
نزل به الروح الامين • على قلبك لتكون من المنذرين • بلسان عربي مبين • وانه وان هذا
التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والآيات • والمراد بالتنزيل المنزل • والباء في نزل به الروح ونزل
به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به • على قلبك اي حفظكه
وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله عز وجل سنقرئك فلا تنسى • بلسان عربي اما ان
يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب
واسماعيل ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين • واما ان يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان
العربي لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار
به • وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه

وتفهمه قومك ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها
ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها اولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه
الا الى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان
كان ماهرا بمعرفتها كان نظره اولا في الفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير انه نزل على قلبه لنزوله بلسان
عربي مبين • وانه لفي زبر الاولين • وانه وان القرآن يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية
وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة رحمه الله في جواز القراءة بالفارسية في الصلوة على ان القرآن
قرآن اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه فيها • وقيل الضمير لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وكذلك في ان يعلمه والمعنى واضح • اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل
ولو نزلناه على بعض الاعجمين • فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين • وقرئ يكن بالتذكير وآية
بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم • وقرئ تكن بالتانيث وجعلت آية اسما وان يعلمه خبرا
وليست كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل
في تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا ان يكون لهم آية هي جملة
الشان وان يعلمه بدلا عن آية ويجوز مع نصب الآية تانيث تكن لقوله عز وجل ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا
ومنه بيت لبيد • فمضى وقدمها وكانت عادة منه • اذا هي عردت اقدامها • وقرئ تعلمه بالتاء
وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله سبحانه وتعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه
الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين • فان قلت كيف خط في المصحف علموا بواو قبل الالف قلت خط
على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا • الاعجم الذي لا يفصح
وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله الا ان فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تاكيد • وقرأ الحسن الاعجميين
ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له اعجم واعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا
لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها اعجم • قال حميد • ولا عربيا شاقه صوت اعجما • كذلك
سلكناه في قلوب المجرمين • لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم • فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون
فيقولوا هل نحن منظرون • افبعذابنا يستعجلون • افرأيت ان متعناهم سنين • ثم جاءهم ما كانوا
يوعدون • ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون • سلكناه ادخلناه ومكناه والمعنى انا انزلنا هذا القرآن
على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض بكلام
مثله وانضم الى ذلك اتفاق علماء اهل الكتاب المنزل قبله على البشارة بانزاله وتحلية المنزل عليه وصفته
في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انها من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم
يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعرا تارة وسحرا اخرى وقالوا هو من تلفيق محمد وافترائه • ولو نزلناه على بعض
الاعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله • فقرأه عليهم هكذا فصيحا معجزا
متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك سلكناه اي مثل ذلك
السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به
والتكذيب له وضعناه فيها فكيفما فعل بهم وعلى اي وجه دبر امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما
هم عليه من جحوده وانكاره كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين • فان قلت كيف اسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته قلت اراد به الدلالة
على تمكنه مكذبا في قلوبهم اشد التمكن واثبته فجعله بمنزلة امر قد جبلوا عليه وفطروا الا ترى
الى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لان الامور الخلقية اثبت من العارضة والدليل عليه انه

اشتد تمكن الايمان به اليهم على عقبه ولو قوله لا يؤمنون به • فان قلت ما موقع لا يؤمنون به من
قوله سلكناه في قلوب المجرمين قلت موقعه منه موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا
مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد
ويجوز ان يكون حالا اي سلكناه فيها غير مؤمن به • وقرأ الحسن فتأتيهم بالتاء يعني الساعة •
وبغتة بالتحريك • وفي حرف ابي ويروه بغتة • فان قلت ما معنى التعقيب في قوله فيأتيهم بغتة
فيقولوا قلت ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود وانما المعنى
ترتبها في الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم العذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه
بهم مفاجأة فما هو اشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك ان تقول لمن تعظه ان اسأت مقتك الصالحون
فمقتك الله فانك لا تقصد بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب
شدة الامر على المسيء وانه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين فما هو اشد من مقتهم وهو مقت الله
وترى ثم يقع في هذا الاسلوب فيحل موقعه • افبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بانكار وتهكم ومعناه كيف
يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة عين
فلا يجاب اليها • ويحتمل ان يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على هذا
الوجه حكاية حال ماضية • ووجه آخر متصل بما بعده وذلك ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم
انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال في سلامة وامن فقال عز وعلا افبعذابنا يستعجلون
اشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم
فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم • وعن ميمون بن مهران
انه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون
لقد وعظت فابلغت • وقرئ يمتعون بالتخفيف • وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون • ذكرى
وما كنا ظالمين • وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون • انهم عن السمع لمعزولون
فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين • وانذر عشيرتك الاقربين • واخفض جناحك
لمن اتبعك من المؤمنين • فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون • وتوكل على العزيز الرحيم • الذي يراك
حين تقوم • وتقلبك في الساجدين • انه هو السميع العليم • قل هل انبئكم على من تنزل الشياطين
تنزل على كل افاك اثيم • يلقون السمع واكثرهم كاذبون • منذرون رسل ينذرونهم • ذكرى
منصوبة بمعنى تذكرة اما لان انذر وذكر متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة واما لانها حال من الضمير في
منذرون اي ينذرونهم ذوي تذكرة واما لانها مفعول له على معنى انهم ينذرون لاجل الموعظة والتذكرة
او مرفوعة على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى • والجملة اعتراضية او صفة بمعنى منذرون
ذووا ذكرى او جعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها • ووجه آخر وهو ان يكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له
والمعنى وما اهلكنا من قرية ظالمين الا بعدما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم
تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم • وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه
عليه المعول • فان قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها في قوله وما اهلكنا من قرية
الا ولها كتاب معلوم قلت الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتأكيد وصل
الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم • كانوا يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم كاهن وما
يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون
عليه لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام اهل السماء • وقرأ الحسن الشياطون ووجهه

انه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين ففخير بين ان يجري الاعراب على النون وبين ان يجريه على ما قبله فيقول
الشياطين والشياطون كما تخيرت العرب بين ان يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين وحقه
ان تشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل • وعن الفراء غلط الشيخ في قراءته
الشياطون ظن انها النون التي على هجائين • وقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا
جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع مع انا نعلم انهما لم يقرءا به الا وقد سمعا فيه • قد علم
ان ذلك لا يكون ولكنه اراد ان يحرك منه لازديادا لاخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما
قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل فان كنت في شك مما انزلنا اليك • وانذر عشيرتك فيه وجهان
احدهما ان يؤمر بانذار الاقرب فالاقرب من قومه ويبدأ في ذلك بمن هو اولى بالبداءة ثم بمن يليه وان
يقدم انذارهم على انذار غيرهم كما روي عنه عليه الصلوة والسلام انه لما دخل مكة قال كل ربا في
الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين واول ما اضعه ربا العباس • والثاني ان يؤمر بان لا يأخذه ما يأخذ
القريب للقريب من العطف والرأفة ولا يحابيهم في الانذار والتخويف • وروي انه صعد الصفا لما نزلت
فنادى الاقرب فالاقرب فخذا فخذا وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي
يا صفية عمة رسول الله اني لا املك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم • وروي انه جمع بني عبد المطلب
يومئذ وهم اربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فاكلوا وشربوا
حتى صدروا ثم انذرهم فقال يا بني عبد المطلب لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا
نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد • وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف
افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة
بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن شيئا • الطائر اذا اراد ان يحط
للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط
مثلا في التواضع ولين الجانب • ومنه قول بعضهم • وانت الشهير بخفض الجناح • فلا تك في رفعه اجدلا
ينهاه عن التكبر بعد التواضع • فان قلت المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما معنى
قوله لمن اتبعك من المؤمنين قلت فيه وجهان ان يسميهم قبل الدخول في الايمان مؤمنين لمشارفتهم
ذلك وان يريد بالمؤمنين المصدقين بالسنتهم وهم صنفان صنف صدق واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما جاء به وصنف ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما ان يكونوا منافقين او فاسقين والمنافق والفاسق
لا يخفض لهما الجناح • والمعنى من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم يعني انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك
فاخفض لهم جناحك وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن اعمالهم من الشرك بالله وغيره • وتوكل على الله
يكفيك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم • والتوكل تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه
وضره • وقالوا المتوكل من ان دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا اذا وقع الانسان
في محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل عن نفسه بمعصية • وفي مصاحف
اهل المدينة والشام فتوكل وبه قرأ نافع وابن عامر وله محملان في العطف ان يعطف على فقل او فلا تدع
على العزيز الرحيم على الذي يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته ثم اتبع كونه رحيما على رسوله
ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح احوال
المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سر امرهم وكيف يعبدون الله وكيف
يعملون لآخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون
لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها

من دندنتهم بذكر الله والتلاوة • فلما راى الساجدين المصلين • وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة • وتقلبك في الساجدين تصرفك فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذا أمهم • وعن مقاتل أنه سأل أبا حنيفة رضي الله عنه هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن فقال لا يحضرني فتلا له هذه الآية ويحتمل أنه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية أمور الدين • إنه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله • وقيل هو تقلب بصره فيمن خلفه من قوله عليه الصلاة والسلام أتموا الركوع والسجود فوالله إني لأراكم من خلف ظهري إذا ركعتم وسجدتم • وقرئ ويقلبك • كل أفاك أثيم هم الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة • يلقون السمع هم الشياطين كانوا قبل أن يحجبوا بالرجم يسمعون إلى الملأ الأعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به إلى أوليائهم من أولئك • وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به إليهم لأنهم يسمعونهم ما لم يسمعوا • وقيل يلقون إلى أوليائهم السمع أي المسموع من الملائكة • وقيل الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين فيتلقون وحيهم إليهم أو يلقون المسموع من الشياطين إلى الناس وأكثر الأفاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم وترى أكثر ما يحكمون به باطلا وزورا • وفي الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة والقر الصب • **فإن قلت** كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام ألا ترى إلى قولك أعلى زيد مررت ولا تقول على أزيد مررت • **قلت** ليس معنى التضمن أن الاسم دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وإنما معناه أن الأصل أمن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والأصل أهل • قال: أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم • فإذا أدخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كأنك تقول أعلى من تنزل الشياطين كقولك أعلى زيد مررت • **فإن قلت** يلقون ما محله • **قلت** يجوز أن يكون في محل النصب على الحال أي تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل أفاك لأنه في معنى الجمع وأن لا يكون له محل بأن يستأنف كأن قائلا قال لم تنزل على الأفاكين فقيل يفعلون كيت وكيت • **فإن قلت** كيف قيل وأكثرهم كاذبون بعدما قضي عليهم أن كل واحد منهم أفاك • **قلت** الأفاكون هم الذين يكثرون الإفك ولا يدل ذلك على أنهم لا ينطقون إلا بالإفك فأراد أن هؤلاء الأفاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وأكثرهم مفتر عليه • **فإن قلت** وإنه لتنزيل رب العالمين • وما تنزلت به الشياطين • هل أنبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن أخوات • **قلت** أريد التفريق بينهن بآيات ليست في معناهن ليرجع إلى المجيء بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على أن المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله لخلافها ومثاله أن يحدث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع إليه • والشعراء يتبعهم الغاوون • ألم تر أنهم في كل واد يهيمون • وأنهم يقولون ما لا يفعلون • إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون •

والشعراء مبتدأ ويتبعهم الغاوون خبره ومعناه أنه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والنسيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم إلا الغاوون والسفهاء والشطار • وقيل الغاوون الراوون • وقيل الشياطين • وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمحي • ومن ثقيف أمية بن أبي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا يهجونه ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجيهم • وقرأ عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر قال أبو عبيد كان الغالب عليه حب النصب قرأ حمالة الحطب والسارق والسارقة وسورة أنزلناها • وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد • ذكر الوادي

والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم وأن يبهتوا البريء ويفسقوا التقي • وعن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله • فبتن بجانبي مصرعات • وبت أفض أغلاق الختام • فقال قد وجب عليك الحد فقال يا أمير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله وأنهم يقولون ما لا يفعلون • إلا الذين استثنى الشعراء المؤمنين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر وإذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الأمة وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم • وعن عمرو بن عبيد رحمه الله أن رجلا من العلوية قال له إن صدري ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به • والقول فيه أن الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام • وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش • وعن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل • وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك • ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء أهيب منه وأهول ولا أنكى لقلوب المتأملين ولا أصدع لأكباد المتدبرين وذلك قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا وإطلاقه وقوله أي منقلب ينقلبون وإبهامه وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد إليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها • وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولأن تخاف فتبلغ الأمن خير من أن تأمن فتبلغ الخوف • وقرأ ابن عباس أي منفلت ينفلتون ومعناها إن الذين ظلموا يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة • اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم أن من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله أعلم • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية وقيل أربع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين • طس قرئ بالتفخيم والإمالة • تلك إشارة إلى آي السورة • والكتاب المبين إما اللوح وإبانته أنه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه إبانة وإما السورة وإما القرآن وإبانتهما أنهما يبينان ما أودعاه من العلوم والحكم والشرائع وأن إعجازهما ظاهر مكشوف • وإضافة الآيات إلى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لأن المضاف إلى العظيم يعظم بالإضافة إليه • **فإن قلت** لم نكر الكتاب المبين • **قلت** ليبهم بالتنكير فيكون أفخم كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر • **فإن قلت** ما وجه عطفه على القرآن إذا أريد به القرآن • **قلت** كما تعطف إحدى الصفتين على الأخرى في نحو قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لأن القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكأنه قيل تلك آيات المنزل المبارك تلك آيات الكتاب المبين • وقرأ ابن أبي عبلة وكتاب مبين بالرفع على

تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه • فإن قلت ما الفرق بين هذا وبين
قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين • قلت لا فرق بينهما إلا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم
والتأخر وذلك على ضربين • ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب • وضرب يترجح •
فالأول نحو قوله عز وجل وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده • والثاني نحو قوله شهد الله
أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم • هدى وبشرى للمؤمنين • الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون • هدى وبشرى يحتمل النصب والرفع فالنصب على الحال أي هادية ومبشرة
والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة • والرفع على ثلاثة أوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات
وعلى أن يكون خبرا بعد خبر أي جمعت أنها آيات وأنها هدى وبشرى • والمعنى في كونها هدى للمؤمنين أنها زائدة
في هداهم قال الله تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا • فإن قلت وهم بالآخرة هم يوقنون كيف يتصل بما قبله
قلت يحتمل أن يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل أن تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء
الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلوات وإيتاء الزكوة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه أنه عقد
جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون
بين الإيمان والعمل الصالح لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق • إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم
فهم يعمهون • فإن قلت كيف أسند تزيين أعمالهم إلى ذاته وقد أسنده إلى الشيطان في قوله تعالى وزين لهم
الشيطان أعمالهم • قلت بين الإسنادين فرق وذلك أن إسناده إلى الشيطان حقيقة وإسناده إلى الله تعالى
مجاز وله طريقان في علم البيان أحدهما أن يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة • والثاني أن يكون من المجاز الحكمي
فالطريق الأول أنه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا إنعام الله بذلك عليهم وإحسانه إليهم ذريعة
إلى اتباع شهواتهم وبطرهم وإيثارهم الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة
فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم وإليه إشارة الملائكة في قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر • والطريق
الثاني أن إمهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فأسند إليه لأن المجاز الحكمي يصححه
بعض الملابسات • وقيل هي أعمال الخير التي وجب عليهم أن يعملوها زيناها لهم فعمهوا عنها وضلوا ويعزى إلى الحسن
والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق • وعن بعض الأعراب أنه دخل السوق وما أبصرها قط فقال
رأيت الناس عمهين أراد مترددين في أعمالهم وأشغالهم • أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة
هم الأخسرون • وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم • سوء العذاب القتل والأسر يوم بدر • والأخسرون
أشد الناس خسرانا لأنهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الأمم فخسروا ذلك مع خسران النجاة ونيل الثواب • لتلقى
القرآن لتؤتاه وتلقنه من عند أي حكيم وأي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد
لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه • إذ قال موسى لأهله إني
آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون • إذ منصوب بمضمر وهو اذكر كأنه
قال على أثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى عليه الصلوة والسلام • ويجوز أن ينتصب بعليم • وروي أنه
لم يكن مع موسى عليه الصلوة والسلام غير امرأته وقد كنى الله عنها بالأهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع
وهو قوله امكثوا • الشهاب الشعلة • والقبس النار المقبوسة وأضاف الشهاب إلى القبس لأنه يكون قبسا وغير قبس
ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلا أو صفة لما فيه من معنى القبس • والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لأنه كان قد
ضله • فإن قلت سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لأن أحدهما ترج والآخر تيقن • قلت
قد يقول الراجي إذا قوي رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة • فإن قلت كيف جاء بسين التسويف
قلت عدة لأهله أنه يأتيهم به وإن أبطأ أو كانت المسافة بعيدة • فإن قلت فلم جاء بأو دون الواو

قلت بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما إما هداية الطريق وإما اقتباس النار
ثقة بعادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما أدراه حين قال ذلك أنه ظافر على النار بحاجتيه
الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة • فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها
وسبحان الله رب العالمين • أن هي المفسرة لأن النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك • فإن قلت
هل يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بأنه بورك والضمير ضمير الشأن • قلت لا لأنه لا بد
من قد • فإن قلت فعلى إضمارها • قلت لا يصح لأنها علامة لا تحذف • ومعنى بورك من في النار ومن
حولها بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة
في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة وتدل عليه قراءة أبي رضي الله عنه تباركت
الأرض ومن حولها • وعنه بوركت النار • والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث أمر
ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له وإظهاره المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع
فينشر الله بركة ذلك الخير في أقاصيها ويبث آثار يمنه في أباعدها فكيف بمثل ذلك الأمر العظيم الذي جرى
في تلك البقعة • وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى عليه الصلوة والسلام والملائكة الحاضرون والظاهر
أنه عام في كل من كان في تلك الأرض وفي ذلك الوادي وحواليهما من أرض الشام ولقد جعل الله أرض الشام
بالبركات موسومة في قوله تعالى ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين • وحقت أن تكون كذلك
فهي مبعث الأنبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي إليهم وكفاتهم أحياء وأمواتا • فإن قلت فما معنى ابتداء
خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه • قلت هي بشارة له بأنه قد قضي أمر عظيم تنتشر منه في أرض الشام
كلها البركة • وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى من ذلك وإيذان بأن ذلك الأمر مريده ومكونه رب العالمين
تنبيها على أن الكائن من جلائل الأمور وعظائم الشؤون • يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم • وألق
عصاك • الهاء في إنه يجوز أن يكون ضمير الشأن والشأن أنا الله مبتدأ وخبر • والعزيز الحكيم صفتان
للخبر وأن يكون راجعا إلى ما دل عليه ما قبله يعني أن مكلمك أنا والله بيان لأنا والعزيز الحكيم صفتان للمبين
وهذا تمهيد لما أراد أن يظهره على يده من المعجزة يريد أنا القوي القادر على ما يبعد من الأوهام كقلب العصا
حية • الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتدبير • فإن قلت علام عطف قوله وألق عصاك • قلت على بورك
لأن المعنى نودي أن بورك من في النار وأن ألق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في
النار وقيل له ألق عصاك والدليل على ذلك قوله تعالى وأن ألق عصاك بعد قوله أن يا موسى إني أنا الله بعد تكرير
حرف التفسير كما تقول كتبت إليك أن حج وأن اعتمر وإن شئت أن حج واعتمر • فلما رآها تهتز كأنها جان
ولى مدبرا ولم يعقب • يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون • إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد
سوء فإني غفور رحيم • وقرأ الحسن جأن على لغة من يجد في الهرب من التقاء الساكنين فيقول شأبة
ودأبة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضألين • لم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل إذا كر بعد الفرار •
قال • فما عقبوا إذ قيل هل من معقب • ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا • وإنما رعب لظنه أن ذلك لأمر أريد به
ويدل عليه إني لا يخاف لدي المرسلون • وإلا بمعنى لكن لأنه لما أطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو
الشبهة فاستدرك ذلك • والمعنى ولكن من ظلم منهم أي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الأنبياء كالذي
فرط من آدم ويونس وداود وسليمان وإخوة يوسف عليهم الصلوة والسلام ومن موسى بوكزه القبطي • ويوشك
أن يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي يلطف مأخذها وسماه ظلما كما قال موسى
رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي • والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب • وقرئ ألا من ظلم بحرف التنبيه •
وعن أبي عمرو في رواية عصمة حسنا • وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع

ايات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين ● في تسع آيات كلام مستأنف وحرف الجر فيه يتعلق
بمحذوف ● والمعنى اذهب في تسع آيات الى فرعون ونحوه ● فقلت الى الطعام فقال منهم ● فريق نحسد الانس
الطعاما ● ويجوز ان يكون المعنى والق عصاك وادخل يدك في تسع آيات اي في جملة تسع آيات وعدادهن
ولقائل ان يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا ● والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ● فلما جاءتهم آياتنا مبصرة
قالوا هذا سحر مبين ● المبصرة الظاهرة البينة جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لمتأمليها لانهم لابسوها
وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ● ويجوز ان يراد بحقيقة الابصار كل ناظر فيها من كافة اولي العقل
وان يراد ابصار فرعون وملئه لقوله تعالى واستيقنتها انفسهم او جعلت كأنها تبصر فتهدي لان
العمي لا تقدر على الاهتداء فضلا ان تهدي غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنة
ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر فوصفها بالبصائر
كما وصفها بالابصار ● وقرأ علي بن الحسين وقتادة مبصرة وهي نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة اي مكانا
يكثر فيها التبصر ● وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين ● الواو في واستيقنتها واو الحال وقد بعدها مضمرة ● والعلو الكبر والترفع عن الايمان
بما جاء به موسى عليه الصلوة والسلام كقوله تعالى فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين
مثلنا وقومهما لنا عابدون ● وقرئ عُليا وعِليا بالضم والكسر كما قرئ عُتيا وعِتيا ● وفائدة ذكر الانفس
انهم جحدوها بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم ● والاستيقان ابلغ من الايقان وقد
قوبل بين المبصرة والمبين ● واي ظلم افحش من ظلم من اعتقد واستيقن انها آيات بينة واضحة جاءت من
عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا مكشوفا لا شبهة فيه ● ولقد آتينا داود وسليمان
علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ● علما طائفة من العلم او علما
سنيا عزيزا ● فان قلت اليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك اعطيته فشكر ومنعته فصبر ● قلت
بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك
ثم عطف عليه التحميد كانه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة
وقالا الحمد لله الذي فضلنا ● والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما او من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما
فضلا على كثير وفضل عليهما كثير ● وفي الآية دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملته واهله
وان نعمة العلم من اجل النعم واجزل القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال
والذين اوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الا لمداناتهم
لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم
منها ان يحمدوا الله على ما اوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وان يعتقد العالم انه
ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما احسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر ●
وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو
الفضل المبين ● وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون ● ورثه
النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود اكثر تعبدا وسليمان اقضى واشكر لنعمة الله ● قال يا ايها
الناس تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم
منطق الطير وغير ذلك مما اوتيه من عظائم الامور ● والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف
المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا مفردات الكلم ● وقال العرب

نطقت الحمامة

نطقت الحمامة وكل صنف من الطير نتفاهم اصواته والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم
بعضه من بعض من معانيه واغراضه ● ويحكى انه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه
فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء
وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا ● وصاح طاووس فقال يقول كما تدين
تدان ● وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون ● وصاح طيطوى فقال يقول كل حي
ميت وكل جديد بال ● وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه ● وصاحت رخمة فقال تقول
سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه ● وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى ● وقال الحدأ
يقول كل شيء هالك الا الله ● والقطاة تقول من سكت سلم ● والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه ● والديك يقول
اذكروا الله يا غافلون ● والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت ● والعقاب يقول في البعد من الناس
انس ● واراد بقوله من كل شيء كثرة ما اوتي كما تقول فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء تريد كثرة قصاده
ورجوعه الى غزارة في العلم واستكثار منه ومثله قوله واوتيت من كل شيء ● ان هذا لهو الفضل المبين قول وارد
على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول
شكرا ولا اقوله فخرا ● فان قلت كيف قال علمنا واوتينا وهو من كلام المتكبرين ● قلت فيه وجهان
احدهما ان يريد نفسه واباه ● والثاني ان هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم اهل
طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخيمه واظهار
آيينه وسياسات مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحوا من ذلك
اذا وفد عليه وفد او احتاج الى ان يرجح في عين عدو الا ترى كيف امر العباس بان يحبس ابا سفيان حتى تمر
عليه الكتائب ● روي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة ● خمسة وعشرون للجن ● وخمسة وعشرون للانس
وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش ● وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة
وسبعمائة سرية ● وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من
ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة
وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا
البساط فتسير به مسيرة شهر ● ويروى انه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فاوحى الله
اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في اذنك فيحكى انه مر
بحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت
اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما اوتي آل داود ● يوزعون
يحبس اولهم على آخرهم اي توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم
احد وذلك للكثرة العظيمة ● حتى اذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا
مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ● قيل هو واد بالشام كثير النمل
فان قلت لم عدي اتوا بعلى ● قلت يتوجه على معنيين احدهما ان اتيانهم كان من فوق فاتى
بحرف الاستعلاء كما قال ابو الطيب ● ولشد ما قربت عليك الانجم ● لما كان قربا من فوق
والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره كأنهم ارادوا ان ينزلوا
عند منقطع الوادي لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم ● وقرئ نملة يا ايها النمل
بضم الميم وبضم النون والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف
عنه كقولهم السبع في السبع ● قيل كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فنادت يا ايها النمل الآية فسمع سليمان

قوله تتكاوس من كاس البعير اذا مشى على ثلاث قوائم

كلّ منها من ثلاثة اميال وقيل كان اسمها طاخية • وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة رضي الله عنه حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فأفحم فقال ابو حنيفة رحمه الله كانت انثى فقيل له من اين عرفت قال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كان ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي • وقرئ مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون • وقرئ لا يحطّمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله يحتطمنكم ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في اولي العقل اجرى خطابهم مجرى خطابهم **فان قلت** لا يحطمنكم ما هو **قلت** يحتمل ان يكون جوابا للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوّز ان يكون بدلا منه انه في معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمنكم على طريقة لا ارينك هاهنا اراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو ابلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن اشفاقها فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين • ومعنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا في الضحك وآخذا فيه يعني انه قد تجاوز حد التبسم الى الضحك وكذلك ضحك الانبياء واما ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي والا فبدو النواجذ على الحقيقة انما يكون عند الاستغراب • وقرئ ضحكا **فان قلت** ما اضحكه من قولها **قلت** شيئان اعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا لم يفعلوا • وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت احدا من ادراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل الذي هو مثل في الصغر والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما انعم به عليه من ذلك وعلى استيفاقه لزيادة العمل الصالح والتقوى • وحقيقة اوزعني اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفّه وارتبطه لا ينفلت عني حتى لا انفك شاكرا لك • وانما ادرج ذكر والديه لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك • **وروي** ان النملة احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فأمر سليمان عليه الصلوة والسلام الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة • ومعنى وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين واجعلني من اهل الجنة • وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او ليأتيني بسلطان مبين • ام هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال ما لي لا اراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم انها لابل ام شاء • وذكر من قصة الهدهد ان سليمان عليه الصلوة والسلام حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثني عشر الف قائد تحت كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر • وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا

عفريت الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله فقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى او ليأتيني بعذر مبين • فلما قرب من سليمان عليه الصلوة والسلام ارخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان عليه الصلوة والسلام وعفا عنه ثم سأله تعذيبه ان يؤدب بما يحتمل حاله ليعتبر به ابناء جنسه • وقيل كان عذاب سليمان للطير ان ينتف ريشه ويشمسه • وقيل ان يطلى بالقطران ويشمس • وقيل ان يلقى للنمل تأكله • وقيل ايداعه القفص • وقيل التفريق بينه وبين الفه • وقيل لالزمنه صحبة الاضداد • وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد • وقيل لالزمنه خدمة اقرانه **فان قلت** من اين حل له تعذيب الهدهد **قلت** يجوز ان يبيح الله له ذلك لما رأى فيه من المصلحة والمنفعة كما اباح ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر من اجله الا بالتأديب والسياسة جاز ان يباح له ما يستصلح به • وقرئ ليأتينني وليأتيني • والسلطان الحجة والعذر **فان قلت** قد حلف على احد ثلاثة اشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف حلف على فعل الهدهد ومن اين درى انه يأتي بسلطان حتى يقول والله ليأتيني بسلطان **قلت** لما نظم الثلاثة باو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكونن احد الامور يعني ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما وليس في هذا ادعاء دراية على انه يجوز ان يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بانه سيأتيه بسلطان مبين فثلث بقوله او ليأتيني بسلطان مبين عن دراية وايقان فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين • فمكث قرئ بفتح الكاف وضمها غير بعيد غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان عليه الصلوة والسلام وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما اعطي من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله عز وجل • احطت بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق • الهم الله الهدهد فكافح سليمان عليه الصلوة والسلام بهذا الكلام على ما اوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه واضعفه من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء واعظم بها فتنة والاحاطة بالشيء علما ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه احد اعلم منه • وسبأ قرئ بالصرف ومنعه وقد روي بسكون الباء • وعن ابن كثير في رواية سبا بالالف كقولهم ذهبوا ايدي سبا وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحي او الاب الاكبر صرف • قال من سبأ الحاضرين مأرب • اذ يبنون من دون سيله العرما • وقال الواردون وتيم في ذرى سبأ • قد عض اعناقهم جلد الجواميس • ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث كما سميت معافر بمعافر بن اد • ويحتمل ان يراد المدينة والقوم • والنبأ الخبر الذي له شأن • وقوله من سبأ بنبأ من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط ان يجيء مطبوعا او بصيغة عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء هاهنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان بنبأ بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء اصح لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال اني وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم • وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون

ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون • الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم • المرأة بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها وقد ولده أربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس • والضمير في تملكهم راجع إلى سبأ فإن أريد به القوم فالأمر ظاهر وإن أريدت المدينة فمعناه تملك أهلها • وقيل في وصف عرشها كان ثمانين ذراعا في ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلاثين كان ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللا بأنواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق • فإن قلت كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان قلت يجوز أن يستصغر حالها إلى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش • ويجوز أن لا يكون لسليمان مثله وإن عظمت مملكته في كل شيء كما يكون لبعض الأمراء الأطراف شيء لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم ويستخدمهم • ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدي عظيم وجدتها يريد أمر عظيم أن وجدتها وقومها يسجدون للشمس • فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي مسخ كتاب الله • فإن قلت كيف قال وأوتيت من كل شيء مع قول سليمان وأوتينا من كل شيء كأنه تسوية بينهما قلت بينهما فرق بين لأن سليمان عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع أولا إلى ما أوتي من النبوة والحكمة وأسباب الدين ثم إلى الملك وأسباب الدنيا وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد إلا ما أوتيت من أسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد • فإن قلت كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهي مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب قلت لعل الله عز وجل أخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب عليهما الصلاة والسلام • فإن قلت من أين للهدهد التهدي إلى معرفة الله عز وجل ووجوب السجود له وإنكار سجودهم للشمس وإضافته إلى الشيطان وتزيينه قلت لا يبعد أن يلهمه الله ذلك كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها ومن أراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا في زمن نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له • من قرأ بالتشديد أراد فصدهم عن السبيل لأن لا يسجدوا فحذف الجار مع أن • ويجوز أن تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا • ومن قرأ بالتخفيف فهو ألا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال ألا يا اسلمي يا دارمي على البلى • وفي حرف عبد الله وهي قراءة الأعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء • وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب • وفي قراءة أبي رضي الله عنه ألا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والأرض ويعلم سركم وما تعلنون • وسمي المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه الله عز وجل من غيوبه • وقرئ الخب على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها أن تخرج على لغة من يقول في الوقف هذا الخبو ورأيت الخبا ومررت بالخبي ثم أجرى الوصل مجرى الوقف على لغة من يقول الكماة والحماة لأنها ضعيفة مسترذلة • وقرئ يخفون ويعلنون بالتاء والياء • وقيل من أحطت إلى العظيم هو كلام الهدهد • وقيل كلام رب العزة • وفي إخراج الخبء أمارة على أنه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الأرض وذلك بإلهام من يخرج الخبء في السموات والأرض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد يخفى على ذي الفراسة النظار بنور الله تعالى مخايل كل مختص بصناعة أو فن من العلم في روائه ومنطقه وشمائله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا إلا ألقى الله عليه رداء عمله • فإن قلت أسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا أم في إحداهما قلت هي واجبة فيهما جميعا لأن مواضع السجدة إما أمر بها أو مدح لمن أتى بها أو ذم لمن تركها وإحدى القراءتين أمر بالسجود والأخرى ذم للتارك • وقد اتفق أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله على أن سجدات القرآن أربع عشرة وإنما اختلفا في سجدة ص فهي عند أبي حنيفة رحمه الله

سجدة تلاوة وعند الشافعي رضي الله عنه سجدة شكر • وفي سجدتي سورة الحج • وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع إليه • فإن قلت هل يفرق الواقف بين القراءتين قلت نعم إذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ ألا يا اسجدوا وإن شاء وقف على ألا يا ثم ابتدأ اسجدوا وإذا شدد لم يقف إلا على العرش العظيم • فإن قلت كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظيم قلت بين الوصفين بون عظيم لأن وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق من السموات والأرض • وقرئ العظيم بالرفع • قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين • سننظر من النظر الذي هو التأمل والتصفح • وأراد أصدقت أم كذبت إلا أن كنت من الكاذبين أبلغ لأنه إذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة وإذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به • اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون • تول عنهم تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك • يرجعون من قوله عز وعلا يرجع بعضهم إلى بعض القول • فيقال دخل عليها من كوة فألقى الكتاب إليها وتوارى في الكوة • فإن قلت لم قال فألقه إليهم على لفظ الجمع قلت لأنه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فألقه إلى الذين هذا دينهم اهتماما منه بأمر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك • قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم • إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم • ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين • كريم حسن مضمونه وما فيه أو وصفته بالكرم لأنه من عند ملك كريم أو مختوم قال صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه وكان عليه الصلاة والسلام يكتب إلى العجم فقيل له إنهم لا يقبلون إلا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما • وعن ابن المقفع من كتب إلى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به • وقيل مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم هو استئناف وتبيين لما ألقي إليها كأنها لما قالت إني ألقي إلي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت إنه من سليمان وإنه كيت وكيت • وقرأ عبد الله وإنه من سليمان وإنه عطفا على إني • وقرئ أنه من سليمان وأنه بالفتح على أنه بدل من كتاب كأنه قيل ألقي إلي أنه من سليمان • ويجوز أن يريد لأنه من سليمان ولأنه كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره باسم الله • وقرأ أبي رضي الله عنه أن من سليمان وأن بسم الله على أن المفسرة • وأن في ألا تعلوا مفسرة أيضا لا تعلوا ناهية لا تتكبروا كما يفعل الملوك • وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد • يروى أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين • وكانت كتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه • فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمأرب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية • وقيل نقرها فانتبهت فزعة • وقيل أتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت • مسلمين منقادين أو مؤمنين • قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون • الفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء في السن والمراد بالفتوى هاهنا الإشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأي والتدبير وقصدت بالانقطاع إليهم والرجوع إلى استشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها • قاطعة أمرا فاصلة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه قاضية أي لا أبت أمرا إلا بمحضركم • وقيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف • قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين • أرادوا بالقوة قوة الأجساد وقوة الآلات والعدد وبالبأس النجدة والبلاء في الحرب • والأمر إليك أي هو موكول إليك ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك نطعك ولا نخالفك كأنهم أشاروا عليها بالقتال أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة وأنت ذات

الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين من رأيك • قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة
أهلها أذلة وكذلك يفعلون • لما أحست منهم الميل إلى المحاربة رأت من الرأي الميل إلى الصلح والابتداء بما هو
أحسن ورتبت الجواب فزيفت أولاً ما ذكروه وأرتهم الخطأ فيه بأن الملوك إذا دخلوا قرية عنوة وقهراً • أفسدوها
أي خربوها ومن ثم قالوا للفساد الخربة وأذلوا أعزتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء
مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون أرادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير لأنها كانت في بيت الملك القديم فسمعت
نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رأت من الرأي السديد • وقيل هو تصديق من الله تعالى لقولها
وقد يتعلق الساعون في الأرض بالفساد بهذه الآية ويجعلونها حجة لأنفسهم ومن استباح حراماً فقد كفر فإذا احتج
له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين • وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون •
مرسلة إليهم بهدية أي مرسلة رسلاً بهدية أصانعه بها عن ملكي • فناظرة ما يكون منه حتى أعمل على حسب ذلك
فروي أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الأساور والأطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج
محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة
وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقاً فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين
من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقالت إن كان نبياً ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقباً
مستوياً وسلك في الخرزة خيطاً • ثم قالت للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وإن رأيته بشاً
لطيفاً فهو نبي فأقبل الهدهد فأخبر سليمان فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه
طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطاً شرفه من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها
عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره
والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفاً فراسخ والإنس صفوفاً فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام
كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت إليهم نفوسهم ورموا بما معهم فلما
وقفوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال أين الحق وأخبره جبريل عليه الصلوة والسلام
بما فيه فقال لهم إن فيه كذا وكذا ثم أمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجرة وأخذت
دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها في الفواكه • ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها
فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع إليهم
فقالت هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت إليه في اثني عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف • فلما جاء سليمان قال
أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فلما جاؤوا
أتمدونني وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالإدغام كقوله تعالى أتحاجوني وبنون واحدة أتمدوني • الهدية اسم
المهدى كما أن العطية اسم المعطى فتضاف إلى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هي التي أهداها أو أهديت
إليه والمضاف إليه ههنا هو المهدى إليه والمعنى أن ما عندي خير مما عندكم وذلك أن الله آتاني الدين الذي
فيه الحظ الأوفر والغنى الأوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بأن يمد بمال ويصانع به بل أنتم
قوم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى إليكم لأن ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم
وما أرضى منكم بشيء ولا أفرح به إلا بالإيمان وترك المجوسية • فإن قلت ما الفرق بين قولك أتمدني بمال وأنا أغنى منك
وبين أن تقوله بالفاء • قلت إذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالماً بزيادتي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك
يمدني بالمال وإذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه إلى إمداده
كأني أقول له أنكر عليك ما فعلت فإني غني عنه وعليه ورد قوله فما آتاني الله • فإن قلت فما وجه الإضراب
قلت لما أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو أنهم لا يعرفون سبب

ولا فرح

ولا فرح إلا أن يهدى إليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها • ويجوز أن تجعل الهدية مضافة إلى المهدي ويكون المعنى بل
أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها • تفرحون فرح افتخار على الملوك بأنكم قدرتم على إهداء مثلها ويحتمل أن يكون عبارة
عن الرد كأنه قال بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها • ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم
منها أذلة وهم صاغرون • قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين • ارجع خطاب
للرسول وقيل للهدهد محملاً كتاباً آخر • لا قبل لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أي لا يقدرون أن يقابلوهم
وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه لا قبل لهم بهم • والضمير في منها لسبأ • والذل أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك
والصغار أن يقعوا في أسر واستعباد ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكاً • يروى أنها أمرت عند
خروجها إلى سليمان عليه الصلوة والسلام فجعل عرشها في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة
لها وغلقت الأبواب ووكلت به حرساً يحفظونه ولعله أوحي إلى سليمان عليه الصلوة والسلام باستيثاقها من عرشها
فأراد أن يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله تعالى به من إجراء العجائب على يديه مع اطلاعها على عظيم قدرة الله تعالى
وعلى ما يشهد لنبوة سليمان عليه الصلوة والسلام ويصدقها • وعن قتادة رحمه الله أراد أن يأخذه قبل أن تسلم
لعلمه أنها إذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها • وقيل أراد أن يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أتثبته أم تنكره اختباراً لعقلها
قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين • وقرئ عفرية والعفر
والعفرية والعفراة والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر أقرانه • ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان
لقوي على حمله • أمين آتي به كما هو لا أختزل منه شيئاً ولا أبدله • قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل
أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر
لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم • الذي عنده علم من الكتاب رجل كان عنده اسم الله الأعظم وهو يا حي يا قيوم
وقيل يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت • وقيل يا ذا الجلال والإكرام • وعن الحسن رحمه الله الله والرحمن
وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان عليه الصلوة والسلام وكان صديقاً عالماً • وقيل اسمه أسطوم • وقيل هو جبريل
عليه الصلوة والسلام • وقيل هو ملك أيد الله به سليمان عليه السلام • وقيل هو سليمان نفسه كأنه استبطأ العفريت
فقال له أنا أريك ما هو أسرع مما تقول • وعن ابن لهيعة بلغني أنه الخضر عليه الصلوة والسلام • [illegible]
وآتيك في الموضعين يجوز أن يكون فعلاً واسم فاعل • الطرف تحريكك أجفانك إذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفاً بإرسال الطرف
في قوله • وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً • لقلبك يوماً أتعبتك المناظر • وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد
[illegible]
قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون • [illegible] • وقرئ ننظر

بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستئناف • أتهتدي لمعرفته أو للجواب الصواب إذا سئلت عنه أو للإيمان بنبوة سليمان
عليه الصلاة والسلام إذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته وأغلقت عليه الأبواب • فلما جاءت قيل
أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين • هكذا ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه
واسم الإشارة ولم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت كأنه هو ولم تقل هو هو
ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل • وأوتينا العلم من كلام سليمان وملئه
فإن قلت علام عطف هذا الكلام وبم اتصل قلت لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها
وأجابت بما أجابت به مقاما أجرى فيه سليمان وملؤه ما يناسب قولهم وأوتينا العلم نحو أن يقولوا
عند قولها كأنه هو قد أصابت في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الإسلام وعلمت قدرة
الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الآية العجيبة من أمر عرشها عطفوا على ذلك
قولهم وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الإسلام شكرا لله على
فضلهم عليها وسبقهم إلى العلم بالله والإسلام قبلها • وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت
من قوم كافرين • وصدها عن التقدم إلى الإسلام عبادة الشمس ونشوها بين ظهراني الكفرة • ويجوز أن يكون
من كلام بلقيس موصولا بقولها كأنه هو والمعنى وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان عليه الصلاة
والسلام قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة تعني ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا في الإسلام
ثم قال الله عز وجل وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل • وقيل وصدها الله أو سليمان
عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل • وقرئ أنها بالفتح على أنه بدل من فاعل صد أو بمعنى لأنها
قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت
رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين • الصرح القصر وقيل صحن الدار • وقرأ ابن كثير سأقيها
بالهمزة ووجهه أنه جمع سؤوق وأسؤق فأجرى عليه الواحد • والممرد المملس • وروي أن سليمان صلوات الله وسلامه عليه
أمر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجري من تحته الماء وألقي فيه من دواب البحر السمك
وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره
وتحققا لنبوته وثباتا على الدين • وزعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضي إليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية • وقيل
خافوا أن يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والإنس فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد وأفظع فقالوا له إن في
عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها
فكشفت عنهما فإذا هي أحسن الناس ساقا وقدما إلا أنها شعراء ثم صرف بصره وناداها إنه صرح ممرد من قوارير • وقيل
هي السبب في اتخاذ النورة أمر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان وأحبها وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها
سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له • وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان
على اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل أميرا حتى مات سليمان عليه الصلاة والسلام
ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون • وقرئ أن اعبدوا بالضم على إتباع
النون الباء • فريقان فريق مؤمن وفريق كافر • وقيل أريد بالفريقين صالح وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد • يختصمون يقول
كل فريق الحق معي • قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون • السيئة
العقوبة والحسنة التوبة فإن قلت ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وإنما يكون ذلك إذا كانتا متوقعتين
إحداهما قبل الأخرى قلت كانوا يقولون لجهلهم إن العقوبة التي يعدها صالح إن وقعت على زعمه تبنا حينئذ
واستغفرنا مقدرين أن التوبة مقبولة في ذلك الوقت وإن لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم
واعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب • لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطأ فيما قالوه وتجهيلا

فيما اعتقدوه • قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون • كان الرجل يخرج مسافرا
فيمر بطائر فيزجره فإن مر سانحا تيمن وإن مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان
سببهما من قدر الله تعالى وقسمته أو من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك أي
قدر الله الغالب الذي ينسب إليه الخير والشر لا طائرك الذي تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم أي تشاءمنا
وكانوا قد قحطوا • قال طائركم عند الله أي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته إن شاء
رزقكم وإن شاء حرمكم • ويجوز أن يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله
تعالى طائركم معكم وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه • وقرئ تطيرنا بكم على الأصل ومعنى تطير به تشاءم
وتطير منه نفر منه • تفتنون تختبرون أو تعذبون أو يفتنكم الشيطان بوسوسته إليكم الطيرة • وكان في
المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون • المدينة الحجر وإنما جاز تمييز التسعة بالرهط لأنه في معنى الجماعة
فكأنه قيل تسعة أنفس • والفرق بين الرهط والنفر أن الرهط من الثلاثة إلى العشرة والنفر من الثلاثة إلى التسعة
وأسماؤهم عن وهب • الهذيل بن عبد رب • غنم بن غنم • رياب بن مهرج • مصدع بن مهرج • عمير بن كردبة • عاصم بن مخرمة • سبيط
ابن صدقة • سمعان بن صفي • قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء
أشرافهم • ولا يصلحون يعني أن شأنهم الإفساد البحت الذي لا يخلطه شيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر
منه بعض الصلاح • قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون •
تقاسموا يحتمل أن يكون أمرا وخبرا في محل الحال بإضمار قد أي قالوا متقاسمين • وقرئ تقسموا • وقرئ لتبيتنه بالتاء
والياء والنون • فتقاسموا مع التاء والنون يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح فيه إلا أن يكون خبرا • والتقاسم والتقسم كالتظاهر
والتظهر التحالف • والبيات مباغتة العدو ليلا • وعن الإسكندر أنه أشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك
استراق الظفر • وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم من أهلك ويحتمل المصدر والزمان والمكان
فإن قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت كأنهم
اعتقدوا أنهم إذا بيتوا صالحا وبيتوا أهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك أهله فذكروا أحدهما كانوا
صادقين لأنهم فعلوا البياتين جميعا لا أحدهما وفي هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع
ونواهيه ولا يخطر ببالهم ألا ترى أنهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لأنفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم
حيلة يتفصون بها عن الكذب • ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم
وقومهم أجمعين • مكرهم ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح وأهله ومكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر
على سبيل الاستعارة • روي أنه كان لصالح عليه الصلاة والسلام مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح أنه
يفرغ منا إلى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إلى أهله
فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا
ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه • وقيل جاءوا بالليل شاهري سيوفهم وقد أرسل
الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا • أنا دمرناهم استئناف ومن قرأ بالفتح رفعه
بدلا من العاقبة أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم أو نصبه على معنى لأنا أو على أنه خبر كان أي كان عاقبة مكرهم
الدمار • فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون • وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون • خاوية
حال عمل فيها ما دل عليه تلك • وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدأ المحذوف • ولوطا إذ قال لقومه أتأتون
الفاحشة وأنتم تبصرون • أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون • واذكر لوطا أو وأرسلنا
لوطا لدلالة ولقد أرسلنا عليه • وإذ بدل على الأول ظرف على الثاني • وأنتم تبصرون من بصر القلب أي تعلمون أنها فاحشة
لم تسبقوا إليها وأن الله إنما خلق الأنثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الأنثى للأنثى فهي مضادة لله في حكمته وعلمه

بذلك أعظم الذنوب وأدخل في القبح والسماجة وفيه دليل على أن القبيح من الله أقبح منه من عباده لأنه أعلم العالمين
وأحكم الحاكمين • أي تبصرونها بعضكم من بعض لأنهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة
ومجانة وانهماكاً في المعصية وكأن أبا نواس بنى على مذهبهم قوله وبح باسم ما تأتي وذرني من الكنى • فلا خير في اللذات من
دونها ستر • أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم **فإن قلت** فسّرت تبصرون بالعلم وبعده بل أنتم قوم
تجهلون فكيف يكون علماً وجهلاً **قلت** أراد تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك أو تجهلون العاقبة
أو أراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها **فإن قلت** تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب
فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل أنتم قوم تفتنون **قلت** اجتمعت الغيبة والمخاطبة
فغلبت المخاطبة لأنها أقوى وأرسخ أصلاً من الغيبة • فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم
أناس يتطهرون • فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين • وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر
المنذرين • وقرأ الأعمش جواب قومه بالرفع والمشهور أحسن • يتطهرون يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل
القذر ويغيظنا إنكارهم • وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو استهزاء • قدرناها قدرنا كونها من الغابرين كقوله قدرنا إنها
لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور في المعنى • قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون •
أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وأن يستفتح
بتحميده والسلام على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام من الرحمن الرحيم والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف
على أدب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى إلى السامعين وإصغائهم إليه وإنزاله من
قلوبهم المنزلة التي يبتغيها المسمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابراً عن كابر هذا الأدب فحمدوا الله وصلوا
على رسوله أمام كل علم مفاد • وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فأجروا عليه أوائل كتبهم في
الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن • وقيل هو متصل بما قبله وأمر بالتحميد على الهالكين من كفار الأمم
والصلاة على الأنبياء وأشياعهم الناجين • وقيل هو خطاب للوط عليه الصلاة والسلام وأن يحمد الله على هلاك كفار قومه
ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم معلوم أن لا خير فيما أشركوه أصلاً حتى يوازن بينه وبين
من هو خالق كل خير ومالكه وإنما هو إلزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك أنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله ولا يؤثر
عاقل شيئاً على شيء إلا لداع يدعوه إلى إيثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه وأنهم
لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثاً لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط وإضلالهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا
أن الإيثار يجب أن يكون للخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين مع علمه أنه ليس
لموسى عليه الصلاة والسلام مثل أنهاره التي كانت تجري تحته • ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله
كما عددها في موضع آخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء • وقرئ يشركون بالياء والتاء • وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه كان إذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم • أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء
فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون • **فإن قلت**
ما الفرق بين أم وأم في أما يشركون وأمّن خلق **قلت** تلك متصلة لأن المعنى أيهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما
قال الله تعالى آلله خير أم الآلهة قال بل أمّن خلق السموات والأرض خير تقريراً لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر
على شيء • وقرأ الأعمش أمَن بالتخفيف ووجهه أن يجعل بدلاً من الله كأنه قال أمَن خلق السموات والأرض خير أما يشركون **فإن
قلت** أي نكتة في نقل الإخبار عن الغيبة إلى التكلم عن ذاته في قوله فأنبتنا **قلت** تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته
والإيذان بأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد
لا يقدر عليه إلا هو وحده ألا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله تعالى ما كان لكم أن تنبتوا شجرها • ومعنى الكينونة
الانبغاء أراد أن تأتي ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب أبلغ في تخطئة رأيهم • والحديقة البستان

عليه حائط من الإحداق وهو الإحاطة • وقيل ذات لأن المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة
الحسن لأن الناظر يبتهج به • أإله مع الله أغيره يقرن به ويجعل شريكاً له • وقرئ أإلهاً مع الله بمعنى أتدعون أو أتشركون ولك
أن تحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين • يعدلون به غيره أو يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد • أمّن
جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون • أمّن جعل وما بعده
بدل من أمّن خلق فكان حكمها حكمه • قراراً دحاها وسواها للاستقرار عليها • حاجزاً كقوله تعالى برزخاً • أمّن يجيب المضطر
إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون • الضرورة الحالة المحوجة
إلى اللجاء والاضطرار افتعال منها يقال اضطره إلى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من
نوازل الدهر إلى اللجاء والتضرع إلى الله • وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو المجهود • وعن السدي الذي لا حول له ولا قوة • وقيل
المذنب إذا استغفر **فإن قلت** قد عمّ المضطرين بقوله يجيب المضطر إذا دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب
قلت الإجابة موقوفة على أن يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد إلا شارطاً فيه المصلحة وأما
المضطر فتناول للجنس مطلقاً يصلح لكله ولبعضه فلا طريق إلى الجزم على أحدهما إلا بدليل وقد قام الدليل على البعض
وهو الذي إجابته مصلحة فبطل التناول على العموم • خلفاء الأرض خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف
فيها قرناً بعد قرن • أو أراد بالخلافة الملك والتسلط • وقرئ يذكرون بالياء مع الإدغام • وبالتاء مع الإدغام
والحذف وما مزيدة أي تذكرون تذكراً قليلاً والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي • أمّن يهديكم في
ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون • يهديكم بالنجوم في
السماء والعلامات في الأرض إذا جن الليل عليكم مسافرين في البر والبحر • أمّن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم
من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين • **فإن قلت** كيف قيل لهم أمّن يبدأ الخلق
ثم يعيده وهم منكرون للإعادة **قلت** قد أزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والإقرار فلم يبق لهم عذر في الإنكار
من السماء الماء ومن الأرض النبات • إن كنتم صادقين أن مع الله إلهاً فأين دليلكم عليه • قل لا يعلم من في السموات والأرض
الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون • **فإن قلت** لم رفع اسم الله والله يتعالى أن يكون ممن في السموات والأرض
قلت جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار أحد إلا حمار يريدون ما فيها إلا حمار كأن أحداً لم يذكر ومنه قوله
عشية ما تغني الرماح مكانها • ولا النبل إلا المشرفي المصمم • وقولهم ما أتاني زيد إلا عمرو وما أعانه إخوانكم إلا إخوانه
فإن قلت ما الداعي إلى اختيار المذهب التميمي على الحجازي **قلت** دعت إليه نكتة سرية حيث أخرج المستثنى مخرج قوله
إلا اليعافير بعد قوله ليس بها أنيس ليؤول المعنى إلى قولك إن كان الله ممن في السموات والأرض فهم يعلمون الغيب يعني أن علمهم الغيب في
استحالته كاستحالة أن يكون الله منهم كما أن معنى ما في البيت إن كانت اليعافير أنيساً ففيها أنيس بتاً للقول بخلوها عن الأنيس
فإن قلت هلا زعمت أن الله ممن في السموات والأرض كما يقول المتكلمون الله في كل مكان على معنى أن علمه في الأماكن كلها
فكأن ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم **قلت** يأبى ذلك أن كونه في السموات والأرض مجاز وكونهم فيهن حقيقة
وإرادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازاً غير صحيحة على أن قولك من في السموات والأرض وجمعك بينه وبينهم في إطلاق
اسم واحد فيه إيهام تسوية والإيهامات مزالة عنه وعن صفاته تعالى ألا ترى كيف قال صلى الله عليه وسلم لمن قال ومن
يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم أنت • وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم
على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله • وعن بعضهم أخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه
أحداً لئلا يأمن أحد من عبيده مكره • وقيل نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة • أيان
بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالاً من آن يئين ولا نصرف • وقرئ إيان بكسر الهمزة • بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك
منها بل هم منها عمون • وقرئ بل أدرك بل ادارك بل تدارك بل أأدرك بهمزتين بل آأدرك بألف بينهما بل ادرك بالتخفيف والنقل
بل ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال وأصله بل أدرك على الاستفهام بلى أدرك بلى أأدرك أم تدارك أم أدرك فهذه ثنتا

عشرة قراءة • وادارك اصله تدارك فادغمت التاء في الدال • وادرك افتعل • ومعنى ادرك علمهم انتهى وتكامل • وادارك
تتابع واستحكم وهو على وجهين احدهما ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيمة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم
ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وهو قوله تعالى بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات والارض
لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم **فان قلت** ان الاية
سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه وان وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به
فكيف لاءم هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة **قلت** لما
ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا
لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذي لا بد ان يكون وهو وقت جزاء
اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام العلم به • والوجه الثاني ان وصفهم باستحكام
العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته
الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته • وفي ادرك علمهم وادارك
علمهم وجه اخر وهو ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم
وقد فسره الحسن باضمحل علمهم • وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك **فان قلت** فما وجه
قراءة من قرأ بل أأدرك على الاستفهام **قلت** هو استفهام على وجه الانكار لادراك علمهم وكذلك من
قرأ أم ادرك وأم تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة **فان قلت** فمن قرأ بلى ادرك وبلى ادارك
قلت لما جاء ببلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك
علمهم في الاخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكانه قال شعورهم بوقت الاخرة انهم لا
يعلمون كونها فيرجع الى نفي العلم على ابلغ ما يكون • واما من قرأ بلى أأدرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون
متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها فاذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم بوقت
الكائن تابع للعلم بكون الكائن • في الاخرة في شان الاخرة ومعناها **فان قلت** هذه الاضرابات
الثلاث ما معناها **قلت** ما هي الا تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم
لا يعلمون ان القيمة كائنة لا محالة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة الا
ترى ان من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل اربابها بعضهم لبعض كان امره اهون ممن سمع بها وهو جاثم
لا يتشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو اسوأ حالا وهو العمى وان يكون مثل البهيمة قد عكف
همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الاخرة مبدأ عماهم
ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون
وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون • لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل
ان هذا الا اساطير الاولين • العامل في اذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لان بين يدي عمل اسم
الفاعل فيه عقابا وهي همزة الاستفهام وان ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد الاخراج
من الارض او من حال الفناء الى الحيوة وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب
جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير في انا لهم ولابائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم **فان قلت**
قدم في هذه الاية هذا على نحن وآباؤنا وفي آية اخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا **قلت** التقديم دليل على
ان المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الآيتين دل على ان اتخاذ البعث هو الذي
تعمد بالكلام وفي الاخرى على ان اتخاذ المبعوث بذلك الصدد • قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المجرمين • لم تلحق علامة التانيث بفعل العاقبة لان تانيثها غير حقيقي ولان المعنى كيف كان آخر امرهم

واراد بالمجرمين الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها الا ترى
الى قوله تعالى فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا • ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما
يمكرون • ولا تحزن عليهم لانهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومك قريش كقوله تعالى فلعلك باخع نفسك على
آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا • في ضيق في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فان الله يعصمك من
الناس يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما • والضيق ايضا تخفيف الضيق قال الله تعالى ضيقا حرجا
قرئ مخففا ومثقلا • ويجوز ان يراد في امر ضيق من مكرهم • ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين • قل
عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون • استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى ان يكون ردفكم بعضه وهو
عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتاكيد كالباء في ولا تلقوا بايديكم او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف لكم
ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدي بمن قال فلما ردفنا من عمير وصحبه • تولوا سراعا والمنية تعنق • يعني دنونا
من عمير • وقرأ الاعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر افصح • وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم
يدل على صدق الامر وجده وما لا مجال للشك بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم
بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بان عدوهم لا يفوتهم وان الرمزة الى الاغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله
ووعيده • وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون • الفضل والفاضلة الافضال وجمعها
فواضل وفضول ومعناه انه مفضل عليهم بتاخير العقوبة وانه لا يعاجلهم بها واكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه
ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب وهم قريش • وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون • قرئ
تكن يقال كننت الشيء واكننته اذا سترته واخفيته يعني انه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه • وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين • سمى الشيء
الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العاقبة والعافية ونظائرهما النطيحة والرمية والذبيحة
في انها اسماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه قال وما
من شيء شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله واحاط به واثبته في اللوح • المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة
ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون • وانه لهدى ورحمة للمؤمنين • قد اختلفوا في المسيح
فتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم التناكر في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه
لو انصفوا واخذوا به واسلموا يريد اليهود والنصارى • للمؤمنين لمن انصف منهم وآمن اي من بني اسرائيل او منهم • ان
ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم • بينهم بين من آمن بالقرآن ومن كفر به **فان قلت** ما معنى يقضي
بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه **قلت** معناه بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل فسمى المحكوم به
حكما او اراد بحكمته وتدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة • وهو العزيز فلا يرد قضاؤه • العليم بمن يقضي له وبمن يقضي
عليه • او العزيز في انتقامه من المبطلين • العليم بالفصل بينهم وبين المحقين • فتوكل على الله انك على الحق المبين •
امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين وعلل التوكل بانه على الحق الابلج الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان ان صاحب الحق
حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وان مثله لا يخذل • انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين • وما
انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون • **فان قلت** انك لا تسمع الموتى يشبه
ان يكون تعليلا آخر للتوكل فما وجه ذلك **قلت** وجهه ان الامر بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من جهة المشركين واهل الكتاب من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالعداوة والاذى فلاءم ذلك ان يعلل توكل متوكل مثله بان
اتباعهم امر قد يئس منه فلم يبق الا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم واذاهم وشبهوا بالموتى وهم احياء صحاح
الحواس لانهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله فكانوا اقماع القول لا تعيها آذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء
جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي

يضلون الطريق ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله عز وجل فان قلت ما معنى
قوله تعالى اذا ولوا مدبرين قلت هو تأكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد عن الداعي بان يولي عنه مدبرا كان ابعد عن
ادراك صوته • وقرئ ولا يسمع الصم • وما انت بهادٍ العمي على الاصل وتهدي العمي • وعن ابن مسعود رضي الله عنه
وما ان تهتدي العمي وهداه عن الضلال كقولك سقاه عن العيمة اي ابعده عنها بالسقي وابعده عن الضلال بالهدى
• ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا على الذين علم الله انهم يؤمنون باياته اي يصدقون بها • فهم مسلمون اي مخلصون
من قوله عز وجل بلى من اسلم وجهه لله يعني جعله سالما خالصا له • واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من
الارض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون • سمي معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا به من قيام الساعة
والعذاب ووقوعه حصوله • والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة • ودابة الارض الجساسة
جاء في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب • وروي لها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان
• وعن ابن جريج في وصفها • رأس ثور • وعين خنزير • واذن فيل • وقرن ايل • وعنق نعامة • وصدر اسد
ولون نمر • وخاصرة هر • وذنب كبش • وخف بعير • وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه الصلوة والسلام •
وروي لا يخرج الا رأسها ورأسها يبلغ عنان السماء او يبلغ السحاب • وعن ابي هريرة رضي الله عنه فيها من كل لون وما بين قرنيها
فرسخ للراكب • وعن الحسن رحمه الله لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها • وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام • وروي انها
تخرج ثلث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد
حرمة واكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون
وقوم يقفون نظارة • وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون يعني
ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لان خروجها من الايات وتقول الا لعنة الله على الظالمين • وعن السدي تكلمهم ببطلان
الاديان كلها سوى دين الاسلام • وعن ابن عمر رضي الله عنهما تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم
الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك • وروي تخرج من اجياد • وروي بينا عيسى عليه الصلوة والسلام يطوف بالبيت ومعه
المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصى موسى عليه السلام
وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده او فيما بين عينيه بعصى موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى
يضيء لها وجهه او فتترك وجهه كانه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى
يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر • وروي فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتختم انف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان انت
من اهل الجنة ويا فلان انت من اهل النار • وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم • ويجوز ان يكون
تكلمهم من الكلم ايضا على معنى التكثير يقال فلان مكلم اي مجرح • ويجوز ان يكون يستدل بالتخفيف على ان المراد بالتكليم التجريح
كما فسر لنحرقنه بقراءة علي رضي الله عنه لنحرقنه • وان يستدل بالقراءة الاخرى تنبئهم وبقراءة ابن مسعود رضي الله عنه تكلمهم
بان الناس على انه من الكلام والقراءة بان مكسورة حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول او باضمار القول اي تقول الدابة ذلك او هي حكاية لقول الله
تعالى عند ذلك • فان قلت اذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول باياتنا • قلت قولها حكاية لقول الله تعالى او على
معنى بايات ربنا او لاختصاصها بالله واثرتها عنده تعالى وانها من خواص خلقه اضافت ايات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة
الملك خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده • ومن قرأ بالفتح فعلى حذف الجار اي تكلمهم بان • ويوم نحشر من كل امة
فوجا ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون • فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وهذه عبارة
عن كثرة العدد وتباعد اطرافه كما وصفت جنود سليمان بذلك وكذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون
في دين الله افواجا • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة
وكذلك يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار • فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية • قلت الاولى للتبعيض

والثانية قلت الاولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله تعالى من الاوثان • حتى اذا جاءوا قال اكذبتم باياتي ولم
تحيطوا بها علما اماذا كنتم تعملون • ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون • الواو للحال كانه قال اكذبتم بها بادي
الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او بالتكذيب او
للعطف اي اجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا اذهانكم لتحققها وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد
ان يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك ان يقرأه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه • ام ماذا
كنتم تعملون بها التبكيت لا غير وذلك انهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدرون ان يكذبوا ويقولوا قد صدقنا
بها وليس الا التصديق بها او التكذيب ومثاله ان تقول لراعيك وقد عرفته رويعي سوء اتاكل نعمي ام
ماذا تعمل بها فتجعل ما تبتدي به وتجعله اصل كلامك واساسه هو الذي صح عندك من اكله وفساده
وترمي بقولك ام ماذا تعمل بها مع علمك انه لا يعمل بها الا الاكل لتبهته وتعلمه علمك بانه لا يجيء منه الا
اكلها وانه لا يقدر ان يدعي الحفظ والاصلاح لما شهر من خلاف ذلك • او اراد اما كان لكم عمل في الدنيا
الا الكفر والتكذيب بايات الله • اماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني انه لم يكن لهم عمل غيره كانهم لم يخلقوا الا
للكفر والمعصية وانما خلقوا للايمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله
ووقع القول عليهم يريد ان العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله فيشغلهم عن النطق
والاعتذار كقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون • الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في
ذلك لايات لقوم يؤمنون • جعل الابصار للنهار وهو لاهله • فان قلت ما للتقابل لم يراع في قوله ليسكنوا
ومبصرا حيث كان احدهما علة والآخر حالا • قلت هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف
لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب • ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض
الا من شاء الله وكل اتوه داخرين • فان قلت لم قيل ففزع دون فيفزع • قلت لنكتة وهي الاشعار
بتحقق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة واقع على اهل السموات والارض لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه
مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون • الا من شاء الله الا من ثبت الله قلبه من الملائكة
قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام • وقيل الشهداء • وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة
العرش • وعن جابر رضي الله عنه منهم موسى عليه الصلوة والسلام لانه صعق مرة ومثله قوله عز وجل ونفخ في الصور
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله • وقرئ اتوه واتاه • وداخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ
والداخر والدخر الصاغر • وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية • ويجوز ان يراد رجوعهم الى امره
وانقيادهم له • وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما
تفعلون • جامدة من جمد في مكانه اذا لم يبرح • تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر اليها الناظر
حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد • وهي تمر مرا حثيثا كما يمر السحاب وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد
اذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش • بارعن مثل الطود تحسب انهم • وقوف لحاج والركاب
تهملج • صنع الله من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله الا ان مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ
والمعنى ويوم ينفخ في الصور فكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين • ثم قال صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة
وجعل هذا الصنع من جملة الاشياء التي اتقنها واتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله الذي اتقن كل شيء يعني
ان مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه للاشياء واتقانه لها واجرائه لها على قضايا
الحكمة • انه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافيهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة الى
آخر الآيتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة اضماده ورصانة تفسيره واخذ بعضه
بحجزة بعض كانما افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز القوى واخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب كلام

جاء كالشاهد بصحة هذا المنادي على سداده وانه ما كان ينبغي ان يكون الا كما قد كان الا ترى الى قوله صنع الله وصبغة
ووعد الله وفطرة الله بعد ما وسمها باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي اتقن كل شيء ومن احسن من
الله صبغة ان الله لا يخلف الميعاد لا تبديل لخلق الله • وقرئ تفعلون على الخطاب • من جاء بالحسنة فله خير منها وهم
من فزع يومئذ آمنون • فله خير منها يريد الاضعاف فان العمل يتقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل
السيد وقيل فله خير منها اي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحسنة كلمة الشهادة
وقرئ يومئذ مفتوحا مع الاضافة لانه اضيف الى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع • فان قلت ما الفرق بين
الفزعين قلت الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وان كان
المحسن يأمن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز وتكرمة واحسان
وتولية • واما الثاني فالخوف من العذاب • فان قلت فمن قرأ من فزع بالتنوين ما معناه قلت يحتمل معنيين
من فزع واحد وهو خوف العقاب واما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال والعظائم فلا يخلون منه لان
البشرية تقتضي ذلك وفي الاخبار والآثار ما يدل عليه • ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو
خوف النار • امن يعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى افأمنوا مكر الله • ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في
النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون • وقيل السيئة الاشراك يقال كبت الرجل القاه على وجهه والرقبة فكأنه قيل
فكبوا في النار كقوله تعالى فكبكبوا فيها • ويجوز ان يكون ذكر الوجوه ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين • هل
تجزون يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب باضمار القول • انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة
الذي حرمها وله كل شيء وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه
ومن ضل فقل انما انا من المنذرين • امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يقول امرت ان اخص الله وحده بالعبادة
ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش • وان اكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام • وان اتلو القرآن من التلاوة
او من التلو كقوله عز وجل واتبع ما يوحى اليك • والبلدة مكة حرسها الله تعالى اختصها من بين سائر البلاد باضافة
اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واكرمها عليه واعظمها عنده وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج
من مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال اني اعلم انك احب بلاد الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني
ما خرجت واشار اليها اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي
هو خاص وصفها فاجزل بذلك قسمها في الشرف والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم مضاد لربه
ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجئ اليها آمن وجعل
دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفي ذلك اشارة الى ان ملكا ملك مثل هذه البلدة عظيم الشان
قد ملكها وملك اليها كل شيء • اللهم بارك لنا في سكناها وآمنا فيها شر كل ذي شر ولا تنقلنا من جوار بيتك الا الى دار
رحمتك • وقرئ التي حرمها • واتل عليهم هذا القرآن • عن ابي رضي الله عنه وان اتل عن ابن مسعود رضي الله عنه • فمن
اهتدى باتباعه اياي فيما انا بصدده من توحيد الله ونفي الانداد عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما انزل علي من
الوحي فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الي • ومن ضل ولم يتبعني فلا علي • وما انا الا رسول منذر وما على الرسول الا
البلاغ • وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون • ثم امره ان يحمد الله على ما خوله
من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وان يهدد اعداءه بما سيريهم الله من آياته التي تلجئهم الى المعرفة والاقرار بانها آيات الله
وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعني في الآخرة عن الحسن وعن الكلبي رحمه الله تعالى الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من
نقمات الله في الدنيا • وقيل هو كقوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم الآية وكل عمل يعملونه فالله عالم به غير غافل
عنه لان الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين • وقرئ تعملون بالياء والتاء • روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان

وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون
بالحق لقوم يؤمنون • من نبإ موسى وفرعون مفعول نتلو اي نتلو عليك بعض خبرهما • بالحق محقين كقوله تعالى
تنبت بالدهن • لقوم يؤمنون لمن سبق في علمنا انه يؤمن لان التلاوة انما ينتفع بها هؤلاء دون غيرهم • ان فرعون علا في
الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من
المفسدين • ان فرعون جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل كان قائلا قال وكيف كان نبأهما فقال ان فرعون علا
في الارض يعني ارض مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف • شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه
لا يملك احد منهم ان يلوي عنقه • قال الاعشى • وبلدة يرهب الجواب دلجتها • حتى تراه عليها يبتغي الشيعا • او يشيع
بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه يتسخر صنفا في بناء وصنفا في حرث وصنفا في حفر ومن لم يستعمله ضرب
عليه الجزية • او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة وهم بنو اسرائيل والقبط والطائفة المستضعفة بنو اسرائيل
• وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون
فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وان كذب فما وجه القتل • ويستضعف حال من الضمير في وجعل او صفة
لشيعا او كلام مستأنف • ويذبح بدل من يستضعف • وقوله تعالى انه كان من المفسدين بيان ان القتل ما كان
الا فعل المفسدين فحسب لانه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن او كذب • ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين • فان قلت علام عطف قوله تعالى ونريد ان نمن وعطفه
على نتلو ويستضعف غير سديد • قلت هي جملة معطوفة على قوله تعالى ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة
تلك في وقوعها تفسيرا لنبإ موسى وفرعون واقتصاصا له • ونريد حكاية حال ماضية ويجوز ان يكون حالا من يستضعف
اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم • فان قلت كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله المن عليهم واذا
اراد الله شيئا كان ولم يتوقف الى وقت آخر • قلت لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة
وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم • ائمة مقدمين في الدين والدنيا يطأ الناس اعقابهم • وعن ابن عباس رضي
الله عنهما قادة يقتدى بهم في الخير • وعن مجاهد دعاة الى الخير • وعن قتادة ولاة كقوله تعالى وجعلكم ملوكا • الوارثين
يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم • ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا
يحذرون • مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد فوطأه ومهده ونظيره ارض له • ومعنى التمكين لهم
في الارض وهي ارض مصر والشام ان يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت في ايام الجبابرة وينفذ امرهم
ويطلق ايديهم ويسلطهم • وقرئ ويرى فرعون وهامان وجنودهما اي يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم
وهلاكهم على يد مولود منهم • واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي
ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين • اليم البحر • فان قلت ما المراد بالخوفين حتى اوجب
احدهما ونهى عن الآخر • قلت اما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح خافت ان يسمع الجيران صوته
فينموا عليه • واما الثاني فالخوف عليه من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب
الولدان وغير ذلك من المخاوف • فان قلت ما الفرق بين الخوف والحزن • قلت الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع
والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما جميعا واومنت بالوحي اليها ووعدت ما يسليها
ويطامن قلبها ويملؤها غبطة وسرورا وهو رده اليها وجعله من المرسلين • وروي انه ذبح في طلب موسى عليه
الصلاة والسلام تسعون الف وليد • وروي انها حين اقربت ضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى

بني اسرائيل مصافية لها فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله اليها فالقته في اليم وقد روي انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله • **فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين** • اللام في ليكون هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة المجيء والتأديب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتأدب وتحريره ان هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد • وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم كانوا خاطئين في كل شيء فليس خطاؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم او كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم • وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطا • **وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون** • روي انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية رضي الله عنها فرأت في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبي نور بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطباء لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا احد ما عطفهم عليه فقال الغواة من قومه هو الصبي الذي نحذر منه فأذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية رضي الله عنها قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي • وروي في حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير اي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولاسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تأويله والله اعلم بصحته • وروي انها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بني اسرائيل • قرة عين خبر مبتدأ محذوف ولا يقوى ان تجعله مبتدأ ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان اقوى • وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه دليل على انه خبر قرئ لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه • عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت في سيماه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا او نتبناه فانه اهل للتبني ولان يكون ولدا لبعض الملوك • **فان قلت** وهم لا يشعرون حال فما ذو حالها **قلت** ذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا • وهم لا يشعرون انهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه • وقوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما احسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم • **واصبح فؤاد ام موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين** • فارغا صفرا من العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله سبحانه وتعالى وافئدتهم هواء اي جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان • الا ابلغ ابا سفيان عني • فانت مجوف نخب هواء • وذلك ان القلوب مراكز العقول الا ترى الى قوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرأ فرغا

اي خاليا من قولهم لعن الله من صفر الاناء وفرغ الفناء • وفرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر يعني بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها • لتبدي به لتصحر به والضمير لموسى والمراد بامره وقصته وانه ولدها • لولا ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن • لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك • ويجوز واصبح فؤادها فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون عطف عليه وتبناه • ان كادت لتبدي بانه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت • لولا انا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج • لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه • وقرئ موسى بالهمز جعلت الضمة في جارة الواو كانها فيها فهمزت كما همز وؤجوه • **وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون** • قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره • وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد • وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه والى جانبه اي نظرت اليه مزورة متجانفة مخاتلة وهم لا يحسون بانها اخته وكان اسمها مريم • **وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون** • التحريم استعارة للمنع لان من حرم عليه الشيء فقد منعه الا ترى الى قولهم محظور وحجر وذلك لان الله منعه ان يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدي مرضع قط حتى اهمهم ذلك • والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي او الرضاع • من قبل من قبل قصصها اثره • روي انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف اهله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون • والنصح اخلاص العمل من شائب الفساد فانطلقت الى امها بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها وذهبت به الى بيتها وانجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها انه سيكون نبيا وذلك قوله لتعلم ان وعد الله حق يريد وليثبت علمها ويتمكن • **فان قلت** كيف حل لها ان تأخذ الاجر على ارضاع ولدها **قلت** ما كانت تأخذه لتأخذه على الرضاع ولكنه مال حربي كانت تأخذه على وجه الاستباحة • وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون داخل تحت علمها المعنى لتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى عليه الصلاة والسلام فجزعت واصبح فؤادها فارغا • يروى انها حين القت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا ام موسى كرهت ان يقتل فرعون موسى فتؤجري ثم ذهبت فتوليت قتله فلما اتاها الخبر بان فرعون اصابه قالت وقع في يد العدو فنسيت وعد الله • ويجوز ان يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه ان الرد انما كان لهذا الغرض الديني وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الاكثر لا يعلمون بان هذا هو الغرض الاصلي الذي ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن • **ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين** • واستوى اعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط • واستحملوا امركم لله دركم • شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا • وذلك اربعون سنة • ويروى انه لم يبعث نبي الا على رأس اربعين سنة • العلم التوراة • والحكم السنة وحكمة الانبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة • وقيل معناه آتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه • **ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم** • المدينة مصر وقيل مدينة منف من ارض مصر • وحين غفلتهم ما بين العشاءين وقيل وقت القائلة • وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه بلهوهم • وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل • وقرأ سيبويه فاستغاثه • من شيعته من شايعه على دينه من بني اسرائيل وقيل هو السامري • من عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر الاسرائيلي لحمل الحطب الى مطبخ فرعون • والوكز

الدفع بأطراف الأصابع. وقيل بجمع الكف. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فلكزه باللام. فقضى عليه فقتله. فإن قلت
لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه. قلت لأنه قتله قبل أن يؤذن له في القتل
فكان ذنبا يستغفر منه. وعن ابن جريج ليس لنبي أن يقتل ما لم يؤمر. قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا
للمجرمين. بما أنعمت علي يجوز أن يكون قسما جوابه محذوف تقديره أقسم بإنعامك علي بالمغفرة لأتوبن. فلن أكون ظهيرا
للمجرمين وأن يكون استعطافا كأنه قال رب اعصمني بحق ما أنعمت علي من المغفرة فلن أكون إن عصمتني ظهيرا للمجرمين
وأراد بمظاهرة المجرمين إما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد
وكان يسمى ابن فرعون. وإما مظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم والإثم كمظاهرة الإسرائيلي المؤدية إلى القتل الذي لم يحل له.
وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يستثن فابتلي به مرة أخرى يعني لم يقل فلن أكون إن شاء الله. وهذا نحو قوله عز وجل
ولا تركنوا إلى الذين ظلموا. وعن عطاء رحمه الله أن رجلا قال له إن أخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه. قال فمن الرأس يعني من
يكتب قال خالد بن عبد الله القسري. قال فأين قول موسى وتلا هذه الآية. وفي الحديث ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة وأشباه
الظلمة وأعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة أو برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى بهم في جهنم. وقيل معناه
بما أنعمت علي من القوة فلن أستعملها إلا في مظاهرة أوليائك وأهل طاعتك والإيمان بك ولا أدع قبطيا يغلب أحدا من بني إسرائيل.
فأصبح في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين.
يترقب المكروه وهو الاستقادة منه أو الأخبار وما يقال فيه. ووصف الإسرائيلي بالغي لأنه كان سبب قتل رجل وهو
يقاتل آخر. فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن
تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين. وقرئ يبطش بالضم. والذي هو عدو لهما
القبطي لأنه ليس على دينهما ولأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل. والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم
لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي أحسن. وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله. ولما قال هذا أفشى على موسى فانتشر الحديث
في المدينة ورقي إلى فرعون وهموا بقتله. وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون
بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين. قيل الرجل مؤمن من آل فرعون وكان ابن عم فرعون. ويسعى يجوز ارتفاعه
وصفا لرجل وانتصابه حالا عنه لأنه قد تخصص بأن وصف بقوله من أقصى المدينة وإذا جعل صلة لجاء لم يجز في
يسعى إلا الوصف. والائتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بأمر
والمعنى يتشاورون بسببك. لك بيان وليس بصلة الناصحين. فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني
من القوم الظالمين. ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل. يترقب التعرض له في الطريق
أو أن يلحق. تلقاء مدين قصدها ونحوها. ومدين قرية شعيب عليه الصلاة والسلام سميت بمدين بن إبراهيم
ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى عليه الصلاة والسلام لا يعرف إليها الطريق. قال
ابن عباس رضي الله عنهما خرج وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه. وسواء السبيل وسطه ومعظم نهجه. وقيل
خرج حافيا لا يعيش إلا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه. وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق
به. ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون. ماء مدين ماؤهم الذي يستقون منه وكان
بئرا فيما روي. وروده مجيئه والوصول إليه. وجد عليه وجد فوق شفيره ومستقاه. أمة جماعة
كثيفة العدد من الناس من أناس مختلفين. ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا
لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير. من دونهم في مكان أسفل من مكانهم. والذود الطرد والدفع
وإنما كانتا تذودان لأن على الماء من هو أقوى منهما فلا تتمكنان من السقي. وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء. وقيل
لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم. وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما. ما خطبكما ما شأنكما وحقيقته
ما مخطوبكما أي ما مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا كما سمي المشئون شأنا في قولك ما شأنك يقال شأنت شأنه

أي قصدت قصده. وقرئ لا نسقي ويصدر بضم النون والياء. والرعاء اسم جمع كالرخال والثناء. وأما الرعاء
بالكسر فقياس كصيام وقيام. كبير السن. فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير
فقير. فسقى لهما فسقى غنمهما لأجلهما. وروي أن الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله إلا سبعة رجال
وقيل عشرة. وقيل ما يتعاقبه [illegible] هو وحده. وروي أنه سألهم دلوا من ماء فأعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا
ينزعها إلا أربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة. وروي غنمهما وأصدرهما. وروي أنه دفعهم عن الماء
حتى سقى لهما. وقيل كانت بئرا أخرى عليها الصخرة. وإنما فعل هذا رغبة في المعروف وإغاثة للملهوف. والمعنى أنه
وصل إلى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه أمة من أناس مختلفة متكاثفة العدد ورأى الضعيفتين من ورائهم مع
غنيمتهما مترقبتين لفراغهم فما أخطأت همته في دين الله تعالى تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم
والجوع ولكنه رحمهما فأغاثهما وكفاهما أمر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما آتاه الله من الفضل في
متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع إرادة اقتصاص أمره وما أوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به
من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب في الخير وانتهاز فرصه وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والأخذ بسيرهم
ومذاهبهم. فإن قلت لم ترك المفعول غير مذكور في قوله تعالى يسقون وتذودان ولا نسقي. قلت لأن
الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم
ومسقيهم إبل مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا المسقي. فإن قلت كيف طابق
جوابهما سؤاله. قلت سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك أنا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على
مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقي إلى أن يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك. وأبونا
شيخ كبير قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام أبلغنا إليه عذرهما في توليهما السقي بأنفسهما. فإن قلت
كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عليه الصلاة والسلام أن يرضى لابنتيه بسقي الماشية. قلت الأمر في
نفسه ليس بمحظور فالدين لا يأباه وأما المروءة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه وأحوال العرب
فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضر خصوصا إذا كانت الحالة حالة ضرورة.
رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير. عدي فقير باللام لأنه ضمن معنى سائل وطالب
قيل ذكر ذلك وإن خضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال ما سأل الله إلا أكلة. ويحتمل أن يريد إني فقير من الدنيا
لأجل ما أنزلت إلي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لأنه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضى بالبدل
السني وفرحا به وشكرا له. وكان الظل ظل سمرة. فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك
ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين. على استحياء
في موضع الحال أي مستحيية متخفرة. وقيل قد استترت بكم درعها. روي أنهما لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما
حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لإحداهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى
فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق. فلما قص عليه قصته قال له لا تخف فلا
سلطان لفرعون بأرضنا. فإن قلت كيف ساغ لموسى عليه الصلاة والسلام أن يعمل بقول امرأة وأن يمشي معها وهي
أجنبية. قلت أما العمل بقول امرأة فكما نعمل بقول الواحد حرا كان أو عبدا ذكرا كان أو أنثى في الأخبار وما كانت إلا
مخبرة عن أبيها بأنه يدعوه ليجزيه وأما مماشاته امرأة أجنبية فلا بأس بها في نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط
والتورع. فإن قلت كيف صح له أخذ الأجر على البر والمعروف. قلت يجوز أن يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى
سبيل البر والمعروف. وقبل إطعام شعيب عليه الصلاة والسلام وإحسانه لا على سبيل أخذ الأجر ولكن على سبيل
التقبل لمعروف مبتدإ كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه أنه من بيت النبوة من أولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام
ومثله حقيق بأن يضيف ويكرم خصوصا في دار نبي من أنبياء الله وليس بمنكر أن يفعل ذلك لاضطراره للفقر والفاقة

طيّب الله تعالى وقد روي ما يعضد كلا القولين روي انها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب عليه الصلوة والسلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك اجر ما سقيت اي جزاء سقيك والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص قالت احداهما يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء وصفراء هي التي ذهبت به وطلبت الى ابيها ان يستاجره وهي التي تزوجها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان شعيبا عليه الصلوة والسلام احفظته الغيرة فقال وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب راسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه وقولها ان خير من استاجرت القوي الامين كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني الكفاية والامانة في القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول استاجره لقوته وامانته فان قلت كيف جعل خير من استاجرت اسما لان والقوي الامين خبرا قلت هو مثل قوله ان خير من استاجرت ... اسد تقيف عندهم والسلسبيل في ان العناية هي سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امر قد جرب وعرف ومنه قولهم اهون ما اعملت لسان ممخ وعن ابن مسعود رضي الله عنه افرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر رضي الله عنهما قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين وروي انه انكحه صفراء وقوله هاتين فيه دليل على انه كان له غيرهما تاجرني من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثماني حجج ظرفه او من اجرته كذا اذا اثبته اياه ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم اجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول به ومعناه رعية ثماني حجج فان قلت كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز قلت لم يكن ذلك عقدا للنكاح ولكن مواعدة ومواصفة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد انكحتك ولم يقل اني اريد ان انكحك فان قلت كيف صح ان يمهرها اجارة نفسه في رعية الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال الا ترى الى ابي حنيفة رحمه الله كيف منع ان يتزوج امراة بان يخدمها سنة وجوز ان يتزوجها بان يخدم مهلها عبده سنة او يسكنها داره سنة لانه في الاول مسلم نفسه وليس بمال وفي الثاني هو مسلم مالا وهو العبد او الدار قلت الامر على مذهب ابي حنيفة رحمه الله على ما ذكرت واما الشافعي رضي الله عنه فقد جوز التزوج على الاجارة لبعض الاعمال والخدمة اذا كان المستاجر له او المخدوم فيه امرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا في تلك الشريعة ويجوز ان تكون الاجرة الرعي والنكاح ومنه وسط ماله في تلك المدة وارادان ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية على معنى اني افعل هذا اذا فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز ان يستاجره لرعية ثماني سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على ان تاجرني ثماني حجج عبارة عما جرى بينهما فان اتممت عشرا فمن عندك فمن عندك فاتمامه من عندك لا من عندي يعني لا الزمكه ولا احتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع والا فلا عليك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين وايجابه فان قلت ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر قلت حقيقته ان الامر اذا تعاظمك فكانه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة اطيقه وتارة لا اطيقه او وعده المساهلة والمسامحة من نفسه وانه لا يشق عليه فيما استاجره له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة في مراعاة الاوقات والمداقة في استيفاء الاعمال وتكليف الرعاة اشغالا خارجة عن حد الشرط وهكذا كان الانبياء عليهم الصلوة والسلام اخذين بالاسمح في معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي فكان خير شريك لا يداري ولا يشاري ولا يماري وقوله تعالى ستجدني ان شاء الله من الصالحين يدل على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطاءة الخلق ولين الجانب

ويجوز ان يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراطه مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا انه يستعمل الصلاح ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل ذلك مبتدا وبيني وبينك خبره وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب عليه الصلوة والسلام يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال ايما اجل قضيت من الاجلين اطولهما الذي هو العشر او اقصرهما الذي هو الثمان فلا عدوان علي اي لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه فان قلت تصور العدوان انما هو في احد الاجلين الذي هو الاقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا قلت معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثمان اراد بذلك تقرير امر الخيار وانه ثابت مستقر وان الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء واما التتمة فموكولة الى راي ان شئت اتيت بها والا لم اجبر عليها وقيل معناه فلا اكون معتديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة علي وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ايّ الاجلين ما قضيت وقرئ ايما بسكون الياء كقوله تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره وعن ابن قطيب عدوان بالكسر فان قلت ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراءتين قلت وقعت في المستفيضة مؤكدة لابهام اي زائدة في شياعها وفي الشاذة تاكيدا للقضاء كانه قال اي الاجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له والوكيل الذي وكل الامر اليه فلما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدي بعلى لذلك وروي ان شعيبا عليه الصلوة والسلام كانت عنده عصي الانبياء عليهم الصلوة والسلام فقال لموسى عليه الصلوة والسلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فاخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب عليه الصلوة والسلام فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبرئيل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى عليه الصلوة والسلام وعن الحسن رحمه الله تعالى ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلا وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين فلم يقدر على كفها فمشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصى حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عليه الصلوة والسلام دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب عليه الصلوة والسلام مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى عليه الصلوة والسلام شانا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطات واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاجلين قضى موسى عليه الصلوة والسلام فقال ابعدهما وابطاهما وروي انه قال قضى اوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التي سبقت فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن جميعا العود الغليظ كانت في راسه نار او لم تكن قال كثير باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال والقى على قبس من النار جذوة شديدا عليه حرها والتهابها فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك في جيبك

تخرج بيضاء من غير سوء • من الأولى والثانية لابتداء الغاية أي أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة ومن
الشجرة بدل من قوله من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم • وقرئ البقعة بالضم والفتح • واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون
وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين • والرهب بفتحتين وضمتين وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف
فإن قلت ما معنى قوله واضمم إليك جناحك من الرهب قلت فيه معنيان أحدهما أن موسى عليه الصلوة
والسلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له إن اتقاءك بيدك فيه
غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء
ليحصل الأمران اجتناب ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى • والمراد بالجناح اليد لأن يدي الإنسان
بمنزلة جناحي الطائر وإذا أدخل اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه إليه • والثاني أن يراد بضم
جناحه إليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة
من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما وإلا فجناحاه مضمومان إليه مشمران ومنه ما يحكى عن
عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن كاتبا له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب
بقلمه الأرض فقال له عمر خذ قلمك واضمم إليك جناحك وليفرخ روعك فإني ما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسي
• ومعنى قوله من الرهب من أجل الرهب أي إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك جعل الرهب الذي كان
يصيبه سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه إليه • ومعنى واضمم إليك جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك
على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وإنما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك أن الغرض في أحدهما
خروج اليد بيضاء وفي الثاني إخفاء الرهب فإن قلت قد جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضعين مضموما
وفي الآخر مضموما إليه وذلك قوله تعالى واضمم إليك جناحك وقوله تعالى واضمم يدك إلى جناحك فما التوفيق بينهما قلت
المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم إليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراها جناح • ومن بدع
التفاسير أن الرهب الكم بلغة حمير وأنهم يقولون أعطني مما في رهبك وليت شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من
الأثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل
على أن موسى عليه الصلوة والسلام ما كان عليه ليلة المناجاة إلا زرمانقة من صوف لا كمين لها • فذانك قرئ مشددا
ومخففا • فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك • برهانان حجتان بينتان نيرتان فإن قلت لم سميت الحجة
برهانا قلت لبياضها وإنارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا • والدليل عليه قولهم
أبره الرجل إذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم إياها سلطانا من السليط وهو الزيت لإنارتها • قال رب إني
قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون • وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني
إني أخاف أن يكذبون • يقال ردأته أعنته • وقرئ ردا على التخفيف كما قرئ الخب • ردا يصدقني بالرفع والجزم
صفة وجواب نحو وليا يرثني سواء • فإن قلت تصديق أخيه ما الفائدة فيه قلت ليس الغرض بتصديقه
أن يقول له صدقت أو يقول للناس صدق موسى وإنما هو أن يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار
كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان ألا ترى إلى قوله وأخي
هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لذلك لا لقوله صدقت فإن سحبان وباقلا
يستويان فيه أو يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذي يخاف تكذيبه فأسند التصديق إلى هارون لأنه
السبب فيه إسنادا مجازيا ومعنى الإسناد المجازي أن التصديق حقيقة في المصدق فإسناده إليه حقيقة وليس في
السبب تصديق ولكن استعير له الإسناد لأنه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه
قوله إني أخاف أن يكذبون • وقراءة من قرأ ردا يصدقوني وفيها تقوية للقراءة بجزم يصدقني قال سنشد عضدك

بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون • العضد قوام اليد وبشدتها تشتد
قال طرفة • أبني لبينى لستم بيد • إلا يدا ليست لها عضد • ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله
في عضدك • ومعنى سنشد عضدك بأخيك سنقويك به ونعينك فإما أن يكون ذلك لأن اليد تشتد بشدة
العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الأمور • وإما لأن الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد
العضد فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديد • سلطانا غلبة وتسلطا أو حجة واضحة بآياتنا متعلق بنحو
ما تعلق به في تسع آيات أي اذهبا بآياتنا أو بنجعل لكما سلطانا أي نسلطكما بآياتنا أو بلا يصلون أي تمتنعون
منهم بآياتنا أو هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة على الموصول ولو تأخر لم يكن إلا صلة له •
ويجوز أن يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه أو من لغو القسم • فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا
ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين • سحر مفترى سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله أو سحر
ظاهر افتراؤه أو موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله • في آبائنا حال منصوبة عن هذا
أي كائنا في زمانهم وأيامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من أن يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا
بنحوه أو يريدوا أنهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته أو ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى عليه الصلوة والسلام
ومجيئه بما جاء به وهذا دليل أنهم حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات إلا قولهم هذا
سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها • وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه
لا يفلح الظالمون • يقول ربي أعلم منكم بحال من أهله الله للفلاح الأعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده
حسن العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لأنه غني حكيم لا يرسل الكاذبين
ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون • وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله عز وجل أولئك
لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها أن يختم
للعبد بالرحمة والرضوان وتلقى الملائكة بالبشرى عند الموت فإن قلت العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما
يصح أن تسمى عاقبة الدار لأن الدنيا إما أن تكون خاتمتها بخير أو بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية
دون خاتمتها بالشر قلت قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا إلى الآخرة وأراد بعباده أن لا يعملوا فيها إلا الخير
وما خلقهم إلا لأجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له فقد حرف فإذن
عاقبتها الأصلية هي عاقبة الخير وأما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لأنها من نتائج تحريف الفجار • وقرأ ابن كثير
قال موسى بغير واو وكذلك في مصاحف أهل مكة وهي قراءة حسنة لأن الموضع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى
عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحرا مفترى • ووجه الأخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى عليه الصلوة والسلام
هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر وبضدها تتبين الأشياء • وقرئ يكون بالتاء
والياء • وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا
لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين • روي أنه لما أمر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع
خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم
يبلغه بنيان أحد من الخلق فكان الباني لا يقدر أن يقوم على رأسه يبني فبعث الله سبحانه وتعالى جبريل عليه
الصلوة والسلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة منها على عسكر فرعون فقتلت ألف
ألف رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق أحد من عماله إلا قد هلك • ويروى في هذه القصة أن فرعون
ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فأراد الله تعالى أن يفتنهم فردت إليه وهي ملطوخة بالدم فقال قد قتلت إله موسى
فعندها بعث الله تعالى جبريل عليه الصلوة والسلام لهدمه والله أعلم بصحته • قصد بنفي علمه بإله غيره نفي
وجوده معناه ما لكم من إله غيري كما قال الله سبحانه وتعالى قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض معناه بما ليس

فيه نفي ذلك لأن العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به إلا على ما هو عليه فإذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز أن يكون على ظاهره وأن إلها غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون بدليل قوله وإني لأظنه من الكاذبين وإذا ظنه كاذبا في إثباته إلها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن أن في الوجود إلها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول موسى عليه الصلوة والسلام لقول موسى له لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب في بنائه لعله يطلع بزعمه إلى إله موسى ولكان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته حيث حسب أنه في مكان كما كان هو في مكان وأنه يطلع إليه كما كان يطلع إليه إذا قعد في عليته وأنه ملك السماء كما أنه ملك الأرض ولا ترى بينة أثبت شهادة على إفراط جهله وغباوته من أنه لم يعلم أن البناء لا يبلغ أسباب السموات وقيل بنوا له صرحا ... كان يلبس على أهل بلده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم أغبى الناس وأخلاهم من الفطن وأشبههم بالبهائم بذلك أم كان في نفسه بتلك الصفة وإن صح ما حكي من رجوع النشابة إليه ملطخة بالدم فتهكم به في الفعل كما تهكموا بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة ويجوز أن يفسر الظن على القول الأول باليقين كقوله فظننت أني ملاق حسابيه ويكون بناء الصرح مناقضا لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم أو لم تخف عليهم ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه وإنما قال فأوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لأنه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولأن هذه العبارة أحسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته وأشبه بكلام الجبابرة وأمر هامان وهو وزيره ورديفه بالإيقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط الكلام دليل التعظيم والتجبر وعن عمر رضي الله عنه أنه حين سافر إلى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر قال ما علمت أن أحدا بنى بالآجر غير فرعون والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون الاستكبار بالحق إنما هو لله عز وجل وهو المتكبر على الحقيقة أي المتبالغ في كبرياء الشأن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق يرجعون بالفتح والضم فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم من الكلام الفخم الذي دل به على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وإن كانوا الكثير الجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله تعالى وألقينا فيها رواسي شامخات وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وما هي إلا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وأن كل مقدور وإن عظم وجل فهو مستصغر إلى جنب قدرته وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيمة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين

فإن قلت ما معنى قوله وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار قلت معناه ودعوناهم أئمة دعاة إلى النار وقلنا إنهم أئمة دعاة إلى النار كما يدعى خلفاء الحق أئمة دعاة إلى الجنة وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا إذا دعاه وقال إنه بخيل وفاسق ويقول أهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله بخيلا وفاسقا ومنه قوله عز وعلا وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ومعنى دعوتهم إلى النار دعوتهم إلى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون كما تنصر الأئمة الدعاة إلى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا أئمة الكفر ومعنى الخذلان منع الألطاف وإنما يمنعها من علم أنها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر ومجراه مجرى الكناية لأن منع الألطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكأنه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا أئمة فيه دعاة إليه وإلى سوء عاقبته فإن قلت وأي فائدة في ترك المردوف إلى الرادف قلت ذكر الرادف يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون أقوى لإثباته من ذكره ألا ترى أنك تقول لولا أنه مصمم على الكفر لما قطع عنه ... فيتحكم ...

منه الألطاف فيذكر منع الألطاف ليحصل العلم بوجود التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على وجوده وينصاف هذا الوجه قوله تعالى ويوم القيمة لا ينصرون كأنه قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيمة مخذولون كما قال وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة أي طردا وإبعادا عن الرحمة ويوم القيمة هم من المقبوحين أي من المطرودين المبعدين ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون بصائر نصب على الحال والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما أن البصر نور العين الذي تبصر به يريد آتيناه التوراة أنوارا للقلوب لأنها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وإرشادا لأنهم كانوا يخبطون في ضلال ورحمة لأنهم لو عملوا بها وصلوا إلى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون إرادة أن يتذكروا شبهت الإرادة بالترجي فاستعير لها ويجوز أن يراد به ترجي موسى عليه الصلوة والسلام لتذكرهم كقوله لعله يتذكر وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين الغربي المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى عليه الصلوة والسلام من الطور وكتب الله له في الألواح والأمر المقضي إلى موسى الوحي الذي أوحي إليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضرا المكان الذي أوحينا فيه إلى موسى عليه الصلوة والسلام ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي إليه أو على الوحي إليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى في ميقاته وكتبة التوراة له في الألواح وغير ذلك

فإن قلت كيف يتصل قوله تعالى ولكنا أنشأنا قرونا بهذا الكلام ومن أي وجه يكون استدراكا له قلت اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث إن معناه ولكنا أنشأنا بعد عهد الوحي إلى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على آخرهم وهو القرن الذي أنت فيهم العمر أي أمد انقطاع الوحي واندرست العلوم فوجب إرسالك إليهم فأرسلناك وكسبناك العلم بقصص الأنبياء عليهم الصلوة والسلام وقصة موسى كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحيناه إليك فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله عز وجل في اختصاراته فإذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده وما كنت ثاويا أي مقيما في أهل مدين وهم شعيب عليه الصلوة والسلام والمؤمنون به تتلو عليهم آياتنا تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون إذ نادينا يريد مناداة موسى عليه الصلوة والسلام ليلة المناجاة وتكليمه ولكن علمناك رحمة وقرئ رحمة بالرفع أي هي رحمة ما أتاهم من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى عليه الصلوة والسلام وهي خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله عز وجل لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين لولا الأولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية وإحدى الفاءين للعطف والأخرى جواب لولا لكونها في حكم الأمر من قبل أن الأمر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمعنى ولولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا أرسلت إلينا رسولا محتجين بذلك علينا لما أرسلنا إليهم يعني أن إرسال الرسول إليهم إنما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك

فإن قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت القول هو المقصود بأن يكون سببا لإرسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال بواسطة القول فأدخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه إلى قولك ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي أنهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما ألجئوا به إلى العلم اليقين لم يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا وإنما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الإيمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله عز وجل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدي جعل كل عمل

معبّراً عنه باجتراح الأيدي وتقديم الأيدي وإن كان من أعمال القلوب وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الأقل تابعاً للأكثر وتغليب الأكثر على الأقل • فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون • فلما جاءهم الحق وهو الرسول المصدّق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم وسُدّ طريق احتجاجهم قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرهما من الآيات فجاءوا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما قالوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وما أشبه ذلك • أولم يكفروا يعني أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام بما أوتي موسى • وعن الحسن رحمه الله قد كان للعرب أصل في أيام موسى عليه السلام فمعناه على هذا أولم يكفر آباؤهم قالوا في موسى وهارون ساحران تظاهرا أي تعاونا • وقرئ اظّاهرا على الإدغام وسحران بمعنى ذوا سحر أو جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر أو أرادوا نوعان من السحر • بكل بكل واحد منهما **فإن قلت** بم علقت قوله من قبل في هذا التفسير **قلت** بأولم يكفروا ولي أن أعلقه بأوتي فينقلب المعنى إلى أن أهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فقد كفروا بموسى عليه السلام وبالتوراة وقالوا في موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ساحران تظاهرا أو في الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط إلى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فأخبروهم أنه نعته وصفته وأنه في كتابهم فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا • قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين • فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين • هو أهدى منهما مما أنزل على موسى ومما أنزل علي • هذا الشرط من نحو ما ذكرت أنه شرط المدلّ بالأمر المتحقق لصحته لأن امتناع الإتيان بكتاب أهدى من الكتابين أمر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك • ويجوز أن يقصد بحرف الشك التهكم بهم **فإن قلت** ما الفرق بين فعل الاستجابة في الآية وبينه في قوله • فلم يستجبه عند ذاك مجيب • حيث عدي بغير اللام **قلت** هذا الفعل يتعدى إلى الدعاء بنفسه وإلى الداعي باللام ويحذف الدعاء إذا عدي إلى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه أو استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه وأما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف **فإن قلت** فالاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء هاهنا **قلت** قوله تعالى فأتوا بكتاب أمر بالإتيان والأمر بعث على الفعل ودعاء إليه فكأنه قال فإن لم يستجيبوا دعاءك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى فاعلم أنهم قد ألزموا ولم تبق لهم حجة إلا اتباع الهوى ثم قال ومن أضل ممن لا يتبع في دينه إلا هواه بغير هدى من الله أي مطبوعاً على قلبه ممنوع الألطاف • إن الله لا يهدي أي لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللطف بهم عابث • وقوله بغير هدى في موضع الحال يعني مخذولاً مخلّى بينه وبين هواه • ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون • الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون • قرئ وصلنا بالتشديد والتخفيف والمعنى أن القرآن أتاهم متتابعاً متواصلاً وعداً ووعيداً وقصصاً وعبراً ومواعظ ونصائح إرادة أن يتذكروا فيفلحوا أو نزل عليهم نزولاً متصلاً بعضه في إثر بعض كقوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين نزلت في مؤمني أهل الكتاب • وعن رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة أنا أحدهم • وقيل في أربعين من مسلمي أهل الإنجيل اثنان وثلاثون جاءوا مع جعفر من أرض الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن • وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين **فإن قلت** أي فرق بين الاستئنافين إنه وإنا **قلت** الأول تعليل للإيمان به لأن كونه حقاً من الله حقيق بأن يؤمن به والثاني بيان لقوله آمنا به لأنه يحتمل أن يكون إيماناً قريب العهد وبعيده فأخبروا أن إيمانهم به متقادم لأن آباءهم القدماء قرءوا في الكتب الأول ذكره وأبناءهم من بعدهم • من قبله من قبل وجوده ونزوله • مسلمين كائنين على دين الإسلام لأن الإسلام صفة كل موحد مصدق للوحي • أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون • وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا

ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين • بما صبروا بصبرهم على الإيمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته • بالحسنة السيئة بالطاعة المعصية المتقدمة أو بالحلم الأذى • سلام عليكم توديع ومتاركة • وعن الحسن كلمة حلم من المؤمنين • لا نبتغي الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم **فإن قلت** من خاطبوا بقولهم ولكم أعمالكم **قلت** اللاغين الذين دل عليهم قوله تعالى وإذا سمعوا اللغو • إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين • لا تهدي من أحببت لا تقدر أن تدخل في الإسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم لأنك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره • ولكن الله يدخل في الإسلام من يشاء وهو الذي علم أنه غير مطبوع على قلبه وأن الألطاف تنفع فيه فيقرن به ألطافه حتى تدعوه إلى القبول • وهو أعلم بالمهتدين بالقابلين من الذين لا يقبلون • قال الزجاج أجمع المسلمون أنها نزلت في أبي طالب وذلك أن أبا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم أطيعوا محمداً وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخي قال أريد منك كلمة واحدة فإنك في آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله قال يا ابن أخي قد علمت أنك لصادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولأقررت بها عينك ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف • وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون • قالت قريش وقيل إن القائل الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وإنما نحن أكلة رأس أي قليلون أن يتخطفونا من أرضنا فألقمهم الله الحجر بأنه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون في حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات والأرزاق تجبى إليهم من كل أوب فإذا خولهم الله ما خولهم من الأمن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة أصنام فكيف يستقيم أن يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم الأمن إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة الإسلام وإسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقة وإلى الحرم مجاز • يجبى إليه يجلب ويجمع قرئ بالياء والتاء • وقرئ تجنى بالنون من الجنى وتعديته بإلى كقوله يجنى إلي فيه ويحنى إلى الخافة • وثمرات بضمتين وبضمة وسكون • ومعنى الكلية الكثرة كقوله تعالى وأوتيت من كل شيء • ولكن أكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا أي قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن الخوف والأمن من عنده ولما خافوا التخطف إذا آمنوا به وخلعوا الأنداد **فإن قلت** بم انتصب رزقاً **قلت** إن جعلته مصدراً جاز أن ينتصب بمعنى ما قبله لأن معنى يجبى إليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد وأن يكون مفعولاً له وإن جعلته بمعنى مرزوق كان حالاً من الثمرات لتخصصها بالإضافة كما تنتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة • وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين • هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام الله عليهم بالرقود في ظلال الأمن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالأشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم • وانتصبت معيشتها إما بحذف الجار وإيصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه • وإما على الظرف بنفسها كقولك زيد ظني مقيم أو بتقدير حذف الزمان المضاف أصله بطرت أيام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج وإما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت • وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه • إلا قليلاً من السكنى قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يسكنها إلا المسافر ومار الطريق يوماً أو ساعة • ويحتمل أن شؤم معاصي المهلكين بقي أثره في ديارهم فكل من سكنها من أعقابهم لم يبق فيها إلا قليلاً • وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها أي تركناها على حال لا يسكنها أحد أو خربناها وسويناها بالأرض • تتخلف الآثار عن أصحابها حيناً • ويدركها الفناء فتتبع • وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون • وما كانت عادة ربك أن يهلك القرى في كل وقت حتى

يبعث في القرية التي هي امها اي اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه انهم لا
او وما كان في حكم الله وسابق قضائه ان يهلك القرى في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
خاتم الانبياء ● وقرئ امها بضم الهمزة وكسرها للاتباع وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث اخبر بانه لا يهلكهم
الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تأكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل
علمه باحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم
واهلها مصلحون فنص في قوله بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وان حاله في غناه وحكمته منافية
للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم ● وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة
الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون ● واي شيء اصبتموه من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة
اياما قلائل وهي مدة الحياة المنقضية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك ● وابقى لان بقاءه دائم سرمد
وقرئ يعقلون بالياء وهو ابلغ في الموعظة ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى خلق الدنيا وجعل اهلها ثلاثة
اصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع ● افمن وعدناه وعدا حسنا
فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين ● هذه الآية تقرير وايضاح للتي قبلها والوعد
الحسن الثواب لانه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق واي شيء احسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى ● لاقيه
كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا ● من المحضرين من الذين احضروا النار ونحوه لكنت من المحضرين
فكذبوه فانهم لمحضرون ● قيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي جهل ● وقيل في علي وحمزة وابي جهل ● وقيل في عمار
بن ياسر رضي الله عنه والوليد بن المغيرة ● فان قلت فسر لي الفاءين وثم واخبرني عن مواقعها ● قلت قد ذكر في الآية
التي قبلها متاع الحيوة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله افمن وعدناه على معنى ابعد هذا التفاوت
الظاهر يسوي بين ابناء الآخرة وابناء الدنيا فهذا معنى الفاء الاولى وبيان موقعها ● واما الثانية فللتسبب لان
لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخبر ● واما ثم فلتراخي حال الاحضار عن حال التمتيع لا للتراخي في وقته
● وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد تشبيها للمنفصل بالمتصل وسكون الهاء في فهو وثم هو احسن لان
الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتصل ● ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون ● شركائي مبني
على زعمهم وفيه تهكم ● فان قلت زعم تطلب مفعولين كقوله ولم ازعمك عن ذاك معزلا فاين هما ● قلت
محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار على احدهما
قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون ●
الذين حق عليهم القول الشياطين او ائمة الكفر ورؤوسه ● ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله
تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ● وهؤلاء مبتدأ والذين اغوينا صفته والراجع الى الموصول محذوف وتقديره
اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا لا ان فوقنا مغوين اغوونا بقسر منهم والجاء او دعونا الى
الغي وسولوه لنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء فلا
فرق اذن بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع
فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك
بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا معنى ما حكاه الله تعالى عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم
فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم والله عز وجل قدم هذا
المعنى اول شيء حيث قال لابليس ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ● تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه
من الكفر بانفسهم هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان ● ما كانوا ايانا يعبدون انما كانوا يعبدون
اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى ● وقيل ادعوا شركاءكم

فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون ● لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل
يدفعون به العذاب او لو انهم كانوا مهتدين مؤمنين لما رأوه او تمنوا لو كانوا مهتدين او تحيروا عند رؤيته وسدروا
فلا يهتدون طريقا حكى اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم الشركاء ثم ما يقوله الشياطين او ائمتهم عند توبيخهم لانهم اذا
وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بان الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها ● ثم ما يشبه الشماتة بهم من
استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ● ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل
والله اعلم ● ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ● فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون ● فعميت
عليهم الانباء فصارت الانباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدي اليهم ● فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا كما يتساءل
الناس في المشكلات لانهم يتساوون جميعا في عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب ● وقرئ فعميت ● والمراد بالنبأ
الخبر عما اجاب به المرسل اليه رسوله واذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون
الامر الى علم الله وذلك قوله سبحانه وتعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب
فما ظنك بالضلال من اممهم ● فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين ● فاما من تاب من
المشركين وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق ● ويجوز ان يراد ترجي
التائب وطمعه كانه قال فليطمع ان يفلح ● وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما
يشركون ● الخيرة من التخير كالطيرة من التطير تستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد صلى الله عليه وسلم
خيرة الله من خلقه ● ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى
ان الخيرة لله تعالى في افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ● قيل السبب فيه قول الوليد بن
المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم ● وقيل معناه ويختار
الذي لهم فيه الخيرة اي يختار للعباد ما هو خير لهم واصلح وهو اعلم بمصالحهم من انفسهم من قولهم في الامرين ليس فيهما
خيرة لمختار ● فان قلت فاين الراجع من الصلة الى الموصول اذا جعلت ما موصولة ● قلت اصل الكلام ما كان لهم
فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله تعالى ان ذلك لمن عزم الامور لانه مفهوم ● سبحان الله اي الله بريء من اشراكهم

وما يحملهم عليه من الجرأة على الله واختيارهم عليه ما لم يختره ● وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ● ما تكن صدورهم من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسده وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة ● وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون ● وهو الله وهو المستأثر بالالهية المختص بها ● لا اله الا هو تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة الا هي ● فان قلت الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الآخرة ● قلت هو قولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده [illegible] والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس ● وله الحكم القضاء بين عباده ● قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ● وقرئ بضئاء بهمزتين ● السرمد الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص ● فان قلت هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه ● قلت ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثمة قرن بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه ● ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون

لاعراض ثلاثة لتسكنوا في احدهما وهو الليل • ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار • ولارادة شكركم وقد سلكت
بهذه الآية طريقة اللف • ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون • تقريع بعد تقريع للاشعار
بان لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده • اللهم فكما ادخلتنا في اهل توحيدك
فادخلنا في الناجين من وعيدك • ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل عنهم
ما كانوا يفترون • ونزعنا واخرجنا • من كل امة شهيدا وهو نبيهم لان انبياء الامم شهداء عليهم يشهدون بما
كانوا عليه • فقلنا للامة • هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول • فعلموا حينئذ • ان الحق لله ولرسله
لا لهم ولشياطينهم • وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع • ما كانوا يفترون من الباطل والكذب • ان قارون كان
من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله
لا يحب الفرحين • قارون اسم اعجمي مثل هارون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف • وقيل
معنى كونه من قومه انه آمن به • وقيل كان اسرائيليا ابن عم لموسى عليه الصلوة والسلام هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي
ابن يعقوب عليه الصلوة والسلام • وموسى بن عمران بن قاهث • وقيل كان موسى ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته
وكان اقرأ بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهارون فما لي
• وروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهارون يقرب القربان ويكون رأسا فيهم وكان القربان الى موسى
فجعله موسى الى اخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما وقال لموسى الامر لكما ولست على شيء الى متى اصبر قال موسى هذا صنع الله
قال والله لا اصدقك حتى تأتي بآية فامر رؤساء بني اسرائيل ان يجيء كل واحد بعصا فحزمها والقاها في القبة التي كان
الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا واذا بعصا هارون تهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجر
اللوز فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر • فبغى عليهم من البغي وهو الظلم • قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم
• وقيل من البغي وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده • وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا • مفاتحه جمع مفتح بالكسر وهو
ما يفتح به • وقيل خزائنه وقياس واحدها مفتح بالفتح • ويقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله • والعصبة الجماعة
الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا • وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا
يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود • وقال ابو رزين يكفي الكوفة مفتاح وقد بولغ في ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء
والعصبة واولي القوة • وقرأ بديل بن ميسرة لينوء بالياء ووجهه ان يفسر المفاتح بالخزائن ويعطيها حكم ما اضيفت اليه للملابسة
والاتصال كقولك ذهبت اهل اليمامة • ومحل اذ منصوب بتنوء • لا تفرح كقوله عز وجل ولا تفرحوا بما آتاكم • وقول القائل
ولست بمفراح اذا الدهر سرني • وذلك انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمأن واما من قلبه الى الآخرة ويعلم انه
مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما احسن ما قال القائل • اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه
صاحبه انتقالا • وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك
ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين • وابتغ فيما آتاك الله من الغنى والثروة • الدار الآخرة بان تفعل
فيه افعال الخير من اصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك الى الآخرة • ولا تنس نصيبك وهو ان تأخذ منه ما يكفيك
ويصلحك • واحسن الى عباد الله • كما احسن الله اليك • واحسن بشكرك وطاعتك لله كما احسن اليك • والفساد في
الارض ما كان عليه من الظلم والبغي • وقيل ان القائل موسى عليه الصلوة والسلام • وقرئ وليتبع • قال انما اوتيته
على علم عندي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسأل عن
ذنوبهم المجرمون • على علم اي على استحقاق واستيجاب لما فيّ من العلم الذي فضلت به الناس وذلك انه كان اعلم بني
اسرائيل بالتوراة • وقيل هو علم الكيمياء • عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه كان موسى عليه الصلوة والسلام يعلم
علم الكيمياء فافاد يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه فكان
يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلها ذهبا • وقيل علم الله تعالى موسى علم الكيمياء فعلمه موسى اخته فعلمتها اخته

قارون وقيل

قارون • وقيل هو بصره بانواع التجارة والدهقنة وسائر المكاسب • وقيل عندي معناه في ظني كما تقول الامر عندي
كذا كأنه قال انما اوتيته على علم كقوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم ثم زاد عندي اي هو في ظني
ورأيي هكذا يجوز ان يكون اثباتا لعلمه بان الله قد اهلك من القرون قبله من هو اقوى منه واغنى لانه قد قرأه في التوراة
واخبر به موسى عليه الصلوة والسلام وسمعه من حفاظ التواريخ والايام كأنه قيل اولم يعلم في جملة ما عنده من العلم
هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته • ويجوز ان يكون نفيا لعلمه بذلك لانه لما قال اوتيته على علم عندي فتنفج بالعلم
وتعظم به قيل اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى
يقي به نفسه مصارع الهالكين • واكثر جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا **فان قلت** ما وجه اتصال قوله تعالى
ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون بما قبله **قلت** لما ذكر قارون من اهلك من قبله من القرون الذين كانوا اقوى منه واغنى
قال على سبيل التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على ان يعاقبهم
عليها كقوله تعالى والله خبير بما تعملون والله عليم بما تعملون وما اشبه ذلك • فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون
الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم • في زينته قال الحسن رحمة الله عليه في الحمرة والصفرة
• وقيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه • وقيل عليهم وعلى خيولهم
الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج • وقيل في تسعين
الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم رؤي فيه المعصفر كان المتمنون قوما مسلمين وانما تمنوا على سبيل الرغبة في اليسار
والاستغناء كما هو عادة البشر • وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله وينفقوه في سبيل الخير • وقيل كانوا قوما كفارا • الغابط
هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه • والحاسد هو الذي يتمنى ان تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة
قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون • ومن الحسد ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض • وقيل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم هل يضر الغبط فقال لا الا كما يضر العضاه الخبط • والحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه بانه رجل مجدود
مبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ • وما الدنيا الا احاظ وجدود • وقال الذين اوتوا العلم ويلكم
ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون • ويلك اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع
والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا ابا لك واصله الدعاء على الرجل بالاقراف في الحث على الفعل والراجع في ولا يلقاها
للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب لانه في معنى المثوبة او الجنة او للسيرة والطريقة وهي الايمان والعمل الصالح • الصابرون
على الطاعات وعن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير • فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة
ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين • كان قارون يؤذي نبي الله موسى عليه الصلوة والسلام كل وقت
وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على درهم فحسبه
فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى اراد كم على كل شيء وهو يريد ان يأخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا
وسيدنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو اسرائيل فجعل لها الف دينار وقيل طستا
من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى عليه الصلوة والسلام فقال يا بني اسرائيل
من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه فقال قارون وان كنت انت قال
وان كنت انا فقال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى عليه الصلوة والسلام بالذي
فلق البحر وانزل التوراة ان تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا
يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله
بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال
يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه
يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم واوحى

الله إلى موسى يا موسى ما أفظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم أما وعزتي لو إياي دعوا مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا فأصبحت
بنو إسرائيل يتناجون بينهم إنما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وأمواله • من المنتصرين
من المنتقمين من موسى أو من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر أي منعه منه فامتنع • وأصبح الذين تمنوا
مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا
ويكأنه لا يفلح الكافرون • قد يذكر الأمس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة
مكانه منزلته من الدنيا • وي مفصولة عن كأن وهي كلمة تنبه على الخطأ وتندم ومعناه أن القوم قد تنبهوا على خطئهم
في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وتندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح الكافرون أي ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون
الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال: وي كأن من يكن له نشب يحبب • ومن يفتقر يعش عيش ضر • وحكى
الفراء أن أعرابية قالت لزوجها أين ابنك فقال وي كأنه وراء البيت • وعند الكوفيين أن ويك بمعنى ويلك وأن المعنى
ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون • ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة إلى وي • كقوله ويك عنتر أقدم • وأنه
بمعنى لأنه واللام لبيان المقول لأجله هذا القول • أو لأنه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من
يقف على وي ويبتدئ كأنه ومنهم من يقف على ويك • وقرأ الأعمش لولا من الله علينا • وقرئ لخسف بنا وفيه ضمير
الله ولانخسف بنا كقولك انقطع به ولتخسف بنا • تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا
فسادا والعاقبة للمتقين • تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها ولم يعلق
الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال تعالى ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فعلق الوعيد
بالركون • وعن علي رضي الله عنه أن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها •
وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهبت الأماني ها هنا • وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض •
ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله إن فرعون علا في الأرض ولا تبغ الفساد في الأرض
ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله تعالى والعاقبة للمتقين كما تدبره علي
والفضيل وعمر رضي الله عنهم • من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات
إلا ما كانوا يعملون • معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لأن في إسناد عمل السيئة إليهم
مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة إلى قلوب السامعين • إلا ما كانوا يعملون إلا مثل ما كانوا يعملون
وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع أن لا يجزي السيئة إلا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة وهو معنى
قوله تعالى فله خير منها • إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال
مبين • فرض عليك القرآن أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني أن الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك
عليها ثوابا لا يحيط به الوصف • لرادك بعد الموت إلى معاد أي معاد وإلى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك •
وقيل المراد به مكة ووجهه أن تراد رده إليها يوم الفتح ووجه تنكيره أنها كانت في ذلك اليوم معادا له شأن ومرجعا
له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لأهلها ولظهور عز الإسلام وأهله وذل الشرك
وحزبه والسورة مكية فكأن الله وعده وهو بمكة في أذى وغلبة من أهلها أنه يهاجر به منها ويعيده إليها ظاهرا
ظافرا • وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق إلى مولده ومولد آبائه وحرم إبراهيم فنزل جبريل
عليه الصلاة والسلام فقال له أتشتاق إلى مكة قال نعم فأوحاها إليه • **فإن قلت** كيف اتصل قوله قل ربي أعلم
بما قبله • **قلت** لما وعد رسوله الرد إلى معاد قال قل للمشركين ربي أعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب
في معاده • ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم • وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب
إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين • **فإن قلت** قوله تعالى إلا رحمة من ربك ما وجه
الاستثناء فيه • **قلت** هذا كلام محمول على المعنى كأنه قيل وما ألقي عليك الكتاب إلا رحمة من ربك • ويجوز أن يكون إلا

بمعنى لكن للاستدراك أي ولكن لرحمة من ربك ألقي إليك • ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع
إلى ربك ولا تكونن من المشركين • وقرئ يصدنك من أصده بمعنى صده وهي لغة في كلب • وقال: أناس أصدوا
الناس بالسيف عنهم • صدود السواقي عن أنوف الحوائم • بعد إذ أنزلت إليك بعد وقت إنزاله • وإذ تضاف إليه أسماء
الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما أشبه ذلك • والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج
الذي سبق ذكره • ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون • إلا
وجهه إلا إياه • والوجه يعبر به عن الذات • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الأجر عشر حسنات بعدد
من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا أن كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون • الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين
الجمل ألا ترى أنك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا
لأن قولك زيد عالم أو الفرس جواد كلام دال على مضمون فأردت الإخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن
لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى
يتم لك غرضك • **فإن قلت** فأين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الآية • **قلت** هو في قوله
أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك أن تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولي حسب
ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتتمة الترك لأنه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع
ينشنه • ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل
اللام • **فإن قلت** أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ • **قلت** كما تقول خروجه لمخافة
الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تأديبا تعليلين وتقول أيضا حسبت خروجه
لمخافة الشر وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبرا • والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من
مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وأنواع المصائب في
الأنفس والأموال وبمصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم • والمعنى أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم وأظهروا
القول بالإيمان أنهم يتركون لذلك غير ممتحنين بل يمحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات أقدامهم وصحة
عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال
تعالى لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن
ذلك من عزم الأمور • وروي أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من أذى المشركين • وقيل في
عمار بن ياسر رضي الله عنه وكان يعذب في الله • وقيل في ناس أسلموا بمكة فكتب إليهم المهاجرون لا يقبل منكم إسلامكم حتى
تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا بها إليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا
وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة فجزع عليه أبواه وامرأته
ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين • ولقد فتنا موصول بأحسب أو بلا
يفتنون كقولك ألا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني أن أتباع الأنبياء قبلهم قد أصابهم من الفتن والمحن نحو ما
أصابهم أو ما هو أشد منه فصبروا كما قال الله تعالى وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا الآية • وعن النبي صلى الله
عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد
ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه • فليعلمن الله بالامتحان • الذين صدقوا في الإيمان • وليعلمن الكاذبين فيه

فان قلت كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل **قلت** لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد والمعنى فليميزن الصادق منهم من الكاذب • ويجوز ان يكون وعدا ووعيدا كانه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين • وقرأ علي رضي الله عنه والزهري فليعلمن من الاعلام اي فليعرفنهم الله الناس من هم او ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها • **ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون** ان يسبقونا ان يفوتونا يعني ان الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة واصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما انتم بمعجزين في الارض ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون **فان قلت** اين مفعولا حسب **قلت** اشتمال صلة ان على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين كقوله عز وجل ام حسبتم ان تدخلوا الجنة • ويجوز ان يضمن حسب معنى قدر وام منقطعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحسبان ابطل من الحسبان الاول لان ذاك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازى بمساويه • ساء ما يحكمون بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا او بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم • **من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لآت وهو السميع العليم** • **ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين** • لقاء الله مثل للوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من افعاله او بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى قوله تعالى من كان يرجو لقاء الله من كان يأمل تلك الحال وان يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى • فان اجل الله لآت • لآت لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق امله ويكتسب به القربة عند الله والزلفى • وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية • وقيل يرجو يخاف من قول الهذلي في صفة عسال • اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها **فان قلت** فان اجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط **قلت** اذا علم ان لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الاجل المضروب للموت فكانه قال من كان يرجو لقاء الله فان لقاء الله لآت لان الاجل واقع فيه اللقاء كما يقول من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم انه يقعد للناس يوم الجمعة • ومن جاهد نفسه في منعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه فانما يجاهد لها لان منفعة ذلك راجعة اليها وانما امر الله عز وجل ونهى رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم • **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون** • اما ان يريد قوما مسلمين صالحين قد اساءوا في بعض اعمالهم وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم اي يسقط عقابها بثواب الحسنات • ويجزيهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم • واما قوما مشركين آمنوا وعملوا الصالحات فالله عز وجل يكفر سيئاتهم بان يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم احسن اعمالهم في الاسلام • **ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون** • وصى حكمه حكم امر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول امرته بان يفعل ومنه بيت الاصلاح • وذبيانية وصت بنيها • بان كذب القراطف والقروف • كما لو قال امرتهم بان ينتهبوها ومنه قوله سبحانه وتعالى ووصى بها ابرهيم بنيه اي وصاهم بكلمة التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك فكذلك معنى قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا ووصيناه بايتاء والديه حسنا او بايلاء والديه حسنا اي فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا • وقرئ حسنا واحسانا ويجوز ان يجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رأيته متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا اولهما معروفا ولا تطعهما في الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابتدأ حسنا حسن الوقف • وعلى التفسير الاول لا بد من اضمار القول معناه وقلنا ان جاهداك ايها الانسان • ما ليس لك به علم اي لا علم لك بالهيته • والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال لتشرك بي شيئا لا يصح ان يكون الها ولا يستقيم

وصاه بوالديه وامره بالاحسان اليهما ثم قرنه بنهيه عن طاعتهما اذا ارادا ما ذكر على ان كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله وانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق • ثم قال الي مرجع من آمن منكم ومن اشرك فاجازيكم حق جزائكم وفيه شيئان احدهما ان الجزاء اليّ فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا كما اني لا امنعهما رزقي • والثاني التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد • روي ان سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه حين اسلم قالت امه حمنة بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس يا سعد بلغني انك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلاثة ايام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الآية والتي في لقمان والتي في الاحقاف فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يداريها ويترضاها بالاحسان • وروي انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحارث بن هشام اخواه لامه اسماء بنت مخرمة امرأة من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلى الله عليه وسلم صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى تراك وهي اشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب فاستشار عمر رضي الله عنه فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال عمر رضي الله عنه اما اذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه وشداه وثاقا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت • **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين** • في جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المؤمنين وهو متمنى انبياء الله قال الله عز وجل حكاية عن سليمن وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال تعالى في ابرهيم وانه في الآخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة وهذا نحو قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الآية • **ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين** • **وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين** • هم ناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا مسهم اذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر وكما يجب ان يكون عذاب الله صارفا واذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم اي مشايعين لكم في دينكم ثابتين عليه بثباتكم فاعطونا نصيبنا من المغنم ثم اخبر سبحانه وتعالى انه اعلم بما في صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما تكن صدورهم من النفاق وهذا اطلاع منه للمؤمنين على ما ابطنوه ووعد للمؤمنين واوعاد للمنافقين • وقرئ ليقولن بفتح اللام • **وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون** • امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران في الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم • وترى في المتسمين بالاسلام من يستن باولئك فيقول لصاحبه اذا اراد ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه في عنقي وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم • ومنه ما يحكى ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض اهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا امير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيامة فقال عمرو بن عبيد اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق في المأمن **فان قلت** كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم الله انهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين

لا يدخل تحت حد الكاذب ... فإن قلت ... قلت شبه الله حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذب الذي خبره لا على ما عليه المخبر عنه وليحملن اثقالهم واثقالاً مع اثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون عما كانوا يفترون اي يختلقون من الاكاذيب والاباطيل • وقرئ من خطيئاتهم • ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاماً فاخذهم الطوفان وهم ظالمون • كان عمر نوح عليه الصلوة والسلام الفاً وخمسين سنة بعث على رأس الاربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين • وعن وهب انه عاش الفاً واربعمائة سنة • فان قلت هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة • قلت ما اورده الله احكم لانه لو قيل كما قلت لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على اكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك وكانه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا ان ذلك اخصر واعذب لفظاً واملأ بالفائدة وفيه نكتة اخرى وهي ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه الصلوة والسلام من امته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتاً له فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس اكبر منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره • فان قلت لم جاء المميز اولاً بالسنة وثانياً بالعام • قلت لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه او نحو ذلك • والطوفان ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل او نحوهما • قال العجاج • وغم طوفان الظلام الاثأبا • فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين • اصحاب السفينة كانوا ثمانية وسبعين نفساً نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم • وعن محمد بن اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة • والضمير في وجعلناها للسفينة او للحادثة والقصة • وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون • نصب ابراهيم باضمار اذكر وابدل عنه اذ بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها او هو معطوف على نوحاً واذ ظرف لارسلنا يعني ارسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغاً صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى • وقرأ ابراهيم النخعي وابو حنيفة رحمة الله عليهما وابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابراهيم • ان كنتم تعلمون يعني ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم او ان نظرتم بعين الدراية لا بعين الجهل علمتم انه خير لكم • انما تعبدون من دون الله اوثاناً وتخلقون افكاً ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون • وقرئ تخلّقون من خلّق بمعنى التكثير في خلق • وتخلّقون من تخلّق بمعنى تكذب وتخرّص • وقرئ افكاً وفيه وجهان ان يكون مصدراً نحو كذب ولعب والافك مخففاً منه كالكذب واللعب من اصلهما وان يكون صفة على فعل اي خلقاً افكاً اي ذا افك وباطل • واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء لله او شفعاء اليه • او سمى الاصنام افكاً وعملهم لها ونحتهم خلقاً للافك • فان قلت لم نكر الرزق ثم عرفه • قلت لانه اراد لا يستطيعون ان يرزقوكم شيئاً من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره • اليه ترجعون • وقرئ بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على انعمه • وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين • وان تكذبوني فلا تضرونني بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد كذبتهم اممهم وما ضروهم وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل واما الرسول فقد تم امره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته او وان كنت مكذباً فيما بينكم فلي في سائر الانبياء اسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق

ولا يكذب • ومعنى الآية والآيات التي بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة ان تكون من جملة قول ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه لقومه وانما عنى بالامم قبله قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح امة في معنى امم • وان تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين طرفي قصة ابراهيم • فان قلت اذا كانت من قول ابراهيم فما المراد بقوله قل سيروا في الارض • قلت هي حكاية كلام الله لابراهيم عليه الصلوة والسلام كما يحكي رسولنا عليه الصلوة والسلام كلام الله على هذا المنهاج في كثير من القرآن • فان قلت فاذا كانت خطاباً لقريش فما وجه توسطها في قصة ابراهيم والجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه الا تراك لا تقول مكة وزيد قائم خير بلاد الله • قلت ايراد قصة ابراهيم ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان تكون مسلاة له بان اباه ابراهيم خليل الله كان ممنواً بنحو ما مني به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله تعالى وان تكذبوا على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمداً فقد كذب ابراهيم قومه وكل امة نبيها لان قوله تعالى فقد كذب امم من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابراهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الآيات الواقعة عقيبها من اذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه • اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير • قرئ يروا بالتاء والياء ويبدئ ويبدأ • وقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله تعالى كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء ونحوه قولك ما زلت اوثر فلاناً واستخلفه على من اخلفه • فان قلت هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه فما هو • قلت هو جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك واستخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت اوثر فلاناً • ان ذلك اشارة الى ما يرجع اليه هو في قوله تعالى وهو اهون عليه من معنى يعيد • قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير • دل بقوله النشأة الآخرة على انهما نشأتان وان كل واحدة منهما انشاء اي ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا ان الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك • وقرئ النشأة والنشاءة كالرأفة والرآفة • فان قلت ما معنى الافصاح باسمه مع ايقاعه مبتدأ في قوله تعالى ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد اضماره في قوله تعالى كيف بدأ الخلق وكان القياس ان يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة • قلت الكلام معهم كان واقعاً في الاعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم في الابداء بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الابداء فهو الذي وجب ان لا تعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذاك الذي انشأ النشأة الاولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدأ • يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون • يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب • تقلبون تردون وترجعون • وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير • وما انتم بمعجزين ربكم اي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه في الارض الفسيحة • ولا في السماء التي هي افسح منها وابسط لو كنتم فيها كقوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا • وقيل ولا من في السماء كما قال حسان • امن يهجو رسول الله منكم • ويمدحه وينصره سواء • ويحتمل ان يراد لا تعجزونه كيفما هبطتم في مهاوي الارض واعماقها او علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السماء كقوله تعالى ولو كنتم في بروج مشيدة او لا تعجزون امره الجاري في السماء والارض ان يجري عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء • والذين كفروا بآيات الله ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم • بآيات الله بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته

[illegible]

فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون

[illegible]

وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا

[illegible]

ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين

[illegible]

فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم

[illegible]

ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين

[illegible]

فان قلت [illegible] قلت قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التي هي التوراة والزبور والانجيل والفرقان

ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر

[illegible]

الفعلة البالغة في القبح • وما سبقكم بها من احد من العالمين جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة كان قائلا
قال لم كانت فاحشة فقيل لان احدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم لافراط قبحها حتى اقدم
عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم • قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط • وقرئ انكم بغير استفهام
في الاول دون الثاني • قال ابو عبيد وجدته في الامام بحرف واحد بغير ياء ورأيت الثاني بحرفين الياء والنون • وتقطعون
السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الانفس واخذ الاموال • وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة • وعن الحسن رحمه الله
قطع النسل باتيان ما ليس بحرث • والمنكر • وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الحذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة

ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازرار من الاقبية والسباب والفحش في المزاح • وعن عائشة رضي الله عنها
انهم كانوا يتحابقون • وقيل السخرية بمن مر بهم • وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها اقبح
من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له • ولا يقال للمجلس نادٍ الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا عنه
لم يبق ناديا • ان كنت من الصادقين فيما تعدنا من نزول العذاب • قال رب انصرني على القوم المفسدين
كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها ولانهم ابتدعوا الفاحشة
وسنوها فيمن بعدهم قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون
فاراد لوط عليه الصلوة والسلام ان يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه • ولما
جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين
بالبشرى هي البشارة بالولد والنافلة وهما اسحاق ويعقوب عليهما الصلوة والسلام واضافة مهلكو اضافة تخفيف
لا تعريف والمعنى الاستقبال • والقرية سدوم • كانوا ظالمين معناه ان الظلم قد استمر منهم ايجاده في الايام
السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وانواع معاصيهم • قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها
لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين • ان فيها لوطا ليس اخبارا لهم بكونه فيها وانما هو جدال في شانه
لما عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض عليهم بان فيها من هو بريء من الظلم واراد بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب
للمؤمن من التحزن لاخيه والتشمر في نصرته والخوف من ان يمسه اذى او يلحقه ضرر • قال قتادة لا يرى المؤمن الا يحوط
المؤمن اجابوه بانهم اعلم منه بمن فيها يعنون نحن اعلم منك واخبر بحال لوط وحال قومه وامتيازه
منهم الامتياز البين وانه لا يستأهل ما يستأهلون فخفض على نفسك وهون عليك الخطب • وقرئ لننجينه
بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك • ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا
لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين • ان صلة اكدت وجود الفعلين مترتبا احدهما على
الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان كانه قيل كما احس بمجيئهم فاجأته
المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه • وضاق بهم ذرعا وضاق بشأنهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته
وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه
ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة • انا منزلون على اهل
هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون • الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب
وقرئ منزلون مخففا ومشددا • ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون • منها من القرية آية بينة هي آثار
منازلهم الخربة • وقيل بقية الحجارة • وقيل الماء الاسود على وجه الارض • وقيل الخبر عما صنع بهم • لقوم يعقلون يتعلق بتركنا
او ببينة • والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الارض مفسدين
وارجوا وافعلوا ما ترجون به العاقبة فاقيم المسبب مقام السبب او امروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان
كما يؤمر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط • وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف • فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم
جاثمين • والرجفة الزلزلة الشديدة • وعن الضحاك صيحة جبريل عليه الصلوة والسلام لان القلوب رجفت لها
في دارهم في بلدهم وارضهم او في ديارهم فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس • جاثمين باركين على الركب ميتين • وعادا وثمودا
وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين • وعادا منصوب
باضمار اهلكنا لان قوله تعالى فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في معنى الاهلاك • وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصف
من اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها
وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا • او كانوا متبينين ان العذاب نازل بهم لان الله
تعالى قد بين لهم على السنة الرسل ولكنهم لجوا حتى هلكوا • وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات

فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين • فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا
ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون • سابقين فائتين أدركهم أمر الله فلم يفوتوه • والحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء
وقيل ملك كان يرميهم • والصيحة لمدين وثمود • والخسف لقارون • والغرق لقوم نوح وفرعون • مثل الذين اتخذوا
من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون •
الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة
وهو نسج العنكبوت ألا ترى إلى مقطع التشبيه وهو قوله تعالى وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت فإن قلت ما معنى قوله
تعالى لو كانوا يعلمون وكل أحد يعلم وهن بيت العنكبوت قلت معناه لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه
الغاية من الوهن • ووجه آخر وهو أنه إذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح أن أوهن البيوت
بيت العنكبوت فقد تبين أن دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعلمون أو أخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكأنه
قال وإن أوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون • ولقائل أن يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس إلى
المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالإضافة إلى رجل يبني بيتا بآجر وجص أو ينحته من صخر وكما أن أوهن البيوت
إذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك أضعف الأديان إذا استقريتها دينا دينا عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون
إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم • قرئ يدعون بالياء والتاء وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه
حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا • وهو العزيز الحكيم فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لأنه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة
أصلا وتركوا عبادة القاهر القادر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا إلا بحكمة وتدبير • وتلك الأمثال نضربها
للناس وما يعقلها إلا العالمون • كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون إن رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت
ويضحكون من ذلك فلذلك قال وما يعقلها إلا العالمون أي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها إلا هم لأن الأمثال والتشبيهات
إنما هي الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للأفهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال
المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب
سخطه • خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين • بالحق بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو أن
تكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته ألا ترى إلى قوله إن في ذلك لآية للمؤمنين ونحوه قوله عز وعلا
وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ثم قال ذلك ظن الذين كفروا • اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة
إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون • الصلاة تكون لطفا في ترك
المعاصي فكأنها ناهية عنها فإن قلت كم من مصل يرتكب ولا تنهاه صلاته قلت الصلاة التي هي الصلاة
عند الله المستحق بها الثواب أن يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى إنما يتقبل الله من المتقين ويصليها
خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم كان يقول كأن الصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت
من فوقي وأصلي بين الرجاء والخوف • ثم يحوطها بعد أن يصليها فلا يحبطها فهي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر
وعن ابن عباس رضي الله عنهما من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بعدا
وعن الحسن رحمه الله من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه • وقيل من كان
مراعيا للصلاة جره ذلك إلى أن ينتهي عن السيئات يوما ما • فقد روي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا يصلي
بالنهار ويسرق بالليل فقال إن صلاته لتردعه • وروي أن فتى من الأنصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش
إلا ركبه فوصف له فقال إن صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وعلى كل حال فإن المراعي للصلاة لا بد أن يكون أبعد من الفحشاء والمنكر
ممن لا يراعيها • وأيضا فكم من مصل تنهاه الصلاة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي أن لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها
كما تقول إن زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك أنه ينهى عن جميع المناكير وإنما تريد أن هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه

غير اقتضاء العموم ولذكر الله أكبر يريد وللصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال فاسعوا إلى ذكر الله
وإنما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كأنه قال وللصلاة أكبر لأنها ذكر الله • أو ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما
ووعيده عليهما أكبر فكان أولى بأن ينهى من اللطف الذي في الصلاة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله إياكم برحمته
أكبر من ذكركم إياه بطاعته • والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم أحسن الثواب • ولا تجادلوا أهل الكتاب
إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له
مسلمون • بالتي هي أحسن بالخصلة التي هي أحسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالأناة كما قال
عز وجل ادفع بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا فأفرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم
الغلظة • وقيل إلا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقيل إلا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة
وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية
فإن أولئك مجادلتهم بالسيف • وعن قتادة الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا مجادلة
أشد من السيف وقوله وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا من حسن المجادلة بالتي هي أحسن • وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثكم
أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان باطلا لم تصدقوهم وإن كان حقا لم تكذبوهم • وكذلك
أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون •
ومثل ذلك الإنزال أنزلنا إليك الكتاب أي أنزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله تعالى آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم
وقيل وكما أنزلنا الكتب إلى من كان قبلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب هم عبد الله بن سلام رضي الله عنه ومن آمن معه
ومن هؤلاء من أهل مكة • وقيل أراد بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله من أهل الكتاب ومن هؤلاء ممن في عهده منهم
وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة عنها إلا المتوغلون في الكفر المصممون عليه • وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه
وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون • وأنت أمي ما عرفك أحد قط بتلاوة كتاب ولا
خط • إذا لو كان شيء من ذلك أي من التلاوة والخط لارتاب المبطلون من أهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا أمي لا يكتب ولا يقرأ
وليس به • أو لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده فإن قلت لم سماهم مبطلين ولو لم يكن أميا وقالوا ليس بالذي
نجد في كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان لأهل مكة أيضا وجه في قولهم لعله تعلمه أو كتبه فإنه رجل قارئ كاتب قلت
سماهم مبطلين لأنهم كفروا به وهو أمي بعيد من الريب فكأنه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن أميا لارتابوا أشد الريب فحين
ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم • وشيء آخر وهو أن سائر الأنبياء لم يكونوا أميين ووجب الإيمان بهم وبما جاؤوا به لكونهم
مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب أنه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى على أن المنزلين
ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فإذن هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو غير أمي فإن قلت ما فائدة قوله بيمينك
قلت ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبا ألا ترى أنك إذا قلت في الإثبات
رأيت الأمير يخط هذا الكتاب بيمينه كان أشد لإثباتك أنه تولى كتبته فكذلك النفي • بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا
العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون • بل القرآن آيات بينات في صدور العلماء وهم حفاظه وهما من خصائص القرآن كون
آياته بينات الإعجاز وكونه محفوظا في الصدور يتلوه أكثر الأمة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فإنها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ إلا
من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الأمة صدورهم أناجيلهم • وما يجحد بآيات الله إلا المتوغلون في الظلم المكابرون
وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين • أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب
يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون • قرئ آية وآيات أرادوا هلا أنزل عليه آية مثل ناقة صالح
ومائدة عيسى عليهما السلام ونحو ذلك • إنما الآيات عند الله ينزل أيتها شاء ولو شاء أن ينزل ما يقترحونه لفعل وإنما
أنا نذير كلفت الإنذار وإبانته بما أعطيت من الآيات وليس لي أن أتخير على الله آياته فأقول أنزل علي آية كذا مع علمي أن الغرض
من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك • ثم قال أولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات إن كانوا طالبين

للحق غير متعنتين هذا القرآن الذي تتلوه عليهم في كل مكان وزمان فلا تزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما
تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان • ان في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان الى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة
لا تشكر وتذكرة لقوم يؤمنون • وقيل اولم يكفهم يعني اليهود انا انزلنا عليك الكتاب تتلى عليهم بتحقيق ما في ايديهم
من نعتك ونعت دينك • وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما
يقول اليهود فلما ان نظر اليها القاها وقال كفى بها حماقة قوم او ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء
به غير نبيهم فنزلت والمعنى ما ذكرنا • قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين
آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون • كفى بالله بيني وبينكم شهيدا اني قد بلغتكم
ما ارسلت به اليكم وانذرتكم وانكم قابلتموني بالجحد والتكذيب • يعلم ما في السموات والارض فهو مطلع على امري
وامركم وعالم بحقي وباطلكم • والذين آمنوا بالباطل منكم وهو ما تعبدونه من دون الله • وكفروا بالله وآياته
اولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا ان الكلام ورد مورد الانصاف كقوله
تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين • وكقول حسان • فشركما لخيركما الفداء • وروي ان كعب بن الاشرف
واصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت • ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم
العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون • كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحارث هو الذي
قال اللهم امطر علينا حجارة من السماء • كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء • ولولا اجل مسمى قد سماه
الله وبينه في اللوح لعذابهم واوجبت الحكمة تاخيره الى ذلك الاجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا • والاجل
الآخرة لما روي ان الله عز وجل وعد رسوله صلى الله عليه وسلم ان لا يعذب قومه ولا يستأصلهم وان يؤخر عذابهم
الى يوم القيامة • وقيل يوم بدر • وقيل وقت فنائهم بآجالهم • يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين
يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون • لمحيطة اي
ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب وهي محيطة بهم في الدنيا لان المعاصي التي توجبها محيطة بهم او لانها مآلهم
ومرجعهم لا محالة فكأنها الساعة محيطة بهم • ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر اي يوم يغشاهم العذاب كان
كيت وكيت ومن فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل • ونقول قرئ بالنون والياء
ما كنتم تعملون اي جزاءه • يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون • معنى الآية ان المؤمن اذا
لم تتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه كما يحب فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه فيه اسلم قلبا
واصح دينا واكثر عبادة واحسن خشوعا ولعمري ان البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب
اولونا فلم نجد فيما درنا وداروا اعون على قهر النفس وعصيان الشهوة واجمع للقلب المتلفت واضم للهم المنتشر
واحث على القناعة واطرد للشيطان وابعد من كثير من الفتن واضبط للامر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار
بيت الله فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر واوزع من الشكر • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد صلوات الله عليهما •
وقيل هي في المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وانما كان ذلك لان امر دينهم ما كان
يستتب لهم بين ظهراني الكفرة • فاياي في التكلم نحو اياه في الغيبة واياك في الخطاب
فاياي فاعبدوا فاعبدون • فان قلت ما معنى الفاء في فاعبدون وتقديم المفعول • قلت الفاء جواب
شرط محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط
وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص • كل نفس ذائقة الموت ثم الينا
ترجعون • لما امر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها اوفق البلاد وان شسعت
اتبعه قوله كل نفس ذائقة الموت اي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق ومعناه انكم ميتون فواصلون

الى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده • والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين • الذين صبروا وعلى ربهم
يتوكلون • لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة علالي • وقرئ لنثوينهم من الثواء وهو النزول للاقامة يقال ثوى في
المنزل واثوى هو غيره وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب واذهبته
والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم او حذف الجار وايصال
الفعل او تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم • وقرأ يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء • الذين صبروا على مفارقة
الاوطان والهجرة لاجل الدين وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي ولم يتوكلوا في
جميع ذلك الا على الله عز وجل • وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم • لما
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول الرجل منهم كيف اقدم بلدة
ليست لي فيها معيشة فنزلت • والدابة كل نفس دبت على وجه الارض عقلت او لم تعقل • لا تحمل رزقها لا تطيق
ان تحمله لضعفها عن حمله • الله يرزقها واياكم اي لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم ايضا ايها الاقوياء الا
هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من الدواب التي لا تحمل
عن الحسن رحمه الله لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح فيرزقها الله تعالى • وعن ابن عيينة ليس شيء يخبأ الا الانسان
والنملة والفأرة • وعن بعضهم رأيت البلبل يحتكر في حضنيه • ويقال للعقعق مخابئ الا انه ينساها • وهو السميع لقولكم
نخشى الفقر والضيعة • والعليم بما في ضمائركم • ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن
الله فانى يؤفكون • الضمير في سألتهم لاهل مكة • فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله وان لا يشركوا به مع
اقرارهم بانه خالق السموات والارض • الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء
عليم • قدر الرزق وقتره بمعنى اذا ضيقه • فان قلت الذي رجع اليه الضمير في قوله تعالى ويقدر له من يشاء
فكان بسط الرزق وقدره جعلا لواحد • قلت يحتمل الوجهين جميعا ان يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء
لان من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وان يريد تعاقب الامرين على واحد على حسب المصلحة • ان الله بكل
شيء عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم • ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها
ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون • استحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوا لما اقروا
ثم نقضهم ذلك في توحيد الله ونفي الانداد والشركاء عنه ولم يكن اقرارهم لعلم كاقرار الموقنين وعلى انهم اقروا
بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة الى الله وقد جعلوا العبادة للصنم • ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون ما يقولون وما
فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد او لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند
مقالتهم • وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون • هذه فيها ازدراء للدنيا
وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة يريد ما هي لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها
الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون • وان الدار الآخرة لهي الحيوان اي ليس فيها الا حيوة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها
فكأنها في ذاتها حيوة • والحيوان مصدر حيي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة في اسم رجل
وبه سمي ما فيه حيوة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحيوة
وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغصان واللهبان وما اشبه ذلك • والحيوة حركة كما ان
الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحيوة ولذلك اختيرت على الحيوة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة
لو كانوا يعلمون فلم يؤثروا الحيوة الدنيا عليها • فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم
يشركون • فان قلت بم اتصل قوله فاذا ركبوا • قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه
هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد • فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله

مخلصين له الدين كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها آخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم فلما نجاهم الى البر وآمنوا عادوا الى حال الشرك واللام في ليكفروا محتملة ان تكون لام كي وكذلك في وليتمتعوا فيمن قرأها بالكسر والمعنى انهم يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين بها التلذذ والتمتع لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة اذا انجاهم الله ان يشكروا نعمة الله في انجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وان تكون لام الامر وقراءة من قرأ وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله عز وجل اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير فان قلت كيف جاز ان يأمر الله تعالى بالكفر وبأن يعمل العصاة ما شاؤا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه قلت هو مجاز عن الخذلان والتخلية وان ذلك الامر متسخط الى غاية ومثاله ان ترى الرجل قد عزم على امر وعندك ان ذلك الامر خطأ وانه يؤدي الى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رأيه فاذا لم تر منه الا الاباء والتصميم حردت عليه وقلت انت وشأنك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف والآمر بالشيء مريد له وانت شديد الكراهة متحسر ولكنك كأنك تقول له فاذ قد ابيت قبول النصيحة فانت اهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه ليتبين لك اذا فعلت صحة رأي الناصح وفساد رأيك • اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون • كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون واهل مكة قارون آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة عليهم ووبخهم بانهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها الا الله وحده مكفورة عندهم • ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين • افتراؤهم على الله كذبا زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب وفي قوله لما جاءه تسفيه لهم يعني لم يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون في الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستأنون الى ان يصح لهم صدقه او كذبه • اليس تقرير لثوائهم في جهنم كقوله

الستم خير من ركب المطايا •

قال بعضهم ولو كان استفهاما ما اعطاه الخليفة مائة من الابل وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار دخلت على النفي فرجع الى معنى التقرير فهما وجهان احدهما الا يثوون في جهنم والا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب • والثاني الم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجرأة • والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين • اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما تجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعداء الدين • فينا في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا • لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى • وعن ابي سليمان الداراني رحمة الله عليه والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا • وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم • وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم • لمع المحسنين لناصرهم ومعينهم • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين • صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا من الصادقين له

سورة الروم ستون آية مكية الا قوله فسبحان الله

بسم الله الرحمن الرحيم • الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون • في بضع سنين • القراءة المشهورة الكثيرة غلبت بضم الغين • وسيغلبون بفتح الياء • والارض ارض العرب لان الارض المعهودة عند العرب ارضهم والمعنى غلبوا في ادنى ارض العرب منهم وهي اطراف الشام او اراد ارضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه اي في ادنى ارضهم الى عدوهم • قال مجاهد رحمه الله هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس • وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاردن وفلسطين • وقرئ في اداني الارض • والبضع ما بين الثلاث الى العشر عن الاصمعي • وقيل احتربت الروم وفارس بين اذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين لان فارس

مجوس لا كتاب لهم والروم اهل كتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت يا ابا فصيل اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين • وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو بكر رضي الله عنه الخطر من ذرية ابي وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وان القرآن من عند الله لانها انباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله • وقرئ غلبهم بسكون اللام والغلب والغلب مصدران كالجلب والجلب والحلب والحلب • وقرئ غلبت الروم بالفتح • وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم • واضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين فهي في احداهما اضافة المصدر الى المفعول وفي الثانية اضافته الى الفاعل ومثالها مع غلبكم اخوانكم ولن يخلف الله وعده

فان قلت كيف صحت المناحبة وانما هي قمار قلت عن قتادة انه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله ان العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده ابو بكر رضي الله عنه بينه وبين ابي بن خلف • لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم • من قبل ومن بعد اي في اول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني ان كونهم مغلوبين اولا وغالبين آخرا ليس الا بامر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس • وقرئ من قبل ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كأنه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا وآخرا • ويومئذ ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة • وقيل نصر الله اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم • وقيل نصر الله انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمهم حتى تفانوا وتناقصوا وفل هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للاسلام • وعن ابي سعيد الخدري وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنين • وهو العزيز الرحيم ينصر عليكم تارة وينصركم اخرى • وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون • وعد الله مصدر مؤكد كقولك لك علي الف درهم عرفا لان معناه اعترف لك بها اعترافا ووعد الله ذلك وعدا لان ما سبقه في معنى وعد • يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون • ذمهم الله بانهم عقلاء في امور الدنيا بله في امر الدين وذلك انهم كانوا اصحاب تجارات ومكاسب • وعن الحسن رحمه الله بلغ من حذق احدهم انه يأخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم اجيد هو ام رديء • وقوله تعالى يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك انه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا • وقوله ظاهرا من الحياة الدنيا يفيد ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها انها مجاز الى الآخرة يتزود منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة • وفي تنكير الظاهر انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة الظواهر • وهم الثانية يجوز ان يكون مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاول وان يكون تكريرا للاول وغافلون خبر الاول واية كانت فذكرها مناد على انهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومحلها وانها منهم تنبع واليهم ترجع • اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون • في انفسهم يحتمل ان يكون ظرفا كأنه قال اولم يحدثوا التفكر في انفسهم اي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين

كقولك اعتقده في قلبك واضمره في نفسك وان يكون صلة للتفكر كقولك تفكر في الامر واجال فيه فكره • وما خلقنا متعلق
بالقول المحذوف معناه اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه • الا بالحق والاجل المسمى
اي ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير
اجل مسمى لا بد لها من ان تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب الا ترى الى قوله تعالى افحسبتم انما
خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا • والباء في قوله تعالى الا بالحق مثلها في قولك
دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتراه وهو متلبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك
المعنى ما خلقها الا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به • فان قلت اذا جعلت في انفسهم صلة للتفكر فما معناه • قلت
معناه اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم اعلم واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها
فيتدبروا ما اودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها
فيه الحكيم الذي دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك امرها
جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت • والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها
وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون • اولم يسيروا تقرير لسيرهم في
البلاد ونظرهم الى اثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم اخذ يصف لهم احوالهم وانهم كانوا اشد منهم
قوة واثاروا الارض وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول تثير الارض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمي ثورا لاثارته الارض
وبقرة لانها تبقرها اي تشقها • وعمروها يعني اولئك المدمرون اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة واهل مكة اهل واد غير
ذي زرع ما لهم اثارة الارض اصلا ولا عمارة لها راسا فما هو الا تهكم بهم وتضعيف حالهم في دنياهم لان معظم ما يستظهر به
اهل الدنيا ويتباهون به امر الدهقنة وهم ايضا ضعاف القوى فقوله كانوا اشد منهم قوة اي عاد وثمود واضرابهم من هذا
القبيل كقوله عز وجل اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وان كان هذا ابلغ لان تخالق القوى والقدر فما كان
تدميرهم ظلما لهم لان حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث عملوا ما اوجب تدميرهم • ثم كان عاقبة الذين اساءوا
السوأى ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزءون • قرئ عاقبة بالنصب والرفع والسوأى تانيث الاسوأ وهو
الاقبح كما ان الحسنى تانيث الاحسن • والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كان عاقبتهم السوأى الا انه وضع المظهر
موضع المضمر اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات في الاخرة وهي جهنم التي اعدت للكافرين • وان كذبوا بمعنى لان كذبوا ويجوز
ان يكون بمعنى اي لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادى وكتب وما اشبه ذلك
ويجوز ان يكون اساءوا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي اسوأ الخطايا • وان كذبوا عطف بيان لها وخبر كان
محذوف كما يحذف جواب لما ولو ارادة الابهام • الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون • ويوم تقوم
الساعة يبلس المجرمون • ثم اليه ترجعون الى ثوابه وعقابه في الاخرة وقرئ بالياء والتاء • الابلاس ان يبقى بائسا
ساكتا متحيرا يقال ناظرته فابلس اي لم ينبس وييئس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ يبلس بفتح اللام
من ابلسه اذا اسكته • ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين • من شركائهم من الذين عبدوهم من دون
الله • وكانوا بشركائهم كافرين • اي يكفرون بالهتهم ويجحدونها او وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم • وكتب شفعواء في
المصحف قبل الالف كما كتب علمؤا بني اسرائيل وكذلك كتب السوأى بالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها
ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون • الضمير في يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه • وعن الحسن رحمه الله
هم متفرقون المسلمون والكافرون هؤلاء في عليين وهؤلاء في اسفل السافلين • وعن قتادة فرقة لا اجتماع بعدها • فاما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون • في روضة في بستان وهي الجنة والتنكير لابهام امرها وتفخيمه
والروضة عند العرب كل ارض ذات نبات وماء وفي امثالهم احسن من بيضة في روضة يريدون بيضة النعامة • يحبرون

يسرون يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه اثره ثم اختلفت فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن
مجاهد يكرمون • وعن قتادة ينعمون • وعن ابن كيسان يحلون • وعن ابي بكر بن عياش التيجان على رؤوسهم • وعن وكيع السماع في الجنة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي اخر القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع
قال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط
فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي فسالت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح • وروي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس
من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها
اهل الدنيا لماتوا طربا • واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون • محضرون
لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله عز وجل وما هم بخارجين منها لا يفتر عنهم • فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون • لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي
من الوعيد فقال فسبحوا الله ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة
الله الظاهرة • وقيل الصلاة • وقيل لابن عباس رضي الله عنه هل تجد الصلوات الخمس في القران قال نعم وتلا هذه الاية • تمسون صلاتا
المغرب والعشاء • وتصبحون صلاة الفجر • وعشيا صلاة العصر • وتظهرون صلاة الظهر • وقوله تعالى وعشيا متصل بقوله
وحين تمسون • وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراض بينهما ومعناه ان على المميزين كلهم من اهل السموات والارض ان يحمدوه
فان قلت لم ذهب الحسن الى ان هذه الاية مدنية • قلت لانه كان يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب
بمكة ركعتين في غير وقت معلوم • والقول الاكثر ان الخمس انما فرضت بمكة • وعن عائشة رضي الله عنها فرضت الصلاة ركعتين فلما قدم
النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له
بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الاية • وعنه عليه الصلاة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون الى قوله تعالى وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في
ليلته • وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا
اي فيه • يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون • الحي من الميت الطائر من
البيضة • والميت من الحي البيضة من الطائر • واحياء الارض اخراج النبات منها • وكذلك تخرجون ومثل ذلك الاخراج تخرجون من
القبور وتبعثون والمعنى ان الابداء والاعادة متساويان في قدرة من هو قادر على اطوار تعكيس اخراج الميت من الحي واخراج الحي
من الميت واحياء الميت واماتة الحي • وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء • ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم
اذا انتم بشر تنتشرون • خلقكم من تراب لانه خلق اصلهم واذا للمفاجاة وتقديره ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا
منتشرين في الارض كقوله عز وجل وبث منهما رجالا كثيرا ونساء • ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا
لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون • من انفسكم ازواجا لان
حواء خلقت من ضلع ادم عليه الصلاة والسلام والنساء بعدها خلقن من اصلاب الرجال • او من شكل انفسكم وجنسها
لا من جنس اخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر • وجعل بينكم التواد
والتراحم بعصمة الزواج بعد ان لم تكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة او رحم • وعن الحسن رحمه الله
المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال عز وجل ورحمة منا وقال ذكر رحمة ربك عبده زكريا • ويقال سكن اليه
اذا مال اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعل بمعنى مفعول • فقيل ان المودة والرحمة من الله والفرك من قبل الشيطان
ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين • الالسنة اللغات او اجناس
النطق واشكاله خالف عز وعلا بين هذه الاشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة
ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله وكذلك الصور وتخطيطها والالوان
وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح

كثيرة وتفاوت بين توأمين يتشابهان في الحلية فيخطئ في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلى
وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد وفرعوا من أصل فذ وهم على الكثرة التي لا يعلمها إلا الله
مختلفون متفاوتون ● وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله جل وعلا وما يعقلها
إلا العالمون ● ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون
هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار إلا أنه فصل بين القرينين
الأوليين بالقرينين الأخريين لأنهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع إعانة اللف على الاتحاد
ويجوز أن يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الأول لتكرره في القرآن وأسد المعاني ما دل عليه
القرآن يسمعونه بالآذان الواعية ● ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به
الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ● في يريكم وجهان إضمار أن وإنزال الفعل منزلة
المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ● وقول القائل ● وقالوا ما تشاء فقلت ألهو إلى الإصباح
آثر ذي أثير ● خوفا من الصاعقة أو من الإخلاف وطمعا في الغيث ● وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما
منصوبان على المفعول له **فإن قلت** من حق المفعول له أن يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا
كذلك **قلت** فيه وجهان أحدهما أن المفعولين فاعلان في المعنى لأنهم راؤون فكأنه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا
والثاني أن يكون على تقدير حذف المضاف أي إرادة خوف وإرادة طمع فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ويجوز
أن يكونا حالين أي خائفين طامعين ● وقرئ ينزل بالتشديد ● ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا
دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ● وله من في السموات والأرض كل له قانتون ● ومن آياته قيام
السموات والأرض واستمساكهما بغير عمد بأمره أي بقوله كونا قائمتين والمراد بإقامتهما إرادة تكونهما على صفة
القيام دون الزوال ● وقوله تعالى إذا دعاكم بمنزلة قوله تعالى يريكم في إيقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كأنه قال ومن
آياته قيام السموات والأرض ثم خروج الموتى من القبور إذا دعاهم دعوة واحدة يا أهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود
ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل ● دعوت كليبا دعوة فكأنما ● دعوت به ابن
الطود أو هو أسرع ● يريد بابن الطود الصدى أو الحجر إذا تدهدى وإنما عطف هذا على قيام السموات والأرض بثم
بيانا لعظم ما يكون من ذلك الأمر واقتداره على مثله وهو أن يقول يا أهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الأولين والآخرين
إلا قامت تنظر كما قال الله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وقولك دعوته من مكان كذا كما يجوز أن يكون
مكانك يجوز أن يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيدا من أعلى الجبل فنزل علي ودعوته من أسفل الوادي فطلع إلي ولله
فإن قلت بم تعلق من الأرض أبالفعل أم بالمصدر **قلت** هيهات إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل
فإن قلت ما الفرق بين إذا وإذا **قلت** الأولى للشرط والثانية للمفاجأة وهي تنوب مناب الفاء في جواب
الشرط ● وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها ● قانتون منقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه ● وهو الذي يبدأ
الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ● وأهون
عليه فيما يجب عندكم وينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم لأن من أعاد منكم صنعة شيء كانت أسهل عليه وأهون
وتعتذرون للصانع إذا أخطأ في بعض ما ينشئه بقولكم أول الغزو أخرق وتسمون الماهر في صناعته معاودا
تعنون أنه عاودها كرة بعد أخرى حتى مرن عليها وهانت عليه **فإن قلت** لم ذكر الضمير في قوله تعالى وهو
أهون والمراد به الإعادة **قلت** معناه أن يعيده أهون عليه **فإن قلت** لم أخرت الصلة في قوله تعالى
وهو أهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين **قلت** هنالك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين
وإن كان مستصعبا عندكم أن يولد بين هم وعاقر وأما ههنا فلا معنى للاختصاص كيف والأمر مبني على ما يعقلون من
أن الإعادة أسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى **فإن قلت** ما بال الإعادة استعظمت في

قوله تعالى ثم إذا دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السموات والأرض بأمره ثم هونت بعد ذلك **قلت** الإعادة
في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس إلى الإنشاء ● وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه أن البعث أهون على
الإنسان من الإنشاء لأن تكوينه في حد الاستحكام والتمام أهون عليه وأقل تعبا وكبدا من أن ينتقل في الأحوال ويتدرج
فيها إلى أن يبلغ ذلك الحد ● وقيل الأهون بمعنى الهين ● ووجه آخر وهو أن الإنشاء من قبيل التفضل الذي
يتخير فيه الفاعل بين أن يفعله وأن لا يفعله والإعادة من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله لأنها لجزاء الأعمال
وجزاؤها واجب والأفعال إما محال والمحال ممتنع أصلا خارج عن المقدور وإما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف
وهو القبح وهو رديف المحال لأن الصارف يمنع وجود الفعل كما يمنعه الإحالة ● وإما تفضل والتفضل حالة بين
بين الفاعل أن يفعله وأن لا يفعله ● وإما واجب لا بد من فعله ولا سبيل إلى الإخلال به فكان الواجب أبعد الأفعال من
الامتناع وإذا كان أبعدها من الامتناع كان أدخلها في التأتي والتسهل فكانت أهون منها وإذا كانت أهون منها
كانت أهون من الإنشاء ● وله المثل الأعلى أي الوصف الأعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به ووصف في السموات
والأرض على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل وهو أنه القادر الذي لا يعجز عن شيء من إنشاء وإعادة وغيرهما من
المقدورات ويدل عليه قوله تعالى وهو العزيز الحكيم أي القاهر لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا
حكمة وعلمه ● وعن مجاهد المثل الأعلى قول لا إله إلا الله ومعناه وله الوصف الأعلى الذي هو الوصف بالوحدانية
ويعضده قوله ضرب لكم مثلا من أنفسكم وقال الزجاج وله المثل الأعلى في السموات والأرض أي قوله تعالى وهو أهون عليه قد
ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الأول ● ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم
من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ●
فإن قلت أي فرق بين من الأولى والثانية والثالثة في قوله تعالى من أنفسكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء **قلت** الأولى
للابتداء كأنه قال أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم ولم يبعد ● والثانية للتبعيض والثالثة
مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ● ومعناه هل ترضون لأنفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد
كعبيد أن يشارككم بعضهم فيما رزقناكم من الأموال وغيرها تكونون أنتم وهم فيه على السواء من غير تفصلة بين حر وعبد
تهابون أن تستبدوا بتصرف دونهم وأن تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الأحرار فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم
فكيف ترضون لرب الأرباب ومالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء ● كذلك أي مثل ذلك التفصيل نفصل الآيات أي
نبينها لأن التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لأنه بمنزلة التصوير والتشكيل لها ألا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة
بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين ● الذين ظلموا أي أشركوا
كقوله تعالى إن الشرك لظلم عظيم ● بغير علم أي اتبعوا أهواءهم جاهلين لأن العالم إذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه
وأما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء ● من أضل الله من خذله ولم يلطف به لعلمه أنه ممن لا لطف له فمن يقدر
على هداية مثله وقوله تعالى وما لهم من ناصرين دليل على أن المراد بالإضلال الخذلان ● فأقم وجهك للدين حنيفا
فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين
إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ● فأقم وجهك للدين فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه
يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه فإن من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه
وسدد إليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه ● وحنيفا حال من المأمور أو من الدين ● فطرت الله أي الزموا فطرة الله أو عليكم
فطرة الله وإنما أضمر على خطاب الجماعة لقوله منيبين إليه ومنيبين حال من الضمير في الزموا وقوله تعالى واتقوه وأقيموا
ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر ● والفطرة الخلقة ألا ترى إلى قوله لا تبديل لخلق الله ● والمعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد
ودين الإسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر
ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الإنس والجن ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين

عن غيرهم فانه وهما ان لا يشركوا ابو عبيد • وقوله عليه الصلاة والسلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه
وينصرانه • لا تبديل لخلق الله اي ما ينبغي ان تبدل تلك الفطرة او تغير • فان قلت لم وحد الخطاب اولا ثم جمع قلت
خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك
للبيان والتلخيص • من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون • بدل من المشركين • فارقوا
دينهم تركوا دين الاسلام • وقرئ فرقوا دينهم اي جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم وكانوا شيعا فرقا كل واحدة
تشايع امامها الذي اضلها • كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا • ويجوز ان يكون من الذين منقطعا عما
قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله • وكل خليل غير هاضم
نفسه • واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون
ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون • الضر الشدة من هزال او مرض او قحط او غير ذلك • والرحمة الخلاص من
الشدة • واللام في ليكفروا للمجاز مثلها في ليكون لهم عدوا • فتمتعوا انظير لعلها شيتم فسوف تعلمون وقبل فتمتعكم وقرئ
ابن مسعود رحمه الله وليتمتعوا • ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون • السلطان الحجة وتكلمه
مجاز كما تقول الكتاب ينطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته
وما في بما كانوا مصدرية اي بكونهم بالله يشركون • ويجوز ان تكون موصولة والراجع محذوف ومعناه فهو يتكلم
بالامر الذي بسببه يشركون ويحتمل ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان اي ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم
بالبرهان الذي بسببه يشركون • واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم
اذا هم يقنطون • واذا اذقناهم رحمة اي نعمة من مطر او سعة او صحة • فرحوا بها وان تصبهم سيئة
اي بلاء من جدب او ضيق او مرض • بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم قنطوا من الرحمة • اولم يروا ان
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون • ثم انكر عليهم بانهم
قد علموا انه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من المعاصي التي
عوقبوا بالشدة من اجلها حتى يعيد اليهم رحمته • فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك
خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون • حق ذي القربى بصلة الرحم وحق المسكين وابن
السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما • وقد احتج ابو حنيفة رحمه الله بهذه الآية في وجوب النفقة للمحارم
اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب • وعند الشافعي رضي الله عنه لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين
قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولادة بينهم • فان قلت كيف تعلق قوله تعالى فآت ذا القربى بما
قبله حتى جيء بالفاء • قلت لما ذكر ان السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل
وما يجب ان يترك • يريدون وجه الله يحتمل ذاته او جهته وجانبه اي يقصدون بمعروفهم
اياه خالصا وحقه كقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى او يقصدون جهة التقرب الى الله تعالى لا جهة اخرى
والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة • وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله
وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون • هذه الآية في معنى قوله عز وجل
يمحق الله الربا ويربي الصدقات سواء بسواء يريد وما اعطيتم آكلة الربا من ربا ليربو في اموالهم فلا يزكو
عند الله ولا يبارك فيه • وما آتيتم من زكاة اي من صدقة تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافأة
ولا رياء وسمعة • فاولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوي والموسر
لذي القوة واليسار • وقرئ بفتح العين • وقيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون • وقيل المراد ان يهب الرجل
للرجل او يهدي له ليعوضه اكثر مما وهب او اهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك
الزيادة • وقالوا الربا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه اكثر منه او يجر منفعة • والذي ليس بحرام ان

يستدعي بهبته او بهديته اكثر منها • وفي الحديث المستغزر يثاب من هبته • وقرئ وما اتيتم من ربا
بمعنى وما غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربا • وقرئ لتربوا اي لتزيدوا في اموالهم لقوله تعالى ويربي
الصدقات اي يزيدها وقوله تعالى فاولئك هم المضعفون التفات حسن كانه تعالى قال لملائكته وخواص خلقه
فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو امدح لهم من ان يقول فانتم المضعفون والمعنى
المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما • ووجه آخر وهو ان يكون تقديره فمؤتوه اولئك هم المضعفون
والحذف لما في الكلام من الدليل عليه وهذا اسهل ماخذا والاول املح بالفائدة • الله الذي خلقكم
ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون •
الله مبتدا وخبره الذي خلقكم اي الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التي لا يقدر على شيء منها احد غيره • ثم
قال هل من شركائكم الذين اتخذتموهم انداد الله من الاصنام وغيرها • من يفعل شيئا قط من تلك الافعال حتى
يصح ما ذهبتم اليه • ثم استبعد ذلك من حال شركائهم • ويجوز ان يكون الذي خلقكم صفة للمبتدا والخبر هل
من شركائكم • وقوله تعالى من ذلكم هو الذي ربط الجملة بالمبتدا لان معناه من افعاله • ومن الاولى والثانية
والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتاكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم • ظهر الفساد في البر
والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون • الفساد في البر والبحر نحو
الجدب والقحط وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق
والغرق واخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شيء وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار • وعن ابن عباس
رضي الله عنهما اجدبت الارض وانقطعت مادة البحر • وقالوا اذا انقطع القطر عميت دواب البحر • وعن الحسن رحمه الله
ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على شاطئه • وعن عكرمة العرب تسمي الامصار البحار • وقرئ في البر والبحور
بما كسبت ايدي الناس بسبب معاصيهم وظلمهم وذنوبهم كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم اخاه • وفي البحر بان جلندي كان ياخذ كل سفينة غصبا
وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم رجع راجعون عن الضلال والظلم
ويجوز ان يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك • فان قلت ما معنى قوله تعالى ليذيقهم بعض الذي
عملوا لعلهم يرجعون • قلت اما على التفسير الاول فظاهر وهو ان الله قد افسد اسباب دنياهم ومحقها
ليذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها في الآخرة • لعلهم يرجعون عما هم عليه • واما
على الثاني فاللام مجاز على معنى ان ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به ان يذيقهم الله وبال اعمالهم ارادة الرجوع
فكانهم انما افسدوا وتسببوا لفشو المعاصي في الارض لاجل ذلك • وقرئ لنذيقهم بالنون • قل سيروا في
الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين • ثم اكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله
حيث امرهم بان يسيروا فينظروا كيف اهلك الله الامم واذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم ودل بقوله تعالى كان
اكثرهم مشركين على ان الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وان ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك • فاقم وجهك
للدين القيم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون • القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتاتى
فيه عوج • من الله اما ان يتعلق بياتي فيكون المعنى من قبل ان ياتي من الله يوم لا يرده احد كقوله سبحانه وتعالى
فلا يستطيعون ردها او بمرد على معنى لا يرده هو بعد ان يجيء به ولا رد له من جهته • والمرد مصدر بمعنى
الرد • يصدعون يتصدعون اي يتفرقون كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون • من كفر فعليه كفره
ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون • فعليه كفره كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار لان من كان
ضاره كفره فقد احاطت به كل مضرة • فلانفسهم يمهدون اي يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد

فرشه ويسويه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عنه وينغص عليه مرقده من نتو أو قضض أو بعض
ما يؤذي الراقد ، ويجوز أن يريد فعلى أنفسهم يشفقون من قولهم في المشفق أمّ فرشت فأنامت ، وتقديم الظرف في الموضعين
للدلالة على أن ضرر الكفر لا يعود إلا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الإيمان والعمل الصالح ترجع إلى المؤمن لا تجاوزه ، ليجزي
الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين ، ليجزي متعلق بيمهدون تعليل له ، من
فضله مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لأن الفضل تبع للثواب فلا يكون إلا بعد حصول
ما هو تبع له ، أو أراد من عطائه وهو ثوابه لأن الفضول والفواضل هي الأعطية عند العرب ، وتكرير الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وترك الضمير إلى الصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن الصالح ، وقوله تعالى إنه لا يحب الكافرين تقرير بعد
تقرير على الطرد والعكس ، ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من
فضله ولعلكم تشكرون ، الرياح هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة ، وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا ، وقد عدد الأغراض في إرسالها وأنه أرسلها للبشارة بالغيث
ولإذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الأرض قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض وإزالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك ، ولتجري الفلك في
البحر عند هبوبها ، وإنما زاد بأمره لأن الريح قد تهب ولا تكون مواتية فلا بد من إرساء السفن والاحتيال لحبسها
وربما عصفت فأغرقتها ، ولتبتغوا من فضله يريد تجارة البحر ولتشكروا نعمة الله فيها ، فإن قلت بم تعلق وليذيقكم
قلت فيه وجهان أن يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم وأن يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم
وليكون كذا وكذا أرسلناها ، ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا
وكان حقا علينا نصر المؤمنين ، لقد خص الطريق إلى الغرض بأن نزع تحت ذكر الانتقام والنصر ذكر الفريقين لقد
أخلى الكلام ولم يذكرهما ، وقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين تعظيم للمؤمنين ورفع من شأنهم وتأهيل لكرامة
سنية وإظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم مستوجبين عليه أن يظهرهم ويظفرهم
وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدأ علينا نصر المؤمنين ، وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله
وكان حقا علينا نصر المؤمنين ، الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء
ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون
وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ، فيبسطه متصلا تارة ويجعله كسفا أي قطعا تارة ، فترى الودق
يخرج من خلاله في التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله تعالى وفرعها في السماء ، وبإصابة العباد إصابة
بلادهم وأراضيهم ، من قبله من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها ، ومعنى التوكيد
فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم بأسهم وتمادى إبلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم
بذلك ، فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ، قرئ
أثر وآثار على الوحدة والجمع ، وقرأ أبو حيوة وغيره كيف تحيي أي الرحمة ، إن ذلك يعني أن ذلك القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها هو الذي
يحيي الناس بعد موتهم ، وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء ، ولئن أرسلنا
ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما
أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ، فرأوه فرأوا أثر رحمة الله لأن رحمة الله هي الغيث وأثرها النبات
ومن قرأ بالجمع رجع الضمير إلى معناه لأن معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لأنه مصدر سمي به
ما ينبت ، ولئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط ، ولظلوا جواب القسم سد مسد الجوابين أعني جواب
القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم الله عز وجل بأنه إذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم

مبلسين فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا ، فإذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا
وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها
فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وأن يصبروا على بلائه فكفروا ، وقال الريح التي اصفرت لها النبات يجوز أن تكون حرورا وحرجفا
فكلتاهما مما يصوح له النبات ويصبح هشيما ، وقال مصفرا لأن تلك صفرة حادثة ، وقيل فرأوا السحاب مصفرا لأنه إذا كان
كذلك لم يمطر ، الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق
ما يشاء وهو العليم القدير ، قرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم أقوى في القراءة لما روى ابن عمر رضي
الله عنهما قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فأقرأني من ضعف ، وقوله تعالى خلقكم من ضعف كقوله تعالى
خلق الإنسان من عجل يعني أن أساس أمركم وما عليه جبلتكم وبنيتم الضعف وخلق الإنسان ضعيفا أي ابتدأناكم في أول الأمر
ضعافا وذلك حال الطفولة والنشوء حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة إلى الاكتهال وبلوغ الأشد
ثم رددتم إلى أصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم ، وقيل من ضعف من النطف كقوله تعالى من ماء مهين ، وهذا الترديد في
الأحوال المختلفة والتغيير من هيئة إلى هيئة وصفة إلى صفة أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القادر ، ويوم
تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون ، الساعة القيامة سميت بذلك
لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لأنها تقع بغتة وبديهة كما تقول في ساعة لمن تستعجل وجرت علما لها كالنجم
للثريا والكوكب للزهرة وأرادوا لبثهم في الدنيا أو في القبور أو فيما بين فناء الدنيا إلى البعث ، وفي الحديث ما بين فناء الدنيا إلى البعث
أربعون قالوا لا نعلم أهي أربعون سنة أم أربعون ألف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وإنما يقدرون وقت لبثهم
بذلك على وجه استقصار لها وبين ذلك أي كذبوا في قولهم ، كذلك كانوا يؤفكون أي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق
والتحقيق في الدنيا وهكذا كانوا يبنون أمرهم على خلاف الحق ، أو مثل ذلك الإفك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الآن
أنه ما كان إلا ساعة ، وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث
ولكنكم كنتم لا تعلمون ، القائلون هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون ، في كتاب الله في اللوح أو في علم الله أو فيما
كتبه أو أوجبه بحكمته ، ردوا ما قالوه وحلفوا عليه وأطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على إنكار البعث بقولهم فهذا يوم
البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون أنه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه ، فإن قلت ما هذه الفاء وما حقيقتها
قلت هي التي في قوله : فقد جئنا خراسانا ، وحقيقتها أنها جواب شرط يدل عليه الكلام كأنه قال إن
صح ما قلتم من أن خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا أن نخلص وكذلك إن كنتم منكرين
البعث فهذا يوم البعث أي فقد تبين بطلان قولكم ، وقرأ الحسن رحمه الله يوم البعث بالتحريك ، فيومئذ
لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون ، لا ينفع قرئ بالياء والتاء ، يستعتبون من قولك استعتبني
فلان فأعتبته أي استرضاني فأرضيته وذلك إذا كنت جانيا عليه وحقيقة أعتبته أزلت عتبه
ألا ترى إلى قوله : غضبت تميم أن تقتل عامر ... يوم النسار فأعتبوا بالصيلم ، كيف جعلهم غضابا ثم قال
فأعتبوا أي أزيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم أرضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله
عز وجل لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون ، فإن قلت كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات وغير
معتبين في بعضها وهو قوله تعالى وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين ، قلت أما كونهم غير مستعتبين
فهذا معناه وأما كونهم غير معتبين فمعناه أنهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم
فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فإن يستعتبوا الله أي يسألوه إزالة ما هم فيه فما هم من المجابين إلى إزالته
ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون
كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ، ولقد وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها وقصصنا
عليهم كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم

ولا يبعثهم من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج اسماعهم حديث الآخرة اذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل • ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة • ومعنى طبع الله منع الالطاف التي ينشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وانما يمنعها من علم انها لا تجدي عليه ولا تغني عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له ان الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدأ والرين اياها فكانه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم اعرق خلق الله في تلك الصفة • فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون • فاصبر على عداوتهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه والوفاء به • ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك • وقرئ بتخفيف النون • وقرأ ابن ابي اسحاق ويعقوب ولا يستحقنك اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم • الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين • الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون • اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون • الكتاب الحكيم ذي الحكمة او وصف بصفة الله تعالى على الاسناد المجازي ويجوز ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة • هدى ورحمة بالنصب على الحال عن الآيات والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة وبالرفع على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف • المحسنين الذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة والايقان بالآخرة ونظيره قول اوس • الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا • حكي عن الاصمعي انه سئل عن الالمعي فانشده ولم يزد • او للذين يعملون جميع ما يحسن من الاعمال ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاث لفضل اعتداده بها • ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين • اللهو كل باطل الهى عن الخير وعما يعني • ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير والاحاديث التي لا اصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما اشبه ذلك • وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يتجر الى فارس فيشتري كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم باحاديث رستم وبهرام والاكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن • وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد صلى الله عليه وسلم من الصلوة والصيام وان تقاتل بين يديه • وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا اثمانهن • وعنه صلى الله عليه وسلم ما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت • وقيل الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب • فان قلت ما معنى اضافة اللهو الى الحديث قلت معناها التبيين وهي الاضافة بمعنى من وان يضاف الشيء الى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج • والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش • ويجوز ان تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كانه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه • وقوله يشتري اما من الشراء على ما روي عن النضر من شراء كتب الاعاجم او من شراء القيان واما من قوله اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه عليه • وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق • وقرئ ليضل بضم الياء وفتحها • وسبيل الله دين الاسلام او القرآن • فان قلت القراءة بالضم بينة لان النضر كان غرضه باشتراء

اللهو ان يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح قلت فيه معنيان احدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فان المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه • والثاني ان يوضع ليضل موضع ليضل من قبل ان من اضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف • فان قلت ما معنى قوله بغير علم قلت لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها • وقرئ ويتخذها بالنصب والرفع عطفا على يشتري وليضل والضمير للسبيل لانها مؤنثة كقوله تعالى ويصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجا • واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم • ولى مستكبرا زاما لا يعبأ بها ولا يرفع بها راسا تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كان في اذنيه وقرا اي ثقلا ولا وقر فيهما • وقرئ بسكون الذال • فان قلت ما محل الجملتين المصدرتين بكان قلت الاولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز ان يكونا استئنافين والاصل في كان المخففة كانه والضمير ضمير الشان • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم • خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم • وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله تعالى لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا قوله تعالى لهم جنات النعيم • وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء وضده فيعطي النعيم من شاء والبؤس من شاء • وهو الحكيم لا يشاء الا ما توجبه الحكمة والعدل • خلق السموات بغير عمد ترونها والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم • ترونها الضمير فيه للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله تعالى بغير عمد كما تقول لصاحبك انا بلا سيف ولا رمح تراني • فان قلت ما محلها من الاعراب قلت لا محل لها لانها مستانفة او هي في محل الجر صفة للعمد اي بغير عمد مرئية يعني انه عمدها بعمد لا ترى وهي امساكها بقدرته • هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين • هذا اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته والخلق بمعنى المخلوق • والذين من دونه آلهتهم بكتهم بان هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله وانشاه • فاروني ماذا خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط • في ضلال ليس بعده ضلال • ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد • هو لقمان بن باعوراء ابن اخت ايوب او ابن خالته • وقيل كان من اولاد آزر وعاش الف سنة وادرك داود عليه الصلوة والسلام واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود عليه الصلوة والسلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال الا اكتفي اذا كفيت • وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل • واكثر الاقاويل انه كان حكيما ولم يكن نبيا • وعن ابن عباس رضي الله عنهما لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته فقص امره في القرآن لتمسكوا بوصيته • وقال عكرمة والشعبي كان نبيا • وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة • وعن سعيد بن المسيب كان اسود من سودان مصر خياطا • وعن مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين متشقق القدمين • وقيل كان نجارا • وقيل راعيا • وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة • وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني غليظ الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام رقيق • ويروى انه رآه رجل وهو في مجلسه فقال الست الذي ترعى معي في مكان كذا قال بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث • وروي انه دخل على داود عليه الصلوة والسلام وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين فاراد ان يسأله فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود عليه الصلوة والسلام بحق ما سميت حكيما • وروي ان مولاه امره بذبح شاة

الحكم الحكمة من العلم والحكيم العالم وصاحب الحكمة والحكيم المتقن للامور

فلم يخرج منها الطيب مضغتين فاخرج اللسان والقلب ثم امره بمثل ذلك بعد ايام وان يخرج منها اخبث مضغتين فاخرج اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها اذا طابا واخبث ما فيها اذا خبثا • وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه انه قال لاسود لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع ولقمان • ان هي المفسرة لان ايتاء الحكمة في معنى القول • حميد حقيق بان يحمد وان لم يحمده احد • وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم • قيل كان اسم ابنه انعم وقال الكلبي اسلم • وقيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما حتى اسلما • لظلم عظيم لان التسوية بين من لا نعمة الا هي منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور منه ظلم لا يكتنه عظمه •

ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الي ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون • اي حملته تهن وهنا على وهن كقولك رجع عودا على بدء بمعنى يعود عودا على بدء وهو في موضع الحال والمعنى انها تضعف ضعفا فوق ضعف اي يتزايد ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا • وقرئ وهنا على وهن بالتحريك • عن ابي عمرو يقال وهن يوهن ووهن يهن • وقرئ وفصله • ان اشكر تفسير لوصينا • ما ليس لك به علم اراد بنفي العلم به نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الاصنام كقوله تعالى ما يدعون من دونه من شيء • معروفا صحابا او مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروءة • واتبع سبيل من اناب الي يريد واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا • ثم الي مرجعك ومرجعهما فاجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الانسان في صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الابوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الاخلال بها • ثم بين حكمهما وحالهما في الآخرة • وروي انها نزلت في سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه وامه وفي القصة انها مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بعود • وروي انه قال لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت الى الكفر • فان قلت هذا الكلام كيف وقع في اثناء وصية لقمان • قلت هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تأكيدا لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك • فان قلت فقوله تعالى حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين كيف اعترض به بين المفسَّر والمفسِّر • قلت لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من ابر قال امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك • وعن بعض العرب انه حمل امه الى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه • احمل امي وهي الحماله • ترضعني الدرة والعلاله • ولا يجازي والد فعاله • فان قلت ما معنى توقيت الفصال بالعامين • قلت المعنى في توقيته بهذه المدة انها الغاية التي لا تتجاوز والامر فيما دون العامين موكول الى اجتهاد الام ان علمت انه يقوى على الفطام فلها ان تفطمه ويدل عليه قوله عز وجل والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعي رضي الله عنه على ان مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو مذهب ابي يوسف ومحمد رحمة الله عليهما واما عند ابي حنيفة رحمه الله فمدة الرضاع ثلاثون شهرا • وعن ابي حنيفة رحمه الله ان فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم ارضعته لم يكن رضاعا وان اكل اكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم ارضعته فهو رضاع محرم •

يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير • وقرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الاساءة او الاحسان اي ان كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها في اخفى موضع واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي • يأت بها الله يوم القيامة فيحاسب بها عاملها • ان الله لطيف يتوصل علمه الى كل خفي • خبير عالم بكنهه • وعن قتادة لطيف باستخراجها • خبير بمستقرها • ومن قرأ بالرفع كان ضمير القصة • وانما انث المثقال لاضافته الى الحبة كما قال • كما شرقت صدر القناة من الدم • وروي ان ابن لقمان قال له ارأيت الحبة تكون في مقل البحر اي في مغاصه يعلمها الله فقال ان الله يعلم اصغر الاشياء في اخفى الامكنة لان الحبة في الصخرة اخفى منها في الماء • وقيل الصخرة هي التي تحت الارض وهي السجين يكتب فيها اعمال الكفار • وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن اذا استقر في وكنته وهي مقره ليلا •

يا بني اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور • واصبر على ما اصابك يجوز ان يكون عاما في كل ما يصيبه من المحن وان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر • ان ذلك مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اي لم يقطعه بالنية الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة في تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر واصله من معزومات الامور اي مقطوعاتها ومفروضاتها • ويجوز ان يكون مصدرا في معنى الفاعل اصله من عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وانها كانت مأمورا بها في سائر الامم وان الصلاة لم تزل عظيمة الشأن سابقة القدم على ما سواها موصى بها في الاديان كلها •

ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور • تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال اصعر خده وصعره وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى • والصعر والصيد داء يصيب البعير يلوي منه عنقه • والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون • اراد ولا تمش تمرح مرحا او اوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد لاجل المرح والاشر اي لا يكن غرضك في المشي البطالة والاشر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم ديني او دنيوي ونحوه قوله عز وجل ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس • والمختال مقابل للماشي مرحا وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا •

واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير • واقصد في مشيك واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة رضي الله عنها في عمر رضي الله عنه كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت • وقرئ واقصد بقطع الهمزة اي سدد في مشيك من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية • واغضض من صوتك وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه • انكر الاصوات اوحشها من قولك شيء نكر اذا انكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت • والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد في مساوي الآداب ان يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من اولي المروءة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وان جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين وافراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان • فان قلت لم وحد صوت الحمير ولم يجمع • قلت ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد ان كل جنس من الحيوان له صوت وانكر اصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده •

الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير •

ما في السموات الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك • وما في الارض البحار والانهار والمعادن والدواب وما لا يحصى • واسبغ
وصبغ ترى بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ
وقرئ نعمه ونعمة ونعمته • فان قلت ما النعمة قلت كل نفع قصد به الاحسان والله تعالى خلق العالم
كله نعمة لانه اما حيوان واما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ان ايجاده حيا نعمة عليه لانه لولا
ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما ادى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة • فان قلت لم كان خلق العالم مقصودا
به الاحسان قلت لانه لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثا والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز ان يكون لغرض راجع اليه من نفع
لانه غني غير محتاج الى المنافع فلم يبق الا ان يكون لغرض يرجع الى الحيوان وهو نفعه • فان قلت فما معنى
الظاهرة والباطنة قلت الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم الا بدليل او لا يعلم اصلا فكم في بدن الانسان من نعمة
لا يعلمها ولا يهتدي الى العلم بها وقد اكثروا في ذلك فعن مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء • والباطنة
الامداد من الملائكة • وعن الحسن رحمه الله الظاهرة الاسلام والباطنة الستر • وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة
وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة • وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة
والباطنة القلب والعقل والفهم وما اشبه ذلك • ويروى في دعاء موسى عليه الصلاة والسلام الهي دلني على اخفى
نعمتك على عبادك فقال اخفى نعمتي عليهم النفس • ويروى ان ايسر ما يعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس • واذا قيل
لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير • معناه
أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم اي في حال دعاء الشيطان اياهم الى العذاب • ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن
فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور • قرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومن يسلم بالتشديد يقال
اسلم امرك وسلم امرك الى الله • فان قلت ما له عدي بالى وقد عدي باللام في قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله
قلت معناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله اي خالصا له ومعناه مع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم
المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه • فقد استمسك بالعروة الوثقى من باب التمثيل مثلت حال
المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من حبل متين مامون انقطاعه • والى الله
عاقبة الامور اي هي صائرة اليه • ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات
الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ • قرئ يحزنك ويحزنك من حزن واحزن والذي عليه
الاستعمال المستفيض احزنه ويحزنه والمعنى لا يهمنك كفر من كفر وكيده للاسلام فان الله عز وجل دافع كيده في نحره
ومنتقم منه ومعاقبه على عمله • ان الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه • نمتعهم زمانا قليلا بدنياهم
ثم نضطرهم الى عذاب غليظ شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشيء الذي لا يقدر
على الانفكاك منه • والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب •
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون • لله
ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد • قل الحمد لله الزام لهم على اقرارهم بان الذي
خلق السموات والارض هو الله وحده وانه يجب ان يكون له الحمد والشكر وان لا يعبد معه غيره
ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم ينتبهوا • ان الله هو الغني الحميد
عن حمد الحامدين المستحق للحمد وان لم يحمدوه • ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده
من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم • قرئ والبحر بالنصب عطفا على اسم ان
وبالرفع عطفا على محل ان ومعمولها على ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة ابحر او
على الابتداء والواو للحال على معنى ولو ان الاشجار اقلام في حال كون البحر ممدودا • وفي قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه وبحر يمده على التنكير ويجب ان يحمل هذا على الوجه الاول • وقرئ تمده ويمده بالتاء والياء

والياء • فان قلت كان مقتضى الكلام ان يقال ولو ان الشجر اقلام والبحر مداد • قلت اغنى عن ذكر
المداد قوله يمده لانه من قولك مد الدواة وامدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة
مملوءة مدادا فهي تصب فيه مدادها ابدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود
بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله
عز وجل قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي • فان قلت زعمت ان
قوله تعالى والبحر يمده حال في احد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذي الحال • قلت هو كقوله • وقد
اغتدي والطير في وكناتها • وجئت والجيش مصطف وما اشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظرف
ويجوز ان يكون المعنى وبحرها والضمير للارض • فان قلت لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي
هو شجر • قلت اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا قد بريت اقلاما
فان قلت الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله • قلت معناه
ان كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد اوتينا
التوراة وفيها كل الحكمة • وقيل ان المشركين قالوا ان هذا يعني الوحي كلام سينفد فاعلم الله ان كلامه لا ينفد
وهذه الآية عند بعضهم مدنية وانها نزلت بعد الهجرة • وقيل هي مكية وانما امر اليهود وفد قريش ان يقولوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تتلو فيما انزل عليك انا قد اوتينا التوراة فيها علم كل شيء • ان الله عزيز
لا يعجزه شيء • حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شيء ومثله لا تنفد كلماته وحكمه • ما خلقكم ولا بعثكم الا
كنفس واحدة ان الله سميع بصير • الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اي سواء في قدرته القليل والكثير
والواحد والجمع لا يتفاوت وذلك انه انما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد ان لو شغله
شان عن شان وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك • ان الله سميع بصير يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر في حالة
واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك بعض فكذلك الخلق والبعث • الم تر ان الله يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير • كل واحد
من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه الى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر • وعن الحسن
رحمه الله الاجل المسمى يوم القيامة لانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ • دل بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما
ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب وباحاطته بجميع اعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته •
فان قلت يجري لاجل مسمى ويجري الى اجل مسمى اهو من تعاقب الحرفين • قلت كلا ولا يسلك هذه
الطريقة الا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين اعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض
لان قولك يجري الى اجل مسمى معناه يبلغه وينتهي اليه وقولك يجري لاجل مسمى تريد يجري لادراك اجل مسمى تجعل الجري
مختصا بادراك اجل مسمى الا ترى ان جري الشمس مختص بآخر السنة وجري القمر بآخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه •
ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلي الكبير • ذلك الذي وصف من عجائب قدرته
وحكمته التي يعجز عنها الاحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي تدعونه من دون الله انما هو بسبب انه هو الحق الثابت
الهيته وان من دونه باطل الالهية • وان الله هو العلي الشان الكبير السلطان او ذلك الذي اوحي اليك من هذه الآيات
بسبب بيان ان الله هو الحق وان الها غيره باطل • وان الله هو العلي الكبير عن ان يشرك به • الم تر ان الفلك تجري في البحر
بنعمة الله ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور • قرئ الفلك بضم اللام وكل فعل يجوز فيه
فعل كما يجوز في كل فعل فعل على مذهب التعويض • وبنعمات الله بسكون العين وعين فعلات يجوز فيها الكسر والفتح والسكون
بنعمة الله باحسانه ورحمته • صبار على بلائه • شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكانه قال ان في ذلك لآيات لكل مؤمن • واذا
غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل

ختّار كفور • يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل • والظلة كل ما اظلك من جبل او سحاب او غيرهما • وقرئ كالظلال
جمع ظلة كقلة وقلال • فمنهم مقتصد متوسط في الكفر والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار • او مقتصد
في الاخلاص الذي كان عليه في البحر يعني ان ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر •
وقيل مؤمن ثبت على ما عاهد عليه الله في البحر • والختار اشد الغدر ومنه قولهم انك لا تمد لنا شبرا من غدر
الا مددنا لك باعا من ختر • قال • وانك لو رأيت ابا عمير • ملأت يديك من غدر وختر • يا ايها الناس اتقوا
ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم
الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور • لا يجزي لا يقضي عنه شيئا ومنه قيل للمتقاضي المتجازي • وفي الحديث في جذعة
ابن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك • وقرئ لا يجزئ لا يغني يقال اجزأت عنك مجزأ فلان والمعنى لا يجزي
فيه فحذف • والغرور الشيطان او الدنيا وقيل تمنيكم في المعصية المغفرة • وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه
الغرة بالله ان يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة • وقيل ذكرك حسناتك ونسيانك سيئاتك
غرة • وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره غرورا وجعل الغرور غارا كما قيل جد جده • او اريد زينة الدنيا
لانها غرور • فان قلت قوله تعالى ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو
معطوف عليه • قلت الامر كذلك لان الجملة الاسمية آكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود •
والسبب في مجيئه على هذا السنن ان الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض اباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فاراد حسم اطماعهم واطماع
الناس فيهم ان ينفعوا اباءهم في الآخرة وان يشفعوا لهم وان يغنوا عنهم من الله شيئا فلذلك جيء به على الطريق الآكد • ومعنى
التوكيد في لفظ المولود ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا ان يشفع لمن فوقه من اجداده
لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك • ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في
الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير • روي ان رجلا
من محارب وهو الحارث بن عمرو بن حارثة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اخبرني عن الساعة
متى قيامها واني قد القيت حباتي في الارض وقد ابطأت عنا السماء فمتى تمطر واخبرني عن امرأتي فقد اشتملت ما في
بطنها اذكر ام انثى واني علمت ما عملت امس فما اعمل غدا وهذا مولدي قد عرفت فاين اموت فنزلت • وعن النبي صلى الله
عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية • وعن ابن عباس رضي الله عنهما من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب اياكم والكهانة
فان الكهانة تدعو الى الشرك والشرك واهله في النار • وعن المنصور انه اهمه معرفة مدة عمره فرأى في منامه كأن خيالا
اخرج يده من البحر واشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتأولوها بخمس سنين وبخمسة اشهر وبغير ذلك
حتى قال ابو حنيفة رضي الله عنه تأويلها ان مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وان ما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه •
عنده علم الساعة ايان مرساها • وينزل الغيث في ابانه من غير تقديم ولا تأخير وفي بلد لا يجاوزه به • ويعلم
ما في الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وكذلك ما سوى ذلك من الاحوال • وما تدري نفس برة او فاجرة ماذا تكسب غدا
من خير او شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا • وما تدري نفس باي ارض تموت وربما
اقامت بارض وضربت اوتادها وقالت لا ابرحها واقبر فيها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها
ولا حدثتها به ظنونها • وروي ان ملك الموت مر على سليمان عليه الصلاة والسلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم
النظر اليه فقال الرجل من هذا فقال ملك الموت فقال كأنه يريدني وسأل سليمان عليه الصلاة والسلام ان يحمله على الريح
ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسليمان عليه الصلاة والسلام كان دوام نظري اليه تعجبا منه لاني امرت
ان اقبض روحه بالهند وهو عندك • وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى انها
لا تعرف وان اعملت حيلها ما يلصق بها ويختص بها ولا شيء اخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن لها طريق الى
معرفتهما كان من معرفة ما عداهما ابعد • وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تأنيث اي بتأنيث كل في قولهم كلتهن • قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين • ام يقولون افتراه بل هو الحق
من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون • الم على انها اسم السورة مبتدأ خبره تنزيل الكتاب
وان جعلتها تعديدا للحروف • ارتفع تنزيل الكتاب بانه خبر مبتدأ محذوف او هو مبتدأ خبره لا ريب فيه والوجه ان يرتفع بالابتداء
وخبره من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله ام يقولون افتراه لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين وكذلك قوله
بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير انه من الله وهذا اسلوب صحيح محكم اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك ما لا
ريب فيه ثم اضرب عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه لان ام هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة انكارا لقولهم وتعجيبا منهم
لظهور امره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه • ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق من ربك ونظيره ان يعلل العالم
فيقول لك العمل صحيح جامعة قد احتوى فيها انواع الحذق كقول المتكلم بين النظر او الافعال الموجبة على الحذق
التي لا يمتري عن وجوبها المكلف ثم اعترض عليه فيها بعض ما وقع اختره منه ثم عود منه خلص به ان قد خير ترى ثبات هو الحق
كلامه وتثبيتا • فان قلت كيف نفى ان يرتاب في انه من الله وقد اثبت ما هو اطم من الريب وهو قولهم افتراه • قلت
معنى لا ريب فيه ان لا مدخل للريب في انه تنزيل الله لان نافي الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله
ابعد شيء من الريب • واما قولهم افتراه فاما قول متعنت مع علمه انه من الله لظهور الاعجاز له او جاهل يقوله قبل التامل والنظر لانه
سمع الناس يقولونه • ما اتاهم من نذير من قبلك • فان قلت فاذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة • قلت اما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها الا بالرسل فلا واما
قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لان ادلة العقل الموصلة الى ذلك معهم في كل زمان • لعلهم يهتدون • فيه وجهان ان
يكون على الترجي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام وان يستعار لفظ الترجي للارادة
الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون
[illegible]
يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون
[illegible]
ذلك عالم الغيب والشهادة

العزيز الرحيم • الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين • أحسن كل شيء حسنه لأنه ما من شيء
خلقه إلا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت إلى حسن
وأحسن كما قال عز وعلا لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم • وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن
وحقيقته يحسن معرفته أي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق وإتقان • وقرئ خلقه على البدل أي أحسن خلق
كل شيء • وخلقه على الوصف أي كل شيء خلقه فقد أحسنه • ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه
ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون • سميت الذرية نسلا لأنها
تنسل منه أي تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل • وسواه قومه كقوله
تعالى في أحسن تقويم • ودل بإضافة الروح إلى ذاته على أنه خلق عجيب لا يعلم كنهه إلا هو كقوله
تعالى ويسألونك عن الروح الآية كأنه قال ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به وبمعرفته • وقالوا
أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد • وقالوا قيل القائل أبي بن خلف ولرضاهم بقوله أسند
إليهم جميعا • وقرئ أإنا وإنا على الاستفهام وتركه • وضللنا صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الأرض
لا نتميز منه كما يضل الماء في اللبن أو غبنا في الأرض بالدفن فيها من قوله • وآب مضلوه بعين جلية
وقرأ علي وابن عباس رضي الله عنهم ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل • وقرأ الحسن رحمه الله
صللنا من صل اللحم وأصل إذا أنتن • وقيل من الصلة وهي الأرض • فإن قلت بم انتصب
الظرف في أإذا ضللنا • قلت بما يدل عليه قوله تعالى إنا لفي خلق جديد وهو نبعث أو يجدد خلقنا • بل
هم بلقاء ربهم كافرون • لقاء ربهم هو الوصول إلى العاقبة من تلقي ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم
بالإنشاء أضرب عنه إلى ما هو أبلغ في الكفر وهو أنهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالإنشاء وحده ألا ترى كيف
خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع إلى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا •
قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون • والتوفي استيفاء النفس وهي الروح قال الله تعالى
الله يتوفى الأنفس حين موتها وقال أخرجوا أنفسكم وهو أن تقبض كلها لا يترك منها شيء من قولك توفيت حقي من
فلان واستوفيته إذا أخذته وافيا كاملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع منها تقضيته
واستقضيته وتعجلته واستعجلته • وعن مجاهد حويت لملك الموت الأرض وجعلت له مثل الطست يتناول منها
حيث يشاء • وعن قتادة يتوفاهم ومعه أعوان من الملائكة • وقيل ملك الموت يدعو الأرواح فتجيبه ثم يأمر أعوانه
بقبضها • ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون
ولو ترى يجوز أن يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه وجهان أن يراد به التمني كأنه قال وليتك ترى كقول
النبي صلى الله عليه وسلم للمغيرة لو نظرت إليها • والتمني لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان الترجي له في لعلهم
يهتدون لأنه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمني أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة
من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم • وأن تكون لو الامتناعية وقد حذف جوابها وهو لرأيت أمرا فظيعا أو لرأيت
أسوأ حال ترى • ويجوز أن يخاطب به كل أحد كما تقول فلان لئيم إن أكرمته أهانك وإن أحسنت إليه أساء إليك فلا تريد
مخاطبا بعينه فكأنك قلت إن أكرم وإن أحسن إليه • ولو وإذ كلاهما للمضي وإنما جاز ذلك لأن المترقب من الله بمنزلة
الموجود المقطوع به في تحققه ولا يقدر لترى ما يتناوله كأنه قيل ولو تكون منك الرؤية وإذ ظرف له يستغيثون بقولهم
ربنا أبصرنا وسمعنا فلا يغاثون يعني أبصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك أو كنا عميا وصما
فأبصرنا وسمعنا • فارجعنا هي الرجعة إلى الدنيا • ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن
جهنم من الجنة والناس أجمعين • فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا
عذاب الخلد بما كنتم تعملون • لآتينا كل نفس هداها على طريق الإلجاء والقسر ولكنا بنينا الأمر على الاختيار دون

والاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على أهل العمى دون البصراء ألا ترى إلى ما عقبه به من قوله
تعالى فذوقوا بما نسيتم فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها
بالنسيان خلاف التذكر يعني أن الانهماك في الشهوات أذهلكم وألهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها • ثم قال إنا
نسيناكم على المقابلة أي جازيناكم جزاء نسيانكم • وقيل هو بمعنى الترك أي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة • وفي
استئناف قوله تعالى إنا نسيناكم وبناء الفعل على إن واسمها تشديد في الانتقام منهم • والمعنى فذوقوا هذا أي ما أنتم
فيه من نكس الرؤوس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء وذوقوا العذاب المخلد في جهنم بسبب ما عملتم من المعاصي
الموبقة • إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون •
إذا ذكروا بها أي وعظوا سجدوا تواضعا لله وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الإسلام • وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله
من نسبة القبائح إليه وأثنوا عليه حامدين له • وهم لا يستكبرون كما يفعل من يصر مستكبرا كأن لم يسمعها ومثله قوله
الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا • تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون
ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون • تتجافى ترتفع وتتنحى عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم داعين ربهم
عابدين له لأجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من
الليل • وعن الحسن رحمه الله أنه التهجد • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة
جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى
جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل • ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم
قليل فيسرحون جميعا إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس • وعن أنس بن مالك رضي الله عنه كان أناس من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الآخرة فنزلت فيهم • وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون
عنها • فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون • ما أخفي لهم على البناء للمفعول • ما أخفى لهم
على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وتعالى • وما أخفي لهم وما نخفي لهم وما أخفيت لهم الثلاثة للمتكلم وهو الله تعالى • وما بمعنى
الذي أو بمعنى أي • وقرئ من قرة أعين وقرات أعين • والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب
ولا نبي مرسل أي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لأولئك وأخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه إلا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها • ثم قال جزاء بما كانوا يعملون فحسم أطماع المتمنين • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه اقرؤوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين • وعن الحسن رحمه الله أخفى القوم أعمالا في الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت • أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون • أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون • وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون • كان مؤمنا وكان فاسقا محمولان على لفظ من ولا يستوون محمول على المعنى بدليل قوله تعالى أما الذين آمنوا وأما الذين فسقوا • جنات المأوى نوع من الجنان قال الله تعالى عندها جنة المأوى • وقرئ جنة المأوى على التوحيد • نزلا عطاء بأعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما • فمأواهم النار أي ملجؤهم ومنزلهم • ويجوز أن يراد فجنة مأواهم النار أي النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب أليم • نزلت الآيتان في علي بن أبي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن أبي معيط أخي عثمان لأمه كان بينهما تنازع وكلام في شيء فقال له الوليد اسكت فإنك صبي أنا أشب منك شبابا وأجلد منك جلدا وأذرب منك لسانا وأحد منك سنانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي رضي الله عنه اسكت فإنك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين • ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون • العذاب الأدنى عذاب الدنيا من القتل والأسر وما محنوا به من السنة سبع سنين • وعن مجاهد عذاب القبر • والعذاب الأكبر عذاب الآخرة أي نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة لعلهم يتوبون عن الكفر

كقوله تعالى فارجعنا نعمل صالحا ● وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالى
اذا قمتم الى الصلوة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول فان قلت من اين صح تفسير الرجوع
بالتوبة ولعل من الله ارادة واذا اراد الله شيئا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون الا ترى انها لو كانت مما يكون
لم يوقوا ذائقين العذاب الاكبر قلت ارادة الله تتعلق بافعاله وافعال عباده فاذا اراد شيئا من افعاله كان
ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي واما افعال عباده فاما ان يريدها وهم مختارون لها او مضطرون اليها
بقسره والجائه فان ارادها وقد قسرهم فحكمها حكم افعاله وان ارادها على ان يختاروها وهو عالم انهم لا يختارونها
لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك ارادتك ان يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لان اختياره لا يتعلق
بقدرتك واذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك ● وروي في نزولها انه شجر بين علي بن ابي طالب رضي الله
عنه والوليد بن عقبة بن ابي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبي انا اشب منك شبابا واجلد
منك جلدا واذرب منك لسانا واحد منك سنانا واشجع منك جنانا واملأ منك حشوا في الكتيبة فقال
له علي رضي الله عنه اسكت فانك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين فتناولتهما وكل من كان في مثل حالهما
وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله مؤمنا في عشر آيات وسماك فاسقا
ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون ● ثم في قوله تعالى ثم اعرض للاستبعاد
والمعنى ان الاعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى
بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا
لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة ● لا يكشف الغماء الا ابن حرة ● يرى غمرات الموت ثم يزورها ● استبعد
ان يزور غمرات الموت بعد ان رآها واستيقنها واطلع على شدتها فان قلت هلا قيل انا منه منتقمون قلت
لما جعله اظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام
ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة ● ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه
هدى لبني اسرائيل ● الكتاب للجنس والضمير في لقائه له ومعناه انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه
مثل ما لقيناك من الوحي فلا تك في شك من انك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك
فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ونحوه قوله تعالى من لقائه قوله وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وقوله
تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هدى لقومه ● وجعلنا
منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ● ان ربك هو يفصل بينهم يوم
القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ● وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس ويدعونهم الى ما في التوراة من
دين الله وشرائعه لصبرهم وايقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل اليك هدى ونورا ولنجعلن
من امتك ائمة يهدون مثل تلك الهداية ● لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين ●
وقيل من لقائك موسى ليلة الاسراء او يوم القيمة ● وقيل من لقاء موسى الكتاب اي من تلقيه له بالرضا والقبول
وقرئ لما صبروا ولما صبروا اي لصبرهم ● وعن الحسن رحمه الله صبروا عن الدنيا ● وقيل انما جعل الله
التوراة هدى لبني اسرائيل ولم يتعبد بما فيها ولد اسمعيل عليه الصلوة والسلام ● يفصل بينهم يقضي
فيميز المحق في دينه من المبطل ● اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم
ان في ذلك لآيات افلا يسمعون ● الواو في اولم يهد للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف
والضمير في لهم لاهل مكة ● وقرئ بالنون والياء والفاعل ما دل عليه كم اهلكنا لان كم لا تقع فاعلة لا يقال
جاءني كم رجل تقديره اولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون او هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك
يعصم لا اله الا الله الدماء والاموال ● ويجوز ان يكون فيه ضمير الله لدلالة القراءة بالنون ● والقرون عاد وثمود

وقوم لوط يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم ● وقرئ يمشون
بالتشديد ● اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه انعامهم وانفسهم
افلا يبصرون ● الجرز الارض التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء واما لانه رعي وازيل ولا يقال للتي
لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله تعالى فنخرج به زرعا ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها ارض اليمن
وعن مجاهد هي ابين ● به بالماء ● تأكل من الزرع ● انعامهم من عصفه ● وانفسهم من حبه ● وقرئ يأكل بالياء
ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين ● الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله عز وجل
ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين ويفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون
قالوا متى هذا الفتح اي في اي وقت يكون ● ان كنتم صادقين في انه كائن ● ويوم الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين
المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم ● وقيل هو يوم بدر ● وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة ● قل يوم
الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون ● فان قلت قد سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا
الكلام جوابا على سؤالهم قلت كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء
فاجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا فكاني بكم وقد حصلتم في ذلك
اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم في ادراك العذاب فلم تنظروا فان قلت فمن فسره بيوم
الفتح او بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره ان لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر
قلت المراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق ● فاعرض
عنهم وانتظر انهم منتظرون ● وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم ● انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم
كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون ● وقرأ ابن السميفع منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم
فانهم احقاء بان ينتظر هلاكهم يعني انهم هالكون لا محالة ● او وانتظر ذلك فان الملائكة في السماء ينتظرونه ● قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيا ليلة القدر وقال
من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ● يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله
كان عليما حكيما ● واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا ● وتوكل على الله
وكفى بالله وكيلا ● عن زر قال قال لي ابي بن كعب رضي الله عنه كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلاثا وسبعين
آية قال فوالذي يحلف به ابي ان كانت لتعدل سورة البقرة او اطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة
اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابي ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن واما ما
يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رضي الله عنها فاكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض ● جعل
نداءه بالنبي والرسول في قوله يا ايها النبي يا ايها الرسول وترك نداءه باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى
يا داود كرامة له وتشريفا وتنويها بفضله فان قلت ان لم يوقع اسمه في النداء فقد اوقعه في الاخبار في قوله
محمد رسول الله وما محمد الا رسول قلت ذاك لتعليم الناس بانه رسول الله وتلقين لهم ان يسموه بذلك ويدعوه به
فلا تفاوت بين النداء والاخبار ● اتق الله واثبت على تقوى الله ودم عليه وازدد منه ● ولا تطع الكافرين والمنافقين
لا تساعدهم على شيء ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم

لعداء الله واعداء المؤمنين لا يريدون الا المضارة والمضادة • وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد تابعه ناس منهم على النفاق
فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا اتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت وروي
ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم
وكان معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا
وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم
فنزلت • اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة • ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل
المدينة فيما طلبوا اليك • وروي ان اهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يرجع عن دينه ويعطوه
شطر اموالهم وان يزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقوا المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت ان
الله كان عليما بالصواب من الخطا وبالمصلحة من المفسدة • حكيما لا يفعل شيئا ولا يامر به الا بداعي الحكمة
• واتبع ما يوحى اليك في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك ان الله الذي يوحي اليك • خبير بما
تعملون فموح اليك ما يصلح به اعمالكم فلا حاجة بكم الى الاستماع من الكفرة • وقرئ يعملون بالياء اي بما يعمل
المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم • وتوكل على الله واسند امرك اليه وكله الى تدبيره • وكفى به حافظا موكولا
اليه كل امر • ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن
امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل •
ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وامومة في امراة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى ان الله سبحانه
وتعالى كما لم ير في حكمته ان يجعل للانسان قلبين لانه لا يخلو اما ان يفعل باحدهما مثل ما يفعل بالآخر من افعال
القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليها واما ان يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة
بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم ير ايضا ان تكون المراة الواحدة ام الرجل زوجا
له لان الام مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة
وهما حالتان متنافيتان وان يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة في النسب وعراقة فيه والدعوة
الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد ان يكون اصيلا غير اصيل • وهذا مثل ضربه الله في زيد بن حارثة
وهو رجل من كلب سبي صغيرا وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة
رضي الله تعالى عنها فلما تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه ابوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فانزل الله هذه الآية وقوله عز وجل ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله • وقيل
كان ابو معمر رجلا من احفظ العرب وارواهم فقيل له ذو القلبين • وقيل هو جميل بن اسد الفهري وكان يقول ان لي قلبين
افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد صلى الله عليه وسلم فروي انه انهزم يوم بدر فمر بابي سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده
والاخرى في رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال احدى نعليك في رجلك والاخرى
في يدك فقال ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلا في الظهار والتبني • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم الله • وقيل سهى في صلاته فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم • وعن
الحسن رحمه الله نزلت في ان الواحد يقول نفس تامرني ونفس تنهاني • والتنكير في رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين
تاكيدان لما قصد من المعنى كانه قال ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه • فان قلت اي
فائدة في ذكر الجوف • قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة
التصور والتجلي للمدلول عليه لانه اذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان اسرع الى الانكار • وقرئ اللائي
بياء وهمزة مكسورتين • واللاي بياء ساكنة بعد الهمزة • وتظاهرون من ظاهر • وتظاهرون من اظاهر بمعنى تظاهر

وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر • وتظاهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد • وتظهرون من ظهر بلفظ فعل
من الظهور • ومعنى ظاهر من امراته قال لها انت علي كظهر امي ونحوه في العبارة عن اللفظ لبى المحرم اذا قال لبيك وافف
اذا قال اف واخوات لهن • فان قلت فما وجه تعديته بمن • قلت كان الظهار طلاقا
عند اهل الجاهلية وكانوا يتجنبون المراة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد
منها بجهة الظهار وتظاهر منها تحرز منها وظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحشى منها وظهر منها
خلص منها ونظيره آلى من امراته لما ضمن معنى التباعد منها عدي بمن والا فآلى في اصله الذي هو بمعنى حلف
واقسم ليس هذا بحكمه • فان قلت ما معنى قولهم انت علي كظهر امي • قلت ارادوا ان يقولوا
انت علي حرام كبطن امي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج وانما جعلوا
الكناية عن البطن بالظهر لانه عمود البطن ومنه حديث عمر رضي الله عنه يجيء به احدهم على عمود بطنه اراد
على ظهره • ووجه آخر وهو ان اتيان المراة وظهرها الى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان اهل المدينة
يقولون اذا اتيت المراة ووجهها الى الارض جاء الولد احول فلقصد المطلق منهم الى التغليظ في تحريم امراته
عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر امه فلم يترك • فان قلت الدعي فعيل بمعنى مفعول
وهو الذي يدعى ولدا فما له جمع على افعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقي واتقياء وشقي واشقياء ولا يكون ذلك
في نحو رمي وسمي • قلت ان شذوذه عن القياس كشذوذ قتلاء واسراء والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي
• ذلكم النسب هو قولكم بافواهكم هذا ابني لا غير من غير ان يواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقا • والله عز وجل
لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدي الا سبيل الحق وهو قوله تعالى ادعوهم لآبائهم وبين ان دعاءهم
لآبائهم هو ادخل الامرين في القسط والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا يغبى على
عالم بطرق النظم • وقرا قتادة وهو الذي يهدي السبيل • ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم
تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم
وكان الله غفورا رحيما • وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى نفسه وجعل
له مثل نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان بن فلان • فان لم تعلموا لهم آباء
تنسبونهم اليهم فهم اخوانكم في الدين فقولوا هذا اخي وهذا مولاي ويا اخي ويا مولاي يريد الاخوة في الدين والولاية فيه
• ما تعمدت في محل الجر عطفا على ما اخطاتم • ويجوز ان يكون مرتفعا على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما
تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ولكن الاثم
فيما تعمدتموه بعد النهي او لا اثم عليكم اذا قلتموه لمدعي لكم يا بني على سبيل الخطا وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه
متعمدين • ويجوز ان يراد العفو عن الخطا دون العمد على طريق العموم كقول النبي صلى الله عليه وسلم ما اخشى عليكم
الخطا ولكن اخشى عليكم العمد وقوله صلى الله عليه وسلم وضع عن امتي الخطا والنسيان وما اكرهوا عليه ثم تناول لعمومه
خطا التبني وعمده • فان قلت اذا وجد التبني فما حكمه • قلت اذا كان المتبنى مجهول النسب واصغر
سنا من المتبني ثبت نسبه منه وان كان عبدا له عتق مع ثبوت النسب وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه
يعتق عند ابي حنيفة رحمه الله وعند صاحبيه لا يعتق واما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وان كان عبدا عتق
وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن الخطا وعن العمد اذا تاب العامد • النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه
امهاتهم • النبي اولى بالمؤمنين في كل شيء من امور الدين والدنيا من انفسهم ولهذا اطلق ولم يقيد فيجب عليهم ان يكون
احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم
عليها وان يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه اذا اعضل خطب ووقاءه اذا لقحت حرب وان لا يتبعوا ما تدعوهم
اليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم اليه رسول الله وصرفهم عنه لان كل ما دعا اليه فهو ارشاد

هم إلى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فأخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم إلى الشقاوة
وعذاب النار • أو هو أولى بهم على معنى أنه أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله عز وجل بالمؤمنين
رؤوف رحيم • وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرؤوا إن شئتم النبي أولى
بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم • وقال مجاهد كل نبي فهو أبو أمته ولذلك صار المؤمنون إخوة لأن النبي صلى الله
عليه وسلم أبوهم في الدين • وأزواجه أمهاتهم تشبيه لهن بالأمهات في بعض الأحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن
وتحريم نكاحهن قال الله عز وجل ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الأجنبيات ولذلك قالت
عائشة رضي الله عنها لسنا أمهات النساء تعني أنهن إنما كن أمهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم أمهاتهم والدليل
على ذلك أن هذا التحريم لم يتعد إلى بناتهن وكذلك لم يثبت لهن سائر أحكام الأمهات • وأولوا الأرحام بعضهم
أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين • كان المسلمون في صدر الإسلام يتوارثون بالولاية
في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتألف قلوب قوم بإسهام لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الإسلام وعز
أهله وجعل التوارث بحق القرابة • في كتاب الله في اللوح أو فيما أوحى الله إلى نبيه وهو هذه الآية أو في آية المواريث أو فيما
فرض الله كقوله كتاب الله عليكم • من المؤمنين والمهاجرين يجوز أن يكون بيانا لأولي الأرحام أي الأقرباء من هؤلاء بعضهم
أولى بأن يرث بعضا من الأجانب • ويجوز أن يكون لابتداء الغاية أي أولو الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين
بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة • إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا
فإن قلت مم استثني أن تفعلوا **قلت** من أعم العام في معنى النفع والإحسان كما تقول القريب أولى
من الأجنبي إلا في الوصية تريد أنه أحق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك إلا في
الوصية • والمراد بفعل المعروف التوصية لأنه لا وصية لوارث • وعدي تفعلوا بإلى لأنه في معنى تسدوا
وتزلوا • والمراد بالأولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين • ذلك إشارة إلى ما ذكر في الآيتين جميعا وتفسير
الكتاب ما مر آنفا • والجملة مستأنفة كالخاتمة لما ذكر من الأحكام • وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا • ليسأل الصادقين عن صدقهم
وأعد للكافرين عذابا أليما • واذكر حين أخذنا من النبيين جميعا ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين
القيم • ومنك خصوصا • ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وإنما فعلنا ذلك • ليسأل الله يوم القيامة عند تواقف
الأشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى • عن صدقهم
عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الأنبياء بأنهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين • أو ليسأل المصدقين
للأنبياء عن تصديقهم لأن من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله • أو ليسأل الأنبياء ما الذي أجابتهم
به أممهم وتأويل مسألة الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين •
فإن قلت لم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على نوح فمن بعده **قلت** هذا العطف لبيان فضيلة
الأنبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان محمد عليه الصلاة والسلام أفضل هؤلاء المفضلين قدم
عليهم لبيان أنه أفضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه **فإن قلت** فقد قدم عليه نوح في الآية
التي هي أخت هذه الآية وهي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ثم قدم على غيره **قلت**
مورد هذه الآية على طريقة خلاف طريقة تلك وذلك أن الله عز وجل إنما أوردها لوصف دين الإسلام بالأصالة
والاستقامة فكأنه قال شرع لكم الدين الأصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم الأنبياء
صلى الله عليه وسلم في العهد الحديث وبعث عليه من توسطهما من الأنبياء المشاهير **فإن قلت** فماذا أراد
بالميثاق الغليظ **قلت** أراد به ذلك الميثاق بعينه معناه وأخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا • والغلظ
استعارة من وصف الأجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شأنه في بابه • وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله تعالى

على الوفاء بما حملوا **فإن قلت** علام عطف قوله تعالى وأعد للكافرين **قلت** على أخذنا من النبيين لأن المعنى
أن الله تعالى أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لأجل إثابة المؤمنين • وأعد للكافرين عذابا أليما • أو على ما دل
عليه ليسأل الصادقين كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين • يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم
إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا • اذكروا ما أنعم الله
به عليكم يوم الأحزاب وهو يوم الخندق • إذ جاءتكم جنود وهم الأحزاب فأرسل الله تعالى عليهم ريح الصبا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور • وجنودا لم تروها وهم الملائكة وكانوا
ألفا وبعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فأخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وأمر الملائكة فقلعت
الأوتاد وقطعت الأطناب وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة
في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الأسدي أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وحين
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقبالهم ضرب الخندق على المدينة أشار عليه بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم
خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالنساء والذراري فرفعوا في
الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز
كسرى وقيصر لا نقدر أن نذهب إلى الغائط وكانت قريش قد أقبلت في عشرة آلاف من الأحابيش وبني كنانة وأهل تهامة
وقائدهم أبو سفيان وخرج غطفان في ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل
في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا الترامي بالنبل والحجارة
حتى أنزل الله تعالى النصر • تعملون قرئ بالياء والتاء • إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار
وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا • هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا • من فوقكم
من أعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان • ومن أسفل منكم من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون
جملة واحدة حتى نستأصل محمدا • زاغت الأبصار مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا • وقيل عدلت
عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها لشدة الروع • الحنجرة رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام
والشراب قالوا إذا انتفخت الرئة من شدة الفزع أو الغضب أو الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة
ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره • ويجوز أن يكون ذلك مثلا في اضطراب القلوب ووجيبها وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة
• وتظنون بالله الظنونا خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والأقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف
والمنافقون الذين لم يوجد منهم الإيمان إلا بألسنتهم فظن الأولون بالله أنه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف
الاحتمال • وأما الآخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم • وعن الحسن رحمه الله ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون أن
المسلمين يستأصلون وظن المؤمنون أنهم يبتلون • وقرئ الظنون بغير ألف في الوصل والوقف وهو القياس وبزيادة ألف
في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادها في القافية من قال أقلي اللوم عاذل والعتابا • وكذلك الرسولا والسبيلا
وقرئ بزيادتها في الوصل أيضا إجراء له مجرى الوقف قال أبو عبيد وهن كلهن في الإمام بألف • وعن أبي عمرو إشمام
زاء زلزلوا • وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى أن الخوف أزعجهم أشد الإزعاج • وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا • قيل قائله معتب بن قشير حين رأى الأحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم
وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا ما هذا إلا وعد غرور • وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم
فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا • طائفة
منهم هم أوس بن قيظي ومن وافقه على رأيه • وعن السدي عبد الله بن أبي وأصحابه • ويثرب اسم المدينة • وقيل
أرض وقعت المدينة في ناحية منها • لا مقام لكم قرئ بضم الميم وفتحها أي لا قرار لكم ها هنا ولا مكان تقيمون فيه أو
تقومون • فارجعوا إلى المدينة أمروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقيل قالوا لهم ارجعوا كفارا

وا تسليم عورة أي الأقليت يثرب لكم مكان • وقرئ عورة بسكون الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان عورا إذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز أن تكون عورة تخفيف عورة اعتذروا أن بيوتهم معرضة للعدو ممكنة للسارق لأنها غير محرزة ولا محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا إليه فأكذبهم الله بأنهم لا يخافون ذلك وإنما يريدون الفرار • ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا • ولو دخلت عليهم المدينة وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره • من أقطارها من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على أهاليهم وأولادهم ناهبين سابين • ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفة الفتنة أي الردة والرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين • لأتوها لجاؤوها وفعلوها • وقرئ لآتوها لأعطوها • وما تلبثوا بها وما ألبثوا إعطاءها • إلا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف • أو وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم إلا يسيرا فإن الله يهلكهم والمعنى أنهم يتعللون بإعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصافة الأحزاب الذين ملؤوهم هولا ورعبا وهؤلاء الأحزاب كما هم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا إليه وما تعللوا بشيء وما ذاك إلا لمقتهم الإسلام وشدة بغضهم لأهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه • ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤولا • عن ابن عباس رضي الله عنهما عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم • وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن • وعن محمد بن إسحاق عاهدوا يوم أحد أن لا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل • مسؤولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به • قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا • لن ينفعكم الفرار مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف أنف أو قتل وإن نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع إلا زمانا قليلا • وعن بعض المروانية أنه مر بحائط مائل فأسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب • قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا • فإن قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة إلا من السوء • قلت معناه أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر الكلام وأجري مجرى قوله • متقلدا سيفا ورمحا • أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع • قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا • المعوقين المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون كانوا يقولون لإخوانهم من ساكني المدينة من أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه فخلوهم • وهلم إلينا أي قربوا أنفسكم إلينا وهي لغة أهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة وأما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب • قل هلم شهداءكم • إلا قليلا إلا إتيانا قليلا يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون إلا شيئا قليلا إذا اضطروا إليه كقوله تعالى ما قاتلوا إلا قليلا • أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا • أشحة عليكم في وقت الحرب أضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عند الخوف ينظرون إليك في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك • فإذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم إلى الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة الأولى واجترؤوا عليكم وضربوكم بألسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فإنا قد شاهدناكم

وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليهم ونصب أشحة على الحال أو على الذم • وقرئ أشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد • فإن قلت هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الإحباط • قلت لا ولكن تعليم لمن عسى يظن أن الإيمان باللسان إيمان وإن لم يواطئه القلب وأن ما يعمل المنافق من الأعمال يجزي عليه فبين أن إيمانه ليس بإيمان وأن كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على إتقان المكلف أساس أمره وهو الإيمان الصحيح وتنبيه على أن الأعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير أساس وأنها مما يذهب عند الله هباء منثورا • فإن قلت ما معنى قوله تعالى وكان ذلك على الله يسيرا وكل شيء عليه يسير • قلت معناه أن أعمالهم حقيقة بالإحباط تدعو إليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف • يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا • يحسبون أن الأحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق إلى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط • وإن يأت الأحزاب كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة أنهم خارجون إلى البدو وحاصلون بين الأعراب • يسألون كل قادم منهم من جانب المدينة • عن أخباركم وعما جرى عليكم • ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا إلا تعلة رياء وسمعة • وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى وفي رواية صاحب الإقليد بديا بوزن عدي • يساءلون أي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك • أو يتساءلون الأعراب كما تقول رأيت الهلال وتراءيناه • كان عليكم أن تؤسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم بأنفسكم فتوازروه وتثبتوا معه كما آساكم بنفسه في الصبر على الجهاد وثباته في مرجل الحرب حتى كسرت رباعيته يوم أحد وشج وجهه • لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا • فإن قلت فما حقيقة قوله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة • وقرئ أسوة بالضم • قلت فيه وجهان أحدهما أنه في نفسه أسوة حسنة أي قدوة وهو المؤتسى به أي المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون منا حديد أي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والثاني أن فيه خصلة من حقها أن يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة بنفسه • لمن كان يرجو الله بدل من لكم كقوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم • يرجو الله واليوم الآخر من قولك رجوت زيدا وفضله أي فضل زيد أو يرجو أيام الله واليوم الآخر خصوصا • والرجاء بمعنى الأمل والخوف • وذكر الله كثيرا وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على الأعمال الصالحة والمؤتسي برسول الله صلى الله عليه وسلم من كان كذلك • ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما • وعدهم الله أن يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جاء الأحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وأيقنوا بالجنة والنصر • وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه إن الأحزاب سائرون إليكم تسعا أو عشرا فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك • وهذا إشارة إلى الخطب أو البلاء • إيمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضاياه وأقداره • من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا • ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما • نذر رجال من الصحابة أنهم إذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم رضي الله عنهم فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة ومصعبا ومنهم من ينتظر يعني عثمان وطلحة • وفي الحديث من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة • فإن قلت ما قضاء النحب • قلت وقع عبارة عن الموت لأن كل حي لا بد له من أن يموت فكأنه نذر لازم في رقبته فإذا مات فقد قضى نحبه أي نذره • فإن قلت

نحبه حقيقة فى قوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه **قلت** يقال صدقني اخوك وكذبني اذا قال لك الصدق وقال الكذب
واما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما
ان يكون بمنزلة السن فيطرح الجار واما ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم قالوا للمعاهد عليه سنفي
بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا • وما بدلوا العهد ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر
شهادته • ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة
وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق ومرض القلوب جعل المنافقين كانهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم كما قصد
الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكانهما استويا في طلبها والسعي في
تحصيلها ويعذبهم ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم اذا تابوا • ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا
خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا • ورد الله الذين كفروا الاحزاب بغيظهم
مغيظين كقوله تعالى تنبت بالدهن • لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب • ويجوز ان تكون
الثانية بيانا للاولى او استينافا • وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة • وانزل الذين ظاهروهم من اهل
الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتاسرون فريقا واورثكم ارضهم
وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا • وانزل الذين ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب
من صياصيهم من حصونهم والصيصية ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة الديك وهي مخلبه
التي في ساقه لانه يتحصن بها **وروى** ان جبريل عليه الصلوة والسلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على
وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار
عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يامرك بالمسير الى بني قريظة وانا
عامد اليهم فان الله تعالى داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فاذن في الناس ان من كان سامعا مطيعا
فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا بعد العشاء الاخرة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم
خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فابوا فقال
على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله
عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم
فضرب اعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة اسير • وقرئ الرعب بسكون العين
وضمها وتاسرون بضم السين **وروى** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون
الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم • فقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه
لي طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله • وارضا لم تطؤها عن الحسن رحمه الله فارس والروم • وعن
قتادة كنا نحدث انها مكة • وعن مقاتل هي خيبر • وعن عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيمة • ومن بدع التفاسير
انه اراد نساءهم • يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن
واسرحكن سراحا جميلا • وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا
عظيما • اردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
فبدا بعائشة رضي الله عنها وكانت احبهن اليه فخيرها وقرا عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة
فرئي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك
النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج **وروى** انه قال لعائشة رضي الله عنها اني ذاكر لك امرا ولا
عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستامري ابويك ثم قرا عليها القرآن فقالت افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله

والدار الاخرة • وروي انها قالت لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال صلى الله عليه وسلم انما بعثني الله مبلغا ولم
يبعثني متعنتا **فان قلت** ما حكم التخيير في الطلاق **قلت** اذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي او قال
اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير او المخيرة وقعت طلقة بائنة عند ابي حنيفة رحمه الله واصحابه
واعتبروا ان يكون ذلك في المجلس قبل القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض • واعتبر الشافعي رضي الله عنه اختيارها
على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود رضي الله عنهما • وعن الحسن رحمه الله وقتادة والزهري
امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره • واذا اختارت زوجها لم يقع شيء باجماع فقهاء الامصار • وعن ام المؤمنين
عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا • وروي افكان طلاقا
• وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة • وروي
عنه ايضا انها ان اختارت زوجها فليس بشيء • اصل تعال ان يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطى ثم كثر
حتى استوت في استعماله الامكنة • ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد امرين ولم يرد نهوضهن اليه
بانفسهن كما تقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني • امتعكن اعطكن متعة الطلاق **فان قلت**
المتعة في الطلاق واجبة ام لا **قلت** المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد متعتها واجبة عند
ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى واما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة • وعن الزهري متعتان احداهما
يقضي بها السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل بها • والثانية حق على المتقين من طلق بعد ما يفرض ويدخل
• وخاصمت امراة الى شريح في المتعة فقال متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره • وعن سعيد بن جبير رضي الله
عنه المتعة حق مفروض • وعن الحسن رحمه الله لكل مطلقة متعة الا المختلعة والملاعنة • والمتعة درع
وخمار وملحفة على حسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا تنقص من
خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها **فان قلت** ما وجه قراءة من قرأ امتعكن
واسرحكن بالرفع **قلت** وجهه الاستيناف • سراحا جميلا من غير ضرار طلاقا بالسنة • يا نساء النبي من يات
منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا • من للبيان لا للتبعيض
الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة • والمبينة الظاهر فحشها والمراد كل ما اقترفن من الكبائر • وقيل
هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم
لاجله • وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث الافك • وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح من سائر
النساء كان اقبح منهن واقبح لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي من
المعصي وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي ولا على احد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل
وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم
اشد منه للعاصي الجاهل لان المعصية من العالم اقبح ولذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد حتى ان ابا حنيفة
واصحابه لا يرون الرجم على الكافر • وكان ذلك على الله يسيرا ايذان بان كونهن نساء النبي ليس بمغن عنهن
شيئا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنه •
قرئ يات بالياء والتاء • مبينة بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين • يضاعف ونضعف على البناء
للمفعول • ونضاعف ونضعف بالياء والنون • ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين
واعتدنا لها رزقا كريما • وقرئ يقنت وتعمل بالتاء والياء ونؤتها بالياء والنون • والقنوت الطاعة وانما
ضوعف اجرهن لطلبهن رضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن
على عبادة الله تعالى والتقوى • يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول
فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا • احد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا

فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه ومعنى قوله لستن كأحد من النساء لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اي اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومنه قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين ان اتقيتن ان اردتن التقوى وان كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا اي لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض اي ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهين عن الخضوع بالقول ونهي المريض القلب عن الطمع كانه قيل لا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن انه قرأ بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل الى ضمير القول اي فيطمع القول المريب قولا معروفا بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنيث او قولا حسنا مع كونه خشنا **وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا** وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن وقرن بفتحها واصله اقررن فحذفت الراء والقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان توجيها آخر قال قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة والجاهلية الاولى هي القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي الزمن الذي ولد فيه ابراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح وقيل بين ادريس ونوح وقيل زمن داود وسليمان عليهما السلام والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ويجوز ان تكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام فكان المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر ام اسلام فقال بل جاهلية كفر امرهن امرا خاصا بالصلاة والزكاة ثم جاء به عاما في جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما اصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس واما الحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفر اولي الالباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وامرهم به واهل البيت نصب على النداء او على المدح وفي هذا دليل بين على ان نساء النبي من اهل بيته **واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا** ثم ذكرهن ان بيوتهن مهابط الوحي وامرهن ان لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو آيات بينات تدل على صدق النبوة لانه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع ان الله كان لطيفا خبيرا حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فانزله عليكم او علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكونوا اهل بيته او حيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين **ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما** يروى ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة وقيل السائلة ام سلمة رضي الله عنها وروي انه لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت والمسلم الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند او المفوض امره الى الله تعالى المتوكل عليه من اسلم وجهه الى الله والمؤمن المصدق بالله ورسوله وبما يجب ان يصدق به والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها والصادق الذي يصدق في نيته وقوله

وعمله والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذي اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق في اسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين والذاكر الله كثيرا من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه او لسانه او بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استيقظ من نومه وايقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف لان الظاهر يدل عليه **فان قلت** اي فرق بين العطفين اعني عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين **قلت** العطف الاول نحو قوله تعالى ثيبات وابكارا في انهما جنسان مختلفان اذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما واما العطف الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان معناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات اعد الله لهم مغفرة **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا** خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت فقال رضينا يا رسول الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر وقيل هي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين اذا قضى الله ورسوله اي رسول الله لان قضاء رسول الله هو قضاء الله تعالى امرا من الامور ان يختاروا من امرهم ما شاؤوا بل من حقهم ان يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره **فان قلت** كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاءني من رجل ولا امرأة الا كان من شأنه كذا **قلت** نعم ولكنهما وقعا تحت النفي فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ وقرئ يكون بالتاء والياء والخيرة ما يتخير **واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا** الذي انعم الله عليه بالاسلام الذي هو اجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصرها بعدما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو ارادتها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن والقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني فقال له امسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجد احدا اوثق في نفسي منك اخطب علي زينب قال زيد رضي الله عنه فانطلقت فاذا هي تخمر عجينتها فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اؤامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما اولم على امرأة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار **فان قلت** ماذا اراد بقوله واتق الله **قلت** اراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهي تنزيه لا تحريم لان الاولى ان لا يطلق وقيل اراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر واذى الزوج **فان قلت** ما الذي

قوله ماذا اراد اي اراد النبي صلى الله عليه وسلم

لخفي في نفسه **قلت** تعلق قلبه بها. وقيل مودة مفارقة زيد إياها. وقيل علمه بأن زيدا سيطلقها
وسينكحها لأن الله تعالى قد أعلمه بذلك. وعن عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
مما أوحي إليه لكتم هذه الآية **فإن قلت** فماذا أراد الله منه أن يقوله حين قال له زيد أريد مفارقتها
وكان من الهجنة أن يقول له افعل فإني أريد نكاحها **قلت** كان الذي أراد منه عز وجل أن يصمت عند ذلك
أو يقول له أنت أعلم بشأنك حتى لا يخالف سره في ذلك علانيته لأن الله تعالى يريد من الأنبياء تساوي الظاهر
والباطن والتصلب في الأمور والتجاوب في الأحوال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء في حديث إرادة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عبد الله بن أبي سرح واعتراض عثمان رضي الله عنه بشفاعته له
أن عمر قال له لقد كان عيني إلى عينك هل تشير إلي فأقتله فقال إن الأنبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد
فإن قلت كيف عاتبه الله في ستر ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النبي التصريح بشيء إلا والشيء في نفسه
مستهجن ومقالة الناس لا تتعلق إلا بما يستقبح في العقول والعادات وما له لم يعاتبه في نفس الأمر ولم يأمره بقمع
الشهوة وكف النفس عن أن تنازع إلى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه عن تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة **قلت**
كم من شيء يتحفظ منه الإنسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال
فيه ولا عيب عند الله تعالى وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما إلى حصول واجبات يعظم أثرها في الدين ويجل
ثوابها ولو لم يتحفظ منه لأطلق كثير من الناس فيه ألسنتهم إلا من أوتي فضلا وعلما ودينا ونظرا في حقائق الأمور
ولبوبها دون قشورها ألا ترى أنهم كانوا إذا طعموا في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوا مرتكزين في
مجالسهم لا يريمون مستأنسين بالحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذيه قعودهم ويضيق صدره
حديثهم والحياء يصده أن يأمرهم بالانتشار حتى نزلت إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي
من الحق ولو أبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنون ضميره وأمرهم أن ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض القالة فهذا
من ذلك القبيل لأن طموح قلب الإنسان إلى بعض مشتهياته من امرأة وغيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع لأنه
ليس بفعل الإنسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح أيضا وهو خطبة زينب ونكاحها من
غير استنزال زيد عنها ولا طلب إليه وهو أقرب منه من زر قميصه أن يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بأن نفس زيد لم تكن من
التعلق بها في شيء بل كانت تجفو عنها ونفس رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلقة بها ولم يكن مستنكرا عندهم أن ينزل
الرجل عن امرأته لصديقه ولا مستهجنا إذا نزل عنها أن ينكحها الآخر فإن المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الأنصار
بكل شيء حتى إن الرجل منهم إذا كانت له امرأتان نزل عن إحداهما وأنكحها المهاجر وإذا كان الأمر مباحا من جميع جهاته
ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا بأحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة
منها أن بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمنت الأيمة والضيعة ونالت الشرف وعادت أما من أمهات المسلمين
إلى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة العامة في قوله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن
وطرا فبالحري أن يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ في كتمه بقوله أمسك عليك زوجك واتق الله وأن لا يرضى له إلا اتحاد
الضمير والظاهر والثبات في مواطن الحق حتى يقتدي به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وإن كان مرا والله أعلم
فإن قلت الواو في وتخفي في نفسك وتخشى الناس والله أحق ما هي **قلت** واو الحال أي تقول لزيد أمسك
عليك زوجك مخفيا في نفسك إرادة أن لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بأن تخشى الله
أو واو العطف كأنه قيل وإذ تجمع بين قولك أمسك وإخفاء خلافه وخشية الناس. والله أحق أن تخشاه حتى
لا تفعل مثل ذلك إذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى منه وطره. والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها
حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها. وقرأ أهل البيت زوجتكها
وقيل لجعفر بن محمد أليس تقرأ على غير ذلك فقال والذي لا إله إلا هو ما قرأتها على أبي إلا كذلك ولا قرأها الحسن بن

علي على أبيه إلا كذلك ولا قرأها علي بن أبي طالب على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كذلك. وكان أمر الله مفعولا
جملة اعتراضية يعني وكان أمر الله الذي يريد أن يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله
صلى الله عليه وسلم زينب رضي الله عنها ومن نفي الحرج عن المؤمنين في إجراء أزواج المتبنين مجرى أزواج البنين في
تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن. ويجوز أن يراد بأمر الله المكون لأنه مفعول بكن وهو أمر الله
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا. فرض
الله له قسم له وأوجب من قولهم فرض لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم. سنة الله اسم موضوع
موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله تعالى ما كان على النبي من حرج كأنه قيل سن الله ذلك سنة في الأنبياء
الماضين وهو أن لا يحرج عليهم في الإقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسراري
وكانت لداود عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه الصلاة والسلام ثلثمائة وسبعمائة
في الذين خلوا في الأنبياء الذين مضوا. الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى
بالله حسيبا. الذين يبلغون يحتمل وجوه الإعراب الجر على الوصف للأنبياء والرفع والنصب على المدح على هم الذين
يبلغون أو على أعني الذين يبلغون. وقرئ رسالة الله. قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا. ووصف الأنبياء
بأنهم لا يخشون إلا الله تعريض بعد التصريح في قوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه. حسيبا كافيا للمخاوف
أو محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية من مثله. ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله
وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما. ما كان محمد أبا أحد من رجالكم أي لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت
بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح. ولكن كان رسول الله وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى
وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الأحكام الثابتة بين الآباء
والأبناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده على الحقيقة فكان حكمه حكمهم والادعاء والتبني من باب الاختصاص
والتقريب لا غير. وكان خاتم النبيين يعني أنه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الأنبياء
كما يروى أنه قال في إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين توفي لو عاش لكان نبيا. **فإن قلت** أما كان أبا
للطاهر والطيب والقاسم وإبراهيم صلوات الله عليهم. **قلت** قد أخرجوا من حكم النفي بقوله تعالى من رجالكم
من وجهين أحدهما أن هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال. والثاني أنه قد أضاف الرجال إليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم
فإن قلت أما كان أبا للحسن والحسين رضي الله عنهما. **قلت** بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما أيضا من
رجاله لا من رجالهم. وشيء آخر وهو أنه إنما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله تعالى وخاتم النبيين ألا ترى أن الحسن
والحسين رضي الله عنهما قد عاشا إلى أن نيف أحدهما على الأربعين والآخر على الخمسين. وقرئ ولكن رسول الله بالنصب
عطفا على أبا أحد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله من عرفتموه
أي لم يعش له ولد ذكر. وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود
ولكن نبيا ختم النبيين. **فإن قلت** كيف كان آخر الأنبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان. **قلت** معنى كونه آخر الأنبياء
أنه لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا
إلى قبلته كأنه بعض أمته. يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا. اذكروا الله أثنوا عليه بضروب
الثناء من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو أهله وأكثروا ذلك. بكرة وأصيلا أي في كافة الأوقات. قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الله على فم كل مسلم وروي في قلب كل مسلم. وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله
إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله. وعن مجاهد هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب. والفعلان أعني اذكروا وسبحوا
موجهان إلى البكرة والأصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة. والتسبيح من جملة الذكر وإنما اختصه من بين أنواعه اختصاص
جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الأذكار لأن معناه تنزيه ذاته عما لا

عليه من الصفات والافعال وتبرئته من القبائح ومثال ذلك وفضله على غيره من الاذكار فضل وصف العبد بالنزاهة
من اجتناب المعاصي والتطهر من ادناس المآثم على سائر اوصافه من كثرة الصلوة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال
على العلوم والاشتهار بالفضائل • ويجوز ان يريد بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والاقبال على العبادات فان كل طاعة
وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة واصيلا وهي الصلوات في جميع اوقاتها لفضل الصلوة على غيرها او صلوة
الفجر والعشائين لان اداءها اشق ومراعاتها اشد • هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى
النور وكان بالمؤمنين رحيما • لما كان من شان المصلي ان ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه
وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه
قولهم صلى الله عليك اي ترحم عليك وترأف • فان قلت قوله تعالى هو الذي يصلي عليكم
ان فسرته بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع بقوله تعالى وملائكته وما معنى صلاتهم • قلت هي قولهم
اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كانهم فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره قولك حياك
الله اي احياك وابقاك وحييتك اي دعوت لك بان يحييك الله لانك لاتكالك على اجابة دعوتك كانك
تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله عز وجل ان الله وملائكته
يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اي ادعوا الله بان يصلي عليه والمعنى هو الذي يترحم عليكم
ويترأف حيث يدعوكم الى الخير ويامركم باكثار الذكر والتوفر على الصلوة والطاعة • ليخرجكم من ظلمات المعصية
الى نور الطاعة • وكان بالمؤمنين رحيما دليل على ان المراد بالصلوة الرحمة • ويروى انه لما نزل قوله تعالى
ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر رضي الله عنه ما خصك الله تعالى بشرف الا وقد اشركنا فيه
فانزلت • تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم اجرا كريما • تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون
يوم لقائه بسلام ويجوز ان يعظمهم الله تعالى بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر انواع التعظيم وان يكون
مثلا كاللقاء على ما فسرناه • وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة • وقيل سلام
الملائكة عند الخروج من القبور • وقيل عند دخول الجنة كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام
عليكم • والاجر الكريم الجنة • يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا • وداعيا الى الله باذنه
وسراجا منيرا • شاهدا على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم اي مقبولا قولك عند الله وعليهم كما يقبل
قول الشاهد العدل في الحكم • فان قلت وكيف كان شاهدا وقت الارسال وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة
او عند ادائها • قلت هي حال مقدرة كمسألة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اي مقدرا
به الصيد غدا • فان قلت قد فهم من قوله تعالى انا ارسلناك داعيا انه ماذون له في الدعاء فما فائدة قوله
تعالى باذنه • قلت لم يرد به حقيقة الاذن وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان الدخول
في حق المالك متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع
موضعه وذلك ان دعاء اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرائع امر في غاية الصعوبة والتعذر فقيل
باذنه للايذان بان الامر صعب لا يتأتى ولا يستطاع الا اذا سهله الله تعالى ويسره ومنه قولهم في الشحيح
غير ماذون له في الانفاق اي غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا عليه داخلا في حد التعذر • جلى
به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به • او امد
الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار • ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا
يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته • وفي كلام بعضهم ثلاثة تضني رسول بطيء وسراج لا يضيء
ومائدة ينتظر لها من يجيء • وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر • وقيل وذا سراج
منير اوتاليا سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير ان يعطف على كاف ارسلناك • وبشر المؤمنين بان

لهم من الله فضلا كبيرا • الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب واذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك
بالثواب ويجوز ان يريد بالفضل الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل وان يريد ان لهم فضلا كبيرا على سائر الامم وذلك الفضل من جهة
الله تعالى وانه اتاهم ما فضلوهم به • ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله
وكفى بالله وكيلا • ولا تطع الكافرين معناه الدوام والثبات على ما كان عليه او التهييج • اذاهم يحتمل
اضافته الى الفاعل والمفعول يعني ودع ان تؤذيهم بضرر او قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله في باطنهم
او ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر • وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي منسوخة باية
السيف • وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى به مفوضا اليه • ولقائل ان يقول وصفه الله بخمسة اوصاف
وقابل كلا منها بخطاب مناسب له • قابل الشاهد بقوله تعالى وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على امته
وهم يكونون شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير • والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا
اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة • والنذير بدع اذاهم لانه اذا ترك اذاهم
في الحاضر والاذى لا بد له من عقاب عاجل او آجل كانوا منذرين به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره بقوله
وتوكل على الله لان من توكل على الله يسر عليه كل عسير • والسراج المنير بالاكتفاء به • وكيلا لان من اناره الله
برهانا على جميع خلقه كان جديرا بان يكتفى به عن جميع خلقه • يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا • النكاح الوطء
وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانها سبب في اقتراف
الاثم ونحوه في علم البيان قول الراجز • اسنمة الآبال في سحابه • سمى الماء باسنمة الآبال لانه سبب سمن المال وارتفاع
اسنمته • ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد لانه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن
الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والاتيان • فان قلت لم خص المؤمنات والحكم الذي
نطقت به الآية تستوي فيه المؤمنات والكتابيات • قلت في اختصاصهن تنبيه على ان اصل امر المؤمن والاولى
به ان يتخير لنطفته وان لا ينكح الا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف ان يدخل تحت
لحاف واحد عدوة الله ووليه فالتي في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين اوتوا الكتاب
وهذه فيها تعليم ما هو الاولى بالمؤمنين من نكاح المؤمنات • فان قلت ما فائدة ثم في قوله تعالى ثم طلقتموهن
قلت فائدته نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين ان يبعد
عهدها بالنكاح ويتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها • فان قلت اذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس
هل يقوم ذلك مقام المساس • قلت نعم عند ابي حنيفة رحمه الله واصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس
وقوله تعالى فما لكم عليهن من عدة تعتدونها دليل على ان العدة حق واجب على النساء للرجال • تعتدونها تستوفون
عددها من قولك عد الدراهم فاعتدها كقولك كاله فاكتاله ووزنه فاتزنه • وقرئ تعتدونها مخففا
اي تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه • والمراد بالاعتداء ما في قوله تعالى ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا • فان قلت
ما هذا التمتيع اواجب ام مندوب اليه • قلت ان كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند ابي حنيفة
رحمه الله الا لها وحدها دون سائر المطلقات • وان كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها • فبعض على الندب والاختيار
ومنهم ابو حنيفة • وبعض على الوجوب • سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع واجب • يا ايها النبي انا احللنا لك
ازواجك اللاتي آتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات
خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان
يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم
لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما • اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وايتاؤها

اما العطا فاما اعجاله واما فرضها وتسميتها في العقد **فان قلت** لم قال اللاتي آتيت اجورهن ومما افاء الله عليك واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات **قلت** قد اختار الله لرسوله الافضل الاولى واستحبه بالاطيب الازكى كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها من الاثر وذلك ان التسمية للمهر في العقد اولى وافضل من ترك التسمية وان وقع العقد جائزا وله ان يماسها وعليه مهر المثل ان دخل بها والمتعة ان لم يدخل بها وسوق المهر اليها عاجلا افضل من ان يسميه ويؤجله وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية اذا كانت سبية مالكها وخطية سيفه ورمحه ومما غنمه الله تعالى من دار الحرب احل واطيب مما يشتري من شق الجلب والسبي على ضربين سبي طيبة وسبي خبثة فسبي الطيبة ما سبي من اهل الحرب واما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي خبثة ويدل عليه قوله تعالى مما افاء الله عليك لان فيء الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث كما ان رزق الله يجب اطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرابته غير المحارم افضل من غير المهاجرات معه وعن ام هاني بنت ابي طالب رضي الله عنها خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء واحللنا لك من وقع لها ان تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك فعن ابن عباس رضي الله عنه لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة ام المساكين الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ ان وهبت على الشرط وقرأ الحسن رحمه الله ان بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز ان يكون مصدرا محذوفا معه الزمان كقولك اجلس ما دام زيد جالسا بمعنى وقت دوامه جالسا ووقت هبتها نفسها وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه بغير ان والله اعلم **فان قلت** ما معنى الشرط الثاني مع الاول **قلت** هو تقييد له شرط في الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قال احللناها لك ان وهبت لك نفسها وانت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وما به تتم **فان قلت** لم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله تعالى نفسها للنبي ان اراد النبي ثم رجع الى الخطاب **قلت** للايذان بانه مما خص به واوثر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على ان الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقد استشهد به ابو حنيفة رحمه الله على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته سواء في الاحكام الا فيما خصه الدليل وقال الشافعي رضي الله عنه لا يصح وقد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج الى دليل وقال ابو الحسن الكرخي ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله تعالى اللاتي آتيت اجورهن وقال ابو بكر الرازي لا يصح لان الاجارة عقد موقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان خالصة مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله اي خلص لك احلال ما احللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيز كالخارج والقاعد والعافية والكاذبة والدليل على انها وردت في اثر الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التوكيد لها قوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم بعد قوله تعالى من دون المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله لكيلا يكون عليك حرج متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية ان الله تعالى قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الازواج والاماء وعلى اي حد وصفة يجب ان يفرض عليهم وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لكيلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو اولى وافضل وفي دنياك حيث احللنا لك اجناس المنكوحات وزدناك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع اي ذاك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعتا

للمرأة فعلى مذهب هذه المرأة خالصة لك من دونهم وكان الله غفورا للواقع في الحرج اذا تاب رحيما بالتوسعة على عباده **ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما** روي ان امهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرهن شهرا ونزل التخيير فاشفقن ان يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت وروي ان عائشة رضي الله عنها قالت اني ارى ربك يسارع في هواك ترجي بهمز وبغير همز وتؤوي تضم يعني تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم لايتهن شئت وتقسم لمن شئت او تترك تزوج من شئت من نساء امتك وتتزوج من شئت وعن الحسن رحمه الله عليه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لاحد ان يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق واما ان يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق وعزل فاما ان يخلي المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها وروي انه ارجأ منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة رضوان الله عليهن وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجى خمسا وآوى اربعا وروي انه كان يسوي مع ما اطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك ذلك التفويض الى مشيئتك ادنى الى قرة عيونهن ورضاهن جميعا لانه اذا سوى بينهن في الايواء والارجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لاحداهن مما تريد ومما لا تريد الا مثل ما للاخرى وعلمن ان هذا التفويض من عند الله وبوحيه اطمأنت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضى وقرت العيون وسلت القلوب والله يعلم ما في قلوبكم فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسوله وبعث على تواطؤ قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه طيب نفسه وقرئ تقر اعينهن بضم التاء ونصب الاعين وتقر اعينهن على البناء للمفعول وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بان يتقى ويحذر كلهن تأكيد لنون يرضين وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه ويرضين كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرئ كلهن تأكيدا لهن في آتيتهن **لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا** لا تحل وقرئ بالتذكير لان تأنيث الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل في قوله تعالى وقال نسوة كان مع الفصل اجوز من بعد من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج كما ان الاربع نصاب امته منهن فلا يحل له ان يتجاوز النصاب ولا ان تبدل بهن ولا ان تستبدل بهؤلاء التسع ازواجا اخر بكلهن او بعضهن اراد لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن وهن التسع اللاتي مات عنهن عائشة بنت ابي بكر حفصة بنت عمر ام حبيبة بنت ابي سفيان سودة بنت زمعة ام سلمة بنت ابي امية صفية بنت حيي الخيبرية ميمونة بنت الحارث الهلالية زينب بنت جحش الاسدية جويرية بنت الحارث المصطلقية رضوان الله عليهن اجمعين من في من ازواج لتأكيد النفي وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل معناه لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص احلالهن لك من الاجناس الاربعة من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك وابادلك بامرأتي فينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه ويحكى ان عيينة بن حصين دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة رضي الله عنها من غير استيذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عيينة اين الاستيذان فقال يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ ادركت ثم قال من هذه الجميلة الى جنبك فقال عليه الصلاة والسلام هذه عائشة ام المؤمنين قال عيينة افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال احمق مطاع وانه على ما ترين

لسبد قومه • وعن عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء، تعني أن الآية قد نسخت
ولا يخلو نسخها إما أن يكون بالسنة وإما بقوله إنا أحللنا لك أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف • ولو أعجبك
في موضع الحال من الفاعل دون المفعول في تبدل لأنه موغل في التنكير وتقديره مفروضاً إعجابك
بهن • وقيل هي أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب والمراد أنها ممن أعجبه حسنهن • واستثنى ممن حرم عليه
الإماء • رقيباً حافظاً مهيمناً وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله إلى حرامه • يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت
النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين
لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء
حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً
إن ذلكم كان عند الله عظيماً • أن يؤذن لكم في معنى الظرف تقديره وقت أن يؤذن لكم • وغير ناظرين حال من لا تدخلوا
وقع الاستثناء على الوقت والحال معاً كأنه قيل لا تدخلوا بيوت النبي إلا وقت الإذن ولا تدخلوها إلا غير ناظرين وهؤلاء
قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه ومعناه لا تدخلوا يا هؤلاء
المتحينون للطعام إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه وإلا فلو لم يكن لهؤلاء بخصوصهم لما جاز لأحد أن يدخل بيوت النبي
إلا أن يؤذن له إذناً خاصاً وهو الإذن إلى الطعام فحسب • وعن ابن أبي عبلة أنه قرأ غير ناظرين مجروراً صفة لطعام وليس بالوجه
لأنه جرى على غير ما هو له فمن حق ضمير ما هو له أن يبرز إلى اللفظ فيقال غير ناظرين إناه أنتم كقولك هند زيد ضاربته هي • وإنى
الطعام إدراكه يقال أنى الطعام إنى كقولك قلاه قلى ومنه قوله بين حميم آن بالغ إناه • وقيل إناه وقته أي غير ناظرين وقت
الطعام وساعة أكله • وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم على زينب بتمر وسويق وشاة وأمر أنساً أن يدعو بالناس فترادفوا
أفواجاً يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج إلى أن قال يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس
وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فانطلق إلى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال السلام
عليكم أهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت أهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فإذا الثلاثة
جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما رأوه متولياً خرجوا فرجع ونزلت • ولا مستأنسين
لحديث نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به • أو عن أن يستأنسوا حديث أهل البيت واستئناسه
تسمعه وتوجسه وهو مجرور معطوف على ناظرين • وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين لا بد في قوله فيستحيي منكم
من تقدير المضاف أي من إخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني أن إخراجكم حق ما ينبغي أن يستحيي منه ولما كان الحياء
مما يمنع الحيي من بعض الأفعال قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا أدب أدب الله به الثقلاء
وعن عائشة رضي الله عنها حسبك في الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال فإذا طعمتم فانتشروا • وقرئ لا يستحيي بياء واحدة •
في سألتموهن لنساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكرن لأن الحال ناطقة بذكرهن • متاعاً حاجة • فاسألوهن المتاع • قيل إن
عمر رضي الله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيراً ويود أن ينزل فيه وكان يقول لو أطاع فيكن ما رأتكن
عين وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت • وروي أنه مر عليهن وهن مع النساء
في المسجد فقال لئن احتجبتن فإن لكن على النساء فضلاً كما أن لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب يا ابن الخطاب إنك لتغار علينا
والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى نزلت • وقيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت
يد رجل منهم يد عائشة رضي الله عنها فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت آية الحجاب • وذكر أن بعضهم قال أننهى أن نكلم
بنات عمنا إلا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن عائشة فأعلم الله أن ذلك محرم • وما كان لكم وما صح لكم إيذاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا نكاح أزواجه من بعده وسمى نكاحهن بعده عظيماً عنده وهو من إعلامه تعظيم الله رسوله وإيجاب حرمته حياً وميتاً
وإعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فإن نحو هذا مما يحدث به الرجل نفسه ولا يخلي منه فكره • ومن الناس من
تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده • وعن بعض الفتيان أنه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفاً

واستهتاراً فنظر إليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصوراً لما
عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره • وعن بعض الفقهاء أن الزوج الثاني في هدم الثلاث مما يجري مجرى العقوبة
فصين رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلاحظ ذلك • إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليماً • إن تبدوا
شيئاً من نكاحهن على ألسنتكم أو تخفوه في صدوركم فإن الله يعلم ذلك فيعاقبكم به وإنما جاء به على أثر ذلك عاماً لكل باد وخاف
ليدخل تحته نكاحهن ولأن هذا العموم هو الطريقة أهول وأجزل • لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن
ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء
شهيداً • روي أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله ونحن أيضاً نكلمهن من وراء الحجاب فنزلت
لا جناح عليهن أي لا إثم عليهن في أن لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لأنهما يجريان مجرى الوالدين
وقد جاءت تسمية العم أباً قال الله سبحانه وتعالى وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وإسماعيل
عم يعقوب • وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لأنهما يصفانها لأبنائهما وأبناؤهما غير محارم ثم نقل
الكلام من الغيبة إلى الخطاب وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل واتقين الله فيما أمرتن به من الاحتجاب
وأنزل فيه الوحي من الاستتار واحتططن فيه وفيما استثني منه ما قدرتن واحفظن حدودها واسلكن
طريق التقوى في حفظها وليكن عملكن في الحجب أحسن مما كان وأنتن غير محجبات ليفضل سركن علنكن
إن الله كان على كل شيء من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه • شهيداً لا يتفاوت في علمه الأحوال • إن الله
وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً • قرئ وملائكته
بالرفع عطفاً على محل إن واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند البصريين أن يحذف الخبر لدلالة
يصلون عليه • صلوا عليه وسلموا أي قولوا الصلاة على الرسول والسلام ومعناه الدعاء بأن يترحم عليه الله
ويسلم • فإن قلت الصلاة على النبي واجبة أو مندوب إليها قلت بل واجبة وقد اختلفوا
في حال وجوبها فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره • وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فأبعده
الله • ويروى أنه قيل يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي فقال عليه الصلاة والسلام
هذا من العلم المكنون ولولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به إن الله تعالى وكل بي ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلي
علي إلا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جواباً لذينك الملكين آمين ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلي
علي إلا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته جواباً لذينك الملكين آمين • ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة
وإن تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره • ومنهم من أوجبها في العمر مرة
وكذا قال في إظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عليه عند كل ذكر لما ورد من الأخبار • فإن قلت
فالصلاة عليه في الصلاة أهي شرط في جوازها أم لا قلت أبو حنيفة وأصحابه لا يرونها شرطاً • وعن
إبراهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك أيها النبي • وأما الشافعي رحمه الله
فقد جعلها شرطاً • فإن قلت فما تقول في الصلاة على غيره قلت القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى
هو الذي يصلي عليكم وقوله تعالى وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى
ولكن للعلماء تفصيلاً في ذلك وهو أنها إن كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها وأما إذا أفرد
غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه لأن ذلك صار شعاراً لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأنه يؤدي إلى
الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم • إن
الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً • يؤذون الله ورسوله
فيه وجهان أحدهما أن يعبر بإيذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وإنكار النبوة ومخالفة الشريعة
وما كانوا يصيبونه به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنواع المكروه على سبيل المجاز وإنما جعلته مجازاً فيهما جميعاً

الآية بعجيبة في رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا تحمل العبارة الواحدة معنيي المجاز والحقيقة
والثاني أن يراد يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقيل في أذى الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله
مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه تعالى الله تعالى • وقيل قول الذين يلحدون
في أسمائه وصفاته • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه تبارك وتعالى شتمني ابن آدم ولم ينبغ له
أن يشتمني وآذاني ولم ينبغ له أن يؤذيني فأما شتمه إياي فقوله إني اتخذت ولدا وأما أذاه فقوله إن الله لا يعيدني
بعد أن بدأني • وعن عكرمة فعل أصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله • وقيل في أذى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون • وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم أحد • وقيل
طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي وأطلق إيذاء الله ورسوله • **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا** • وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات لأن أذى الله ورسوله لا يكون إلا غير حق
أبدا وأما أذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه • ومعنى بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق للأذى • وقيل نزلت
في ناس من المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه • وقيل في الذين أفكوا على عائشة رضي الله عنها • وقيل
في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات • وعن الفضيل لا يحل لك أن تؤذي كلبا أو خنزيرا بغير حق فكيف • وكان
ابن عون لا يكري الحوانيت إلا من أهل الذمة لما فيه من الروعة عند كر الحول • **يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما** •
الجلباب ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها
وعن ابن عباس رضي الله عنهما الرداء الذي يستر من فوق إلى أسفل • وقيل الملحفة وكل ما يتستر به من كساء أو غيره
قال أبو زبيد: مجلبب من سواد الليل جلبابا • ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن
ويغطين بها وجوههن وأعطافهن يقال إذا زل الثوب عن وجه المرأة أدني ثوبك على وجهك وذلك أن النساء كن
في أول الإسلام على هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والأمة وكان الفتيان
وأهل الشطارة يتعرضون إذا خرجن بالليل إلى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان للإماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الأمة
يقولون حسبناها أمة فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زي الإماء بلبس الأردية والملاحف وستر الرؤوس والوجوه ليحتشمن
ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله عز وجل ذلك أدنى أن يعرفن أي أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين
ما يكرهن • **فإن قلت** ما معنى من في من جلابيبهن • **قلت** هو للتبعيض إلا أن معنى التبعيض محتمل وجهين أحدهما
أن يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد أن لا تكون الحرة متبذلة في درع وخمار كالأمة والماهنة ولها جلبابان
فصاعدا في بيتها والثاني أن ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز عن الأمة • وعن ابن سيرين
رحمه الله سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال أن تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على أنفها • وعن السدي
أن تغطي إحدى عينيها وجبهتها والشق الآخر إلا العين • وعن الكسائي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن أراد بالانضمام
معنى الإدناء • وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لأن هذا مما يمكن معرفته بالعقل • **لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا** •
الذين في قلوبهم مرض قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلة ثبات عليه • وقيل هم الزناة وأهل الفجور من قوله تعالى فيطمع
الذي في قلبه مرض • والمرجفون ناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون
هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا إذا أخبر به على غير حقيقة
لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم
والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفونه من أخبار السوء لنأمرنك بأن تفعل بهم الأفاعيل التي تسوءهم
وتنوءهم ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة وإلى أن لا يساكنوك فيها إلا زمنا قليلا ريثما يرتحلون ويلتقطون

أنفسهم وعيالاتهم فسمى ذلك إغراء وهو التحريش على سبيل المجاز • **ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا** • ملعونين نصب على الشتم أو الحال أي لا يجاورونك إلا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا
كما مر في قوله تعالى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين ولا يصح أن ينتصب عن أخذوا لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها • وقيل
في قليلا هو منصوب على الحال أيضا ومعناه لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء ملعونين • **فإن قلت** ما موقع لا يجاورونك
قلت لا يجاورونك عطف على لنغرينك لأنه يجوز أن يجاب به القسم ألا ترى إلى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك • **فإن قلت** أما كان من حق لا يجاورونك أن يعطف بالفاء وأن يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك
قلت لو جعل الثاني مسببا عن الأول لكان الأمر كما قلت ولكنه جعل جوابا آخر للقسم معطوفا على الأول وإنما
عطف بثم لأن الجلاء عن الأوطان كان أعظم عليهم وأعظم من جميع ما أصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه
سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا • سنة الله نصب في موضع مصدر مؤكد أي سن الله
في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا • وعن مقاتل يعني كما قتل أهل بدر وأسروا • **يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا** • كان المشركون يسألون رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لأن الله تعالى عمى
وقتها في التوراة وفي كل كتاب فأمر رسوله أن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به ولم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين
لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين وإسكاتا للممتحنين • قريبا شيئا قريبا أو لأن الساعة في
معنى اليوم أو في زمان قريب • **إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا** • **يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا** • السعير النار
المسعورة الشديدة الإيقاد • وقرئ تقلب على البناء للمفعول بمعنى تتقلب وتقلب أي تقلبها وتقلب على
الفعل للسعير ومعنى تقليبها تصريفها في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر إذا غلت فترامى بها الغليان من جهة
إلى جهة أو تغييرها عن أحوالها وتحويلها عن هيئاتها أو طرحها في النار مقلوبين منكوسين • وخصت الوجوه بالذكر لأن الوجه
أكرم موضع على الإنسان من جسده • ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون أو محذوف وهو اذكر وإذا
نصب بالمحذوف كان يقولون حالا • **وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا** • وقرئ ساداتنا وهم رؤساء الكفرة الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم • يقال ضل السبيل وأضله إياه وزيادة الألف لإطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف • **ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا** • ضعفين ضعفا لضلالهم وضعفا لإضلالهم • وقرئ كثيرا تكثيرا لأعداد اللعائن وكبيرا ليدل على أشد اللعن وأعظمه • **يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها** • قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس • وقيل في أذى موسى هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها • وقيل اتهامهم إياه بقتل هارون • وقيل قرفوه بعيب في بدنه من برص أو أدرة لفرط تستره حياء فأطلعهم الله على أنه بريء منه • وجيها ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع الأذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة • وقرأ ابن مسعود والأعمش وأبو حيوة وكان عبدا لله وجيها • قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان فسمعته يقرؤها • وقراءة العامة أوجه لأنها مفصحة عن وجاهته عند الله • **فإن قلت** قوله مما قالوا معناه من قولهم أو من مقولهم لأن ما إما مصدرية أو موصولة وأيهما كان فكيف تصح البراءة منه • **قلت** المراد بالقول أو المقول مؤداه ومضمونه وهو الأمر المعيب • **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا**

ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما • قولا سديدا قاصدا إلى الحق والسداد القصد إلى الحق
والقول بالعدل يقال سدّد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه
من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على أن يسدد قولهم في كل باب لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير
كله والمعنى راقبوا الله في حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم فإنكم إن فعلتم ذلكم أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم
والإثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها • وقيل إصلاح الأعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية وهذه الآية مقررة
للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله وهذه على الأمر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والأمر
مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى واتباع الأمر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الأذى والداعي إلى تركه • إنا
عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما
جهولا • لما قال ومن يطع الله ورسوله وعلق بالطاعة الفوز العظيم أتبعه قوله إنا عرضنا الأمانة وهو يريد بالأمانة
الطاعة فعظم أمرها وفخم شأنها وفيه وجهان أحدهما أن هذه الأجرام العظام من السموات والأرض والجبال قد انقادت
لأمر الله عز وعلا انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات وأطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع
على مشيئته وإرادته إيجادا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال متنوعة كما قال قالتا أتينا طائعين
وأما الإنسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعات ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح
للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع • والمراد بالأمانة الطاعة لأنها لازمة
الوجود كما أن الأمانة لازمة الأداء • وعرضها على الجماد وإباؤها وإشفاقها مجاز • وأما حمل الأمانة فمن قولك
فلان حامل للأمانة ومحتمل لها تريد أنه لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لأن الأمانة كأنها
راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها ألا تراهم يقولون ركبته الديون ولي عليه حق فإذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها
ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا يريدون أنه يبذل له النصر ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول
القائل • أخوك الذي لا تملك الحس نفسه • وترفض عند المحفظات الكتائف • أي لا يمسك الرقة والعطف إمساك المالك
الضنين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به • ومنه قولهم أبغض حق أخيك لأنه إذا أحبه لم يخرجه إلى أخيه ولم يؤده وإذا أبغضه
أخرجه وأداه • فمعنى فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان فأبين إلا أن يؤدينها وأبى الإنسان إلا أن يكون محتملا لها
لا يؤديها • ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لأداء الأمانة وبالجهل لإخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو أداؤها • والثاني
أن ما كلفه الإنسان بلغ من عظمه وثقل محمله أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام وأقواه وأشده أن يتحمله ويستقل به
فأبى حمله والاستقلال به وأشفق منه وحمله الإنسان على ضعفه ورخاوة قوته • إنه كان ظلوما جهولا
حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما
جاء القرآن إلا على طرقهم وأساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم أين تذهب لقال أسوي العوج وكم لهم من أمثال
على ألسنة البهائم والجمادات وتصور مقالة الشحم محال ولكن الغرض أن السمن في الحيوان مما يحسن قبحه
كما أن العجف مما يقبح حسنه فصور أثر السمن فيه تصويرا هو أوقع في نفس السامع وهي به آنس وله أقبل
وعلى حقيقته أوقف وكذلك تصوير عظم الأمانة وصعوبة أمرها وثقل محملها والوفاء بها • فإن قلت
قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على رأي واحد أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى لأنه مثلت
حاله في تميله وترجحه بين الرأيين وتركه المضي على أحدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه
للمضي في وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك ما في
الآية فإن عرض الأمانة على الجماد وإباءه وإشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل
على المحال وما مثال هذا إلا أن تشبه شيئا والمشبه به غير معقول • قلت الممثل به في الآية وفي قولهم لو قيل
للشحم أين تذهب وفي نظائره مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته

وثقل محمله

وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنها وأشفقن منها • ليعذب
الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله
غفورا رحيما • واللام في ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لأن التعذيب نتيجة حمل الأمانة كما أن
التأديب في ضربته للتأديب نتيجة الضرب • وقرأ الأعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل
ويبتدئ ويتوب الله • ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الأمانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها
لأنه إذا تيب على الوافي كان ذلك نوعا من عذاب الغادر والله أعلم • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر • صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة سبأ مكية وهي أربع وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير • يعلم ما يلج في الأرض وما
يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور • ما في السموات والأرض كله نعمة من الله
وهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجله ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالإنعام بجميع النعم الدنيوية كان
معناه أنه المحمود على نعم الدنيا كما تقول احمد أخاك الذي كساك وحملك تريد احمده على كسوته وحملانه
ولما قال وله الحمد في الآخرة علم أنه المحمود على نعم الآخرة وهو الثواب • فإن قلت ما الفرق بين الحمدين
قلت أما الحمد في الدنيا فواجب لأنه على نعمة متفضل بها وهو الطريق إلى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب •
وأما الحمد في الآخرة فليس بواجب لأنه على نعمة واجبة الإيصال إلى مستحقها إنما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة
اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد • وهو الحكيم الذي أحكم أمور الدارين ودبرها
بحكمته • الخبير بكل كائن يكون • ثم ذكر مما يحيط به علما ما يلج في الأرض من الغيث كقوله تعالى فسلكه ينابيع في الأرض
ومن الكنوز والدفائن والأموات وجميع ما هي له كفات • وما يخرج منها من الشجر والنبات وماء العيون والغلة والدواب
وغير ذلك • وما ينزل من السماء من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق والأرزاق والملائكة وأنواع البركات
والمقادير كما قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون • وما يعرج فيها من الملائكة وأعمال العباد وهو مع كثرة نعمه
وسبوغ فضله • الرحيم الغفور للمفرطين في أداء مواجب شكرها • وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ننزل بالنون والتشديد
وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب • قولهم لا تأتينا الساعة نفي للبعث وإنكار
لمجيء الساعة أو استبطاء لما وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد فأوجب ما بعد النفي ببلى
على معنى أن ليس الأمر إلا إتيانها ثم أعيد إيجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز
وجل ثم أمد التوكيد القسمي إمدادا بما أتبع المقسم به من الوصف بما وصف به إلى قوله ليجزي لأن عظمة حال المقسم به
تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر وكلما كان المستشهد
به أعلى كعبا وأبين فضلا وأرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد والمستشهد عليه أثبت وأرسخ • فإن قلت
هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى • قلت نعم وذلك أن قيام الساعة من مشاهير
الغيوب وأدخلها في الخفية فأولها مسارعة إلى القلب إذا قيل عالم الغيب فحين أقسم باسمه على إثبات قيام الساعة
وأنه كائن لا محالة • ثم وصف بما يرجع إلى علم الغيب وأنه لا يفوت علمه شيء من الخفيات اندرج تحته إحاطته بوقت
قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا • فإن قلت الناس قد أنكروا إتيان الساعة
وجحدوه فهب أنه حلف لهم بأغلظ الأيمان وأقسم عليهم جهد القسم فيمين من هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا
كيف تكون مصححة لما أنكروه • قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهي
قوله تعالى ليجزي فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وأن المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من

عقاب • وقرئ ليجزي متصل بقوله لتأتينكم تعليلا له • قرئ لتأتينكم بالتاء والياء • ووجه من قرأ بالياء أن يكون
ضميره للساعة بمعنى اليوم أو يسند إلى عالم الغيب أي ليأتينكم أمره كما قال الله سبحانه وتعالى هل ينظرون إلا أن
تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك وقال أو يأتي أمر ربك • وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي • وعالم الغيب
وعالم الغيب بالرفع على المدح • لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا
في كتاب مبين • ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم • ولا يعزب بالضم والكسر
من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس • ومثقال ذرة مقدار أصغر نملة تعود الإشارة إلى مثقال
ذرة • وقرئ ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالرفع على أصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة إلا بالله
بالرفع والنصب وهو كلام منقطع عما قبله • فإن قلت هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كأنه قيل لا يعزب
عنه مثقال ذرة وأصغر وأكبر وزيادة لا لتأكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف
كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر • قلت يأبى ذلك حرف الاستثناء إلا إذا جعلت
الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل أن تكتب في اللوح لأن إثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى
أنه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزل عنه إلا مسطورا في اللوح • والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب
من رجز أليم • ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد •
وقرئ معجزين • أليم بالرفع والجر وعن قتادة الرجز سوء العذاب • ويرى في موضع الرفع أي ويعلم أولوا العلم يعني أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ أعقابهم من أمته أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا مثل كعب الأحبار وعبد الله بن سلام
الذي أنزل إليك الحق وهما مفعولان ليرى وهو فصل • ومن قرأ الحق بالرفع جعله مبتدأ والحق خبرا والجملة في موضع المفعول الثاني
وقيل يرى في موضع النصب معطوف على ليجزي أي وليعلم أولوا العلم عند مجيء الساعة أنه الحق علما لا يزاد عليه في الإيقان
ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا • ويجوز أن يريد وليعلم من لم يؤمن من الأحبار أنه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما • وقال الذين
كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد • الذين كفروا قريش قال بعضهم لبعض هل
ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب أنكم تبعثون وتنشأون خلقا جديدا بعد أن تكونوا
رفاتا وترابا ويمزق أجسادكم البلى كل ممزق أي يفرقكم ويبدد أجزاءكم كل تبديد • أفترى على الله كذبا أم به جنة بل
الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد • أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب إليه من ذلك • أم به جنون يوهمه ذلك
ويلقيه على لسانه ثم قال سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون
في عذاب النار وفيما يؤديهم إليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك أجن الجنون وأشده إطباقا على عقولهم وجعل وقوع
العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال كأنهما كائنان في وقت واحد لأن الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته جعلا كأنهما
في الحقيقة مقترنان • وقرأ زيد بن علي ينبئكم • فإن قلت قد جعلت الممزق مصدرا كبيت الكتاب ألم تعلم
مسرحي القوافي فلا عيا بهن ولا اجتلابا • فهل يجوز أن يكون مكانا • قلت نعم ومعناه ما حصل من الأموات في بطون
الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح • فإن قلت ما العامل في إذا
قلت ما دل عليه إنكم لفي خلق جديد وقد سبق نظيره • فإن قلت الجديد فعيل بمعنى فاعل أم مفعول • قلت
هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد كحد فهو حديد وقل فهو قليل • وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده
إذا قطعه وقالوا هي التي جدها الناسج الساعة في الثوب ثم شاع ويقولون ولهذا قالوا ملحفة جديد وهي عند البصريين
كقوله سبحانه وتعالى إن رحمة الله قريب • فإن قلت لم أسقطت الهمزة في قوله أفترى دون قوله آلذكرين وكلتاهما
همزة وصل • قلت القياس الطرح ولكن أمر الاضطرار ألجأ إلى ترك إسقاطها في نحو الذكرين لوقوع اللبس لالتباسها بالخبر لكون همزة
الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام • فإن قلت ما معنى وصف الضلال بالبعيد • قلت هو من الإسناد المجازي لأن
البعيد صفة الضال إذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان أضل • فإن قلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

مشهورا

مشهورا علما في قريش وكان إنباؤه بالبعث شائعا عندهم فما معنى قوله تعالى هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا
عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في أمر مجهول • قلت كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فأخرجوه مخرج التحلي
ببعض الأحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبأمره • أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم
من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب
أعموا فلم ينظروا إلى السماء والأرض وأنهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون أن ينفذوا من
أقطارهما وأن يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول
وبما جاء به كما فعل بقارون وأصحاب الأيكة • إن في ذلك النظر إلى السماء والأرض والفكر فيهما وما تدلان عليه من قدرة الله لآية
ودلالة لكل عبد منيب راجع إلى ربه مطيع له لأن المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على أنه قادر على كل شيء من البعث ومن
عقاب من يكفر به • وقرئ يشأ يخسف يسقط بالياء لقوله تعالى أفترى على الله كذبا • وبالنون لقوله تعالى ولقد آتينا وكسفا
بفتح السين وسكونه • وقرأ الكسائي يخسف بهم بالإدغام وليست بقوية • ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال
أوبي معه والطير وألنا له الحديد • يا جبال إما أن يكون بدلا من فضلا وإما من آتينا بتقدير قولنا يا جبال أو قلنا
يا جبال • وقرئ أوبي وأوبي من التأويب والأوب أي رجعي معه التسبيح أو ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لأنه إذا
رجعه فقد رجع فيه • ومعنى تسبيح الجبال أن الله سبحانه يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجر فيسمع منها ما يسمع من المسبح
معجزة لداود عليه الصلاة والسلام • وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه بأصدائها
والطير بأصواتها • وقرئ والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوزوا أن ينتصب مفعولا معه وأن
ينتصب على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير • فإن قلت أي فرق بين هذا النظم وبين أن يقال وآتينا داود منا فضلا
تأويب الجبال معه والطير • قلت كم بينهما ألا ترى إلى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى من الدلالة على عزة الربوبية
وكبرياء الإلهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا
إشعارا بأنه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت إلا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على إرادته • وألنا له الحديد وجعلناه
له لينا كالطين والعجين والشمع يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة • وقيل لأن الحديد في يده لما أوتي من
شدة القوة • أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير • وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة
الضافية وهو أول من اتخذها وكانت قبل صفائح • وقيل كان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق
على الفقراء • وقيل كان يخرج حين ملك بني إسرائيل متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه
فقيض الله له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله فقال لولا
أنه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع • وقدر في السرد لا تجعل المسامير
دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق • والسرد نسج الدروع • واعملوا الضمير لداود وأهله • ولسليمان
الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا
نذقه من عذاب السعير • وقرئ الريح بالنصب أي ولسليمان سخرنا الريح وبالرفع ولسليمان الريح مسخرة وكذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع غدوها
شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك • وقرئ غدوتها وروحتها • وعن الحسن رحمه الله كان يغدو من دمشق
فيقيل بإصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل • ويحكى أن بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان عليه الصلاة
والسلام نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من إصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام إن شاء الله • القطر
النحاس المذاب من القطران • فإن قلت ما أراد بعين القطر • قلت أراد بها معدن النحاس ولكنه أساله كما ألان الحديد
لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل إليه كما قال إني أراني أعصر خمرا • وقيل كان يسيل في الشهر
ثلاثة أيام • بإذن ربه بأمره • ومن يزغ منهم ومن يعدل عن أمرنا الذي أمرناه به من طاعة سليمان عليه الصلاة والسلام
وقرئ يزغ من أزاغه • وعذاب السعير عذاب الآخرة عن ابن عباس • وعن السدي كان معه ملك بيده سوط من نار كلما

استعصى عليه مضروبه من حيث لا يراه الجني • يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور
راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور • محاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت بها
لانه يحامى عليها ويذب عنها • وقيل هي المساجد • والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين كانت تعمل في المساجد من نحاس
وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم • فان قلت كيف استجاز سليمان عليه الصلاة والسلام عمل التصاوير
قلت هذا مما يجوز ان تختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب • وعن ابي العالية لم يكن اتخاذ الصور
اذ ذاك محرما • ويجوز ان يكون غير صور الحيوان كصور الاشجار وغيرها لان التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان
او بصور محذوفة الرؤوس • وروي انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط
الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما • والجواب الحياض الكبار قال تروح على آل المحلق جفنة كجابية
الشيخ العراقي تفهق • لانه لا يجبى فيها الماء اي يجمع جعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة • قيل كان يقعد على
الجفنة الف رجل • وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله يوم يدع الداع • راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها
لعظمها • اعملوا آل داود حكاية لما قيل لآل داود • وانتصب شكرا على انه مفعول له اي اعملوا له واعبدوه على وجه
الشكر لنعمائه وفيه دليل على ان العبادة ينبغي ان تؤدى على طريق الشكر • او على الحال اي شاكرين • او على تقدير اشكروا
شكرا لان اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث ان العمل للمنعم شكر له • ويجوز ان ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه انا سخرنا
لكم ما سخرنا فاعملوا انتم شكرا على طريق المشاكلة • والشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه
وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا واكثر اوقاته • وعن ابن عباس رضي الله عنهما من يشكر على احواله كلها • وعن السدي
من يشكر على الشكر • وقيل من يرى عجزه عن الشكر • وعن داود انه جزأ ساعات الليل والنهار على
اهله فلم تكن تاتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي • وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل اني
سمعت الله يقول وقليل من عبادي الشكور فانا ادعو ان يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل الناس اعلم من
عمر • فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منسأته فلما خر تبينت الجن
ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين • قرئ فلما قضي عليه الموت • ودابة الارض الارضة
وهي الدويبة التي يقال لها السرفة والارض فعلها فاضيفت اليه يقال ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها • وقرئ
بفتح الراء من ارضت الخشبة ارضا وهو من باب فعلته ففعل كقولك اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا
والمنساة العصا لانه ينسأ بها اي يطرد ويؤخر • وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا
وكلاهما ليس بقياس ولكن اخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي • ومنساءته على مفعالة كما يقال في الميضاة
ميضاءة • ومن ساته اي من طرف عصاه سميت بساة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة
وقحة • وقرئ اكلت منساته • تبينت الجن من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى وان مع صلتها بدل من الجن
بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور له في المعنى اي ظهرت الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في
العذاب وعلم الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم ان كبارهم يصدقون
في ادعائهم علم الغيب او علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وانهم لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك
بحالهم وانما اريد التهكم بهم كما يتهكم بمدعي الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله بقولك هل تبينت انك
مبطل وانت تعلم انه لم يزل كذلك متبينا • وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على ان المتبين في المعنى
هو ان مع ما في صلتها لانه بدل • وفي قراءة ابي تبينت الانس • وعن الضحاك تباينت الانس بمعنى تعارفت
وتعالمت • والضمير في كانوا للجن في قوله تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه اي علمت الانس ان لو كان الجن
يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تبينت الانس ان الجن

لو كانوا

لو كانوا يعلمون الغيب • روي انه كان من عادة سليمان عليه الصلاة والسلام ان يعتكف في مسجد بيت المقدس
المدد الطوال فلما دنا اجله لم يصبح الا رأى في محرابه شجرة نابتة قد انطقها الله فيسألها لاي شيء انت
فتقول لكذا حتى اصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه
وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له وقال اللهم عم على
الجن موتي حتى يعلم الناس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يسترقون السمع ويموهون على الانس انهم يعلمون
الغيب • وقال لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني فقال امرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين
فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين
تجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه في صلاته الا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع
فلم يسمع فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت
موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ
سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فايقن الناس انهم لو علموا الغيب لما لبثوا في العذاب سنة • وروي
ان داود عليه الصلاة والسلام اسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه الصلاة والسلام
فمات قبل ان يتمه فوصى به الى سليمان فامر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمره سنة سأل الله ان يعمي عليهم موته
حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب • وروي ان افريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الاسدان
ساقه فكسراها فلم يجسر احد بعده ان يدنو منه • وكان عمر سليمان عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ملك
وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه اربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه • لقد كان
لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور •
قرئ لسبأ بالصرف ومنعه وقلب الهمزة الفا • ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وارضهم
التي كانوا مقيمين فيها او مسكن كل واحد منهم • وقرئ مساكنهم • وجنتان بدل من آية او خبر مبتدأ محذوف
تقديره الآية جنتان وفي الرفع معنى المدح يدل عليه قراءة من قرأ جنتين بالنصب على المدح • فان قلت ما معنى
كونهما آية • قلت لم يجعل الجنتين في انفسهما آية وانما جعل قصتهما وان اهلهما اعرضوا عن شكر الله تعالى عليهما
فخربهما وابدلهم عنهما الخمط والاثل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم
ويجوز ان يجعلهما آية اي علامة دالة على الله وعلى قدرته واحسانه ووجوب شكره • فان قلت كيف عظم الله
جنتي اهل سبأ وجعلهما آية ورب قرية من قريات العراق يحتف بها من الجنان ما شئت • قلت لم يرد بستانين
اثنين فحسب وانما اراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شمالها وكل واحدة من
الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة كما يكون بلاد الريف العامرة وبساتينها • او اراد بستاني
كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال تعالى جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب • كلوا من رزق ربكم اما
حكاية لما قال لهم انبياء الله المبعوثون اليهم او لما قال لهم لسان الحال او هم احقاء بان يقال لهم ذلك • ولما امرهم
بهما من رزق ربكم واشكروا له اتبعه قوله بلدة طيبة ورب غفور يعني هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم
الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره • وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت اخصب البلاد واطيبها تخرج
المرأة وعلى رأسها المكتل تعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل بما يتساقط فيه من الثمر • طيبة لم تكن سبخة
وقيل لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية • وقرئ بلدة طيبة ورب غفورا بالنصب على المدح
وعن ثعلب معناه اسكن واعبد • فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي
اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور • العرم الجرذ الذي نقب
عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة بسدته ما بين الجبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا

على مقدار ما يحتاجون إليه في سقيهم فلما طغوا • وقيل بعث الله إليهم ثلاثة عشر نبيا يدعونهم إلى الله ويذكرونهم
نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة • سلط الله على سدهم الخلد فنقبه من أسفله فغرقهم • وقيل
العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة ويقال للكدس من الطعام عرمة والمراد المسناة التي عقدوها سكرا • وقيل
العرم اسم الوادي • وقيل العرم المطر الشديد • وقرئ العرم بسكون الراء • وعن الضحاك كانوا في الفترة التي كانت
بين عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما • وقرئ أكل بالضم والسكون وبالتنوين والإضافة • والأكل الثمر والخمط
شجر الأراك • وعن أبي عبيدة كل شجر ذي شوك • وقال الزجاج كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله • والأثل شجر
يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عودا • ووجه من نون أن أصله ذواتي أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم
المضاف إليه مقامه • أو وصف الأكل بالخمط كأنه قيل ذواتي أكل بشع • ومن أضاف وهو أبو عمرو وحده فلأن أكل الخمط
في معنى البرير كأنه قيل ذواتي برير • والأثل والسدر معطوفان على أكل لا على خمط لأن الأثل لا أكل له • وقرئ وأثلا
وشيئا بالنصب عطفا على جنتين • وتسمية البدل جنتين لأجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم • وعن الحسن رحمه الله قلل السدر لأنه أكرم ما بدلوا
وقرئ وهل يجازى وهل نجازي بالنون وهل يجازي والفاعل الله تعالى وحده وهل يجزى • والمعنى أن مثل هذا الجزاء
لا يستحقه إلا الكافر وهو العقاب العاجل • وقيل المؤمن تكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما عمله
من السوء • ووجه آخر وهو أن الجزاء عام لكل مكافأة يستعمل تارة في معنى المعاقبة وأخرى في معنى الإثابة فلما استعمل
في معنى المعاقبة في قوله تعالى جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل نجازي إلا الكفور بمعنى وهل نعاقب
وهو الوجه الصحيح وليس لقائل أن يقول لم قيل وهل يجازى إلا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن
لأنه لم يرد الجزاء العام وإنما أراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز أن يراد العموم وليس بموضعه ألا ترى أنك لو قلت جزيناهم
بما كفروا وهل يجازى إلا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين أن ما يتخيل من السؤال مضمحل وأن الصحيح الذي لا يجوز
غيره ما جاء عليه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه • وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا
فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين • القرى التي باركنا فيها هي قرى الشام
قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لأعين الناظرين أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة
لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم • وقدرنا فيها السير قيل كان الغادي منهم يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية
إلى أن يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء • سيروا فيها وقلنا لهم سيروا ولا قول ثم
ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه كأنهم أمروا بذلك وأذن لهم فيه • فإن قلت ما معنى قوله ليالي وأياما
قلت معناه سيروا فيها إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار فإن الأمن فيها لا يختلف باختلاف الأوقات • أو سيروا
فيها آمنين لا تخافون وإن تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت أياما وليالي • أو سيروا فيها لياليكم وأيامكم مدة أعماركم فإنكم
في كل حين وزمان لا تلقون فيها إلا الأمن • فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث
ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور • قرئ ربنا باعد بين أسفارنا وبعّد ويا ربنا على الدعاء
بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى
وقالوا لو كان جنى جناننا أبعد كان أجدر أن نشتهيه وتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها
ويتزودوا الأزواد فعجل الله لهم الإجابة • وقرئ ربنا بعد بين أسفارنا وبعد بين أسفارنا على النداء وإسناد الفعل إلى
بين ورفعه به كما تقول سير فرسخان • وبوعد بين أسفارنا • وقرئ ربنا باعد بين أسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا
على الابتداء والمعنى خلاف الأول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم كأنهم كانوا يتشاجون
على ربهم ويتحازنون عليه • أحاديث يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم وفرقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا
يقولون ذهبوا أيدي سبا وتفرقوا أيادي سبا • قال كثير: أيادي سبا يا عز ما كنت بعدكم فلم يحل بالعينين بعدك
منظر • لحق غسان بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والأزد بعمان • صبار عن المعاصي شكور للنعم • ولقد صدق

عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين • قرئ صدق بالتشديد والتخفيف ورفع إبليس ونصب الظن فمن شدد فعلى
حقق عليهم ظنه أو وجده صادقا ومن خفف فعلى صدق في ظنه أو صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك • وبنصب إبليس
ورفع الظن فمن شدد فعلى وجد ظنه صادقا ومن خفف فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله إغواءهم يقولون صدقك
ظنك • وبالتخفيف ورفعهما على صدق عليهم ظن إبليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة في صدق
كقوله صدقت فيهم ظنوني • ومعناه أنه حين وجد آدم ضعيف العزم قد أصغى إلى وسوسته قال إن ذريته أضعف
عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لأضلنهم لأغوينهم • وقيل ظن ذلك عند إخبار الله تعالى الملائكة أنه يجعل فيها من يفسد
فيها • والضمير في عليهم واتبعوه إما لأهل سبأ أو لبني آدم • وقلل المؤمنين بقوله تعالى إلا فريقا لأنهم قليل بالإضافة
إلى الكفار كما قال تعالى لأحتنكن ذريته إلا قليلا ولا تجد أكثرهم شاكرين • وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم
من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ • وما كان له عليهم من تسلط واستيلاء بالوسوسة
والاستغواء إلا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك أن يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق
به العلم • وقرئ ليعلم على البناء للمفعول • حفيظ فعيل ومفاعل متآخيان • قل ادعوا الذين زعمتم
من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير • قل
لمشركي قومك ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الأصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله والتجئوا إليهم
فيما يعروكم كما تلتجئون إليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون أن يستجيب لكم ويرحمكم • ثم أجاب عنهم
بقوله تعالى لا يملكون مثقال ذرة من خير أو شر أو نفع أو ضر في السموات والأرض • وما لهم في هذين الجنسين من شركة في
الخلق ولا في الملك كقوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والأرض • وما له منهم من عوين يعينه على تدبير خلقه يريد أنهم
على هذه الصفة من العجز والبعد عن أحوال الربوبية فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى • فإن قلت أين مفعولا
زعم • قلت أحدهما الضمير المحذوف الراجع منه إلى الموصول • وأما الثاني فلا يخلو إما أن يكون من دون الله أو لا يملكون أو
محذوفا فلا يصح الأول لأن قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما • ولا الثاني لأنهم ما كانوا يزعمون ذلك فكيف يتكلمون بما هو
حجة عليهم وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي أن يكون محذوفا تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع إلى الموصول
كما حذف في قوله أهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لأنه موصوف صفته
من دون الله والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إذا كان مفهوما فإذن مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين
ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير
تقول الشفاعة لزيد على معنى أنه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى أنه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع
الشفاعة عنده إلا لمن أذن له أن يكون على أحد هذين الوجهين أي لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له من الشافعين ومطلقة له
أو ولا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له أي لشفيعه أو هي اللام الثانية في قولك أذن لزيد لعمرو
أي لأجله وكأنه قيل إلا لمن وقع الإذن للشفيع لأجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب
لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله • فإن قلت بم اتصل قوله تعالى حتى إذا فزع عن قلوبهم ولأي
شيء وقعت حتى غاية • قلت بما فهم من هذا الكلام من أن ثم انتظارا للإذن وتوقعا وتمهلا وفزعا
من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أو لا يؤذن وأنه لا يطلق الإذن إلا بعد ملي من الزمان وطول
من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله سبحانه وتعالى رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون
منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا كأنه قيل
يتربصون ويتوقفون مليا فزعين وهلين • حتى إذا فزع عن قلوبهم أي كشف الفزع عن قلوب
الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في إطلاق الإذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا
ماذا قال ربكم قالوا قال الحق أي القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى • وعن ابن عباس عن النبي صلى الله

عليه وسلم فاذا اذن لمن اذن ان يشفع فزعته الشفاعة • وقرئ أذن له اي اذن له الله • وأذن
له على البناء للمفعول • وقرئ أذن رحمة الله عليه فزع مخففا بمعنى فزع • وقرئ فزع على البناء للفاعل
وهو الله وحده • وفرغ اي نفي الوجل عنها وافني من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء ثم ترك ذكر الوجل
واسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد اذا علم ما المدفوع وقد يخفف واصله فرغ الوجل عنها اي
انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور • وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها
• وعن ابي علقمة انه هاج به المرار فالتف عليه الناس فلما افاق قال ما لكم تكاكأتم علي تكاكؤكم على ذي
جنة افرنقعوا عني والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زيادة
الراء • وقرئ الحق بالرفع اي مقوله الحق • وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم
الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى • قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى
او في ضلال مبين • امره بان يقررهم بقوله تعالى من يرزقكم ثم امره بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله
يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لان الذي تمكن في صدورهم
من العناد وحب الشرك قد الجم افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان تفوهوا بان الله رازقهم لزمهم
ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق الا ترى الى قوله قل من يرزقكم من السماء
والارض امن يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق الا الضلال فكانهم كانوا يقرون
بالسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون عنادا وضرارا وحذرا من الزام الحجة ونحوه قوله سبحانه وتعالى قل من رب
السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا وامره ان يقول لهم بعد الالزام
والالجام الذي ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه • وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ومعناه
وان احد الفريقين من الذين يتوحدون بالرزق من السموات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف
بالقدرة لعلى احد الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال او مناف قال
لمن خوطب به قد انصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين
على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية اوصل بالمجادل الى الغرض واهجم به على الغلبة مع قلة
شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه قد علم الله الصادق مني ومنك وان احدنا لكاذب ومنه بيت
حسان • اتهجوه ولست له بكفؤ • فشركما لخيركما الفداء • فان قلت كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على
الحق والضلال قلت لان صاحب الحق كانه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كانه منغمس في ظلام
مرتبك فيه لا يدري اين يتوجه • وفي قراءة ابي وانا او اياكم اما على هدى او في ضلال مبين • قل لا تسألون عما
اجرمنا ولا نسأل عما تعملون • قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم • قل اروني
الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم • هذا ادخل في الانصاف وابلغ فيه من الاول حيث اسند
الاجرام الى المخاطبين والعمل الى المخاطبين وان اريد بالاجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر
والمعاصي العظام وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله انه يدخل هؤلاء الجنة واولئك النار • فان قلت ما معنى
قوله اروني وكان يراهم ويعرفهم قلت اراد بذلك ان يريهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء بالله وان
يقايس على اعينهم بينه وبين اصنامهم ليطلعهم على حالة القياس اليه والاشراك به • وكلا ردع لهم عن مذهبهم
بعد ما كسعه بابطال المقايسة كما قال ابرهيم عليه الصلوة والسلام اف لكم ولما تعبدون من دون الله
بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وان لم يقدروا الله حق قدره بقوله هو الله العزيز الحكيم كانه قال اين الذين
الحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع الى الله وحده او ضمير الشان كما في قوله تعالى قل هو الله احد • وما
ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون • الا كافة للناس الا ارسالة عامة

لهم محيطة

لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم • وقال الزجاج المعنى ارسلناك جامعا للناس في الانذار
والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا ان تكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما
عليه فقد اخطأ لان تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ
ثم لا يقنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطأ الاول الا بالخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطأين
• ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين • قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون
قرئ ميعاد يوم وميعاد يوم وميعادا يوما • والميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان وهو هاهنا الزمان
والدليل عليه قوله من قرأ ميعاد يوم فابدل منه اليوم • فان قلت فما تأويل من اضافه الى يوم
او نصب يوما • قلت اما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية واما النصب
فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد اعني يوما او اريد يوما من صفته كيت وكيت • ويجوز ان
يكون الرفع على هذا اعني التعظيم • فان قلت كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم • قلت ما سألوا عن ذلك وهم
منكرون له الا تعنتا لا استرشادا فجاء تأويله على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال على سبيل الانكار والتعنت وانهم
مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه • وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن
ولا بالذي بين يديه • الذي بين يديه ما نزل قبل القرآن من كتب الله • يروى ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب فاخبروهم
انهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب
الله في الكفر فكفروا بها جميعا • وقيل الذي بين يديه يوم القيمة والمعنى انهم جحدوا ان يكون القرآن من الله تعالى او ان
يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة • ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى
بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين • ثم اخبر عن عاقبة امرهم
ومآلهم في الآخرة فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم او للمخاطب ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون اطراف
المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب • والمستضعفون هم الاتباع والمستكبرون الرؤس
والمقدمون • قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم
مجرمين • اولي الاسم اعني نحن حرف الانكار لان الغرض انكار ان يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات انهم
هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم اتوا من قبل اختيارهم كانهم قالوا انحن اجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم
ممكنين مختارين بعد اذ جاءكم الهدى وصممتم على الدخول في الايمان وصححتم نياتكم في اختياره بل انتم
منعتم انفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى واطعتم امر الشهوة دون امر النهى فكنتم مجرمين كافرين
لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا • فان قلت اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت اذ مضافا
اليها • قلت قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فاضيف اليها الزمان كما يضاف اليها الحين في قولك حينئذ
[illegible] • وقال الذين استضعفوا للذين
استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة
لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون • ان الذين استكبروا
لما انكروا ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك بسبب اختيارهم
كر عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فابطلوا اضرابهم باضرابهم كانهم قالوا ما كان الاجرام من
جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد • ومعنى مكر الليل والنهار
مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين
على الاسناد المجازي • وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين • وبل مكر الليل والنهار بالرفع
والنصب اي تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه • فان قلت ما وجه الرفع والنصب • قلت هو مبتدأ

على معنى بل سبب ذلك مكركم او مكرهم ثم سبب ذلك والنصب على بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار فان قلت
لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا قلت لان الذين استضعفوا مر اولا كلامهم
فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول والله اعلم
فان قلت من صاحب الضمير في واسروا قلت الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون في قوله
اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يندم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين
● في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالصريح للتنويه بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الاغلال ● وعن قتادة اسروا
الكلام بذلك بينهم ● وقيل اسروا الندامة اظهروها وهو من الاضداد ● وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال
مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون ● وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين ● هذه تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد
والمفاخرة بالدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن
نديا وانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة وكادوه
بنحو ما كادوه به وقاسوا امر الآخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امر الدنيا واعتقدوا انهم لو لم يكرموا على الله لما
رزقهم ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا وما نحن بمعذبين ارادوا انهم اكرم على الله من ان يعذبهم
نظرا الى احوالهم في الدنيا وقد ابطل الله حسبانهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح
فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس عليه امر الثواب الذي
مبناه على الاستحقاق ● وقدر الرزق تضييقه قال تعالى ومن قدر عليه رزقه وقرئ ويقدّر بالتشديد والتخفيف
قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون ● وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم
عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون ● والذين
يسعون في آياتنا معاجزين اولئك في العذاب محضرون ● اراد وما جماعة اموالكم ولا جماعة اولادكم بالتي تقربكم
وذلك ان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث ● ويجوز ان يكون التي هي التقوى وهي المقربة عند الله
زلفى وحدها اي ليست اموالكم بتلك الموصوفة بالتقريب ● وقرأ الحسن رحمه الله باللاتي تقربكم لانها جماعات ● وقرئ
بالذي يقربكم اي بالشيء الذي يقربكم ● والزلفى والزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب اي تقربكم قربة كقوله عز وجل
انبتكم من الارض نباتا ● الا من آمن استثناء من كم في تقربكم والمعنى ان الاموال لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي
ينفقها في سبيل الله والاولاد لا تقرب احدا الا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة ● جزاء
الضعف من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ● ومعنى
جزاء الضعف ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا ● وقرئ جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء ● وجزاء
الضعف على ان يجازوا الضعف ● وجزاء الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء ● وقرئ في الغرفات بضم الراء
وفتحها وسكونها وفي الغرفة ● قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو
يخلفه وهو خير الرازقين ● فهو يخلفه فهو يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال او بالقناعة التي هي كنز لا ينفد
واما آجلا بالثواب الذي كل خلف دونه ● وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم
ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن وما انفقتم من
شيء فهو يخلفه فان هذا في الآخرة ● ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه ● خير الرازقين واعلاهم رب العزة
لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده وسيد يرزق عبده او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله اجراه على ايدي
هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التي بها ينتفع المرزوق بالرزق ● وعن بعضهم الحمد لله الذي اوجدني وجعلني
ممن يشتهي فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهي ● ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم

كانوا يعبدون ● قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون
هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر اياك اعني واسمعي يا جارة ونحوه قوله عز وجل
أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم
من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض ان يقول ويقولوا ويسأل ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتعييرهم ابلغ وخجلهم
اعظم وهوانهم الزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص عليه ● والموالاة خلاف المعاداة ومنها في
اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهي مفاعلة من الولي وهو القرب كما ان المعاداة من العدو وهو البعد
● والولي يقع على الموالي والموالى جميعا والمعنى انت الذي نواليه من دونهم اذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة
الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك ●
بل كانوا يعبدون الجن يريدون الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله ● وقيل صورت لهم الشياطين صورة قوم
من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها
● وقرئ نحشرهم ونقول بالنون والياء ● فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا
عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ● الامر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه احد منفعة ولا مضرة لاحد لان
الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها مخلى
بينهم يتضارون وينافعون والمراد انه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو ثم ذكر معاقبة الظالمين بقوله تعالى
ونقول للذين ظلموا عطفا على لا يملك ● واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم
عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر
مبين ● الاشارة الاولى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ● والثانية الى القرآن ● والثالثة الى الحق والحق امر النبوة
كله ودين الاسلام كما هو وفي قوله وقال الذين كفروا وفي ان لم يقل وقالوا وفي قوله للحق لما جاءهم وما في اللامين من الاشارة
الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن انكار عظيم وغضب شديد وتعجب من
امرهم بليغ كانه قال وقال اولئك الكفرة المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير
قبل ان يذوقوه ان هذا الا سحر فبتوا على انه سحر ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحرا ● وما آتيناهم من كتب
يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير ● وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم
فكذبوا رسلي فكيف كان نكير ● وما آتيناهم كتبا يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك
ولا ارسلنا اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال الله سبحانه وتعالى ام انزلنا عليهم سلطانا
فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ● او وصفهم بانهم قوم اميون اهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال
كتاب ولا بعثة رسول كما قال تعالى ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا
شبهة متعلق كما يقول اهل الكتاب وان كانوا مبطلين نحن اهل كتب وشرائع ومستندون الى رسل من رسل الله
ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله تعالى وكذب الذين تقدموهم من الامم والقرون الخالية كما كذبوا ● وما بلغ هؤلاء
بعض ما آتينا اولئك من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكاري بالتدمير والاستئصال
ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء ● وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس
او من درّس الكتاب ودرّس الكتب ● ويدّرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس ● والمعشار كالمرباع وهما
العشر والربع ● فان قلت ما معنى فكذبوا رسلي وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم قلت
لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا
عنه ونظيره ان يقول القائل اقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ● ويجوز ان ينعطف على قوله وما
بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فتفضل عليه فكيف كان نكيري للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله

قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد • بواحدة بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله ان تقوموا على انه عطف بيان لها واراد بقيامهم اما القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده • واما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين ولكن الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة • والمعنى انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا ثم تتفكروا في امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به • اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه • وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير ان يكابرها ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري احوالهم • والذي اوجب تفرقهم مثنى وفرادى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل الانصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب • واراهم بقوله ما بصاحبكم من جنة ان هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والاخرة جميعا لا يتصدى لادعاء مثله الا رجلان اما مجنون لا يبالي بافتضاحه اذا طولب بالبرهان فعجز بل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب واما عاقل راجح العقل مرشح للنبوة مختار من اهل الدنيا لا يدعيه الا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه والا فما يجدي على العاقل دعوى شيء لا بينة له عليه وقد علمتم ان محمدا ما به من جنة بل علمتموه ارجح قريش عقلا وارزنهم حلما واثقبهم ذهنا واصلهم رايا واصدقهم قولا وانزههم نفسا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لان تظنوا به الخير وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب واذا فعلتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بان ياتيكم بآية فاذا اتى بها تبين انه نذير مبين • فان قلت ما بصاحبكم بم يتعلق • قلت يجوز ان يكون كلاما مستانفا تنبيها من الله عز وجل على طريقة النظر في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم • ويجوز ان يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة • وقد جوز بعضهم ان تكون ما استفهامية • بين يدي عذاب شديد كقوله عليه الصلوة والسلام بعثت في نسم الساعة • قل ما سالتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد • قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب • فهو لكم جزاء الشرط الذي هو قوله ما سالتكم من اجر تقديره اي شيء سالتكم من اجر كقوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة وفيه معنيان احدهما نفي مسالة الاجر راسا كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه شيئا ولكن يريد البتة لتعليقه الاخذ بما لم يكن • والثاني ان يريد بالاجر ما اراد في قوله تعالى قل ما اسالكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وفي قوله تعالى لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى لان اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة في القرابة لان القرابة قد انتظمته واياهم • على كل شيء شهيد حفيظ مهيمن يعلم اني لا اطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الا منه ولا اطمع منكم في شيء • القذف والرمي تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الالقاء • ومنه قوله عز وعلا وقذف في قلوبهم الرعب ان اقذفيه في التابوت • ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى انبيائه او يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه • علام الغيوب رفع محمول على محل ان واسمها او على المستكن في يقذف او هو خبر مبتدا محذوف • وقرى بالنصب صفة لربي او على المدح • وقرى الغيوب بالحركات الثلاث فالغيوب كالبيوت • والغيوب كالصبور وهو الامر الذي غاب وخفي جدا • قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد • والحي اما ان يبدئ فعلا او يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا في الهلاك ومنه قول عبيد • اقفر من اهله عبيد • فاليوم لا يبدي ولا يعيد • والمعنى جاء الحق وهلك الباطل • وعن ابن مسعود رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد • والحق القرآن وقيل الاسلام وقيل السيف • وقيل الباطل ابليس اي ما ينشئ خلقا ولا يعيده المنشئ والباعث هو الله • وعن الحسن لا يبدئ لاهله خيرا ولا يعيده اي لا ينفعهم في الدنيا والاخرة • وقال الزجاج اي شيء ينشئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام • وقيل للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل ولانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك • قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب • وقرى ضللت اضل بفتح العين مع كسرها • وضللت اضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ضللت اضل وظللت اظل • وقرى اضل بكسر الهمزة • فان قلت اين التقابل بين قوله فانما اضل على نفسي وقوله فبما يوحي الي ربي وانما كان يستقيم ان يقال فانما اضل على نفسي وان اهتديت فانما اهتدي لها كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها او يقال فانما اضل بنفسي • قلت هما متقابلان من جهة المعنى لان النفس كل ما عليها فهو بها اعني ان كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء • وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه • هذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسوله ان يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره اولى به • انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شيء • ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب • ولو ترى جوابه محذوف يعني لرايت امرا عظيما وحالا هائلة • ولو واذ والافعال التي هي فزعوا واخذوا وحيل بينهم كلها للمضي والمراد بها الاستقبال لان ما الله فاعل في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه • ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر • وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في خسف البيداء وذلك ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم • فلا فوت فلا يفوتون الله ولا يسبقونه • وقرى فلا فوت • والاخذ من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا او من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم • فان قلت علام عطف قوله واخذوا • قلت فيه وجهان احدهما العطف على فزعوا اي فزعوا واخذوا فلا فوت لهم او على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا • وقرى واخذ وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك اخذ • وقالوا آمنا به وانى لهم التناوش من مكان بعيد • آمنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم من جنة • والتناول والتناوش اخوان الا ان التناوش تناول سهل لشيء قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين ايمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه • وقرى التناؤش همزت الواو المضمومة كما همزت في اجؤه وادؤر • وعن ابي عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت وتاخرت ومنه البيت • تمنى نئيشا ان يكون اطاعني • اي اخيرا • وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد • ويقذفون معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا يتكلمون بالغيب ويأتون به من بعيد وهو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان ابعد شيء مما جاء به السحر والشعر وابعد شيء من عادته التي عرفت بينهم وجربت الكذب والزور • ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول اي ياتيهم به شياطينهم ويلقنونهم اياه • وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على انه مثلهم في طلبهم تحصيل

ما أعطوه من الإيمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئاً من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد أن يقع فيه لكونه غائباً عنه شاحطاً. والغيب الشيء الغائب ويجوز أن يكون الضمير للعذاب الشديد في قوله تعالى بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين إن كان الأمر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا قايسين أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لأن دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف. وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب. ما يشتهون من نفع الإيمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة أو من الرد إلى الدنيا كما حكي عنهم ارجعنا نعمل صالحاً. بأشياعهم بأشباههم من كفرة الأمم ومن كان مذهبه مذهبهم. مريب إما من أرابه إذا أوقعه في الريبة والتهمة أو من أراب الرجل إذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز إلا أن بينهما فريقاً وهو أن المريب من الأول منقول ممن يصح أن يكون مريباً من الأعيان إلى المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك إلى الشك كما تقول شعر شاعر. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي إلا كان له يوم القيامة رفيقاً ومصافحاً صدق رسول الله

سورة الملائكة وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير. فاطر السموات مبتدئها ومبتدعها. وعن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى اختصم إلي أعرابيان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها. وقرئ الذي فطر السموات والأرض وجعل الملائكة. وقرئ جاعل الملائكة بالرفع على المدح. ورسلاً بضم السين وسكونه. أولي أجنحة أصحاب أجنحة. وأولو اسم جمع لذو كما أن أولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في المتمكنة المخاض والخلفة. مثنى وثلاث ورباع صفات لأجنحة وإنما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك أنها عدلت عن ألفاظ الأعداد عن صيغ إلى صيغ أخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير إلى غير تكرير وأما الوصفية فلا يفترق الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها ألا تراك تقول مررت بنسوة أربع وبرجال ثلاثة فلا يعرج عليها. والمعنى أن من الملائكة خلقاً أجنحتهم اثنان اثنان أي لكل واحد منهم جناحان وخلقاً أجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقاً أجنحتهم أربعة أربعة. يزيد في الخلق ما يشاء أي يزيد في خلق الأجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته والأصل الجناحان لأنهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الأصل وذلك أقوى للطيران وأعون عليه. فإن قلت قياس الشفع من الأجنحة أن يكون في كل شق نصفه فما صورة الثلاثة. قلت لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة أو لعله لغير الطيران فقد مر بي في بعض الكتب أن صنفاً من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان يلفون بهما أجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الأمر من أمور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح. وروي أنه سأل جبريل عليه الصلاة والسلام أن يتراءى له في صورته فقال إنك لن تطيق ذلك قال إني أحب أن تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام في صورته فغشي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أفاق وجبريل مسنده وإحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت أرى أن شيئاً من الخلق هكذا فقال جبريل عليه الصلاة والسلام فكيف لو رأيت إسرافيل له اثنا عشر ألف جناح جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وإن العرش على كاهله وإنه ليتضاءل الأحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن. وقيل الخط الحسن. وعن قتادة الملاحة في العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في

الأعضاء

الأعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الرأي وجرأة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تأتٍّ في مزاولة الأمور وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف. ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم. استعير الفتح للإطلاق والإرسال ألا ترى إلى قوله فلا مرسل له من بعده مكان لا فاتح له يعني أي شيء يطلق الله من رحمة أي من نعمة رزق أو مطر أو صحة أو أمن أو غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها وتنكير الرحمة للإشاعة والإبهام كأنه قال من أية رحمة كانت سماوية أو أرضية فلا أحد يقدر على إمساكها وحبسها وأي شيء يمسك الله فلا أحد يقدر على إطلاقه. فإن قلت لم أنث الضمير أولاً ثم ذكر آخراً وهو راجع في الحالين إلى الاسم المتضمن معنى الشرط. قلت هما لغتان الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فأنث على معنى الرحمة وذكر على أن لفظ المرجوع إليه لا تأنيث فيه ولأن الأول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على أصل التذكير. وقرئ فلا مرسل لها. فإن قلت لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره. قلت يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الأول وكأنه ترك لدلالة الأول عليه وأن يكون مطلقاً في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وإنما فسر الأول دون الثاني للدلالة على أن رحمته سبقت غضبه. فإن قلت فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه إلى ابن عباس رضي الله عنهما. قلت إن أراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذي أراده ابن عباس رضي الله عنه إن قاله فمقبول وإن أراد أنه إن شاء أن يتوب العاصي تاب وإن لم يشأ لم يتب فمردود لأن الله تعالى يشاء التوبة أبداً ولا يجوز عليه أن لا يشاءها. من بعده من بعد إمساكه كقوله تعالى فمن يهديه من بعد الله فبأي حديث بعد الله أي من بعد هدايته وبعد آياته. وهو العزيز الغالب القادر على الإرسال والإمساك الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة إرساله وإمساكه. يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون. ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب وحفظها من الكفران والغمط وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه اذكر أيادي عندك يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع لأن جميعهم مغمورون في نعمة الله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد يا أهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث أسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم. وعنه نعمة الله العافية. وقرئ غير الله بالحركات الثلاث فالجر والرفع على الوصف لفظاً ومحلاً والنصب على الاستثناء. فإن قلت ما محل يرزقكم. قلت يحتمل أن يكون له محل إذا أوقعته صفة لخالق وأن لا يكون له محل إذا رفعت محل من خالق بإضمار يرزقكم وأوقعت يرزقكم تفسيراً له أو جعلته كلاماً مبتدأ بعد قوله تعالى هل من خالق غير الله. فإن قلت هل فيه دليل على أن الخالق لا يطلق على غير الله تعالى. قلت نعم إن جعلت يرزقكم كلاماً مبتدأ وهو الوجه الثالث من الأوجه الثلاثة وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والأرض وخرج من الإطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالإطلاق. والرزق من السماء المطر ومن الأرض النبات. لا إله إلا هو جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لأن قولك هل من خالق آخر سوى الله لا إله إلا ذلك الخالق غير مستقيم لأن قولك هل من خالق سوى الله إثبات له فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضاً بالنفي بعد الإثبات. فأنى تؤفكون فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك. وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور. نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بأن له في الأنبياء قبله أسوة حسنة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الأمور إلى حكمه ومجازاة المكذِّب والمكذَّب بما يستحقانه. وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها. فإن قلت ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء أن يتعقب الشرط وهذا سابق له. قلت معناه وإن يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك. موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب أعني بالتكذيب عن

تأتي • فإن قلت ما معنى التنكير في رسل • قلت معناه فقد كذبت رسل أي رسل ذوو عدد كثير وأولو
آيات ونذر وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم وما أشبه ذلك وهذا أسلى له وأحث على المصابرة • يا أيها الناس
إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور • وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب • فلا تغرنكم
فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله • ولا يغرنكم بالله
الغرور ولا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فإن الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة • والغرور الشيطان لأن ذلك ديدنه
وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك ويجوز أن يكون جمع غار كقاعد وقعود • إن الشيطان لكم
عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير • أخبرنا الله عز وجل
أن الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل بأبينا آدم صلوات الله وسلامه عليه وكيف
انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا
فوعظنا عز وجل بأنه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو أعرق في العداوة منه وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له
بحاله • فاتخذوه عدوا في عقائدكم وأفعالكم ولا يوجدن منكم إلا ما يدل على معاداته ومناصبته في
سركم وجهركم ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذي يؤمه في دعوة شيعته ومتبعي خطواته
هو أن يوردهم مورد الشقوة والهلاك وأن يكونوا من أصحاب السعير • الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير • ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الأطماع الفارغة
والأماني الكاذبة فبنى الأمر كله على الإيمان والعمل وتركهما • أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله
يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون • لما
ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا قال لنبيه أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا يعني أفمن زين له سوء عمله من
هذين الفريقين كمن لم يزين له فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال فإن الله يضل من يشاء ويهدي
من يشاء • فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ومعنى تزيين العمل والإضلال واحد وهو أن يكون العاصي على صفة
لا تجدي عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله تعالى إياه وتخليته وشأنه فعند ذلك يهيم في الضلال
ويطلق آمره النهي ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا كأنما غلب على عقله وسلب تمييزه
ويقعد تحت قول أبي نواس • اسقني حتى تراني حسنا عندي القبيح • وإذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم
وشأنهم فإن على الرسول أن لا يهتم بأمرهم ولا يلقي بالا إلى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله في خذلانهم
وتخليتهم • وذكر الزجاج أن المعنى أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب
نفسك عليه • أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليه
حسرات مفعول له يعني فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا
أو هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته • ويجوز أن يكون حالا كأن
كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير • مشق الهواجر لحمهن مع السرى • حتى ذهبن كلاكلا وصدورا
يريد حتى ذهبن كلاكلا وصدورا أي لم يبق إلا كلاكلها وصدورها ومنه قوله • فعلى إثرهم تساقط نفسي حسرات
وذكرهم لي سقام • وقرئ فلا تذهب نفسك • إن الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم
والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور
وقرئ أرسل الريح • فإن قلت لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده • قلت ليحكي الحال التي
يقع فيها إثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل
فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك كما قال تأبط شرا • بأني قد لقيت الغول تهوي
بسهب كالصحيفة صحصحان • فأضربها بلا دهش فخرت • صريعا لليدين وللجران • لأنه قصد أن يصور لقومه

السهب الفلاة والصحيفة الكتاب ومنه التصحيف
الخطأ في الصحيفة والصحصحان والصحصاح
المكان المستوي والجران مقدم العنق من المذبح إلى المنحر

الحالة التي

الحالة التي تشجع فيها ابن عمه على ضرب الغول كأنه يبصرهم إياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جرأته
على كل هول وثباته عند كل شدة • وكذلك سوق السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها لما كانا من
الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا وأحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدل
عليه والكاف في كذلك في محل الرفع أي مثل إحياء الموات نشور الأموات • وروي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه فقال عليه الصلاة والسلام هل مررت بوادي أهلك محلا ثم مررت به
يهتز خضرا قال نعم قال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه • وقيل يحيي الله الموتى بماء يرسله من تحت
العرش كمني الرجال تنبت منه أجساد الخلق • من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور • كان الكافرون يتعززون
بالأصنام قال الله سبحانه وتعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا • والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة
قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن
العزة لله جميعا فبين أن لا عزة إلا لله ولأوليائه وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين • والمعنى فليطلبها عند الله
فوضع قوله تعالى فلله العزة جميعا موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لأن الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه
ونظيره قولك من أراد النصيحة فهي عند الأبرار تريد فليطلبها عندهم إلا أنك أقمت ما يدل عليه مقامه • ومعنى فلله
العزة جميعا أن العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة ثم عرف أن ما تطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح
بقوله تعالى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه • والكلم الطيب لا إله إلا الله عن ابن عباس رضي الله عنه
يعني أن هذه الكلم لا تقبل ولا تصعد إلى السماء فتكتب حيث تكتب الأعمال المقبولة كما قال عز وجل إن كتاب الأبرار لفي عليين
إلا إذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها وأصعدها • وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لأنه لا يقبل عمل
إلا من موحد • وقيل الرافع هو الله والمرفوع العمل • وقيل الكلم الطيب كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة
قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك • وعن النبي صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله
ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحيا بها وجه الرحمن فإذا لم يكن عمل صالح
لم يقبل منه • وفي الحديث لا يقبل الله قولا إلا بعمل ولا يقبل قولا ولا عملا إلا بنية ولا نية إلا بإصابة السنة
وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر • وقرئ إليه يصعد الكلم الطيب
على البناء للمفعول • وإليه يصعد الكلم الطيب على تسمية الفاعل من أصعد والمصعد هو الرجل أي يصعد إلى
الله عز وجل الكلم الطيب • وإليه يصعد الكلام الطيب • وقرئ والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع
الكلم أو الله عز وجل • فإن قلت مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فبم نصب السيئات • قلت
هذه صفة للمصدر أو لما في حكمه كقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله أصله والذين مكروا المكرات السيئات أو
أصناف المكر السيئات وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداوروا الرأي في إحدى ثلاث
مكرات يمكرونها برسول الله صلى الله عليه وسلم إما إثباته أو قتله أو إخراجه كما حكى الله سبحانه وتعالى عنهم
وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك • ومكر أولئك هو يبور يعني ومكر أولئك الذين مكروا تلك المكرات
الثلاث هو خاصة • يبور أي يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قليب بدر
فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيئ
إلا بأهله • والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر
من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير • أزواجا أصنافا أو ذكرانا وإناثا كقوله تعالى
أو يزوجهم ذكرانا وإناثا • وعن قتادة زوج بعضكم بعضا • إلا بعلمه في موضع الحال أي إلا معلومة له • فإن قلت
ما معنى قوله تعالى وما يعمر من معمر • قلت معناه وما يعمر من أحد وإنما سماه معمرا بما هو صائر إليه

فإن قلت

الانسان اما معمر اي طويل العمر او منقوص العمر اي قصيره فاما ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تاويله بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وما تنعمت بلدا ولا اجتويته الا قل فيه ثوائي وفيه تاويل آخر وهو انه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب وصورته ان يكتب في اللوح ان حج فلان او غزا فعمره اربعون سنة وان حج وغزا فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا افرد احدهما فلم يتجاوز به الاربعين فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وعن كعب انه قال حين طعن عمر رضي الله عنه لو ان عمر رضي الله عنه دعا الله لاخر في اجله فقيل لكعب اليس قد قال الله عز وجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله تعالى وما يعمر من معمر وقد استفاض على الالسنة اطال الله بقاءك وفسح في مدتك وما اشبهه وعن سعيد بن جبير يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى ياتي على آخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة والكتاب اللوح عن ابن عباس رضي الله عنهما ويجوز ان يراد بكتاب الله علم الله او صحيفة الانسان وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ضرب البحرين العذب والمالح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه ومن كل اي ومن كل واحد منهما تاكلون لحما طريا وهو السمك وتستخرجون حلية وهي اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه في كل مواخر شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الماء كانها تقشره كما تمخره من فضله من فضل الله ولم يجر له ذكر في الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه وحرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة الا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كانما قيل لتبتغوا ولتشكروا والفرات الذي يكسر العطش والسائغ المريء السهل الانحدار لعذوبته وقرئ سيغ بوزن سيد وسيغ بالتخفيف وملح على فعل والاجاج الذي يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ذلكم مبتدأ والله ربكم له الملك اخبار مترادفة او الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة في قران قوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ويجوز في حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم خبر لولا ان المعنى يأباه والقطمير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ان تدعوا الاوثان لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتمثيل لما استجابوا لكم لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية ويتبرؤن منها وقيل ما نفعوكم ويكفرون بشرككم باشراككم لهم وعبادتكم اياهم يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما

بالخبرة

بالخبرة به وقرئ يدعون بالياء والتاء يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد فان قلت لم عرف الفقراء قلت قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان افقر وقد شهد الله سبحانه وتعالى على الانسان بالضعف في قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وقال الله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء فان قلت قد قوبل الفقراء بالغني فما فائدة الحميد قلت لما اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما فاذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه والحميد على السنة مؤمنيهم ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له اندادا وكفرهم بآياته ومعاصيهم كما قال سبحانه وتعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس رضي الله عنهما يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئا ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير الوزر والوقر اخوان ووزر الشيء اذا حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيمة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤاخذ نفس بذنب نفس كما تاخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار فان قلت هلا قيل ولا تزر نفس وزر اخرى ولم قيل وازرة قلت لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها فان قلت كيف توفق بين هذا وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت تلك الآية في الضالين المضلين وانهم يحملون اثقال اضلال الناس مع اثقال ضلالهم وذلك كله اوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء فان قلت ما الفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء قلت الاول في الدلالة على عدل الله في حكمه وانه تعالى لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في ان لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد اثقلتها الاوزار وبهظتها لو دعت الى ان يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابتها من اب او ولد او اخ فان قلت الام اسند كان في ولو كان ذا قربى قلت الى المدعو المفهوم من قوله وان تدع مثقلة فان قلت لم ترك ذكر المدعو قلت ليعم ويشمل كل مدعو فان قلت كيف استقام اضمار العام ولا يصح ان يكون العام ذا قربى للمثقلة قلت هو من العموم الكائن على طريق البدل فان قلت ما تقول فيمن قرا ولو كان ذو قربى على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة قلت نظم الكلام احسن ملاءمة للناقصة لان المعنى على ان المثقلة ان دعت احدا الى حملها لا يحمل منه شيء وان كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساق الكلام والتئامه على ان ههنا ما ساغ ان يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما اوردته بالغيب حال من الفاعل او المفعول اي يخشون ربهم غائبين عن عذابه او يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصحابه فكانت عادتهم المستمرة ان يخشوا الله وهم الذين اقاموا الصلوة وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعني انما تقدر على انذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم واهل عنادهم ومن تزكى ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي والى الله المصير وعد للمتزكين بالثواب فان قلت كيف اتصل قوله تعالى انما تنذر بما قبله قلت لما غضب عليهم في قوله تعالى ان يشا يذهبكم

قوله بعض قرابتها اي بعض ذي قرابتها قال المطرزي في المغرب قريب خلاف بعيد في المكان والقربة في المنزلة والقرابة والقربى في الرحم ...

انتفعنا بالانذار يوم القيمة وذكر لها وقال الهاتني كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعهم ان
فلينتفع ذوي الفاقة ... وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور
ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير
الاعمى والبصير مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما او للصنم والله عز وجل
والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤديان اليه من الثواب والعقاب والاحياء والاموات
مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا فيه واصروا على الكفر والحرور السموم الا ان السموم يكون
بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل فان قلت لا المقرونة بواو العطف ما هي قلت
اذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتاكيد معنى النفي فان قلت هل من فرق بين هذه الواوات قلت
بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر ان الله يسمع من يشاء يعني انه قد علم من يدخل
في الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدي الذي قد علم ان الهداية تنفع فيه ويخذل من علم انها لا تنفع فيه واما
انت فخفي عليك امرهم فلذلك تحرص على اسلام قوم من المخذولين ومثلك في ذلك مثل من
يريد ان يسمع المقبورين وينذرهم وذلك ما لا سبيل اليه ثم قال ان انت الا نذير اي ما عليك الا ان تبلغ وتنذر
فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك ويحتمل ان الله يسمع من يشاء انه قادر
على ان يهدي المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والالجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق واما
انت فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا
وان من امة الا خلا فيها نذير بالحق حال من احد الضميرين يعني محقا او محقين او صفة للمصدر
اي ارسالا مصحوبا بالحق او صلة لبشيرا ونذيرا على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق والامة الجماعة
الكثيرة قال تعالى وجد عليه امة من الناس ويقال لاهل كل عصر امة وفي حدود المتكلمين الامة هم
المصدقون بالرسول دون المبعوث اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم والمراد ههنا اهل العصر فان قلت
كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام لم يخل فيها نذير قلت اذا كانت آثار النذارة
باقية لم تخل من نذير الى ان تندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
فان قلت كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الاية بعد ذكرهما قلت لما كانت النذارة مشفوعة
بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتمل الاية على ذكرهما وان يكذبوك فقد كذب
الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم اخذت الذين كفروا
فكيف كان نكير بالبينات بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات وبالزبر وبالصحف وبالكتاب
المنير نحو التوراة والانجيل والزبور لما كانت هذه الاشياء في جنسهم اسند المجيء بها اليهم اسنادا مطلقا
وان كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد
بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما
يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور الوانها اجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب
وغيرها مما لا يحصر او هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها والجدد الخطط والطرائق قال
لبيد او مذهب جدد على الواحه ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبي جدتان
مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه وغرابيب معطوف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال
مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة هي الجبال الطوال السود فان قلت
الغربيب تاكيد للاسود يقال اسود غربيب واسود حلكوك وهو الذي ابعد في السواد واغرب فيه ومنه

الغراب ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد كقولك اصفر فاقع وابيض يقق وما اشبه ذلك قلت وجهه ان
يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرا لما اضمر كقول النابغة والمؤمن العائذات الطير وانما يفعل
لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف
في قوله تعالى ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول الى قولك ومن
الجبال مختلف الوانه كما قال ثمرات مختلفا الوانها ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه
يعني ومنهم بعض مختلف الوانه وقرئ الوانها وقرأ الزهري جدد بالضم جمع جديدة وهي الجدة
يقال جديدة وجدد وجدائد كسفين وسفائن وقد فسر بها قول ابي ذؤيب بصفحات وحشي جون
السراة له جدائد اربع وروي عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع الطرائق
والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض وقرئ والدواب مخففا ونظير هذا التخفيف قراءة من قرأ
ولا الضالين لانه كل واحد منهما فر من التقاء الساكنين فحرك ذاك اولهما وحذف هذا آخرهما وقوله كذلك
كاختلاف الثمرات والجبال المراد العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز
فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به
اقل كان آمن وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم له خشية وعن مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى وكفى بالمرء جهلا
ان يعجب بعلمه وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم فقال انما العالم من خشي الله وقيل نزلت في ابي بكر الصديق
رضي الله عنه وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه فان قلت هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول
في هذا الكلام او اخر قلت لا بد من ذلك فانك اذا قدمت اسم الله واخرت العلماء كان المعنى ان الذين
يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم واذا عملت على العكس انقلب المعنى الى انهم لا يخشون الا الله كقوله
تعالى ولا يخشون احدا الا الله وهما معنيان مختلفان فان قلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله
قلت لما قال الم تر بمعنى الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء وعدد آيات الله واعلام قدرته وآثار صنعه
وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته اتبع ذلك انما يخشى الله من عباده العلماء
كانه قال انما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعمل بما علمه وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا ارجو ان اكون اتقاكم لله واعلمكم به فان قلت فما وجه قراءة من قرأ انما يخشى الله
من عباده العلماء وهو عمر بن عبد العزيز رحمه الله ويحكى عن ابي حنيفة رحمه الله قلت الخشية في هذه
القراءة استعارة والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع
عباده ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة اهل
الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة
وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله
انه غفور شكور يتلون كتاب الله يداومون على تلاوته وهي شانهم وديدنهم وعن مطرف رحمه الله
هي آية القراء وعن الكلبي يأخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدي هم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عطاء هم المؤمنون يرجون خبر ان والتجارة طلب الثواب بالطاعة
وليوفيهم متعلق بلن تبور اي تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده اجورهم
وهي ما استحقوه من الثواب ويزيدهم من التفضل على المستحق وان شئت جعلت يرجون في موضع الحال على وانفقوا
راجين ليوفيهم اي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلاة والانفاق في سبيل الله لهذا الغرض وخبر ان قوله
تعالى انه غفور شكور على معنى غفور لهم شكور لاعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة والذي اوحينا اليك من الكتاب
هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير الكتاب القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض

مصدقاً حال مؤكدة لأن الحق لا ينفك عن هذا التصديق • لما بين يديه لما تقدمه من الكتب • لخبير بصير يعني أنه خبرك وأبصر أحوالك فرآك أهلاً لأن يوحي إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب • ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير • فإن قلت ما معنى قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب قلت فيه وجهان • أحدهما إنا أوحينا إليك القرآن ثم أورثناه من بعدك أي حكمنا بتوريثه • أو قال أورثناه وهو يريد نورثه لما عليه أخبار الله • الذين اصطفينا من عبادنا وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم رضي الله عنهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة لأن الله تعالى اصطفاهم على سائر الأمم وجعلهم أمة وسطاً ليكونوا شهداء على الناس وخصهم بكرامة الانتماء إلى أفضل رسل الله وحمل الكتاب الذي هو أفضل كتب الله تعالى ثم قسمهم إلى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجأ لأمر الله • ومقتصد وهو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً • وسابق من السابقين • والوجه الثاني أنه قدم إرساله في كل أمة رسولاً وأنهم كذبوا رسلهم وقد جاؤوهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال إن الذين يتلون كتاب الله فأثنى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر الأمم • واعترض بقوله تعالى والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا أي من بعد أولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده أهل الملة الحنيفية • جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير • فإن قلت فكيف جعلت جنات عدن بدلاً من الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار إليه بذلك قلت لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كأنه هو الثواب فأبدلت عنه جنات عدن • وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم لنفسه حذراً وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغترا بما رواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فإن شرط ذلك صحة التوبة لقوله تعالى عسى الله أن يتوب عليهم وقوله تعالى إما يعذبهم وإما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقراها اطلع على حقيقة الأمر ولم يعلل نفسه بالخدع • وقرئ سباق ومعنى بإذن الله بتيسيره وتوفيقه • فإن قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت للإيذان بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم والسابقون أقل من القليل • وقرئ جنة عدن على الإفراد كأنها جنة مختصة بالسابقين • وجنات عدن بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر أي يدخلون جنات عدن يدخلونها • ويدخلونها على البناء للمفعول • ويحلون من حليت المرأة فهي حال • ولؤلؤاً معطوفاً على محل من أساور ومن داخلة للتبعيض أي يحلون بعض أساور من ذهب كأنه بعض سابق لسائر الأبعاض كما سبق المسورون به غيرهم • وقيل إن ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ • ولولو بتخفيف الهمزة الأولى • وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور • وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة كقوله تعالى إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم • وعن ابن عباس رضي الله عنهما حزن الأعراض والآفات • وعنه حزن الموت • وعن الضحاك حزن إبليس ووسوسته • وقيل هم المعاش • وقيل حزن زوال النعم وقد أكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه أنه يعم كل حزن من أحزان الدين والدنيا حتى هذا • وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكأني بأهل لا إله إلا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن • وذكر الشكور دليل على أن القوم كثيرو الحسنات • الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب • المقامة بمعنى الإقامة يقال أقمت إقامة ومقاماً ومقامة • من

فضله من عطائه وإفضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذي هو التفضل لأن الثواب بمنزلة الأجر المستحق والتفضل كالتبرع • وقرئ لغوب بالفتح وهو اسم ما يلغب منه أي لا نتكلف عملاً يلغبنا أو مصدر كالقبول والولوع أو صفة للمصدر كأنه لغوب لغوب كقولك موت مائت • فإن قلت ما الفرق بين النصب واللغوب قلت النصب التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر المزاول له • وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة • والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور • فيموتوا جواب النفي ونصبه بإضمار أن • وقرئ فيموتون عطفاً على يقضى وإدخالاً في حكم النفي أي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله عز وجل ولا يؤذن لهم فيعتذرون • كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي وقرئ يجازى ويجزى كل كفور بالنون • وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل • يصطرخون يتصايحون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة قال كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها • واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته • فإن قلت هلا اكتفى بصالحاً كما اكتفى في قوله تعالى فارجعنا نعمل صالحاً وما فائدة زيادة غير الذي كنا نعمل على أنه يوهم أنهم يعملون صالحاً آخر غير الصالح الذي عملوه قلت فائدة زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به وأما الوهم فزائل لظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي ولأنهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحة كما قال الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً فقالوا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نحسبه صالحاً فنعمله • أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير • أولم نعمركم توبيخ من الله يعني نقول لهم • وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الإدغام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر إلا أن التوبيخ في المتطاول أعظم • وعن النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة • وعن مجاهد ما بين العشرين إلى الستين • وقيل ثماني عشرة وسبع عشرة • والنذير الرسول • وقيل الشيب • وقرئ وجاءتكم النذر • فإن قلت علام عطف وجاءكم النذير قلت على معنى أولم نعمركم لأن لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى إخبار كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير • إن الله عالم غيب السماوات والأرض إنه عليم بذات الصدور • إنه عليم بذات الصدور كالتعليل لأنه إذا علم ما في الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم • وذات الصدور مضمراتها وهي تأنيث ذو في نحو قول أبي بكر رضي الله عنه ذو بطن بنت خارجة جارية • وقوله لتغني عني ذا إنائك أجمعا • المعنى ما في بطنها من الحبل وما في إنائك من الشراب لأن الحبل والشراب يصحبان البطن والإناء ألا ترى إلى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معها وذو موضوع لمعنى الصحبة • هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً • يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة يجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى أنه جعلكم خلفاءه في أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ما بعده خسار • والمقت أشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امرأة أبيه مقتي لكونه ممقوتاً في كل قلب • وقيل خلفاء من قبلكم ممن هلك • قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً • أروني بدل من أرأيتم لأن معنى أرأيتم أخبروني كأنه قال أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الإلهية والشركة • أروني أي جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله أم لهم مع الله شركة في خلق السماوات

ام معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب ۝ او يكون الضمير في آتيناهم للمشركين كقوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم ۝ ام آتيناهم كتابا من قبله ۝ بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا ۝ لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تقرير الاسلاف للاخلاف والرؤساء للاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه ۝ ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا

كراهة ان تزولا او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع ۝ انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكها وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه الآية ۝ وقرئ ولو زالتا وان امسكهما جواب القسم في ولئن زالتا سد مسد الجوابين ۝ ومن الاولى مزيدة لتاكيد النفي والثانية للابتداء ۝ من بعده من بعد امساكه ۝ وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب اما ترك يهوديته بعد ثم قرأ هذه الآية ۝ واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا ۝ استكبارا في الارض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون الا سنت الاولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا ۝ بلغ

قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه ۝ وفي احدى الامم وجهان احدهما من بعض الامم ومن واحدة من الامم من اليهود والنصارى وغيرهم والثاني من الامة التي يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة ۝ ما زادهم اي النذير او مجيئه على التسبب في ان ازدادوا انفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم ۝ استكبارا بدل من نفورا او مفعول له على معنى فما زادهم الا نفورا للاستكبار وعلوا في الارض او حال بمعنى مستكبرين ومكر السيء اصله وان مكروا السيء اي المكر السيء فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف ويجوز ان يكون ومكر السيء معطوفا على نفورا ۝ فان قلت ما وجه قوله تعالى ومكر السيء ۝ قلت لعله للتخصيص لان المكر قد يكون سيئا وقد يكون حسنا ۝ ومعنى يحيق يحيط وينزل ۝ وقرئ ولا يحيق المكر السيء اي لا يحيق الله او تحقق بهم يوم بدر ۝ وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيء الا باهله ۝ ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على انفسكم ۝ وعن كعب انه قال لابن عباس قرات في التوراة من حفر مهواة وقع فيها قال انا وجدت ذلك في كتاب الله وقرأ الآية ۝ وفي امثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا ۝ وقرأ حمزة ومكر السيء باسكان الهمزة وذلك لاستثقال الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا او وقف وقفة خفيفة ثم ابتدا ولا يحيق ۝ وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه ومكرا سيئا ۝ سنت الاولين انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الامم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له وبين ان عادته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها اي لا يغيرها وان ذلك مفعول له لا محالة ۝ اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا ۝ واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم في رحلاتهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم ۝ ليعجزه ليسبقه ويفوته ۝ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا ۝ بما كسبوا بما اقترفوا من معاصيهم ۝ على ظهرها على ظهر الارض ۝ من دابة من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم ۝ وقيل المراد بني آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم ۝ وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يعذب في جحره بذنب ابن آدم ثم تلا هذه الآية ۝ وعن انس رضي الله عنه

ان الضب ليموت هزلا في جحره بذنب ابن آدم ۝ وقيل يحبس المطر فيهلك كل شيء ۝ الى اجل مسمى الى يوم القيامة ۝ فان الله كان بعباده بصيرا ۝ وعيد للمجرمين ۝ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت ۝ صدق الله وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه اجمعين

سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ يس والقرآن الحكيم ۝ انك لمن المرسلين ۝ على صراط مستقيم

قرئ ياسين بالفتح كاين وكيف او بالنصب على اتل ياسين وبالكسر على الاصل كجير وبالرفع على هذه ياسين او بالضم كحيث وفخمت الالف وامليت ۝ وعن ابن عباس رضي الله عنهما معناه يا انسان في لغة طيئ والله اعلم بصحته وان صح فوجهه ان يكون اصله يا انيسين فاكتفى بشطره كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله ۝ الحكيم ذي الحكمة او لانه دليل ناطق بالحكمة كالحي او لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به ۝ على صراط مستقيم خبر بعد خبر او صلة للمرسلين ۝ فان قلت اي حاجة الى قوله على صراط مستقيم وقد علم ان المرسلين لا يكونون الا على صراط مستقيم ۝ قلت ليس الغرض بذكره ما ذهبت اليه من تمييز من ارسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وانما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين في نظام واحد كانه قال انك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وايضا فان التنكير فيه دال على انه ارسل من بين الصرط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه ۝ تنزيل العزيز الرحيم ۝ لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون ۝ وقرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف ۝ وبالنصب على المصدر وبالجر على البدل من القرآن ۝ قوما ما انذر آباؤهم قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه قوله تعالى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وقد فسر ما انذر آباؤهم على اثبات الانذار ووجه ذلك ان تجعل ما مصدرية لتنذر قوما انذار آبائهم ۝ او موصولة منصوبة على المفعول الثاني لتنذر قوما ما انذره آباؤهم من العذاب كقوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا ۝ فان قلت اي فرق بين تعلقي قوله فهم غافلون على التفسيرين ۝ قلت هو على الاول متعلق بالنفي اي لم ينذروا فهم غافلون على ان عدم انذارهم هو سبب غفلتهم ۝ وعلى الثاني بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول ارسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل او فهو غافل ۝ فان قلت كيف يكونون منذرين غير منذرين لمناقضة هذا ما في الآي الاخر ۝ قلت لا مناقضة لان الآي في نفي انذارهم لا في نفي انذار آبائهم وآباؤهم القدماء من ولد اسماعيل عليه الصلاة والسلام وكانت النذارة فيهم ۝ فان قلت ففي احد التفسيرين ان آباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع به ۝ قلت اريد آباؤهم الادنون دون الاباعد ۝ لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون ۝ انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون ۝ القول قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين يعني تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم انهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في ان لا تامل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن النظر في آيات الله ۝ فان قلت ما معنى قوله فهي الى الاذقان ۝ قلت معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها وذلك ان طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها راس العمود خارجا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطاطئ راسه ولا يزال مقمحا والمقمح الذي يرفع راسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح اذا روي فرفع راسه ومنه شهرا قماح لان الابل ترفع رؤوسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت السويق ۝ فان قلت فما قولك فيمن جعل الضمير للايدي وزعم ان الغل لما كان جامعا لليد

وبذلك يبين جامعة كان تذكر الأعناق والأعلى ذكر الأيدي. قلت الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم
مقمحون ألا ترى كيف جعل الإقماح نتيجة قوله فهي إلى الأذقان. ولو كان الضمير للأيدي لم يكن معنى التسبب في الإقماح ظاهرا
على أن هذا الإضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى إلى نفسه إلى الباطن الذي يجفو عنه ترك
للحق الأبلج إلى الباطل اللجلج. وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون
فإن قلت فقد قرأ ابن عباس رضي الله عنهما في أيديهم وابن مسعود في أيمانهم فهل تجوز على هاتين القراءتين
أن يجعل الضمير للأيدي أو للأيمان. قلت يأبى ذلك وإن ذهب الإضمار المتعسف ظهور كون الضمير للأغلال وسداد
المعنى عليه كما ذكرت. وقرئ سدا بالفتح والضم. وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم
فأغشيناهم فأغشينا أبصارهم أي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن أن تطمح إلى المرئي. وعن
مجاهد فأغشيناهم فألبسنا أبصارهم غشاوة. وقرئ بالعين من العشا. وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك
أن أبا جهل لعنه الله حلف لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلي ومعه حجر
ليدمغه به فلما رفع يده انثنت إلى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم
فقال مخزومي آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله عينيه. وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون
إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم فإن قلت قد ذكر ما دل على انتفاء
إيمانهم مع ثبوت الإنذار ثم قفاه بقوله إنما تنذر وإنما كانت تصح هذه التقفية لو كان الإنذار منفيا
قلت هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للإيمان مع وجود الإنذار وكان معناه أن البغية المرومة بالإنذار
غير حاصلة وهي الإيمان قفى بقوله إنما تنذر على معنى إنما تحصل البغية بإنذارك من غير هؤلاء المنذرين
وهم المتبعون للذكر وهو القرآن أو الوعظ الخاشون ربهم. إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم
وكل شيء أحصيناه في إمام مبين. نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم. وعن الحسن رحمه الله إحياؤهم أن يخرجهم
من الشرك إلى الإيمان. ونكتب ما أسلفوا من الأعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب صنفوه
أو حبيس حبسوه أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك أو سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين
وسكة أحدث فيها تخسيرهم وشيء أحدث فيه صد عن ذكر الله من ألحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن
بها ونحوه قوله تعالى ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر أي قدم من أعماله وأخر من آثاره. وقيل هي آثار المشائين
إلى المساجد. وعن جابر أردنا النقلة إلى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأتانا في ديارنا وقال يا بني سلمة بلغني أنكم تريدون النقلة إلى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع حوله
فقال عليكم دياركم فإنما تكتب آثاركم قال فما وددنا حضرة المسجد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن عمر بن
عبد العزيز رحمه الله لو كان الله مغفلا شيئا لأغفل هذه الآثار التي تعفيها الرياح. والإمام اللوح. وقرئ ويكتب
ما قدموا وآثارهم على البناء للمفعول وكل شيء بالرفع. واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون
إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون. واضرب لهم مثلا ومثل لهم مثلا
من قولهم عندي من هذا الضرب كذا أي من هذا المثال وهذه الأشياء على ضرب واحد أي على مثال واحد والمعنى واضرب لهم
مثلا مثل أصحاب القرية أي اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية. والمثل الثاني بيان للأول وانتصاب إذ بأنه
بدل من أصحاب القرية والقرية أنطاكية. والمرسلون رسل عيسى عليه الصلاة والسلام إلى أهلها بعثهم دعاة إلى الحق
وكانوا عبدة أوثان أرسل إليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب
يس فسألهما فأخبراه فقال أمعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص وكان له ولد مريض من سنتين
فمسحاه فقام فآمن حبيب النجار وفشا الخبر فشفي على أيديهما خلق كثير ورقي حديثهما إلى الملك وقال لهما ألنا إله سوى
آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس وضربوهما. وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام

شمعون

شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره إلى الملك فأنس به فقال له ذات
يوم بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون
من أرسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر وأخذا بندقتين فوضعاهما
في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف
قال ليس لي عنك سر إن إلهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع
ويحسبون أنه منهم ثم قال إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام
وقال إني أدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت
شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون
أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن معه قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه الصلاة والسلام صيحة فهلكوا
فعززنا فقوينا يقال المطر يعزز الأرض إذا لبدها وشدها. وتعزز لحم الناقة. وقرئ بالتخفيف من عزه
يعزه إذا غلبه أي فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون. فإن قلت لم ترك ذكر المفعول به. قلت لأن الغرض
ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل وإذا كان الكلام منصبا إلى غرض
من الأغراض جعل سياقه له وتوجهه إليه كأن ما سواه مرفوض مطرح ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض
المسوق إليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه. قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن
من شيء إن أنتم إلا تكذبون. قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون. وما علينا إلا البلاغ المبين. إنما رفع بشر
ونصب في قوله ما هذا بشرا لأن إلا تنقض النفي فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه فلا يبقى له عمل. فإن قلت
لم قيل إنا إليكم مرسلون أولا وإنا إليكم لمرسلون آخرا. قلت لأن الأول ابتداء إخبار والثاني جواب عن إنكار وقوله
ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وإنما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق
التوكيد والتحقيق مع قولهم وما علينا إلا البلاغ المبين أي الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته وإلا فلو قال
المدعي والله إني لصادق فيما أدعي ولم يحضر البينة كان قبيحا. قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم
منا عذاب أليم. تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل
شيء مالوا إليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فإن أصابهم نعمة أو بلاء قالوا
ببركة هذا وبشؤم هذا كما حكى الله تعالى عن القبط وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة وإن تصبهم
سيئة يقولوا هذه من عندك. وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك. وعن قتادة إن أصابنا شيء كان من أجلكم
قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون. طائركم معكم وقرئ طيركم أي سبب شؤمكم معكم وهو
كفرهم أو أسباب شؤمكم معكم وهو كفرهم ومعاصيهم. وقرأ الحسن أطيركم أي تطيركم. وقرئ أئن ذكرتم بهمزة
الاستفهام وحرف الشرط وآين بألف بينهما بمعنى أتطيرون إن ذكرتم. وقرئ أأن ذكرتم بهمزة الاستفهام وأن الناصبة
بمعنى أتطيرتم لأن ذكرتم. وقرئ أن وإن بغير استفهام بمعنى الإخبار أي تطيرتم لأن ذكرتم أو إن ذكرتم تطيرتم
وقرئ أين ذكرتم على التخفيف أي شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم وإذا شئم المكان بذكركم كان أهله أحق بالشؤم
بل أنتم قوم مسرفون في العصيان فمن ثم أتاكم الشؤم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم مسرفون في ضلالكم متمادون
في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله. وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا
المرسلين. اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون. رجل يسعى هو حبيب بن إسرائيل النجار وكان ينحت الأصنام
وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن
بنبي أحد إلا بعد ظهوره. وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقاول الكفرة فقالوا

او انت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه • وقيل توطؤوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره • وقيل رجموه وهو يقول
اللهم اهد قومي وقبره في سوق انطاكية • فلما قتل غضب الله عليهم فاهلكوا بصيحة جبريل عليه الصلوة والسلام
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُبّاق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين • علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وصاحب ياسين • ومؤمن آل فرعون • من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون كلمة جامعة في الترغيب فيهم اي لا تخسرون
معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة • وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه
ترجعون • أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون • إني إذا لفي
ضلال مبين • إني آمنت بربكم فاسمعون • ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم
ليتلطف بهم ويداريهم ولأنه أدخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله
تعالى وما لي لا أعبد الذي فطرني مكان قوله ما لكم لا تعبدون الذي فطركم الا ترى الى قوله وإليه ترجعون
ولولا أنه قصد ذلك لقال الذي فطرني وإليه أرجع وقد ساقه ذلك المساق الى ان قال إني آمنت بربكم
فاسمعون يريد فاسمعوا قولي وأطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه أن العبادة لا تصح الا لمن
منه مبتدأكم وإليه مرجعكم وما أدفع العقول وأنكرها لأن تستحبوا على عبادته عبادة أشياء إن أرادكم
هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من أن يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على انقاذكم منه
بوجه من الوجوه إنكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز • وقيل لما
نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال لهم إني آمنت بربكم فاسمعون اي اسمعوا ايماني
تشهدوا لي به • وقرئ إن يردن بفتح الياء بمعنى إن يوردني ضرا اي يجعلني موردا للضر • قيل ادخل
الجنة قال يا ليت قومي يعلمون • بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين • اي لما قتل قيل له ادخل الجنة • وعن
قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق اراد به قوله عز وجل بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين
وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها **فان قلت** كيف مخرج هذا القول في علم البيان **قلت**
مخرج الاستئناف لان هذا من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه كأن قائلا قال كيف كان لقاء ربه
بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض
الى المقول وعظمه لا الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من
قوله عند ذلك الفوز العظيم • وانما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لانفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول
في الايمان والعمل الصالح المفضيين باهلهما الى الجنة • وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا • وفيه تنبيه عظيم
على وجوب كظم الغيظ والحلم عن اهل الجهل والترؤف على من ادخل نفسه في غمار الاشرار واهل البغي والتشمر في تخليصه
والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه الا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له
الغوائل وهم كفرة عبدة اصنام • ويجوز ان يتمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على صواب
ونصيحة وشفقة وان عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة لان في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف
لذة وسرور والاول اوجه • وقرئ المكرمين • **فان قلت** ما في قوله تعالى بما غفر لي ربي اي الماآت هي **قلت**
المصدرية او الموصولة اي بالذي غفره لي من الذنوب • ويحتمل ان تكون استفهامية يعني باي شيء غفر لي ربي يريد به ما كان
منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل الا ان قولك بم غفر لي بطرح الالف اجود وان كان اثباتها جائزا يقال قد علمت
بما صنعت هذا اي باي شيء صنعت وبم صنعت • وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا
منزلين • المعنى ان الله كفى امرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق
فان قلت وما معنى قوله تعالى وما كنا منزلين **قلت** معناه وما كان يصح في حكمتنا ان ننزل في اهلاك قوم
جندا من السماء وذلك لان الله تعالى اجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون البعض وما ذلك الا بناء

على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة ألا ترى إلى قوله تعالى فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة
ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا **فان قلت** فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق قال تعالى
فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها بألف من الملائكة مردفين بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة
آلاف من الملائكة مسومين **قلت** انما كان يكفي ملك واحد فقد أهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل
عليه الصلوة والسلام وبلاد ثمود وقوم صالح عليه الصلوة والسلام بصيحة واحدة ولكن الله فضل محمدا صلى
الله عليه وسلم بكل شيء على كبار الأنبياء وأولي العزم من الرسل فضلا عن حبيب النجار وأولاه من أسباب الكرامة
والإعزاز ما لم يوله أحدا فمن ذلك أنه أنزل له جنودا من السماء وكأنه أشار بقوله وما أنزلنا وما كنا منزلين
إلى أن إنزال الجنود من عظائم الأمور التي لا يؤهل لها إلا مثلك وما كنا نفعله بغيرك • إن كانت إلا صيحة واحدة
فإذا هم خامدون • إن كانت الأخذة أو العقوبة إلا صيحة • وقرأ أبو جعفر المدني بالرفع
على كان التامة أي ما وقعت إلا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لأن المعنى ما وقع شيء إلا صيحة ولكنه
نظر إلى ظاهر اللفظ وأن الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن رحمه الله فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم
وبيت ذي الرمة • وما بقيت إلا الضلوع الجراشع • وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه إلا زقية واحدة من زقا الطائر
يزقو ويزقي إذا صاح ومنه المثل أثقل من الزواقي خامدون خمدوا كما تخمد النار فتعود رمادا كما قال لبيد
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه • يحور رمادا بعد إذ هو ساطع • يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا
به يستهزئون • يا حسرة على العباد نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالي يا حسرة فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضري
فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون أو
هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين • ويجوز أن يكون من الله تعالى على سبيل الاستعارة في معنى
تعظيم ما جنوه على أنفسهم ومحنوها به وفرط إنكاره له وتعجيبه منه • وقراءة من قرأ يا حسرتا تعضد هذا الوجه
لأن المعنى يا حسرتي • وقرئ يا حسرة العباد على الإضافة إليهم لاختصاصها بهم من حيث إنها موجهة إليهم
ويا حسرة على العباد على إجراء الوصل مجرى الوقف • ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون •
ألم يروا ألم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم لأن كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر لأن أصلها الاستفهام
إلا أن معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك ألم يروا إن زيدا لمنطلق وإن لم يعمل في لفظه • وأنهم إليهم لا يرجعون بدل من كم أهلكنا
على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم • وعن الحسن رحمه الله
كسر إن على الاستئناف • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ألم يروا من أهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل
اشتمال وهذا مما يرد قول أهل الرجعة • ويحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قيل له إن قوما يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم
القيامة فقال بئس القوم نحن إذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه • وإن كل لما جميع لدينا محضرون • وقرئ لما بالتخفيف
على أن ما صلة للتأكيد وإن مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة وأما التشديد بمعنى إلا كالتي في مسألة
الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وإن نافية والتنوين في كل هو الذي يقع عوضا من المضاف إليه كقولك مررت بكل قائما
والمعنى أن كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيامة • وقيل محضرون معذبون **فان قلت** كيف
أخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد **قلت** ليس بواحد لأن كلا يفيد معنى الإحاطة وأن لا ينفلت منهم أحد والجميع
معناه الاجتماع وأن المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع وجاؤوا جميعا • وآية لهم الأرض الميتة
أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون • القراءة بالتثقيل أخف على اللسان وأشيع لتسلسلها على اللسان ومنه وأحييناها
استئناف بيان لكون الأرض الميتة آية وكذلك نسلخ • ويجوز أن توصف الأرض والليل بالفعل لأنه أريد بهما
الجنسان مطلقين لا أرض وليل بأعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالأفعال • ونحوه ولقد أمر
على اللئيم يسبني • قوله تعالى فمنه يأكلون بتقديم الظرف للدلالة على أن الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم

ويقوم بالادراق من صالح الانس وإذا قل جاء القحط ووقع الضرر وإذا فقد حصل الهلاك ونزول البلاء •
وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون • ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون
قرئ وفجرنا بالتخفيف والتثقيل والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح • من ثمره بضمتين وبضمة وسكون والضمير لله والمعنى
ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر ومما عملته أيديهم من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الأعمال إلى أن بلغ الثمر منتهاه
وإبان أكله يعني أن الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل
الكلام من التكلم إلى الغيبة على طريقة الالتفات • ويجوز أن يرجع إلى النخيل ويترك الأعناب غير مرجوع إليها لأنه علم
أنها في حكم النخيل فيما علق به من أكل ثمره • ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة • فيها خطوط من سواد
وبلق • كأنه في الجلد توليع البهق • فقيل له فقال أردت كأن ذاك • وما عملته نصب ما نافية على أن الثمر خلق الله ولم تعمله
أيدي الناس ولا يقدرون عليه • وقرئ على الوجه الأول وما عملت من غير راجع وهي في مصاحف أهل الكوفة وكذلك في
مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير • **سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن
أنفسهم ومما لا يعلمون** • الأزواج الأجناس والأصناف • ومما لا يعلمون ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا
إلى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد أن يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا
إلى العلم به لأنه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم إلى ذلك العلم ولو كانت بهم إليه حاجة لأعلمهم بما لا يعلمون كما
أعلمهم بوجود ما لا يعلمون • وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يسمهم • وفي الحديث ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه فما علمنا بوجوده وأعداده ولا علمنا بما هو وهي قوله فلا تعلم نفس ما أخفي
لهم من قرة أعين • وفي الإعلام بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته واتساع ملكه • **وآية لهم الليل
نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون** • سلخ جلد الشاة إذا كشطه عنها وأزاله ومنه سلخ الحية لخرشائها
فاستعير لإزالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله • مظلمون داخلون في الظلام يقال أظلمنا كما تقول أعتمنا
وأصبحنا • **والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم** • لمستقر لها لحد لها موقت مقدر ينتهي إليه
من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره • أو لمنتهى لها من المشارق والمغارب لأنها تتقصاها
مشرقا مشرقا • ومغربا مغربا حتى تبلغ أقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لأنها لا تعدوه • أو لحد لها من مسيرها
كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب • وقيل مستقرها أجلها الذي أقر الله عليه أمرها في جريها فاستقرت عليه وهو
آخر السنة • وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيمة • وقرئ تجري إلى مستقر لها • وقرأ ابن
مسعود رضي الله عنه لا مستقر لها أي لا تزال تجري لا تستقر • وقرئ لا مستقر لها على أن لا بمعنى ليس • ذلك الجري
على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الأفهام في استنباطه ما هو إلا تقدير الغالب
بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم • **والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم** • وقرئ
والقمر رفعا على الابتداء أو عطفا على الليل يريد ومن آياته القمر • ونصبا بفعل يفسره قدرناه ولا بد في قدرناه منازل
من تقدير مضاف لأنه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا
ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل
إلى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر • وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت إليها
العرب الأنواء المستمطرة وهي الشرطين • البطين • الثريا • الدبران • الهقعة • الهنعة • الذراع • النثرة
الطرف • الجبهة • الزبرة • الصرفة • العواء • السماك • الغفر • الزبانا • الإكليل • القلب • الشولة • النعائم
البلدة • سعد الذابح • سعد بلع • سعد السعود • سعد الأخبية • فرغ الدلو المقدم • فرغ الدلو المؤخر
الرشاء • فإذا كان في آخر منازله دق واستقوس وعاد كالعرجون القديم وهو عود العذق ما بين شماريخه
إلى منبته من النخلة • وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف • وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان

كالبزيون والبزيون • والقديم المحول وإذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة أوجه • وقيل أقل
مدة الموصوف بالقديم الحول فلو أن رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر أو كتب ذلك في وصيته عتق منهم من مضى
له حول أو أكثر • **لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون** • وقرئ سابق النهار
على الأصل والمعنى أن الله قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر
أمرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس أي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وإن
جعل لكل واحد من النيرين سلطانا على حياله أن تدرك القمر فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه
فتطمس نوره • ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الأمر على هذا
الترتيب إلى أن يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما ألف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها
فإن قلت لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق **قلت** لأن الشمس لا تقطع فلكها إلا في سنة
والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة بأن توصف بالإدراك لتباطؤ سيرها عن سير القمر والقمر
خليقا بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره • وكل التنوين فيه عوض من المضاف إليه والمعنى وكلهم والضمير
للشموس والأقمار على ما سنذكره • **وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون • وخلقنا لهم من مثله
ما يركبون** • ذريتهم أولادهم ومن يهمهم حمله • وقيل اسم الذرية يقع على النساء لأنهن مزارعها • وفي
الحديث أنه نهى عن قتل الذراري يعني النساء • من مثله من مثل الفلك • ما يركبون من الإبل وهي سفائن
البر • وقيل الفلك المشحون سفينة نوح عليه الصلوة والسلام • ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل
فيها آباءهم الأقدمين وفي أصلابهم هم وذرياتهم وإنما ذكر ذرياتهم دونهم لأنه أبلغ في الامتنان عليهم وأدخل
في التعجب من قدرته من حمل أعقابهم إلى يوم القيمة في سفينة نوح • ومن مثله من مثل ذلك الفلك • ما يركبون
من السفن والزوارق • **وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون • إلا رحمة منا ومتاعا إلى
حين** • فلا صريخ فلا مغيث أو فلا إغاثة يقال أتاهم الصريخ • ولا هم ينقذون لا ينجون من الموت بالغرق • إلا
رحمة إلا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة • إلى حين إلى أجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق
ولقد أحسن من قال • ولم أسلم لكي أبقى ولكن • سلمت من الحمام إلى الحمام • وقال الحسن رحمه الله تعالى فيهم • **وإذا
قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون • وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا
كانوا عنها معرضين** • اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم كقوله عز وجل أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما
خلفهم من السماء والأرض • وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر • وعن قتادة ما بين أيديكم من الوقائع
التي خلت يعني من مثل الوقائع التي ابتليت بها الأمم المكذبة بأنبيائها • وما خلفكم من أمر الساعة • لعلكم
ترحمون لتكونوا على رجاء رحمة الله • وجواب إذا محذوف مدلول عليه بقوله إلا كانوا عنها معرضين فكأنه
قال وإذا قيل لهم اتقوا أعرضوا ثم قال ودأبهم الإعراض عند كل آية وموعظة • **وإذا قيل لهم أنفقوا مما
رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين** •
كان الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون أفعال الله تعالى بمشيته فيقولون لو شاء الله لأغنى فلانا
ولو شاء لأعزه ولو شاء لكان كذا فأخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من
تعليق الأمور بمشية الله • ومعناه أنطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك أنهم كانوا إذا فهموا الملكة في الغنى
والفقر من الله لأنهم معطلة لا يؤمنون بالصانع • وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة فإذا أمروا
بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن • وقيل كانوا يوهمون أن الله تعالى لما كان قادرا
على إطعامه ولم يشأ إطعامه فنحن أحق بذلك نزلت في مشركي قريش حين قال فقراء أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم أعطونا مما زعمتم من أموالكم أنها لله يعنون قوله تعالى مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فحرموهم

تنالوا الوشائج الشاة لنسلا لطعمكم • ان انتم الا في ضلال مبين قول الله لهم او حكاية قول المؤمنين لهم • او هو من جملة
جوابهم للمؤمنين • ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين • ما ينظرون الا صيحة واحدة
تأخذهم وهم يخصمون • قرئ وهم يخصمون بادغام التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها واتباع الياء الخاء
في الكسر • ويختصمون على الاصل • ويخصمون من خصمه • والمعنى انها تبغتهم وهم في امنهم وغفلتهم عنها
لا يخطرونها ببالهم مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون
ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا • وقيل تأخذهم وهم عند انفسهم يخصمون في الحجة في انهم لا يبعثون
فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون • لا يستطيعون ان يوصوا في شئ من امورهم توصية ولا
يقدرون على الرجوع الى منازلهم واهاليهم بل يموتون حيث تفجؤهم الصيحة • ونفخ في الصور فاذا هم من
الاجداث الى ربهم ينسلون • قرئ الصور بسكون الواو وهو القرن او جمع صورة وحركها بعضهم • والاجداث
القبور • وقرئ بالفاء • ينسلون يعدون بكسر السين وضمها وهي النفخة الثانية • قالوا يا ويلنا من بعثنا
من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون • قرئ يا ويلتنا وعن ابن مسعود رضي الله عنه من اهبنا
من هب من نومه اذا انتبه واهبه غيره • وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وعن بعضهم اراد هب بنا فحذف الجار
واوصل الفعل • وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر • وهذا مبتدأ وما وعد خبره وما مصدرية
او موصولة • ويجوز ان يكون هذا صفة للمرقد • وما وعد خبر مبتدأ محذوف اي هذا وعد الرحمن • او مبتدأ
محذوف الخبر اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم • وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا
صيح باهل القبور قالوا من بعثنا واما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس رضي الله عنهما • وعن الحسن كلام
المتقين • وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا • **فان قلت**
اذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق
فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون اذا جعلتها موصولة • **قلت** تقديره هذا الذي وعده
الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى والذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقني
سن بكره • **فان قلت** من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا • **قلت** معناه بعثكم الرحمن
الذي وعدكم البعث وانبأكم به الرسل الا انه جيء به على طريقة سيئت بها قلوبهم وتلعيث اليهم احوالهم وذكروا كفرهم
وتكذيبهم واخبروا بوقوع ما انذروا به وكأنه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده
حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر ذو الاهوال والافزاع وهو الذي وعده الله في كتبه المنزلة
على السنة رسله الصادقين • ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون • فاليوم لا تظلم
نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون • ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون • الا صيحة واحدة قرئت
منصوبة ومرفوعة • فاليوم لا تظلم نفس شيئا ان اصحاب الجنة اليوم في شغل حكاية لما يقال لهم في ذلك اليوم
وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له في النفوس وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره • في شغل
في اي شغل وفي شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل الى نيل تلك
الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ التي اعدها الله للمرتضين من عباده ثم اباهم عليها
مع كرامة وتعظيم وذلك بعد الولة كالصبابة والتفصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية وتخطي
الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
في افتضاض الابكار • وعنه في ضرب الاوتار • وعن ابن كيسان في التزاور • وقيل في ضيافة الله • وعن الحسن
شغلهم عما فيه اهل النار التنعم بما هم فيه • وعن الكلبي هم في شغل عن اهاليهم من اهل النار لا يهمهم امرهم
فلا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم • قرئ في شغل بضمتين وضمة وسكون • وفتحتين

وفتحة وسكون

وفتحة وسكون • والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة
وهي المزاحة • وقرئ فاكهون وفكهون بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حدث وحدث ونطس ونطس • وقرئ
فاكهين وفكهين على انه حال والظرف مستقر • هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون • هم يحتمل
ان يكون مبتدأ وان يكون تأكيدا للضمير في شغل وفي فاكهون على ان ازواجهم يشاركنهم في ذلك الشغل والتفكه
والاتكاء • على الارائك تحت الظلال • وقرئ في ظلل • والاريكة السرير في الحجلة • وقيل الفراش فيها
وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه متكئين • لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون • سلام قولا من رب رحيم
يدعون يفتعلون من الدعاء اي يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه **قال**
لبيد فاشتوى ليلة ريح واجتمل • ويجوز ان يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه • وقيل يتمنون من قولهم
ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي • وفلان في خير ما ادعى اي في خير ما تمنى • قال الزجاج وهو من الدعاء اي
ما يدعو به اهل الجنة يأتيهم • وسلام بدل مما يدعون كأنه قال لهم سلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم
والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك
لا يمنعونه قال ابن عباس رضي الله عنهما والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين • وقيل ما يدعون مبتدأ
وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه • وقولا مصدر مؤكد لقوله تعالى وهم ما يدعون
سلام اي عدة من رب رحيم • والاوجه ان ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه • وقرئ سلم وهو بمعنى السلام
في المعنيين • وعن ابن مسعود رضي الله عنه سلاما نصب على الحال اي لهم مرادهم خالصا • وامتازوا اليوم
ايها المجرمون • وامتازوا وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى
الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون
واما الذين كفروا الآية • يقال ماز فانماز وامتاز • وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير • وعن الضحاك لكل كافر
بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه ان بعضهم يمتاز من بعض • الم اعهد اليكم يا بني آدم ان
لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين • وان اعبدوني هذا صراط مستقيم • العهد الوصية وعهد اليه
اذا وصاه • وعهد الله اليهم ما ركزه فيهم من ادلة العقل وانزل عليهم من دلائل السمع • وعبادة الشيطان طاعته فيما
[illegible]

نختم على أفواههم وتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم • وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة إني لا أجيز عليّ شاهدًا إلا من نفسي
فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدًا لكنّ وسحقًا فعنكنّ كنت
أناضل • وقرئ يُختم على أفواههم وتتكلم أيديهم • وقرئ ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام كي • والنصب
على معنى ولذلك نختم على أفواههم • وقرئ ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام الأمر والجزم على أن الله
يأمر الأعضاء بالكلام والشهادة • **ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى
يبصرون** • الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة • فاستبقوا الصراط لا يخلو من أن يكون
على حذف الجار وإيصال الفعل والأصل فاستبقوا إلى الصراط أو يضمن معنى ابتدروا • أو يجعل الصراط
مسبوقًا لا مسبوقًا إليه • أو ينتصب على الظرف والمعنى أنه لو نشاء لمسح أعينهم فلو راموا أن يستبقوا
إلى الطريق المهيع الذي اعتادوا سلوكه إلى مساكنهم وإلى مقاصدهم المألوفة التي ترددوا إليها كثيرًا
كما كانوا يستبقون إليه ساعين في متصرفاتهم موضعين في أمور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم
أن يبصروا ويعلموا جهة السلوك فضلًا عن غيره • أو لو نشاء لأعميناهم فلو أرادوا أن يمشوا مستبقين
في الطريق المألوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا • أو لو نشاء لأعميناهم فلو طلبوا أن يخلفوا الصراط
الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقًا يعني أنهم لا يقدرون إلا على سلوك الطريق المعتاد
دون ما وراءه من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما ألفوا وضروا به من المقاصد
دون غيرها • **ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيًا ولا يرجعون** • على مكانتهم
وقرئ على مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام أي لمسخناهم مسخًا يجمدهم مكانهم
لا يقدرون أن يبرحوه بإقبال ولا إدبار ولا مضي ولا رجوع • واختلف في المسخ فعن ابن عباس رضي الله عنهما
لمسخناهم قردة وخنازير • وقيل حجارة • وعن قتادة لأقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم • وقرئ
مُضيًّا بالحركات الثلاث فالمُضي والمِضي كالعُتي والعِتي والمَضي كالصَبي • **ومن نعمره ننكسه
في الخلق أفلا يعقلون** • ننكسه في الخلق نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه من قبل وذلك أنا
خلقناه على ضعف في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال إلى حال ويرتقي من درجة
إلى درجة إلى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ما له وما عليه فإذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه
يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس
السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئًا ثم رددناه
أسفل سافلين وهذه دلالة على أن من ينقلهم من الشباب إلى الهرم ومن القوة إلى الضعف ومن رجاحة العقل
إلى الخرف وقلة التمييز ومن العلم إلى الجهل بعد ما نقلهم خلقًا هذا النقل وعكسه قادر على أن يطمس أعينهم
ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء وأراد • وقرئ بلين الكاف وننكسه من التنكيس والإنكاس
أفلا تعقلون بالتاء والياء • **وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين** كانوا
يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر • وروي أن القائل عقبة بن أبي معيط فقيل وما علمناه
الشعر أي وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى أن هذا القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء وأين
هو عن الشعر والشعر إنما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فأين الوزن وأين التقفية وأين المعاني التي
ينتحيها الشعراء عن معانيه وأين نظم كلامهم عن نظمه وأساليبه فإذن لا مناسبة بينه وبين
الشعر إذا حققت اللهم إلا أن هذا لفظه عربي كما أن ذاك كذلك • وما ينبغي له وما يصح له ولا يتطلب لو
طلبه أي جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه أميًا لا يهتدي للخط
ولا يحسنه لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض • وعن الخليل كان الشعر أحب إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم من

وسلم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له • **فإن قلت** فقوله • أنا النبي لا كذب • أنا ابن عبد المطلب
وقوله • هل أنت إلا إصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت • **قلت** ما هو إلا كلام من جنس كلامه الذي
كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف إلا أنه اتفق ذلك من غير قصد إلى ذلك ولا التفات
منه إليه إن جاء موزونًا كما يتفق في كثير من إنشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة
لا يسميها أحد شعرًا ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع أنها شعر وإذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت
الواقع في أوزان البحور غير عزيز على أن الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعرًا فلما نفى أن يكون القرآن من جنس
الشعر قال إن هو إلا ذكر وقرآن مبين يعني ما هو إلا ذكر من الله تعالى يوعظ به الإنس والجن كما قال إن
هو إلا ذكر للعالمين وما هو إلا قرآن كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته
والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين • **لينذر من كان حيًا
ويحق القول على الكافرين** • لينذر القرآن أو الرسول • وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر من نذر به إذا علمه • من كان
حيًا أي عاقلًا متأملًا لأن الغافل كالميت أو معلومًا منه أنه يؤمن فيحيى بالإيمان • ويحق القول ويجب كلمة
العذاب • على الكافرين الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الإيمان • **أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت
أيدينا أنعامًا فهم لها مالكون** • مما عملت أيدينا مما تولينا نحن إحداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وإنما
قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التي لا يصح أن يقدر عليها إلا هو • وعمل الأيدي استعارة من عمل من يعملون
بالأيدي • فهم لها مالكون أي خلقناها لأجلهم فملكناها إياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع
فيها لا يزاحمون • أو فهم لها ضابطون قاهرون من قوله • أصبحت لا أحمل السلاح • ولا أملك رأس البعير
إن نفرا • أي لا أضبطه • **وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون** • وهو من جملة النعم الظاهرة وإلا
فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها كما قال القائل • يصرفه الصبي بكل وجه • ويحبسه على الخسف
الجرير • وتضربه الوليدة بالهراوى • فلا غير لديه ولا نكير • ولهذا ألزم الله تعالى الراكب أن يشكر هذه النعمة
ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين • وقرئ ركوبهم وركوبتهم أي ذو ركوبهم وفي
[illegible]

مفعولة للقول فقد تبين ان تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها وانما يدوران
على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر معنى التعليل ولا تقدر البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا
كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا او فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك الذاهب فما فيه الا
نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على كون الله عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيئا
الا ترى الى قوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر ● اولم ير الانسان
انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ● وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام
وهي رميم ● قبح الله عز وجل انكارهم البعث تقبيحا لا ترى اعجب منه وابلغ وادل على تمادي كفر الانسان
وافراطه في جحود النعم وعقوق الايادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرره بان عنصره الذي خلقه
منه هو اخس شيء وامهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله
بان يتصدى مثله على مهانته ودناءته لمخاصمة الجبار ويبرز صفحته لمجادلته ويركب متن
الباطل ويلج ويمحك ويقول من يقدر على احياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في الزم وصف له
والصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها ● وروي
ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك
فقال لهم ابي الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه واخذ
عظما باليا فجعل يفتته بيده وهو يقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك
ويدخلك جهنم ● وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز
منطيق قادر على الخصام ● مبين معرب عما في نفسه فصيح كما قال تعالى او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام
غير مبين ● فان قلت لم سمى قوله تعالى من يحيي العظام وهي رميم مثلا ● قلت لما دل عليه من قصة عجيبة
شبيهة بالمثل وهي انكار قدرة الله على احياء الموتى او لما فيه من التشبيه لان ما انكر من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه بدليل
النشأة الاولى فاذا قيل من يحيي العظام على طريق الانكار لان يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادرا عليه كان تعجيزا
لله تعالى وتشبيها له بخلقه في انهم غير موصوفين بالقدرة عليه ● والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة
والرفات فلا يقال لم يؤنث وقد وقع خبرا لمؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول ولقد استشهد بهذه الآية
من يثبت الحياة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة تحلها ● واما اصحاب ابي حنيفة
رحمة الله عليهم فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون ان الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون
المراد باحياء العظام في الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس ● قل يحييها الذي انشأها
اول مرة وهو بكل خلق عليم ● يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المنشآت والمعادات ومن اجناسها
وانواعها وجلائلها ودقائقها ● الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون ● ثم ذكر من
بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي يوري بها الاعراب
واكثرها من المرخ والعفار ● وفي امثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل
السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي انثى فينقدح النار باذن الله تعالى وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ليس من شجرة الا وفيها النار الا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذينقات القصارين ● الاخضر على
اللفظ ● وقرئ الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم
اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ● من قدر على خلق
السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناسي اقدر وفي معناه قوله عز وجل لخلق السموات والارض اكبر من
خلق الناس ● وقرئ يقدر وقوله تعالى ان يخلق مثلهم يحتمل معنيين ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالاضافة الى

السموات والارض او ان يعيدهم لان المعاد مثل المبتدأ وليس به ● وهو الخلاق الكثير المخلوقات ● العليم الكثير
المعلومات ● وقرئ الخالق ● انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ● انما شأنه ● اذا اراد
شيئا اذا دعاه داعي حكمة الى تكوينه ولا صارف ان يقول له كن ان يكونه من غير توقف ● فيكون فيحدث اي فهو
كائن موجود لا محالة ● فان قلت ما حقيقة قوله تعالى ان يقول له كن فيكون ● قلت هو مجاز من الكلام وتمثيل لانه
لا يمتنع عليه شيء من المكونات وانه بمنزلة المأمور المطيع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع ● فان قلت فما وجه القراءتين
في فيكون ● قلت اما الرفع فلانها جملة من مبتدأ وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي
امره ان يقول له كن ● واما النصب فللعطف على يقول والمعنى انه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الاجسام
اذا فعلت شيئا مما تقدر عليه من المباشرة بمحال القدرة واستعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة
والتعب واللغوب ● انما امره وهو القادر العالم لذاته ان يخلص داعيه الى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز
عن مقدور حتى يعجز عن الاعادة ● فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون ● فسبحان
تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا ● بيده ملكوت كل شيء هو مالك
كل شيء والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته ● وقرئ ملكة كل شيء وملك كل شيء والمعنى واحد
● ترجعون بضم التاء وفتحها ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت لا اعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها
كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية ● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب
القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة
وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه
صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون
دفنه ● وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن
الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره
وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين حتى يدخل الجنة وهو ريان
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في القرآن سورة تشفع لقارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس صدق رسول الله

سورة الصافات مكية وهي مائة واحدى وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ● والصافات صفا ● فالزاجرات زجرا ● فالتاليات
ذكرا ● ان الهكم لواحد ● اقسم سبحانه بطوائف الملائكة او بنفوسهم الصافات اقدامها في
الصلاة من قوله تعالى وانا لنحن الصافون ● او اجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لامر الله ● فالزاجرات
السحاب سوقا ● فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها ● وقيل الصافات الطير من قوله عز
وجل والطير صافات ● والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله ● والتاليات كل من تلا كتاب الله
ويجوز ان يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات
فالزاجرات بالمواعظ والنصائح ● فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه ● او بنفوس قواد الغزاة
في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك
الشواغل كما يحكى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ● فان قلت ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة في
الصفات ● قلت اما ان تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله ● يا لهف زيابة للحارث الصابح
فالغانم فالآيب ● كانه قيل الذي صبح فغنم فآب ● واما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك
خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل ● واما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقوله رحم الله المحلقين

فالمقصود فهل هذه القوافي الثلاثة بتساق امثالها العاطفة في الصفات **فان قلت** فمعنى اي هذه القوانين هي فيما انت بصدده **قلت** ان وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل وان ثلثته فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك انك اذا اجريت هذه الاوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها في الفضل اما ان يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس وكذلك ان اردت العلماء وقواد الغزاة وان اجريت الصفة الاولى على طوائف والثانية والثالثة على اخر فقد افادت ترتب الموصوفات في الفضل اعني ان الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وكذلك اذا اردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية والتاليات كل نفس تتلو الذكر فان الموصوفات مختلفة وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاي والذال رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق رب السموات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف والمشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين **فان قلت** فماذا اراد بقوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين **قلت** اراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد الدنيا القربى منكم والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما تلاق به الدواة ويحتملهما قوله تعالى بزينة الكواكب فان اردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب واصله بزينة الكواكب او على اضافته الى المفعول اي بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها في انفسها واصله بزينة الكواكب وهي قراءة ابي بكر والاعمش وابن وثاب وان اردت الاسم فللاضافة وجهان ان تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وان يراد ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما بزينة الكواكب بضوء الكواكب ويجوز ان يراد اشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومسايرها وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على الابدال ويجوز في نصب الكواكب ان يكون بدلا من محل بزينة وحفظا مما حمل على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال عز وجل ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز ان يقدر الفعل المعلل كانه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا والمارد الخارج من الطاعة المتملس منها لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب الضمير في لا يسمعون لكل شيطان لانه في معنى الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد واصل يسمعون يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع او فلم يسمع وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد **فان قلت** لا يسمعون كيف اتصل بما قبله **قلت** لا يخلو ان يتصل بما قبله على ان يكون صفة لكل شيطان او استينافا فلا تصح الصفة لان الحفظ من شياطين لا يسمعون لا معنى له وكذلك الاستيناف لان سائلا لو سال لم تحفظ من الشياطين فاجيب بانهم لا يسمعون لم يستقم فبقي ان يكون كلاما منقطعا مبتدا اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملائكة او يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك الا من امهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب **فان قلت** هل يصح قول من زعم ان اصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما في قول القائل الا ايهذا الزاجري احضر الوغى **قلت** كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فاما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على ان صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب **فان قلت**

اي فوق

اي فوق يقال سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه **قلت** المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك والملا الاعلى الملائكة لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملا الاسفل لانهم سكان الارض وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الكتبة من الملائكة وعنه اشراف الملائكة من كل جانب من جميع جوانب السماء من اي جهة صعدوا للاستراق دحورا مفعول له اي ويقذفون للدحور وهو الطرد او مدحورين على الحال او لان القذف والطرد متقاربان في المعنى فكانه قيل يدحرون او قذفا وقرا ابو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا طردا او هو انه جاء بمجيء القبول والولوع والواصب الدائم وصب الامر وصوبا يعني انهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد اعد لهم في الاخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع من في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي خطف الخطفة وقرئ خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها واصلها اختطف وقرئ فاتبعه وفاتبعه فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب الهمزة وان خرجت الى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في اصلها فلذلك قيل فاستفتهم اهم اشد خلقا ولم يقل فقررهم والضمير لمشركي مكة وقيل نزلت في ابي الاسد بن كلدة وكني بذلك لشدة بطشه وقوته ام من خلقنا يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب اولي العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله تعالى بعد عد هذه الاشياء فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا بالفاء المعقبة وقوله ام من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدم كانه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه فاستفتهم اهم اشد خلقا ام الذي خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرا ام من عددنا بالتخفيف والتشديد واشد خلقا يحتمل اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة واصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشاة الاخرى وان من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون وخلقهم من طين لازب اما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة او احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا ائذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث وقيل من خلقنا من الامم الماضية وليس هذا القول بملايم وقرئ لازم ولاتب والمعنى واحد واللاتب اللاصق الثابت بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون واذا راوا اية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين بل عجبت من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون منك ومن تعجبك ومما تريهم من اثار قدرته او عجبت من انكارهم البعث وهم يسخرون من امر البعث وقرئ بضم التاء اي بلغ من عظم اياتي وكثرة خلائقي اني عجبت منها فكيف بعبادي وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من اياتي او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه **فان قلت** كيف يجوز العجب على الله تعالى وانما هو روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشيء والله تعالى لا تجوز عليه الروعة **قلت** فيه وجهان احدهما ان يجرد العجب لمعنى الاستعظام والثاني ان يتخيل العجب ويفرض وقد جاء في الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول ان الله لا يعجب من شيء وانما يعجب من لا يعلم فقال ابراهيم النخعي ان شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله اعلم يريد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وكان يقرأ بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا ودابهم انهم اذا وعظوا بشيء لا يتعظون به واذا راوا اية من ايات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون يبالغون في السخرية او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او اباؤنا الاولون قل نعم وانتم داخرون اباؤنا معطوف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى ايبعث ايضا اباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم اقدم

تبعثهم ابعد بطل. وقرئ أوآباؤنا. قل نعم. وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان. وقرئ قال نعم
أي الله أو الرسول وقل للمعنى نعم تبعثون. وأنتم داخرون صاغرون. فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم
ينظرون. فإنما جواب شرط مقدر تقديره إذا كان ذلك فما هي إلا زجرة واحدة وهي لا ترجع إلى شيء إنما
هي مبهمة موضحها خبرها. ويجوز فإنما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية. والزجرة الصيحة
من قولك زجر الراعي الغنم والإبل إذا صاح عليها فرعت لصوته. ومنه قوله: زجر أبي عروة السباع
إذا أشفقن أن يختلطن بالغنم. يريد تصويته بها. فإذا هم أحياء بصراء ينظرون. وقالوا
يا ويلنا هذا يوم الدين. هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون. يحتمل أن يكون هذا يوم
الدين إلى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وأن يكون من كلام الملائكة جوابا لهم. ويوم الدين اليوم الذي
ندان فيه أي نجازى بأعمالنا. ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلالة. احشروا
الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم. احشروا
خطاب الله للملائكة أو خطاب بعضهم مع بعض. وأزواجهم وضرباءهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم نظراؤهم وأشباههم من العصاة أهل الزنا مع أهل الزنا وأهل السرقة مع أهل السرقة. وقيل قرناؤهم من الشياطين
وقيل نساؤهم اللاتي على دينهم. فاهدوهم فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها. وقفوهم إنهم مسئولون
ما لكم لا تناصرون. بل هم اليوم مستسلمون. هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد
ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين. بل هم اليوم مستسلمون قد أسلم بعضهم بعضا وخذله
عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر. وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالإدغام. وأقبل بعضهم على
بعض يتساءلون. قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين. اليمين لما كانت أشرف العضوين وأمتنهما
وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون أكثر الأمور ويتشاءمون
بالشمال ولذلك سموها الشؤمى كما سموا أختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح وكان الأعسر معيبا
عندهم وعضدت الشريعة ذلك فأمرت بمباشرة أفاضل الأمور باليمين وأراذلها بالشمال وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحب التيامن في كل شيء وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن أن يؤتى كتابه
بيمينه والمسيء أن يؤتاه بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه فقيل أتاه عن اليمين أي من قبل الخير وناحيته فصده
عنه وجاء في بعض التفاسير من أتاه الشيطان من جهة اليمين أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن أتاه من جهة
الشمال أتاه من قبل الشهوات ومن أتاه من بين يديه أتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب ومن أتاه
من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكاة. فإن قلت قوله أتاه من جهة
الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا عن المجاز. قلت من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى
لحق بالحقائق وهذا من ذاك ولك أن تجعلها مستعارة للقوة والقهر لأن اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش
والمعنى أنكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا
عليه وهذا من خطاب الأتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم. قالوا بل لم تكونوا مؤمنين. بل لم تكونوا مؤمنين
بل أبيتم أنتم الإيمان وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين إليه. وما كان لنا عليكم من
سلطان بل كنتم قوما طاغين. وما كان لنا عليكم من تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما مختارين
الطغيان. فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون. فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون يعني وعيد الله بأنا
ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة. ولو حكى الوعيد كما هو لقال إنكم لذائقون ولكنه
عدل به إلى لفظ المتكلم لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قول القائل: لقد زعمت هوازن قل مالي. ولو حكى قولها
لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف احلف لأخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لإقبال المحلف

على المحلف. فأغويناكم إنا كنا غاوين. فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون. إنا كذلك نفعل بالمجرمين
فأغويناكم فدعوناكم إلى الغي على الرشد. إنا كنا غاوين فأردنا إغواءكم لتكونوا أمثالنا. فإنهم فإن الأتباع
والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيامة في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية. إنا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم
يعني أن سبب العقوبة هو الإجرام فمن ارتكبه استوجبها. إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون. إنهم
كانوا إذا سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا عنها وأبوا إلا الشرك. ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر
مجنون. لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم. بل جاء بالحق وصدق المرسلين. بل جاء بالحق رد
على المشركين. وصدق المرسلين كقوله مصدقا لما بين يديه. إنكم لذائقوا العذاب الأليم. وقرئ لذائقو
العذاب بالنصب على تقدير النون كقوله: ولا ذاكر الله إلا قليلا. بتقدير التنوين. وقرئ على الأصل لذائقون
العذاب. وما تجزون إلا ما كنتم تعملون. إلا عباد الله المخلصين. إلا ما كنتم تعملون إلا مثل ما عملتم جزاء
سيئا بمثل سيئ. إلا عباد الله ولكن عباد الله على الاستثناء المنقطع. أولئك لهم رزق معلوم. فواكه وهم
مكرمون في جنات النعيم. فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني أن
رزقهم كله فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات بأنهم أجسام محكمة مخلوقة للأبد فكل ما يأكلونه
يأكلونه على سبيل التلذذ. ويجوز أن يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة
ولذة وحسن منظر. وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا. وعن قتادة الرزق
المعلوم الجنة. وقوله في جنات يأباه. وهم مكرمون هو الذي يقوله العلماء في حد الثواب على سبيل
المدح والتعظيم وهو من أعظم ما يجب أن تتوق إليه نفوس ذوي الهمم كما أن من أعظم ما يجب أن تنفر عنه نفوسهم
هوان أهل النار وصغارهم. على سرر متقابلين. يطاف عليهم بكأس من معين. التقابل أتم للسرور
وآنس. وقيل لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض. يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأسا. قال: وكأس
شربت على لذة. وعن الأخفش كل كأس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما. من معين
من شراب معين أو نهر معين وهو الجاري على وجه الأرض الظاهر للعيون وصف به الماء لأنه
يجري في الجنة في أنهار كما يجري الماء. قال الله عز وجل وأنهار من خمر. بيضاء لذة للشاربين. بيضاء
صفة للكأس. لذة إما أن توصف باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أو هي تأنيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيذ
ووزنه فعل كقولك رجل طب. قال: ولذ كطعم الصرخدي تركته بأرض العدى من خشية الحدثان
يريد النوم. لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون. الغول من غاله يغوله غولا إذا أهلكه وأفسده. ومنه الغول التي
في تكاذيب العرب وفي أمثالهم الغضب غول الحلم. وينزفون على البناء للمفعول من نزف الشارب إذا ذهب عقله
ويقال للسكران نزيف ومنزوف. ويقال للمطعون نزف فمات إذا خرج دمه كله. ونزحت الركية حتى
نزفتها إذا لم تترك فيها ماء. وفي أمثالهم أجبن من المنزوف ضرطا. وقرئ ينزفون من أنزف الشارب
إذا ذهب عقله أو شرابه. قال: لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم لبئس الندامى كنتم آل أبجرا. ومعناه
صار ذا نزف. ونظيره أقشع السحاب وقشعته الريح وأكب الرجل وكببته. وحقيقتهما دخلا في الكب والقشع. وفي
قراءة طلحة بن مصرف ينزفون بضم الزاي من نزف ينزف كقرب يقرب إذا سكر. والمعنى لا فيها فساد قط من أنواع
الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص أو صداع أو خمار أو عربدة أو لغو أو تأثيم أو غير ذلك ولا هم يسكرون وهو
أعظم مفاسدها فأفرده وأفرده بالذكر. وعندهم قاصرات الطرف عين. كأنهن بيض مكنون. قاصرات
الطرف قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا إلى غيرهم كقوله عربا. والعين النجل العيون
وشبههن ببيض النعام المكنون في الأداحي وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور. فأقبل
بعضهم على بعض يتساءلون. قال قائل منهم إني كان لي قرين. يقول أئنك لمن المصدقين. أئذا متنا

وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون ● فان قلت علام عطف قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قلت
على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال: وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام
على المدام ● فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا انه جيء به ماضيا على عادة الله في اخباره
قرين مصاحب في الدنيا من المصدقين من التصديق ● ومن المصدّقين بتشديد الصاد من التصدق ● وقيل نزلت في رجل تصدق
بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال اين مالك فقال تصدقت به ليعوضني الله في الآخرة خيرا
منه فقال أئنك لمن المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا ● لمدينون
لمجزيون من الدين وهو الجزاء ● او لمسوسون مربوبون يقال دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه
قال هل انتم مطلعون ● فاطلع فرآه في سواء الجحيم ● قال يعني ذلك القائل هل انتم مطلعون الى النار لاريكم
ذلك القرين قيل ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار ● وقيل القائل هو الله عز وجل ● وقيل بعض
الملائكة يقول لاهل الجنة هل تحبون ان تطلعوا فتعرفوا اين منزلتكم من منزلة اهل النار ● وقرئ مطلعون فاطلع
وفاطّلع بالتشديد على لفظ الماضي والمضارع المنصوب ● ومطلعون فأطلع ● وفأطلع بالتخفيف على لفظ الماضي
والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع وأطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع
انا ايضا ● او عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وان جعلت الاطلاع من اطلعه غيره فالمعنى
انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو من آداب المجالسة ان لا يستبد بشيء دون جلسائه فكأنهم مطلعون ● وقيل
الخطاب على هذا للملائكة ● وقرئ مطلعون بكسر النون اراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله
هم الفاعلون الخير والآمرونه ● او شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كأنه قال تطلعون وهو ضعيف
لا يقع الا في الشعر ● في سواء الجحيم في وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائي ● وعن ابي عبيدة قال لي عيسى بن عمر كنت اكتب يا ابا
عبيدة حتى ينقطع سوائي ● قال تالله ان كدت لتردين ● ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين ● ان مخففة
من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه ان كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ●
والإرداء الاهلاك ● وفي قراءة عبد الله لتغوين ● نعمة ربي العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الاسلام
والبراءة من قرين السوء او انعام الله بالثواب وكونه من اهل الجنة ● من المحضرين من الذين احضروا العذاب كما احضرته
انت وامثالك ● افما نحن بميتين ● الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ● الذي عطف عليه الفاء محذوف معناه
انحن مخلدون منعمون ● فما نحن بميتين ولا معذبين ● وقرئ بمائتين ● والمعنى ان هذه حال المؤمنين وصفتهم
وما قضى الله لهم ● العلم بأن الامر لا يزيد على الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة
● وقيل لبعض الحكماء ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت يقول ذلك المؤمن تحدثا بنعمة الله واغتباطا بالحال وبمسمع من
قرينه ليكون توبيخا له يزيد به تعذيبا ● وليحكيه الله فيكون لنا لطفا او زاجرا ● ويجوز ان يكون قولهم جميعا ● ان
هذا لهو الفوز العظيم ● لمثل هذا فليعمل العاملون ● وكذلك قوله تعالى ان هذا لهو الفوز العظيم اي ان هذا الامر
الذي نحن فيه ● وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له ● وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه
من السعادة ● تمت قصة المؤمن وقرينه ثم رجع الى ذكر الرزق المعلوم فقال ● اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم
انا جعلناها فتنة للظالمين ● انها شجرة تخرج في اصل الجحيم ● طلعها كأنه رؤوس الشياطين ● اذلك الرزق
خير نزلا اي خير حاصلا ● ام شجرة الزقوم واصل النزل الفضل والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير
للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الألم والغم ● وانتصاب نزلا على التمييز
ولك ان تجعله حالا كما تقول أثمر النخلة خير بلحا ام رطبا يعني ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم
شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلا ● والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق ومنه انزال الجند لارزاقهم كما يقال
لما يقام لساكن الدار السكن ● ومعنى الاول ان للرزق المعلوم نزلا ولشجرة الزقوم نزلا فايهما خير نزلا ومعلوم انه لا خير في

شجرة الزقوم

شجرة الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا ما ادى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما ادى الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك
توبيخا على سوء اختيارهم ● فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة ● او ابتلاء لهم في الدنيا وذلك انهم قالوا كيف يكون
في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا ● وقرئ نابتة في اصل الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى
دركاتها ● والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية او معنوية ● وشبه برؤوس
الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم
انه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح الصورة كأنه وجه شيطان كأنه رأس شيطان واذا صوروه
جاءوا بصورته على اقبح ما يقدر وأهوله كما انهم اعتقدوا في الملك انه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة
الحسنة قال الله عز وجل ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلي ● وقيل الشيطان حية عرفاء لها
صورة قبيحة المنظر هائلة جدا ● وقيل ان شجرا يقال له الأستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره
رؤوس الشياطين وما سمت العرب هذا الثمر برؤوس الشياطين الا قصدا الى احد التشبيهين ولكنه بعد
التسمية بذلك رجع اصلا ثالثا يشبه به ● فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ● ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم
ثم ان مرجعهم لالى الجحيم ● منها من الشجرة اي من طلعها ● فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد او
يقسرون على اكلها وان كرهوها ليكون بابا من العذاب فاذا شبعوا غلبهم العطش فيسقون شرابا
من غساق او صديد شوبه اي مزاجه من حميم يشوي وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال في صفة
شراب اهل الجنة ومزاجه من تسنيم ● وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول تسمية بالمصدر
فان قلت ما معنى حرف التراخي في قوله تعالى ثم ان لهم عليها لشوبا وفي قوله تعالى ثم ان مرجعهم قلت
في الاول وجهان احدهما انهم يملؤون البطون من شجر الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا
يسقون الا بعد ملي تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو احر وهو الشراب المشوب بالحميم ● والثاني
انه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو اكره وابشع فجاء بثم للدلالة على تراخي
حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته في الزيادة عليه ● ومعنى الثاني انهم يذهب
بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها الى شجرة الزقوم فيأكلون الى ان يتملؤوا
ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ● ومعنى التراخي في ذلك بيّن ● وقرئ ثم ان منقلبهم الى الجحيم
انهم الفوا آباءهم ضالين ● فهم على آثارهم يهرعون ● علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد كلها
بتقليد الآباء في الدين واتباعهم اياهم على الضلال وترك اتباع الدليل ● والاهراع الاسراع الشديد
كأنهم يزعجون على الاسراع على آثارهم ● ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين
ولقد ارسلنا فيهم منذرين ● فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ● الا عباد الله المخلصين ● الا الذين آمنوا
منهم واخلصوا دينهم لله او اخلصهم الله لدينه على القراءتين ● ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ●
ونجيناه واهله من الكرب العظيم ● وجعلنا ذريته هم الباقين
لما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعاءه اياه حين ايس من قومه
قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان لنوح عليه السلام ثلاثة اولاد

وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان من المشرق إلى المغرب ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج • وتركنا عليه في الآخرين • سلام على نوح في العالمين • إنا كذلك نجزي المحسنين • إنه من عبادنا المؤمنين • ثم أغرقنا الآخرين • وتركنا عليه في الآخرين من الأمم هذه الكلمة وهي سلام على نوح يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة أنزلناها • فإن قلت فما معنى قوله في العالمين قلت معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وأن لا يخلو أحد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم علل مجازاة نوح عليه الصلاة والسلام بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه إلى آخر الدهر بأنه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بأنه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الإيمان وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم ويرغبك في تحصيله والازدياد منه • وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم • من شيعته ممن شايعه على أصول الدين وإن اختلفت شرائعهما أو شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين • ويجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق في أكثر الأشياء • وعن ابن عباس رضي الله عنهما من أهل دينه وعلى سنته • وما كان بين نوح وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام إلا نبيان هود وصالح عليهما الصلاة والسلام وكان بين نوح وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام ألفان وستمائة وأربعون سنة • فإن قلت بم تعلق الظرف قلت بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وإن ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لإبراهيم أو بمحذوف وهو اذكر • بقلب سليم من جميع آفات القلوب • وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص لأنه مطلق فليس بعض الآفات أولى من بعض فيتناولها كلها • فإن قلت ما معنى المجيء بقلبه ربه قلت معناه أنه أخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك • إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون • أئفكا آلهة دون الله تريدون • فما ظنكم برب العالمين • أئفكا مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله إفكا وإنما قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لأنه كان الأهم عنده أن يكافحهم بأنهم على إفك وباطل في شركهم • ويجوز أن يكون إفكا مفعولا به يعني أتريدون إفكا ثم فسر الإفك بقوله آلهة من دون الله على أنها إفك في أنفسها • ويجوز أن يكون حالا بمعنى أتريدون آلهة من دون الله آفكين • فما ظنكم بمن هو الحقيق بالعبادة لأن من كان ربا للعالمين استحق عليهم أن يعبدوه حتى تركتم عبادته إلى عبادة الأصنام • والمعنى أنه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته أو فما ظنكم به أي شيء هو من الأشياء حتى جعلتم الأصنام له أندادا • أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره • فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم • فتولوا عنه مدبرين • في النجوم في علم النجوم أو في كتابها أو في أحكامها • وعن بعض الملوك أنه سئل عن مشتهاه فقال حبيب أنظر إليه ومحتاج أنظر له وكتاب أنظر فيه • كان القوم نجامين فأوهمهم أنه استدل بأمارة في علم النجوم على أنه يسقم فقال إني سقيم أي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الأسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه إلى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد ففعل بالأصنام ما فعل • فإن قلت كيف جاز له أن يكذب قلت قد جوزه بعض الناس في المكيدة في الحرب والتقية وإرضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين • والصحيح أن الكذب حرام إلا إذا عرض وورى والذي قاله إبراهيم عليه الصلاة والسلام معراض من الكلام ولقد نوى به أن من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء • وقول لبيد • فدعوت ربي بالسلامة جاهدا • ليصحني فإذا السلامة داء • ولقد مات رجل فجأة فالتف عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال أعرابي أصحيح من الموت في عنقه • وقيل أراد إني سقيم النفس لكفركم • فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون • ما لكم لا تنطقون • فراغ عليهم ضربا باليمين • فراغ إلى آلهتهم فذهب إليها في خفية من روغة الثعلب • إلى آلهتهم إلى أصنامهم التي هي في زعمهم آلهة كقوله تعالى أين شركائي • ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبدتها • فراغ فأقبل عليهم مستخفيا كأنه قال فضربهم ضربا لأن راغ عليهم

بمعنى ضربهم أو فراغ عليهم يضربهم ضربا • أو فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا • وقرئ صفقا وسفقا ومعناهما الضرب • ومعنى ضربا باليمين ضربا شديدا قويا لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما • وقيل بالقوة والمتانة • وقيل بسبب الحلف وهو قوله تعالى تالله لأكيدن أصنامكم • فأقبلوا إليه يزفون • قال أتعبدون ما تنحتون • يزفون يسرعون من زفيف النعام • ويزفون من أزف إذا دخل في الزفيف أو من أزفه إذا حمله على الزفيف أي يزف بعضهم بعضا • ويزفون على البناء للمفعول أي يحملون على الزفيف • ويزفون من وزف يزف إذا أسرع • ويزفون من زفاه إذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم إليه • فإن قلت بين هذا وبين قوله تعالى قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم كالتناقض حيث ذكر هاهنا أنهم أدبروا عنه خيفة العدوى فلما أبصروه يكسرهم أقبلوا إليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا به • وذكر ثم أنهم سألوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا إبراهيم يذمهم فلعله هو الكاسر ففي إحداهما أنهم شاهدوه يكسرها وفي الأخرى أنهم استدلوا بذمه على أنه هو الكاسر • قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون الذي أبصره وزف إليه نفر منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم إلى الأصنام ليأكلوا الطعام الذي وضعوه عندها للتبرك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا من ذلك وسألوا من فعل هذا بها ثم لم ينم عليه أولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف • والثاني أن يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك أحد ويكون إقبالهم إليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم قالوا فأتوا به على أعين الناس • والله خلقكم وما تعملون • والله خلقكم وما تعملون يعني خلقكم وخلق ما تعملونه من الأصنام كقوله بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن أي فطر الأصنام • فإن قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله تعالى معمولا لهم حيث أوقع خلقه وعملهم عليها جميعا • قلت هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسي وعمل الصائغ السوار والخلخال والمراد عمل أشكال هذه الأشياء وصورها دون جواهرها والأصنام جواهر وأشكال فخالق جواهرها الله وعاملو أشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض أجزائها حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه • فإن قلت فما أنكرت أن تكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة • قلت أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب أن معنى الآية يأباه إباء جليا وينبو عنه نبوا ظاهرا وذلك أن الله عز وجل قد احتج عليهم بأن العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أن العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر أن يصور نفسه ويشكلها • ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن محتجا عليهم ولا كان لكلامك طباق • وشيء آخر وهو أن قوله وما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون • وما في ما تنحتون موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن أختها إلا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر في علم البيان ولا تبصر لنظم القرآن • فإن قلت اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما ألزمت وأريد وما تعملونه من أعمالكم • قلت بل الإلزامان في عنقك لا يفكهما إلا الإذعان للحق وذلك أنك وإن جعلتها موصولة فإنك في إرادتك بها العمل غير محتج على المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية وأيضا فإنك قاطع بذلك الوصلة بين تعملون وما تنحتون حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الأعيان التي هي الأصنام وبما تعملون المعاني التي هي الأعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما إذا جعلتها مصدرية • قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم • فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين • الجحيم النار الشديدة الوقود • وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم • والمعنى أن الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعا وأذلهم بين يديه أرادوا أن يغلبوه بالحجة فلقنه الله وألهمه ما ألقمهم به الحجر وقهرهم فمالوا إلى المكر فأبطل الله مكرهم وجعلهم الأذلين الأسفلين لم يقدروا عليه • وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين • أراد بذهابه إلى ربه مهاجرته إلى حيث أمره بالمهاجرة إليه من

ارض الشام كما قال اني مهاجر الى ربي ● سيهدين سيرشدني الى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني
ويوفقني كما قال موسى عليه الصلاة والسلام ان معي ربي سيهدين ● كان الله وعده وقال له سأهديك
فاجرى كلامه على سنن موعده ● او بناه على عادة الله معه في هدايته وارشاده او اظهر بذلك
توكله وتفويضه امره الى الله ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى عليه الصلاة والسلام عسى
ربي ان يهديني سواء السبيل ● رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم ● هب لي من الصالحين
هب لي بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب في الولد وان كان قد جاء في الاخ كما في قوله تعالى
ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا ● قال الله عز وجل ووهبنا له اسحاق ويعقوب ● ووهبنا له يحيى
وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لابن عباس رضي الله عنهما حين هنأه بولد على ابي الاملاك
شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب
وقد انطوت البشارة على ثلاث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ اوان الحلم وان يكون حليما واي حلم
اعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك ●
وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم الصلاة والسلام باقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة وجوده ولقد نعت الله
به ابراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى ان ابراهيم لاواه حليم ان ابراهيم لحليم اواه منيب لان الحادثة
شهدت بحلمهما جميعا ● فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر
ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ● فلما بلغ ان يسعى
مع ابيه في اشغاله وحوائجه **فان قلت** معه بم يتعلق **قلت** لا يخلو اما ان يتعلق ببلغ
او بالسعي او بمحذوف ولا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر
لا تتقدم عليه فبقي ان يكون بيانا كانه لما قال فلما بلغ السعي اي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل
مع من فقال مع ابيه والمعنى في الاختصاص بالاب انه ارفق الناس به واعطفهم عليه وغيره ربما عنف
به في الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة
والمراد انه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره
على احتمال تلك البلية العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم ● اني ارى في المنام فقيل له اذبح ابنك ورؤيا
الانبياء وحي كالوحي في اليقظة فلهذا قال اني ارى في المنام اني اذبحك ذكر تأويل الرؤيا كما يقول الممتحن
وقد رأى انه راكب في سفينة رأيت في المنام اني ناج من هذه المحنة ● وقيل رأى ليلة التروية كأن قائلا
يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روّى في ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم ام من
الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم رأى مثله
في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر ● وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال اذا هو ذبيح
الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك ● فانظر ماذا ترى من الرأي على وجه المشاورة ● وقرئ
ماذا تُري اي ماذا تبصر من رأيك وتبديه ● ماذا تُرى على البناء للمفعول اي ماذا تريك نفسك من الرأي
افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله ● امرتك الخير فافعل ما امرت به ● او امرك على
اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المأمور به امرا ● وقرئ ما تؤمر به **فان قلت** لم شاوره في امر هو
حتم من الله **قلت** لم يشاوره ليرجع الى رأيه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت
قدمه ويصبره ان جزع ويأمن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليه ملاقاة
البلاء ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله ولان المغافصة بالذبح مما يستسمج
وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة في اكله من الشجرة لما فرط منه ذلك **فان قلت**

ولو كان ذلك بالمنام دون اليقظة **قلت** كما ارى يوسف عليه الصلاة والسلام سجود ابويه واخوته له
في المنام من غير وحي الى ابيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام في المنام وما سوى
ذلك من منامات الانبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدقين لان الحال اما حال اليقظة
او حال النوم فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك اقوى الدلالة من انفراد احدهما ● فلما اسلما وتله
للجبين ● وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ● يقال سلم لامر الله
واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا اذا انقاد له وخضع واصلها من قولك سلم هذا لفلان
اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه ● وقولهم سلم لامر الله واسلم منقولان منه وحقيقة معناهما
اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله ● وعن قتادة
في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه ● وتله للجبين صرعه على شقه فوقع احد جبينيه على الارض تواضعا
على مباشرة الامر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان ● وروي ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى
وعن الحسن رحمة الله عليه في الموضع المشرف على مسجد منى ● وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم **فان قلت**
اين جواب لما **قلت** هو محذوف تقديره فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا
كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما انعم به
عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الانفس عليه من الثواب والاعواض و
رضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب ● وقوله انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويلهما ما خولهما من الفرج بعد
الشدة والظفر بالبغية بعد الياس ● ان هذا لهو البلاء المبين ● البلاء المبين الاختبار البين الذي يتميز
فيه المخلصون من غيرهم او المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها ● وفديناه بذبح عظيم وتركنا
عليه في الآخرين ● الذبح اسم ما يذبح ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الكبش الذي قربه هابيل فقبل منه
وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسماعيل عليه الصلاة والسلام ● وعن الحسن رحمه الله فدي بوعل اهبط عليه
من ثبير ● وعن ابن عباس رضي الله عنه لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس ابناءهم ● عظيم ضخم الجثة
سمين وهي السنة في الاضاحي وقوله صلى الله عليه وسلم استشرفوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم ● وقيل لانه
وقع فداء عن ولد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ● وروي انه هرب من ابراهيم عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات
حتى اخذه فبقيت سنة في الرمي ● وروي انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده ● وروي انه
لما ذبحه قال جبريل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة
وحكي في قصة الذبيح انه حين اراد ان يذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى الشعب نحتطب فلما توسطا
شعب ثبير اخبره بما امر فقال له اشدد رباطي لا اضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص اجري
وتراه امي فتحزن واستحد شفرتك واسرع امرارها على حلقي حتى تجهز علي ليكون اهون فان الموت شديد واقرأ
على امي السلام وان رايت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسهل لها فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام
نعم العون انت يا بني على امر الله ● ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم تعمل
لان الله ضرب صفيحة من نحاس على حلقه فقال اكببني على وجهي فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني وادركتك رقة
تحول بينك وبين امر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا
فنظر فاذا جبريل عليه الصلاة والسلام معه كبش اقرن املح فكبر جبريل والكبش وابراهيم وابنه واتى المنحر من منى
فذبحه ● وقيل لما وصل موضع السجود منه الى الارض جاء الفرج وقد استشهد ابو حنيفة رحمه الله بهذه الآية في
مسألة من نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة **فان قلت** من كان الذبيح من ولديه **قلت** قد اختلف فيه فعن ابن عباس
رضي الله عنهما وابن عمر رضي الله عنه ومحمد بن كعب القرظي رحمة الله عليهم اجمعين وجماعة من التابعين رضوان الله عليهم

اسمعيل عليه الصلوة والسلام والحجة فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين وقال له اعرابي
يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله له امرها ليذبحن احد
ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني اسمعيل
وعن محمد بن كعب القرظي قال كان مجتهد بني اسرائيل اذا دعا يقول اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل فقال موسى عليه الصلوة
والسلام يا رب ما لمجتهد بني اسرائيل اذا دعا قال اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل وانا بين اظهرهم قد اسمعتني كلامك
واصطفيتني برسالتك قال يا موسى لم يحبني احد حب ابرهيم قط ولا خير بيني وبين شيء قط الا اختارني واما اسمعيل
عليه الصلوة والسلام فانه جاد بدم نفسه • واما اسرائيل فانه لم ييأس من روحي في شدة نزلت به قط ويدل عليه ان
الله عز وجل لما اتم قصة الذبيح قال وبشرناه باسحاق • وعن محمد بن كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل فقال عمر ان
هذا الشيء ما كنت انظر فيه واني لاراه كما قلت ثم ارسل الى يهودي قد اسلم فسأله فقال ان اليهود لتعلم انه اسمعيل ولكنهم
يحسدونكم يا معشر العرب ويدل عليه ان قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت وعن
الاصمعي قال سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحاق بمكة وانما كان
اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه ان الله تعالى وصفه بالصبر دون اسحاق في قوله
عز وجل واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله
فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فلو كان الذبيح اسحاق لكان خلفا للوعد في يعقوب عليه الصلوة والسلام
• وعن علي بن ابي طالب وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين رضوان الله عليهم اجمعين
انه اسحاق والحجة فيه ان الله تعالى اخبر عن خليله ابرهيم عليه الصلوة والسلام حين هاجر الى الشام بانه استوهبه
ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف صلوات
الله عليهما من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله **فان قلت** قد اوحي الى ابرهيم عليه الصلوة
والسلام في المنام بان يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح
قلت قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه جاء
بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابرهيم عليه الصلوة والسلام الا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا
بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به
قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل في شيء كما يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام فيه **فان قلت** الله تعالى هو المفتدي
منه لانه الآمر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه **قلت** الفادي هو ابرهيم عليه الصلوة والسلام والله
عز وجل وهب له الكبش ليفتدي به وانما قال وفديناه اسنادا للفداء الى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته
فان قلت فاذا كان ما اتى به ابرهيم من البطح وامرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء انما هو التخليص من
الذبح ببدل **قلت** قد علم بخبر الله ان حقيقة الذبح لم تحصل من فري الاوداج وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم
ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس اسمعيل ولكن في نفس الكبش بدلا منه **فان قلت**
فاي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغني عنها بقيام ما وجد من ابرهيم عليه الصلوة والسلام مقام
الذبح من غير نقصان **قلت** الفائدة في ذلك ان يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد المأمور
به من كل وجه • سلام على ابرهيم • كذلك نجزي المحسنين • انه من عبادنا المؤمنين • **فان قلت**
لم قيل هاهنا كذلك نجزي المحسنين وفي غيرها من القصص انا كذلك **قلت** قد سبقه في هذه القصة انا كذلك
فكانما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية • وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين • وباركنا
عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين • نبيا حال مقدرة كقوله تعالى فادخلوها
خالدين **فان قلت** فرق بين هذا وبين قوله تعالى فادخلوها خالدين وذلك ان المدخول موجود مع وجود الدخول

والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم
وقت وجود البشارة وعدم المبشر به اوجب عدم حاله لا محالة لان الحال حلية والحلية لا تقوم
الا بالمحلى وهذا المبشر به الذي هو اسحاق عليه الصلوة والسلام حين وجد لم توجد النبوة ايضا
بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل والمفعول
عند وجود الفعل منه او به فالخلود وان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان
المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون موجودة او مقدرة وقت وجود البشارة
باسحاق لعدم اسحاق **قلت** هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل الاشكال انه لا بد من تقدير
مضاف محذوف وذلك قوله وبشرناه بوجود اسحاق نبيا اي بان يوجد مقدرة نبوته والعامل في الحال
الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين من الصالحين حال ثانية وورودها
على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لا بد ان يكون من الصالحين • وعن قتادة بشره الله بنبوة اسحاق بعد
ما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح اسحاق لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه باسحاق قالوا ولا يجوز
ان يبشره الله بمولده ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه انه سيكون نبيا وباركنا عليه وعلى
اسحاق • وقرئ وبركنا اي افضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله تعالى وآتيناه اجره وانه في الآخرة لمن
الصالحين • وقيل باركنا على ابرهيم في اولاده وعلى اسحاق بان اخرجنا انبياء بني اسرائيل من صلبه
وقوله تعالى وظالم لنفسه نظيره قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه على ان الخبث
والطيب لا يجري امرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبائع
والعناصر وعلى ان الظلم في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاتب
على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من اصله وفرعه • ولقد مننا على موسى وهرون • ونجيناهما وقومهما
من الكرب العظيم • ونصرناهم فكانوا هم الغالبين • وآتيناهما الكتاب المستبين • وهديناهما
الصراط المستقيم • وتركنا عليهما في الآخرين • سلام على موسى وهرون • انا كذلك نجزي
المحسنين • انهما من عبادنا المؤمنين • من الكرب العظيم من الغرق او من سلطان فرعون وقومه وغشمهم
ونصرناهم الضمير لهما ولقومهما في قوله تعالى ونجيناهما وقومهما • والكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التوراة كما
قال عز وجل انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور • وقال يجوز ان تكون التوراة عربية اشتقاقها من ورى
الزند وتفعلة منه على ان التاء مبدلة من واو • الصراط المستقيم صراط اهل الاسلام وهي صراط الذين انعم الله
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين • وان الياس لمن المرسلين • اذ قال لقومه الا تتقون • اتدعون
بعلا وتذرون احسن الخالقين • الله ربكم ورب آبائكم الاولين • فكذبوه فانهم
لمحضرون • الا عباد الله المخلصين • قرئ الياس بكسر الهمزة والياس على لفظ الوصل • وقيل هو ادريس النبي
عليه الصلوة والسلام • وقرأ ابن مسعود وان ادريس في موضع الياس وقرئ ادراس وقيل هو الياس بن ياسين
من ولد هرون اخي موسى عليهما الصلوة والسلام • اتدعون بعلا اتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان لهم كمناة
وهبل • وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة
سادن وجعلوهم انبياءه فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها
ويعلمونها الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك • وقيل البعل الرب بلغة اليمن
يقال من بعل هذه الدار اي من ربها • والمعنى اتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله • الله ربكم ورب آبائكم
قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة رحمه الله اذا وصل نصب واذا وقف رفع • وتركنا
عليه في الآخرين • سلام على آل ياسين • انا كذلك نجزي المحسنين • انه من عبادنا المؤمنين • وقرئ

على الياسين وادريسين وادراسين على انها لغات في الياس وادريس ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى
● وقرئ آل ياسين بالاضافة على تأويل ... بدليل الياس ... فإن قلت
فهلا حملت على هذا الياسين على القطع ... قلت لو كان جمعا لعرف بالالف واللام ● واما من قرأ على آل
ياسين فعلى ان ياسين اسم ابي الياس اضيف اليه الآل ● وإن لوطا لمن المرسلين ● إذ نجيناه وأهله أجمعين
إلا عجوزا في الغابرين ● ثم دمرنا الآخرين ● وإنكم لتمرون عليهم مصبحين ● وبالليل أفلا
تعقلون ● مصبحين داخلين في الصباح يعني تمرون على منازلهم في متاجركم الى الشام ليلا ونهارا فما
فيكم عقول تعتبرون بها ● وإن يونس لمن المرسلين ● إذ أبق إلى الفلك المشحون ● فساهم فكان من المدحضين
فالتقمه الحوت وهو مليم ● قرئ يونس بضم النون وكسرها ● وسمي هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة
المجاز ● والمساهمة المقارعة ويقال استهم القوم اذا اقترعوا ● والمدحض المغلوب المقروع وحقيقته
المزلق عن مقام الظفر والغلبة ● روي انه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا ها هنا عبد آبق من سيده
وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال انا الآبق وزج
بنفسه في الماء ● فالتقمه الحوت وهو مليم داخل في الملامة يقال رب لائم مليم اي يلوم غيره وهو احق منه باللوم
وقرئ مليم بفتح الميم من ليم فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنيا على شيب ونحوه مدعي بناء على
دعي ● فلولا أنه كان من المسبحين ● للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ● وقيل هو قوله في بطن الحوت لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين ● وقيل من المصلين ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل تسبيح في القرآن فهو صلاة ● وعن
قتادة كان كثير الصلاة في الرخاء قال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع وجد متكأ وهذا
ترغيب من الله عز وجل في اكثار المؤمن من ذكره بما هو اهله واقباله على عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر
في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده تعالى في المضايق والشدائد ● للبث في بطنه الظاهر لبثه
حيا الى يوم البعث ● عن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة ● وروي انه حين ابتلعه اوحى الله تعالى
الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما ● واختلف في مقدار لبثه فعن الكلبي اربعون يوما
وعن الضحاك عشرون ● وعن عطاء سبعة ● وعن بعضهم ثلاثة ● وعن الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه
بعيد الوقت الذي التقم فيه ● وروي ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم
حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا ● وروي ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل
فنبذناه بالعراء وهو سقيم ● وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ● والعراء المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء
يغطيه ● وهو سقيم اعتل مما حل به ● وروي انه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد ● واليقطين كل ما ينسدح
على وجه الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به
وقيل هو الدباء وفائدة الدباء ان الذباب لا يجتمع عنده ● وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع
قال اجل هي شجرة اخي يونس ● وقيل هي التين ● وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على
ثماره ● وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها ● وروي انه مر زمان على الشجرة
فيبست فبكى جزعا فاوحي اليه بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة الف في يد الكافر فإن قلت ما معنى انبتنا
عليه شجرة قلت انبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان ● وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون
فآمنوا فمتعناهم إلى حين ● وأرسلناه إلى مائة ألف المراد به ما سبق من ارساله الى قومه وهم اهل نينوى
وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين او الى غيرهم ... [illegible]
... [illegible] ... قال هي مائة الف او اكثر ... [illegible] ● وقرئ ويزيدون بالواو ● ... حين ●

فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون ● أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون ● ألا إنهم من إفكهم
ليقولون ● ولد الله وإنهم لكاذبون ● أصطفى البنات على البنين ● ما لكم كيف تحكمون ● أفلا تذكرون ●
فاستفتهم معطوف على مثله في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة امر رسوله باستفتاء قريش عن وجه
انكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها
حيث جعلوا لله الاناث ولانفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم
من ذكرهن ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة انواع من الكفر احدها التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام ● والثاني
تفضيل انفسهم على ربهم حين اختاروا اوضع الجنسين له ولهم افضلهما كما قال تعالى واذا بشر احدهم بما ضرب
للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين ● والثالث انهم
استهانوا باكرم خلق الله عليه واقربهم اليه حيث انثوهم ولو قيل لاقلهم وادناهم فيك انوثة وشكلك شكل
النساء للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك في اهاجيهم بين مكشوف فكرر الله سبحانه وتعالى الانواع كلها
[illegible]
للملائكة بنين ... والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى تقول هذه ولدي وهؤلاء ولدي
فإن قلت أصطفى البنات بفتح الهمزة استفهام على طريق الانكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة ابي جعفر
بكسر الهمزة على الاثبات قلت جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرأ بها حمزة والاعمش وهذه
القراءة وان كان هذا محملها فهي ضعيفة والذي اضعفها ان الانكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك
قوله وانهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها للاثبات فقد اوقعها دخيلة بين نسيبتين ● وقرئ تذكرون
من ذكر ● أم لكم سلطان مبين ● فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين ● وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا
ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون ● سبحان الله عما يصفون ● إلا عباد الله المخلصين ● أم لكم سلطان
اي حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بان الملائكة بنات الله ● فأتوا بكتابكم الذي انزل عليكم في ذلك كقوله تعالى ام انزلنا
عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ● وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم وانكار فظيع واستبعاد لاقاويلهم
شديد وما الاساليب التي وردت عليها الا ناطقة بتسفيه احلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها
مع استهزاء وتهكم وتعجب من ان يخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا ان يجعله معتقدا ويتظاهر
به مذهبا ● وجعلوا بين الله وبين الجنة واراد الملائكة نسبا وهو زعمهم انهم بناته والمعنى وجعلوا بما
قالوا نسبة بين الله وبينهم واثبتوا بذلك جنسية جامعة له وللملائكة فإن قلت لم سمي الملائكة
جنة قلت الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم
ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا
منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين في انفسهم ان يبلغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم وفيه
اشارة الى ان من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام لا يصلح ان يناسب من لا يجوز عليه ذلك

وشتان ما بين تسوية بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه وبين قولك أتسوي بيني وبين عبدي وإذا ذكره في
غير هذا المقام وقّره وكنّاه • والضمير في إنهم لمحضرون للكفرة والمعنى أنهم يقولون ما يقولون في الملائكة
وقد علم الملائكة أنهم في ذلك كاذبون مفترون وأنهم محضرون النار معذبون بما يقولون وقيل الجنة الملائكة
في التكذيب حيث أضيف إلى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة • وقيل قالوا إن الله صاهر الجن فخرجت الملائكة • وقيل
قالوا إن الله والشيطان أخوان • وعن الحسن رحمه الله أشركوا الجن في طاعة الله • ويجوز إذا فسر الجنة بالشياطين
أن يكون الضمير في إنهم لمحضرون والمعنى أن الشياطين عالمون بأن الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين
له أو شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم • إلا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين معناه
ولكن المخلصين ناجون • وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه • ويجوز أن يقع الاستثناء
من الواو في يصفون أي يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين برآء من أن يصفوه به • فإنكم وما تعبدون ما أنتم
عليه بفاتنين • إلا من هو صال الجحيم • وما منا إلا له مقام معلوم • وإنا لنحن الصافون •
وإنا لنحن المسبحون • الضمير في عليه لله عز وجل ومعناه فإنكم ومعبوديكم ما أنتم وهم جميعا بفاتنين على الله
إلا أصحاب النار الذين سبق في علمه أنهم لسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها • فإن قلت كيف يفتنونهم على الله
قلت يفتنونهم عليه بإغوائهم واستهوائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه وخببها
عليه • ويجوز أن يكون الواو في وما تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل
وضيعته وأن كل رجل وضيعته جاز أن يسكت على قوله فإنكم وما تعبدون لأن قوله وما تعبدون ساد مسد
الخبر لأن معناه فإنكم مع ما تعبدون والمعنى فإنكم مع آلهتكم أي فإنكم قرناؤهم وأصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال
ما أنتم عليه أي على ما تعبدون بفاتنين بباعثين أو حاملين على طريق الفتنة والإضلال • إلا من هو ضال مثلكم
أو يكون في أسلوب قوله فإنك والكتاب إلى علي كدابغة وقد حلم الأديم • وقرأ الحسن رحمه الله صالُ الجحيم
بضم اللام وفيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هي ولام التعريف فإن قلت
كيف استقام الجمع مع قوله من هو قلت من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه
كما حمل في مواضع من التنزيل على لفظ ومعنى في آية واحدة • والثاني أن يكون أصله صائل على القلب ثم يقال صال في صائل
كقولهم شاك في شائك • والثالث أن يحذف لام صال تخفيفا ويجرى الإعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به
بالة وأصلها بالية كعافية في عاف ونظيره قراءة من قرأ وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشآت بإجراء الإعراب
على العين • وما منا أحد إلا له مقام معلوم فحذف الموصوف وأقيم الصفة مقامه كقوله أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
بكفي كان من أرمى البشر • مقام معلوم مقام في العبادة والانتهاء إلى أمر الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روي فمنهم
راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه • لنحن الصافون نصف أقدامنا في الصلاة أو أجنحتنا في الهواء منتظرين ما نؤمر
وقيل نصف أجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين • وقيل إن المسلمين إنما اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الآية وليس
يصطف أحد من أهل الملل في صلاتهم غير المسلمين • المسبحون المنزهون أو المصلون • والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله
عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله تعالى ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون كأنه قيل ولقد علم الملائكة
وشهدوا أن المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين
وبرّؤوهم منه وقالوا للكفرة فإذا صح ذلك فإنكم وآلهتكم لا تقدرون أن تفتنوا على الله أحدا من خلقه وتضلوه إلا من كان مثلكم
ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره وإرادته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا أنهم من أهل النار وكيف نكون مناسبين لرب
العزة ونجامعه بالجنسية وما نحن إلا عبيد أذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه
ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله • ونحن الصافون أقدامنا لعبادته وأجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين
ممجدين وكما يجب على العباد لربهم • وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني وما من المسلمين أحد إلا له مقام معلوم

يوم القيمة

يوم القيمة على قدر عمله من قوله سبحانه وتعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا • ثم ذكر أعمالهم وأنهم الذين يصطفون
في الصلاة ويسبحون الله وينزهونه عما يضيف إليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه • وإن كانوا ليقولون • لو أن عندنا
ذكرا من الأولين • لكنا عباد الله المخلصين • فكفروا به فسوف يعلمون • هم مشركو قريش كانوا يقولون
لو أن عندنا ذكرا أي كتابا من كتب الأولين الذين نزل عليهم التوراة والإنجيل لأخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما
كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذي هو سيد الأذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه
فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا • فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام • وإن هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك أنهم كانوا يقولون مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين • إنهم لهم المنصورون • وإن جندنا لهم الغالبون •
الكلمة قوله إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون • وإنما سماها كلمة وهي كلمات عدة لأنها لما انتظمت في
معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة • وقرئ كلماتنا والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقاوم الحجاج وملاحم
القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة كما قال الله سبحانه وتعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ولا يلزم
انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فإن الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة
وكفى بمشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم مثلا يحتذى
عليها ويعتبر بها • وعن الحسن رحمة الله عليه ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولأن قاعدة
أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وإن وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة
والحكم للغالب • وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة • وفي قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت • فتول عنهم حتى حين • وأبصرهم فسوف
يبصرون • فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين • فتول عنهم فأعرض عنهم وأغض على أذاهم
حتى حين إلى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال • وعن السدي إلى يوم بدر • وقيل إلى يوم القيمة • وقيل
إلى الموت • وأبصرهم وما يقضى عليهم من الأسر والقتل والعذاب في الآخرة • فسوف يبصرونك وما يقضى لك
من النصرة والتأييد والثواب في العاقبة • والمراد بالأمر بإبصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة على
أنها كائنة واقعة لا محالة وأن كينونتها قريبا كأنها قدام ناظريك وفي ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتنفيس عنه • وقوله تعالى فسوف يبصرون للوعيد كما سلف لا للتبعيد • مثل العذاب النازل بهم بعدما أنذروه
فأنكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره ولا أخذوا أهبتهم ولا دبروا أمرهم
تدبيرا ينجيهم حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا
صباحا فسميت الغارة صباحا وإن وقعت في وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي يحس بها
ويروقك موردها على نفسك وطبعك إلا لمجيئها على طريقة التمثيل • وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فبئس صباح
وقرئ نزل بساحتهم على إسناده إلى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد • ونزل على ونزل العذاب • والمعنى فساء
صباح المنذرين صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من أنذروا لأن ساء وبئس يقتضيان ذلك • وقيل هو
نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة • وعن أنس رضي الله عنه لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر
وكانوا خارجين إلى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا إلى حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم الله
أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين • وتول عنهم حتى حين • وأبصر فسوف
يبصرون • سبحان ربك رب العزة عما يصفون • وسلام على المرسلين • والحمد لله رب العالمين
وإنما ثنى ليكون تسلية على تسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد إلى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهي إطلاق الفعلين
معا عن التقييد بالمفعول وأنه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة • وقيل أريد

باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة اضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق • ويجوز ان يراد انه ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو ربها ومالكها كقوله وتعز من تشاء • اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لرب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه العزيز ومؤدى قرآنه المجيد • وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين • والحمد لله رب العالمين • وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد وآله

سورة ص مكية وهي ست وثمانون وقيل ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق • صاد على الوقف وهي اكثر القراءة • وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين • ويجوز ان ينتصب بحذف حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله لافعلن بالنصب او باضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لانها بمعنى السورة وقد صرفها من قرأ صاد بالجر والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل • وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة والمعادلة • ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه • **فان قلت** قوله ص • والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه • **قلت** فيه وجهان احدهما ان يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز كما مر في اول الكتاب ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كانه قال والقرآن ذي الذكر انه لكلام معجز • والثاني ان يكون صاد خبر مبتدأ محذوف على انها اسم السورة كانه قيل هذه صاد يعني هذه السورة التي اعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا اقسم بها كانه قال اقسمت بصاد والقرآن ذي الذكر انه لمعجز • ثم قال بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق • وشقاق لله ورسوله • واذا جعلتها مقسما بها وعطفت عليها والقرآن ذي الذكر جاز لك ان تريد بالقرآن التنزيل كله وان تريد السورة بعينها ومعناه اقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل • والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور او الذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من الشرائع وغيرها كاقاصيص الانبياء والوعد والوعيد • والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما • وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق • كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص • كم اهلكنا وعيد لذوي العزة والشقاق • فنادوا فدعوا واستغاثوا • وعن الحسن فنادوا بالتوبة • ولات هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا احد مقتضيها اما الاسم او الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه • وعند الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان • وحين مناص منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعنه ان ما ينتصب بعده بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص ويرتفع بالابتداء اي ولا حين مناص كائن لهم والرفع على ولات حين مناص حاصل لهم • وقرئ حين مناص بالكسر ومثله قول ابي زبيد

الطائي • طلبوا صلحنا ولات اوان • فاجبنا ان لات حين بقاء • **فان قلت** ما وجه الكسر في اوان • **قلت** شبه باذ في قوله وانت اذ صحيح في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان الاصل ولات اوان صلح • **فان قلت** فما تقول في حين مناص والمضاف اليه قائم • **قلت** نزل قطع المضاف اليه من مناص لان اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من الضمير المحذوف ثم بني الحين لكونه مضافا الى غير متمكن • وقرئ ولات بكسر التاء على البناء كجير • **فان قلت** كيف يوقف على لات • **قلت** يوقف عليها بالتاء كما يوقف على الفعل الذي يتصل به تاء التأنيث • واما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف على الاسماء المؤنثة • واما قول ابي عبيد ان التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بان التاء ملتزقة بحين في الامام لا متشبث به فكم وقعت في المصحف اشياء خارجة عن قياس الخط • والمناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه اذا فاته واستناص طلب المناص • قال حارثة بن بدر يصف فرسا • غمر الجراء اذا قصرت عنانه • بيدي استناص ورام جري المسحل • وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب • اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب • منذر منهم رسول من انفسهم • وقال الكافرون ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على ان هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم اولئك هم الكافرون حقا وهل ترى كفرا اعظم وجهلا ابلغ من ان يسموا من صدقه الله بوحيه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته • روي ان اسلام عمر رضي الله عنه فرح به المؤمنون فرحا شديدا وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى ابي طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الاسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر ابو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال عليه الصلاة والسلام أرأيتم ان اعطيتكم ما سألتم أمعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا اي نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب اي بليغ في العجب • وقرئ عجاب بالتشديد كقوله تعالى ومكروا مكرا كبارا وهو ابلغ من المخفف ونظيره كريم وكرام • وقوله تعالى اجعل الآلهة الها واحدا مثل قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا في ان معنى الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى والزعم كانه قال اجعل الجماعة واحدا في قوله لان ذلك في الفعل محال • وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد • وانطلق الملأ منهم وانطلقت اشراف قريش عن مجلس ابي طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا فلا حيلة لكم في دفع امر محمد • ان هذا لشيء يراد اي ان هذا الامر لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا انفكاك لنا منه • وقيل ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى ويريده كل احد • وقيل ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه • وان بمعنى اي لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول • ويجوز ان يراد بالانطلاق الاندفاع في القول وانهم قالوا امشوا اي اكثروا واجتمعوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل • وعن ابن مسعود وانطلق الملأ منهم يمشون ان اصبروا • وقرئ بغير ان امشوا • ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق • في ملة عيسى التي هي آخر الملل لان النصارى يدعونها وهم مثلثة غير موحدة او في ملة قريش التي ادركنا عليها آباءنا او ما سمعنا من اهل الكتاب ولا من الكهان انه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله

ما هذا الا اختلاق اي افتعال وكذب ﴿أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب﴾ انكروا ان يختص بالشرف من بين اشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الانكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما اوتي من شرف النبوة من بينهم ﴿بل هم في شك﴾ من القرآن يقولون في انفسهم اما واما وقولهم ان هذا الا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد ﴿بل لما يذوقوا﴾ بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعني انهم لا يصدقون به الا ان يمسهم العذاب مضطرين الى التصديق ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾ ام عندهم خزائن رحمة ربك يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد صلى الله عليه وسلم وانما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله كما قال تعالى اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا ﴿أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب﴾ ثم رشح هذا المعنى فقال ام لهم ملك السماوات والارض حتى يتكلموا في الامور الربانية والتدابير الالهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة وكانت عندهم الحكمة التي يميزون بها بين من هو حقيق بايتاء النبوة دون من لا يحق له ﴿فليرتقوا في الأسباب﴾ فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون ﴿جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾ ثم خسأهم خسأة عن ذلك بقوله تعالى جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب يريد ما هم الا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام كما في قول امرئ القيس وحديث ما على قصره الا انه على سبيل الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من اهله لست هنالك ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد﴾ ذو الاوتاد اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده قال والبيت لا يبتنى الا على عمد ولا عماد اذا لم ترس اوتاد فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الامر كما قال الاسود في ظل ملك ثابت الاوتاد وقيل كان يشبح المعذب بين اربع سوار كل طرف من اطرافه الى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه ﴿وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب﴾ اولئك الاحزاب قصد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم اولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام ﴿إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب﴾ ثم جاء بالجملة الاستثنائية فاوضح فيها بان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص انواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق اشد العقاب وابلغه ثم قال فحق عقاب لذلك اي فوجب ان اعاقبهم حق عقابهم ﴿وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق﴾ هؤلاء اهل مكة ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاحزاب لاستحضارهم بالذكر او لانهم كالحضور عند الله تعالى الصيحة النفخة ما لها من فواق وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع يعني اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما لها من رجوع وترداد من افاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد انها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب﴾ القط القسط من الشيء لانه قطعة منه من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس

وقد فتنوه بما قرأه تعالى عجل لنا قطنا اي نصيبنا من العذاب الذي توعدته كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها او عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها ﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب﴾ فان قلت كيف تطابق قوله تعالى اصبر على ما يقولون وقوله تعالى واذكر عبدنا داود حتى عطف احدهما على صاحبه قلت كانه قال لنبيه صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وعظم امر معصية الله في اعينهم بذكر قصة داود عليه الصلاة والسلام وهو انه نبي من انبياء الله تعالى قد اولاه ما اولاه من النبوة والملك لكرامته عليه ثم زل زلة فبعث اليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر واناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب ونقش خطيئته في بطن كفه حتى لا يزال مجددا الندم عليها فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم او قال له صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وصن نفسك وحافظ عليها ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذاهم واذكر اخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته الى البغي ما لقي ذا الايد ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه باعباء النبوة والملك يصوم يوما ويفطر يوما وهو اشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان ايد وذو ايد وآد وذو آد وايدا كل شيء ما يتقوى به اواب تواب رجاع الى مرضاة الله تعالى فان قلت ما دل على ان الايد القوة في الدين قلت قوله تعالى انه اواب لانه تعليل لذي الايد ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أواب﴾ والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هاني رضي الله عنها دخل علينا نبي الله صلى الله عليه وسلم فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال يا ام هاني هذه صلاة الاشراق وعن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما هل تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأ انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وقال كانت صلاة يصليها داود عليه الصلاة والسلام وعنه ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية وعنه لم يزل في نفسي من صلاة الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها في هذه الآية يسبحن بالعشي والاشراق وكان لا يصلي صلاة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب انه قال لابن عباس رضي الله عنهما اني اجد في كتب الله صلاة بعد طلوع الشمس فقال انا اوجدك ذلك في كتاب الله تعالى يعني هذه الآية ويحتمل ان يكون من اشرق القوم اذا دخلوا في الشروق ومنه قوله تعالى فاخذتهم الصيحة مشرقين وقول اهل الجاهلية اشرق ثبير ويراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بالشروق ويسبحن في معنى مسبحات على الحال فان قلت هل من فرق بين يسبحن ومسبحات قلت نعم وما اختير يسبحن على مسبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال وكأن السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الاعشى الى ضوء نار في يفاع تحرق ولو قال محرقة لم يكن شيئا وقوله محشورة في مقابلة يسبحن الا انه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء به اسما لا فعلا وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على ان الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لان حشرها جملة واحدة ادل على القدرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل داود اي لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عادته ان يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله تعالى اي كل من داود والجبال والطير لله اواب اي مسبح مرجع للتسبيح ﴿وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ وشددنا ملكه قويناه قال تعالى سنشد عضدك وقرئ شددنا على المبالغة قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم يحرسونه وقيل الذي شد الله

بمملكه فقذف في قلوب قومه الهيبة منه ان رجلا ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحي اليه في المنام ان اقتل
المدعى عليه فقال هذا منام فاعيد الوحي في اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله لم يأخذني بهذا الذنب ولكني قتلت ابا
هذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله عليه فقتله فهابوه ● الحكمة الزبور وعلم الشرائع ● وقيل كل كلام
وافق الحق فهو حكمة ● الفصل التمييز بين الشيئين ● وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير لانهم قالوا
كلام ملتبس ● وقيل في كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل في نقيضه فصل اي مفصول بعضه من بعض فمعنى
فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه
ان لا يخطئ مظان الفصل والوصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله تعالى فويل
للمصلين الا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وانتم حتى يصل به قوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف
وتركه والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ● وان شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور واردت
بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب والخطا وهو كلامه
في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات ● وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه هو قوله البينة على المدعي واليمين
على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله اما بعد لانه يفتتح اذا تكلم في الامر
الذي له شان بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله اما بعد
ويجوز ان يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصل لا نزر ولا هذر ● وهل اتاك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب كان اهل زمان داود عليه الصلاة والسلام
يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها
وقد روينا ان الانصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان عين داود صلى الله عليه وسلم وقعت على امرأة
رجل يقال له اوريا فاحبها فسأله النزول له عنها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان عليه الصلاة والسلام
فقيل له انك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شانك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك ان تسأل رجلا ليس له
الا امرأة واحدة النزول لك عنها بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به ● وقيل خطبها
اوريا ثم خطبها داود عليه الصلاة والسلام فآثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المؤمن مع كثرة
نسائه ● واما ما يذكر ان داود عليه الصلاة والسلام تمنى منزلة آبائه ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم الصلاة
والسلام فقال يا رب ان آبائي قد ذهبوا بالخير كله فاوحي اليه انهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها قد ابتلي ابراهيم
بنمرود وذبح ولده واسحاق بذبحه ويعقوب بالحزن على يوسف عليه الصلاة والسلام فسأل الابتلاء فاوحي اليه انك لتبتلى
في يوم كذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فجاءه الشيطان في صورة
حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امرأة
جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء
ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يديه او يستشهد
ففتح الله على يديه وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء
وتزوج امرأته فهذا ونحوه مما يقبح ان يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من افناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء
وعن سعيد بن المسيب والحارث الاعور ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه
القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء ● وروي انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده
رجل من اهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي ان يلتمس خلافها واعظم بان يقال غير ذلك
وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي اظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام احب الي مما طلعت
عليه الشمس ● والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه الصلاة والسلام ليس الا طلبه الى زوج المرأة ان ينزل

له عنها فحسب ● فان قلت لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح ● قلت لكونها ابلغ في التوبيخ
من قبل ان التأمل اذا اداه الى الشعور بالمعرض به كان اوقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه واعظم اثرا فيه واجلب لاحتشامه
وحيائه وادعى الى التنبه على الخطأ فيه من ان يبادره به صريحا مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة الا ترى
الى الحكماء كيف اوصوا في سياسة الولد اذا وجدت منه هنة منكرة بان يعرض له بانكارها عليه ولا يصرح وان تحكى له حكاية
ملاحظة لحاله اذا تأملها استسمج حال نفسه وذلك ازجر له لانه ينصب لذلك مثالا لحاله ومقياسا لشأنه
فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع انه يصون ما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة ● فان قلت فلم كان ذلك
على وجه التحاكم اليه ● قلت ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا
على نفسه بظلمه ● وهل اتاك نبؤ الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة التي حقها ان تشيع
ولا تخفى على احد والتشويق الى استماعه ● والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف قال الله تعالى حديث ضيف
ابراهيم المكرمين لانه مصدر في اصله تقول خصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا ● فان قلت هذا جمع وقوله خصمان
تثنية فكيف استقام ذلك ● قلت معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من قرأ خصمان بغى بعضهم على
بعض ونحوه قوله تعالى هذان خصمان اختصموا ● فان قلت فما تصنع بقوله ان هذا اخي وهو دليل على اثنين ● قلت
هذا قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض ● فان قلت فقد جاء في الرواية انه بعث اليه ملكان ● قلت معناه
ان التحاكم كان بين ملكين ولا يمنع ذلك ان يصحبهما آخرون ● فان قلت فاذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا
خصما في قوله نبأ الخصم وخصمان ● قلت مع ما كان يصحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به ● فان قلت
بم انتصب اذ ● قلت لا يخلو اما ان ينتصب باتاك او بالنبأ او بمحذوف فلا يسوغ انتصابه باتاك لان اتيان النبأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يقع الا في عهده لا في عهد داود ولا بالنبأ لان النبأ الواقع في عهد داود عليه الصلاة والسلام
لا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اردت بالنبأ القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي ان ينتصب بمحذوف
وتقديره وهل اتاك نبأ تحاكم الخصم ● ويجوز ان ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل واما اذ الثانية فبدل من الاولى
● تسوروا المحراب تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره في الابنية تسنمه اذا علا سنامه وتذراه
اذا علا ذروته ● اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا
تشطط واهدنا الى سواء الصراط ● روي ان الله تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه
في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ● ففزع منهم قال ابن عباس رضي الله
عنهما ان داود عليه الصلاة والسلام جزأ زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص
اموره ويوما يجمع بني اسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاءوه في غير يوم القضاء ففزع منهم ولانهم نزلوا عليه من فوق
وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه ● خصمان خبر مبتدأ محذوف اي نحن خصمان ● ولا تشطط
ولا تجر ● وقرئ ولا تشطط اي ولا تبعد عن الحق ● وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة
الحد وتخطي الحق ● وسواء الصراط وسطه ومحجته ضربه مثلا لعين الحق ومحضه ● ان هذا اخي له تسع وتسعون
نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب ● اخي بدل من هذا او خبر لان والمراد اخوة الدين او اخوة
الصداقة والالفة او اخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء وكل واحدة من هذه الاخوات تدلي بحق
مانع من الاعتداء والظلم ● وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ● ونعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع
ولقوة ولقوة ● اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي ● وعزني وغلبني يقال عزه يعزه
قال ● قطاة عزها شرك فباتت ● تجاذبه وقد علق الجناح ● يريد جاءني بحجاج لم اقدر ان اورد عليه ما ارده
به ● واراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل او اراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني في
الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني ● وقرئ وعازني من المعازة وهي المغالبة ● وقرأ ابو حيوة وعزني بتخفيف

الراعي طلبها الخصم وهو تخفيف غريب وكأنه قاس على نحو ظلت ومست **فإن قلت** ما معنى ذكر النعاج **قلت**
كان تحاكمهم في نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا لأن التمثيل أبلغ في التوبيخ لما ذكرنا والتنبيه على أمر يستحيي من كشفه
فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الإفصاح به وللستر على داود والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة
أوريا مع داود عليه الصلاة والسلام بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فأراد صاحبه تتمة
المائة فطمع في نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها إليه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده والإيراد
عليه بقوله وإن كثيرا من الخلطاء وإنما خص هذه القصة لما فيها من الرمز إلى الغرض بذكر النعجة **فإن قلت** لما
يستقيم طريقة التمثيل إذا فسرت الخطاب بالجدال فإن فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم يستقيم **قلت** الوجه
مع هذا التفسير أن تجعل النعجة استعارة عن المرأة كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله يا شاة ما قنص لمن حلت
له • فرميت غفلة عينه عن شاته • وشبهها بالنعجة من قال كنعاج الملا تعسفن رملا • لولا أن الخلطاء يأباه
إلا أن يضرب داود الخلطاء ابتداء لهم ولقصتهم **فإن قلت** الملائكة كيف صح منهم أن يخبروا عن أنفسهم بما لم
يتلبسوا به من التبغي ولا كثير ولا هو من شأنهم **قلت** هو تصوير للمسألة وفرض لها فصوروها في أنفسهم وكانوا
في صورة الأناسي كما تقول في تصوير المسائل زيد له أربعون شاة وعمرو له أربعون فأنت تشير إليهما فخلطاها
وحال عليها الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد وتقول أيضا في تصويرها لي أربعون شاة ولك
أربعون فخلطناها وما لكما من الأربعين أربعة ولا ربعها **فإن قلت** ما وجه قراءة ابن مسعود ولي
نعجة أنثى **قلت** يقال امرأة أنثى للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة في لين الأنوثة وفتورها وذلك
أملح لها وأزيد في تكسرها وتثنيها ألا ترى إلى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله • فتور القيام قطيع الكلام
وقوله تمشي رويدا تكاد تنغرف • قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم
على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا
وأناب • فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب • لقد ظلمك جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل
خليطه وتهجين لطمعه • والسؤال مصدر مضاف إلى المفعول كقوله تعالى من دعاء الخير وقد ضمن معنى الإضافة فعدي
تعديتها كأنه قيل بإضافة نعجتك إلى نعاجه على وجه السؤال والطلب **فإن قلت** كيف سارع إلى تصديق أحد
الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع كلامه **قلت** ما قال ذلك إلا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في القرآن لأنه
معلوم • ويروى أنه قال أنا أريد أن آخذها منه وأكمل نعاجي مائة فقال داود عليه الصلاة والسلام إن رمت ذلك
ضربنا منك هذا وهذا وأشار إلى طرف الأنف والجبهة فقال يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت
كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف ما وقع فيه • والخلطاء الشركاء الذين خلطوا أموالهم الواحد خليط وقد
غلبت في الماشية والشافعي رضي الله عنه يعتبرها فإذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة أو لكل واحد
منهما ماشية على حدة إلا أن مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد والفحول مختلطة فهما يزكيان زكاة
الواحد فإن كان لهما أربعون شاة فعليهما شاة ولو كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد أربعون فعليهم واحدة
كما لو كانت لواحد • وعند أبي حنيفة رحمه الله لا تعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد ففي أربعين بين خليطين
لا شيء عنده وفي مائة وعشرين بين ثلاثة ثلاث شياه **فإن قلت** فهذه الخلطة ما تقول فيها **قلت** عليهما شاة
واحدة فيجب على ذي النعجة أداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعي رضي الله عنه وعند أبي حنيفة رحمه الله لا شيء
عليه **فإن قلت** ماذا أراد بذكر حال الخلطاء في ذلك المقام **قلت** قصد به الموعظة الحسنة والترغيب
في إيثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وأن يكره إليهم الظلم والاعتداء الذي عليه أكثرهم مع التأسف
على حالهم وأن يسلي المظلوم عما جرى عليه من خليطه وأن له في أكثر الخلطاء أسوة • وقرئ ليبغي بفتح الياء
على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله • اضرب عنك الهموم طارقها • وهو جواب قسم محذوف وليبغ بحذف

الياء اكتفاء منها بالكسرة • وما في وقليل ما هم للإبهام وفيه تعجب من قلتهم وإن أردت أن تتحقق فائدتها وموقعها
فاطرحها من قول امرئ القيس • وحديث ما على قصره • وانظر هل بقي له معنى قط • لما كان الظن الغالب يداني العلم استعير
له ومعناه وعلم داود وأيقن • إنما فتناه أنما ابتليناه بامرأة أوريا هل يثبت أم يزل • وقرئ فتناه بالتشديد
للمبالغة وأفتناه من قوله • لئن أفتنتني لهي بالأمس أفتنت • وفتناه وفتنا على أن الألف ضمير الملكين • وعبر بالراكع
عن الساجد لأنه ينحني ويخضع كالساجد وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله وأصحابه في سجدة التلاوة على أن الركوع يقوم
مقام السجود • وعن الحسن رحمه الله لأنه لا يكون ساجدا حتى يركع • ويجوز أن يكون قد استغفر الله لذنبه وأحرم بركعتي
الاستغفار والإنابة فيكون المعنى وخر للسجود راكعا أي مصليا لأن الركوع يجعل عبارة عن الصلاة • وأناب ورجع
إلى الله بالتوبة والتنصل • وروي أنه بقي ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة أو ما لا بد منه
ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه إلى رأسه ولم يشرب ماء إلا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا إلى الله في العفو
عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له إيشا على ملكه ودعا إلى نفسه واجتمع إليه أهل
الزيغ من بني إسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه • وروي أنه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها • وقيل إن الخصمين
كانا من الإنس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما إما كانا خليطين في الغنم وإما كان أحدهما موسرا وله نسوان كثيرة
من المهائر والسراري والثاني معسرا ما له إلا امرأة واحدة فاستنزله عنها • وإنما فزع لدخولهما عليه في غير وقت الحكومة
أن يكونا مغتالين وما كان ذنب داود عليه الصلاة والسلام إلا أنه صدق أحدهما على الآخر وظلمه قبل مسألته
يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن
الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب • خليفة في الأرض أي استخلفناك على الملك في
الأرض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله في أرضه أو جعلناك خليفة
ممن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق وفيه دليل على أن حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير
فاحكم بين الناس بحكم الله إذ كنت خليفته • ولا تتبع هوى النفس في قضائك وغيره مما تتصرف فيه من أسباب الدين والدنيا
فيضلك الهوى فيكون سببا لضلالك عن سبيل الله عن دلائله التي نصبها في العقول وعن شرائعه التي شرعها وأوحى بها
بما نسوا يوم الحساب يتعلق بنسوا أي بسبب نسيانهم يوم الحساب أو بقوله لهم أي لهم عذاب يوم القيامة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم
عن سبيل الله • وعن بعض خلفاء بني مروان أنه قال لعمر بن عبد العزيز أو للزهري هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا
أن الخليفة لا يجري عليه القلم ولا تكتب عليه معصية فقال يا أمير المؤمنين الخلفاء أفضل أم الأنبياء ثم تلا هذه الآية
وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار • باطلا خلقا
باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة أو مبطلين عابثين كقوله تعالى وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما
إلا بالحق وتقديره ذوي باطل أو عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيئا موضع المصدر وهو صفة أي ما خلقنا
وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو أنا خلقناها نفوسا أودعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكين وأزحنا عللها
ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم • وذلك إشارة إلى خلقها باطلا
والظن بمعنى المظنون أي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا **فإن قلت** إذا كانوا مقرين بأن الله خالق
السماوات والأرض وما بينهما بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله فبم جعلوا ظانين أنه خلقها
للعبث لا للحكمة **قلت** لما كان إنكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا إلى أن خلقها عبث وباطل جعلوا
كأنهم يظنون ذلك ويقولونه لأن الجزاء هو الذي سيقت إليه الحكمة في خلق العالم من رأسها فمن جحده فقد جحد الحكمة
من أصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك أنه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان إقراره
بكونه خالقا كلا إقرار • أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار
أم منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الإنكار والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله أحوال

من أصلح وأفسد واتقى وفجر ومن سوّى بينهم كان سفيهاً ولم يكن حكيماً • كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب • وقرئ مباركاً ولتدبروا على الخطاب وتدبر الآيات التفكر والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة لأن من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحتلبها ومهرة نثور لا يستولدها • وعن الحسن رحمه الله قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى إن أحدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفاً وقد والله أسقطه كله ما يرى للقرآن عليه أثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين وأعذنا من القراء المتكبرين • ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب • وقرئ نعم العبد على الأصل والمخصوص بالمدح محذوف • وعلل كونه ممدوحاً بكونه أواباً رجاعاً إليه بالتوبة أو مسبحاً مؤوباً للتسبيح مرجعاً له لأن كل مؤوب أواب • إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد • والصافن الذي في قوله ألف الصفون فما يزال كأنه • مما يقوم على الثلاث كسيرا • وقيل الذي يقوم على طرف سنبك يد أو رجل وهو المتخيم • وأما الصافن فالذي يجمع بين يديه • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن يقوم الناس له صفوناً فليتبوأ مقعده من النار أي واقفين كما خدم الجبابرة **فإن قلت** ما معنى وصفها بالصفون **قلت** الصفون لا يكاد يكون في الهجن وإنما هو في العراب الخلص • وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها وإذا جرت كانت سراعاً خفافاً في جريها • وروي أن سليمان عليه الصلاة والسلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوماً بعد ما صلى الأولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد من الذكر كان له وقت العشي وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها تقرباً لله وبقي مائة فما في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها • وقيل لما عقرها أبدله الله خيراً منها وهي الريح تجري بأمره • فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب • **فإن قلت** ما معنى أحببت حب الخير عن ذكر ربي **قلت** أحببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن كأنه قيل أنبت حب الخير عن ذكر ربي أو جعلت حب الخير مجزياً أو مغنياً عن ذكر ربي • وذكر أبو الفتح الهمداني في كتاب التبيان أن أحببت بمعنى لزمت من قوله • مثل بعير السوء إذ أحبا • وليس بذاك • والخير المال كقوله تعالى إن ترك خيراً وقوله تعالى وإنه لحب الخير لشديد • والمال الخيل التي شغلته أو سمي الخيل خيراً كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها قال صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة • وقال في زيد الخيل حين وفد عليه وأسلم ما وصف لي رجل فرأيته إلا كان دون ما بلغني إلا زيد الخيل وسماه زيد الخير • وسأل رجل بلالاً عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الرجل أردت الخيل فقال وأنا أردت الخير • والتواري بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن تواري الملك أو المخبأة بحجابها • والذي دل على أن الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للمضمر من جري ذكر أو دليل ذكر • وقيل الضمير للصافنات أي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام ومن بدع التفاسير أن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه • ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق • فطفق يمسح مسحاً أي يمسح السيف بسوقها وأعناقها يعني يقطعها تقول مسح علاوته إذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب إذا أقطع أطرافه بسيفه • وعن الحسن رحمه الله كسف عراقيبها وضرب أعناقها أراد بالكسف القطع ومنه الكسف في ألقاب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف • وقيل مسحها بيده استحساناً لها وإعجاباً بها **فإن قلت** بم اتصل قوله ردوها علي **قلت** بمحذوف تقديره قال ردوها علي فأضمر وأضمر ما هو جواب له كأن قائلاً قال فماذا قال سليمان لأنه موضع مقتضٍ

أن تضاع طاعة وهو اشتغال النبي من أنبياء الله بأمر الدنيا حتى تفوته الصلاة عن وقتها • وقرئ بالسؤوق بهمز الواو لضمتها كما في أدؤر ونظيره الغؤور في مصدر غارت الشمس • وأما من قرأ بالسؤق فقد جعل الضمة في السين كأنها في الواو للتلاصق كما قيل مؤسى • ونظير ساق وسوق أسد وأسد • وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لأمن الإلباس • ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب • قيل فتن سليمان عليه الصلاة والسلام بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين إن عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا أن نقتله أو نخبله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما راعه إلا أن ألقي على كرسيه ميتاً فتنبه على خطئه في أن لم يتوكل على ربه فاستغفر ربه وتاب إليه • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون فذلك قوله ولقد فتنا سليمان وهذا ونحوه مما لا بأس به • وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان فالله أعلم بصحته • حكوا أن سليمان عليه الصلاة والسلام بلغه خبر صيدون وهي مدينة في بعض الجزائر وأن بها ملكاً عظيم الشأن لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج إليه تحمله الريح حتى أناخ بها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وأصاب بنتاً له اسمها جرادة من أحسن الناس وجهاً فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبها وكانت لا يرقأ دمعها حزناً على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائدها يسجدن له كعادتهن في ملكه فأخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده إلى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائباً إلى الله متضرعاً وكانت له أم ولد يقال لها أمينة إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوماً وأتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمان عليه الصلاة والسلام على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان فقال يا أمينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير والجن والإنس وغير سليمان عن هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف فإذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد إلى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك أربعين صباحاً عدد ما عبد الوثن في بيته فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة • وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء إلا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجداً ورجع إليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه بأخرى ثم أوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في البحر • وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها فقال له آصف إنك لمفتون بذنبك والخاتم لا يتماسك في يدك فتب إلى الله • ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من أباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الأفاعيل وتسليط الله إياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الأحكام وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهن قبيح • وأما اتخاذ التماثيل فيجوز أن تختلف فيه الشرائع ألا ترى إلى قوله من محاريب وتماثيل • وأما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله أن يأذن فيه وإذا كان بغير علم منه فلا عليه • وقوله وألقينا على كرسيه جسداً ناب عن إفادة معنى إنابة الشيطان منابه نبواً ظاهراً • قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب • قدم الاستغفار على استيهاب الملك جرياً على عادة الأنبياء والصالحين في تقديم أمر دينهم على أمور دنياهم • **فإن قلت** ما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة أن يستعطي الله ما لا يعطيه غيره **قلت** كان سليمان عليه الصلاة والسلام ناشئاً في بيت الملك والنبوة ووارثاً لهما فأراد أن يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب إلفه ملكاً

على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم وان يكون معجزة
حتى يخرق العادة ان تغلبت معنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي • وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا
يحافظ على حدود الله فيه كما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك • وقيل ملكا
لا اسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي كما سلبته مرة واقيم فيه مقامي غيري • ويجوز ان يقال علم الله فيما اختصه
به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين وعلم انه لا يضطلع باعبائه غيره واوجبت الحكمة استيهابه فامره ان يستوهبه
اياه فاستوهبه بامر من الله على الصفة التي علم الله انه لا يضبطه عليها الا هو وحده دون سائر عباده • او اراد
ملكا عظيما فقال لا ينبغي لاحد من بعدي ولم يقصد بذلك الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل
والمال وربما كان للناس امثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده • وعن الحجاج انه قيل له انك حسود فقال احسد مني
من قال وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وهذا من جراءته على الله وشيطنته كما حكي عنه طاعتنا اوجب من طاعة
الله لانه شرط في طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم واطلق طاعتنا فقال واولي الامر منكم • فسخرنا له الريح تجري
بامره رخاء حيث اصاب • قرئ الريح والرياح • رخاء لينة طيبة لا تزعزع • وقيل طيعة له لا تمتنع عليه
حيث اصاب حيث قصد واراد • حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطأ الجواب • وعن رؤبة ان رجلين من
اهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال اين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ورجعا ويقال اصاب الله
بك خيرا • والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير
حساب • والشياطين عطف على الريح • وكل بناء بدل من الشياطين • وآخرين عطف على كل داخل في حكم البدل
وهو بدل الكل كانوا يبنون له ما شاء من الابنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو اول من استخرج الدر من
البحر وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد • وعن السدي
كان يجمع ايديهم الى اعناقهم مغللين في الجوامع • والصفد القيد وسمي به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول
علي بن ابي طالب رضي الله عنه من برك فقد اسرك ومن جفاك فقد اطلقك ومنه قول القائل غل يدا مطلقها واسترق رقبة
معتقها • وقال حبيب ان العطاء اسار وتبعه من قال • ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا • وفرقوا بين الفعلين فقالوا
صفده قيده واصفده اعطاه كوعد واوعد • هذا الذي اعطيناك من الملك والمال والبسطة عطاؤنا بغير حساب
يعني جما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره • فامنن من المنة وهي العطاء اي فاعط منه ما شئت • او امسك
مفوضا اليك التصرف فيه • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه هذا فامنن او امسك عطاؤنا بغير حساب • او هذا
التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت منهم بالاطلاق وامسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب اي لا حساب عليك في ذلك • واذكر عبدنا ايوب
اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب • ايوب عطف بيان واذ بدل اشتمال منه • اني مسني بانى مسني حكاية
لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بانه مسه لانه غائب • وقرئ بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد
وبفتحهما وضمهما فالنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب على اصل المصدر والنصب تثقيل نصب والمعنى واحد
وهو التعب والمشقة • والعذاب الالم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من انواع الوصب • وقيل الضر في البدن
والعذاب في ذهاب الاهل والمال • فان قلت لم نسبه الى الشيطان ولا يجوز ان يسلطه الله على انبيائه ليقضي من
اغراضه بهم ونعتهم ويعذبهم ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا الا وقد نكبه واهلكه وقد تكرر في القرآن انه لا سلطان له
الا الوسوسة فحسب • قلت لما كانت وسوسته اليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب
نسبه اليه وقد راعى الادب في ذلك حيث لم ينسبه الى الله في دعائه مع انه فاعله ولا يقدر عليه الا هو • وقيل اراد
ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله في ان يكفيه ذلك
بكشف البلاء او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل • وروي انه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد احدهم
فسأل عنه فقيل القى اليه الشيطان ان الله لا يبتلي الانبياء والصالحين • وذكر في سبب بلائه ان رجلا استغاثه

على ظالم فلم يغثه • وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه • وقيل اعجب بكثرة ماله • اركض برجلك
هذا مغتسل بارد وشراب • اركض برجلك حكاية لما اجيب به اي فقلنا له اركض برجلك اي اضرب برجلك الارض • وعن قتادة هي ارض
الجابية فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اي هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك
وظاهرك وتنقلب ما بك بقلبه • وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره
وباطنه باذن الله تعالى • وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها
ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب • رحمة منا وذكرى مفعول لهما والمعنى ان الهبة
كانت للرحمة له ولتذكير اولي الالباب لانهم اذا سمعوا بما انعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين
وما يفعل الله بهم • وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب • وخذ
معطوف على اركض • والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش وريحان او غير ذلك • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قبضة من الشجر كان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة اذا برئ فحلل الله يمينه باهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها
اياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتي بمخدج قد خبث بامة فقال خذوا
عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة • ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما باطرافها قائمة واما
باعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب • وكان السبب في يمينه انها ابطأت عليه ذاهبة في حاجة فحرج
صدره • وقيل باعت ذوابتيها برغيفين وكانتا متعلق ايوب عليه الصلوة والسلام اذا قام • وقيل قال لها
الشيطان اسجدي لي سجدة وارد عليكم مالكم واولادكم فهمت بذلك فادركتها العصمة فذكرت ذلك له فحلف • وقيل
اوهمها الشيطان ان ايوب عليه الصلوة والسلام اذا شرب الخمر برئ فعرضت له بذلك • وقيل سألته ان يقرب للشيطان
بعناق • وجدناه صابرا علمناه صابرا • فان قلت كيف وجده صابرا وقد شكا اليه ما به واسترحمه • قلت
الشكوى الى الله عز وجل لا تسمى جزعا ولقد قال يعقوب عليه الصلوة والسلام انما اشكو بثي وحزني الى الله • ولذلك
شكوى العليل الى الطبيب وذلك ان اصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمني العافية وطلبها فاذا صح ان يسمى صابرا مع تمني
العافية وطلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجأ الى الله والدعاء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الاطباء على
ان ايوب عليه الصلوة والسلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم
كما كان يوسوس اليه انه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان
لم يبق منه الا القلب واللسان • ويروى انه قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع
قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان
فكشف الله عنه • واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار • ابراهيم واسحاق
ويعقوب عطف بيان لعبادنا ومن قرأ عبدنا جعل ابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على
عبدنا وهي اسحاق ويعقوب كقراءة ابن عباس رضي الله عنهما واله ابيك ابراهيم واسماعيل واسحاق
لما كانت اكثر الاعمال تباشر بالايدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة
بالايدي او كان العمال جذما لا ايدي لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وجل اولي الايدي والابصار يريد اولي
الاعمال والفكر كأن الذين لا يعملون اعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون افكار ذوي الديانات ولا
يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم
وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع
كونهم متمكنين منهما • وقرئ اولي الايادي على جمع الجمع • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه اولي الايد على
طرح الياء والاكتفاء بالكسرة وتفسيره بالايد من التأييد قلق غير متمكن • انا اخلصناهم بخالصة
ذكرى الدار • اخلصناهم جعلناهم لنا خالصين بخصلة خالصة لا شوب فيها ثم فسرها بذكرى

الدار شهادة الذكرى للدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على الإضافة والمعنى بما خلص من ذكرى الدار على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهمّ آخر إنما همهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار ذكراهم الآخرة دائبا ونسيانهم إليها ذكرى الدنيا أو تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الأنبياء وديدنهم وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم فإن قلت ما معنى أخلصناهم بخالصة قلت معناه أخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبأنهم من أهلها أو أخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارهم وتعضد الأول قراءة من قرأ بخالصتهم وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار المصطفين المختارين من بين أبناء جنسهم والأخيار جمع خيّر أو خيْر على التخفيف كأموات في جمع ميّت أو ميْت واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار واليسع كأن حرف التعريف دخل على يسع وقرئ والليسع كأن حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع والتنوين في وكل عوض من المضاف إليه معناه وكلهم من الأخيار هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب هذا ذكر أي هذا نوع من الذكر وهو القرآن لما أجرى ذكر الأنبياء وأتمه وهو باب من أبواب التنزيل ونوع من أنواعه وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها قال هذا ذكر ثم قال وإن للمتقين كما يقول الجاحظ في كتبه فهذا باب ثم يشرع في باب آخر ويقول الكاتب إذا فرغ من فصل وأراد الشروع في آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه أنه لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال هذا وإن للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذا ذكر من مضى من الأنبياء جنات عدن مفتحة لهم الأبواب جنات عدن معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مآب ومفتحة حال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والأبواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الأبواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على أن جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره أو كلاهما خبر مبتدأ محذوف أي هو جنات عدن هي مفتحة لهم متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب كأن اللدات سمين أترابا لأن التراب مسهن في وقت واحد لأنهن يحلين على سن واحدة لأن التحاب بين الأقران أثبت وقيل هن أتراب لأزواجهن أسنانهن كأسنانهم هذا ما توعدون ليوم الحساب إن هذا لرزقنا ما له من نفاد هذا وإن للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد قرئ يوعدون بالتاء والياء ليوم الحساب لأجل يوم الحساب كما تقول هذا ما تدخرونه ليوم الحساب أي اليوم تجزى كل نفس ما عملت هذا أي الأمر هذا أو هذا كما ذكر فبئس المهاد كقوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج أي هذا حميم فليذوقوه أو العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو حميم وغساق أو هذا فليذوقوه بمنزلة وإياي فارهبون أي ليذوقوا هذا فليذوقوه والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين إذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت أهل المغرب ولو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت أهل المشرق وعن الحسن رحمه الله الغساق عذاب لا يعلمه إلا الله إن الناس أخفوا لله طاعة فأخفى لهم ثوابا في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة وآخر ومذوقات أخر من شكل هذا المذوق من مثله في الشدة والفظاعة أزواج أجناس وقرئ وأخرى أي وعذاب آخر أو مذوق آخر وأزواج صفة لآخر لأنه يجوز أن يكون ضروبا أو صفة للثلاثة وهي حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة وأما الغنج فبالكسر لا غير هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار هذا فوج مقتحم معكم هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أي دخل النار في صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أي يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة

فيقتحمون معهم العذاب لا مرحبا بهم دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا أي أتيت رحبا من البلاد لا ضيقا أو رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم إنهم صالوا النار تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه قوله عز وجل كلما دخلت أمة لعنت أختها وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم ولا مرحبا بهم إنهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا أي الأتباع بل أنتم لا مرحبا بكم يريدون الدعاء الذي دعوتم به علينا أنتم أحق به وعللوا ذلك بقولهم أنتم قدمتموه لنا والضمير للعذاب أو لصليهم فإن قلت ما معنى تقديمهم العذاب لهم قلت المقدم هو عمل السوء قال الله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه بإغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل أنتم قدمتموه لنا فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لأن العاملين هم المقدمون في الحقيقة لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه فإن قلت فالذي جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل أنتم لا مرحبا بكم والمخاطبون أعني رؤساءهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا له قلت كأنه قيل هذا الذي دعا به علينا الخزنة أنتم يا رؤساء أحق به منا لإغوائكم إيانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم لقوم بعض المساوي فارتكبوه فقيل للمزينين أخزى الله هؤلاء ما أسوأ فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل أنتم أولى بالخزي منا فلولا أنتم لم نرتكب ذلك قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار قالوا هم الأتباع أيضا فزده عذابا ضعفا أي مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله عز وجل ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو أن يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله تعالى ربنا آتهم ضعفين من العذاب وجاء في التفسير عذابا ضعفا حيات وأفاعي وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار وقالوا الضمير للطاغين رجالا يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم من الأشرار من الأراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولأنهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم أشرارا أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار اتخذناهم سخريا قرئ بلفظ الإخبار على أنه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الأشرار وبهمزة الاستفهام على أنه إنكار على أنفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم وقوله تعالى أم زاغت عنهم الأبصار له وجهان من الاتصال أحدهما أن يتصل بقوله ما لنا أي ما لنا لا نراهم في النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار إلا أنه خفي عليهم مكانهم والوجه الثاني أن يتصل باتخذناهم سخريا إما أن تكون أم متصلة على معنى أي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم أم الازدراء بهم والتحقير وأن أبصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى إنكار الأمرين جميعا على أنفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم وإما أن تكون منقطعة بعد مضي اتخذناهم سخريا على الخبر أو الاستفهام كقولك إنها لإبل أم شاء وأزيد عندك أم عندك عمرو ولك أن تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرأ بغير همزة لأن أم تدل عليها فلا تفترق القراءتان إثبات همزة الاستفهام وحذفها وقيل الضمير في وقالوا لصناديد قريش كأبي جهل والوليد وأضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال وأشباههم وقرئ سخريا بالضم والكسر إن ذلك لحق تخاصم أهل النار إن ذلك أي الذي حكينا عنهم لحق لا بد أن يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو تخاصم أهل النار وقرئ بالنصب على أنه صفة لذلك لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس فإن قلت لم سمى ذلك تخاصما قلت شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين ولأن قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول أتباعهم بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لأجل اشتماله على ذلك قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار قل يا محمد لمشركي مكة ما أنا إلا رسول منذر أنذركم عذاب الله للمشركين وأقول لكم إن دين الحق توحيد الله وأن يعتقد أن لا إله إلا الله الواحد بلا ند ولا شريك القهار لكل شيء وأن الملك والربوبية له في العالم كله وهو العزيز الذي لا يغلب إذا عاقب العصاة وهو مع ذلك الغفار لذنوب من التجأ إليه

قل لهم ما انا الا منذر لكم ما انذركم عقوبة من هذه صفته فان مثله حقيق بان يخاف عقابه كما هو حقيق بان يرجى ثوابه
قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون • ما كان لي من علم بالملأ الأعلى اذ يختصمون • ان يوحى الي الا انما انا نذير
مبين • قل هو نبأ عظيم اي هذا الذي انبأتكم به من كوني رسولا منذرا وان الله واحد لا شريك له نبأ عظيم لا يعرض
عن مثله الا غافل شديد الغفلة ثم احتج لصحة نبوته بان ما ينبئ به عن الملأ الاعلى واختصامهم امر ما كان له به
من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الاخذ من اهل العلم وقراءة الكتب فعلم ان
ذلك لم يحصل له الا بالوحي من الله تعالى ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي لانما انا نذير ومعناه ما يوحى الي الا للانذار
فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه • ويجوز ان يرتفع على معنى ما يوحى الي الا هذا وهو ان انذركم انما انا نذير مبين ولا
ادعي شيئا آخر • وقيل النبأ العظيم قصص آدم عليه الصلاة والسلام والانباء به من غير سماع من احد • وعن ابن
عباس رضي الله عنهما القرآن • وعن الحسن رحمه الله يوم القيمة • فان قلت بم يتعلق اذ يختصمون قلت بمحذوف
لان المعنى ما كان لي من علم بكلام الملأ الاعلى وقت اختصامهم • اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين •
واذ قال بدل من اذ يختصمون فان قلت ما المراد بالملأ الاعلى قلت اصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس
لانهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم فان قلت ما كان التقاول بينهم انما كان بين الله سبحانه وبينهم لان الله سبحانه
هو الذي قال لهم وقالوا له فانت بين امرين اما ان تقول الملأ الاعلى هؤلاء وكان التقاول بينهم واما ان تقول التقاول
كان بين الله وبينهم فقد جعلته من الملأ الاعلى قلت كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول
في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح ان التقاول كان بين الملائكة وآدم وابليس وهم الملأ الاعلى والمراد بالاختصام
التقاول على ما سبق فان قلت كيف صح ان يقول لهم اني خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل قلت
وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم • فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين • فسجد الملائكة كلهم اجمعون • الا ابليس استكبر وكان
من الكافرين • فاذا سويته فاذا اتممت خلقه وعدلته • ونفخت فيه من روحي واحييته وجعلته حساسا
متنفسا • فقعوا فخروا • كل للاحاطة • واجمعون للاجتماع فافادا معا انهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك الا سجد
وانهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في اوقات فان قلت كيف ساغ السجود لغير الله قلت الذي لا
يسوغ هو السجود لغير الله على وجه العبادة فاما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل الا ان يعلم الله فيه مفسدة فينهى عنه
فان قلت كيف استثنى ابليس من الملائكة وهو من الجن قلت قد امر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله
فسجد الملائكة ثم استثني كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا • وكان من الكافرين اريد وجود كفره ذلك الوقت وان
لم يكن قبله كافرا لان كان مطلق في جنس الاوقات الماضية فهو صالح لايها شئت • ويجوز ان يراد وكان من الكافرين في الازمنة
الماضية في علم الله • قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين • قال
انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين • فان قلت ما وجه قوله خلقت بيدي قلت قد
سبق لنا ان ذا اليدين يباشر اكثر اعماله بيديه فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب
هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدي له يداك اوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته
يداك ومنه قوله تعالى مما عملت ايدينا • لما خلقت بيدي فان قلت فما معنى قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدي قلت الوجه الذي استنكر له ابليس السجود لآدم عليه الصلاة والسلام واستنكف منه انه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر
ان تكون سجدته لغير الخالق وانضم الى ذلك ان آدم عليه الصلاة والسلام مخلوق من طين وهو مخلوق من نار ورأى للنار
فضلا على الطين فاستعظم ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب وزل عنه ان الله سبحانه حين امر به اعز عباده
عليه واقربهم منه زلفى وهم الملائكة وهم احق بان يذهبوا بانفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من
غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا امر الله وجعلوه قدام اعينهم ولم يلتفتوا الى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لامر

ربهم واجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حري بان يقتدي بهم ويقتفي اثرهم ويعلم انهم في السجود
لمن هو دونهم بامر الله اوغل في عبادتهم منهم في السجود له لما فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي لا شك في كونه مخلوقا امتثالا لامري واعظاما لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له ما تركه
من السجود مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة وقد امرك الله به يعني كان عليك
ان تعتبر امر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله ان يأمر الملك وزيره ان يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه
فيقول له ما منعك ان تتواضع لمن لا يخفى علي سقوطه يريد هلا اعتبرت امري وخطابي وتركت اعتبار سقوطه
وفيه اني خلقته بيدي فانا اعلم بحاله ومع ذلك امرت الملائكة ان يسجدوا له لداعي حكمة دعاني اليه من انعام
عليه بالتكرمة السنية وابتلاء للملائكة فمن انت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني عن الامر بالسجود له • وقيل
معنى لما خلقت بيدي لما خلقت بغير واسطة • وقرئ بيدي كما قرئ بمصرخي • وقرئ بيدي على التوحيد • من العالين
ممن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين حيث قال انا خير منه • وقيل استكبرت الآن ام لم تزل مذ كنت من المستكبرين
ومعنى الهمزة التقرير • وقرئ استكبرت بحذف حرف الاستفهام لان ام تدل عليه او بمعنى الاخبار هذا على سبيل الاولى
اي لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلي فكيف اسجد لمن هو دوني لانه من طين والنار تغلب الطين وتأكله
وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهي خلقتني من نار مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه في البيان
والايضاح • قال فاخرج منها فانك رجيم • وان عليك لعنتي الى يوم الدين • منها من الجنة • وقيل من السموات
وقيل من الخلقة التي انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعدما كان ابيض وقبح بعدما كان
حسنا واظلم بعدما كان نورانيا • والرجيم المرجوم ومعناه المطرود كما قيل له المدحور والملعون
لان من طرد رمي بالحجارة على اثره والرجم الرمي بالحجارة او لان الشياطين يرجمون بالشهب فان قلت قوله لعنتي الى
يوم الدين كأن لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع قلت كيف تنقطع وقد قال الله عز وجل فاذن مؤذن بينهم ان
لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى ان عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة
فكأنها انقطعت • قال رب فانظرني الى يوم يبعثون • قال فانك من المنظرين • الى يوم الوقت المعلوم • قال فبعزتك
لاغوينهم اجمعين • الا عبادك منهم المخلصين • فان قلت ما الوقت المعلوم الذي اضيف اليه اليوم قلت
الوقت الذي تقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من اجزائه • ومعنى المعلوم انه معلوم عند الله
معين لا يستقدم ولا يستأخر • فبعزتك اقسام بعزة الله وهي قهره وسلطانه • قال فالحق والحق اقول لاملأن
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين • قرئ فالحق والحق منصوبين على ان الاول مقسم به كالله في ان علي الله
ان تبايعا • وجوابه لاملأن • والحق اقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا اقول الا الحق والمراد
بالحق اما اسمه عز وجل الذي في قوله ان الله هو الحق المبين او الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به
ومرفوعين على ان الاول مبتدأ محذوف الخبر كقوله لعمرك اي فالحق قسمي لاملأن • والحق اقول اي اقوله كقوله كله لم
اصنع • ومجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن • والحق اقول اي ولا اقول الا الحق على حكاية
لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع ايضا وهو وجه دقيق حسن • وقرئ
برفع الاول وجره مع نصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا • منك من جنسك وهم الشياطين • وممن تبعك منهم من ذرية
آدم فان قلت اجمعين تأكيد لماذا قلت لا يخلو ان يؤكد به الضمير في منهم او الكاف في منك مع من تبعك ومعناه
لاملأن جهنم من المتبوعين والتابعين اجمعين لا اترك منهم احدا او لاملأنها من الشياطين وممن تبعهم من جميع
الناس لا تفاوت في ذلك بين ناج وناج بعد وجود الاتباع منهم من اولاد الانبياء وغيرهم • قل ما اسألكم عليه من
اجر وما انا من المتكلفين • ان هو الا ذكر للعالمين • ولتعلمن نبأه بعد حين • عليه على القرآن او على تبليغ الوحي
وما انا من المتكلفين من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي

حق أن القول بالنبوة والقول الحق • إن هو إلا ذكر من الله للعالمين للثقلين أوحي إلي فأنا أبلغه • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم • ولتعلمن نبأه أي ما يأتيكم عند الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام وفشوه من صحة خبره وأنه الحق والصدق وفيه تهديد • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه أن يصر على ذنب صغير أو كبير •

سورة الزمر مكية إلا قوله قل يا عبادي الآية وهي خمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم • تنزيل الكتاب قرئ بالرفع على أنه مبتدأ أخبر عنه بالظرف • أو خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله أو غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان إلى فلان وهو على هذا خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله أو حال من التنزيل عمل فيها معنى الإشارة • وبالنصب على إضمار فعل نحو اقرأ والزم • **فإن قلت** ما المراد بالكتاب **قلت** الظاهر على الوجه الأول أنه القرآن وعلى الثاني أنه السورة • إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين • مخلصا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر • وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ مخلصا بفتح اللام كقوله تعالى وأخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله ألا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد إلا أن يصف الدين بصفة صاحبه على الإسناد المجازي كقولهم شعر شاعر • وأما من جعل مخلصا حالا من العابد وله الدين مبتدأ وخبرا فقد جاء بإعراب رجع به الكلام إلى قولك لله الدين • ألا لله الدين الخالص أي هو الذي وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والأسرار ولأنه الحقيق بذلك لخلوص نعمه عن استجرار المنفعة بها • وعن قتادة الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله • وعن الحسن الإسلام • والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون • والذين اتخذوا يحتمل المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة وعيسى عليهم الصلاة والسلام واللات والعزى عن ابن عباس رضي الله عنهما فالضمير في اتخذوا على الأول راجع إلى الذين وعلى الثاني إلى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما والراجع إلى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون أولياء • والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتداء **فإن قلت** فالخبر ما هو **قلت** هو على الأول إما إن الله يحكم بينهم أو ما أضمر من القول قبل قوله ما نعبدهم وعلى الثاني إن الله يحكم بينهم **فإن قلت** فإذا كان إن الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر **قلت** يجوز أن يكون في موضع الحال أي قائلين ذلك ويجوز أن يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما أن المبدل منه كذلك • وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه بإظهار القول قالوا ما نعبدهم وفي قراءة أبي رضي الله عنه ما نعبدكم إلا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم • وقرئ نعبدهم بضم النون إتباعا للعين كما تتبعها الهمزة في الأمر والتنوين في عذاب اركض • والضمير في بينهم لهم ولأوليائهم والمعنى أن الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم وإياهم حصب جهنم واختلافهم أن الذين يعبدون موحدون وهم مشركون وأولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم إلى الله زلفى • وقيل كان المسلمون إذا قالوا لهم من خلق السماوات والأرض أقروا وقالوا الله فإذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الأصنام قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فالضمير في بينهم عائد إليهم وإلى المسلمين والمعنى أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين • إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار • لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار • المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لا لطف لهم وأنهم في علم الله من الهالكين • وقرئ كذاب وكذوب • وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء يعني لو أراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتأت إلا أن يصطفي من خلقه بعضهم ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه إياهم فزعمتم أنهم أولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الأجسام والأعراض كأنه قال لو أراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة إلا أنكم لجهلكم حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم أولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين متبالغين في الافتراء على الله وملائكته غالين في الكفر ثم قال سبحانه فنزه ذاته عن أن يكون له أحد ما نسبوا إليه من الأولاد والأولياء • ودل على ذلك بما بنى عليه وهو أنه واحد فلا يجوز أن يكون له صاحبة لأنه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له وإذا لم يتأت أن يكون له صاحبة لم يتأت أن يكون له ولد وهو معنى قوله تعالى أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة • وقهار غلاب لكل شيء ومن الأشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له أولياء وشركاء • خلق السماوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار • ثم دل بخلق السماوات والأرض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لأجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الأنعام على أنه واحد لا يشارك قهار لا يغالب • والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على رأسه وكورها • وفيه أوجه منها أن الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا وإذا غشي مكانه فكأنما ألبسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب • تلوي الثنايا بأحقيها حواشيه • لي الملاء بأبواب التفاريج • ومنها أن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه فشبه في تغييبه إياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الأبصار • ومنها أن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على إثر بعض • ألا هو العزيز الغفار الغالب القادر على عقاب المصرين الغفار لذنوب التائبين • أو الغالب الذي يقدر على أن يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم إلى أجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة • خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون • **فإن قلت** فما وجه قوله ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من معنى التراخي **قلت** هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه إلا أن إحداهما جعلها الله عادة مستمرة والأخرى لم تجر بها العادة ولم تخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت أدخل في كونها آية وأجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الآية الأولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود • وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كأنه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله بزوج • وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء • وأنزل لكم وقضى لكم وقسم لأن قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح كل كائن يكون • وقيل لا تعيش الأنعام إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها • وقيل خلقها في الجنة ثم أنزلها • ثمانية أزواج ذكرا وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز • والزوج اسم لواحد معه آخر فإذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى • خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية • من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف • والظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة • وقيل الصلب والرحم والبطن • ذلكم الذي هذه أفعاله هو الله ربكم • فأنى تصرفون فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره • إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون • إنه عليم بذات الصدور • فإن الله غني عنكم أي عن إيمانكم وإنكم المحتاجون إليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالإيمان • ولا يرضى لعباده الكفر رحمة لهم لأنه يوقعهم في الهلكة • وإن تشكروا يرضه لكم أي يرض الشكر لكم لأنه سبب فوزكم وفلاحكم فإذن ما كره كفركم ولا رضي

شكركم لأنه سبب لفوزكم وفلاحكم لا لأن منفعة ترجع إليه لأنه الغني الذي لا يجوز عليه الحاجة ● ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله ما نفاه عن ذاته من الرضى لعباده الكفر فقال هذا من العام الذي أريد به الخاص وما أراد إلا عباده الذين عناهم في قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين كقوله عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ● وقرئ يرضه بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها ● **وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار** ● خوله أعطاه قال أبو النجم ● أعطى فلم يبخل ولم يبخل ● كوم الذرى من خول المخول ● وفي حقيقته وجهان أحدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال إذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة ● والثاني جعله يخول من خال يخول إذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب ● إن الغني طويل الذيل مياس ● ما كان يدعو إليه أي نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه وقيل نسي ربه الذي كان يتضرع إليه ويبتهل إليه ● وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والأنثى ● وقرئ ليضل بفتح الياء وضمها بمعنى أن نتيجة جعله لله أندادا ضلاله عن سبيل الله أو إضلاله ● والنتيجة قد تكون غرضا في الفعل وقد تكون غير غرض وقوله تعالى تمتع بكفرك من باب الخذلان والتخلية كأنه قيل له إذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان والطاعة فمن حقك أن لا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته وشأنه لأنه لا مبالغة في الخذلان أشد من أن يبعث على عكس ما أمر به ونظيره في المعنى قوله تعالى متاع قليل ثم مأواهم جهنم ● **أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب** ● قرئ أمن هو قانت بالتخفيف على إدخال همزة الاستفهام على من ● وبالتشديد على إدخال أم عليه ● ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن هو قانت كغيره وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جري ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ● وقيل معناه أمن هو قانت أفضل أم من هو كافر ● أو أهذا أفضل أمن هو قانت على الاستفهام المتصل ● والقانت القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت في الوتر لأنه دعاء المصلي قائما ● ساجدا حال وقرئ ساجد وقائم على أنه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين ● وقرئ ويحذر عذاب الآخرة ● وأراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ● ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه أي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون ● وقيل نزلت في عمار بن ياسر وأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي ● وعن الحسن أنه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجو فقال هذا تمن وإنما الرجاء قوله وتلا هذه الآية ● وقرئ إنما يذكر بالإدغام ● **قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ● في هذه الدنيا متعلق بأحسنوا لا بحسنة معناه الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة أي حسنة غير مكتنهة بالوصف وقد علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية ● **فإن قلت** إذا علق الظرف بأحسنوا فإعرابه ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولا يصح أن تقع صفة لها لتقدمه ● **قلت** هو صفة لها إذا تأخرت فإذا تقدمت كانت بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وإن لم يكن التعلق وصفا ● ومعنى وأرض الله واسعة أن لا عذر للمفرطين في الإحسان البتة حتى إن اعتلوا بأوطانهم وبلادهم وأنهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الإحسان وصرف الهمم إليه قيل لهم فإن أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا إلى بلاد أخر واقتدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحسانا إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم ● وقيل هو للذين كانوا في بلد المشركين فأمروا بالمهاجرة عنه كقوله ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ● وقيل هي أرض الجنة ● والصابرون الذين صبروا على مفارقة أوطانهم وعشائرهم

وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير ● بغير حساب لا يحاسبون عليه ● وقيل بغير مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يهتدي إليه حساب الحساب ولا يعرف ● وعن النبي صلى الله عليه وسلم ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صبا قال الله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل ● **قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين** ● قل إني أمرت بإخلاص الدين وأمرت بذلك لأجل أن أكون أول المسلمين أي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة ● والمعنى أن الإخلاص له السبقة في الدين فمن أخلص كان سابقا ● **فإن قلت** كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد ● **قلت** ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك أن الأمر بالإخلاص وتكليفه شيء والأمر به ليحرز القائم به قصب السبق في الدين شيء وإذا اختلف وجها الشيء وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ● ولك أن تجعل اللام مزيدة مثلها في أردت لأن أفعل ولا تزاد إلا مع أن خاصة دون الاسم الصريح كأنها زيدت عوضا من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه كما عوض السين في اسطاع عوضا من ترك الأصل الذي هو أطوع ● والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله وأمرت أن أكون من المسلمين وأمرت أن أكون من المؤمنين وأمرت أن أكون أول من أسلم ● وفي معناه أوجه أن أكون أول من أسلم في زماني ومن قومي لأنه أول من خالف دين آبائه وخلع الأصنام وحطمها ● وأن أكون أول من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره لأكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعا ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون ● وأن أفعل ما استحق به الأولية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعني أن الله أمرني أن أخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب بدليل العقل والوحي ● **قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم** ● فإن عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا أعصيه ولا أتابع أمركم وذلك حين دعوه إلى دين آبائه ● **قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين** ● **فإن قلت** ما معنى التكرير في قوله قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله أعبد مخلصا له ديني ● **قلت** ليس بتكرير لأن الأول إخبار بأنه مأمور من جهة الله بإحداث العبادة والإخلاص ● والثاني إخبار بأنه يخص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة وأخره في الأول فالكلام أولا واقع في الفعل نفسه وإيجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لأجله ولذلك رتب عليه قوله تعالى فاعبدوا ما شئتم من دونه ● والمراد بهذا الأمر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين ● قل إن الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه هم الذين خسروا أنفسهم لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها ● وخسروا أهليهم لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده إليهم ● وقيل وخسروهم لأنهم لو آمنوا لدخلوا مع المؤمنين الذين أعد لهم في الجنة أهلون وخسروا أهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ● ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله تعالى ألا ذلك هو الخسران المبين حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين ● **لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون** ● ومن تحتهم أطباق من النار هي ظلل للآخرين ● ذلك العذاب هو الذي يتوعد الله به عباده ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه ● يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله ونصيحة بالغة ● وقرئ يا عبادي ● **والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب** ● الطاغوت فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت إلا أن فيها قلبا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فإن الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص إذ لا تطلق على غير الشيطان ● والمراد بها ههنا الجمع ● وقرئ الطواغيت ● أن يعبدوها بدل من الطاغوت بدل الاشتمال ● لهم البشرى هي البشارة بالثواب

كقوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة التبشير هو بذلك في وحيه على ألسنة رسله وتتلقاهم الملائكة
عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم
بشراكم اليوم جنات أراد بعباده الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه الذين اجتنبوا وأنابوا لا غيرهم وإنما أراد بهم أن
يكونوا مع الاجتناب والإنابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير وأراد أن يكونوا نقادا في الدين يميزون بين
الحسن والأحسن والفاضل والأفضل فإذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب
حرصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختيار أثبتها على السبك عند السبر وأبينها دليلا
وأمارة وأن لا يكون في مذهبك كما قال القائل • ولا تكن مثل عير قيد فانقادا • يريد المقلد • وقيل يستمعون القرآن
وغيره فيتبعون القرآن • وقيل يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والإغضاء والإبداء
والإخفاء لقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هو الرجل يجلس مع القوم فيستمع الحديث فيه محاسن ومساوي فيحدث بأحسن ما سمع ويكف عما سواه • ومن الوقفة من يقف
على فبشر عبادي ويبتدئ الذين يستمعون يرفعه على الابتداء وخبره أولئك • أفمن حق عليه كلمة العذاب
أفأنت تنقذ من في النار • أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه جملة شرطية دخل عليها همزة
الإنكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في أولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره أأنت مالك أمرهم
فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه والهمزة الثانية هي الأولى كررت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد ووضع من في النار
موضع الضمير فالآية على هذا جملة واحدة • ووجه آخر وهو أن تكون الآية جملتين أفمن حق عليه العذاب فأنت تخلصه
أفأنت تنقذ من في النار وإنما جاز حذف فأنت تخلصه لأن أفأنت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا
منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكده نفسه في دعائهم إلى الإيمان منزلة إنقاذهم
من النار وقوله تعالى أفأنت تنقذ يفيد أن الله تعالى هو الذي يقدر على الإنقاذ من النار وحده لا يقدر على ذلك أحد غيره
فكما لا تقدر أنت أن تنقذ الداخل في النار من النار لا تقدر أن تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الإيمان فيه
لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد • غرف من فوقها
غرف علالي بعضها فوق بعض • فإن قلت ما معنى قوله تعالى مبنية قلت معناه والله أعلم أنها بنيت بناء
المنازل التي على الأرض وسويت تسويتها • تجري من تحتها الأنهار كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو
والسفل • وعد الله مصدر مؤكد لأن قوله تعالى لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك • ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء
فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب
أنزل من السماء ماء هو المطر • وقيل كل ماء في الأرض فهو من السماء ينزل منها إلى الصخرة ثم يقسمه الله • فسلكه فأدخله
ونظمه • ينابيع في الأرض عيونا ومسالك ومجاري كالعروق في الأجساد • مختلفا ألوانه هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة
وبياض وغير ذلك أو أصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها • يهيج يتم جفافه عن الأصمعي لأنه إذا تم جفافه
حان له أن يثور عن منابته ويذهب • حطاما فتاتا ودرينا • إن في ذلك لذكرى لتذكيرا وتنبيها على أنه لا بد من صانع
حكيم وأن ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل وإهمال • ويجوز أن يكون مثلا للدنيا كقوله تعالى إنما مثل الحياة الدنيا
لهم مثل الحياة الدنيا • وقرئ مصفارا • أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم
من ذكر الله أولئك في ضلال مبين • أفمن عرف الله أنه من أهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للإسلام ورغب فيه
وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب ونور الله لطفه • وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الآية فقيل يا رسول الله كيف انشراح الصدر قال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل يا رسول الله فما علامة ذلك قال
الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت وهو نظير قوله تعالى أفمن هو قانت
في حذف الخبر • من ذكر الله من أجل ذكره أي إذا ذكر الله عندهم أو آياته اشمأزوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى

فزادتهم رجسا إلى رجسهم • وقرئ عن ذكر الله • فإن قلت ما الفرق بين من وعن في هذا • قلت إذا قلت قسا
قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من أن القسوة من أجل الذكر وبسببه • وإذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا
عنه ونظيره سقاه من العيمة أي من أجل عطشه وسقاه عن العيمة إذا أرواه حتى أبعده عن العطش • عن ابن مسعود
رضي الله عنه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت • الله نزل أحسن الحديث
كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى
الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد • وإيقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه فيه تفخيم لأحسن
الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه وتأكيد لإسناده إلى الله وأنه من عنده وأن مثله لا يجوز أن يصدر إلا عنه
وتنبيه على أنه وحي معجز مباين لسائر الأحاديث • وكتابا بدل من أحسن الحديث ويحتمل أن يكون حالا منه • ومتشابها
مطلق في مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه في الصحة والإحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة
الخلق وتناسب ألفاظه وتناصفها في التخير والإصابة وتجاوب نظمه وتأليفه في الإعجاز والتبكيت • ويجوز أن يكون
مثاني بيانا لكونه متشابها لأن القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة • والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني
من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه • وقيل لأنه يثنى في التلاوة فلا
يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد • ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير
والإعادة كما كان قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين بمعنى كرة بعد كرة وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك • فإن قلت كيف
وصف الواحد بالجمع • قلت إنما صح ذلك لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير ألا تراك تقول القرآن
أسباع وأخماس وسور وآيات وكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الإنسان عظام وعروق
وأعصاب إلا أنك تركت الموصوف إلى الصفة وأصله كتابا متشابها فصولا مثاني • ويجوز أن يكون كقولك برمة أعشار وثوب
أخلاق • ويجوز أن لا يكون مثاني صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى
متشابهة مثانيه • فإن قلت ما فائدة التثنية والتكرير • قلت النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة
فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكرر
عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم • اقشعر الجلد إذا تقبض
تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الأديم اليابس مضموما إليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا
على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف فيجوز أن يريد به الله سبحانه التمثيل
تصويرا لإفراط خشيتهم وأن يريد التحقيق والمعنى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها
جلودهم ثم إذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت قلوبهم وجلودهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة
فإن قلت ما وجه تعديته بإلى • قلت ضمن معنى فعل متعد بإلى كأنه قيل سكنت أو اطمأنت إلى ذكر الله لينة غير
منقبضة راجية غير خاشية • فإن قلت لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة • قلت لأن أصل أمره الرحمة
والرأفة ورحمته هي سابقة غضبه فلأصالة رحمته إذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته إلا كونه رؤوفا رحيما
فإن قلت لم ذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا • قلت إذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب
فكأنه قيل تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في أول وهلة فإذا ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة
والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم • ذلك إشارة إلى الكتاب وهو هدى الله
يهدي به يوفق به من يشاء يعني عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال هدى للمتقين
ومن يضلل الله ومن يخذله من الفساق والفجرة فما له من هاد • أو ذلك الكائن من الخشية والرجاء هدى الله أي أثر هدى
وهو لطفه فسماه هدى لأنه حاصل بالهدى • يهدي به بهذا الأثر من يشاء من عباده يعني من صحب أولياءه ورآهم خاشين
راجين فكان ذلك مرغبا لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم • ومن يضلل الله ومن لم يؤثر فيه ألطافه لقسوة

قلبه وأصعده على فجوره فما له من هاد من توفيق ولطف. أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين
ذوقوا ما كنتم تكسبون. يقال اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه إياه واتقاه بيده. وتقديره أفمن يتقي بوجهه
سوء العذاب كمن أمن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره. وسوء العذاب شدته. ومعناه أن الإنسان إذا لقي مخوفا
من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقي بها وجهه لأنه أعز أعضائه عليه، والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه إلى عنقه
فلا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه. وقيل المراد بالوجه الجملة.
وقيل نزلت في أبي جهل. وقال لهم خزنة النار ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون. كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون. من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون
ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها بينا هم آمنون رافهون إذ فوجئوا من مأمنهم. والخزي الذل والصغار كالمسخ
والخسف والقتل والجلاء وما أشبه ذلك من نكال الله. ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون
قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون. قرآنا عربيا حال مؤكدة كما تقول جاءني زيد رجلا صالحا وإنسانا عاقلا
ويجوز أن ينتصب على المدح. غير ذي عوج مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف. **فإن قلت** فهلا قيل
مستقيما أو غير معوج. **قلت** فيه فائدتان: إحداهما نفي أن يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا. والثانية
أن لفظ العوج مختص بالمعاني دون الأعيان. وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وأنشد. وقد أتاك يقين غير ذي
عوج من الإله وقول غير مكذوب. ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان
مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون. واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء
بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي أنه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى ومشادة وإذا عنت
له حاجة تدافعوه فهو متحير في أمره سادر قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت أفكاره لا يدري أيهم يرضي بخدمته
وعلى أيهم يعتمد في حاجاته. وفي آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه من خدمته معتمد عليه
فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع أي هذين العبدين أحسن حالا وأحمد شأنا. والمراد تمثيل من يثبت آلهة شتى
وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال الله عز وجل
ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضائعا لا يدري أيهم يعبد وعلى ربوبية أيهم يعتمد وممن يطلب
رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع. وحال من لم يثبت إلا إلها واحدا فهو قائم بما كلفه
عارف بما أرضاه وما أسخطه متفضل عليه في عاجله مؤمل للثواب في آجله. وفيه صلة شركاء كما تقول
اشتركوا فيه. والتشاكس والتشاخس الاختلاف تقول تشاكست أحواله وتشاخست أسنانه. وسالما
لرجل خالصا له. وقرئ سلما بفتح اللام والعين وفتح الفاء وكسرها مع سكون العين وهي مصادر سلم والمعنى
ذا سلامة لرجل أي ذا خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة. وقرئ بالرفع على الابتداء أي
وهناك رجل سالم لرجل. وإنما جعله رجلا ليكون أفطن لما شقي به أو سعد فإن المرأة والصبي قد
يغفلان عن ذلك. هل يستويان مثلا هل يستويان صفة على التمييز والمعنى هل يستوي صفتاهما وحالاهما
وإنما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس. وقرئ مثلين كقوله عز وجل وأكثر أموالا وأولادا مع قوله
أشد منهم قوة. ويجوز فيمن قرأ مثلين أن يكون الضمير في يستويان للمثلين لأن التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى
هل يستويان فيما يرجع إلى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين. الحمد لله الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود سواه
أي يجب أن يكون الحمد متوجها إليه وحده والعبادة فقد ثبت أنه لا إله إلا هو بل أكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره. إنك
ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون. كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم
موته فأخبر أن الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقي بالفاني. وعن قتادة نعى إلى نبيه نفسه ونعى إليكم
أنفسكم. وقرئ مائت ومائتون. والفرق بين الميت والمائت أن الميت صفة لازمة كالسيد. وأما المائت فصفة

حادثة ثقيل

حادثة تقول زيد مائت غدا كما تقول سائد غدا أي سيموت وسيسود وإذا قلت زيد ميت فكما تقول حي في نقيضه
فيما يرجع إلى اللزوم والثبوت. والمعنى في قوله تعالى إنك ميت وإنهم ميتون أنك وإياهم وإن كنتم أحياء فأنتم في عداد
الموتى لأن ما هو كائن فكأن قد كان. ثم إنكم ثم إنك وإياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب. تختصمون فتحتج أنت عليهم
بأنك بلغت فكذبوا فاجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته يقول الأتباع أطعنا سادتنا وكبراءنا
ويقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الأقدمون. وقد حمل على اختصام الجميع وأن الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال
لهم لا تختصموا لدي. والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج وأهل القبلة يكون بينهم الخصام. قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى أن هذه الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتابين قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا
واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها نزلت فينا. وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه كنا نقول ربنا
واحد ونبينا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا.
وعن إبراهيم النخعي قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن إخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا. وعن أبي
العالية نزلت في أهل القبلة. والوجه الذي يدل عليه كلام الله وما اقتضت أولا من قوله الآن إلى قوله فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب
والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو إلا بيان وتفسير للذين يكون بينهم الخصومة. فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب
بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين. كذب على الله افترى عليه بإضافة الولد والشريك إليه. وكذب
بالصدق بالأمر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. إذ جاءه فاجأه بالتكذيب لما سمع به
من غير وقفة لإعمال روية واهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون. مثوى للكافرين أي لهؤلاء
الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق. واللام في الكافرين إشارة إليهم. والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك
هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين. والذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى
الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به وأراد به إياه ومن تبعه كما أراد بموسى عليه الصلاة والسلام إياه وقومه في قوله تعالى
ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال أولئك هم المتقون إلا أن هذا في الصفة وذاك في الاسم. ويجوز أن
يريد الفوج أو الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به. وفي
قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والذين جاؤوا بالصدق وصدقوا به. وقرئ وصدق به بالتخفيف أي صدق به الناس
ولم يكذبهم به يعني أداه إليهم كما نزل عليه من غير تحريف. وقيل صار صادقا به أي بسببه لأن القرآن معجزة والمعجزة
تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح ولا يجوز عليه ولا يجوز أن يصدق إلا الصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة.
وقرئ وصدق به. ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون. **فإن قلت**
ما معنى إضافة الأسوأ والأحسن إلى الذي عملوا وما معنى التفضيل فيهما. **قلت** أما الإضافة فما هي من إضافة أفعل
إلى الجملة التي يفضل عليها ولكن من إضافة الشيء إلى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الأشج أعدل بني مروان. وأما
التفضيل فإيذان بأن الشيء الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الأسوأ لاستعظامهم المعصية
والحسن الذي يعملونه هو عند الله الأحسن لحسن إخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالأسوأ وحسنهم بالأحسن.
وقرئ أسوأ الذي عملوا جمع سوء. أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد
ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام. أليس الله بكاف عبده أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفي فأفيد
معنى إثبات الكفاية وتقريرها. وقرئ بكاف عباده وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبكاف عباده وهم الأنبياء
صلوات الله عليهم أجمعين وذلك أن قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا وإنا نخشى عليك
معرتها لعيبك إياها. ويروى أنه بعث خالدا إلى العزى ليكسرها فقال له سادنها أحذركها يا خالد إن لها شدة لا يقوم لها
شيء فعمد خالد إليها فهشم أنفها فقال الله عز وجل أليس الله بكاف نبيه أن يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن
الخوف. وفي هذا تهكم بهم لأنهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضر. أو أليس الله بكاف أنبياءه ولقد قالت أممهم نحوه

كفاهم الله ذلك وغلبت قول قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ● ويحتمل ان يريد بالعبد والعباد على الاطلاق
الانبياء فيهم في الشدة وما لقوا من قومهم ● وقرئ بكافي عباده على الاضافة ويكافي عباده ويحتمل ان يكون غير مهموز
مفاعلة من الكفاية كقولك يجازي في يجزي وهو ابلغ من كفى لبنائه على لفظ المغالبة والمبالغة ● وان يكون مهموزا من المكافاة
وهي المجازاة لما تقدم من قوله تعالى ويجزيهم اجرهم ● بالذين من دونه اراد الاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه ●
بعزيز بغالب منيع ● ذي انتقام ينتقم من اعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بانه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ● ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات
ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ● وقرئ كاشفات
ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل وبالاضافة للتخفيف فان قلت لم فرض المسألة في نفسه دونهم
قلت لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها فامر بان يقررهم اولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير
فان ارادني خالق العالم الذي اقررتم به بضر من مرض او فقر او غير ذلك من النوازل او برحمة من صحة او غنى او
نحوهما هل هؤلاء اللاتي خوفتموني اياهن كاشفات عنى ضره او ممسكات رحمته حتى اذا ألقمهم الحجر وقطعهم حتى
لا يحيروا ببنت شفة قال حسبي الله كافيا لمعرة اوثانكم عليه يتوكل المتوكلون وفيه تهكم ● ويروى ان النبي
صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل حسبي الله فان قلت لم قيل كاشفات وممسكات على التانيث بعد
قوله ويخوفونك بالذين من دونه قلت انثهن وكن اناثا وهن اللات والعزى ومناة قال الله عز وجل افرأيتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به
من كشف الضر وامساك الرحمة لان الانوثة من باب اللين والرخاوة كما ان الذكورة من باب الشدة والصلابة كانه
قال الاناث اللاتي هن اللات والعزى ومناة اضعف مما ادعيتم لهن واعجز وفيه تهكم ايضا ● قل يا قوم اعملوا
على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ● على مكانتكم
على حالكم التي انتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها ● والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى
كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان فان قلت حق الكلام فاني عامل على مكانتي فلم حذف قلت
للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حاله لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله ناصره ومعينه
ومظهره على الدين كله الا ترى الى قوله فسوف تعلمون كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا والآخرة
لانهم اذا اتاهم الخزي والعذاب فذلك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من اوليائه وبذل ذليل من
اعدائه يخزيه مثل مقيم في وقوعه صفة للعذاب اي عذاب مخز له وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب
النار وقرئ مكاناتكم ● انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما
انت عليهم بوكيل ● للناس لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة
على المعصية ولا حاجة لي الى ذلك فانا الغني فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها
وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فان التكليف مبني على الاختيار دون الاجبار ● الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون
الانفس الجمل كما هي وتوفيها اماتتها وهو ان يسلب ما هي به حية حساسة دراكة من صحة اجزائها وسلامتها لانها عند
سلب الصحة كان ذاتها قد سلبت ● والتي لم تمت في منامها يريد ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها اي يتوفاها حين تنام
تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله عز وجل وهو الذي يتوفاكم بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك ●
فيمسك الانفس التي قضى عليها الموت الحقيقي اي لا يردها في وقتها حية ● ويرسل الاخرى النائمة ● الى اجل مسمى
الى وقت ضربه لموتها ● وقيل يتوفى الانفس يستوفيها ويقبضها وهي الانفس التي تكون معها الحياة والحركة ● ويتوفى الانفس
التي لم تمت في منامها وهي انفس التمييز قالوا فالتي تتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحياة لان نفس الحياة اذا زالت

زال معها النفس والنائم يتنفس ● ورووا عن ابن عباس رضي الله عنهما في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي
بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه والصحيح ما ذكرت
اولا لان الله عز وجل علق التوفي والموت والمنام جميعا بالانفس وما عنوا بنفس الحياة والحركة ونفس العقل والتمييز غير
متصف بالموت والنوم وانما الجملة هي التي تموت وهي التي تنام ● ان في ذلك ان في توفي الانفس مائتة ونائمة وامساكها
وارسالها الى اجل لآيات على قدرة الله وعلمه لقوم يجيلون فيها افكارهم ويعتبرون ● وقرئ قضي عليها الموت
على البناء للمفعول ● ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ● ام اتخذوا
بل اتخذ قريش والهمزة للانكار ● من دون الله من دون اذنه ● شفعاء حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده
احد الا باذنه الا ترى الى قوله قل لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا بشرطين ان يكون
المشفوع له مرتضى وان يكون الشفيع مأذونا له وههنا الشرطان مفقودان جميعا ● اولو كانوا معناه ايشفعون ولو كانوا
لا يملكون شيئا ● ولا يعقلون اي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئا قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم ● قل
لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون ● له ملك السموات والارض تقرير لقوله لله
الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها فان قلت بم يتصل قوله
ثم اليه ترجعون قلت بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك
في ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة ● واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة
واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون ● مدار المعنى على قوله وحده اي اذا افرد الله بالذكر ولم يذكر معه
آلهتهم ● اشمأزوا اي نفروا وانقبضوا ● واذا ذكر الذين من دونه وهم آلهتهم ذكر الله معهم او لم يذكر استبشروا
لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله الى هواهم فيها ● وقيل اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا
لآلهتهم ● وقيل اراد استبشارهم بما سبق اليه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند
باب الكعبة فسجدوا معه لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية في بابه لان الاستبشار
ان يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض
في اديم وجهه فان قلت ما العامل في واذا ذكر قلت العامل في اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين
من دونه فاجؤا وقت الاستبشار ● قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون ● بعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وبشدة شكيمتهم في الكفر والعناد فقيل له ادع
الله باسمائه العظمى وقل انت وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف لحالهم
واعذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له ووعيد لهم ● وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام انه اخبر بقتل
الحسين رضي الله عنه وسخط على قاتله وقالوا الآن يتكلم فما زاد على ان قال آه او قد فعلوا وقرأ هذه الآية ● وروي
انه قال على اثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه ● ولو ان للذين ظلموا ما في الارض
جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ● وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون وعيد لهم لا كنه لفظاعته وشدته وهو نظير قوله في الوعد فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسبانهم ولم يحدثوا به نفوسهم ● وقيل عملوا اعمالا
حسبوها حسنات فاذا هي سيئات ● وعن سفيان الثوري رحمة الله عليه انه قرأها فقال ويل لاهل الرياء ويل
لاهل الرياء ● وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال اخشى آية من كتاب الله وتلاها فانا اخشى ان يبدو لي من الله ما لم احتسبه ● وبدا لهم
سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ● وبدا لهم سيئات ما كسبوا اي سيئات اعمالهم
التي كسبوها او سيئات كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله عز وجل احصاه الله ونسوه او اراد
بالسيئات انواع العذاب التي يجازون بها على كسبهم فسماها سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق

بهم وتزلبهم ولحاظ حولهم • فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما
اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون • التخويل مختص بالتفضل يقال خولني اذا اعطاك على غير
جزاء • على علم اي على علم مني اني ساعطاه لما في من فضل واستحقاق • او على علم من الله بي وباستحقاقي او
على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون انما اوتيته على علم عندي **فان قلت** لم ذكر الضمير في اوتيته وهو للنعمة
قلت ذهابا الى المعنى لان قوله نعمة منا شيئا من النعم وقسما منها • ويحتمل ان تكون ما في انما موصولة لا كافة
فيرجع اليها الضمير على معنى ان الذي اوتيته على علم • بل هي فتنة انكار لقوله كانه قال ما خولناك ما خولناك
من النعمة لما تقول بل هي فتنة اي ابتلاء وامتحان لك اتشكر ام تكفر **فان قلت** كيف ذكر الضمير ثم
انثه **قلت** حملا على المعنى اولا وعلى اللفظ اخرا ولان الخبر لما كان مؤنثا اعني فتنة ساغ تانيث
المبتدا لاجله لانه في معناه كقولهم ما جاءت حاجتك • وقرئ بل هو فتنة على وفق انما اوتيته
فان قلت ما السبب في عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في اول السورة بالواو **قلت**
السبب في ذلك ان هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمازت على معنى انهم يشمئزون
عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مس احدهم ضر دعا من اشماز من ذكره دون من استبشر
بذكره وما بينهما من الآي اعتراض **فان قلت** حق الاعتراض ان يؤكد المعترض بينه وبينه **قلت**
ما في الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بامر منه • وقوله انت تحكم بينهم ثم ما عقبه من الوعيد
العظيم تاكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدائد دون آلهتهم كانه قيل قل
يا رب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك مثل هذه الجراءة ويرتكبون مثل هذا المنكر الا انت وقوله
تعالى ولو ان للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل مطلقا او اياهم خاصة ان عنيتهم به كانه قيل ولو ان
لهؤلاء الظالمين ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين احكم عليهم بسوء العذاب وهذه الاسرار والنكت
لا يبرزها الا علم النظم والا بقيت محتجبة في اكمامها واما الآية الاولى فلم تقع مسببة وما هي الا جملة ناسبت
جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام زيد وقعد عمرو **فان قلت** من اي وجه وقعت مسببة
والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم اليه بل هو مقتض لصدوفهم عنه **قلت** في هذا التسبيب لطف
وبيانه انك تقول زيد مؤمن بالله فاذا مسه ضر التجا اليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر
بالله فاذا مسه ضر التجا اليه فتجيء بالفاء مجيئك به ثمة كان الكافر حين التجا الى الله التجاء المؤمن اليه مقيم
كفره مقام الايمان ومجريه مجراه في جعله سببا في الالتجاء فانت تحكي ما عكس فيه الكافر الا ترى انك تقصد بهذا
الانكار والتعجب من فعله • قد قالها الذين من قبلهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون • الضمير في قالها راجع الى قوله انما اوتيته
على علم لانها كلمة او جملة من القول • وقرئ قد قاله على معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم قارون
وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكانهم قالوها • ويجوز ان يكون في الامم الخالية
آخرون قائلون مثلها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون • فاصابهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين • اولم يعلموا
ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون • من هؤلاء من مشركي قومك سيصيبهم
مثل ما اصاب اولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين
فقيل لهم اولم يعلموا انه لا قابض ولا باسط الا الله عز وجل • قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم • اسرفوا على انفسهم جنوا عليها بالاسراف في المعاصي والغلو فيها
• لا تقنطوا قرئ بفتح النون وكسرها وضمها • ان الله يغفر الذنوب جميعا يعني بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط
في القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه لان القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض • وفي قراءة ابن
عباس وابن مسعود رضي الله عنهما يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء • والمراد بمن يشاء من تاب لان مشيئة الله تابعة لحكمته

وعدله لا لملكه وجبروته • وقيل في قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة رضي الله عنها يغفر الذنوب جميعا
ولا يبالي • ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله تعالى ولا يخاف عقباها • وقيل قال اهل مكة يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل
النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس التي حرم الله فنزلت • وروي انه اسلم
عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله لهم صرفا ولا
عدلا ابدا فنزلت فكتب بها عمر رضي الله عنه اليهم فاسلموا وهاجروا • وقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت
ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات • وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون •
وانيبوا الى ربكم وتوبوا اليه • واسلموا له واخلصوا له العمل وانما ذكر الانابة على اثر المغفرة لئلا يطمع طامع في
حصولها بغير توبة وللدلالة على انها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه • واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل
ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون • واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
وانتم لا تشعرون اي يفجؤكم وانتم غافلون كانكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم وسهوكم • ان تقول نفس يا حسرتى
على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين • ان تقول نفس كراهة ان تقول **فان قلت** لم نكرت **قلت**
لان المراد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر • ويجوز ان يراد نفس متميزة من الانفس اما بلجاج في الكفر شديد او بعذاب
عظيم • ويجوز ان يراد التكثير كما قال الاعشى • ورب بقيع لو هتفت بجوه • اتاني كريم ينفض الراس مغضبا • وهو
يريد افواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا ونظيره رب بلد قطعت ورب بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولا يقصد
الا التكثير • وقرئ يا حسرتى على الاصل ويا حسرتاي على الجمع بين العوض والمعوض منه • والجنب الجانب يقال انا في
جنب فلان وجانبه وناحيته • وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه • قال سابق
البربري • اما تتقين الله في جنب وامق • له كبد حرى عليك تقطع • وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الامر في مكان الرجل
وحيزه فقد اثبته فيه الا ترى الى قوله • ان السماحة والمروءة والندى • في قبة ضربت على ابن الحشرج • ومنه قول الناس
لمكانك فعلت كذا يريدون لاجلك • وفي الحديث من الشرك الخفي ان يصلي الرجل لمكان الرجل • وكذا فعلت هذا من جهتك
فمن ثم قيل فرطت في جنب الله على معنى فرطت في ذات الله **فان قلت** فمرجع كلامك الى ان ذكر الجنب كلا ذكر
قلت لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب او لم يذكر والمعنى فرطت في طاعة الله وعبادة الله وما اشبه ذلك
وفي حرف عبد الله وحفصة في ذكر الله • وما في ما فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت • وان كنت لمن الساخرين قال قتادة
لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها • ومحل وان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي
وروي انه كان في بني اسرائيل عالم ترك علمه وفسق اتاه ابليس وقال له تمتع من الدنيا ثم تب فاطاعه وكان له مال فانفقه في الفجور
فاتاه ملك الموت في الذ ما كان فقال يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان واسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم
فانزل الله خبره في القرآن • او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين • او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين •
بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين • **فان قلت** هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو ان الله هداني
ولم يفصل بينهما بآية **قلت** لانه لا يخلو اما ان يقدم على اخرى القرائن

القرائن الثلاث فيه فرضيتين وإما أن توخر القرينة الوسطى فلم يحسن الأول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن وأما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب **فإن قلت** كيف صح أن تقع بلى جوابا لغير منفي **قلت** لو أن الله هداني في معنى ما هديت • ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين • كذبوا على الله وصفوه بما لا يجوز عليه تعالى وهو متعال عنه فأضافوا إليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله أمرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح ويجوزون أن يخلق خلقا لا لغرض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا مدركا بالحاسة ويثبتون له يدا وقدما وجنبا مستترين بالبلكفة ويجعلون له أندادا بإثباتهم معه قدماء • وجوههم مسودة جملة في موضع الحال إن كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان إن كان من رؤية القلب • وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون • وقرئ ينجي وينجي بمفازتهم بفلاحهم يقال فاز بكذا إذا أفلح به وظفر بمراده منه • وتفسير المفازة قوله تعالى لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون كأنه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء أي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أي بمنجاة منه لأن النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنهما المفازة بالأعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لأن العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة • ويجوز أن يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لأنه سببها • وقرئ بمفازاتهم على أن لكل متق مفازة **فإن قلت** لا يمسهم السوء ما محله من الإعراب على التفسيرين **قلت** أما على التفسير الأول فلا محل له لأنه كلام مستأنف • وأما على الثاني فمحله النصب على الحال • الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون • له مقاليد السموات والأرض أي هو مالك أمرها وحافظها وهي من باب الكناية لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي بيده مقاليدها ومنه قولهم فلان ألقيت إليه مقاليد الملك وهي المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال إقليد وأقاليد والكلمة أصلها فارسية **فإن قلت** ما للكتاب العربي المبين وللفارسية **قلت** التعريب أحالها عربية كما أخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملا **فإن قلت** بم اتصل قوله تعالى والذين كفروا **قلت** بقوله وينجي الله الذين اتقوا أي ينجي الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون • واعترض بينهما بأنه خالق الأشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من أعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء • وقد جعل متصلا بما يليه على أن كل شيء في السموات والأرض فالله خالقه وفاتح بابه • والذين كفروا وجحدوا أن يكون الأمر كذلك • أولئك هم الخاسرون • وقيل سأل عثمان رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والأرض فقال يا عثمان ما سألني عنها أحد قبلك تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير • وتأويله على هذا أن لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها من المتقين أصابه • والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون • قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون • أفغير الله منصوب بأعبد • وتأمروني اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا ونؤمن بإلهك • أو ينصب بما دل عليه جملة قوله تأمروني أعبد لأنه في معنى تعبدونني وتقولون لي اعبد والأصل تأمرونني أن أعبد فحذف أن ورفع الفعل كما في قوله • ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى • ألا ترى أنك تقول أفغير الله تقولون لي أعبده وأفغير الله تقولون لي أعبد فكذلك أفغير الله تأمرونني أن أعبده • وأفغير الله تأمرونني أن أعبد • والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ أعبد بالنصب • وقرئ تأمرونني على الأصل • وتأمروني على إدغام النون وحذفها • ولقد أوحي إليك وإلى الذين من

قبلك

قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين • وقرئ ليحبطن عملك وليحبطن على البناء للمفعول وليحبطن بالنون والياء أي ليحبطن الله أو الشرك **فإن قلت** الموحى إليهم جماعة فكيف قال لئن أشركت على التوحيد **قلت** معناه أوحي إليك لئن أشركت ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك مثله أو أوحي إليك وإلى كل واحد منهم لئن أشركت كما تقول كسانا حلة أي كل واحد منا **فإن قلت** ما الفرق بين اللامين **قلت** الأولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين أعني جوابي القسم والشرط **فإن قلت** كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى أن رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم **قلت** هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها لأغراض فكيف بما ليس بمحال **فإن قلت** ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين **قلت** يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن في الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا أنفسهم إن مت على الردة ويجوز أن يكون غضب الله على الرسول أشد فلا يمهله بعد الردة ألا ترى كيف أوعده على ركون قليل إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات • بل الله فاعبد وكن من الشاكرين • رد لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم كأنه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل إن كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه • وكن من الشاكرين على ما أنعم به عليك من أن جعلك سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام • وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون • لما كان العظيم من الأشياء إذا عرفه الإنسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره • وقرئ بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه • ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال • والأرض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه • والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز • وكذلك حكم ما يروى أن جبريل عليه الصلاة والسلام جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم إن الله يمسك السموات يوم القيمة على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال ثم قرأ تصديقا له وما قدروا الله حق قدره الآية • وإنما ضحك أفصح العرب وتعجب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور إمساك ولا إصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وأن الأفعال العظام التي تتحير فيها الأفهام والأذهان ولا تكتنهها الأوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلا إجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا في علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإن أكثره وعليته تخييلات قد زلت فيها الأقدام قديما وما أوتي الزالون إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا أن في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم أن العلوم كلها مفتقرة إليه وعيال عليه إذ لا يحل عقدها الموربة ولا يفك قيودها المكربة إلا هو وكم آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة لأن من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا منه من دبير • والمراد بالأرض الأرضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله والسموات ولأن الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهو مقتض للمبالغة ومع القصد إلى الجمع وتأكيده بالجميع أتبع الجميع مؤكده قبل مجيء الخبر ليعلم أول الأمر أن الخبر الذي يرد لا يقع عن أرض واحدة ولكن عن الأراضي كلهن • والقبضة المرة من القبض فقبضت قبضة من أثر الرسول • والقبضة بالضم المقدار المقبوض

بالكف. ويقال أيضاً أعطني قبضة من كذا، يريد معنى القبضة تسمية بالمصدر، كما روي أنه نهى عن خطفة السبع. وكلا المعنيين محتمل. والمعنى: والأرضون جميعاً قبضته، أي ذوات قبضته، يقبضهن قبضة واحدة، يعني أن الأرضين مع عظمهن وبسطتهن لا يبلغن إلا قبضة واحدة من قبضاته، كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة، كما تقول: الجزور أكلة لقمان، والقلة جرعة، إذا أريد أنهما لا يفيان إلا بأكلة فذة من أكلاته وجرعة فردة من جرعاته. وإذا أريد معنى القبضة فظاهر، لأن المعنى أن الأرضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة. **فإن قلت**: ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب؟ **قلت**: جعلها ظرفاً مشبهاً للوقت بالمبهم. مطويات من الطي الذي هو ضد النشر، كما قال تعالى: يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب، وعادة طاوي السجل أن يطويه بيمينه. وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع، وبيمينه بقدرته. وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لأنه أقسم أن يفنيها. ومن اشتم رائحة من علمنا هذا فليعرض عليه هذا التأويل ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله، ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته وما مني به من أمثاله، وأثقل منه على الروح وأصدع للكبد تدوين العلماء قوله واستحسانهم له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين. وقرئ مطويات على نظم السموات في حكم الأرض ودخولها تحت القبضة، ونصب مطويات على الحال. سبحانه وتعالى عما يشركون، ما أبعد من هذه قدرته وعظمته، وما أعظم ما افتروا عليه من الشركاء. ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. **فإن قلت**: أخرى ما محلها من الإعراب؟ **قلت**: يحتمل الرفع والنصب، أما الرفع فعلى قوله تعالى: فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة، وأما النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة، والمعنى: ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه نفخة أخرى، وإنما حذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان. وقرئ قياماً ينظرون: يقلبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت إذا فاجأه خطب. وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم. ويجوز أن يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لتحيرهم. وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون. قد استعار الله عز وجل النور للحق والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل، وهذا من ذاك. والمعنى: وأشرقت الأرض بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط في الحساب ووزن الحسنات والسيئات، وينادي عليه بأنه مستعار إضافته إلى اسمه لأنه هو الحق العدل، وإضافة اسمه إلى الأرض لأنه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين أهلها، ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا أعمر لها منه. وفي هذه الإضافة أن ربها وخالقها هو الذي يعدل فيها، وإنما يجور فيها غير ربها. ثم ما عطف على إشراق الأرض من وضع الكتاب والمجيء بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق، وهو النور المذكور. وترى الناس يقولون للملك العادل: أشرقت الآفاق بعدلك وأضاءت الدنيا بقسطك، كما يقولون: أظلمت البلاد بجور فلان. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الظلم ظلمات يوم القيامة. وكما فتح الآية بإثبات العدل ختمها بنفي الظلم. وقرئ وأشرقت على البناء للمفعول، من شرقت بالضوء تشرق إذا امتلأت به واغتصت، وأشرقها الله كما تقول: ملأ الأرض عدلاً. والكتاب صحائف الأعمال، ولكنه اكتفى باسم الجنس. وقيل اللوح المحفوظ. والشهداء الذين يشهدون للأمم وعليهم من الحفظة والأخيار، وقيل المستشهدون في سبيل الله. وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين. الزمر: الأفواج المتفرقة بعضها في إثر بعض، وقد تزمروا، قال: حتى احزألت زمر بعد زمر. وقيل في زمر الذين اتقوا: هي الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم. وقرئ نذر منكم. **فإن قلت**: لم أضيف إليهم اليوم؟ **قلت**: أرادوا لقاء وقتكم هذا، وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة، وقد جاء استعمال اليوم والأيام مستفيضاً في أوقات الشدة. قالوا بلى أتونا وتلوا علينا، ولكن وجبت علينا كلمة الله لأملأن جهنم لسوء أعمالنا، كما قالوا: غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين، فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال. قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين. اللام في المتكبرين للجنس، لأن مثوى المتكبرين فاعل بئس، وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف إلى مثله، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: فبئس مثوى المتكبرين جهنم. وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين. حتى هي التي تحكى بعدها الجمل، والجملة المحكية بعدها هي الشرطية، إلا أن جزاءها محذوف، وإنما حذف لأنه في صفة ثواب أهل الجنة، فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف، وحق موقعه ما بعد خالدين. وقيل حتى إذا جاؤوها جاؤوها وفتحت أبوابها، أي مع فتح أبوابها. وقيل أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها، وأما أبواب الجنة فمتقدم فتحها بدليل قوله: جنات عدن مفتحة لهم الأبواب، فلذلك جيء بالواو، كأنه قيل: حتى إذا جاؤوها وقد فتحت أبوابها. **فإن قلت**: كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعاً بلفظ السوق؟ **قلت**: المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل، والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم، لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين، وحثها إسراعاً بهم إلى دار الكرامة والرضوان، كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك، فشتان ما بين السوقين. طبتم: من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا، فادخلوها: جعل دخول الجنة مسبباً عن الطيب والطهارة، فما هي إلا دار الطيبين ومثوى الطاهرين، لأنها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر، فلا يدخلها إلا مناسب لها موصوف بصفتها، فما أبعد أحوالنا من تلك المناسبة، وما أضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة، إلا أن يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحاً تنقي أنفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب. خالدين: مقدرين الخلود. وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين. الأرض عبارة عن المكان الذي أقاموا فيه واتخذوه مقراً ومتبوأ، وقد أورثوها، أي ملكوها وجعلوا ملوكها، وأطلق تصرفهم فيها تمليك الوارث، تشبيهاً بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه في إنفاقه طولاً وعرضاً. **فإن قلت**: ما معنى قوله حيث نشاء، وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره؟ **قلت**: يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة، فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج إلى جنة غيره. وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين. حافين: محدقين من حوله. يسبحون بحمد ربهم: يقولون سبحان الله والحمد لله، متلذذين لا متعبدين. **فإن قلت**: إلام يرجع الضمير في قوله بينهم؟ **قلت**: يجوز أن يرجع إلى العباد كلهم، وأن إدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون إلا قضاء بينهم بالحق والعدل، وأن يرجع إلى الملائكة على أن ثوابهم وإن كانوا معصومين جميعاً لا يكون على سنن واحد، ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في أعمالهم، فهو القضاء بينهم بالحق. **فإن قلت**: قوله وقيل الحمد لله رب العالمين، من القائل ذلك؟ **قلت**: المقضي بينهم إما جميع العباد وإما الملائكة، كأنه قيل: وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وإنزال كل منا منزلته التي هي حقه. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة وأعطاه ثواب الخائفين الذين خافوا. وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي كان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر.

سورة غافر مكية وقيل الحواميم كلها مكية وهي خمس وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم. حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم. قرئ بإمالة الحاء وتفخيمها، وبتسكين الميم وفتحها، ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وإيثار أخف الحركات نحو أين وكيف، أو النصب بإضمار اقرأ، ومنع الصرف للتأنيث والتعريف، أو لأنها على زنة أعجمي نحو قابيل وهابيل. غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير. التوب والثوب والأوب أخوات في معنى الرجوع، والطول الفضل والزيادة، يقال لفلان على فلان طول، والإفضال يقال طال عليه وتطول إذا تفضل. **فإن قلت**: كيف اختلفت هذه الصفات تعريفاً وتنكيراً، والموصوف معرفة يقتضي أن تكون مثله معارف؟ **قلت**: أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لأنه لم يرد بهما حدوث

الفعلين وأن يغفر الذنب ويقبل التوب الآن أو غدا حتى يكون في تقدير الانفصال فتكون نكرتين صفتين للمعرفة وأما إذا أريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش • وأما شديد العقاب فأمره مشكل لأنه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلا وفي كونه بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر • والوجه أن يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها بأنها من بحر الرجز فإن وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل • ولقائل أن يقول هي صفات وإنما حذف الألف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لأجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عنادليه فثنوا ما هو وتر لأجل ما هو شفع على أن الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذاك وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل إنه على نية الألف واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الألف واللام ومما سهل ذلك الأمن من اللبس وجهالة الموصوف • ويجوز أن يقال قد تعمد تنكيره وإبهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شيء أدهى منه وأمر لزيادة الإنذار • ويجوز أن يقال هذه النكتة هي الداعية إلى اختيار البدل على الوصف إذا سلكت طريقة الإبدال **فإن قلت** ما بال الواو في قوله تعالى وقابل التوب **قلت** فيها نكتة جليلة وهي إفادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وأن يجعلها محاءة للذنوب كأن لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة والقبول • وروي أن عمر رضي الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر رضي الله عنه لكاتبه اكتب من عمر إلى فلان سلام عليك وأنا أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله إليه المصير وختم الكتاب وقال للرسول لا تدفعه إليه حتى تجده صاحيا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاكم قد زل زلة فسددوه ووقفوه وادعوا الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه • ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد • سجل على المجادلين في آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد إلى إدحاض الحق وإطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها وعنها فأعظم جهاد في سبيل الله وقوله صلى الله عليه وسلم إن جدالا في القرآن كفر وإيراده منكرا وإن لم يقل إن الجدال تمييز منه بين جدال وجدال **فإن قلت** من أين تسبب لقوله فلا يغررك ما قبله **قلت** من حيث إنهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا أحد أشقى منه عند الله وجب على من تحقق ذلك أن لا ترجح أحوالهم في عينه ولا يغره إقبالهم في دنياهم • وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولهم الأموال يتجرون فيها ويتربحون فإن مصير ذلك وعاقبته إلى الزوال ووراءه شقاوة الأبد • ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك من الأمم وما أخذهم به من عقابه وأحل بساحتهم من انتقامه • وقرئ فلا يغرك • كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب • الأحزاب الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم • وهمت كل أمة من هذه الأمم التي هي قوم نوح والأحزاب برسولهم • وقرئ برسولها • ليأخذوه ليتمكنوا منه ومن الإيقاع به وإصابته بما أرادوه من تعذيب أو قتل ويقال للأسير أخيذ • فأخذتهم يعني أنهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على إرادة أخذه أن أخذتهم • فكيف كان عقابي فإنكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون أثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجيب • وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار • أنهم أصحاب النار في محل الرفع بدل من كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب

وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كما وجب إهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب إهلاكهم بعذاب النار في الآخرة أو في محل النصب بحذف لام التعليل وإيصال الفعل • والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب إهلاك أولئك الأمم كذلك وجب إهلاك هؤلاء لأن علة واحدة تجمعهم أنهم من أصحاب النار • وقرئ كلمات • الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم • ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم • روي أن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم • وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فإن خلقا من الملائكة يقال له إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الأرض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وإنه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع • وفي الحديث إن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة • وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام • وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر • وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما العرش بضم العين **فإن قلت** ما فائدة قوله تعالى ويؤمنون به ولا يخفى على أحد أن حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم مؤمنون **قلت** فائدته إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الأنبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح وكما عقب أعمال الخير بقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا فأبان بذلك فضل الإيمان • وفائدة أخرى وهي التنبيه على أن الأمر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالإيمان لأنه إنما يوصف بالإيمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم أن إيمانهم وإيمان من في الأرض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في أن إيمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وأنه لا طريق إلى معرفته إلا هذا وأنه منزه عن صفات الأجرام • وقد روعي التناسب في قوله تعالى ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا كأنه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على أن الاشتراك في الإيمان يجب أن يكون أدعى شيء إلى النصيحة وأبعثه على إمحاض الشفقة وإن تفاوتت الأجناس وتباعدت الأماكن فإنه لا تجانس بين ملك وإنسان ولا بين سماوي وأرضي قط ثم لما جاء جامع الإيمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الأرض • ربنا يريدون يقولون ربنا وهذا المضمر يحتمل أن يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وأن يكون حالا **فإن قلت** تعالى الله عن المكان فكيف صح أن يقال وسعت كل شيء **قلت** المعنى وسعت رحمته وعلمه والأصل وسعت رحمتك وعلمك كل شيء فأزيل الكلام عن أصله بأن أسند الفعل إلى صاحب الرحمة والعلم وأخرجا منصوبين على التمييز للإغراق في وصفه بالرحمة والعلم كأن ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء **فإن قلت** قد ذكر الرحمة والعلم فوجب أن يكون ما بعد الفاء مشتملا على حديثهما جميعا وما ذكر إلا الغفران وحده **قلت** معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التي نهجها لعباده ودعا إليها

وصلح بضم اللام والفتح أفصح يقال صلح فهو صالح وصلح فهو صليح وذريتهم ● إن الذين كفروا ينادون لمقت
الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون ● أي ينادون يوم القيامة فيقال لهم لمقت الله أكبر والتقدير
لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم فاستغني بذكرها مرة ● وإذ تدعون منصوب بالمقت الأول والمعنى أنه يقال لهم
يوم القيامة كان الله يمقت أنفسكم الأمارة بالسوء والكفر حين كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يدعونكم إلى الإيمان فتأبون
قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم في النار إذ أوقعتكم فيها باتباعكم هواهن ● وعن الحسن لما رأوا
أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم فنودوا لمقت الله ● وقيل معناه لمقت الله إياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله عز وجل
يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ● وإذ تدعون تعليل ● والمقت أشد البغض فوضع في موضع أبلغ الإنكار وأشده
قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ● ذلكم
بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ● اثنتين إماتتين وإحياءتين أو موتتين
وحياتين وأراد بالإماتتين خلقهم أمواتا أولا وإماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالإحياءتين الإحياءة الأولى وإحياءة
البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس ● فإن قلت
كيف صح أن يسمي خلقهم أمواتا إماتة ● قلت كما صح أن يقال سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل
وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع أسفلها وليس ثم نقل من كبر إلى صغر ولا من صغر إلى كبر ولا من ضيق إلى سعة
ولا من سعة إلى ضيق وإنما أردت الإنشاء على تلك الصفات والسبب في صحته أن الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع
الواحد من غير ترجح لأحدهما وكذلك الضيق والسعة فإذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء
فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه ● ومن جعل الإماتتين التي بعد حياة الدنيا والتي بعد
حياة القبر لزمه إثبات ثلاث إحياءات وهو خلاف ما في القرآن إلا أن يتمحل فيجعل إحداها غير معتد بها أو يزعم أن الله
يحييهم في القبور وتستمر بهم تلك الحياة فلا يموتون بعدها ويعدهم في المستثنين من الصعقة في قوله إلا من شاء الله ●
فإن قلت كيف تسبب هذا القول تعالى فاعترفنا بذنوبنا ● قلت قد أنكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا
يحصى لأن من لم يخش العاقبة تخرق في المعاصي فلما رأوا الإماتة والإحياء قد تكرر عليهم علموا بأن الله قادر على الإعادة
قدرته على الإنشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من إنكار البعث وما تبعه من معاصيهم ● فهل إلى خروج أي نوع من
الخروج سريع أو بطيء ● من سبيل قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس
والقنوط وإنما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله تعالى ● ذلكم أي ذلكم الذي أنتم فيه
وأن لا سبيل لكم إلى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وإيمانكم بالإشراك به ● فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد
وقوله تعالى العلي الكبير دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى أن عقاب مثله لا يكون إلا كذلك وهو الذي يطابق كبرياءه ويناسب
جبروته ● وقيل كأن الحرورية أخذوا قولهم لا حكم إلا لله من هذا ● هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا
وما يتذكر إلا من ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ● يريكم آياته من الريح والسحاب والرعد والبرق
والصواعق ونحوها ● والرزق المطر لأنه سببه ● وما يتذكر إلا من ينيب وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله إلا من يتوب من الشرك
ويرجع إلى الله فإن المعاند لا سبيل إلى تذكره واتعاظه ثم قال للمنيبين ● فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك وإن غاظ
ذلك أعداءكم ممن ليس على دينكم ● رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر
يوم التلاق يوم هم بارزون ● رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح ثلاثة أخبار لقوله هو مترتبة على قوله الذي
يريكم أو أخبار مبتدأ محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا ● وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح ● ورفيع الدرجات
كقوله ذي المعارج وهي مصاعد الملائكة إلى أن تبلغ العرش وهي دليل على عزته وملكوته ● وعن ابن جبير سماء فوق سماء
والعرش فوقهن ● ويجوز أن يكون عبارة عن رفعة شأنه وعلو سلطانه كما أن ذا العرش عبارة عن ملكه ● وقيل هي درجات
ثوابه التي ينزلها أولياءه في الجنة ● الروح من أمره الذي هو سبب الحياة من أمره يريد الوحي الذي أمر بالخير

وكيف علا بنا استعارة الروح كما قال الله عز وجل أو من كان ميتا فأحييناه لينذر الله أو الملقى عليه وهو الرسول أو الروح
وقرئ لتنذر الروح لأنها تؤنث أو على خطاب الرسول وقرئ لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول ● يوم التلاق يوم القيامة
لأن الخلائق تلتقي فيه ● وقيل يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض ● وقيل المعبود والعابد ● يوم هم بارزون ظاهرون لا يسترهم
شيء من جبل أو أكمة أو بناء لأن الأرض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب إنما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون
عراة عزلا غرلا ● لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ● لا يخفى على الله منهم شيء أي من أعمالهم وأحوالهم
وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يخفى عليه منهم شيء ● فإن قلت قوله تعالى لا يخفى على الله منهم شيء بيان وتقرير لبروزهم
والله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء برزوا أو لم يبرزوا فما معناه ● قلت معناه أنهم كانوا يتوهمون في الدنيا إذا استتروا
بالحيطان والحجب أن الله لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف إلى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا
يتوهمون قال الله تعالى ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ● وقال يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وذلك
لعلمهم أن الناس يبصرونهم وظنهم أن الله لا يبصرهم وهو معنى قوله تعالى وبرزوا لله الواحد القهار ● لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه أنه ينادي مناد فيقول لمن الملك
فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار ● وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد بأرض بيضاء
كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فأول ما يتكلم به أن ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
اليوم تجزى كل نفس الآية فهذه اقتصاص لما يكون للمنادي من الجواب قرر أن الملك لله وحده في ذلك اليوم
اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب ● عدد نتائج ذلك وهي أن كل نفس تجزى
ما كسبت وأن الظلم مأمون لأن الله ليس بظلام للعبيد وأن الحساب لا يبطئ لأن الله لا يشغله حساب عن حساب
فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو أسرع الحاسبين ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما إذا أخذ في حسابهم لم يقل
أهل الجنة إلا فيها ولا أهل النار إلا فيها ● وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين
ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ● الآزفة القيامة سميت لأزوفها أي لقربها ● ويجوز أن يريد بيوم
الآزفة وقت الخطة الآزفة وهي مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم
فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجا كما قال فلما رأوه زلفة
سيئت وجوه الذين كفروا ● فإن قلت كاظمين بم انتصب ● قلت هو حال عن أصحاب القلوب على المعنى لأن المعنى
إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ● ويجوز أن يكون حالا عن القلوب وأن القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع
بلوغها الحناجر ● وإنما جمع الكاظم جمع السلامة لأنه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء كما قال تعالى رأيتهم لي ساجدين
وقال تعالى فظلت أعناقهم لها خاضعين وتعضده قراءة من قرأ كاظمون ● وأنذرهم [illegible]
[illegible] ● الحميم المحب المشفق ● والمطاع مجاز في الشفيع لأن حقيقة الطاعة نحو حقيقة الأمر
في أنها لا تكون إلا لمن فوقك ● فإن قلت ما معنى قوله تعالى ولا شفيع يطاع ● قلت يحتمل أن يتناول النفي الشفاعة
والطاعة معا وأن يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو محتمل نفي البيع وحده وأن عندك
كتابا إلا أنك لا تبيعه ونفيهما جميعا وأن لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ● ولا ترى الضب بها ينجحر يريد نفي الضب
وانجحاره ● فإن قلت فعلى أي الاحتمالين يجب حمله ● قلت على نفي الأمرين جميعا من قبل أن الشفعاء هم أولياء
الله وأولياء الله لا يحبون ولا يرضون إلا من أحبه الله ورضيه وإن الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم وإذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا
لهم قال الله تعالى وما للظالمين من أنصار ● وقال ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ولأن الشفاعة لا تكون إلا في زيادة التفضل
وأهل التفضل وزيادته إنما هم أهل الثواب بدليل قوله تعالى ويزيدهم من فضله ● وعن الحسن رحمه الله والله ما يكون لهم
شفيع البتة ● فإن قلت الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها ● قلت في ذكرها
فائدة جليلة وهي أنها ضمت إليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لأن الصفة لا تتأتى بدون

موصوفها فيكون ذلك اذا لقلتهم هو وجوه الموصوف بيانه انك اذا عولت على الصحيح على الخبر وقلت ما لي فرس اركبه ولا معي سلاح احارب به فقد جعلت عدم الفرس وعدم السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة كأنك تقول كيف يتأتى مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله تعالى ولا شفيع يطاع معناه كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد به على عدم تأتيه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء التشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي ان يتوهم خلافه ● يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ● الخائنة صفة للنظرة او مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله تعالى وما تخفي الصدور لا يساعد عليه ● فان قلت بم اتصل قوله يعلم خائنة الاعين ● قلت هو خبر من اخبار هو في قوله تعالى هو الذي يريكم مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله تعالى لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته ● والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير ● والله يقضي بالحق يعني والذي هذه صفاته واحواله لا يقضي الا بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم وآلهتكم لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي او لا يقضي ● ان الله هو السميع البصير تقرير لقوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وانها لا تسمع ولا تبصر ● وقرئ تدعون بالياء والتاء ● اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ● ذلك بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب ● هم في كانوا هم اشد منهم فصل ● فان قلت من حق الفصل ان لا يقع الا بين معرفتين فما باله واقعا بين معرفة وغير معرفة وهو اشد منهم ● قلت قد ضارع المعرفة في انه لا يدخله الالف واللام فاجري مجراه ● وقرئ منكم وهي في مصاحف اهل الشام وآثارا يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف بالشدة من آثارهم او اراد واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا ● ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب ● وسلطان مبين وحجة ظاهرة وهي المعجزات ● فقالوا ساحر كذاب يعني سموا السلطان المبين سحرا وكذبا ● فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال ● فلما جاءهم بالحق بالنبوة ● فان قلت اما كان قتل الابناء واستحياء النساء من قبل خيفة ان يولد المولود الذي انذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يديه ● قلت قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل آخر ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى اقتلوا اعيدوا عليهم القتل الذي كان اولا يريد ان هذا قتل غير القتل الاول ● في ضلال في ضياع وذهاب باطلا لم يجد عليهم يعني انهم باشروا قتلهم اولا فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني ● وكان فرعون لعنه الله قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام واحس بانه قد وقع اعاد القتل عليهم غيظا وحنقا وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه الصلاة والسلام وما علم ان كيده ضائع في الكرتين جميعا ● وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد ● ذروني اقتل موسى كانوا اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاوم الا ساحرا مثله ويقولون اذا قتلته ادخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة ● والظاهر ان فرعون كان قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة وكان قتالا سفاكا للدماء في اهون شيء فكيف لا يقتل من احس منه بانه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله تعالى وليدع ربه شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني اقتل موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع ● اني اخاف ان يبدل دينكم ان يغيروا ما انتم

عليه وكانوا

عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام بدليل قوله عز وجل ويذرك وآلهتك ● والفساد في الارض التقاتل والتهارج الذي يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كانه قال اني اخاف ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه او يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه ● وفي مصاحف اهل الحجاز وان يظهر بالواو ومعناه اني اخاف فساد دينكم ودنياكم معا ● وقرئ يظهر من اظهر والفساد منصوب اي يظهر موسى الفساد ● وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر اي تتابع وتعاون ● وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ● لما سمع موسى عليه الصلاة والسلام بما اجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه اني عذت بالله الذي هو ربي وربكم فيه بعث لهم على ان يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه ● وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون ابلغ ● واراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو اقبح استكبار وادله على دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه ● وقال لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل اسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها ● عذت ولذت اخوان ● وقرئ عت بالادغام ● وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ● رجل مؤمن وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال عضد في عضد وكان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى عليه الصلاة والسلام سرا ● وقيل كان اسرائيليا ● ومن آل فرعون صفة لرجل او صلة ليكتم اي يكتم ايمانه من آل فرعون ● واسمه سمعان او حبيب وقيل خربيل او حزبيل ● والظاهر انه كان من آل فرعون فان المؤمنين من بني اسرائيل لم يقلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون ابناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا دليل ظاهر على انه يتنصح لقومه ● ان يقول لان يقول وهذا انكار منه عظيم وتبكيت شديد كانه قال اترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة قط في ارتكابها الا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله ربي الله مع انه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم الى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم ولك ان تقدر مضافا محذوفا اي وقت ان يقول والمعنى اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر في امره ● وقوله تعالى بالبينات يريد بالبينات العظيمة التي عهدتموها وشهدتموها ثم اخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من ان يكون كاذبا او صادقا ● فان يك كاذبا فعليه كذبه ولا يتخطاه ضرر كذبه ● وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان تعرضتم له ● فان قلت لم قال بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم ان يصيبهم كله لا بعضه ● قلت لانه احتاج في مقاولة خصوم موسى عليه الصلاة والسلام ومنكريه الى ان يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق الانصاف في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم انه اقرب الى تسليمهم لقوله وادخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك انه حين فرضه صادقا فقد اثبت انه صادق في جميع ما يعد ولكنه اردفه يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا فضلا ان يتعصب له ● وتقديم الكاذب على الصادق ايضا من هذا القبيل وكذلك قوله تعالى ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ● فان قلت فعن ابي عبيدة انه فسر البعض بالكل وانشد بيت لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها ● قلت ان صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازني في مسألة العلقى كان اجفى من ان يفقه ما اقول له ● ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يحتمل انه ان كان مسرفا كذابا خذله الله واهلكه ولم يستقم له امر فيتخلصون منه وانه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولما عضده بالبينات ● وقيل ما تولى ابو بكر رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اشد من ذلك طاف بالبيت فلقيه في

بمجامع ردائه فقال له أنت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال أنا ذاك فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فالتزمه من ورائه وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى أرسلوه • وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أن مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وأبو بكر قاله ظاهرا • يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد • ظاهرين في الأرض في أرض مصر عالين فيها على بني إسرائيل يعني أن لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فإنه لا قبل لكم به إن جاءكم ولا يمنعكم منه أحد • وقال ينصرنا وجاءنا لأنه منهم في القرابة وليعلمهم أن الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه • ما أريكم إلا ما أرى ما أشير عليكم برأي إلا بما أرى من قتله يعني لا أستصوب إلا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب • وما أهديكم بهذا الرأي إلا سبيل الرشاد يريد سبيل الصواب والصلاح أو ما أعلمكم إلا ما أعلم من الصواب ولا أدخر منه شيئا ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر يعني أن لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى عليه الصلاة والسلام ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر أحدا ولم يقف الأمر على الإشارة • وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام • أو من رشد بالفتح كعباد • وقيل هو من أرشد كجبار من أجبر وليس بذاك لأن فعالا من أفعل لم يجئ إلا في عدة أحرف نحو دراك وسآر وقصار وجبار ولا يصح القياس على القليل ويجوز أن يكون نسبة إلى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه إلى فعل • وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد • مثل يوم الأحزاب مثل أيامهم لأنه لما أضافه إلى الأحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلبس أن كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لأن المضاف إليه أغنى عن ذلك كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا • وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب • ودأب هؤلاء دؤبهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم • فإن قلت بم انتصب مثل الثاني قلت بأنه عطف بيان لمثل الأول لأن آخر ما تناولته الإضافة قوم نوح • ولو قلت أهلك الله الأحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن إلا عطف بيان لإضافة قوم إلى الأعلام فسرى ذلك الحكم إلى أول ما تناولته الإضافة • وما الله يريد ظلما للعباد يعني أن تدميرهم كان عدلا وقسطا لأنهم استوجبوه بأعمالهم وهو أبلغ من قوله سبحانه وتعالى وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي إرادة الظلم لأن من كان عن إرادة الظلم بعيدا كان عن الظلم أبعد وحيث نكر الظلم كأنه نفى أن يريد ظلما ما لعباده • ويجوز أن يكون معناه كمعنى قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر أي لا يريد لهم أن يظلموا يعني أنه دمرهم لأنهم كانوا ظالمين • ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد • يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد • التنادي ما حكى الله تعالى في سورة الأعراف من قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة • ويجوز أن يكون تصايحهم بالويل والثبور • وقرئ بالتشديد وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه • وعن الضحاك إذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا وجدوا ملائكة صفوفا فبيناهم يموج بعضهم في بعض إذ سمعوا مناديا أقبلوا إلى الحساب • تولون مدبرين عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب إلى النار • وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين • ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب • هو يوسف بن يعقوب • وقيل هو يوسف بن إفرائيم بن يوسف بن يعقوب عليهم الصلاة والسلام أقام فيهم نبيا عشرين سنة • وقيل إن فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر إلى زمنه • وقيل هو فرعون آخر • ووبخهم بأن يوسف أتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين حتى إذا قبض • قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا حكما من عند أنفسكم من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فإذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذي أسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا

فيها وكفروا بها وإنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم إلى تكذيب رسالته • وقرئ ألن يبعث الله على إدخال همزة الاستفهام على حرف النفي كأن بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ثم قال كذلك أي مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله كل مسرف في عصيانه • مرتاب في دينه • الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار • الذين يجادلون بدل من من هو مسرف • فإن قلت كيف جاز إبداله منه وهو جمع وذاك موحد • قلت لأنه لا يريد مسرفا واحدا فكأنه قال كل مسرف • فإن قلت فما فاعل كبر • قلت هو ضمير من هو مسرف • فإن قلت أما قلت هو جمع ولهذا أبدلت منه الذين يجادلون • قلت بلى حيث رجع إلى المعنى وأما اللفظ فحد لحمل البدل على معناه والضمير الراجع إليه على لفظه وليس ببدع أن يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى وله نظائر • ويجوز أن يرفع الذين يجادلون على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا • ويحتمل أن يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان أتاهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك أي كبر مقتا مثل ذلك الجدال • ويطبع الله كلام مستأنف • ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه • وفي كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد أشكاله من الكبائر • وقرئ سلطان بضم اللام • وقرئ قلب بالتنوين ووصف القلب بالتكبر والتجبر لأنه مركزهما ومنبعهما كما تقول رأت العين وسمعت الأذن ونحوه قوله تعالى فإنه آثم قلبه وإن كان الآثم هو الجملة • ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي على كل ذي قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب • وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب • قيل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد اشتقوه من صرح الشيء إذا ظهر • وأسباب السماوات طرقها وأبوابها وما يؤدي إليها وكل ما أداك إلى شيء فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه • فإن قلت ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلي أبلغ أسباب السماوات لأجزأ • قلت إذا أبهم الشيء ثم أوضح كان تفخيما لشأنه فلما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السماوات أبهمها ثم أوضحها ولأنه لما كان بلوغها أمرا عجيبا أراد أن يورده على نفس متشوقة إليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه ليشوق إليه نفس هامان ثم أوضحه • وقرئ فأطلع بالنصب على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني • ومثل ذلك التزيين وذلك الصد زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل • والمزين إما الشيطان بوسوسته كقوله عز وجل وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل • وإما الله تعالى على وجه التسبيب لأنه مكن الشيطان وأمهله ومثله زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون • وقرئ وزين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل دل عليه قوله إلى إله موسى • وصد بفتح الصاد وضمها وكسرها على نقل حركة العين إلى الفاء كما قيل قيل • والتباب الخسران والهلاك • وصد مصدر معطوف على سوء عمله • وصدوا هو وقومه • وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد • يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار • قال أهدكم سبيل الرشاد فأجمل لهم ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها لأن الإخلاد إليها هو أصل الشر كله ومنه يتشعب ما يؤدي إلى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وأنها هي الوطن والمستقر وذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف ثم وازن بين الدعوتين دعوته إلى دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبته النار وحذر وأنذر واجتهد في ذلك واحتشد لا جرم أن الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب • وفي هذا دليل بين على أن الرجل كان من آل فرعون • والرشاد نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح أن ما عليه قوم فرعون سبيل الغي • من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب • فلا يجزى إلا مثلها لأن الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة لأنها ظلم وأما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة فحسنة لأنها فضل • وقرئ يدخلون ويدخلون • بغير حساب واقع في مقابلة إلا مثلها يعني أن جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب

بل ما شئت من الزيادة حملا على الحق والكثرة والسعة ﴿ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار﴾ فإن قلت
لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني قلت أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن
سنة الغفلة وفيه أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو
يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك أن لا يتهموه فإن سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحه لهم
كما كرر إبراهيم عليه الصلاة والسلام في نصيحة أبيه يا أبت وأما المجيء بالواو العاطفة فلأن الثاني داخل على كلام
هو بيان للمجمل وتفسير له فأعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو وأما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك
المثابة ﴿تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار﴾ يقال دعاه إلى كذا ودعاه له كما يقال هداه
إلى الطريق وهداه له بعلم أي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال وأشرك به ما ليس بإله وما ليس بإله
كيف يصح أن يعلم إلها ﴿لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين
هم أصحاب النار﴾ لا جرم سياقه على مذهب البصريين أن يجعل لا ردا لما دعاه إليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وأن
مع ما في حيزه فاعله أي حق ووجب بطلان دعوته أو بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم أي كسب ذلك الدعاء
إليه بطلان دعوته على معنى أنه ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته ويجوز أن يقال إن لا جرم نظير لا بد فعل
من الجرم وهو القطع كما أن بد فعل من التبديد وهو التفريق فكما أن معنى لا بد أنك تفعل كذا بمعنى لا بعد لك من فعله
فكذلك لا جرم أن لهم النار أي لا قطع لذلك بمعنى أنهم أبدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان
دعوة الأصنام أي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا وروي عن العرب لا جرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء
بزنة بد وفعل وفعل أخوان كرشد ورشد وعدم وعدم ليس له دعوة معناه أن ما تدعونني إليه ليس له دعوة إلى
نفسه أي من حق المعبود بالحق أن يدعو العباد إلى طاعته ثم يدعو العباد إليها إظهارا لدعوة ربهم وما تدعون إليه
وإلى عبادته لا يدعو هو إلى عبادة نفسه ولا يدعي الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا لضج من دعائكم وقوله في الدنيا ولا
في الآخرة يعني أنه في الدنيا جماد لا يستطيع شيئا من دعاء وغيره وفي الآخرة إذا أنشأه الله حيوانا تبرأ من
الدعاة إليه ومن عبدته وقيل معناه ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا وفي الآخرة أو دعوة مستجابة
جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى
عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم
بشيء المسرفين عن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم
خيرهم هم المسرفون ﴿فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد﴾ وقرئ
فستذكرونه أي سيذكر بعضكم بعضا وأفوض أمري إلى الله لأنهم توعدوه ﴿فوقاه الله سيئات ما
مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة
أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من إلحاق
أنواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى وحاق بآل فرعون ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم
[illegible]
فإن قلت قوله وحاق بآل فرعون

سوء العذاب بمعناه أنه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا
فإذا فسر سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرهم راجعا إليهم لأنهم لا يعذبون بجهنم قلت يجوز أن يهم الإنسان
بأن يغرق قوما فيحرق بالنار ويسمي ذلك حيقا لأنه هم بسوء وأصابه ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط في
الحيق أن يكون الحائق ذلك السوء بعينه ويجوز أن يهم فرعون لما سمع إنذار المسلمين بالنار وقول المؤمن وأن المسرفين
هم أصحاب النار فيفعل نحو ما فعل نمرود ويعذبهم بها فحاق به مثل ما أضمره وهم بفعله ويستدل بهذه
الآية على إثبات عذاب القبر ﴿وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا
فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار﴾ واذكر وقت يتحاجون تبعا تباع كخدم في جمع خادم أو ذوي تبع أي
أتباع أو وصفا بالمصدر ﴿قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد﴾ وقرئ كلا على التأكيد
لاسم إن وهو معرفة والتنوين عوض من المضاف إليه يريد إنا كلنا أو كلنا فيها فإن قلت هل يجوز أن يكون
كلا حالا قد عمل فيها فيها قلت لا لأن الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم
لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد قد حكم بين العباد قضى بينهم وفصل بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار
النار ﴿وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب﴾ لخزنة جهنم للقوام بتعذيب
أهلها فإن قلت هلا قيل الذين في النار لخزنتها قلت لأن في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل أن جهنم
هي أبعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وقولهم في النابغة جهنام تسمية نبزها بها لزعمهم أنه يلقي
الشعر على لسان المنتسب إليه فهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال أبو نواس في خلف الأحمر قليذم من
العيالم الخسف وفيها أعتى الكفار وأطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة
قربهم من الله تعالى فلهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم ﴿قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات
قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ أولم تك تأتيكم إلزام للحجة وتوبيخ وأنهم خلفوا وراءهم
أوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الأسباب التي يستجيب الله لها الدعوات قالوا فادعوا أنتم فإنا لا نجترئ على ذلك
ولا نشفع إلا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم والإذن في الشفاعة مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين
الفريقين وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة فإن الملك المقرب إذا لم يسمع دعاؤه فكيف
يسمع دعاء الكافر ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين
معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ في الحياة الدنيا ويوم الأشهاد أي في الدنيا والآخرة يعني أنه
يغلبهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وإن غلبوا في الدنيا في بعض الأحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم
ويتيح الله من يقتص من أعدائهم ولو بعد حين والأشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الحفظة من الملائكة
والأنبياء والمؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لتكونوا شهداء على الناس واليوم الثاني بدل من الأول يحتمل أنهم يعتذرون
بمعذرة ولكنها لا تنفع لأنها باطلة وأنهم لو جاؤوا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولهم
اللعنة البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار أي سوء دار الآخرة وهو عذابها وقرئ يقوم ولا ينفع بالتاء والياء
﴿ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب﴾ يريد بالهدى جميع
ما آتاه في باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع وأورثنا وتركنا على بني إسرائيل من بعده الكتاب أي التوراة هدى
وذكرى إرشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له أو على الحال وأولو الألباب المؤمنون به العاملون بما فيه
﴿فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾ فاصبر إن وعد الله يعني إن نصرة
الرسل في ضمان الله وضمان الله لا يخلف واستشهد بموسى عليه الصلاة والسلام وما آتاه من أسباب الهدى والنصرة
على فرعون وجنوده وإبقاء آثار هداه في بني إسرائيل والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملكك
مشارق الأرض ومغاربها فاصبر على ما يجرعك قومك من الغصص فإن العاقبة لك وما سبق به وعدي من نصرتك

وتغلّه وكلمتك حق وافية على التقوى وتستدرك الفرطات بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء عليه
بالعشي والابكار وقيل هما صلاتا العصر والفجر • ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم ان في
صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير • الا في صدورهم الا كبر الا تكبر
وتعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وان لا يكون احد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا آياتك خيفة ان
تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وامرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة • او ارادة ان تكون لهم النبوة
دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه او ارادة دفع الآيات بالجدال • ما هم
ببالغيه اي ببالغي موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة او النبوة او دفع الآيات • وقيل المجادلون
هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه
الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم • فاستعذ بالله
فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك • انه هو السميع لما تقول ويقولون • البصير بما تعمل ويعملون فهو ناصرك
عليهم وعاصمك من شرهم • لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون • فان قلت
كيف اتصل قوله لخلق السموات والارض بما قبله • قلت ان مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على انكار البعث وهو
اصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بان الله خالقها وبانها خلق عظيم لا يقادر
قدره وخلق الناس بالقياس اليه شيء قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته
اقدر وهو ابلغ من الاستشهاد بخلق مثله • لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم
اهواءهم • وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون •
ضرب الاعمى والبصير مثلا للمحسن والمسيء • وقرئ يتذكرون بالياء والتاء والتاء اعم • ان الساعة
لآتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون • لا ريب فيها لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها
لانه لا بد من جزاء • لا يؤمنون لا يصدقون بها • وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون
عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين • ادعوني اعبدوني والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل
عليه قوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي والاستجابة الاثابة • وفي تفسير مجاهد اعبدوني اثبكم • وعن
الحسن رحمه الله وقد سئل عنها اعملوا وابشروا فانه حق على الله ان يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم
من فضله • وعن الثوري رحمه الله انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء • وفي الحديث اذا شغل عبدي
طاعتي عن الدعاء اعطيته افضل ما اعطي السائلين • وروى النعمان بن بشير رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية • ويجوز ان يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرها ويريد بعبادتي
دعائي لان الدعاء باب من العبادة ومن افضل ابوابها يصدقه قول ابن عباس رضي الله عنهما افضل العبادة الدعاء • وعن
كعب اعطى الله هذه الامة ثلاثا لم يعطهن الا نبيا مرسلا كان يقول لكل نبي انت شاهدي على خلقي وقال
لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس • وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج
• وكان يقول ادعني استجب لك وقال لنا ادعوني استجب لكم • وعن ابن عباس رضي الله عنهما وحدوني اغفر لكم
وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد • داخرين صاغرين • الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون • مبصرا من الاسناد
المجازي لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار • فان قلت لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا
حالين او مفعولا لهما فيراعى حق المقابلة • قلت هما متقابلان من حيث المعنى لان كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر
ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الاسناد المجازي • ولو قيل ساكنا والليل يجوز ان يوصف بالسكون
على الحقيقة الا ترى الى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم تتميز الحقيقة من المجاز • فان قلت فهلا قيل

لمفضل او متفضل • قلت لان الغرض تنكير الفضل وان يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يستوي بالاضافة
فان قلت فلو قيل ولكن اكثرهم فلا يتكرر ذكر الناس • قلت في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وانهم
هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله تعالى ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم
كفار • ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فانى تؤفكون • كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون •
ذلكم المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد هو الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة
اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شيء وانشائه لا يمتنع عليه شيء والوحدانية لا ثاني له
فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان • ثم ذكر ان كل من جحد بآيات الله ولم
يتأملها ولم يكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة • افك كما افكوا • وقرئ خالق كل شيء نصبا على الاختصاص
ويؤفكون بالتاء والياء • الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم
من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين • هذه ايضا دلالة اخرى على تفرده بافعال خاصة وهي ان جعل الارض
مستقرا والسماء بناء اي قبة ومنه ابنية العرب لمضاربهم لان السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض
فاحسن صوركم وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد • قيل لم يخلق حيوانا احسن صورة من الانسان • وقيل لم يخلقهم
منكوسين كالبهائم كقوله تعالى في احسن تقويم • هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد
لله رب العالمين • فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك والرياء قائلين الحمد لله رب العالمين
وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين • قل اني نهيت ان اعبد
الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين • فان قلت اما
نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة الاوثان بادلة العقل حتى جاءته البينات من ربه • قلت بلى
ولكن البينات لما كانت مقوية لادلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله تعالى اتعبدون ما تنحتون
والله خلقكم وما تعملون واشباه ذلك من التنبيه على ادلة العقل والسمع جميعا وانما ذكر ما يدل على الامرين جميعا
لان ذكر تناصر الادلة ادلة العقل وادلة السمع اقوى في ابطال مذهبهم وان كانت ادلة العقل وحدها كافية • هو الذي
خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم
من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم تعقلون • لتبلغوا اشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره
ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا واما ولتبلغوا اجلا مسمى فمعناه ونفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى وهو وقت
الموت وقيل يوم القيامة • وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم او
اقتصر على الواحد لان الغرض بيان الجنس • من قبل من قبل الشيخوخة او من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا
ولعلكم تعقلون ما في ذلك من العبر والحجج • هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون •
فاذا قضى امرا فانما يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته على الاحياء والاماتة وسائر
ما ذكر من افعاله الدالة على ان مقدورا لا يمتنع عليه كانه قال فلذلك من الاقتدار اذا قضى امرا كان اهون شيء واسرعه
الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون • الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا
فسوف يعلمون • اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون • بالكتاب بالقرآن
وبما ارسلنا به رسلنا من الكتب • فان قلت وهل قوله تعالى فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم الا مثل قولك
سوف اصوم امس • قلت المعنى على اذا الا ان الامور المستقبلة لما كانت في اخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها
عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال • وعن ابن عباس رضي الله عنه والسلاسل يسحبون بالنصب
وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية على الاسمية • وعنه رضي الله عنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل
ووجهه انه لو قيل اذ اعناقهم في الاغلال مكان قوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما

كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الاخرى ونظيره • مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة
ولا ناعب الا ببين غرابها • وقرئ والسلاسل يسحبون في النار يسجرون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود
ومنه السجير كأنه سجر بالحب اي ملئ ومعناه انهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها اجوافهم
ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة اللهم اجرنا من نارك فانا عائذون بجوارك • ثم قيل لهم
اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين •
ضلوا عنا غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا نستشفع بهم **فان قلت** اما ذكرت في تفسير قوله تعالى انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم انهم مقرونون بآلهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم **قلت** يجوز ان يضلوا عنهم
اذ وبخوا وقيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم ويشفعوا لكم وان يكونوا معهم في سائر الاوقات وان يكونوا
معهم في جميع اوقاتهم الا انهم لما لم ينفعوهم فكأنهم ضالون عنهم • بل لم نكن ندعو من قبل شيئا اي تبين لنا انهم لم يكونوا
شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شيء فاذا هو ليس بشيء اذا خبرته فلم تر عنده خيرا • كذلك
يضل الله الكافرين مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة او طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا • ذلكم بما كنتم
تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون • ذلكم الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك
وعبادة الاوثان • ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين • ادخلوا ابواب جهنم السبعة
المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم • خالدين مقدرين الخلود • فبئس مثوى المتكبرين
عن الحق المستخفين به مثواكم او جهنم **فان قلت** اليس قياس النظم ان يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله
فنعم المزار وصل في المسجد الحرام فنعم المصلى **قلت** الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء • فاصبر ان وعد الله حق
فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون • فاما نرينك اصله فان نرك وما مزيدة لتأكيد معنى
الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمني اكرمك ولكن اما تكرمني اكرمك **فان قلت** لا يخلو
اما ان تعطف ونتوفينك على نرينك وتشركهما في جزاء واحد وهو قوله فالينا يرجعون فقولك فاما نرينك بعض الذي
نعدهم فالينا يرجعون غير صحيح وان جعلت فالينا يرجعون مختصا بالمعطوف الذي هو نتوفينك بقي المعطوف
عليه بغير جزاء **قلت** فالينا يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره فاما نرينك بعض
الذي نعدهم من العذاب وهو القتل والاسر يوم بدر فذاك او ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيمة
فننتقم منهم اشد الانتقام ونحوه قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول
ان يأتي بآية الا باذن الله فاذا جاء امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون • ومنهم من لم نقصص عليك
قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي اربعة آلاف من بني اسرائيل واربعة آلاف من سائر الناس • وعن علي رضي الله عنه
ان الله بعث نبيا اسود فهو ممن لم نقصص عليه وهذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا يعني انا
قد ارسلنا كثيرا من الرسل • وما كان لواحد منهم • ان يأتي بآية الا باذن الله فمن لي بأن آتي بآية مما تقترحونه الا ان يشاء
الله ويأذن في الاتيان بها • فاذا جاء امر الله وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات • وامر الله القيمة • المبطلون
المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد اتتهم الآيات فانكروها وسموها سحرا • الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها
تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون • الانعام
الابل خاصة **فان قلت** لم قال لتركبوا منها ولتبلغوا عليها ولم يقل لتأكلوا منها ولتصلوا الى المنافع او هلا قال
منها تركبون ومنها تأكلون وتبلغون عليها حاجة في صدوركم **قلت** في الركوب الركوب في الحج والغزو وفي بلوغ الحاجة
الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين او طلب علم وهذه اغراض دينية اما واجبة او مندوب اليها مما يتعلق به ارادة الحكيم
واما الاكل واصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به ارادته • ومعنى قوله تعالى وعليها وعلى الفلك

تحملون وعلى الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر **فان قلت** هلا قيل وفي الفلك كما قال قلنا احمل
فيها من كل زوجين اثنين **قلت** معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لان الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له
يستعليها فلما صح المعنيان صحت العبارتان وايضا فليطابق قوله وعليها ويزاوجه • ويريكم آياته فاي آيات الله
تنكرون • فاي آيات الله جاء على اللغة المستفيضة وقولك فاية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء
غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه • افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون • وآثارا قصورهم
ومصانعهم • وقيل مشيهم بارجلهم لعظم اجرامهم • فما اغنى عنهم ما نافية او مضمنة معنى الاستفهام ومحلها
النصب • والثانية موصولة او مصدرية ومحلها الرفع يعني اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم • فلما جاءتهم
رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون • فرحوا بما عندهم من العلم
فيه وجوه • منها انه اراد العلم الوارد على طريق التهكم في قوله تعالى بل ادارك علمهم في الآخرة وعلمهم في الآخرة انهم كانوا
يقولون لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وما اظن الساعة قائمة ولئن
رددت الى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الانبياء كما قال عز وجل كل حزب
بما لديهم فرحون • ومنها ان يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان كانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبياء
الى علمهم • وعن سقراط انه سمع بموسى عليه الصلاة والسلام وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة
بنا الى من يهذبنا • ومنها ان يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم
مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لاقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم • ومنها ان يراد فرحوا بما
عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال استهزءوا بالبينات وبما جاءوا به من علم الوحي فرحين مرحين
ويدل عليه قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون • ومنها ان يجعل الفرح للرسل ومعناه ان الرسل لما رأوا جهلهم المتمادي
واستهزاءهم بالحق فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه • وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم • ويجوز ان يريد بما
فرحوا به من العلم علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم
غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي ابعد شيء من علمهم [illegible]
عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزءوا بها [illegible]
[illegible] فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله
التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون • البأس شدة العذاب [illegible] **فان قلت** [illegible]
[illegible] **قلت** [illegible]
[illegible] **فان قلت** [illegible] **قلت** [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

سورة حم السجدة مكية وهي اربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم • ان جعلت حم اسما للسورة كانت في

موضع للمبتدأ • وتنزيل خبره • وإن جعلتها تعديدًا للحروف كان تنزيل خبرًا لمبتدأ محذوف • كتاب فصلت
آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون • وكتاب بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف • وجوّز
الزجاج أن يكون تنزيل مبتدأ وكتاب خبره ووجهه أن تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدأ • فصلت
آياته ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك • وقرئ
فصلت أي فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد • قرآنا عربيا
نصب على الاختصاص والمدح أي أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت • وقيل هو نصب على الحال أي فصلت
آياته في حال كونه قرآنا عربيا • لقوم يعلمون لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم
العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه • فإن قلت بم يتعلق قوله لقوم يعلمون • قلت يجوز أن يتعلق بتنزيل
أو بفصلت أي تنزيل من الله لأجلهم أو فصلت آياته لهم • والأجود أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده أي قرآنا
عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات • بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون
وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب أو خبر مبتدأ محذوف • فهم لا يسمعون لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت
إلى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه • وقالوا قلوبنا في
أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون • والأكنة جمع كنان
وهو الغطاء • والوقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها
في غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف ومج أسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد
المذهبين والدينين كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا
وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاقي ولا ترائي • فاعمل على دينك • إننا عاملون على ديننا • أو فاعمل في
إبطال أمرنا إننا عاملون في إبطال أمرك • وقرئ إنا عاملون • فإن قلت هل لزيادة من في قوله ومن بيننا
وبينك حجاب فائدة • قلت نعم لأنه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى أن حجابا حاصل وسط الجهتين
وأما بزيادة من فالمعنى أن الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب
لا فراغ فيها • فإن قلت هلا قيل على قلوبنا أكنة كما قيل وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد • قلت هو على
نمط واحد لأنه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في أكنة وعلى قلوبنا أكنة والدليل عليه قوله تعالى إنا جعلنا على قلوبهم
أكنة ولو قيل إنا جعلنا قلوبهم في أكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة إلا في
المعاني • قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه • فإن قلت
من أين كان قوله تعالى إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي جوابا لقولهم قلوبنا في أكنة • قلت من حيث إنه قال لهم إني لست
بملك وإنما أنا بشر مثلكم وقد أوحي إلي دونكم فصحت بالوحي إلي وأنا بشر نبوتي وإذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وفيما أوحي
إلي أن إلهكم إله واحد • فاستقيموا إليه فاستووا إليه بالتوحيد وإخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا وشمالا ولا
ملتفتين إلى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الأولياء والشفعاء وتوبوا إليه مما سبق لكم من الشرك • واستغفروه
وقرئ قال إنما أنا بشر • وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون • فإن قلت لم خص من بين
أوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة • قلت لأن أحب شيء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه فإذا بذله
في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته ألا ترى إلى قوله عز وجل ومثل الذين
ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم أي يثبتون أنفسهم ويدلون على ثباتها بإنفاق الأموال وما
خدع المؤلفة قلوبهم إلا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وأهل الردة بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما تظاهروا إلا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف
شديد من منعها حيث جعل المنع من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة • وقيل كانت قريش يطعمون الحاج ويحرمون

من آمن منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم • وقيل لا يفعلون ما يكونون به أزكياء وهو الإيمان • إن الذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم أجر غير ممنون • الممنون المقطوع • وقيل لا يمن عليهم لأنه إنما يمن التفضل فأما الأجر فحق أداؤه
وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون • قل أئنكم لتكفرون
بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين • أئنكم بهمزتين الثانية بين بين
وآئنكم بألف بين همزتين • ذلك الذي قدر على خلق الأرض في مدة يومين هو رب العالمين • وجعل فيها رواسي
من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين • رواسي جبالا ثوابت • فإن قلت
ما معنى قوله من فوقها وهلا اقتصر على قوله وجعل فيها رواسي كقوله تعالى وجعلنا فيها رواسي شامخات
وجعلنا في الأرض رواسي وجعل لها رواسي • قلت لو كانت تحتها كالأساطين لها تستقر عليها أو مركوزة فيها
لمنعت من الميدان وإنما اختار إرساءها فوق الأرض لتكون المنافع في الجبال لطالبيها حاضرة لمحصليها وليبصر أن
الأرض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة إلى ممسك لا بد لها منه وهو ممسكها عز وعلا بقدرته • وبارك
فيها وأكثر خيرها وأنماه • وقدر فيها أقواتها أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله
عنه وقسم فيها أقواتها • في أربعة أيام سواء في تتمة أربعة أيام فذلكة لخلق الله الأرض وما فيها كأنه قال كل ذلك في أربعة أيام
كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان • قيل خلق الأرض في يوم الأحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء
وقال الزجاج في أربعة أيام في تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين • سواء بالحركات الثلاث الجر على الوصف والنصب
على استوت سواء أي استواء والرفع على هي سواء • فإن قلت بم تعلق قوله تعالى للسائلين • قلت بمحذوف
كأنه قيل هذا الحصر لأجل من سأل كم خلقت الأرض وما فيها أو يقدر أي قدر فيها الأقوات لأجل الطالبين لها
المحتاجين إليها من المقتاتين وهذا الوجه الأخير لا يستقيم إلا على تفسير الزجاج • فإن قلت هلا قيل في يومين
وأي فائدة في هذه الفذلكة • قلت إذا قال في أربعة أيام وقد ذكر أن الأرض خلقت في يومين فبقيت المخابرة
وقد يطلق اليومان على أكثرهما فكان يجوز أن يريد باليومين الأولين والآخرين أكثرهما • ثم استوى إلى السماء وهي دخان
فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين • ثم استوى إلى السماء من قولك استوى إلى مكان كذا
إذا توجه إليه توجها لا يلوي على شيء وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونحوه قولهم استقام
إليه وامتد إليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا إليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة إلى خلق السماء بعد خلق
الأرض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك • قيل كان عرشه قبل خلق السموات والأرض على الماء
فأخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه فأيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها
أرضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع • ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالهما أنه أراد تكوينهما
فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وهو من
المجاز الذي يسمى التمثيل • ويجوز أن يكون تخييلا ويبنى الأمر فيه على أن الله تعالى كلم السماء والأرض وقال لهما
ائتيا شئتما ذلك أو أبيتما فقالتا أتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير أثر قدرته في المقدورات لا غير من
غير أن يحقق شيء من الخطاب والجواب ونحوه قول القائل • قال الجدار للوتد لم تشقني • قال الوتد اسأل من يدقني
فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي • فإن قلت لم ذكر الأرض مع السماء وانتظمها في الأمر بالإتيان والأرض
مخلوقة قبل السماء بيومين • قلت قد خلق جرم الأرض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال تعالى
والأرض بعد ذلك دحاها • فالمعنى ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتي يا أرض مدحوة قرارا ومهادا
لأهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم • ومعنى الإتيان الحصول والوقوع كما تقول أتى عمله مرضيا وجاء مقبولا
ويجوز أن يكون المعنى لتأت كل واحدة منكما صاحبتها الإتيان الذي أريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون
الأرض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للأرض • وتنصره قراءة من قرأ آتيا وآتينا من المؤاتاة وهي الموافقة أي لتوات

كل واحدة منهما ولتوافقهما • قالتا أتينا وافقنا وسلسلنا ومحلفنا وأتينا الرشد ومشيئتي ولا امتناع فإن قلت
ما معنى طوعا أو كرها قلت هو مثل للزوم تأثير قدرته فيهما وأن امتناعهما من تأثير قدرته محال كما يقول الجبار
لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت أو أبيت ولتفعلنه طوعا أو كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين أو مكرهتين
فإن قلت هلا قيل طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى لأنها سموات وأرضون قلت لما جعلن مخاطبات
ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين • فقضاهن سبع
سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم • فقضاهن
يجوز أن يرجع الضمير فيه إلى السماء على المعنى كما قال طائعين ونحوه أعجاز نخل خاوية • ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا
بسبع سموات • والفرق بين النصبين أن أحدهما على الحال والثاني على التمييز • قيل خلق السموات وما فيها في يومين في يوم
الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وفيه دليل
على ما ذكرت من أنه لو قيل في يومين في موضع في أربعة أيام سواء لم يعلم أنهما يومان كاملان أم ناقصان فإن قلت
فلو قيل خلق الأرض في يومين كاملين وقدر فيها أقواتها في يومين كاملين • أو قيل بعد ذكر اليومين تلك أربعة سواء
قلت الذي أورده سبحانه أخصر وأفصح وأحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصات القرائح ومصاك الركب ليتميز
الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص وترتفع الدرجات ويتضاعف الثواب • أمرها ما أمر به فيها ودبره من خلق
الملائكة والنيرات وغير ذلك أو شأنها وما يصلحها • وحفظا وحفظناها حفظا من المسترقة بالثواقب ويجوز
أن يكون مفعولا له على المعنى كأنه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا • فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة
فإنا بما أرسلتم به كافرون • فإن أعرضوا بعد ما تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته فحذرهم أن
تصيبهم صاعقة أي عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة • وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة
من الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل • من بين أيديهم ومن
خلفهم أي أتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم وأعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا العتو والإعراض كما حكى الله عن الشيطان
لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم يعني لآتينهم من كل جهة ولأعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت بفلان من كل جانب
فلم يكن لي فيه حيلة • وعن الحسن رحمه الله أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة لأنهم إذا حذروهم
ذلك فقد جاؤوهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم
وقيل معناه إذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم فإن قلت الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون
بأنهم جاؤوهم وكيف يخاطبونهم بقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون قلت قد جاءهم هود وصالح داعيين إلى الإيمان
بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم أي من قبلهم ومن خلفهم أي من بعدهم فكأن الرسل جميعا قد جاؤوهم •
وقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح عليهما الصلاة والسلام ولسائر الأنبياء صلوات الله عليهم
الذين دعوا إلى الإيمان بهم • أن في ألا تعبدوا بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة أصله بأنه لا تعبدوا أي بأن الشأن
والحديث قولنا لكم لا تعبدوا ومفعول شاء محذوف أي لو شاء ربنا إرسال الرسل لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به
كافرون معناه فإذ أنتم بشر ولستم بملائكة فإنا لا نؤمن بكم وبما جئتم به • وقولهم أرسلتم به ليس بإقرار بالإرسال
وإنما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون • وروي أن أبا جهل قال في ملأ من قريش
قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره فقال عتبة
ابن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فأتاه فقال أنت يا محمد خير أم
هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك
اللواء فكنت رئيسنا وإن تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن أي بنات قريش شئت وإن كان بك المال جمعنا

لك من المال ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله مثل صاعقة
عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى
عتبة إلا قد صبأ فانطلقوا إليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك قد صبأت فغضب وأقسم لا يكلم محمدا أبدا
ثم قال والله لقد كلمته فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته
بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب • فأما عاد فاستكبروا في
الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون
فاستكبروا في الأرض أي تعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الأجرام أو استعلوا في الأرض
واستولوا على أهلها بغير استحقاق للولاية • من أشد منا قوة كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم أن
الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده فإن قلت القوة هي الشدة والصلابة في البنية وهي نقيضة
الضعف وأما القدرة فما لأجله يصح الفعل من الفاعل من تقدير بنية أو صحة بنية وهي نقيضة العجز والله سبحانه
لا يوصف بالقوة إلا على معنى القدرة فكيف صح قوله تعالى هو أشد منهم قوة وإنما يصح إذا أريد بالقوة في الموضعين شيء واحد
قلت القوة في الأجسام في صحة البنية والاعتدال والقوة في الشدة والصلابة في البنية وحقيقتها زيادة القدرة
فكما صح أن يقال الله أقدر منهم جاز أن يقال أقوى منهم على معنى أنه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم
يجحدون كانوا يعرفون أنها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو معطوف على فاستكبروا أي كانوا كفرة
فسقة • فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة
أخزى وهم لا ينصرون • الصرصر العاصفة التي تصرصر أي تصوت في هبوبها • وقيل الباردة التي تحرق بشدة بردها
تكرير لبناء الصر وهو البرد الذي يصر أي يجمع ويقبض • نحسات قرئ بكسر الحاء وسكونها • ونحس نحسا نقيض سعد
سعدا وهو نحس • وأما نحس فإما مخفف نحس أو صفة على فعل أو وصف بمصدر • وقرئ لنذيقهم على أن الإذاقة
للريح أو للأيام النحسات • وأضاف العذاب إلى الخزي وهو الذل والاستكانة على أنه وصف للعذاب كأنه قال عذاب خزي كما
تقول فعل السوء تريد الفعل السيء والدليل عليه قوله تعالى ولعذاب الآخرة أخزى وهو من الإسناد المجازي • ووصف العذاب بالخزي
أبلغ من وصفهم به ألا ترى إلى البون بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر • وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى
فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون • ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون • وقرئ ثمود بالرفع والنصب منونا
وغير منون والرفع أفصح لوقوعه بعد حرف الابتداء • وقرئ بضم الثاء • فهديناهم فدللناهم على طريقي الضلالة والرشد
كقوله تعالى وهديناه النجدين • فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد فإن قلت
أليس معنى هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول
ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة قلت للدلالة على أنه مكنهم وأزاح عللهم ولم يبق لهم عذرا
ولا علة فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها • صاعقة العذاب داهية العذاب وقارعة العذاب
والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة بشهادة
نبيها صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهدا إلا هذه الآية لكفى بها حجة • ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون • وقرئ يحشر
على البناء للمفعول ونحشر بالنون وضم الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل أي يحشر الله عز وجل أعداء الله الكفار من الأولين
والآخرين • يوزعون يحبس أولهم على آخرهم أي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة أهل النار نسأل الله
أن يجيرنا منها بسعة رحمته • حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون • وقالوا
لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون • فإن قلت
ما في قوله حتى إذا ما جاؤوها ما هي قلت مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد فيها أن وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت
الشهادة عليهم ولا وجه لأن يخلو منها ومثله قوله تعالى أثم إذا ما وقع آمنتم به أي لا بد لوقت وقوعه من أن يكون وقت

أيمانهم بشهادة الجلود بالملامسة الحرام وما أشبه ذلك مما يفضي إليه من المحرمات فإن قلت كيف تشهد
عليهم أعضاؤهم وكيف تنطق قلت الله عز وجل ينطقها كما أنطق الشجرة بأن يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح
وقيل هي كناية عن الفروج أنطق كل شيء من الحيوان كما أنطقه في قوله تعالى والله على كل شيء قدير كل شيء من المقدورات
والمعنى أن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على إنطاق كل حيوان وعلى خلقكم وإنشائكم أول مرة وعلى إعادتكم ورجعكم إلى
جزائه وإنما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على ألسنة جوارحهم وما كنتم
تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون
المعنى أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن يشهد عليكم جوارحكم
لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا ولكنكم إنما استترتم لظنكم أن الله لا يعلم كثيرا
مما تعملون وهو الخفيات من أعمالكم وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وذلك الظن هو الذي
أهلككم وفي هذا تنبيه على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه أن عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا
حتى يكون في أوقات خلواته من ربه أهيب وأحسن احتشاما وأوفر تحفظا وتصونا منه مع الملأ ولا ينبسط في سره مراقبة من
التشبه بهؤلاء الظانين وقرئ ولكن زعمتم وذلكم رفع بالابتداء وظنكم وأرداكم خبران ويجوز أن يكون ظنكم بدلا من ذلكم
وأرداكم الخبر فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين فإن يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا
به من الثواء في النار وإن يستعتبوا وإن يسألوا العتبى وهي الرجوع لهم إلى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى
ولم يجابوا إليها ونحوه قوله تعالى أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين أي إن سئلوا أن
يرضوا ربهم فما هم فاعلون أي لا سبيل لهم إلى ذلك وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم
القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين وقيضنا وقدرنا لهم يعني لمشركي مكة يقال هذان ثوبان
قيضان إذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة قرناء أخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله عز وجل ومن يعش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطانا فهو له قرين فإن قلت كيف جاز أن يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم قلت
معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض ما بين
أيديهم وما خلفهم ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم
من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب وحق عليهم القول يعني كلمة العذاب في أمم في جملة أمم ومثل في هذه قوله
إن تك عن أحسن الصنيعة مأفوكا ففي آخرين قد أفكوا يريد فأنت في جملة آخرين وأنت في عداد آخرين لست في ذلك بأوحد
فإن قلت في أمم ما محله قلت محله النصب على الحال من الضمير في عليهم أي حق عليهم القول كائنين في جملة أمم
إنهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللأمم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه لعلكم تغلبون قرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغي يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام
الذي لا طائل تحته قال من اللغا ورفث التكلم والمعنى لا تسمعوا له إذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات
بالخرافات والهذيان والزمل وما أشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته كانت قريش يوصي
بذلك بعضهم بعضا فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون فلنذيقن الذين
كفروا يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة وأن يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت
ذكرهم وقد ذكرنا إضافة أسوأ بما أغنى عن إعادته وعن ابن عباس رضي الله عنهما عذابا شديدا يوم بدر وأسوأ الذي كانوا
يعملون في الآخرة ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ذلك إشارة
إلى الأسوأ ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذين كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الإشارة والنار عطف بيان للجزاء أو خبر
مبتدأ محذوف فإن قلت ما معنى قوله تعالى لهم فيها دار الخلد قلت معناه أن النار في نفسها دار الخلد
كقوله عز وجل لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وتقول

لك في هذه الدار دار السرور وأنت تعني الدار بعينها بما كانوا بآياتنا يجحدون أي جزاء بما كانوا يلغون فيها
فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا
من الأسفلين اللذين أضلانا من الجن والإنس لأن الشيطان على ضربين جني وإنسي قال الله تعالى وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن وقال الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس
وقيل هما إبليس وقابيل لأنهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ أرنا بالسكون لثقل الكسرة كما قالوا
في فخذ فخذ وقيل معناه أعطنا اللذين أضلانا وحكوا عن الخليل أنك إذا قلت أرني ثوبك
بالكسر فالمعنى بصرنيه وإذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه أعطني ثوبك ونظيره اشتهار
الإيتاء في معنى الإعطاء وأصله الإحضار إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم
الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ثم لتراخي
الاستقامة عن الإقرار وفضلها عليه لأن الاستقامة لها الشأن كله ونحوه قوله عز وعلا إنما المؤمنون
الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته وعن أبي بكر الصديق رضي الله
عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه أنه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال
حملتم الأمر على أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان وعن عمر رضي الله عنه استقاموا
على الطريقة لم يروغوا روغان الثعالب وعن عثمان رضي الله عنه أخلصوا العمل وعن علي رضي الله عنه
أدوا الفرائض وقال سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله أخبرني بأمر أعتصم به قال قل ربي الله
ثم استقم قال قلت ما أخوف ما تخاف علي فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه فقال هذا
تتنزل عليهم الملائكة عند الموت بالبشرى وقيل البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وإذا
قاموا من قبورهم ألا تخافوا أن بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة وأصله بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن
وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه لا تخافوا أي يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن
غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار والمعنى أن الله كتب لكم الأمن من كل غم فلن تذوقوه أبدا
وقيل لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة
ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم كما أن الشياطين قرناء
العصاة وإخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم في الدارين تدعون تتمنون والنزل
رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال
إنني من المسلمين ممن دعا إلى الله عن ابن عباس رضي الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا
إلى الإسلام وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وجعل الإسلام نحلة له وعنه أنهم أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها ما كنا نشك أن هذه الآية نزلت في المؤذنين وهي
عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث أن يكون موحدا معتقدا لدين الإسلام عاملا بالخير داعيا إليه
وما هم إلا طبقة العالمين العاملين من أهل العدل والتوحيد الدعاة إلى دين الله وقوله وقال إنني من
المسلمين ليس الغرض أنه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الإسلام مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول أبي
حنيفة تريد مذهبه ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه
عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم يعني أن الحسنة
والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها
السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك ومثال ذلك رجل أساء إليك إساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتي هي أحسن
أن تحسن إليه مكان إساءته إليك مثل أن يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه فإنك إذا

فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك ثم قال وما يلقاها اي وما يلقى هذه الخليقة او السجية التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا اهل الصبر والا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير **فان قلت** هلا قيل فادفع بالتي هي احسن **قلت** هو على تقدير قائل قال فكيف اصنع فقيل ادفع بالتي هي احسن وقيل لا مزيدة والمعنى ولا تستوي الحسنة والسيئة **فان قلت** فكان القياس على هذا التفسير ان يقال ادفع بالتي هي حسنة **قلت** اجل ولكن وضع التي هي احسن موضع الحسنة ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما هو دونها وعن ابن عباس رضي الله عنه بالتي هي احسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن رحمه الله والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر او لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره وامض على شانك ولا تطعه وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ الضمير في خلقهن لليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى والاناث يقال الاقلام بريتها وبريتهن او لما قال ومن آياته كن في معنى الآيات فقيل خلقهن **فان قلت** اين موضع السجدة **قلت** عند الشافعي رضي الله عنه تعبدون وهي رواية مسروق عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها وعند ابي حنيفة رحمه الله يسأمون لانها تمام المعنى وهي عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب رضي الله عنهم اجمعين لعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان لا يقصدوا بسجودهم الا وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ فان استكبروا ولم يمتثلوا ما امروا به وابوا الا الواسطة فدعهم وشانهم فان الله عز سلطانه لا يعدم عابدا ولا ساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد وقوله تعالى عند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وقرئ لا يسامون بكسر الياء وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله تعالى وترى الارض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ اذا اخصبت وتزخرفت بالنبات كانها بمنزلة المختال في زيه وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الاطمار الرثة وقرئ وربأت اي ارتفعت لان النبت اذا هم ان يظهر ارتفعت له الارض إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ يقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير للانحراف في تاويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ يلحدون ويلحدون على اللغتين وقوله تعالى لا يخفون علينا وعيد لهم على التحريف إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ **فان قلت** بم اتصل قوله ان الذين كفروا بالذكر **قلت** هو بدل من قوله ان الذين يلحدون في آياتنا والذكر القرآن لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تاويله وانه لكتاب عزيز اي منيع محمي بحماية الله تعالى لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ لا ياتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه مثل كان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه ويتعلق به **فان قلت** اما طعن فيه الطاعنون وتاوله المبطلون **قلت** بلى ولكن الله قد تقدم في حمايته عن تعلق الباطل به بان قيض قوما عارضوهم بابطال تاويلهم وافساد اقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن الا ممحوقا

ولا قول مبطل الا مضمحلا ونحوه قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ما يقال لك اي ما يقول لك كفار قومك الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة ان ربك لذو مغفرة ورحمة لانبيائه وذو عقاب لاعدائهم ويجوز ان يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله تعالى ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم فمن حقه ان يرجوه اهل طاعته ويخافه اهل معصيته والغرض تخويف العصاة وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا لولا فصلت آياته اي بينت ولخصت بلسان نفقهه أأعجمي وعربي الهمزة همزة الانكار يعني لانكروا وقالوا اقرآن اعجمي ورسول عربي او مرسل اليه عربي وقرئ اعجمي والاعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من اي جنس كان والعجمي منسوب الى امة العجم وفي قراءة الحسن رحمه الله اعجمي بغير همزة الاستفهام على الاخبار بان القرآن اعجمي والمرسل او المرسل اليه عربي والمعنى ان آيات الله على اي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لان القوم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم ويجوز في قراءة الحسن هلا فصلت آياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب **فان قلت** كيف يصح ان يراد بالعربي المرسل اليهم وهم امة العرب **قلت** هو على ما يجب ان يقع في انكار المنكر لو راى كتابا عجميا كتب الى قوم من العرب يقول اكتاب اعجمي ومكتوب اليه عربي وذلك لان مبنى الانكار على تنافي حالتي الكتاب والمكتوب اليه لا على ان المكتوب اليه واحد او جماعة فوجب ان يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخيل غرضا آخر الا ترى انك تقول وقد رايت لباسا طويلا على امراة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وانوثته انما وقع في غرض وراءهما هو اي القرآن هدى وشفاء ارشاد الى الحق وشفاء لما في الصدور من الظن والشك والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر منقطع عن ذكر القرآن **فان قلت** فما وجه اتصاله به **قلت** لا يخلو اما ان يكون الذين لا يؤمنون في موضع الجر معطوفا على قوله تعالى للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر الا ان فيه عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه واما ان يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف المبتدا او في آذانهم منه وقر وهو عليهم عمى كقوله فعميت عليكم ينادون من مكان بعيد يعني انهم لا يقبلونه ولا يرعونه اسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ فاختلف فيه فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل والكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضي بينهم في الدنيا قال الله تعالى بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ فلنفسه فنفسه نفع فعليها فنفسه ضر وما ربك بظلام فيعذب غير المسيء إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ اليه يرد علم الساعة اي اذا سئل عنها قيل الله يعلم او لا يعلمها الا الله وقرئ من ثمرة من اكمامهن والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة اي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد ايام الحمل وساعاته واحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك اين شركائي اضافهم اليه على زعمهم وبيانه في قوله تعالى اين شركائي الذين كنتم تزعمون وفيه تهكم وتقريع آذناك اعلمناك ما منا من شهيد اي ما منا احد اليوم وقد ابصرنا وسمعنا يشهد بانهم شركاؤك ما منا الا من

هو موحد لك • او ما منا من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء اي ما منا من شهيد يشهد بما اضافوا الينا من الشركة • ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير انهم لا ينفعونهم فكانهم ضلوا عنهم • وظنوا وايقنوا • والمحيص المهرب **فان قلت** آذناك اخبار بايذان كان منهم فاذ قد آذنوا فلم سئلوا **قلت** يجوز ان يعاد عليهم أين شركائي اعادة للتوبيخ واعادته في القرآن على سبيل الحكاية دليل على اعادة المحكي • ويجوز ان يكون المعنى انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علم من نفوسهم فكانهم اعلموه • ويجوز ان يكون انشاء للايذان ولا يكون اخبارا بايذان قد كان كما تقول اعلم الملك انه كان من الامر كيت وكيت • لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط من دعاء الخير من طلب السعة في المال والنعمة • وقرأ ابن مسعود من دعاء بالخير • وان مسه الشر اي الضيقة والفقر فيؤس قنوط بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير • والقنوط ان يظهر عليه اثر اليأس فيتضاءل وينكسر اي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون • ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض او سعة بعد ضيق قال هذا لي اي هذا حقي وصل الي لاني استوجبته بما عندي من خير وفضل واعمال بر او هذا لي لا يزول عني ونحوه قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ونحو قوله وما اظن الساعة قائمة يريد ما نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين يريد وما اظنها تكون فان كانت على طريق التوهم ان لي عنده الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قايسا امر الآخرة على امر الدنيا • وعن بعضهم للكافر امنيتان يقول في الدنيا ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ويقول في الآخرة يا ليتني كنت ترابا • وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة • فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها انهم يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك انهم كانوا ينفقون اموالهم رئاء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون ان ما هم عليه من الغنى والنعمة انهم محقوقون بذلك • واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض هذا ايضا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا اصابه الله بنعمة ابطرته النعمة وكانه لم يلق بؤسا قط فنسي المنعم واعرض عن شكره • ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم • وان مسه الضر والفقر اقبل على دوام الدعاء واخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام ويستعار له الطول ايضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب • وقرئ ونأى بجانبه بامالة الالف وكسر النون للاتباع • وناء على القلب كما قالوا راء في رأى **فان قلت** حقق لي قوله تعالى ونأى بجانبه **قلت** فيه وجهان ان يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرنا في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله ان مكان الشيء وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه ومنه قوله • ونفيت عنه مقام الذئب • ومنه قول الكتاب حضرة فلان ومجلسه وكتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكانه قال ونأى بنفسه كقوله في الكبر وذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء • وان يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه • قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد ارأيتم اخبروني ان كان القرآن من عند الله يعني ان ما انتم عليه من انكار القرآن وتكذيبه ليس بامر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور وانما هو قبل النظر واتباع الدليل امر محتمل يجوز ان يكون من عند الله وان لا يكون من عنده وانتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما انكرتم ان يكون حقا وقد كفرتم به فاخبروني من اضل منكم وانتم ابعدتم الشوط في مشاقته ومناصبته ولعله حق فاهلكتم انفسكم • وقوله تعالى ممن هو في شقاق بعيد موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم • سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى

يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم يعني ما يسر الله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده وانصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي باحة العرب خصوصا من الفتوح التي لم تتيسر امثالها من خلفاء الارض قبلهم ومن الاظهار على الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على اقويائهم واجرائه على ايديهم امورا خارجة من المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الاسلام في اقطار المعمورة وبسط دولته في اقاصيها والاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب المدونة في مشاهد اهله وايامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقعاتهم الا علما من اعلام الله وآية من آياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الايمان ويتبين ان دين الاسلام هو دين الحق الذي لا يحيد عنه الا مكابر مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة الا صفة الحق والصدق كما ان الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور وان للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل • بربك في موضع الرفع على انه فاعل كفى • وانه على كل شيء شهيد بدل منه تقديره اولم يكفهم ان ربك على كل شيء شهيد • ومعناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله في الآفاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد اي مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة • الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط وقرئ في مرية بالضم وهي الشك • محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات •

سورة حم عسق [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم

قرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما حم سق • كذلك يوحي اليك اي مثل ذلك الوحي او مثل ذلك الكتاب يوحي اليك والى الرسل من قبلك الله يعني ان ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد اوحى الله اليك مثله في غيرها من السور واوحاه [illegible]

[illegible]

وتعالى يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم فجعل الحميم مؤثرا في اجزائهم الباطنة • وقيل من فوقهن
من فوق الارضين فان قلت كيف صح ان يستغفروا لمن في الارض وفيهم الكفار اعداء الله وقد قال الله تعالى اولئك
عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يكونون لاعداء الله مستغفرين قلت قوله لمن في الارض يدل على جنس اهل
الارض وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز ان يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل على ان الملائكة
لا تستغفر الا لاولياء الله وهم المؤمنون فما اراد الله الا اياهم الا ترى الى قوله تعالى في سورة المؤمن ويستغفرون
للذين امنوا وحكايته عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به
الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعا في استغفارهم فكيف للكفرة ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار
طلب الحلم والغفران في قوله عز وجل ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الى ان قال انه كان حليما غفورا
وقوله تعالى ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وان لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما فان
قلت قد فسرت قوله تكاد السموات يتفطرن بتفسيرين فما وجه طباق ما بعده لهما قلت اما
على احدهما فكانه قيل تكاد السموات ينفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه • والملائكة
الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفا بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته
وتسبيحه وتقديسه • ويستغفرون لمن في الارض خوفا عليهم من سطواته • واما على الثاني فكانه قيل يكدن ينفطرن
من اقدام اهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات
التي يضيفها اليه الجاهلون به حامدين له على ما اولاهم من الطافه التي علم انهم عندها يستعصمون مختارين
غير ملجئين ويستغفرون لمؤمني اهل الارض الذين تبرؤوا من تلك الكلمة ومن اهلها او يطلبون الى ربهم ان يحلم عن اهل
الارض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا في ذلك من المصالح وحرصا على نجاة الخلق وطمعا
في توبة الكفار والفساق منهم • **والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل**
والذين اتخذوا من دونه اولياء جعلوا له شركاء واندادا • الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم لا يفوته
منها شيء وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم الا هو وحده • وما انت يا محمد بموكل بهم ولا مفوض اليك
امرهم ولا قسرهم على الايمان انما انت منذر فحسب • **وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى
ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير** • ومثل ذلك اوحينا اليك
وذلك اشارة الى معنى الاية قبلها من ان الله هو الرقيب عليهم وما انت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لان هذا
المعنى كرره الله في كتابه في مواضع جمة والكاف مفعول به لاوحينا • وقرآنا عربيا حال من المفعول به اي اوحيناه
اليك وهو قرآن عربي بين لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الانذار • ويجوز ان يكون ذلك اشارة
الى المصدر اوحينا اي ومثل ذلك الايحاء البين المفهم اوحينا اليك قرآنا عربيا بلسانك لتنذر يقال انذرته كذا
وانذرته بكذا وقد عدي الاول اعني لتنذر ام القرى الى المفعول الاول والثاني وهو قوله تعالى وتنذر يوم الجمع الى
المفعول الثاني • ام القرى اهل ام القرى كقوله تعالى واسأل القرية • ومن حولها من العرب • وقرئ لينذر
بالياء والفعل للقرآن • يوم الجمع يوم القيمة لان الخلائق تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل
تجمع بين الارواح والاجساد • وقيل يجمع بين كل عامل وعمله • ولا ريب فيه اعتراض لا محل له • قرئ فريق وفريقا
بالرفع والنصب فالرفع على منهم فريق ومنهم فريق والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق • والنصب على الحال
منهم اي متفرقين كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فان قلت كيف يكونون مجموعين متفرقين
في حالة واحدة قلت هم مجموعون في ذلك اليوم مع افتراقهم في داري البؤس والنعيم كما يجتمع الناس يوم الجمعة
متفرقين في مسجدين • وان اريد بالجمع جمعهم في الموقف فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق • **ولو شاء الله لجعلهم
امة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير** • لجعلهم امة واحدة اي مؤمنين

كلهم على القسر والالجاء كقوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها وقوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم
جميعا والدليل على ان المعنى هو الالجاء الى الايمان قوله عز وعلا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله
تعالى افانت تكره بادخال همزة الانكار على المكره دون فعله دليل على ان الله وحده هو القادر على هذا الاكراه دون
غيره • والمعنى ولو شاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم جميعا على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبنى
امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بمن يشاء الا ترى الى وضعهم في مقابلة الظالمين
ويترك الظالمين بغير ولي ولا نصير في عذابه • **ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى
وهو على كل شيء قدير** • معنى الهمزة في ام الانكار • فالله هو الولي هو الذي يجب ان يتولى وحده ويعتقد انه المولى
والسيد • والفاء في قوله تعالى فالله هو الولي جواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان ارادوا وليا
بحق فالله هو الولي بحق لا ولي سواه • وهو يحيي اي ومن شأن هذا الولي انه يحيي الموتى • وهو على كل شيء قدير
فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء • **وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه
توكلت واليه انيب** • وما اختلفتم فيه من شيء حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين اي ما خالفكم فيه
الكفار من اهل الكتاب والمشركين فاختلفتم انتم وهم فيه من امر من امور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوض الى الله تعالى
وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين • ذلكم الحاكم بينكم هو الله ربي عليه توكلت في رد كيد
اعداء الدين واليه ارجع في كفاية شرهم • وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم في شيء من الخصومات فتحاكموا فيه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله عز وجل فان تنازعتم في شيء فردوه
الى الله والرسول • وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله تعالى
والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا
طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح قال الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي فان قلت
هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين في احكام الشريعة قلت لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول • **فاطر السموات
والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير • له
مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم** • فاطر السموات قرئ بالرفع والجر
فالرفع على انه احد اخبار ذلكم او خبر مبتدأ محذوف والجر على ردّه الى الله فاطر السموات وقوله حكمه الى الله اعتراض بين الصفة
والموصوف • جعل لكم خلق لكم • من انفسكم من جنسكم من الناس ازواجا • ومن الانعام ازواجا اي وخلق من الانعام ازواجا
ومعناه وخلق للانعام ايضا من انفسها ازواجا • يذرؤكم يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم • والذرء والذرو والذر اخوات
فيه في هذا التدبير وهو ان جعل للناس والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير في
يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهي من الاحكام ذات العلتين
فان قلت ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير وهلا قيل يذرؤكم به قلت جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن
للبث والتكثير الا تراك تقول للحيوان في خلق الازواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حياة • قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل
عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده
وعمن هو على اخص اوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قول العربي العرب لا تخفر الذمم كان ابلغ من قولك انت لا تخفر ومنه
قولهم قد ايفعت لداته وبلغت اترابه يريدون ايفاعه وبلوغه • وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب
الا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد الى طهارته وطيبه فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء
وبين قوله ليس كمثله شيء الا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكانهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة
عن ذاته تعالى ونحوه قوله عز وجل بل يداه مبسوطتان فان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها
وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئا آخر حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل

له ولذلك زعم ان كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررها من قال وصاليات ككما يؤثفين ومن قال فاصبحت مثل كعصف مأكول وقرئ ويقدر انه بكل شيء عليم فاذا علم ان الغنى خير للعبد اغناه والا افقره شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد عليهما الصلوة والسلام ومن بينهما من الانبياء ثم فسر المشروع الذي اشتركت هؤلاء الاعلام من رسله فيه بقوله تعالى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد اقامة دين الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل باقامته مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل ان اقيموا اما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوف عليه او رفع على الاستئناف فكانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين ونحوه قوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة كبر على المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من اقامة دين الله والتوحيد يجتبي اليه يجتلب اليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد من يشاء من ينفع فيهم توفيقه ويجري عليهم لطفه وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب وما تفرقوا يعني اهل الكتاب بعد انبيائهم الا من بعد ان علموا ان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولولا كلمة سبقت من ربك وهي عدة التأخير الى يوم القيمة لقضي بينهم حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم وهم اهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لفي شك من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان وقيل كان الناس امة واحدة مؤمنين بعد ان اهلك الله اهل الارض اجمعين بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله اليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم وقيل وما تفرق اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب من بعدهم هم المشركون اورثوا القرآن من بعد ما اورث اهل الكتاب التوراة والانجيل وقرئ ورثوا وورثوا فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير فلذلك فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا فادع الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القديمة واستقم عليها وعلى الدعوة اليها كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة بما انزل الله من كتاب باي كتاب صح ان الله انزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين امنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله اولئك هم الكافرون حقا لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي لا حجة بيننا وبينكم اي لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته الله يجمع بيننا يوم القيمة فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والالزام فان قلت كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والاجلاء قلت المراد محاجزتهم في مواقف المقاولة لا المقاتلة والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد يحاجون في الله يخاصمون في دينه من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر واظهر دين الاسلام داحضة باطلة زالة

الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب انزل الكتاب اي جنس الكتاب والميزان والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل انه انزله في كتبه المنزلة وقيل الذي يوزن به بالحق ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل او بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة او بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك الساعة في تأويل البعث فلذلك قيل قريب اي لعل مجيء الساعة قريب فان قلت كيف يوفق ذكر اقتراب الساعة مع انزال الكتاب والميزان قلت لان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين للقسط فكانه قيل امركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل ان يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن اعمالكم ويوفي لمن اوفى ويطفف لمن طفف يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين امنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد المماراة الملاجة لان كل واحد منهما يمري ما عند صاحبه لفي ضلال بعيد من الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى ولدلالة الكتاب المعجز على انها آتية لا ريب فيها ولشهادة العقول على انه لا بد من دار الجزاء الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز لطيف بعباده بر بليغ البر بهم وقد توصل بره الى جميعهم وتوصل من كل واحد منهم الى حيث لا يبلغه وهم احد من كلياته وجزئياته فان قلت فما معنى قوله يرزق من يشاء بعد توصل بره الى جميعهم قلت كلهم مبرورون لا يخلو احد من بره الا ان البر اصناف وله اوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر مثله لاخر ويصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه فمن قسم له منها ما لا يقسم للاخر فقد رزقه وهو الذي اراد بقوله يرزق من يشاء كما يرزق احد الاخوين ولدا دون الاخر على انه اصابه بنعمة اخرى لم يرزقها صاحب الولد وهو القوي الباهر القدرة الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب سمى ما يعمله العامل مما يبغي به الفائدة والزكاء حرثا على المجاز وفرق بين عمل العاملين بان من عمل للآخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا اعطي شيئا منها لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه وما له نصيب حظ في الآخرة ولم يذكر في معنى عامل الآخرة وله في الدنيا نصيب على ان رزقه المقسوم له واصل اليه لا محالة للاستهانة بذلك الى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم معنى الهمزة في ام التقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذي شرعت لهم الشياطين وتعالى الله عن الاذن فيه والامر به وقيل شركاؤهم اوثانهم وانما اضيفت اليهم لانهم متخذوها شركاء لله فتارة تضاف اليهم لهذه الملابسة وتارة الى الله ولما كانت سببا لضلالهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال ابراهيم عليه الصلوة والسلام انهن اضللن كثيرا ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتأجيل الجزاء او ولولا العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم اي بين الكافرين والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم وقرأ مسلم بن جندب وان الظالمين بالفتح عطفا على كلمة الفصل يعني ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ترى الظالمين في الآخرة مشفقين خائفين خوفا شديدا ارق قلوبهم مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم يريد ووباله واقع بهم وواصل اليهم لا بد لهم منه اشفقوا او لم يشفقوا كان روضة الجنة اطيب بقعة فيها وانزهها عند ربهم منصوب بالظرف لا بيشاءون ذلك الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور

قوله عند ربهم اي ثبت لهم عند ربهم ما يشاؤن

وقرئ يبشر من بشره ويبشر من أبشره والأصل ذلك الثواب الذي يبشر الله به عباده فحذف الجار كقوله عز
وجل واختار موسى قومه ثم حذف الراجع إلى الموصول كقوله تعالى أهذا الذي بعث الله رسولا أو ذلك التبشير الذي يبشره الله
عباده • وروي أنه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون محمدا يسأل على ما يتعاطاه أجرا فنزلت الآية
إلا المودة في القربى يجوز أن يكون استثناء متصلا أي لا أسألكم أجرا إلا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتي ولم يكن هذا
أجرا في الحقيقة لأن قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة ويجوز أن يكون منقطعا أي لا أسألكم قط
ولكني أسألكم أن تودوا أقربائي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم **فإن قلت** هلا قيل إلا مودة القربى أو إلا
المودة للقربى وما معنى قوله إلا المودة في القربى **قلت** جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان
مودة ولي فيهم هوى وحب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام إذا قلت
إلا المودة للقربى إنما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره إلا المودة ثابتة
في القربى ومتمكنة فيها • والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في أهل القربى • وروي أنها لما نزلت
قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما رضي الله عنهم • ويدل عليه
ما روي عن علي رضي الله عنه شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس لي فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة
أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا • وعن النبي
صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم
يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غدا إذا لقيني يوم القيامة • وروي أن الأنصار قالوا فعلنا وفعلنا كأنهم افتخروا
فقال عباس أو ابن عباس رضي الله عنهما لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم في مجالسهم فقال
يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله
قال أفلا تجيبونني قالوا ما نقول يا رسول الله قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أولم يكذبوك فصدقناك أولم
يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله فنزلت الآية وقال عليه الصلاة والسلام
من مات على حب آل محمد مات شهيدا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا
ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الإيمان ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ألا
ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان
إلى الجنة ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة
والجماعة ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ألا ومن مات على بغض
آل محمد مات كافرا ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة • وقيل لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قربى فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه نزلت والمعنى إلا أن تودوني في القربى أي في حق القربى
ومن أجلها كما تقول الحب في الله والبغض في الله بمعنى في حقه ومن أجله يعني أنكم قومي وأحق من أجابني وأطاعني فإذ قد
أبيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي • وقيل أتت الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال جمعوه
فقالوا يا رسول الله قد هدانا الله بك وأنت ابن أختنا وتعروك نوائب وحقوق ومالك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك
فنزلت ورده • وقيل القربى التقرب إلى الله أي إلا أن تحبوا الله ورسوله في تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح • وقرئ
إلا مودة في القربى • ومن يقترف حسنة عن السدي أنها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت في أبي بكر الصديق
رضي الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم في أي حسنة كانت إلا أنها لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القربى دل ذلك على أنها
تناولت المودة تناولا أوليا كأن سائر الحسنات لها توابع • وقرئ يزد أي يزد الله • نزد له فيها حسنا بمضاعفتها كقوله
تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة • وقرئ حسنى وهي مصدر كالبشرى • إن الله غفور شكور
في صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب • أم يقولون افترى على الله كذبا

إن شاء الله

فإن يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور أم منقطعة
ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله إلى الافتراء ثم إلى الافتراء على الله الذي هو أعظم الفرى وأفحشها
فإن يشأ الله يختم على قلبك فإن يشأ الله تجعل من المختوم على قلوبهم حتى تفتري عليه الكذب فإنه لا يجترئ
على افتراء الكذب على الله إلا من كان في مثل حالهم وهذا الأسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وأنه في البعد مثل الشرك
بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا أن يخون بعض الأمناء فيقول لعل الله خذلني لعل الله أعمى قلبي وهو
لا يريد إثبات الخذلان وعمى القلب وإنما يريد استبعاد أن يخون مثله والتنبيه على أنه ركب من تخوينه أمر عظيم • ثم زاد
ومن عادة الله أن يمحو الباطل ويثبت الحق بكلماته بوحيه أو بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
يعني لو كان مفتريا كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على الباطل فدمغه • ويجوز أن يكون عدة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بأن يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي أنت عليه بالقرآن وبقضائه
الذي لا مرد له من نصرتك عليهم • إن الله عليم بما في صدرك وصدورهم فيجري الأمر على حسب ذلك • وعن قتادة يختم
على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك • وقيل يختم على قلبك يربط عليه
بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم **فإن قلت** إن كان قوله تعالى ويمح الله الباطل كلاما مبتدأ غير معطوف على
يختم فما بال الواو ساقطة في الخط **قلت** كما سقطت في قوله تعالى ويدع الإنسان بالشر وقوله سندع الزبانية
على أنها مثبتة في بعض المصاحف • وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون
يقال قبلت منه الشيء وقبلته عنه فمعنى قبلته منه أخذته منه وجعلته مبدأ قبولي ومنشأه • ومعنى قبلته
عنه عزلته عنه وأبنته عنه • والتوبة أن يرجع عن القبيح والعزم على أن لا يعاود لأن الرجوع عن قبيح والإخلال بالواجب
وإن كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التقصي على طريقه • وروي عن جابر أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له علي رضي الله عنه يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار
توبة الكذابين فتوبتك تحتاج إلى التوبة فقال يا أمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب
الندامة • ولتضييع الفرائض الإعادة • ورد المظالم • وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية • وإذاقة النفس
مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية • والبكاء بدل كل ضحك ضحكته • ويعفو عن السيئات عن الكبائر إذا تيب
عنها وعن الصغائر إذا اجتنبت الكبائر • ويعلم ما تفعلون فيثيب على حسناتها ويعاقب على سيئاتها
ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد
ويستجيب الذين آمنوا أي يستجيب لهم فحذف اللام كما حذف في قوله وإذا كالوهم أي يثيبهم على طاعاتهم ويزيدهم على الثواب تفضلا • أو إذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم • وقيل الاستجابة فعلهم أي يستجيبون له بالطاعة إذا دعاهم إليها ويزيدهم هو من فضله على ثوابهم • وعن سعيد بن جبير هذا من فعلهم يجيبونه إذا دعاهم • وعن إبراهيم بن أدهم أنه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لأنه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو إلى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير
لبغوا من البغي وهو الظلم أي لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لأن الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون عبرة • أو من البغي وهو الكبر أي لتكبروا في الأرض • وقال بعض العرب وقد جعل الوسمي ينبت بيننا وبين بني رومان نبعا وشوحطا • يعني أنهم أحيوا فحدثوا أنفسهم بالبغي والتفانن • وقيل نزلت في قوم من أهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى • قال خباب بن الأرت فينا نزلت وذلك أنا
نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها • بقدر بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا

يرفعه إلى ما يؤول إليه أحوالهم فيقدر لهم ما هو أصلح لهم وأقرب إلى جمع شملهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط
كما توجبه الحكمة الربانية ولو أغناهم جميعاً لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا **فإن قلت** قد نرى الناس يبغي بعضهم على بعض
ومنهم مبسوط لهم ومنهم مقبوض عنهم فإن كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم وإن كان المقبوض عنهم يبغون
فقد يكون البغي بدون البسط فلم شرطه **قلت** لا شبهة في أن البغي مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب وكلاهما سبب
ظاهر للإقدام على البغي والإحجام عنه فلو عم البسط لغلب البغي حتى ينقلب الأمر إلى عكس ما عليه الآن • وهو الذي
ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد • قنطوا بفتح النون وكسرها • وينشر رحمته أي بركات
الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب • وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قيل له اشتد القحط وقنط الناس
فقال مطروا إذاً أراد هذه الآية • ويجوز أن يريد رحمته في كل شيء كأنه قال ينزل الرحمة التي هي الغيث • وينشر
غيرها من رحمته الواسعة • الولي الذي يتولى عباده بإحسانه • الحميد المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته • ومن
آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير • وما بث يجوز أن يكون
مرفوعاً ومجروراً حملاً على المضاف إليه أو المضاف **فإن قلت** لم جاز فيهما من دابة والدواب في الأرض وحدها
قلت يجوز أن ينسب الشيء إلى جميع المذكور وإن كان ملتبساً ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد أو شجاع
بطل وإنما هو في فخذ من أفخاذهم أو فصيلة من فصائلهم وبنو فلان فعلوا كذا وإنما فعله نويس منهم ومنه قوله تعالى
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من الملح • ويجوز أن يكون للملائكة مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به
الأناسي ولا يبعد أن يخلق في السموات حيواناً يمشون فيها مشي الأناسي على الأرض سبحان الذي يخلق ما لا نعلم من أصناف
الخلق • إذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي قال الله تعالى والليل إذا يغشى ومنه إذا يشاء • وقال الشاعر
وإذا ما أشاء أبعث منها • آخر الليل ناشطاً مذعوراً • وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير
في مصاحف أهل العراق فبما كسبت بإثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط وفي مصاحف أهل المدينة بما كسبت بغير فاء
على أن ما مبتدأة وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى الشرط والآية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع أن يستوفي الله بعض عقاب
المجرم ويعفو عن بعض فأما من لا جرم له كالأنبياء والأطفال والمجانين فهؤلاء إذا أصابهم شيء من ألم أو غيره فللعوض الموفي
والمصلحة • وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب ولما يعفو الله عنه أكثر
وعن بعضهم من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر في إحسان
ربه إليه • وعن آخر العبد ملازم للجنايات في كل أوان وجناياته في طاعته أكثر من جناياته في معاصيه لأن جناية المعصية
من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ولولا
عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة • وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد رفعه من عفي عنه في الدنيا عفي عنه في
الآخرة ومن عوقب في الدنيا لم تثن عليه العقوبة في الآخرة • وعنه كرم الله وجهه هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن
وما أنتم بمعجزين في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير • بمعجزين بفائتين ما قضي عليكم من المصائب
ومن يعلي من نزول الرحمة • ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام • إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن
في ذلك لآيات لكل صبار شكور • الجواري السفن • وقرئ الجوار • كالأعلام كالجبال قالت الخنساء • كأنه علم
في رأسه نار • وقرئ الرياح فيظللن بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل • رواكد ثوابت
لا تجري • على ظهره على ظهر البحر • لكل صبار على بلاء الله • شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه
وهو الذي وكل همته بالنظر في آيات الله فهو يستملي منها العبر • أو يوبقهن بما كسبوا ويعفو عن كثير • أو يوبقهن
يهلكهن • والمعنى أنه إن يشأ يبتل المسافرين في البحر بإحدى بليتين إما أن يسكن الريح فيركد الجواري على متن البحر ويمنعهن
من الجري وإما أن يرسل الريح عاصفة فيهلكهن إغراقاً بسبب ما كسبوا من الذنوب • ويعفو عن كثير منها **فإن قلت**
علام عطف يوبقهن **قلت** على يسكن لأن المعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها

فإن قلت فما معنى إدخال العفو في حكم الإيباق حيث جزم جزمه **قلت** معناه أو إن يشأ يهلك
ناساً وينج ناساً على طريق العفو عنهم **فإن قلت** فمن قرأ ويعفو **قلت** قد استأنف الكلام • ويعلم الذين
يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص • **فإن قلت** فما وجوه القراءات الثلاث في ويعلم **قلت** أما الجزم فعلى
ظاهر العطف وأما الرفع فعلى الاستئناف وأما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين
يجادلون ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن منه قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله وخلق الله
السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت • وأما قول الزجاج النصب على إضمار أن لأن قبلها جزاء تقول
ما تصنع أصنع مثله وأكرمك وإن شئت وأكرمك على وأنا أكرمك وإن شئت وأكرمك جزماً ففيه نظر لما أورده
سيبويه في كتابه قال واعلم أن النصب بالفاء والواو في قوله إن تأتني آتك وأعطيك ضعيف وهو نحو من قوله • وألحق
بالحجاز فأستريحا • فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه إلا أنه في الجزاء صار أقوى قليلاً لأنه ليس بواجب أنه
يفعل إلا أن يكون من الأول فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه أجازوا فيه هذا على ضعفه • ولا
يجوز أن تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما أخلى سيبويه
منها كتابه وقد ذكر نظائرها من الآيات المشكلة فإن قلت فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم **قلت** كأنه قال أو إن يشأ
يجمع بين ثلاثة أمور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين • من محيص من محيد عن عقابه • فما أوتيتم من شيء
فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون • ما الأولى ضمنت معنى
الشرط فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية • عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه اجتمع لأبي بكر الصديق رضي الله عنه
مال فتصدق به كله في سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت • والذين يجتنبون كبائر الإثم
والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون • والذين يجتنبون عطف على الذين آمنوا وكذلك ما بعده
ومعنى كبائر الإثم الكبائر من هذا الجنس • وقرئ كبير الإثم • وعن ابن عباس رضي الله عنهما كبير الإثم هو الشرك
• هم يغفرون أي هم الأخصاء بالغفران في حال الغضب لا يغول الغضب أحلامهم كما يغول حلوم الناس • والمجيء
بهم وإيقاعه مبتدأ وإسناد يغفرون إليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون • والذين استجابوا لربهم
وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون • والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون
والذين استجابوا لربهم نزلت في الأنصار دعاهم الله تعالى للإيمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه • وأقاموا
الصلاة وأتموا الصلوات الخمس • وكانوا قبل الإسلام وقبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة إذا كان
بينهم أمر اجتمعوا وتشاوروا فأثنى الله عليهم أي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه • وعن الحسن رحمه الله
ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم • والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور • ومعنى قوله تعالى وأمرهم
شورى بينهم أي ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة
شورى • هم ينتصرون أي ينتصرون على ما جعل الله لهم ولا يعتدون • وعن النخعي أنه كان إذا قرأها قال كانوا يكرهون
أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق **فإن قلت** أهم محمودون على الانتصار **قلت** نعم لأن من أخذ
حقه غير متعد حد الله وما أمر به فلم يسرف في القتل إن كان ولي دم أو رد على سفيه محاماة على عرضه وردعاً
له فهو مطيع وكل مطيع محمود • وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين
كلتا الفعلتين الأولى وجزاؤها سيئة لأنها تسوء من تنزل به قال الله تعالى فإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم
وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا • والمعنى أنه يجب إذا قوبلت الإساءة
أن تقابل بمثلها من غير زيادة فإذا قال أخزاك الله قال أخزاك الله • فمن عفا وأصلح بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء
كما قال تعالى فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم • فأجره على الله عدة مبهمة لا يقاس أمرها في العظم وقوله
تعالى إنه لا يحب الظالمين دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السيئة والاعتداء خصوصاً في حال الحرد

فقول سيبويه هذا ضعيف نحو لأن المراد بالضعيف في مثل هذا الموضع قلة وروده في كلام الفصحاء ونحن نقول وإذا ورد مثله في كلام الله تعالى فالأولى أن يتمسك به ويجعل قوياً فإنه المعيار والمهيمن على جميع الكتب وعلى كل كلام م

قوله كما قال استشهاد على أنه يحصل الإصلاح بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء م

والثناء الجميل فهي فاتت الجانبين ان الظالمين وهو لا يشعر • وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله • ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل • بعد ظلمه من اضافة المصدر الى المفعول وتفسيره قراءة من قرأ بعد ما ظلم • فاولئك اشارة الى معنى من دون لفظه • ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعاتب والعائب • انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم • انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدؤنهم بالظلم • ويبغون في الارض يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون • ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور • ولمن صبر على الظلم والاذى وغفر ولم ينتصر وفوض امره الى الله • ان ذلك منه • لمن عزم الامور وحذف الراجع لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم • ويحكى ان رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رحمه الله فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون • وقالوا العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس الامر في بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوبا اليه وذلك اذا احتيج الى كف زيادة البغي وقطع مادة الاذى • وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل عليه وهو ان زينب اسمعت عائشة رضي الله عنها بحضرته وكان ينهاها فلا تنتهي فقال صلى الله عليه وسلم لعائشة دونك فانتصري • ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل • ومن يضلل الله ومن يخذل الله • فما له من ولي من بعده فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه • وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الا ان الظالمين في عذاب مقيم • خاشعين متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل وقد يعلق من الذل بينظرون ويوقف على خاشعين • من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف وهكذا نظر الناظر الى المكاره لا يقدر ان يفتح اجفانه عليها ويملأ عينيه منها كما يفعل في نظره الى المحاب • وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم وذلك نظر من طرف خفي وفيه تعسف • يوم القيامة اما ان يتعلق بخسروا ويكون قول المؤمنين واقعا في الدنيا واما ان يتعلق بقال اي يقولون يوم القيامة اذا رأوهم على تلك الصفة • وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل • استجيبوا لربكم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير • من الله من صلة لا مرد اي لا يرده الله بعد ما حكم به او من صلة يأتي اي من قبل ان يأتي من الله يوم لا يقدر احد على رده • والنكير الانكار اي ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيئا مما اقترفتموه ودون في صحائف اعمالكم • فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور • اراد بالانسان الجمع لا الواحد لقوله وان تصبهم سيئة ولم يرد الا المجرمين لان اصابة السيئة بما قدمت ايديهم انما تستقيم فيهم • والرحمة النعمة من الصحة والغنى والامن • والسيئة البلاء من المرض والفقر والمخاوف • والكفور البليغ الكفران ولم يقل فانه كفور ليسجل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال تعالى ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود • والمعنى انه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها • لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور • او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير • لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان له الملك وانه يقسم النعمة والبلاء كيف اراد ويهب لعباده من الاولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا قط • فان قلت لم قدم الاناث على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الاناث • قلت لانه ذكر البلاء في آخر الآية الاولى وكفران الانسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي

من جملة ما لا يشاؤه الانسان اهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء وآخر الذكور فلما اخرهم لذلك تدارك تأخيرهم وهم احقاء بالتقديم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير كانه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف ان تقديمهم لم يكن لتقدمهم ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا واناثا كما قال انا خلقناكم من ذكر وانثى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى • وقيل نزلت في الانبياء عليهم الصلوة والسلام حيث وهب لشعيب عليه الصلوة والسلام ولوط عليه السلام اناثا • ولابراهيم عليه الصلوة والسلام ذكورا • ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا • وجعل يحيى وعيسى عليهما الصلوة والسلام عقيمين • انه عليم بمصالح العباد • قدير على تكوين ما يصلحهم • وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم • وما كان لبشر وما صح لاحد من البشر • ان يكلمه الله الا على ثلاثة اوجه • اما على طريق الوحي وهو الالهام والقذف في القلب او المنام كما اوحى الى ام موسى والى ابراهيم عليه الصلوة والسلام في ذبح ولده • وعن مجاهد اوحى الله الزبور على داود عليه الصلوة والسلام في صدره • قال عبيد بن الابرص • واوحى الي الله ان قد تأمروا • بابل ابي اوفى فقمت على رجلي • اي الهمني وقذف في قلبي • واما على ان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه لانه في ذاته غير مرئي • وقوله تعالى من وراء حجاب مثل اي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة • واما على ان يرسل اليه رسولا من الملائكة فيوحي الملك اليه كما كلم الانبياء غير موسى عليه الصلوة والسلام • وقيل وحيا كما اوحى الى الرسل بواسطة الملائكة • او يرسل رسولا اي نبيا كما كلم امم الانبياء على السنتهم • ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان ان يرسل في معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال ايضا كقوله تعالى وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا • ويجوز ان يكون وحيا موضوعا موضع كلاما لان الوحي كلام خفي في سرعة كما تقول لا اكلمه الا جهرا والا خفاتا لان الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك ارسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وانما قاله وكيلك او رسولك • وقوله او من وراء حجاب معناه او اسماعا من وراء حجاب • ومن جعل وحيا في معنى ان يوحي وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا بان يوحي او بان يرسل فعليه ان يقدر قوله او من وراء حجاب تقديرا يطابقهما عليه معنى او يسمع من وراء حجاب • وقرئ او يرسل رسولا فيوحي بالرفع على او هو يرسل او بمعنى مرسلا عطفا على وحيا في معنى موحيا • وروي ان اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى الى الله فنزلت • وعن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت او لم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية • انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يجري افعاله على موجب الحكمة فيكلم تارة بواسطة وتارة بغير واسطة اما الهاما واما خطابا • وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور • روحا من امرنا يريد ما اوحى اليه لان الخلق يحيون به في دينهم كما يحيى الجسد بالروح • فان قلت قد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله عليه فما معنى قوله ولا الايمان والانبياء لا يجوز عليهم اذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال ان يخطئهم الايمان بالله وتوحيده ويجب ان يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر • قلت الايمان اسم يتناول اشياء بعضها الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع فعنى به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي الا ترى انه قد فسر الايمان في قوله سبحانه وتعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم بالصلوة لانها بعض ما يتناوله الايمان • من نشاء من عبادنا من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدي • صراط الله بدل • وقرئ لتهدي اي يهديك الله • وقرئ

لتدعو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون ويسترحمون له

سورة الزخرف مكية وهي تسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **حم والكتاب المبين** أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله تعالى إنا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم وهو من الأيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد ونظيره قول أبي تمام وثناياك إنها إغريض المبين البين للذين أنزل عليهم لأنه بلغتهم وأساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين وقيل المبين الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج إليه الأمة في أبواب الديانة **إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون** جعلناه بمعنى صيرناه معدى إلى مفعولين أو بمعنى خلقناه معدى إلى واحد كقوله عز وجل وجعل الظلمات والنور وقرآنا عربيا حال ولعل مستعار لمعنى الإرادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي أي خلقناه عربيا غير عجمي إرادة أن تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته **وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم** وقرئ إم الكتاب بالكسر وهو اللوح كقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ سمي بأم الكتاب لأنه الأصل الذي أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ علي رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة أي منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفتاه وهو مثبت في أم الكتاب هكذا **أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين** أفنضرب عنكم الذكر صفحا بمعنى أفننحي عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل وقال طرفة أضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهملكم فنضرب عنكم الذكر إنكارا لأن يكون الأمر على خلاف ما قدم من إنزاله الكتاب وخلقه قرآنا عربيا ليعقلوه ويعملوا بموجبه صفحا على وجهين إما مصدر من صفح عنه إذا أعرض منتصب على أنه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم إنزال القرآن وإلزام الحجة به إعراضا عنكم وإما بمعنى الجانب من قولهم نظر إليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى أفننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا وتعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم وفي هذه القراءة وجه آخر وهو أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب على الحال أي صافحين معرضين أن كنتم أي لأن كنتم وقرئ إن كنتم وإذ كنتم **فإن قلت** كيف استقام معنى إن الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت **قلت** هو من الشرط الذي ذكرت أنه يصدر عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوته كما يقول الأجير إن كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه أن تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له **وكم أرسلنا من نبي في الأولين وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون** وما يأتيهم حكاية حال ماضية مستمرة أي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه **فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين** الضمير في أشد منهم للقوم المسرفين لأنه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم ومضى مثل الأولين أي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم **ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض مهادا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون** **فإن قلت** قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من الأوصاف عقيبه إن كان من قولهم فما تصنع بقوله تعالى فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون وإن كان من قول الله فما وجهه **قلت** هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها إلى الذي هذه أوصافه وليسندنه إليه بقدر بمقدار يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفانا **والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون** والأزواج الأصناف ما تركبون أي ما تركبونه **فإن قلت** يقال ركبوا الأنعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال تركبونه **قلت** غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه على ظهوره على ظهور ما تركبون وهو الفلك والأنعام ومعنى ذكر نعمة الله عليهم أن يذكروها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بألسنتهم وهو ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا إلى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا إذا ركب في السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما أنه رأى رجلا ركب دابة فقال سبحان الذي سخر لنا هذا فقال أبهذا أمرتم فقال بم أمرنا قال أن تذكروا نعمة ربكم كان قد أغفل التحميد فنبهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله ومحافظتهم على دقيقها وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم فما أحسن بالعاقل النظر في لطائف الصناعات فكيف بالنظر في لطائف الديانات مقرنين مطيقين يقال أقرن الشيء إذا أطاقه قال ابن هرمة وأقرنت ما حملتني ولقلما يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر وحقيقة أقرنه وجده قرينته وما يقرن به لأن الصعب لا يكون قرينة الضعيف ألا ترى إلى قولهم في الضعيف لا يقرن به الصعبة وقرئ مقرنين والمعنى واحد **فإن قلت** كيف اتصل بذلك قوله وإنا إلى ربنا لمنقلبون **قلت** كم من راكب دابة عثرت به أو شمست أو تقحمت أو طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة أمر مخطر واتصالا بسبب من أسباب التلف كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب من أسباب التلف أن لا ينسى عند اتصاله به يومه وأنه هالك لا محالة فمنقلب إلى الله غير منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله بإصلاحه من نفسه والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل عنه ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه تعالوا نتنزه على الخيل أو في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع أنفسهم أواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب أو في بطون السفن وهي تجري بهم لا يذكرون إلا الشيطان ولا يمتثلون إلا أوامره وقد بلغني أن بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد إلى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح إلا بعد ما اطمأنت به الدار فلم يشعر بمسيره ولا أحس به فكم بين فعل أولئك الراكبين وبين ما أمر الله به في هذه الآية **وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين** وقد جعلوا له من عباده جزءا أي قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءا له وبعضا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا له ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالإناث وادعاء أن الجزء في لغة العرب اسم للإناث وما هو إلا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه أجزأت المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا إن أجزأت حرة يوما فلا عجب زوجتها من بنات الأوس مجزئة وقرئ جزؤا بضمتين لكفور مبين لجحود للنعمة ظاهر جحوده لأن نسبة الولد إليه كفر والكفر أصل الكفران كله **أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين** أم منقطعة ومعنى الهمزة في أم الإنكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث لم يقنعوا بأن جعلوا لله جزءا حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزأين وهو الإناث دون الذكور على أنهم أنفر خلق الله عن الإناث وأمقتهم لهن ولقد بلغ بهم المقت إلى أن وأدوهن كأنه قيل هبوا أن إضافة اتخاذ الولد إليه جائزة فرضا وتمثيلا أما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائكم أنه آثركم على نفسه بخير الجزأين وأعلاهما وترك له شرهما وأدناهما وتنكير بنات وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله تعالى يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور **وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين** بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله له

مثلا اي شبها لانه اذا جعل الملائكة جزءا لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لان الولد لا يكون الا
من جنس الوالد يعني انهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد
وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب ● وعن بعض العرب ان امرأته وضعت انثى فهجر البيت الذي فيه المرأة
فقالت ● ما لابي حمزة لا يأتينا ● يظل في البيت الذي يلينا ● غضبان ان لا نلد البنينا ● ليس لنا من امرنا ما شينا
وانما نأخذ ما اعطينا ● والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل اكثر الافعال الناقصة بمعناها ● وقرئ مسود
ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة واقعة موقع الخبر ● ثم قال او يجعل للرحمن من الولد
هذه الصفة المذمومة صفته وهي انه ينشأ اي يتربى في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة
الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحتج به من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن
عن فطرة الرجال يقال قلما تكلمت امرأة فارادت ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها ● وفيه انه جعل النشأ
في الزينة والنعومة من المعايب والمذام وانه من صفة ربات الحجال فعلى الرجل ان يجتنب ذلك ويأنف منه
ويربأ بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا ● وان اراد ان يزين
نفسه زينها من باطن بلباس التقوى ● وقرئ ينشأ وينشأ ويناشأ ونظير المناشأة بمعنى الانشاء المغالاة
بمعنى الاغلاء ● وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم
ويسألون ● قد جمعوا في كفرة ثلاث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه اخس النوعين وجعلوه
من الملائكة الذين هم اكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم واحتقروهم ● وقرئ عباد الرحمن وعبيد الرحمن وعند
الرحمن وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم ● واناثا وانثا جمع الجمع ● ومعنى جعلوا سموا وقالوا انهم اناث
● وقرئ اشهدوا واشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآشهدوا بالف بينهما وهذا تهكم بهم يعني انهم
يقولون ذلك من غير ان يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا احاطوا
بعلم عن خبر يوجب العلم فلم يبق الا ان يشاهدوا خلقهم فاخبروا عن المشاهدة ● ستكتب شهادتهم التي شهدوا
بها على الملائكة من انوثتهم ● ويسألون وهذا وعيد ● وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون ● وشهادتهم
وشهاداتهم ● ويساءلون على يفاعلون ● وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان
هم الا يخرصون ● وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم هما كفرتان ايضا مضمومتان الى الكفرات الثلاث وهما عبادتهم
الملائكة من دون الله وزعمهم ان عبادتهم بمشيئة الله كما يقول اخوانهم المجبرة ● فان قلت ما انكرت على من يقول قالوا
ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين ● قلت لا دليل على انهم قالوه مستهزئين وادعاء
ما لا دليل عليه باطل على ان الله تعالى قد حكى عنهم ذلك على سبيل الذم والشهادة بالكفر انهم جعلوا له من عباده جزءا وانه
اتخذ بنات واصفاهم بالبنين وانهم جعلوا الملائكة المكرمين اناثا وانهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
فلو كانوا ناطقين بها على طريق الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكي الذي هو ايمان عنده لو جدوا في النطق به مدحا
لهم من قبل انها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء فبقي ان يكونوا جادين ويشترك كلها في انها كلمات كفر فان قالوا نجعل هذا
الاخير وحده مقولا على وجه الهزء دون ما قبله فما بهم الا تعويج كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزوا لم يكن لقوله تعالى ما لهم بذلك من علم
ان هم الا يخرصون معنى لان من قال لا اله الا الله على طريق الهزء كان الواجب ان ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لانه لا يجوز
تكذيب الناطق بالحق جادا كان او هازئا ● فان قلت ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم ان الملائكة بنات الله من
علم ان هم الا يخرصون في ذلك القول لا في تعليق عبادتهم بمشيئة الله ● قلت تمحل مبطل وتحريف مكابر ونحوه قوله تعالى
سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم ● ام آتيناهم كتابا من
قبله فهم به مستمسكون ● بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون ● وكذلك ما

ارسلنا

ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون
الضمير في من قبله للقرآن او الرسول والمعنى انهم الصقوا عبادة غير الله بمشيئة الله قولا قالوه غير مستند الى علم ● ثم
قال ام آتيناهم كتابا قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح الينا فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا بذلك
الكتاب واحتجوا به بل لا حجة لهم يستمسكون بها الا قولهم انا وجدنا اباءنا على امة على دين ● وقرئ على امة بالكسر
وكلتاهما من الام وهو القصد ● فالامة الطريقة التي تؤم اي تقصد كالرحلة للمرحول اليه ● والامة الحالة التي
عليها الآم وهو القاصد ● وقيل على نعمة وحالة حسنة ● على آثارهم مهتدون خبر ان او الظرف صلة لمهتدون
● مترفوها الذين اترفتهم النعمة اي ابطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه
قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون ● فانتقمنا منهم فانظر
كيف كان عاقبة المكذبين ● قرئ قل وقال وجئتكم وجئناكم يعني اتتبعون اباءكم ولو جئتكم بدين
اهدى من دين اباءكم ● قالوا انا ثابتون على دين اباءنا لا ننفك عنه وان جئتنا بما هو اهدى واهدى ● واذ
قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون ● الا الذي فطرني فانه سيهدين ● قرئ براء بفتح
الباء وضمها وبريء فبريء وبراء نحو كريم وكرام ● وبراء مصدر كظماء ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة
والمذكر والمؤنث يقال نحن البراء منك والخلاء منك ● الذي فطرني فيه غير وجه ان يكون منصوبا على انه استثناء
منقطع كانه قال لكن الذي فطرني فانه سيهدين وان يكون مجرورا بدلا من المجرور بمن كانه قال انني براء مما
تعبدون الا من الذي فطرني ● فان قلت كيف تجعله بدلا وليس من جنس ما يعبدون من وجهين ● احدهما
ان ذات الله تعالى مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون ● والثاني ان الله تعالى غير معبود بينهم والاوثان
معبودة ● قلت كانوا يعبدون الله مع اوثانهم وان تكون الا صفة بمعنى غير على ان ما في مما تعبدون موصوفة تقديره
انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فهو نظير قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ● فان قلت
ما معنى قوله سيهدين على التسويف ● قلت قال مرة فهو يهدين ومرة فانه سيهدين فاجمع بينهما وقدر كانه قال
فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية في الحال والاستقبال ● وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم
يرجعون ● وجعلها ابراهيم عليه الصلوة والسلام كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون الا
الذي فطرني كلمة باقية في عقبه في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء
من وحد منهم ونحوه ووصى بها ابراهيم بنيه ● وقيل وجعلها الله ● وقرئ كلمة على التخفيف وفي عقبه كذلك وفي
عاقبه اي فيمن عقبه اي خلفه ● بل متعت هؤلاء واباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ● بل متعت هؤلاء
يعني اهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة
الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءهم الحق وهو القرآن ورسول مبين الرسالة واضحها بما معه من الآيات البينة
فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولم يوجد منهم ما رجاه ابراهيم عليه الصلوة والسلام ● وقرئ بل
متعنا ● فان قلت فما وجه من قرأ متعت بفتح التاء ● قلت كان الله تعالى اعترض على ذاته في قوله
وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى شغلهم
ذلك عن كلمة التوحيد واراد بذلك الاطناب في تعييرهم لانه اذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا
في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا فمثاله ان يشكو الرجل اساءة من احسن
اليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله
● فان قلت قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم اردفه قوله تعالى ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر فما طريقة
هذا النظم ومؤداه ● قلت المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته
فقال عز وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد ● حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية انهم تنبهوا

عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبيه ● ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون ● وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ● ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال فلما جاءهم الحق جاءوا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وهو أن ضموا إلى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه والإصرار على أفعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله في تخير محمد من أهل زمانه بقوله تعالى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهي الغاية في تشويه صورة أمرهم ● وقرئ على رجل بسكون الجيم ● من القريتين من إحدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ أي من أحدهما ● والقريتان مكة والطائف ● وقيل من رجلي القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي عن ابن عباس رضي الله عنهما ● وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ● وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وكان الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا القرآن علي أو على أبي مسعود الثقفي وأبو مسعود كنية عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون أن يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجج أن الرسل لم يكونوا إلا رجالا من أهل القرى جاءوا بالإنكار من وجه آخر وهو تحكمهم أن يكون أحد هذين ● وقولهم هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة ● وأرادوا بعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا وعزب عن عقولهم أن العظيم من كان عند الله عظيما ● أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون ● أهم يقسمون رحمت ربك هذه الهمزة للإنكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم وأن يكونوا هم المدبرين لأمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها إلا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته ● ثم ضرب لهم مثلا فأعلم أنهم عاجزون عن تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم في دنياهم وأن الله عز وعلا هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر أحوالهم تدبير العالم بها فلم يسو بينهم ولكن فاوت بينهم في أسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم الأقوياء والضعفاء والأغنياء والمحاويج والموالي والخدم ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في أشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا إلى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم ولو وكلهم إلى أنفسهم وولاهم تدبير أمرهم لضاعوا وهلكوا وإذا كانوا في تدبير المعيشة الدنية في الحياة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير أمر الدين الذي هو رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى وهو الطريق إلى حيازة حظوظ الآخرة والسلم إلى حلول دار السلام ● ثم قال ورحمت ربك يريد وهذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب ● خير مما يجمعون من حطام الدنيا ● فإن قلت معيشتهم ما يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فإذن قد قسم الله الحرام كما قسم الحلال ● قلت الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع وأذن له في تناولها ولكن شرط عليه وكلفه أن يسلك في تناولها الطريق التي شرعها فإذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالا وسماها رزق الله وإذا لم يسلكها تناولها حراما وليس له أن يسميها رزق الله فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة الحرمة بسوء تناولهم وهو عدولهم فيه عما شرعه الله إلى ما لم يشرعه ● ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ● ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون ● وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ● لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز أن يكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه ● وقرئ سقفا بفتح السين وسكون القاف وبضمها وسكون القاف وبضمهما جمع سقف كرهن ورهن ● وعن الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كأنه لغة في سقف وسقوفا ● ومعارج ومعاريج جمع معرج أو اسم جمع لمعراج وهو المصاعد إلى العلالي ● عليها يظهرون على

المعارج يظهرون السطوح يعلونها فما اسطاعوا أن يظهروه ● وسررا بفتح الراء لاستثقال الضمتين مع حرفي التضعيف ● لما متاع الحيوة الدنيا إن هي المخففة واللام هي الفارقة بين المخففة والنافية ● وقرئ بكسر اللام أي للذي هو متاع الحيوة كقوله تعالى مثلا ما بعوضة ● ولما بالتشديد بمعنى إلا وإن نافية ● وقرئ إلا ● وقرئ وما كل ذلك إلا ● لما قال خير مما يجمعون فقلل أمر الدنيا وصغرها أردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده من قوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة أي ولولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه ● لجعلنا لحقارة زهرة الحيوة الدنيا عندنا للكفار سقفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة ● وجعلنا لهم زخرفا أي زينة من كل شيء ● والزخرف الزينة والذهب ● ويجوز أن يكون الأصل سقفا من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة ● وفي معناه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لو وزنت عند الله الدنيا جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ● فإن قلت فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدي إليها التوسعة عليهم من إطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الإسلام ● قلت التوسعة عليهم مفسدة أيضا لما تؤدي إليه من الدخول في الإسلام لأجل الدنيا والدخول في الدين لأجل الدنيا من دين المنافقين فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل في الفريقين أغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى ● ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ● قرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما أنه إذا حصلت الآفة في بصره قيل عشي وإذا نظر نظر العشي ولا آفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة ● متى تأته تعشو إلى ضوء ناره ● أي تنظر إليها نظر العشي لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بين في قول حاتم ● أعشو إذا ما جارتي برزت ● حتى يواري جارتي الخدر ● وقرئ يعشو على أن من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ أن يرفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن كقوله عز وجل صم بكم عمي ● وأما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره أي يعرف أنه الحق وهو يتجاهل ويتغابى كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ● نقيض له شيطانا نخذله ونخل بينه وبين الشياطين كقوله عز وجل وقيضنا لهم قرناء ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين ● وقرئ يقيض أي يقيض له الرحمن ويقيض له شيطان ● وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ● فإن قلت لم جمع ضمير من وضمير الشيطان في قوله وإنهم ليصدونهم ● قلت لأن من مبهم في جنس العاشي وقد قيض له شيطان مبهم من جنسه فلما جاز أن يتناولا لإبهامهما غير واحدين جاز أن يرجع الضمير إليهما مجموعا ● حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ● حتى إذا جاءنا العاشي ● وقرئ جاءانا على أن الفعل له ولشيطانه ● قال لشيطانه يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين يريد المشرق والمغرب كما قيل العمران والقمران ● فإن قلت فما بعد المشرقين ● قلت تباعدهما والأصل بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية أضاف البعد إليهما ● ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون ● أنكم في محل الرفع على الفاعلية يعني ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين في الأمر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل أعبائه وتقسمهم لشدته وعنائه وذلك أن كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته ● ولك أن تجعل الفعل للتمني في قوله تعالى يا ليت بيني وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم ما أنتم فيه من تمني مباعدة القرين ● وقوله أنكم في العذاب مشتركون تعليل أي لن ينفعكم تمنيكم لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر ● ويقويه قراءة من قرأ إنكم بالكسر ● وقيل إذا رأى الممنو بشدة من مني بمثلها روحه ذلك ونفس بعض كربه وهو التأسي الذي ذكرته الخنساء ● أعزي النفس عنه بالتأسي ● فهؤلاء لا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه ● فإن قلت ما معنى قوله إذ ظلمتم ● قلت معناه إذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة في أنكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيامة ● وإذ بدل من اليوم ونظيره ● إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ● أي تبين أني

ولد كريمة ● أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد ويكد روحه في دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه إلا تصميما على الكفر وتماديا في الغي فأنكر عليه بقوله تعالى أفأنت تسمع إنكار تعجيب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم وأراد أنه لا يقدر على ذلك منهم إلا هو وحده على سبيل الإلجاء والقسر كقوله تعالى إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ● فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ● أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ● فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ● ما في قوله تعالى فإما نذهبن بمنزلة لام القسم في أنها إذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فإن قبضناك قبل أن ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم ● فإنا منهم منتقمون أشد الانتقام في الآخرة كقوله تعالى أو نتوفينك فإلينا يرجعون ● وإن أردنا أن ننجز في حياتك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال ثم أتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة ● وقرئ نرينك بالنون الخفيفة ● وقرئ بالذي أوحى إليك على البناء للفاعل وهو الله عز وجل والمعنى وسواء عجلنا لك الظفر والغلبة أو أخرنا إلى اليوم الآخر فكن مستمسكا بما أوحينا إليك وبالعمل به فإنه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه إلا ضال شقي وزد كل يوم صلابة في المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجر بأمرهم إلى شيء من اللين والرخاوة في أمرك ولكن كما يفعل الثابت الذي لا ينشطه تعجيل ظفر ولا يثبطه تأخيره ● وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ● وإن الذي أوحي إليك لذكر لشرف لك ولقومك وسوف تسألون عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين ● وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ● ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لإحالته ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الأوثان قط في ملة من ملل الأنبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله سبحانه وتعالى المعجز المصدق لما بين يديه وإخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة إلى غيرها والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مسألة الديار والرسوم والأطلال وقول من قال سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإنها إن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا ● وقيل إن النبي عليه الصلاة والسلام جمع له الأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس فأمهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من أرسلنا وهم أهل الكتابين التوراة والإنجيل ● وعن الفراء هم إنما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء ● وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ● فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ● ما أجابوه به عند قوله إني رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله فلما جاءهم بآياتنا وهو مطالبتهم إياه بإحضار البينة على دعواه وإبراز الآية ● إذا هم منها يضحكون أي يسخرون منها ويهزءون بها ويسمونها سحرا ● وإذا للمفاجأة ● فإن قلت كيف جاز أن يجاب لما بإذا المفاجأة قلت لأن فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجئوا وقت ضحكهم ● وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ● فإن قلت إذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فأختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية الآيات قلت أختها التي هي آية مثلها وهذه صفة كل واحدة فكان المعنى على أنها أكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة بعد واحدة كما تقول هو أفضل رجل رأيته تريد تفضيله على أمة الرجال الذين رأيتهم إذا قريتهم رجلا رجلا ● فإن قلت هو كلام متناقض لأن معناه ما من آية من التسع إلا وهي أكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة قلت الغرض بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الأشياء التي تتلاقى في الفضل وتتفاوت منازلها فيه التفاوت اليسير أن تختلف آراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجالا بعضهم أفضل من بعض وربما اختلف آراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل

هذا وتارة يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة ● من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ● مثل النجوم التي يسري بها الساري ● وقد فاضلت الأنمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما أبصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها ● لعلهم يرجعون إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان ● فإن قلت لو أراد رجوعهم لكان ● قلت إرادته فعل غيره ليس إلا أن يأمره به ويطلب منه إيجاده فإن كان ذلك على سبيل القسر وجد وإلا دار بين أن يوجد وبين أن لا يوجد على حسب اختيار المكلف ● وإنما لم يكن الرجوع لأن الإرادة لم تكن قسرا ولم يختاروه ● والمراد بالعذاب السنون والطوفان والجراد وغير ذلك ● وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ● فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ● قرئ يا أيه الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه ● فإن قلت كيف سموه بالساحر مع قولهم إننا لمهتدون ● قلت قولهم إننا لمهتدون وعد منوي إخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط أن يدعو لهم وينكشف عنهم العذاب ألا ترى إلى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون فما كانت تسميتهم إياه بالساحر بمنافية لقولهم إننا لمهتدون ● وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر ● بما عهد عندك بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة ● أو بعهده عندك وهو النبوة ● أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الإيمان والطاعة ● أو بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى ● وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ● ونادى فرعون في قومه جعلهم محلا لندائه وموقعا له والمعنى أنه أمر بالنداء في مجامعهم وأماكنهم من نادى فيها بذلك فأسند النداء إليه كقولك قطع الأمير اللص إذا أمر بقطعه ● ويجوز أن يكون عنده عظماء القبط فرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه في جموع القبط فكأنه نودي به بينهم ● فقال أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار يعني أنهار النيل ومعظمها أربعة ● نهر الملك ● ونهر طولون ● ونهر دمياط ● ونهر تنيس قيل كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه ● وقيل بين يدي في جناني وبساتيني ● ويجوز أن تكون الواو عاطفة للأنهار على ملك مصر وتجري نصبا على الحال منها ● وأن تكون الواو للحال واسم الإشارة مبتدأ والأنهار صفة لاسم الإشارة وتجري خبر للمبتدأ ● وليت شعري كيف ارتقت إلى دعوى الربوبية همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس من مدى عظمته وأمر فنودي بها في أسواق مصر وأزقتها لئلا تخفى تلك الأبهة والجلالة على صغير ولا كبير وحتى يتربع في صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته ● وعن الرشيد أنه لما قرأها قال لأولينها أخس عبيدي فولاها الخصيب وكان على وضوئه ● وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها فخرج إليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال أهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال أليس لي ملك مصر والله لهي أقل عندي من أن أدخلها فثنى عنانه ● أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ● وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ● فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ● أم أنا خير أم هذه متصلة لأن المعنى أفلا تبصرون أم تبصرون إلا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من إنزال السبب منزلة المسبب ● ويجوز أن تكون منقطعة على أنا خير والهمزة للتقرير وذلك أنه قدم تعديد أسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر وجري الأنهار تحته ونادى بذلك وملأ به مسامعهم ثم قال أنا خير كأنه يقول أثبت عندكم واستقر أني أنا خير وهذه حالي ● من هذا الذي هو مهين أي ضعيف حقير ● وقرئ أما أنا خير ● ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة يريد أنه ليس معه من العدد والآلات والملك والسياسة ما يعتضد به وهو في نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللسن والفصاحة وكانت الأنبياء كلهم أبيناء بلغاء وأراد بإلقاء الأسورة عليه إلقاء مقاليد الملك إليه لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب ● مقترنين إما مقترنين به من قولك قرنته به فاقترن به وإما من اقترنوا بمعنى تقارنوا لما وصف نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى عليه الصلاة والسلام فوصفه بالضعف وقلة الأعضاد

أي بسبب قولهم إننا لمختار الهدى على الضلالة ونتبعك ح

قوله ونهر طولون اسم رجل ح

قوله تتربع أي تتمكن ح

قوله في صدور أي قلوب ح

قوله الخصيب أي خادمه ح

قوله مقاليد أي أسبابه وهو جمع مقلاد وهو المفتاح وكان يقال للملك المسور ح

اعرض فقال هلا ان كان نبيا صادقا ملّكه ربه وسوّده وسوّره وجعل الملائكة اعضاده وانصاره • وقرئ أساورة
جمع اسورة واساور جمع اسوار وهو السوار واساورة على تعويض التاء من ياء اساوير • وقرئ ألقي عليه أسورة
واساور على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وتعالى • فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين
فاستخف قومه فاستفزهم وحقيقته حملهم على ان يخفوا له لما اراد منهم وكذلك استفز من قولهم للخفيف
فزّ • فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين • آسفونا منقول من اسف اسفا اذا اشتد غضبه ومنه
الحديث في موت الفجاة رحمة للمؤمن واخذة اسف للكافر • ومعناه انهم افرطوا في المعاصي وعدوا طورهم فاستوجبوا
ان نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وان لا نحلم عنهم • فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين • وقرئ سلفا جمع سالف
كخادم وخدم • وسلفا بضمتين جمع سليف اي فريق قد سلف • وسلفا جمع سلفة اي ثلة قد سلفت
ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل
افعالهم وحديثا عجيب الشان سائرا مسير المثل يحدثون به فيقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون • ولما ضرب ابن
مريم مثلا اذا قومك منه يصدون • لما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبد الله بن الزبعرى يا محمد اخاصة لنا ولآلهتنا ام
لجميع الامم فقال صلى الله عليه وسلم هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال خصمتك ورب الكعبة الست تزعم ان عيسى عليه
الصلوة والسلام نبي وتثني عليه خيرا وعلى امه وقد علمت ان النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون
فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ونزلت هذه الآية • والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم
مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه • اذا قومك قريش • منه من هذا المثل • يصدون
يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدله كما يرتفع
لغط القوم ولجبهم اذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم • واما من قرا يصدون بالضم فمن الصدود اي من اجل هذا المثل يصدون
عن الحق ويعرضون عنه • وقيل من الصديد وهو الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف ويعكف ونظائرهما • وقالوا آلهتنا خير
ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون • ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل
ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون • وقالوا آلهتنا خير ام هو يعنون ان آلهتنا عندك ليست
بخير من عيسى واذا كان عيسى من حصب النار كان امر آلهتنا هينا • ما ضربوه ما ضربوا هذا المثل • لك الا جدلا الا
لاجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب التمييز بين الحق والباطل • بل هم قوم خصمون لد شداد الخصومة دابهم اللجاج
كقوله تعالى قوما لدا وذلك ان قوله تعالى انكم وما تعبدون ما اريد به الا الاصنام وكذلك قوله عليه الصلوة والسلام
هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم انما قصد به الاصنام ومحال ان يقصد به الانبياء والملائكة الا ان ابن الزبعرى بخبثه
وجداله وحبه للمماراة لما راى كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بان المراد به اصنامهم لا غير
وجد للحيلة مساغا فصرف معناه الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريقة اللجاج والجدال وحب المغالبة
والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اجاب عنه ربه تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل به على
ان الآية خاصة في الاصنام على ان ظاهر قوله تعالى وما تعبدون لغير العقلاء • وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل
عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت • وقولهم آلهتنا
خير ام هو على هذا القول تفضيل لآلهتهم على عيسى لان المراد بهم الملائكة • وما ضربوه لك الا جدلا معناه وما قالوا هذا
القول يعني آلهتنا خير ام هو الا للجدل • وقرئ آآلهتنا خير باثبات همزة الاستفهام وباسقاطها لدلالة ام العديلة
عليها • وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه خير ام هذا • ويجوز ان يكون جدلا حالا اي جدلين • وقيل لما نزلت ان مثل
عيسى عند الله قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده وانه يستاهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر

ومعنى يصدون يضجون ويضجرون • والضمير في ام هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه وبين
آلهتهم السخرية والاستهزاء • ويجوز ان يقولوا لما انكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ما قلنا بدعا من القول ولا
فعلنا نكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن اشف منهم قولا وفعلا فانا نسبنا اليه الملائكة
وهم نسبوا اليه الاناسي فقيل لهم مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك مثله وما تنصلكم مما انتم عليه بما
اوردتموه الا باطل ادحض من باطل وما عيسى الا عبد كسائر العبيد • انعمنا عليه حيث جعلناه آية بان خلقناه من غير سبب
كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني اسرائيل • ولو نشاء لقدرتنا على عجائب
الامور وبدائع الفطر • لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من
انثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا ان الملائكة اجسام لا تتولد الا من اجسام وذات القديم
متعالية عن ذلك • وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم • ولا يصدنكم الشيطان
انه لكم عدو مبين • وانه وان عيسى عليه الصلوة والسلام • لعلم للساعة اي شرط من اشراطها تعلم به فسمي الشرط
علما لحصول العلم به • وقرا ابن عباس رضي الله عنهما لعلم وهو العلامة • وقرئ للعلم • وقرا ابي رضي الله
عنه لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كما سمي ما يعلم به علما • وفي الحديث ان عيسى عليه الصلوة والسلام
ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وشعر راسه دهين وبيده حربة
وبها يقتل الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح والامام يؤم بهم فيتاخر الامام فيقدمه عيسى
عليه الصلوة والسلام ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب
البيع ويقتل النصارى الا من آمن به • وعن الحسن رحمه الله ان الضمير للقرآن وان القرآن به تعلم الساعة لان
فيه الاعلام • فلا تمترن بها من المرية وهي الشك • واتبعون واتبعوا هداي وشرعي او رسولي • وقيل هذا امر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقوله • هذا صراط مستقيم اي هذا الذي ادعوكم اليه او هذا القرآن ان جعل الضمير
في وانه للقرآن • عدو مبين قد بانت عداوته لكم اذ اخرج اباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور • ولما جاء
عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون • ان الله هو ربي
وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم • بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل والشرائع البينات الواضحات • بالحكمة يعني الانجيل والشرائع • فان قلت هلا بين لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه • قلت كانوا يختلفون في الديانات وما يتعلق بالتكليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه وانما بعث ليبين لهم ما اختلفوا فيه مما يعنيهم من امر دينهم • فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم • الاحزاب الفرق المتحزبة بعد عيسى عليه الصلوة والسلام • وقيل اليهود والنصارى • فويل للذين ظلموا وعيد للاحزاب • فان قلت من بينهم الى من يرجع الضمير فيه • قلت الى الذين خاطبهم عيسى عليه الصلوة والسلام في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم • هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة وهم لا يشعرون • ان تاتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة • فان قلت اما ادى قوله بغتة مؤدى قوله وهم لا يشعرون فيستغنى عنه • قلت لا لان معنى قوله تعالى بغتة وهم لا يشعرون وتاتيهم وهم غافلون لاشتغالهم بامور دنياهم كقوله تعالى تاخذهم وهم يخصمون • ويجوز ان تاتيهم بغتة وهم بصراء فطنون • الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين • يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون • يومئذ منصوب بعدو اي تنقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين في غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا الا خلة المتصادقين في الله فانها الخلة الباقية المزدادة قوة اذا راوا ثواب التحاب في الله والتباغض في الله • وقيل الا المتقين الا المجتنبين اخلاء السوء • وقيل نزلت في ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط • يا عباد حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ • الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين • الذين آمنوا منصوب المحل صفة لعبادي لانه منادى مضاف اي الذين صدقوا بآياتنا وكانوا مسلمين مخلصين وجوههم لنا

وجوههم لنا جاعلين أنفسهم سالكة لطاعتنا • وقيل إذا بعث الله الناس فزع كل أحد فينادي منادٍ يا عبادي
فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين آمنوا فييأس الناس منها غير المسلمين • وقرئ يا عبادِ • ادخلوا الجنة أنتم
وأزواجكم تحبرون • تسرون سروراً يظهر حباره أي أثره على وجوهكم كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة
النعيم • وقال الزجاج تكرمون إكراماً يبالغ فيه • والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل • يطاف عليهم بصحاف من ذهب
وأكواب وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون • والكوب الكوز لا عروة له • وفيها الضمير للجنة
وقرئ تشتهي وتشتهيه وهذا حصر لأنواع النعم لأنها إما مشتهاة في القلوب أو مستلذة في العيون • وتلك
الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون • وتلك إشارة إلى الجنة المذكورة وهي مبتدأ والجنة خبر والتي أورثتموها
صفة الجنة • أو الجنة صفة للمبتدأ الذي هو اسم الإشارة • والتي أورثتموها خبر المبتدأ • أو التي أورثتموها
صفة • وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف كما في الظروف التي تقع أخباراً • وفي الوجه الأول يتعلق بأورثتموها
وشبهت في بقائها على أهلها بالميراث الباقي على الورثة • وقرئ ورثتموها • لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون
منها تأكلون من للتبعيض أي لا تأكلون إلا بعضها وأعقابها باقية في شجرها فهي مزينة بالثمار أبداً موقرة بها لا ترى
شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا • وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاها
إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون • لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون • وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين
لا يفتر عنهم لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى إذا سكنت عنه قليلاً ونقص حرها • والمبلس اليائس الساكت
سكوت يائس من فرج • وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالداً لا يرى ولا يُرى • هم فصل
عند البصريين عماد عند الكوفيين • وقرئ وهم فيها أي في النار • ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون
وقرأ علي وابن مسعود رضي الله عنهما يا مالِ بحذف الكاف للترخيم كقول القائل • والحق يا مال غير ما تصف • وقيل
لابن عباس إن ابن مسعود قرأ ونادوا يا مال فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم • وعن بعضهم حسن الترخيم أنهم
يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه • وقرأ أبو السرار الغنوي يا مالُ بالرفع كما يقال يا حارُ • ليقض علينا
من قضى عليه إذا أماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك أن يقضي علينا • فإن قلت كيف قال
ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالإبلاس • قلت تلك أزمنة متطاولة وأحقاب ممتدة فتختلف بهم الأحوال
فيسكتون أوقاتاً لغلبة اليأس عليهم وعلمهم أنه لا فرج ويغوثون أوقاتاً لشدة ما بهم • ماكثون لابثون وفيه استهزاء
والمراد خالدون • عن ابن عباس رضي الله عنهما إنما يجيبهم بعد ألف سنة • وعن النبي صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل
النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكاً فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك • لقد جئناكم
بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون • لقد جئناكم كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ لقد جئتكم • ويجب أن يكون
في قال ضمير الله عز وجل لما سألوا مالكاً أن يسأل الله القضاء عليهم أجابهم الله بذلك • كارهون لا تقبلونه وتنفرون
منه وتشمئزون منه لأن مع الباطل الدعة ومع الحق التعب • أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون • أم أبرم مشركو
مكة أمراً من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم • فإنا مبرمون كيدنا كما أبرموا كيدهم كقوله تعالى أم يريدون
كيداً فالذين كفروا هم المكيدون • وكانوا يتنادون فيتناجون في أنديتهم في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم • أم يحسبون
أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون • فإن قلت ما المراد بالسر والنجوى • قلت السر ما حدث
به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال • والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم • بلى نسمعهما ونطلع عليهما • ورسلنا يريد الحفظة
عندهم يكتبون ذلك • وعن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله من ستر من الناس ذنوبه وأبداها للذي لا يخفى عليه شيء
في السماوات فقد جعله أهون الناظرين إليه وهو من علامات النفاق • قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين
إن كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها • فأنا أول من يعظم ذلك الولد
وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض

والقيل

والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والإطناب فيه وأن لا يترك الناطق به شبهة إلا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات
القدم في باب التوحيد وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالاً مثلها فهو في صورة
إثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها ونظيره أن يقول العدلي للمجبر إن كان الله تعالى خالقاً للكفر في
القلوب ومعذباً عليه عذاباً سرمداً فأنا أول من يقول هو شيطان وليس بإله فمعنى هذا الكلام وما وضع له أسلوبه
ونظمه نفي أن يكون الله تعالى خالقاً للكفر وتنزيهه عن ذلك وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا مع الدلالة
على سماجة المذهب وضلالة الذاهب إليه والشهادة القاطعة بإحالته والإفصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية
النفار والاشمئزاز من ارتكابه • ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير رحمه الله للحجاج حين قال له والله لأبدلنك بالدنيا ناراً
تلظى لو عرفت أن ذلك إليك ما عبدت إلهاً غيرك • وقد تمحل الناس بما أخرجوه به من هذا الأسلوب الشريف المليء بالنكت
والفوائد المستقل بإثبات التوحيد على أبلغ وجوهه فقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله
المكذبين قولكم بإضافة الولد إليه • وقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد • من عَبِدَ يعبد
إذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد • وقرأ بعضهم العَبِدين • وقيل هي إن النافية أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك
وعبد ووحد • وروي أن النضر بن عبد الدار بن قصي قال إن الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألا
ترون أنه صدقني فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة
أن لا ولد له • وقرئ وُلْد بضم الواو • سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون • فذرهم يخوضوا
ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون • ثم نزه ذاته موصوفاً بربوبية السماوات والأرض والعرش عن اتخاذ
الولد ليدل على أنه من صفة الأجسام ولو كان جسماً لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير أمره • فذرهم يخوضوا
في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم وهذا دليل على أن ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب
وإعلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون البتة وإن ركب في دعوتهم كل
صعب وذلول وخذلان لهم وتخلية كقوله عز وجل اعملوا ما شئتم وإيعاد بالشقاء في العاقبة • وهو الذي في
السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم • ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في
قوله في السماء وفي الأرض كما تقول هو حاتم في طي حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كأنك قلت هو
جواد في طي جواد في تغلب • وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله ومثله قوله عز وعلا وهو الله في السماوات
وفي الأرض كأنه ضمن معنى المعبود أو المالك أو نحو ذلك • والراجع إلى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما أنا بالذي قائل
لك شيئاً وزاده طولاً أن المعطوف داخل في حيز الصلة • ويحتمل أن يكون في السماء صلة الذي وإله خبر مبتدأ محذوف
على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه في السماء على سبيل الإلهية والربوبية لا على معنى الاستقرار وفيه نفي الآلهة التي كانت
تعبد في الأرض • وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون •
ترجعون قرئ بضم التاء وفتحها ويرجعون بياء مضمومة • وقرئ تحشرون بالتاء • ولا يملك الذين يدعون من دونه
الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون • ولا يملك آلهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم
عند الله ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وإيقان وإخلاص هو الذي يملك الشفاعة وهو
استثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلاً لأن في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة • وقرئ تدعون بالتاء وتدّعون
بالتاء وتشديد الدال • ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون • وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون
فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون • وقيله قرئ بالحركات الثلاث • وذكر في النصب عن الأخفش أنه حمله على
أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم • وقيله وعنه وقال قيله • وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت من ضرب
زيد وعمراً • وحمل الجر على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما بعده وجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف
المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله • والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه

عليه بما لا يحسن اعتراضا مع تنافر النظم واقوى من ذلك واوجه ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه
قال الرضي على قولهم ايمن الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله تعالى ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم كانه قيل واقسم بقيله
يا رب او وقيله يا رب قسمي ان هؤلاء قوم لا يؤمنون • فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودعهم
وتاركهم وقل لهم سلام اي تسلم منكم ومتاركة • فسوف يعلمون وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله • والضمير في
وقيله لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه • عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين • انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين
فيها يفرق كل امر حكيم • الواو في والكتاب واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف او اسما للسورة مرفوعا على خبر
الابتداء المحذوف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها • وقوله تعالى انا انزلناه جواب القسم • والكتاب المبين القرآن
والليلة المباركة ليلة القدر • وقيل ليلة النصف من شعبان ولها اربعة اسماء • الليلة المباركة • وليلة البراءة
وليلة الصك • وليلة الرحمة • وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة • وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصك
ان البندار اذا استوفى الخراج من اهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة • وقيل
هي مختصة بخمس خصال تفريق كل امر حكيم وفضيلة العبادة فيها • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه
الليلة مائة ركعة ارسل الله تعالى اليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون
يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكائد الشيطان ونزول الرحمة • قال صلى الله عليه وسلم ان الله يرحم
امتي في هذه الليلة بعدد شعر اغنام بني كلب وحصول المغفرة • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يغفر لجميع المسلمين
في تلك الليلة الا لكاهن او ساحر او مشاحن او مدمن خمر او عاق للوالدين او مصر على الزنا • وما اعطي فيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم من تمام الشفاعة وذلك انه سال ليلة الثالث عشر من شعبان في امته فاعطي الثلث منها ثم سال ليلة
الرابع عشر فاعطي الثلثين ثم سال الخامس عشر فاعطي الجميع الا من شرد على الله شراد البعير • ومن عادة الله في هذه
الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة • والقول الاكثر ان المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى انا
انزلناه في ليلة القدر ولمطابقة قوله فيها يفرق كل امر حكيم لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر
وقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن • وليلة القدر في اكثر الاقاويل في شهر رمضان **فان قلت** ما معنى انزال
القرآن في ليلة القدر **قلت** قالوا انزل جملة واحدة من السماء السابعة الى السماء الدنيا وامر السفرة الكرام بانتساخه
في ليلة القدر وكان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما **فان قلت**
انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم ما موقع هاتين الجملتين **قلت** هما جملتان مستانفتان ملفوفتان
فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله انا انزلناه في ليلة مباركة كانه قيل انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير من
العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل امر حكيم
والمباركة الكثيرة الخير لما ينزل الله فيها من الامور التي يتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها
الا انزال القرآن لكفى به بركة • ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وامورهم
منها الى الاخرى القابلة • وقيل يبدا في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر
فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبرائيل عليهما الصلاة والسلام وكذلك الزلازل والصواعق والخسف
ونسخة الاعمال الى اسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم • ونسخة المصائب الى ملك الموت • وعن بعضهم يعطى
كل عامل بركات اعماله فيلقى على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته • وقرئ يفرق بالتشديد • ويفرق على

بنائه للفاعل

بنائه للفاعل ونصبه كل والفارق الله عز وجل وقرا زيد بن علي رضي الله عنهما نفرق بالنون كل امر حكيم كل
شان ذي حكمة اي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة
ووصف الامر به مجاز • امرا من عندنا انا كنا مرسلين • رحمة من ربك انه هو السميع العليم • رب السموات
والارض وما بينهما ان كنتم موقنين • لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين •
بل هم في شك يلعبون • امرا من عندنا نصب على الاختصاص جعل كل امر حكيم جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده
جزالة وكسبه فخامة بان قال اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا
ويجوز ان يراد به الامر الذي هو ضد النهي ثم اما ان يوضع موضع فرقانا الذي هو مصدر يفرق لان معنى الامر والفرقان
واحد من حيث انه اذا حكم بالشيء وكتبه فقد امر به واوجبه او يكون حالا من احد الضميرين في انزلناه اما من ضمير
الفاعل اي انزلناه آمرين امرا او من ضمير المفعول اي انزلناه في حال كونه امرا من عندنا بما يجب ان يفعل **فان قلت**
انا كنا مرسلين رحمة من ربك بم يتعلق **قلت** يجوز ان يكون بدلا من قوله تعالى انا كنا منذرين • ورحمة من ربك
مفعول له على معنى انا انزلنا القرآن لان من شاننا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم • وان يكون
تعليلا ليفرق او لقوله امرا من عندنا ورحمة مفعولا به • وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به في قوله
تعالى وما يمسك فلا مرسل له من بعده اي يفصل في هذه الليلة كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من
عادتنا ان نرسل رحمتنا وفصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها من باب الرحمة وكذلك الاوامر الصادرة من
جهتنا عز وعلا لان الغرض في تكليف العباد تعريضهم للمنافع والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر
موضع الضمير ايذانا بان الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين • وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما امر من
عندنا على هو امر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص • وقرا الحسن رحمه الله رحمة من ربك وهي تنصر
انتصابه على الاختصاص • وقرا الحسن رحمه الله رحمة من ربك وهي تنصر انتصابها بانها مفعول له انه هو
السميع العليم وما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه اوصافه • وقرئ رب السموات ربكم ورب
آبائكم بالجر بدلا من ربك **فان قلت** ما معنى الشرط الذي هو قوله ان كنتم موقنين **قلت** كانوا يقرون بان
للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع
العليم الذي انتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول
هذا انعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه واشتهر سخاؤه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم رد ان يكونوا
موقنين بقوله بل هم في شك يلعبون • وان اقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط
بهزو ولعب • فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين • يوم تاتي السماء مفعول به مرتقب يقال رقبته
وارتقبته نحو نظرته وانتظرته • واختلف في الدخان فعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وبه اخذ الحسن انه دخان
ياتي من السماء قبل يوم القيمة يدخل في اسماع الكفرة حتى يكون راس الواحد كالراس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة
الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الآيات
الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر • قال حذيفة يا رسول الله وما
الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة
اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره • وعن ابن مسعود رضي الله
عنه خمس قد مضت الروم والدخان والقمر والبطشة واللزام • ويروى انه قيل لابن مسعود ان قاصا عند ابواب
كندة يقول انه دخان ياتي يوم القيمة فياخذ بانفاس الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم
فان من علم الرجل ان يقول لشيء لا يعلمه الله اعلم ثم قال الا وساحدثكم ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف

والعلوم وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فمشى إليه أبو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا إلى شركهم ● بدخان مبين ظاهر حاله لا يشك أحد في أنه دخان ● يغشى الناس هذا عذاب أليم ● ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ● يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة للدخان وهذا عذاب إلى قوله مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال أي قائلين ذلك إنا مؤمنون موعدة بالإيمان إن كشف عنهم العذاب ● أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ● ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون ● إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون ● أنى لهم الذكرى كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل في وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بأن عداسا غلاما أعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه إلى الجنون ● ثم قال إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون أي ريثما نكشف عنكم العذاب تعودون إلى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما أنتم عليه من التضرع والابتهال ● فإن قلت كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيامة قوله تعالى إنا كاشفو العذاب قليلا ● قلت إذا أتت السماء بالدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون منيبون فيكشفه الله عنهم بعد أربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون ● يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون ● ثم قال يوم نبطش البطشة الكبرى يريد يوم القيامة كقوله تعالى فإذا جاءت الطامة الكبرى إنا منتقمون أي ننتقم منهم في ذلك اليوم ● فإن قلت بم انتصب يوم نبطش ● قلت بما دل عليه إنا منتقمون وهو ننتقم ولا يصح أن ينتصب بمنتقمون لأن إن تحجب عن ذلك ● وقرئ نبطش بضم الطاء ● وقرأ الحسن نبطش بضم النون كأنه تعالى يحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى أو يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم ● وقيل البطشة الكبرى يوم بدر ● ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ● أن أدوا إلي عباد الله إني لكم رسول أمين ● وقرئ ولقد فتنا بالتشديد للتأكيد أو لوقوعه على القوم ● ومعنى الفتنة أنه أمهلهم ووسع عليهم في الرزق فكان ذلك سببا في ارتكابهم المعاصي واقترافهم الآثام أو ابتلاهم بإرسال موسى عليه الصلاة والسلام إليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الإيمان ● أو سلبهم ملكهم وأغرقهم ● كريم على الله وعلى عباده المؤمنين أو كريم في نفسه لأن الله لم يبعث نبيا إلا من سراة قومه وكرامهم ● أن أدوا إلي هي أن المفسرة لأن مجيء الرسول من بعث إليهم متضمن لمعنى القول لأنه لا يجيئهم إلا مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله أو المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بأن الشأن والحديث أدوا إلي ● وعباد الله مفعول به وهم بنو إسرائيل يقول أدوهم إلي وأرسلوهم معي كقوله تعالى فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم ● ويجوز أن يكون نداء لهم على أدوا إلي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الإيمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي وعلل ذلك بأنه رسول أمين غير ظنين قد ائتمنه الله تعالى على وحيه ورسالته ● وأن لا تعلوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين ● وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون ● وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون ● فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون ● وأن لا تعلوا أن هذه مثل الأولى في وجهيها أي لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه أو لا تستكبروا على نبي الله ● بسلطان مبين بحجة واضحة ● أن ترجمون أن تقتلوني ● وقرئ عت بالإدغام ومعناه أنه عائذ بربه متكل على أنه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من الرجم والقتل ● فاعتزلون يريد إن لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن فتنحوا عني واقطعوا أسباب الوصلة عني أو فخلوني كفافا لا لي ولا علي ولا تتعرضوا لي بشركم وأذاكم فليس جزاء من دعاكم إلى ما فيه فلاحكم ذلك ● أن هؤلاء بأن هؤلاء أي دعا بهذا قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه بإجرامهم ● وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ● وإنما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك وهو كونهم مجرمين ● وقرئ إن هؤلاء بالكسر على إضمار القول أي فدعا ربه فقال إن هؤلاء ● فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون ● واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون ● كم تركوا من جنات

وعيون

وعيون ● وزروع ومقام كريم ● ونعمة كانوا فيها فاكهين ● كذلك وأورثناها قوما آخرين ● فأسر وقرئ بقطع الهمزة من أسرى ووصلها من سرى وفيه وجهان إضمار القول بعد الفاء فقال أسر بعبادي وأن يكون جواب شرط محذوف كأنه قيل إن كان الأمر كما تقول فأسر بعبادي يعني فأسر ببني إسرائيل فقد دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين ● الرهو فيه وجهان ● أحدهما أنه الساكن ● قال الأعشى يمشين رهوا فلا الأعجاز خاذلة ● ولا الصدور على الأعجاز تتكل ● أي مشيا ساكنا على هينة ● أراد موسى عليه الصلاة والسلام لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق فأمر بأن يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فإذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم والثاني أن الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب أنه رأى جملا فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين أي اتركه مفتوحا على حاله منفرجا ● إنهم جند ● وقرئ بالفتح بمعنى لأنهم ● والمقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر ● والنعمة بالفتح من التنعم وبالكسر من الإنعام ● وقرئ فاكهين وفكهين ● كذلك الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها ● وأورثناها أو في موضع الرفع على الأمر كذلك ● قوما آخرين ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو إسرائيل كانوا مستعبدين في أيديهم فأهلكهم الله وأورثهم ملكهم وديارهم ● فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ● إذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والأرض وبكته الريح وأظلمت له الشمس ● وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض ● وقال جرير تبكي عليك نجوم الليل والقمرا ● وقالت الخارجية ● أيا شجر الخابور ما لك مورقا ● كأنك لم تجزع على ابن طريف ● وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما من بكاء مصلى المؤمن وآثاره في الأرض ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء تمثيل ونفى ذلك عنهم في قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والأرض فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والأرض ● وعن الحسن رحمه الله فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى عليهم أهل السماء والأرض ● وما كانوا منظرين لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا إلى وقت آخر ولم يمهلوا إلى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا ● ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين ● من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين ● من فرعون بدل من العذاب المهين كأنه في نفسه كان عذابا مهينا لإفراطه في تعذيبهم وإهانتهم ● ويجوز أن يكون حالا من المهين بمعنى واقعا من جهة فرعون ● وقرئ من عذاب المهين ووجهه أن يكون تقدير قوله من فرعون من عذاب فرعون حتى يكون المهين هو فرعون ● وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله إنه كان عاليا من المسرفين أي كبيرا رفيع الطبقة من بينهم فائقا لهم بليغا في إسرافهم أو عاليا متكبرا كقوله تعالى إن فرعون علا في الأرض ومن المسرفين خبر ثان كأنه قيل إنه كان متكبرا مسرفا ● ولقد اخترناهم على علم على العالمين ● وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين ● الضمير في اخترناهم لبني إسرائيل ● وعلى علم في موضع الحال أي عالمين بمكان الخيرة وبأنهم أحقاء بأن يختاروا ● ويجوز أن يكون المعنى مع علمنا بأنهم يزيغون ويفرط منهم الفرطات في بعض الأحوال ● على العالمين على عالمي زمانهم ● وقيل على الناس جميعا لكثرة الأنبياء منهم ● من الآيات من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات العظام التي لم يظهر الله في غيرهم مثلها ● بلاء مبين نعمة ظاهرة لأن الله تعالى يبلو بالنعمة أو اختبار ظاهر لننظر كيف تعملون كقوله تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ● إن هؤلاء ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين ● فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين ● هؤلاء إشارة إلى كفار قريش ● فإن قلت كان الكلام واقعا في الحياة الثانية لا في الموت فهلا قيل إن هي إلا حياتنا الأولى وما نحن بمنشرين كما قيل إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله إن هي إلا موتتنا الأولى وما معنى

ذكر الاولى كانهم وعدوا موتة اخرى حتى نفوها وجحدوها واثبتوا الاولى • قلت معناه والله الموفق للصواب انه
قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حياة كما تقدمتكم موتة تعقبتها حيوة وذلك قوله عز وجل وكنتم امواتا فاحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التي من شانها ان يتعقبها حيوة الا الموتة الاولى دون
الموتة الثانية وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقب الحيوة لها الا للموتة الاولى خاصة فلا فرق اذا بين هذا
وبين قوله ان هي الا حياتنا الدنيا في المعنى • يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم • فاتوا بآبائنا خطاب للذين
يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين اي ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك
حتى يكون دليلا على ان ما تعدوننا من قيام الساعة وبعث الموتى حق • وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله فينشر لهم قصي
كلاب ليشاوروه فانه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشؤون • اهم خير ام قوم تبع والذين من
قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين • وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين • ما خلقناهما
الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون • هو تبع الحميري كان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه
وهو الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان اذا كتب قال بسم الله الذي ملك برا وبحرا • وعن النبي
صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم • وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي
• وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان نبيا • وقيل نظر الى قبرين بناحية حمير قال هذا قبر رضوى وقبر حبى بنتي تبع لا
تشركان بالله شيئا • وقيل هو الذي كسى البيت • وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون
وسمي الظل تبعا لانه يتبع الشمس • فان قلت ما معنى قوله اهم خير ولا خير في الفريقين قلت معناه اهم خير في
القوة والمنعة كقوله تعالى اكفاركم خير من اولئكم بعد ذكر آل فرعون • وفي تفسير ابن عباس رضي الله عنهما اهم اشد ام
قوم تبع • وما بينهما وما بين الجنسين • وقرأ عبيد بن عمير وما بينهن • ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين • يوم
لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون • الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم • وقرئ ميقاتهم
بالنصب على انه اسم ان • ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل • ولا يغني مولى اي مولى
كان من قرابة او غيرها • عن مولى اي مولى كان • شيئا من اغناء اي قليلا منه • ولا هم ينصرون الضمير للموالي لانهم في
المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى • من رحم الله في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون اي لا يمنع
من العذاب الا من رحمه الله • ويجوز ان ينتصب على الاستثناء • انه هو العزيز لا ينتصر منه من عصاه • الرحيم لمن اطاعه
ان شجرة الزقوم طعام الاثيم • كالمهل يغلي في البطون • كغلي الحميم • خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم
وقرئ ان شجرة الزقوم بكسر الشين وفيها ثلاث لغات شجرة بفتح الشين وكسرها • وشيرة بالياء • وروي انه لما نزل
اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم قال ابن الزبعرى ان اهل اليمن يدعون اكل الزبد والتمر التزقم فدعا ابو جهل بتمر وزبد فقال
تزقموا فان هذا هو الذي يخوفكم به محمد فنزل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وهو الفاجر الكثير الآثام • وعن ابي الدرداء رضي الله
عنه انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على ان ابدال كلمة
مكان كلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه اجاز ابو حنيفة رضي الله عنه القراءة بالفارسية
على شريطة وهي ان يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير ان يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة
تشهد انها اجازة كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه
واساليبه من لطائف المعاني والاغراض ما لا يستقل باداءه لسان من فارسية وغيرها وما كان ابو
حنيفة يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر • وروى علي بن الجعد عن ابي يوسف عن ابي
حنيفة مثل قول صاحبيه في انكار القراءة بالفارسية • كالمهل قرئ بضم الميم وفتحها وهو دردي الزيت
ويدل عليه قوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل مع قوله فكانت وردة كالدهان • وقيل هو ذائب الفضة والنحاس
والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك يغلي • وقرئ بالتاء للشجرة وبالياء للطعام • والحميم الماء الحار الذي

انتهى غليانه

انتهى غليانه • يقال للزباني خذوه فاعتلوه فقودوه بعنف وغلظة وهو ان يؤخذ بتلبيب الرجل
فيجر الى حبس او قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافي • وقرئ بكسر التاء وضمها • الى سواء الجحيم الى وسطها
ومعظمها • ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم • ذق انك انت العزيز الكريم • ان هذا ما كنتم به تمترون
فان قلت هلا قيل صبوا فوق راسه من الحميم كقوله يصب من فوق رؤوسهم الحميم لان الحميم
هو المصبوب لا عذابه قلت اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته الا ان صب العذاب
طريقة الاستعارة كقوله صبت عليه صروف الدهر من صبب • وكقوله تعالى افرغ علينا صبرا فذكر العذاب
معلقا به الصب مستعارا له ليكون اهول واهيب • يقال للعاتي ذق انك انت العزيز الكريم على سبيل الهزء والتهكم بمن كان
يتعزز ويتكرم على قومه • وروي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني
فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا • وقرئ انك بمعنى لانك • وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما
[illegible] ان هذا العذاب او ان هذا الامر هو ما كنتم به تمترون اي تشكون او تتمارون وتتلاحون
ان المتقين في مقام امين • في جنات وعيون • يلبسون من سندس واستبرق متقابلين • قرئ
في مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى العموم • وبالضم وهو
موضع الاقامة • والامين من قولك امن الرجل امانة فهو امين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة
لان المكان المخيف كانما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره • قيل السندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ
منه وهو تعريب استبره • فان قلت كيف ساغ ان يقع في القرآن العربي المبين لفظ اعجمي قلت اذا عرب
خرج من ان يكون عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب
كذلك وزوجناهم بحور عين • يدعون فيها بكل فاكهة امنين • لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى
ووقاهم عذاب الجحيم • الكاف مرفوعة على الامر كذلك او منصوبة على مثل ذلك اثبناهم وزوجناهم
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم
[illegible]
فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون • فارتقب انهم مرتقبون
[illegible]
[illegible]
[illegible]

سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم • ان في السموات
والارض لآيات للمؤمنين • وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون • واختلاف الليل والنهار
وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون • حم
ان جعلتها اسما للسورة مبتدأ مخبرا عنه بتنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب ومن صلة

للتنزيل. وإن جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا. إن في السموات والأرض يجوز أن يكون على ظاهره، وأن يكون المعنى إن في خلق السموات لقوله وفي خلقكم. **فإن قلت** علام عطف وما يبث أعلى الخلق المضاف أم على الضمير المضاف إليه؟ **قلت** بل على المضاف لأن المضاف إليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه، استقبحوا أن يقال مررت بك وزيد، وهذا أبوك وعمرو، وكذلك إن أكدوه كرهوا أن يقولوا مررت بك أنت وزيد. قرئ آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك إن زيدا في الدار وعمرا في السوق أو عمرو في السوق. وأما قوله آيات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت، فالعاملان إذا نصبت إن وفي، أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب في آيات، وإذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي، عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: وفي اختلاف الليل والنهار. **فإن قلت** العطف على عاملين على مذهب الأخفش سديد لا مقال فيه، وقد أباه سيبويه، فما وجه تخريج الآية عنده؟ **قلت** فيه وجهان: أن يكون على إضمار في، والذي حسنه تقدم ذكره في الآيتين قبلها، ويعضده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه. والثاني أن ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبلها أو على التكرير، ورفعها بإضمار هي. وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع. وقرئ آية، وكذلك وما يبث من دابة آية. وقرئ وتصريف الريح. والمعنى أن المنصفين من العباد إذا نظروا في السموات والأرض النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع، فآمنوا بالله وأقروا، فإذا نظروا في خلق أنفسهم وتنقلها من حال إلى حال وهيئة إلى هيئة، وفي خلق ما على ظهر الأرض من صنوف الحيوان، ازدادوا إيمانا وأيقنوا وانتفى عنهم اللبس، فإذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار وحياة الأرض بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم. وسمي المطر رزقا لأنه سبب الرزق.

تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين

تلك إشارة إلى الآيات المتقدمة، أي تلك الآيات آيات الله. ونتلوها في محل الحال، أي متلوة عليك بالحق، والعامل ما دل عليه تلك من معنى الإشارة، ونحوه وهذا بعلي شيخا. وقرئ يتلوها بالياء. بعد الله وآياته أي بعد آيات الله، كقولهم أعجبني زيد وكرمه، يريدون أعجبني كرم زيد. ويجوز أن يراد بعد حديث الله وهو كتابه وقرآنه، كقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا. وقرئ يؤمنون بالياء والتاء. والأفاك الكذاب. والأثيم المتبالغ في اقتراف الآثام. يصر يقبل على كفره ويقيم عليه، وأصله من إصرار الحمار على العانة وهو أن ينحي عليها صارا أذنيه. مستكبرا عن الإيمان بالآيات والإذعان لما تنطق به من الحق، مزدريا لها معجبا بما عنده. قيل نزلت في النضر بن الحارث وما كان يشتري من أحاديث الأعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن. والآية عامة في كل من كان مضارا لدين الله. **فإن قلت** ما معنى ثم في قوله ثم يصر مستكبرا؟ **قلت** كمعناه في قول القائل: يرى غمرات الموت ثم يزورها. وذلك أن غمرات الموت حقيقة بأن ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها، وأما زيارتها والإقدام على مزاولتها فأمر مستبعد، فمعنى ثم الإيذان بأن فعل المقدم عليها بعد ما رآها وعاينها شيء يستبعد في العادات والطباع، وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول إصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الإيمان بها. كأن مخففة، والأصل كأنه لم يسمعها، والضمير ضمير الشأن كما في قوله: كأن ظبية تعطو إلى ناضر السلم. ومحل الجملة النصب على الحال، أي يصر مثل غير السامع. وإذا بلغه شيء من آياتنا وعلم أنه منها اتخذها، أي اتخذ الآيات هزوا، ولم يقل اتخذه للإشعار بأنه إذا أحس بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات التي أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه. ويحتمل وإذا علم من آياتنا شيئا يمكن أن يتشبث به المعاند ويجعله محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ آيات الله هزوا، وذلك نحو افتراص ابن الزبعرى قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله

افترصه

حصب جهنم ومغالطته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله خصمتك. ويجوز أن يرجع الضمير إلى شيء لأنه في معنى الآية، كقول أبي العتاهية: نفسي بشيء من الدنيا معلقة، الله والقائم المهدي يكفيها، حيث أراد عتبة. وقرئ علم. أولئك إشارة إلى كل أفاك أثيم لشموله الأفاكين.

من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم

والوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف أو قدام، قال: أليس ورائي إن تراخت منيتي، أدب مع الولدان أزحف كالنسر. ومنه قوله عز وجل من ورائهم أي من قدامهم. ما كسبوا من الأموال في رحلهم ومتاجرهم، ولا ما اتخذوا من دون الله من الأوثان. هذا إشارة إلى القرآن، يدل عليه قوله تعالى والذين كفروا بآيات ربهم، لأن آيات ربهم هي القرآن، أي هذا القرآن كامل في الهداية، كما تقول زيد رجل تريد كامل في الرجولية وأيما رجل. والرجز أشد العذاب. وقرئ بجر أليم ورفعه.

الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون

ولتبتغوا من فضله بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري وغير ذلك من منافع البحر.

وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون

فإن قلت ما معنى منه في قوله تعالى جميعا منه، وما موقعها من الإعراب؟ **قلت** هي واقعة موقع الحال، والمعنى أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه وحاصلة من عنده، يعني أنه مكونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه. ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هي جميعا منه، وأن يكون وسخر لكم تأكيدا لقوله سخر لكم، ثم ابتدئ قوله ما في السموات وما في الأرض جميعا منه، وأن يكون وما في الأرض مبتدأ ومنه خبره. وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما منة، وقرأ سلمة بن محارب منه، على أن يكون منه فاعل سخر على الإسناد المجازي، أو على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي ذلك أو هو منه.

قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون

حذف المقول لأن الجواب دال عليه، والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا. لا يرجون أيام الله لا يتوقعون وقائع الله بأعدائه، من قولهم لوقائع العرب أيام العرب. وقيل لا يأملون الأوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها. قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها. وقيل نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد شتمه رجل من غفار فهم أن يبطش به. وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه: كنا بين يدي عمر بن الخطاب فقرأ هذه الآية فقال عمر: ليجزي عمر بما صنع. ليجزي تعليل للأمر بالمغفرة، أي إنما أمروا بأن يغفروا لما أراده الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة. **فإن قلت** قوله قوما ما وجه تنكيره، وإنما أراد الذين آمنوا وهم معارف؟ **قلت** هو مدح لهم وثناء عليهم، كأنه قيل ليجزي أيما قوم وقوما مخصوصين بصبرهم وإغضائهم على أذى أعدائهم من الكفار وعلى ما كانوا يجرعونهم من الغصص. بما كانوا يكسبون من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه. ومعنى قول عمر رضي الله عنه ليجزي عمر بما صنع ليجزي بصبره واحتماله. وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول الآية: والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي. وقرئ لنجزي قوما، أي الله عز وجل، وليجزى قوم، وليجزى قوما على معنى وليجزى الجزاء قوما.

ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين

الكتاب التوراة. والحكم الحكمة والفقه، أو فصل الخصومات بين الناس، لأن الملك كان فيهم والنبوة. من الطيبات مما أحل الله لهم وأطاب من الأرزاق. وفضلناهم على العالمين حيث لم نؤت غيرهم مثل ما آتيناهم.

وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين

بينات آيات ومعجزات من الأمر من أمر الدين، فما وقع بينهم الخلاف في الدين إلا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال

الخلاف وهو العلم وإنما اختلفوا لبغي حدث بينهم أي لعداوة وحسد ● على شريعة على طريقة
ومنهاج ● من الأمر من أمر الدين ● فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهواء
الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع إلى دين آبائك ● ولا توالهم إنما
يوالي الظالمين من هو ظالم مثلهم وأما المتقون فوليهم الله وهم موالوه وما أبين الفصل بين الولايتين
هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ● هذا القرآن بصائر للناس جعل ما فيه من معالم
الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحياة ● وهو هدى من الضلالة ● ورحمة
من العذاب لمن آمن وأيقن ● وقرئ هذه بصائر أي هذه الآيات ● أم حسب الذين اجترحوا
السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ●
أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها إنكار الحسبان ● والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح ● وفلان جارحة
أهله أي كاسبهم ● أن نجعلهم أن نصيرهم وهو من جعل المتعدي إلى مفعولين فأولهما الضمير والثاني
الكاف والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم بدل من الكاف لأن الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد
ألا ترى لو قلت أن نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا أبوه منطلق ● ومن قرأ
سواء بالنصب أجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة
ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم أي سواء في محياهم وفي مماتهم
والمعنى إنكار أن يستوي المسيئون والمحسنون محيا وأن يستووا مماتا لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء
على القيام بالطاعات وأولئك على ركوب المعاصي ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول إلى ثواب
الله ورضوانه وأولئك على اليأس من رحمة الله والوصول إلى هول ما أعد لهم ● وقيل معناه إنكار أن يستووا في
الممات كما استووا في الحياة لأن المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وإنما يفترقون في الممات ● وقيل
سواء محياهم ومماتهم كلام مستأنف على معنى أن محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم
كل يموت على حسب ما عاش عليه ● وعن تميم الداري رضي الله عنه أنه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية
فجعل يبكي ويردد إلى الصباح ساء ما يحكمون ● وعن الفضيل أنه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري
من أي الفريقين أنت ● وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ●
ولتجزى معطوف على بالحق لأن فيه معنى التعليل أو على معلل محذوف تقديره خلق الله السموات والأرض ليدل بها
على قدرته ● أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره
غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ● أي هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه إليه فكأنه
يعبده كما يعبد الرجل إلهه ● وقرئ آلهة هواه لأنه كان يستحسن الحجر فيعبده فإذا رأى ما هو أحسن
رفضه إليه فكأنه اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها ● وأضله الله على علم وتركه عن الهداية
واللطف وخذله على علم عالما بأن ذلك لا يجدي عليه وأنه ممن لا لطف له ● أو مع علمه بوجوه الهداية وإحاطته
بأنواع الألطاف المحصلة والمقربة ● فمن يهديه من بعد إضلال الله ● وقرئ غشاوة بالحركات الثلاث
وغشوة بالكسر والفتح ● وقرئ تتذكرون ● وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا
إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ● نموت ونحيا نموت نحن ونحيا ببقاء أولادنا ● أو يموت بعض
ويحيا بعض ● أو نكون مواتا نطفا في الأصلاب ونحيا بعد ذلك أو يصيبنا الأمران الموت والحياة يريدون
الحياة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة ● وقرئ نحيا بضم النون ● وقرئ إلا دهر يمر وما يقولون ذلك
عن علم ولكن عن ظن وتخمين كانوا يزعمون أن مرور الأيام والليالي هو المؤثر في هلاك الأنفس وينكرون ملك الموت
وقبضه الأرواح بأمر الله تعالى وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث إلى الدهر والزمان وترى أشعارهم ناطقة

بشكوى الزمان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر أي فإن الله هو الآتي بالحوادث
وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين ●
قرئ حجتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتأخيره ● **فإن قلت** لم سمي قولهم حجة وليس بحجة **قلت**
لأنهم أدلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم أو لأنه في حسبانهم وتقديرهم
حجة أو لأنه في أسلوب قوله ● تحية بينهم ضرب وجيع ● كأنه قيل ما كان حجتهم إلا ما ليس بحجة والمراد نفي أن تكون
لهم حجة البتة ● قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ●
فإن قلت كيف وقع قوله قل الله يحييكم جوابا لقولهم ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين **قلت** لما أنكروا
البعث وكذبوا الرسل وحسبوا أن ما قالوه قول مبكت ألزموا ما هم مقرون به من أن الله عز وجل هو الذي يحييهم ثم يميتهم
وضم إلى إلزام ذلك إلزام ما هو واجب الإقرار به إن أنصفوا وأصغوا إلى داعي الحق وهو جمعهم إلى يوم القيامة ومن كان قادرا
على ذلك كان قادرا على الإتيان بآبائهم وكان أهون شيء عليه ● ولله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة
يومئذ يخسر المبطلون ● وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون ●
عامل النصب في يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم ● جاثية باركة على الركب ● وقرئ جاذية والجذو
أشد استيفازا من الجثو لأن الجاذي هو الذي يجلس على أطراف أصابعه ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاثية مجتمعة
● وعن قتادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثى ● وفي الحديث من جثى جهنم ● وقرئ كل أمة تدعى على الإبدال
من كل أمة ● إلى كتابها إلى صحائف أعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله ووضع الكتاب فترى المجرمين
مشفقين مما فيه ● اليوم تجزون محمول على القول ● **فإن قلت** كيف أضيف الكتاب إليهم وإلى الله عز وجل **قلت**
الإضافة تكون للملابسة وقد لابسهم ولابسه تعالى أما ملابسته إياهم فلأن أعمالهم مثبتة فيه ● وأما
ملابسته إياه فلأنه مالكه والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده ● هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا
كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ● فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز
المبين ● ينطق عليكم يشهد عليكم بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان ● إنا كنا نستنسخ الملائكة ما كنتم
تعملون أي نستكتبهم أعمالكم ● وقيل نستنسخ أي نأخذ نسخته ● وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم
وكنتم قوما مجرمين ● وجواب أما محذوف تقديره وأما الذين كفروا فيقال لهم ألم تكن آياتي تتلى عليكم والمعنى
ألم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ● وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب
فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين ● وقرئ والساعة بالنصب
عطفا على الوعد وبالرفع عطفا على محل إن واسمها ● ما الساعة أي شيء الساعة ● **فإن قلت** ما معنى
إن نظن إلا ظنا **قلت** أصله نظن ظنا ومعناه إثبات الظن فحسب فأدخل حرفا النفي والاستثناء ليفاد
إثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله تعالى وما نحن بمستيقنين ● وبدا لهم سيئات ما عملوا
وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ● سيئات ما عملوا أي قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيئات كقوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها ● وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما
لكم من ناصرين ● ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها
ولا هم يستعتبون ● ننساكم نترككم في العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم ● وهي الطاعة ● أو نجعلكم بمنزلة
الشيء المنسي غير المبالى به كما لم تبالوا أنتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببالكم كالشيء الذي يطرح نسيا منسيا ●
فإن قلت ما معنى إضافة اللقاء إلى اليوم **قلت** كمعنى إضافة المكر في قوله بل مكر الليل والنهار أي
نسيتم لقاء الله في يومكم هذا ولقاء جزائه ● وقرئ لا يخرجون بفتح الياء ● ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم
أن يعتبوا ربهم أي يرضوه ● فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين ● وله الكبرياء في السموات

والأرض وهو العزيز الحكيم • فلله الحمد فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والأرض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب وكبروه فقد ظهر آثار كبريائه وعظمته في السموات والارض وحق مثله ان يكبر ويعظم • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الأحقاف مكية وهي أربع أو خمس وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم • ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون • الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح وبتقدير أجل مسمى ينتهي اليه وهو يوم القيمة • والذين كفروا عما انذروا من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهائه اليه • معرضون لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز ان تكون ما مصدرية اي عن انذارهم ذلك اليوم • قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين • بكتاب من قبل هذا اي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب انزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما انتم عليه من عبادة غير الله • او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم اي على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب • وقرئ على اثرة اي شيء اوثرتم به وخصصتم من علم لا احاطة به لغيركم • وقرئ اثرة بالحركات الثلاث في الهمزة مع سكون الثاء • فالإثرة بالكسر بمعنى الأثرة • واما الأثرة فالمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه • واما الأثرة بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب به • ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون • واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين • ومن اضل معنى الاستفهام فيه انكار ان يكون في الضلال كلهم ابلغ ضلالا من عبدة الاصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة احد منهم ما دامت الدنيا والى ان تقوم القيمة • واذا قامت القيمة وحشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا في الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم • وانما قيل من وهم لانه اسند اليهم ما يسند الى اولي العلم من الاستجابة والغفلة ولانهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة • ويجوز ان يريد كل معبود من دون الله من الجن والانس والاوثان فغلب غير الاوثان عليها • وقرئ ما لا يستجيب • وقرئ يدعو غير الله من لا يستجيب • ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها ونحو قوله عز وعلا ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم • واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين • بينات جمع بينة وهي الحجة والشاهد او واضحات مبينات • واللام في للحق مثلها في قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه • والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق • لما جاءهم بادهوه بالجحود ساعة اتاهم واول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر ومن عنادهم وظلمهم انهم سموه سحرا مبينا ظاهرا امره في البطلان لا شبهة فيه • ام يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم • ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم افتراه • ومعنى الهمزة في ام الانكار والتعجيب كانه قيل دع هذا واسمع قولهم المنكر المقضي منه العجب وذلك ان محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون امة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة كانت تصديقا من الله له والحكيم لا يصدق

الكاذب فلا يكون مفتريا • والضمير للحق والمراد به الآيات • قل ان افتريته على سبيل الفرض عاجلني الله لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شيء من عقابه عني فكيف افتريه واتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك نفسه اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم • ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا املك لكم من الله شيئا • ثم قال هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى • كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم • وهو الغفور الرحيم موعد بالغفران والرحمة ان رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا واشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا • فان قلت فما معنى اسناد الفعل اليهم في قوله تعالى فلا تملكون لي • قلت كان فيما اتاهم به النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سوء العاقبة وارادة الخير بهم فكانه قال لهم ان افتريته وانا اريد بذلك النصح لكم وصدكم عن عبادة الآلهة الى عبادة الله فما تغنون عني ايها المنصوحون ان اخذني الله بعقوبة الافتراء عليه • قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا الا نذير مبين • البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف • وقرئ بدعا بفتح الدال اي ذا بدع • ويجوز ان يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم وكانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به اليه من الغيوب فقيل له قل ما كنت بدعا من الرسل فآتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم بكل ما تسألون عنه من الغيوب فان الرسل لم يكونوا يأتون الا بما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون الا بما اوحى اليهم ولقد اجاب موسى عليه الصلاة والسلام عن قول فرعون فما بال القرون الاولى بقوله علمها عند ربي • وما ادري لانه لا علم لي بالغيب • ما يفعل بي ولا بكم فيما يستقبل من الزمان من افعاله ويقدر لي ولكم من قضاياه • ان اتبع الا ما يوحى الي • وعن الحسن رحمه الله وما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب • وعن الكلبي قال له اصحابه وقد ضجروا من اذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم أأترك بمكة ام اومر بالخروج الى ارض قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه ذات نخيل وشجر • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر • ويجوز ان يكون نفيا للدراية المفصلة • وقرئ ما يفعل بفتح الياء اي يفعل الله عز وجل • فان قلت ان يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم • قلت اجل ولكن النفي في ما ادري لما كان مشتملا عليه لتناوله ما وما في حيزه صح ذلك وحسن الا ترى الى قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر كيف دخلت الباء في حيز ان وذلك لتناول النفي اياها مع ما في حيزها • وما في ما يفعل يجوز ان تكون موصولة منصوبة وان تكون استفهامية مرفوعة • وقرئ يوحى اي الله عز وجل • قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين • جواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين • والشاهد من بني اسرائيل عبد الله بن سلام رضي الله عنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق انه النبي المنتظر وقال له اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام يأكله اهل الجنة وما بال الولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام يأكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم فقالوا

خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارأيتم ان اسلم قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج
اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا
ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر ● قال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لاحد يمشي على وجه الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام رضي الله عنه وفيه نزل ● وشهد شاهد
من بني اسرائيل على مثله الضمير للقرآن اي على مثله في المعنى وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرآن
من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه قوله عز وعلا وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى
كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك ● ويجوز ان يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك
يعني كونه من عند الله ● فان قلت اخبرني عن نظم هذا الكلام لاقف على معناه من جهة النظم قلت الواو
الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك
الواو الآخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد واما الواو في وشهد شاهد فقد عطفت جملة قوله شهد
شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله ان كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك ان احسنت
اليك واسأت واقبلت عليك واعرضت لم تتفق في انك اخذت ضميمين فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل
اخبروني ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بني اسرائيل على نزول مثله وايمانه به
فايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به الستم اضل الناس واظلمهم وقد جعل الايمان في قوله فآمن مسببا
عن الشهادة على مثله لانه لما علم ان مثله انزل على موسى عليه الصلوة والسلام وانه من جنس الوحي وليس من كلام البشر
وانصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الايمان نتيجة ذلك ● وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا
ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ● للذين آمنوا لاجلهم وهو كلام كفار مكة
قالوا عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود رضي الله عنهم لو كان ما جاء به
خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء ● وقيل لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان واسد
واشجع لو كان خيرا ما سبقونا اليه رعاء البهم ● وقيل ان امة لعمر اسلمت فكان عمر رضي الله عنه يضربها حتى يفتر
ثم يقول لولا اني فترت لزدتك ضربا وكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو اليه محمد حقا ما سبقتنا اليه فلانة
● وقيل كان اليهود يقولونه عند اسلام عبد الله بن سلام واصحابه ● فان قلت لا بد من عامل في الظرف في
قوله تعالى واذ لم يهتدوا به ومن متعلق لقوله فسيقولون وغير مستقيم ان يكون فسيقولون هو العامل في الظرف
لتدافع دلالتي المضي والاستقبال فما وجه هذا الكلام قلت العامل في اذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف
من قوله تعالى فلما ذهبوا به وقوله حتى اذا جاؤها وتقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا افك
قديم فهذا المضمر صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله تعالى فسيقولون مسببا عنه كما صح باضمار ان قوله
حتى يقول الرسول لتصادف حتى مجرورها وللمضارع ناصبه ● وقولهم افك قديم كقولهم اساطير الاولين ● ومن قبله
كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ● ان
الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ● اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها
جزاء بما كانوا يعملون ● كتاب موسى مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب لاماما على الحال كقولك
في الدار زيد قائما ● وقرئ ومن قبله كتاب موسى على وآتينا الذين قبله التوراة ● ومعنى اماما قدوة يؤتم به في دين
الله وشرائعه كما يؤتم بالامام ● ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه ● وهذا القرآن كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه
وتقدمه من جميع الكتب ● وقرئ مصدق لما بين يديه ● ولسانا عربيا حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه
مصدق ● ويجوز ان ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة ويجوز ان يكون مفعولا لمصدق اي
يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول ● وقرئ لينذر بالتاء والياء ● ولينذر من نذر ينذر اذا حذر ● وبشرى في محل

النصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له ● ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرها
ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني
ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك
واني من المسلمين ● وقرئ حسنا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وبفتحهما ● واحسانا وكرها بالفتح والضم وهما
في معنى المشقة كالفقر والفقر وانتصابه على الحال اي ذات كره او على انه صفة للمصدر اي حملا ذا كره ● وحمله وفصاله
ومدة حمله وفصاله ثلاثون شهرا وهذا دليل على ان اقل الحمل ستة اشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله عز وجل
حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة اشهر ● وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام
بناء ومعنى ● فان قلت المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال قلت لما كان الرضاع
يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهي به ويتم سمي فصالا كما سمي المدة بالامد من قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود
اذا انتهى امده ● وفيه فائدة وهي الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته ● وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده
وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفي السن التي تستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك اذا اناف على الثلثين وناطح
الاربعين ● وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه ان يكون ذلك اول الاشد وغايته الاربعين ● وقيل لم يبعث
نبي قط الا بعد اربعين سنة ● والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكري
النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه ● وقيل في العمل المرضي هو الصلوات الخمس ● فان قلت ما معنى
في في قوله واصلح لي في ذريتي قلت معناه ان يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كانه قال هب لي الصلاح في
ذريتي واوقعه فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي ● من المسلمين من المخلصين ● اولئك الذين نتقبل عنهم احسن
ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ● وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح
الياء والضمير فيهما لله تعالى وقرئا بالنون ● فان قلت ما معنى قوله تعالى في اصحاب الجنة قلت هو نحو قولك
اكرمني الامير في ناس من اصحابه يريد اكرمني في جملة من اكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى
كائنين في اصحاب الجنة ومعدودين فيهم ● وعد الصدق مصدر مؤكد لان قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعد
من الله لهم بالتقبل والتجاوز ● وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وفي ابيه ابي قحافة وفي امه ام الخير وفي اولاده
واستجابة دعائه فيهم ● وقيل لم يكن احد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار رضوان الله عليهم اسلم هو ووالداه
وبنوه وبناته غير ابي بكر رضي الله عنه ● والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون
من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين ● اولئك
الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ● والذي قال لوالديه
مبتدأ خبره ● اولئك الذين حق عليهم القول ● والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا
● وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث ● وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه
● وقيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه وقد دعاه ابو بكر وامه ام رومان الى الاسلام فافف بهما وقال
ابعثوا لي جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من اجداده حتى اسألهما عما يقول محمد ويشهد لبطلانه
ان المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك وان قوله الذين حق عليهم القول هم اصحاب النار وعبد الرحمن كان من افاضل المسلمين
وسرواتهم ● وعن عائشة رضي الله عنها انكرت نزولها فيه وحين كتب معاوية الى مروان بان يبايع الناس
ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية اتبايعون لابنائكم فقال مروان يا ايها الناس هو الذي قال الله فيه
والذي قال لوالديه اف لكما فسمعت عائشة رضي الله عنها فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت ان اسميه
لسميته ولكن الله لعن اباك وانت في صلبه فانت فضض من لعنة الله ● وقرئ اف بالكسر والفتح بغير تنوين
وبالحركات الثلث مع التنوين وهو صوت اذا صوت به الانسان علم انه متضجر كما اذا قال حس علم انه

منوّن واللام للبيان معناه هذا التأفيف لكما خاصة ولأجلكما دون غيركما • وقرئ أتعدانني بنونين وأتعداني بأحدهما وأتعدانّي بالإدغام • وقد قرأ بعضهم أتعدانَني بفتح النون كأنه استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الأولى تحريًا للتخفيف كما تحرّاه من أدغم ومن أطرح أحدهما • أن أخرج أن أبعث وأخرج من الأرض وقرئ أَخرُج • وقد خلت القرون من قبلي يعني ولم يبعث منهم أحد • يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله • ويلك دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك • في أمم نحو قوله في أصحاب الجنة • وقرئ أنّ بالفتح على معنى آمن بأن وعد الله حق • **ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون • ويوم يعرض الذين كفروا على النار** • ولكل من الجنسين المذكورين • درجات مما عملوا أي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر ومن أجل ما عملوا منهما **فإن قلت** كيف قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات **قلت** يجوز أن يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال الكل على الفريقين • وليوفيهم وقرئ بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم • قدّر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات • ناصب الظرف هو القول المضمر قبل أذهبتم • وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف إذا قتلوا به ومنه قوله عز وجل النار يعرضون عليها • ويجوز أن يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس رضي الله عنه يجاء بهم إليها فيكشف لهم عنها • **أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون** • أذهبتم طيباتكم أي ما كتب لكم حظ من الطيبات إلا ما قد أصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها • وعن عمر رضي الله عنه لو شئت لدعوت بصلائق وصناب وكراكر وأسنمة ولكني رأيت الله نعى على قوم طيباتهم فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا • وعنه لو شئت لكنت أطيبكم طعامًا وأحسنكم لباسًا ولكني أستبقي طيباتي • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل على أهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعًا فقال أنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه بأخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل أنتم اليوم خير • وقرئ أأذهبتم بهمزة الاستفهام وآذهبتم بألف بين همزتين • الهون الهوان • وقرئ عذاب الهوان • وقرئ تفسقون بضم السين وكسرها • **واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم** • الأحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوجّ وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن • وقيل بين عمان ومهرة • والنذر جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار • من بين يديه من قبله ومن خلفه ومن بعده • وقرئ من بين يديه ومن بعده • والمعنى أن هودًا عليه الصلاة والسلام قد أنذرهم فقال لهم لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم العذاب وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو إنذاره • وعن ابن عباس رضي الله عنهما يعني الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا في زمانه • ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير ومن بعد إنذاره هذا إذا علقت وقد خلت النذر بقوله أنذر • ولك أن تجعل قوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضًا بين أنذر قومه وبين ألا تعبدوا ويكون المعنى واذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم • **قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين • قال إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قومًا تجهلون** • الإفك الصرف يقال أفكه عن رأيه • عن آلهتنا عن عبادتها • بما تعدنا من معاجلة العذاب على الشرك • إن كنت صادقًا في وعدك **فإن قلت**

من أين طابق قوله تعالى إنما العلم عند الله جوابًا لقولهم فأتنا بما تعدنا **قلت** من حيث إن قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب ألا ترى إلى قوله تعالى بل هو ما استعجلتم به فقال لهم لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصوابًا إنما علم ذلك عند الله فكيف أدعوه بأن يأتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه أنتم • ومعنى وأبلغكم ما أرسلت به وقرئ بالتخفيف أن الذي هو شأني وشرطي أن أبلغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدي ولكنكم جاهلون لا تعلمون أن الرسل لم يبعثوا إلا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه • **فلما رأوه عارضًا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم** • فلما رأوه في الضمير وجهان أن يرجع إلى ما تعدنا وأن يكون مبهمًا قد وضح أمره بقوله عارضًا إما تمييزًا وإما حالًا • وهذا الوجه أعرب وأفصح • والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء ومثله الحبيّ والعنان من حبا وعنّ إذا عرض • وإضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرّفة بدليل وقوعهما وهما مضافان إلى معرفتين وصفًا للنكرة • بل هو القول قبله مضمر والقائل هود عليه الصلاة والسلام والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو • وقرئ قل بل ما استعجلتم به هي ريح أي قال الله تعالى **تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين** • تدمر كل شيء تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية • وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارًا إذا هلك • لا ترى الخطاب للرائي من كان • وقرئ لا يرى على البناء للمفعول بالياء والتاء • وتأويل القراءة بالتاء وهي عن الحسن لا ترى بقايا ولا أشياء إلا مساكنهم ومنه بيت ذي الرمة • وما بقيت إلا الضلوع الجراشع • وليست بالقوية • وقرئ لا ترى إلا مسكنهم ولا يرى إلا مسكنهم • وروي أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة • وقيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحًا فيها كشهب النار • وروي أن أول ما عرفوا به أنه عذاب أنهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم وأمال الله عليهم الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر • وروي أن هودًا عليه الصلاة والسلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطًا إلى جنب عين تنبع • وعن ابن عباس اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود وتلذه الأنفس وإنها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة • وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا رأى الريح فزع وقال اللهم إني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به • وإذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقال يا رسول الله ما تخاف فيقول إني أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا **فإن قلت** ما فائدة إضافة الرب إلى الريح **قلت** الدلالة على أن الريح وتصريف أعنتها مما يشهد لعظم قدرته لأنها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده • وذكر الأمر وكونها مأمورة من جهته عز وعلا يعضد ذلك ويقويه • **ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعًا وأبصارًا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون** • إن نافية أي فيما ما مكناكم فيه إلا أن إن أحسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله مجتنب ألا ترى أن الأصل في مهما ماما فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء • ولقد أغث أبو الطيب في قوله • لعمرك ما ما بان منك لضارب • وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال • لعمرك ما إن بان منك لضارب • وقد جعلت إن صلة مثلها فيما أنشده الأخفش • يرجّي المرء ما إن لا يراه • ويعرض دون أدناه الخطوب • وتؤوّل بأنا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الأول ولقد جاء عليه غير آية في القرآن هم أحسن أثاثًا ورئيًا • كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارًا • وهو أبلغ في التوبيخ وأدخل في الحث على الاعتبار • من شيء أي من شيء من الإغناء وهو القليل منه **فإن قلت** بم انتصب إذ كانوا يجحدون **قلت** بقوله تعالى فما أغنى **فإن قلت** لم جرى مجرى التعليل

قلت لا يستوي مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته لإساءته وضربته إذ أساء لأنك إذا ضربته في وقت إساءته فإنما ضربته فيه لوجود إساءته فيه إلا أن إذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك **ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون** ما حولكم يا أهل مكة من القرى من حجر ثمود وقرى سدوم وغيرهما والمراد أهل القرى ولذلك قال لعلهم يرجعون **فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون** القربان ما تقرب به إلى الله تعالى أي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم إلى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولي اتخذ الراجع إلى الذين المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم بل ضلوا عنهم أي غابوا عن نصرتهم وذلك إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم أي وذلك أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء وقرئ إفكهم والأفك والإفك كالحذر والحذر وقرئ وذلك أفكهم أي وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ أفكهم على التشديد للمبالغة وآفكهم جعلهم آفكين وآفكهم أي قولهم الآفك ذو الإفك كما تقول قول كاذب وذلك إفك مما كانوا يفترون أي بعض ما كانوا يفترون من الإفك **وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين** صرفنا إليك نفرا أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد لأنهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع أنفارا وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه لو كان ههنا أحد من أنفارنا فلما حضروه الضمير للقرآن أي فلما كان بمسمع منهم أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعضده قراءة من قرأ فلما قضى أي أتم قراءته وفرغ منها قالوا قال بعضهم لبعض أنصتوا اسكتوا مستمعين يقال أنصت لكذا واستنصت له **قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم** روي أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا إلا لنبإ حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا إلى وادي نخلة فوافقوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج إليهم يستنصرهم فلم يجيبوه إلى طلبته وأغروا به سفهاء ثقيف وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل أمر الله رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف إليه نفرا منهم جمعهم له فقال إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن غيري فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون فخط لي خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود إليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر ألفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك **فإن قلت** كيف قالوا من بعد موسى **قلت** عن عطاء رضي الله عنه أنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى فلذلك قالوا من بعد موسى **يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين** **فإن قلت** لم بعض في قوله من ذنوبكم **قلت** لأن من الذنوب ما لا يغفر بالإيمان كذنوب المظالم ونحوها ونحوه قوله تعالى أن اعبدوا الله واتقوه

وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم **فإن قلت** هل للجن ثواب كما للإنس **قلت** اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم إلا النجاة من النار لقوله تعالى ويجركم من عذاب أليم وإليه كان يذهب أبو حنيفة رضي الله عنه والصحيح أنهم في حكم بني آدم لأنهم مكلفون مثلهم فليس بمعجز في الأرض أي لا ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ونحوه قوله تعالى وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا **أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير** بقادر محله الرفع لأنه خبر أن يدل عليه قراءة عبد الله قادر وإنما دخلت الباء لاشتمال النفي في أول الآية على أن وما في حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت أن زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر ألا ترى إلى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم وقرئ يقدر ويقال عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه ومنه أفعيينا بالخلق الأول **ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** أليس هذا بالحق محكي بعد قول مضمر وهذا المضمر هو ناصب الظرف وهذا إشارة إلى العذاب بدليل قوله تعالى فذوقوا العذاب والمعنى التهكم بهم والتوبيخ على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون** أولو العزم أولو الجد والثبات والصبر ومن يجوز أن تكون للتبعيض ويراد بأولي العزم بعض الأنبياء قيل هم نوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم على النار وذبح ولده وإسحاق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقال إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها قال الله تعالى في آدم عليه الصلاة والسلام ولم نجد له عزما وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز أن تكون للبيان فيكون أولو العزم صفة الرسل كلهم ولا تستعجل لكفار قريش بالعذاب أي لا تدع لهم بتعجيله فإنه نازل بهم لا محالة وإن تأخر وأنهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار بلاغ أي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول فهل يهلك إلا الخارجون عن الاتعاظ والعمل بموجبه ويدل على معنى التبليغ قراءة من قرأ بلغ فهل يهلك وقرئ بلاغا أي بلغوا بلاغا وقرئ يهلك بفتح الياء وكسر اللام وفتحها من هلك وهلك ونهلك بالنون إلا القوم الفاسقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا صدق الله ورسوله

سورة محمد صلى الله عليه وسلم ... وهي ... آية

بسم الله الرحمن الرحيم **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم** وصدوا وأعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الإسلام أو صدوا غيرهم عنه قال ابن عباس رضي الله عنهما هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من أهل الشرك يصدون الناس عن الإسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل هم أهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخل في الإسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد أضل أعمالهم أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الإبل التي هي بمضيعة لا رب لها يحفظها ويعتني بأمرها أو جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم مغلوبة بها كما يضل الماء في اللبن وأعمالهم ما عملوه في كفرهم بما كانوا يسمونه مكارم من صلة الأرحام وفك الأسارى وقرى الأضياف وحفظ الجوار وقيل أبطل ما عملوه من الكيد

لرسول الله صلى الله عليه وسلم • والصد عن سبيل الله بأن نصروا عليهم وظاهروا على أذاه • والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم • والذين آمنوا قال مقاتل هم ناس من قريش • وقيل من الأنصار • وقيل هم مؤمنو أهل الكتاب • وقيل هو عام • وقوله وآمنوا بما نزل على محمد اختصاص للإيمان بالمنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين ما يجب الإيمان به تعظيما لشأنه وتعليما لأنه لا يصح الإيمان ولا يتم إلا به وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله وهو الحق من ربهم • وقيل معناها أن دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق إذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره • وقرئ نزل ونزل على البناء للمفعول وأنزل وقرئ نزل بالتخفيف • كفر عنهم سيئاتهم ستر بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم • وأصلح بالهم أي حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد • ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم • ذلك مبتدأ وما بعده خبره أي ذلك الأمر وهو إضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات الثاني كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق • ويجوز أن يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا وعلى الأول مرفوعا • والباطل ما لا ينتفع به • وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير • كذلك مثل ذلك الضرب • يضرب الله للناس أمثالهم والضمير راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم • **فإن قلت** أين ضرب الأمثال • **قلت** في أن جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين أو في أن جعل الإضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين • فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق • لقيتم من اللقاء وهو الحرب • فضرب الرقاب أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافا إلى المفعول وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه • وضرب الرقاب عبارة عن القتل لأن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء وذلك أنهم كانوا يقولون ضرب الأمير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه إذا قتله وذلك أن قتل الإنسان أكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وإن ضرب بغير رقبته من المقاتل كما ذكرنا في قوله بما كسبت أيديكم فإن في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة وهو حز العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله تعالى فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان • أثخنتموهم أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض • فشدوا الوثاق فأسروهم • والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به • فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض • منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين أي فإما تمنون منا وإما تفدون فداء • والمعنى التخيير بعد الأسر بين أن يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين أن يفادوهم • **فإن قلت** كيف حكم أسارى المشركين • **قلت** أما عند أبي حنيفة وأصحابه فحكمهم أحد أمرين إما قتلهم وإما استرقاقهم أيهما رأى الإمام ويقولون في المن والفداء المذكورين في الآية نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ • وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء إنما هو الإسلام أو ضرب العنق • ويجوز أن يراد بالمن أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من أهل الذمة • وبالفداء أن يفادي

بأساراهم أسارى المشركين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن أبي حنيفة رحمه الله والمشهور أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة أن يعودوا حربا للمسلمين • وأما الشافعي رضي الله عنه فيقول للإمام أن يختار أحد أربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهي القتل والاسترقاق والفداء بأسارى المسلمين والمن • ويحتج بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم من على أبي عزة الجمحي وعلى أثال الحنفي وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند أصحاب الرأي • وقرئ فدى بالقصر مع فتح الفاء • أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع • قال الأعشى • وأعددت للحرب أوزارها • رماحا طوالا وخيلا ذكورا • وسميت أوزارها لأنه لما لم يكن لها بد من جرها فكأنها تحملها وتستقل بها فإذا انقضت فكأنها وضعتها • وقيل أوزارها آثامها يعني حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا • **فإن قلت** حتى بم تعلقت • **قلت** لا تخلو من أن تتعلق بالضرب والشد أو بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي رضي الله عنه أنهم لا يزالون على ذلك أبدا إلى أن لا يكون حرب مع المشركين وذلك إذا لم يبق لهم شوكة • وقيل إذا نزل عيسى عليه الصلاة والسلام • وعند أبي حنيفة رحمه الله إذا علق بالضرب والشد فالمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب الأوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين • وإذا علق بالمن والفداء فالمعنى أنه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها إلا أن يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل • ذلك أي الأمر ذلك أو افعلوا ذلك • لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض أسباب الهلاك من خسف أو رجفة أو حاصب أو غرق أو موت جارف • ولكن أمركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب • والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم • وقرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقاتلوا • وقرئ فلن يضل أعمالهم وتضل أعمالهم على البناء للمفعول • ويضل أعمالهم من ضل • وعن قتادة أنها نزلت في يوم أحد • عرفها لهم أعلمها لهم وبينها بما يعلم به كل أحد منزله ودرجته من الجنة • قال مجاهد يهتدي أهل الجنة إلى مساكنهم منها لا يخطئون كأنهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها • وعن مقاتل أن الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء أعطاه الله • أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة • وفي كلام بعضهم عزف كنوح القماري • أو حددها لهم فجنة كل أحد محدودة مفرزة عن غيرها من عرف الدار وأرفها • والعرف والأرف الحدود • يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم • والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم • إن تنصروا دين الله ورسوله • ينصركم على عدوكم ويفتح لكم • ويثبت أقدامكم في مواطن الحرب أو على محجة الإسلام • والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره فتعسا لهم كأنه قيل أتعس الذين كفروا • **فإن قلت** علام عطف قوله وأضل أعمالهم • **قلت** على الفعل الذي نصب تعسا لأن المعنى فقال تعسا لهم أو فقضى تعسا لهم • وتعسا له نقيض لعا له • قال الأعشى • فالتعس أولى لها من أن أقول لعا • يريد فالعثور والانحطاط أقرب لها من الانتعاش والثبوت • وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردي في النار • ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم • كرهوا القرآن وما أنزل الله فيه من التكاليف والأحكام لأنهم قد ألفوا الإهمال وإطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم • أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها • دمره أهلكه ودمر عليه أهلك عليه ما يختص به • والمعنى دمر الله عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأولادهم وأموالهم وكل ما كان لهم • وللكافرين أمثالها • الضمير للعاقبة المذكورة أو للهلكة لأن التدمير يدل عليها أو للسنة لقوله تعالى سنة الله في الذين خلوا • ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم • مولى الذين آمنوا وليهم وناصرهم • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولي الذين

آمنوا • ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في الشعب يوم أحد وقد فشت فيهم الجراحات وفيه نزلت
فنادى المشركون اعل هبل فنادى المسلمون الله أعلى وأجل • فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال إن لنا عزى
ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم إن القتلى مختلفة أما قتلانا
فأحياء يرزقون وأما قتلاكم ففي النار يعذبون فإن قلت قوله تعالى وردوا إلى الله مولاهم
الحق مناقض لهذه الآية قلت لا تناقض بينهما لأن الله تعالى مولى عباده جميعا على معنى أنه ربهم
ومالك أمرهم وأما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة • إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل
الأنعام والنار مثوى لهم • يتمتعون ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أياما قلائل • ويأكلون غافلين
غير مفكرين في العاقبة • كما تأكل الأنعام في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من
النحر والذبح • مثوى لهم منزل ومقام • وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك
أهلكناهم فلا ناصر لهم • أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم
وقرئ وكائن بوزن كاعن وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال أهلكناهم كأنه قال وكم من قوم هم أشد
قوة من قومك الذين أخرجوك أهلكناهم • ومعنى أخرجوك كانوا سبب خروجك فإن قلت كيف
قال فلا ناصر لهم وإنما هو أمر قد مضى قلت مجراه مجرى الحال المحكية كقوله أهلكناهم فهم لا ينصرون
• من زين له هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله • ومن كان على بينة
من ربه أي على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
• وقرئ أمن كان على بينة من ربه وقال زين له سوء عمله واتبعوا للحمل على لفظ من ومعناه •
مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه
وأنهار من خمر لذة للشاربين • وأنهار من عسل مصفى • ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة
من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم • فإن قلت ما معنى
قوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار كمن هو خالد في النار قلت هو كلام في صورة الإثبات
ومعنى النفي والإنكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الإنكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه
وهو قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكأنه قيل أمثل الجنة كمن هو خالد في النار
أي كمثل جزاء من هو خالد في النار فإن قلت فلم عرى من حرف الإنكار وما فائدة التعرية قلت
تعريته من حرف الإنكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وأنه
بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الأنهار وبين النار التي يسقى أهلها الحميم
ونظيره قول القائل • أفرح أن أرزأ الكرام وأن أورث ذودا شصائصا نبلا • هو كلام منكر للفرح
برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه من حرف الإنكار لانطوائه تحت حكم قول من قال أتفرح بموت أخيك وبوراثة
إبله والذي طرح لأجله حرف الإنكار إرادة أن يصور قبح ما أزن به فكأنه قال له مثلي يفرح بمرزئة
الكرام وبأن يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذي تحته كل إنكار • ومثل الجنة صفة
الجنة العجيبة الشأن وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالد • وقوله تعالى فيها أنهار داخل في حكم الصلة
كالتكرير لها ألا ترى إلى صحة قولك التي فيها أنهار • ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف هي فيها أنهار وكأن
قائلا قال وما مثلها فقيل فيها أنهار • وأن يكون في موضع الحال أي مستقرة فيها أنهار • وفي قراءة
علي رضي الله عنه أمثال الجنة أي ما صفاتها كصفات النار • وقرئ أسن يقال أسن الماء وأجن
إذا تغير طعمه وريحه • وأنشد ليزيد بن معاوية • لقد سقتني رضابا غير ذي أسن كالمسك فت

على ماء الفاقد • من لبن لم يتغير طعمه كما تتغير ألبان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حازرا ولا ما يكره
من الطعوم • لذة تأنيث لذ وهو اللذيذ أو وصف بمصدر • وقرئ بالحركات الثلاث • فالجر على
صفة الخمر والرفع على صفة الأنهار والنصب على العلة أي لأجل لذة الشاربين • والمعنى ما هو إلا
التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر • مصفى لم يخرج
من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره • ماء حميما قيل إذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة
رؤوسهم فإذا شربوه قطع أمعاءهم • ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك
قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم
هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يلقون له بالا
تهاونا منهم فإذا خرجوا قالوا لأولي العلم من الصحابة • ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء • وقيل كان
يخطب فإذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء • وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه • وعن
ابن عباس رضي الله عنهما أنا منهم وقد سميت فيمن سئل • وقرئ أنفا على فعل نصب على الظرف قال
الزجاج هو من استأنفت الشيء إذا ابتدأته والمعنى ماذا قال في أول وقت يقرب منا • والذين اهتدوا زادهم
هدى وآتاهم تقواهم • زادهم الله هدى بالتوفيق وآتاهم تقواهم أعانهم عليها • أو آتاهم جزاء
تقواهم • وعن السدي بين لهم ما يتقون • وقرئ وأعطاهم • وقيل الضمير في زادهم لقول الرسول
أو لاستهزاء المنافقين • فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها
فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم • أن تأتيهم بدل اشتمال من الساعة نحو أن تطؤوهم من قوله تعالى رجال
مؤمنون ونساء مؤمنات • وقرئ إن تأتهم بالوقف على الساعة واستئناف الشرط وهي في مصاحف
أهل مكة كذلك فإن قلت فما جزاء الشرط قلت قوله فأنى لهم ومعناه إن تأتهم الساعة
فكيف لهم ذكراهم أي تذكرهم واتعاظهم إذا جاءتهم الساعة يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذ كقوله يومئذ
يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى فإن قلت بم يتصل قوله فقد جاء أشراطها على القراءتين
قلت بإتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك إن أكرمني زيد فأنا حقيق بالإكرام أكرمه
والأشراط العلامات • قال أبو الأسود • فإن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا • فقد جعلت أشراط أوله
تبدو • وقيل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء منها وانشقاق القمر والدخان • وعن الكلبي
كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الأرحام وقلة الكرام وكثرة اللئام • وقرئ بغتة بوزن جربة
وهي غريبة لم ترد في المصادر أختها وهي مروية عن أبي عمرو وما أخوفني أن تكون غلطة من الراوي
على أبي عمرو وأن يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم • فاعلم أنه
لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم • لما ذكر
حال المؤمنين وحال الكافرين قال إذا علمت أن الأمر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما
أنت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك
والله يعلم أحوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون من منازلكم
أو متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور أو متقلبكم في أعمالكم ومثواكم من الجنة والنار ومثله حقيق بأن يخشى
ويتقى وأن يستغفر ويسترحم • وعن سفيان بن عيينة أنه سئل عن فضل العلم فقال ألم تسمع قوله
حين بدأ به فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا أنما الحياة
الدنيا لعب ولهو إلى قوله سابقوا إلى مغفرة من ربكم وقال تعالى واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة
ثم قال بعد فاحذروهم وقال واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه ثم أمر بالعمل بعده • ويقول الذين

آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال • كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بألسنتهم ويقولون لولا أنزلت سورة في معنى الجهاد فإذا أنزلت وأمروا فيها بما تمنوه وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا في أيديهم كقوله تعالى فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس • محكمة مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها إلا وجوب القتال • وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين • وقيل لها محكمة لأن النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة • وقيل هي المحدثة لأنها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك أو تبقى غير منسوخة • وفي قراءة عبد الله سورة محدثة • وقرئ فإذا أنزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال • رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف • الذين في قلوبهم مرض هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الأقدام • نظر المغشي عليه من الموت أي تشخص أبصارهم جبنا وهلعا كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت • فأولى لهم وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولي وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه • طاعة وقول معروف كلام مستأنف أي طاعة وقول معروف خير لهم • وقيل هي حكاية قولهم أي قالوا طاعة وقول معروف بمعنى أمرنا طاعة وقول معروف وتشهد له قراءة أبي رضي الله عنه يقولون طاعة وقول معروف • فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم • أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم • فإذا عزم الأمر أي جد والعزم والجد لأصحاب الأمر وإنما يسندان إلى الأمر إسنادا مجازيا ومنه قوله تعالى إن ذلك لمن عزم الأمور • فلو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو فلو صدقوا في إيمانهم وواطأت قلوبهم فيه ألسنتهم • عسيتم وعسيتم لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا ولا يلحقون الضمائر • وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في التوبيخ **فإن قلت** ما معنى فهل عسيتم أن تفسدوا في الأرض **قلت** معناه هل يتوقع منكم الإفساد **فإن قلت** فكيف يصح هذا في كلام الله عز وجل وهو عالم بما كان وبما يكون **قلت** معناه إنكم لما عهد منكم أحقاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الإيمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا • وقيل إن أعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض بالتغاور والتناهب وقطع الأرحام بمقاتلة بعض الأقارب بعضا ووأد البنات • وقرئ وليتم وفي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه توليتم أي إن تولاكم ولاة غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وأفسدتم بإفسادهم • وقرئ وتقطعوا وتقطعوا من التقطيع والتقطع • أولئك إشارة إلى المذكورين لعنهم الله لإفسادهم وقطعهم الأرحام فمنعهم ألطافه وخذلهم حتى صموا عن استماع الموعظة وعموا عن إبصار طريق الهدى • ويجوز أن يريد بالذين آمنوا المؤمنين الخلص الثابتين وأنهم يتشوقون إلى الوحي إذا أبطأ عليهم فإذا أنزلت سورة في معنى الجهاد رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها • أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها • أفلا يتدبرون القرآن ويتصفحون ما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال أم على قلوب أقفالها • وأم بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر • وعن قتادة إذن والله يجدوا في القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا **فإن قلت** لم نكرت القلوب وأضيفت الأقفال إليها **قلت** أما التنكير ففيه وجهان أن يراد على قلوب قاسية مبهم

أمرها في ذلك أو يراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين • وأما إضافة الأقفال فلأنه يريد الأقفال المختصة بها وهي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح • وقرئ إقفالها على المصدر • إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم • الشيطان سول لهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لإن كقولك إن زيدا عمرو مر به • سول لهم سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السول من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا • وأملى لهم ومد لهم في الآمال والأماني • وقرئ وأملي لهم يعني إن الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم كقوله تعالى إنما نملي لهم • وقرئ وأملي لهم على البناء للمفعول أي أمهلوا ومد في عمرهم • وقرئ سول لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف **فإن قلت** من هؤلاء **قلت** اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعته في التوراة • وقيل هم المنافقون • ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم • الذين قالوا القائلون اليهود والذين كرهوا ما نزل الله المنافقون • وقيل عكسه وأنه قول المنافقين لقريظة والنضير لئن أخرجتم لنخرجن معكم • وقيل بعض الأمر التكذيب برسول الله صلى الله عليه وسلم أو بلا إله إلا الله أو ترك القتال معه • وقيل هو قول أحد الفريقين للمشركين سنطيعكم في التظاهر على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عن الجهاد معه • ومعنى في بعض الأمر في بعض ما تأمرون • وقيل هو قول أحد الفريقين للمشركين سنطيعكم في التظاهر على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عن الجهاد معه • ومعنى في بعض الأمر في بعض ما تأمرون به أو في بعض الأمر الذي يهمكم • والله يعلم إسرارهم • وقرئ أسرارهم على الجمع قالوا ذلك سرا فيما بينهم فأفشاه الله عليهم • فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم • فكيف يعملون وما حيلتهم يومئذ • وقرئ توفاهم ويحتمل أن يكون ماضيا ومضارعا قد حذفت إحدى تاءيه كقوله تعالى إن الذين توفاهم الملائكة • وعن ابن عباس رضي الله عنه لا يتوفى أحد على معصية الله إلا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره • ذلك إشارة إلى التوفي الموصوف • ما أسخط الله من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم • ورضوانه الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم • أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم • أضغانهم أحقادهم وإخراجها إبرازها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين وإظهارهم على نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلي حنقا عليهم • ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم • لأريناكهم لعرفناكهم ودللناك عليهم حتى تعرفهم بأعيانهم لا يخفون عليك • بسيماهم بعلامتهم وهو أن يسمهم الله بعلامة يعلمون بها • وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق **فإن قلت** أي فرق بين اللامين في فلعرفتهم ولتعرفنهم **قلت** الأولى هي الداخلة في جواب لو كالتي في لأريناكهم كررت في المعطوف وأما اللام في ولتعرفنهم فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف • في لحن القول في نحوه وأسلوبه • وعن ابن عباس رضي الله عنه هو قولهم ما لنا إن أطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا إن عصينا من العقاب • وقيل اللحن أن تلحن بكلامك أي تميله إلى نحو من الأنحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه ذوو الألباب • وقيل للمخطئ لاحن لأنه يعدل بالكلام عن الصواب • ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم • أخباركم ما يحكى عنكم وما يخبر به عن أعمالكم ليعلم حسنها من قبيحها لأن الخبر على حسب المخبر عنه إن حسنا فحسن وإن قبيحا فقبيح • وقرأ يعقوب ونبلو بسكون الواو على معنى ونحن نبلو أخباركم • وقرئ وليبلونكم حتى يعلم ويبلو بالياء • وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبتلنا فإنك إن

بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا • إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم • وسيحبط أعمالهم التي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب لأنها مع كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم باطلة وهم قريظة والنضير • أو سيحبط أعمالهم التي عملوها والمكايد التي نصبوها في مشاقة الرسول أي سيبطلها فلا يصلون منها إلى أغراضهم بل يستضرون بها ولا يثمر لهم إلا القتل والجلاء عن أوطانهم • وقيل هم رؤساء قريش والمطعمون يوم بدر • يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم • ولا تبطلوا أعمالكم أي لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله عز وجل لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي إلى أن قال أن تحبط أعمالكم • وعن أبي العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا أعمالكم فكانوا يخافون الكبائر على أعمالهم • وعن حذيفة فخافوا أن تحبط الكبائر أعمالهم • وعن ابن عمر رضي الله عنهما كنا نرى أنه ليس شيء من حسناتنا إلا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من أصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها • وعن قتادة رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيء • وقيل لا تبطلوها بمعصيتهما • وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا تبطلوها بالرياء والسمعة • وعنه بالشك والنفاق • وقيل بالعجب فإن العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب • وقيل ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى • إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم • فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم • ثم ماتوا وهم كفار قيل هم أصحاب القليب والظاهر العموم • فلا تهنوا فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو • ولا تدعوا إلى الإسلام وقرئ إلى السلم وهما المسالمة • وأنتم الأعلون أي الأغلبون الأقهرون • والله معكم أي ناصركم • وعن قتادة لا تكونوا أول الطائفتين ضرعت إلى صاحبتها بالموادعة • وقرئ ولا تدعوا من ادّعى القوم وتداعوا إذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه • وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهي أو منصوب لإضمار أن • ونحو قوله تعالى وأنتم الأعلون قوله إنك أنت الأعلى • ولن يتركم من وترت الرجل إذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ أو حميم أو حربته وحقيقته أفردته من قريبه أو ماله من الوتر وهو الفرد فشبه إضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله أي أفرد عنهما قتلا ونهبا • إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم • إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم • يؤتكم أجوركم ثواب إيمانكم وتقواكم • ولا يسألكم أموالكم أي ولا يسألكم جميعها إنما يقتصر منكم على ربع العشر ثم قال إن يسألكموها فيحفكم أي يجهدكم ويطلبه كله • والإحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال أحفاه في المسألة إذا لم يترك شيئا من الإلحاح • وأحفى شاربه إذا استأصله • تبخلوا ويخرج أضغانكم أي تضطغنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتضيق صدوركم لذلك وأظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب بأموالكم والضمير في يخرج لله عز وجل أي يضغنكم بطلب أموالكم أو للبخل لأنه سبب الاضطغان • وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والتاء مع فتحهما ورفع أضغانكم • ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله • هؤلاء موصول بمعنى الذين صلته تدعون أي أنتم الذين تدعون أو أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كأنهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا في سبيل الله قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكاة كأنه قيل الدليل على أنه لو أحفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم أنكم تدعون إلى أداء ربع العشر

فمنكم من

الذين مبتدأ خبره الكم

فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء • فمنكم ناس يبخلون به • ثم قال ومن يبخل بالصدقة وأداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وإنما يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ضننت عليه وعنه ثم أخبر أنه لا يأمر بذلك لأنه يحتاج إليه فهو الغني الذي تستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم إلى الثواب • وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم • وإن تتولوا معطوف على وإن تؤمنوا وتتقوا • يستبدل قوما غيركم يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الإيمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله عز وعلا ويأت بخلق جديد • وقيل هم الملائكة وقيل الأنصار • وعن ابن عباس رضي الله عنهما كندة والنخع • وعن الحسن العجم • وعن عكرمة فارس والروم • وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان رضي الله عنه إلى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله تعالى أن يسقيه من أنهار الجنة •

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • إنا فتحنا لك فتحا مبينا • ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما • وينصرك الله نصرا عزيزا • هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في أخباره لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى • **فإن قلت** كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة • **قلت** لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الأمور الأربعة وهي المغفرة وإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل • ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث إنه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد عنوة أو صلحا بحرب أو بغير حرب لأنه منغلق ما لم يظفر به فإذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح • وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم • وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح • **فإن قلت** كيف يكون فتحا وقد أحصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية • **قلت** كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا • وعن موسى بن عقبة رضي الله عنه أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية راجعا فقال رجل من أصحابه ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس الكلام بل هذا أعظم الفتوح وقد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا إليكم في الأمان وقد رأوا منكم ما كرهوا • وعن الشعبي نزلت بالحديبية وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة أصاب أن بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدي محله وأطعموا نخل خيبر وكان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك أنه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه • فجاشت بالماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد • وقيل هو فتح خيبر • وقيل فتح الروم • وقيل فتح الله له بالإسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح كلها إذ لا فتح من فتوح الإسلام إلا وهو تحته ومتشعب منه • وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة أن

تدخلها الجنة لان لعمال من قبلها ليبطو وايا لبنت من القلح ... متولد عن قتادة • ما تقدم من ذنبك وما تأخر ... خصوا عز وجل وقيل ما تقدم في الجاهلية وما تأخر وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد ... للمنصور اسناد اليه مجازيا او عز وجل صاحبه • هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما • ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما • ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا • ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما • السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان اي انزل الله في قلوب المؤمنين السكون والطمأنينة بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف والهدنة غب القتال • ليزدادوا يقينا الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الشرائع ليزدادوا ايمانا بالشرائع مقرونا الى ايمانهم وهو التوحيد • عن ابن عباس رضي الله عنه ان اول ما اتاهم به النبي التوحيد فلما آمنوا بالله وحده انزل الصلاة والزكاة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا ايمانا الى ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله عز وجل ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم • وقيل انزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزداد ايمانهم • ولله جنود السموات والارض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه • وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه فقيل في المرضي الصالح من الافعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد منها فعل سوء • ومعنى ظن السوء ظنهم ان الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين فاتحين عنوة وقهرا • عليهم دائرة السوء اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار • وقرئ دائرة السوء بالفتح اي الدائرة التي يذمونها ويسخطونها فهي عندهم دائرة السوء وعند المؤمنين دائرة صدق

فان قلت هل من فرق بين السوء والسوء **قلت** هما كالكره والكره والضعف والضعف من ساء الا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير يقال اراد به السوء واراد به الخير ولذلك اضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدائرة محمودة فكان حقها ان لا تضاف اليه الا على التأويل الذي ذكرنا واما دائرة السوء بالضم فلان الذي اصابهم مكروه وشدة فصح ان يقع عليه اسم السوء كقوله عز وجل ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة • انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا • لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا • شاهدا تشهد على امتك كقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا • لتؤمنوا الضمير للناس • وتعزروه وتقووه بالنصرة • وتوقروه وتعظموه • وتسبحوه من التسبيح او من السبحة والضمائر لله عز وجل • والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد ابعد • وقرئ ليؤمنوا ويعزروه ويوقروه بالياء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولامته • وقرئ وتعزروه بضم التاء والتخفيف • وتعززوه بالزايين • وتوقروه من اوقره بمعنى وقره • وتسبحوا الله بكرة واصيلا عن ابن عباس رضي الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر • ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله

فسنؤتيه اجرا عظيما • لما قال انما يبايعون الله اكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله والمراد بيعة الرضوان • فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه • قال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم • وقرئ انما يبايعون لله اي لاجل الله ولوجهه • وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها • وبما عاهد وعهد • فسنؤتيه بالياء والنون يقال وفيت بالعهد واوفيت به وهي لغة تهامة • ومنها قوله تعالى اوفوا بالعقود والموفون بعهدهم • سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم • هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل وذلك انه صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا يذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فيقاتلهم وظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم • وقرئ شغلتنا بالتشديد • يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في اعتذارهم وان الذي خلفهم ليس بما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق وطلبهم للاستغفار ايضا ليس بصادر عن حقيقة • قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا • فمن يملك لكم فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه ان اراد بكم ما يضركم من قتل او هزيمة • او اراد بكم نفعا من ظفر وغنيمة • وقرئ ضرا بالفتح والضم • بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا • الاهلون جمع اهل ويقال اهلات على تقدير تاء التأنيث كارض وارضات وقد جاء اهلة واما اهال فاسم جمع كليال • وقرئ الى اهلهم • وزين على البناء للفاعل وهو الشيطان او الله عز وجل وكلاهما في القرآن • وزين لهم الشيطان اعمالهم • والبور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم او هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه • ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا • للكافرين مقام مقام لهم للايذان بان من لم يجمع بين الايمانين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر • ونكر سعيرا لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى • ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما • ولله ملك السموات والارض يدبره تدبير قادر حكيم • فيغفر ويعذب بمشيئته ومشيئته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب المصر • وكان الله غفورا رحيما • رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيئات باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة • سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا • سيقول المخلفون الذين تخلفوا عن الحديبية • اذا انطلقتم الى مغانم الى غنائم خيبر • ان يبدلوا كلام الله • وقرئ كلم الله اي يغيروا موعد الله لاهل الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئا • وقيل هو قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا • تحسدوننا ان نصيب معكم من الغنائم • وقرئ بضم السين وكسرها

لا يفقهون لا يفهمون إلا فهماً قليلاً وهو فطنتهم لأمور الدنيا دون أمور الدين كقوله تعالى يعلمون ظاهراً من
الحياة الدنيا. **فإن قلت** ما الفرق بين حرفي الإضراب؟ **قلت** الأول إضراب معناه ردّ أن يكون حكم الله أن
لا يتبعوهم وإثبات الحسد. والثاني إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أطم منه
وهو الجهل وقلة الفقه. قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو
يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً. قل المخلفين هم الذين تخلفوا عن الحديبية. أولي بأس
شديد يعني بني حنيفة قوم مسيلمة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأن مشركي العرب
والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف عند أبي حنيفة رحمه الله ومن عداهم من مشركي العجم وأهل
الكتاب والمجوس يقبل منهم الجزية. وعند الشافعي رضي الله عنه لا تقبل الجزية إلا من أهل الكتاب والمجوس دون مشركي
العجم والعرب وهذا دليل على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنهم لم يدعوا إلى حرب في أيام رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى قل لن تخرجوا معي
أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً. وقيل فارس والروم. ومعنى يسلمون ينقادون لأن الروم نصارى وفارس مجوس يقبل
منهم إعطاء الجزية. **فإن قلت** عن قتادة أنهم ثقيف وهوازن وكان ذلك في أيام رسول الله صلى الله
عليه وسلم. **قلت** إن صح ذلك فالمعنى لن تخرجوا معي أبداً ما دمتم على ما أنتم عليه من مرض القلوب
والاضطراب في الدين أو على قول مجاهد كان الموعد أنهم لا يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا متطوعين
لا نصيب لهم في المغنم. فإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً. كما توليتم من قبل يريد في غزوة
الحديبية. أو يسلمون معطوف على تقاتلونهم أي يكون أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام لا ثالث
لهما. وفي قراءة أبي أو يسلموا بمعنى إلى أن يسلموا. ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على
المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه
عذاباً أليماً. نفى الحرج عن هؤلاء من ذوي العاهات في التخلف عن الغزو. وقرئ ندخله ونعذبه
بالنون. لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل
السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً. هي بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها أن النبي صلى
الله عليه وسلم حين نزل الحديبية بعث خراش بن أمية الخزاعي رسولاً إلى أهل مكة فهموا به فمنعه
الأحابيش فلما رجع دعا بعمر رضي الله عنه ليبعثه فقال إني أخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي
إياهم وما بمكة عدوي يمنعني ولكني أدلك على رجل هو أعز بها مني وأحب إليهم عثمان بن عفان
رضي الله عنه فبعثه فخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته فوقروه وقالوا
إن شئت أن تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لأطوف قبل أن يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس
عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس
إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه لو كنت أبصر لأريتكم مكانها وقيل
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في أصل الشجرة وعلى ظهره غصن من أغصانها قال عبد الله بن
المغفل رضي الله عنه وكنت قائماً على رأسه وبيدي غصن من الشجرة أذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره وبايعوه
على الموت دونه وعلى أن لا يفروا فقال لهم رسول الله عليه الصلاة والسلام أنتم اليوم خير أهل الأرض. وكان
عدد المبايعين ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين. وقيل ألفاً وأربعمائة. وقيل ألفاً وثلاثمائة. فعلم ما في
قلوبهم من الإخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه. فأنزل السكينة أي الطمأنينة والأمن بسبب الصلح على قلوبهم
وأثابهم فتحاً قريباً. وقرئ وآتاهم وهو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة. وعن الحسن رحمه الله فتح هجر

وهو أجل فتح اتسعوا بثمرها زماناً. ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً.
ومغانم كثيرة تأخذونها هي مغانم خيبر وكانت أرضاً ذات عقار وأموال فقسمها عليهم ثم أتاه
عثمان رضي الله عنه بالصلح فصالحهم فانصرف بعد أن نحر بالحديبية وحلق. وعدكم الله مغانم
كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً
مستقيماً. وعدكم الله مغانم كثيرة وهي ما يفيء على المؤمنين إلى يوم القيامة. فعجل لكم هذه المغانم يعني
مغانم خيبر. وكف أيدي الناس عنكم يعني أيدي أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاءوا لنصرتهم
فقذف في قلوبهم الرعب فنكصوا. وقيل أيدي أهل مكة بالصلح. ولتكون هذه الكفة آية للمؤمنين وعبرة
يعرفون بها أنهم من الله بمكان وأنه ضامن نصرهم والفتح عليهم. وقيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتح مكة في منامه ورؤيا الأنبياء وحي فتأخر ذلك إلى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنواناً
لفتح مكة. ويهديكم صراطاً مستقيماً ويزيدكم بصيرة ويقيناً وثقة بفضل الله. وأخرى لم تقدروا
عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً. وأخرى معطوفة على هذه أي فعجل لكم هذه المغانم
ومغانم أخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين. وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من
الجولة. قد أحاط الله بها أي قدر الله عليها واستولى وأظهركم عليها وغنمكموها. ويجوز في أخرى النصب بفعل مضمر
يفسره قد أحاط الله بها تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بها. وأما لم تقدروا عليها فصفة لأخرى والرفع
على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد أحاط الله بها خبر المبتدأ والجر بإضمار رب. **فإن قلت**
قوله تعالى ولتكون آية للمؤمنين كيف موقعه؟ **قلت** هو كلام معترض ومعناه ولتكون الكفة آية للمؤمنين
فعل ذلك. ويجوز أن يكون المعنى وعدكم المغانم فعجل هذه الغنيمة وكف الأعداء لينفعكم بها ولتكون آية
للمؤمنين إذا وجدوا وعد الله بها صادقاً لأن صدق الإخبار عن الغيوب معجزة وآية ويزيدكم بذلك هداية
وإيقاناً. ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً سنة الله التي قد خلت
من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً. ولو قاتلكم الذين كفروا من أهل مكة ولم يصالحوا. وقيل من حلفاء أهل
خيبر لغلبوا وانهزموا. سنة الله في موضع المصدر المؤكد أي سن الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله تعالى
لأغلبن أنا ورسلي. وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان
الله بما تعملون بصيراً. أيديهم أيدي أهل مكة أي قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعدما خولكم الظفر
عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رضي الله عنه على أن مكة فتحت عنوة لا صلحاً. وقيل
كان ذلك في غزوة الحديبية لما روي أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة فبعث النبي صلى الله عليه وسلم من هزمه
وأدخله حيطان مكة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم
البيوت. وقرئ تعملون بالتاء والياء. هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفاً أن يبلغ
محله. قرئ والهدي والهديّ بتخفيف الياء وتشديدها وهو ما يهدى إلى الكعبة بالنصب عطفاً على الضمير
المنصوب في صدوكم أي صدوكم وصدوا الهدي وبالجر عطفاً على المسجد الحرام بمعنى وصدوكم عن نحر الهدي
معكوفاً أن يبلغ محله محبوساً عن أن يبلغ وبالرفع على وصد الهدي. ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره أي يجب وهذا
دليل لأبي حنيفة على أن المحصر محل هديه الحرم. **فإن قلت** فكيف حل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن
معه وإنما نحر هديهم بالحديبية؟ **قلت** بعض الحديبية من الحرم وروي أن مضارب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانت في الحل ومصلاه في الحرم. **فإن قلت** فإذن قد نحر في الحرم فلم قيل معكوفاً أن يبلغ
محله؟ **قلت** المراد المحل المعهود وهو منى. ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن
تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين

كفروا منهم عذابا اليما لم تعلموهم صفة للرجال والنساء جميعا • وان تطؤوهم بدل اشتمال منهم او من
الضمير المنصوب في تعلموهم • والمعرة مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه • وبغير علم
بان تطؤوهم يعني ان تطؤوهم غير عالمين بهم • والوطء والدوس عبارة عن الايقاع والابادة • قال ووطئتنا
وطأ على حنق • وطء المقيد نابت الهرم • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وان آخر وطأة وطئها الله بوج
والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفي الاماكن فقيل ولولا كراهة
ان تهلكوا ناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وانتم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف
ايديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه • ويجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال ومؤمنات لمرجعهما
الى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب **فان قلت** اي معرة تصيبهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون **قلت**
يصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والاثم
اذا جرى منهم بعض التقصير **فان قلت** قوله تعالى ليدخل الله في رحمته من يشاء تعليل لماذا **قلت**
لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الايدي عن اهل مكة والمنع من قتلهم صونا لمن بين اظهرهم من المؤمنين
كانه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم • او
ليدخل في الاسلام من رغب فيه من مشركيهم • لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله • وقرئ لو
تزايلوا • اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله
وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل شيء عليما • اذ
يجوز ان يعمل فيه ما قبله اي لعذبناهم او صدوهم عن المسجد الحرام في ذلك الوقت وان ينتصب باضمار اذكر • والمراد
بحمية الذين كفروا وسكينة المؤمنين والحمية الانفة والسكينة الوقار ما روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما نزل الحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاخيف على ان
يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام
ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم •
فقال سهيل واصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم • ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد
الله اهل مكة فقال عليه الصلاة والسلام اكتب ما يريدون فانا اشهد اني رسول الله وانا محمد بن عبد الله فهم المسلمون
ان يأبوا ذلك ويشمئزوا منه فانزل الله السكينة على رسوله فتوقروا وحلموا وكلمة التقوى بسم الله الرحمن الرحيم
ومحمد رسول الله قد اختارها الله عز وجل لنبيه وللذين معه اهل الخير ومستحقيه ومن هم اولى بالهداية من
غيرهم • وقيل هي كلمة الشهادة • وعن الحسن رحمه الله كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ومعنى اضافتها الى التقوى انها
سبب التقوى واساسها • وقيل كلمة اهل التقوى • وفي مصحف الحارث بن سويد صاحب عبد الله وكانوا اهلها واحق
بها وهو الذي دفن مصحفه ايام الحجاج • لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء
الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون • فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا
رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا
وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا
ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت • ومعنى صدق الله رسوله الرؤيا صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله
عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار واوصل الفعل كقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه **فان قلت**
بم تعلق بالحق **قلت** اما بصدق اي صدقه فيما رآه وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح

والحكمة البالغة • وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من في قلبه مرض • ويجوز ان يتعلق
منها اي صدقه الرؤيا ملتبسة بالحق على معنى انها لم تكن من اضغاث الاحلام • ويجوز ان يكون بالحق قسما
اما بالحق الذي هو نقيض الباطل او بالحق الذي هو من اسمائه • ولتدخلن جوابه وعلى الاول هو جواب قسم
محذوف **فان قلت** ما وجه دخول ان شاء الله في اخبار الله عز وجل **قلت** فيه وجوه ان يعلق عدته
بالمشيئة تعليما لعباده ان يقولوا في عداتهم مثل ذلك متأدبين بادب الله ومقتدين بسنته • وان يريد
لتدخلن جميعا ان شاء الله ولم يمت منكم احد • او كان ذلك على لسان ملك فادخل الملك ان شاء الله • او
هي حكاية ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وقص عليهم • وقيل هي متعلقة بآمنين • فعلم ما لم
تعلموا من الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة الى العام القابل • فجعل من دون ذلك اي من دون فتح مكة • فتحا
قريبا وهو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الفتح الموعود • هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا • محمد رسول الله • بالهدى ودين الحق
بدين الاسلام • ليظهره ليعليه على الدين كله على جنس الدين كله يريد الاديان المختلفة من اديان المشركين
والجاحدين من اهل الكتاب • ولقد حقق ذلك سبحانه وتعالى فانك لا ترى دينا قط الا وللاسلام دونه العز
والغلبة • وقيل هو نزول عيسى عليه الصلاة والسلام حين لا يبقى على وجه الارض كافر • وقيل هو اظهاره
بالحجج والآيات • وفي هذه الآية تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على ان الله سيفتح لهم من البلاد
ويقيض لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة • وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن • عن
الحسن شهد على نفسه انه سيظهر دينك • محمد اما خبر مبتدأ اي هو محمد لتقدم قوله هو الذي ارسل
رسوله • واما مبتدأ ورسول الله عطف بيان • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قرأ رسول الله بالنصب على المدح
والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا •
والذين معه اصحابه • اشداء على الكفار رحماء بينهم جمع شديد ورحيم ونحوه اذلة على المؤمنين اعزة على
الكافرين • واغلظ عليهم • بالمؤمنين رؤوف رحيم • وعن الحسن رحمه الله بلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من
ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم • وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا
الا صافحه وعانقه • والمصافحة لم تختلف فيها الفقهاء • واما المعانقة فقد كرهها ابو حنيفة رحمه الله
وكذلك التقبيل قال لا احب ان يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئا من جسده • وقد رخص ابو يوسف
في المعانقة • ومن حق المسلمين في كل زمان ان يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس على
ملتهم ودينهم ويتحاموه ويعاشروا اخوتهم في الاسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الاذى والمعونة والاحتمال
والاخلاق السجيحة • ووجه من قرأ اشداء رحماء بالنصب ان ينصبهما على المدح او على الحال بالمقدر في معه
ويجعل تراهم الخبر • سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع
اخرج شطأه • سيماهم علامتهم • وقرئ سيمياؤهم وفيها ثلاث لغات هاتان والسيماء • والمراد
بها السمة التي تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود • وقوله تعالى من اثر السجود تفسيرها اي من التأثير
الذي يؤثره السجود • وكان كل من العليين علي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس رضي
الله عنهم ابي الاملاك يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما احدثت في مواقعها منهما اشباه ثفنات
البعير • وقرئ من اثر السجود وكذا عن سعيد بن جبير رضي الله عنه هي السمة في الوجه **فان قلت**
فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تعلبوا صوركم • وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه رأى رجلا
قد اثر في وجهه السجود فقال ان صورة وجهك انفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك •
قلت ذلك اذا اعتمد بجبهته على الارض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق يستعاذ

بالله منه ونحن فيما حدث في جبهته من السجادة الذي لا يسجد إلا خالصا لوجه الله عز وجل • وعن بعض المتقدمين كنا نصلي فلا يرى بين أعيننا شيء ونرى أحدنا الآن يصلي فيرى بين عينيه ركبة البعير فما ندري أثقلت الأرؤس أم خشنت الأرض وإنما أراد بذلك من تعمده للنفاق • وقيل هو صفرة الوجه من خشية الله • وعن الضحاك ليس بالندب في الوجوه ولكنه صفرة • وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه ندى الطهور وتراب الأرض • وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل لقوله صلى الله عليه وسلم من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار • ذلك الوصف • مثلهم أي وصفهم العجيب الشأن في الكتابين جميعا • ثم ابتدأ فقال كزرع يريد هم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم في التوراة ثم ابتدأ ومثلهم في الإنجيل كزرع • ويجوز أن يكون ذلك إشارة مبهمة أوضحت بقوله كزرع أخرج شطأه كقوله عز وجل وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين • وقرئ الإنجيل بفتح الهمزة • شطأه فراخه يقال أشطأ الزرع إذا أفرخ • وقرئ شطاءه بفتح الطاء • وشطه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما • فآزره من المؤازرة وهي المعاونة • وعن الأخفش أنه أفعل • وقرئ فأزره بالتخفيف والتشديد أي فشد أزره وقواه ومن جعل آزر أفعل فهو في معنى القراءتين • فاستغلظ فصار من الدقة إلى الغلظ • فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق • وقيل مكتوب في الإنجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر • وعن عكرمة أخرج شطأه بأبي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان • فاستوى على سوقه بعلي رضوان الله عليهم أجمعين وهذا مثل ضربه الله عز وجل لبدء أمر الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوي واستحكم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع

فإن قلت قوله ليغيظ بهم الكفار تعليل لماذا **قلت** لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة • ويجوز أن يعلل به وعد الله الذين آمنوا لأن الكفار إذا سمعوا بما أعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك • ومعنى منهم البيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة

سورة الحجرات مدنية وهي ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم • يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم • قدمه وأقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه إذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه ونظيرهما معنى ونقلا سلفه وأسلفه وفي قوله تعالى لا تقدموا من غير ذكر مفعول وجهان أحدهما أن يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم • والثاني أن لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهي إلى نفس التقدمة كأنه قيل لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله تعالى هو الذي يحيي ويميت • ويجوز أن يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهي الجماعة المتقدمة منه وتعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف إحدى تاءي تتقدموا إلا أن الأول أملأ بالحسن وأوجه وأشد ملاءمة لبلاغة القرآن والعلماء له أقبل • وقرئ لا تقدموا من القدوم أي لا تقدموا إلى أمر من أمور الدين قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما وحقيقة قولهم جلست بين يديه أن تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه

فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره إذا جاوره وداناه في غير موضع وقد جرت هذه العبارة هاهنا على سنن ضرب من المجاز وهو الذي يسميه أهل البيان تمثيلا ولمجيئها هكذا فائدة جليلة ليست في الكلام العريان وهي تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الإقدام على أمر من الأمور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة والمعنى أن لا تقطعوا أمرا إلا بعدما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا إما عاملين بالوحي المنزل وإما مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه يدور تفسير ابن عباس رضي الله عنهما • وعن مجاهد لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يقصه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم • ويجوز أن يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله وأعجبت بعمرو وكرمه وفائدة هذا الأسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله تعالى بالمكان الذي لا يخفى سلك به ذلك المسلك وفي هذا تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوها من رفع أصواتهم فوق صوته لأن من أحظاه الله بهذه الأثرة واختصه بهذا الاختصاص القوي كان أدنى ما يجب له من التهيب والإجلال أن يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه بالكلام • وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا عليهم المنذر بن عمرو الساعدي فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل إلا ثلاثة نفر نجوا فلقوا رجلين من بني سليم قرب المدينة فاعتزيا لهم إلى بني عامر لأنهم أعز من بني سليم فقتلوهما وسلبوهما ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بئس ما صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوتهما فوداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت أي لا تعملوا شيئا من قبل أنفسكم حتى تستأمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم • وعن مسروق رضي الله عنه دخلت على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في اليوم الذي يشك فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت إني صائم فقالت قد نهى الله تعالى عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت • وعن الحسن رحمه الله أن أناسا ذبحوا يوم الأضحى قبل الصلاة فنزلت وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا ذبحا آخر وهو مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه إلا أن تزول الشمس • وعند الشافعي رضي الله عنه يجوز الذبح إذا مضى من الوقت مقدار الصلاة • وعن الحسن أيضا لما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أتته الوفود من الآفاق فأكثروا عليه بالمسائل فنهوا أن يبتدئوه بالمسألة حتى يكون هو المبتدئ • وعن قتادة ذكر لنا أن ناسا يقولون لو أنزل في كذا لكان كذا فكره الله ذلك منهم وأنزلها • وقيل هي عامة في كل قول وفعل ويدخل فيها أنه إذا جرت مسألة في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسبقوه بالجواب وأن لا يمشي بين يديه إلا لحاجة وأن يستأني في الافتتاح بالطعام • واتقوا الله فإنكم إن اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها وعن جميع ما تقتضي مراقبة الله عز وجل تجنبه فإن التقي حذر لا يشافه أمرا إلا عن ارتفاع الريب وانجلاء الشك في أن لا تبعة عليه فيه وهذا كما تقول لمن يقارف بعض الرذائل لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك العار فتنهاه أولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتأمره بما لو امتثل فيه أمرك لم يرتكب تلك الفعلة وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها • إن الله سميع لما تقولون عليم بما تعملون وحق مثله أن يتقى ويراقب • يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون • إعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتطرية الإنصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأدب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم وذلك لأن في إعظام صوته إعظام ما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه أن يألو عملا بما يحدوه عليه وأن ينتهي عما نهاه عنه وانتهائه إلى كل خير • والمراد بقوله لا ترفعوا أصواتكم

فوق صوت النبي إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وأن
تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة
وسابقته واضحة وامتيازه عن جمهوركم كشية الأبلق غير خاف لا أن تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا
منطقه بصخبكم وبقوله ولا تجهروا له بالقول إنكم إذا كلمتموه وهو صامت فإياكم والعدول عما نهيتم
عنه من رفع الصوت بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وأن تعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب
من الهمس الذي يضاد الجهر كما تكون مخاطبة المهيب المعظم عاملين بقوله عز وجل وتعزروه وتوقروه وقيل
معنى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضي
الله عنهما لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله والله لا أكلمك إلا السرار أو أخا السرار
حتى ألقى الله وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم كأخي السرار لا يسمعه حتى
يستفهمه وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد أرسل إليهم من يعلمهم
كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس الغرض برفع الصوت ولا
الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لأن ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون وإنما الغرض صوت هو في نفسه
والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده إلى حد يميل
به إلى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير ولم يتناول النهي أيضا رفع الصوت الذي لا يتأذى به
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما كان منهم في حرب أو مجادلة معاند أو إرهاب عدو أو ما أشبه ذلك
ففي الحديث أنه قال صلى الله عليه وسلم للعباس رضي الله عنه لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان
العباس أجهر الناس صوتا ويروى أن غارة أتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فأسقطت الحوامل
لشدة صوته وفيه يقول نابغة بني جعدة زجر أبي عروة السباع إذا أشفق أن يختلطن بالغنم
زعمت الرواة أنه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه وفي قراءة ابن مسعود رضي
الله عنه لا ترفعوا بأصواتكم والباء مزيدة محذو بها حذو التشديد في قول الأعرابي الهذلي رفعت
عيني بالحجاز إلى أناس بالمناقب وليس المعنى في هذه القراءة أنهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلا أن
يكون ما دون الشديد مسوغا لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة واستجفاؤهم فيما كانوا
يفعلون وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه وكان في أذنه وقر
وكان جهوري الصوت فكان إذا تكلم رفع صوته وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى
بصوته وعن أنس رضي الله عنه أن هذه الآية لما نزلت فقد ثابت فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد أنزلت إليك هذه الآية وإني رجل جهير الصوت
فأخاف أن يكون عملي قد حبط فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لست هناك إنك تعيش بخير
وتموت بخير وإنك من أهل الجنة وأما ما يروى عن الحسن أنها نزلت فيمن كان يرفع صوته من
المنافقين فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فمحمله والخطاب للمؤمنين على أن ينطوي تحته
ليندرج المنافقون تحته ليكون الأمر أغلظ عليهم وأشق وقيل كان المنافقون يرفعون أصواتهم
ليظهروا قلة مبالاتهم فيقتدي بهم ضعفة المسلمين وكاف التشبيه في محل النصب أي لا تجهروا
له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم إلا أن يكلموه بالهمس
والمخافتة وإنما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة أعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه
منهم فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب
وإن جلت عن رتبتها أن تحبط أعمالكم منصوب الموضع على أنه مفعول له وفي متعلقه وجهان أحدهما

أن يتعلق بمعنى النهي فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط أعمالكم أي لخشية حبوطها على تقدير حذف
المضاف كقوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا والثاني أن يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى أنهم نهوا
عن الفعل الذي فعلوه لأجل الحبوط لأنه لما كان بصدد الأداء إلى الحبوط جعل كأنه فعل لأجله وكأنه
العلة والسبب في إيجاده على سبيل التمثيل كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا **فإن قلت** لخص الفرق
بين الوجهين **قلت** تلخيصه أن يقدر الفعل في الثاني مضموما إليه المفعول له كأنهما شيء واحد
ثم يصب النهي عليهما جميعا صبا وفي الأول يقدر النهي موجها على الفعل على حياله ثم يعلل له منهيا عنه
فإن قلت فأي النهيين تعلق المفعول له **قلت** بالثاني عند البصريين مقدرا إضماره
عند الأول كقوله تعالى آتوني أفرغ عليه قطرا وبالعكس عند الكوفيين وأيهما كان فمرجع المعنى إلى أن
الرفع والجهر كلاهما منصوص أداؤه إلى حبوط العمل وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه فتحبط أعمالكم
أظهر نصا بذلك لأن ما بعد الفاء لا يكون إلا مسببا عما قبله فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الحلول
من الطغيان في قوله تعالى ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي والحبوط من حبطت الإبل إذا أكلت الخضر
فنفخ بطونها وربما هلكت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وإن مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا أو يلم
ومن أخواته حبجت الإبل إذا أكلت العرفج فأصابها ذلك وأحبض عمله مثل أحبطه وحبط الجرح
وحبر إذا غفر وهو نكسه وتراميه إلى الفساد جعل العمل السيء في إضراره بالعمل الصالح كالداء والحرض
لمن يصاب به أعاذنا الله من حبط الأعمال وخيبة الآمال وقد دلت الآية على أمرين هائلين أحدهما
أن فيما يرتكب من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله والثاني أن في آثامه ما لا يدري أنه محبط ولعله عند
الله كذلك فعلى المؤمن أن يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ إن الذين
يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر
عظيم امتحن الله قلوبهم للتقوى من قولك امتحن فلان لأمر كذا وجرب له ودرب للنهوض به فهو
مضطلع به غير وان عنه والمعنى أنهم صبر على التقوى أقوياء على احتمال مشاقها أو وضع الامتحان
موضع المعرفة لأن تحقق الشيء باختباره كما وضع الخبر موضعها فكأنه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى
وتكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قولك أنت لهذا الأمر أي كائن له ومختص به قال
لها أحمد من بين البشر لعداء من لليعملات على الوجى وهي مع معمولها منصوبة على الحال أو ضرب الله
قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الصعبة لأجل التقوى أي لتثبت وتظهر تقواها ويعلم أنهم متقون
لأن حقيقة التقوى لا تعلم إلا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها وقيل أخلصها للتقوى
من قولهم امتحن الذهب وفتنه إذا أذابه فخلص إبريزه من خبثه ونقاه وعن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه أذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ أو بلاء جهيد قال أبو
عمرو كل شيء جهدته فقد محنته وأنشد أتت رذايا باديا كلالها قد محنت واضطربت
أطلالها قيل أنزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت والبلوغ به أخا السرار
وهذه الآية بنظمها الذي رتبت عليه من إيقاع الغاضين أصواتهم اسما لأن المؤكدة وتصيير خبرها
جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم الإشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو
جزاؤهم على عملهم وإيراد الجزاء نكرة مبهما أمره ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء
لما فعل الذين وقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خفض أصواتهم وفي الإعلام بمبلغ عزة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون أصواتهم واستيجابهم
ضد ما استوجب هؤلاء إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون والوراء

الجهة التي يواريها عنك الشخص بظله من خلف او قدام • ومن لابتداء الغاية وان المناداة نشأت من ذلك المكان **فان قلت** افرق بين الكلامين بين ما تثبت فيه وما تسقط عنه **قلت** الفرق بينهما ان المنادي والمنادى في احدهما يجوز ان يجمعهما الوراء وفي الثاني لا يجوز لان الوراء تصير بدخول من مبتدأ الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة ان تكون مبتدأ ومنتهى لشيء واحد والذي يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجها دون وجه بل مطلقا بين تعيين واختصاص والانكار لم يتوجه عليهم من قبل ان النداء وقع منهم في ادبار الحجرات او في وجوهها وانما انكر عليهم انهم نادوه من البر والخارج مناداة الاجلاف بعضهم لبعض من غير قصد الى جهة دون جهة • والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة وجمعها الحجرات بضمتين • والحجرات بفتح الجيم • والحجرات بتسكينها وقرئ بهن جميعا والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها يحتمل انهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك وانهم قد اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها وانهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمكان حرمته والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز ان يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكأنهم تولوه جميعا فقد ذكر الاصم ان الذي ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والاخبار عن اكثرهم بانهم لا يعقلون يحتمل ان يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ويحتمل ان يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفي ان يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفي في كلامهم • وروي ان وفد بني تميم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا فاستيقظ وخرج • وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فقال هم جفاة بني تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم وورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى على الناظر من بينات اكبار محل رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلاله منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما اقدموا عليه • ومنها لفظ الحجرات وايقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه • ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذي تبين به ما استنكر عليهم • ومنها التعريف باللام دون الاضافة • ومنها ان شفع ذمهم باستجفائهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات تهوينا للخطب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له واماطة لما تداخله من ايحاش تعجرفهم وسوء ادبهم وهلم جرا من اول السورة الى آخر هذه الآية فتأمل كيف ابتدئ بايجاب ان تكون الامور التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير حصر ولا تقييد ثم اردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كأن الاول بساط للثاني ووطاء لذكره ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا اصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله عز وجل ثم جيء على عقيب ذلك بما هو اطم وهجنته اتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما اجترأوا عليه وجسروا عليه لان من رفع الله عز وجل قدره عن ان يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة المهاجرين والانصار باخي السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا ومن هذا وامثاله يقتطف ثمار الالباب وتقتبس محاسن الآداب كما يحكى عن ابي عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى انه قال ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه • **ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم** • انهم صبروا في موضع الرفع على الفاعلية لان المعنى ولو ثبت صبرهم والصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هواها قال الله عز وجل واصبر نفسك مع الذين

يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس فلهذا قيل للحبس على اليمين او القتل صبر وفي كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر **فان قلت** هل من فرق بين حتى تخرج والى ان تخرج **قلت** ان حتى مختصة بالغاية المضروبة تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولو قلت حتى نصفها او صدرها لم يجز والى عامة في كل غاية فقد افادت حتى بوضعها ان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم ان يقطعوا امرا دون الانتهاء اليه **فان قلت** فاي فائدة في قوله تعالى اليهم **قلت** فيه انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان خروجه اليهم لكان خيرا لهم في كان اما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو واما ضمير مصدر صبروا كقولهم من كذب كان شرا له • والله غفور رحيم بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وانابوا • **يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر اربعا ثم قال هل ازيدكم فعزله عثمان عنهم مصدقا الى بني المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ان يغزوهم فبلغ القوم فوردوا وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم وقال لتنتهن او لابعثن اليكم رجلا هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي رضي الله عنه • وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه فوجدهم منادين بالصلوات متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع • وفي تنكير الفاسق والنبإ شياع في الفساق والانباء كأنه قال اي فاسق جاءكم باي نبإ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه • والفسوق الخروج من الشيء والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها واخرجت ما فيها • ومن مقلوبه ايضا قفست الشيء اذا اخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد والانسلاخ من الحق قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا • وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فتثبتوا والتبين والتثبت متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه بالمنزلة التي لا يجسر احد ان يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد الا في الندرة قيل ان جاءكم بحرف الشك وفيه ان على المؤمنين ان يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور ان تصيبوا مفعول له اي كراهة اصابتكم • قوما بجهالة حال كقوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم يعني جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة • والاصباح بمعنى الصيرورة • والندم ضرب من الغم وهو ان تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام ولزام لانه كلما تذكر المتندم عليه راجعه من الندام وهو لزام الشريب ودوام صحبته • ومن مقلوباته ادمن الامر ادامه ومدن بالمكان اقام به ومنه المدينة وقد تراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا وموصوفا بانه لا يفارق صاحبه • **واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون** • الجملة المصدرة بلو لا تكون كلاما مستأنفا لادائه الى تنافر النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من احد الضميرين في فيكم المستتر المرفوع او البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد • والمعنى ان فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها او انتم على حالة يجب عليكم تغييرها وهي انكم تحاولون منه ان يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من رأي واستصواب فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه المحتذي على امثلته ولو فعل ذلك لعنتم اي

لوقعتم في الجهد والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا اي يطلب ما يؤديه الى الهلاك وقد أعنت العظم اذا هيض بعد الجبر وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وان نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وان بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان اي الى بعضكم ولكنه اغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من ايجازات القرآن ولمحاته اللطيفة التي لا يفطن لها الا الخواص وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله تعالى اولئك هم الراشدون والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي اولئك المستثنون هم الراشدون يصدق ما قلت

فان قلت ما فائدة تقديم خبر ان على اسمها **قلت** القصد الى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن الله منهم من استتباع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم لآرائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض اليه **فان قلت** فلم قيل لو يطيعكم دون لو اطاعكم **قلت** للدلالة على انه كان في ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه وانه كلما عن لهم رأي في امر كان معمولا عليه بدليل قوله في كثير من الامر كقولك فلان يقري الضيف ويحمي الحريم تريد انه مما اعتاده ووجد منه مستمرا **فان قلت** كيف موقع لكن وشريطتها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا **قلت** هي مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن في حاق موقعها من الاستدراك ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق وهذا سبيل الكناية كما سبق وكل ذي لب وراجع الى بصيرة وذهن لا يغبى عليه ان الرجل لا يمدح بغير فعله وحمل الآية على ظاهرها يؤدي الى ان يثني عليهم بفعل الله وقد نعى الله تعالى على الذين احبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا **فان قلت** فان العرب تمدح بالجمال وحسن الوجوه وذلك فعل الله وهو مدح مقبول عند الناس غير مردود **قلت** الذي سوغ ذلك لهم انهم رأوا حسن الرواء ووسامة المنظر في الغالب يسفر عن مخبر مرضي واخلاق محمودة ومن ثم قالوا احسن ما في الدميم وجهه فلم يجعلوه من صفات المدح لذاته ولكن لدلالته على غيره على ان من محققة الثقات وعلماء المعاني من دفع صحة ذلك وخطأ المادح به وقصر المدح على النعت بامهات الخير وهي الفصاحة والشجاعة والعدل والعفة وما يتشعب منها ويرجع اليها وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة الحفدة والاعضاد وغير ذلك مما ليس للانسان فيه عمل غلطا ومخالفة عن المعقول والكفر تغطية نعم الله وغمطها بالجحود والفسوق الخروج عن قصد الايمان ومحجته بركوب الكبائر والعصيان ترك الانقياد والمضي لما امر به الشارع والعرق العاصي العائد واعتصت النواة اشتدت والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة قال ابو الوازع كل صخرة رشادة وانشد وغير مقلد وموشمات صلين الضحى من حجر الرشاد فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم

فضلا من الله ونعمة مفعول له او مصدر من غير فعله **فان قلت** من اين جاز وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله والشرط ان يتحد الفاعل **قلت** لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة الى اسمه تقدست اسماؤه صار الرشد كأنه فعله فجاز ان ينتصب عنه ولا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند الى اسم الله والجملة التي هي اولئك هم الراشدون اعتراض او عن فعل مقدر كأنه قيل جرى ذلك او كان ذلك فضلا من الله واما كونه مصدرا من غير فعله فان يوضع موضع رشدا لان رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم حين يفضل وينعم

بالتوفيق على

بالتوفيق على افاضلهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين عن ابن عباس رضي الله عنهما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك عبد الله بن أبي بانفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره لاطيب من مسكك وروي حماره افضل منك وبول حماره افضل من مسكك ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصي وقيل بالايدي والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل قرأها عليهم فاصطلحوا والبغي الاستطالة والظلم واباء الصلح حتى تفيء والفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من اموال الكفار الى المسلمين وعن ابي عمرو حتى تفي بغير همز ووجهه ان ابا عمرو خفف الاولى من الهمزتين الملتقيتين فلطفت على الراوي تلك الخلسة فظنه قد طرحها **فان قلت** ما وجه قوله اقتتلوا والقياس اقتتلتا كما قرأ ابن ابي عبلة او اقتتلا كما قرأ عبيد بن عمير على تأويل الرهطين او النفرين **قلت** هو مما حمل على المعنى دون اللفظ لان الطائفتين في معنى القوم والناس وفي قراءة عبد الله حتى يفيئوا الى امر الله فان فاءوا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت وعن ابن عمر ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت من امر هذه الآية ان لم اقاتل هذه الفئة الباغية كما امرني الله قاله بعد اعتزال فاذا كفت وقبضت عن الحرب ايديها تركت واذا تولت عمل بها بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا ابن ام عبد هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله اعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيئها ولا تخلو الفئتان من المسلمين في اقتتالهما اما ان يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا فالواجب في ذلك ان يمشي بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة فان لم يتحاجزا ولم يصطلحا واقامتا على البغي صير الى مقاتلتهما واما ان يلتحما في القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند انفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما على مراشد الحق فان ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا اليه ونصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين واما ان تكون احداهما الباغية على الاخرى فالواجب ان تقاتل فئة البغي الى ان تكف وتتوب فان فعلت اصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل وفي ذلك تفاصيل ان كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن الا عند محمد بن الحسن رحمه الله فانه كان يفتي بان الضمان يلزمها اذا فاءت واما قبل التجمع والتجند او حين تتفرق عند وضع الحرب اوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع فمحمل الاصلاح بالعدل في قوله تعالى فاصلحوا بينهما بالعدل على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه ان يحمل على ان الفئة قليلة العدد والذي ذكروا ان الغرض اماتة الضغائن وسل الاحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمأمور به من اعمال العدل ومراعاة القسط **فان قلت** فلم قرن بالاصلاح الثاني العدل دون الاول **قلت** لان المراد بالاقتتال في اول الآية ان تقتتلا باغيتين معا او راكبتي شبهة وايتهما كانت فالذي يجب على المسلمين ان يأخذوا به في شأنهما اصلاح ذات البين وتسكين الدهماء باراءة الحق والمواعظ الشافية ونفي الشبهة الا اذا اصرتا فحينئذ تجب المقاتلة واما

وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار كانت مداراة بينهما فقال احدهما للآخر لآخذن منك حقي عنوة لكثرة عشيرته وان الآخر دعاه ليحاكمه الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فأبى فلم يزل الامر بينهم حتى ترى ما لا يرى وقيل كانت امرأة من الانصار يقال لها ام زيد تحت رجل وكان بينها وبينه شيء فرقي بها الى علية وحبسها فبلغ ذلك قومها فجاءوا وجاء قومه فاقتتلوا بالايدي والنعال فانزل الله. معالم التنزيل

الضمان فلم يخفه وليس كذلك اذا بغت احداهما فان الضمان متجه على الجهتين المذكورتين * واقسطوا
امر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما امر به في اصلاح ذات البين والقول فيه مثل الامر بتقوى
الله على عقب النهي عن التقديم بين يديه * والقسط بالفتح الجور من القسط وهو اعوجاج في الرجلين
وعود قاسط يابس واقسطته الريح * واما القسط بمعنى العدل فالفعل منه اقسط وهمزته للسلب
اي ازال القسط وهو الجور * انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون * هذا
تقرير لما الزمه من تولي الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان ان الايمان قد عقد
بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة ولم يبرز عليها لم ينقص عنها ولم
يتقاصر عن غايتها * ثم قد جرت عادة الناس على انه اذا نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الولاد لزم
السائر ان يتناهضوا في رفعه وازاحته ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما الى ان يصادف
ما وهى من الوفاق من يرقعه وما استشن من الوصال من يبله فالاخوة في الدين احق بذلك وباشد منه * وعن
النبي صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر
عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم الا قليل * فان قلت فلم
خص الاثنان بالذكر دون الجمع * قلت لان اقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا لزمت المصالحة
بين الاقل كانت بين الاكثر الزم لان الفساد في شقاق الجمع اكثر منه في شقاق الاثنين * وقيل المراد
بالاخوين الاوس والخزرج * وقرئ بين اخوتكم واخوانكم * والمعنى ليس المؤمنون الا اخوة وانهم خلص لذلك
متمحضون قد انزاحت عنهم شبهات الاجنبية * واتقوا الله فانكم ان فعلتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل والائتلاف
والمسارعة الى اماطة ما يفرط منه وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم واشتمال رافته عليكم
حقيقا بان تعقدوا به رجاءكم * يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم
ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن * القوم الرجال خاصة لانهم القوام بامور النساء قال الله
تعالى الرجال قوامون على النساء * وقال صلوات الله وسلامه عليه النساء لحم على وضم الا ما ذب عنه
والذابون هم الرجال وهو في الاصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر وتسميتهم بالمصدر عن بعض
العرب اذا اكلت طعاما احببت نوما وابغضت قوما اي قياما * واختصاص القوم بالرجال صريح في الاية وفي
قول زهير * اقوم ال حصن ام نساء * واما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم
بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن * وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين
ان يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وان تقصد افادة الشياع وان يصير كل جماعة منهم منهية
عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امراة من امراة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم
وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشان الذي كانوا عليه ولانه مشهد الساخر لا يكاد يخلو
ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا ياتي ما عليه من النهي والانكار فيكون شريك الساخر وتلوه في تحمل الوزر
وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدي ذلك وان اوجده واحد الى تكثر السخرة وانقلاب
الواحد جماعة وقوما * وقوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم كلام مستانف قد ورد مورد جواب المستخبر عن
العلة الموجبة لما جاء النهي عنه والا فقد كان حقه ان يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب ان يعتقد كل احد
ان المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر لان الناس لا يطلعون الا على ظواهر الاحوال
ولا علم لهم بالخفيات وانما الذي يزن عند الله خلوص الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغي
ان لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا راه رث الحال او ذا عاهة في بدنه او غير لبيق في محادثته
فلعله اخلص ضميرا واتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى والاستهانة بمن

عظمه الله * ولقد بلغ بالسلف افراط توقيهم وتصونهم من ذلك ان قال عمرو بن شرحبيل لو رايت رجلا يرضع
عنزا فضحكت منه خشيت ان اصنع مثل الذي صنعه * وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه البلاء
موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا * وفي قراءة عبد الله عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن
فعسى على هذه القراءة ذات خبر كالتي في قوله عز وجل فهل عسيتم وعلى الاولى التي لا خبر لها كقوله عز وجل
وعسى ان تكرهوا شيئا * ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب * واللمز الطعن والضرب باللسان
وقرئ ولا تلمزوا بالضم * والمعنى وخصوا ايها المؤمنون انفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا
عليكم ان تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس * وعن الحسن رحمه الله في ذكر الحجاج اخرج الي بنانا قصيرة
قلما عرقت فيها الاعنة في سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول يا ابا سعيد يا ابا
سعيد * وقال لما مات اللهم انت امته فاقطع سنته فانه اتانا اخيفش اعيمش يخطر في مشيته
ويصعد المنبر حتى تفوته الصلاة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحي فوقه الله وتحته مائة الف او يزيدون
لا يقول له قائل الصلاة ايها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط * وقيل معناه
لا يعب بعضكم بعضا لان المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكانما عاب نفسه * وقيل معناه
لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة * والتنابز بالالقاب التداعي
بها تفاعل من نبزه وبنو فلان يتنابزون ويتنابزون ويقال النبز والنزب لقب السوء * والتلقيب
المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له وشينا * فاما ما يحبه
ويزينه فلا باس به * روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حق المؤمن على المؤمن ان يسميه باحب
اسمائه اليه * ولهذا كانت التكنية من السنة والادب الحسن * قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشيعوا
الكنى فانها منبهة * ولقد لقب ابو بكر رضي الله عنه بالعتيق والصديق * وعمر رضي الله عنه بالفاروق
وحمزة رضي الله عنه باسد الله * وخالد رضي الله عنه بسيف الله * وقل من المشاهير في الجاهلية
والاسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الالقاب الحسنة في الامم كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم
ومكاتباتهم من غير نكير * روي عن الضحاك ان قوما من بني تميم استهزءوا ببلال وخباب وعمار وصهيب
وابي ذر وسالم مولى حذيفة رضوان الله عليهم اجمعين فنزلت * وعن ام المؤمنين عائشة رضي الله
عنها انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها وكانت قصيرة * وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان ام سلمة ربطت حقويها بسبيبة وسدلت طرفها خلفها وكانت تجره فقالت عائشة رضي الله
عنها لحفصة انظري ما تجر خلفها كانه لسان كلب * وعن انس رضي الله عنه عيرت نساء رسول الله صلى الله عليه
وسلم ام سلمة رضي الله عنها بالقصر * وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان صفية بنت حيي اتت
النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت ان ابي هارون وان عمي موسى وان زوجي محمد صلوات الله وسلامه
عليهم * وروي انها نزلت في ثابت بن قيس رضي الله عنه وكان به وقر وكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليسمع فاتى يوما وهو يقول تفسحوا لي حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل
تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانة يريد اما كان يعير بها في الجاهلية
فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا افخر على احد في الحسب بعدها ابدا * بئس الاسم الفسوق بعد الايمان
ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون * الاسم هاهنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللؤم
كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس الا ترى الى قولهم اشاد بذكره

ثم قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر ان يذكروا بالفسق وفي قوله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ثلاثة
اوجه احدها استقباح الجمع بين الايمان وبين الفسق الذي يأباه الايمان ويحظره كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة
الصبوة والثاني انه كان في شتائمهم لمن اسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر
ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهي عن التنابز والثالث
ان يجعل من فسق غير مؤمن كما تقول للمتحول عن التجارة الى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة يا ايها
الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه وحقيقته
جعله منه في جانب فيعدى الى مفعولين قال الله عز وجل واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ثم يقال في مطاوعه
اجتنب الشر فتنقص المطاوعة مفعولا والمأمور باجتنابه هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة
الا ترى الى قوله ان بعض الظن اثم فان قلت بين الفصل بين كثير حيث جاء نكرة وبينه
لو جاء معرفة قلت مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية وان في الظنون ما يجب ان يجتنب من غير تبيين
لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ احد على ظن الا بعد نظر وتأمل وتمييز بين حقه وباطله بامارة بينة
مع استشعار للتقوى والحذر ولو عرف لكان الامر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل ووجب
ان يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما اتصف منه بالقلة مرخصا في تظنيه والذي يميز الظنون التي
يجب اجتنابها عما سواها ان كل ما لم تعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك اذا كان
المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح واونست منه الامانة في الظاهر فظن الفساد والخيانة به
محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم
دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء وعن الحسن رحمه الله كنا في زمان الظن بالناس حرام وانت اليوم
في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر وعنه ان الفاسق اذا اظهر فسقه
وهتك ستره هتكه الله واذا استتر لم يظهر الله عليه لعله ان يتوب وقد روي من القى جلباب الحياء فلا
غيبة له والاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال
قال لقد فعلت هذي النوى بي فعلة اصاب النوى قبل الممات اثامها والهمزة فيه عن الواو كانه يثم
الاعمال اي يكسرها باحباطه ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا وقرئ ولا تحسسوا بالحاء والمعنيان
متقاربان يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما ان التلمس بمعنى التطلب من اللمس
لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا السماء والتحسس التعرف من الحس ولتقاربهما
قيل لمشاعر الانسان الحواس بالحاء والجيم والمراد النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه
وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب فرفع صوته حتى
اسمع العواتق في خدورهن قال يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين
فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو كان في جوف بيته وعن زيد بن وهب
رضي الله عنه قلنا لابن مسعود رضي الله عنه هل لك في الوليد بن عقبة بن ابي معيط تقطر لحيته خمرا فقال
ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شيء اخذنا به الغيبة الذكر بالعيب في ظهر الغيب
والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال تقول اغتابه اغتيابا وغيبة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس
رضي الله عنهما الغيبة ادام كلاب الناس ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا
الله ان الله تواب رحيم هذا تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افظع وجه واقبحه
وافحشه وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة

موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر
على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان حتى جعل الانسان اخا ومنها ان لم يقتصر على لحم الاخ حتى جعل ميتا
وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة ان تأكل منها كذلك فاكره لحم اخيك وهو حي وانتصب ميتا على الحال
من اللحم ويجوز ان ينتصب عن الاخ وقرئ ميتا ولما قررهم عز وجل بان احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه عقب ذلك
بقوله تعالى فكرهتموه معناه فقد كرهتموه واستقر ذلك وفيه معنى الشرط اي ان صح هذا فكرهتموه وهي الفاء الفصيحة
اي فتحققت بوجوب الاقرار عليكم وبانكم لا تقدرون على دفعه وانكاره لاباء البشرية عليكم ان تجحدوه
كراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن في اعراض المسلمين وقرئ
فكرهتموه اي جبلتم على كراهته فان قلت هلا عدي بالى في قوله وكره اليكم الكفر وايهما القياس
قلت القياس تعديه بنفسه لانه ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه تقول كرهت الشيء فاذا ثقل استدعى
زيادة مفعول واما تعديته بالى فتأول واجراء لكره مجرى بغض لان بغض منقول من بغض اليه الشيء فهو بغيض
اليه كقولك حبب اليه الشيء فهو حبيب اليه والمبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده او لانه
ما من ذنب يقترفه المقترف الا كان معفوا عنه بالتوبة او لانه بليغ في قبول التوبة منزل صاحبها منزلة من لم يذنب
قط لسعة كرمه والمعنى واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فانكم ان اتقيتم
تقبل الله توبتكم وانعم عليكم بثواب المتقين التائبين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان سلمان رضي الله عنه كان
يخدم رجلين من الصحابة ويسوي لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي
لهما اداما وكان اسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان رضي الله عنه
فعند ذلك قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي ارى
خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر
وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا من آدم وحواء وقيل خلقنا كل واحد منكم من اب
وام فما منكم احد الا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب والشعب الطبقة
الاولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب
يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل
خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل
تشعبت منها وقرئ لتتعارفوا ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا اي لتتعلموا كيف تتناسبون ولتعرفوا والمعنى
ان الحكمة التي من اجلها رتبكم على شعوب وقبائل هي ان يعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزي الى غير آبائه لا ان
تتفاخروا بالآباء والاجداد وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله
عليم خبير ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال ان اكرمكم عند الله
اتقاكم وقرئ ان بالفتح كانه قيل لم لا يتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه طاف يوم فتح مكة فحمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية
وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرأ الآية
وعنه صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما كرم الدنيا الغنى
وكرم الآخرة التقوى وعن يزيد بن شجرة رضي الله عنه مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة فرأى
غلاما اسود يقول من اشتراني فعلى شرط لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتراه
رجل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عند كل صلاة ففقده يوما فسأل عنه صاحبه فقال محموم فعاده
ثم سأل عنه بعد ايام فقيل هو لما به فجاءه وهو في ذمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين

والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين أمر عظيم فنزلت ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا
ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ الإيمان هو التصديق بالله مع الثقة وطمأنينة النفس والإسلام الدخول
في السلم والخروج من أن يكون حربا للمؤمنين بإظهار الشهادتين ألا ترى إلى قوله ﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾
فاعلم أن ما يكون من الإقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو إسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو إيمان
فإن قلت ما وجه قوله ﴿قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ والذي يقتضيه نظم الكلام أن يقال قل لا تقولوا آمنا
ولكن قولوا أسلمنا أو قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم قلت أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولا ودفع ما انتحلوه
فقيل قل لم تؤمنوا وروعي في هذا النوع من التكذيب أدب حسن حين لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم
ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما ادعوا إثباته موضعه ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم
في قوله في صفة المخلصين أولئك هم الصادقون تعريضا بأن هؤلاء هم الكاذبون ورب تعريض لا يقاومه
التصريح واستغنى بالجملة التي هي لم تؤمنوا عن أن يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه
النهي عن القول بالإيمان ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى ولم يقل ولكن أسلمتم
ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن أسلمتم لكان خروجه في
معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به فإن قلت قوله ﴿ولما يدخل الإيمان
في قلوبكم﴾ بعد قوله قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة قلت
ليس كذلك فإن فائدة قوله لم تؤمنوا تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الإيمان في قلوبكم توقيت
لما أمروا به أن يقولوه كأنه قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم لأنه كلام
واقع موقع الحال من الضمير في قولوا وما في لما من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد ﴿وإن تطيعوا
الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم﴾ لا يلتكم لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال
ألته السلطان حقه أشد الألت وهي لغة غطفان ولغة أسد وأهل الحجاز لاته ليتا وحكى الأصمعي
عن أم هشام السلولية أنها قالت الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمه الأصوات وقرئ باللغتين
لا يلتكم ولا يألتكم ونحوه في المعنى فلا تظلم نفس شيئا ومعنى طاعة الله ورسوله أن يتوبوا عما كانوا
عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على الإيمان ويعملوا بمقتضياته فإن فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم
ووهب لهم مغفرته وأنعم عليهم بجزيل ثوابه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن نفرا من بني أسد قدموا
المدينة في سنة جدبة فأظهروا الشهادة وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها
وهم يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بأنفسها على ظهور
رواحلها وجئناك بالأثقال والذراري يريدون الصدقة ويمنون عليه فنزلت ﴿إنما المؤمنون
الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك
هم الصادقون﴾ ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك مع التهمة والمعنى أنهم آمنوا ثم لم يقع في
نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بأن الحق معه فإن قلت ما معنى
ثم هاهنا وهي للتراخي وعدم الارتياب يجب أن يكون مقارنا للإيمان لأنه وصف فيه لما بينت من إفادة
الإيمان معنى الثقة والطمأنينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب قلت الجواب على طريقين
أحدهما أن من وجد منه الإيمان ربما اعترضه الشيطان أو بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف
في قلبه ما يثلم يقينه أو نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا رأسه
لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا والثاني
أن الإيقان وزوال الريب لما كان ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان تنبيها على مكانه وعطف

على الإيمان

على الإيمان بكلمة التراخي إشعارا باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا و
جاهدوا يجوز أن يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب أو الشيطان أو الهوى وأن يكون جاهد
مبالغة في جهد ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وأن يتناول العبادات بأسرها وبالمجاهدة
بالمال نحو ما صنع عثمان بن عفان رضي الله عنه في جيش العسرة وأن يتناول الزكوات
وكل ما يتعلق بالمال من الأعمال التي يتعامل فيها الرجل مع ربه لوجه الله ﴿أولئك هم الصادقون﴾
الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أعراب بني أسد أو هم الذين إيمانهم إيمان صدق
وإيمان حق وجد وثبات ﴿قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله
بكل شيء عليم يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم﴾ يقال ما علمت بقدومك
أي ما شعرت به ولا أحطت به ومنه قوله تعالى أتعلمون الله بدينكم وفيه تجهيل لهم يقال من عليه بيد
أسداها إليه كقولك أنعم عليه وأفضل عليه والمنة النعمة التي لا يستثيب مسديها من يزلها إليه
واشتقاقها من المن الذي هو القطع لأنه إنما يسديها إليه ليقطع بها حاجته لا غير من غير أن يعمد
لطلب مثوبة ثم يقال من عليه صنعه إذا اعتده عليه منة وإنعاما وسياق هذه الآية فيه لطف
ورشاقة وذلك أن الكائن من الأعراب قد سماه الله إسلاما ونفى أن يكون كما زعموا إيمانا فلما منوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان منهم قال الله سبحانه وتعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام
إن هؤلاء يعتدون عليك بما ليس جديرا بالاعتداد به من حدثهم الذي حق تسميته أن يقال له إسلام
فقل لهم لا تعتدوا علي إسلامكم أي حدثكم المسمى إسلاما عندي لا إيمانا ﴿بل الله يمن عليكم
أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ ثم قال بل الله يعتد عليكم أن أمدكم بتوفيقه حيث هداكم
للإيمان على ما زعمتم وادعيتم أنكم أرشدتم إليه ووفقتم له إن صح زعمكم وصدقت دعواكم إلا أنكم
تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وفي إضافة الإسلام إليهم وإيراد الإيمان غير مضاف
ما لا يخفى على المتأمل وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره إن كنتم صادقين في ادعائكم
الإيمان فلله المنة عليكم وفي قراءة ابن مسعود إذ هداكم وفي قراءة زيد بن علي إن هداكم
﴿إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون﴾ وقرئ بالياء والتاء وهذا
بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني أنه عز وجل يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم
مع كل معاد ... عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون
هذا شيء عجيب أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد﴾ الكلام في ق والقرآن المجيد نحوه في ص
والقرآن ذي الذكر لأنهما في أسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف
على غيره من الكتب ومن أحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وهو بسبب من الله
المجيد فجاز اتصافه بصفته قوله بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو
أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته ومن كان على صفته لم يكن
إلا ناصحا لقومه خائفا أن ينالهم سوء ويحل بهم مكروه وإذا علم أن مخوفا أظلهم لزمه أن ينذرهم
فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير

بعد البعث مع علمهم بقدرة الله عز وجل على خلق السموات والأرض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء وابداعه
واقرارهم بالنشأة الأولى ومع شهادة العقل بأنه لا بد من الجزاء ثم عول على أحد الانكارين بقوله تعالى
فقال الكافرون هذا شيء عجيب أئذا متنا دلالة على أن تعجبهم من البعث ادخل في الاستبعاد وأحق بالانكار
ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة عليهم في قولهم هذا بالكفر العظيم وهذا اشارة الى
الرجع وإذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع ذلك رجع بعيد مستبعد مستنكر كقولك هذا
قول بعيد وقد أبعد فلان في قوله ومعناه بعيد من الوهم والعادة ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع
وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ما أنذروا به من البعث والوقف قبله على هذا
التفسير حسن وقرئ إذا متنا على لفظ الخبر ومعناه إذا متنا بعد أن نرجع والدال عليه ذلك رجع
بعيد **فإن قلت** فما ناصب الظرف إذا كان الرجع بمعنى المرجوع **قلت** ما دل عليه المنذر من المنذر
به وهو البعث ○ **قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ** ○ قد علمنا رد لاستبعادهم
الرجع لأن من لطف علمه حتى تغلغل الى ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم
كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا ○ عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب
○ وعن السدي ما تنقص الأرض منهم ما يموت فيدفن في الأرض منهم ○ كتاب حفيظ محفوظ من الشياطين
ومن التغير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه وكتب فيه ○ **بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر
مريج** ○ بل كذبوا اضراب اتبع الاضراب الأول للدلالة على أنهم جاءوا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق
الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر ○ فهم في أمر مريج مضطرب يقال
مرج الخاتم في أصبعه وجرج فيقولون تارة شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن لا يثبتون على شيء واحد
○ وقرئ لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية واللام هي التي في قولهم لخمس خلون أي عند مجيئه إياهم
○ وقيل الحق القرآن ○ وقيل الاخبار بالبعث ○ **أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها
وزيناها وما لها من فروج** ○ أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى آثار قدرة الله عز وجل في خلق العالم
○ بنيناها ورفعناها بغير عمد ○ من فروج من فتوق يعني أنها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها
ولا صدع ولا خلل كقوله عز وعلا هل ترى من فطور ○ **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا
فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب** ○ مددناها دحوناها ○ رواسي جبالا
ثوابت لولاها لتكفأت ○ من كل زوج من كل صنف ○ بهيج يبتهج به لحسنه ○ تبصرة وذكرى لتبصر
ونذكر كل عبد منيب راجع الى ربه مفكر في بدائع خلقه ○ وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع أي خلقها
تبصرة ○ **ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ○ والنخل باسقات
لها طلع نضيد ○ رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج** ○ ماء مباركا كثير المنافع
وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شأنه أن يحصد وهو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير
وغيرهما ○ باسقات طوالا في السماء ○ وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم باصقات بإبدال
السين صادا لأجل القاف ○ نضيد منضود بعضه فوق بعض إما أن يراد كثرة الطلع وتراكمه أو لكثرة
ما فيه من الثمر ○ رزقا على أنبتناها رزقا لأن الإنبات في معنى الرزق أو على أنه مفعول له أي أنبتناها
لنرزقهم ○ كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم والكاف في محل
الرفع على الابتداء ○ **كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب
الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد** ○ أراد بفرعون قومه كقوله تعالى من فرعون وملئهم لأن
المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات ○ كل يجوز أن يراد به كل واحد منهم وأن يراد جميعهم إلا

أنه وحد الضمير الراجع إليه على اللفظ دون المعنى ○ فحق وعيد فوجب وحل وعيدي وهي كلمة العذاب
وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم ○ **أفعيينا بالخلق الأول بل هم في
لبس من خلق جديد** ○ عيي بالأمر إذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والمعنى أنا لم نعجز كما علموا عن
الخلق الأول حتى نعجز عن الثاني ○ ثم قال هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الأول واعترافهم بذلك في طيه
الاعتراف بالقدرة على الاعادة ○ بل هم في لبس في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم
ومنه قول علي رضي الله عنه يا حار إنه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف أهله ○ ولبس الشيطان عليهم
تسويله اليهم أن احياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح أن من قدر على الانشاء
كان على الاعادة أقدر **فإن قلت** لم نكر الخلق الجديد وكان حقه أن يعرف بالعهد كالأول **قلت**
قصد في تنكيره الى خلق جديد له شأن عظيم وحال شديد حق من سمع به أن يهتم به ويخاف ويبحث
عنه ولا يقعد على لبس في مثله ○ **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه** ○ الوسوسة
الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي ○ ووسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان ويهجس في ضميره من حديث
النفس والباء مثلها في قولك صوت بكذا وهمس به ويجوز أن تكون للتعدية والضمير للإنسان أي ما تجعله
موسوسا وما مصدرية لأنهم يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه ○ قال
وأكذب النفس إذا حدثتها ○ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ○ ونحن أقرب إليه مجاز والمراد قرب
علمه منه وأنه يتعلق بمعلومه منه ومن أحواله تعلقا لا يخفى عليه شيء من خفياته فكأن ذاته
قريبة منه كما يقال الله في كل مكان وقد جل عن الأمكنة وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقولهم
هو مني مقعد القابلة ومعقد الإزار ○ قال ذو الرمة ○ والموت أدنى لي من الوريد ○ والحبل العرق شبه بواحد
الحبال ألا ترى إلى قوله كأن وريديه رشاءا خلب ○ والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها
متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه ○ وقيل سمي وريدا لأن الروح ترده **فإن قلت** ما وجه
إضافة الحبل الى الوريد والشيء لا يضاف الى نفسه **قلت** فيه وجهان أحدهما أن تكون الإضافة
[illegible]
[illegible]
○ **إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد** ○ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
○ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ○ [illegible]
[illegible]
[illegible]

فاني اعلم بجملتها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات
لعله يسبح او يستغفر وقيل ان الملكين يجتنبان الانسان عند غائطه وعند جماعه وقرئ ما
يلفظ على البناء للمفعول **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد** لما ذكر انكارهم البعث واحتج
عليهم بوصف قدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام
الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله وجاءت سكرة الموت ونفخ
في الصور وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء في بالحق للتعدية يعني واحضرت سكرة الموت
حقيقة الامر الذي انطق الله به كتبه وبعث به رسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة
الميت وشقاوته وقيل الحق الذي خلق الانسان له من ان كل نفس ذائقة الموت ويجوز ان تكون الباء مثلها
في قوله تنبت بالدهن اي وجاءت ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغرض الصحيح
كقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق وقرأ ابو بكر وابن مسعود رضي الله عنهما سكرة الحق بالموت على اضافة
السكرة الى الحق والمعنى انها السكرة التي كتبت على الانسان واوجبت له وانها حكمة والباء للتعدية
لانها سبب زهوق الروح لشدتها او لان الموت يعقبها فكانها جاءت به ويجوز ان يكون المعنى
جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الحق سكرة الله اضيفت اليه تفظيعا لشانها وتهويلا وقرئ
سكرات الموت ذلك اشارة الى الموت والخطاب للانسان في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان على طريق
الالتفات او الى الحق والخطاب للفاجر تحيد تنفر وتهرب وعن بعضهم انه سأل زيد بن اسلم عن ذلك
فقال الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ما سن عالية ولا لسان
فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس رضوان الله عليهم
فقال اخالفهما جميعا هو للبر والفاجر **ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق
وشهيد** ذلك يوم الوعيد على تقدير حذف المضاف اي وقت ذلك يوم الوعيد والاشارة الى المصدر
نفخ سائق وشهيد ملكان احدهما يسوق الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله او ملك واحد جامع بين
الامرين كانه قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة
الى ما هو في حكم المعرفة **لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد**
وقرئ لقد كنت عنك غطاءك فبصرك بالكسر على خطاب النفس اي يقال لها لقد كنت جعلت الغفلة كانها
غطاء غطي به جسدك كله او غشاوة غطي بها عينيك فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت
عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا
لتيقظه **وقال قرينه هذا ما لدي عتيد القيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب**
وقال قرينه هو الشيطان الذي قيض له في قوله تعالى نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله تعالى قال قرينه ربنا
ما اطغيته هذا ما لدي عتيد هذا شيء لدي وفي ملكتي عتيد لجهنم والمعنى ان ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه
وشيطانا مقرونا به يقول قد اعتدته لجهنم وهيأته لها باغوائي واضلالي **فان قلت** كيف اعراب هذا
الكلام **قلت** ان جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل او خبر بعد خبر او خبر
مبتدأ محذوف القيا خطاب من الله للملكين السائق والشهيد ويجوز ان يكون خطابا للواحد
على وجهين احدهما قول المبرد ان تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كانه قيل الق
الق للتاكيد والثاني ان العرب اكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان فكثر على السنتهم ان يقولوا خليلي وصاحبي
وقفا واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج انه كان يقول يا حرسي اضربا عنقه وقرأ
الحسن القين بالنون الخفيفة ويجوز ان تكون الالف في القيا بدلا من النون اجراء للوصل مجرى الوقف عنيد

معاند

معاند مجانب للحق معاند لاهله مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيئا
قط او مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول بينه وبينه قيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يمنع بني اخيه من الاسلام
وكان يقول من دخل منكم فيه لم انفعه بخير ما عشت معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه
الذي جعل مع الله الها آخر فالقياه في العذاب الشديد الذي جعل مبتدأ متضمن معنى الشرط ولذلك اجيب
بالفاء ويجوز ان يكون الذي جعل بدلا من كفار ويكون فالقياه تكريرا للتوكيد **قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن
كان في ضلال بعيد** **فان قلت** لم اخليت هذه الجملة عن الواو وادخلت على الاولى **قلت** لانها استؤنفت كما
تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رأيت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون **فان قلت** فاين
التقاول هاهنا **قلت** لما قال القرين هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته وتلاه
لا تختصموا لدي علم ان ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كانه قال رب هو اطغاني فقال قرينه ربنا
ما اطغيته واما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول اعني مجيء كل
نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له ما اطغيته ما جعلته طاغيا وما اوقعته في الطغيان ولكنه طغى واختار
الضلالة على الهدى كقوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي **قال لا تختصموا لدي
وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد** قال لا تختصموا استئناف مثل قوله
قال قرينه كانه قيل فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا والمعنى لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في
اختصامكم ولا طائل تحته وقد اوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فما تركت لكم حجة علي
ثم قال لا تطمعوا ان ابدل قولي ووعيدي فاعفيكم عما اوعدتكم به وما انا بظلام للعبيد فلا اعذب من ليس
بمستوجب للعذاب والباء في بالوعيد مزيدة مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او معدية على ان قدم مطاوع
بمعنى تقدم ويجوز ان يقع الفعل على جملة قوله تعالى ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا
اي قدمت اليكم هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به **فان قلت** ان قوله وقد قدمت
واقع موقع الحال من لا تختصموا والتقديم بالوعيد في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعهما في زمان واحد واجب
قلت معناه لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم في الآخرة **فان قلت**
كيف قال بظلام على لفظ المبالغة **قلت** فيه وجهان ان يكون من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده
وان يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك **يوم نقول لجهنم هل امتلأت
وتقول هل من مزيد** قرئ يقول بالنون والياء وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه يوم يقول الله تعالى
لجهنم وعن ابن مسعود والحسن رضي الله عنهما يقال وانتصاب اليوم بظلام او بمضمر نحو اذكر وانذر
ويجوز ان ينتصب بنفخ كانه قيل ونفخ في الصور يوم نقول لجهنم وعلى هذا يشار بذلك الى يوم نقول ولا يقدر
حذف المضاف وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته وفيه
معنيان احدهما انها تمتلئ مع اتساعها وتباعد اطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزاد على امتلائها لقوله تعالى
لاملأن جهنم والثاني انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد ويجوز ان يكون هل
من مزيد استكثارا للداخلين فيها واستبداعا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم او طلبا للزيادة غيظا على
العصاة والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد واما اسم مفعول كالمبيع **وازلفت الجنة للمتقين غير
بعيد هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ** غير بعيد نصب على الظرف اي مكانا غير بعيد او على الحال
وتذكيره لانه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث او على
حذف الموصوف اي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل
قرئ توعدون بالتاء والياء وهي جملة اعتراضية ولكل اواب بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله تعالى

للذين استضعفوا لمن آمن منهم وهذه الإشارة إلى الثواب أو إلى مصدر أزلفت والأواب الرجّاع إلى الذكر أو المقبل
والحفيظ الحافظ لحدوده **من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود**
من خشي بدل بعد بدل تابع لكل ويجوز أن يكون بدلاً عن موصوف أواب وحفيظ ولا يجوز أن يكون في حكم أواب
وحفيظ لأن من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات إلا بالذي وحده ويجوز أن يكون مبتدأ خبره يقال لهم
ادخلوها بسلام لأن من في معنى الجمع ويجوز أن يكون منادى كقولهم من لا يزال محسناً أحسن إلي
وحذف حرف النداء للتقريب بالغيب حال من المفعول أي خشيه وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقباً
إلا بطريق الاستدلال أو صفة لمصدر خشي أي خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه
وهو غائب أو خشيه بسبب الغيب الذي أوعده به من عذابه وقيل في الخلوة حيث لا يراه أحد
فإن قلت كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة **قلت** للثناء البليغ على الخاشي
وهو خشيته مع علمه أنه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بأنه خاشٍ مع أن المخشي منه غائب ونحوه والذين
يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات وصف القلب بالإنابة وهي الرجوع
إلى الله لأن الاعتبار بما ثبت منها في القلب يقال لهم ادخلوها بسلام أي سالمين من العذاب وزوال
النعم أو مسلَّماً عليكم يسلم عليكم الله وملائكته يوم الخلود أي يوم تقدير الخلود كقوله تعالى فادخلوها
خالدين أي مقدرين الخلود **لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد** ولدينا مزيد وهو ما لا يخطر
ببالهم ولم تبلغه أمانيهم حتى يشاؤوه وقيل إن السحاب يمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد
الذي قال الله تعالى ولدينا مزيد **وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً فنقبوا
في البلاد هل من محيص** فنقبوا وقرئ بالتخفيف فخرقوا في البلاد ودوخوا والتنقيب التنقير عن
الأمر والبحث والطلب قال الحارث بن حلزة نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الأرض كل مجال
ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم أشد منهم بطشاً أي شدة بطشهم أبطرتهم وأقدرتهم على التنقيب
وقوتهم عليه ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة في أسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل رأوا
لهم محيصاً حتى يؤملوا مثله لأنفسهم والدليل على صحته قراءة من قرأ فنقبوا على الأمر كقوله تعالى فسيحوا
في الأرض وقرئ بكسر القاف مخففة من النقب وهو أن ينتقب خف البعير قال ما مسها من نقب ولا
دبر والمعنى فنقبت أخفاف إبلهم أو حفيت أقدامهم ونقبت كما تنقب أخفاف الإبل لكثرة طوفهم في البلاد
هل من محيص من الله أو من الموت **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** لمن كان
له قلب أي قلب واع لأن من لا يعي قلبه فكأنه لا قلب له وإلقاء السمع الإصغاء وهو شهيد أي حاضر
بفطنته لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب وقد ملح الإمام عبد القاهر رحمه الله في قوله لبعض من يأخذ
عنه ما شئت من زهزهة والفتى بمصقلاباذ يسقي الزرع أو وهو مؤمن شاهد على صحته
وأنه وحي من الله تعالى أو وهو بعض الشهداء في قوله جل سبحانه لتكونوا شهداء على الناس وعن قتادة
وهو شاهد على صدقه من أهل الكتاب لوجود نعته عنده وقرأ السدي وجماعة ألقى السمع على البناء للمفعول
ومعناه لمن ألقى غيره السمع وفتح له أذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن وقيل
الملقى سمعه أو السمع منه **ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من
لغوب** اللغوب الإعياء وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوع وقيل نزلت في اليهود تكذيباً لقولهم خلق
الله السموات والأرض في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش
وقالوا إن الذي وقع من التشبيه في هذه الأمة إنما وقع من اليهود لعنهم الله ومنهم أخذ **فاصبر
على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود**

فاصبر على ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه وقيل فاصبر على ما يقول المشركون من إنكارهم
البعث فإن من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هي منسوخة بآية السيف
وقيل الصبر مأمور به في كل حال بحمد ربك حامداً ربك والتسبيح محمول على ظاهره أو على الصلاة
فالصلاة قبل طلوع الشمس الفجر وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاءان وقيل التهجد
وأدبار السجود التسبيح في آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد
المكتوبات وعن علي رضي الله عنه الركعتان بعد المغرب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى
بعد المغرب قبل أن يتكلم كتبت صلاته في عليين وعن ابن عباس رضي الله عنهما الوتر بعد العشاء والأدبار
جمع دبر وقرئ وإدبار من أدبرت الصلاة إذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك
خفوق النجم **واستمع يوم ينادي المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم
الخروج إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير** واستمع يعني واستمع لما أخبرك به من حال يوم القيامة
وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به والمحدث عنه كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
سبعة أيام لمعاذ بن جبل رضي الله عنه يا معاذ اسمع ما أقول لك ثم حدثه بعد ذلك **فإن قلت** بم انتصب
اليوم **قلت** بما دل عليه ذلك يوم الخروج أي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور ويوم يسمعون بدل
من يوم ينادي والمنادي إسرافيل ينفخ في الصور وينادي أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة
واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل إسرافيل ينفخ وجبريل
ينادي بالحشر من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهي أقرب الأرض من السماء باثني عشر ميلاً وهي وسط
الأرض وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة أيتها العظام البالية
والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزاء **يوم تشقق الأرض
عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن
من يخاف وعيد** وقرئ تشقق وتشّقق بإدغام التاء في الشين وتُشقَّق على البناء للمفعول وتنشق
سراعاً حال من المجرور علينا يسير تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعني لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم
إلا على القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن كما قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة
نحن أعلم بما يقولون تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بجبار كقوله عز وجل بمسيطر
حتى تقسرهم على الإيمان إنما أنت داع وباعث وقيل أريد التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم ويجوز أن يكون
من جبره على الأمر بمعنى أجبره أي ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الإيمان وعلي بن أبي طالب في قول كهنة من
إذ كان واليهم وما أنت بمؤمن من يخاف وعيد كقوله إنما أنت منذر من يخشاها لأنه لا ينفع إلا فيه
دون المصر على الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة الذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم **والذاريات ذرواً فالحاملات وقراً فالجاريات يسراً
فالمقسمات أمراً إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع** الذاريات الرياح لأنها تذرو التراب وغيره
قال الله عز وجل تذروه الرياح وقرئ بإدغام التاء في الذال فالحاملات وقراً السحاب لأنها تحمل المطر
وقرئ وقراً بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر أو على إيقاعه موقع حملاً فالجاريات يسراً الفلك ومعنى
يسراً جرياً ذا يسر أي ذا سهولة فالمقسمات أمراً الملائكة لأنها تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها
أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك وعن مجاهد تتولى تقسيم أمر العباد جبريل عليه السلام للغلظة

قاصر علي

وبحيازتها عليها الصلاة والسلام للرحمة ومن الطرب لقبض الارواح والسوابق على ما الصلاة والسلام بالتوحيد وعن علي رضي الله عنه انه قال وهو على المنبر سلوني قبل ان لا تسألوني ولن تسألوا بعدي مثلي فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات
قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات امرا قال الملائكة
وكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن الحسن رحمه الله المقسمات السحاب يقسم الله بها ارزاق العباد وقد
حملت على الكواكب السبعة ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا
سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب **فان قلت** ما معنى الفاء على التفسيرين **قلت** اما على
الاول فمعنى التعقيب فيها انه اقسم بالرياح فبالسحاب الذي تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها فبالملائكة التي
تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعها واما على الثاني فلانها تبتدئ بالهبوب
فتذرو التراب والحصباء فتقل السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر انما توعدون جواب القسم
وما موصولة او مصدرية والموعود البعث ووعد صادق كعيشة راضية والدين الجزاء والواقع
الحاصل والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من افك الحبك الطرائق مثل حبك الرمل
والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره قال زهير مكلل باصول النجم تنسجه
ريح خريق لضاحي مائه حبك والدرع محبوكة لان حلقها مطرق طرائق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن
رحمه الله حبكها نجومها والمعنى انها تزينها كما يزين الموشي طرائق الوشي وقيل حبكها صفاقتها واحكامها من
قولهم فرس محبوك المعاقم اي محكمها واذا اجاد الحائك الحياكة قالوا ما احسن حبكه وهو جمع حباك كمثال
ومثل او حبيكة كطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك بوزن
الجبل والحبك بوزن البرق والحبك بوزن النعم والحبك بوزن الابل لفي قول مختلف قولهم في الرسول
ساحر وشاعر ومجنون وفي القرآن سحر وشعر واساطير الاولين وعن الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا
انما هو متناقض مختلف وعن قتادة منكم مصدق ومكذب ومقر ومنكر يؤفك عنه الضمير للقرآن او
للرسول اي يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف اشد منه واعظم كقوله لا يهلك على الله الا هالك وقيل
يصرف عنه من صرف في سابق علم الله اي علم فيما لم يزل انه مأفوك عن الحق لا يرعوي ويجوز ان يكون الضمير لما توعدون
او للدين اقسم بالذاريات على ان وقوع امر القيامة حق ثم اقسم بالسماء على انهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك
ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بامر القيامة من هو المأفوك ووجه آخر وهو ان يرجع الضمير الى قول المختلف
وعن مثل في قوله ينهون عن اكل وعن شرب اي يتناهون في السمن بسبب الاكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم
في السمن عنهما وكذلك يصدر افكهم عن القول المختلف وقرأ سعيد بن جبير رضي الله عنه يؤفك عنه من افك
على البناء للفاعل اي من افك الناس عنه وهم قريش وذلك ان الحي كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والرأي ليسأل عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون له احذره فيرجع فيخبرهم وعن زيد بن علي رضي الله عنهما يأفك عنه
من افك اي يصرف الناس عنه من هو مأفوك في نفسه وعنه ايضا يأفك عنه من افك اي يصرف الناس عنه
من هو افاك كذاب وقرئ يؤفن عنه من افن اي يحرمه من حرم من افن الضرع اذا انهكه حلبا قتل
الخراصون الذين هم في غمرة ساهون يسألون ايان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون قتل
الخراصون دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره واصل الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى
لعن وقبح والخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم اصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كانه قيل
قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اي قتل الله في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما
امروا به يسألون فيقولون ايان يوم الدين اي متى يوم الجزاء وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة **فان قلت**
كيف وقع ايان ظرفا لليوم وانما تقع الاحيان ظروفا للحدثان **قلت** معناه ايان وقوع يوم الدين

فان قلت فيم

فان قلت بم انتصب اليوم الواقع في الجواب **قلت** بفعل مضمر دل عليه السؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون
ويجوز ان يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن **فان قلت** فما محله مفتوحا **قلت** يجوز ان يكون محله
نصبا بالمضمر الذي هو يقع ورفعا على هو يوم هم على النار يفتنون وقرأ ابن ابي عبلة بالرفع يفتنون يحرقون
ويعذبون ومنه الفتين الحرة لان حجارتها كانها محرقة ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون
ذوقوا فتنتكم في محل الحال اي مقولا لهم هذا القول هذا مبتدأ والذي خبره اي هذا العذاب هو الذي
كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم اي ذوقوا هذا العذاب ان المتقين في جنات
وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين آخذين ما آتاهم ربهم قابلين
لكل ما اعطاهم راضين به يعني انه ليس فيما آتاهم الا ما هو متلقى بالقبول مرضي غير مسخوط لان جميعه
حسن طيب ومنه قوله تعالى ويأخذ الصدقات اي يقبلها ويرضاها محسنين قد احسنوا اعمالهم وتفسير
احسانهم ما بعده كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وفي اموالهم حق للسائل
والمحروم ما مزيدة والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل ان جعلت قليلا ظرفا ولك
ان تجعله صفة للمصدر اي كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز ان تكون ما مصدرية او موصولة
على كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية وفيه مبالغات
لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم قال قد حصت البيضة رأسي فما اطعم نوما غير تهجاع وقوله
قليلا ومن الليل لان الليل وقت السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك وصفهم بانهم يحيون الليل
متهجدين فاذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وقوله هم يستغفرون
فيه انهم هم المستغفرون الاحقاء بالاستغفار دون المصرين فكانهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم
فيه **فان قلت** هل يجوز ان تكون ما نافية كما قال بعضهم وان يكون المعنى انهم لا يهجعون من الليل
قليلا ويحيونه كله **قلت** لا لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها تقول زيدا لم اضرب ولا
تقول زيدا ما ضربت والسائل الذي يستجدي والمحروم الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما
هو قال الذي لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل الذي لا ينمي له مال وقيل المحارف الذي لا يكاد يكسب وفي
الارض آيات للموقنين وفي الارض آيات تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوة
كالبساط لما فوقها كما قال الله تعالى الذي جعل لكم الارض مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها
والماشين في مناكبها وهي مجزأة فمن سهل وجبل وبر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وعذاة
وسبخة وهي كالطروقة تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار بالثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح
تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم
في صحتهم واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب المنبثة في برها وبحرها
المختلفة الصور والاشكال والافعال من الوحشي والانسي والهوام وغير ذلك للموقنين الموحدين الذين
سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وافهام نافذة كلما راوا آية
عرفوا وجه تأملها فازدادوا ايقانا مع ايقانهم وفي انفسكم افلا تبصرون
وفي انفسكم في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق
ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من اصناف المعاني
وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات
القاطعة على حكمة المدبر دع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما

سوّي في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فإنه إذا جسا شيء منها جاء العجز وإذا استرخى أناخ الذل فتبارك الله أحسن الخالقين. **وفي السماء رزقكم وما توعدون** رزقكم هو المطر لأنه سبب الأقوات. وعن سعيد بن جبير هو الثلج وكل عين دائمة منه. وعن الحسن أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم. وما توعدون الجنة هي على ظهر السماء السابعة تحت العرش أو أراد أن ما ترزقونه في الدنيا وما توعدون به في العقبى كله مقدر مكتوب في السماء. **فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون** قرئ مثل ما بالرفع صفة للحق أي حق مثل نطقكم وبالنصب على إنه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز أن يكون فتحا لإضافته إلى غير متمكن وما مزيدة بنص الخليل وهذا كقول الناس إن هذا لحق كما أنك ترى وتسمع ومثل ما أنك ههنا وهذا الضمير إشارة إلى ما ذكر من أمر الآيات والرزق وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى ما توعدون. وعن الأصمعي أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابي على قعود له فقال ممن الرجل قلت من بني أصمع قال من أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن فقال اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت دقيق فالتفت فإذا أنا بالأعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والأرض إنه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى ألجؤوه إلى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه. **هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون** هل أتاك تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما عرفه بالوحي. والضيف للواحد والجماعة كالزور والصوم لأنه في الأصل مصدر ضافه وكانوا اثني عشر ملكا. وقيل تسعة عاشرهم جبريل عليه الصلاة والسلام. وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل عليهما السلام وملك معهما. وجعلهم ضيفا لأنهم كانوا في صورة الضيف حيث أضافهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام أو لأنهم كانوا في حسبانه كذلك. وإكرامهم أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام خدمهم بنفسه وأخدمهم امرأته وعجل لهم القرى أو أنهم في أنفسهم مكرمون قال الله تعالى بل عباد مكرمون. إذ دخلوا نصب بالمكرمين إذا فسر بإكرام إبراهيم عليه الصلاة والسلام لهم وإلا فبما في ضيف من معنى الفعل أو بإضمار اذكر. سلاما مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه وأصله نسلم عليكم سلاما وأما سلام فمعدول به إلى الرفع على الابتداء وخبره محذوف معناه عليكم سلام للدلالة على ثبات السلام كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذا بأدب الله عز وجل وهذا أيضا من إكرامه لهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلاما قال سلما والسلم السلام. وقرئ سلاما قال سلم. قوم منكرون أنكرهم للسلام الذي هو علم الإسلام أو أراد أنهم ليسوا من معارفه أو من جنس الناس الذين عهدهم كما لو أبصر العرب قوما من الخزر أو رأى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم أو كان هذا سؤالا لهم كأنه قال أنتم قوم منكرون فعرفوني من أنتم. **فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون** فراغ إلى أهله فذهب إليهم في خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفي أمره وأن يبادره بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذرا من أن يكفه ويعذره. قال قتادة كان عامة مال نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام البقر فجاء بعجل سمين والهمزة في ألا تأكلون للإنكار أنكر عليهم ترك الأكل أو حثهم عليه. **فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم** فأوجس فأضمر وإنما خافهم لأنهم لم يتحرموا بطعامه فظن أنهم يريدون به سوءا. وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب. وعن عون بن شداد مسح جبريل

عليه السلام العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه. بغلام عليم أي يبلغ ويعلم. وعن الحسن عليم نبي. والمبشر به إسحاق عليه الصلاة والسلام وهو أكثر الأقاويل وأصحها لأن الصفة صفة سارة لا هاجر وهي امرأة إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو بعلها. وعن مجاهد هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام. **فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم** في صرة في صيحة من صر الجندب وصر القلم والباب. ومحله النصب على الحال أي فجاءت صاخة. قال الحسن رحمه الله أقبلت إلى بيتها وكانت في زاوية تنظر إليهم لأنها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء. وقيل فأخذت في صرة كما تقول أقبل يشتمني. وقيل صرتها قولها أوه. وقيل يا ويلتا. وعن عكرمة رنتها. فصكت فلطمت ببسط يديها. وقيل فضربت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب. عجوز أنا عجوز فكيف ألد. **قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم** كذلك مثل ذلك الذي قلنا وأخبرنا به قال ربك أي إنما نخبرك عن الله عز وجل والله قادر على ما تستبعدين. وروي أن جبريل عليه الصلاة والسلام قال لها انظري إلى سقف بيتك فنظرت فإذا جذوعه مورقة مثمرة. **قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين** لما علم أنهم ملائكة وأنهم لا ينزلون إلا بإذن الله ورسلا في بعض الأمور قال فما خطبكم أي فما شأنكم وما طلبتكم. إلى قوم مجرمين إلى قوم لوط. حجارة من طين يريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار في صلابة الحجارة. مسومة معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به. وقيل أعلمت بأنها من حجارة العذاب. وقيل بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا. سماهم مسرفين كما سماهم عادين لإسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقنعوا بما أبيح لهم. **فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم** الضمير في فيها للقرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة. وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد وأنهما صفتا مدح. قيل هم لوط عليه السلام وابنتاه. وقيل كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر. وعن قتادة لو كان فيها أكثر من ذلك لأنجاهم ليعلموا أن الإيمان محفوظ لا ضيعة على أهله عند الله تعالى. آية علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم. قال ابن جريج هي صخرة منضود فيها. وقيل ماء أسود منتن. **وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون** وفي موسى عطف على وفي الأرض آيات أو على قوله تعالى وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا. فتولى بركنه فازور وأعرض كقوله تعالى ونأى بجانبه. وقيل فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه. وقيل بركنه بضم الكاف. وقال ساحر أي هو ساحر. **فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم** مليم آت بما يلام عليه من كفره وعناده. والجملة مع الواو حال من الضمير في فأخذناه. **فإن قلت** كيف وصف نبي الله يونس عليه الصلاة والسلام بما وصف به فرعون في قوله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم. **قلت** موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها وكذلك مقترف الصغيرة ألا ترى إلى قوله وعصوا رسله وعصى آدم ربه لأن الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة. **وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم** العقيم التي لا خير فيها من إنشاء مطر أو إلقاح شجر وهي ريح الهلاك. واختلف فيها فعن علي رضي الله عنه النكباء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما الدبور. وعن ابن المسيب رضي الله عنه الجنوب. والرميم كل ما رم أي بلي وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك. **وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا**

من قيام وما كانوا منتصرين حتى حين تفسيره قوله تعالى تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فعتوا عن امر ربهم
فاستكبروا عن امتثاله وقرئ الصعقة وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصاعقة النار
نفسها وهم ينظرون كانت نهارا يعاينونها وروي ان العمالقة كانوا معهم في الوادي ينظرون اليهم
وما ضرتهم فما استطاعوا من قيام كقوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم
به اذا عجز عن دفعه منتصرين ممتنعين من العذاب وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين
وقوم قرئ بالجر على معنى وفي قوم نوح ويقويه قراءة عبد الله وفي قوم نوح وبالنصب على معنى واهلكنا
قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او فاذكر قوم نوح والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض
فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون بايد بقوة والايد
والآد القوة وقد آد يئيد وهو آيد وانا لموسعون لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع القوي
على الانفاق وعن الحسن رحمه الله لموسعون الرزق بالمطر وقيل انا لموسعون ما بينها وبين الارض سعة فنعم
الماهدون نحن ومن كل شيء من الاجناس خلقنا زوجين ذكرا وانثى وعن الحسن رحمه الله السماء
والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد اشياء وقال كل اثنين منها زوج والله
تعالى فرد لا مثل له لعلكم تذكرون اي فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج ارادة ان تتذكروا
فتعرفوا الخالق وتعبدوه ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر اني لكم منه
نذير مبين ففروا الى الله الى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به وكرر قوله اني
لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع
الا مع الايمان وانه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما الا ترى الى قوله تعالى لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل
او كسبت في ايمانها خيرا والمعنى قل يا محمد ففروا الى الله كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا
ساحر او مجنون اتواصوا به بل هم قوم طاغون كذلك الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول
وتسميته ساحرا او مجنونا ثم فسره بقوله ما اتى ولا يصح ان تكون الكاف منصوبة باتى لان ما النافية لا يعمل
ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يأت لكان صحيحا على معنى مثل ذلك الاتيان لم يأت من قبلهم رسول الا قالوا اتواصوا
به الضمير للقول يعني اتواصى الاولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه بل هم قوم طاغون
اي لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان والطغيان هو الحامل
عليه فتول عنهم فما انت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فتول عنهم فاعرض عن الذين كررت
عليهم الدعوة فلم يجيبوا عرفت منهم العناد واللجاج فلا لوم عليك في اعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت
مجهودك في البلاغ والدعوة ولا تدع التذكير والموعظة بايام الله فان الذكرى تنفع المؤمنين اي تؤثر في الذين
عرف الله تعالى منهم انهم يدخلون في الايمان او يزيد الداخلين فيه ايمانا وروي انه لما نزل فتول عنهم حزن
رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد ذلك على الصحابة رضي الله عنهم اجمعين ورأوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب
حضر فانزل الله عز وجل وذكر وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي وما خلقت الجن والانس الا لاجل
العبادة ولم ارد من جميعهم الا اياها فان قلت لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا قلت
انما اراد منهم ان يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين اليها لانه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك
العبادة مع كونه مريدا لها ولو ارادها على القسر والالجاء لوجدت من جميعهم ما اريد منهم من رزق وما
اريد ان يطعمون يريد ان شأني مع عبادي ليس كشأن السادة مع عبيدهم فان ملاك العبيد انما يملكونهم
ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وارزاقهم فاما مجهز في تجارة ليفي ربحا او مرتب في فلاحة ليغتل
ارضا او مسلم في حرفة لينتفع باجرته او محتطب او محتش او مستق او طابخ او خابز وما اشبه ذلك من الاعمال

والهين التي

والمهن التي هي تصرف في اسباب المعيشة وابواب الرزق ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فاما مالك
ملاك العبيد فقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في انفسكم ولا اريد ان اصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم وانا غني
عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي فما هو الا انا وحدي المتين
الشديد القوة وقرئ بالرفع صفة لذو وبالجر صفة للقوة على تأويل الاقتدار والمعنى في وصفه بالقوة
والمتانة انه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء وقرئ الرازق وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني انا الرزاق فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون الذنوب الدلو العظيم وهذا
تمثيل اصله في السقاة يتقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال لنا ذنوب ولكم ذنوب
فان ابيتم فلنا القليب ولما قال عمرو بن شاس وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشأس من نداك ذنوب
قال الملك نعم واذنبة والمعنى فان للذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب من اهل مكة
لهم نصيبا من عذاب الله مثل نصيب اصحابهم ونظرائهم من القرون وعن هذا ومستعجل عذاب الله مثل
نصيب اصحابهم فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون من يومهم من يوم القيمة وقيل من يوم بدر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والذاريات اعطاه عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في
الدنيا

سورة الطور وهي تسع واربعون وقيل ثمان واربعون آية

والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور
ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع الطور الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه الصلوة والسلام
وهو بمدين والكتاب المسطور في الرق المنشور والرق الصحيفة وقيل الجلد الذي يكتب فيه والكتاب
الذي يكتب فيه الاعمال قال الله تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وقيل هو ما كتبه الله
عز وجل لموسى عليه الصلوة والسلام وهو يسمع صرير القلم وقيل اللوح المحفوظ وقيل القرآن ونكر
لانه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب كقوله عز وجل ونفس وما سواها والبيت المعمور الضراح في
السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار
والمجاورين والسقف المرفوع السماء والبحر المسجور المملوء وقيل الموقد من قوله تعالى واذا
البحار سجرت وروي ان الله تعالى يجعل يوم القيمة البحار كلها نارا تسجر بها نار جهنم وعن علي رضي الله
عنه انه سأل يهوديا اين موضع النار في كتابكم قال في البحر قال علي ما اراه الا صادقا لقوله تعالى والبحر
المسجور لواقع لنازل قال جبير بن مطعم رضي الله عنه اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلمه
في الاسارى فالفيته في صلوة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع اسلمت خوفا من ان
ينزل العذاب يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين الذين
هم في خوض يلعبون تمور تضطرب وتجيء وتذهب وقيل المور تحرك في تموج وهو الشيء يتردد في عرض
كالداغصة في الركبة غلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه قوله عز وجل وكنا نخوض مع
الخائضين وخضتم كالذي خاضوا يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها
تكذبون الدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة النار يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم
الى اقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا في اقفيتهم وقرأ زيد بن علي رضي الله
عنهما يدعون من الدعاء اي يقال لهم هلموا الى النار وادخلوا النار دعا مدعوعين يقال لهم هذه النار
افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا افسحر هذا يعني كنتم تقولون
للوحي هذا سحر افسحر هذا يريد اهذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى ام انتم لا تبصرون

كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم
سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون • سواء خبر مبتدأ محذوف اي سواء عليكم الامران الصبر
وعدمه فان قلت لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله انما تجزون ما كنتم تعملون قلت
لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه في العاقبة بان يجازى عليه الصابر جزاء الخير فاما
الصبر على العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع • ان المتقين في جنات
ونعيم • فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم • في اية جنات واي نعيم بمعنى
الكمال في الصفة او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة • وقرئ فاكهين وفكهين
وفاكهون من نصبه حالا جعل الظرف مستقرا ومن رفعه خبرا جعل الظرف لغوا اي متلذذين بما
آتاهم ربهم فان قلت علام عطف قوله تعالى ووقاهم ربهم قلت على قوله في جنات او على
آتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم • ويجوز ان
تكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة • كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون • متكئين على سرر مصفوفة
وزوجناهم بحور عين • يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه • ويجوز ان يكون
مثله في قوله هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت اعني صفة استعملت استعمال
المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كانه قيل هنأ عزة المستحل من
اعراضنا وكذلك معنى هنيئا ها هنا هنأكم الاكل والشرب او هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاء ما كنتم تعملون
والباء مزيدة كما في كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب • وقرئ بعيس عين
والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء
كل امرئ بما كسب رهين • والذين آمنوا معطوف على حور عين اي قرناهم بالحور وبالذين آمنوا اي بالرفقاء
والجلساء منهم كقوله تعالى اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بموانسة الاخوان
المؤمنين • واتبعتهم ذريتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته
وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية فيجمع الله لهم انواع السرور بسعادتهم في انفسهم وبمزاوجة الحور
العين وبموانسة الاخوان المؤمنين وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم • ثم قال بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اي بسبب
ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا عليهم
وعلى آبائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم فان قلت ما معنى تنكير الايمان قلت معناه الدلالة على انه
ايمان خاص عظيم المنزلة • ويجوز ان يراد ايمان الذرية الداني المحل كانه قال بشيء من الايمان لا يؤهلهم
لدرجة الآباء الحقناهم بهم • وقرئ واتبعتهم ذريتهم واتبعتهم ذرياتهم وذرياتهم • وقرئ ذرياتهم
بكسر الذال • ووجه آخر وهو ان يكون والذين آمنوا مبتدأ خبره بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما بينهما
اعتراض • وما التناهم وما نقصناهم يعني وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضل وما نقصناهم
من ثواب عملهم من شيء • وقيل معناه وما نقصناهم من ثوابهم شيئا نعطيه الابناء حتى يلحقوا بهم انما الحقناهم
بهم على سبيل التفضل • قرئ التناهم وهو من بابين من الت يالت ومن الات يليت كاماتت يميت • وآلتناهم
من التاولت كامن يؤمن • ولتناهم من لات يليت • وولتناهم من ولت يلت ومعناهن واحد • كل امرئ بما
كسب رهين اي مرهون كان نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل
عبده بدين عليه فان عمل صالحا فكها وخلصها والا اوبقها • وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون
يتنازعون فيها كاسا لا لغو فيها ولا تاثيم • وامددناهم وزدناهم في وقت بعد وقت • يتنازعون
يتعاطون هم وجلساؤهم من اقربائهم واخوانهم كاسا خمرا • لا لغو فيها في شربها • ولا تاثيم

اي لا يتخللون في اثناء الشرب بسقط الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين في الدنيا على الشراب في سفههم
وعربدتهم ولا يفعل احد منهم ما يؤثم به فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش
وانما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك لان عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء
وقرئ لا لغو فيها ولا تاثيم • ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون • واقبل بعضهم
على بعض يتساءلون • اي مملوكون لهم مخصوصون بهم • مكنون في الصدف لانه رطبا احسن واصفى
او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة • وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر
على سائر الكواكب • وعنه صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه
فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك • يتساءلون يتحادثون ويسال بعضهم بعضا عن احواله واعماله وما
استوجب به نيل ما عند الله • قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين • فمن الله علينا ووقانا عذاب
السموم • انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم • مشفقين ارقاء القلوب من خشية الله • وقرئ
ووقانا بالتشديد • عذاب السموم عذاب النار ووهجها ولفحها • والسموم الريح الحارة التي تدخل المسام
فسميت بها نار جهنم لانها بهذه الصفة • من قبل من قبل لقاء الله والمصير اليه يعنون في الدنيا
ندعوه نعبده ونسأله الوقاية • انه هو البر المحسن • الرحيم العظيم الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا
سئل اجاب • وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه • فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون • ام يقولون
شاعر نتربص به ريب المنون • قل تربصوا فاني معكم من المتربصين • فذكر فاثبت على تذكير الناس
وموعظتهم ولا يثبطنك قولهم كاهن او مجنون ولا تبال به فانه قول باطل متناقض لان الكاهن يحتاج
في كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله • وما انت بحمد الله وانعامه عليك بصدق
النبوة ورجاحة العقل احدهما • وقرئ يتربص به ريب المنون على البناء للمفعول • وريب المنون ما يقلق
النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر • قال • امن المنون وريبه تتوجع • وقيل المنون الموت وهو في الاصل
فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك سميت شعوب • قالوا ننتظر به نوائب الزمان فيهلك
كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة • من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي • ام
تامرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون • ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون • فلياتوا بحديث
مثله ان كانوا صادقين • احلامهم عقولهم والبابهم ومنه قولهم احلام عاد • والمعنى ان تامرهم
احلامهم بهذا التناقض في القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون • وكانت قريش يدعون
اهل الاحلام والنهى • ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم فان قلت ما
معنى كون الاحلام آمرة قلت هو مجاز لادائها الى ذلك كقوله تعالى اصلواتك تامرك ان نترك ما
يعبد آباؤنا • وقرئ بل هم قوم طاغون • تقوله اختلقه من تلقاء نفسه • بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم
يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من
العرب • وقرئ بحديث مثله على الاضافة والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه ان مثل محمد صلى
الله عليه وسلم في فصاحته ليس بمعوز في العرب فان قدر محمد صلى الله عليه وسلم على نظمه كان مثله
قادرا عليه فلياتوا بحديث ذلك المثل • ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون • ام خلقوا السموات
والارض بل لا يوقنون • ام خلقوا ام احدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم من غير شيء
من غير مقدر • ام هم الذين خلقوا انفسهم حيث لا يعبدون الخالق • بل لا يوقنون اي اذا سئلوا من خلقكم
وخلق السموات والارض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون • وقيل ام خلقوا من اجل لا شيء من جزاء

والحساب. وقيل اخلقوا من غير اب وام. أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون. أم لهم سلم
يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين. أم له البنات ولكم البنون. أم عندهم خزائن
الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا. او عندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختاره حكمة ومصلحة.
أم هم المسيطرون الارباب الغالبون حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم.
وقرئ المصيطرون بالصاد. أم لهم سلم منصوب الى السماء. يستمعون صاعدين فيه الى كلام الملائكة
وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه
كما يزعمون. فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم. أم تسألهم اجرا فهم من مغرم
مثقلون. أم عندهم الغيب فهم يكتبون. أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون. المغرم
ان يلتزم الانسان ما ليس عليه اي لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك في اتباعك. أم عندهم
الغيب اللوح المحفوظ. فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب. أم يريدون كيدا
وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين. فالذين كفروا اشارة اليهم او الى
كل من كفر بالله. هم المكيدون هم الذين يحيق بهم الكيد او يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر
او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته. أم لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون. وان يروا كسفا
من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم. فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون. يوم
لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون. كسفا القطعة وهو جواب قولهم او تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا يريد انهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو اسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه
فوق بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب. وقرئ حتى يلقوا. يصعقون يموتون
وقرئ يصعقون يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعق. وان للذين ظلموا
عذابا دون ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون. وان للذين ظلموا اي لهؤلاء الظلمة. عذابا دون ذلك
دون يوم القيمة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر. وفي مصحف عبد الله دون ذلك قريبا. واصبر
لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم. ومن الليل فسبحه وادبار النجوم.
لحكم ربك بامهالهم وبما يلحقك فيه من المشقة والكلفة. فانك باعيننا في حفظنا بحيث نراك ونكلؤك
وجمع العين لان الضمير بلفظ ضمير الجماعة الا ترى الى قوله تعالى ولتصنع على عيني. وقرئ باعينا بالادغام.
حين تقوم من اي مقام قمت. وقيل من منامك. وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من آخر الليل.
وقرئ وادبار بالفتح يعني في اعقاب النجوم وآثارها اذا غربت. والمراد الامر بقوله سبحان الله وبحمده
في هذه الاوقات. وقيل التسبيح الصلوة اذا قام من نومه. ومن الليل صلوة العشائين. وادبار النجوم صلوة
الفجر. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته.

سورة النجم مكية وهي احدى وستون وقيل ثنتان وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم. والنجم اذا هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق
عن الهوى. ان هو الا وحي يوحى. النجم الثريا وهو اسم غالب لها. قال اذا طلع النجم عشاء ابتغى
الراعي كساء. او جنس النجوم. قال فباتت تعد النجم في مستحيرة يريد النجوم. اذا هوى اذا غرب
او انتثر يوم القيمة. او النجم الذي يرجم به. اذا هوى اذا انقض. او النجم من نجوم القرآن وقد نزل منجما في عشرين
سنة. اذا هوى اذا نزل. او النبات اذا هوى اي سقط على الارض. وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه ان عتبة
بن ابي لهب وكانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلاوذينه

فاتاه فقال

فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم تفل في وجه النبي صلى الله عليه وسلم
ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو
طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى
الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا
يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد صلى الله عليه وسلم فجمعوا جمالهم وانا خوها حولهم واحدقوا
بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله. وقال حسان: من يرجع العام الى اهله فما
اكيل السبع بالراجع. ما ضل صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش وهو جواب القسم. والضلال
نقيض الهدى. والغي نقيض الرشد اي هو مهتد راشد فليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغي. وما
اتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه وانما هو وحي من عند الله يوحى اليه. واحتج بهذه
الآية من لا يرى الاجتهاد للانبياء عليهم الصلوة والسلام. ويجاب بان الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد كان
الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى. علمه شديد القوى. ذو مرة فاستوى. وهو
بالافق الاعلى. ثم دنى فتدلى. فكان قاب قوسين او ادنى. شديد القوى ملك شديد قواه والاضافة
غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل عليه الصلوة والسلام ومن قوته انه
اقتلع قرى قوم لوط عليه الصلوة والسلام من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح
صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين. وكان هبوطه على الانبياء عليهم الصلوة والسلام وصعوده في اوحى من رجعة
الطرف. ورأى ابليس يكلم عيسى عليه الصلوة والسلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة
فالقاه في اقصى جبل الهند. ذو مرة حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه. فاستوى فاستقام
على صورته الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة دحية وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب ان يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى وهو افق
الشمس فملأ الافق. وقيل ما رآه احد من الانبياء عليهم الصلوة والسلام في صورته الحقيقية غير محمد صلى
الله عليه وسلم مرتين مرة في الارض ومرة في السماء. ثم دنى من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فتدلى فتعلق
عليه في الهواء ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير. والدوالي الثمر المعلق. قال: تدلى عليها بين سب
وخيطة. ويقال هو مثل القرلى ان رأى خيرا تدلى وان لم يره تولى. قاب قوسين مقدار قوسين عربيين. والقاب
والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار. وقرئ قيد وقدر وقد جاء
التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع. ومنه لا صلوة الى ان ترتفع
الشمس مقدار رمحين. وفي الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها. والقد
السوط. ويقال بينهما خطوات يسيرة. وقال: وقد جعلتني من حزيمة اصبعا. فان قلت كيف تقدير
قوله تعالى فكان قاب قوسين. قلت تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه
المضافات كما قال ابو علي في قوله: وقد جعلتني من حزيمة اصبعا اي ذا مقدار مسافة اصبع. او ادنى
اي على تقديركم كقوله تعالى او يزيدون. فاوحى الى عبده ما اوحى. الى عبده الى عبد الله وان لم يجر لاسمه
عز وجل ذكر لانه لا يلبس كقوله تعالى على ظهرها. ما اوحى تفخيم للوحي الذي اوحى اليه. قيل اوحى اليه ان الجنة
محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك. ما كذب الفؤاد ما رأى. ما كذب فؤاد
محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه الصلوة والسلام اي ما قال فؤاده لما رآه
لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعني انه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما رآه
حق. وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك انه جبريل عليه الصلوة والسلام بصورته. افتمارونه على

ما يرى ● أفتمارونه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مري الناقة كأن كل واحد من المتجادلين
يمري ما عند صاحبه ● وقرئ أفتمرونه أفتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عُدّي
بعلى كما تقول غلبته على كذا ● وقيل أفتمرونه أفتجحدونه ● وأنشدوا لئن هجوت أخا صدق ومكرمة لقد
مريت أخا ما كان يمريكا ● وقالوا يقال مريته حقه إذا جحدته وتعديته بعلى لا يصح إلا على مذهب التضمين
ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ● نزلة أخرى مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف
الذي هو مرة لأن الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها أي نزل عليه جبريل عليه الصلاة والسلام نزلة
أخرى في صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج ● قيل في سدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة
يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله عز وجل في كتابه
الكريم يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها ● والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها في منتهى الجنة
وآخرها ● وقيل لم يجاوزها أحد وإليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها ● وقيل تنتهي
إليها أرواح الشهداء ● **عندها جنة المأوى** ● جنة المأوى الجنة التي يصير إليها المتقون عن الحسن رحمه الله
وقيل تأوي إليها أرواح الشهداء ● وقرأ علي رضي الله عنه وابن الزبير وجماعة رضي الله عنهم جنّه المأوى أي جنّه
ستره بظلاله ودخل فيه ● وعن عائشة رضي الله عنها أنها أنكرته وقالت من قرأ به فأجنّه الله ● **إذ يغشى
السدرة ما يغشى** ● ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالة
على عظمة الله وجلاله أشياء لا يكتنهها النعت ولا يحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة
يعبدون الله عز وجل عندها ● وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح
الله ● وعنه صلى الله عليه وسلم يغشاها رفرف من طير خضر ● وعن ابن مسعود رضي الله عنه وغيره يغشاها
فراش من ذهب ● **ما زاغ البصر وما طغى** ● ما زاغ بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طغى أي أثبت ما رآه
إثباتا مستيقنا صحيحا من غير أن يزيغ بصره عنه أو يتجاوزه ● أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها
ومكن منها ● وما طغى وما جاوزها ما أمر برؤيته ● **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ● لقد رأى أي والله لقد رأى
من آيات ربه الآيات التي هي كبراها وعظماها حين عرج به إلى السماء فأري عجائب الملكوت ● **أفرأيتم
اللات والعزى ● ومناة الثالثة الأخرى** ● اللات والعزى ومناة أصنام كانت لهم وهي مؤنثات
فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهي فعلة من لوى لأنهم كانوا يلوون
عليها ويعكفون للعبادة أو يلتوون عليها أي يطوفون ● وقرئ اللات بالتشديد على أنه سمي
برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج ● وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف
وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا ● والعزى كانت لغطفان وهي سمرة وأصلها تأنيث الأعز وبعث إليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها
داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول يا عز كفرانك لا سبحانك
إني رأيت الله قد أهانك ● ورجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام تلك
العزى ولن تعبد أبدا ● ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما لثقيف
وقرئ ومناءة بالمد وكأنها سميت مناة لأن دماء النسائك كانت تمنى عندها أي تراق ● ومناءة مفعلة
من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها ● والأخرى ذم وهي المتأخرة الوضيعة المقدار
كقوله عز وجل وقالت أخراهم لأولاهم أي وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم ● ويجوز أن تكون الأولية
والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون إن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم
ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات فقيل لهم ● **ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا**

قسمة ضيزى ● ويجوز أن يراد أن اللات والعزى ومناة إناث وقد جعلتموهن لله شركاء ومن شأنكم
أن تحتقروا الإناث وتستنكفوا من أن يولدن لكم وينسبن إليكم فكيف تجعلون هؤلاء الإناث أندادا لله تعالى
وتسمونهن آلهة ● قسمة ضيزى جائرة من ضازه يضيزه إذا ضامه والأصل ضوزى ففعل بها ما فعل
ببيض لتسلم الياء ● وقرئ ضئزى من ضأزه بالهمز وضيزى بفتح الضاد ● **إن هي إلا أسماء سميتموها
أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من
ربهم الهدى** ● هي ضمير الأصنام أي ما هي إلا أسماء ليس تحتها في الحقيقة مسميات لأنكم تدعون الإلهية
لما هو أبعد شيء منها وأشده منافاة لها ونحوه قوله تعالى ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها ● أو صفة
للأسماء وهي قولهم اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بهذه الأسماء الآلهة يعني ما هذه الأسماء إلا أسماء
سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله تعالى على صحة تسميتها برهان تتعلقون به ● ومعنى سميتموها سميتم
بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد ● إن يتبعون وقرئ بالتاء ● إلا الظن إلا توهم أن ما هم عليه حق وأن
آلهتهم شفعاؤهم وما تشتهيه أنفسهم ويتركون ما جاءهم من الهدى والدليل على أن دينهم باطل ●
أم للإنسان ما تمنى ● هي أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار أي ليس للإنسان ما تمنى والمراد
طمعهم في شفاعة الآلهة وهو تمن على الله عز وجل في غاية البعد ● وقيل هو قولهم ولئن رجعت إلى ربي
إن لي عنده للحسنى ● وقيل هو قول الوليد بن المغيرة لأوتين مالا وولدا ● وقيل هو تمني بعضهم أن يكون هو
النبي ● **فلله الآخرة والأولى ● وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد
أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى** ● فلله الآخرة والأولى أي هو مالكهما فهو يعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء
وليس لأحد أن يتحكم عليه في شيء منهما يعني أن أمر الشفاعة ضيق وذلك أن الملائكة مع قربتهم وزلفاهم
وكثرتهم واغتصاص السموات بجموعهم لو شفعوا بأجمعهم لأحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا قط ولم تنفع إلا إذا شفعوا
من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء ويراه أهلا لأن يشفع له فكيف تشفع الأصنام إليكم ●
**إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن
وإن الظن لا يغني من الحق شيئا** ● ليسمون الملائكة أي كل واحد منهم ● تسمية الأنثى لأنهم إذا قالوا الملائكة
بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الأنثى ● به من علم أي بذلك وبما يقولون ● وفي قراءة أبي
رضي الله عنه بها أي بالملائكة أو التسمية ● لا يغني من الحق شيئا يعني إنما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء
وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم ● **فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا
ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى** ● فأعرض عن دعوة
من رأيته معرضا عن ذكر الله تعالى وعن الآخرة ● ولم يرد إلا الدنيا ولا تتهالك على إسلامه ● ثم قال إن ربك
هو أعلم أي إنما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب وأنت لا تعلم فخفض على نفسك ولا تتعبها فإنك لا تهدي من أحببت
وما عليك إلا البلاغ ● وقوله تعالى ذلك مبلغهم من العلم اعتراض أو فأعرض عنه ولا تقابله ● **ولله ما في السموات
وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى** ● إن ربك هو أعلم بالضال
والمهتدي فهو مجازيهم بما يستحقونه من الجزاء ● وقرئ لنجزي ونجزي بالنون فيهما ● ومعناه أن الله
عز وجل إنما خلق العالم وسوى هذه الملكوت لهذا الغرض وهو أن يجازي المحسن من المكلفين والمسيء منهم
ويجوز أن يتعلق بقوله هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى لأن نتيجة العلم بالضال والمهتدي
جزاؤهما ● بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء ● بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهي الجنة ● أو بسبب ما عملوا من السوء
وبسبب الأعمال الحسنى ● **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم** ● كبائر الإثم ما يكبر عقابه من الإثم
لأن الإثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر ● والكبائر الذنوب التي لا يسقط عقابها إلا بالتوبة ● وقيل

التي يلي عقابها بالإضافة إلى ثواب صاحبها. والفواحش ما فحش من الكبائر كأنه قال والفواحش منها خاصة
وقرئ كبير الإثم أي النوع الكبير منه. وقيل هو الشرك بالله. واللمم ما قل وصغر ومنه اللمم المس من الجنون
واللوثة منه. وألم بالمكان إذا قل فيه لبثه. وألم بالطعام قل منه أكله. ومنه لقاء أخلاء الصفاء لمام
والمراد الصغائر من الذنوب ولا يخلو قوله تعالى إلا اللمم من أن يكون استثناء منقطعا أو صفة كقوله عز وجل
لو كان فيهما آلهة إلا الله كأنه قيل كبائر الإثم غير اللمم وآلهة غير الله. وعن أبي سعيد الخدري اللمم هي النظرة
والغمزة والقبلة. وعن السدي الخطرة من الذنب. وعن الكلبي كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا
وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين. إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ
أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى. إن ربك واسع المغفرة حيث يكفر الصغائر
باجتناب الكبائر والكبائر بالتوبة. فلا تزكوا أنفسكم فلا تنسبوها إلى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات أو
إلى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي أولا وآخرا قبل
أن يخرجكم من صلب آدم عليه الصلاة والسلام وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم. وقيل كان ناس يعملون أعمالا
حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت. وهذا إذا كان على سبيل الإعجاب والرياء. فأما من
اعتقد أن ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين أنفسهم
لأن المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر. أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى أعنده
علم الغيب فهو يرى. أكدى قطع عطيته وأمسك وأصله إكداء الحافر وهو أن تلقاه كدية وهي صلابة
كالصخرة فيمسك عن الحفر ونحوه أجبل الحافر ثم استعير فقيل أجبل الشاعر إذا أفحم. روي أن عثمان رضي
الله عنه كان يعطي ماله في الخير فقال له عبد الله بن سعد بن أبي سرح وهو أخوه من الرضاعة يوشك أن
لا يبقى لك شيء فقال عثمان رضي الله عنه إن لي ذنوبا وخطايا وإني أطلب بما أصنع رضى الله وأرجو عفوه فقال عبد
الله أعطني ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن العطاء
فنزلت. ومعنى تولى ترك المركز يوم أحد فعاد عثمان رضي الله عنه إلى أحسن من ذلك وأجمل. فهو يرى
يعلم أن ما قال له أخوه من احتمال أوزاره حق. أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى ألا تزر
وازرة وزر أخرى. وفى قرئ مخففا ومشددا والتشديد مبالغة في الوفاء أو بمعنى وفر وأتم
كقوله تعالى فأتمهن. وإطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغ الرسالة واستقلاله بأعباء
النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمرود وقيامه بأضيافه وخدمته إياهم بنفسه وأنه كان يخرج
كل يوم فيمشي فرسخا يرتاد ضيفا فإن وافقه أكرمه وإلا نوى الصوم. وعن الحسن ما أمره الله بشيء إلا
وفى به. وعن الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام يؤخذ الرجل بجريرة غيره
ويقتل بأبيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامرأته والعبد بسيده فأول من خالفهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام
وعن عطاء بن السائب عهد ألا يسأل مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبريل وميكائيل عليهما الصلاة
والسلام ألك حاجة فقال أما إليكما فلا. وعن النبي صلى الله عليه وسلم وفى عمله كل يوم بأربع ركعات في صدر
النهار وهي صلاة الضحى. وروي ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول إذا أصبح وأمسى فسبحان
الله حين تمسون إلى تظهرون. وقيل وفى سهام الإسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة
في الأحزاب إن المسلمين وعشرة في المؤمنين قد أفلح المؤمنون. وقرئ في صحف بالتخفيف. ألا تزر أن
مخففة من الثقيلة والمعنى أنه لا تزر والضمير ضمير الشأن ومحل أن وما بعدها الجر بدلا من ما في صحف
موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كأن قائلا قال وما في صحف موسى وإبراهيم فقيل أن لا تزر. وأن ليس
للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى. إلا ما سعى إلا سعيه

فإن قلت أما

فإن قلت أما صح في الأخبار الصدقة عن الميت والحج عنه وله الأضعاف. قلت فيه جوابان
أحدهما أن سعي غيره لما لم ينفعه إلا مبنيا على سعي نفسه وهو أن يكون مؤمنا صالحا وكذلك الأضعاف كان
سعي غيره كأنه سعي نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه. والثاني أن سعي غيره لا ينفعه إذا عمله لنفسه ولكن
إذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه. ثم يجزاه ثم يجزى العبد سعيه يقال
جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وإيصال الفعل. ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله تعالى
الجزاء الأوفى أو أبدله عنه كقوله تعالى وأسروا النجوى الذين ظلموا. وأن إلى ربك المنتهى وأنه هو أضحك
وأبكى وأنه هو أمات وأحيا وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى. وأن
إلى ربك المنتهى قرئ بالفتح على معنى أن هذا كله في الصحف وبالكسر على الابتداء وكذلك ما بعده. والمنتهى
مصدر بمعنى الانتهاء أي ينتهي إليه الخلق ويرجعون إليه كقوله عز وجل وإليه المصير. أضحك وأبكى خلق قوتي
الضحك والبكاء. إذا تمنى إذا تدفق في الرحم يقال مني وأمنى. وعن الأخفش تخلق من مني الماني أي قدر المقدر
وأن عليه النشأة الأخرى. وقرئ النشاءة بالمد. وقال عليه لأنها واجبة عليه في الحكمة
ليجازي على الإحسان والإساءة. وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو رب الشعرى وأنه أهلك
عادا الأولى وثمود فما أبقى. وأقنى وأعطى القنية وهي المال الذي تأثلته وعزمت أن لا تخرجه
من يدك. الشعرى مرزم الجوزاء وهي التي تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصاء
والعبور وأراد العبور وكانت خزاعة تعبدها سن عبادتها أبو كبشة رجل من أشرافهم وكانت قريش
تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو كبشة تشبيها له به لمخالفته إياهم في دينهم يريد أنه رب معبودهم
هذا. عادا الأولى قوم هود عليه الصلاة والسلام وعاد الأخرى إرم. وقيل الأولى القدماء لأنهم
أولى الأمم هلاكا بعد قوم نوح أو المتقدمون في الدنيا الأشراف. وقرئ عادا لولى وعاد لولى بإدغام
التنوين في اللام وطرح همزة أولى ونقل ضمتها إلى لام التعريف. وثمودا وقرئ وثمود. وقوم نوح من قبل إنهم
كانوا هم أظلم وأطغى والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى فبأي آلاء ربك تتمارى
هذا نذير من النذر الأولى. أظلم وأطغى لأنهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون
عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه وما أثر فيهم دعاؤه قريبا من ألف سنة. والمؤتفكة والقرى
التي ائتفكت بأهلها أي انقلبت وهم قوم لوط عليه الصلاة والسلام يقال أفكه فائتفك. وقرئ والمؤتفكات
أهوى رفعها إلى السماء على جناح جبريل عليه الصلاة والسلام ثم أهواها إلى الأرض أي أسقطها. ما غشى
تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود. فبأي آلاء ربك تتمارى تتشكك. والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو للإنسان على الإطلاق وقد عدد نعما ونقما وسماها كلها آلاء من قبل ما في
نقمه من المزاجر والمواعظ للمعتبرين. هذا القرآن نذير من النذر الأولى أي إنذار من جنس الإنذارات الأولى التي
أنذر بها من قبلكم. أو هذا الرسول نذير من المنذرين. وقال الأولى على تأويل الجماعة. أزفت الآزفة
ليس لها من دون الله كاشفة أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون
فاسجدوا لله واعبدوا. أزفت الآزفة قربت الموصوفة بالقرب في قوله عز وجل اقتربت الساعة. ليس
لها نفس كاشفة أي مبينة متى تقوم كقوله تعالى لا يجليها لوقتها إلا هو. أو ليس لها نفس كاشفة أي
قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله غير أنه لا يكشفها. أو ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير. وقيل
الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية. وقرأ طلحة ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة وهي على
الظالمين ساءت الغاشية. أفمن هذا الحديث وهو القرآن تعجبون إنكارا وتضحكون استهزاء ولا
تبكون والبكاء والخشوع حق عليكم. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم ير ضاحكا بعد نزولها. وقرئ

تعجبون تضحكون بعيدا وقد وانتم سامدون شامخون مبرطمون وقيل لاهون لاعبون وقال بعضهم لجاريته اسمدي لنا اي غني لنا فاسجدوا لله واعبدوه ولا تعبدوا الآلهة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة والنجم اعطاه الله سبحانه وتعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحد به بمكة صدق الله وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم

سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر انشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته النيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رضي الله عنه رأيت حراء بين فلقتي القمر وعن بعض الناس ان معناه ينشق يوم القيمة وقوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر يرده وكفى به رادا وفي قراءة حذيفة رضي الله عنه وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق كما تقول اقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه وعن حذيفة انه خطب بالمدائن ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم مستمر دائم مطرد وكل شيء قد انقادت طريقته ودامت حاله قيل فيه قد استمر لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر قوي محكم من قولهم استمر مريره وقيل هو من استمر الشيء اذا اشتدت مرارته اي مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا نقدر ان نسيغه كما لا يساغ المر الممقر وقيل مستمر مار ذاهب زائل لا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وقرئ وان يروا وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل امر مستقر واتبعوا اهواءهم وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره وكل امر مستقر اي كل امر لا بد ان يصير الى غاية يستقر عليها وان امر محمد صلى الله عليه وسلم سيصير الى غاية يتبين عندها انه حق او باطل وسيظهر لهم عاقبته او وكل امر من امورهم وامره مستقر اي سيثبت ويستقر على حالة خذلان او نصرة في الدنيا وشقاوة او سعادة في الاخرى وقرئ بفتح القاف يعني كل امر ذو مستقر اي ذو استقرار او ذو موضع استقرار او زمان استقرار وعن ابي جعفر مستقر بكسر القاف والجر عطفا على الساعة اي اقتربت الساعة واقترب كل امر مستقر يستقر ويتبين حاله ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر من الانباء من القرآن المودع انباء القرون الخالية او انباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار مزدجر ازدجار او موضع ازدجار والمعنى هو في نفسه موضع الازدجار ومظنة له كقوله تعالى لكم في رسول الله اسوة حسنة اي هو اسوة وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال زايا وادغام الزاي فيها حكمة بالغة بدل من ما او على هو حكمة وقرئ بالنصب حالا من ما فان قلت ان كانت ما موصولة ساغ لك ان تنصب حكمة حالا فكيف تعمل ان كانت موصوفة وهو الظاهر قلت تخصصها الصفة فيحسن نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي او انكار وما منصوبة اي فاي غناء تغني النذر فتول عنهم يوم يدع الداعي الى شيء نكر فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم نصب يوم بيدع الداعي او بيخرجون او باضمار اذكر وقرئ باسقاط الياء اكتفاء بالكسرة عنها والداعي اسرافيل او جبرئيل صلوات الله وسلامه عليهما كقوله تعالى يوم ينادي المنادي الى شيء نكر منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيمة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث

جراد منتشر

جراد منتشر خاشعا ابصارهم حال من الخارجين فعل للابصار وذكر كما تقول يخشع ابصارهم وقرئ خاشعة على تخشع ابصارهم وخشعا على يخشعن ابصارهم وهي لغة من يقول اكلوني البراغيث وهم طيئ ويجوز ان يكون في خشعا ضميرهم ويقع ابصارهم بدلا عنه وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله وجدته حاضراه الجود والكرم وخشوع الابصار كناية عن الذلة والانخزال لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما وقرئ يخرجون من الاجداث من القبور كانهم جراد منتشر الجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاؤا كالجراد وكالدبا منتشر في كل مكان لكثرته مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر مهطعين الى الداعي مسرعين مادي اعناقهم اليه وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بابصارهم قال تعبدني نمر بن سعد وقد ارى ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه اني مغلوب فانتصر قبلهم قبل اهل مكة فكذبوا عبدنا يعني نوحا عليه الصلاة والسلام فان قلت ما معنى قوله فكذبوا بعد قوله كذبت قلت معناه كذبوا فكذبوا عبدنا اي كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا اي لما كانوا مكذبين للرسل جاحدين للنبوة رأسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل مجنون هو مجنون وازدجر وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجم في قولهم لتكونن من المرجومين وقيل هو من جملة قيلهم اي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه وقرئ اني بمعنى فدعا بالكسر على ارادة القول فدعا فقال اني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم الياس من اجابتهم لي فانتصر فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا بذلك بعد ما طم عليه الامر وبلغ السيل الزبى فقد روي ان الواحد من امته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر وقرئ ففتحنا مخففا ومشددا وكذلك وفجرنا منهمر منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع اربعين يوما وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون تتفجر وهو ابلغ من قولك وفجرنا عيون الارض ونظيره في النظم واشتعل الرأس شيبا فالتقى الماء يعني مياه السماء والارض وقرئ الماءان اي النوعان من الماء السماوي والارضي ونحوه قولك عندي تمران تريد ضربين من التمر برني ومعقلي قال لنا ابلان فيهما ما علمتم وقرأ الحسن رحمه الله ماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان على امر قد قدر على حال قدرها الله عز وجل كيف شاء وقيل على حال جاءت مقدرة مستوية وهي ان قدر ما انزل من السماء كقدر ما اخرج من الارض سواء بسواء وقيل على امر قد قدر في اللوح انه يكون وهو هلاك قوم نوح عليه الصلاة والسلام بالطوفان وحملناه على ذات الواح ودسر تجري باعيننا جزاء لمن كان كفر على ذات الواح ودسر اراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قميصي مسرودة من حديد اراد ولكن قميصي درع وكذلك ولو في عيون النازيات باكرع اراد ولو في عيون الجراد الا ترى انك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة او بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه جزاء مفعول له لما قدم من فتح ابواب السماء وما بعده اي فعلنا ذلك جزاء لمن كان كفر وهو نوح عليه الصلاة والسلام وجعله مكفورا لان النبي نعمة من الله عز وجل ورحمة قال الله سبحانه وتعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكان نوح عليه الصلاة

والسلام نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما يحكى ان رجلاً قال للرشيد الحمد لله عليك فقال ما معنى
هذا الكلام قال انت نعمة حمدت الله عليها ويجوز ان يكون على تقدير حذف الجار وايصال الفعل
وقرا قتادة كُفِرَ اي جزاء للكافرين وقرا الحسن رحمة الله عليه جِزاء بالكسر اي مجازاة ولقد
تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر الضمير في تركناها للسفينة او للفعلة
اي جعلناها آية يعتبر بها وعن قتادة ابقاها الله تعالى بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهراً
طويلاً حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر معتبر وقرئ مُذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء
ذالاً وادغام الدال فيها وهذا نحو متجر والنذر جمع نذير بمعنى الانذار ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر ولقد يسرنا القرآن الذكر سهلناه للادكار والاتعاظ بان صرفنا مبالغ عن
الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد فهل من متعظ وقيل المراد سهلناه للحفظ واعنّا عليه
من اراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويجوز ان يكون المعنى ولقد هيأناه للذكر من يسّر
ناقته للسفر اذا رحلها ويسّر فرسه للغزو اذا اسرجه والجمه قال وقمت اليه باللجام ميسّراً هنالك
يجزيني الذي كنت اصنع ويروى ان كتب اهل الاديان نحو التوراة والانجيل لا يتلوها اهلها الا نظراً
ولا يحفظونها ظاهراً كالقرآن كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم
ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي
ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ونذر وانذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم
في تعذيبهم لمن بعدهم في يوم نحس في يوم شؤم وقرئ في يوم نحسٍ كقوله عز وجل في ايام نحسات قد
استمر عليهم ودام حتى اهلكهم واستمر عليهم جميعاً كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة
وكان في اربعاء في آخر الشهر لا يدور ويجوز ان يريد بالمستمر الشديد المرارة والبشاعة تنزع الناس
تقلعهم عن اماكنهم وكانوا اصطفوا آخذين بعضهم بايدي بعض ويتداخلون في الشعاب ويحفرون الحفر
ويندسّون فيها فتنزعهم وتدق رقابهم كانهم اعجاز نخل منقعر يعني انهم كانوا يتساقطون على الارض
امواتاً وهم جثث طوال عظام كانهم اعجاز نخل وهي اصولها بلا فروع منقعر منقلع عن مغارسه
وقيل شبهوا باعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤوسهم فتبقى اجساداً بلا رؤوس وتذكير صفة النخل
على اللفظ ولو حملها على المعنى لانث كما قال تعالى اعجاز نخل خاوية كذبت ثمود بالنذر فقالوا ابشراً
منا واحداً نتبعه انا اذاً لفي ضلال وسعر أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب اشر
ابشراً منا واحداً نصب بفعل يفسره ما بعده وقرئ ابشرٌ منا واحدٌ على الابتداء ونتبعه خبره والاول اوجه
للاستفهام كان يقول ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا
ان اتبعناك كنا اذاً كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة
قال كأن بها سعراً اذا العيس هزها ذميل وارخاء من السير متعب فان قلت كيف انكروا ان يتبعوا
بشراً منهم واحداً قلت قالوا ابشراً انكاراً ان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا ان يكون من جنس اعلى
من جنس البشر وهم الملائكة وقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة اقوى وقالوا واحداً انكاراً لان
يتبع الامة رجلاً واحداً او ارادوا واحداً من افنائهم ليس باشرفهم وافضلهم ويدل عليه قوله أألقي الذكر عليه من بيننا
اي انزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو احق منه بالاختيار للنبوة اشر بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه
التعظم علينا على ادعاء ذلك سيعلمون غداً من الكذاب الاشر انا مرسلو الناقة فتنة لهم
فارتقبهم واصطبر سيعلمون غداً عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة من الكذاب الاشر صالح ام من
كذبه وقرئ ستعلمون بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح عليه الصلاة والسلام مجيباً لهم او هو كلام الله

على سبيل

على سبيل الالتفات وقرئ الاشُر بضم الشين كقولهم حدُث وحدث وحذُر وحذر واخوات لها
وقرئ الاشرّ وهو الابلغ في الشرارة والاخير والاشرّ اصل قولهم هو خير منه وشر منه وهو اصل
مرفوض وقد حكى ابن الانباري قول العرب هو اخير واشر وما اخيره وما اشره انا مرسلو الناقة باعثوها و
مخرجوها من الهضبة كما سألوا فتنة لهم امتحاناً لهم وابتلاء فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون
واصطبر على اذاهم ولا تعجل حتى يأتيك امري ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا
صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر قسمة بينهم مقسوم لها شرب يوم ولهم شرب يوم
وانما قال بينهم تغليباً للعقلاء محتضر يحضره لهم او للناقة وقيل يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها
صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فاجترأ على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة
وقيل فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا
كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر صيحة واحدة صيحة جبريل عليه
الصلاة والسلام كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المتكسر والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به
ييبس بطول الزمان وتتوطأه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرا الحسن رحمه الله بفتح الظاء اي كهشيم
الاحتظار اي الحظيرة كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصباً الا آل لوط نجيناهم
بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر حاصباً ريحاً تحصبهم بالحجارة اي ترميهم
بسحر بقطع من الليل وهو السدس الاخير منه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والآخر
عند انصداعه وانشد مرت باعلى السحرين تدأل وصرف لانه نكرة ويقال لقيته سحراً اذا لقيته في سحر
يومه نعمة من عندنا انعاماً منا وهو علة لنجينا من شكر نعمتنا بايمانه وطاعته ولقد انذرهم بطشتنا فتماروا
بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد انذرهم
لوط عليه الصلاة والسلام بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا فكذبوا بالنذر متشاكين فطمسنا
اعينهم فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روي انهم لما دخلوا باب لوط عليه الصلاة
والسلام ليدخلوا قالت الملائكة خلّهم يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل
عليه الصلاة والسلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط
عليه الصلاة والسلام فذوقوا فقلت لهم ذوقوا على السنة الملائكة ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر
فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر بكرة اول النهار وباكره قوله تعالى
مشرقين ومصبحين وقرا زيد بن علي رضي الله عنهما بكرة غير منصرف تقول اتيته بكرة وغدوة بالتنوين
اذا اردت التنكير وبكرة وغدوة اذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته عذاب مستقر ثابت قد
استقر عليهم حتى يفضي بهم الى عذاب الآخرة فان قلت ما فائدة تكرير قوله فذوقوا عذابي
ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قلت فائدته ان يجددوا عند استماع كل نبأ من انباء الاولين
ادكاراً واتعاظاً وان يستأنفوا تنبهاً واستيقاظاً اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وان يقرع لهم
العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا تستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير
لقوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن وقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين عند كل
آية اوردها في سورة والمرسلات وكذلك تكرير الانباء والقصص في انفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب
مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل اوان ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها
فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر النذر موسى وهارون وغيرهما من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهما
عرضا عليهم ما انذر به المرسلون او جمع نذير وهو الانذار بآياتنا كلها بالآيات التسع اخذ عزيز

لا يبالى • مقتدر لا يعجزه شيء • أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر أم يقولون
نحن جميع منتصر • سيهزم الجمع ويولون الدبر • أكفاركم يا أهل مكة خير من أولئكم الكفار
المعدودين • قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم الصلاة والسلام وآل فرعون أي أهم خير قوة وآلة
ومكانة في الدنيا أو أقل كفرًا وعنادًا أي ليس كفاركم مثل أولئك بل شر منهم • أم لكم براءة يا أهل
مكة • براءة في الكتب المتقدمة أن من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنًا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة
نحن جميع جماعة أمرنا مجتمع • منتصر ممتنع لا نرام ولا نضام • وعن أبي جهل أنه ضرب فرسه
يوم بدر فتقدم في الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه فنزلت • سيهزم الجمع • عن عكرمة لما نزلت
هذه الآية قال عمر رضي الله عنه أي جمع يهزم فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول
سيهزم الجمع عرف تأويلها • ويولون الدبر أي الأدبار كما قال كلوا في بعض بطنكم • وقرئ الأدبار • بل
الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر • إن المجرمين في ضلال وسعر • أدهى أشد والداهية
والداهية الأمر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه • وأمر مذاقًا من الهزيمة والقتل والأسر • وقرئ سيهزم
الجمع • في ضلال وسعر في هلاك ونيران • أو في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة • يوم يسحبون
في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر • إنا كل شيء خلقناه بقدر • وما أمرنا إلا
واحدة كلمح بالبصر • مس سقر حرها وألمها فإن مسها سبب التألم بها • وذوقوا طعم الضرب لأن النار إذا أصابتهم بحرها
ولحقتهم بإيلامها فكأنها تمسهم مس الحيوان الذي يباشر بما يؤذي ويؤلم • وذوقوا على إرادة القول
وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته إذا لوحته • قال ذو الرمة • إذا ذابت الشمس اتقى صقراتها
بأفنان مربوع الصريمة معبل • وعدم صرفها للتعريف والتأنيث • كل شيء منصوب بفعل يفسره
الظاهر • وقرئ كل شيء بالرفع • والقدر والقدر التقدير • وقرئ بهما أي خلقنا كل شيء مقدرًا محكمًا مرتبًا
على حسب ما اقتضته الحكمة • أو مقدرًا مكتوبًا في اللوح معلومًا قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه • وما أمرنا
إلا واحدة إلا كلمة واحدة سريعة التكوين كلمح بالبصر أو إلا فعلة واحدة وهو الإيجاد بلا معالجة • والمعنى أنه إذا أراد تكوين شيء لم يلبث كونه
ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر • وكل شيء فعلوه في الزبر • وكل صغير وكبير
مستطر • إن المتقين في جنات ونهر • في مقعد صدق عند مليك مقتدر • أشياعكم أشباهكم في الكفر
من الأمم • في الزبر في دواوين الحفظة • وكل صغير وكبير من الأعمال ومن كل ما هو كائن • مستطر مسطور
في اللوح • ونهر وأنهار اكتفى باسم الجنس • وقيل هو السعة والضياء من النهار • وقرئ بسكون الهاء • ونهر جمع
نهر كأسد وأسد • في مقعد صدق في مكان مرضي • وقرئ في مقاعد صدق • عند مليك مقتدر مقربين
عند مليك أبهم أمره في الملك والاقتدار فلا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدرته • أي منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة
كلها والسعادة بأسرها • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله ووجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية وقيل مدنية وهي ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • الرحمن علم القرآن • خلق الإنسان علمه البيان • عدد الله
عز وجل آلاءه فأراد أن يقدم أول شيء ما هو أسبق قدمًا من ضروب آلائه وأصناف نعمائه وهي نعمة الدين فقدم
من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لأنه أعظم وحي الله
رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه في أبواب الدين أثرًا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها وأخر
ذكر خلق الإنسان عن ذكره ثم أتبعه إياه ليعلم أنه إنما خلقه للدين وليحيط علمًا بوحيه وكتبه وما خلق
الإنسان من أجله وكأن الغرض من إنشائه كان مقدمًا عليه وسابقًا له • ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو

المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير • والرحمن مبتدأ وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة وإخلاؤها
عن العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة
فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد فما تنكر من إحسانه • الشمس والقمر بحسبان • والنجم
والشجر يسجدان • بحسبان بحساب معلوم وتقدير سوي يجريان في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك
منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب • والنجم النبات الذي ينجم من الأرض لا ساق له كالبقول
والشجر الذي له ساق • ويسجدان ينقادان لله عز وجل فيما خلقا له انقياد الساجد من المكلفين طوعًا تشبيهًا بالساجد
من المكلفين في انقياده • فإن قلت كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن • قلت استغنى
فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم أن الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره وكأنه قيل
الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له • فإن قلت كيف أخل بالعاطف في الجمل الأولى ثم جيء
به بعد • قلت بكت بتلك الجمل الأولى واردة على سنن التعديد ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة في
تقريع الذين أنكروا الرحمن وآلاءه كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي
قدمته ثم رد الكلام إلى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف • فإن قلت
أي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف • قلت إن الشمس والقمر سماويان والنجم
والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وأن السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين وأن
جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر • وقيل علم القرآن
جعله علامة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما الإنسان آدم عليه الصلاة والسلام • وعنه محمد صلى الله
عليه وسلم • وعن مجاهد النجم نجم السماء • والسماء رفعها ووضع الميزان • والسماء رفعها
خلقها مرفوعة محلًا ومرتبة حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه ومتنزل أوامره ونواهيه
ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على أنبيائه • ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه
ووضع الميزان • وفي قراءة عبد الله وخفض الميزان وأراد به كل ما يوزن به الأشياء ويعرف مقاديرها
من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس أي خلقه موضوعًا مخفوضًا على الأرض حيث علق به أحكام عباده
وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في أخذهم وإعطائهم • ألا تطغوا لئلا تطغوا أو أي لا تطغوا
وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير أن على إرادة القول • وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان • وأقيموا
بالقسط وقوموا وزنكم بالعدل • ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو
اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان • وكرر لفظ الميزان تشديدًا للتوصية به وتقوية
للأمر باستعماله والحث عليه • وقرئ والسماء بالرفع • ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها يقال
خسر الميزان يخسره ويخسره • وأما الفتح فعلى أن الأصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل
والأرض وضعها للأنام • فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام • والحب ذو العصف والريحان
فبأي آلاء ربكما تكذبان • وضعها خفضها مدحوة على الماء • للأنام للخلق وهو كل ما على ظهر الأرض
من دابة • وعن الحسن رحمه الله الإنس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها • فاكهة ضروب مما يتفكه به
والأكمام كل ما يكم أي يغطي من ليفة وسعفة وكفراة وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه
وقيل الأكمام أوعية التمر الواحد كم بكسر الكاف • والعصف ورق الزرع وقيل التبن • والريحان الرزق وهو
اللباب أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب • وقرئ
والريحان بالكسر ومعناه والحب ذو العصف الذي هو علف الأنعام والريحان الذي هو مطعم الإنسان • وبالضم
على وذو الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه • وقيل معناه وفيها الريحان الذي يشم • وفي

مصابيح لأهل الشام والحب ذو العصف والريحان أي وخلق الحب والريحان ويجوز أن يراد وذو الريحان
فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والخطاب في ربكما تكذبان للثقلين بدلالة الأنام عليهما وقوله
سنفرغ لكم أيها الثقلان ● خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فبأي
آلاء ربكما تكذبان ● الصلصال الطين اليابس له صلصلة والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو
الخزف **فإن قلت** قد اختلف التنزيل في هذا وذلك قوله عز وجل من حمأ مسنون من طين لازب من تراب
قلت هو متفق في المعنى ومفيد أنه خلقه من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا ● والجان أبو
الجن وقيل هو إبليس والمارج اللهب الصافي الذي لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج
الشيء إذا اضطرب واختلط **فإن قلت** فما معنى قوله من نار **قلت** هو بيان لمارج كأنه قيل من صاف
من نار أو مختلط من نار أو أراد من نار مخصوصة كقوله تعالى فأنذرتكم نارا تلظى ● رب المشرقين ورب المغربين
فبأي آلاء ربكما تكذبان ● قرئ رب المشرقين ورب المغربين بالجر بدلا من ربكما وأراد مشرقي
الصيف والشتاء ومغربيهما ● مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ● فبأي آلاء ربكما
تكذبان ● مرج البحرين أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين في مرأى
العين ● بينهما برزخ حاجز من قدرة الله لا يبغيان لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ● فبأي آلاء ربكما تكذبان ● قرئ يخرج ويخرج من أخرج وخرج ونخرج
أي الله عز وجل اللؤلؤ والمرجان بالنصب ● ويخرج بالتاء ● واللؤلؤ الدر ● والمرجان هذا الخرز الأحمر
وهو البسذ ● وقيل اللؤلؤ كبار الدر ● والمرجان صغاره **فإن قلت** لم قال منهما وإنما يخرجان
من الملح **قلت** لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان
من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وإنما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره
وقيل لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب ● وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ● فبأي آلاء
ربكما تكذبان ● الجواري السفن ● وقرئ الجوار بحذف الياء ورفع الراء ونحوه هذه ثنايا أربع
حسان ● وأربع كلها ثمان ● والمنشآت المرفوعات الشرع ● وقرئ بكسر الشين وهي الرافعات
الشرع أو اللاتي ينشئن الأمواج بجريهن ● والأعلام جمع علم وهو الجبل الطويل ● كل من عليها فان
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ● فبأي آلاء ربكما تكذبان ● عليها على الأرض
ووجه ربك ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات ومساكين مكة يقولون أين وجه عربي كريم ينقذني
من الهوان ● وذو الجلال والإكرام صفة الوجه ● وقرأ عبد الله ذي على صفة ربك ومعناه الذي
يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم ● أو الذي يقال له ما أجلك وأكرمك ● أو من عنده الجلال
والإكرام للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات الله ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام ● وعنه عليه الصلاة والسلام أنه مر برجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال
والإكرام فقال قد استجيب لك **فإن قلت** ما النعمة في ذلك **قلت** أعظم النعمة وهو مجيء وقت الجزاء
عقيب ذلك ● يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن ● فبأي آلاء ربكما تكذبان
كل من أهل السماوات والأرض مفتقرون إليه فيسأله أهل السماوات ما يتعلق بدينهم وأهل الأرض ما يتعلق
بدينهم ودنياهم ● كل يوم هو في شأن أي كل وقت وحين يحدث أمورا ويجدد أحوالا كما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه تلاها فقيل له وما ذلك الشأن فقال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع
قوما ويضع آخرين ● وعن ابن عيينة رضي الله عنه الدهر عند الله يومان أحدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا
فشأنه فيه الأمر والنهي والإماتة والإحياء والإعطاء والمنع ● والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء

والحساب

والحساب ● وقيل نزلت في اليهود لعنهم الله حين قالوا إن الله لا يقضي يوم القيامة شيئا ● وسأل بعض الملوك
وزيره عنها فاستمهله إلى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له أسود يا مولاي أخبرني ما أصابك
لعل الله يسهل لك على يدي فأخبره فقال أنا أفسرها للملك فأعلمه فقال أيها الملك شأن الله أنه
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم
سليما ويبتلي معافى ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الأمير
أحسنت وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شأن الله ● وعن عبد الله
بن طاهر أنه دعا الحسين بن الفضل وقال له أشكلت علي ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لي قوله تعالى
فأصبح من النادمين وقد صح أن الندم توبة ● وقوله تعالى كل يوم هو في شأن وصح أن القلم جف بما هو كائن
إلى يوم القيامة ● وقوله وأن ليس للإنسان إلا ما سعى فما بال الأضعاف ● فقال الحسين يجوز أن لا يكون الندم
توبة في تلك الأمة ويكون توبة في هذه الأمة لأن الله تعالى خص هذه الأمة بخصائص لم يشاركهم فيها
الأمم ● وقيل إن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل عليه الصلاة والسلام ولكن على حمله ● وأما قوله تعالى
وأن ليس للإنسان إلا ما سعى فمعناه ليس له إلا ما سعى عدلا ولي أن أجزيه بواحدة ألفا فضلا ● وأما
قوله تعالى كل يوم هو في شأن فإنها شؤون يبديها لا شؤون يبتدئها فقام عبد الله وقبل رأسه
وسوغ خراجه ● سنفرغ لكم أيها الثقلان ● فبأي آلاء ربكما تكذبان ● سنفرغ لكم
مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى
لا يكون لي شغل سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ● ويجوز أن يراد ستنتهي الدنيا وتبلغ
آخرها وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي أرادها بقوله تعالى كل يوم هو في شأن فلا يبقى إلا شأن واحد
وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل ● وقرئ سيفرغ لكم أي الله تعالى وسأفرغ لكم وسنفرغ
لكم بالنون مفتوحا ومكسورا وفتح الراء وسيفرغ بالياء مفتوحا ومضموما مع فتح الراء ● وفي قراءة
أبي رضي الله عنه سنفرغ إليكم بمعنى سنقصد إليكم ● والثقلان الإنس والجن سميا بذلك لأنهما ثقلا
الأرض ● يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا
تنفذون إلا بسلطان ● فبأي آلاء ربكما تكذبان ● يا معشر الجن والإنس كالترجمة لقوله تعالى أيها
الثقلان ● إن استطعتم أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وأرضي فافعلوا ● ثم قال لا تقدرون
على النفوذ ● إلا بسلطان يعني بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك ونحوه وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في
السماء ● وروي أن الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فإذا رآهم الجن والإنس هربوا فلا يأتون وجها
إلا وجدوا الملائكة أحاطت به ● يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ● فبأي آلاء ربكما
تكذبان ● شواظ ونحاس كلاهما بالضم والكسر ● والشواظ اللهب الخالص ● والنحاس الدخان ● وأنشد
تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا ● وقيل الصفر المذاب يصب على رؤوسهم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما إذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ إلى المحشر ● وقرئ ونحاس مرفوعا
عطفا على شواظ ومجرورا عطفا على نار ● وقرئ ونحس جمع نحاس وهو الدخان نحو لحاف ولحف ● وقرئ
ونحس أي ونقتل بالعذاب ● وقرئ نرسل عليكما شواظا من نار ونحاسا ● فلا تنتصران فلا تمتنعان
فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ● فبأي آلاء ربكما تكذبان ● وردة حمراء
كالدهان كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن أو اسم ما يدهن به كالحزام
والإدام ● قال الشاعر كأنهما مزادتا متعجل فريان لما تدهنا بدهان ● وقيل الدهان الأديم
الأحمر ● وقرأ عمرو بن عبيد وردة بالرفع بمعنى فحصلت سنة وردة وهو من الكلام الذي يسمى التجريد

كقوله: فلئن بقيت لأرحلن بغزوة ... تحوي الغنائم أو يموت كريم ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أي بعض من الإنس ولا جان أريد به ولا جن أي ولا بعض من الجن فوضع الجان الذي هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده وإنما وحد ضمير الإنس في قوله تعالى عن ذنبه لكونه في معنى البعض والمعنى لا يسألون لأنهم يعرفون بسيما المجرمين وهي سواد الوجوه وزرقة العيون **فإن قلت** هذا خلاف قوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين وقوله وقفوهم إنهم مسئولون **قلت** ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون في موطن ولا يسألون في آخر قال قتادة قد كانت مسألة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يسأل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسأل سؤال توبيخ وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله ولا جأن فرارا من التقاء الساكنين ﴿يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ فيؤخذ بالنواصي والأقدام عن الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالأقدام ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ حميم آن ماء حار قد انتهى حره ونضجه أي يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل إذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم وقيل إن واديا من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منها وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا وقرئ يطوفون من التطويف ويطوفون أي يتطوفون ويطافون وفي قراءة عبد الله هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليان لا تموتان فيها ولا تحييان يطوفون بينها ونعمة الله فيما ذكره من هول العذاب نجاة الناجي منه برحمته وفضله وما في الإنذار به من اللطف ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحوه ولمن خاف مقامي ويجوز أن يراد بمقام ربه أن الله قائم عليه أي حافظ مهيمن من قوله عز وعلا أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته وقيل هو مقحم كما تقول أخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك وأنشد ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين يريد ونفيت عنه الذئب **فإن قلت** لم قال جنتان **قلت** الخطاب للثقلين فكأنه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الإنسي وجنة للخائف الجني ويجوز أن يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لأن التكليف دائر عليهما وأن يقال جنة يثاب بها وأخرى تضم إليها على وجه التفضل كقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴿ذواتا أفنان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ خص الأفنان بالذكر وهي الغصنة التي تتشعب من فروع الشجرة لأنها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وقيل الأفنان ألوان النعم ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين قال ومن كل أفنان اللذاذة والصبى لهوت به والعيش أخضر ناضر عينان تجريان حيث شاؤوا في الأعالي والأسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن الحسن تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل زوجان صنفان قيل صنف معروف وصنف غريب ﴿متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ متكئين نصب على المدح للخائفين أو حال منهم لأن من خاف في معنى الجمع بطائنها من إستبرق من ديباج ثخين وإذا كانت البطائن من الإستبرق فما ظنك بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور دان قريب يناله القائم والقاعد والنائم وقرئ وجنى بكسر الجيم فيهن في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين

والفاكهة والفرش والجنى أو في الجنتين لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس قاصرات الطرف نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم لم يطمث الإنسيات منهن أحد من الإنس ولا الجنيات أحد من الجن وهذا دليل على أن الجن يطمثون كما يطمث الإنس وقرئ لم يطمثهن بضم الميم قيل هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار الدر أنصع بياضا قيل إن الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ هل جزاء الإحسان في العمل إلا الإحسان في الثواب وعن محمد بن الحنفية رضي الله عنه هي مسجلة للبر والفاجر أي مرسلة يعني أن كل من أحسن أحسن إليه وكل من أساء أسيء إليه ومن دونهما ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين جنتان لمن دونهم من أصحاب اليمين مدهامتان قد ادهامتا من شدة الخضرة ﴿فيهما عينان نضاختان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ نضاختان فوارتان بالماء والنضخ أكثر من النضح لأن النضح غير معجمة مثل الرش **فإن قلت** لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها **قلت** اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران كقوله تعالى وجبريل وميكال أو لأن النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال أبو حنيفة رحمه الله إذا حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانا أو رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه خيرات خيرات فخففت كقوله صلى الله عليه وسلم هينون لينون فأما خير الذي هو بمعنى أخير فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات وقرئ خيرات على الأصل والمعنى فاضلات الأخلاق حسان الخلق ﴿حور مقصورات في الخيام فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ مقصورات قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة مخدرة وقيل إن الخيمة من خيامهن درة مجوفة قبلهم قبل أصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين ﴿متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾ متكئين نصب على الاختصاص والرفرف ضرب من البسط وقيل البسط وقيل الوسائد وقيل كل ثوب عريض رفرف وقيل لأطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه والعبقري منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب وقرئ رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدائني نسبة إلى عباقر في اسم البلد وروى أبو حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لا وجه لصحته **فإن قلت** كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الأوليين حتى قيل ومن دونهما **قلت** مدهامتان دون ذواتا أفنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ وقرئ ذو الجلال صفة للاسم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه

سورة الواقعة مكية وهي سبع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة﴾ وقعت الواقعة كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيامة وصفت بالوقوع لأنها تقع لا محالة فكأنه قيل إذا وقعت التي لا بد من وقوعها ووقوع الأمر نزوله يقال وقع ما كنت أتوقعه أي نزل ما كنت أترقب نزوله **فإن قلت** بم انتصب إذا **قلت** بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل أو بمحذوف يعني إذا وقعت كان كيت وكيت أو بإضمار اذكر كاذبة نفس كاذبة أي لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله

وتكذب في تكذيب الغيب لأن كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله عز وجل فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة واللام مثلها في قوله سبحانه وتعالى يا ليتني قدمت لحياتي أو ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لن تكوني أو هي من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم إذا شجعته على مباشرته وقالت له إنك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى أنها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة وأن لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الأمور وتزين له احتمالها وإطاقتها لأنهم يومئذ أضعف من ذلك وأذل ألا ترى إلى قوله تعالى كالفراش المبثوث والفراش مثل في الضعف وقيل كاذبة مصدر كالعاقبة بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب أي فما جبن وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به من إطاقته له وإقدامه عليه قال زهير إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا أي إذا وقعت لم يكن لها رجعة ولا ارتداد خافضة رافعة على هي خافضة رافعة ترفع أقواما وتضع آخرين إما وصفا لها بالشدة لأن الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس إلى مراتب ويتضع ناس وإما لأن الأشقياء يحطون إلى الدركات والسعداء يرفعون إلى الدرجات وإما أنها تزلزل الأشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمر في الجو مر السحاب وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال إذا رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم أزواجا ثلاثة رجت حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء وبست الجبال وفتتت حتى تعود كالسويق أو سيقت من بس الغنم إذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال منبثا متفرقا وقرئ بالتاء أي منقطعا وقرئ رجت وبست أي ارتجت وذهبت وفي كلام بنت الخس عينها هاج وصلاها راج وهي تمشي تفاج فإن قلت بم انتصب إذا رجت قلت هو بدل من إذا وقعت ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة أي تخفض وترفع وقت رج الأرض وبس الجبال لأنه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض أزواجا أصنافا يقال للأصناف التي بعضها مع بعض أزواج فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة فأصحاب الميمنة الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم وأصحاب المشأمة الذين يؤتونها بشمائلهم أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان مني باليمين وفلان مني بالشمال إذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل ولتفاؤلهم بالسانح وتطيرهم من البارح ولذلك اشتقوا لليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشؤمى وقيل أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة أصحاب اليمن والشؤم لأن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم وقيل يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين والسابقون المخلصون الذين سبقوا إلى ما دعاهم الله إليه وشقوا الغبار في طلب مرضاة الله تعالى وقيل الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال ما أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة تعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى أي شيء هم والسابقون السابقون يريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله وعبد الله عبد الله وقول أبي النجم وشعري شعري كأنه قال وشعري ما انتهى إليك وسمعت بفصاحته وبراعته

وقد جعل السابقون تأكيدا وأولئك المقربون خبرا وليس بذاك ووقف بعضهم على والسابقون وابتدأ السابقون أولئك المقربون والصواب أن يوقف على الثاني لأنه تمام الجملة وهو في مقابلة ما أصحاب اليمين وما أصحاب المشأمة المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش وأعليت مراتبهم وقرئ في جنة النعيم الثلة الأمة من الناس الكثيرة قال وجاءت إليهم ثلة خندفية بجيش كتيار من السيل مزبد وقوله تعالى وقليل من الآخرين كفى به دليلا على الكثرة وهي من الثل وهو الكسر كما أن الأمة من الأم وهو الشج كأنها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى أن السابقين كثير من الأولين وهم الأمم من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من الأولين من متقدمي هذه الأمة ومن الآخرين من متأخريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من أمتي فإن قلت كيف قال وقليل من الآخرين ثم قال وثلة من الآخرين قلت هذا في السابقين وذلك في أصحاب اليمين وأنهم يتكاثرون من الأولين والآخرين جميعا فإن قلت فقد روي أنها لما نزلت شق ذلك على المسلمين فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجع ربه عز وجل حتى نزلت ثلة من الأولين وثلة من الآخرين قلت هذا لا يصح لأمرين أحدهما أن هذه الآية واردة في السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية في أصحاب اليمين ألا ترى كيف عطف أصحاب اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم والثاني أن النسخ في الأخبار غير جائز وعن الحسن رحمه الله سابقو الأمم أكثر من سابقي أمتنا وتابعو الأمم مثل تابعي هذه الأمة وثلة خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلة على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين موضونة مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد دوخل بعضها في بعض كما توضن حلق الدرع قال الأعشى ومن نسج داود موضونة وقيل متواصلة أدني بعضها من بعض متكئين حال من الضمير في على وهو العامل فيها أي استقروا عليها متكئين متقابلين لا ينظر بعضهم في أقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق والآداب يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون مخلدون مبقون أبدا على شكل الولدان وحد الوصافة لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط وقيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها وروي عن علي رضي الله عنه وعن الحسن رحمه الله وفي الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة الأكواب أوان بلا عرى وخراطيم والأباريق ذوات الخراطيم لا يصدعون عنها أي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها أو لا يفرقون عنها وقرأ مجاهد لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله عز وجل يومئذ يصدعون ويصدعون أي لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرقونهم وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون يتخيرون يأخذون خيره وأفضله يشتهون يتمنون وقرئ ولحوم طير وقرئ وحور عين على وفيها حور عين كبيت الكتاب إلا رواكد جمرهن هباء ومشجج والنصب على ويؤتون حورا والجر عطفا على جنات النعيم كأنه قال هم في جنات وفاكهة ولحم وحور أو على أكواب لأن معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب جزاء مفعول له أي يفعل بهم ذلك كله جزاء بأعمالهم لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما سلاما سلاما إما بدل من قيلا بدليل قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما وإما مفعول به لقيلا بمعنى لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا سلاما سلاما والمعنى أنهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام وقرئ سلام سلام على الحكاية وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء

مسكوب • السدر شجر النبق • والمخضود الذي لا شوك له كأنما خضد شوكه • فعن مجاهد هو الموقر الذي تنثني أغصانه كثرة حمله من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب • والطلح شجر الموز • وقيل هو شجر أم غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة • وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل • وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قرأ وطلع وما شأن الطلح وقرأ قوله تعالى لها طلع نضيد فقيل أو نحولها فقال آي القرآن لا تهاج اليوم ولا تحول • وعن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه • والمنضود الذي نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه فليست له ساق بارزة • وظل ممدود منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس • مسكوب يسكب لهم أين شاؤوا وكيف شاؤوا لا يتعنون فيه • وقيل دائم الجرية لا ينقطع • وقيل مصبوب يجري على الأرض في غير أخدود • وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة • لا مقطوعة هي دائمة لا تنقطع في بعض الأوقات كفواكه الدنيا • ولا ممنوعة لا تمتنع عن متناولها بوجه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا • وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة كقوله تعالى وحور عين • وفرش مرفوعة • إنا أنشأناهن إنشاء • فجعلناهن أبكارا • عربا أترابا • لأصحاب اليمين • ثلة من الأولين • وثلة من الآخرين • وفرش جمع فراش • وقرئ وفرش بالتخفيف • مرفوعة نضدت حتى ارتفعت ومرفوعة على الأسرة • وقيل هي النساء لأن المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الأرائك قال الله سبحانه وتعالى هم وأزواجهم على الأرائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى إنا أنشأناهن إنشاء • وعلى التفسير الأول أضمر لهن لأن ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن • أنشأناهن إنشاء ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير ولادة فإما أن يراد اللاتي ابتدئ إنشاؤهن أو اللاتي أعيد إنشاؤهن • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أم سلمة رضي الله عنها سألته عن قول الله عز وجل إنا أنشأناهن فقال يا أم سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما سمعت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ذلك قالت وا وجعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع • وقالت عجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يدخلني الجنة فقال إن الجنة لا تدخلها العجائز فولت وهي تبكي فقال صلى الله عليه وسلم أخبروها أنها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية • عربا وعربا بالتخفيف جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها الحسنة التبعل • أترابا مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن أيضا كذلك • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين • واللام في لأصحاب اليمين من صلة أنشأنا وجعلنا • وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال • في سموم وحميم • وظل من يحموم • لا بارد ولا كريم • إنهم كانوا قبل ذلك مترفين • وكانوا يصرون على الحنث العظيم • في سموم في حر نار ينفذ في المسام • وحميم وماء حار متناه في الحرارة • وظل من يحموم من دخان أسود بهيم • لا بارد ولا كريم نفي لصفتي الظل عنه يريد أنه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه لمن يأوي إليه من أذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه • والمعنى أنه ظل حار ضار إلا أن للنفي في نحو هذا شأنا ليس للإثبات وفيه تهكم بأصحاب المشأمة وأنهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذي هو لأضدادهم في الجنة • وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع أي لا هو كذلك • والحنث الذنب العظيم ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث أي الحلم ووقت المؤاخذة بالمآثم ومنه حنث في يمينه خلاف بر فيها ويقال تحنث إذا تأثم وتحرج • وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون • أوآباؤنا الأولون • قل إن الأولين والآخرين • لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم • أوآباؤنا دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف • فإن قلت كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير

تأكيد بنحن • قلت حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله تعالى ما أشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي • وقرئ أو آباؤنا • وقرئ لمجمعون • إلى ميقات يوم معلوم إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والإضافة بمعنى من كخاتم فضة • والميقات ما وقت به الشيء أي حد ومنه مواقيت الإحرام وهي الحدود التي لا يجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرما • ثم إنكم أيها الضالون المكذبون • لآكلون من شجر من زقوم • فمالئون منها البطون • فشاربون عليه من الحميم • فشاربون شرب الهيم • أيها الضالون عن الهدى • المكذبون بالبعث وهم أهل مكة ومن في مثل حالهم • من شجر من زقوم من الأولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره • وأنث ضمير الشجر على المعنى وذكر على اللفظ في قوله منها وعليه • ومن قرأ من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وإنما ذكر الثاني على تأويل الزقوم لأنه تفسيرها وفي معناه • شرب الهيم قرئ بالحركات الثلاث فالفتح والضم مصدران • وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أيام أكل وشرب بفتح الشين • وأما المكسور فبمعنى المشروب أي ما يشربه الهيم وهي الإبل التي بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع أهيم وهيماء • قال ذو الرمة • فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها • وقيل الهيم الرمال ووجهه أن يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب • والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمهل فإذا ملؤوا منه البطون يسلط الله عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم • فإن قلت كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشيء على نفسه • قلت ليستا بمتفقتين من حيث إن كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الأمعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا صفتين مختلفتين • هذا نزلهم يوم الدين • نحن خلقناكم فلولا تصدقون • النزل الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له وفيه تهكم كما في قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم وكقول أبي الشعر الضبي • وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا • جعلنا القنا والمرهفات له نزلا • وقرئ نزلهم بالتخفيف • فلولا تصدقون تحضيض على التصديق إما بالخلق لأنهم وإن كانوا مصدقين به إلا أنهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به • وإما بالبعث لأن من خلق أولا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيا • أفرأيتم ما تمنون • أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون • نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين • على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون • ما تمنون ما تمنونه أي تقذفونه في الأرحام من النطف • وقرأ أبو السمال بفتح التاء يقال أمنى النطفة ومناها قال الله تعالى من نطفة إذا تمنى • تخلقونه تقدرونه وتصورونه • قدرنا بينكم الموت تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط • وقرئ قدرنا بالتخفيف • سبقته على الشيء إذا أعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه فمعنى قوله تعالى وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم إنا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه • وأمثالكم جمع مثل أي على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق وعلى أن ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعني أنا نقدر على الأمرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن إعادتكم • ويجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل أي على أن نبدل ونغير صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم وأخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها • قرئ النشأة والنشاءة • وفي هذا دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى • أفرأيتم ما تحرثون • أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون • لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون • إنا لمغرمون • بل نحن محرومون •

حطاما

أفرأيتم ما تحرثون ما تحرثونه من الطعام الذي تبذرون حبه وتعملون في أرضه أأنتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف وينمي إلى أن يبلغ الغاية. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت». قال أبو هريرة رضي الله عنه أرأيتم إلى قوله تعالى أفرأيتم الآية. والحطام من حطم كالفتات والجذاذ من فت وجذ وهو ما صار هشيما وتحطم. فظلتم وقرئ بالكسر فظلتم على الأصل. تفكهون تعجبون. وعن الحسن رحمه الله تندمون على تعبكم فيه وإنفاقكم عليه أو على ما اقترفتم من المعاصي التي أصبتم بذلك من أجلها. وقرئ تفكنون ومنه الحديث «مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبيناهم إذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون» أي يتندمون. إنا لمغرمون لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك. بل نحن محرومون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لنا ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا. وقرئ أئنا. أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون الماء الذي تشربون يريد الماء العذب الصالح للشرب. والمزن السحاب الواحدة مزنة. وقيل هو السحاب الأبيض خاصة وهو أعذب ماء. أجاجا ملحا زعاقا لا يقدر على شربه. فإن قلت لم أدخل اللام على جواب لو في قوله تعالى لجعلناه حطاما ونزعت منه هاهنا؟ قلت إن لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كإن ولا عاملة مثلها وإنما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث إفادتها في مضموني جملتيها أن الثاني امتنع لامتناع الأول افتقرت في جوابها إلى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك فإذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلأن الشيء إذا علم وشهر موقعه وصار مألوفا ومأنوسا به لم يبال بإسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع. ألا ترى إلى ما يحكى عن رؤبة أنه كان يقول خير لمن قال له كيف أصبحت فحذف الجار لعلم كل أحد بمكانه وتساوي حالي حذفه وإثباته لشهرة أمره. وناهيك بقول أوس: حتى إذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا ولا طلبا. وحذفه لم أر فإذا حذف ما اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان بلا فرق بينهما على أن تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه. ويجوز أن يقال إن هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعا للمطعوم ألا ترى أنك إنما تسقي ضيفك بعد أن تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول أبي العلاء: إذا سقيت ضيوف الناس محضا سقوا أضيافهم شبما زلالا. وسقي بعض العرب فقال أنا لا أشرب إلا على ثميلة ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب. أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم تورون تقدحونها وتستخرجونها من الزناد. والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الأعلى الزند والأسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة. شجرتها التي منها الزناد. تذكرة تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعايش كلها وعممنا بالحاجة إليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون إليها ويذكرون ما أوعدوا به. أو جعلناها تذكرة وأنموذجا من جهنم لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم». ومتاعا ومنفعة. للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام من قولهم أقويت من أيام أي لم آكل شيئا. فسبح باسم ربك فأحدث التسبيح بذكر اسم ربك أو أراد بالاسم الذكر أي بذكر ربك. والعظيم صفة للمضاف أو للمضاف إليه. والمعنى أنه لما ذكر ما دل على قدرته وإنعامه على عباده

قال فأحدث التسبيح وهو أن يقول سبحان الله إما تنزيها له عما يقول الظالمون الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته وإما تعجبا من أمرهم في غمط الآئه وأياديه الظاهرة وإما شكرا لله على النعم التي عددها ونبه عليها. فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم فلا أقسم معناه فأقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها في قوله عز وجل لئلا يعلم أهل الكتاب. وقرأ الحسن رحمه الله فلأقسم ومعناه فلأنا أقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر وهي أنا أقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف المبتدأ. ولا يصح أن تكون اللام لام القسم لأمرين أحدهما أن حقها أن يقرن بها النون المؤكدة والإخلال بها ضعيف قبيح. والثاني أن لأفعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب أن يكون للحال. بمواقع النجوم بمساقطها ومغاربها. ولعل لله تعالى في آخر الليل إذا انحطت النجوم إلى المغرب أفعالا مخصوصة عظيمة أو للملائكة عبادات موصوفة أو لأنه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين إليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله تعالى وإنه لقسم لو تعلمون عظيم. أو أراد بمواقعها منازلها ومسايرها وله تعالى في ذلك من الدليل على عظيم القدرة ما لا يحيط به الوصف. وقوله تعالى وإنه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض لأنه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله تعالى إنه لقرآن كريم واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته. وقيل مواقع النجوم أوقات وقوع نجوم القرآن أي أوقات نزولها. إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين كريم حسن مرضي من جنسه من الكتب أو نفاع جم المنافع أو كريم على الله عز وجل. في كتاب مكنون مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهم المطهرون من جميع الأدناس أدناس الذنوب وما سواها إن جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح. وإن جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي أن يمسه إلا من هو على الطهارة من الناس يعني مس المكتوب منه. ومن الناس من حمله على القراءة أيضا. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أحب إلي أن لا يقرأ إلا وهو طاهر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أنه كان يبيح القراءة للجنب. ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» أي لا ينبغي له أن يظلمه أو يسلمه. وقرئ المتطهرون والمطهرون بالإدغام والمطهرون من أطهره بمعنى طهره والمطهرون بمعنى يطهرون أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار لهم والوحي الذي ينزلونه. تنزيل صفة رابعة للقرآن أي منزل من رب العالمين أو وصف بالمصدر لأنه نزل نجوما من بين سائر كتب الله تعالى فكأنه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل أو هو تنزيل على حذف المبتدأ. وقرئ تنزيلا على نزل تنزيلا. أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أفبهذا الحديث يعني القرآن أنتم مدهنون أي متهاونون به كمن يدهن في الأمر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به. وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون على حذف المضاف يعني وتجعلون شكر رزقكم التكذيب أي وضعتم التكذيب موضع الشكر. وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون. وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم. والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به. وقيل نزلت في الأنواء ونسبتهم السقيا إليها. والرزق المطر يعني وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله تعالى حيث تنسبونه إلى النجوم. وقرئ تكذبون وهو قولهم في القرآن سحر وشعر وافتراء وفي المطر هو من الأنواء ولأن كل مكذب بالحق كاذب. فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين ترتيب الآية فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين. وفلولا الثانية مكررة للتوكيد. والضمير في ترجعونها للنفس وهي الروح. وفي أقرب إليه للمحتضر. غير مدينين غير مربوبين من دان

الشيطان الرجيم إذا أساءهم (ونحن أقرب إليه منكم) يا أهل الميت بقدرتنا وعلمنا أو بملائكة الموت والمعنى
إنكم في جحودكم أفعال الله وآياته في كل شيء إن أنزل عليكم مطرا بالفتح قلتم سقينا بنوء كذا وإن أرسل إليكم رسولا
قلتم ساحر كذاب وإن رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدي إلى الإهمال والتعطيل فما
لكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي
المبدئ المعيد (فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين
فسلام لك من أصحاب اليمين) فأما إن كان المتوفى من المقربين من السابقين من الأزواج الثلاثة المذكورة
في أول السورة (فروح) فله استراحة. وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم فروح
بالضم وقرأ به الحسن رحمه الله وقال الروح الرحمة لأنها كالحياة للمرحوم وقيل البقاء أي فهذان له معا
وهو الخلود مع الرزق والنعيم والريحان الرزق (فسلام لك من أصحاب اليمين) أي فسلام لك يا صاحب اليمين
من إخوانك أصحاب اليمين أي يسلمون عليك كقوله تعالى إلا قيلا سلاما سلاما (وأما إن كان من المكذبين
الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم إن هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم)
فنزل من حميم كقوله تعالى هذا نزلهم يوم الدين وقرئ بالتخفيف وتصلية جحيم قرئ بالرفع والجر عطفا على
نزل وحميم (إن هذا) الذي أنزل في هذه السورة (لهو حق اليقين) أي الحق الثابت من اليقين. عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا. صدق رسول الله

سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم (سبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم له
ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير) جاء في بعض الفواتح سبح على لفظ الماضي
وفي بعضها على لفظ المضارع وكل واحد منهما معناه أن من شأن من أسند إليه التسبيح أن يسبحه وذلك هجيراه
وديدنه وقد عدي هذا الفعل باللام تارة وبنفسه أخرى في قوله تعالى وتسبحوه وأصله التعدي بنفسه
لأن معنى سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح إذا ذهب وبعد فاللام لا تخلو إما أن تكون مثل اللام في
نصحته ونصحت له وإما أن يراد بسبح لله أحدث التسبيح لأجل الله ولوجهه خالصا (ما في السماوات والأرض)
ما يتأتى منه التسبيح ويصح. فإن قلت ما محل يحيي؟ قلت يجوز أن لا يكون له محل ويكون جملة برأسها
كقوله تعالى له ملك السماوات وأن يكون مرفوعا على هو يحيي ويميت ومنصوبا حالا من المجرور في له والجار عاملا
فيها ومعناه يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيامة ويميت الأحياء (هو الأول والآخر والظاهر والباطن
وهو بكل شيء عليم) هو الأول هو القديم الذي كان قبل كل شيء والآخر الذي يبقى بعد هلاك كل شيء والظاهر
بالأدلة الدالة عليه والباطن لكونه غير مدرك بالحواس. فإن قلت فما معنى الواو؟ قلت الواو الأولى
معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الأولية والآخرية والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء
وأما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين ومجموع الصفتين الأخريين فهو المستمر الوجود
في جميع الأوقات الماضية والآتية وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالأدلة والخفاء فلا يدرك
بالحواس وفي هذا حجة على من جوز إدراكه في الآخرة بالحاسة. وقيل الظاهر العالي على كل شيء الغالب له من ظهر عليه
إذا علاه وغلبه والباطن الذي بطن كل شيء أي علم باطنه وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم (هو
الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها
وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السماوات والأرض
وإلى الله ترجع الأمور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله

ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير) مستخلفين فيه
يعني أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها وإنما مولكم إياها وخولكم الاستمتاع بها
وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست هي بأموالكم في الحقيقة وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب
فأنفقوا منها في حقوق الله وليهن عليكم الإنفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه
أو جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في أيديكم بتوريثه إياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم وسينتقل
منكم إلى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفعوا بالإنفاق منها أنفسكم (وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين) لا تؤمنون
حال من معنى الفعل في ما لكم كما تقول ما لك قائما بمعنى ما تصنع قائما أي وما لكم كافرين بالله والواو في والرسول
يدعوكم واو الحال فهما حالان متداخلتان. وقرئ وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم والمعنى
وأي عذر لكم في ترك الإيمان والرسول يدعوكم إليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج
وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الأدلة ومكنكم من النظر وأزاح
عللكم فإذ لم يبق لكم علة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون (إن كنتم مؤمنين) لموجب ما فإن هذا الموجب
لا مزيد عليه. وقرئ أخذ ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (هو الذي ينزل على عبده آيات
بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرءوف رحيم) ليخرجكم الله بآياته من ظلمات الكفر
إلى نور الإيمان أو ليخرجكم الرسول بدعوته لرءوف وقرئ لرؤف (وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث
السماوات والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون
خبير) أن لا تنفقوا في أن لا تنفقوا (ولله ميراث السماوات والأرض) يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لأحد
من مال وغيره يعني وأي غرض لكم في ترك الإنفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم وهو من
أبلغ البعث على الإنفاق في سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح
قبل فتح مكة قبل عز الإسلام وقوة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجا وقلة الحاجة إلى القتال والنفقة فيه ومن أنفق
من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة. أولئك الذين أنفقوا قبل الفتح وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار
الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم
ولا نصيفه (أعظم درجة) وقرئ قبل الفتح (وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير) وكل واحد
من الفريقين وعد الله الحسنى أي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرئ بالرفع على وكل وعده
وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأنه أول من أسلم وأول من أنفق في سبيل الله (من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم) القرض الحسن الإنفاق في سبيل الله شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لأنه إذا
أعطى ماله لوجهه فكأنه أقرضه إياه فيضاعفه له أي يعطيه أجره على إنفاقه مضاعفا أضعافا
من فضله وله أجر كريم يعني وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم في نفسه وقرئ فيضعفه
وفيضاعفه منصوبا على جواب الاستفهام والرفع عطف على يقرض أو على فيضاعفه (يوم ترى
المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم) يوم ترى ظرف لقوله تعالى وله أجر كريم أو منصوب بإضمار
اذكر تعظيما لذلك اليوم وإنما قال بين أيديهم وبأيمانهم لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين
الجهتين كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية
لأنهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض أفلحوا فإذا ذهب بهم إلى الجنة ومروا على الصراط
يسعون يسعى بسعيهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدما ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة

بشراكم اليوم ● وقرئ ذلك الفوز ● يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا
نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ● يوم بدل من يوم ترى ● انظرونا انتظرونا
لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة ● او انظروا الينا
لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين ايديهم فيستضيئون به ● وقرئ انظرونا
من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم ● نقتبس من نوركم نصب منه
وذلك ان يلحقوا بهم فيستنيروا به ● قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا طردا لهم وتهكما بهم اي ارجعوا الى
الموقف الى حيث اعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس ● او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا
بتحصيل سببه وهو الايمان او ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم الى هذا
النور وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما هو تخييب واقناط لهم ● فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه
الرحمة وظاهره من قبله العذاب ● فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين بحائط حائل
بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف ● لذلك السور باب لاهل الجنة يدخلون منه ● باطنه باطن
السور او الباب وهو الشق الذي يلي الجنة ● وظاهره ما ظهر لاهل النار ● من قبله العذاب من جهته
العذاب وهو الظلمة والنار ● وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما فضرب بينهم على البناء للفاعل ● ينادونهم
ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء
امر الله وغركم بالله الغرور ● ألم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر ● فتنتم انفسكم محنتموها
بالنفاق واهلكتموها ● وتربصتم بالمؤمنين الدوائر ● وغرتكم الاماني طول الآمال والطمع في امتداد
الاعمار ● حتى جاء امر الله وهو الموت ● وغركم بالله الغرور الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم
وقرئ الغرور بالضم ● فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس
المصير ● فدية ما يفتدى به ● هي مولاكم قيل هي اولى بكم ● والبيت للبيد ● فغدت كلا الفرجين تحسب انه
مولى المخافة خلفها وامامها ● وحقيقته مولاكم محراكم ومقمنكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم
كما يقال هو مئنة الكرم اي مكان لقول القائل انه لكريم ● ويجوز ان يراد هي ناصركم اي لا ناصر لكم غيرها والمراد
نفي الناصر على البتات ونحوه قولهم اصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل
وقيل متوليكم تتولاكم كما توليتم في الدنيا اعمال اهل النار ● ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق
ألم يأن من أنى الامر يأني اذا جاء اناه اي وقته ● وقرئ ● وقرئ الم يئن من آن يئين ● قيل كان المؤمنون بمكة
فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت ● وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما كان بين
اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية الا اربع سنين ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله استبطأ قلوب المؤمنين
فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن ● وعن الحسن رحمه الله اما والله لقد استبطأهم وهم يقرؤون
من القرآن اقل مما تقرؤون فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق ● وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست
القلوب ● وقرئ نزل ونزّل وانزل ● ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست
قلوبهم وكثير منهم فاسقون ● ولا يكونوا عطف على تخشع ● وقرئ بالتاء على الالتفات ويجوز ان يكون نهيا لهم
عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا ● وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم
واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا
واحدثوا ما احدثوا من التحريف وغيره ● فان قلت ما معنى لذكر الله والموعظة وما هو حق نازل من السماء
قلت يراد خشوعها اذا ذكر الله واذا تلي القرآن كقوله تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته

زادتهم ايمانا ● ان ذلك الامد الاجل لقوله اذا انتهى امده ● وقرئ الامد اي الوقت الاطول ● وكثير منهم فاسقون
خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين ● اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات
لعلكم تعقلون ● اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قيل هذا تمثيل لاثر الذكر في القلوب وانه يحييها كما يحيي الغيث
الارض ● ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم ● المصدقين
المتصدقين ● وقرئ على الاصل ● والمصدقين من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعني المؤمنين ● فان قلت
علام عطف قوله تعالى واقرضوا ● قلت على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى
اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا ● والقرض الحسن ان يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية
على المستحق للصدقة ● وقرئ يضعف ويضاعف بكسر العين اي يضاعف الله ● والذين آمنوا بالله ورسله
اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
اولئك اصحاب الجحيم ● يريد ان المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم
فان قلت كيف يسوي بينهم في الاجر ولا بد من التفاوت ● قلت المعنى ان الله تعالى يعطي المؤمنين
اجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوي اجرهم مع اضعافه اجر اولئك ● ويجوز ان يكون والشهداء
مبتدأ ولهم اجرهم خبره ● اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في
الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما
وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ● اراد ان
الدنيا المحقرات من الامور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر ● واما الآخرة فما هي الا امور عظام
وهي العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله ● وشبه حال الدنيا في سرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات
انبته الغيث فاستوى واكتمل واعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه
العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب الجنتين ● وقيل الكفار
الزراع ● وقرئ مصفارا ● سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا
بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ● سابقوا سارعوا مسارعة السابقين
لاقرانهم في المضمار ● الى جنة عرضها كعرض السماء والارض قال السدي كعرض سبع سموات وسبع ارضين ● وذكر العرض
دون الطول لان كل ما له عرض وطول فان عرضه اقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف ان طوله ابسط وامد
ويجوز ان يراد بالعرض البسطة كقوله تعالى فذو دعاء عريض ● لما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم امر الآخرة
بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة
ذلك الموعود من المغفرة والجنة ● فضل الله عطاؤه ● يؤتيه من يشاء ● وهم المؤمنون ● ما اصاب من مصيبة
في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على
ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ● المصيبة في الارض نحو الجدب وآفات
الزرع والثمار ● وفي الانفس نحو الادواء والموت ● في كتاب في اللوح ● من قبل ان نبرأها يعني الانفس او المصائب
ان ذلك ان تقدير ذلك واثباته في كتاب ● على الله يسير ● وان كان عسيرا على العباد ثم بين وجه الحكمة فيه
فقال لكيلا تأسوا ولا تفرحوا يعني انكم اذا علمتم ان كل شيء مقدر مكتوب عند الله قل اساكم على الفائت
وفرحكم على الآتي لان من علم ان ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك
من علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله ● والله لا يحب كل مختال فخور لان من فرح
بحظ من الدنيا وعظم في نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس ● وقرئ بما أتاكم وآتاكم من الايتاء ● وفي قراءة
ابن مسعود رضي الله عنه بما اوتيتم ● فان قلت فلا احد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة

يتناقضان لا يفرح ولا يحزن قلت المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين
والفرح المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها
مع الشكر فلا باس بهما ● الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد ● الذين يبخلون بدل
من قوله كل مختال فخور كأنه قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغي اذا رزقوا مالا او حظا من الدنيا فلحبهم له
وعزته عندهم وعظمه في عيونهم يزوونه عن حقوق الله تعالى ويبخلون به ولا يكفيهم انهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل
ويرغبوهم في الامساك ويزينوه لهم وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند اصابته ● ومن يتول عن اوامر الله تعالى
ونواهيه ولم ينته عما نهي عنه من الاسى على الفائت والفرح بالآتي فان الله غني عنه ● وقرئ بالبخل ● وقرأ نافع وابن عامر فان الله
الغني وهو في مصاحف اهل المدينة والشام كذلك ● لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب
والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ● لقد ارسلنا رسلنا يعني
الملائكة الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالبينات بالحجج والمعجزات ● وانزلنا معهم الكتاب اي الوحي والميزان ● روي
ان جبريل عليه الصلاة والسلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه الصلاة والسلام وقال مر قومك يزنوا به ● وانزلنا
الحديد قيل نزل آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة
والمطرقة والابرة ● وروي ومعه المر والمسحاة ● وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى انزل اربع بركات من
السماء الى الارض انزل الحديد والنار والماء والملح ● وعن الحسن رحمه الله وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم
من الانعام وذلك ان اوامره تنزل من السماء وقضاياه واحكامه ● فيه بأس شديد وهو القتال به ● ومنافع للناس في
مصالحهم ومعايشهم وصنايعهم فما من صنعة الا والحديد آلتها او ما يعمل بالحديد ● وليعلم الله من ينصره ورسله
بالغيب ان الله قوي عزيز ● وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة اعداء
الدين بالغيب غائبا عنهم ● قال ابن عباس رضي الله عنهما ينصرونه ولا يبصرونه ● ان الله قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز
وعزته في اهلاك من يريد اهلاكه منهم وانما كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب
ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون
والكتاب والوحي ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة ● فمنهم من الذرية او من المرسل
اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين وهذا تفصيل لحالهم اي فمنهم مهتد ومنهم فاسق والغلبة للفساق
ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه
رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ● وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل والسكينة
فيمن رواهما بفتح الفاء لان الكلمة اعجمية لا يلزم فيها محافظة ابنية العرب ● وقرئ رآفة على فعالة ● اي وفقناهم
للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في صفة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم ● والرهبانية
ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين انفسهم للعبادة وذلك ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت
عيسى عليه الصلاة والسلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتتنوا في دينهم فاختاروا
الرهبانية ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي ● وقرئ ورهبانية
بالضم كأنها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر وتقدير
فابتدعوا رهبانية ابتدعوها يعني واحدثوها من عند انفسهم ونذروها ● ما كتبناها عليهم
الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم
فاسقون ● ما كتبناها عليهم لم نفرضها نحن عليهم ● الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع
اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ● فما رعوها حق رعايتها كما يجب على الناذر رعاية نذره
لانه عهد مع الله لا يحل نكثه ● فآتينا الذين آمنوا يريد اهل الرحمة والرأفة الذين اتبعوا عيسى عليه الصلاة

والسلام وكثير

والسلام ● وكثير منهم فاسقون الذين لم يحافظوا على نذرهم ● ويجوز ان تكون الرهبانية معطوفة
على ما قبلها وابتدعوها صفة لها في محل النصب اي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية
مبتدعة من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية ولاستحداثها ● ما كتبناها
عليهم الا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب على انه كتبها عليهم والزمها اياهم ليتخلصوا
من الفتن ويبتغوا بذلك رضاء الله وثوابه ● فما رعوها جميعا حق رعايتها ولكن بعضهم ● فآتينا
المؤمنين المراعين منهم للرهبانية اجرهم ● وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها ● يا ايها
الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم
والله غفور رحيم ● يا ايها الذين آمنوا يجوز ان يكون خطابا للذين آمنوا من اهل الكتاب والذين آمنوا من غيرهم
فان كان خطابا للمؤمنين من اهل الكتاب فالمعنى يا ايها الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام آمنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم ● يؤتكم الله كفلين اي نصيبين ● من رحمته لايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وايمانكم بمن قبله ● ويجعل لكم يوم القيامة نورا تمشون به وهو النور المذكور في قوله تعالى يسعى نورهم
ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي ● لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل
الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ● لئلا يعلم ليعلم اهل الكتاب
الذين لم يسلموا ولا مزيدة ● ان لا يقدرون ان مخففة من الثقيلة واصله انه لا يقدرون يعني ان الشان لا يقدرون
على شيء من فضل الله اي لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله
صلى الله عليه وسلم فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط ● وان كان خطابا لغيرهم
فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب من الكفلين
في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين احد
من رسله ● روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جعفرا رضي الله عنه في سبعين راكبا الى النجاشي يدعوه
فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن آمن من اهل مملكته وهم اربعون رجلا ائذن لنا
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
كتب من الذين آمنوا بالله ورسله ● صدق الله العلي العظيم وصدق رسوله النبي الكريم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله

يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير قد سمع الله قالت ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها الحمد لله الذي
وسع سمعه الاصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم في جانب البيت وانا عنده لا اسمع وقد
سمع لها وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا دخلت عليه اكرمها وقال قد سمع الله لها وقرئ تحاورك اي
تراجعك الكلام وتحاول اي تسائلك وهي خولة بنت ثعلبة امرأة اوس بن الصامت اخي عبادة رآها وهي تصلي
وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت فغضب وكان به خفة ولمم فظاهر منها فاتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة مرغوب في فلما خلا سني ونثرت بطني اي كثر
ولدي جعلني عليه كامه وروي انها قالت ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي
جاعوا فقال ما عندي في امرك شيء وروي انه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا وانما هو
ابو ولدي واحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووجدي كلما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم حرمت عليه هتفت وشكت الى الله فنزلت في زوجها في شانه ومعناه ان الله سميع بصير يصح ان
يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر فان قلت ما معنى قد في قوله تعالى قد سمع قلت معناه التوقع
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان ان يسمع الله عز وجل مجادلتها وشكواها وينزل
في ذلك ما يفرج عنها الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم
وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور الذين يظاهرون منكم في منكم توبيخ للعرب
وتهجين لعادتهم في الظهار لانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم ما هن امهاتهم
قرئ بالرفع على اللغة الحجازية والنصب على اللغة التميمية وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بامهاتهم وزيادة الباء
في لغة من ينصب والمعنى ان من يقول لامرأته انت علي كظهر امي ملحق في كلامه هذا للزوج بالام وجاعلها مثلها
وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم يريد ان الامهات على الحقيقة انما هن الوالدات
وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات امهات لانهن لما ارضعن دخلن بالرضاع في حكم الامهات
وكذلك ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم امهات المؤمنين لان الله عز وجل حرم نكاحهن على الامة فدخلن
بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء من الامومة لانهن لسن بامهات على الحقيقة ولا بداخلات في حكم
الامهات فكان قول المظاهر منكرا من القول تنكره الحقيقة وتنكره الاحكام الشرعية وزورا وكذبا باطلا منحرفا
عن الحق وان الله لعفو غفور لما سلف منه اذا تيب عنه ولم يعد اليه والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون
لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين
متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك
حدود الله وللكافرين عذاب اليم ثم قال الذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا يعني والذين
كانت عادتهم ان يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالاسلام ثم يعودون لمثله فكفارة من عاد ان يحرر رقبة ثم يماس
المظاهر منها لا تحل له مماستها الا بعد تقديم الكفارة ووجه آخر ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركونه لان المتدارك
للامر عائد اليه ومنه المثل عاد غيث على ما افسد اي تداركه بالاصلاح والمعنى ان تدارك هذا القول وتلافيه
بان يكفر حتى ترجع حالهما كما كانت قبل الظهار ووجه ثالث وهو ان يراد بما قالوا ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار
تنزيلا للقول منزلة المقول فيه على ما ذكرنا في قوله تعالى ونرثه ما يقول ويكون المعنى ثم يريدون العود للتماس
والمماسة الاستمتاع بها من جماع او لمس بشهوة او نظر الى فرجها بشهوة [illegible] لان الحكم بالكفارة دليل
على ارتكاب الجناية فيجب ان تنقطع بعد الحكم حتى لا يعودوا الى الظهار دفعا لعقاب الله عز وجل عليه فان قلت
هل يصح الظهار بغير هذا اللفظ قلت نعم اذا وضع مكان انت عضوا منها يعبر به عن الجملة كالراس والوجه والرقبة
والفرج او مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر اليه من الام كالبطن والفخذ او مكان الام ذات رحم محرم منه من نسب او

[illegible]

جاز وعند الشافعي رضي الله عنه لا يجوز فان قلت فان اعتق بعض الرقبة او صام بعض الصيام ثم مس
قلت عليه ان يستأنف نهارا كان المس او ليلا ناسيا او عامدا عند ابي حنيفة رحمه الله وعند ابي يوسف ومحمد
رحمة الله عليهما عتق بعض الرقبة عتق كلها فيجزيه وان كان المس يفسد الصوم استقبل والا بنى فان قلت كم يعطي
المسكين في الاطعام قلت نصف صاع من بر او صاعا من غيره عند ابي حنيفة وعند الشافعي رحمه الله مد من طعام
بلده الذي يقتات فيه فان قلت ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالاطعام كما ذكر عند الكفارتين قلت
اختلف في ذلك فعند ابي حنيفة رحمة الله عليه انه لا فرق بين الكفارات الثلاث في وجوب تقديمها على المساس وانما
ترك ذكره عند الاطعام دلالة على انه اذا وجد في خلال الاطعام لم يستانف كما يستانف الصوم اذا وقع في خلاله وعند غيره
لم يذكر للدلالة على ان التكفير قبله وبعده سواء فان قلت الضمير في ان يتماسا الام يرجع قلت الى ما دل عليه
الكلام من المظاهر والمظاهر منها ذلك البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرائعه
التي شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين الذين
لا يتبعونها ولا يعملون عليها عذاب اليم ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا
آيات بينات وللكافرين عذاب مهين يحادون يعادون ويشاقون كبتوا اخزوا واهلكوا كما كبت من قبلهم من
اعداء الرسل قيل اريد كبتهم يوم الخندق وقد انزلنا آيات بينات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين
بهذه الآيات عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه
والله على كل شيء شهيد يوم يبعثهم منصوب بلهم او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم جميعا كلهم لا يترك منهم احد
غير مبعوث او مجتمعين في حال واحدة كما تقول حي جميع فينبئهم بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون
عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الاشهاد احصاه الله احاط به عددا لم يفته منه شيء
ونسوه لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه لم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصي وانما تحفظ معظمات الامور الم تر ان الله
يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى
من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم ما يكون من كان التامة
وقرئ بالياء والتاء والياء على ان النجوى تأنيثها غير حقيقي ومن فاصلة او على ان المعنى ما يكون شيء من النجوى
والنجوى التناجي فلا تخلو اما ان تكون مضافة الى ثلاثة اي من نجوى ثلاثة نفر او موصوفة بها اي من اهل نجوى ثلاثة
فحذف الاهل او جعلوا نجوى في انفسهم مبالغة كقوله تعالى خلصوا نجيا وقرأ ابن ابي عبلة ثلاثة وخمسة بالنصب على

الحال باضمار يتناجون لان نجوى يدل عليه او صفة لنجوى يتناجي ونصبه على المستكن في
ما الفائدة في تخصيص الثلاثة والخمسة قلت فيه وجهان احدهما ان قوما من المنافقين
تحلقوا للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلثة وخمسة فقيل ما يتناجى منهم ثلثة
ولا خمسة كما تراهم يتناجون كذلك ولا ادنى من عددهم ولا اكثر الا والله معهم يسمع ما يقولون
فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن امية كانوا
يوما يتحدثون فقال احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث
ان كان يعلم بعضا فهو يعلم كله وصدق لان من علم بعض الاشياء بغير سبب فقد علمها كلها لان كونه
عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثاني انه قصد ان يذكر ما جرت عليه العادة من اعداد اهل
النجوى والمتخالين للشورى والمندوبين لذلك ليسوا بكل احد وانما هم طائفة مجتباة من اولي النهى والاحلام
ورهط من اهل الرأي والتجارب واول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال
وحكم به الاستصواب الا ترى الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف ترك الامر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها
الى سابع فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال ولا ادنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا
اكثر فدل على ما يلي هذا العدد ويقاربه وفي مصحف عبد الله الا الله رابعهم ولا اربعة الا الله خامسهم
ولا خمسة الا الله سادسهم ولا اقل من ذلك ولا اكثر الا الله معهم اذا انتجوا وقرئ ولا ادنى من ذلك ولا
اكثر على ان لا لنفي الجنس ويجوز ان يكون ولا اكثر بالرفع معطوفا على محل لا مع ادنى كقولك لا حول ولا قوة
الا بالله بفتح الحول ورفع القوة ويجوز ان يكونا مرفوعين على الابتداء كقولك لا حول ولا قوة الا بالله وان
يكون ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى كانه قيل ما يكون ادنى ولا اكثر الا هو معهم ويجوز ان يكونا مجرورين عطفا على
نجوى كانه قيل ما يكون من ادنى ولا اكثر الا هو معهم وقرئ ولا اكبر بالباء ومعنى كونه معهم انه يعلم ما يتناجون
به ولا يخفى عليه ما هم فيه فكانه مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المكان [illegible] وقرئ ثم ينبئهم
على التخفيف الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت
الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم
يصلونها فبئس المصير كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين
يريدون ان يغيظوهم فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان
للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته وقرئ وينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول
حيوك بما لم يحيك به الله يعني انهم يقولون في تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول
وسلام على عباده الذين اصطفى ويا ايها الرسول ويا ايها النبي لولا يعذبنا الله بما نقول كانوا يقولون ما له ان كان
نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فقال الله تعالى حسبهم جهنم عذابا يا ايها الذين آمنوا اذا
تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه
تحشرون يا ايها الذين آمنوا خطاب للمنافقين الذين آمنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون للمؤمنين اي اذا تناجيتم
فلا تشبهوا باولئك في تناجيهم بالشر وتناجوا بالبر والتقوى وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلثة
فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه وروي دون الثالث وقرئ فلا تنتجوا وعن ابن مسعود
رضي الله عنه اذا انتجيتم فلا تنتجوا انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن
الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون انما النجوى اللام اشارة الى النجوى بالاثم والعدوان بضارهم شيئا الا باذن الله قلت
كيف لا يضرهم الشيطان او الحزن الا باذن الله قلت كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم
غلبوا وان اقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان او الحزن بذلك الموهم الا باذن الله اي بمشيئته وهو ان يقضي

على قتالهم او التخلف عن الغزاة وقرئ ويتنجون والعدوان يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس
فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله
بما تعملون خبير تفسحوا في المجلس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح ولا تتضاموا
وقرئ تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه
وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال وقرئ
في المجالس قيل كان الرجل ياتي الصف فيقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام وهو
الجلوس اي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه يفسح الله لكم مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق
والصدر والقبر وغير ذلك انشزوا انهضوا للتوسعة على المقبلين او انهضوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا امرتم بالنهوض عنه ولا تملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالارتكاز فيه او انهضوا الى الصلوة والجهاد
واعمال الخير اذا استنهضتم ولا تثبطوا ولا تفرطوا يرفع الله المؤمنين بامتثال اوامره واوامر رسوله والعالمين منهم
خاصة درجات بما عملوا وقرئ بما تعملون بالياء وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه كان اذا قرأها قال
يا ايها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة
بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل
القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء
ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما خير سليمان عليه الصلوة والسلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك
معه وقال صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه الصلوة والسلام يا ابراهيم اني عليم احب كل عليم وعن
بعض الحكماء ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فات من ادرك العلم وعن الاحنف كاد العلماء
يكونون اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل ما يصير وعن الزهري العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال يا ايها الذين
آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجويكم صدقة ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور
رحيم بين يدي نجويكم استعارة ممن له يدان كقول عمر رضي الله عنه من افضل ما اوتيت العرب الشعر
يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته ذلك التقديم خير لكم
في دينكم واطهر لان الصدقة طهرة وروي ان الناس اكثروا مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
يريدون حتى املوه وابرموه فامروا ان يكفوا عن ذلك فامروا بان من اراد ان يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة
قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما نزلت دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه
قال كم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد فلما رأوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا اما الفقير فلعسرته واما
الغني فلشحه وقيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار وعن امير المؤمنين علي رضي الله
عنه ان في كتاب الله لآية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت
بدرهم قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات سألهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما كان لعلي رضي
الله عنه ثلث لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة رضي الله عنها واعطاؤه الراية
يوم خيبر وآية النجوى قال ابن عباس رضي الله عنهما هي منسوخة بالآية التي بعدها وقيل هي منسوخة بالزكوة
ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلوة وآتوا
الزكوة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون ءاشفقتم اخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق
الذي يكرهونه وان الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم وتاب الله
عليكم وعذركم ورخص لكم في ان لا تفعلوا فلا تفرطوا في الصلوة والزكوة وسائر الطاعات بما تعملون تعريض [illegible]

والتاء. ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون. كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله عز وجل من لعنه الله وغضب عليه، ويناصحونهم وينقلون إليهم أسرار المؤمنين. ما هم منكم يا مسلمون ولا منهم ولا من اليهود كقوله عز وجل مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. ويحلفون على الكذب يعني قولهم والله إنا لمسلمون فيحلفون على الكذب الذي هو ادعاء الإسلام. وهم يعلمون أن المحلوف عليه كذب بحت. فإن قلت فما فائدة قوله تعالى وهم يعلمون. قلت الكذب أن يكون الخبر لا على وفق المخبر عنه سواء علم المخبر أو لم يعلم فالمعنى أنهم الذين يخبرون ويحلفون على خلاف ما يخبرون عنه وهم عالمون بذلك متعمدون كمن يحلف بالغموس. وقيل كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه إلى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره إذ قال لأصحابه يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل ابن نبتل وكان أزرق فقال له النبي عليه الصلاة والسلام علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل فقال له صلى الله عليه وسلم فعلت فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت. عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما. إنهم ساء ما كانوا يعملون يعني أنهم كانوا في الزمان الماضي مصرين على سوء العمل أو هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة. اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين. لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. وقرئ إيمانهم بالكسر أي اتخذوا أيمانهم التي حلفوا بها أو إيمانهم الذي أظهروه. جنة أي سترة يستترون بها من المؤمنين ومن قتلهم. فصدوا الناس في خلال أمنهم وسلامتهم عن سبيل الله وكانوا يثبطون من لقوا عن الدخول في الإسلام ويضعفون أمر المسلمين عندهم وإنما وعدهم الله العذاب المهين المخزي لكفرهم كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب. من الله من عذاب الله. شيئا قليلا من الإغناء. روي أن رجلا منهم قال لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا. يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون. فيحلفون لله تعالى على أنهم مسلمون في الآخرة كما يحلفون لكم في الدنيا على ذلك. ويحسبون أنهم على شيء من النفع يعني ليس العجب من حلفهم لكم فإنكم بشر يخفى عليكم السرائر وأن لهم نفعا في ذلك دفعا عن أرواحهم واستجرارا لفوائد دنيوية وأنهم يفعلونه في دار لا يضطرون فيها إلى العلم بما يوعدون ولكن العجب من حلفهم لله تعالى عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار إلى علم ما أنبأتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل في نفاقهم ومرونهم عليه وأن ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل كما قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه. وقد اختلف العلماء في كذبهم في الآخرة والقرآن ناطق بثباته نطقا مكشوفا كما ترى في هذه الآية وفي قوله عز وعلا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون. ويحسبون أنهم على شيء من النفع إذ حلفوا استكذابهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم حسبانهم أن الإيمان الظاهر مما ينفعهم. وقيل عند ذلك يختم على أفواههم. ألا إنهم هم الكاذبون يعني أنهم الغاية التي لا مطمح وراءها في قول الكذب حيث استوت حالهم فيه في الدنيا والآخرة. استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون. إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين. كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز. استحوذ عليهم استولى عليهم من حاذ الحمار العانة إذا جمعها وساقها غالبا لها وهو أحد ما جاء على الأصل نحو استصوب واستنوق. أي ملكهم الشيطان لطاعتهم له في كل ما يريد منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه. فأنساهم أن يذكروا الله أصلا لا بقلوبهم ولا بألسنتهم. قال أبو عبيدة حزب الشيطان جنده. في الأذلين في جملة من هو أذل خلق الله لا ترى

أحدا أذل منهم. كتب الله في اللوح. لأغلبن أنا ورسلي بالحجة والسيف أو بأحدهما. لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم. لا تجد قوما من باب التخييل خيل أن من الممتنع المحال أن تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والغرض به أنه لا ينبغي أن يكون ذلك وحقه أن لا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب في مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم. وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله تعالى ولو كانوا آباءهم وبقوله أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وبمقابلة قوله تعالى أولئك حزب الشيطان بقوله أولئك حزب الله. فلا تجد شيئا أدخل في الإخلاص من موالاة أولياء الله تعالى ومعاداة أعدائه بل هو الإخلاص بعينه. أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون. كتب في قلوبهم الإيمان أثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم. وأيدهم بروح منه بلطف من عنده حييت به قلوبهم. ويجوز أن يكون الضمير للإيمان أي بروح من الإيمان على أنه في نفسه روح لحياة القلوب به. وعن الثوري رحمة الله عليه أنه كان يرى أنها نزلت فيمن يصحب السلطان. وعن عبد العزيز رحمه الله أنه لقي المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة فإني وجدت فيما أوحيت لا تجد قوما. وروي أنها نزلت في أبي بكر رضي الله عنه أن أبا قحافة سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أوفعلت قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته. وقيل في أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قتل أباه عبد الله الجراح يوم أحد. وفي أبي بكر رضي الله عنه دعا ابنه يوم بدر إلى البراز وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعني أكن في الرعلة الأولى قال متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري. وفي مصعب بن عمير رضي الله عنه قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد. وفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر. وفي علي وحمزة وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله تعالى يوم القيامة. صدق رسول الله

سورة الحشر [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم. سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم. هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله. صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي المنعوت في التوراة بالنصر فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكبا إلى مكة فحالفوا أبا سفيان عند الكعبة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الأنصاري فقتل كعبا غيلة وكان أخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أحب إلينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة أيام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه إليهم لا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الأزقة وحصنوها فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم إلا الجلاء على أن يحمل كل أهل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم فجلوا إلى الشام إلى أريحاء وأذرعات إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة. لأول الحشر اللام في قوله لأول الحشر تتعلق بأخرج وهي اللام في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقولك جئته لوقت كذا والمعنى أخرج الذين كفروا عند أول الحشر

او لاحشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من اهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام او
هذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام ● وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيمة لان المحشر
يكون بالشام ● وعن عكرمة من شك ان المحشر هاهنا يعني الشام فليقرأ هذه الآية ● وقيل معناه اخرجهم من ديارهم
لاول ما حشر لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ● ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم
ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم ● وظنوا ان حصونهم تمنعهم من بأس الله ● فأتاهم الله من
حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي
الابصار فاتاهم امر الله من حيث لم يحتسبوا من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غيلة على
يد اخيه وذلك مما اضعف قوتهم وفل من شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمأنينة بما قذف فيها من الرعب والهمهم ان
يوافقوا المؤمنين في تخريب بيوتهم ويعينوهم على انفسهم وثبطهم المنافقين الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم وهذا
كله لم يكن في حسبانهم ومنه اتاهم الهلاك ● فان قلت اي فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم
وبين النظم الذي جاء عليه ● قلت في تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير
ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم
او يطمع في معازتهم وليس ذلك في قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم ● وقرئ فآتاهم الله اي فآتاهم الهلاك ● والرعب
الخوف الذي يرعب الصدر اي يملؤه ● وقذفه اثباته وركزه ومنه قالوا في صفة الاسد مقذف كانما قذف باللحم
قذفا لاكتنازه وتداخل اجزائه ● وقرئ يخربون ويخرّبون مثقلا ومخففا ● والتخريب والاخراب الافساد بالنقض
والهدم ● والخربة الفساد كانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما اراد الله عز وجل من استئصال شأفتهم
وان لا يبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذي دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها
افواه الازقة وان لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم ما كان في ابنيتهم من جيد
الخشب والساج المليح ● واما المؤمنون فداعيهم ازالة متحصنهم ومتمنعهم وان يتسع لهم مجال الحرب ● فان قلت ما معنى
تخريبهم لها بايدي المؤمنين ● قلت لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم امروهم به وكلفوهم اياه ● فاعتبروا
بما دبر الله ويسر من امر اخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال ● وقيل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
المؤمنين ان يورثهم الله ارضهم واموالهم بغير قتال فكان كما قال فيعلمون ان الله عز وجل قد وعدهم على تطهير ارض المدينة منهم
واراحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم اموالهم ● ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب
النار ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب فلولا ان الله كتب عليهم الجلاء واقتضته
الحكمة ودعاه الى اختياره انه اشق عليهم من الموت ● لعذبهم في الدنيا بالقتل كما فعل باخوانهم بني قريظة ● ولهم سواء
اجلوا او قتلوا عذاب النار الذي لا اشق منه ● يعني ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة ● ما قطعتم من لينة
او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين ● من لينة بيان لما قطعتم ● ومحل
ما نصب بقطعتم كأنه قال اي شيء قطعتم ● وانث الضمير الراجع الى ما في قوله تعالى او تركتموها لانه
في معنى اللينة ● واللينة النخلة من الالوان وهي ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهما اجود النخل
وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها كالديمة ● وقيل اللينة النخلة الكريمة كانهم اشتقوها من اللين
قال ذو الرمة كأن قتودي فوقها عش طائر ● على لينة سوقاء تهفو جنوبها ● وجمعها اليان ● وقرئ قوما
على اصلها وفيه وجهان انه جمع اصل كرهن ورهن واكتفي فيه بالضمة عن الواو ● وقرئ قائما على اصوله
ذهابا الى لفظ ما ● فباذن الله فقطعها باذن الله وامره ● وليخزي الفاسقين وليذل اليهود ويغيظهم اذن
في قطعها وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امر ان تقطع نخلهم وتحرق قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن
الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فكان في انفس المسلمين من ذلك شيء فنزلت يعني ان الله عز وجل اذن

لهم في قطعها ليزيدكم غيظا ويضاعف لكم حسرة اذا رأيتم المؤمنين يتحكمون في اموالكم كيف احبوا ويتصرفون فيها ما شاؤوا
واتفق العلماء على ان حصون الكفرة وديارهم لا باس بان تهدم وتحرق وتغرق وترمى بالمجانيق وكذلك اشجارهم لا باس
بقلعها مثمرة كانت او غير مثمرة ● وعن ابن مسعود رضي الله عنه قطعوا منها ما كان موضعا للقتال ● فان قلت لم
خصت اللينة بالقطع ● قلت ان كانت من الالوان فليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية وان كانت من كرام النخل
فليكون غيظ اليهود اشد واشق ● وروي ان رجلين كانا يقطعان احدهما العجوة والآخر اللون فسألهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد
استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج
به من يقول كل مجتهد مصيب ● وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن
الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ● افاء الله على رسوله جعله له فيئا خاصة ● والايجاف
من الوجيف وهو السير السريع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الافاضة من عرفات ليس البر بايجاف الخيل
ولا ايضاع الابل على هينتكم ● ومعنى فما اوجفتم عليه فما اوجفتم على تحصيله وتغنمه خيلا ولا ركابا ولا
تعبتم في القتال عليه وانما مشيتم اليه على ارجلكم والمعنى ان ما خوّل الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم
من اموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال ولكن سلط الله رسوله عليهم وعلى ما في ايديهم كما كان يسلط رسله
على اعدائهم فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء يعني انه لا يقسم قسمة الغنائم التي قوتل عليها واخذت
عنوة وقهرا وذلك انهم طلبوا القسمة فنزلت ● ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب ● لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى
فهي منها غير اجنبية عنها ● بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع بما افاء الله عليه وامره ان يضعه حيث
يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة ● والدولة والدولة بالفتح والضم وقد قرئ بهما ما يدول للانسان
اي يدور من الجد يقال دالت له الدولة واديل لفلان ومعنى قوله تعالى كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم كيلا
يكون الفيء الذي حقه ان يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون به ● او كيلا
يكون دولة جاهلية بينهم ● ومعنى الدولة الجاهلية ان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لانهم
اهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عزّ بزّ ● والمعنى كيلا يكون اخذه غلبة واثرة جاهلية ● ومنه
قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم اخذه واستأثر به ● وقيل الدولة
ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف يعني كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء ● والدولة بالفتح بمعنى التداول اي كيلا يكون ذا تداول بينهم ● وقرئ دولة بالرفع على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة يعني كيلا يقع دولة جاهلية ● وما آتاكم الرسول من قسمة غنيمة او فيء فخذوه وما نهاكم عنه عن اخذه منها فانتهوا عنه ولا تتبعه انفسكم واتقوا الله ان تخالفوه وتتهاونوا باوامره ونواهيه ان الله شديد العقاب لمن خالف رسوله ● والاجود ان يكون عاما في كل ما آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وامر الفيء داخل في عمومه ● وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه لقي رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل اقرأ علي في هذا آية من كتاب الله قال نعم فقرأها عليه ● للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون ● والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ● للفقراء بدل من قوله ولذي القربى والمعطوف عليه والذي منع الابدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اخرج رسوله صلى الله عليه وسلم من الفقراء

قوله على هينتكم متعلق بمحذوف اي امشوا على هينتكم م

قوله والمعطوف عليه اي على ذوي القربى م

قوله لفظ ما اشارة الى سبب التذكير م

قوله اجلوا الجلاء الخروج عن الوطن والبلد م

اخرج رسوله من الفقراء في قوله تعالى وينصرون الله ورسوله وانه تعالى يترفع برسول الله صلى الله عليه وسلم عن التسمية
بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله تعالى ۞ اولئك هم الصادقون في ايمانهم وجهادهم
والذين تبوؤا معطوف على المهاجرين وهم الانصار ۞ فان قلت ما معنى عطف الايمان على الدار ولا يقال
تبوؤا الايمان قلت معناه تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا ۞ او وجعلوا
الايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك او اراد دار الهجرة ودار الايمان
فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه او سمى
المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان بالايمان ۞ من قبلهم من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوء دار الهجرة
والايمان وقيل من قبل هجرتهم ۞ ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان
بهم خصاصة ۞ ولا يجدون ولا يعلمون في انفسهم حاجة مما اوتوا اي طلب محتاج اليه مما اوتي المهاجرون من الفيء
وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك واعطاه من ماله حاجته يعني ان نفوسهم لم تتبع ما اعطوا ولم
تطمح الى شيء منه يحتاج اليه ۞ ولو كان بهم خصاصة اي خلة واصلها خصاص البيت وهي فروجه والجملة في موضع الحال
اي مفروضة خصاصتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار
الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم
قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم
لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ۞ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم ۞ الشح بالضم والكسر وقد قرئ
بهما اللؤم وان تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع كما قال يمارس نفسا بين جنبيه كزة ۞ اذا هم بالمعروف قالت
له مهلا ۞ وقد اضيف الى النفس لانه غريزة فيها ۞ واما البخل فهو المنع نفسه ومنه قوله عز وعلا واحضرت الانفس الشح
ومن يوق شح نفسه ومن غلب ما امرته به نفسه وخالف هواها بمعونة الله تعالى وتوفيقه ۞ فاولئك هم المفلحون
الظافرون بما ارادوا ۞ وقرئ ومن يوق ۞ والذين جاءوا من بعدهم عطف ايضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا
من بعد وقيل التابعون باحسان بعد ۞ وقرئ غمرا وهما الحقد ۞ الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين
كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم والله
يشهد انهم لكاذبون ۞ لاخوانهم الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر ولانهم كانوا يوالونهم ويواخونهم وكانوا معهم
على المؤمنين في السر ولا نطيع فيكم في قتالكم احدا من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ان حملنا عليه او في
خذلانكم واخلاف ما وعدناكم من النصرة ۞ لكاذبون اي في مواعيدهم لليهود عليهم اللعنة وفيه دليل على صحة
النبوة لانه اخبار بالغيوب ۞ لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن
الادبار ثم لا ينصرون ۞ فان قلت كيف قيل ولئن نصروهم بعد الاخبار بانهم لا ينصرونهم قلت
معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون
لو كان كيف يكون ۞ والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود ليهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك اي يهلكهم الله
ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين ۞ لانتم اشد رهبة في صدورهم
من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون ۞ رهبة مصدر رهب المبني للمفعول كانه قيل اشد مرهوبية ۞ وقوله تعالى في
صدورهم دلالة على نفاقهم يعني انهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وانتم اهيب في صدورهم من الله ۞ فان قلت
كانهم كانوا يرهبون من الله حتى تكون رهبتهم منكم اشد ۞ قلت معناه ان رهبتهم في السر منكم اشد من رهبتهم من
الله التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله ۞ ويجوز ان يريد ان اليهود عليهم اللعنة يخافونكم

في صدورهم اشد من خوفهم من الله لانهم كانوا قوما اولي باس ونجدة فكانوا يتشجعون لهم مع اضمار الخيفة في صدورهم
لا يفقهون لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته ۞ لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء
جدر باسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون ۞ لا يقاتلونكم لا يقدرون
على مقاتلتكم جميعا مجتمعين متساندين يعني اليهود والمنافقين عليهم اللعنة ۞ الا كائنين في قرى محصنة بالخنادق
والدروب ۞ او من وراء جدر دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لقذف الله الرعب في قلوبهم وان تأييد الله ونصرته معكم
وقرئ جدر بالتخفيف ۞ وجدار وجدر وجدر وهما الجدار ۞ باسهم بينهم شديد يعني ان الباس الشديد الذي
يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك الباس والشدة لان الشجاع يجبن والعزيز يذل عند
محاربة الله تعالى ورسوله ۞ تحسبهم جميعا مجتمعين ذوي الفة واتحاد ۞ وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها يعني
ان بينهم احنا وعداوات فهم لا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس واحدة ۞ وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع
لقلوبهم على قتالهم ۞ قوم لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على ارواحهم ۞ كمثل الذين من قبلهم قريبا
ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم ۞ كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف
الله رب العالمين ۞ كمثل الذين من قبلهم اي مثلهم كمثل اهل بدر في زمان قريب ۞ فان قلت بم انتصب قريبا قلت
بمثل على كوجود مثل اهل بدر قريبا ۞ ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
من قولهم كلا وبيل اي وخيم سيء العاقبة يعني ذوقهم القتل في الدنيا ۞ ولهم في الآخرة عذاب النار ۞ مثل
المنافقين في اغرائهم اليهود عليهم اللعنة على القتال ووعدهم اياهم النصر ثم متاركتهم لهم واخلافهم ۞ كمثل الشيطان
اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرأ منه في العاقبة والمراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من
الناس واني جار لكم الى قوله تعالى اني بريء منكم ۞ فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ۞ وقرأ ابن مسعود رضي الله
عنه خالدان فيها على انه خبر ان وفي النار لغو وعلى القراءة المشهورة الظرف مستقر وخالدين فيها حال ۞ وقرئ انا
بريء وعاقبتهما بالرفع ۞ كرر الامر بالتقوى تاكيدا او اتقوا الله في اداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك
المعاصي لانه قرن بما يجري مجرى الوعيد ۞ والغد يوم القيامة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له ۞ وعن الحسن لم يزل يقربه
حتى جعله كالغد ونحوه قوله تعالى كان لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضي ۞ وقيل عبر عن الآخرة بالغد
كان الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد ۞ فان قلت ما معنى تنكير النفس والغد قلت
اما تنكير النفس فاستقلال للانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك ۞ واما
تنكير الغد فلتعظيمه وابهام امره كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه ۞ وعن مالك بن دينار مكتوب على
باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا ۞ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم
انفسهم اولئك هم الفاسقون ۞ نسوا الله نسوا حقه فجعلهم ناسين حق انفسهم بالخذلان حتى لم يسعوا
لها بما ينفعهم عنده او فاراهم يوم القيامة من الاهوال ما انساهم فيه انفسهم
لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون ۞ هذا تنبيه للناس وايذان لهم
بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كانهم لا يعرفون
الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين اصحابهما وان الفوز مع اصحاب الجنة فمن حقهم ان يعلموا ذلك
وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الابوة الذي
يقتضي البر والتعطف ۞ وقد استدل اصحاب الشافعي بهذه الآية على ان المسلم لا يقتل بالكافر
وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر ۞ لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا
من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ۞ هذا تمثيل وتخييل كما مر في قوله

جل وعلا انا عرضنا الامانة وقد دل عليه بقوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس والغرض توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره وقرئ مصدعا على الادغام وتلك الامثال اشارة الى هذا المثل والى امثاله في مواضع من التنزيل هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم الغيب المعدوم والشهادة الموجود المدرك كانه يشاهده وقيل ما غاب عن العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون القدوس بالضم والفتح وقد قرئ بهما البليغ في النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح والسلام بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة في وصف كونه سليما من النقائص او في اعطائه السلامة والمؤمن واهب الامن وقرئ بفتح الميم بمعنى المؤمن به على حذف الجار كما تقول في قوم موسى من قوله تعالى واختار موسى قومه المختارون بلفظ صفة السبعين والمهيمن الرقيب على كل شيء الحافظ له مفيعل من الامن الا ان همزته قلبت هاء والجبار القاهر الذي جبر خلقه على ما اراد اي اجبره والمتكبر البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن ظلم عباده هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم الخالق المقدر لما يوجده البارئ المميز بعضه من بعض بالاشكال المختلفة المصور الممثل وعن حاطب بن ابي بلتعة انه قرأ البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء اي الذي يبرئ المصور اي يميز ما يصورونه بتفاوت الهيئات وعن ابن مسعود رضي الله عنه وما في الارض وعن ابي هريرة رضي الله عنه سألت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك باخر الحشر فاكثر قراءته فاعدت عليه فاعاد علي فاعدت عليه فاعاد علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة مدنية وهي ثلث عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل روي ان مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي يعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه الصلوة والسلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمار وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد رضوان الله عليهم اجمعين وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي رضي الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب او تضعي راسك فاخرجته من عقاص شعرها وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هي احدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وروي عزيزا فيهم اي غريبا ولم اكن من انفسها وكل من معك من

المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيري فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل عليهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه وقبل عذره فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضي الله عنه وقال الله ورسوله اعلم فنزلت عدوي تعدى الى مفعوليه يعني عدوي اولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد **فان قلت** تلقون بم يتعلق **قلت** يجوز ان يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره وباولياء صفة له ويجوز ان يكون استئنافا **فان قلت** اذا جعلت صفة لاولياء وقد جرى على غير من هو له فاين الضمير البارز وهو قولك تلقون اليهم انتم بالمودة **قلت** ذاك انما اشترطوه في الاسماء دون الافعال لو قيل اولياء ملقين اليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير البارز والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم يقال القى اليه خراشي صدره وافضى اليه بشقوره والباء في بالمودة اما زائدة مؤكدة للتعدي مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واما ثابتة على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم وكذلك قوله تسرون اليهم بالمودة اي تفضون اليهم بمودتكم سرا او تسرون اليهم اسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة **فان قلت** وقد كفروا حال مماذا **قلت** اما من لا تتخذوا واما من تلقون اي لا تتولوهم او توادونهم وهذه حالهم ويخرجون استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم او حال من كفروا ان تؤمنوا تعليل ليخرجون اي يخرجونكم لايمانكم وان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه وتسرون استئناف ومعناه اي طائل لكم في اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان في علمي لا تفاوت بينهما وانا مطلع رسولي على ما تسرون ومن يفعله ومن يفعل هذا الاسرار فقد اخطأ طريق الحق والصواب وقرئ بما اخفيتم بمعنى اي شيء اخفيتم ووجه ان ما كانت تحتمل ان تكون سببا بما جعلوه سببا لكفرهم ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ان يثقفوكم ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعداء خالصي العداوة ولا يكونوا لكم اولياء كما انتم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بالقتال والشتم وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذن موادة امثالهم ومناصحتهم خطأ عظيم منكم ومغالطة لانفسكم ونحوه قوله عز وجل لا يالونكم خبالا **فان قلت** كيف اورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي **قلت** الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا والسبق للمضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو اهم شيء عنده ان يقصد اعز شيء عند صاحبه لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير لن تنفعكم ارحامكم اي قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال يوم القيمة يفصل بينكم وبين اقاربكم واولادكم يوم يفر المرء من اخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله تعالى مراعاة من يفر منكم غدا فخطأ رايهم في موالاة الكفار بما يرجع الى حال من والوا اولا ثم بما يرجع الى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانيا ليريهم ان ما اقدموا عليه من اي جهة نظرت فيه وجدته باطلا وقرئ يفصل ويفصل على البناء للمفعول ويفصل ويفصل على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونفصل ونفصل بالنون قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا

بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه
لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا
لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ● قرئ اسوة واسوة وهو اسم
المؤتسى به اي كان فيهم مذهب حسن مرضي بان يؤتسى به ويتبع اثره وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث
كاشفوهم بالعداوة وقشروا لهم العصا واظهروا لهم البغضاء والمقت وصرحوا بان سبب عداوتهم
وبغضائهم ليس الا كفرهم بالله وما دام هذا السبب قائما كانت العداوة قائمة حتى ان ازالوه وآمنوا
بالله وحده انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة والمقت مقة فافصحوا عن محض الاخلاص ومعنى
كفرنا بكم وبما تعبدون من دون الله انا لا نعتد بشأنكم ولا بشأن آلهتكم وما انتم عندنا على شيء **فان قلت**
مم استثنى قوله تعالى الا قول ابراهيم **قلت** من قوله اسوة حسنة لانه اراد بالاسوة الحسنة قولهم الذي
حق عليهم ان يأتسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها **فان قلت** فان كان قوله لاستغفرن لك مستثنى
من القول الذي هو اسوة حسنة فما بال قوله وما املك لك من الله من شيء وهو غير حقيق بالاستثناء الا ترى
الى قوله تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيئا **قلت** اراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار
له وما بعده مبني عليه وتابع له كانه قال انا استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار **فان قلت**
بم اتصل قوله ربنا عليك توكلنا **قلت** بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة ويجوز ان يكون
للمعنى قولوا ربنا امرا من الله تعالى للمؤمنين بان يقولوه وتعليما منه لهم تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق
بينهم وبين الكفار والائتساء بابراهيم وقومه في البراءة منهم تنبيها على الانابة الى الله تعالى والاستعاذة به
من فتنة اهل الكفر والاستغفار مما فرط منهم ● وقرئ براء كشركاء وبراء كظراف وبراء على ابدال الضم من
الكسر كرخال ورباب ● وبراء على الوصف بالمصدر والبراء والبراءة كالظماء والظماءة ● لقد كان لكم فيهم
اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد ● ثم كرر الحث على الائتساء بابراهيم
عليه الصلاة والسلام وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية في التأكيد
وابدل عن قوله لكم قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وعقبه بقوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد
فلم يترك نوعا من التأكيد الا جاء به ● فلما نزلت هذه الآيات تشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وابنائهم وجميع
اقربائهم من المشركين ومقاطعتهم ● عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير
والله غفور رحيم ● فلما رأى الله تعالى منهم الجد والصبر على الوجد الشديد وطول التمني للسبب الذي يبيح
لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوه فلما يسر فتح مكة اظفرهم الله بامنيتهم فاسلم قومهم
وتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم ● وقيل تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة رضي الله عنها
فلانت عند ذلك عريكة ابي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة وكانت ام حبيبة قد اسلمت وهاجرت
مع زوجها عبيد الله بن جحش الى الحبشة فتنصر وارادها على النصرانية فابت وصبرت على دينها ومات زوجها
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي فخطبها عليه وساق عنه اليها اربعمائة دينار وبلغ ذلك اباها
فقال ذلك الفحل لا يقدع انفه ● وعسى وعد من الله تعالى على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى ولعل
فلا تبقى لطالب شبهة في تمام ذلك او قصد به اطماع المؤمنين ● والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الاحوال
وتسهيل اسباب المودة ● والله غفور رحيم لمن اسلم من المشركين ● لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين
ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ● انما ينهاكم الله عن الذين
قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم
الظالمون ● ان تبروهم بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذلك ان تولوهم من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء

وانما ينهاكم عن تولي هؤلاء وهذا ايضا رحمة لهم لتشددهم وجدهم في العداوة متقدمة لهم رحمة بتيسير
اسلام قومهم حيث رخص لهم في صلة من لم يجاهروهم بقتال المؤمنين واخراجهم من ديارهم ● وقيل اراد
بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه ● وعن مجاهد هم
الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا ● وقيل هم النساء والصبيان ● وقيل قدمت على اسماء بنت ابي بكر امها قتيلة
بنت عبد العزى بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها ● وعن قتادة نسختها آية القتال ● وتقسطوا اليهم وتقضوا
اليهم بالقسط ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله تعالى المؤمنين ان يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا
ظلمهم مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم اخيه المسلم ● يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات
فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم
ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما انفقوا ● اذا جاءكم المؤمنات سماهن مؤمنات لتصديقهن بالسنتهن
ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك او لانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان
فامتحنوهن فابتلوهن بالحلف والنظر في الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن بالامتحان ● وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للممتحنة بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت
رغبة من ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس الدنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله ● الله اعلم بايمانهن
منكم لانكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم وان استحلفتموهن ورزتم احوالهن وعند الله حقيقة
العلم به ● فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات
فلا ترجعوهن الى الكفار فلا تردوهن الى ازواجهن المشركين لانه لا حل بين المؤمنة والمشرك ● وآتوهم
ما انفقوا واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من اتاكم من
اهل مكة رد اليهم ومن اتى مكة منكم لم يرد اليكم وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحارث
الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي
ابن الراهب فقال يا محمد اردد علي امرأتي فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة الكتاب
لم تجف بعد فنزلت بيانا لان الشرط انما كان في الرجال دون النساء ● وعن الضحاك كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين المشركين عهد ان لا تأتيك منا امرأة ليست على دينك الا رددتها الينا فان دخلت في دينك ولها زوج ان
ترد على زوجها الذي انفق عليها وللنبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك ● وعن قتادة ثم نسخ هذا الحكم وهذا
العهد براءة ● فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر بن الخطاب
رضي الله عنه **فان قلت** كيف سمى الظن علما في قوله تعالى فان علمتموهن **قلت** ايذانا بان الظن الغالب
وما يفضي اليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم وان صاحبه غير داخل في قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به
علم **فان قلت** فما فائدة قوله الله اعلم بايمانهن وذلك معلوم لا شبهة فيه **قلت** فائدته
بيان ان لا سبيل لكم الى ما تطمئن به النفس ويثلج به الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استأثر
به علام الغيوب وان ما يؤدي اليه الامتحان من العلم كاف في ذلك وان تكليفكم لا يعدوه ● ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا
آتيتموهن اجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا ذلكم حكم الله
يحكم بينكم والله عليم حكيم ● ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات اذا آتوهن اجورهن
لان المهر اجر البضع ولا يخلو اما ان يراد بها ما كان يدفع الى ازواجهن فيشترط في اباحة تزوجهن
تقديم ادائه واما ان يراد ان ذلك اذا دفع اليهن على سبيل القرض ثم تزوجن على ذلك لم يكن به بأس واما ان يبين
لهم ان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر وانه لا بد من اصداق وبه احتج ابو حنيفة رحمه الله على ان احد

الزوجين أن أخرج من دار الحرب مسلماً أو بذمة وبقي الآخر حربياً وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح
نكاحها إلا أن تكون حاملاً. ولا تمسكوا بعصم الكوافر والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعني إياكم وإياهن
ولا تكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية. قال ابن عباس رضي الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن
بها من نسائه لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها. وعن النخعي في المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر. وعن مجاهد
أمرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن. واسألوا ما أنفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا
ما أنفقوا من مهور نسائهم المهاجرات. وقرئ ولا تمسكوا بالتخفيف ولا تمسّكوا بالتثقيل ولا تمسكوا أي ولا تتمسكوا
ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في هذه الآية. يحكم بينكم كلام مستأنف أو حال من حكم الله على حذف الضمير أي
يحكمه الله أو جعل الحكم حاكماً على المبالغة. روي أنها لما نزلت الآية أدى المؤمنون ما أمروا به من أداء مهور المهاجرات
إلى أزواجهن المشركين وأبى المشركون أن يردوا شيئاً من مهور الكوافر إلى أزواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى وإن فاتكم
شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذي
أنتم به مؤمنون. وإن فاتكم وإن سبقكم وانفلت منكم شيء من أزواجكم أحد منهن إلى الكفار وهو في قراءة
ابن مسعود رضي الله عنه أحد. فإن قلت هل لإيقاع شيء في هذا الموضع فائدة قلت نعم الفائدة فيه أن
لا يغادر شيء من هذا الجنس وإن قل وحقر غير معوض عنه تغليظاً في هذا الحكم وتشديداً فيه. فعاقبتم من العقبة
وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأولئك مهور نساء
هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره. ومعناه فجاءت عقبتكم من أداء المهر فآتوا من فاتته
امرأته إلى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر. وهكذا عن الزهري يعطى من صداق
من لحق بهم. وقرئ فأعقبتم فعقّبتم بالتشديد فعقبتم بالتخفيف بفتح القاف وكسرها فمعنى أعقبتم دخلتم
في العقبة وعقّبتم من عقّبه إذا قفاه لأن كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه وكذلك عقبتم بالتخفيف
يقال عقبه يعقبه وعقبتم نحو تبعتم. وقال الزجاج فعاقبتم فأصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم
والذي ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر وفسر غيرها من القراءات فكانت العقبى لكم أي كانت الغلبة لكم حتى
غنمتم. وقيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة عن الإسلام ست نسوة أم الحكم بنت أبي
سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري. وفاطمة بنت أبي أمية كانت تحت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي
أخت أم سلمة. وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان رضي الله عنه. وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة
وزوجها عمرو بن عبد ود. وهند بنت أبي جهل كانت تحت هشام بن العاص رضي الله عنه. وكلثوم بنت جرول
كانت تحت عمر رضي الله عنه فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهور نسائهم من الغنيمة. يا أيها
النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن
ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم. ولا يقتلن أولادهن
وقرئ يقتّلن بالتشديد يريد وأد البنات. ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن كانت
المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد
الذي تلصقه بزوجها كذباً لأن بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين.
ولا يعصينك في معروف فيما تأمرهن به من المحسنات وتنهاهن عنه من المقبحات. وقيل كل
ما وافق طاعة الله عز وجل فهو معروف. فإن قلت لو اقتصر على قوله ولا يعصينك فقد علم
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأمر إلا بمعروف. قلت نبه بذلك على أن طاعة المخلوق في معصية
الخالق جديرة بغاية التوقي والاجتناب. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح
مكة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أسفل منه

يبايعهن

يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متقنعة متنكرة خوفاً من رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها فقال عليه الصلاة والسلام أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً فرفعت
هند رأسها وقالت والله لقد عبدنا الأصنام وإنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال
تبايع الرجال على الإسلام والجهاد. فقال عليه الصلاة والسلام ولا يسرقن فقالت إن أبا سفيان رجل شحيح
وإني أصبت من ماله هنات فما أدري أتحل لي أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك
حلال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وإنك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف
يا نبي الله عفا الله عنك. فقال ولا يزنين فقالت أوتزني الحرة وفي رواية ما زنت منهن امرأة قط فقال
عليه الصلاة والسلام ولا يقتلن أولادهن فقالت ربيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً فأنتم وهم أعلم وكان ابنها
حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك عمر رضي الله عنه حتى
استلقى فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله إن البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق
فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء. وقيل في
كيفية المبايعة دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن أيديهن. وقيل صافحهن وكان على يده ثوب قطري
وقيل كان عمر رضي الله عنه يصافحهن عنه. يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد
يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور. روي أن بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود
ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم لا تتولوا قوماً مغضوباً عليهم قد يئسوا من أن يكون لهم حظ في الآخرة
لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أنه الرسول المنعوت في التوراة كما يئس الكفار من موتاهم
أن يبعثوا ويرجعوا أحياء. وقيل من أصحاب القبور بيان للكفار أي كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لأنهم
تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة.

سورة الصف مكية وهي أربع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم
يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون
لم هي لام الإضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم
وعم وإلام وعلام وحتام وإنما حذفت الألف لأن ما والحرف كشيء واحد ووقع استعمالهما كثيراً في كلام المستفهم
وقد جاء استعمال الأصل قليلاً والوقف على زيادة هاء السكت أو الإسكان ومن أسكن في الوصل فلإجرائه مجرى
الوقف كما سمع ثلاثه أربعه بالهاء وإلقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب وإخلاف
الموعد. وروي أن المؤمنين قالوا قبل أن يؤمروا بالقتال لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا
وأنفسنا فدلهم الله تعالى على الجهاد في سبيله فولوا يوم أحد فعيرهم. وقيل لما أخبر الله عز وجل بثواب شهداء
بدر قالوا لئن لقينا قتالاً لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد ولم يفوا. وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل
وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر. وقيل قد آذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب
وانتحل قتله آخر فقال عمر لصهيب رضي الله عنهما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنك قتلته فقال إنما قتلته لله
ولرسوله فقال عمر يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا أبا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل. وعن الحسن رحمه الله
نزلت في المنافقين ونداؤهم بالإيمان تهكم بهم وبإيمانهم. هذا من أفصح الكلام وأبلغه في معناه قصد في
كبر التعجب من غير لفظه كقوله غلت ناب كليب بواؤها. ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين
لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله وأسند إلى أن تقولوا ونصب مقتاً على تفسيره دلالة على

قولهم ما لا تفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لأنه أشد البغض وأبلغه
ومنه قيل نكاح المقت للعقد على الرابّة ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيرا حتى جعل أشده وأفحشه وعند الله
أبلغ من ذلك لأنه إذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك وعن بعض السلف
أنه قيل له حدثنا فقال أتأمرونني أن أقول ما لا أفعل فأستعجل مقت الله ۞ إن الله يحب الذين يقاتلون في
سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ۞ في قوله إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله عقيب ذكر مقت المخلف
دليل على أن المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما
يقاتلون بفتح التاء وقرئ يقتّلون ۞ صفا صافين أنفسهم أو مصفوفين كأنهم في تراصهم من غير فرجة
ولا خلل بنيان رص بعضه إلى بعض ورصف وقيل يجوز أن يريد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع
الكلمة كالبنيان المرصوص وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لأن الفرسان لا يصطفون على هذه
الصفة وقوله صفا كأنهم بنيان حالان متداخلتان ۞ وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني
وقد تعلمون أني رسول الله إليكم ۞ إذ منصوب بإضمار اذكر أو وحين قال لهم ما قال كان كذا وكذا تؤذونني كانوا
يؤذونه بأنواع الأذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود إليهم منافعه وعبادتهم
البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله تعالى وحقه ۞ وقد تعلمون في موضع الحال أي تؤذونني
عالمين علما يقينا أني رسول الله إليكم وقضية علمكم بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري لا أن تؤذوني وتستهينوا
بي لأن من عرف الله وعظمته عظم رسوله علما بأن تعظيمه في تعظيم رسوله ولأن من آذاه كان وعيد الله لاحقا به
فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين ۞ فلما زاغوا عن الحق أزاغ الله قلوبهم بأن
منع ألطافه عنهم والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يلطف بهم لأنهم ليسوا من أهل اللطف ۞ **فإن قلت**
ما معنى قد في قوله وقد تعلمون **قلت** معناه التوكيد كأنه قال وتعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه ۞ وإذ
قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي
من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ۞ قيل إنما قال يا بني إسرائيل ولم يقل يا قوم
كما قال موسى لأنه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه ۞ والمعنى أني أرسلت إليكم في حال تصديقي ما تقدمني من التوراة
وفي حال تبشيري برسول يأتي من بعدي يعني أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا ممن تقدم
وتأخر وقرئ من بعدي بسكون الياء وفتحها والخليل وسيبويه يختاران الفتح وعن كعب أن الحواريين
قالوا لعيسى عليه الصلاة والسلام يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم
من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل ۞ **فإن قلت** بم انتصب
مصدقا ومبشرا أبما في الرسول من معنى الإرسال أم بإليكم **قلت** بل بمعنى الإرسال لأن إليكم صلة للرسول فلا
يجوز أن تعمل شيئا لأن حروف الجر لا تعمل بأنفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فإذا وقعت صلات لم تتضمن معنى
فعل فمن أين تعمل وقرئ هذا ساحر مبين ۞ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام
والله لا يهدي القوم الظالمين ۞ وأي الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام
إلى الإسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء
عباده إلى الحق هذا سحر لأن السحر كذب وتمويه ۞ وقرأ طلحة بن مصرف وهو يدّعي بمعنى يدعي دعاه وادّعاه نحو لمسه
والتمسه وعنه يدّعي بمعنى يدعو الله عز وجل ۞ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم
نوره ولو كره الكافرون ۞ أصله يريدون أن يطفئوا كما جاء في سورة براءة وكأن هذه اللام زيدت مع
فعل الإرادة تأكيدا له لما فيها من معنى الإرادة في قولك جئتك لإكرامك كما زيدت اللام في لا أبا لك تأكيدا
لمعنى الإضافة في أباك وإطفاء نور الله بأفواههم تهكم بهم في إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن

هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه ۞ والله متم نوره أي متم الحق ومبلغه غايته
وقرئ بالإضافة ۞ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
ودين الحق الملة الحنيفية ۞ ليظهره ليعليه على الدين كله على جميع الأديان المخالفة له ولعمري لقد فعل فما بقي
دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام وعن مجاهد إذا نزل عيسى عليه الصلاة والسلام لم
يكن في الأرض إلا دين الإسلام وقرئ أرسل نبيه ۞ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم
تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون
يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم
تنجيكم قرئ مخففا ومثقلا ۞ وتؤمنون استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو خبر في معنى الأمر
ولهذا أجيب بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا ۞ **فإن قلت**
لم جيء به على لفظ الخبر **قلت** للإيذان بوجوب الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين
ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت ووجدت ۞ **فإن قلت** هل
لقول الفراء إنه جواب هل أدلكم وجه **قلت** وجهه أن متعلق الدلالة التجارة والتجارة مفسرة بالإيمان والجهاد
كأنه قيل هل تتجرون بالإيمان والجهاد يغفر لكم ۞ **فإن قلت** فما وجه قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما تؤمنوا وتجاهدوا
قلت وجهها أن تكون على إضمار لام الأمر كقوله محمد تفد نفسك كل نفس إذا ما خفت من أمر تبالا
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم قالوا لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لعملناها فنزلت هذه الآية فمكثوا ما شاء الله يقولون
ليتنا نعلم ما هي فدلهم الله تعالى عليها بقوله تؤمنون وهذا دليل على أن تؤمنون كلام مستأنف وعلى أن الأمر الوارد على النفوس بعد
تشوف وتطلع منها إليه أوقع فيها وأقرب من قبولها له مما فوجئت به ۞ ذلكم يعني ما ذكر من الإيمان والجهاد خير لكم
من أموالكم وأنفسكم ۞ **فإن قلت** ما معنى قوله تعالى إن كنتم تعلمون **قلت** معناه إن كنتم تعلمون أنه خير لكم كان
خيرا لكم حينئذ لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون
وتفلحون ۞ وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ۞ وأخرى تحبونها ولكم إلى هذه النعمة المذكورة
من المغفرة والثواب في الآجل نعمة أخرى عاجلة محبوبة إليكم ثم فسرها بقوله تعالى نصر من الله وفتح قريب أي عاجل
وهو فتح مكة وقال الحسن هو فتح فارس والروم وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل ۞ **فإن قلت**
علام عطف قوله تعالى وبشر المؤمنين **قلت** على تؤمنون لأنه في معنى الأمر كأنه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله
وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك ۞ **فإن قلت** لم نصب من قرأ نصرا من الله وفتحا قريبا **قلت**
يجوز أن ينصب على الاختصاص أو على تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا أو على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم أخرى
نصرا وفتحا ۞ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال
الحواريون نحن أنصار الله ۞ قرئ كونوا أنصار الله وأنصارا لله وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه كونوا أنتم أنصار الله
وفيه زيادة حث على النصرة عليهم ۞ **فإن قلت** ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصارا بقول
عيسى عليه الصلاة والسلام من أنصاري إلى الله **قلت** التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا أنصار
الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم من أنصاري إلى الله ۞ **فإن قلت** ما معنى قوله من أنصاري إلى الله
قلت يجب أن يكون معناه مطابقا لجواب الحواريين نحن أنصار الله والذي يطابقه أن يكون من جندي متوجها
إلى نصرة الله وإضافة أنصاري خلاف إضافة أنصار الله فإن معنى نحن أنصار الله نحن الذين ينصرون الله
ومعنى من أنصاري من الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله ولا يصح أن يكون معناه من ينصرني مع
الله لأنه لا يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من قرأ من أنصار الله والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به
وكانوا اثني عشر رجلا وحواري الرجل صفيه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص والحواري الدرمك ومنه

الدرمك الدقيق الحوارى

قوله صلى الله عليه وسلم الزبير ابن عمتي وحواريي من أمتي • وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب يبيضونها فنظير الحواري في زنته الحوالي الكثير الحيل • فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين • فآمنت طائفة منهم بعيسى عليه الصلوة والسلام • وكفرت به طائفة فأيدنا مؤمنيهم على كفارهم فظهروا عليهم • وعن زيد بن علي رضي الله عنهما كان ظهورهم بالحجة • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى عليه الصلوة والسلام مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم • هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين • قرئت صفات الله عز وجل بالرفع على المدح كأنه قيل هو الملك القدوس ولو قرئت منصوبة لكان وجها كقول العرب الحمد لله أهل الحمد • الأمي منسوب إلى أمة العرب لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الأمم • وقيل بدأت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة من أهل الأنبار • ومعنى بعث في الأميين رسولا منهم بعث رجلا أميا في قوم أميين كما جاء في حديث شعيا إني أبعث أعمى في عميان وأميا في قوم أميين • وقيل منهم كقوله تعالى من أنفسكم يعلمون نسبه وأحواله • وقرئ في الأمين بحذف ياء النسب • يتلو عليهم آياته يقرأها عليهم مع كونه أميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة أمي بغير تعلم آية بينة • ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية • ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة • وإن في وإن كانوا هي المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها أي كانوا في ضلال لا ترى ضلالا أعظم منه • وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم • وآخرين مجرور عطف على الأميين يعني أنه بعثه في الأميين الذين على عهده وفي آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم • وقيل لما نزلت قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان رضي الله عنه ثم قال لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء • وقيل هم الذين يأتون من بعدهم إلى يوم القيمة • ويجوز أن ينتصب عطفا على المنصوب في ويعلمهم أي يعلمهم ويعلم آخرين لأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستندا إلى أوله فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد منه • وهو العزيز الحكيم في تمكينه رجلا أميا من ذلك الأمر العظيم وتأييده عليه واختياره إياه من بين كافة البشر • ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم • ذلك الفضل الذي أعطاه محمدا صلى الله عليه وسلم وهو أن يكون نبي أبناء عصره ونبي أبناء العصور الغوابر • هو فضل الله يؤتيه من يشاء إعطاءه وتقتضيه حكمته • مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين • شبه اليهود في أنهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم إنهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها وذلك أن فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به ولم يؤمنوا به بالحمار حمل أسفارا أي كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وبئس المثل • بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم • ومعنى حملوا التوراة كلفوا علمها والعمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا بها فكأنهم لم يحملوها • وقرئ حملوا التوراة أي حملوها ثم لم يحملوها في الحقيقة لفقد العمل • وقرئ يحمل الأسفار **فإن قلت** يحمل ما محله **قلت** النصب على الحال أو الجر على الوصف لأن الحمار كاللئيم في قوله • ولقد أمر على اللئيم يسبني • قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم

صادقين

صادقين • هاد يهود إذا تهود • أولياء لله كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه أي إن كان قولكم حقا وكنتم على ثقة • فتمنوا على الله أن يميتكم وينقلكم سريعا إلى دار كرامته التي أعدها لأوليائه • ثم قال ولا يتمنونه أبدا بسبب ما قدموا من الكفر • ولقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها أحد منكم إلا غص بريقه • فلولا أنهم كانوا موقنين بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لتمنوا ولكنهم علموا أنهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما تمالك أحد منهم أن يتمنى وهي إحدى المعجزات • وقرئ فتمنوا الموت بكسر الواو تشبيها بلو استطعنا • ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين • ولا فرق بين لا ولن في أن كل واحدة منهما نفي للمستقبل إلا أن في لن تأكيدا وتشديدا ليس في لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه • قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون • ثم قيل لهم إن الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون أن تتمنوه خيفة أن تؤخذوا بوبال كفركم لا تفوتونه وهو ملاقيكم لا محالة • ثم تردون إلى الله فيجازيكم بما أنتم أهله من العقاب • وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما إنه ملاقيكم وهي ظاهرة وأما التي بالفاء فلتضمن الذي معنى الشرط وقد جعل إن الموت الذي تفرون منه ككلام برأسه في قراءة زيد أي إن الموت هو الشيء الذي تفرون منه ثم استؤنف إنه ملاقيكم • يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون • يوم الجمعة يوم الفوج المجموع كقولهم ضحكة للمضحوك منه • ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة ولعنة ولعبة • ويوم الجمعة تثقيل الجمعة كما قيل عسرة في عسرة • وقرئ بهن جميعا **فإن قلت** من في قوله من يوم الجمعة ما هي **قلت** هي بيان لإذا وتفسير له • والنداء الأذان وقالوا المراد به الأذان عند قعود الإمام على المنبر وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن واحد فكان إذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فإذا نزل أقام الصلوة ثم كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على ذلك حتى إذا كان عثمان رضي الله عنه وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر فأمر بالتأذين الأول على داره التي تسمى زوراء فإذا جلس على المنبر أذن المؤذن الثاني فإذا نزل أقام الصلوة فلم يعب ذلك عليه • وقيل أول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكان يقال لها العروبة • وقيل إن الأنصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه في كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود عليهم اللعنة ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله تعالى آية الجمعة فهي أول جمعة كانت في الإسلام • وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي أنه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف وأقام بها يوم الاثنين والثلثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة • وعن بعضهم قد أبطل الله عز وجل قول اليهود عليهم اللعنة في ثلث افتخروا بأنهم أولياء الله وأحباؤه فكذبهم في قوله تعالى فتمنوا الموت إن كنتم صادقين • وبأنهم أهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل أسفارا • وبالسبت فإنه ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد • وعنه صلى الله عليه وسلم إن لله في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار • وعن النبي صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه يوم الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولأمتك من بعدك وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه إلى الآخرة يوم المزيد • وعن كعب إن الله فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة • وقال صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنة القبر • وفي الحديث إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف

من قضى تفثاً وقدم من ذهب يكيلون الأول فالأول على مراتبهم. وكانت الطرقات في أيام السلف وقت السحر وبعد
الفجر مغتصة بالمبكرين إلى الجمعة يمشون بالسرج. وقيل أول بدعة أحدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجمعة.
وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه بكر فرأى ثلاثة نفر سبقوه فاغتم وأخذ يعاتب نفسه يقول أراك
رابع أربعة وما رابع أربعة ببعيد. ولا تقام الجمعة عند أبي حنيفة رضي الله عنه إلا في مصر جامع لقوله
صلى الله عليه وسلم لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا أضحى إلا في مصر جامع. والمصر الجامع ما أقيمت فيه الحدود
ونفذت فيه الأحكام. ومن شروطها الإمام أو من يقوم مقامه لقوله صلى الله عليه وسلم من ترك
وله إمام عادل أو جائر الحديث. وقوله صلى الله عليه وسلم أربع إلى الولاة الفيء والصدقات والحدود
والجمعات. فإن أم رجل بغير إذن الإمام أو من ولاه من قاض أو صاحب شرط لم يجز فإن لم يمكن الاستئذان
فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز. وهي تنعقد بثلاثة سوى الإمام. وعند الشافعي رضي الله عنه بأربعين
ولا جمعة على المسافرين والعبيد والنساء والمرضى والزمنى ولا على الأعمى عند أبي حنيفة رحمه الله ولا على
الشيخ الذي لا يمشي إلا بقائد. وقرأ عمر وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وغيرهم فامضوا. وعن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقرأ فاسعوا فقال من أقرأك هذا قال أبي بن كعب قال لا يزال يقرأ
بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي. وقيل المراد بالسعي القصد دون العدو. والسعي
التصرف في كل عمل ومنه قوله تعالى فلما بلغ معه السعي وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. وعن الحسن رحمه الله
ليس السعي على الأقدام ولكنه على النيات والقلوب. وذكر محمد بن الحسن رحمه الله في موطئه أن عمر رضي الله عنه سمع
الإقامة وهو بالبقيع فأسرع المشي. قال محمد وهذا لا بأس به ما لم يجهد نفسه. إلى ذكر الله إلى الخطبة والصلاة ولتسمية
الله الخطبة ذكراً له قال أبو حنيفة رحمه الله إن اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله
جاز. وعن عثمان رضي الله عنه أنه صعد المنبر فقال الحمد لله وارتج عليه فقال إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما
كانا يعدان لهذا المقام مقالاً وإنكم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة
الصحابة رضي الله عنهم ولم ينكر عليه أحد. وعند صاحبيه والشافعي رحمهم الله لا بد من كلام يسمى خطبة.
فإن قلت كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله **قلت** ما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثناء
عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين رضوان الله عليهم والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله فأما ما عدا
ذلك من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم أحقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله
على مراحل. وإذا قال المنصت للخطبة لصاحبه صه فقد لغا أفلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغياً نعوذ بالله
من غربة الإسلام ونكد الأيام. أراد الأمر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وإنما خص البيع من
بينها لأن يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون إلى المصر من كل أوب ووقت هبوطهم
واجتماعهم واغتصاص الأسواق بهم إذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة
ويتكاثر البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي إلى المسجد قيل لهم بادروا تجارة
الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا إلى ذكر الله الذي لا شيء أنفع منه وأربح وذروا البيع الذي نفعه يسير وربحه
مقارب. **فإن قلت** فإذا كان البيع في هذا الوقت مأموراً بتركه محرماً فهل هو فاسد **قلت** عامة العلماء
على أن ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لأن البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة في الأرض
المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب. وعن بعض الناس أنه فاسد. فإذا قضيت الصلاة فانتشروا
في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون. ثم أطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلاة
من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية بإكثار الذكر وأن لا يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها عنه وأن تكون همتهم
في جميع أحوالهم وأوقاتهم موكلة به لا ينفصلون عنه لأن فلاحهم فيه وفوزهم منوط به. وعن ابن عباس رضي الله عنهما

لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا إنما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ في الله. وعن الحسن وسعيد
ابن المسيب رحمهما الله طلب العلم. وقيل صلاة التطوع. وعن بعض السلف أنه كان يشغل نفسه بشيء من
أمور الدنيا نظراً في هذه الآية. وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله
خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين. روي أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد
فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا
إليه خشوا أن يسبقوا إليه فما بقي معه إلا يسير قيل ثمانية وأحد عشر واثنا عشر وأربعون فقال
النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعاً لأضرم الله عليهم الوادي ناراً وكانوا
إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو. وعن قتادة فعلوا ذلك ثلاث مرات
في كل مقدم عير. **فإن قلت** فإن اتفق تفرق الناس عن الإمام في صلاة الجمعة كيف يصنع **قلت**
إن بقي وحده أو مع أقل من ثلاثة فعند أبي حنيفة رحمه الله يستأنف الظهر إذا نفروا عنه قبل الركوع وعند
صاحبيه إذا كبر وهم معه مضى فيها وعند زفر إذا نفروا قبل التشهد بطلت. **فإن قلت** كيف
قال إليها وقد ذكر شيئين **قلت** تقديره إذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهواً انفضوا إليه فحذف
أحدهما لدلالة المذكور عليه وكذلك قراءة من قرأ انفضوا إليه وقراءة من قرأ لهواً أو تجارة انفضوا
إليها. وقرئ إليهما. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من
أتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في أمصار المسلمين

سورة المنافقون مدنية وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله
يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون. أرادوا بقولهم نشهد إنك لرسول الله شهادة واطأت
فيها قلوبهم ألسنتهم فقال الله عز وجل قالوا ذلك والله يعلم أن الأمر كما يدل عليه قولهم إنك لرسول الله
والله يشهد إنهم لكاذبون في قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطأة أو إنهم لكاذبون فيه لأنه إذا خلا عن
المواطأة لم تكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة. أو أراد والله يشهد إنهم لكاذبون
عند أنفسهم لأنهم كانوا يعتقدون أن قولهم إنك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه.
فإن قلت أي فائدة في قوله تعالى والله يعلم إنك لرسوله **قلت** لو قال قالوا نشهد إنك لرسول الله
والله يشهد إنهم لكاذبون لكان يوهم أن قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم إنك لرسوله ليميط هذا
الإيهام. اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بأنهم آمنوا
ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون. اتخذوا أيمانهم جنة يجوز أن يريد أن قولهم نشهد إنك لرسول الله
يمين من أيمانهم الكاذبة لأن الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل أشهد وأشهد بالله
وأعزم وأعزم بالله في موضع أقسم وأولي وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن أشهد يمين. ويجوز أن يكون
وصفاً للمنافقين في استجنانهم بالأيمان. وقرأ الحسن رحمه الله إيمانهم أي ما أظهروه من الإيمان بألسنتهم ويعضده
قوله تعالى ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا. ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله. وفي ساء معنى
التعجب الذي هو تعظيم أمرهم عند السامعين. ذلك إشارة إلى قوله تعالى ساء ما كانوا يعملون أي ذلك القول الشاهد
عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالاً بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا أو إلى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان
بالأيمان أي ذلك كله بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فجسروا على كل عظيمة. **فإن قلت** المنافقون لم
يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله آمنوا ثم كفروا **قلت** فيه ثلاثة أوجه أحدها آمنوا أي نطقوا بكلمة
الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الإسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم إن كان

ما يقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوك أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله سبحانه وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم أي وظهر كفرهم بعد أن أسلموا ونحوه قوله تعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم والثاني آمنوا أي نطقوا بالإيمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام كقوله تعالى وإذا لقوا الذين آمنوا إلى قوله إنما نحن مستهزؤن والثالث أن يراد أهل الردة منهم وقرئ فطبع على قلوبهم وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما فطبع الله **وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون** كان عبد الله بن أبي رجلا جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن فكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون إلى كلامهم **فإن قلت** ما معنى قوله كأنهم خشب مسندة **قلت** شبهوا في استنادهم وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير بالخشب المسندة إلى الحائط ولأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير منتفع به أسند إلى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع ويجوز أن يراد بالخشب المسندة الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم والخطاب في وإذا رأيتهم تعجبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يخاطب وقرئ يسمع على البناء للمفعول وموضع كأنهم خشب رفع على هم كأنهم خشب أو هو كلام مستأنف لا محل له وقرئ خشب جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر وخشبة كمدرة ومدر وهي في قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وعن اليزيدي أنه قال في خشب جمع الخشباء والخشباء الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم عليهم ثاني مفعولي يحسبون أي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلعهم وما في قلوبهم من الرعب إذا نادى مناد في العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوه إيقاعا بهم وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم ومنه أخذ الأخطل ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا تكر عليهم ورجالا يوقف على عليهم ويبتدأ هم العدو أي هم الكاملون في العداوة لأن أعدى الأعداء العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي فاحذرهم ولا تغترر بظاهرهم ويجوز أن يكون هم العدو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير **فإن قلت** فحقه أن يقال هي العدو **قلت** منظور فيه إلى الخبر كما ذكر في هذا ربي وأن يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل أهل صيحة قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته أن يلعنهم ويخزيهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك أنى يؤفكون كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم **وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون** لووا رؤوسهم عطفوها وأمالوها إعراضا عن ذلك واستكبارا وقرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر رضي الله عنه يقود فرسه وسنان الجهني حليف لعبد الله بن أبي واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للأنصار فأعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وأنت هناك وقال ما صحبنا محمدا إلا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل عنى بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولأوشكوا أن يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم رضي الله عنه وهو حدث فقال أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فإنما كنت ألعب فأخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه

دعني أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله قال إذن ترعد أنف كثيرة بيثرب قال فإن كرهت أن يقتله مهاجري فأمر به أنصاريا فقال فكيف إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله أنت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وإن زيدا لكاذب فهو قوله اتخذوا أيمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى أن يكون قد وهم وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله أخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا من خلفه فعرك أذنه وقال وفت أذنك يا غلام إن الله قد صدقك وكذب المنافقين فلما أراد عبد الله أن يدخل المدينة اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله غير النبي صلى الله عليه وسلم اسمه وقال إن حبابا اسم شيطان وكان مخلصا وقال وراءك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله الأعز وأنا الأذل فلم يزل حبيسا في يده حتى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخليته وروي أنه قال له لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لأضربن عنقك فقال ويحك أفاعل أنت قال نعم فلما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال عليه الصلاة والسلام لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آي شداد فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتموني أن أومن فآمنت وأمرتموني أن أزكي مالي فزكيت فما بقي إلا أن أسجد لمحمد فنزلت وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ولم يلبث إلا أياما قلائل حتى اشتكى ومات **سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين** سواء عليهم الاستغفار وعدمه لأنهم لا يلتفتون إليه ولا يعتدون به لكفرهم أو لأن الله لا يغفر لهم وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لأن أم المعادلة تدل عليه وقرأ أبو جعفر آستغفرت إشباعا لهمزة الاستفهام للإظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل ألفا كما في آلسحر وآلله أذن لكم **هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون** ينفضوا يتفرقوا وقرئ ينفضوا من أنفض القوم إذا فنيت أزوادهم وحقيقته حان لهم أن ينفضوا مزاودهم ولله خزائن السماوات والأرض وبيده الأرزاق والقسم فهو رازقهم منها وإن أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم ولكن عبد الله وأضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان **يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** وقرئ ليخرجن الأعز منها الأذل بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول وقرأ الحسن وابن أبي عبلة لنخرجن بالنون ونصب الأعز والأذل ومعناه خروج الأذل أو إخراج الأذل أو مثل الأذل ولله العزة الغلبة والقوة ولمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين وهم الأخصاء بذلك كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات رحمها الله وكانت في هيئة رثة ألست على الإسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رجلا قال له إن الناس يزعمون أن فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون** لا تشغلكم أموالكم والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها ولا أولادكم وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما يصلحهم من معايشهم في حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الأموال والأولاد وأنه أهون شيء وأدونه في جنب ما عند الله عن ذكر الله وإيثاره عليها ومن يفعل ذلك يريد الشغل بالدنيا عن الدين فأولئك هم الخاسرون في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وقيل ذكر الله الصلوات الخمس وعن الحسن رحمه الله جميع الفرائض كأنه قال عن طاعة الله

وقيل القرآن. وعن الكلبي: الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾ من في مما رزقناكم للتبعيض، والمراد الإنفاق الواجب ﴿من قبل أن يأتي أحدكم الموت﴾ من قبل أن يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الإمهال ويضيق به الخناق ويتعذر عليه الإنفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض أنامله على فقد ما كان متمكنا منه. وعن ابن عباس رضي الله عنه: تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل. وعنه: ما يمنع أحدكم إذا كان له مال أن يزكي، وإذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها. وعنه رضي الله عنهما أنها نزلت في مانعي الزكاة، ووالله لو رأى خيرا لما سأل الرجعة، فقيل له: أما تتقي الله يسأل المؤمنون الكرة؟ قال: نعم أنا أقرأ عليكم به قرآنا، يعني أنها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها، وكذلك عن الحسن رحمة الله عليه: ما من أحد لم يزك ولم يصم ولم يحج إلا سأل الرجعة. وعن عكرمة أنها نزلت في أهل القبلة. ﴿لولا أخرتني﴾ وقرئ: أخرتن، يريد هلا أخرت موتي إلى زمان قليل. ﴿فأصدق﴾ وقرأ أبي: فأتصدق على الأصل، وقرئ: وأكن، عطفا على محل فأصدق، كأنه قيل: إن أخرتني أصدق وأكن، ومن قرأ: وأكون، على النصب فعلى اللفظ. وقرأ عبيد بن عمير: وأكون، على: وأنا أكون، عدة منه بالصلاح. ﴿ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون﴾ ولن يؤخر الله نفي للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه منافاة المنفي للحكمة، والمعنى: إنكم إذا علمتم أن تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل إليه وأنه هاجم لا محالة، وأن الله عليم بأعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره، لم يبق إلا المسارعة إلى الخروج عن عهدة الواجب والاستعداد للقاء الله تعالى. وقرئ: تعملون، بالتاء والياء. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق.

سورة التغابن مختلف فيها وهي ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير﴾ قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل، وذلك لأن الملك على الحقيقة له لأنه مبدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه، وكذلك الحمد لأن أصول النعم وفروعها منه، وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء، وحمده اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده. ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ يعني فمنكم آت بالكفر وفاعل له، ومنكم آت بالإيمان وفاعل له، كقوله تعالى: ﴿وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون﴾ والدليل عليه قوله تعالى: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ أي عالم بكفركم وإيمانكم اللذين هما من عملكم. والمعنى: هو الذي تفضل عليكم بأصل النعم الذي هو الخلق والإيجاد عن العدم، فكان يجب أن تنظروا النظر الصحيح وتكونوا بأجمعكم عبادا شاكرين، فما فعلتم مع تمكنكم، بل تشعبتم شعبا وتفرقتم أمما، فمنكم كافر ومنكم مؤمن، وقدم الكفر لأنه الأغلب عليهم والأكثر فيهم. وقيل: هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية، ومنكم مؤمن به. فإن قلت: نعم إن العباد هم الفاعلون للكفر، ولكن قد سبق في علم الحكيم أنه إذا خلقهم لم يفعلوا إلا الكفر ولم يختاروا غيره، فما دعاه إلى خلقهم مع علمه بما يكون منهم؟ وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح إلا واحد؟ وهل مثله إلا مثل من وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة فقتل به مؤمنا؟ أما يطبق العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق في فروته كما يذمون القاتل، بل إنحاؤهم باللوائم على الواهب أشد؟ قلت: قد علمنا أن الله عز وجل حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه، فقد علمنا أن أفعاله كلها حسنة، وخلق فاعل القبيح فعله، فوجب أن يكون حسنا وأن يكون له وجه حسن، وخفاء وجه الحسن علينا لا يقدح في حسنه، كما لا يقدح في حسن أكثر مخلوقاته جهلنا بداعي الحكمة إلى خلقها. ﴿خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور﴾ بالحق بالغرض الصحيح والحكمة البالغة، وهو أن جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم. ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ وقرئ: صوركم بالكسر، لتشكروا. ﴿وإليه المصير﴾ فيجازيكم

على الشكر والتفريط فيه. فإن قلت: كيف أحسن صورهم؟ قلت: جعلهم أحسن الحيوان كله وأبهاه، بدليل أن الإنسان لا يتمنى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور، ومن حسن صورته أنه خلق منتصبا غير منكب، كما قال الله عز وجل: ﴿في أحسن تقويم﴾. فإن قلت: كم من دميم مشوه الصورة سمج الخلقة تقتحمه العيون؟ قلت: لا سماجة ثم، ولكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب، فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا وإضافتها إلى الموفي عليها لا تستملح، وإلا فهي داخلة في حيز الحسن غير خارجة عن حده، ألا ترى أنك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها، ثم ترى أملح منها وأعلى في مراتب الحسن فينبو عن الأولى طرفك وتستثقل النظر إليها بعد افتتانك بها وتهالكك عليها. وقالت الحكماء: شيئان لا غاية لهما: الجمال والبيان. نبه بعلمه ما في السموات والأرض، ثم بعلمه بما يسره العباد ويعلنونه، ثم بعلمه بذوات الصدور، أن شيئا من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه، فحقه أن يتقى ويحذر ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه. وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد، وكل ما ذكره بعد قوله: فمنكم كافر ومنكم مؤمن، كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وإنكار أن يعصي الخالق ولا تشكر نعمته، فما أجهل من يمزج الكفر بالخلق ويجعله من جملته، والخلق أعظم نعمة من الله تعالى على عباده، والكفر أعظم كفران من العباد لربهم. ﴿ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد﴾ ألم يأتكم الخطاب لكفار مكة. وذلك إشارة إلى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما أعد لهم من العذاب في الآخرة. بأنه: بأن الشأن والحديث كانت تأتيهم رسلهم. أبشر يهدوننا: أنكروا أن يكون الرسل بشرا ولم ينكروا أن يكون الله حجرا. واستغنى الله: أطلق ليتناول كل شيء، ومن جملته إيمانهم وطاعتهم. فإن قلت: قوله تعالى: وتولوا واستغنى الله، يوهم وجود التولي والاستغناء معا، والله تعالى لم يزل غنيا. قلت: معناه: وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم إلى الإيمان ولم يضطرهم إليه مع قدرته على ذلك. ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير﴾ الزعم: ادعاء العلم، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: زعموا مطية الكذب. وعن شريح: لكل شيء كنية، وكنية الكذب زعموا. ويتعدى إلى مفعولين تعدي العلم، قال: ولم أزعمك عن ذلك معزلا. والذين كفروا أهل مكة. بلى إثبات لما بعد لن، وهو البعث. وذلك على الله يسير أي لا يصرفه عنه صارف. وعني برسوله والنور محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن. ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير﴾ وقرئ: نجمعكم ونكفر وندخله بالياء والنون. فإن قلت: بم انتصب الظرف؟ قلت: بقوله: لتنبؤن، أو بخبير لما فيه من معنى الوعيد، كأنه قيل: والله معاقبكم يوم يجمعكم، أو بإضمار اذكر. ليوم الجمع: ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون. التغابن: مستعار من تغابن القوم في التجارة، وهو أن يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الأشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء، ونزول الأشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء. وفيه تهكم بالأشقياء لأن نزولهم ليس بغبن. وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من عبد يدخل الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا، وما من عبد يدخل النار إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة. ومعنى ذلك يوم التغابن، وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم، استعظام له، وأن تغابنه هو التغابن في الحقيقة، لا التغابن في أمور الدنيا وإن جلت وعظمت. صالحا: صفة للمصدر، أي عملا صالحا. ﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ إلا بإذن الله: إلا بتقديره ومشيئته، كأنما أذن للمصيبة أن تصيبه. يهد قلبه: يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير. وقيل: هو الاسترجاع عند المصيبة. وعن الضحاك: يهد قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه

لم يكن ليصيبه ● وعن مجاهد ان ابتلي صبر وان اعطي شكر وان ظلم غفر ● وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول والقلب
مرفوع او منصوب ووجه النصب ان يكون مثل سفه نفسه اي يهد في قلبه ● ويجوز ان يكون المعنى ان الكافر ضال عن قلبه
بعيد منه والمؤمن واجد له مهتد اليه كقوله تعالى لمن كان له قلب ● وقرئ نهد قلبه بالنون ويهدأ قلبه بمعنى
يطمئن ويهدا ويهد على التخفيف ● والله بكل شيء عليم يعلم ما يؤثر فيه اللطف من القلوب مما
لا يؤثر فيه فيمنحه ويمنعه ● فان توليتم فلا علينا اذا توليتم لانه لم يكتب علينا طاعتكم انما كتب علينا ان نبلغ
ونبين فحسب ● الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون ● وعلى الله فليتوكل المؤمنون بعث لرسول الله صلى
الله عليه وسلم على التوكل عليه والتقوي به في امره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه ● يا ايها الذين آمنوا ان من
ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم ● ان من الازواج
ازواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم ● ومن الاولاد اولادا يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم
الغصص والاذى ● فاحذروهم الضمير للعدو او للازواج والاولاد جميعا اي لما علمتم ان هؤلاء لا يخلون من عدو
فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم ● وان تعفوا عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها
فان الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم ● وقيل ان ناسا ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا
تنطلق وتضيعنا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين ارادوا
ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو ● وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا
عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر
والصلة ● وقيل كان عوف بن مالك الاشجعي ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو تعلقوا به وبكوا اليه ورققوه فكأنه هم
باذاهم فنزلت ● انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم ● فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا
واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ● فتنة بلاء ومحنة لانهم يوقعون
في الاثم والعقوبة ولا بلاء اعظم منهما الا ترى الى قوله والله عنده اجر عظيم ● وفي الحديث يؤتى برجل يوم القيامة
فيقال اكل عياله حسناته ● وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات ● وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه
كان يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يعثران ويقومان فنزل اليهما فاخذهما ووضعهما في
حجره على المنبر فقال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة رأيت هذين الصبيين فلم اصبر عنهما ثم اخذ في
خطبته ● وقيل اذا امكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل الى الاموال والاولاد عنهما ● ما استطعتم جهدكم
ووسعكم اي ابذلوا فيها استطاعتكم ● واسمعوا ما توعظون به ● واطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون
عنه ● وانفقوا في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها ● خيرا لانفسكم نصب بمحذوف تقديره
ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهذا تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان
هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما انتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا ● ان تقرضوا
الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم ● عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ●
وذكر القرض تلطف في الاستدعاء ● يضاعفه لكم يكتب لكم بالواحدة عشرة وسبعمائة الى ما شاء من الزيادة
وقرئ يضعفه ● شكور مجاز اي يفعل بكم ما يفعل المبالغ في الشكر من عظيم الثواب وكذلك حليم يفعل بكم ما يفعل
من يحلم عن المسيء فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم ● عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة

سورة الطلاق مدنية وهي احدى عشرة او اثنتا عشرة او ثلاث عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم ● يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا
العدة واتقوا الله ربكم ● خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبي صلى الله عليه وسلم

امام امته

امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا
لترؤسه وانه مدرة قومه ولسانهم والذي يصدرون عن رايه ولا يستبدون بامر دونه فكان هو وحده
في حكم كلهم وسادا مسد جميعهم ● ومعنى اذا طلقتم النساء اذا اردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل
المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه ومنه
كان الماشي الى الصلاة والمنتظر لها في حكم المصلي ● فطلقوهن لعدتهن فطلقوهن مستقبلات لعدتهن كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم
اي مستقبلا لها ● وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبل عدتهن ● واذا طلقت المرأة في الطهر
المتقدم للقرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يجامعن
فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة وابعده من الندم ويدل عليه ما روي
عن ابراهيم النخعي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون ان لا يطلقوا ازواجهم للسنة الا واحدة
ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضي العدة وكان احسن عندهم من ان يطلق الرجل ثلاثا في ثلاثة اطهار ● وقال
مالك بن انس رضي الله عنه لا اعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت او متفرقة
واما ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله فانما كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد فاما مفرقا في الاطهار فلا لما
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابن عمر رضي الله عنهما حين طلق امرأته وهي حائض ما هكذا امرك
الله انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة ● وروي انه قال لعمر رضي الله عنه مر
ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها
النساء ● وعند الشافعي رضي الله عنه لا بأس بارسال الثلاث وقال لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة
وهو مباح فمالك رحمه الله عليه يراعي في طلاق السنة الواحدة والوقت وابو حنيفة رحمه الله يراعي التفريق
والوقت والشافعي رضي الله عنه يراعي الوقت وحده ● فان قلت هل يقع الطلاق المخالف للسنة قلت
نعم وهو آثم لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا طلق امرأته ثلاثا بين يديه فقال اتلعبون بكتاب الله
وانا بين اظهركم ● وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما انه قال يا رسول الله ارأيت لو طلقتها ثلاثا قال اذن عصيت
وبانت منك امرأتك ● وعن عمر رضي الله عنه انه كان لا يؤتى برجل طلق امرأته ثلاثا الا اوجعه ضربا واجاز
ذلك عليه ● وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه وجماعة من التابعين رضوان الله عليهم ان من خالف السنة
في الطلاق فاوقعه في حيض او ثلاث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف ● فان قلت كيف
تطلق للسنة التي لا تحيض لصغر او كبر او حمل او غير المدخول بها قلت الصغيرة والآيسة والحامل كلهن عند ابي حنيفة
وابي يوسف رحمهما الله تعالى يفرق عليهن الثلاث في الاشهر وخالفهما محمد وزفر في الحامل وقالا لا تطلق للسنة
الا واحدة ● واما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة الا واحدة ولا يراعى الوقت ● فان قلت هل يكره ان تطلق
المدخول بها واحدة بائنة قلت اختلفت الرواية فيه عن اصحابنا والظاهر الكراهة ● فان قلت قوله
اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقراء والآيسات والصغائر والحوامل
فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء المدخول بهن قلت لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث من
الانس وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وفي بعضهن فجاز ان يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن
علم انه اطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض ● واحصوا العدة واضبطوها بالحفظ واكملوها ثلاثة
اقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن ● لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة
وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ● لا تخرجوهن حتى تنقضي عدتهن من بيوتهن
من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى
فان قلت ما معنى الجمع بين اخراجهن وخروجهن قلت معنى الاخراج ان لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن

وكراهة لمساكنتهن او لحاجة لهم الى المساكن وان لا ياذنوا لهن في الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لا اثر
له في رفع الحظر ولا يخرجن بانفسهن ان اردن ذلك • الا ان ياتين بفاحشة مبينة قرئ بفتح الياء وكسرها
قيل هي الزنا يعني الا ان يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن • وقيل الا ان يطلقن على النشوز والنشوز يسقط
حقها في السكنى • وقيل الا ان يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن وتؤكده قراءة ابي رضي الله عنه الا ان يفحشن عليكم
وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه • لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا • الامر الذي
يحدثه الله ان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه
فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون • فاذا بلغن
اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوي عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم
يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر • فاذا بلغن اجلهن وهو آخر العدة وشارفنه فانتم بالخيار
ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان • وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو
ان يراجعها في آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها • واشهدوا يعني عند الرجعة والفرقة
جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة رحمة الله عليه كقوله عز وجل واشهدوا اذا تبايعتم • وعند ابي
هو واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة • وقيل فائدة الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها
ولئلا يموت احدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث • منكم قال الحسن رحمه الله من المسلمين • وعن قتادة من احراركم
لله لوجهه خالصا وذلك ان تقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع
الظلم كقوله عز وجل كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم اي حكم الحث على اقامة الشهادة لوجه الله
ولاجل القيام بالقسط يوعظ به • ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على
الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا • ومن يتق الله يجوز ان تكون جملة اعتراضية
مؤكدة لما سبق من اجراء امر الطلاق على السنة وطريقه الاحسن والابعد من الندم ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة
ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فاشهد يجعل الله له مخرجا مما في شان الازواج من الغموم والوقوع
في المضايق ويفرج عنه وينفس ويعطه الخلاص • ويرزقه من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه ان اوفى المهر وادى
الحقوق والنفقات وقل ماله • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عمن طلق ثلاثا او الفا هل له من مخرج فتلاها
• وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن ذلك فقال لم تتق الله فلم يجعل لك مخرجا بانت منك بثلاث والزيادة اثم
في عنقك • ويجوز ان يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به يعني ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت
ومن شدائد يوم القيامة • وقال صلى الله عليه وسلم اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها
ويعيدها • وروي ان عوف بن مالك الاشجعي رحمة الله عليه اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اسر ابني وشكى اليه الفاقة فقال ما امسى عند آل محمد الا مد فاتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل
فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية • بالغ
امره اي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب • وقرئ بالغ امره بالاضافة وبالغ امره بالرفع اي نافذ امره
وقرئ بالغا امره على ان قوله قد جعل الله خبر ان وبالغا حال • قدرا تقديرا وتوقيتا وهذا بيان
لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا
التسليم للقدر والتوكل • واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن
واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن • روي ان ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائي
لا يحضن فنزلت فمعنى ان ارتبتم ان اشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن • وقيل ان ارتبتم في دم

البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين او هو دم حيض او استحاضة فعدتهن
ثلاثة اشهر واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها اولى بذلك واللائي لم يحضن هن الصغائر ومعناه
فعدتهن ثلاثة اشهر فحذف لدلالة المذكور عليه • اللفظ مطلق في اولات الاحمال فاشتمل على المطلقات والمتوفى
عنهن وكان ابن مسعود وابي وابو هريرة رضي الله عنهم وغيرهم لا يفرقون • وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما
عدة الحامل المتوفى عنها ابعد الاجلين • وعن عبد الله من شاء لاعنته لانزلت سورة النساء القصرى بعد التي
في البقرة يعني ان هذا اللفظ مطلق في الحوامل • وروت ام سلمة رضي الله عنها ان سبيعة الاسلمية ولدت بعد
وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فانكحي • ومن يتق الله يجعل
له من امره يسرا • ذلك امر الله انزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا • يجعل له
من امره يسرا ييسر له من امره ويحلل له من عقده بسبب التقوى • ذلك امر الله يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات
والمعنى ومن يتق الله في العمل بما انزل الله من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه مما ذكر من الاسكان وترك
الضرار والنفقة على الحوامل وايتاء اجر المرضعات وغير ذلك استوجب تكفير السيئات والاجر العظيم • اسكنوهن
من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى
يضعن حملهن • اسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله تعالى ومن يتق الله كانه قيل كيف نعمل
بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن • فان قلت من في من حيث سكنتم ما هي قلت هي من التبعيضية
مبعضها محذوف معناه اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من ابصارهم
اي بعض ابصارهم • قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد فاسكنها في بعض جوانبه • فان قلت فقوله من
وجدكم قلت هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كانه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم
مما تطيقونه • والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث • والسكنى والنفقة واجبتان لكل مطلقة
وعند مالك والشافعي رحمهما الله ليس للمبتوتة الا السكنى ولا نفقة لها • وعن الحسن وحماد رحمهما الله لا نفقة
لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها ان زوجها ابت طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا سكنى لك ولا نفقة • وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لعلها نسيت او شبه لها
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة • ولا تضاروهن ولا تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا
عليهن في المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا يوافقهن او يشغل مكانهن او غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج
وقيل هو ان يراجعها اذا بقي من عدتها يومان ليضيق عليها امرها • وقيل هو ان يلجئها الى ان تفتدي منه • فان قلت
فاذا كانت كل مطلقة عندكم تجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن • قلت
فائدته ان مدة الحمل ربما طالت فظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحائل فنفى ذلك الوهم • فان قلت
فما تقول في الحامل المتوفى عنها • قلت هي مختلف فيها فاكثرهم على انه لا نفقة لها لوقوع الاجماع على ان من اجبر
الرجل على النفقة عليه من امرأة او ولد صغير لا يجب ان ينفق عليه من ماله بعد موته فكذلك الحامل • وعن علي وعبد الله وجماعة
رضوان الله عليهم انهم اوجبوا نفقتها • فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم
فسترضع له اخرى • فان ارضعن لكم يعني هؤلاء المطلقات ان ارضعن لكم ولدا من غيرهن او منهن بعد انقطاع
عصمة الزوجية • فآتوهن اجورهن حكمهن في ذلك حكم الاظآر • ولا يجوز عند ابي حنيفة رحمه الله الاستئجار اذا
كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي رضي الله عنه • الائتمار بمعنى التآمر كالاشتوار بمعنى التشاور يقال
ائتمر القوم وتآمروا اذا امر بعضهم بعضا والمعنى وليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والامهات بمعروف
بجميل وهو المسامحة وان لا يماكس الاب ولا تعاسر الام لانه ولدهما معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه
وان تعاسرتم فسترضع له اخرى فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الام ترضعه وفيه طرف من معاتبة الام

على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية وانت ملوم وقوله
له اي للاب اي سيجد الاب غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته امه لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر
عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا
لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما امر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات
كما قال ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقرئ لينفق بالنصب اي شرعنا ذلك
لينفق وقرأ ابن ابي عبلة قدّر سيجعل الله موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح ابواب الرزق عليهم او لفقراء الازواج ان
انفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا وكأين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا
شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا اعد الله لهم عذابا شديدا
عتت عن امر ربها اعرضت عنه على وجه العتو والعناد حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة عذابا
نكرا وقرئ نكرا منكرا عظيما فالمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر
وجيء به على لفظ الماضي كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونحو ذلك لان المنتظر من وعد الله ووعيده
ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكأن قد كان وقوله اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه
مترقبا كأنه قال اعد الله لهم هذا العذاب فليكن لكم ذلك يا اولي الالباب من المؤمنين لطفا في تقوى الله وحذر
عقابه ويجوز ان يراد احصاء السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا واثباتها في صحائف الحفظة
وما اصيبوا به من العذاب في العاجل وان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا
لكأين فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات
ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا رسولا هو جبريل عليه الصلاة والسلام
ابدل من ذكرا لانه وصف بتلاوة آيات الله فكان انزاله في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه او اريد بالذكر الشرف
من قوله عز وجل ذكره وانه لذكر لك ولقومك فابدل منه كأنه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه
ذو مجد وشرف عند الله كقوله سبحانه وتعالى عند ذي العرش مكين او جعل لكثرة ذكره لله وعبادته كأنه
ذكر او اريد ذا ذكر اي ملكا مذكورا في السموات وفي الامم كلها او دل قوله انزل الله اليكم ذكرا على ارسل فكأنه
قيل ارسل رسولا او اعمل ذكرا في رسولا اعمال المصدر في المفاعيل اي انزل الله ان ذكر رسولا او ذكره رسولا وقرئ
رسول على هو رسول انزله ليخرج الذين آمنوا بعد انزاله اي ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح
لانهم كانوا وقت انزاله غير مؤمنين وانما آمنوا بعد الانزال والتبليغ او ليخرج الذين عرف منهم انهم يؤمنون قرئ
ندخله بالياء والنون قد احسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمن من الثواب الله الذي خلق
سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط
بكل شيء علما الله الذي خلق مبتدأ وخبر وقرئ مثلهن بالنصب عطفا على سبع سموات وبالرفع على الابتداء
وخبره من الارض قيل ما في القرآن آية تدل على ان الارضين سبع الا هذه وقيل بين كل سماءين مسيرة خمسمائة
عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وحكمه بينهن وملكه
ينفذ فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما
يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين
خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن لتعلموا قرئ بالياء والتاء عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله ورسوله

سورة التحريم مدنية وتسمى سورة النبي صلى الله عليه وسلم وهي ثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك
والله غفور رحيم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة رضي الله عنها وعلمت بذلك
حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عائشة
رضي الله عنها وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها
واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية وروي ان عمر رضي الله عنه قال لها لو كان في آل الخطاب خير
لما طلقك فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة رضي الله عنهما فقالتا
له انا نشم منك ريح المغافير وكان يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما احل الله
لك من ملك اليمين او من العسل تبتغي اما تفسير لتحرم او حال او استئناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد
ان يحرم ما احل الله لان الله عز وجل انما احل ما احل لحكمة ومصلحة عرفها في احلاله فاذا حرم كان ذلك
قلب المصلحة مفسدة والله غفور قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلم يؤاخذك به قد فرض الله
لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فيه معنيان احدهما قد
شرع الله لكم الاستثناء في ايمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيها ومنه حلا ابيت اللعن
بمعنى استثن في يمينك اذا اطلقتها وذلك ان يقول ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث والثاني قد شرع لكم تحليلها
بالكفارة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا يموت لرجل ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم وقول ذي الرمة قليلا
كتحليل الالي فان قلت ما حكم تحريم الحلال قلت قد اختلف فيه فابو حنيفة رحمه الله يراه يمينا
في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله او امة فعلى وطئها او زوجة
فعلى الايلاء منها اذا لم يكن له نية وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك ان نوى ثنتين
وان نوى ثلاثا فكما نوى وان قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله ولا يدين في القضاء بابطال الايلاء وان قال
كل حلال علي حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي رضي الله عنه يمينا ولكن سببا
في الكفارة في النساء وحدهن وان نوى الطلاق فهو رجعي عنده وعن ابي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت رضي
الله عنهم اجمعين ان الحرام يمين وعن عمر رضي الله عنه اذا نوى الطلاق فطلاق رجعي وعن علي رضي الله عنه
ثلاث وعن زيد واحدة بائنة وعن عثمان رضي الله عنه ظهار وكان مسروق لا يراه شيئا ويقول ما ابالي احرمتها
ام قصعة من ثريد وكذلك عن الشعبي قال ليس بشيء محتجا بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال
وهذا حرام وقوله تعالى لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وما لم يحرمه الله فليس لاحد ان يحرمه ولا ان يصير بتحريمه
حراما ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما احل الله هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت
منه وهو قوله عليه الصلاة والسلام والله لا اقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع منه بسبب اليمين
يعني اقدم على ما حلفت عليه وكفر عن يمينك ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل اي منعناه منها وظاهر
قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم انه كانت منه يمين فان قلت هل كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم
لذلك قلت عن الحسن رحمه الله انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانما هو تعليم
للمؤمنين وعن مقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة في تحريم مارية والله مولاكم سيدكم ومتولي اموركم
وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم فلا يأمركم ولا ينهاكم الا بما توجبه الحكمة وقيل مولاكم اولى بكم من
انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم لانفسكم واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت
به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير
بعض ازواجه حفصة والحديث الذي اسر اليها حديث مارية وامامة الشيخين نبأت به افشته الى عائشة

وقرئ أنبأك به. وأظهره وأطلعه الله النبي صلى الله عليه وسلم على الحديث أي على إفشائه على لسان جبريل
عليه الصلاة والسلام. وقيل أظهر الله الحديث على النبي صلى الله عليه وسلم من الظهور. عرّف بعضه أعلم ببعض الحديث
تكرما. قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام. وقرئ عرَف بعضه أي جازى عليه من قولك للمسيء
لأعرفن لك ذلك وقد عرفت ما صنعت ومنه أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير في القرآن وكان جزاؤه
تطليقه إياها. وقيل المعرّف حديث الإمامة والمعرض عنه حديث مارية. وروي أنه قال لها ألم أقل لك
اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها أباها. **فإن قلت** هلا
قيل فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه. **قلت** ليس الغرض بيان من المذاع إليه وإنما هو ذكر جناية
حفصة في وجود الإنباء به وإفشائه من قبلها وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرمه وحلمه لم يوجد منه إلا
الإعلام ببعضه وهو حديث الإمامة ألا ترى أنه لما كان المقصود في قوله فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا
ذكر المنبأ كيف أتى بضميره. إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل
وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير. إن تتوبا خطاب لحفصة وعائشة رضي الله عنهما على طريقة
الالتفات ليكون أبلغ في معاتبتهما. وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم أزل حريصا على أن أسأل عمر رضي الله عنه عنهما
حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالإداوة فسكبت الماء على يديه فتوضأ فقلت من هما
فقال عجبا يا ابن عباس كأنه كره ما سألته عنه ثم قال هي حفصة وعائشة رضي الله عنهما. فقد صغت قلوبكما فقد وجد
منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة النبي صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه
وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فقد زاغت. وإن تظاهرا وإن تعاونا عليه بما يسوؤه من الإفراط في الغيرة وإفشاء
سره فلن يعدم هو من يظاهره وكيف يعدم المظاهر من الله مولاه أي وليه وناصره. وزيادة هو إيذان بأن نصرته
عزيمة من عزائمه وأنه يتولى ذلك بذاته. وجبريل رأس الكروبيين. وقرن ذكره بذكره مفردا له من الملائكة تعظيما
له وإظهارا لمكانته عنده. وصالح المؤمنين ومن صلح من المؤمنين يعني كل من آمن وعمل صالحا. وعن سعيد بن جبير
رضي الله عنه من برئ منهم من النفاق. وقيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وقيل الصحابة. وقيل الخلفاء
منهم. **فإن قلت** صالح المؤمنين واحد أم جمع. **قلت** هو واحد أريد به الجنس كقولك لا يفعل هذا الصالح
من الناس تريد الجنس كقولك لا يفعله من صلح منهم ومثله قولك كنت في السامر والحاضر. ويجوز أن يكون أصله صالحو المؤمنين
بالواو فكتب بغير واو على اللفظ لأن لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاءت أشياء في المصحف متبوع فيها حكم اللفظ دون وضع
الخط. والملائكة على تكاثر عددهم وامتلاء السماوات من جموعهم بعد ذلك بعد نصرة الله وناموسه وصالحي المؤمنين ظهير
فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه. **فإن قلت** قوله بعد ذلك
تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين ونصرة الله أعظم وأعظم. **قلت** مظاهرة
الملائكة من جملة نصرة الله فكأنه فضل نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم على جميع خلقه. وقرئ
تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا. عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات
تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا. قرئ يبدله بالتخفيف والتشديد للكثرة. مسلمات مؤمنات
مقرات مخلصات. سائحات صائمات. وقرئ سيحات وهي أبلغ. وقيل للصائم سائح لأن السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا
إلى أن يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في إمساكه إلى أن يجيء وقت إفطاره. وقيل سائحات مهاجرات. وعن زيد بن أسلم لم تكن في
هذه الأمة سياحة إلا الهجرة. **فإن قلت** كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الأرض نساء خير من
أمهات المؤمنين. **قلت** إذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعصيانهن له وإيذائهن إياه لم يبقين على
تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الصفات مع الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والنزول على هواه
ورضاه خيرا منهن. وقد عرض بذلك في قوله قانتات لأن القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة

رسوله. **فإن قلت** لم أخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والأبكار. **قلت** لأنهما صفتان
متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في سائر الصفات فلم يكن بد من الواو. يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم
وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
ما يؤمرون. قوا أنفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات. وأهليكم بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم. وفي الحديث
رحم الله رجلا قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعكم معهم في الجنة.
وقيل إن أشد الناس عذابا يوم القيامة من جهّل أهله. وقرئ وأهلوكم عطفا على واو قوا وحسن العطف للفاصل.
فإن قلت أليس التقدير قوا أنفسكم وليق أهلوكم أنفسهم. **قلت** لا ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو
وأنفسكم واقع بعده فكأنه قيل قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا
على لفظ المخاطب. نارا وقودها الناس والحجارة نوعا من النار لا تتقد إلا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران
بالحطب. وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي حجارة الكبريت وهي أشد الأشياء حرا إذا أوقد عليها. وقرئ وُقودها
بالضم أي ذو وقودها. عليها يلي أمرها وتعذيب أهلها ملائكة يعني الزبانية التسعة عشر وأعوانهم
غلاظ شداد في أجرامهم غلظة وشدة أي جفاء وقوة أو في أفعالهم جفاء وخشونة لا تأخذهم
رأفة في تنفيذ أوامر الله والغضب له والانتقام من أعدائه. ما أمرهم في محل النصب على البدل
أي لا يعصون ما أمر الله أي أمره كقوله تعالى أفعصيت أمري أو لا يعصونه فيما أمرهم. **فإن قلت**
أليست الجملتان في معنى واحد. **قلت** لا فإن معنى الأولى أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ولا يأبونها
ولا ينكرونها ومعنى الثانية أنهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه. **فإن قلت**
قد خاطب الله عز وجل المشركين المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي
وقودها الناس والحجارة وقال أعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته به المؤمنين.
قلت الفساق وإن كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فإنهم مساكنون الكفار في دار واحدة فقيل للذين آمنوا
قوا أنفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين أعدت لهم هذه النار الموصوفة. ويجوز أن يأمرهم بالتوقي من الارتداد
والندم على الدخول في الإسلام وأن يكون خطابا للذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون ويعضد ذلك قوله على
أثره يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون. يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا
اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون. أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لأنه لا عذر لكم أو لأنه
لا ينفعكم الاعتذار. يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم
ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار. توبة نصوحا وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي والنصح
صفة التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها على طريقها متداركة للفرطات ماحية للسيئات وذلك
أن يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين أشد الاغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لا يعودون في قبيح من
القبائح إلى أن يعود اللبن في الضرع موطنين أنفسهم على ذلك. وعن علي رضي الله عنه أنه سمع أعرابيا يقول
اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك فقال يا هذا إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها
ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الإعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن
تعزم على أن لا تعود وأن تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعات كما
أذقتها حلاوة المعاصي. وعن حذيفة رضي الله عنه بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه.
وعن شهر بن حوشب أن لا يعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار. وعن ابن السماك أن تنصب الذنب الذي أقللت فيه
الحياء من الله أمام عينك وتستعد لمنتظرك. وقيل توبة لا يتاب منها. وعن السدي لا تصح التوبة إلا بنصيحة
النفس والمؤمنين لأن من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله. وقيل نصوحا من نصاحة الثوب أي توبة ترفو

خير وقال في بيتك عن نوم خلات. وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح إذا خلص من الشمع. ويجوز أن يراد توبة
تنصح الناس أي تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها. وعن
زيد بن علي رضي الله عنهما توبا نصحا. وقرئ نصوحا بالضم وهو مصدر نصح والنصح والنصوح كالشكر والشكور
والكفر والكفور أي ذات نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا لنصح أنفسكم على أنه مفعول له. عسى ربكم إطماع من الله تعالى
لعباده وفيه وجهان أحدهما أن يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الإجابة بلعل وعسى ووقوع ذلك منهم
موقع القطع والبت. والثاني أن يجيء به تعليما للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجاء. والذي يدل على المعنى الأول
وأنه في معنى البت قراءة ابن أبي عبلة ويدخلكم بالجزم عطفا على محل عسى أن يكفر كأنه قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم
ويدخلكم. يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا
أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير. يوم لا يخزي الله نصب بيدخلكم ولا يخزي تعريض بمن أخزاهم الله من أهل
الكفر والفسوق واستحماد إلى المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم. يسعى نورهم على الصراط. أتمم لنا نورنا
قال ابن عباس رضي الله عنهما يقولون ذلك إذا طفئ نور المنافقين إشفاقا. وعن الحسن رحمه الله الله متممه لهم
ولكنهم يدعون تقربا إلى الله كقوله تعالى واستغفر لذنبك وهو مغفور له. وقيل يقوله أدناهم منزلة لأنهم يعطون
من النور قدر ما يبصرون به مواطئ أقدامهم لأن النور على قدر الأعمال فيسألون إتمامه تفضلا. وقيل السابقون
إلى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا فأولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا
نورنا. فإن قلت كيف يشفقون والمؤمنون آمنون أم من يأتي آمنا يوم القيامة لا خوف عليهم ولا يحزنهم الفزع الأكبر
أو كيف يتقربون وليست الدار دار تقرب. قلت أما الإشفاق فيجوز أن يكون على عادة البشرية وإن كانوا معتقدين
الأمن. وأما التقرب فلما كانت حالهم كحال المتقربين حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا والله أعلم
يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير. جاهد الكفار
بالسيف والمنافقين بالاحتجاج واستعمل الغلظة والخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة
وعن قتادة مجاهدة المنافقين بإقامة الحدود عليهم. وعن مجاهد بالوعيد. وقيل بإفشاء أسرارهم
ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما
فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين. مثل الله عز وجل حال الكفار في أنهم يعاقبون
على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير إبقاء ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم
وبينهم من لحمة نسب أو وصلة صهر لأن عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم
أبعد من الأجانب وأبعد وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيا من أنبياء الله تعالى بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما
نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج إغناء ما من عذاب الله
وقيل لهما عند موتهما أو يوم القيامة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام
أو مع داخليها من إخوانكما من قوم نوح وقوم لوط عليهما الصلاة والسلام. ومثل حال المؤمنين في أن وصلة الكافرين
لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله تعالى مع كونها زوجة لأعدى
أعداء الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء
العالمين مع أن قومها كانوا كفارا. وفي طي هذين التمثيلين تعريض بأمي المؤمنين المذكورتين في أول السورة وما فرط
من تظاهرهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده لما في التمثيل من ذكر الكفر
ونحوه في التغليظ قوله تعالى ومن كفر فإن الله غني عن العالمين وإشارة إلى أن من حقهما أن تكونا في الإخلاص والكمال
كمثل هاتين المؤمنتين وأن لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك الفضل لا ينفعهما إلا
مع كونهما مخلصتين. والتعريض بحفصة أرجح لأن امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله صلى الله

عليه وسلم وأسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفطن العالم ويزل عن
تبصره. فإن قلت ما فائدة قوله من عبادنا. قلت لما كان مبنى التمثيل على وجود الصلاح في الإنسان
كائنا من كان وأنه وحده هو الذي يبلغ به الفوز وينال ما عند الله تعالى قال عبدين من عبادنا صالحين
فذكر النبيين المشهورين العليين بأنهما عبدان لم يكونا إلا كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم إلا
بالصلاح وحده إظهارا وإبانة لأن عبدا من العباد لا يرجح عنده إلا بالصلاح لا غير وأن ما سواه مما يرجح به الناس
عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده. فإن قلت ما كانت خيانتهما. قلت نفاقهما وإبطانهما الكفر وتظاهرهما
على الرسولين فامرأة نوح عليه الصلوة والسلام قالت لقومه إنه مجنون وامرأة لوط عليه الصلوة والسلام
دلت على ضيفانه. ولا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور لأنه سمج في الطباع نقيصة عند كل أحد بخلاف الكفر فإن
الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونه حقا. وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما بغت امرأة نبي قط
وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله
ونجني من القوم الظالمين. وامرأة فرعون آسية رضي الله عنها بنت مزاحم. وقيل هي عمة موسى عليه الصلوة
والسلام آمنت حين سمعت بتلقف عصى موسى الإفك فعذبها فرعون. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن فرعون
وتد امرأته بأربعة أوتاد واستقبل بها الشمس وأضجعها على ظهرها ووضع رحى على صدرها. وقيل أمر بأن
يلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقي بروحها فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه. وعن الحسن رحمه الله
نجاها الله أكرم نجاة فرفعها إلى الجنة فهي تأكل وتشرب وتنعم فيها. وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة
أريت بيتها في الجنة يبنى. وقيل إنه من درة. وقيل كانت تعذب في الشمس فتظلها الملائكة. فإن قلت ما
معنى الجمع بين عندك وفي الجنة. قلت طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب أعدائه ثم بينت مكان القرب
بقولها في الجنة أو أرادت ارتفاع الدرجة في الجنة وأن تكون جنتها من الجنان التي هي أقرب إلى العرش وهي جنات المأوى
فعبرت عن القرب إلى العرش بقولها عندك. من فرعون وعمله من عمل فرعون أو من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم
وخصوصا من عمله وهو الكفر وعبادة الأصنام والظلم والتعذيب بغير جرم. ونجني من القوم الظالمين من القبط
كلهم وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء إليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين
وسنن الأنبياء. قال [illegible] عليهم الصلوة والسلام فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين ربنا لا تجعلنا
فتنة للقوم الظالمين. ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات
ربها وكتبه وكانت من القانتين. فيه في الفرج. وقرأ ابن مسعود فيها كما قرئ في سورة الأنبياء. والضمير للجسد وقد
مر لي في هذا الظرف كلام. ومن بدع التفاسير أن الفرج هو جيب الدرع. ومعنى أحصنت منعته جبريل عليه الصلوة
والسلام وأنه جمع في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للأرامل وتطييبا لأنفسهن. وصدقت
قرئ بالتشديد والتخفيف على أنها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعني وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق
بعينه. فإن قلت ما كلمات الله وكتبه. قلت يجوز أن يراد بكلماته صحفه التي أنزلها على إدريس عليه الصلوة
والسلام وغيره سماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب الأربعة. وأن يراد جميع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه
في اللوح وغيره. وقرئ بكلمة الله وكتابه أي بعيسى عليه السلام وبالكتاب المنزل عليه وهو الإنجيل. فإن قلت لم قيل
من القانتين على التذكير. قلت لأن القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على إناثه. ومن
للتبعيض. ويجوز أن تكون لابتداء الغاية على أنها ولدت من القانتين لأنها من أعقاب هارون أخي موسى عليهما الصلوة
والسلام. وعن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع آسية بنت مزاحم
رضي الله عنها امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد عليه الصلوة والسلام
وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. وأما ما روي أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف سمى الله المسلمة تعني مريم ولم يسم الكافرة فما لفظها قالت فما اسمها قال اسم امرأة نوح واعلة واسم امرأة لوط واهلة فحديث اثر الصنعة عليه ظاهر بين لقد سمى الله عز وجل جماعة من الكفار باسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمى آسية وقد قرن بينها وبين مريم عليهما السلام في التمثيل للمؤمنين وابى الله الا ان يجعل للمصنوع امارة تنم عليه وكلام النبي صلى الله عليه وسلم احكم واسلم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا صدق الله وصدق رسوله الكريم

سورة الملك [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور تبارك تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين الذي بيده الملك على كل موجود وهو على كل ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة قدير وذكر اليد مجاز عن الاحاطة بالملك والاستيلاء عليه والحيوة ما يصح بوجوده الاحساس وقيل ما يوجب كون الشيء حيا وهو الذي يصح ان يعلم ويقدر والموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحيوة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحيوتكم ايها المكلفون ليبلوكم وسمي علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر فان قلت من اين تعلق قوله ايكم احسن عملا بفعل البلوى قلت من حيث انه تضمن معنى العلم فكأنه قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا واذا قلت علمته ازيد احسن عملا ام هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو احسن عملا فان قلت اتسمي هذا تعليقا قلت لا انما التعليق ان توقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما عمرو وعلمت ازيد منطلق الا ترى انه لا فصل بين ان يتقدم احد المفعولين وبين ان لا يتقدم مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كانت تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت ازيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا احسن عملا قيل اخلصه واصوبه لانه اذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك اذا كان صوابا غير خالص فالخالص ان يكون لوجه الله والصواب ان يكون على السنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلاها فلما بلغ قوله تعالى ايكم احسن عملا قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله يعني ايكم اتم عقلا عن الله وفهما لاغراضه والمراد انه اعطاكم الحيوة التي تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح لان وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت على الحيوة لان اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق له الآية اهم وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب من اهل الاساءة الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت طباقا مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر او على ذات طباق او على طوبقت طباقا من تفاوت وقرئ من تفوت ومعنى البناءين واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظهروا وتعاهدته وتعهدته اي من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض انما هي مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفي نقيضه متناصف فان قلت كيف موقع هذه الجملة مما قبلها قلت هي صفة مشايعة لقوله طباقا واصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب في ما ترى للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل مخاطب وقوله تعالى فارجع البصر متعلق به على معنى التسبيب اخبره بانه لا تفاوت في خلقهن فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير

ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما اخبرت به بالمعاينة ولا تبقى معك شبهة فيه هل ترى من فطور من صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق ومعناه شق اللحم فطلع وامره بتكرير البصر فيهن متصفحا ومتتبعا يتلمس عيبا وخللا يقول لك اي ان رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع اليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وادراك العيب بل يرجع اليك بالخسوء والحسور اي بالبعد عن اصابة الملتمس كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وبالاعياء والكلال لطول الاجالة والترديد فان قلت كيف ينقلب البصر خاسئا حسيرا برجعه كرتين اثنتين قلت معنى التثنية التكرير بكثرة كقولهم لبيك وسعديك يريدون اجابات كثيرة بعضها في اثر بعض وقولهم في المثل دهدرين سعد القين من ذلك اي باطلا بعد باطل فان قلت فما معنى ثم ارجع قلت امره برجع البصر ثم امره بان لا يقتنع بالرجعة الاولى وبالنظرة الحمقاء وان يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاوده ويعاوده الى ان يحسر بصره من طول المعاودة فانه لا يعثر على شيء من فطور ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير الدنيا القربى لانها اقرب السموات الى الناس ومعناها السماء الدنيا منكم والمصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم باثقاب المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح باي مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة وضممنا الى ذلك منافع اخر انا جعلناها رجوما لاعدائكم الشياطين الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات وتهتدون بها في ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله تعالى النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وعن محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض في السماء نجم ولكنهم يتخذون الكهانة سبيلا ويتخذون النجوم علة والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين ان الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لا انهم يرجمون بالكواكب انفسها لانها قارة في الفلك على حالها وما ذاك الا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون واعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة بعد عذاب الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور وللذين كفروا بربهم اي ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير اذا القوا فيها اي طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى به ومثله قوله عز وجل حصب جهنم سمعوا لها شهيقا اما لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها او من انفسهم كقوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق واما للنار تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير وجعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة في الارض وشقة في السماء اذا وصفوه بالافراط فيه ويجوز ان يراد غيظ الزبانية الم يأتكم نذير توبيخ يزدادون به عذابا الى عذابهم وحسرة الى حسرتهم وخزنتها مالك واعوانه من الزبانية قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير قالوا بلى اعتراف منهم بعدل الله واقرار بان الله تعالى ازاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم لم يؤتوا من قدرته كما تزعم المجبرة وانما اتوا من قبل انفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله عز وجل وامر به واوعد على ضده فان قلت ان انتم الا في ضلال كبير من المخاطبون به قلت هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على ان النذير بمعنى الانذار والمعنى الا فعلنا نذير او وصف منذروهم لغلوهم في الانذار كأنهم ليسوا الا انذارا

قد جاءنا نذير ونظيره قوله عز وجل انا رسول رب العالمين اي حامل رسالته • ويجوز ان يكون من كلام الخزنة
للكفار على ارادة القول اراده فحكايته ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا • واراد بالضلال الهلاك او
سمي عقاب الضلال باسمه • او من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة اي قالوا لنا هذا فلم نقبله • وقالوا لو كنا
نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير • فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير • ان الذين يخشون
ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير • من قال السمع الانذار سماع طالبين للحق او نعقله عقل متأملين
وقيل انما جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل • ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب
اصحاب الحديث او على مذهب اصحاب الرأي كان هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكان سائر اصحاب
المذاهب والمجتهدين قد انزل الله وعيدهم وكان من كان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة وعدة المبشرين من الصحابة
عشرة لم يضم اليهم حادي عشر وكان من يجوز على الصراط اكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين • بذنبهم بكفرهم
في تكذيبهم الرسل • فسحقا قرئ بالتخفيف والتثقيل فبعدا لهم • اعترفوا او جحدوا فان ذلك لا ينفعهم • واسروا
قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور • الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير • ظاهره الامر باحد الامرين
الاسرار والاجهار ومعناه ليستو عندكم اسراركم واجهاركم في علم الله بهما • ثم انه علله بانه عليم بذات الصدور
اي بضمائرها قبل ان تترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به • ثم انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلق
الاشياء وحاله انه اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن • ويجوز ان يكون من خلق منصوبا
بمعنى الا يعلم مخلوقه وهذه حاله • وروي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيظهر الله تعالى رسوله
عليها فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمعه اله محمد صلى الله عليه وسلم فنبه على جهلهم • فان قلت قدرت
في الا يعلم مفعولا على معنى الا يعلم ذلك المذكور مما اضمر في القلب واظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطي ويمنع وهلا كان
الا يعلم من خلق يعلم من يخلق لا يصح الا مع العلم • قلت ابت ذلك الحال التي هي قوله تعالى وهو اللطيف الخبير لانك
لو قلت الا يكون عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لان الا يعلم معتمد على الحال والشيء لا يوقت
بنفسه فلا يقال الا يعلم وهو عالم ولكن الا يعلم كذا وهو عالم بكل شيء • هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا
في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور • المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لان المنكبين
وملتقاهما من الغارب ارق شيء من البعير وانباه عن ان يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل
بحيث يمشي في مناكبها لم يترك • وقيل مناكبها جبالها • قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فيها فاذا امكنكم
السلوك في جبالها فهو ابلغ التذليل • وقيل جوانبها • والمعنى واليه نشوركم فهو مسائلكم عن شكر ما انعم به عليكم
أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور • ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا
فستعلمون كيف نذير • ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير • من في السماء فيه وجهان
احدهما من ملكوته في السماء لانها مسكن ملائكته ومنها عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه
واوامره ونواهيه • والثاني انهم كانوا يعتقدون التشبيه وانه في السماء وان الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا
يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان ان يعذبكم
بخسف او بحاصب كما تقول لبعض المشبهة اما تخاف من فوق العرش ان يعاقبك بما تفعل اذا رأيته يركب بعض المعاصي
• فستعلمون قرئ بالتاء والياء • كيف نذير اي اذا رأيتم المنذر به علمتم كيف انذاري حين لا ينفعكم العلم • اولم يروا
الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير • امن هذا الذي هو
جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا في غرور • صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند
طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا • ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن • فان قلت
لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات • قلت لان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة

في الماء والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك
فجيء بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح
• ما يمسكهن الا الرحمن بقدرته وبما دبر لهن من القوادم والخوافي وبنى الاجسام على شكل وخصائص قد تأتى
منها الجري في الجو • انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب • امن هذا الذي يرزقكم ان امسك
رزقه بل لجوا في عتو ونفور • امن يشار اليه من الجموع ويقال هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الله ان ارسل
عليكم عذابه • امن يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز ان يكون
اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم انهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكأنهم الجند الناصر والرازق
ونحوه قوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا • بل لجوا في عتو ونفور بل تمادوا في عناد وشراد عن الحق لثقله عليهم
فلم يتبعوه • افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم • قل هو الذي انشأكم
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون • قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه
تحشرون • يجعل اكب مطاوع كبه يقال كببته فاكب من الغرائب والشواذ ونحوه قشعت الريح السحاب فاقشع
وما هو كذلك ولا شيء من بناء افعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الا حملة كتاب سيبويه وانما اكب من باب انفض
والام ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب وكذلك اقشع السحاب دخل في القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع
فان قلت ما معنى يمشي مكبا على وجهه وكيف قابل يمشي سويا على صراط مستقيم • قلت معناه يمشي
معتسفا في مكان متعاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه منكبا فحاله نقيض
حال من يمشي سويا اي قائما سالما من العثور والخرور • او مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف
الذي ينحرف هكذا وهكذا على طريق مستو • ويجوز ان يريد الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق فيعتسف فلا يزال
ينكب على وجهه وانه ليس كالرجل السوي الصحيح البصير الماشي في الطريق المهتدي له وهو مثل المؤمن والكافر
• وعن قتادة الكافر اكب على معاصي الله فحشره الله يوم القيامة على وجهه • وعن الكلبي عني به ابو جهل بن هشام
وبالسوي رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقيل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه • ويقولون متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين • قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين • فلما رأوه زلفة سيئت
وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون • فلما رأوه الضمير للوعد • والزلفة القرب وانتصابها
على الحال او الظرف اي ذا زلفة او مكانا ذا زلفة • سيئت وجوه الذين كفروا اي ساءت رؤيته وجوههم
بان علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحت كما يكون وجه من يقاد الى القتل او يعرض على بعض العذاب • وقيل
القائلون الزبانية • تدعون تفتعلون من الدعاء اي تطلبون وتستعجلون به • وقيل هو من الدعوى اي كنتم بسببه
تدعون انكم لا تبعثون • وقرئ تدعون • قل ارأيتم ان اهلكني الله
ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم • كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى المؤمنين بالهلاك فامر بان يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما ان نهلك كما تتمنون
فننقلب الى الجنة او نرحم بالنصرة عليكم والاظهار للاسلام كما نرجو فانتم ما تصنعون من يجيركم وانتم كافرون
من عذاب النار لا بد لكم منه • قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين

فإن قلت لم أخر مفعول آمنا وقدم مفعول توكلنا قلت لوقوع آمنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كأنه قيل آمنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما أنتم متكلون عليه من رجالكم وأموالكم • قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين • غورا غائرا ذاهبا في الأرض وعن الكلبي لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل ورضى وعن بعض الشطار أنها تليت عنده فقال تجيء به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينيه نعوذ بالله من الجراءة على الله عز وجل وعلى آياته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر صدق الله ورسوله

سورة ن وهي ثنتان وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون • ما أنت بنعمة ربك بمجنون • وإن لك لأجرا غير ممنون • وإنك لعلى خلق عظيم • قرئ ن والقلم بالبيان والإدغام وبسكون النون وفتحها وكسرها كما في صاد والمراد هذا الحرف من حروف المعجم وأما قولهم هو الدواة فما أدري أهو وضع لغوي أم شرعي ولا يخلو إذا كان اسما للدواة من أن يكون جنسا أو علما فإن كان جنسا فأين الإعراب والتنوين وإن كان علما فأين الإعراب وأيهما كان فلا بد له من موقع في تأليف الكلام فإن قلت هو مقسم به قلت وجب إن كان جنسا أن تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كأنه قيل ودواة والقلم وإن كان علما أن تصرفه وتجره أو لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتأنيث وكذلك التفسير بالحوت إما أن يراد نون من النينان أو يجعل علما للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور أو ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك وأقسم بالقلم تعظيما لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من الفوائد والمنافع التي لا يحيط بها الوصف وما يسطرون وما يكتب من كتب وقيل ما يسطره الحفظة وما موصولة أو مصدرية ويجوز أن يراد بالقلم أصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم أو وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر أو الحفظة فإن قلت بم يتعلق الباء في بنعمة ربك وما محله قلت يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق مثبتا في قولك أنت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك الإثبات والنفي استواءهما في قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا إعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كأنه قال ما أنت مجنونا منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لأنها زائدة لتأكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسبه إليه كفار مكة عداوة وحسدا وأنه من إنعام الله عليه بحصافة العقل والشهامة التي يقتضيها التأهيل للنبوة بمعزل وإن لك على احتمال ذلك وإساغة الغصة فيه والصبر عليه لأجرا لثوابا غير ممنون غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ أو غير ممنون عليك لأنه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وإنما تمن الفواضل لا الأجور على الأعمال استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذي أمره الله به في قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وعن عائشة رضي الله عنها أن سعيد بن هشام سألها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون • فستبصر ويبصرون • بأيكم المفتون • إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين • المفتون المجنون لأنه فتن أي محن بالجنون أو لأن العرب يزعمون أنه من تخبيل الجن وهم الفتان للفتاك منهم والباء مزيدة أو المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أي بأيكم الجنون أو بأي الفريقين منكم الجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بأبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأضرابهما وهذا كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الأشر إن ربك هو أعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله

وهو أعلم بالعقلاء وهم المهتدون أو يكون وعيدا ووعدا وأنه أعلم بجزاء الفريقين • فلا تطع المكذبين • ودوا لو تدهن فيدهنون • ولا تطع كل حلاف مهين • هماز مشاء بنميم • مناع للخير معتد أثيم • عتل بعد ذلك زنيم • تهييج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم وكانوا قد أرادوه على أن يعبد الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم لو تدهن لو تلين وتصانع فيدهنون فإن قلت لم رفع فيدهنون ولم ينصب بإضمار أن وهو جواب التمني قلت قد عدل به إلى طريق آخر وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف أي فهم يدهنون كقوله عز وجل فمن يؤمن بربه فلا يخاف على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ أو ودوا إدهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم في إدهانك قال سيبويه وزعم هارون أنها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله عز وجل ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم مهين من المهانة وهي القلة والحقارة يريد القلة في الرأي والتمييز أو أراد الكذاب لأنه حقير عند الناس هماز عياب طعان وعن الحسن رحمه الله يلوي شدقيه في أقفية الناس مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم والنميم والنميمة السعاية وأنشدني بعض العرب تشببي تشبب النميمة تمشي بها زهرا إلى تميمة مناع للخير بخيل والخير المال أو مناع أهله الخير وهو الإسلام فذكر الممنوع منه دون الممنوع كأنه قال مناع من الخير قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي كان موسرا وكان له عشرة من البنين فكان يقول لهم ولحمته من أسلم منكم منعته رفدي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعنه أنه أبو جهل وعن مجاهد الأسود بن عبد يغوث وعن السدي الأخنس بن شريق أصله في ثقيف وعداده في زهرة ولذلك قيل زنيم معتد مجاوز في الظلم حده أثيم كثير الآثام عتل غليظ جاف من عتله إذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعدما عد له من المثالب والنقائص زنيم دعي قال حسان وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية جعل جفاءه ودعوته أشد معايبه لأنه إذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترأ على كل معصية ولأن الغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الناشئ منها ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظير ثم في قوله عز وعلا ثم كان من الذين آمنوا وقرأ الحسن رحمه الله عتل رفعا على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك والزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لأنه زيادة معلقة بغير أهله • أن كان ذا مال وبنين • إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين • أن كان ذا مال متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب لأن كان ذا مال أي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز أن يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا بالبنين كذب آياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب إذا لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقرئ أأن كان على الاستفهام على لأن كان ذا مال كذب أو أتطيعه لأن كان ذا مال وروى الزبيري عن نافع إن كان بالكسر والشرط للمخاطب أي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لأنه إذا أطاع الكافر لغناه فكأنه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط إلى المخاطب صرف الترجي إليه في قوله تعالى لعله يتذكر • سنسمه على الخرطوم • الوجه أكرم موضع في الجسد والأنف أكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الأنفة وقالوا الأنف في الأنف وحمي أنفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع أنفه ورغم أنفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة لأن السمة على الوجه شين وإذالة فكيف بها على أكرم موضع منه ولقد وسم العباس رضي الله عنه أباعره في وجوهها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها وفي لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة كما عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة بان بها عنهم

وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه. وقيل سنشهره بهذه الشتيمة في الدارين جميعا فلا تخفى
كما لا تخفى السمة على الخرطوم. وعن النضر بن شميل أن الخرطوم الخمر وأن معناه سنحده على شربها وهو تعسف
وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب أو لأنها تطير في الخياشيم. إنا بلوناهم كما
بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم
نائمون. إنا بلونا أهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بلونا أصحاب الجنة وهم قوم
من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي
وكان يترك للمساكين ما أخطأه المنجل وما في أسفل الأكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط
تحت النخلة إذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر
ونحن أولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خفية عن المساكين ولم يستثنوا في يمينهم فأحرق الله
عز وجل جنتهم. وقيل كانوا من بني إسرائيل. مصبحين داخلين في الصبح مبكرين. ولا يستثنون ولا يقولون إن
شاء الله. فإن قلت لم سمي استثناء وإنما هو شرط. قلت لأنه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث أن
معنى قولك لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد. فطاف عليها بلاء أو هلاك طائف كقوله
تعالى وأحيط بثمره. وقرئ طيف. فأصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم
إن كنتم صارمين. فأصبحت كالصريم كالمصروم لهلاك ثمرها. وقيل الصريم الليل أي احترقت فاسودت
وقيل النهار أي يبست وذهبت خضرتها أو لم يبق فيها شيء من قولهم بيض الإناء إذا فرغه. وقيل الصريم الرمال
صارمين حاصدين. فإن قلت هلا قيل اغدوا إلى حرثكم وما معنى على. قلت لما كان الغدو إليه ليصرموه
ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو. ويجوز أن يضمن الغدو معنى الإقبال كقولهم يغدى عليه
بالجفنة ويراح أي فأقبلوا على حرثكم باكرين. فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم
مسكين وغدوا على حرد قادرين. يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفي وخفت وخفد ثلاثتها
في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش. أن لا يدخلنها أن مفسرة وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه بطرحها بإضمار
القول أي يتخافتون يقولون لا يدخلنها. والنهي عن دخول المسكين نهي عن تمكينه منه أي لا تمكنوه من الدخول حتى
يدخل كقولك لا أرينك هاهنا. الحرد من حاردت السنة إذا منعت خيرها وحاردت الإبل إذا منعت درها
والمعنى وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعني أنهم عزموا أن يتنكدوا على المساكين ويحرموهم
وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها إلا على النكد والحرمان وذلك أنهم طلبوا
حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة. أو وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل
كونهم قادرين على إصابة خيرها ومنافعها أي غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع. أو لما قالوا اغدوا
على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله عز وجل بأن حاردت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث وإنما
غدوا على حرد. وقادرين من عكس الكلام للتهكم أي قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين. وعلى حرد
ليس بصلة قادرين. وقيل الحرد بمعنى الحرد. وقرئ على حرد أي لم يقدروا إلا على حنق وغضب بعضهم على بعض
كقوله عز وجل يتلاومون. وقيل الحرد القصد والسرعة يقال حردت حردك. وقال: أقبل سيل جاء من
أمر الله يحرد حرد الجنة المغلة. وقطا حراد سراع يعني وغدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة ونشاط
قادرين عند أنفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها وزي منفعتها عن المساكين. وقيل حرد علم للجنة أي غدوا
على تلك الجنة قادرين على صرامها عند أنفسهم أو مقدرين أن يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان. فلما
رأوها قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون. قالوا في بديهة وصولهم إنا لضالون أي ضللنا جنتنا
وما هي بها لما رأوا من هلاكها فلما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خير جنتنا بجنايتنا على

أنفسنا. قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون. أوسطهم أعدلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه
وأعطني من سطات مالك ومنه قوله عز وجل أمة وسطا. لولا تسبحون لولا تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث
نيتكم كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا من هذه
العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا إلى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم والدليل عليه قولهم
سبحان ربنا إنا كنا ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم إلى التكلم به على أثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب
البصرة. وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما في معنى التعظيم لله لأن الاستثناء تفويض إليه
والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم. وعن الحسن رحمه الله هو الصلاة كأنهم
كانوا يتوانون في الصلاة وإلا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا في أن يستثنوا ولا يحرموا.
قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين. سبحان ربنا سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم
اعترفوا بظلمهم في منع المعروف وترك الاستثناء. فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون. قالوا
يا ويلنا إنا كنا طاغين. يتلاومون يلوم بعضهم بعضا لأن منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم من
أمر بالكف وعذر ومنهم من عصى الأمر ومنهم من سكت وهو راض. عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها
إنا إلى ربنا راغبون. كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون. أن يبدلنا خيرا
قرئ بالتخفيف والتشديد. إنا إلى ربنا راغبون طالبون منه الخير راجون لعفوه. كذلك العذاب مثل
ذلك العذاب الذي بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا. ولعذاب الآخرة أشد وأعظم منه
وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد كلفتني تعبا. وعن مجاهد
تابوا فأبدلوا خيرا منها. وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه بلغني أنهم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق
فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا. إن للمتقين عند ربهم جنات
النعيم. أفنجعل المسلمين كالمجرمين. ما لكم كيف تحكمون. أم لكم كتاب فيه تدرسون. إن
لكم فيه لما تخيرون. عند ربهم أي في الآخرة. جنات النعيم جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص لا يشوبه
ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا. كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين
منها فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد صلى الله عليه وسلم
ومن معه لم تكن حالهم وحالنا إلا مثل ما هي في الدنيا وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم
أن يساوونا. فقيل أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين. ثم قيل لهم على طريقة الالتفات ما لكم كيف
تحكمون هذا الحكم الأعوج كأن أمر الجزاء مفوض إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم. أم لكم كتاب من السماء تدرسون في
ذلك الكتاب أن ما تختارونه وتشتهونه لكم كقوله أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم. والأصل تدرسون
أن لكم ما تخيرون بفتح أن لأنه مدروس فلما جاءت اللام كسرت. ويجوز أن يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله
عز وجل وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح. وتخير الشيء واختاره أخذ خيره ونحوه تنخل وانتخل
إذا أخذ منخوله. أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون. سلهم أيهم بذلك
زعيم. أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين. لفلان علي يمين بكذا إذا ضمنته
منه وحلفت له على الوفاء به يعني أم ضمنا منكم وأقسمنا لكم بأيمان مغلظة متناهية في التوكيد. فإن
قلت بم يتعلق إلى يوم القيامة. قلت بالمقدر في الظرف أي هي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لا نخرج عن
عهدتها إلا يومئذ إذا حكمناكم وأعطيناكم ما تحكمون. ويجوز أن يتعلق ببالغة على أنها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي إليه وافرة
لم تبطل منها يمين إلى أن يحصل المقسم عليه من التحكيم. وقرأ الحسن رحمه الله بالغة بالنصب على الحال من الضمير
في الظرف. إن لكم لما تحكمون جواب القسم لأن معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم. أيهم بذلك الحكم زعيم

قوله يقال الصريم أي قطعه صرما وصريما م

قوله ليصرمنها خبر كان وقوله كان ثابتا ليحرموا ... إلى الغد إليهم

قوله الزي الطي م

قوله من فوركم متعلق بتوبوا أي توبوا في الحال من غير إبطاء وتأخير م

قوله فعيرهم أي قولهم سبحان الله م

قوله لالتقائهما أي لالتقاء التسبيح والاستثناء في معنى تعظيم الله تعالى م

قوله ولا يحرموا أي لا يحرموا المساكين م

قوله قتادة كلفتني تعبا إشارة إلى أن ذلك أمر غائب لم يبلغه فلا يعلم ذلك إلا الله تعالى م

قوله بها أي في الدنيا بعد توبتهم بالإخلاص م

قوله من التحكيم بيان للمقسم عليه م

اي قائم به وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بامورهم ● ام لهم شركاء ● اي ناس يشاركونهم
في هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه ● فليأتوا بهم ● ان كانوا صادقين في دعواهم
يعني ان احدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم ينطقون به ولا عهد لهم به عند الله
ولا زعيم لهم يقوم به ● يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة
ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون ● الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل
في شدة الامر وصعوبة الخطب واصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب وابداء
خدامهن عند ذلك ● قال حاتم ● اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها ● وان شمرت عن ساقها الحرب
شمرا ● وقال ابن الرقيات ● تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي ● عن خدام العقيلة العذراء ● فمعنى يوم
يكشف عن ساق في معنى يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده
مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل في البخل ● واما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان
والذي غره منه حديث ابن مسعود رضي الله عنه يكشف الرحمن عن ساقه فاما المؤمنون فيخرون
سجدا واما المنافقون فتكون ظهورهم طبقا طبقا كان فيها السفافيد ● ومعناه يشتد امر
الرحمن ويتفاقم هوله وهو الفزع الاكبر يوم القيمة ثم كان من حق الساق ان تعرف على ما ذهب اليه المشبه
لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن ● فان قلت ● فلم جاءت منكرة في التمثيل ● قلت
للدلالة على انه امر مبهم في الشدة منكر خارج عن المألوف كقوله تعالى يوم يدع الداع الى شيء نكر كانه قيل
يوم يقع امر فظيع هائل ● ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل بن سليمان ● وعن ابي عبيدة خرج رجلان سابقان
تجلدوا لحدهما اشبه شيء بمثل وهو مقاتل بن سليمان والاخر نفى حتى عطل وهو جهم بن صفوان ومن احس
بعظم مضار فقد هذا العلم علم مقدار عظم منافعه ● وقرئ نكشف بالنون وتكشف بالتاء على البناء
للفاعل وللمفعول جميعا والفعل للساعة او للحال اي يوم تشتد الحال او الساعة كما تقول كشفت الحرب
عن ساقها على المجاز ● وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف ومنه اكشف
الرجل فهو مكشف اذا انقلبت شفته العليا ● وناصب الظرف فليأتوا او اضمار اذكر او يوم يكشف عن ساق
كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وان ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمه ● عن ابن مسعود رضي الله عنه
تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض ● وفي الحديث وتبقى اصلابهم
طبقا واحدا اي فقارة واحدة ● فان قلت لم يدعون الى السجود ولا تكليف ● قلت لا يدعون اليه تعبدا
وتكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في الدنيا مع اعقام اصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة
تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين دعوا الى السجود وهم سالمو الاصلاب والمفاصل ممكنون
مزاحو العلل فيما تعبدوا به ● فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون ● يقال ذرني واياه يريدون كله الي فاني اكفيكه كانه يقول حسبك ايقاعا به ان تكل امره
الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يجب ان يفعل به مطيق له ● والمراد حسبي مجازيا لمن يكذب بالقرآن
فلا تشغل قلبك بشانه وتوكل علي في الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا
للمكذبين ● استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه ● واستدراج
الله العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقا الى ازدياد الكفر والمعاصي
من حيث لا يعلمون اي من الجهة التي لا يشعرون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا
لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم ● واملي لهم ان كيدي متين ● ام تسئلهم اجرا
فهم من مغرم مثقلون ● وامليهم وامهلهم كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما والصحة والرزق

والمد في

والمد في العمر احسان من الله تعالى وافضال يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا في الكفر
باختيارهم فلما تدرجوا به الى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج ● وقيل كم من مستدرج بالاحسان
اليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر ● وسمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في
صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة اثر احسانه في التسبب للهلاك ●
المغرم الغرامة اي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم ذلك
عن الايمان ● ام عندهم الغيب فهم يكتبون ● فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم
ام عندهم الغيب اي اللوح ● فهم يكتبون منه ما يحكمون به ● لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم
● ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس عليه الصلوة والسلام ● اذ نادى في بطن الحوت ● وهو مكظوم مملوء غيظا
من كظم السقاء اذا ملأه ● والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه ● لولا
ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ● حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه ● وقرأ ابن
مسعود وابن عباس رضي الله عنهما تداركته ● وقرأ الحسن رحمه الله تعالى تداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية
بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه كما يقال كان زيد سيقوم فمنعه فلان اي كان يقال فيه سيقوم
والمعنى كان متوقعا منه القيام ● ونعمة ربه ان انعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في جواب
لولا على الحال اعني قوله وهو مذموم يعني ان حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت
حاله على الذم ● روي انها نزلت باحد حين حل برسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل به فاراد ان يدعو على
الذين انهزموا ● وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف ● وقرئ رحمة من ربه ● فاجتباه ربه فجعله من الصالحين
فاجتباه ربه فجمعه اليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ● فجعله من الصالحين
اي من الانبياء عليهم الصلوة والسلام ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه
وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون ● وما هو الا ذكر
للعالمين ● ان مخففة من الثقيلة واللام علمها ● وقرئ ليزلقونك بضم الياء وفتحها ● وزلقه وازلقه
بمعنى ويقال زلق الرأس وازلقه حلقه ● وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وازهقها يعني انهم من شدة
تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك او يهلكونك من قولهم نظر الي نظرا
يكاد يصرعني ويكاد ياكلني اي لو امكنه بنظره الصرع او الاكل لفعله ● قال ● يتقارضون اذا التقوا في موطن ● نظرا
يزيل مواطئ الاقدام ● وقيل كانت العين في بني اسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم
ار كاليوم مثله الا عانه فاريد بعض العيانين على ان يقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فقال لم ار كاليوم
رجلا فعصمه الله تعالى ● وعن الحسن رحمه الله دواء الاصابة بالعين ان تقرأ هذه الآية ● لما سمعوا الذكر اي القرآن
لم يملكوا انفسهم حسدا على ما اوتيت من النبوة ● ويقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه والا فقد علموا
انه اعقلهم ● والمعنى انهم جننوه لاجل القرآن ● وما هو الا ذكر وموعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله ● عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه الله تعالى ثواب الذين حسن الله اخلاقهم ● صدق رسول الله

سورة الحاقة احدى وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة ● ما الحاقة ● وما ادراك ما الحاقة ● كذبت ثمود وعاد
بالقارعة ● فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية ● الحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي
آتية لا ريب فيها ● او التي فيها حواق الامور من الحساب والثواب والعقاب او التي تحق فيها الامور اي تعرف على
الحقيقة من قولك لا احق هذا اي لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها واسنادها على الابتداء

قوله العلم اي علم البيان

وخبرها ما الحاقة، والأصل الحاقة ما هي أي أيّ شيء هي تفخيماً لشأنها وتعظيماً لهولها، فوضع الظاهر موضع المضمر لأنه أهول لها. وما أدراك ما الحاقة وأي شيء أعلمك ما هي، يعني أنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على أنه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية أحد ولا وهمه، وكيفما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك، وما في موضع الرفع على الابتداء، وأدراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام. كذبت ثمود وعاد بالقارعة بالحالة التي تقرع الناس بالإفزاع والأهوال، والسماء بالانشقاق والانفطار، والأرض والجبال بالدك والنسف، والنجوم بالطمس والانكدار، ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها، ولما ذكرها وفخمها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيراً لأهل مكة وتخويفاً لهم من عاقبة تكذيبهم. فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة، واختلف فيها فقيل الرجفة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما الصاعقة، وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة تناهت بهم. وقيل الطاغية مصدر كالعافية أي بطغيانهم، وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله بريح صرصر. **وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية.** والصرصر الشديد الصوت لها صرصرة، وقيل الباردة من الصر كأنها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق لشدة بردها. عاتية شديدة العصف، والعتو استعارة، أو عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء أو لياذ بجبل أو اختفاء في حفرة فإنها كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم. وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أرسل الله سفينة من ريح إلا بمكيال ولا قطرة من مطر إلا بمكيال إلا يوم عاد ويوم نوح عليه الصلاة والسلام، فإن الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل، ثم قرأ إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية، وإن الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل، ثم قرأ بريح صرصر عاتية. ولعلها عبارة عن الشدة والإفراط فيها. والحسوم لا يخلو من أن تكون جمع حاسم كشهود وقعود، أو مصدراً كالشكور والكفور، فإن كان جمعاً فمعنى قوله حسوماً نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة، أو متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة حتى أتت عليهم تمثيلاً لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم، وإن كان مصدراً فإما أن ينتصب بفعله مضمراً أي تحسم حسوماً بمعنى تستأصل استئصالاً، أو يكون صفة كقولك ذات حسوم، أو يكون مفعولاً له أي سخرها عليهم للاستئصال. وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي: ففرق بين بينهم زمان تتابع فيه أعوام حسوم. وقرأ السدي حسوماً بالفتح حالاً من الريح أي سخرها عليهم مستأصلة. وقيل هي أيام العجوز وذلك أن عجوزاً من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فأهلكتها. وقيل هي أيام العجز وهي آخر الشتاء، وأسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر. وقيل مكفئ الظعن. ومعنى سخرها عليهم سلطها عليهم كما شاء. فيها في مهابها أو في الليالي والأيام. أعجاز نخل من باقية من بقية أو من نفس باقية أو من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان. **وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية.** ومن قبله يريد ومن عنده من أتباعه، وقرئ ومن قبله أي ومن تقدمه، وتعضد الأولى قراءة عبد الله ومن معه وقراءة أبي موسى ومن تلقاءه. والمؤتفكات قرى قوم لوط عليه الصلاة والسلام. بالخاطئة بالخطأ أي بالفعل أو الأفعال ذات الخطأ العظيم. رابية شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح، يقال ربا الشيء إذا زاد. **إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية.** حملناكم حملنا آباءكم في الجارية في سفينة نوح عليه الصلاة والسلام لأنهم إذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل آبائهم منة عليهم وكأنهم هم المحمولون لأن نجاتهم سبب ولادتهم. لنجعلها الضمير للفعلة وهي نجاة المؤمنين

قوله سفينة أي مرة من سفت الريح تسفيه سفياً

تفسير لآخر قوله إنها الضمير يعود إلى الحالة أو القصة التي دل عليها هذا الحديث ومن قوله عن رسول الله إلى الجزء م

وإغراق الكفرة. تذكرة عظة وعبرة. أذن واعية من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه بتذكره والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل، وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته، وما حفظته في غير نفسك فقد أوعيته كقولك أوعيت الشيء في الظرف. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه عند نزول هذه الآية: سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي. قال علي رضي الله عنه: فما نسيت شيئاً بعد وما كان لي أن أنسى. **فإن قلت** لم قيل أذن واعية على التوحيد والتنكير؟ **قلت** للإيذان بأن الوعاة فيهم قلة، ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم، وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الأعظم عند الله وأن ما سواها لا يبالى بهم بالة وإن ملؤوا ما بين الخافقين. وقرئ وتعيها بسكون العين للتخفيف تشبيهاً بكبد. **فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة** أسند الفعل إلى المصدر وحسن تذكيره للفصل. وقرأ أبو السمال نفخة واحدة بالنصب مسنداً الفعل إلى الجار والمجرور. **فإن قلت** هما نفختان فلم قيل واحدة؟ **قلت** معناه أنها لا تثنى في وقتها. **فإن قلت** فأي النفختين هي؟ **قلت** الأولى لأن عندها فساد العالم، وهكذا الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروي عنه أنها الثانية. **فإن قلت** لما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض إنما هو عند النفخة الثانية؟ **قلت** جعل اليوم اسماً للحين الواسع الذي يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب، فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئته عام كذا وإنما كان مجيئك في وقت واحد من أوقاته. **وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة** وحملت رفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها أنها تحمل الأرض والجبال، أو بخلق من الملائكة، أو بقدرة الله من غير سبب. وقرئ وحملت بتخفيف الحمل وهو أحد الثلاثة. فدكتا فدكت الجملتان جملة الأرضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيباً مهيلاً وهباء منبثاً. والدك أبلغ من الدق. وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، من قولهم اندك السنام إذا افترش، وبعير أدك وناقة دكاء، ومنه الدكان. **فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها** فيومئذ وقعت الواقعة فحينئذ نزلت النازلة وهي القيامة. واهية مسترخية ساقطة القوة جداً بعد ما كانت محكمة مستمسكة. يريد والخلق الذي يقال له الملك، ورجع إليه الضمير مجموعاً في قوله فوقهم على المعنى. **فإن قلت** ما الفرق بين قوله والملك وبين أن يقال والملائكة؟ **قلت** الملك أعم من الملائكة، ألا ترى أن قولك ما من ملك إلا وهو شاهد أعم من قولك ما من ملائكة. على أرجائها على جوانبها الواحد رجا مقصور، يعني أنها تنشق وهي مسكن الملائكة فينضوون إلى أطرافها وما حولها من حافاتها. **ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية.** ثمانية أي ثمانية منهم. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: هم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فيكونون ثمانية. وروي ثمانية أملاك أرجلهم في تخوم الأرض السابعة والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون مسبحون. وقيل بعضهم على صورة الإنسان، وبعضهم على صورة الأسد، وبعضهم على صورة الثور، وبعضهم على صورة النسر. وروي ثمانية أملاك في خلق الأوعال ما بين أظلافها إلى ركبها مسيرة سبعين عاماً. وعن شهر بن حوشب: أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك، وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك. وعن الحسن رحمه الله: الله أعلم كم هم، أثمانية أم ثمانية آلاف. وعن الضحاك: ثمانية صفوف لا يعلم عددهم إلا الله. ويجوز أن تكون الثمانية من الروح أو من خلق آخر، فهو القادر على كل خلق، سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون. العرض عبارة عن المحاسبة والمساءلة، شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله. وروي أن في القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ، وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله. خافية سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم. **فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية**

قوله أن يجعلها أي الأذن الواعية م

يقولون ما أباليه بالة والأصل بالية مثل عافاه معافية م

وقرئ بتخفيف الحمل أي بحذفه فحملها واحد الثلاثة المذكورة أي الريح أو الملائكة أو القدرة م

فينضوون أي يلجؤون م

تخوم جمع تخم وهو منتهى كل قرية وأرض وقيل هو حد م

الروح خلق هم ألطف من الملائكة م

قوله فأما تفصيل لقوله تعالى يومئذ لتفصيل ما قبله م

قطوفها دانية • فأما تفصيل العرض ها صوت يصوت به فيفهم منه معنى خذ كأف وحس وما اشبه
وكتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤوا لانه اقرب العاملين • واصلها هاؤم
كتابي اقرؤوا كتابي فحذف الاول لدلالة الثاني عليه ونظيره آتوني افرغ عليه قطرا قالوا ولو كان العامل الاول
لقيل اقرؤوه وافرغه • والهاء للسكت في كتابيه وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانيه وحق هذه الهاءات
ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها في المصحف • وقيل لا بأس بالوصل والاسقاط
وعن ابن محيصن انه قرأ باسكان الياء بغير هاء • وقرأ جماعة باثبات الهاء في الوصل والوقف جميعا لاتباع المصحف
ظننت علمت وانما اجري الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والاحكام ويقال الظن
كاليقين وانما الامر كذلك • راضية منسوبة الى الرضا كالدارع والنابل • والنسبة نسبتان نسبة بالحرف
ونسبة بالصيغة • او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها • عالية مرتفعة المكان في السماء • او رفيعة الدرجات
او رفيعة المباني والقصور والاشجار • دانية ينالها القاعد والنائم • كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في
الايام الخالية • يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا او هنئتم هنيئا على المصدر بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة
في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا • وعن مجاهد ايام الصيام اي كلوا واشربوا بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب
لوجه الله تعالى • وروي يقول الله تعالى يا اوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة
وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية • واما
من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه • ولم ادر ما حسابيه • يا ليتها كانت
القاضية • ما اغنى عني ماليه • هلك عني سلطانيه • الضمير في يا ليتها للموتة يقول يا ليت الموتة
التي متها كانت القاضية اي القاطعة لامري فلم ابعث بعدها ولم الق ما القى • او للحالة اي ليت هذه الحالة كانت الموتة
التي قضت علي لانه رأى تلك الحالة ابشع وامر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها • ما اغنى نفي او استفهام
على وجه الانكار اي اي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار • هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا
ذليلا • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في الاسود بن عبد الاشد • وعن فنا خسرو الملقب بالعضد انه لما
عضد الدولة وابن ركنها لما ملك الامراء اخذه القدر لم يفلح بعده ومن كان لا ينطلق لسانه الا بهذه الآية
وقال ابن عباس رضي الله عنهما ضلت عني حجتي ومعناه بطلت حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا • خذوه فغلوه
ثم الجحيم صلوه • ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه • انه كان لا يؤمن بالله العظيم
ولا يحض على طعام المسكين • فليس له اليوم هاهنا حميم • ولا طعام الا من غسلين • لا ياكله
الا الخاطئون • ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلى
النار وصلاه النار • ثم سلكه في السلسلة اي تلويها على جسده حتى يلتف عليه اثناؤها وهو فيما بينها مرهق مضيق
عليه لا يقدر على حركة • وجعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف بالطول كما قال الله عز وجل ان تستغفر لهم سبعين
مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق اشد • والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم
الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة لانها افظع من سائر مواضع الارهاق في الجحيم • ومعنى ثم الدلالة
على تفاوت ما بين العذاب بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة
انه تعليل على طريق الاستئناف وهو ابلغ كانه قيل ما له يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب بذلك • وفي قوله
تعالى ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين احدهما عطفه على الكفر وجعله
قرينة له • والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل • وما احسن قول
القائل اذا نزل الاضياف كان عذوّرا على الحي حتى تستقل مراجله يريد حضهم على القرى واستعجلهم وتشاكس
عليهم • وعن ابي الدرداء رضي الله عنه انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف

السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها الآخر • وقيل هو منع الكفار وقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه • والمعنى على بذل
طعام المسكين • حميم قريب يدفع عنه ويحزن عليه لانهم يتحامونه ويفرون منه كقوله تعالى ولا يسأل حميم
حميما • والغسلين غسالة اهل النار وما يسيل من ابدانهم من الصديد والدم فعلين من الغسل • الخاطئون
الآثمون اصحاب الخطايا • وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون عن ابن عباس رضي الله عنه • وقرئ
الخاطيون بابدال الهمزة ياء • والخاطون بطرحها • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما الخاطون كلنا نخطو
وروى عنه ابو الاسود الدؤلي ما الخاطون انما هو الخاطئون ما الصابون انما هو الصابئون • ويجوز ان
يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله • فلا اقسم بما تبصرون • وما لا تبصرون
انه لقول رسول كريم • وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون • ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون • تنزيل
من رب العالمين • هو اقسام بالاشياء كلها على الشمول والاحاطة لانها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر
وقيل الدنيا والآخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة • ان
هذا القرآن لقول رسول كريم اي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله عز وجل • وما هو بقول شاعر
ولا كاهن كما تدعون • والقلة في معنى العدم اي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة والمعنى ما اكفركم وما اغفلكم
تنزيل هو تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه من رب العالمين • وقرأ ابو السمال تنزيلا اي نزل تنزيلا
وقيل الرسول الكريم جبريل عليه الصلاة والسلام • وقوله تعالى وما هو بقول شاعر دليل على انه محمد صلى
الله عليه وسلم لان المعنى على اثبات انه رسول لا شاعر ولا كاهن • ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا
منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين • فما منكم من احد عنه حاجزين • وانه لتذكرة للمتقين
وانا لنعلم ان منكم مكذبين • التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل • وسمي الاقوال المتقولة
اقاويل تصغيرا بها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كأنها جمع افعولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا
شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر
بصورته ليكون اهول وهو ان يؤخذ بيده وتضرب رقبته • وخص اليمين عن اليسار لان القتال اذا اراد
ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه في جيده وان يكفحه بالسيف وهو اشد على المصبور
لنظره الى السيف اخذ بيمينه • ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه كما ان قوله عز وجل لقطعنا منه
الوتين لقطعنا وتينه وهذا بين • والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه • وقرئ
ولو تقول علينا على البناء للمفعول • قيل حاجزين في وصف احد لانه في معنى الجماعة وهو اسم يقع في النفي
العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومنه قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله لستن كاحد
من النساء • والضمير في عنه للقتل اي لا يقدر احد منكم ان يحجز عن ذلك ويدفعه عنه او لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اي لا تقدرون ان تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه • والخطاب للناس وكذلك في قوله
لنعلم ان منكم مكذبين وهو ايعاد على التكذيب • وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى ان منهم ناسا سيكفرون
بالقرآن • وانه لحسرة على الكافرين • وانه لحق اليقين • فسبح باسم ربك العظيم • وانه الضمير
للقرآن لحسرة على الكافرين به المكذبين له اذا رأوا ثواب المصدقين به او للتكذيب • وان القرآن لليقين حق
اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم • والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين • فسبح الله بذكر
اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله واعبده شكرا على ما اهلك له من ايحائه اليك • عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا صدق الله ورسوله

سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل بعذاب واقع • للكافرين ليس له دافع • من الله ذي المعارج • تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة • فاصبر صبرا جميلا • ضمن سأل معنى دعا فعدي تعديته كأنه قيل دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو النضر بن الحارث قال إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل بعذاب للكافرين وقرئ سال سائل وهو على وجهين إما أن يكون من السؤال وهي لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان وأن يكون من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس رضي الله عنهما سال سيل والسيل مصدر في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم وأهلكهم وعن قتادة سأل سائل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسأل على هذا الوجه مضمن معنى عني واهتم فإن قلت بم يتصل قوله للكافرين قلت هو على القول الأول متصل بعذاب صفة له أي بعذاب نازل لأجلهم وعلى الثاني هو كلام مبتدأ جواب للسائل أي هو للكافرين فإن قلت فقوله من الله بم يتصل قلت يتصل بواقع أي واقع من عنده أو بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته إذا جاء وقته وأوجبت الحكمة وقوعه ذي المعارج ذي المصاعد جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال تعرج الملائكة والروح إليه إلى عرشه وحيث تهبط منه أوامره في يوم كان مقداره كمقدار مدة خمسين ألف سنة مما يعد الناس والروح جبريل عليه الصلاة والسلام أفرد لتميزه بفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة على الناس فإن قلت بم يتعلق قوله فاصبر قلت بسأل سائل لأن استعجال النضر بالعذاب إنما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصبر عليه وكذلك من سأل عن العذاب لمن هو فإنما سأل على طريق التعنت وكان من كفار مكة ومن قرأ سال سائل أو سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام وقد جعل في يوم من صلة واقع أي يقع في يوم طويل مقداره خمسين ألف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة إما أن يكون استطالة له لشدته على الكفار وإما لأنه على الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة وما قدر ذلك على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر إنهم يرونه بعيدا • ونراه قريبا • يوم تكون السماء كالمهل • وتكون الجبال كالعهن • ولا يسأل حميم حميما • يبصرونهم • الضمير في يرونه للعذاب الواقع أو ليوم القيامة فيمن علق في يوم بواقع أي يستبعدونه على جهة الإحالة ونحن نراه قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد من الإمكان وبالقريب القريب منه نصب يوم تكون بقريبا أي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم أو بإضمار يقع لدلالة واقع عليه أو يوم تكون السماء كالمهل كان كيت وكيت أو هو بدل عن في يوم فيمن علقه بواقع كالمهل كدردي الزيت وعن ابن مسعود رضي الله عنه كالفضة المذابة في تلونها كالعهن كالصوف المصبوغ ألوانا لأن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فإذا بست وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما أي لا يسأله بكيف حالك ولا يكلمه لأن بكل أحد ما يشغله عن المسألة يبصرونهم أي يبصر الأحماء الأحماء فلا يخفون عليهم فما يمنعهم من المسألة أن بعضهم لا يبصر بعضا وإنما يمنعهم التشاغل وقرئ يبصرونهم وقرئ ولا يسأل على البناء للمفعول أي لا يقال لحميم أين حميمك ولا يطلب منه لأنهم يبصرونهم فلا يحتاجون إلى السؤال والطلب فإن قلت ما موقع يبصرونهم قلت هو كلام مستأنف كأنه لما قال ولا يسأل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم فإن قلت لم جمع الضميران في يبصرونهم وهما للحميمين قلت المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين ويجوز أن يكون يبصرونهم صفة

أي حميما مبصرين معرفين إياهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه • وصاحبته وأخيه • وفصيلته التي تؤويه • ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه • قرئ يومئذ بالجر والفتح على البناء للإضافة إلى غير متمكن ومن عذاب يومئذ بتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لأنه في معنى تعذيب وفصيلته عشيرته الأدنون الذين فصل عنهم تؤويه تضمه انتماء إليها أو لياذا بها في النوائب ينجيه عطف على يفتدي أي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء أو من في الأرض وثم لاستبعاد الإنجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات أن ينجيه كلا إنها لظى • نزاعة للشوى • تدعو من أدبر وتولى • وجمع فأوعى • كلا ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب ثم قال إنها والضمير للنار ولم يجر لها ذكر لأن ذكر العذاب دل عليها ويجوز أن يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر أو ضمير القصة ولظى علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب ويجوز أن يراد اللهب ونزاعة خبر بعد خبر لأن أو خبر للظى إن كانت الهاء ضمير القصة أو صفة له إن أردت اللهب والتأنيث لأنه في معنى النار أو رفع على التهويل أي هي نزاعة وقرئ نزاعة بالنصب على الحال المؤكدة أو على أنها متلظية نزاعة أو على الاختصاص للتهويل والشوى الأطراف وجمع شواة وهي جلدة الرأس تنزعها فتبتكها ثم تعاد تدعو مجاز عن إحضارهم كأنها تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذي الرمة تدعو أنفه الريب وقوله ليالي اللهو يطبيني فأتبعه وقول أبي النجم يقول للرائد أعشبت انزل وقيل تقول لهم إلي إلي يا كافر يا منافق وقيل تدعو الكافرين والمنافقين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب فيجوز أن يخلق الله فيها كلاما كما يخلقه في جلودهم وأيديهم وأرجلهم وكما خلقه في الشجرة ويجوز أن يكون دعاء الزبانية وقيل تدعو تهلك من قول العرب دعاك الله أي أهلكك قال دعاك الله من رجل بأفعى أي من أدبر عن الحق وتولى عنه وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد الزكاة والحقوق الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وزهي باقتنائه وتكبر إن الإنسان خلق هلوعا • إذا مسه الشر جزوعا • وإذا مسه الخير منوعا • إلا المصلين • الذين هم على صلاتهم دائمون • والذين في أموالهم حق معلوم • للسائل والمحروم • والذين يصدقون بيوم الدين • والذين هم من عذاب ربهم مشفقون • إن عذاب ربهم غير مأمون • والذين هم لفروجهم حافظون • إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين • فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون • والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون • والذين هم بشهاداتهم قائمون • والذين هم على صلاتهم يحافظون • أولئك في جنات مكرمون • أريد بالإنسان الناس فلذلك استثنى منه إلا المصلين والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلواع سريعة السير وعن أحمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسير أبين من تفسيره وهو الذي إذا ناله شر أظهر شدة الجزع وإذا ناله الخير بخل به ومنعه الناس والخير المال والغنى والشر الفقر أو الصحة والمرض إذا صح الغني منع المعروف وشح بماله وإذا مرض جزع وأخذ يوصي والمعنى أن الإنسان لإيثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كأنه مجبول عليهما مطبوع وكأنه أمر خلقي وضروري غير اختياري كقوله تعالى خلق الإنسان من عجل والدليل عليه أنه حين كان في البطن والمهد لم يكن به هلع ولأنه ذم والله تعالى لا يذم فعله والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم وحملوها على المكاره وظلفوها عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين وعن النبي صلى الله عليه وسلم شر ما أعطي ابن آدم شح هالع وجبن خالع فإن قلت كيف قال على صلاتهم دائمون ثم على صلاتهم يحافظون قلت معنى دوامهم عليها أن يواظبوا على أدائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل العمل أدومه وإن قل وقول عائشة رضي الله عنها كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا أركانها ويكملوها بسننها وآدابها ويحفظوها

من الإحباط باقتراف المآثم فالدوام يرجع إلى أنفس الصلوات والمحافظة إلى أحوالها • حق معلوم هو الزكاة لأنها مقدرة
معلومة • أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في أوقات معلومة • السائل الذي يسأل • والمحروم الذي
يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم • يصدقون بيوم الدين تصديقا بأعمالهم واستعدادهم له • مشفقون
من عذاب ربهم • واعترض بقوله إن عذاب ربهم غير مأمون أي لا ينبغي لأحد وإن بالغ في الطاعة والاجتهاد
أن يأمنه وينبغي أن يكون مترجحا بين الخوف والرجاء • وقرئ بشهاداتهم • والشهادة من جملة
الأمانات وخصها من بينها إبانة لفضلها لأن في إقامتها إحياء الحقوق وتصحيحها وفي زيّها تضييعها
وإبطالها • فمال الذين كفروا قبلك مهطعين • عن اليمين وعن الشمال عزين • أيطمع كل امرئ
منهم أن يدخل جنة نعيم • كان المشركون يحتفون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا
يستمعون ويستهزئون بكلامه ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلندخلنها
قبلهم فنزلت • مهطعين مسرعين نحوك مادّي أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك • عزين فرقا شتى
جمع عزة وأصلها عزوة كأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى فهم مفترقون • قال الكميت
ونحن وجندك باغ تركنا كتائب جندك شتى عزينا • وقيل كان المستهزئون خمسة أرهط • كلا إنا
خلقناهم مما يعلمون • فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون • على أن نبدل خيرا منهم
وما نحن بمسبوقين • فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون • كلا ردع لهم عن
طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله تعالى إنا خلقناهم مما يعلمون إلى آخر السورة وهو كلام دال على إنكار
البعث فكأنه قال كلا إنهم منكرون للبعث والجزاء فمن أين يطمعون في دخول الجنة • فإن قلت من أين
دل هذا الكلام على إنكار البعث • قلت من حيث إنه احتجاج عليهم بالنشأة الأولى كالاحتجاج بها عليهم في
مواضع من التنزيل وذلك قوله تعالى إنا خلقناهم مما يعلمون أي من النطف وبالقدرة على أن نهلكهم ونبدل ناسا
خيرا منهم وأنه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شيء • والغرض أن من قدر على ذلك لم تعجزه الإعادة
ويجوز أن يراد إنا خلقناهم مما يعلمون من النطفة المذرة وهي منصبهم الذي لا منصب أوضع منه فلذلك أبهم
وأخفى إشعارا بأنه منصب يستحيى من ذكره فمن أين يتشرفون ويدّعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم
وقيل معناه إنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم ومن حكمنا أن لا يدخل أحد منهم الجنة إلا بالإيمان
والعمل الصالح فلم يطمع أن يدخلها من ليس له إيمان وعمل • وقرئ برب المشرق والمغرب • يوم يخرجون من الأجداث
سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون • خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون
ويَخرجون ويُخرجون • ومن الأجداث سراعا بالإظهار والإدغام • ونَصْب ونُصُب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله
يوفضون يسرعون إلى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون إلى أنصابهم • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون • صدق الله ورسوله صلى الله عليه

سورة نوح عليه السلام مكية وهي تسع أو ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم
عذاب أليم • قال يا قوم إني لكم نذير مبين • أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون • يغفر لكم من ذنوبكم
ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون • أن أنذر أصله بأن أنذر
فحذف الجار وأوصل الفعل وهي أن الناصبة للفعل • والمعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أي أرسلناه بالأمر
بالإنذار • ويجوز أن تكون مفسرة لأن الإرسال فيه معنى القول • وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه أنذر بغير أن
على إرادة القول • وأن اعبدوا نحو أن أنذر في الوجهين • فإن قلت كيف قال ويؤخركم مع إخباره بامتناع

تأخير الأجل وهل هذا إلا تناقض • قلت قضى مثلا أن قوم نوح عليه الصلاة والسلام إن آمنوا عمّرهم
ألف سنة وإن بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى أي إلى وقت سماه الله
وضربه أمدا تنتهون إليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الأطول تمام الألف ثم أخبر أنه إذا جاء ذلك
الأجل الأمد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير • قال رب
إني دعوت قومي ليلا ونهارا • فلم يزدهم دعائي إلا فرارا • وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم
في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا • ثم إني دعوتهم جهارا • ثم
إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا • ليلا ونهارا دائبا من غير فتور مستغرقا به الأوقات كلها
• فلم يزدهم دعائي جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار والمعنى على أنهم ازدادوا عنده فرارا لأنه سبب
الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا إلى رجسهم فزادتهم إيمانا • لتغفر لهم ليتوبوا عن كفرهم فتغفر لهم فذكر
المسبب الذي هو حظهم خالصا ليكون أقبح لإعراضهم عنه • سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة • واستغشوا
ثيابهم وتغطوا بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر إلى وجه من ينصحهم
في دين الله • وقيل لئلا يعرفهم ويعضده قوله تعالى ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون
ثيابهم • الإصرار من أصر الحمار على العانة إذا صر أذنيه وأقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للإقبال
على المعاصي والإكباب عليها • واستكبروا وأخذتهم العزة من اتباع نوح عليه الصلاة والسلام وطاعته
وذكر المصدر تأكيدا ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم • فإن قلت ذكر أنه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم
جهارا ثم دعاهم في السر والعلن فيجب أن تكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف • قلت قد فعل
عليه الصلاة والسلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالأهون والترقي في الأشد فالأشد
فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان • ومعنى
ثم الدلالة على تباعد الأحوال لأن الجهار أغلظ من الإسرار والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما • وجهارا
منصوب بدعوتهم نصب المصدر لأن الدعاء أحد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها أحد
أنواع القعود • أو لأنه أراد بدعوتهم جاهرتهم • ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا
أي مجاهرا به أو مصدرا في موضع الحال أي مجاهرا • فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا • يرسل
السماء عليكم مدرارا • ويمددكم بأموال وبنين • ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا • ما لكم
لا ترجون لله وقارا • وقد خلقكم أطوارا • أمرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي وقدم
إليهم الموعد بما هو أوقع في نفوسهم وأحب إليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيبا في الإيمان وبركاته
والطاعة ونتائجها من خير الدارين كما قال الله تعالى وأخرى تحبونها نصر من الله • ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات • ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم • وأن لو استقاموا
على الطريقة لأسقيناهم • وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم
أربعين سنة • وروي سبعين فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه • وعن عمر
رضي الله عنه أنه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال لقد استسقيت
بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر • شبه الاستغفار بالأنواء الصادقة التي لا تخطئ • وعن الحسن رحمه الله
أن رجلا شكى إليه الجدب فقال استغفر الله • وشكى إليه آخر الفقر • وآخر قلة النسل • وآخر قلة ريع أرضه
فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أبوابا فأمرتهم كلهم بالاستغفار
فتلا له الآية • والسماء المظلة لأن المطر منها إلى السحاب • ويجوز أن يراد السحاب أو المطر من قوله إذا نزل
السماء بأرض قوم • والمدرار الكثير الدرور ومفعال مما يستوي فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل أو امرأة معطار

ويجعل لكم جنات بساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تأملون له توقيرا اي تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار وقوله وقد خلقكم اطوارا في موضع الحال كأنه قال ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للايمان به لانه خلقكم اطوارا اي تارات خلقكم اولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا تخافون لله عاقبة لان العاقبة حال استقرار الامور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت واستقر **الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا** نبههم على النظر في انفسهم اولا لانها اقرب منظور فيه منهم ثم على النظر في العالم وما سوى فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السموات والارض والشمس والقمر فيهن في السموات وهو في السماء الدنيا لان بين السموات ملابسة من حيث انها طباق فجاز ان يقال فيهن كذا وان لم يكن في جميعهن كما يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ان الشمس والقمر وجوههما مما يلي السماء وظهورهما مما يلي الارض وجعل الشمس سراجا يبصر اهل الدنيا في ضوئها كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره والقمر ليس كذلك انما هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس ومثله قوله عز وجل هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء اقوى من النور **والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا** استعير الانبات للانشاء كما يقال زرعك الله للخير وكانت هذه الاستعارة ادل على الحدوث لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ومنه قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم في الاسلام من غير اولية لهم فيه ومنه قولهم نجم فلان لبعض المارقة والمعنى انبتكم فنبتم نباتا او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم ثم يعيدكم فيها مقبورين ثم يخرجكم يوم القيمة واكده بالمصدر كانه قال يخرجكم حقا ولا محالة بساطا مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه فجاجا واسعة منفجة **قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا** واتبعوا رؤساءهم المقدمين اصحاب الاموال والاولاد وارتسموا ما رسموا لهم من التمسك بعبادة الاصنام وجعل اموالهم واولادهم التي لم تزدهم الا وجاهة ومنفعة في الدنيا زائدة خسارا في الآخرة واجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم وسمة يعرفون بها تحقيقا له وتثبيتا وابطالا لما سواه وقرئ وولده بضم الواو وكسرها ومكروا معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه في معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح عليه الصلاة والسلام وتحريش الناس على اذاه وصدهم عن الميل اليه والاستماع منه وقولهم لهم لا تذرن آلهتكم الى عبادة رب نوح مكرا كبارا قرئ بالتخفيف والتثقيل والكبار اكبر من الكبير والكبار اكبر من الكبار ونحوه طوال وطوال **وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا** ولا تذرن ودا كان هذه المسماة كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فخصوها بعد قولهم لا تذرن آلهتكم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح عليه الصلاة والسلام الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير ولذلك سمت العرب بعبد ود وعبد يغوث وقيل هي اسماء رجال صالحين وقيل من اولاد آدم عليه الصلاة والسلام ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو وقرأ الاعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وهذه قراءة مشكلة لانهما ان كانا عربيين او عجميين ففيهما سببا منع الصرف اما التعريف ووزن الفعل واما التعريف والعجمة ولعله قصد الازدواج فصرفهما

لمصادفته اخواتها منصرفات ودا وسواعا ونسرا كما قرئ وضحيها بالامالة لوقوعه مع الممالات للازدواج وقد اضلوا الضمير للرؤساء ومعناه وقد اضلوا كثيرا قبل هؤلاء الموصين بان يتمسكوا بعبادة الاصنام ليسوا باول من اضلوهم او وقد اضلوا باضلالهم كثيرا يعني ان هؤلاء المضلين فيهم كثرة ويجوز ان يكون للاصنام كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا من الناس **فان قلت** علام عطف قوله ولا تزد الظالمين **قلت** على قوله تعالى رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح عليه الصلاة والسلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا اي قال هذين القولين فهما في محل النصب لانهما مفعولا قال كقولك قال زيد نودي للصلاة وصل في المسجد تحكي قوليه معطوفا احدهما على صاحبه **فان قلت** كيف جاز ان يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته **قلت** المراد بالضلال ان يخذلوا ويمنعوا الالطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من ايمانهم وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به بل لا يحسن الدعاء بخلافه ويجوز ان يريد بالضلال الضياع والهلاك كقوله تعالى ولا تزد الظالمين الا تبارا **مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا** تقديم مما خطيئاتهم لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان وادخالهم النار الا من اجل خطيئاتهم واكد هذا المعنى بزيادة ما وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه من خطيئاتهم ما اغرقوا بتأخير الصلة وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا فان كفر قوم نوح عليه الصلاة والسلام كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعي عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن في استيجاب العذاب لئلا يتكل المسلم الخاطئ على اسلامه ويعلم ان معه ما يستوجب به العذاب وان خلا من خطيئة الكبرى وقرئ خطيئاتهم بالهمز وخطياتهم بقلبها ياء وادغامها وخطاياهم وخطيئتهم بالتوحيد على ارادة الجنس ويجوز ان يراد الكفر فادخلوا نارا جعل دخولهم النار في الآخرة كأنه متعقب لاغراقهم لاقترابه ولانه كائن لا محالة فكأنه قد كان او اريد عذاب القبر ومن مات في ماء او في نار او اكلته السباع والطير اصابه ما يصيب المقبور من العذاب وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب وتنكير النار اما لتعظيمها او لان الله عز وجل اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وانها غير قادرة على نصرهم وتبكيت لهم كأنه قال فلم يجدوا لهم من دون الله آلهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله كقوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا **وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا** ديارا من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد وميت ولو كان فعالا لكان دوارا **فان قلت** بم علم ان اولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة **قلت** لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فذاقهم واكلهم وعرف طباعهم واحوالهم وكان الرجل منهم ينطلق بابنه اليه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك وقد اخبره الله تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ومعنى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا الا من اذا بلغ فجر وكفر فوصفهم بما يصيرون اليه كقوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه **رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا** ولوالدي ابوه لمك بن متوشلخ وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحوا عليهما الصلاة والسلام وقرأ الحسين بن علي رضي الله عنهما ولولدي يريد ساما وحاما بيتي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي خص اولا من يتصل به لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات تبارا هلاكا **فان قلت**

صبيانهم حتى اغرقوا قلت غرقوا معهم لا على وجه العقاب ولكن كما يموتون بالانواع من اسباب الهلاك
وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة في عذاب الآباء والامهات اذا ابصروا اطفالهم يغرقون
ومن قوله صلى الله عليه وسلم [illegible] وعن الحسن رحمه الله
انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله تعالى ارحام نسائهم
وايبس اصلاب رجالهم قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين اغرقوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح عليه الصلاة والسلام كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة
نوح عليه الصلاة والسلام

سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا
قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ
صاحبة ولا ولدا وقرئ أحي واصله وحي يقال اوحى اليه ووحى اليه فقلبت الواو همزة كما يقال
اعد وازكى واذا الرسل اقتت وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد اطلقه المازني
في المكسورة ايضا كاشاح واسادة واعاء الجبابرة وقرأ ابن ابي عبلة وحي على الاصل انه استمع بالفتح
لانه فاعل اوحي وانا سمعنا بالكسر لانه مبتدأ محكي بعد القول ثم تحمل عليهما البواقي فما كان من الوحي فتح
وما كان من قول الجن كسر وكلهن من قولهم الا الثنتين الاخريين وان المساجد لله وانه لما قام ومن فتح كلهن
فعطفها على محل الجار والمجرور في آمنا به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول
سفيهنا وكذلك البواقي نفر من الجن جماعة منهم ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل كانوا من الشيصبان وهم
اكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم فقالوا انا سمعنا اي قالوا لقومهم حين رجعوا اليهم كقوله تعالى
فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا بديعا مباينا لسائر الكتب في حسن
نظمه وصحة معانيه [illegible] دلائل الاعجاز عجبا مصدر وصف به للمبالغة وضع موضع العجب وفيه مبالغة وهو
ما خرج عن حد اشكاله ونظائره يهدي الى الرشد يدعو الى الصواب وقيل الى التوحيد والايمان الضمير في به
للقرآن ولما كان الايمان به ايمانا بالله عز وجل وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا ولن نشرك بربنا احدا
اي ولن نعود الى ما كنا عليه من الاشراك به في طاعة الشيطان ويجوز ان يكون الضمير لله عز وجل لان قوله
بربنا يفسره جد ربنا عظمته من قولك جد فلان في عيني اي عظم وفي حديث عمر رضي الله عنه كان الرجل
منا اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا وروي في اعيننا او سلطانه او غناه استعارة من الجد الذي
هو الدولة والبخت لان الملوك والاغنياء هم المجدودون والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته
او لسلطانه او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد
ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا
للتوحيد والايمان تنبهوا على الخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه واتخاذه صاحبة وولدا
فاستعظموه ونزهوه عنه وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا وانا ظننا ان لن تقول
الانس والجن على الله كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا
سفيههم ابليس عليه اللعنة او غيره من مردة الجن والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه اشط
في السوم اذا ابعد فيه اي يقول قولا هو في نفسه شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد
الى الله تعالى وكان في ظننا ان لن احدا من الثقلين لا يكذب على الله ولن يفتري عليه ما ليس حقا فكنا صدقناهم

فيما اضافوا

فيما اضافوا اليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم كذبا قولا كذبا اي مكذوبا فيه
او نصب نصب المصدر لان الكذب نوع من القول ومن قرأ ان لن تقول وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعله صفة
لان التقول لا يكون الا كذبا الرهق غشيان المحارم والمعنى ان الانس باستعاذتهم بهم زادوهم كبرا
وكفرا وذلك ان الرجل من العرب كان اذا امسى في واد قفر في بعض مسايره وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد
هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والانس
فذلك رهقهم او فزاد الجن الانس رهقا باغوائهم واضلالهم لاستعاذتهم بهم وانهم ظنوا
كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا
فانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم وهو من كلام الجن يقوله بعضهم لبعض وقيل الآيتان من جملة الوحي
والضمير في وانهم ظنوا للجن والخطاب في ظننتم لكفار قريش اللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب
متعرف قال مسنا من الآباء شيئا وكلنا الى النسب في قومه غير واضع يقال لمسه والتمسه وتلمسه
كطلبه واطلبه وتطلبه ملئت حرسا والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو
ذهب الى معناه لقيل شدادا ونحوه اخشى رجيلا او ركيبا غاديا لان الرجل والركب مفردان في معنى الرجال
والركاب وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وانا لا ندري
اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي
شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز ان يكون صفة
للشهاب بمعنى الراصد او كقوله ومعى جياعا يعني يجد شهابا راصدا له ولاجله فان قلت
كان الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين
فذكر فائدتين في خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين قلت قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهي احدى آياته والصحيح انه كان قبل المبعث وقد جاء ذكره في شعر الجاهلية
قال بشر بن ابي خازم والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب وقال اوس بن حجر
فانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا وقال عوف بن الخرع يرد علينا العير من دون الفه او
الثور كالدري يتبعه الدم ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الاحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا وعن معمر قلت للزهري
اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أرأيت قوله تعالى انا كنا نقعد فقال غلظت وشدد امرها حين
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهم
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون
في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم وفي قوله ملئت دليل على ان الحادث
هو الملء والكثرة وكذلك قوله تعالى نقعد منها مقاعد اي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب
والآن ملئت المقاعد كلها وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستمعوا قراءته يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا الا لامر
اراده الله باهل الارض ولا يخلو من ان يكون شرا او رشدا اي خيرا من عذاب او رحمة او من خذلان او توفيق
وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه
هربا منا الصالحون الابرار المتقون ومنا دون ذلك ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله
تعالى وما منا الا له مقام معلوم وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه او ادنوا الصلاح

طرائق قددا بيان للقسمة المذكورة اي كنا ذوي مذاهب متفرقة مختلفة او كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة او كنا في طرائق مختلفة كقوله كما عسل الطريق الثعلب او كانت طرائقنا طرائق قددا على حذف المضاف الذي هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه والقدة من قد كالقطعة من قطع ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق وانا ظننا علمنا ان لن نعجز الله كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا والظن بمعنى اليقين وهذه صفة احوال الجن وما هم عليه من احوالهم وعقائدهم منهم اخيار واشرار ومقتصدون وانهم يعتقدون ان الله عز وجل عزيز غالب لا يفوته مطلب ولا ينجي عنه مهرب

وانا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا لما سمعنا الهدى هو سماعهم القرآن وايمانهم به فلا يخاف فهو لا يخاف اي فهو غير خائف ولان الكلام في تقدير مبتدأ وخبر دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف فان قلت اي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبرا له ووجوب ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف قلت الفائدة فيه انه اذا فعل ذلك فكانه قيل فهو لا يخاف فكان دالا على تحقيق ان المؤمن ناج لا محالة وانه هو المختص بذلك دون غيره وقرأ الاعمش فلا يخف على النهي بخسا ولا رهقا اي جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله ان يجتنب المظالم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن من امنه الناس على انفسهم واموالهم ويجوز ان يراد فلا يخاف ان يبخس بل يجزى الجزاء الاوفى ولا ان ترهقه ذلة من قوله تعالى وترهقهم ذلة

وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا القاسطون الكافرون الجائرون عن طريق الحق وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ان الحجاج قال له حين اراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل فقال القوم ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سماني ظالما مشركا وتلا لهم قوله تعالى واما القاسطون وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا ان الله تعالى اوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعدا ان قال فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب وموجبه والله اعدل من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد

وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا وان لو استقاموا ان مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى واوحي الي ان الشان والحديث لو استقام الجن على الطريقة المثلى اي لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لآدم عليه الصلاة والسلام ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام لانعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها وقرئ بهما لانه اصل المعاش وسعة الرزق لنفتنهم فيه لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا فيه ويجوز ان يكون معناه وان لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه لنكون النعمة سببا في اتباعهم شهواتهم ووقوعهم في الفتنة وازديادهم اثما او لنعذبهم في كفران النعمة عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او عن وحيه يسلكه وقرئ بالنون مفتوحة ومضمومة اي ندخله عذابا والاصل نسلكه في عذاب كقوله تعالى ما سلككم في سقر فعدي الى مفعولين اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه واما بتضمينه معنى ندخل يقال سلكه واسلكه قال حتى سلكوهم في قتائدة والصعد مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة

النكاح يريد ما شق علي ولا غلبني **وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا** وان المساجد من جملة الموحى وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اي فلا تدعوا مع الله احدا في المساجد لانها لله خاصة ولعبادته وعن الحسن رحمه الله يعني الارض كلها لانها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل المراد بها المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومنه قوله عز وجل ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وعن قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا بيعهم وكنائسهم اشركوا بالله فامرنا ان نخلص لله الدعوة اذا دخلنا المساجد وقيل المساجد اعضاء السجود السبعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اسجد على سبعة آراب وهي الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان وقيل هي جمع مسجد وهو السجود

وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا عبد الله النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت هلا قيل رسول الله صلى الله عليه وسلم او النبي قلت لان تقديره واوحي الي انه لما قام عبد الله فلما كان واقعا في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل او لان المعنى ان عبادة عبد الله ليست بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا ومعنى قام يدعوه قام يعبده يريد قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين اتاه الجن فاستمعوا لقراءته كادوا يكونون عليه لبدا اي يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء اصحابه به قائما وراكعا وساجدا واعجابا بما تلا من القرآن لانهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام رسولا يعبد الله وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم الآلهة من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين لبدا جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا واللبدة في معنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان ينصره ويظهره على من ناواه ومن قرأ وانه بالكسر جعله من كلام الجن قالوه لقومهم حين رجعوا اليهم حاكين ما رأوا من صلاته وازدحام اصحابه عليه في ائتمامهم

قل انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قال للمتظاهرين عليه انما ادعو ربي يريد ما اتيتكم بامر منكر انما اعبد ربي وحده ولا اشرك به احدا وليس ذاك مما يوجب اطباقكم على مقتي وعداوتي او قال للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادتي الله ورفضي الاشراك به بامر يتعجب منه انما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكا او قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رشدا ولا نفعا او اراد بالضر الغي ويدل عليه قراءة ابي غيا ولا رشدا والمعنى لا استطيع ان اضركم وان انفعكم انما الضار والنافع الله او لا استطيع ان اقسركم على الغي والرشد انما القادر على ذلك الله والا بلاغا استثناء منه اي لا املك الا بلاغا من الله

قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا وقل اني لن يجيرني جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى ان الله تعالى ان اراد به سوءا من مرض او موت او غيرهما لم يصح ان يجيره منه احد او يجد من دونه ملاذا يأوي اليه والملتحد الملتجأ واصله المفتعل من اللحد وقيل محيصا ومعدلا وقرئ قال لا املك اي قال عبد الله للمشركين او للجن ويجوز ان يكون من حكاية الجن لقومهم وقيل بلاغا بدل من ملتحدا اي لن اجد من دونه منجى الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل الا في معنى ان لا ومعناه ان لا ابلغ بلاغا كقولك ان لا قياما فقعودا ورسالاته عطف على بلاغا كانه قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات والمعنى الا ان ابلغ عن الله فاقول قال الله كذا ناسبا القول اليه وان ابلغ رسالته التي ارسلني بها

من غير زيادة ولا نقصان ● فإن قلت: الاستثناء معناه فإنه يبلغ من ارتضى من رسول بما يوحي إليه ... وقوله فإن له نار جهنم ...

● حتى إذا رأوا ما يوعدون قل إن أدري أقريب ما توعدون ● فإن قلت: بم تعلق حتى ... قلت: ...

قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا ● عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ● قال المشركون متى يكون هذا الموعود إنكارا له فقيل قل إنه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فإن الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد وأما وقته فلا أدري متى يكون لأن الله عز وجل لم يبينه لما رأى في إخفاء وقته من المصلحة ● فإن قلت: ما معنى قوله أم يجعل له ربي أمدا والأمد يكون قريبا وبعيدا ألا ترى إلى قوله تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا

قلت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد فكأنه قال ما أدري أهو حال متوقع في كل ساعة أم مؤجل ضربت له غاية أي هو عالم الغيب ● فلا يظهر فلا يطلع ● ومن رسول تبيين لمن ارتضى يعني أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفي هذا إبطال الكرامات لأن الذين تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله تعالى الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وإبطال الكهانة والتنجيم لأن أصحابهما أبعد شيء من الارتضاء وأدخل في السخط ● فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ● ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا ●

فاسلك من بين يدي من ارتضى للرسالة ● ومن خلفه رصدا حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ ما أوحي إليه ● وعن الضحاك ما بعث نبي إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين أن يتشبهوا بصورة الملك ● ليعلم الله أن قد أبلغوا رسالات ربهم يعني الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ● وحد أولا على اللفظ في قوله تعالى من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله تعالى فإن له نار جهنم خالدين ● والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان ● وذكر العلم كذكره في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين منكم ● وقرئ ليعلم على البناء للمفعول ● وأحاط بما لديهم بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها ● وأحصى كل شيء عددا من القطر والرمل وورق الأشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه ● وعددا حال أي وضبط كل شيء معدودا محصورا أو مصدر في معنى إحصاء ● عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وكذب به عتق رقبة صدق رسول الله

سورة المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم ● يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ● المزمل المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه أي تلفف بها بإدغام التاء في الزاي ونحوه المدثر في المتدثر وقرئ المتزمل على الأصل والمزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وكسرها على أنه اسم فاعل أو مفعول من زمله وهو الذي زمله غيره أو زمل نفسه ● وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما بالليل متزملا في قطيفة فنبه ونودي بما يهجن إليه الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته واستعداده

للاستثقال في النوم كما يفعل من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن ألا ترى إلى قول ذي الرمة ● وكائن تخطت ناقتي من مفازة ● ومن نائم عن ليلها متزمل يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم الأمور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه ● فهذا إذا ما نام ليل الهوجل ● وفي أمثالهم أوردها سعد وسعد مشتمل ● ما هكذا يا سعد تورد الإبل ● فذم بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وأمر بأن يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة في الله تعالى لا جرم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تشمر لذلك مع أصحابه حق التشمر وأقبلوا على إحياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى انتفخت أقدامهم واصفرت ألوانهم وظهرت السيمى في وجوههم وترامى أمرهم إلى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم ● وقيل كان متزملا في مرط لعائشة رضي الله عنها يصلي فهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التي كان عليها وأمر بأن يدوم على ذلك ويواظب عليه ● وعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله أربع عشرة ذراعا نصفه علي وأنا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي ● فسئلت ما كان قالت والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزى ولا إبريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا ● وقيل دخل على خديجة رضي الله عنها وقد جئث فرقا أول ما أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني وحسب أنه عرض له فبينا هو على ذلك إذ ناداه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا أيها المزمل ● وعن عكرمة أن المعنى يا أيها الذي زمل أمرا عظيما أي حمل والزمل الحمل وازدمله احتمله ● وقرئ قم الليل بضم الميم وفتحها ● قال عثمان بن جني رحمه الله الغرض بهذه الحركة التبلغ بها هربا من التقاء الساكنين فبأي الحركات تحرك فقد وقع الغرض ● نصفه بدل من الليل ● وإلا قليلا استثناء من النصف كأنه قال قم أقل من نصف الليل ● والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه ● وإن شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه ● وإنما وصف النصف بالقلة بالنسبة إلى الكل ● وإن شئت قلت لما كان معنى قم الليل إلا قليلا نصفها إذا أبدلت النصف من الليل قم أقل من نصف الليل رجع الضمير في منه وعليه إلى الأقل من النصف فكأنه قيل قم أقل من نصف الليل أو قم أنقص من ذلك الأقل أو أزيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث ● ويجوز إذا أبدلت نصفه من قليلا وفسرته به أن تجعل قليلا الثاني بمعنى نصف النصف وهو الربع كأنه قيل أو انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل أعني الربع نصف الربع كأنه قيل أو زد عليه قليلا نصفه ويجوز أن تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع ● فإن قلت: أكان القيام فرضا أو نفلا ● قلت: عن عائشة رضي الله عنها أن الله جعله تطوعا بعد أن كان فريضة ● وقيل كان فرضا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن إلا ما تطوعوا به ● وعن الحسن رحمة الله عليه كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة ● وقيل كان واجبا وإنما وقع التخيير في المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين ● وعن الكلبي كان يقوم الرجل حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ بين النصف والثلث والثلثين ● ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير في المقدار ولقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك ● ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف وإشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الأقحوان وأن لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يشبه المتلو في تتابعه الثغر الألص ● وسئلت عائشة رضي الله عنها عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها ● وترتيلا تأكيد في إيجاب الأمر به وأنه ما لا بد منه للقارئ ● إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا ● هذه

الآية لغرض. ويعني بالقول الثقيل القرآن وما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين خاصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه متحملها بنفسه ومحملها أمته فهي أثقل عليه وأبهظ له. وأراد بهذا الاعتراض أن ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن لأن الليل وقت السبات والراحة والهدو فلا بد لمن أحياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه. وعن ابن عباس رضي الله عنه كان إذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده. وعن عائشة رضي الله عنها رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليرفض عرقا. وعن الحسن رحمه الله ثقيل في الميزان. وقيل ثقيل على المنافقين. وقيل كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف. **إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا.** ناشئة الليل النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها إلى العبادة أي تنهض وترتفع من نشأت السحابة إذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشز إذا نهض. قال: نشأنا إلى خوص بري نيها السرى والصق منها مشرفات القماحد. أو قيام الليل على أن الناشئة مصدر من نشأ إذا قام ونهض على فاعلة كالعافية ويدل عليه ما روي عن عبيد بن عمير قلت لعائشة رضي الله عنها رجل قام من أول الليل أتقولين له قام ناشئة قالت لا إنما الناشئة القيام بعد النوم ففسرت الناشئة بالقيام عن المضجع أو العبادة التي تنشأ بالليل أي تحدث وترتفع. وقيل هي ساعات الليل كلها لأنها تحدث واحدة بعد أخرى. وقيل الساعات الأول منه. وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول أما سمعتم قول الله إن ناشئة الليل هي أشد وطأ هي خاصة دون ناشئة النهار أشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها إن أردت النفس أو يواطئ فيها قلب القائم لسانه إن أردت القيام أو العبادة أو الساعات. أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص. وعن الحسن رحمه الله أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق. وقرئ أشد وطأ بالفتح والكسر أشد ثبات قدم وأبعد من الزلل أو أثقل وأغلظ على المصلي من صلاة النهار من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر. وأقوم قيلا وأسد مقالا وأثبت قراءة لهدو الأصوات. وعن أنس رضي الله عنه أنه قرأ وأصوب قيلا فقيل له يا أبا حمزة إنما هي وأقوم فقال إن أقوم وأصوب وأهيأ واحد. وروى أبو زيد الأنصاري عن أبي سرار الغنوي أنه كان يقرأ فحاسوا بالحاء غير معجمة فقيل له إنما هو جاسوا بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد. **إن لك في النهار سبحا طويلا.** سبحا تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ إلا بالليل فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل. وأما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو أن الليل أعون على المواطأة وأسد للقراءة لهدو الرجل وخفوت الصوت وأنه أجمع للقلب وأضم لنشر الهم من النهار لأنه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في حوائج المعاش والمعاد. وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك. وقيل إن فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه. **واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا.** واذكر اسم ربك ودم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص عليه. وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلاة وتلاوة قرآن ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغرق به ساعات ليله ونهاره. وتبتل إليه وانقطع إليه. فإن قلت كيف قيل تبتيلا مكان تبتلا قلت لأن معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل. **رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا. واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا.** رب المشرق والمغرب قرئ مرفوعا على المدح ومجرورا على البدل من ربك. وعن ابن عباس رضي الله عنهما على القسم بإضمار حرف القسم كقولك الله لأفعلن وجوابه لا إله إلا هو كما تقول والله لا أحد في الدار إلا زيد. وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما رب المشارق والمغارب. فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليلة لأنه هو وحده هو الذي يجب لتوحده بالربوبية والإغضاء وترك المكافأة. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه بالتكثير في

قوم نصحاء إليهم وإن قلوبنا لتقليهم. وقيل هو منسوخ بآية السيف. **وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما.** إذا عرف الرجل من صاحبه أنه مستأهل مخطب يريد أن يكفاه أو بعد وشيك أي يتشفى له منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال ذرني وإياه أي لا تحتاج إلى الظفر بمرادك ومشتهاك إلا أن تخلي بيني وبينه بأن تكل أمره إلي وتستكفينيه فإن في ما يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثم مانع حتى يطلب إليه أن يذره وإياه إلا ترك الاستكفاء والتفويض كأنه إذا لم يكل إليه أمره فكأنه منعه منه فإذا وكله إليه فقد أزال المنع وتركه وإياه. وفيه دليل على الوثوق بأنه يتمكن من الوفاء بأقصى ما تدور حوله أمنية المغتاظ ومبايزيد عليه. النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الإنعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين وهم صناديد قريش وكانوا أهل تنعم وترفه. إن لدينا ما يضاد تنعمهم من أنكال وهي القيود الثقال عن الشعبي إذا ارتفعوا استفلت بهم الواحد نكل ونكل ومن جحيم وهي النار الشديدة الحر والاتقاد ومن طعام ذي غصة وهو الذي ينشب في الحلوق فلا يساغ يعني الضريع وشجر الزقوم ومن عذاب أليم من سائر العذاب فلا ترى موكولا إليه أشد من ولا يتهم ويتشفى من مثل ذلك الانتقام. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق. وعن الحسن رحمه الله أنه أمسى صائما فأتي بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فأخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فجاءوا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق. **يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا.** يوم ترجف منصوب بما في لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة. والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشيء إذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول في أصله ومنه الكثبة من اللبن قالت الضائنة أجز جفالا وأحلب كثبا عجالا أي كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا أي نثر وأسيل. الخطاب لأهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم. فإن قلت لم نكر الرسول ثم عرف قلت لأنه أراد أرسلنا إلى فرعون بعض الرسل فلما أعاده وهو معهود بالذكر أدخل لام التعريف إشارة إلى المذكور بعينه. وبيلا ثقيلا غليظا من قولهم كلأ وبيل وخم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم. **فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعولا.** يوما مفعول به أي فكيف تتقون أنفسكم يوم القيامة وهوله إن بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا [illegible]

فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين

معك ان هذه الآيات الناطقة بالوعيد الشديد تذكرة موعظة فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيله الى الله عز وجل بالتقوى والخشية ● ومعنى اتخاذ السبيل اليه التقرب والتوسل بالطاعة ● ادنى من ثلثي الليل اقل منهما استعير الادنى وهو الاقرب لانه قل الان للمسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك ● وقرئ ونصفه وثلثه بالنصب على انك تقوم اقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما مر في اول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو الادنى من الثلثين ● وقرئ ونصفه وثلثه بالجر اي تقوم اقل من الثلثين واقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو ادنى من الثلثين والثلث وهو ادنى من النصف والربع وهو ادنى من الثلث وهو الوجه الاخير ● وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك ● والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم ان سيكون منكم مرضى ● وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله ● وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه ● والله يقدر الليل والنهار ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير والمعنى انكم لا تقدرون عليه والضمير في لن تحصوه لمصدر يقدر اي علم انه لا يمكنكم ضبط الاوقات ولا تأتي حسابها بالتعديل والتسوية الا ان تأخذوا بالاوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم ● فتاب عليكم عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر كقوله سبحانه وتعالى فتاب عليكم وعفى عنكم فالآن باشروهن ● والمعنى انه رفع التبعة في تركه عنكم كما رفع التبعة عن التائب ● وعبر عن الصلوة بالقراءة لانها بعض اركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلوة الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس ● وقيل هي قراءة القرآن بعينها قيل يقرأ مائة آية ومن قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن ● وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين ● وقيل خمسين آية وقد بين الحكمة في النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والضاربين في الارض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله ● وقيل سوى الله عز وجل بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال ● وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء ● وعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله احب الي من ان اموت بين شعبتي رحل اضرب في الارض ابتغي من فضل الله ● وعلم استئناف على تقدير السؤال عن وجه النسخ ● واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ● واقيموا الصلوة يعني المفروضة ● والزكوة الواجبة ● وقيل زكوة الفطر لانه لم يكن بمكة زكوة وانما وجبت بعد ذلك ● ومن فسرها بالزكوة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا ● واقرضوا الله قرضا حسنا يجوز ان يريد به سائر الصدقات وان يريد اداء الزكوة على احسن وجه من اخراج اطيب المال واعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف الى المستحق وان يريد كل شيء يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال ● خير ثاني مفعولي تجدوه وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة ● وقرئ هو خير واعظم اجرا بالرفع على الابتداء والخبر ● عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة ● صدق الله وصدق رسوله

سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر ● قم فانذر ● وربك فكبر ● وثيابك فطهر ● والرجز فاهجر ● ولا تمنن تستكثر ● ولربك فاصبر ● المدثر لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار ● وقيل هي اول سورة نزلت روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وعن يساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فرأيت شيئا ● وفي رواية عائشة رضي الله عنها فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل عليه الصلوة والسلام وقال يا ايها المدثر ● وعن الزهري اول ما نزل سورة اقرأ باسم ربك الى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يعلو شواهق الجبال فأتاه جبريل فقال انك نبي الله فرجع الى خديجة رضي الله عنها فقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر ● وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فأمر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه وآذوه ● وعن عكرمة انه قرأ على لفظ اسم المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب بك كما قال في المزمل ● قم من مضجعك ● او قم قيام عزم وتصميم ● فانذر فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا ● والصحيح ان المعنى فافعل الانذار غير تخصيص له باحد ● وربك فكبر واخصص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وان يقال الله اكبر ● وروي انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي ● وقد يحمل على تكبير الصلوة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره ● وثيابك فطهر امر بان تكون ثيابه طاهرة من النجاسات لان طهارة الثياب شرط في الصلوة لا تصح الا بها وهي الاولى والاحب في غير الصلوة وقبيح بالمؤمن الطيب ان يحمل خبثا ● وقيل امر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مما لا يؤمن معه اصابة النجاسة ● وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الذيل والجيب والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكني به عنه الا ترى الى قولهم اعجبني زيد ثوبه كما يقولون اعجبني زيد عقله وخلقه ويقولون المجد في ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب ان من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر فتنبيه بذلك على الاجتناب الخبث وايثار الطهر في كل شيء ● والرجز قرئ بالكسر والضم وهما لغتان بمعنى العذاب والمعنى اهجر ما يؤدي اليه من عبادة الاوثان وغيرها من المآثم والمعنى اثبت على هجره لانه عليه الصلوة والسلام كان بريئا منه ● قال الحسن رحمه الله ولا تمنن تستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال اي ولا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا الكثير نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان احدهما ان يكون نهيا خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله عز وجل اختار له اشرف الآداب واحسن الاخلاق ● والثاني ان يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولامته ● وقرأ الحسن رحمه الله تستكثر بالسكون وفيه ثلاثة اوجه ● الابدال من تمنن كأنه قيل ولا تمنن لا تستكثر على انه من المن في قوله عز وعلا ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لان من شأن المنان بما يعطي ان يستكثره اي يراه كثيرا ويعتد به ● وان يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا وان يعتبر حال الوقف ● وقرأ الاعمش بالنصب باضمار ان كقوله ● الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ● ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولا تمنن ان تستكثر ● ويجوز في الرفع ان تحذف ان ويبطل عملها كما روي احضر الوغى بالرفع ● ولربك فاصبر ولوجه الله فاستعمل الصبر ● وقيل على اذى المشركين ● وقيل على اداء الفرائض ● وعن النخعي على عطيتك كأنه وصله بما قبله وجعل صبره على العطاء من غير استكثار ● والوجه ان يكون امرا بنفس الفعل وان يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه ويراد الصبر على اذى الكفار لانه احد ما يتناوله

العام ﴿فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير﴾ والفاء في قوله تعالى فإذا
للتسبيب كأنه قال اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك
عليه والفاء في فذلك للجزاء. فإن قلت بم انتصب إذا وكيف صح أن يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير قلت انتصب
إذا بما دل عليه الجزاء لأن المعنى فإذا نقر في الناقور عسر الأمر على الكافرين. والذي أجاز وقوع يومئذ
ظرفا ليوم عسير أن المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لأن يوم القيامة يأتي ويقع حين ينقر في الناقور
واختلف في أنها النفخة الأولى أم الثانية. ويجوز أن يكون يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر
كأنه قيل فيوم النقر يوم عسير. فإن قلت فما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت لما
قال على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا
هينا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم. ويجوز أن يراد أنه عسير
لا يرجى أن يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت
له مالا ممدودا وبنين شهودا﴾ وحيدا حال من الله عز وجل على معنيين أحدهما ذرني وحدي
معه فأنا أجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم. والثاني خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد
أو حال من المخلوق على معنى خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى
كما خلقناكم أول مرة. وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد ولعله لقب بذلك
بعد نزول الآية فإن كان ملقبا به فهو تهكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض الذي كانوا يؤمونه من مدحه
والثناء عليه بأنه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه في الدنيا إلى وجه الذم والعيب وهو أنه خلق
وحيدا لا مال له ولا ولد فآتاه الله ذلك فكفر بنعمة الله وأشرك به واستهزأ بدينه. ممدودا مبسوطا كثيرا
أو ممدودا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر. قيل كان له الزرع والضرع والتجارة. وعن ابن عباس رضي الله
عنهما هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الأموال. وقيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء
وقيل كان له ألف مثقال. وقيل أربعة آلاف. وقيل تسعة آلاف. وقيل ألف ألف. وعن ابن جريج غلة شهر بشهر
وبنين شهودا حضورا معه بمكة لا يفارقونه للتصرف في عمل أو تجارة لأنهم مكفيون لوفور نعمة أبيهم واستغنائهم
عن التكسب وطلب المعاش بأنفسهم فهو مستأنس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا
يحزن لفراقهم والاشتياق إليهم. ويجوز أن يكون معناه أنهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل أو تسمع شهادتهم
فيما يتحاكم فيه. وعن مجاهد كانوا عشرة. وقيل ثلاثة عشر. وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد
وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة ﴿ومهدت
له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا﴾ ومهدت
له تمهيدا وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فأتممت عليه نعمتي الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال
عند أهل الدنيا. ومنه قول الناس أدام الله تأييدك وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة. وكان الوليد
من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش. ثم يطمع استبعاد واستنكار لطمعه
وحرصه يعني أنه لا مزيد على ما أوتي سعة وكثرة. وقيل إنه كان يقول إن كان محمد صادقا فما خلقت الجنة
إلا لي. كلا ردع له وقطع لرجائه وطمعه. إنه كان لآياتنا عنيدا تعليل للردع على وجه الاستئناف
كأن قائلا قال لم لا يزاد فقيل إنه جحد آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد. ويروى أنه ما زال
بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك. سأرهقه صعودا سأغشيه عقبة شاقة المصعد
وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق. وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف أن يصعد عقبة
في النار كلما وضع عليها يده ذابت فإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله ذابت فإذا رفعها عادت. وعنه صلى الله

عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك أبدا ﴿إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر
ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر﴾ إنه فكر تعليل للوعيد كأن الله تعالى عاجله
بالفقر بعد الغنى والذل بعد العز في الدنيا لعناده ويعاقبه في الآخرة بأشد العذاب وأفظعه لبلوغه بالعناد غايته
وأقصاه في تفكيره وتسميته القرآن سحرا. ويجوز أن يكون كلمة الردع متبوعة بقوله سأرهقه صعودا ردا
لزعمه أن الجنة لم تخلق إلا له وإخبارا بأنه من أهل النار عذابا ويعلل ذلك بعناده ويكون قوله تعالى إنه فكر
بدلا من قوله إنه كان لآياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده. ومعناه فكر ماذا يقول في القرآن وقدر في نفسه
ما يقوله وهيأه. فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره وإصابته فيه المحز ورميه الغرض الذي كان تنتحيه قريش
أو ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به أو هي حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وبإعجابهم بتقديره
واستعظامهم لقوله. ومعنى قول القائل قتله الله ما أشجعه وأخزاه الله ما أشعره الإشعار بأنه قد بلغ المبلغ
الذي هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك. روي أن الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت
من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر
وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يعلى. فقالت قريش صبأ والله الوليد والله ليصبأن قريش كلهم فقال
أبو جهل لعنه الله أنا أكفيكموه فقعد إليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام فأتاهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون
فهل رأيتموه يخنق وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط
وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر ﴿فقال إن هذا
إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر﴾ فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه
وما الذي يقوله إلا سحر يأثره عن مسيلمة وعن أهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين
منه. ثم نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء
وهم بأن يرمي بها وصف أشكاله التي تشكل بها حتى استنبط ما استنبط استهزاء به. وقيل قدر ما
يقوله ثم نظر فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول. وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم. ثم أدبر عن الحق واستكبر عنه فقال ما قال. وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض
فإن قلت ما معنى ثم الداخلة في تكرير الدعاء قلت الدلالة على أن الكرة الثانية أبلغ من الأولى ونحوه
كقوله ألا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي. فإن قلت فما معنى المتوسطة بين الأفعال التي بعدها قلت
الدلالة على أنه قد تأنى في التأمل وتمهل وكان بين الأفعال المتناسقة تراخ وتباعد. فإن قلت فلم
قيل فقال إن هذا بالفاء بعد عطف ما قبله بثم قلت لأن الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك
أن نطق بها من غير تلبث. فإن قلت فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين قلت لأن الأخرى جرت
من الأولى مجرى التوكيد من المؤكد ﴿سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة
للبشر عليها تسعة عشر﴾ سأصليه سقر بدل من سأرهقه صعودا. لا تبقي شيئا يلقى فيها إلا أهلكته
وإذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد. أو لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا
لواحة من لوح الهجير قال تقول ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمي لاحني الهواجر. قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد
سوادا من الليل. والبشر أعالي الجلود. وعن الحسن رحمه الله تلوح للناس كقوله عز وجل ثم لترونها عين
اليقين. وقرئ لواحة نصبا على الاختصاص للتهويل. عليها تسعة عشر أي يلي أمرها ويتسلط على أهلها
تسعة عشر ملكا. وقيل صنفا من الملائكة. وقيل صفا. وقيل نقيبا. وقرئ تسعة عشر بسكون العين
لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد. وقرئ تسعة أعشر جمع عشير مثل يمين وأيمن. جعلهم ملائكة
لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجن والإنس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقة ولا يستروحون

لنبيهم ولانهم اقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوادتهم ولانهم اشد الخلق باسا واقواهم بطشا عن عمرو بن دينار رحمه الله واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر وعن النبي صلى الله عليه وسلم كان اعينهم البرق وكان افواههم الصياصي يجرون اشعارهم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروي انها لما نزلت عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم الشجعان افيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين ● وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون ● وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اي جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون فان قلت قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان اهل الكتاب وزيادة ايمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك قلت ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وانما العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك ان المراد بقوله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لان حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين ان يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن اذعان المؤمن وان خفي عليه وجه الحكمة كانه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شانها ان يفتتن بها لاجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان اهل الكتاب لان عدتهم تسعة عشر في الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القرآن ايقنوا بانه منزل من الله تعالى وازدياد المؤمنين ايمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما انزل ولما راوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك فان قلت لم قال ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون والاستيقان وازدياد الايمان دالان على انتفاء الارتياب قلت لانه اذا جمع لهم اثبات اليقين ونفي الشك كان ابلغ واكد لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولان فيه تعريضا بحال من عداهم كانه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من اهل النفاق والكفر ● وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا فان قلت كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة قلت معناه وليقول المنافقون الذين يحدثون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة ● ماذا اراد الله بهذا مثلا وليس في ذلك الا اخبار بما سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية ويجوز ان يراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب فان قلت قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب وقول المنافقين والكافرين ما قالوا فهب ان الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح ان يكونا غرضين فكيف صح ان يكون قول المنافقين والكافرين غرضا قلت افادة اللام معنى العلة والسبب ولا يجب في العلة ان تكون غرضا الا ترى الى قولك خرجت من البلد لمخافة الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك ● مثلا تمييز لهذا او حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية فان قلت لم سموه مثلا قلت هو استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبداعا له ● والمعنى اي شيء اراد الله بهذا العدد العجيب واي غرض قصد في ان جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء ومرادهم انكاره من اصله وانه ليس من عند الله وانه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص ● كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر ● الكاف في كذلك نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى اي مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين يعني يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب فيراه المؤمنون حكمة ويذعنون له لاعتقادهم ان افعال الله عز وجل كلها حسنة وحكمة

فيزيدهم ايمانا ويشك الكافرون ويشكل عليهم فيزيدهم كفرا وضلالا ● وما يعلم جنود ربك وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة ● الا هو ولا سبيل لاحد الى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في اعداد السموات والارضين وايام السنة والشهور والبروج والكواكب واعداد النصب والحدود والكفارات والصلوات في الشريعة ● او وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها ● وقيل هو جواب لقول ابي جهل لعنه الله اما لرب محمد اعوان الا تسعة عشر ● وما جعلنا اصحاب النار الى قوله الا هو اعتراض وقوله تعالى وما هي الا ذكرى متصل بوصف سقر وهي ضميرها اي وما سقر وصفتها ● الا تذكرة للبشر او ضمير الآيات التي ذكرت فيها ● كلا والقمر والليل اذ ادبر والصبح اذا اسفر انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر ● كلا انكار بعد ان جعلها ذكرى ان تكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون ● او ردع لمن ينكر ان تكون احدى الكبر نذيرا ● دبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل ومنه صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه ● وقرئ اذا ادبر ● انها لاحدى الكبر جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد ● والكبر جمع الكبرى جعلت الف التانيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافي في جمع السافياء والقواصع في جمع القاصعاء كانها جمع فاعلة اي لاحدى البلايا او الدواهي الكبر ومعنى كونها احداهن انها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول هو احد الرجال وهي احدى النساء ● نذيرا تمييز من احدى اي انها لاحدى الدواهي انذارا كما تقول هي احدى النساء عفافا ● وقيل هي حال ● وقيل هو متصل باول السورة يعني قم نذيرا وهو من بدع التفاسير ● وفي قراءة ابي رضي الله عنه نذير بالرفع خبر بعد خبر لان او بحذف المبتدا ● لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين ● ان يتقدم في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه كقولك لمن توضا ان يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم او التاخر ان يتقدم او يتاخر والمراد بالتقدم والتاخر السبق الى الخير والتخلف عنه وهو كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز ان يكون لمن شاء بدلا من للبشر على انها منذرة للمكلفين الممكنين الذين ان شاءوا تقدموا ففازوا وان شاءوا تاخروا فهلكوا ● رهينة ليست بتانيث رهين في قوله تعالى كل امرئ بما كسب رهين لتانيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة ● ابعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل ● كانه قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله تعالى غير مفكوك ● الا اصحاب اليمين فانهم فكوا عنه رقابهم بما اطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق ● وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه فسر اصحاب اليمين بالاطفال لانهم لا اعمال لهم يرتهنون بها ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الملائكة ● في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين ● وكنا نخوض مع الخائضين ● وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين ● في جنات اي هم في جنات لا يكتنه وصفها ● يتساءلون عن المجرمين يسال بعضهم بعضا عنهم او يتساءلون غيرهم عنهم كقولك دعوته وتداعيناه فان قلت كيف طابق قوله ما سلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم قلت ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤولين عنهم لان المسؤولين يلقون الى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الا ان الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه ● الخوض الشروع في الباطل وما لا ينبغي فان قلت لم يسالونهم وهم عالمون بذلك قلت توبيخا لهم وتحسيرا وليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين وقد عضد بعضهم تفسير اصحاب اليمين بالاطفال انهم انما سالوا عنهم لانهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار

فان قلت يريدون ان كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار ام دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه قلت يحتمل الامرين جميعا فان قلت لم اخر التكذيب وهو اعظمها قلت ارادوا انهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيما للتكذيب كقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا • واليقين الموت ومقدماته • فما تنفعهم شفاعة الشافعين • فما لهم عن التذكرة معرضين • كأنهم حمر مستنفرة • فرت من قسورة • اي لو شفع لهم الشافعون جميعا من الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لان الشفاعة لمن ارتضاه الله عز وجل وهم مسخوط عليهم وفيه دليل على ان الشفاعة تنفع يومئذ فانها تزيد في درجات المرتضين • عن التذكرة عن التذكير وهو العظة يريد القرآن وغيره من المواعظ • ومعرضين نصب على الحال كقولك ما لك قائما • والمستنفرة الشديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه • وقرئ بالفتح وهي المنفرة المحمولة على النفار • والقسورة جماعة الرماة الذين يتصيدونها • وقيل الاسد يقال ليوث قساور وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وفي وزنه الحيدرة من اسماء الاسد • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ركز الناس واصواتهم • وعن عكرمة ظلمة الليل شبههم في اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما في قوله عز وعلا كمثل الحمار يحمل اسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو اذا رابها رائب ولذلك كان اكثر تشبيهات العرب في وصف الابل وشدة سيرها بالحمر وعدوها اذا وردت ماء فاحست عليه بقانص • بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة • كلا بل لا يخافون الآخرة • كلا انه تذكرة • صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها او كتبا كتبت في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على ايديها غضة رطبة لم تطو بعد وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك • ونحوه قوله تعالى ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه • وقال تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم الآية • وقيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وامنته من النار • وقيل كانوا يقولون بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح مكتوبا على رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك • وهذا من الصحف المنشرة بمعزل الا ان يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة • وقرأ سعيد بن جبير رضي الله عنه صحفا منشرة بتخفيفهما على ان انشر الصحف ونشرها واحد كانزله ونزله • ردعهم بقوله كلا عن تلك الارادة وزجرهم عن اقتراح الآيات ثم قال بل لا يخافون الآخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف ثم ردعهم عن اعراضهم وقال انه تذكرة يعني تذكرة بليغة كافية مبهم امرها في الكفاية • فمن شاء ذكره • وما يذكرون الا ان يشاء الله هو اهل التقوى واهل المغفرة • فمن شاء ان يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينه فعل فان نفع ذلك راجع اليه • والضمير في انه وذكره للتذكرة في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين • وانما ذكر لانها في معنى الذكر او القرآن • وما يذكرون الا ان يشاء الله يعني الا ان يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه لانهم مطبوع على قلوبهم معلوم انهم لا يؤمنون اختيارا • هو اهل التقوى واهل المغفرة هو حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بان يغفر لهم اذا آمنوا واطاعوا • وروى انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم هو اهل ان يتقى واهل ان يغفر لمن اتقاه • وقرئ يذكرون بالتاء والياء مخففا ومشددا • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيمة مكية وهي اربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة • ولا اقسم بالنفس اللوامة • ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه • بلى قادرين على ان نسوي بنانه • ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم • قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر • وقال غوية بن سلمى الا نادت امامة باحتمال ليحزنني فلا بك ما ابالي • وفائدتها توكيد القسم • وقالوا انها صلة مثلها في لئلا يعلم اهل الكتاب • وفي قوله في بئر لا حور سرى وما شعر • واعترضوا عليه بانها انما تزاد في وسط الكلام لا في اوله واجابوا بان القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض • والاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الا في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد الا ترى الى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته • والوجه ان يقال هي للنفي والمعنى في ذلك انه لا يقسم بالشيء الا اعظاما له يدلك عليه قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكأنه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي له باقسامي به كلا اعظام يعني انه يستأهل فوق ذلك • وقيل ان لا نفي لكلام ورد قبل القسم كأنهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل اقسم بيوم القيمة • فان قلت قوله فلا وربك لا يؤمنون والابيات التي انشدتها المقسم عليه فيها منفي فهلا زعمت ان لا التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيا كقولك لا اقسم بيوم القيمة لا تتركون سدى • قلت لو قصر الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر الا ترى كيف لقي لا اقسم بهذا البلد بقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد وكذلك فلا اقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقرآن كريم • وقرئ لاقسم على ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتدأ محذوف معناه لانا اقسم قالوا ويعضده انه في الامام بغير الف • بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم النفوس فيه اي في يوم القيمة على تقصيرهن في التقوى او بالتي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الاحسان • وعن الحسن رحمه الله ان المؤمن لا تراه الا لائما نفسه وان الكافر يمضي قدما لا يعاتب نفسه • وقيل هي التي تتلوم يومئذ على ترك الازدياد ان كانت محسنة وعلى التفريط ان كانت مسيئة • وقيل هي نفس آدم عليه السلام لم تزل تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة • وجواب القسم ما دل عليه قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو لتبعثن • وقرأ قتادة ان لن يجمع عظامه على البناء للمفعول • والمعنى نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعدما سفتها الرياح وطيرتها في اباعد الارض • وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم اؤمن به او يجمع الله العظام فنزلت • بلى اوجبت ما بعد النفي وهو الجمع فكأنه قيل بلى نجمعها • وقادرين حال من الضمير في نجمع اي نجمع العظام قادرين على تأليف جميعها واعادتها الى التركيب الاول الى ان نسوي بنانه اي اصابعه التي هي اطرافه وآخر ما يتم به خلقه او على ان نسوي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت اولا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام • وقيل بلى نجمعها ونحن قادرون على ان نسوي اصابع يديه ورجليه اي نجعلها مستوية شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا تفرق بينها فلا يمكنه ان يعمل بها شيئا مما يعمل باصابعه المفرقة ذات المفاصل والانامل من فنون الاعمال والبسط والقبض والتأتي لما يريد من الحوائج • وقرئ قادرون اي نحن قادرون • بل يريد الانسان ليفجر امامه • يسأل ايان يوم القيمة • فاذا برق البصر • وخسف القمر • وجمع الشمس والقمر • يقول الانسان يومئذ اين المفر • بل يريد عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما وان يكون ايجابا على ان يضرب عن مستفهم عنه الى آخر او يضرب عن مستفهم عنه الى موجب • ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه • وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف اتوب سوف اتوب حتى يأتيه الموت على شر احواله واسوأ اعماله • يسأل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله تعالى ايان يوم القيمة

وجحود ويقولون متى هذا الوعد برق البصر اي لمع من شدة شخوصه وقرأ ابو السمال بلق اذا انفتح يقال بلق الباب
وابلقته وبلقته فتحته وخسف القمر وذهب ضوءه او ذهب بنفسه وقرئ وخسف على البناء للمفعول
وجمع الشمس والقمر حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل جمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين
مكورين كانهما ثوران عقيران في النار وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى المفر بالفتح المصدر
وبالكسر المكان ويجوز ان يكون مصدرا كالمرجع وقرئ بهما كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبؤا الانسان
يومئذ بما قدم واخر كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ وكل ما التجأت اليه من جبل او غيره وتخلصت به فهو
وزرك الى ربك خاصة يومئذ مستقر العباد اي استقرارهم يعني انهم لا يقدرون ان يستقروا الى غيره
وينصبوا اليه او الى حكمه ترجع امور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم او الى ربك مستقرهم
اي موضع قرارهم من جنة او نار اي مفوض ذلك الى مشيئته من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار بما قدم
من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من ماله فتصدق به وبما اخره فخلفه او بما قدم من عمل الخير
والشر وبما اخر من سنة حسنة او سيئة فعمل بها بعده وعن مجاهد باول عمله وآخره ونحوه فينبئهم بما عملوا
احصاه الله ونسوه بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا
جمعه وقرآنه بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالابصار في قوله تعالى
فلما جاءتهم آياتنا مبصرة او عين بصيرة والمعنى انه ينبأ باعماله وان لم ينبأ ففيه ما يجزي عن الانباء
لانه شاهد عليها بما عملت لان جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا
يعملون ولو القى معاذيره ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها وعن الضحاك رحمه
الله ولو ارخى ستوره وقال المعاذير الستور واحدها معذار فان صح فلانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة
عقوبة المذنب فان قلت اليس قياس المعذرة ان تجمع معاذر لا معاذير قلت المعاذير ليس بجمع
معذرة انما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر الضمير في به للقرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن
الوحي نازع جبريل عليه الصلاة والسلام القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه فامر
بان يستنصت له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضى اليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه والمعنى
لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل عليه الصلاة والسلام يقرأ لتعجل به لتأخذه على عجلة ولئلا
يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله ان علينا جمعه في صدرك واثبات قراءته في لسانك فاذا قرأناه
فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه فاذا قرأناه جعل قراءة جبريل عليه الصلاة والسلام قراءته والقرآن القراءة
فاتبع قرآنه فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطامن نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه ثم ان علينا
بيانه اذا اشكل عليك شيء من معانيه كانه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا كما ترى بعض الحراص على
العلم ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة كلا ردع
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وانكار لها عليه وحث على الاناة والتؤدة وقد بالغ في ذلك باتباعه
قوله بل تحبون العاجلة كانه قال بل انتم يا بني آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم
تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقرئ بالياء وهو ابلغ فان قلت كيف اتصل قوله لا تحرك به لسانك
الى آخره بذكر القيمة قلت اتصاله به من جهة هذا التخلص منه الى التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة الوجه عبارة
عن الجملة والناضرة من نضرة النعيم الى ربها ناظرة تنظر الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره وهذا معنى تقديم
المفعول الا ترى الى قوله الى ربك يومئذ المستقر الى ربك يومئذ المساق الى الله تصير الامور والى الله ترجعون
والى الله المصير عليه توكلت واليه انيب كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص ومعلوم انهم ينظرون الى اشياء

لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم فان المؤمنين نظارة ذلك اليوم لانهم الآمنون
الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه محال فوجب حمله على معنى يصح
معه الاختصاص والذي يصح معه ان يكون من قول الناس انا الى فلان ناظر ما يصنع بي تريد معنى التوقع والرجاء ومنه
قول القائل واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين
يغلق الناس ابوابهم ويأوون الى مقائلهم تقول عيينتي نويظرة الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة
والكرامة الا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا اياه والباسر الشديد العبوس والباسل اشد منه ولكنه
غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن تتوقع ان يفعل بها فعل هو في شدته وفظاعته فاقرة داهية
تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناضرة ان يفعل بها كل خير كلا اذا بلغت التراقي وقيل من
راق وظن انه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق كلا ردع عن ايثار
الدنيا على الآخرة كأنه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة
عنكم وتنتقلون الى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين والضمير في بلغت للنفس وان لم يجر لها ذكر لان
الكلام الذي وقعت فيه يدل عليه كما قال حاتم اماوي ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت
يوما وضاق بها الصدر وتقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء التراقي
العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذي هو اول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح
التراقي ودنا زهوقها وقال حاضر وصاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض من راق ايكم يرقيه مما به
وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وظن المحتضر
انه الفراق ان هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة والتفت الساق بساقه والتوت عليها عند
علز الموت وعن قتادة ماتت رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليها جوالا وقيل شدة فراق الدنيا بشدة
اقبال الآخرة على ان الساق مثل في الشدة وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان في
اكفانه المساق اي يساق الى الله والى حكمه فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى
اهله يتمطى اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فلا صدق ولا صلى يعني الانسان في قوله ايحسب
الانسان ان لن نجمع عظامه الا ترى الى قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى وهو معطوف على قوله
يسأل ايان يوم القيمة اي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى ويجوز ان يراد فلا صدق
ماله بمعنى فلا زكاه وقيل نزلت في ابي جهل عليه اللعنة يتمطى يتبختر واصله يتمطط اي يتمدد
لان المتبختر يمد خطاه وقيل هو من المطا وهو الظهر لانه يلويه وفي الحديث اذا مشت امتي
المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم يعني كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم
وتولى عنه واعرض ثم ذهب الى قومه يتبختر افتخارا بذلك اولى لك بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه
بان يليه ما يكره ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة
فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فخلق فقدر
فسوى فعدل منه من الانسان الزوجين الصنفين اليس ذلك الذي انشأ هذا الانشاء بقادر
على الاعادة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيمة شهدت انا وجبريل يوم القيمة انه كان مؤمنا بيوم القيمة

سورة الانسان مكية ... وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا

إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا • إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا • هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة والاصل أهل بدليل قوله: أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم. فالمعنى أقد أتى على التقرير والتقريب جميعا أي أتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا أي كان شيئا منسيا غير مذكور نطفة في الاصلاب والمراد بالانسان جنس بني آدم بدليل قوله تعالى إنا خلقنا الانسان من نطفة. حين من الدهر طائفة من الزمان الطويل الممتد. فإن قلت ما محل لم يكن شيئا مذكورا قلت محله النصب على الحال من الانسان كأنه قيل هل أتى عليه حين من الدهر غير مذكور او الرفع على الوصف لحين كقوله تعالى يوما لا تجزي والد عن ولده. وعن بعضهم انها تليت عنده فقال ليتها تمت اراد ليت تلك الحالة تمت وهي كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف. نطفة أمشاج كبرمة أعشار وبرد أكياش وهي ألفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للأفراد ويقال ايضا نطفة مشيج وقال الشماخ: طوت أحشاء مرتجة لوقت على مشج سلالته مهين. ولا يصح أمشاج أن يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماءان. وعن ابن مسعود رضي الله عنه هي عروق النطفة. وعن قتادة أمشاج ألوان وأطوار يريد انها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة. نبتليه في موضع الحال اي خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا تريد قاصدا به الصيد غدا. ويجوز أن يراد ناقلين له من حال الى حال فسمي ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة. وقيل هو في تقدير التأخير يعني فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من التعسف. شاكرا وكفورا حالان من الهاء في هديناه اي مكناه وأقدرناه في حالتيه جميعا او دعوناه الى الاسلام بأدلة العقل والسمع كان معلوما منه انه يؤمن او يكفر لالزام الحجة. ويجوز ان يكونا حالين من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله تعالى وهديناه النجدين فوصف السبيل بالشكر والكفر مجاز. وقرأ أبو السمال بفتح الهمزة في اما وهي قراءة حسنة والمعنى اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره. إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا • إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا • عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا • لما ذكر الفريقين اتبعهما الوعيد والوعد. وقرئ سلاسل غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان أحدهما أن تكون هذه النون بدلا من حرف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف. والثاني أن يكون صاحب القراءة به ممن ضري برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف. الابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد. وعن الحسن رحمه الله هم الذين لا يؤذون الذر. والكأس الزجاجة اذا كانت فيها الخمر وتسمى الخمر نفسها كأسا. مزاجها ما تمزج به. كافورا ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده. وعينا بدل منه. وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك. وقيل يخلق الله تعالى فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها مزجت بالكافور. وعينا على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير حذف مضاف كأنه قيل يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص. فإن قلت لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء اولا وبحرف الالصاق آخرا قلت لأن الكأس مبدأ شربهم واول غايته واما العين فبها يمزجون شرابهم فكأن المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل. يفجرونها يجرونها حيث شاءوا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم. يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا • ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا • يوفون جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك. والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لأن من وفى بما اوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما اوجبه الله عليه اوفى. مستطيرا فاشيا منتشرا بالغا اقصى المبالغ من استطار

الحريق واستطار

الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر. على حبه الضمير للطعام اي مع اشتهائه والحاجة اليه ونحوه: وآتى المال على حبه، لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون. وعن الفضيل بن عياض رحمه الله على حب الله عز وجل. واسيرا عن الحسن رحمه الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه. وعند عامة العلماء يجوز الاحسان الى الكفار في دار الاسلام ولا يصرف اليهم الواجبات. وعن قتادة كان أسيرهم يومئذ المشرك واخوك المسلم احق ان تطعمه. وعن سعيد بن جبير وعطاء هو الاسير من أهل القبلة. وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه هو المملوك والمسجون. وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم أسيرا فقال غريمك أسيرك فأحسن الى أسيرك. إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا • انما نطعمكم على ارادة القول ويجوز ان يكون قولا باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله او بالشكر لأن احسانهم مفعول لوجه الله عز وجل فلا معنى لمكافأة الخلق. وان يكون قولهم لطفا وتفقيها وتنبيها على ما ينبغي ان يكون عليه من أخلص لله. وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى. ويجوز ان يكون ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وان لم يقولوا شيئا. وعن مجاهد اما انهم ما تكلموا به ولكن علمه الله تعالى منهم فأثنى عليهم. والشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر. إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا • فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا • انا نخاف يحتمل ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لإرادة مكافأتكم، وانا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله على طلب المكافأة بالصدقة. ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين ان يوصف بصفة أهله من الاشقياء كقولهم نهارك صائم. وروي ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران. وان يشبه في شدته وضرره بالاسد العبوس او بالشجاع الباسل. والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه. قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بأنفها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة. قال أسد بن ناعصة: واصطليت الحروب في كل يوم باسل الشر قمطرير الصباح. ولقاهم نضرة وسرورا اي اعطاهم بدل عبوس الفجار نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وهذا يدل على ان اليوم موصوف بعبوس اهله. وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا • بما صبروا بصبرهم على الايثار. وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي رضي الله عنه من شمعون اليهودي الخيبري ثلاثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم يا اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين رضي الله عنهما واقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة رضي الله عنها في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هنأك الله في اهل بيتك فأقرأه السورة. فإن قلت ما معنى ذكر الحرير؟ قلت المعنى وجزاهم بصبرهم على الايثار وما يؤدي اليه من الجوع والعري بستانا فيه مأكل هنيء وحريرا فيه ملبس بهي. متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا • يعني ان هواءها معتدل لا حر شمس يحمي ولا شدة برد تؤذي. وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر. وقيل الزمهرير القمر. وعن ثعلب انه في لغة طيء وانشد: وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر. والمعنى ان الجنة ضياء فلا يحتاج

الحر شمس وقمر. ﴿ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا﴾ فإن قلت ودانية عليهم ظلالها
علام عطفت؟ قلت على الجملة التي قبلها لأنها في موضع الحال من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع
الضمير منها إليهم في عليهم إلا أنها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا
زمهريرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين مجتمعان لهم كأنه قيل
وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم. وقرئ ودانية بالرفع
على أن ظلالها مبتدأ ودانية خبر والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا
والحال أن ظلالها دانية عليهم. ويجوز أن تجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات
لجنة. ويجوز أن يكون ودانية معطوفة على جنة أي وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها على
أنهم وعدوا جنتين كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان لأنهم وصفوا بالخوف إنا نخاف من ربنا
فإن قلت علام عطفت وذللت؟ قلت هي إذا رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة
على جملة ابتدائية وإذا نصبتها على الحال فهي حال من دانية أي تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها
لهم أو معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وإذا نصبت ودانية على الوصف
فهي صفة مثلها ألا ترى أنك لو قلت جنة ذللت قطوفها كان صحيحا. وتذليل القطوف أن تجعل
ذللا لا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا أو تجعل خاضعة متقاصرة من قولهم حائط ذليل إذا كان قصيرا
﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة قدروها تقديرا﴾
قرئ قوارير قوارير غير منونين وبتنوين الأول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من ألف الإطلاق لأنه فاصلة
وفي الثاني لاتباعه الأول. ومعنى قوارير من فضة أنها مخلوقة من فضة وهي مع بياض الفضة
وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها. فإن قلت ما معنى كانت؟ قلت هو من يكون في قوله
كن فيكون أي تكونت قوارير بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتي
الجوهرين المتباينين. ومنه كان في قوله تعالى كان مزاجها كافورا. وقرئ قوارير من فضة بالرفع على هي
قوارير. قدروها صفة لقوارير من فضة. ومعنى تقديرهم لها أنهم قدروها في أنفسهم أن تكون
على مقادير وأشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا. وقيل الضمير للطائفين بها دل عليه قوله
ويطاف عليهم على أنهم قدروا شرابها على قدر الري وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل
عنها ولا يعجز. وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض. وقرئ قدروها على البناء للمفعول ووجهه أن يكون من
قدر منقولا من قدر تقول قدرت الشيء وقدرنيه فلان إذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين
لها كما شاؤوا وأطلق لهم أن يقدروا على حسب ما اشتهوا. ﴿ويسقون فيها كأسا كان مزاجها
زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا﴾ سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه
وتستطيبه. قال الأعشى: كأن القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وأريا مشورا. وقال المسيب بن علس:
وكأن طعم الزنجبيل به إذ ذقته وسلافة الخمر. وسلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة
مساغها يعني أنها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل
وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة
قال الزجاج السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة. وقرئ سلسبيل على منع الصرف
لاجتماع العلمية والتأنيث وقد عزوا إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن معناه سل سبيلا
إليها وهذا غير مستقيم على ظاهره إلا أن يراد أن جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما
قيل تأبط شرا وذرى حبا وسميت بذلك لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سبيلا بالعمل الصالح وهو

مع استقامته

مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه إلى مثل علي أبدع وفي شعر بعض المحدثين سلسبيلا
فيها إلى راحة النفس براح كأنها سلسبيل. وعينا بدل من زنجبيلا. وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل
بعينه أو يخلق الله طعمه فيها وعينا على هذا القول مبدلة من كأسا كأنه قيل ويسقون فيها كأسا كأس عين
أو منصوبة على الاختصاص. ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا
منثورا﴾ شبهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور. وعن
المأمون رحمه الله أنه ليلة زفت إليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد
نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر إليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در
أبي نواس كأنه أبصر هذا حيث يقول: كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب. وقيل
شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه لأنه أحسن وأكثر ماء. ﴿وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا﴾
رأيت ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كأنه قيل وإذا أوجدت الرؤية ثم ومعناه أن بصر الرائي
أينما وقع لم يتعلق إدراكه إلا بنعيم كثير وملك كبير. وثم في موضع النصب على الظرف يعني في الجنة ومن
قال معناه ما ثم فقد أخطأ لأن ثم صلة لما ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة. كبيرا واسعا وهنيئا
يروى أن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه. وقيل لا زوال
له. وقيل إذا أرادوا شيئا كان. وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم. ﴿عاليهم ثياب سندس
خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا﴾ قرئ عاليهم بالسكون
على أنه مبتدأ خبره ثياب سندس أي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس. وعاليهم بالنصب على أنه حال من
الضمير في يطوف عليهم أو في حسبتهم أي لؤلؤا عاليا لهم ثياب. ويجوز أن يراد رأيت أهل نعيم وملك عاليهم ثياب
وعاليتهم بالنصب والرفع على ذلك وعليهم. وخضر وإستبرق بالرفع حملا على الثياب وبالجر على السندس
وقرئ وإستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لأنه أعجمي وهو غلط لأنه نكرة يدخله حرف التعريف
تقول الإستبرق إلا أن يزعم ابن محيصن أنه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب. وقرئ واستبرق بوصل الهمزة
والفتح على أنه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح أيضا لأنه معرب مشهور تعريبه وأن أصله استبره
ومحل وحلوا العطف على ويطوف عليهم. فإن قلت ذكرها هنا أن أساورهم من فضة وفي موضع آخر أنها
من ذهب. قلت هب أنه قيل وحلوا أساور من ذهب ومن فضة وهذا صحيح لا إشكال فيه على أنهم يسورون
بالجنسين إما على المعاقبة وإما على الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين أنواع الحلي وتجمع بينهما وما أحسن
بالمعصم أن يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة. شرابا طهورا ليس برجس كخمر الدنيا لأن كونها
رجسا بالشرع لا بالعقل وليست الدار دار تكليف. أو لأنه لم يعصر فتمسه الأيدي الوضرة وتدوسه الأقدام
الدنسة ولم يجعل في الدنان والأباريق التي لم يعن بتنظيفها. أو لأنه لا يؤول إلى النجاسة لأنه يرشح عرقا
من أبدانهم له ريح كريح المسك. ﴿إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا﴾ أي يقال لأهل الجنة
إن هذا. وهذا إشارة إلى ما تقدم من عطاء الله لهم ما جوزيتم به على أعمالكم وشكر به سعيكم والشكر مجاز. ﴿إنا
نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا﴾ تكرير الضمير بعد إيقاعه اسما لإن تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله تعالى
بالتنزيل ليتقرر في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على أي وجه نزل إلا
حكمة وصوابا. كأنه قيل ما نزل عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما إلا أنا لا غيري وقد عرفتني حكيما فاعلا لكل ما
أفعله بدواعي الحكمة. وقد دعتني حكمتي بالغة إلى أن أنزل عليك الأمر بالمكافة والمصابرة وسأنزل عليك الأمر
بالقتال والانتقام بعد حين. ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا﴾ فاصبر لحكم ربك الصادر
عن الحكمة وتعليقه الأمور بالمصالح بتأخير نصرتك على أعدائك من أهل مكة. ولا تطع منهم أحدا قلة صبر منك

على اذاهم وضجروا من تاخر الظفر وكانوا مع افراطهم في العداوة والايذاء له ولمن معه يدعونه الى ان يرجع عن
امره ويبذلون له اموالهم وتزويج اكرم بناتهم ان اجابهم فان قلت كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله آثما او
كفورا قلت معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان
يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهي ان يساعدهم على الاثنين دون الثالث وقيل
الآثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق وكان الوليد غاليا في الكفر
شديد الشكيمة في العتو فان قلت معنى او ولا تطع احدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا
قلت لو قيل ولا تطعهما لجاز ان يطيع احدهما واذا قيل لا تطع احدهما علم ان الناهي عن طاعة احدهما عن طاعتهما
جميعا انهى كما اذا نهى ان يقول لابويه اف علم انه منهي عن ضربهما على الطريق الاولى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا
ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا نحن
خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ودم
على صلوة الفجر والعصر ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له يعني صلوة المغرب والعشاء وادخل من على الظرف
للتبعيض كما دخل على المفعول في قوله عز وجل يغفر لكم من ذنوبكم وسبحه ليلا طويلا فتهجد له هزيعا طويلا من الليل
ثلثيه او نصفه او ثلثه ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة يؤثرونها على الآخرة كقوله بل تؤثرون الحيوة الدنيا
ويذرون وراءهم قدامهم او خلف ظهورهم لا يعبأون به يوما ثقيلا استعير الثقل لشدته وهوله من الشيء الثقيل الباهظ
لحامله ونحوه ثقلت في السموات والارض الاسر الربط والتوثيق ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقد وهو الاسار وفرس
ماسور الخلق وترس ماسور بالعقب والمعنى شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب
ومثله قولهم جارية معصوبة الخلق ومجدولته واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في شدة الاسر يعني
النشاة الاخرى وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع وحقه ان يجيء بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل
قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاءون الا ان يشاء الله
ان الله كان عليما حكيما هذه اشارة الى السورة او الى الآيات القريبة فمن شاء فمن اختار الخير لنفسه وحسن
العاقبة واتخاذ السبيل الى الله عبارة عن التقرب اليه والتوسل بالطاعة وما تشاءون الطاعة الا ان
يشاء الله بقسرهم عليها ان الله كان عليما باحوالهم وما يكون منهم حكيما حيث خلقهم مع علمه بهم وقرئ
يشاءون بالياء فان قلت ما محل ان يشاء الله قلت النصب على الظرف واصله الا وقت مشية الله وكذلك
قراءة ابن مسعود رضي الله عنه الا ما يشاء الله لان ما مع الفعل كان معه يدخل من يشاء في رحمته
والظالمين اعد لهم عذابا اليما يدخل من يشاء هم المؤمنون ونصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم نحو
اوعد وكافا وما اشبه ذلك وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وللظالمين على واعد للظالمين وقرأ ابن الزبير
رضي الله عنه والظالمون على الابتداء وغيرها اولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها مع
مخالفتها للمصحف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات مكية وهي خمسون آية بالاتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا
فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا انما توعدون لواقع اقسم سبحانه وتعالى بطوائف
من الملائكة ارسلهن باوامره فعصفن في مضيهن كما تعصف الرياح تخففا في امتثال امره وبطوائف منهم
نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرائع في الارض او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما
اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او اقسم برياح عذاب

ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله تعالى ويجعله كسفا او
بسحاب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر لله وبين من يكفر كقوله عز وجل لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم
فيه فالقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم اذا راوا نعمة الله تعالى
في الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يغفلون الشكر لله تعالى وينسبون ذلك الى الانواء وجعلن
ملقيات الذكر لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت فان قلت ما معنى عرفا
قلت متتابعة كشعر العرف يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تالبوا عليه ويكون
بمعنى العرف الذي هو نقيض النكر وانتصابه على انه مفعول له اي ارسلن للاحسان والمعروف والاول
على الحال وقرئ عرفا على التثقيل نحو نكر في نكر فان قلت قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب
فكيف يكون ارسالهم معروفا قلت ان لم يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبياء والمؤمنين الذين انتقم
الله لهم منهم فان قلت ما العذر والنذر وبم انتصبا قلت هما مصدران من عذر اذا محا
الاساءة ومن انذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز ان يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير
بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر واما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الاولين او على
المفعول له واما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين او منذرين وقرئا مخففين ومثقلين
ان الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم وعن بعضهم ان المعنى
ورب المرسلات فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت واذا الجبال نسفت واذا الرسل اقتت
لاي يوم اجلت ليوم الفصل وما ادراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين طمست محيت ومحقت
وقيل ذهب بنورها ومحق ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز ان يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة
النور فرجت فتحت فكانت ابوابا قال الفارسي باب الاسم الفعل نسفت كالحب اذا نسف بالمنسف ونحوه
وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقيل اخذت بسرعة من اماكنها من انتسفت الشيء اذا اختطفته
وقرئت طمست وفرجت ونسفت مشددة وقرئ اقتت ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما والاصل الواو
ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم والتاجيل من الاجل كالتوقيت من
الوقت لاي يوم اجلت تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذي يفصل
فيه بين الخلائق والوجه ان يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيامة
واجلت اخرت فان قلت كيف وقع النكرة مبتدا في قوله ويل يومئذ للمكذبين قلت هو في
اصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه
للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب ولكن لم يقرأ به يقال ويلا له وويلا كيلا الم نهلك
الاولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين قرأ قتادة
نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا ثم نتبعهم بالرفع على الاستئناف
وهو وعيد لاهل مكة يريد ثم نفعل بامثالهم من الآخرين ما فعلنا بالاولين ونسلك بهم سبيلهم لانهم
كذبوا مثل تكذيبهم ويقويها قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ثم سنتبعهم وقرئ بالجزم للعطف على نهلك
ومعناه انه اهلك الاولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم اتبعهم الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى عليهم الصلوة
والسلام كذلك مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من اجرم انذارا وتحذيرا من عاقبة الجرم وسوء اثره الم
نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل
يومئذ للمكذبين الى قدر معلوم الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة الاشهر او ما دونها
او ما فوقها فقدرنا فقدرنا ذلك تقديرا فنعم القادرون فنعم المقدرون له نحن او فقدرنا على ذلك فنعم

لقادرون لانه على معنى الأول أولى لقراءة من قرأ فقدرنا بالتشديد لقوله تعالى من نطفة خلقه فقدره • ألم نجعل الأرض كفاتا • أحياء وأمواتا • وجعلنا فيها رواسي شامخات • وأسقيناكم ماء فراتا • ويل يومئذ للمكذبين • الكفات من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع ويقال هذا الباب جماع الأبواب وبه انتصب أحياء وأمواتا كأنه قيل كافتة أحياء وأمواتا أو بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت والمعنى تكفت أحياء على ظهرها وأمواتا في بطنها وقد استدل بعض أصحاب الشافعي رضي الله عنه على قطع النباش بأن الله تعالى جعل الأرض كفاتا للأموات فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق من الحرز **فإن قلت** لم قيل أحياء وأمواتا على التنكير وهي كفات الأحياء والأموات جميعا **قلت** هو تنكير التفخيم كأنه قيل تكفت أحياء لا يعدون وأمواتا لا يحصرون على أن أحياء الإنس وأمواتهم ليسوا بجميع الأحياء والأموات • ويجوز أن يكون المعنى تكفتكم أحياء وأمواتا فينتصبا على الحال من الضمير لأنه قد علم أنها كفات الإنس **فإن قلت** فالتنكير في رواسي شامخات وماء فراتا **قلت** يحتمل إفادة التبعيض لأن في السماء جبالا قال الله تعالى من جبال فيها من برد وفيها ماء فراتا أيضا بل هي معدنه ومصبه وأن يكون للتفخيم • انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون • انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب • لا ظليل ولا يغني من اللهب • إنها ترمي بشرر كالقصر • كأنه جمالات صفر • ويل يومئذ للمكذبين • أي يقال لهم انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون من العذاب وانطلقوا الثاني تكرير • وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي إخبارا بعد الأمر عن عملهم بموجبه لأنهم مضطرون إليه لا يستطيعون امتناعا منه • إلى ظل يعني دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم • ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب • وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فيظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش • لا ظليل تهكم بهم وتعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين • ولا يغني في محل الجر أي وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا • بشرر وقرئ بشرار كالقصر أي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها • وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر • وقرئ كالقصر بفتحتين وهي أعناق الإبل أو أعناق النخل نحو شجرة وشجر • وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن • وقرأ سعيد بن جبير كالقصر في جمع قصرة كحاجة وحوج • جمالات جمع جمال أو جمالة جمع جمل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه ألا تراهم يشبهون الإبل بالأفدان والمجادل • وقرئ جمالات بالضم وهي قلوس الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحدة جمالة • وقرئ جمالة بالكسر بمعنى جمال • وجمالة بالضم وهي القلس • وقيل صفر لإرادة الجنس • وقيل صفر سود تضرب إلى الصفرة • وفي شعر عمران بن حطان الخارجي • دعتهم بأعلى صوتها ورمتهم • بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى • وقال أبو العلاء • حمراء ساطعة الذوائب في الدجى • ترمي بكل شرارة كطراف • فشبهها بالطراف وهو بيت الأدم في العظم والحمرة وكأنه قصد بخبثه أن يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جاء في صدر بيته بقوله حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمي جمع الله له عمى الدارين عن قوله تعالى كأنه جمالات صفر فإنه بمنزلة قوله كبيت أحمر وعلى أن في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوس تشبيه من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة فأبعد الله إغرابه في طرافه وما نفخ شدقيه من استطرافه • هذا يوم لا ينطقون • ولا يؤذن لهم فيعتذرون • ويل يومئذ للمكذبين • هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين • فإن كان لكم كيد فكيدون • ويل يومئذ للمكذبين • قرئ بنصب اليوم ونصبه الأعمش أي هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ ويوم القيامة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك ورد الأمران في القرآن أو جعل نطقهم كلا نطق لأنه لا ينفع ولا يسمع فيعتذرون عطف

على لا يؤذن منخرط في سلك النفي والمعنى ولا يكون لهم إذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسببا عن الإذن ولو نصب لكان مسببا عنه لا محالة • جمعناكم والأولين كلام موضح لقوله تعالى هذا يوم الفصل لأنه إذا كان يوم الفصل بين السعداء والأشقياء وبين الأنبياء وأممهم فلا بد من جمع الأولين والآخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم • فإن كان لكم كيد تقريع لهم على كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة • إن المتقين في ظلال وعيون • وفواكه مما يشتهون • كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون • إنا كذلك نجزي المحسنين • ويل يومئذ للمكذبين • كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون • ويل يومئذ للمكذبين • كلوا واشربوا في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال أي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك • وكلوا وتمتعوا حال من المكذبين أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا **فإن قلت** كيف يصح أن يقال لهم ذلك في الآخرة **قلت** يقال لهم في الآخرة إيذانا بأنهم كانوا في الدنيا أحقاء بأن يقال لهم وكانوا من أهله تذكيرا بحالهم السمجة وبما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النعيم والملك المخلد وفي طريقته قوله • إخوتي لا تبعدوا أبدا • وبلى والله قد بعدوا • يريد كنتم أحقاء في حياتكم بأن يدعى لكم بذلك وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على أن كل مجرم ماله إلا الأكل والتمتع أياما قلائل ثم البقاء في الهلاك أبدا • ويجوز أن يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستأنفا خطابا للمكذبين في الدنيا • وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون • فبأي حديث بعده يؤمنون • اركعوا اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم • وقيل ما كان على العرب أشد من الركوع والسجود • وقيل نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقالوا لا نجبي فإنها مسبة علينا فقال صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود • بعده بعد القرآن يعني أن القرآن من بين الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فبأي كتاب بعده يؤمنون • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين • صدق الله تعالى ورسوله

سورة عم مكية وتسمى سورة النبأ وهي أربعون أو إحدى وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم • عم يتساءلون • عن النبإ العظيم • الذي هم فيه مختلفون • كلا سيعلمون • ثم كلا سيعلمون • عم أصله عما على أنه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وهو في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر • قال حسان • على ما قام يشتمني لئيم • كخنزير تمرغ في رماد • والاستعمال الكثير على الحذف والأصل قليل • ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قال عن أي شيء يتساءلون ونحوه ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد أي شيء هو من الأشياء هذا أصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا يخفى عليه خافية • يتساءلون يسأل بعضهم بعضا أو يتساءلون غيرهم من رسول الله والمؤمنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم والضمير لأهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء • عن النبإ العظيم بيان للشأن المفخم • وعن ابن كثير أنه قرأ عمه بهاء السكت ولا يخلو إما أن يجري الوصل مجرى الوقف وإما أن يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبإ العظيم على أن يضمر يتساءلون لأن ما بعده يفسره كشيء مبهم ثم يفسر **فإن قلت** قد زعمت أن الضمير في يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله هم فيه مختلفون **قلت** كان فيهم من يقطع القول بإنكار البعث ومنهم من يشك • وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يسألون عنه فأما المسلم فليزداد خشية واستعدادا وأما الكافر فليزداد استهزاء • وقيل النبأ العظيم القرآن • وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم • وقرئ يساءلون بالإدغام • وستعلمون بالتاء • كلا ردع للمتسائلين هزءا

وسيعلمون وعيد لهم بانهم سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لانه واقع لا ريب فيه
وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني ابلغ من الاول واشد
الم نجعل الارض مهادا • والجبال اوتادا • وخلقناكم ازواجا • وجعلنا نومكم سباتا • وجعلنا
الليل لباسا • وجعلنا النهار معاشا • وبنينا فوقكم سبعا شدادا فان قلت كيف اتصل
به قوله الم نجعل الارض مهادا قلت لما انكروا البعث قيل لهم الم يخلق من اضيف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة
على كمال القدرة فما وجه انكاركم قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات او قيل لهم الم يفعل هذه
الافعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل فعلا عبثا وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤد الى انه عابث في كل ما فعل مهادا
فراشا وقيل مهدا ومعناه انها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب
الامير او وصفت بالمصدر او بمعنى ذات مهد وقرئ مهدا اي ارسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالاوتاد سباتا موتا والمسبوت
الميت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة والنوم احد التوفيين وهو على بناء الادواء ولما جعل النوم موتا
جعل اليقظة معاشا اي حياة في قوله تعالى وجعلنا النهار معاشا اي وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون
في حوائجكم ومكاسبكم وقيل السبات الراحة لباسا يستركم عن العيون اذا اردتم هربا من عدو او بياتا له او اخفاء
ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر ان المانوية تكذب سبعا
سبع سموات شدادا جمع شديدة يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الازمان وهاجا متلالئا وقادا يعني
الشمس وتوهجت النار اذا تلمظت فتوهجت بضوئها وحرها • وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا • لنخرج به حبا
ونباتا • وجنات الفافا • المعصرات السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك اجز الزرع اذا حان
له ان يجز ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض وقرأ عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان ان يراد الرياح التي حان لها
ان تعصر السحاب وان يراد السحائب لانه اذا كان الانزال منها فهو بها كما تقول اعطى من يده درهما واعطى بيده وعن مجاهد
المعصرات ذوات الاعاصير وعن الحسن رحمه الله وقتادة هي السموات وتاويله ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكأن
السموات يعصرن اي يحملن على العصر ويمكن منه فان قلت فما وجه من قرأ من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات
الاعاصير والمطر لا ينزل من الرياح قلت الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصح ان تجعل مبدأ للانزال
وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر فان قلت
ذكر ابن كيسان انه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر هو المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر قلت
وجهه ان يريد اللاتي اعصرن اي حان لها ان تعصر اي تغيث ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه
وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وكان ابن عباس رضي الله عنهما
مثجا يسيل غربا يعني يثج الكلام ثجا في خطبته وقرأ الاعرج ثجاحا ومثاجح الماء مصابه والماء ينثجح
في الوادي حبا ونباتا يريد ما يتقوت به من نحو الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش كما قال تعالى
كلوا وارعوا انعامكم والحب ذو العصف والريحان الفافا ملتفة لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل
الواحد لف وقال صاحب الاقليد انشدني الحسن بن علي الطوسي جنة لف وعيش مغدق وندامى كلهم بيض زهر
وزعم ابن قتيبة انه لفاء ولف ثم الفاف وما اظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر واحمار ولو
قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها • ان يوم الفصل كان ميقاتا • يوم ينفخ في الصور
فتأتون افواجا • وفتحت السماء فكانت ابوابا • وسيرت الجبال فكانت سرابا • كان ميقاتا كان في تقدير
الله وحكمه حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ بدل من يوم الفصل او عطف
بيان فتأتون افواجا من القبور الى الموقف امما كل امة مع امامها وقيل جماعات مختلفة عن معاذ رضي الله عنه
انه سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سألت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال

يحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم
فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم
يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون
على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة
بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت
واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم والبكم فالمعجبون باعمالهم
واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم
وارجلهم فهم الذين يؤذون الجيران واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان
واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في اموالهم واما الذين
يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء وقرئ وفتحت بالتشديد والتخفيف والمعنى كثرت ابوابها
المفتحة لنزول الملائكة كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا كأن كلها عيون
تتفجر وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء فكانت سرابا
كقوله تعالى فكانت هباء منبثا يعني انها تصير شيئا كلا شيء لتفرق اجزائها وانبثاث جواهرها • ان جهنم
كانت مرصادا • للطاغين مآبا • لابثين فيها احقابا • لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا • الا
حميما وغساقا • جزاء وفاقا • المرصاد الحد الذي يكون فيه الرصد والمعنى ان جهنم هي حد الطاغين
الذين يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم او هي مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم
عندها لانهم مجازهم عليها وهي مآب للطاغين وعن الحسن وقتادة نحوه قالا طريقا وممرا لاهل الجنة
وقرأ ابن يعمر ان جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بان جهنم كانت مرصادا للطاغين كانه قيل كان ذلك
لاقامة الجزاء وقرئ لابثين ولبثين واللبث اقوى لان اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث الا لمن شانه
اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه احقابا حقبا بعد حقب كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير
نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك الا ترى
الى حقيبة الراكب والحقب الذي وراء التصدير وقيل الحقب ثمانون سنة ويجوز ان يراد لابثين فيها
احقابا غير ذائقين بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر
من العذاب وفيه وجه آخر وهو ان يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطأه
الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حالا عنهم يعني لابثين فيها حقبين جحدين وقوله لا يذوقون
فيها بردا ولا شرابا تفسير له والاستثناء منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا او روحا ينفس عنهم حر النار
ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وانشد فلو شئت
حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وعن بعض العرب منع البرد البرد وقرئ غساقا بالتشديد
والتخفيف وهو ما يغسق اي يسيل من صديدهم وفاقا وصف بالمصدر او ذا وفاق وقرأ ابو حيوة وفاقا
فعال من وفقه كذا • انهم كانوا لا يرجون حسابا • وكذبوا باياتنا كذابا • وكل شيء احصيناه
كتابا • فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا • كذابا تكذيبا وفعال في باب فعل كله فاش في كلام
فصحاء العرب لا يقولون غيره وسمعني بعضهم افسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله وقرئ بالتخفيف
وهو مصدر كذب بدليل قوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وهو مثل قوله تعالى انبتكم من الارض
نباتا يعني وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا او تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب
وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا باياتنا فكاذبوا مكاذبة او كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا

عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة او لانهم يتكلمون بما هو افراط في الكذب فعل من يغالب في امر فيبلغ فيه اقصى جهده • وقرئ كذابا وهو جمع كاذب اي كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه • وقرأ ابو السمال وكل شيء احصيناه بالرفع على الابتداء • كتابا مصدر في موضع احصاء او احصيناه في معنى كتبناه لالتقاء الاحصاء والكتبة في معنى الضبط والتحصيل او يكون حالا في معنى مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة والمعنى احصاء معاصيهم كقوله عز وجل احصاه الله ونسوه وهو اعتراض وقوله فذوقوا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وهي آية في غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على ان ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدا على ان الغضب قد تبالغ • وعن النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار • ان للمتقين مفازا • حدائق واعنابا • وكواعب اترابا • وكأسا دهاقا • مفازا فوزا وظفرا بالبغية او موضع فوز • وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة وفسر المفاز بما بعده • والحدائق البساتين فيها انواع الشجر المثمر • والاعناب الكروم • والكواعب اللاتي فلكت ثديهن وهي النواهد • والاتراب اللدات • والدهاق المترعة وادهق الحوض ملأه حتى قال قطني • لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا • جزاء من ربك عطاء حسابا • وقرئ ولا كذابا بالتشديد والتخفيف اي لا يكذب بعضهم بعضا او لا يكاذبه • وعن علي رضي الله عنه انه قرأ بتخفيف الاثنين • جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله تعالى ان للمتقين مفازا كانه قال جازى المتقين بمفاز • وعطاء نصب بجزاء نصب المفعول به اي جزاهم عطاء • وحسابا صفة بمعنى كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي • وقيل على حسب اعمالهم • وقرأ ابن قطيب حسابا بالتشديد على ان الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك • رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا • قرئ رب السموات والرحمن بالرفع على هو رب السموات الرحمن • او رب السموات مبتدأ والرحمن صفة ولا يملكون خبر او هما خبران وبالجر على البدل من ربك وبجر الاول ورفع الثاني على انه مبتدأ خبره لا يملكون او هو الرحمن لا يملكون والضمير في لا يملكون لاهل السموات والارض اي ليس في ايديهم مما يخاطب به الله تعالى ويأمر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه او لا يملكون ان يخاطبوه بشيء من نقص العذاب او زيادة في الثواب الا ان يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه • يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا • ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا • يوم يقوم متعلق بلا يملكون او بلا يتكلمون والمعنى ان الذين هم افضل الخلائق واشرفهم واكثرهم طاعة واقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه فما ظنك بمن عداهم من اهل السموات والارض والروح اعظم خلقا من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين • وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقا اعظم منه • وقيل ليس بالملائكة وهم يأكلون • وقيل جبريل عليه الصلاة والسلام هما شريطتان ان يكون المتكلم منهم مأذونا له في الكلام وان يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى • انا انذرناكم عذابا قريبا • يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا • المرء هو الكافر لقوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم يعني ما قدمت يداه من الشر لقوله تعالى وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك بما قدمت لهم انفسهم والله عليم بالظالمين • ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه • وموصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة محذوف • وقيل المرء عام وخصص منه الكافر • وعن قتادة هو المؤمن • يا ليتني كنت

ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث • وقيل يحشر الله تعالى الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله • وقيل الكافر ابليس يرى آدم عليه الصلاة والسلام وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيمة صدق رسول الله

سورة النازعات مكية وهي ست واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • والنازعات غرقا • والناشطات نشطا • والسابحات سبحا • فالسابقات سبقا • فالمدبرات امرا • اقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة التي تنزع الارواح من الاجساد وبالطوائف التي تنشطها اي تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها • وبالطوائف التي تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الى ما امروا به فتدبر امرا من امور العباد مما يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم • غرقا اغراقا في النزع اي تنزعها من اقاصي الاجساد من اناملها واظفارها • او اقسم بخيل الغزاة التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد • والتي تسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه • او اقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها في النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط في اقصى المغرب • والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر امرا من علم الحساب • وقيل النازعات ايدي الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق السهام • والتي تنشط الاوهاق • والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيمة • يوم ترجف الراجفة • تتبعها الرادفة • قلوب يومئذ واجفة • ابصارها خاشعة • ويوم ترجف منصوب بهذا المضمر والراجفة الواقعة التي ترجف عندها الارض والجبال وهي النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها تتبعها الرادفة اي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية • ويجوز ان تكون الرادفة من قوله تعالى قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون اي القيمة التي تستعجلها الكفرة استبعادا لها وهي رادفة لهم لاقترابها • وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال • والرادفة السماء والكواكب لانها تنشق وتنتثر كواكبها على اثر ذلك • فان قلت ما محل تتبعها قلت الحال اي ترجف تابعتها الرادفة • فان قلت كيف جعلت يوم ترجف ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى قلت المعنى لتبعثن في الوقت الواسع الذي يقع فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاخرى ودل على ذلك ان قوله تعالى تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة • ويجوز ان ينتصب يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب • واجفة شديدة الاضطراب والوجيب والوجيف اخوان • خاشعة ذليلة • فان قلت كيف جاز الابتداء بالنكرة قلت قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها • وابصارها خاشعة خبرها فهو كقوله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك • فان قلت كيف صح اضافة الابصار الى القلوب قلت معناه ابصار اصحابها بدليل قوله يقولون • يقولون ائنا لمردودون في الحافرة • ائذا كنا عظاما نخرة • في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت • فان قلت ما حقيقة هذه الكلمة قلت يقال رجع فلان في حافرته اي في طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا كما قيل حفرت اسنانه فحفرت حفرا اذا اثر الاكال في اسناخها والخط المحفور في الصخر • وقيل حافرة كما قيل

عيشة راضية أي منسوبة إلى الحفر والرضا • أو كقولهم نهاره صائم ثم قيل لمن كان في أمر فخرج منه
ثم عاد إليه رجع إلى حافرته أي إلى طريقته وحالته الأولى • قال: أحافرة على صلع وشيب • معاذ الله من
سفه وعار • يريد أرجوعا إلى الحافرة • وقيل النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الأولى وهي الصفقة
وقرأ أبو حيوة في الحفرة والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت أسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة وهذه
القراءة دليل على أن الحافرة في أصل الكلمة بمعنى المحفورة • يقال نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع
فهو طامع وفعل أبلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالي الأجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير • **قالوا
تلك إذا كرة خاسرة • فإنما هي زجرة واحدة • فإذا هم بالساهرة** • وإذا منصوب بمحذوف
تقديره أئذا كنا عظاما نخرة نرد ونبعث • كرة خاسرة منسوبة إلى الخسران أو خاسر أصحابها • والمعنى أنها
إن صحت فنحن إذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم • فإن قلت بم تعلق قوله فإنما
هي زجرة واحدة • قلت بمحذوف معناه لا تستصعبوها فإنما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك
الكرة صعبة على الله فإنها سهلة هينة في قدرته تعالى ما هي إلا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية
فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتا في جوفها من قولهم زجر البعير إذا صاح عليه
والساهرة الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك لأن السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية
الماء وفي ضدها نائمة • قال الأشعث بن قيس رضي الله عنهما: وساهرة يضحي السراب مجللا لأقطارها
قد جبتها متلثما • أو لأن سالكها لا ينام خوف الهلكة • وعن قتادة فإذا هم في جهنم • **هل أتاك حديث
موسى إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى • اذهب إلى فرعون إنه طغى • فقل هل لك إلى أن تزكى
وأهديك إلى ربك فتخشى** • اذهب على إرادة القول وفي قراءة عبد الله أن اذهب لأن في النداء معنى
القول فقل هل لك وكذا تقول هل لك في كذا وهل لك إليه • إلى أن تزكى إلى أن تتطهر من الشرك • وقرأ أهل
المدينة تزكى بالإدغام • وأهديك إلى ربك وأرشدك إلى معرفة الله بذكر صفاته فتعرفه فتخشى لأن الخشية
لا تكون إلا بالمعرفة قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء أي العلماء به وذكر الخشية لأنها ملاك الأمر
من خشي الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شيء ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من خاف أدلج ومن أدلج
بلغ المنزل • بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا • وأردفه
الكلام الرفيق ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه كما أمر بذلك في قوله تعالى
فقولا له قولا لينا • **فأراه الآية الكبرى • فكذب وعصى • ثم أدبر يسعى • فحشر فنادى • فقال أنا ربكم
الأعلى** • الآية الكبرى قلب العصا حية لأنها كانت المقدمة والأصل والأخرى كالتبع لها لأنه كان يتقيها بيده
فقيل له أدخل يدك في جيبك • أو أرادهما جميعا إلا أنه جعلهما واحدة لأن الثانية كأنها من جملة الأولى لكونها
تابعة لها • فكذب بموسى عليه الصلاة والسلام والآية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا • وعصى الله تعالى
بعد ما علم صحة الأمر وأن الطاعة قد وجبت عليه • ثم أدبر يسعى أي لما رأى الثعبان أدبر مرعوبا • يسعى يسرع
في مشيته • قال الحسن رحمه الله تعالى كان رجلا طياشا خفيفا • أو تولى عن موسى عليه الصلاة والسلام
يسعى ويجتهد في مكايدته • أو أريد ثم أقبل يسعى كما تقول أقبل يفعل كذا بمعنى أنشأ يفعل فوضع أدبر موضع
أقبل لئلا يوصف بالإقبال • فحشر فجمع السحرة كقوله فأرسل فرعون في المدائن حاشرين • فنادى في المقام
الذي اجتمعوا فيه معه أو أمر مناديا فنادى في الناس بذلك • وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كلمته الأولى ما علمت لكم من إله غيري والآخرة أنا ربكم الأعلى • **فأخذه الله
نكال الآخرة والأولى • إن في ذلك لعبرة لمن يخشى** • هو مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كأنه قيل نكل
الله به نكال الآخرة والأولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم يعني الإغراق في الدنيا والإحراق

في الآخرة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما نكال كلمتيه الآخرة وهي قوله أنا ربكم الأعلى والأولى وهي قوله ما علمت
لكم من إله غيري • وقيل كان بين الكلمتين أربعون سنة وقيل عشرون • **أأنتم أشد خلقا أم السماء
بناها • رفع سمكها فسواها • وأغطش ليلها وأخرج ضحاها** • الخطاب لمنكري البعث يعني أأنتم
أصعب خلقا وإنشاء أم السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها
أي جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام • فسواها فعدلها مستوية
ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور • أو فتممها بما علم أنها تتم به وأصلحها من قولك سوى فلان
أمر فلان • غطش الليل وأغطشه الله كقولك ظلم وأظلمه ويقال أيضا غطش الليل كما يقال أظلم
وأخرج ضحاها وأبرز ضوء شمسها يدل عليه قوله عز وجل والشمس وضحاها يريد وضوئها وقولهم وقت الضحى
للوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها • وأضيف الليل والشمس إلى السماء لأن الليل ظلها والشمس
هي السراج المثقب في جوها • **والأرض بعد ذلك دحاها • أخرج منها ماءها ومرعاها
والجبال أرساها** • ماءها عيونها المتفجرة بالماء • ومرعاها رعيها وهو في الأصل موضع الرعي
ونصب الأرض والجبال بإضمار دحا وأرسى وهو الإضمار على شريطة التفسير • وقرأهما الحسن رحمه الله
مرفوعين على الابتداء • فإن قلت هلا أدخل حرف العطف على أخرج • قلت فيه وجهان
أحدهما أن يكون معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تأتي سكناها
من تسوية أمر المأكل والمشرب وإمكان القرار عليها والسكون بإخراج الماء والمرعى وإرساء الجبال وإثباتها
أوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها • والثاني أن يكون أخرج حالا بإضمار قد كقوله أو جاءوكم
حصرت صدورهم • وأراد بمرعاها ما يأكل الناس والأنعام واستعير الرعي للإنسان كما استعير الرتع في قوله
تعالى نرتع ونلعب • وقرئ نرتع من الرعي ولهذا قيل دل الله سبحانه وتعالى بذكر الماء والمرعى على عامة
ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الأرض حتى الملح لأنه من الماء • **متاعا لكم ولأنعامكم** • فعل ذلك متاعا لكم
تمتيعا لكم ولأنعامكم لأن منفعة ذلك التمهيد واصلة إليهم وإلى أنعامهم • **فإذا جاءت الطامة
الكبرى • يوم يتذكر الإنسان ما سعى • وبرزت الجحيم لمن يرى** • الطامة الداهية التي تطم
على الدواهي أي تعلو وتغلب • وفي أمثالهم جرى الوادي فطم على القرى • وهي القيامة لطمها على كل هائلة
وقيل هي النفخة الثانية • وقيل الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار • يوم
يتذكر بدل من إذا جاءت يعني إذا رأى أعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله تعالى أحصاه
الله ونسوه • وما في ما سعى موصولة أو مصدرية • وبرزت أظهرت • وقرأ أبو نهيك وبرزت لمن يرى
للرائين جميعا أي لكل أحد يعني أنها تظهر إظهارا بينا مكشوفا يراها أهل الساهرة كلهم كقولهم قد بين
الصبح لذي عينين يريدون لكل من له بصر وهو مثل في الأمر المنكشف الذي لا يخفى على أحد • وقرأ ابن مسعود
رضي الله عنه لمن رأى • وقرأ عكرمة لمن ترى والضمير للجحيم كقوله تعالى إذا رأتهم من مكان بعيد • وقيل
لمن ترى يا محمد • **فأما من طغى • وآثر الحياة الدنيا • فإن الجحيم هي المأوى • وأما من خاف مقام ربه
ونهى النفس عن الهوى • فإن الجنة هي المأوى** • فأما جواب فإذا أي فإذا جاءت الطامة فإن الأمر
كذلك • والمعنى فإن الجحيم مأواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الألف واللام بدلا من الإضافة
ولكن لما علم أن الطاغي هو صاحب المأوى وأنه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الإضافة • ودخول حرف التعريف
في المأوى والطرف للتعريف لأنهما معروفان • وهي فصل أو مبتدأ • وهي النفس الأمارة بالسوء عن الهوى المردي
وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على إيثار الخير • وقيل الآيتان نزلتا في
أبي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب أخاه أبا عزيز يوم أحد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بنفسه حتى تعذب المشاق فيحوزه • يسألونك عن الساعة أيان مرساها • فيم أنت من ذكراها • إلى ربك منتهاها • أيان مرساها متى إرساؤها أي إقامتها أراد متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكونها
وقيل أيان منتهاها ومستقرها كما أن مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهي إليه • فيم أنت في أي شيء أنت من
أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعني ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء • وعن عائشة رضي الله عنها
لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة يسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها
كأنه قيل في أي شغل واهتمام أنت من ذكرها والسؤال عنها • والمعنى أنهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم
لا تزال تذكرها وتسأل عنها • ثم قال إلى ربك منتهاها أي منتهى علمها لم يؤت علمها أحدا من خلقه • وقيل
فيم إنكار لسؤالهم أي فيم هذا السؤال • ثم قيل أنت من ذكراها أي إرسالك وأنت خاتم الأنبياء وآخر الرسل
المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها
ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها • إنما أنت منذر من يخشاها • كأنهم يوم يرونها
لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها • إنما أنت منذر من يخشاها أي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذي لا
فائدة لهم في علمه وإنما بعثت لتنذر من أهوالها من يكون من إنذارك لطفا له في الخشية منها • وقرئ منذر بالتنوين
وهو الأصل والإضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فإذا أريد الماضي فليس إلا الإضافة كقولك
هو منذر زيد أمس • كأنهم لم يلبثوا في الدنيا وقيل في القبور • إلا عشية أو ضحاها • فإن قلت كيف
صحت إضافة الضحى إلى العشية • قلت لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد • فإن قلت فهلا
قيل إلا عشية أو ضحى وما فائدة الإضافة • قلت الدلالة على أن مدة لبثهم كأنها لم تبلغ يوما كاملا
ولكن ساعة منه عشيته أو ضحاه فلما ترك اليوم أضافه إلى عشيته فهو كقوله لم يلبثوا إلا ساعة
من نهار • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة

سورة عبس مكية وهي اثنتان وأربعون آية

قدر صلوة مكتوبة

بسم الله الرحمن الرحيم • عبس وتولى • أن جاءه الأعمى • وما يدريك لعله يزكى • أو
يذكر فتنفعه الذكرى • أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم وأم مكتوم أم أبيه واسمه عبد الله
بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة
ابنا ربيعة • وأبو جهل بن هشام • والعباس بن عبد المطلب • وأمية بن خلف • والوليد بن المغيرة يدعوهم
إلى الإسلام فقال يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله
صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه
ويقول إذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين • وقال
أنس رضي الله عنه رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء • وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة ونحوه
كلح في كلح • أن جاءه الأعمى منصوب بتولى أو بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لأن جاءه الأعمى
وأعرض لذلك • وقرئ آن جاءه بهمزتين وبألف بينهما ووقف على عبس وتولى ثم ابتدئ على معنى ألأن جاءه الأعمى
فعل ذلك إنكارا عليه • وروي أنه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني • وفي الإخبار عما
فرط منه ثم الإقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الإنكار كمن يشكو إلى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على
الجاني إذا حمي في الشكاية مواجها بالتوبيخ وإلزام الحجة • وفي ذكر الأعمى نحو من ذلك كأنه يقول قد استحق
عنده العبوس والإعراض لأنه أعمى وكان يجب أن يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا • ولقد تأدب الناس
بأدب الله تعالى في هذا أدبا حسنا فقد روي عن سفيان الثوري رحمه الله أن الفقراء كانوا في مجلسه أمراء • وما

يدريك وأي شيء يجعلك داريا بحال هذا الأعمى • لعله يزكى أي يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض أوضار
الإثم • أو يذكر أو يتعظ فتنفعه ذكراك أي موعظتك فتكون له لطفا في بعض الطاعات • والمعنى أنك لا تدري
ما هو مترقب منه من تزك أو تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك • وقيل الضمير في لعله للكافر يعني
أنك طمعت في أن يتزكى بالإسلام أو يذكر فتقربه الذكرى إلى قبول الحق وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن
• وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على يذكر • وبالنصب جوابا للعل كقوله عز وجل فأطلع إلى إله
موسى • أما من استغنى فأنت له تصدى • وما عليك ألا يزكى • وأما من جاءك يسعى
وهو يخشى فأنت عنه تلهى • كلا إنها تذكرة • تصدى تتعرض بالإقبال عليه • والمصاداة
المعارضة • وقرئ تصّدّى بالتشديد بإدغام التاء في الصاد • وقرأ أبو جعفر تُصدى بضم
التاء أي تُعرض ومعناه يدعوك داع إلى التصدي له من الحرص والتهالك على إسلامه • وليس عليك
بأس في أن لا يتزكى بالإسلام إن عليك إلا البلاغ • يسعى يسرع في طلب الخير • وهو يخشى الله أو
يخشى الكفار وأذاهم في إتيانك • وقيل جاء وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة • فأنت عنه تتشاغل من لهي
عنه والتهى وتلهى • وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى • وقرأ أبو جعفر تُلَهّى أي يلهيك شأن الصناديد • فإن
قلت قوله فأنت له تصدى فأنت عنه تلهى كأن فيه اختصاصا • قلت نعم ومعناه إنكار
التصدي والتلهي عليه أي مثلك خصوصا لا ينبغي أن يتصدى للغني ويتلهى عن الفقير • كلا
ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله • إنها تذكرة أي موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها
• فمن شاء ذكره • في صحف مكرمة • مرفوعة مطهرة • بأيدي سفرة • كرام بررة • فمن شاء ذكره
أي كان حافظا له غير ناس عنه وذكر الضمير لأن التذكرة في معنى الذكر والوعظ • في صحف صفة
لتذكرة يعني أنها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح • مكرمة عند الله عز وجل • مرفوعة
في السماء أو مرفوعة المقدار • مطهرة منزهة عن أيدي الشياطين لا يمسها إلا أيدي ملائكة
مطهرين • سفرة كتبة ينتسخون الكتب من اللوح • بررة أتقياء • وقيل هي صحف الأنبياء عليهم
الصلوة والسلام كقوله تعالى إن هذا لفي الصحف الأولى • وقيل السفرة القراء • وقيل أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم • قتل الإنسان ما أكفره • من أي شيء خلقه • من نطفة
خلقه فقدره • قتل الإنسان دعاء عليه وهي من أشنع دعواتهم لأن القتل قصارى شدائد
الدنيا وفظائعها • وما أكفره تعجب من إفراطه في كفران نعمة الله تعالى ولا ترى أسلوبا أغلظ منه
ولا أخشن مسا ولا أدل على سخط ولا أبعد شوطا في المذمة مع تقارب طرفيه ولا أجمع للأئمة على
قصر متنه • ثم أخذ في وصف حاله من ابتداء حدوثه إلى أن انتهى وما هو مغمور فيه من أصول النعم
وفروعها وما هو غارز فيه رأسه من الكفر والغمط وقلة الالتفات إلى ما يتقلب فيه وإلى ما
يجب عليه من القيام بالشكر • من أي شيء خلقه من أي شيء حقير مهين خلقه ثم بين ذلك
الشيء بقوله تعالى من نطفة خلقه • فقدره فهيأه لما يصلح له ويختص به ونحوه وخلق كل شيء فقدره
تقديرا • ثم السبيل يسره • ثم أماته فأقبره • ثم إذا شاء أنشره • كلا لما يقض ما أمره •
نصب السبيل بإضمار يسر وفسره بيسره والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن أمه أو السبيل
الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر بإقداره وتمكينه كقوله عز وجل إنا هديناه السبيل • وعن
ابن عباس رضي الله عنهما بين له سبيل الخير والشر • فأقبره فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله
مطروحا على وجه الأرض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان • يقال قبر الميت إذا دفنه • وأقبره
الميت إذا أمره أن يقبره ومكنه منه ومنه قول من قال للحجاج أقبرنا صالحا • أنشره أنشأه النشأة الأخرى

كلا القراءتين الرفع والنصب في السبعة ه

أي الموعظة آيات القرآن ه

وقرئ نشره كلا ردع للإنسان عما هو عليه لما يقض لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده من لدن آدم عليه الصلاة والسلام إلى هذه الغاية ما أمره الله تعالى حتى يخرج عن جميع أوامره يعني بأن الإنسان لم يخل من تقصير قط فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم لما عدد النعم في نفسه أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج إليه فقال فلينظر الإنسان إلى مطعمه الذي يعيش به كيف دبرنا أمره أنا صببنا الماء يعني الغيث وقرئ بالكسر على الاستئناف وبالفتح على البدل من الطعام وقرأ الحسين بن علي رضي الله عنهما أنّى صببنا بالإمالة على معنى فلينظر الإنسان كيف صببنا الماء شققنا الأرض بالنبات ويحتمل أن يكون من شقها بالكراب على البقر وأسند الشق إلى نفسه إسناد الفعل إلى السبب والحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما والقضب الرطبة والمقاضب أرضه سميت بمصدر قضبه إذا قطعه لأنه يقضب مرة بعد مرة وحدائق غلبا يحتمل أن يجعل كل حديقة غلباء يريد تكاثفها وكثرة أشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وأن يجعل شجرها غلبا أي عظاما غلاظا والأصل في الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معدي كرب رضي الله عنه يمشي بها غلب الرقاب كأنهم بزل كسين من الكحيل جلالا والأب المرعى لأنه يؤب أي يؤم وينتجع والأب والأم أخوان قال جذمنا قيس ونجد دارنا ولنا الأب به والمكرع وعن أبي بكر رضي الله عنه أنه سئل عن الأب فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الأب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه فإن قلت فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته قلت لم يذهب إلى ذلك ولكن القوم كانت أكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فأراد أن الآية مسوقة في الامتنان على الإنسان بمطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية أن الأب بعض ما أنبته الله تعالى للإنسان متاعا له أو لأنعامه فعليك بما هو أهم من النهوض بالشكر لله عز وجل على ما تبين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة الجملية إلى أن يتبين لك في غير هذا الوقت ثم وصى الناس بأن يجروا على هذا السنن فيما أشبه ذلك من مشكلات القرآن فإذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه يقال صخ لحديثه مثل أصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لأن الناس يصخون لها يفر منهم لاشتغاله بما هو مدفوع إليه ولعلمه أنهم لا يغنون عنه شيئا وبدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أقرب وأحب كأنه قيل يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الأخ لم تواسني بمالك والأبوان قصرت في برنا والصاحبة أطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل أول من يفر من أخيه هابيل ومن أبويه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومن صاحبته نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام ومن ابنه نوح عليه الصلاة والسلام يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه أي يهمه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة مسفرة مضيئة متهللة من أسفر الصبح إذا أضاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قيام الليل لما روي في الحديث من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك رحمه الله من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله غبرة غبار يعلوها قترة سواد كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى في وجوه الزنوج إذا اغبرت وكأن الله عز وجل يجمع إلى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور إلى الكفر عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر صدق رسول الله

سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت في التكوير وجهان أن يكون من كورت العمامة إذا لففتها أي يلف ضوؤها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق وهو عبارة عن إزالتها والذهاب بها لأنها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف أو يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها لأن الثوب إذا أريد رفعه لف وطوي ونحوه قوله تعالى يوم نطوي السماء وأن يكون من طعنه فجوره وكوره إذا ألقاه أي تلقى وتطرح عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار فإن قلت ارتفاع الشمس على الابتداء أو الفاعلية قلت بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت لأن إذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط انكدرت انقضت قال أبصر خربان فضاء فانكدر ويروى في الشمس والنجوم أنها تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم سيرت أي عن وجه الأرض وأبعدت أو سيرت في الجو تسيير السحاب كقوله تعالى وهي تمر مر السحاب والعشار في جمع عشراء كالنفاس في جمع نفساء وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة وهي أنفس ما يكون عند أهلها وأعزها عليهم عطلت تركت مسيبة مهملة وقيل عطلها أهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بأنفسهم وقرئ عطلت بالتخفيف حشرت جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص وقيل إذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصورته كالطاوس ونحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما حشرها موتها يقال إذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة وقرئ حشرت بالتشديد وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت سجرت قرئ بالتخفيف والتشديد من سجر التنور إذا ملأه بالحطب أي ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب أهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها فلا تبقى فيها قطرة زوجت قرنت كل نفس بشكلها وقيل قرنت الأرواح بالأجساد وقيل بكتبها وأعمالها وعن الحسن هو كقوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين وأد يئد مقلوب من آد يؤود إذا أثقل قال الله عز وجل ولا يؤوده حفظهما لأنه إثقال بالتراب كان الرجل إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية فيقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالأرض وقيل كانت الحامل إذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فإذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وإن ولدت ابنا حبسته فإن قلت ما حملهم على وأد البنات قلت الخوف من لحوق العار بهم من أجلهن أو الخوف من الإملاق كما قال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق وكانوا يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به فهو أحق بهن وصعصعة بن ناجية ممن منع الوأد فبه افتخر الفرزدق في قوله ومنا الذي منع الوائدات فأحيى الوئيد فلم يوأد فإن قلت فما معنى سؤال الموءودة عن ذنبها الذي قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها قلت سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام أأنت قلت للناس إلى قوله سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق وقرئ سألت أي خاصمت عن نفسها وسألت الله عز وجل أو قاتلها وإنما قيل قتلت بناء على أن الكلام إخبار عنها ولو حكي ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت وكلام مهاجين سألت لقيل قتلت وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما قتلت على الحكاية وقرئ قتّلت بالتشديد وفيه دليل بين على أن

أطفال المشركين لا يعذبون وعلى أن التعذيب لا يستحق إلا بالذنب وإذا بكت الله عز وجل الكافر ببراءة الموؤدة من الذنب وأقبح به وهو الذي لا يظلم مثقال ذرة أن يكر عليها بعد هذا التبكيت فيفعل بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب الشديد. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الآية. وإذا الصحف نشرت. وإذا السماء كشطت. وإذا الجحيم سعرت. وإذا الجنة أزلفت. علمت نفس ما أحضرت. نشرت قرئ بالتخفيف والتشديد يريد صحف الأعمال تطوى صحيفة الإنسان عند موته ثم تنشر إذا حوسب. وعن قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيامة فلينظر رجل ما يملي في صحيفته. وعن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا قرأها قال إليك يساق الأمر يا ابن آدم. وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس عراة حفاة فقالت أم سلمة رضي الله عنها كيف بالنساء فقال شغل الناس يا أم سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل. ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها أي فرقت بينهم. وعن مرثد بن وداعة إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم أي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الأعمال. كشطت كشفت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه قشطت واعتقاب الكاف والقاف كثير يقال لبكت الثريد ولبقته والكافور والقافور. سعرت أوقدت إيقادا شديدا. وقرئ سعرت بالتشديد للمبالغة. وقيل سعرها غضب الله تعالى وخطايا بني آدم. أزلفت أدنيت من المتقين كقوله عز وجل وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد. قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا وست في الآخرة. وعلمت هو عامل النصب في إذا الشمس كورت وفيما عطف عليه. **فإن قلت** كل نفس تعلم ما أحضرت كقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا لا نفس واحدة فما معنى قوله علمت نفس. **قلت** هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه ومنه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم وأبلغ منه وقول القائل: قد أترك القرن مصفرا أنامله. وتقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي أو لا تعدم عندي فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه أراد إظهار براءته من التزيد وأنه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا أن يتزيد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن قارئا قرأها عنده فلما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال وا انقطاع ظهرياه. فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس. والليل إذا عسعس. والصبح إذا تنفس. الخنس الرواجع بينا ترى النجم في آخر البرج إذ كر راجعا إلى أوله. والجواري السيارة. والكنس الغيب من كنس الوحشي إذا دخل كناسه قيل هي الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تختفي تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس. وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أي تطلع في أماكنها كالوحشي في كنسها. عسعس الليل وسعسع إذا أدبر قال العجاج: حتى إذا الصبح لها تنفسا ... وانجاب عنها ليلها وعسعسا. وقيل عسعس إذا أقبل ظلامه. **فإن قلت** ما معنى تنفس الصبح. **قلت** إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح. إنه لقول رسول كريم. ذي قوة عند ذي العرش مكين. مطاع ثم أمين. وما صاحبكم بمجنون. إنه الضمير للقرآن. رسول كريم هو جبريل عليه الصلاة والسلام. ذي قوة هو كقوله عز وجل شديد القوى ذو مرة لما كانت حال المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذي العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته. ثم إشارة إلى الظرف المذكور أعني عند ذي العرش على أنه عند الله عز وجل مطاع في ملائكته المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه

وقرئ ثم تعظيما للأمانة وبيانا لأنها أفضل صفاته المعدودة. وما صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بمجنون كما تبهته الكفرة وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل عليه الصلاة والسلام وفضله على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة أفضل الإنس محمد صلوات الله وسلامه عليه إذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وبين قوله وما صاحبكم بمجنون. ولقد رآه بالأفق المبين. وما هو على الغيب بظنين. وما هو بقول شيطان رجيم. فأين تذهبون. إن هو إلا ذكر للعالمين. ولقد رآه ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام بالأفق المبين بمطلع الشمس الأعلى. وما هو وما محمد صلى الله عليه وسلم على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبريل عليه الصلاة والسلام والوحي إليه وغير ذلك بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة. وقرئ بضنين من الضن وهو البخل أي لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه غير مبلغه أو يسأل تعليمه فلا يعلمه وهو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف أبي بالضاد. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما وإتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ فإن أكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وإن فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فإن مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أضبط يعمل بكلتي يديه وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه وهي أحد الأحرف الشجرية أخت الجيم والشين. وأما الظاء فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وهي أحد الأحرف الذولقية أخت الذال والثاء. ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب. **فإن قلت** فإن وضع المصلي أحد الحرفين مكان صاحبه. **قلت** هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين لأن التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين أخواتهما. وما هو وما القرآن بقول شيطان رجيم أي بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم إلى أوليائهم من الكهنة. فأين تذهبون استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أو ذهابا في بنيات الطريق أين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل. لمن شاء منكم أن يستقيم. وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين. لمن شاء منكم بدل من العالمين وإنما أبدلوا منهم لأن الذين شاءوا الاستقامة بالدخول في الإسلام هم المنتفعون بالذكر فكأنه لم يوعظ به غيرهم وإن كانوا موعظين جميعا. وما تشاءون الاستقامة يا من يشاؤها إلا بتوفيق الله ولطفه أو وما تشاءونها أنتم يا من لا يشاؤها إلا بقسر الله وإلجائه. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكوير أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته. صدق

سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم. إذا السماء انفطرت. وإذا الكواكب انتثرت. وإذا البحار فجرت. وإذا القبور بعثرت. علمت نفس ما قدمت وأخرت. انفطرت انشقت. فجرت فتح بعضها إلى بعض فاختلط العذب بالملح وزال البرزخ الذي بينهما وصارت البحار بحرا واحدا. وروي أن الأرض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن رحمه الله. وقرئ فجرت بالتخفيف. وقرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا إلى قوله تعالى لا يبغيان لأن البغي والفجور أخوان. بعثر وبحثر بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة إليهما والمعنى بحثت وأخرج موتاها. وقيل لبراءة المبعثرة لأنها بعثرت أسرار المنافقين. يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم. الذي خلقك فسواك فعدلك. في أي صورة ما شاء ركبك. **فإن قلت** ما معنى قوله ما غرك بربك الكريم وكيف

طابق الوصف بالكريم انكار الاغترار به وانما يغتر بالكريم كما يروى عن علي رضي الله عنه انه صاح بغلام له كرات فلم
يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له ما لك لم تجبني فقال لثقتي بحلمك وامني
من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء ادب غلمانه قلت معناه ان حق الانسان
ان لا يغتر بتكرم الله تعالى عليه حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعد ما مكنه
وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها ان يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الاول فانه منكر
خارج من حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله وقال عمر رضي الله عنه
غره جهله وحمقه وقال الحسن رحمه الله غره والله شيطانه الخبيث اي زين له المعاصي وقال له افعل ما شئت
فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به اولا وهو متفضل عليك آخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض
رحمه الله ان اقامك الله يوم القيمة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال اقول غرتني ستورك
المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطأ في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص
الحشوية ويروون عن ائمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني
كرم الكريم وقراءة سعيد بن جبير رضي الله عنه ما اغرك اما على التعجب واما على الاستفهام من قولك غر الرجل
فهو غار اذا غفل من قولك بيتهم العدو وهم غارون واغره غيره جعله غارا فسواك فجعلك
سويا سالم الاعضاء فعدلك فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين
اطول ولا احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها اسود ولا بعض الشعر فاحما وبعضه اشقر
او جعلك معتدل الخلق تمشي قائما لا كالبهائم وقرئ فعدلك بالتخفيف وفيه وجهان احدهما ان يكون
بمعنى المشدد اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني فعدلك فصرفك يقال عدله عن الطريق
يعني فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق او فعدلك الى بعض الاشكال
والهيئات ما في ما شاء مزيدة اي ركبك في اي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن
والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه فان قلت هلا
عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها قلت لانها بيان لعدلك فان قلت بم يتعلق الجار قلت
يجوز ان يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيه وبمحذوف اي ركبك حاصلا في بعض الصور
ومحل الظرف على الحال ان تعلق بمحذوف ويجوز ان يتعلق بعدلك ويكون في اي معنى التعجب اي فعدلك في صورة
عجيبة ثم قال ما شاء ركبك اي ركبك ما شاء من التراكيب يعني تركيبا حسنا كلا بل تكذبون بالدين
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي
جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين كلا ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله تعالى والتسلق
به وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسهما الذي هو الكفر والمعصية ثم قال بل تكذبون اصلا وهو الجزاء
او دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر وان عليكم لحافظين تحقيق لما يكذبون
به من الجزاء يعني انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم اعمالكم لتجازوا بها وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم
تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله تعالى من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه ويجازى
به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة وفيه انذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين وعن الفضيل انه
كان اذا قرأها قال ما اشدها من آية على الغافلين وما هم عنها بغائبين كقوله تعالى وما هم بخارجين منها
ويجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك يعني في قبورهم وقيل اخبر الله تعالى في هذه
السورة ان لابن آدم ثلث حالات حال الحياة التي يحفظ فيها عمله وحال الآخرة التي يجازى فيها وحال البرزخ
وهو قوله وما هم عنها بغائبين وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين يوم لا تملك

قوله وهم غارون اي غافلون م

نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله يعني ان امر يوم الدين بحيث لا يدرك دراية دار كنهه في الهول
والشدة وكيفما تصورته فهو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم اجمل القول في وصفه
فقال يوم لا تملك نفس لنفس شيئا اي لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه ولا امر الا لله وحده من رفع
فعلى البدل من يوم الدين او على هو يوم لا تملك ومن نصب فباضمار يدانون لان الدين يدل عليه او باضمار
اذكر ويجوز ان يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو في محل الرفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة صدق رسول الله

سورة المطففين

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا
كالوهم او وزنوهم يخسرون التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير وروي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها
رجل يقال له ابو جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت
بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قيل
يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا
فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا
منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح فقال له اقم الوزن
بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كانه امره بالتسوية اولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انكم معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن
جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان يمر
بالبائع فيقول اتق الله واوف الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيمة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم وعن عكرمة
اشهد ان كل كيال ووزان في النار فقيل له ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد انه في النار وعن ابي رضي الله عنه
لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤوس المكاييل والسن الموازين لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه
عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية
اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وقال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا
الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك
والضمير في كالوهم او وزنوهم ضمير منصوب راجع الى الناس وفيه وجهان ان يراد كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل
كما قال ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك
وان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمضاف هو المكيل والموزون ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا
للمطففين لان الكلام يخرج به الى نظم فاسد وذلك ان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا اعطوهم اخسروا وان جعلت
الضمير للمطففين انقلب الى قولك اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل او الوزن هم على الخصوص اخسروا
وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشر والتعلق في ابطاله بخط المصحف وان الالف التي تكتب بعد
واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لان خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على اني رأيت في الكتب
المخطوطة بايدي الائمة المتقنين هذه الالف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لان الواو وحدها معطية معنى
الجمع وانما كتبت هذه الالف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا وهو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما

وعن عيسى بن عمر وحمزة انهما كانا يجعلان ذلك اي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين وقفة
يبينان بها ما ارادا **فان قلت** هلا قيل او اتزنوا كما قيل او وزنوهم **قلت** كان المطففون كانوا لا
ياخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون
في الملء واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا يخسرون ينقصون يقال خسر الميزان
واخسره • الا يظن اولئك انهم مبعوثون • ليوم عظيم • يوم يقوم الناس لرب العالمين • الا يظن انكار
وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون
ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة • وعن قتادة اوف يا ابن آدم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل
لك • وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيمة • وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له لقد
سمعت ما قال الله في المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما
ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم
بالعظم وقيام الناس فيه لله خاضعين ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم
الاثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على التسوية والعدل في كل اخذ
واعطاء بل في كل قول وعمل • وقيل الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر • ونصب يوم يقوم بمبعوثون • وقرئ
بالجر بدلا من يوم عظيم • وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين
بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده • كلا ان كتاب الفجار لفي سجين • وما ادراك ما سجين • كتاب مرقوم •
ويل يومئذ للمكذبين • الذين يكذبون بيوم الدين • وما يكذب به الا كل معتد اثيم • اذا تتلى
عليه آياتنا قال اساطير الاولين • كلا ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث والحساب
ونبههم على انه مما يجب ان يتاب عنه ويندم عليه ثم اتبعه وعيد الفجار على العموم وكتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم
فان قلت قد اخبر الله عز وجل عن كتاب الفجار بانه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان
كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه **قلت** سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه اعمال الشياطين
واعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه
فالمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان • وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه
سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح كما روي تحت الارض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن
ابليس وذريته استهانة به واذالة وليشهده الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون
فان قلت فما سجين اصفة هو ام اسم **قلت** بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه
الا سبب واحد وهو التعريف الذين يكذبون مما وصف به للذم لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون • كلا ردع للمعتدي الاثيم عن قوله ران على قلوبهم ركبها كما يركب
الصدأ وغلب عليها وهو ان يصر على الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل الخير ولا يميل اليه • وعن
الحسن رحمه الله الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا والغين
الغيم ويقال ران فيه النوم رسخ فيه ورانت به الخمر ذهبت به • وقرئ بادغام اللام في الراء وبالاظهار والادغام
اجود وامليت الالف وفخمت • كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون • ثم انهم لصالوا الجحيم • ثم يقال هذا
الذي كنتم به تكذبون • كلا ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم
لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم • قال اذا
اعتروا باب ذي عبية رجبوا • والناس بين مرجوب ومحجوب • وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن
مليكة محجوبون عن رحمته • وعن ابن كيسان عن كرامته • كلا ان كتاب الابرار لفي عليين • وما ادراك

ما عليون

ما عليون • كتاب مرقوم • يشهده المقربون • كلا ردع عن التكذيب • وكتاب الابرار ما كتب من اعمالهم وعليون
علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع علي فعيل من العلو
كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة
حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما • وروي ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا
به الى ما شاء الله من سلطانه اوحى اليهم انكم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه اخلص عمله
فاجعلوه في عليين فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله اوحى
اليهم انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين • ان الابرار
لفي نعيم • على الارائك ينظرون • تعرف في وجوههم نضرة النعيم • الارائك الاسرة في الحجال ينظرون
الى ما شاؤوا مد اعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما اولاهم الله تعالى من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون
في النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك • نضرة النعيم بهجة التنعم وماؤه ورونقه كما ترى في وجوه
الاغنياء واهل الترفه • وقرئ تعرف على البناء للمفعول ونضرة النعيم بالرفع • يسقون من رحيق
مختوم ختامه مسك • وفي ذلك فليتنافس المتنافسون • ومزاجه من تسنيم • عينا يشرب
بها المقربون • الرحيق الشراب الخالص الذي لا غش فيه • مختوم تختم اوانيه من الاكواب والاباريق
بمسك مكان الطينة • وقيل ختامه مسك مقطعه رائحة مسك اذا شرب • وقيل يمزج بالكافور
ويختم مزاجه بالمسك • وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اي ما يختم به ويقطع • فليتنافس المتنافسون
فليرتقب المرتقبون • تسنيم علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه اما
لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها تاتيهم من فوق على ما روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب
في اوانيهم • وعينا نصب على المدح • وقال الزجاج نصب على الحال • وقيل هي للمقربين يشربونها
صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة • ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون • واذا مروا
بهم يتغامزون • واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين • واذا رأوهم قالوا ان
هؤلاء لضالون • وما ارسلوا عليهم حافظين • هم مشركو مكة ابو جهل والوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل عليهم اللعنة واشياعهم كانوا يضحكون من عمار وصهيب وخباب وبلال رضي الله
عنهم وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزئون بهم • وقيل جاء علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في
نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا رأينا اليوم
الاصلع فضحكوا منه فنزلت قبل ان يصل علي رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم •
يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم • فكهين ملتذين بذكرهم والسخرية منهم ان هؤلاء لضالون
اي ينسبون المسلمين الى الضلال • وما ارسلوا على المسلمين حافظين موكلين بهم يحفظون عليهم
احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم او هو من جملة
قول الكفار وانهم اذا رأوا المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا
لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وجدهم في ذلك • فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون
على الارائك ينظرون • هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون • على الارائك ينظرون حال
من يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر
ومن الوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الارائك آمنون • وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة
فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرارا فيضحك المؤمنون منهم
ثوبه واثابه بمعنى اذا جازاه • قال اوس • سأجزيك او يجزيك عني مثوب • وحسبك ان يثنى

عليك ونحمدي وقرئ بإدغام اللام في التاء. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة. صدق الله تعالى وصدق رسوله الكريم صلوة وسلاما

سورة الانشقاق وهي خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت حذف جواب إذا ليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه أي إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كدحه ومعناه إذا انشقت بالغمام كقوله جل وعلا ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة أذنت لربها استمعت له ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقول جحاف بن حكيم أذنت لكم لما سمعت هريركم والمعنى أنها فعلت في انقيادها لله عز وجل حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المطاع أنصت له وأذعن ولم يأب ولم يمتنع كقوله تعالى أتينا طائعين وحقت من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعني وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع ومعناه الإيذان بأن القادر الذات يجب أن يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت مدت بسطت بأن تزال جبالها وآكامها وكل أمت فيها حتى تمتد وتنبسط ويستوي ظهرها كما قال الله تعالى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس رضي الله عنهما مدت مد الأديم العكاظي لأن الأديم إذا مد زال كل انثناء فيه وأمت واستوى أو من مده بمعنى أمده أي زيدت سعة وبسطة وألقت ما فيها ورمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز وتخلت وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم إذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما وأذنت لربها في إلقاء ما في بطنها وتخليها يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده إذا خدشه ومعنى كادح إلى ربك جاهد إلى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء فملاقيه فملاق له لا محالة لا مفر لك منه وقيل الضمير في ملاقيه للكدح يسيرا سهلا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش أصحاب الشمال وعن عائشة رضي الله عنها هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من يحاسب يعذب فقيل يا رسول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش في الحساب عذب إلى أهله إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين أو إلى فريق المؤمنين أو إلى أهله في الجنة من الحور العين وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا إنه كان في أهله مسرورا إنه ظن أن لن يحور بلى إن ربه كان به بصيرا وراء ظهره قيل تغل يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره يدعو ثبورا يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك وقرئ ويصلى سعيرا كقوله تعالى وتصلية جحيم ويصلى بضم الياء والتخفيف كقوله تعالى ونصليه جهنم في أهله فيما بين ظهرانيهم أو معهم على أنهم جميعا مسرورين يعني أنه كان في الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم أمر الآخرة ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية الله عز وجل عنهم إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ظن أن لن يحور لن يرجع إلى الله تعالى تكذيبا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول أي لا يرجع ولا يتغير قال لبيد يحور رمادا بعد إذ هو ساطع وعن ابن عباس رضي الله عنهما

وما المرء إلا كالشهاب وضوءه

ما كنت أدري

ما كنت أدري ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لها حوري أي ارجعي بلى إيجاب لما بعد النفي في لن يحور أي بلى ليحورن إن ربه كان به بصيرا وبأعماله لا ينساها ولا تخفى عليه فلا بد أن يرجعه ويجازيه عليها وقيل نزلت الآيتان في أبي سلمة بن عبد الأسد وأخيه الأسود بن عبد الأسد فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يؤمنون الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء إلا ما روي عن أبي حنيفة رحمه الله في إحدى الروايتين أنه البياض وروى أسد بن عمرو أنه رجع عنه سمي به لرقته ومنه الشفقة على الإنسان رقة القلب عليه وما وسق وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره وآوى إليه من الدواب وغيرها إذا اتسق إذا اجتمع واستوى ليلة أربع عشرة قرئ لتركبن على خطاب الإنسان في يا أيها الإنسان ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لأن النداء للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب النفس وليركبن بالياء على ليركبن الإنسان والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا أي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق وأطباق الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله عز وجل طبقا عن طبق أي حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لأختها في الشدة والهول ويجوز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن أحوالا بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها **فإن قلت** ما محل عن طبق **قلت** النصب على أنه صفة لطبقا أي طبقا مجاوزا لطبق أو حال من الضمير في لتركبن أي لتركبن طبقا مجاوزين لطبق أو مجاوزا أو مجاوزة على حسب القراءة وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب أليم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون لا يسجدون لا يستكينون ولا يخضعون وقيل قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس في المفصل سجدة وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن أنس بن مالك رضي الله عنه صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم فسجدوا وعن الحسن رحمه الله هي غير واجبة الذين كفروا إشارة إلى المذكورين بما يوعون بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضاء أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب إلا الذين آمنوا استثناء منقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة إذا السماء انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج وهي اثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود هي البروج الاثنا عشر وهي قصور السماء على التشبيه وقيل البروج النجوم التي هي منازل القمر وقيل عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل أبواب السماء واليوم الموعود يوم القيامة وشاهد ومشهود يعني وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق

كلهم والمشهود ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما اما ما ذكرته في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت كانه قيل وما افرطت كثرته من شاهد ومشهود واما الابهام في الوصف كانه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد اضطربت اقوال المفسرين فيهما فقيل الشاهد والمشهود محمد صلى الله عليه وسلم ويوم القيمة وقيل عيسى عليه الصلوة والسلام وامته لقوله عز وعلا وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل امة محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنو آدم عليه الصلوة والسلام وعن الحسن رحمه الله ما من يوم الا وينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيمة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فان قلت اين جواب القسم قلت محذوف يدل عليه قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون يعني كفار قريش كما لعن اصحاب الاخدود وذلك ان السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على اذى اهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان والحاق انواع الاذى وصبرهم وثباتهم حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان كفارهم عند الله بمنزلة اولئك المعذبين المحرقين بالنار ملعونون احقاء بان يقال فيهم قتلت قريش كما قتل اصحاب الاخدود وقيل دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق ومنه فساخت قوائمه في اخاقيق جرذان روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابرأه فابصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي وقيل قال لها ما هي الا غميضة فصبرت وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انهم حين اختلفوا في احكام المجوس قال هم اهل الكتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على اخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب الناس فتقول يا ايها الناس ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فامرته بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله بقوله تعالى قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه الصلوة والسلام فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر اصحاب الاخدود تعوذ من جهد البلاء النار بدل اشتمال من الاخدود ذات الوقود وصف لها بانها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم اذ ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى عليها على ما يدنو منها من حافات الاخدود

كقوله وبات على النار الندى والمحلق وكما تقول مررت عليه تريد مستعليا بمكان يدنو منه ومعنى شهادتهم على احراق المؤمنين انهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر به وفوض اليه من التعذيب ويجوز ان يراد انهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيمة يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم بما كانوا يعملون وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد وما انكروا منهم وما عابوا الا الايمان كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم وكما قال ابن الرقيات ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وقرأ ابو حيوة نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح وذكر الاوصاف التي يستحق بها ان يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه له ملك السموات والارض فكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه الا مبطل منهمك في الغي وان الناقمين اهل لانتقام الله تعالى منهم بعذاب لا يعدله عذاب والله على كل شيء شهيد وعيد لهم يعني انه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق يجوز ان يريد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين في الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار واحرقوهم فلهم في الآخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار اخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق بفتنتهم المؤمنين او لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا لما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ويجوز ان يريد الذين فتنوا المؤمنين اي بلوهم بالاذى على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين في الآخرة لكفرهم ولفتنتهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذهم بالعذاب والانتقام انه هو يبدئ ويعيد اي يبدئ البطش ويعيده يعني يبطش بهم في الدنيا وفي الآخرة او دل بذلك باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه او اوعد الكفرة بانه يعيدهم كما بدأهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة وقرئ يبدأ وهو الغفور الودود لمن تاب الودود لاهل طاعته بفعل الود وهو اعطاؤهم ما ارادوا ذو العرش وقرئ ذي العرش صفة لربك المجيد وقرئ المجيد بالجر صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه فعال لما يريد خبر مبتدأ محذوف وانما قيل فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ فرعون وثمود بدل من الجنود واراد بفرعون اياه وآله كما في قوله من فرعون وملئهم والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم بل الذين كفروا من قومك في تكذيب اي تكذيب واستيجاب للعذاب والله تعالى عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة بهم من ورائهم مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به ومعنى الاضراب ان امرهم اعجب من امر اولئك لانهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا اشد من تكذيبهم بل هو اي بل هذا الذي كذبوا به قرآن مجيد شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه واعجازه وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد وقرأ يحيى بن يعمر في لوح واللوح الهواء يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح محفوظ من وصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع صفة للقرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات صدق رسول الله

سورة الطارق [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق • وما أدراك ما الطارق • النجم الثاقب • إن كل نفس لما عليها حافظ • النجم الثاقب المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل دريء لأنه يدرؤه أي يدفعه • ووصف بالطارق لأنه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلاً طارق أو لأنه يطرق الجني أي يصكه والمراد جنس النجوم أو جنس الشهب التي يرجم بها • فإن قلت ما يشبه قوله وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب إلا ترجمة كلمة بأخرى فبين لي أي فائدة تحته • قلت أراد الله عز وجل أن يقسم بالنجم الثاقب تعظيماً له لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وأن ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق ثم قال وما أدراك ما الطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب كل هذا إظهار لفخامة شأنه كما قال الله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم • وروي أن أبا طالب كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحط نجم فامتلأ ما ثم نوراً ففزع أبو طالب وقال أي شيء هذا فقال عليه الصلاة والسلام هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله فعجب أبو طالب فنزلت • فإن قلت ما جواب القسم • قلت إن كل نفس لما عليها حافظ لأن إن لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة بمعنى إلا أن تكون نافية وفيمن قرأها مخففة على أن ما صلة أن تكون مخففة من الثقيلة وأيتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم حافظ مهيمن عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على كل شيء رقيباً وكان الله على كل شيء مقيتاً • وقيل ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكاً يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين • فلينظر الإنسان مم خلق • خلق من ماء دافق • يخرج من بين الصلب والترائب • فإن قلت ما وجه اتصال قوله فلينظر بما قبله • قلت وجه اتصاله به أنه لما ذكر أن على كل نفس حافظاً أتبعه توصية الإنسان بالنظر في أول أمره ونشأته الأولى حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه فيعمل ليوم الإعادة والجزاء ولا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته • ومم خلق استفهام جوابه خلق من ماء دافق والدفق صب فيه دفع ومعنى دافق النسبة إلى الدفق الذي هو مصدر دفق كاللابن والتامر أو الإسناد المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه من بين الصلب والترائب من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة • وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه أربع لغات صلب وصلب وصالب وصلب قال العجاج في صلب مثل العنان المؤدم • وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة • إنه على رجعه لقادر • يوم تبلى السرائر • فما له من قوة ولا ناصر • إنه الضمير للخالق لدلالة خلق عليه ومعناه أن ذلك الذي خلق الإنسان ابتداء من نطفة على رجعه على إعادته خصوصاً لقادر لبين القدرة لا يلتاث عليه ولا يعجز عنه كقوله إنني لفقير يوم تبلى منصوب برجعه ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه إلى مخرجه من الصلب والترائب أو إلى الحالة الأولى نصب الظرف بمضمر • السرائر ما أسر في القلوب من الضمائر والنيات وغيرها وما أخفي من الأعمال وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث • وعن الحسن أنه سمع رجلاً ينشد سيبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر فقال ما أغفله عما في السماء والطارق • فما له فما للإنسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ولا مانع يمنعه • والسماء ذات الرجع • والأرض ذات الصدع • سمي المطر رجعاً كما سمي أوباً قال ربا شماء لا يأوي لقلتها إلا السحاب وإلا الأوب والسبل تسمية بمصدري رجع وآب وذلك أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض أو أرادوا التفاؤل فسموه رجعاً وأوباً ليرجع ويؤوب • وقيل لأن الله عز وجل يرجعه وقتاً فوقتاً قالت الخنساء كالرجع في المدجنة السارية • والصدع ما يتصدع عنه الأرض من النبات • إنه لقول فصل • وما هو بالهزل • إنه الضمير للقرآن فصل فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان

وماهو

وما هو بالهزل يعني أنه جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله تعالى بذلك أن يكون مهيباً في الصدور معظماً في القلوب يترفع به قارئه وسامعه أن يلم بهزل أو يتفكه بمزاح وأن يلقي ذهنه إلى أن جبار السموات يخاطبه فيأمره وينهاه ويعده ويوعده حتى إن لم يستفزه الخوف ولم تتبالغ فيه الخشية فأدنى أمره أن يكون جاداً غير هازل فقد نعى الله تعالى ذلك على المشركين في قوله سبحانه وتعالى وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون والغوا فيه • إنهم يكيدون كيداً • وأكيد كيداً • فمهل الكافرين أمهلهم رويداً • إنهم يعني أهل مكة يعملون المكايد في إبطال أمر الله تعالى وإطفاء نور الحق وأنا أقابلهم بكيدي من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم فمهل الكافرين يعني لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به أمهلهم رويداً أي إمهالاً يسيراً وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات • صدق الله ورسوله

سورة الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الأعلى • الذي خلق فسوى • والذي قدر فهدى • والذي أخرج المرعى • فجعله غثاء أحوى • تسبيح اسمه عز وعلا تنزيهه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي إلحاد في أسمائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك مثل أن يفسر الأعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة وأن يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم ويجوز أن يكون الأعلى صفة للرب والاسم • وقرأ علي رضي الله عنه سبحان ربي الأعلى • وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت • خلق فسوى أي خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتاً غير ملتئم ولكن على إحكام واتساق ودلالة على أنه صادر عن عالم وأنه صنعة حكيم • قدر فهدى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به • ويحكى أن الأفعى إذا أتت عليها ألف سنة عميت وقد ألهمها الله تعالى أن مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد إليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها وترجع باصرة بإذن الله تعالى وهدايات الله تعالى للإنسان إلى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في أغذيته وأدويته وفي أبواب دنياه ودينه وإلهامات البهائم والطيور وهوام الأرض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربي الأعلى • وقرئ قدر بالتخفيف • أحوى صفة لغثاء أي أخرج المرعى أنبته فجعله بعد خضرته ورفيفه غثاء أحوى درينا أسود • ويجوز أن يكون أحوى حالاً من المرعى أي أخرجه أحوى أسود من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد حوته • سنقرئك فلا تنسى • إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى • بشره الله تعالى بإعطاء آية بينة وهي أن يقرأ عليه جبريل عليه الصلاة والسلام ما يقرأ عليه من الوحي وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه • إلا ما شاء الله فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته • وقيل كان يعجل بالقراءة إذا لقنه جبريل عليه الصلاة والسلام فقيل لا تعجل فإن جبريل عليه الصلاة والسلام مأمور بأن يقرأه عليك قراءة مكررة إلى أن تحفظه ثم لا تنساه إلا ما شاء الله ثم تذكره بعد النسيان • أو قال إلا ما شاء الله يعني القلة والندرة كما روي أنه أسقط في قراءته آية في الصلاة فحسب أبي أنها نسخت فسأله عنها فقال نسيتها • أو قال إلا ما شاء الله والغرض نفي النسيان رأساً كما يقول الرجل لصاحبه أنت سهيمي فيما أملك إلا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء وهو من استعمال القلة في معنى النفي • وقيل قوله تعالى فلا تنسى على النهي والألف مزيدة للفاصلة كقوله تعالى السبيلا يعني فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه إلا ما شاء

لبيبة ان ينبيكم من فتح تاء وباء المصلحة انه يعلم الجهر يعني انك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل عليه الصلوة والسلام مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك الى الجهر فلا تفعل فانا اكفيك ما تخافه او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم من اقوالكم وافعالكم وما ظهر وما بطن من احوالكم وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فيه فينسي من الوحي ما يشاء ويترك محفوظا ما يشاء **ونيسرك لليسرى** **فذكر ان نفعت الذكرى** **سيذكر من يخشى** ونيسرك لليسرى معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي ايسر واسهل يعني حفظ الوحي وقيل للشريعة السمحة التي هي ايسر الشرائع واسهلها ماخذا وقيل نوفقك لعمل الجنة فان قلت كان الرسول صلى الله عليه وسلم مامورا بالذكرى نفعت او لم تنفع فما معنى اشتراط النفع قلت هو على وجهين احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جدا في تذكيرهم وحرصا عليه فقيل له وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فاعرض عنهم وقل سلام وذكر ان نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير والثاني ان يكون ظاهره شرطا ومعناه ذما للمذكرين واخبارا عن حالهم واستبعادا لتاثير الذكرى فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك وانه لن يكون سيذكر سيقبل التذكرة وينتفع بها من يخشى الله وسوء العاقبة فينظر ويفكر حتى يقوده النظر الى اتباع الحق فاما هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين فلا تامل ان يقبلوا منك **ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى** **قد افلح من تزكى** **وذكر اسم ربه فصلى** ويتجنبها ويتجنب الذكرى ويتحاماها الاشقى الكافر لانه اشقى من الفاسق او الذي هو اشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة النار الكبرى السفلى من اطباق النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا وقيل ثم لان الترجح بين الحيوة والموت افظع من الصلي فهو متراخ عنه في مراتب الشدة والمعنى لا يموت فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه تزكى تطهر من الشرك والمعاصي او تطهر للصلوة او تكثر من التقوى من الزكاء وهو النماء او تفعل من الزكوة كتصدق من الصدقة فصلى الصلوات الخمس نحو قوله تعالى واقام الصلوة وآتى الزكوة وعن ابن مسعود رضي الله عنه رحم الله امرأ تصدق وصلى وعن علي رضي الله عنه انه التصدق بصدقة الفطر وقال لا ابالي ان لا اجد في كتابي غيرها لقوله تعالى قد افلح من تزكى اي اعطى زكوة الفطر فتوجه الى المصلى فصلى صلوة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلوة لان الصلوة معطوفة عليها وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه عز ذكره وعن ابن عباس رضي الله عنهما ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلوة العيد **بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى** بل تؤثرون ولا تفعلون ما تفلحون به وقرئ يؤثرون على الغيبة ويعضد الاولى قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بل انتم تؤثرون خير وابقى افضل في نفسها وانعم وادوم وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما الدنيا في الآخرة الا كنفجة ارنب **ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى** هذا اشارة الى قوله قد افلح الى ابقى يعني ان معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف وقيل الى ما في السورة كلها وروي عن ابي ذر رضي الله عنه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم انزل الله من كتاب فقال مائة واربعة كتب منها على آدم عليه الصلوة والسلام عشر صحائف وعلى شيث عليه الصلوة والسلام خمسين صحيفة وعلى اخنوخ

عليه الصلوة والسلام ثلثون صحيفة وعلى ابرهيم عليه الصلوة والسلام عشر صحائف والتورية والانجيل والزبور والفرقان وقيل ان في صحف ابرهيم عليه الصلوة والسلام ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابرهيم وموسى ومحمد عليهم الصلوة والسلام وكان اذا قراها قال سبحان ربي الاعلى وكان علي وابن عباس رضي الله عنهما يقولان ذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبها وقال اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل عليه افضل الصلوة وافضل السلام ابدا

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **هل اتاك حديث الغاشية** **وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة** **تصلى نارا حامية** **تسقى من عين آنية** الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم اهوالها يعني القيمة من قوله سبحانه وتعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم وقيل النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش يومئذ يوم اذ غشيت خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حدور منها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها في الآخرة وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجدي عليها في الآخرة من قوله عز وجل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين حبطت اعمالهم وقيل هم اصحاب الصوامع ومعناه انها خشعت لله تعالى وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب وقرئ عاملة ناصبة على الشتم وقرئ تصلى بضم التاء وتصلى بالتشديد وقيل المصلي عند العرب ان يحفروا اخدودا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فاما ما يشوى فوق الجمر او على المقلى او في التنور فلا يسمى مصليا آنية متناهية في الحر كقوله تعالى وبين حميم آن **ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع** الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال ابو ذؤيب

رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى ... وعاد ضريعا بان عنه النحائص

وقال

وحبسن في هزم الضريع فكلها ... حدباء دامية اليدين حرود

فان قلت كيف قيل ليس لهم طعام الا من ضريع وفي الحاقة ولا طعام الا من غسلين قلت العذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم لا يسمن مرفوع المحل او مجرور على وصف طعام او ضريع يعني ان طعامهم من شيء ليس من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن او اريد لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد وقيل قالت كفار قريش ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلو اما ان يتكذبوا ويتعنتوا بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفي السمن والشبع واما ان يصدقوا فيكون المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع **وجوه يومئذ ناعمة** **لسعيها راضية** **في جنة عالية** **لا تسمع فيها لاغية** **فيها عين جارية** **فيها سرر مرفوعة** **واكواب موضوعة** **ونمارق مصفوفة** **وزرابي مبثوثة** ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ما اداهم اليه من الكرامة والثواب عالية من علو المكان او المقدار

لا تسمع يا مخاطب او الوجوه ● لاغية اي لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو لا يتكلم اهل الجنة الا بالحكمة
وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم ● وقرئ لا يسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء ● فيها عين
جارية يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله تعالى علمت نفس ● مرفوعة من رفعة المقدار او السمك ليرى المؤمن
بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم ● وقيل مخبوءة لهم من رفع الشيء اذا خبأه ● موضوعة
كلما ارادوها وجدوها موضوعة بين ايديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون الى ان يدعوا بها ● او موضوعة
على حافات العيون معدة للشرب ● ويجوز ان يراد موضوعة عن حد الكبار اوساط بين الصغر والكبر كقوله تعالى
قدروها تقديرا ● مصفوفة بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح اينما اراد ان يجلس جلس على مسورة
واستند الى اخرى ● وزرابي وبسط عراض فاخرة ● وقيل هي الطنافس التي لها خمل رقيق جمع زربية
مبثوثة مبسوطة او مفرقة في المجالس ● افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ● والى السماء كيف رفعت
والى الجبال كيف نصبت ● والى الارض كيف سطحت ● فذكر انما انت مذكر ● لست عليهم بمسيطر ● الا
من تولى وكفر ● فيعذبه الله العذاب الاكبر ● ان الينا ايابهم ● ثم ان علينا حسابهم ● افلا ينظرون
الى الابل نظر اعتبار ● كيف خلقت خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر شاهدا بتدبير مدبر حيث خلقها
للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب وتسهل ثم تنهض بما حملت وسخرها
منقادة لكل من اقتادها بازمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبرأها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار ●
وعن بعض الحكماء انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ في بلاد لا ابل بها ففكر ثم قال يوشك ان تكون
طوال الاعناق وحين اراد بها ان تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى ان اظماءها ليرتفع الى العشر
فصاعدا وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم ● وعن سعيد بن جبير رضي
الله عنه قال لقيت شريحا القاضي فقلت اين تريد قال اريد الكناسة قلت وما تصنع بها قال انظر الى الابل
كيف خلقت ● فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة ● قلت قد انتظم
هذه الاشياء نظر العرب في اوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يدع من زعم ان
الابل السحاب الى قوله الا طلب المناسبة ولعله لم يرد ان الابل من اسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم
والغين وغير ذلك ● وانما رأى السحاب مشبها بالابل كثيرا في اشعارهم فجوز ان يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز
كيف رفعت رفعا بعيد المدى بلا مساك وبغير عمد ● وكيف نصبت نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل ولا تزول
وكيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطئة فهي مهاد للمتقلب عليها ● وقرأ علي رضي الله عنه خلقت ورفعت ونصبت
وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير فعلتها فحذف المفعول ● وعن هارون الرشيد رحمه الله انه قرأ
سطحت بالتشديد ● والمعنى افلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره
على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه ● اي لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم
لا ينظرون ولا يذكرون ● انما انت مذكر كقوله تعالى ان عليك الا البلاغ ● لست عليهم بمسيطر بمتسلط كقوله تعالى
وما انت عليهم بجبار ● وقيل هو في لغة تميم مفتوح الطاء على ان سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه
الا من تولى منقطع اي لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم فان لله الولاية والقهر فهو يعذبه العذاب الاكبر الذي
هو عذاب جهنم ● وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما
اعتراض ● وقرئ الا من تولى على التنبيه ● وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فانه يعذبه ● وقرأ ابو جعفر المدني ايابهم
بالتشديد ووجهه ان يكون فيعالا مصدر ايب فيعل من الاياب او ان يكون اصله اواب فعالا من اوب ثم قيل
ايوابا كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل باصل سيد ● فان قلت ما معنى تقديم الظرف ● قلت معناه التشديد
في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذي يحاسب على

النقير والقطمير ومعنى الوجوب في الحكمة ● عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم ● والفجر وليال عشر ● والشفع والوتر ● والليل اذا يسر ● هل في ذلك
قسم لذي حجر ● اقسم بالفجر كما اقسم بالصبح في قوله تعالى والصبح اذا اسفر والصبح اذا تنفس ● وقيل بصلاة الفجر
بالليالي العشر عشر ذي الحجة ● فان قلت فما بالها منكرة من بين ما اقسم به ● قلت لانها ليال مخصوصة
من بين جنس الليالي العشر بعض منها او مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها ● فان قلت فهلا عرفت بلام العهد
لانها ليال معلومة معهودة ● قلت لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير ولان الاحسن ان تكون
اللامات متجانسة ليكون الكلام ابعد من الالغاز والتعمية ● وبالشفع والوتر اما الاشياء كلها شفعها ووترها
واما شفع هذه الليالي ووترها ● ويجوز ان يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لانه تاسعها وذلك عاشرها
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فسرهما بذلك ● وقد اكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون اجناس
ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهي عنه ● وبعدما اقسم بالليالي المخصوصة اقسم بالليل على العموم ● اذا
يسري اذا يمضي كقوله تعالى والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس ● وقرئ والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر
والحبر في العدد وفي الترة الكسر وحده ● وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء رواها يونس عن ابي عمرو ● وقرئ
والفجر والوتر ويسر بالتنوين وهو التنوين الذي يقع بدلا من حرف الاطلاق ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما وليال
عشر بالاضافة يريد وليال ايام عشر ● وياء يسري تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما في الوقف فتحذف
مع الكسرة ● وقيل معنى يسري يسرى فيه ● هل في ذلك اي فيما اقسمت به من هذه الاشياء ● قسم اي مقسم به
لذي حجر يريد هل يحق عنده ان تعظم بالاقسام بها او هل في اقسامي بها اقسام لذي حجر اي هل هو قسم عظيم يؤكد
بمثله المقسم عليه ● والحجر العقل لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة
من الاحصاء وهو الضبط ● وقال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف
وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب ● الم تر كيف فعل ربك بعاد
ارم ذات العماد ● التي لم يخلق مثلها في البلاد ● قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام
عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم
عاد الاخيرة ● قال ابن الرقيات: مجدا تليدا بناه اوله ● ادرك عادا وقبلها ارما ● فارم في قوله بعاد
ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة ● وقيل ارم بلدتهم وارضهم التي كانوا فيها
ويدل عليه قراءة ابن الزبير رضي الله عنه بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد اهل ارم كقوله تعالى واسأل
القرية ولم تنصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتأنيث ● وقرأ الحسن رحمه الله بعاد ارم مفتوحتين
وقرئ بعاد ارم بسكون الراء على التخفيف كما قرئ بورقكم ● وقرئ بعاد ارم ذات العماد بالاضافة
المضاف حينئذ لانه لا يصح تفسير عاد بالعلم فلا يكون عادا لاسم العلم بل يكون باهل العلم باسم
ارم الى ذات العماد والارم العلم يعني بعاد اهل اعلام ذات العماد وذات العماد اسم المدينة ● وقرئ بعاد
ارم ذات العماد اي جعل الله ذات العماد رميما بدلا من فعل ربك وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى
انهم كانوا بدويين اهل عمد او طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدان
اذا كان طويلا ● وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت صفة للبلدة فالمعنى انها ذات اساطين ● وروي
انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت
له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة

سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطردة ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا. وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث إلى كعب فسأله فقال هي إرم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب إبل له ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل. لم يخلق مثلها مثل عاد في البلاد عظم أجرام وقوة كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم أو لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا. وقرأ ابن الزبير رضي الله عنه لم يخلق مثلها أي لم يخلق الله مثلها. وثمود الذين جابوا الصخر بالواد. وفرعون ذي الأوتاد. الذين طغوا في البلاد. فأكثروا فيها الفساد. فصب عليهم ربك سوط عذاب. إن ربك لبالمرصاد. جابوا الصخر قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا قيل أول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة. قيل له ذو الأوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذا نزلوا أو لتعذيبه بالأوتاد كما فعل بماشطة ابنته وبآسية رضي الله عنها. الذين طغوا أحسن الوجوه فيه أن يكون في محل النصب على الذم ويجوز أن يكون مرفوعا على هم الذين طغوا أو مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون. يقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه وذكر السوط إشارة إلى أن ما أحله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أعد لهم في الآخرة كالسوط إذا قيس إلى سائر ما يعذب به. وعن عمرو بن عبيد كان الحسن إذا أتى على هذه الآية قال إن لله أسواطا كثيرة فأخذهم بسوط منها. المرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا مثل لإرصاده العصاة بالعقاب وأنهم لا يفوتونه. وعن بعض العرب أنه قيل له أين ربك فقال بالمرصاد. وعن عمرو بن عبيد أنه قرأ هذه السورة عند المنصور حتى بلغ هذه الآية فقال إن ربك لبالمرصاد يا أبا جعفر عرض له في هذا النداء بأنه بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله دره أي أسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بإنكاره ويقطع أهل الأهواء والبدع باحتجاجه. فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن. وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن. فإن قلت بم اتصل قوله فأما الإنسان؟ قلت بقوله إن ربك لبالمرصاد كأنه قيل إن الله لا يريد من الإنسان إلا الطاعة والسعي للعاقبة وهو مرصد بالعقوبة للعاصي فأما الإنسان فلا يريد ذلك ولا يهمه إلا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها. فإن قلت كيف توازن قوله فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه وقوله وأما إذا ما ابتلاه ربه وحق التوازن أن يتقابل الواقعان بعد أما وأما تقول أما الإنسان فكفور وأما الملك فشكور أما إذا أحسنت إلى زيد فهو محسن إليك وأما إذا أسأت إليه فهو مسيء إليك؟ قلت هما متوازنان من حيث إن التقدير وأما هو إذا ما ابتلاه ربه وذلك أن قوله فيقول ربي أكرمن خبر المبتدأ الذي هو الإنسان ودخول الفاء لما في أما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر في تقدير التأخير كأنه قيل فأما الإنسان فقائل ربي أكرمن وقت الابتلاء فوجب أن يكون فيقول الثاني خبرا لمبتدأ واجب تقديره. فإن قلت كيف سمى كلا الأمرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء؟ قلت لأن كل واحد منهما اختبار للعبد فإذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة. فإن قلت هلا قال فأهانه وقدر عليه رزقه كما قال فأكرمه ونعمه؟ قلت لأن البسط إكرام من الله لعبده بإنعامه عليه متفضلا من غير سابقة وأما التقدير فليس بإهانة له لأن الإخلال بالتفضل لا يكون إهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما لعبده ومهينا وغير مكرم ولا مهين وإذا أهدى لك زيد هدية قلت أكرمني بالهدية ولا تقول أهانني ولا أكرمني إذا لم يهد لك. فإن قلت فقد قال فأكرمه فصحح إكرامه وأثبته ثم أنكر

قوله ربي أكرمن

قوله ربي أكرمن وذمه عليه كما ذمه على قوله ربي أهانن؟ قلت فيه جوابان أحدهما أنه إنما ذمه على قوله ربي أكرمن وذمه عليه لأنه قال على قصد خلاف ما صححه الله عليه وأثبته وهو قصده إلى أن الله أعطاه ما أعطاه إكراما له مستحقا مستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة أقدارهم عندهم كقوله إنما أوتيته على علم عندي وإنما أعطاه الله على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا سابقة مما لا يعتد الله إلا به وهو التقوى دون الأحساب والأنساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة من أجلها. والثاني أن ينساق الإنكار والذم إلى قوله ربي أهانن يعني أنه إذا تفضل عليه بالخير وأكرم به اعترف بتفضل الله وإكرامه وإذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الإكرام في قوله فأكرمه. وقرئ فقدر بالتخفيف والتشديد وأكرمن وأهانن بسكون النون في الوقف فيمن ترك الياء في الدرج مكتفيا منها بالكسرة. كلا بل لا تكرمون اليتيم. ولا تحاضون على طعام المسكين. وتأكلون التراث أكلا لما. وتحبون المال حبا جما. كلا ردع للإنسان عن قوله ثم قال بل هو شر من هذا القول وهو أن الله يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض أهله على طعام المسكين ويأكلونه أكل الأنعام ويحبونه فيشتد شحهم به. وقرئ يكرمون بالياء والتاء. وقرئ تحاضون أي يحض بعضكم بعضا وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة. أكلا لما ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام قال الحطيئة: إذا كان لما يتبع الذم ربه، فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا. يعني أنهم يجمعون في أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم. وقيل كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم. وقيل يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم في الأكل بين حلاله وحرامه. ويجوز أن يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير أن يعرق فيه جبينه فيسرف في إنفاقه ويأكله أكلا واسعا جامعا بين ألوان المشتهيات من الأطعمة والأشربة والفواكه كما يفعل الوراث البطالون. حبا جما كثيرا شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق. كلا إذا دكت الأرض دكا دكا. وجاء ربك والملك صفا صفا. كلا ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة. وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى. يومئذ بدل من إذا دكت الأرض وعامل النصب فيهما يتذكر. دكا دكا أي دكا بعد دك كقولك حسبته بابا بابا أي كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا. فإن قلت ما معنى إسناد المجيء إلى الله تعالى والحركة والانتقال إنما يجوزان على من كان في جهة؟ قلت هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه مثلت حاله في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم. صفا صفا تنزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والإنس. وجيء يومئذ بجهنم كقوله تعالى وبرزت الجحيم. وروي أنها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف في وجهه حتى اشتد على أصحابه فأخبروا عليا رضي الله عنه فجاء فاحتضنه من خلفه وقبله بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله بأبي أنت وأمي ما الذي حدث اليوم وما الذي غيرك فتلا عليه الآية فقال علي كيف يجاء بها قال يجيء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع. أي يتذكر ما فرط فيه أو يتعظ. وأنى له الذكرى ومن أين له منفعة الذكرى لا بد من تقدير حذف المضاف وإلا فبين يومئذ يتذكر وبين وأنى له الذكرى تناف وتناقض. يقول يا ليتني قدمت لحياتي. فيومئذ لا يعذب عذابه أحد. ولا يوثق وثاقه أحد. قدمت لحياتي هذه وهي حياة الآخرة أو وقت حياتي في الدنيا كقولك جئته لعشر ليال خلون من رجب. وهذا أبين دليل على أن الاختيار كان في أيديهم ومعلقا بقصدهم وإرادتهم وأنهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصي كمذهب أهل الأهواء والبدع وإلا فما معنى التحسر. قرئ بالفتح يعذب ويوثق وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن أبي عمرو أنه رجع إليها في آخر عمره

والضمير للانسان الموصوف وقيل هو ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده او لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى • وقرئ بالكسر والضمير لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله احد لان الامر لله وحده في ذلك اليوم او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه • يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي • يا ايتها النفس على ارادة القول اي يقول الله عز وجل للمؤمن يا ايتها النفس اما ان يكلمه اكراما له كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام او على لسان ملك • والمطمئنة الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة • او المطمئنة الى الحق التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك • ويشهد للتفسير الاول قراءة ابي بن كعب رضي الله عنه يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة • فان قلت متى يقال لها ذلك قلت اما عند الموت واما عند البعث واما عند دخول الجنة على معنى ارجعي الى موعد ربك راضية بما اوتيت مرضية عند الله تعالى • فادخلي في عبادي في جملة عبادي الصالحين وانتظمي في سلكهم • وادخلي جنتي معهم • وقيل النفس الروح ومعناه فادخلي في اجساد عبادي • وقراءة ابن عباس رضي الله عنهما فادخلي في عبدي • وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه في جسد عبدي • وقرأ ابي رضي الله عنه ائتي ربك راضية مرضية ادخلي في عبدي • وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وقيل في خبيب بن عدي الذي صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يحوله • والظاهر العموم • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيمة

سورة البلد مكية وهي عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد • وانت حل بهذا البلد • ووالد وما ولد • لقد خلقنا الانسان في كبد • ايحسب ان لن يقدر عليه احد • يقول اهلكت مالا لبدا • ايحسب ان لم يره احد • اقسم سبحانه وتعالى بالبلد الحرام وبما بعده على ان الانسان خلق مغمورا في مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله وانت حل بهذا البلد يعني ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم • وعن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك • وفيه تثبيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته • او سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسم ببلده على ان الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد • واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وانت حل بهذا البلد يعني وانت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وذلك ان الله عز وجل فتح عليه مكة واحلها له وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس رضي الله عنه يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر • فان قلت اين نظير قوله وانت حل في معنى الاستقبال قلت قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده الاكرام والحباء انت مكرم محبو وهو في كلام الله اوسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق مكية واين الهجرة عن وقت

نزولها فما بال الفتح • فان قلت ما المراد بوالد وما ولد قلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده اقسم ببلده الذي هو مسقط راسه وحرم ابيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومنشأ ابيه اسماعيل عليه الصلاة والسلام وبمن ولده وبه • فان قلت لم نكر قلت للابهام المستقل بالمدح والتعجب • فان قلت هلا قيل ومن ولد قلت فيه ما في قوله تعالى والله اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب الشان • وقيل هما آدم عليه الصلاة والسلام وولده • وقيل كل والد وولده • والكبد اصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه واصله كبده اذا اصاب كبده • قال لبيد يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام الخصوم في كبد • اي في شدة الامر وصعوبة الخطب • والضمير في ايحسب لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد • والمعنى ايظن هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين ان لن تقوم قيامة ولن يقدر على الانتقام منه وعلى مكافاته بما هو عليه ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم وانه يقول اهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر • ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق ما ينفق رياء الناس وافتخارا بينهم يعني ان الله تعالى كان يراه وكان عليه رقيبا • ويجوز ان يكون الضمير للانسان على ان يكون المعنى اقسم بهذا البلد الشريف ومن شرفه انك حل به مما يقترف اهله من المآثم متحرج بريء فهو حقيق بان اعظمه بقسمي به • لقد خلقنا الانسان في كبد اي في مرض وهو مرض القلب وفساد الباطن يريد الذين علم الله منهم حين خلقهم انهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات • وقيل الذي يحسب ان لن يقدر عليه احد هو ابو الاشدين وكان قويا يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فلا ينزع عنه الا قطعا ويبقى موضع قدميه • وقيل الوليد بن المغيرة • لبدا قرئ بالضم والكسر جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة • وقرئ لبدا بضمتين جمع لبود • ولبدا بالتشديد جمع لابد • الم نجعل له عينين • ولسانا وشفتين • وهديناه النجدين • فلا اقتحم العقبة • وما ادراك ما العقبة • فك رقبة • او اطعام في يوم ذي مسغبة • يتيما ذا مقربة • او مسكينا ذا متربة • الم نجعل له عينين يبصر بهما المرئيات • ولسانا يترجم به عن ضمائره • وشفتين يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك • وهديناه النجدين اي طريقي الخير والشر • وقيل الثديين • فلا اقتحم العقبة يعني فلم يشكر تلك الايادي والنعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب واطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان الذي هو اصل كل طاعة واساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم • والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضي النافع عند الله تعالى لا ان يهلك مالا لبدا في الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر الآية • فان قلت قلما تقع لا الداخلة على الماضي الا مكررة ونحو قوله فاي امر سيئ لا فعله • قلت هي متكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا الا ترى انه فسر اقتحام العقبة بذلك • وقال الزجاج قوله ثم كان من الذين آمنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن • والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس • وعن الحسن رحمه الله عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان • وفك الرقبة تخليصها من رق وغيره • وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يدخلني الجنة فقال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال اليسا سواء قال لا اعتاقها ان تنفرد بعتقها وفكها ان تعين في تخليصها من قود او غرم • والعتق والصدقة افضل الاعمال • وعن ابي حنيفة رحمه الله ان العتق افضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة افضل والآية ادل على قول ابي حنيفة رحمه الله لتقديم العتق على الصدقة • وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة ايضعه في ذي قرابة او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي صلى الله عليه

قال المرء فك رقبة ذلك التسبيح خصوصها بما عضه من نثار وقرئ فك رقبة او اطعام على هي فك رقبة او اطعام وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم العقبة وقوله عز وعلا وما ادراك ما العقبة اعتراض ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله تعالى والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب واما اترب فاستغنى اي صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل اثرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ذا متربة الذي ماواه المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم هم ناصب ذو نصب وقرا الحسن رحمه الله ذا مسغبة نصبه باطعام ومعناه او اطعام في يوم من الايام ذا مسغبة **ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة** ثم كان من الذين آمنوا جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به والمرحمة الرحمة اي واوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والثبات عليه او بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن وبان يكونوا متراحمين متعاطفين او بما يؤدي الى رحمة الله تعالى الميمنة والمشأمة اليمين والشمال او اليمن والشؤم اي الميامين على انفسهم والمشائيم عليهن قرئ مؤصدة بالواو والهمزة من اوصدت الباب وآصدته اي اطبقته واغلقته وعن ابي بكر بن عياش لنا امام يهمز مؤصدة فاشتهي ان اسد اذني اذا سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيامة

سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم **والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والارض وما طحاها** ضحاها ضوؤها اذا اشرقت وقام سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وكأنه وجه شمس الضحى وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكرب ان ينتصف تلاها طالعا عند غروبها آخذا من نورها وذلك في النصف الاول من الشهر وقيل اذا استدار فتلاها في الضياء والنور جلاها عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة او للدنيا او للارض وان لم يجر لها ذكر كقولهم اصبحت باردة يريدون الغداة وارسلت يريدون السماء اذا يغشاها اذا يغشى الشمس فتظلم الآفاق **فان قلت** الامر في نصب اذا معضل لانك لا تخلو اما ان تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين وفي نحو قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو واما ان تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه **قلت** الجواب فيه ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شان خلاف شان الباء حيث ابرز معها الفعل واضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو فحقهن ان يكن عوامل على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما جعلت ما مصدرية في قوله تعالى وما بناها وما طحاها وما سواها وليس بالوجه لقوله فالهمها وما يؤدي اليه من فساد النظم والوجه ان تكون موصولة وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها **ونفس وما سواها** ونفس والحكيم الباهر الذي سواها وفي كلامهم سبحان ما سخركن لنا **فان قلت** لم نكرت النفس **قلت** فيه وجهان احدهما ان يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم عليه الصلاة والسلام كأنه قيل وواحدة من النفوس والثاني ان يريد كل نفس وينكر للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله تعالى علمت نفس **فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها** ومعنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وان احدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل قوله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما والتزكية الانماء والاعلاء بالتقوى والتدسية النقص والاخفاء بالفجور واصل دسى دسس كما قيل في تقضض تقضى وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عنه فقال افلح من زكى الله نفسه وقد خاب من دسى الله نفسه فاما قول من زعم ان الضمير في زكى ودسى لله تعالى وان تانيث الراجع الى من لانه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يوركون على الله قدرا هو بريء منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها اليه **فان قلت** فاين جواب القسم **قلت** هو محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا عليه الصلاة والسلام واما قد افلح من زكاها فكلام تابع لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء **كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث اشقاها** الباء مثلها في كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بان قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على الله وقيل كذبت بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية وقرا الحسن رحمه الله بطغواها بضم الطاء كالحسنى والرجعى في المصادر اذ انبعث منصوب بكذبت او بالطغوى واشقاها قدار بن سالف ويجوز ان يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك في افعل التفضيل اذا اضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان يجوز ان يقال اشقوها كما تقول افاضلهم **فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها** والضمير في لهم يجوز ان يكون للاشقين والتفضيل في الشقاوة لان من تولى العقر وباشره كانت شقاوته اظهر وابلغ وناقة الله نصب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي الصبي باضمار ذروا او احذروا عقرها وسقياها فلا تزووها عنها ولا تستاثروا بها عليها فكذبوه فيما حذرهم منه من نزول العذاب ان فعلوا **فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها** فدمدم عليهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم وفيه انذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب ان يعتبر ويحذر فسواها فسوى الدمدمة بينهم اي فسواها بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم ولا يخاف عقباها اي عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقي بعض الابقاء ويجوز ان يكون الضمير لثمود على معنى فسواها بالارض او في الهلاك ولا يخاف عقبى هلاكها وفي مصاحف اهل المدينة والشام فلا يخاف وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر صدق رسول الله

سورة الليل مكية وهي احدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى ان سعيكم لشتى** المغشي اما الشمس من قوله تعالى والليل اذا يغشاها واما النهار من قوله يغشي الليل النهار واما كل شيء يواريه بظلامه من قوله تعالى اذا وقب تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وقيل هما آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم والذكر والانثى وقرا ابن مسعود رضي الله عنه والذي خلق الذكر والانثى وعن الكسائي وما خلق الذكر والانثى بالجر على انه بدل من محل ما خلق بمعنى وما خلقه الله اي ومخلوق الله الذكر والانثى وجاز اضمار اسم الله تعالى لانه معلوم لانفراده بالخلق اذ لا خالق سواه وقيل ان الله تعالى لم يخلق خلقا من ذوي الارواح ليس بذكر ولا انثى والخنثى وان اشكل امره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم

قوله فاهلكوا بالطاغية اي فاهلكوا بالعذاب ذي الطغوى م

من دساها

بالذكورة او الانوثة فلو حلف بالطلاق انه لم يلق يومه ذكرا ولا انثى وقد لقي خنثى مشكلا كان حانثا لانه في الحقيقة اما ذكر او انثى وان كان مشكلا عندنا ❁ ان سعيكم لشتى ❁ جمع شتيت اي ان مساعيكم اشتات مختلفة وبيان

لاختلافها فيما فصل على اثره ❁ فاما من اعطى واتقى ❁ وصدق بالحسنى ❁ فسنيسره لليسرى ❁ اعطى الطاعة

ماله واتقى الله تعالى يعصيه وصدق بالحسنى بالخصلة الحسنى وهي الايمان او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام

او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة ❁ فسنيسره لليسرى ❁ فسنهيئه لها من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها ومنه

قوله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له ❁ واليسرى ما يؤدي الى اليسر ...

...

وقول القائل وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس ويجوز ان يكون استثناء منقطعا ❁ ولسوف يرضى ❁ وعد بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه ❁ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ... من قرا سورة الليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر ❁ صدق الله وصدق رسوله الكريم

سورة الضحى مكية وهي احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم ❁ والضحى ❁ والليل اذا سجى ❁ ما ودعك ربك وما قلى ❁ وللاخرة خير لك من الاولى ❁ ولسوف يعطيك ربك فترضى ❁ المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر

النهار حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها ❁ وقيل النهار وخص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التي كلم فيها موسى عليه

الصلاة والسلام والقي فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى ❁ وقيل اريد بالضحى النهار بيانا لقوله

عز وجل ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا ❁ سجى سكن والمراد سكون اهله ❁ وقيل ركد ظلامه من سجا البحر اذا سكنت امواجه ❁ ما ودعك

ما قطعك قطع المودع ❁ وقرئ بالتخفيف ... ❁ وما قلى وما قلاك ... روي ان الوحي

تاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما ... وقيل ان ام جميل امراة ابي لهب

...

[illegible]

الشرايع والقرآن مقتديا بالسنن فراهها من الضلال ● عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

سورة الم نشرح مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ● الم نشرح لك صدرك ● ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ● ورفعنا لك ذكرك ● استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فأفاد اثبات الشرح وايجابه فكأنه قيل شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى ومعنى شرحنا صدرك فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين جميعا ● او حتى سهل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومه

[illegible]

اليسر والعسر [illegible]

[illegible]

لذنب النصب الذي يبغض عليا وعداوته ● والى ربك فارغب ولا تجعل رغبتك الى غيره خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه ● وقرئ فرغب اي رغب الناس الى طلب ما عنده ● عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الم نشرح فكأنما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة والتين مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ● والتين والزيتون ● وطور سينين ● وهذا البلد الامين ● اقسم بهما لانهما عجيبان من بين اصناف الاشجار المثمرة روي انه اهدي لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير

[illegible]

بالشعر انبتت بطور سينا وطور سيناء لانها منبتة التين والزيتون. وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمذان والزيتون جبال الشام لانها منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون. واضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهي البقعة ونحو سينون بيرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب. والبلد مكة حماها الله تعالى. والامين من امن الرجل امانة فهو امين. وقيل امانته ان يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه. ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذي امن. ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى عليهما الصلاة والسلام ومنشأه. والطور المكان الذي نودي منه موسى عليه الصلاة والسلام. ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه. لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون. في احسن تقويم في احسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لاعضائه. ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية ان رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني اقبح من قبح صورة واشوهه خلقة وهم اصحاب النار او اسفل من سفل من اهل الدركات. او ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف. وقرأ عبد الله اسفل السافلين. فان قلت فكيف الاستثناء على المذهبين. قلت هو على الاول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثاني منقطع يعني ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم. فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين. فان قلت ما المخاطب. قلت هو خطاب للانسان على طريقة الالتفات اي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل يعني انك تكذب اذا كذبت بالجزاء لان كل مكذب بالحق فهو كاذب فاي شيء يضطرك الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء. والباء مثلها في قوله تعالى الذين يشركون به والذين هم به مشركون. والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة الى ان يكمل ويستوي ثم تنكيسه الى ان يبلغ ارذل العمر لا ترى دليلا اوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر من الانسان على هذا كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك ايها الانسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع. وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم. اليس الله باحكم الحاكمين وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم اهله. وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال بلى وانا على ذلك من الشاهدين. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين اعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة. صدق رسول الله.

سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم. عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد هي اول سورة نزلت واكثر المفسرين على ان الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم. محل باسم ربك النصب على الحال اي اقرأ مفتتحا باسم ربك قل بسم الله ثم اقرأ. فان قلت كيف قال خلق فلم يذكر له مفعولا ثم قال خلق الانسان. قلت هو على وجهين اما ان لا يقدر له مفعول وان يراد انه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه واما ان يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات اولى بتقديره من بعض. وقوله خلق الانسان تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه وهو اشرف ما على الارض. ويجوز ان يراد الذي خلق الانسان كما قال الرحمن علم القرآن خلق الانسان فقيل الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته. فان قلت لم قال من علق على الجمع وانما خلق من علقة كقوله من نطفة ثم من علقة. قلت لان الانسان في معنى الجمع كقوله تعالى ان الانسان لفي خسر. الاكرم الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي واطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا امد وكانه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت امور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفى به. ولبعضهم في صفة القلم:

ورواقم رقش كمثل اراقم ... قطف الخطا نيالة اقصى المدى
سود القوائم ما يجد مسيرها ... الا اذا لعبت بها بيض المدى

وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم. كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ان الى ربك الرجعى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى ارأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارأيت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى. كلا ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه. ان رآه ان رأى نفسه يقال في افعال القلوب رأيتني وعلمتني وذلك بعض خصائصها. ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين. واستغنى هو المفعول الثاني. ان الى ربك الرجعى واقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان. والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع. وقيل نزلت في ابي جهل وكذلك ارأيت الذي ينهى. وروي انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم. وروي عنه لعنه الله انه قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فوالذي يحلف به لئن رأيته توطأت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك يا ابا الحكم فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ارأيت الذي ينهى. ومعناه اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله او كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقد وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد. فان قلت ما متعلق ارأيت. قلت الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين. فان قلت فاين جواب الشرط. قلت هو محذوف تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم بان الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني. فان قلت فكيف صح ان يكون الم يعلم جوابا للشرط. قلت كما صح في قولك ان اكرمتك اتكرمني وان احسن اليك زيد هل تحسن اليه. فان قلت فما ارأيت الثانية وتوسطها بين مفعولي ارأيت. قلت هي زائدة مكررة للتوكيد. وعن الحسن رضي الله عنه انه امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة. كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة. كلا ردع لابي جهل وخسوء له من نهيه عن عبادة الله تعالى وامره بعبادة اللات والعزى ثم قال لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعن بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار. والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة. قال عمرو بن معدي كرب رضي الله عنه:

قوم اذا يقع الصريخ رأيتهم ... من بين ملجم مهره او سافع

وقرئ لنسفعن بالنون المشددة. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه لاسفعن وكتبتها في المصحف بالالف على حكم الوقف ولما علم انها ناصية المذكور اكتفى بلام

المهتدين لا يضافة ناصية بدل من الناصية وجاز بدلها عن المعرفة وهي نكرة لانها وصفت فاستقلت بفائدة وقرئ ناصية ناصية بالنصب على الشتم وبالرفع على هي ناصية ووصفها بالكذب والخطأ على الاسناد المجازي وهما لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ **فليدع ناديه** **سندع الزبانية**

كلا لا تطعه واسجد واقترب والنادي المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون والمراد اهل النادي كما قال جرير لهم مجلس صهب السبال اذلة وقال زهير وفيهم مقامات حسان وجوههم والمقامة المجلس روي ان ابا جهل لعنه الله مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت وقرئ ستدعى الزبانية على البناء للمفعول والزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكانه نسب الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم امسي واصله زباني فقيل زبانية على التعويض والمراد ملائكة العذاب وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا كلا ردع لابي جهل لا تطعه اي اثبت على ما انت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين واسجد ودم على سجودك يريد الصلاة واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرا المفصل كله صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة القدر مختلف فيها وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم **انا انزلناه في ليلة القدر** **وما ادراك ما ليلة القدر** **ليلة القدر خير من الف شهر** عظم القرآن من ثلاثة اوجه احدها ان اسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره والثاني انه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي انزل فيه روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه الصلاة والسلام على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة وعن الشعبي المعنى انا ابتدانا انزاله في ليلة القدر واختلفوا في وقتها فالاكثرون على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها واكثر القول انها السابعة منها ولعل الداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه وان لا يتكل الناس عند ظفرها على اصابة الفضل فيها فيفرطوا في غيرها ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضائها من قوله فيها يفرق كل امر حكيم وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على سائر الليالي وما ادراك ما ليلة القدر يعني ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها **تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر** **سلام هي حتى مطلع الفجر** ثم بين له ذلك بانها خير من الف شهر وسبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكرها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل امر حكيم وذكر في تخصيص هذه المدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون من ذلك فتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد تنزل الى السماء الدنيا وقيل الى الارض والروح جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة الا تلك الليلة من كل امر اي تنزل من اجل كل امر قضاه الله تعالى لتلك السنة الى قابل وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه في تلك الليلة سلام هي اي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة والخير ويقضي في غيرها بلاء وسلامة او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين

وقرئ مطلع

وقرئ مطلع بفتح اللام وكسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر

سورة البينة

بسم الله الرحمن الرحيم **لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة** **رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة** كان الكفار من الفريقين اهل الكتاب وعبدة الاصنام يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا ننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يعني انهم كانوا يعدون باجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجيء الرسول ونظيره في الكلام ان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما انا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست راسك في الفسق الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما وانفكاك الشيء من الشيء ان يزايله بعد التحامه به كالعظم اذا انفك من مفصله والمعنى انهم متشبثون بدينهم لا يتركونه الا عند مجيء البينة والبينة القرآن فان لو اتتهم بينة ما في الصحف الاولى ورسول من الله بدل من البينة وهو جبريل عليه الصلاة والسلام وهو تالي الصحف المطهرة المنتسخة من اللوح التي ذكرت في سورة عبس ولا يمسها الا المطهرون او محمد صلى الله عليه وسلم **فان قلت** كيف نسبت تلاوة الصحف المطهرة اليه وهو امي **قلت** اذا تلا مثل المسطور فيها كان تاليا والبينة الحجة ورسول بدل من البينة وفي قراءة عبد الله رسولا حالا من البينة صحفا قراطيس مطهرة من الباطل فيها كتب مكتوبات قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والعدل **وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة** **وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه او تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند **فان قلت** لم جمع بين اهل الكتاب والمشركين اولا ثم افرد اهل الكتاب في قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب **قلت** لانهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له ادخل في هذا الوصف وما امروا يعني في التوراة والانجيل الا بالدين الحنيفي ولكنهم حرفوا وبدلوا وذلك دين القيمة اي دين الملة القيمة **فان قلت** ما وجه قوله وما امروا الا ليعبدوا الله **قلت** معناه وما امروا بما في الكتابين الا لاجل ان يعبدوا الله على هذه الصفة وقرا ابن مسعود الا ان يعبدوا بمعنى بان يعبدوا **ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية** **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية** **جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه** قرأ نافع البريئة بالهمز والقراء على التخفيف والبرية الخلق والنبي مخففة ورضوا عنه ثواب المؤمنين والاصل وقرئ خيار البرية جمع خير كجياد وطياب في جيد وطيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزال

بسم الله الرحمن الرحيم **اذا زلزلت الارض زلزالها** **واخرجت الارض اثقالها** **وقال الانسان ما لها** **يومئذ تحدث اخبارها** **بان ربك اوحى لها** زلزالها وقرئ بكسر الزاي وفتحها

[illegible]

حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن معفوة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر
قلت المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من فريق السعداء ومن يعمل مثقال ذرة شرا من فريق الأشقياء لأنه جاء بعد قوله ليصدر الناس أشتاتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة إذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

سورة العاديات مختلف فيها وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا • فالموريات قدحا • فالمغيرات صبحا • فأثرن به نقعا • فوسطن به جمعا • إن الإنسان لربه لكنود • وإنه على ذلك لشهيد • وإنه لحب الخير لشديد •
أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت أنفاسها إذا عدون وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه حكاه فقال أح أح قال عنترة: والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا أو بالعاديات كأنه قيل والضابحات لأن الضبح يكون مع العدو أو على الحال أي ضابحات فالموريات توري نار الحباحب وهي ما تنقدح من حوافرها قدحا قادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والإيراء إخراج النار

[illegible]

لهم على مقادير أعمالهم لأن ذلك لا يخفى عليه وقرأ أبو السمال أن ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والعاديات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا صدق رسول الله

سورة القارعة مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة • ما القارعة • وما أدراك ما القارعة • يوم يكون الناس كالفراش المبثوث • وتكون الجبال كالعهن المنفوش • فأما من ثقلت موازينه • فهو في عيشة راضية •
الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة أي تقرع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار قال جرير: إن الفرزدق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلي وفي أمثالهم أضعف من فراشة وأذل وأجهل وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألوانا لأنها ألوان وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها وقرأ ابن مسعود

يعني المنفشة كالصوف. الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها
رجحانها ومنه حديث ابي بكر رضي الله عنه لعمر في وصيته انما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة
باتباعهم الحق وثقله عليهم في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحسنات ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم
باتباعهم الباطل وخفته عليهم في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا السيئات ان يخف. وأما من خفت موازينه فأمه
هاوية. وما ادراك ما هيه. نار حامية. فأمه هاوية من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت امه لانه
اذا هوى اي سقط وهلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا. قال كعب بن سعد: هوت امه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يؤدي الليل حين
يؤوب. فكأنه قيل واما من خفت موازينه فقد هلك. وقيل الهاوية من اسماء النار وكأنها النار العميقة
لهوي اهل النار فيها مهوى بعيدا كما روي يهوي فيها سبعين خريفا اي فمأواه النار. وقيل للمأوى ام على
التشبيه لان الام مأوى الولد ومفزعه. وعن قتادة رحمه الله فأمه هاوية فام رأسه هاوية في
قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا. وما ادراك ما هيه الضمير للداهية التي دل عليها قوله تعالى فأمه هاوية في التفسير الاول
او للهاوية والهاء للسكت واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج
لانها ثابتة في المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل
الله بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الهاكم التكاثر. حتى زرتم المقابر. كلا سوف تعلمون. ثم كلا
سوف تعلمون. كلا لو تعلمون علم اليقين. لترون الجحيم. ثم لترونها عين اليقين. ثم لتسألن
يومئذ عن النعيم. الهاه عن كذا واقهاه اذا شغله. والتكاثر التباري في الكثرة والتباهي بها وان يقول هؤلاء
نحن اكثر وهؤلاء نحن اكثر. روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا ايهم اكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف فقالت
بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرتهم بنو سهم. والمعنى الهاكم التكاثر
بالاحياء حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة
المقابر تهكما بهم. وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم
والمعنى الهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم وآخرتكم عما يعنيكم من امر الدين الذي هو اهم
واعنى من كل مهم. او الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم منفقين اعماركم في طلب الدنيا
والاستباق اليها والتهالك عليها الى ان اتاكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو اولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لآخرتكم
وزيارة القبور عبارة عن الموت. وقال الاخطل: زار القبور ابو مالك فاصبح الأم زوارها. وقرئ أألهاكم
على الاستفهام الذي معناه التقرير. كلا ردع وتنبيه على انه لا ينبغي للناظر لنفسه ان تكون الدنيا
جميع همه ولا يهتم بدينه. سوف تعلمون انذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم. والتكرير تأكيد للردع والانذار
عليهم. وثم للدلالة على ان الانذار الثاني ابلغ من الاول واشد كما تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل. والمعنى
سوف تعلمون الخطأ فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله تعالى وان هذا التنبيه نصيحة
لكم ورحمة عليكم. ثم كرر التنبيه ايضا وقال كلا لو تعلمون محذوف الجواب يعني لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر
اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه من الامور التي وكلتم بعلمها هممكم لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم
ضلال جهلة. ثم قال لترون الجحيم فبين لهم ما انذرهم منه واوعدهم به وقد مر ما في ايضاح الشيء بعد ابهامه
من تفخيم وتعظيم. وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما اوعدوا به ما لا مدخل فيه للريب
كرره معطوفا بثم تغليظا في التهديد وزيادة في التهويل. وقرئ لترؤن وهي مستكرهة. فان قلت لم استكرهت
والواو المضمومة قبلها همزة قياس مطرد. قلت ذلك في الواو التي ضمتها لازمة وهذه عارضة لالتقاء الساكنين

وقرئ لترون

وقرئ لتُرَونّ ولتُرَونها على البناء للمفعول. عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته. ويجوز
ان يراد بالرؤية العلم والابصار. عن النعيم عن اللهو والتنعم الذي شغلكم للالتذاذ به عن الدين وتكاليفه
فان قلت ما النعيم الذي يسأل عنه الانسان ويعاتب عليه فما من احد الا وله نعيم. قلت هو نعيم من
عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم
والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله وارزاقه التي لم يخلقها الا لعباده وتقوى بها على دراسة
العلم والقيام بالعمل وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى انه
اكل هو واصحابه تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين. عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ الهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرأ الف آية

سورة العصر مكية وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر. ان الانسان لفي خسر. الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر. اقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلوة الوسطى صلوة العصر
في مصحف حفصة رضي الله عنها. وقوله صلى الله عليه وسلم من فاتته صلوة العصر فكأنما وتر اهله وماله. ولان
التكليف في ادائها اشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم. او اقسم بالعشي
كما اقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة. او اقسم بالزمان لما في مروره من اصناف العجائب. والانسان
للجنس. والخسر الخسران كما قيل الكفر في الكفران. والمعنى ان الناس في خسران من تجاراتهم الا الصالحين وحدهم
لانهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم فوقعوا في الخسارة والشقاوة
وتواصوا بالحق بالامر الثابت الذي لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله تعالى وطاعته واتباع كتبه ورسله
والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة. وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله عز وجل به عباده
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر. صدق الله

سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة. الذي جمع مالا وعدده. يحسب ان ماله اخلده
الهمز الكسر كالهزم. واللمز الطعن يقال لمزه ولهزه طعنه. فالمراد الكسر من اعراض الناس والغض منهم واغتيابهم
والطعن فيهم. وبناء فعلة يدل على ان ذلك عادة منه قد ضري بها ونحوهما اللعنة والضحكة. قال: وان اغيب
فانت الهامز اللمزة. وقرئ ويل للهمزة اللمزة. وقرئ ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي يأتي بالاوابد
والاضاحيك فيضحك منه ويشتم. وقيل نزلت في الاخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة. وقيل
في امية بن خلف. وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه منه. ويجوز ان
يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه فان
ذلك ازجر له وانكى فيه. الذي بدل من كل او نصب على الذم. وقرئ جمّع بالتشديد وهو مطابق لقوله وعدده. وقيل عدده
جعله عدة لنوائب الدهر. وقرئ وعدده اي جمع المال وضبط عدده او جمع ماله وقومه الذين ينصرونه
من قولك فلان ذو عَدد وعُدد اذا كان له عدد وافر من الانصار وما يصلحهم. وقيل وعدده معناه وعدّه
على فك الادغام نحو ضننوا. اخلده وخلّده بمعنى اي طول المال امله ومناه الاماني البعيدة حتى اصبح
لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت. او يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر
والآجر وغرس الاشجار وعمارة الارض عمل من يظن ان ماله ابقاه حيا. او هو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذي اخلد

في النعيم فاما المال فما اخلد احدا فيه ونوي انه كان للاخنس اربعة الاف دينار وقيل عشرة الاف وعن الحسن رحمه الله انه عاد موسرا فقال ما تقول في الوف لم افتد بها من لئيم ولا تفضلت بها على كريم قال ولكن لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال اذا تدعها لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك

كلا لينبذن في الحطمة وما ادراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة انها عليهم مؤصدة في عمد ممددة

كلا ردع له عن حسبانه وقرئ لينبذان اي هو وماله ... [illegible]

... [illegible] ... في قلوب ... [illegible]

... [illegible] ... قال تحن الي الحنان ... [illegible]

... [illegible] ... اللهم اجرنا يا خير مستجار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الهمزة اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه

سورة الفيل مكية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم **الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول**

روي ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج اليها رجل من كنانة فتغوط فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان معه الف فيل وكان وحده ... [illegible]

... [illegible] ...

بن ... [illegible] ... تعجيبا فالفضيلة ... [illegible] ... اكلت الثعالب ... [illegible] ... عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل اعفاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ صدق رسول الله

سورة لايلاف قريش مكية وهي اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم **لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**

لايلاف قريش متعلق بقوله تعالى فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين فان قلت فلم دخلت الفاء قلت لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه لايلافهم على معنى ان نعم الله تعالى عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وقيل المعنى عجبوا لايلاف قريش وقيل هو متعلق بما قبله اي فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح ... [illegible]

... [illegible] ...

فلا يجترئ عليهم احد وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله تعالى وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم والايلاف من قولهم آلفت المكان او الفته ايلافا اذا الفته فانا مؤلف قال من المؤلفات الرهو غير الاوارك وقرئ لالاف قريش اي لمؤالفة قريش وقيل يقال الفته الفا والافا وقرا ابو جعفر لالف قريش وقد جمعهما من قال زعمتم ان اخوتكم قريش لهم الف وليس لكم الاف وقرا عكرمة ليالف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهي دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار وعن معاوية انه سال ابن عباس

رضي الله عنه لم سميت قريش قريشا قال بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وأنشد: وقريش
هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا. والتصغير للتعظيم. وقيل من القرش وهو الكسب لأنهم كانوا
كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد. واطلاق الإيلاف ثم ابدال المقيد عنه بالرحلتين تفخيم لأمر الإيلاف
وتذكير بعظيم النعمة فيه. ونصب الرحلة بإيلافهم ومفعول لإيلاف كما نصب يتيما بإطعام. وأراد رحلتي الشتاء والصيف
فأفرد لأمن الالباس كقوله: كلوا في بعض بطنكم. وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل إليها. والتنكير في
جوع وخوف لشدتهما يعني أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما. وآمنهم من خوف عظيم
وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم. وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف
والعظام المحرقة. وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم. وقيل ذلك كله بدعاء إبراهيم عليه الصلوة
والسلام. ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من أن تكون الخلافة في غيرهم. وقرئ من خوف بإخفاء النون
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لإيلاف قريش أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة الماعون مكية وقيل مدنية وهي سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون

قرئ أريت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لأن حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب
ريت ولكن الذي سهل من أمرها وقوع حرف الاستفهام في أول الكلام ونحوه: صاح هل ريت أو سمعت براع ردّ في
الضرع ما قرى في العلاب. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه أرأيتك بزيادة حرف الخطاب كقوله تعالى أرأيتك
هذا الذي كرمت علي. والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو إن لم تعرفه فذلك الذي يكذب بالجزاء هو الذي يدع
اليتيم أي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة وأذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة. وقرئ يدع أي يترك ويجفو
ولا يحض ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والإقدام على إيذاء الضعيف
يعني أنه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين أقدم عليه علم أنه مكذب
فما أشده من كلام وما أخوفه من مقام وما أبلغه في التحذير عنه وأنه جدير بأن يستدل به على ضعف
الإيمان ورخاوة عقد اليقين ثم وصله بقوله تعالى فويل للمصلين كأنه قال فإذا كان الأمر كذلك فويل للمصلين
الذين يسهون عن الصلوة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم أو يخرج وقتها أو لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه
وسلم والسلف ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع وإخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة
التثاؤب والالتفات لا يدري الرجل منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السور وكما ترى صلوة أكثر من ترى الذين
عادتهم الرياء بأعمالهم ومنع حقوق أموالهم. والمعنى أن هؤلاء أحق بأن يكون سهوهم عن الصلوة التي هي عماد الدين
والفارق بين الإيمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع الزكوة التي هي شقيقة الصلوة وقنطرة الإسلام
علما على أنهم مكذبون بالدين وكم ترى من المتسمين بالإسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه
وطريقة أخرى أن يكون فذلك عطفا على الذي يكذب إما عطف ذات على ذات أو صفة على صفة ويكون جواب
أرأيت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كأنه قيل أخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم
ولا يطعم المسكين أنعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين أي إذا علم أنه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم إلا
أنه وضع صفتهم موضع ضميرهم لأنهم كانوا مع التكذيب وما أضيف إليهم ساهين عن الصلوة مرائين غير مزكين
أموالهم. فإن قلت كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد قلت معناه الجمع لأن
المراد به الجنس. فإن قلت أي فرق بين قوله عن صلاتهم وبين قولك في صلاتهم قلت معنى عن أنهم

ساهون عنها

ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشطار من المسلمين. ومعنى
في أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره ومن ثم أثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم
رحمهم الله. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه الحمد لله على أن لم يقل في صلاتهم. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه
لاهون. فإن قلت ما معنى المراءاة قلت هي مفاعلة من الإراءة لأن المرائي يري الناس عمله وهم يرونه
الثناء عليه والإعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا بإظهار العمل الصالح إن كان فريضة فمن حق الفرائض الإعلان
بها وتشهيرها لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله لأنها أعلام الإسلام وشعائر الدين ولأن تاركها
يستحق الذم والمقت فوجب إماطة التهمة. وإن كان تطوعا فحقه أن يخفى لأنه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فإن
أظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا وإنما الرياء أن يقصد بالإظهار أن تراه الأعين فيثنى عليه بالصلاح. وعن بعضهم
أنه رأى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر فأطالها فقال ما أحسن هذا لو كان في بيتك. وإنما قال هذا لأنه توسم فيه الرياء
والسمعة على أن اجتناب الرياء صعب إلا على المرتاضين بالإخلاص ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء أخفى
من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الأسود. الماعون الزكوة قال الراعي: قوم على الإسلام لما يمنعوا
ماعونهم ويضيعوا التهليلا. وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما يتعاور في العادة من الفأس والقدر والدلو والقداحة
ونحوها. وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الماء والنار والملح. وقد يكون منع هذه الأشياء محظورا في الشريعة إذا
استعيرت عن اضطرار وقبيحا في المروة في غير حال الضرورة. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة أرأيت غفر الله
له إن كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر مكية وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر

في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم أنطيناك بالنون. وفي حديثه عليه الصلوة والسلام
وأنطوا الثبجة. والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة. قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر
وقال: وأنت كثير يا ابن مروان طيب وكان أبوك ابن العقائل كوثرا. وقيل الكوثر نهر في الجنة وعن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قرأها حين أنزلت عليه فقال أتدرون ما الكوثر إنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير
روي في صفته أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه من الزبرجد
وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء. ويروى لا يظمأ من شرب منه أبدا أول وارديه فقراء المهاجرين الدنس
الثياب الشعث الرؤوس الذين لا يزوجون المنعمات ولا يفتح لهم أبواب السدد يموت أحدهم وحاجته
تتلجلج في صدره لو أقسم على الله لأبره. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد
بن جبير رضي الله عنه إن ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير. والنحر البدن. وعن عطية
هي صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى. وقيل هي صلوة العيد والتضحية. وقيل هي جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على
الشمال. والمعنى أعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه أحد غيرك ومعطي ذلك كله أنا إله العالمين
فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان إصابة أشرف عطاء وأوفره من أكرم معط وأعظم منعم فاعبد ربك
الذي أعزك بإعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله وانحر
لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفا لهم في النحر للأوثان. إن من أبغضك من قومك لمخالفتك لهم هو الأبتر
لا أنت لأن كل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك وذكرك مرفوع على المنابر
والمنار وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك في الآخرة ما لا يدخل
تحت الوصف فمثلك لا يقال له الأبتر إنما الأبتر هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة وإن ذكر ذكر باللعن

فكانوا يقولون ان محمدا صنبور اذا مات مات ذكره. وقيل نزلت في العاص بن وائل وقد سماه الابتر والابتر الذي لا عقب له ومنه الحمار الابتر الذي لا ذنب له. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر او يقربونه

سورة الكافرون مكية وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين

المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله عز وجل منهم انهم لا يؤمنون. روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملا من قريش فقام على رؤوسهم فقراها عليهم فايسوا. لا اعبد اريدت به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال الا ترى ان لن تاكيد فيما تنفيه لا. وقال الخليل في لن ان اصله لا ان والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي. ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام. ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته. **فان قلت** فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم **قلت** لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل البعث وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت. **فان قلت** فلم جاء على ما دون من **قلت** لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق. وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي. لكم دينكم ولي دين لكم شرككم ولي توحيدي. والمعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكافرين فكانما قرا ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا

اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة. وروي انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع. **فان قلت** ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه **قلت** النصر الاغاثة والاظهار على العدو ومنه نصر الله الارض اغاثها. والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب او على قريش وفتح مكة. وقيل جنس نصر الله عز وجل المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم. خرج لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة الاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن. وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم ثم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام. في دين الله في ملة الاسلام التي لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه. افواجا جماعات كثيرة كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين. وعن جابر بن عبد الله

رضي الله عنه انه بكى ذات يوم فقيل له فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا. وقيل اراد بالناس اهل اليمن قال ابو هريرة رضي الله عنه لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال اجد نفس ربكم من قبل اليمن. وعن الحسن رحمه الله لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اما اذ ظفر باهل الحرم فليس به يدان وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في الاسلام افواجا من غير قتال. وقرا ابن عباس رضي الله عنهما فتح الله والنصر. وقرئ يدخلون على البناء للمفعول. **فان قلت** ما محل يدخلون **قلت** النصب على الحال على ان رايت بمعنى ابصرت او عرفت او هو مفعول ثان على انه بمعنى علمت. فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا. فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا له اي فتعجب لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببالك وبال احد من ان يغلب احد على اهل الحرم واحمده على صنعه او فاذكره حامدا له زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك وفضله. روت ام هانئ رضي الله عنها انه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثماني ركعات. وعن عائشة رضي الله عنها كان يكثر قبل موته سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك. والامر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للامر بما هو قوام امر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وليكون امره بذلك مع عصمته لطفا لامته ولان الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة في نفسه. وعن النبي صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة. وروي انها لما قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة استبشروا وبكى العباس رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكا مستبشرا. وقيل ان ابن عباس رضي الله عنهما هو الذي قال ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا. وروي انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بانفسنا واموالنا وآبائنا واولادنا. وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان عمر رضي الله عنه كان يدنيه ويأذن له مع اهل بدر فقال عبد الرحمن اتأذن لهذا الفتى معنا وفي ابنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس رضي الله عنهما فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسالهم عن قول الله تعالى اذا جاء نصر الله ولا اراه سالهم الا من اجلي فقال بعضهم امر الله نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت اليه نفسه فقال عمر رضي الله عنه ما اعلم منها مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعد ما ترون. وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي. وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان هذه السورة تسمى سورة التوديع. كان توابا اي كان في الازمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم اذا استغفروا فعلى كل مستغفر ان يتوقع مثل ذلك. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النصر اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

سورة تبت خمس آيات وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب

التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اي هالكة من الهرم والتعجيز. والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى اخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتب وهلك كله او جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله تعالى بما قدمت يداك. ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاديات وقد فعل. ويدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقد تب. وروي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقي الصفا وقال يا صباحاه فاجتمع اليه الناس من كل اوب فقال يا بني عبد المطلب يا بني فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت

فإن قلت لم كناه والتكنية تكرمة؟ قلت فيه ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم، فقد يكون الرجل معروفا بأحدهما، ولذلك تجري الكنية على الاسم أو الاسم على الكنية عطف بيان، فلما أريد تشهيره بدعوة السوء وأن تبقى سمة له ذكر الأشهر من علميه. ويؤيد ذلك قراءة من قرأ: يدا أبو لهب، كما قيل: علي بن أبو طالب رضي الله عنه، ومعاوية بن أبو سفيان، لئلا يغير منه شيء فيشكل على السامع. ولفليتة بن قاسم أمير مكة ابنان أحدهما عبد الله بالجر، والآخر عبد الله بالنصب. والثاني أنه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه إلى كنيته. والثالث أنه لما كان من أهل النار ومآله إلى النار ذات اللهب وافقت حاله كنيته، فكان جديرا بأن يذكر بها، ويقال أبو الشر للشرير وأبو الخير للخير، وكما كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا المهلب أبا صفرة بصفرة في وجهه. وقيل كني بذلك لتلهب وجنتيه وإشراقهما، فيجوز أن يذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك. وقرئ أبي لهب بالسكون، وهو من تغيير الأعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم. ما أغنى استفهام في معنى الإنكار ومحله النصب، أو نفي. وما كسب مرفوع، وما موصولة أو مصدرية بمعنى: ومكسوبه، أو وكسبه. والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله، يعني رأس المال والأرباح، أو ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها، وكان ذا سابياء، أو ماله الذي ورثه من أبيه والذي كسبه بنفسه، أو ماله التالد والطارف. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ما كسب ولده. وحكي أن بني أبي لهب احتكموا إليه فاقتتلوا، فقام يحجز بينهم، فدفعه بعضهم فوقع، فغضب فقال: أخرجوا عني الكسب الخبيث. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه. وعن الضحاك: ما ينفعه ماله وعمله الخبيث، يعني كيده في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن قتادة رضي الله عنه: عمله الذي ظن أنه منه على شيء، كقوله عز وجل: وقدمنا إلى ما عملوا من عمل. وروي أنه كان يقول: إن كان ما يقول ابن أخي حقا فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي. سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد. سيصلى قرئ بفتح الياء وبضمها مخففا ومشددا، والسين للوعيد، أي هو كائن لا محالة وإن تراخى وقته. وامرأته هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان، وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقيل كانت تمشي بالنميمة، ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس: يحمل الحطب بينهم، أي يوقد بينهم النائرة ويورث الشر. قال: من البيض لم تصطد على ظهر لأمة، ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب. جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر. ورفعت عطفا على الضمير في سيصلى، أي سيصلى هو وامرأته. وفي جيدها في موضع الحال، أو على الابتداء وفي جيدها الخبر. وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم، وأنا أستحب هذه القراءة، وقد توسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من أحب شتم أم جميل. وقرئ حمالة للحطب وحمالة الحطب بالتنوين والرفع والنصب. وقرئ ومريئته بالتصغير. المسد الذي فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان أو جلد أو غيرهما. قال: ومسد أمر من أيانق. ورجل ممسود الخلق مجدوله. والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال، وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون، تخسيسا لحالها وتحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن، لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها، وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة. ولقد عير بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بحمالة الحطب فقال:

ماذا أردت إلى شتمي ومنقصتي … أم ما تعير من حمالة الحطب
غراء شادخة في المجد غرتها … كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب

ويحتمل أن يكون المعنى أن حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك، فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم أو من الضريع، وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار، كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة. صدق الله الكريم ورسوله صلى الله عليه وسلم

سورة الإخلاص مكية وقيل مدنية وهي أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

هو ضمير الشأن، والله أحد هو الشأن، كقولك: هو زيد منطلق، كأنه قيل: الشأن هذا، وهو أن الله واحد لا ثاني له. فإن قلت ما محل هو؟ قلت الرفع على الابتداء والخبر الجملة. فإن قلت فالجملة الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع إلى المبتدأ، فأين الراجع؟ قلت حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك: زيد غلامك، في أنه هو المبتدأ في المعنى، وذلك أن قوله الله أحد هو الشأن الذي هو عبارة عنه، وليس كذلك زيد أبوه منطلق، فإن زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا إليه، فنزلت، يعني الذي سألتموني وصفه هو الله، بدل من قوله الله، أو على هو أحد، وهو بمعنى واحد، وأصله وحد. وقرأ عبد الله وأبي رضي الله عنهما: هو الله أحد بغير قل، وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم: الله أحد بغير قل هو، وقال: من قرأ الله أحد كان بعدل القرآن. وقرأ الأعمش: قل هو الله الواحد. وقرئ أحد الله بغير تنوين، أسقط لملاقاته لام التعريف، ونحوه: ولا ذاكر الله إلا قليلا. والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين. والصمد فعل بمعنى مفعول، من صمد إليه إذا قصده، وهو السيد المصمود إليه في الحوائج. والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بأنه خالق السماوات والأرض وخالقكم، وهو واحد متوحد بالإلهية لا يشارك فيها، وهو الذي يصمد إليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغني عنهم. لم يلد لأنه لا يجانس حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا، وقد دل على هذا المعنى بقوله: أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة. ولم يولد لأن كل مولود محدث وجسم، وهو قديم لا أول لوجوده، وليس بجسم. ولم يكافئه أحد، أي لم يماثله ولم يشاكله. ويجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح نفيا للصاحبة. سألوه أن يصفه لهم فأوحى إليه ما يحتوي على صفاته، فقوله هو الله إشارة لهم إلى من هو خالق الأشياء وفاطرها، وفي طي ذلك وصفه بأنه قادر عالم، لأن الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية إحكام واتساق وانتظام، وفي ذلك وصفه بأنه حي سميع بصير. وقوله تعالى أحد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء. وقوله تعالى الصمد وصف بأنه ليس إلا محتاجا إليه، وإذا لم يكن إلا محتاجا إليه فهو غني. وفي كونه غنيا مع كونه عالما أنه عدل غير فاعل للقبائح لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه. وقوله تعالى لم يولد وصف بالقدم والأولية. وقوله لم يلد نفي للشبه والمجانسة. وقوله تعالى ولم يكن له كفوا أحد تقرير لذلك وبت للحكم به. فإن قلت الكلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم، وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه، فما باله مقدما في أفصح كلام وأعربه؟ قلت هذا الكلام إنما سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه وتعالى، وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف، فكان لذلك أهم شيء وأعناه وأحقه بالتقديم وأحراه. وقرئ كفؤا بضم الكاف والفاء، وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء. فإن قلت لم كانت هذه السورة عدل القرآن كله على قصر متنها وتقارب طرفيها؟ قلت لأمر ما يسود من يسود، وما ذاك إلا لاحتوائها على صفات الله تعالى وعدله وتوحيده، وكفى دليلا من اعترف بفضلها وصدق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أن علم التوحيد من الله تعالى بمكان، وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه ويتضع بضعته، ومعلوم هذا العلم هو الله عز وجل وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز، فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله وإنافته على كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه، ومن ازدراه فلضعف علمه بمعلومه وقلة تعظيمه له وخلوه من خشيته وبعده من النظر لعاقبته. اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك الخائفين من وعيدك. وتسمى سورة الأساس لاشتمالها على أصول الدين. وروى أبي وأنس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: أسست السماوات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد، يعني ما خلقت إلا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال: وجبت. قيل: يا رسول الله وما وجبت؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وجبت له الجنة.

سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد

الفلق والفرق الصبح لأن الليل ينفلق

عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال في المثل هو أبين من فلق الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم سطع الفرقان إذا
طلع الفجر وقيل هو كل ما يفلقه الله عز وجل كالأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والأرحام عن
الأولاد والحب والنوى وغير ذلك وقيل هو واد في جهنم أو جب فيها من قولهم لما اطمأن من الأرض الفلق والجمع
فلقان وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قدم الشأم فرأى دور أهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما
وسع عليهم من دنياهم فقال لا أبالي أليس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع
أهل النار من شدة حره من شر ما خلق من شر خلقه وشرهم ما يفعله المكلفون من الحيوان من المعاصي والمآثم ومضارة
بعضهم بعضا من ظلم وبغي وقتل وضرب وشتم وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين منه من الأكل والنهش واللدغ
والعض كالسباع والحشرات وما وضعه الله تعالى في الموات من أنواع الضرر كالإحراق في النار والقتل في السم والغاسق
الليل إذا اعتكر ظلامه من قوله عز وجل إلى غسق الليل ومنه غسقت العين امتلأت دمعا وغسقت الجراحة
امتلأت دما ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء ويقال وقبت الشمس إذا غابت وفي الحديث لما رأى الشمس قد وقبت
قال هذا حين حلها يعني صلاة المغرب وقيل هو القمر إذا امتلأ وعن عائشة رضي الله عنها أخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم بيدي فأشار إلى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب ووقوبه دخوله
في الكسوف واسوداده ويجوز أن يراد بالغاسق الأسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه
وقبة الثريد والتعوذ من شر الليل لأن انبثاث الشر فيه أكثر والتحرز منه أصعب ومنه قولهم الليل أخفى للويل وقولهم
أغدر الليل لأنه إذا أظلم كثر فيه الغدر وأسند الشر إليه لملابسته له من حدوثه فيه النفاثات النساء
أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق
ولا تأثير لذلك اللهم إلا إذا كان ثم إطعام شيء ضار أو سقيه أو إشمامه أو مباشرة المسحور به على بعض الوجوه ولكن
الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام
فينسبه الحشوية والرعاع إليهن وإلى نفثهن والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون إلى ذلك ولا يعبئون به **فإن قلت**
فما معنى الاستعاذة من شرهن **قلت** فيها ثلاثة أوجه أحدها أن يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة
السحر ومن إثمهن في ذلك والثاني أن يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن والثالث
أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن ويجوز أن يراد بهن النساء الكيادات من قوله تعالى إن كيدكن
عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد أو اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم
بذلك إذا حسد إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لأنه إذا لم يظهر أثر ما أضمره
فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله لم
أر ظالما أشبه بالمظلوم من حاسد ويجوز أن يراد بشر الحاسد إثمه وسماجة حاله في وقت حسده وإظهاره
أثره **فإن قلت** قوله من شر ما خلق تعميم في كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق
والنفاثات والحاسد **قلت** قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء أمره وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يعلم
كأنما يغتال به وقالوا شر العداة المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر **فإن قلت** فلم عرف بعض المستعاذ
منه ونكر بعضه **قلت** عرف النفاثات لأن كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لأن كل غاسق لا يكون فيه الشر
إنما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم لا حسد إلا في اثنتين وقال أبو تمام وما حاسد في المكرمات بحاسد وقال
إن العلا حسن في مثلها الحسد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله عز وجل كلها

سورة الناس مدنية وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس
الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقرئ قل أعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها
إلى اللام ونحوه فخذ أربعة من الطير **فإن قلت** لم قيل برب الناس مضافا إليهم خاصة **قلت** لأن
الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي
يملك عليهم أمورهم وهو إلههم ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالي إذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم
ووالي أمرهم **فإن قلت** ملك الناس إله الناس ما هما من رب الناس **قلت** هما عطف بيان كقولك سيرة
أبي حفص عمر الفاروق رضي الله عنه بين بملك الناس ثم زيد بيانا بإله الناس لأنه قد يقال لغيره رب الناس
كقوله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل
غاية للبيان **فإن قلت** فهلا اكتفي بإظهار المضاف إليه الذي هو الناس مرة واحدة **قلت** لأن عطف
البيان للبيان فكان مظنة للإظهار دون الإضمار الوسواس اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما
المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه لأنها صنعته وشغله الذي
هو عاكف عليه أو أريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي والخناس الذي عادته
أن يخنس منسوب إلى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روي عن سعيد بن جبير إذا ذكر الإنسان ربه خنس
الشيطان وولى وإذا غفل وسوس إليه الذي يوسوس يجوز في محله الحركات الثلاث فالجر على الصفة
والرفع والنصب على الشتم ويحسن أن يقف القارئ على الخناس ويبتدئ الذي يوسوس على أحد هذين الوجهين
من الجنة والناس بيان للذي يوسوس على أن الشيطان ضربان جني وإنسي كما قال الله تعالى شياطين الإنس
والجن وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال لرجل هل تعوذت بالله من شياطين الإنس ويجوز أن يكون من متعلقا بيوسوس ومعناه
ابتداء الغاية أي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقيل من الجنة والناس بيان للناس وأن
اسم الناس ينطلق على الجنة واستدلوا بنفر ورجال في سورة الجن وما أحقه لأن الجن سموا جنا لاجتنانهم
والناس ناسا لظهورهم من الإيناس وهو الإبصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلين وصح ذلك وثبت لم يكن
مناسبا لفصاحة القرآن وبعده من التصنع وأجود منه أن يراد بالناس الناسي كقوله عز وجل يوم يدع الداع وكما قرئ
من حيث أفاض الناس ثم يبين بالجنة والناس لأن الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله تعالى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت علي سورتان ما أنزل مثلهما وإنك لن تقرأ سورتين أحب ولا أرضى عند الله منهما ويقال
للمعوذتين المقشقشتان قال مؤلف الكتاب رحمه الله أنا أعوذ بهما وبجميع كلمات الله الكاملة التامة وألوذ بكنف رحمته الشاملة
من كل ما يكلم الدين ويثلم اليقين ويعود في العاقبة بالندم أو يقدح في الإيمان المسوط باللحم والدم وأسأله
بخضوع العنق وخشوع البصر ووضع الخد لجلاله الأعظم الأكبر مستشفعا إليه بنوره الذي هو الشيبة في
الإسلام متوسلا بالتوبة الممحصة للآثام وما عنيت به من مهاجرتي إليه ومجاورتي ومرابطتي
بمكة ومصابرتي على تواكل من القوى وتخاذل من الخطى ثم إسالة نحو صراط التشفيع وقرآنه المجيد الكريم وما
لقيت من كدح اليمين وعرق الجبين في عمل الكشاف عن حقائقه المخلص عن مضايقه المطلع على غوامضه المثبت
في مباحثه الملخص لنكته ولطائف نظمه المنقر عن فقره وجواهر علمه المكتنز بالفوائد المفتنة التي
لا توجد إلا فيه المحيط بما لا يكتنه من بدائع ألفاظه ومعانيه مع الإيجاز الحاذف للفضول وتجنب المستكره
الممل ولو لم يكن في مضمونه إلا إيراد كل شيء على قانونه لكفى به ضالة ينشدها محققة الأحبار وجوهرة
يتمنى العثور عليها غاصة البحار وما شرفني به وتجدني ولخصني بكرامته وتحدثي من انتفاع علي يدي
في مبسط بشارته ونذره ومتنزل آياته وسوره من البلد الأمين بين ظهراني الحرم وبين يدي البيت المحرم حتى
وقع التأويل حيث وقع التنزيل أن يهب لي خاتمة الخير ويقيني مصارع السوء ويتجاوز عن فرطاتي يوم

النَّاد ولا يفضحني بها على رؤوس الأشهاد ويحلني دار المقامة من فضله بواسع طوله وسابغ نواله

انه هو الجواد الكريم الرؤوف الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وعترته
السادة الكرام وصلى الله وأزواجهم
صلوة وسلاماً ما آناء الليل وأطراف
النهار تم الكتاب بعون الله المنان
تم الكتاب والحمد لله وحده
والصلوة على من لا نبي
بعده

ما قيل في كيفية المصنف بولادته وتاريخ حيوته ومماته ومديحه في ختمه قال المصنف رحمه الله تعالى في آخر نسخته فرغت يدي من نسخ الكشاف تجاه الكعبة في جناح داره السليمانية التي على باب اجياد الموسومة بمدرسة العلامة ضحوة يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر في عام ثمان وعشرين وخمسمائة

تاريخ ولادته ووفاته رحمه الله قد ولد بزمخشر يوم الاربعاء لثلاث بقين من رجب سنة سبع وستين واربعمائة وتوفي في ليلة عرفة سنة ثمان وثلثين وخمسمائة فصار مدة حيوته احدى وسبعين سنة واربعة اشهر واثني عشر يوما وقال ابن وهاس السليماني وعالمهم في مدح جار الله العلامة رحمه الله رحمة واسعة في الدنيا والآخرة آمين بفضله وكرمه

جميع قرى الدنيا سوى القرية التي ... تبوأها داراً فداء زمخشرا
واحر بان تزهى زمخشر بامرئ ... اذا عد في اسد الشرى زمخ الشرى

وقال آخر في مدح كتابه الكشاف

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد ... وليس فيها لعمري مثل كشافي
ان كنت تبغي الهدى فالزم قراءته ... فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

وقال آخر في مدحه رحمه الله

خوارزم اضحت محل الفضل والحجج ... بفضل خوارزم خير البيض والسود
وارض مكة درت دمع مقلتها ... حزناً لفرقة جار الله محمود
لو كان يعبد وفضل لعزته ... لقلت علامة الاسلام معبودي

وقال آخر في مدحه

عجباً لرحلك كيف يجمعه الالم ... وهي التي لم تسع الا في الكرم
قال الورى هذا يكفر ذنبه ... فاجبتهم اني وكيف وما الجرم
لكنه تصديق قول نبينا ... لا خير في جسد يعيش بلا سقم

قال المصنف رحمه الله في آخر نسخته بعينه النسخة بخطه الاصل الاولى التي نقلت من السواد وهي ام الكشاف الحرمية المباركة التمتع بها المحفوفة بان يستنزل بها بركات السماء ويستمطر بها في السنة الشهباء وتم تبييضها تجاه الكعبة في جناح داره السليمانية التي على باب اجياد الموسومة بمدرسة العلامة ضحوة يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وهو حسبي الله على باهر كرمه وصلى على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين وانا الكاتب هذا وان كان مذكوراً امثاله مثله لما فيه من الزيادة في العبادة ووجد في النسخة مكتوباً كذلك بما في المناسخ حق النسبة التي على هامشه وسطر نسخته